

لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَلَا هِيَ كَالْأَشْيَاءِ الَّتِي يُبْصَرُ

المعجم

وَقَفَّيْكَ الْكَرَانَ سَبَّاحَهُ

المجلد الحادي والعشرون

تَالِيفُ وَتَحْقِيقُ

قِسْمُ الْقُرْآنِ بِمَجْمَعِ الْجُحُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ

پاکستان

مَدِيرُ الْقَبْرِ

الزُّمَانُ الْمَجْرُورُ وَعِظَانُ الْكَلْبِ الْمُسَانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلْمُؤَسَّسَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْعَلِيَّةِ

# المعجم

في فقه لغة القرآن وسر بلاغته

المجلد الحادي والعشرون

تأليف وتحقيق

قسمة القرآن بجمع البحوث الإسلامية

بإشراف

مدير القسمة

الدكتور محمد وعظيمة الخزرجي

المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته / تأليف و تحقيق قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلامية: إرشاد و إشراف محمد واعظزاده الخراساني. - مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٩ق. = ١٣٨٧ش.

ISBN 978-964-444-484-4 (ج ١)

ISBN set 978-964-444-179-0

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

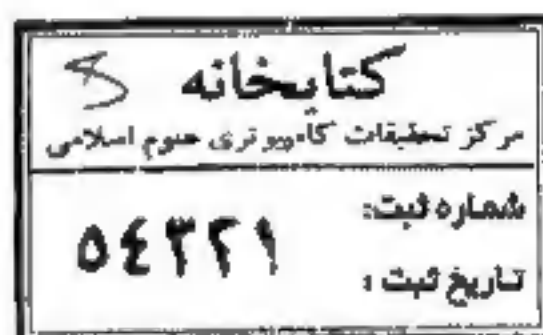
عربی  
١. قرآن - - واژه نامه. ٢. قرآن - - دایره المعارف. الف. واعظزاده خراسانی، محمد، ١٣٠٤ - ب. بنیاد پژوهشهای اسلامی.

٢٩٧/١٣

BP ٦٦ / ٤ / ٥٧

٣٧٨-٨٦٩٧

کتابخانه ملی ایران



## المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته

المجلد الحادي و العشرون

تأليف و تحقيق: قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلامية  
إشراف: الأستاذ محمد واعظزاده الخراساني

الطبعة الأولى ١٤٣٢ق / ١٣٩٠ش

١٥٠٠ نسخة / القس: ١٧٠٠٠٠ ريال

الطبعة: لم يجمع

مجمع البحوث الإسلامية، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥

هاتف و فاكس وحدة للبيعات في مجمع البحوث الإسلامية: ٢٢٣٠٨٠٣

معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلامية، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قم) ٧٧٢٣٠٢٩

[www.islamic-rf.ir](http://www.islamic-rf.ir)

[info@islamic-rf.ir](mailto:info@islamic-rf.ir)

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

این کتاب با مشارکت و تسهیلات حمایتی معاونت امور فرهنگی و وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی چاپ شده است.

# المؤلفون

الأستاذ محمد واعظ زاده الخراسانيّ

ناصر التّجفيّ

قاسم الثّوريّ

محمد حسن مؤمن زاده

حسين خاكشور

السّيّد عبد الحميد عظيمي

السّيّد جواد سيّدي

السّيّد حسين رضويّان

علي رضا غفراني

محمد رضا نوري

السّيّد علي صباغ دارابي

أبو القاسم حسن پور

ولقد فُوض عرض الآيات وخطبها إلى أبي الحسن الملكيّ ومقابلة القصود  
إلى خضر قبض الله وعبداً الكريم الرّحيميّ وتنفيذ المعروف إلى المؤلّفين



## كتاب نخبة

- ١٤٢١ ق مؤتمر تكريم خدمة القرآن الكريم في ميدان الأدب المصنف.
- ١٤٢٢ ق الكتاب النخبة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
- ١٤٢٢ ق مؤتمر الكتاب المنتخب الثالث للحوزة العلمية في قم.
- ١٤٢٦ ق الدورة الثانية لانتخاب وعرض الكتب والمقالات الممتازة في حقل القرآن.
- ١٤٢٦ ق الملتقى الثاني للكتاب النخبة الذي يعقد كل سنتين في محافظة خراسان الرضوية.
- ١٤٣١ ق ملتقى تكريم نخبة الحوزة العلمية في خراسان الرضوية.



مركز تحقيق وتوثيق التراث الإسلامي

## المحتويات

٧١٧	٧ ذو	تصدير
٧٦١	٩ ذود	ذكر
٧٧١	٤٠٧ ذوق	ذكي
٨١٥	٤٢٩ ذي ع	ذل ل
	٥٢٧ الأعلام المنقول عنهم بلا واسطة	ذم م
٨٣٥	٥٤٧ وأسماء كتبهم	ذن ب
	٦١٣ الأعلام المنقول عنهم بالواسطة	ذهب
٨٤٥	٧٠٩	ذهل



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

## تصدير

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا سيد الأنبياء والمرسلين، محمد المصطفى خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين، وصحبه الميامين المتجبين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، شكرًا لله تبارك وتعالى لتوفيقه إيانا في إكمال المجلد الحادي والعشرين من موسوعتنا القرآنية الكبرى المسماة: «المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته» الحاوي للتصوُّص اللُّغويَّة والتفسيرية، والدراسات البلاغية، والأسرار القرآنية، دعماً وبشارةً للذين يتابعون بشوق بالغ، وصبر جميل مجلّدات هذا المعجم، حريصين على الاستئناس بكتاب ربهم ومدى بلاغته وسرّ إعجازه، والذين هم رؤاد العلوم القرآنية في العالم الإسلامي من داخل البلاد وخارجها مُعلنين تقديرهم لهذا الكتاب كتباً وشفاهاً، مما يستوجب مثافعتهم شكرًا جزيلًا.

وقد احتوى هذا المجلد إحدى عشرة مادةً من حرف الذال ابتداءً من «ذك ر»، وانتهاءً بـ«ذي ع»، وكان أكثرها عددًا من حيث الآيات «ذك ر»، وأقلها: «ذه ل».

نسأله تبارك وتعالى دوام التوفيق في إكمال هذا العمل وإنجازه.

وأخّر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلامٌ على المرسلين.

محمد واعظ زاده الخراساني

مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية

في الأستانة الرضوية المقدسة

١١ شوال، عام ١٤٣٢ هـ. ق



مرکز تحقیقات کلام و فقه اسلامی

# ذکر

٦٧ لفظاً، ٢٩٢ مرة، ٢١٠ مکیة، ٨٢ مدنیة

فی ٧١ سورة: ٥٣ مکیة، ١٨ مدنیة

ذکر ١: ١	ذکر ١: ١	ذکر ١: ١	ذکر ١: ٢
ذکر ١: ١	ذکر ١: ٢	ذکر ١: ٤	ذکر ٢: ٢
ذکر ١: ١	ذکر ١: ٥	ذکر ١: ١٣	ذکر ٢: ٢
ذکر ١: ١	ذکر ١: ٣	ذکر ١: ١	ذکر ١: ١
ذکر ١: ١	ذکر ١: ١٥	ذکر ١: ٢٩	ذکر ٣: ٤
ذکر ١: ٨	ذکر ١: ٦	ذکر ١: ١	ذکر ٢: ٢
ذکر ١: ٧	ذکر ١: ١	ذکر ١: ١	ذکر ١: ١
ذکر ٢: ٣	ذکر ١: ١	ذکر ١: ١	ذکر ٢: ٢
ذکر ١: ١٧	ذکر ٢: ٢	ذکر ١: ٢	ذکر ٢: ٣
ذکر ١: ١	ذکر ٣: ٤	ذکر ١: ١	ذکر ١: ١
ذکر ٢: ٥	ذکر ١: ١	ذکر ١: ١	ذکر ١: ١
ذکر ١: ١	ذکر ١: ١	ذکر ٨: ٣٢	ذکر ١: ١
ذکر ٢: ٤	ذکر ١: ٦	ذکر ٨: ١١	ذکر ١: ١
ذکر ٢: ٢	ذکر ١: ١	ذکر ١: ٢٠	ذکر ١: ١
ذکر ١: ٦	ذکر ١: ١	ذکر ٢: ٢	ذکر ١: ١

وَالذُّكُورَةُ، وَالذُّكُورُ، وَالذُّكْرَانُ: جمع الذُّكْر، وهو خلاف الأنثى. ومن الدُّوَابِّ: الذُّكُورَةُ.	ذُكُورُكَ ١: ١	ذُكْرٌ ٢: ٥-٢
وَالذُّكْرُ مِنَ الْحَدِيدِ: أَيْسَهُ وَأَشَدُّهُ، وَبِهِ سُمِّيَ السِّيفُ مُذَكَّرًا، وَبِهِ يُذَكَّرُ الْقَدُومُ، وَالْفَأْسُ وَنَحْوُهُ.	الذُّكْرَانُ ١: ١	الذُّكْرُ ٣: ٤-٧
وَامْرَأَةٌ مُذَكَّرَةٌ، وَنَاقَةٌ مُذَكَّرَةٌ، إِذَا كَانَتْ فِي حِلْفَةٍ الذُّكْرِ، أَوْ شِبْهِهِ فِي شَعَائِلِهَا.	ذُكْرَانًا ١: ١	عَالِ الذُّكْرَيْنِ ٢: ٢
		الذُّكُورُ ١: ١

## الْأُصُوصُ اللَّفْظِيَّةُ

وَأَذْكَرُ النَّاقَةِ وَالْمَرْأَةَ، إِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا، وَامْرَأَةً مُذَكَّرًا، إِذَا أَكْثَرَتْ مِنْ وَلَادِ الذُّكُورِ.	الْحَلِيلُ: الذُّكْرُ: الحفظ للشيء تذكيره، وهو مَنِّي على ذُكْرٍ.
وَيُقَالُ لِلْحَلِيلِ فِي الدَّعَاءِ: أَيْسَرْتُ وَأَذْكَرْتُ، أَيِ يُسِّرُ عَلَيْهَا وَوَلَدَتْ ذَكَرًا.	وَالذُّكْرُ: جَرِي الشَّيْءِ عَلَى لِسَانِكَ، تَقُولُ: جَرَى مِنْهُ ذُكْرٌ.
وَالْأَسْتِذْكَارُ: الدِّرَاسَةُ لِلْحِفْظِ.	وَالذُّكْرُ: الشَّرَفُ وَالْعِزُّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ ذِكْرٌ خَفِيٌّ ٤٤﴾.
وَالذُّكْرُ: طَلَبُ مَا قَدْ فَاتَ. (٣٤٦: ٥)	وَالذُّكْرُ: الْكِتَابُ الَّذِي فِيهِ تَفْصِيلُ الْبُذْنِ، وَتُكَلِّفُ كِتَابُ الْأَنْبِيَاءِ: ذُكْرٌ.
أَبُو عَصْرٍ وَالشَّيْبَانِيُّ: عَلَى ذُكْرٍ، فَلَانِ مَنِّي عَلَى ذُكْرٍ مَذْكَرَيْنِ الذُّكُورَةُ، وَهِيَ الذُّكْرَةُ، وَالذُّكُورَةُ.	وَالذُّكْرُ: الصَّلَاةُ، وَالذَّعَاءُ، وَالنَّشَاءُ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِذَا خَرَجَتْهُمْ أَمْرٌ فَرَزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، أَيِ الصَّلَاةِ.
(٢٨١: ١)	وَذِكْرُ الْحَقِّ: الصَّلَاةُ، وَجَمْعُهُ: ذُكُورٌ حَقُّوقٌ، وَيُقَالُ: ذُكُورُ حَقٍّ.
الْفَرَاءُ: جَاءَنَا فَلَانٌ عَلَى ذُكْرٍ، وَلَا تَقُلْ: ذُكْرٌ، إِنَّمَا يُقَالُ: ذَكَرْتُ الشَّيْءَ ذَكَرًا. (إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ: ١٦٨)	وَالذُّكْرِيُّ: اسْمٌ لِلذُّكَيْرِ، وَالذُّكَيْرُ مَجَازٌ <sup>(١)</sup> وَالذُّكْرُ: مَعْرُوفٌ، وَجَمْعُهُ: الذُّكْرَةُ، وَمِنْ أَجْلِهِ سُمِّيَ مَا إِلَيْهِ: الْمَذَاكِيرُ.
الذُّكْرُ: مَا ذَكَرْتَهُ بِلِسَانِكَ وَأَظْهَرْتَهُ، وَالْمَذْكَرُ بِالْقَلْبِ. (الْأَزْهَرِيُّ: ١٠: ١٦٢)	وَالْمَذَاكِيرُ: سُرَّةُ الرَّجُلِ، لَا يَهْرَدُ، وَإِنْ أَهْرَدَ فَمُذْكَرٌ، مِثْلُ مُقَدِّمٍ وَمُقَادِّمٍ.
وَأَنْتَ قَانِلٌ لِلرَّجُلِ: لَتُنْ ذَكَرْتَنِي لَتَتَذَمَّنِي، وَأَنْتَ تَرِيدُ: يَسُومُهُ فَيَجُوزُ ذَلِكَ. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]	
(الْأَزْهَرِيُّ: ١٠: ١٦٣)	
يُقَالُ: كَمِ الذُّكْرَةُ مِنْ وَلَدَةٍ أَيْ الذُّكُورِ.	
(ابْنُ فَارَسٍ: ٢: ٣٥٨)	
أَبُو عُبَيْدَةَ: يُقَالُ: هُوَ مَنِّي عَلَى ذُكْرٍ وَعَلَى ذُكْرٍ، لَفْتَانِ.	
(إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ: ١٦٨)	(١) وَفِي الْأَصْلِ مَجَاوِزًا

ابن السكيت: ويقال: مُذَكِّرٌ إذا وُلِدَتْ ذَكَرًا،  
وَمُؤَنَّثٌ، إذا وُلِدَتْ أنثى. (٣٤٧)

ويقال: ما ذاك مني على ذَكَرٍ وَذَكَرٍ.  
(إصلاح المنطق: ٣٧)

المُهرَّد: الذَّكَر: الصلاة، والذَّكَر: قراءة القرآن،  
والذَّكَر: التسبيح، والذَّكَر: الدعاء، والذَّكَر: الشكر،  
والذَّكَر: الطاعة. (الأزهري: ١٠: ١٦٣)

كُراع الثمل: ليس في الكلام «فعل» يُكسر  
على «فُعول» و«فُعْلان» إلا الذَّكَر.

(ابن سيده: ٦: ٧٨٨)  
الزَّجَّاج: ذَكَرْتُ الشَّيْءَ أَذْكَرُهُ ذَكَرًا.

وَأَذْكَرُ الرَّجُلَ إِذْكَارًا، إذا وُلِدَ الذَّكَورُ مِنْ  
الْأَوَّلَى. (فعلت وأفعلت: ١٧)

وَأَذْكَرْتُ الْمَرْأَةَ: وَلِدْتُ ذَكَرًا.  
(فعلت وأفعلت: ٤٧)

يقال: فلان يَذْكَرُ النَّاسَ، أي يفتابهم ويذكر  
عيوبهم.

وَفُلَانٌ يَذْكَرُ اللَّهَ، أي يصفه بالعظمة ويُسَبِّحُ عَلَيْهِ  
وَيُوحِّدُهُ، وإِنَّمَا يُحَدَفُ مَعَ الذَّكَرِ مَا عَقَلَ مَعْنَاهُ.

(الأزهري: ١٠: ١٦٣)  
ابن دُرَيْدٍ: الذَّكَرُ: ضدُّ التَّسْيَانِ؛ ذَكَرْتُ الشَّيْءَ

أَذْكَرُهُ ذَكَرًا أَوْ ذَكَرًا، وَهُوَ مُنْبِي عَلَى ذَكَرٍ وَذَكَرٍ،  
وَالضَّمُّ أَعْلَى مَوْذَكَرُهُ ذَكَرًا أَحْسَنًا.

وَذَكَرْتُكَ اللَّهُ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا كَمَا تَقْسَمُ.  
وَيَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَنْكَرَهُ: مَنْ أَنْتَ أَذْكَرُ؟

بِالْأَلْفِ مَقْطُوعَةٌ مَفْتُوحَةٌ.

الْأَخْفَشُ: هُوَ [الْمَذْكَر] مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ  
وَاحِدٌ، مِثْلُ الْعِبَادِيدِ وَالْأَبَابِيلِ. (الْجَوْهَرِيُّ: ٢: ٦٦٤)

الْأَصْمَعِيُّ: الْمُؤَنَّثُ وَالْمُذَكَّرُ فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْوَلَدِ  
وَالْكَثِيرِ، وَالْمُنْثَاتُ وَالْمُذْكَارُ اللَّذَانِ مِنْ عَادَتِهِمَا أَنْ

يُولَدُ لهُمَا الذَّكَورُ وَالْإِنَاثُ. (أَبُو زَيْدٍ: ٢٤٢)  
مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: «ذَكَرْتَنِي الطُّغْنُ وَكُنْتُ نَاسِيًا».

يُضْرَبُ مِثْلًا لِلرَّجُلِ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيَتَذَكَّرُ بِهَا شَيْئًا.  
(الْقَالِي: ١: ١٩٥)

فَلَاةٌ يَذْكَارُ: ذَاتُ أَهْوَالٍ، وَلَا يَسْلُكُهَا إِلَّا الذَّكَرُ  
مِنَ الرِّجَالِ.

وَيَوْمٌ مُذَكَّرٌ إِذَا وُصِفَ بِالشَّدَّةِ وَالصَّعُوبَةِ وَكَثْرَةِ  
الْقَتْلِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشِعْرِ] (الْأَزْهَرِيُّ: ١٠: ١٦٤)

الْمَذْكَرَةُ: وَهِيَ سَيْفٌ شَفَرَاتُهَا حَدِيدَةٌ فَكْرَةٌ  
وَمَتْنُهَا أَنْيْتُ، يَقُولُ النَّاسُ: [لَهَا مِنْ عَمَلِ الْجَنِّ].

(الْأَزْهَرِيُّ: ١٠: ١٦٥)  
مِثْلُهُ أَبُو عُبَيْدٍ (الْجَوْهَرِيُّ: ٢: ٦٦٤)

أَبُو زَيْدٍ: وَرَجُلٌ يَذْكَارُ وَامْرَأَةٌ يَذْكَارُ، إِذَا  
وُلِدَتْ لَهُ الذَّكَورُ، وَرَجُلٌ مُؤَنَّثٌ وَامْرَأَةٌ مُؤَنَّثَةٌ

وَمُذَكَّرٌ. (٢٤٢)  
ذَهَبَتْ ذُكْرَةُ السَّيْفِ وَالرَّجُلِ، أَيِ حِدَّتُهُ.

(الْأَزْهَرِيُّ: ١٠: ١٦٥)  
وَاسْتَذْكَرَهُ: كَأَذْكَرَهُ - حَكَى هَذِهِ الْأَخِيرَةُ أَبُو

عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ - يَقَالُ: أَرَأَيْتَ إِذَا رُبِّطْتُ فِي إِصْبَعِهِ  
خَيْطًا، يَسْتَذْكَرُ بِهِ حَاجَتَهُ.

إِنْ فَلَانًا لِرَجُلٍ لَوْ كَانَ لَهُ ذُكْرَةٌ: أَيِ ذَكَرٍ.  
وَرَجُلٌ ذَكِيرٌ، وَذَكِيرٌ: ذُو ذَكَرٍ. (ابن سيده: ٦: ٧٨٧)



والذكر من كل شيء: خلاف الأنثى والجمع:  
ذكران وذكرورة وذكرارة.

ورجل ذكر: منهم من الرجال ماضٍ في أموره  
وسيف ذكر: ماضٍ في ضربته.

وذكر السيف، يقال: حديد ذكر يلحس بحديد  
أنثى، فالسيف حينئذ مذكر.

وسيف مذكر، إذا كان كذلك؛ وسيف ذكر، إذا  
كان من حديد خالص. ويجمع الذكر: الذكارة و  
الذكورة.

وذكر الإنسان: معروف، فاقوا قولهم: المذاكير  
فلا أمري ما واحدهما، ولا تكاد العرب تتكلم بها.

وامرأة مذكر، إذا ولدت ذكراً؛ وإذا كان من  
عاداتها فهي مذكارة، وكذلك الناقة.

وأرض مذكارة: ثبت ذكور الثوب.  
وداهية مذكر: لا يقوم لها إلا الذكور من الرجال.

والذكارة: النحال من النخل.  
وناقة مذكرة، إذا شبت بالجمل.

ورجل ذو ذكر، إذا كان شهماً.  
وذكور الثوب: ضروب منه، نحو التيشران

والغظوان وما أشبههما.  
وكان الأصمعي يقول: ذكور الطيب ما يصلح

للرجال دون النساء، نحو المسك والخالية والذرية.  
وروي عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ

يطلب بذكارة الطيب: العنبر والمسك. [واستشهد  
بالشعر مرتين]

(٣١٠: ٢)

وذكرى وعيمى: نبت.

بأب فعل: ... ويجمع على «فُحول»، مثل ذكر  
وذكور... ويجمع على «فُحولة» مثل ذكر وذكورة.

وأحسب أن بعض العرب يسمي السمك الرامح:  
الذكر.

(ابن سيده ٦: ٧٨٩)  
القالي: وهي [الناقة] مؤنث وقد آثت أي

جاءت بأنثى. وقد أذكرت فهي مذكر إذا جاءت  
بذكر. فإن كان من عاداتها أن تضع الإناث فهي مثناة

وكذلك يذكارة إذا كان من عاداتها أن تضع  
الذكور.

الذكور: السيوف التي عجلت من حديد غير  
أنثى.

الأزهري: يقال: ما زال مني على ذكر أي  
وقد أنكر بعضهم أن يكون الذكر عينا.

ويقال للمرأة إذا ولدت ذكراً: قد أذكرت فهي  
مذكر، فإذا كان من عاداتها أن تلد الذكور فهي مذكارة،

والرجل أيضاً مذكارة.  
طريق مذكر: مخوف صعب، وفلاة مذكر: ثبت

ذكور البقول، وذكورة: ما خشن منه وغلظ، وأحرار  
البقول: ما رقيق منه وطال.

وداهية مذكر: شديدة.  
ورجل ذكر، إذا كان قوياً شجاعاً ألقاً ألباً، ومطر

ذكر: شديد وابل.  
وقول ذكر: صلب متين، وشعر ذكر: فصل.

(١٦٢: ١٠) [واستشهد بالشعر مرتين]

يقال: أكبر الرجل، إذا جاء بالكبيرة، أصغر إذا جاء بالصغيرة، ومثله: أذكرت المرأة إذا جاءت بولد ذكر، وأنثى، إذا جاءت بأنثى. (٧٠٤: ١)

في حديث عمر: «... فقال: هبّلت الواحدي أمه، لقد أذكرت به، امضوها على ما قال».

قوله: «لقد أذكرت به»، أي جاءت به ذكراً من الرجال شهنأ.

يقال: أذكرت المرأة، إذا جاءت بولد ذكر، فهي مذكر، فإذا كانت من عاداتها أن تلد الرجال قيل: مذكر، وكذلك أنثى المرأة فهي مؤنث، إذا جاءت بأنثى، فإذا كان ذلك من عاداتها قيل: مؤنثات.

ومن الحديثين من يرويه: «لقد أذكرت به» يذهب إلى أنه قد ذكر بقوله أمراً قد كان أنثى، وليس هذا (٩٦: ٢)

الجسري: الذكر: خلاف الأنثى؛ والجمع: ذكور، وذكران، وذكرارة أيضاً، مثل حبر وحجارة.

والذكر: الثوب؛ والجمع: المذاكير على غير قياس، كأنهم فرقوا بين الذكر الذي هو الفحل وبين الذكر الذي هو الضو، في الجمع.

والذكر من الحديد: خلاف الأنثى، وذكر البقل: ما غلظ منه، وإلى المارة هو سيف ذكر ومذكر، أي ذو ماء.

والذكر: التافة التي تسيب الجمل في الخلق والخلق.

ويقال: ذهبت ذكره السيف وذكره الرجل، أي جدهما.

الصاحب: الذكر: الحفظ الذي تذكره، وهو مبي على ذكر وذكر. وهو أيضاً: جري الشيء على لسانك، وكذلك الشرف، والصوت من قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ لَذِكْرُكُمْ أَكْثَرُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الزخرف: ٤٤. والكتاب الذي فيه تفصيل الدين، والصلاة لله عز وجل، والثناء عليه.

وذكر الحق: الصلوة، وجمعه: ذكور.

والذكرى: اسم للتذكير.

والاستذكار: الدراسة للحفظ.

والذكر: طلب شيء فات.

والذكر: معروف؛ والجمع: الذكرة. ويقال:

مذاكير ومذكر، كما تقول: مقادير ومقدم.

والذكر: خلاف الأنثى، ويجمع على: الذكرة والذكور والذكران.

وامرأة مذكرة: خلقتها خلقة الذكر. وإلا فمذكر، المرأة ذكراً قيل: أذكرت، وهي مذكر.

وجمع الذكر: ذكرارة أيضاً.

وأصابت الأرض ذكور غيث، إذا أصابها المطر الكثير.

وذكور الأسمية: التي تجيء بالمطر الشديد والبرد.

والذكر من الحديد: أيسّه واشدّه. ويسمى السيف مذكراً. (٢٣٥: ٦)

الخطابي: في حديث النبي ﷺ: «... لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة...».

قوله: «أقصرت الخطبة»، أي جئت بها قصيرة.

وفي الحديث: «أنه كان يطوف في ليلة على نائه  
و يغتسل من كل واحدة منهن غسلاً، فسئل عن ذلك  
فقال: إنه أذكره يعني أحد».

وسيف ذو ذكر، أي صارم.

ورجل ذكير: جيد الذكر والميل.

والتذكير: خلاف التأنيت.

والذكر والذكري، بالكسر: خلاف التسيان،  
وكذلك الذكرة.

والذكري مثله. تقول: ذكرته ذكري، غير مشجاة.  
وقولهم: اجعله منك على ذكر وذكر، بمعنى.

والذكر: النصيب والثناء.

ويقال أيضاً: كم الذكرة من وليلة؟ أي الذكور.

وذكرت الشيء بعد التسيان، وذكرته بلساني  
وبقلي، وتذكرته، وأذكرته غيري وذكرته، بمعنى.

قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بِقَدَامِهِ﴾ يوسف: ٢٥.  
أي ذكره بعد نسيان، وأصله: اذكرك فأذغم.

والذكرة: ما تستذكر به الحاجة.

وأذكرت المرأة فهي مذكور، إذا ولدت ذكراً.

والمذكور: التي من عاداتها أن تلد الذكور.

ويذكر: بطن من ربيعة. (٢: ٦٦٤)

ابن فارس: النزال والكاف والراء أصلان

عنهما يتفرع كلم الباب. فالمذكور: التي ولدت ذكراً.

والمذكور: التي تلد الذكور عادة. [ثم استشهد بشعر]

والمذكور: الأرض تثبت ذكور الغنم.

والمذكورة من الثوق: التي خلقها وخلقها كخلق

البعير أو خلقت.

وسيف مذكر: ذو ماء، وذو ذكر، أي صارم.

وذكر البقل: ما غلظ منه، كالحزلي، والأحمر.

وأحرار البقول: ما رقي وكرم. وكان التيباني يقول:

الذكور إلى المرارة ما هي؟

والأصل الآخر: ذكرت الشيء، خلاف نسيته. ثم

حمل عليه الذكر باللسان. ويقولون: اجعله منك على

ذكر، بضم الذال، أي لا تنسه.

والذكر: العلاء والشرف، وهو قياس الأصل.

ويقال: رجل ذكرو ذكير، أي جيد الذكر شهيم.

(٢: ٣٥٨)

أبو هلال: الفرق بين الخاطر والذكر: أن الخاطر

يكون ابتداءً ويكون عن غروب، والذكر لا يكون إلا

عن غروب لأنه إنما يذكر ما عذب عنه، وهو عرض

بشيء التسيان. (٦٠)

الفرق بين الذكر والعلم: أن الذكر وإن كان ضرباً

من العلم، فإنه لا يسمى ذكراً إلا إذا وقع بعد التسيان.

وأكثر ما يكون في العلوم الضرورية. ولا يوصف الله

به، لأنه لا يوصف بالتسيان.

وقال علي بن عيسى: الذكر يضاد السهو، والعلم

يضاد الجهل، وقد يجمع الذكر للشيء والجهل به من

وجه واحد.

وأما الفرق بين الخاطر والذكر: فإن الخاطر مرور

المعنى على القلب، والذكر حضور المعنى في النفس.

الفرق بين التذكير والتنبية: أن قولك: ذكر الشيء

يقضي أنه كان عالماً به ثم نسيه، فرده إلى ذكره

بعض الأسباب؛ وذلك أن الذكر هو العلم بالمحادث

بعد التسيان، على ما ذكرنا.

ويجوز أن يثبت الرجل على الشيء لم يعرفه قط.  
الأتري أن الله يثبت على معرفته بالزلازل والصواعق  
وفهم من لم يعرفه البتة، فيكون ذلك تنبيهاً له كما  
يكون تنبيهاً للغير، ولا يجوز أن يذكره عالم يعلمه قط.

(٧٤)

الطروي: في الحديث «القرآن ذكرٌ فذكروه» أي  
جليل خطير فاجلوه ونحوه «القرآن فخم ففخموه»  
وفي الحديث: «إن علياً يذكر غاطمة» أي  
يخطبها، وقيل: يتعرض لخطبتها.

وفي الحديث: «هبت أمه لقد أذكرت به» أي  
جاءت به ذكرًا جلدًا.

التعالي: فإذا كانت [السيف] شفرته حادة  
ذكرًا، ومنته أنشا، فهو مذكر. والعرب تزعم أن ذلك  
من عمل الجن.

ابن سيده: الذكر: الحفظ للشيء، والذكر: أمضا،  
الشيء يجري على اللسان، وقد تقدم أن «الذكر» لغة  
في الذكر.

ذكره يذكره ذكرًا، وذكره: الأخيرة عن سيوّه.  
تذكره، وأذكره، وإذكره، قلبوا تاء «افضل» في  
هذا مع الذال لغير إدغام.

وأما «أذكر» و«أذكر» فإبدال إدغام، وأما  
«الذكر» و«الذكر» لما رأوها قد انقلبت في أذكر،  
الذي هو الفعل الماضي، قلبوها في الذكر، التي هي  
جمع: ذكره.

وأذكره إياه: ذكره، والاسم: الذكرى.

وما زال ذلك متي على ذكر، وذكر — والضم  
أعلى ما ي تذكر.

واستذكر الرجل: ربط في إصبعه خيطاً ليذكر به  
حاجته.

وقال أبو حنيفة في ذكر الأنواء: وأما الجهة  
فتوؤها من أذكر الأنواء وأشهرها، فكان قوله: «من  
أذكرها» إنما هو على «ذكر» وإن لم يلفظ به، وليس  
على «ذكر»، لأن ألفاظ فعل التمتع إنما هي من  
فعل الفاعل لا من فعل المفعول، إلا في أشياء قليلة.  
واستذكر الشيء: درسه.

والذكر: النصت، ويكون في الخير والشر.  
والذكر: الشرف، وفي التنزيل: «وإله لذكر لك  
والقوي» الزخرف: ٤١، أي القرآن شرف لك  
ونحو قوله تعالى: «ورققنا لك ذكرًا» الانشراح:  
١١، أي شرفك، وقيل: معناه: إذا ذكرت ذكرت معي.

والذكر: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ووضع  
الميل.

والذكر: الصلاة لله والدعاء إليه والتفاء عليه،  
وفي الحديث: «كانت الأنبياء ﷺ إذا حزنهم  
[حزنهم] أسرفوا إلى الذكر»، أي إلى الصلاة  
يقومون فيصلون.

وذكر الحق: الصلوة والجمع: ذكور حقوق.  
والذكر: خلاف الأنتى والجمع: ذكور، وذكره:  
وذكارة، وذكارة، وذكوران، وذكورة.

وامرأة ذكيرة، ومذكرة، ومذكرة: متشبهة  
بالذكور. قال بعضهم: «إياكم وكل ذكيرة مذكرة».

شَوْهَاءَ فَوْهَاءً، يُبْطِلُ الْحَقَّ بِالْهَكَاءِ، لَا تَأْكُلُ مِنْ قَلَّةٍ، وَلَا تَعْتَذِرُ مِنْ عِلَّةٍ، إِنْ أَقْبَلْتَ أَغْصَقْتَ، وَإِنْ أَتْبَرْتَ أَغْبَرْتَ».

و ناقة مُذَكَّرَةٌ؛ مُشْتَبِهَةٌ بِالْجَمَلِ.

و أَذْكَرَتِ الْمَرْأَةَ وَغَيْرَهَا؛ وَلَدَتْ ذَكَرًا، وَفِي الذُّعَاءِ لِلْحَيَلَى: أَذْكَرَتْ وَأَيْسَرَتْ؛ أَيُّ وَلَدَتْ ذَكَرًا وَيُسَّرُ عَلَيْهَا.

و امْرَأَةٌ مُذَكِّرٌ؛ وَلَدَتْ ذَكَرًا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ لَهَا عَادَةً فِيهِ بِذَكَارٍ، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ.

و دَاهِيَةٌ مُذَكِّرٌ؛ لَا يَقُومُ لَهَا إِلَّا ذُكْرَانُ الرِّجَالِ، وَذُكُورُ الطَّيِّبِ؛ مَا يَصْلَحُ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، لِحَوِّ الْمِسْكِ وَالْغَالِيَةِ وَالذَّرِيرَةِ.

و ذُكُورُ الْعُشْبِ؛ مَا غَلِظَ وَحَشَنَ.

و أَرْضٌ بِذَكَارٍ؛ تُنْبِتُ ذُكُورَ الْعُشْبِ. وَقَوْلُ: لَيْسَ الَّتِي لَا تُنْبِتُ، وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ. وَالدُّكَارَةُ؛ جَمَلُ الثَّغْلِ.

وَالذَّكَرُ؛ مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ: ذُكُورٌ. وَالْمَذَاكِيرُ؛ مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ؛ وَاحِدُهَا: ذَكَرٌ، وَهُوَ مِنْ بَابِ: مَحَاسِنٌ وَمَلَامِحٌ.

وَالذَّكَرُ وَالذَّكِيرُ، مِنَ الْحَدِيدِ؛ أَيْتَنَهُ وَأَجُودَهُ. وَالدُّكْرَةُ؛ الْقِطْعَةُ مِنَ الْقَوْلَادِ، تَرَادُفُ فِي رَأْسِ الْفَاسِ وَغَيْرِهِ.

وَقَدْ ذَكَرْتُ الْفَاسَ وَالسَّيْفَ. وَقَالُوا خِلَافَهُ: الْأُنْثَى.

و ذُكْرَةُ السَّيْفِ وَالرَّجُلِ؛ حِدَّتُهُمَا.

و رَجُلٌ ذَكِيرٌ؛ أَنْفٌ أَبْيَضٌ.

و سَيْفٌ مُذَكَّرٌ؛ شَفَرَتُهُ حَدِيدٌ ذَكَرٌ، وَتَثْنُهُ أَنْثَى. يَقُولُ النَّاسُ: إِنَّهُ مِنْ عَمَلِ الْجِنِّ. [و اسْتَشْهَدَ بِالشَّعْرِ ٥ مَرَّاتٍ] (٧٨٧: ٦)

الرَّاغِبُ: الذَّكَرُ؛ تَارَةً يُقَالُ وَيُرَادُ بِهِ هَيْئَةٌ لِلنَّفْسِ بِهَا، يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَظَ مَا يَقْتَنِيهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَهُوَ كَالْحِفْظِ إِلَّا أَنَّ الْحِفْظَ يُقَالُ اعْتِبَارًا بِإِحْرَازِهِ، وَالذَّكَرُ يُقَالُ اعْتِبَارًا بِاسْتِحْضَارِهِ.

و تَارَةً يُقَالُ لِمَحْضُورِ الشَّيْءِ الْقَلْبُ أَوِ الْقَوْلُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: الذَّكَرُ ذُكْرَانٌ؛ ذَكَرٌ بِالْقَلْبِ، وَذَكَرٌ بِاللِّسَانِ، وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ضَرْبَانِ؛ ذَكَرٌ عَنْ نِسْيَانٍ، وَذَكَرٌ لَاعِنِ نِسْيَانٍ بَلْ عَنْ إِدَامَةِ الْحِفْظِ.

و كُلُّ قَوْلٍ يُقَالُ لَهُ: ذَكَرَ، فَمِنْ الذَّكَرِ بِاللِّسَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: [ثُمَّ ذَكَرَ الْآيَاتِ إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَالذَّكْرَى: كَثْرَةُ الذَّكَرِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ الذَّكَرِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٤٣. ﴿وَذِكْرَ قَبْلِ الذَّكْرِ عِلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذَّارِبَاتِ ٥٥: فِي أَيِّ كَثِيرَةٍ.

والتذكرة: ما يذكرك به الشيء، وهو أعم من الدلالة والامارة. [ثُمَّ ذَكَرَ الْآيَاتِ إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَالذَّكَرُ: ضِدُّ الْأُنْثَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ آل عمران: ٣٦. وَقَالَ: ﴿وَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ الأنعام: ١٤٤، وَجَمْعُهُ: ذُكُورٌ وَذُكْرَانٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذُكْرًا وَإِنثًا﴾ الشورى: ٥٠، وَجَعَلَ الذَّكَرَ كِتَابَةً عَنِ الْغَضْوِ الْمَخْصُوصِ.

وَالْمُذَكِّرُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي وَلَدَتْ ذَكَرًا، وَالْمُذَكَّرُ: الَّتِي لَمْ يَلِدْ لَهُ ذَكَرًا.

وناقة مُذَكَّرَةٌ؛ تُشَبَّه الذَّكَرُ فِي عِظَمِ خَلْقِهَا.

وسيف ذو ذُكْرٍ، ومُذَكَّرٌ؛ صارم. تشبيهاً بالذَّكَرِ.

وذكور البقل: ما غلظ منه. (١٧٩)

نحوه الفيروز آبادي. (بصائر ذوي التمييز ٣: ٩)

الزَّكَاةُ حَشْرِيٌّ؛ ذَكَرُهُ ذَكَرًا وَذَكَرِيٌّ، وَذَكَرْتُهُ

تَذَكَّرْتُ وَذَكَرِيٌّ ﴿وَذَكَرْتُهُ الذَّكَرُ﴾ الذَّكَرُ يَاتُ: ٥٥.

وَذَكَرْتُ الشَّيْءَ وَتَذَكَّرْتُهُ.

واجعله مني على ذُكْرٍ أَي لَأَنسَاء.

وعقد رهنمة ليستذكر بها الحاجة.

واستذكر بدرأسته: طلب بها الحفظ.

وولد ذُكْرٌ وَذَكُورٌ وَذَكَرَان.

والحصن: ذُكُورَةُ الْفَهْلِ وَذَكَارَتُهَا.

وامرأة مذكَّار، وقد أذكَّرت. وفي السَّهَامِ

لِلْمَطْلُوقَةِ: أَسْرَتٌ وَأَذَكَرْتُ، أَي يُسَرُّ عَلَيْهَا وَوَلَقَمَتْ

ذَكَرًا.

ومن الجواز: له ذُكْرٌ فِي النَّاسِ، أَي صِبْيٌ وَتَسْرُفٌ،

﴿وَاللَّهُ لَذَكُّكَ لَكَ وَلِقَوْلِكَ﴾ الزَّخْرَفُ: ٤٤، وَرَجُلٌ

مذكور.

وأرض مذكَّار: تُنْبِت ذُكُورَ الْبَقْلِ، وَهِيَ خِلَافُ

الْأَحْرَارِ الَّتِي تُؤْكَلُ.

وذكور الطَّيِّبِ: مَا لَا رَدْعَ لَهُ.

وفلاة مذكَّار: ذات هول. وطريق مذكَّر: مخوف.

ويوم مذكَّر: قد اشتدَّ فيه القتال. وداهية مذكَّر:

شديدة؛ وذلك أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَكْرَهُ أَنْ تُسَيِّجَ الثَّقَافَةُ

ذَكَرًا فَضَرَبُوا الْإِذْكَارَ مَثَلًا لِكُلِّ مَكْرُوهٍ.

ومطر ذَكَّر: شديد.

وأصابت الأرض ذُكُورَ الْأَسْمِيتَةِ، وَهِيَ الَّتِي تَجِيءُ

بِالْبَرْدِ الشَّدِيدِ وَبِالسَّيْلِ.

وقول ذَكَرَ: صُلْبٌ مَتِينٌ.

وشعر ذَكَرٌ كَمَا يُقَالُ: شَعْرٌ فَخْلٌ.

وسيف ذَكَرٌ وَمُذَكَّرٌ وَذُو ذُكْرَةٍ.

ورجل ذَكَرٌ، وَذَهَبَتْ ذُكْرَتُهُ.

وما ولدت النساءُ أذكرك منك.

ولا يفصل مثل هذا إِلَّا ذُكُورَةُ الرِّجَالِ.

ويوم ذَكَرٌ.

ولي على هذا الأمرُ ذُكْرٌ حَقٌّ، أَي صَلَتُهُ، وَلِي عَلَيْهِ

ذُكُورٌ حَقٌّ، أَي صُكُوكٌ.

[واستشهد بالشعر ٨ مرّات]

(أساس البلاغة: ١٤٣)

المطيني: في الحديث: «طُيِبَ الرِّجَالُ: مَا ظَهَرَ

رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ»، وَهُوَ كَالْمِسْكِ وَالْفَنِّيرِ وَنَحْوِهِمَا.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِهِ شِدَّةُ الرَّائِحَةِ، أَيِ بِمَا هُوَ أَذْكَى

رائحة.

في الحديث: «إِذَا غَلِبَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءُ الْمَرْأَةِ

— وَفِي رِوَايَةٍ إِذَا سَبَقَ — أَذْكَرَاهُ، وَفِي رِوَايَةٍ: «أَذْكَرَتْ

بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

أَي: وَلَدًا، أَوْ وَلَدَتْ ذَكَرًا، فَهِيَ مُذَكِّرٌ، وَإِنْ صَارَ

عَادَتُهَا قَيْلٌ: بِمَذْكَارٍ.

قال عبد الله بن يزيد المقرئ: ذَكَرْتُهُ، مِنَ الْمَوْعِظَةِ،

وَأَذْكَرْتُهُ مِنَ النَّسِيَانِ. (٧٠٥: ١)

ابن الأثير: هَبْ: «الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذَّكَرِ، وَيُقَاتِلُ

لِثَمَّتِهِ»، أَي لِيَذْكَرَ بَيْنَ النَّاسِ وَيُوصَفَ بِالشَّجَاعَةِ.

والذكر: الشرف والفخر.

ومنه الحديث في صفة القرآن: «وهو الذكر الحكيم»، أي الشرف المحكم العاري من الاختلاف.

وفي حديث عائشة: «ثم جلسوا عند المذكر حتى بدا حاجب الشمس».

«المذكر»: موضع الذكر، كأنها أرادت عند الركن الأسود أو الحجر.

وقد تكرر ذكر «المذكر» في الحديث، ويُرَاد به تمجيد الله تعالى، وتقدسه، وتسميته وتعليقه، والثناء عليه بجميع معامده.

وفي حديث عمر: «ما حلفتُ بها ذاكرًا ولا آثرًا» أي ما تكلمتُ بها حائلاً، من قولك: ذكرتُ لفلان حديث كذا وكذا، أي قلته له. وليس من الذكر بعد التثان.

ومنه حديث طارق بن شهاب: «كُنَّا لَنَا مِنَ الزَّيْبِ حِينَ صُرِعَ: وَاللهُ مَا وَلَدَتْ نِسَاءُ أَذْكَرَ مِنْكَ» يعني شهقاً ماضياً في الأمور.

وفي حديث الزكاة: «أَيْنَ كَبُورُ ذَكَرٍ»، ذكر الذكر تأكيداً. وقيل: تنبيهاً على نقص الذكورية في الزكاة مع ارتفاع السن. وقيل: لأنَّ الابن يطلق في بعض الحيوانات على الذكر والأنثى، كابن آوى، وابن عرس، غيرهما، لا يقال فيه: بنتُ آوى ولا بنتُ عرس، فرفع الإشكال بذكر الذكر.

وفي حديث الميراث: «لأولى رجل ذكر»، قيل: قاله احترازاً من الخنثى. وقيل: تنبيهاً على اختصاص الرجال بالتصيب للذكورية.

وفيه: «أَنَّ عَبْدًا أَبْصَرَ جَارِيَةً لِسَيِّدِهِ، فَقَارَ السَّيِّدَ فَجَبَّ مَذَاكِيرَهُ» هي جمع الذكر على غير قياس. [وقد تركنا بعض الأحاديث حذراً من التكرار] (٢: ١٦٣) الفيومي: ذكرته بلساني وبقلبي.

«ذكرى» بالتأنيث وكسر الذال، والاسم: ذكر بالضم والكسر نص عليه جماعة، منهم أبو عبيدة وابن قتيبة. وأنكر الفراء الكسر في القلب، وقال: اجعلني على ذكر منك بالضم لا غير، ولهذا اقتصر جماعة عليه، ويمتدَّى بالالف والتضعيف، فيقال: أذكرته وذكرته ما كان فتذكر.

والذكر خلاف الأنثى؛ والجمع: ذكور وذكورة وذكرارة وذكران، ولا يجوز جمعه بالواو والثون، فإنَّ ذلك مختصٌّ بالظلم العاقل والوصف الذي يُجمع مؤنثه بالالف والتاء، وما نذكر من ذلك قسموع لا يقاس عليه.

والذكورة: خلاف الأنوثة، وتذكير الاسم - في اصطلاح النحاة - معناه لا يلحق الفعل وما أشبهه علامة التأنيث، والتأنيث بخلافه، فيقال: قام زيد وقعدت هند وهند قاعدة. فإن اجتمع المذكر والمؤنث، فإن سبق المذكر ذكرته، وإن سبق المؤنث أنثت فتقول: عندي ستة رجال ونساء، وعندي ستة نساء ورجال؛ وشبهه بقولهم: قام زيد وهند، وقامت هند وزيد، فقد أُعْثِرَ السَّابِقُ فِيهِ اللَّفْظُ عَلَيْهِ.

والتذكير: الوعظ.

والذكر: الفرج من الحيوان؛ جمعه: ذكراً مثل: عذبة، ومذاكير على غير قياس.

وامرأة ذكيرة ومذكرة ومذكرة: متشبهة بالذكور.

وأذكرت: ولدت ذكرًا، وهي مذكر ومذكر. والذكورة بالضم: قطعة من الفولاذ في رأس الفأس وغيره، ومن الرجل والسيف: جديتهما، وهو أذكر منه: أحد.

وذكورة الطيب: ما ليس له رذع. وما اسمك أذكرك؟ يقطع المعز من أذكرك: إنكار عليه.

ويذكر، كتصغر: بطن من ريمة.

والتذكير: خلاف التأنيث، والوعظ، ووضع المذكرة في رأس الفأس وغيره.

والمذكر من السيف: ذو الماء، ووطن الأيام: الشديد الصلب. كالمذكر كحصن، وهو المجهز من الطرق، والشديدة من الدواهي، كالمذكرة، كمنظمة.

وفلاة يذكرك: ذات أهوال لا يسلكها إلا ذكور الرجال.

والتذكرة ما يستذكر به الحاجة. والذكارة، كرمانة: فُعَالُ التخل. والاستذكارة: الدراسة والحفظ. وناقعة مذكرة الثياب: عظيمة الرأس، لأن رأسها مما يستقى في القمار لبائنها.

وسموا ذاكرًا أو مذكرًا، كمنسكن. والقرآن ذكر فذكروه، أي جليل نبيه خظيم فأجلوه. واعرفوا له ذلك: وصيغوه به، أو إذا اختلفتم

والذكر: العلاء والشرف. (٢٠٨:١) الفيروزابادي: الذكر بالكسر: الحفظ للشيء، كالذكارة، والشيء يجري على اللسان، والصيت، كالذكورة بالضم، والتناء، والشرف، والفلاة: تعالى، والذماء، والكتاب فيه تفصيل الدين، ووضع الملل، ومن الرجال: القوي الشجاع الأحمي، ومن المطر: الواهب الشديد، ومن القول: الصلب المتين.

وذكر الحق: الصلوة. واذكرك واذكرك واستذكرك: تذكرك واذكرك إياه وذكرك، والاسم: الذكرى.

تقول: ذكرته ذكرى، غير متجراة.

وقوله تعالى: ﴿وَذَكَّرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ٢، اسم للتذكير. ﴿وَذَكَّرَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ هـ: ٤٣، عبرة لهم. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ القمر: ٢٣، من أين له التوبة، و﴿ذَكَّرَىٰ الدَّارَ﴾ من أي: يذكرون بالدار الآخرة، ويזהدون في الدنيا. ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ محمد: ١٨، أي فكيف لهم إذا جاءتهم الساعة بذكراهم.

وما زال مني على ذكر، ويكسر، أي تذكرك. ورجل ذكرو وذكرو وذكير وذكير: ذو ذكر. والذكر: خلاف الأنثى، جمعه: ذكور وذكورة وذكارة وذكوران وذكرة. والعوف: جمعه: ذكور ومذاكير، وأنبس الحديد، وأجوده كالذكير. وذكرك ذكرًا، بالفتح: ضربه على ذكره، وفلانة ذكرًا، خطبها، أو تمرض لخطبتها، وحقه: حقيقته ولم يضيئه.



- في الياء والثاء، فاكثروه بالياء، كما صرح به ابن مسعود، رضي الله تعالى عنه. (٣٦: ٢)
- ٦- الذكرى: هو الشرف.
- الطَّرِيحِي: في الحديث: «أولياء الله تكلّموا فكان كلامهم ذكراً»، أراد الذكر الكلامي، وقد اختاروا له كلمة التوحيد.
- ٧- الذكر: المستحضر لعظمة الله، فهم ذاكرون وعن ذكرات.
- ومنه في حديث الزكاة: «ابن ثوبان ذكر». قيل: ذكر الذكر للتأكيد، وقيل: إن الابن يطلق في بعض الحيوانات على الذكر والأنثى كما بن آوى وابن عرس، فيرفع الاشكال.
- ٨- والمذكور: اسم مفعول من ذكر.
- وفي الحديث: «كنت ذكورا فصرت نثيا»، أراد المبالغة في الذكر والتبيان.
- ٩- ذكره تذكيرا: يهتد على الذكر والاستحضار والتدبر، فهو مذكر.
- ١٠- التذكير: ما يهتد على الذكر.
- ١١- تذكر بمعنى ذكر واستحضر وتدبر.
- ١٢- ذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ١٣- الذكر: ضد الأنثى، وجمعه: ذكور وذكران.
- ١٤- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ١٥- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ١٦- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ١٧- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ١٨- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ١٩- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٢٠- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٢١- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٢٢- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٢٣- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٢٤- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٢٥- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٢٦- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٢٧- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٢٨- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٢٩- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٣٠- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٣١- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٣٢- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٣٣- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٣٤- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٣٥- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٣٦- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٣٧- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٣٨- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٣٩- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٤٠- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٤١- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٤٢- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٤٣- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٤٤- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٤٥- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٤٦- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٤٧- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٤٨- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٤٩- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٥٠- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٥١- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٥٢- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٥٣- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٥٤- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٥٥- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٥٦- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٥٧- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٥٨- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٥٩- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٦٠- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٦١- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٦٢- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٦٣- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٦٤- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٦٥- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٦٦- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٦٧- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٦٨- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٦٩- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٧٠- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٧١- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٧٢- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٧٣- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٧٤- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٧٥- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٧٦- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٧٧- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٧٨- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٧٩- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٨٠- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٨١- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٨٢- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٨٣- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٨٤- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٨٥- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٨٦- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٨٧- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٨٨- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٨٩- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٩٠- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٩١- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٩٢- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٩٣- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٩٤- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٩٥- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٩٦- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٩٧- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٩٨- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ٩٩- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.
- ١٠٠- الذكر: أصلها اذتكر، ومعناها: تذكر.

ولكن:

يُجيز استعمال الذَّكَرُ والذَّكَرُ كليهما بمعنى التذكُّر  
كلٌّ من يونس في نوادره، وأبو عبيدة، وابن السكيت  
في إصلاح المنطق، وابن قتيبة في أدب الكاتب في باب  
«فعل» و«فعل»، والصَّحاح، ومعجم مقاييس اللغة،  
والمختار الذي قال: إنَّ الضَّمَّ والكسر بمعنى،  
وأبو جعفر اللُّبِّيَّ «ربما كسروا أوله»، واللَّسان:  
الضَّمُّ أعلى، والمصباح «القاسوس، ومحيط المحيط،  
وأقرب الموارد.

ويُجيز قول الذَّكَرُ، والذَّكَرُ، والذَّكَرُ: الأحرار  
الَّذِي قال: إنَّ الضَّمَّ لغة غريش، والفتح لغة، والتاج  
والمد والمثن الذين قالوا: إنَّ الضَّمَّ أعلى، والكسر  
جائز، والفتح غريب.

واكتفى بإيراد الذَّكَرُ وحدها بمعنى التذكُّر: العرب  
الكریم الَّذِي جاء في الآية ٩١، من سورة المائدة: ﴿وَيُذَكِّرْكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، ومعجم ألفاظ القرآن  
الكریم، ومفردات الرَّاجِبِ الأصفهاني، والوسيط.  
وهناك الذَّكَرُ، والذَّكَرُ «روى ابن سيده أنه لغة  
ربيعة»، والذَّكَرَةُ، والذَّكَرَةُ، والذَّكَرُ: لغة في الذَّكَرُ.  
ويقول الرَّاجِبُ الأصفهاني في مفرداته: «الذَّكَرُ  
كثرة الذَّكَرُ، وهي أبلغ من الذَّكَرُ».

ويقول اللسان: «الذَّكَرُ، والذَّكَرُ، والذَّكَرَةُ:  
نقيض النسيان».

وفعله: ذَكَرَهُ يَذْكُرُهُ ذُكْرًا، وَذُكْرًا عَنْ سَبَوِيهِ،  
وَذُكْرِي، وَتَذَكَرًا، وَذُكْرَةً.

وأنا لا أنصح باستعمال الذَّكَرُ لأنها كلمة غريبة

فصلًا، وأرى أن لا تلجأ إلى استعمال الذَّكَرُ إلا عند  
الضرورة القصوى، لأن كلمة الذَّكَرُ كلمة فصيحة،  
وما لوفة. (٢٤٠)

تذكار:

ويقولون في مصدر ذَكَرَ الشَّيْءُ: تَذَكَرَ،  
والصواب: تَذَكَرَ، كما أورده الصَّحاحاني. ومعنى ذَكَرَ  
الشَّيْءُ: تَذَكَرَهُ بعد نسيان.

وهناك مصادر أخرى للفعل «ذَكَرَ» وهي:  
ذَكَرَى، وَذَكَرُ، وَذَكَرُ، وَذَكَرَةُ.

استذكر الدرس:

ويقولون: لما حان وقت المذاكرة ذاكرَ درس  
الأدب العربي، والصواب: لما حان وقت الاستذكار،  
استذكرَ درس الأدب العربي.

١- استذكر الشَّيْءُ: تَذَكَرَهُ.

٢- استذكر الرجل: ربط في إحضاره خيطًا يستذكر  
به حاجته، ويسمى خيط الرِّبْطَةِ، وفعله: أَرَبَهُ.

٣- استذكر الشَّيْءُ: درسه للذَّكَرُ، والاستذكار:  
الدراسة للحفظ. (معجم الأخطاء الشائعة: ٩٥)

محمد إسماعيل إبراهيم: [نحو منجس اللغة إلا  
أنه قال في معنى التذكُّر:]

ما استذكر به الحاجة وما يدعو إلى الذَّكَرُ  
والعبرة. [وفي معنى «ذَكَرَ» أضاف:]

وَذَكَرَ الشَّيْءُ: عابه، ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا  
الَّذِي يَذْكُرُ الْبَشَرُ﴾ الأنبياء: ٣٦. (٢٠١)

المصطفوي: التحقني أن الأصل الواحد في هذه

المادة: هو التذكّر في قبال الغفلة والسيان، وهذا المعنى أهم من التذكر بالقلب أو باللسان.

قال ذكر باللسان، كما في: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخُذْهُ وَلَوِ اتَّابَ الْإِسْرَاءُ: ٤٦﴾. [ثم ذكر آيات أخرى]

والتذكر بالقلب كما في: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢. [ثم ذكر آيات أخرى]

التذكرى: مصدر ذكرته، وليس باسم مصدر: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٩٠. [ثم ذكر آيات أخرى]

التذكر: مصدر أيضاً: ﴿وَيَعِدْكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ المائدة: ٩١. [ثم ذكر آيات أخرى]

وقد يطلق «التذكر» على ما يذكر به مبالغة في فكائه وجود خارجي عن الذكر ومظهر له، كخشيته زيد عدل: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ القصص: ٥٢. [ثم ذكر آيات أخرى]

التذكير: قلنا مراراً إن «التفصيل» يدل على جهة الوقوع. ولحاظ نسبة الفعل إلى المفعول به: ﴿إِنْ كَانَ كَثُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يونس: ٧١. [ثم ذكر آيات أخرى]

التذكرة: هذه الصيغة في التفصيل تخفيفاً، وهي مسموعة، وفي مهموز اللام والتأنيص كثيرة. ولما كانت صيغة تفضيل مخففة، فتدل صيغة تفصيل على شدة وزيادة في جهة الوقوع والتسبية إلى المفعول، بخلاف التفعيلة: ﴿إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّتُنْهَضُوا﴾ طه: ٢. [ثم ذكر آيات أخرى]

التذكر: هو «التفعل» ويدل على مطاوعة التفصيل، فيقال: ذكرته فتذكر ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام: ٨٠. [ثم ذكر آيات أخرى]

والإذكّر والإذكّر: على تفاعل وتفعّل، والأصل التذاكر والتذكّر، وكذلك الإذكّار قلبت التاء ذالاً، ويجوز أن يقال: الإذكّر والإذكّر، والإذكّار والإذكّر، والإذكّر، والتشديد يدل على حدة وشدة زائدة: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: ٢٦٩. [ثم ذكر آيات أخرى]

فاستعمال هذه الصيغ في موارد تحتاج إلى تذكّر زائد وتفكر وتوجه شديد، والمذكر من الإذكّار وهو الاتصال.

وأما مفهوم الذكر في قبال الأنثى، فالظاهر أن هذه الكلمة مأخوذة من التذكر بمناسبة كون الذكر مظهر التذكر، وما به يذكر الوالد، وهو الخلف عنه الوارث والتائب والمتصدي لأمره، ولا يبعد أن تكون في الأصل صفة كالحسن واليسب، ثم صارت بكثرة الاستعمال اسماء له، ويدل عليه استعماله في مقابل كلمة الأنثى، وهي كما سبق في مادتها مؤنثة كالفضلى صفة: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ آل عمران: ٣٦. [ثم ذكر آيات أخرى]

وأما جمع الذكر وتثنيته: ﴿قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرْمٌ أَمْ الْأُنْثَيْنِ﴾ الأنعام: ١٤٣، ﴿خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا﴾ الأنعام: ١٣٩، ﴿أَنَّا نُونُ الذُّكْرَانَ﴾ الشعراء: ١٦٥، ﴿أَوْ يُزَوِّجَهُمْ ذُكْرًا أَوْ إِنَاثًا﴾ الشورى: ٥٠، ﴿يَهْبِءُ

## النصوص التفسيرية

### ذكر

١- لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.

الأحزاب: ٢١

ابن عباس: باللسان والقلب (٣٥٢)

الطبري: يقول: وأكثر ذكر الله في الخوف والشدّة والرجاء.

المأوردي: يحتمل وجهين:

أحدهما: أي استكثر من العمل بطاعته تذكراً لأوامره.

الثاني: أي استكثر من ذكر الله خوفاً من عقابه، ورجاءً لنوابه.

الطوسي: معناه: يذكره تعالى بجميع صفاته، ويدعوه به في شتى طرقه يستحق بذلك الثواب من جهته.

الواحدى: أي ذكرًا كثيرًا؛ وذلك أن ذكر الله متبع لأمره، بخلاف الغافل عن ذكره.

مثله الطبرسي (٤: ٣٤٩)، وابن الجوزي (٦: ٣٦٨).

أبن عطية: من خير الأعمال، فتيه عليه.

القرطبي: خوفاً من عقابه، ورجاءً لنوابه.

أبو السهود: أي وقرن بالرجاء ذكر الله،

﴿كثيراً﴾ أي ذكرًا كثيرًا أو زمانًا كثيرًا، فإن المناجاة

لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ • أَوْ يُزَوِّجُهُمْ الشُّورَى: ٤٩، ٥٠، أي أويهب لمن يشاء مزوجًا من الذكور والإناث جميعًا.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ﴾ القمر: ١٧، أي يسرناه في القراءة وفهم معانيه لا ذكّارهم • توجههم إلى الحقائق، فهل من مدّكر.

وقلنا: إن المدّكر من «الافتعال» وهو يدلّ على طوع واختيار، أي التذكّر بإرادة وقصد وحالة اختيار. • لما كان التيسير يوجب اقتضاء المورد وتيسّره للتذكّر، فعقبه بصيغة الاتصال وهذا بخلاف الازدكّر والاذكّر الدالة على القبول الواقعة بعد تفعل • مفاعلة، أو في معناها، كما قلنا، فظهر لطف التعبير بهذه الصيغ المختلفة في مواردّها.

وأما قولنا: إن الذّكر في مقابل النّفلة والتّيسار فيدلّ عليه ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَحْبَبْتَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ الكهف: ٢٨، [ثم ذكر آيات أخرى]

وأما قولهم: المذّكر والمذكّر فيمن تلدّ ذكرًا وأشباهاها، فمن الاشتقاق الاستزاعى.

ولا يخفى أن الذّكر هو وسيلة الارتباط، وعلامته الخلة عمّا سواه ونسيانه، فمن اشتغل بقلبه ولسانه بذكر الله تعالى، فهو معرض عن الاشتغال بغيره، وغافل عن هوّسه وعمّا تشغيه نفسه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَقِيرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٣٥، [ثم ذكر آيات أخرى] (٣: ٣٦٨)

على ذكره تعالى تؤدي إلى ملازمة الطاعة، وبها يتحقق الانتفاء برسول الله ﷺ (٢١٧: ٥)

البر وسوي: لأن في الذكر، وهو كلمة «لا إله إلا الله» نفياً وإثباتاً، وهما قدمان للثابتهين إلى الله تعالى وجناحان للطائرين بالله، بهما يخرجون من ظلمات الوجود المجازي إلى نور الوجود الحقيقي.

(١٥٨: ٧)

الآلوسي: [نحو أبي السُّود وأضاف:]

وتمنا ينبغي أن يعلم أنه قد صرح بعض الأجلة كالتووي أن ذكر الله تعالى -المعتبر شرعاً- ما يكون في ضمن جملة مفيدة: سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا

الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونحو ذلك وما يكون مفرد لا يعد شرعاً ذكراً، نحو الله أو قهادر أو سميع أو بصير، إذا لم يقدر هناك ما يصير به اللفظ

كلاماً، والتاس عن هذا غافلون، وأنهم أحضروا على أن الذكر المتعبد بمعناه لا يثاب صاحبه ما لم يستحضر معناه، فالمتلفظ بنحو «سبحان الله ولا إله إلا الله» إذا كان غافلاً عن المعنى غير ملاحظ له ومستحضر إياه، لا يثاب إجماعاً، والتاس أيضاً عن هذا غافلون.

(١٦٨: ٢١)

مُغْنِيَّة: كناية عن إقامة الفرائض الخمس.

(٢٠٥: ٦)

فضل الله: فكان معه في كل أحواله، حتى لم يغفل عنه في أية لحظة، في كل مواقع المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والمعاناة.

(٢٨٥: ١٨)

٢- وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى.. (الأعلى: ١٥)

التي ﷻ هي الصلوات الخمس، والمحافظة عليها حين يُنادى بها، والاهتمام بجوانبها..

(التعليق: ١٠: ١٨٥)

ابن مسعود: رحم الله امرءً تصدق ثم صلى.

(البغوي: ٥: ٢٤٢)

ابن عباس: بالصلوات الخمس وغيرها. (٥٠٨)

وحد الله سبحانه وتعالى. (الطبري: ١٢: ٥٤٧)

بالخوف لمعبده وصلى له. (الواحدي: ٤: ٤٧١)

ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلّى له.

(الزمخشري: ٤: ٢٤٥)

أي كثر في خروجه إلى العيد، وصلى صلاة العيد.

(الفخر الرازي: ٣١: ١٤٨)

ابن عمر: أفلح من تصدق قبل مروره إلى العيد،

ومصلّى من الإمام.

مثل أبو العالية، وجكرمة، وابن سيرين،

والكلبي. (الواحدي: ٤: ٤٧١)

الضحاك: وذكر اسم ربه في طريق المصلّى فصلّى

صلاة العيد. (الزمخشري: ٤: ٢٤٥)

الإمام الصادق عليه السلام: [في حديث أنه سئل عن

قول الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قال:]

من أخرج الفطرة. [قيل له: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ

فَصَلَّى﴾ قال:]

خرج إلى الجماعة فصلّى. (الكاشاني: ٥: ٣١٧)

مقاتيل: وذكر ربه بالتوحيد في الصلاة فصلّى له.

(الفخر الرازي: ٣١: ١٤٨)

الخامس: أن يذكر اسم ربه بلسانه عند إتمامه بصلاته، لأنها لا تتعد إلا بذكره.

السادس: أن يفتح كل سورة بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢٥٥: ٦)

القشيري: ذكر اسم ربه في صلاته. ويقال: ذكره بالوحدانية وصلى له. (٢٨٧: ٦)

الواحدى: [نقل رواية النبي وقال:]

وجماعة من المفسرين يحملون الآيتين على زكاة الفطر وصلاة العيد (٤٧١: ٤)

البهوي: خرج إلى العيد فصلى صلاته. [إلى أن قال:]

قال بعضهم: لأدري ما وجه هذا التأويل؟ لأن هذه السورة مكّية. ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر.

قلت: يجوز أن يكون التزول سابقاً على الحكم، كما قال: ﴿وَأَلْتَجِلْ بِهَذَا الْبَلَدِ الْبَلَدِ﴾ ٢. فالسورة مكّية. وظهر أثر الجبل يوم الفتح، حتى قال عليه

الصلوة والسلام: «أحللت لي ساعة من نهار». وكذلك نزل بمكة: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ﴾

القمر: ٤٥.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ الأعلى: ١٥، وذكر ربه فصلّى، قيل: المذكر: تكبيرات العيد، والصلوة:

صلاة العيد. وقيل: الصلاة هاهنا: الدعاء. (٢٤٢: ٥) الزمخشري: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ الأعلى:

١٤، عن علي رضي الله عنه أنه تصدق بصدقة الفطر، وقال: لأبالي أن لا أجد في كتابي غيرها، لقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي أعطى زكاة الفطر، فتوجّه إلى

الإمام الرضا عليه السلام في حديث أنه قال لرجل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾

قال: كلما ذكر اسم ربه قام فصلّى. قال: لقد كلف الله هنا شططاً، قال: فكيف هو؟ قال: كلما ذكر اسم ربه

فصلّى على محمد وآله عليه السلام. (الكاشاني: ٥: ٣١٨) الطبري: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله:

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: وحّد الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وذكر الله ودعاه ورغب إليه.

والصواب من القول في ذلك، أن يقال: وذكر الله فوحّد، ودعاه ورغب إليه، لأن كل ذلك من ذكر الله، ولم يخص الله تعالى من ذكره نوعاً دون نوع.

(١٢: ٥٤٧)

القشيري: صلاة الفطر والأضحية. الثعلبي: أي وذكر ربه، وقيل: وذكر تسمية ربه،

وقيل: هو تكبير العيد، فصلّى صلاة العيد، وقيل: الصلوات الخمس... وقيل: الصلاة هاهنا: الدعاء.

(١٨٥: ١٠)

الماوردي: فيه ستة أوجه:

أحدها: [قول ابن عباس]

الثاني: أن يدعو ويرغب إليه.

الثالث: أن يستغفره ويتوب إليه.

الرابع: أن يذكره بقلبه عند صلاته، فيخاف عقابه ويرجو ثوابه، ليكون استيفاءه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه.

المصلّي فصلّى صلاة العيد، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ فكبر تكبيرة الافتتاح.

وبه يُحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح، وعلى أنها ليست من الصلاة، لأن الصلاة معطوفة عليها، وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل. (٤: ٢٤٤)

نحوه الشافعي (٤: ٣٥٠)

ابن العربي: فيها ما لئان:

المسألة الأولى: قد بينّا أن الذكر حقيقة إنما هو في القلب، لأنه محل التسيان الذي هو ضده، والضدان إنما يتضادان في المحل الواجب، فأوجب الله بهذه الآية التّكبير في الصلاة خصوصاً، وإن كان قد انضاهما عمومًا قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَقْبَضُوا اللَّهَ مُمْسِكِينَ كُفَّ الدِّينَ﴾ البينة: ٥، وقوله ﷻ: إنما الأعمال بالتّواتر.

والصلاة أم الأعمال، ورأس العبادات، ومحل التّكبير في الصلاة مع تكبيرة الإحرام، فإن الأفضل في كل شيء فعل أن تكون مع الفعل لا قبله، وإما رخص في تقديم نيّة الصوم لأجل تعدّد اقتران التّكبير فيه بأول الفعل عند الفجر، لوجوده والناس في غفلة، وبقيت سائر العبادات على الأصل.

وتوهم بعض القاصرين عن معرفة الحق أن تقديم التّكبير على الصلاة جائز، بناءً على ما قال علماءنا من تجويز تقديم التّكبير على الوضوء، في الذي يمتشي إلى التّهر في الغسل، فإذا وصل واغتسل نسي أن يجزئه، قال: فكذلك الصلاة. وهذا القائل ممن دخل في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ الملك: ٢٢.

وقد بينّا في كل موضع يعتري فيه، وحققنا أن الصلاة أصل متفق عليه في وجوب التّكبير، والوضوء فرع مختلف فيه، فكيف يقاس المتفق عليه على المختلف فيه، ويحمل الأصل على الفرع.

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ فصلّى، إذا قلنا: إنه الذكر الثاني باللسان المخبر عن ذكر القلب، المخبر عنه بأنه مشروع في الصلاة مفتتح به في أولها، باتفاق من الأئمة. لكنهم اختلفوا في تعيينه، فمنهم من قال: إنه كل ذكر حتى لو قال: «سبحان الله» بدل التكبير أجزاء، بل لو قال بدل الله أكبر: «بزرگ خدای» لأجزأه، منهم أبو حنيفة.

وقال أبو يوسف: يجزئه الله الكبير، والله الأكبر.

وقال الشافعي: يجزئه الله أكبر والله الأكبر.

وقال مالك: لا يجزئه إلا قوله: الله أكبر.

فأما تعلق أبي حنيفة في الذكر بالعجميّة بقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا فِي الضُّحَى الْأَوَّلَى﴾ صَحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَهَؤُلَاءِ الْأَعْلَى: ١٨، ١٩، فيأتي ذكر وجه التخصيص عنه في الآية التي بعد هذه، إن شاء الله تعالى.

(٤: ١٩٢٠)

ابن عطية: هو ذكر الله في طريق المصلّي إلى أن يخرج الإمام، والصلاة هي صلاة العيد، وقد روي هذا التفسير عن النبي ﷺ (٥: ٤٧٠)

الطبرسي: قيل: ذكر الله بقلبه عند صلاته، فرجنا توبه وخاف عقابه، فإن التذرع في الصلاة بحسب الخوف والرجاء.

قيل: ذكر اسم ربه بلسانه عند دخوله في الصلاة، فصلّى بذلك الاسم، أي قال: الله أكبر، لأن الصلاة لا تنعقد إلا به.

وقيل: هو أن يفتح بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ويصلي الصلوات الخمس المكتوبة. (٤٧٦: ٥) **الفطر الرأزي**: ففيه مسائل:

**المسألة الأولى**: ذكر المفسرون فيه وجوها: أحدها: قال ابن عباس: ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلّى له.

وأقول: هذا التفسير متعين، وذلك لأن مراتب أعمال المكلف ثلاثة: فأولها: إزالة العقائد الفاسدة عن القلب. وثانيها: استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأسمائه. وثالثها: الاشتغال بخدمة.

فالمرتبة الأولى: هي المراد بالتركية في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَرَكَّى﴾. **الأعلى: ١٤.** وثانيها: هي المراد بقوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ فإن الذكر بالقلب ليس إلا المعرفة.

وثالثها: الخدمة وهي المراد بقوله: ﴿فَصَلَّى﴾ فإن الصلاة عبارة عن التواضع والخشوع. فمن استثار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى وكبريائه، لا بد وأن يظهر في جوارحه وأعضائه أثر الخشوع والخشوع.

وثانيها: قال قوم من المفسرين، قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَرَكَّى﴾ يعني من تصدق قبل مروره إلى العيد، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ يعني ثم صلى صلاة العيد بعد ذلك مع الإمام، وهذا قول غير حسن وأبي العالية وابن سيرين وابن عمر، وروي ذلك مرفوعاً إلى

النبي ﷺ.

وهذا التفسير فيه إشكال من وجهين:

**الأول**: أن عادة الله تعالى في القرآن تقديم ذكر الصلاة على ذكر الزكاة، لا تقديم الزكاة على الصلاة. **والثاني**: قال الصلي: هذه السورة مكّية بالإجماع، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر.

أجاب الواحدي عنه بأنه لا يمتنع أن يقال: لما كان في معلوم الله تعالى أن ذلك سيكون، أنشئ على من فعل ذلك.

**وثالثها**: قال مقاتل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَرَكَّى﴾ أي تصدق من ماله، وذكر ربه بالتوحيد في الصلاة فصلّى له. والفرق بين هذا الوجه وما قبله: أن هذا يتناول الزكاة والصلاة المفروضتين، والوجه الأول ليس كذلك.

**والرابع**: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَرَكَّى﴾ ليس المراد منه زكاة المال، بل زكاة الأعمال، أي من تطهر في أعماله من الرياء والتقصير، لأن اللفظ المعتاد أن يقال في المال: تركى ولا يقال: تركى، قال تعالى: ﴿وَمَن تَرَكَّى قَالَتْ تَارِكٌ كَسَى تَفْسِدٍ﴾ فاطر: ١٨.

**وخامسها**: [القول الخامس لابن عباس]

**وسادسها**: المعنى: وذكر اسم ربه في صلاته، ولا تكون صلاته كصلاة المنافقين: حيث يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً.

**المسألة الثانية**: الفقهاء احتجوا بهذه الآية على وجوب تكبيرة الافتتاح، واحتج أبو حنيفة رحمه الله بها على أن تكبيرة الافتتاح ليست من الصلاة، قال:



لأن الصلاة معطوفة عليها، والمطف يستدعي المخاطبة، واحتج أيضاً بهذه الآية على أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه.

وأجاب أصحابنا بأن تقدير الآية: وصلى فذكر اسم ربه، ولا فرق بين أن تقول: أكرمني فزرتني، وبين أن تقول: زرتني فأكرمني، ولا يبي حنيقة أن يقول: ترك العمل بفاء التعقيب لا يجوز من غير دليل.

والأولى في الجواب أن يقال: الآية تدل على مدح كل من ذكر اسم الله صلى عليه، وليس في الآية بيان أن ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح. فلمل المراد به أن من ذكر الله بقلبه وذكر ثوابه وعقابه، دعاه ذلك إلى فعل الصلاة، فحينئذ يأتي بالصلاة التي أحد أجزائها التكبير، وحينئذ يندفع الاستدلال.

نحوه اليسابوري: (٢٨: ٣١)

ابن عسري: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ أي الاسم الخاص الذي يرميه به بإفاحضة كماله، الذي يسأل ربه بلسان استعداده كالعليم للجاهل، والمهادي للضال، والغفار للمذنب، وهو في الحقيقة عين ذاته التي غفل هو عنها بحجاب الآثار والهيئات، وصفات النفس وسائر الظلمات، كما قال: ﴿لَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ الفسهم المشر: ١٩، وذكره تفرقه، وطلب كماله المخصوص به بابتداء الرتبة والتوفيق الإلهي.

(٧٩٨: ٢)

القرطبي: [ذكر بعض الأقوال وأضاف:]

وقيل: هي تكبيرات العبد. (٢٢: ٢٠)

البيضاوي: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ بقلبه ولسانه

﴿فَصَلَّى﴾، كقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه: ١٤، ويجوز أن يراد بالذكر: تكبيرة التحريم، وقيل: ﴿تَزَكَّى﴾ تصدق للفطر، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ كبره يوم العيد، صلى صلاته. (٥٥٤: ٢)

نحوه أبو السعود. (٤١٦: ٦)

أبو حيان: أي وحده، لم يقرنه بشيء من الأنداد، ﴿فَصَلَّى﴾ أي أتى الصلاة المفروضة، وما أمكنه من التواكل، والمعنى: أنه لما تذكر آمن بالله.

ثم أخبر عنه تعالى أنه أفلح من أتى بهاتين العبادتين: الصلاة والزكاة، واحتج بقوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ على وجوب تكبيرة الافتتاح، وعلى أنه جائز بكل اسم من أسمائه تعالى، وأنها ليست من الصلاة، لأن الصلاة معطوفة على الذكر الذي هو تكبيرة الافتتاح، وهو احتجاج ضعيف. (٤٦٠: ٨)

الشيبي: بقلبه ولسانه مكيّاً ﴿فَصَلَّى﴾ أي الصلوات الخمس. [ثم أدام بنقل الأقوال] (٥٢٣: ٤)

البروسوي: [نحو البيضاوي وأضاف:] لكن لا يختص الذكر عند الخفية بأن يقول: الله أكبر، لعموم الذكر، ودل العطف بالفاء التعنيية على عدم دخول التكبير في الأركان، لأن العطف يقتضي المخاطبة بين المخطوفين. [ثم نقل كلام الفخر الرازي وأضاف:]

قال بعضهم: خلق الله وجهها يصلح للسجدة، وعينا يصلح للمبرة، وبسناً يصلح للخدمة، وقلباً يصلح للمعرفة، وسراً يصلح للمحبة، فاذكروا نعمة الله عليكم حيث زين ألسنتكم بالشهادة، وقلوبكم

بالمعرفة، وأبدانكم بالعبادة. [إلى أن قال:]

وفي الآية إشارة إلى تطهير النفس عن المخالفات الشرعية، وتطهير القلب عن المحبة الدنيوية، بل عن ملاحظة الغير والتوجه إلى الله تعالى بقدر الاستعداد، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. (١٠: ٤٠٩)

الآلوسي: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ بلسانه وقلبه لا بلسانه مع غفلة القلب؛ إذ مثل ذلك لا ثواب فيه، فلا ينبغي أن يدخل فيما يترتب عليه الفلاح، والذكر القلبي باستحضار اسمه تعالى في القلب، وإن كان بمدحاً بلا تنبيه، [لأن إرادته بخصوصه مما ذكر خلاف الظاهر. وحكاة في «مجمع البيان» عن بعض وما روي عن ابن عباس من قوله: أي ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه عز وجل، ظاهر فيه وفي إجمال لفظ اسم.

وذهب بعض الحنفية إلى أن المراد بهذا الذكر تكبيرة الافتتاح، كآله قبل، وكثير للافتتاح ﴿فَصَلِّ﴾ أي الصلوات الخمس، كما أخرجه ابن المنذر وغيره عن ابن عباس، وروي ذلك في حديث مرفوع.

وقيل: الصلاة المفروضة، وما أمكن من التوافل، واحتج بذلك على وجوب التكبيرة، حيث نبط به الفلاح. ووقع بين واجبين، بل فرضين: التزكّي من الشرك والصلاة، مع أن الاحتياط في العبادات واجب، فلا يضر الاحتمال. وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل، وهو ظاهر، وعلى أن التكبيرة شرط لاركن للعطف بالفناء، وعطف الكل على الجزء كعطف العام على الخاص، وإن جاز لا يكون بها، مع

أنه لو سلم صحته يتكلف، فلا بد له من نكبة ليُدْهي وقوعه في الكلام المعجز؛ فحيث لم يظهر لم يصح ادّعاؤه وبناء الركنية عليه. والإتصاف أنه مع ما سمعت احتجاج ليس بالقوي.

وقيل: هو خصوص ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قبل الصلاة، وليس بشيء. وعن عليّ كرم الله تعالى وجهه: ﴿تَزَكَّى﴾ أي تصدق صدقة الفطر، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ كبر يوم العيد، ﴿فَصَلَّى﴾ صلاة العيد.

وعن جماعة من السلف ما يقتضي ظاهره ذلك، ونُصِبَ بأن الصلاة مقننة على الزكاة في القرآن، وأن السورة مكّية ولم يكن حينئذ عيد ولا فطر. وروى أن ذلك إذا ذكرت باسمها، أمّا إذا ذكرت بفعل فتدعيها غير مطرد. ومنه ﴿قَلَّا صَدَقَ وَلَا صَلَّيْ﴾ القيامة:

على أنه يجوز أن تكون مخالفة العبادة هاهنا، للإرشاد إلى أن هذه الزكاة المقدمة قولاً ينبغي تقديمها فضلاً على الصلاة، ولهذا كانوا يخرجونها قبل أن يصلّوا العيد، كما جاء في الآثار.

وكون السورة مكّية غير مُجمَع عليه. وعلى القول بمكّيها الذي هو الأصح يكون ذلك مما تأخر حكمه عن نزوله.

والقول: يجوز أن يقال: ﴿تَزَكَّى﴾ أي تطهر من الشرك بأن آمن بقلبه ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ أي قال: لا إله إلا الله، ﴿فَصَلَّى﴾ أي الصلاة المفروضة.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ما يؤيده، فيكون ﴿تَزَكَّى﴾ إشارة إلى

التصديق بالجنان، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ إلى التطق باللسان، و﴿صَلَّى﴾ إلى العمل بالأركان، لما أن الصلاة عماد الدين، وأفضل الأعمال البدنية، وناحية عن الفحشاء والمنكر، فلا بدع أن تذكر، فيراد جمع الأعمال البدنية والعبادات القلبية.

وقد يقال: اقتصر على ذكر الصلاة، لأن الفرائض والواجبات البدنية لم تكن تامة يوم نزول السورة، وكانت الصلاة أهم ما نزل إن كان نزل غيرها.

وقد روى عطاء عن ابن عباس، ويزيد التحري عن عكرمة، والحسن بن أبي الحسن: أن أول ما نزل من القرآن بمكة: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ثم: ن، ثم المزمّل، ثم المدثر، ثم نبت، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك، ثم إن من رادف <sup>(١)</sup> لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان ذكر الله تعالى المطلوب هو مجموع الجملة فلا بد في أن يراد من ذكره تعالى في الآية.

وإذا اعتُبر الإتيان باسمه عز وجل في الجملة الثانية على الوجه الذي أتى به، ذكر أنه تعالى، كان أمر الإرادة أقرب، وهذا الوجه لا يخلو عن حسن.

وكلمة (قَدْ) لما أنه عند الإخبار بمسوء حال المتجنب عن الذكر في الآخرة، يتوقع السامع الإخبار بحسن حال المتذكر فيها، ولا يبعد أن تكون الجملة مستأنفة استئنافاً، جواباً لسؤال نشأ عن بيان حال المتجنب، والسكوت عن حال المتذكر الذي يخشى، فكأنه قيل: ما حال من تذكر؟ قيل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى

(١) في الأصل: رداف!!

آخره. وكان الظاهر قد أفلح من تذكر، إلا أنه وضع ﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ إلى آخره موضع من تذكر إيسارة إلى بيان المتذكر بسماته. (١٠٩: ٣٠)

القاسمي: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ صَلَّي﴾ أي تذكر جلال ربه وعظمته، فخشع واشفق وقام بحاله وعليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الأنفال: ٢.

وَجَوَزَ أَنْ يُحْمَلَ ﴿تَزَكَّى﴾ على إنشاء الزكاة، و﴿صَلَّى﴾ على إقامة الصلاة، كآية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه: ١٤، لما عهد في كلامه تعالى من الجمع بينهما في عدة آيات، لأتهما مبدأ كل خير وعنوان السعادة.

لكن قيل عليه: بأن اليهود في التزويل الكريم بتقديم الصلاة، وأجيب بأنه لا خير في مخالفة العادة، مع أن الجاني تقديمها إذا ذكرت باسمها، أما إذا ذكرت بفعل مأخوذ منها، فلا كقول: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ القيمة: ٣١، والأول أظهر، لأنه أشمل وأعم، وهو أكثر فائدة. (٦١٣٥: ١٧)

المراغي: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ صَلَّي﴾ أي وأحضر في قلبه صفات ربه من الجلال والكمال، فخشع لجهروته وقهره. فإن المرء متى تذكر ربه العظيم وجل قلبه، وخاف من سطوته، وامتلت نفسه خشية منه ورهبة لجلاله، كما قال في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الأنفال: ٢. (١٢٨: ٣٠)

سيد قطب: والتركي: التطهر من كل رجس

وذكر، والله سبحانه يقرر أن هذا الذي تطهر وذكر اسم ربه، فاستحضر في قلبه جلاله ﴿فَصَلِّ﴾ إما بمعنى خشع وقنت، وإما بمعنى الصلاة الاصطلاحية، فكلاهما يمكن أن ينشأ من التذكر واستحضار جلال الله في القلب، والشعور بمجانيته في الضمير. (٣٨٩٣:٦) ابن عاشور: وفعل ﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ يجوز أن يكون من التذكر اللساني الذي هو بكسر الذال، فيكون كلمة ﴿اسْمَ رَبِّهِ﴾ مراداً بها ذكر أسماء الله بالتعظيم، مثل قول: لا إله إلا الله، وقول: الله أكبر، وسبحان الله، ونحو ذلك.

و يجوز أن يكون من التذكر بضم الذال، وهو حضور الشيء في النفس الذّاكرة والمفكرة، فتكون كلمة ﴿اسْمَ رَبِّهِ﴾ متضمنة، لتدل على شأن الله ومجانيته، فإن أسماء الله أوصاف كمال.

وتفريع ﴿فَصَلِّ﴾ على ﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ على كلا الوجهين، لأن التذكر بمعنى يبعث الذّاكر على تعظيم الله تعالى والتقرب إليه بالصلاة التي هي خضوع وثناء.

وقد رغبت هذه الفصل الثلاث على الآية على ترتيب تولدها، فأصلها: إزالة الخبيثة النفسية من عقائد باطلة، وحدث النفس بالمضمرات الفاسدة، وهو المشار إليه بقوله: ﴿تَزَكَّى﴾ ثم استحضار معرفة الله بصفات كماله وحكمته ليخافه ويرجوه، وهو المشار بقوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ ثم الإقبال على طاعته وعبادته، وهو المشار إليه بقوله: ﴿فَصَلِّ﴾، والصلاة تشير إلى العبادة، وهي في ذاتها طاعة

وامتثال يأتي بعده ما يشرع من الأعمال. قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَكُنَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت: ٤٥. (٢٥٥:٣٠)

ملقبة: المراد بالذكر هنا: ما يقرب من الخير، ويُبعد عن الشر، أما حركة اللسان من حيث هي فليست غاية في نفسها. ولا شيء من أمر الله ونهيه إلا وهو وسيلة لفعل الخير والبعد عن الشر، وكفى دليلاً على هذه الحقيقة قول الرسول الأعظم ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثَ لَأَتِمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧. أما الصلاة فالمراد بها الصلوات الخمس، لأنها عمود الدين. (٥٥٣:٧)

الطهاتياتي: الظاهر أن المراد بالذكر: التذكر اللفظي، وبالصلاة: التوجه الخاص المشروع في

الإسلام

والأيمان بحسب ظاهر مدلولهما على العموم، لكن ورد في المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنها نزلنا في زكاة الفطر وصلاة العيد، وكذا من طرق أهل السنة. (٢٦٩:٢٠)

عبد الكريم الخطيب: إشارة إلى أن الصلاة مرتبة على ذكر الله، فمن لم يذكر الله سبحانه، ويستحضر جلاله وعظمته فيما يذكر من أسمائه وصفاته، لا يخشع قلبه لله، ولا يصلّي له.

وفي ذكر الصلاة على أنها الأثر المترتب على ذكر الله إشارة إلى أن الصلاة، بما فيها من ولاء وخشوع وركوع وسجود، هي أكمل الوسائل، وأعظم

القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ومن هنا كانت رأس العبادات، وملاك الطاعات، وهي شريعة كل نبي، ودعوة كل رسول إلى قومه، بعد الإيمان بالله، فيقول سبحانه عن إسماعيل: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ مِنْهُمْ خَيْرٌ﴾ مريم: ٥٥، ويقول سبحانه على لسان عيسى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ مريم: ٣١.

وفي ذكر الله سبحانه وتعالى بالربوبية من بين أسمائه الكريمة كلها إشارة إلى أن الذي يذكر الإنسان اسمه، هو مربيه، ومُنشئه، والمنعم عليه بالإيجاد، والخلق على هذه الصورة السوية. (١٥: ١٥٣٤) مكارم الشيرازي: والجدير بالذكر أن الآيات محل البحث تتحدث عن الزكوة أولاً، ثم ذكر الله، ثم الصلاة.

وقد أشار بعض المفسرين إلى هذه المراحل بعد أن جرتُها بالمراحل العملية الثلاثة للمكلف:

الأولى: إزالة العقائد الفاسدة من القلب.

الثانية: حضور معرفة الله وصفاته وأسمائه في القلب.

الثالثة: الاشتغال بخدمة، وفي سبيله جلّ وعلا، ويمكن القول: إن الصلاة فرع لذكر الله، فإذا لم يذكر الإنسان ربه، لم يسطع نور الإيمان في قلبه، وعندها فسوف لن يقوى على الوقوف للصلاة، والصلاة الحقة هي تلك التي يُصاحبها التوجه الكامل والحضور التام بين يديه عزّ وجلّ. وهذان: التوجه والحضور إنما يحصلان من ذكره سبحانه وتعالى.

أما ما ذكره البعض، من أن ذكر الله هو قول: «الله أكبر»، أو «بسم الله الرحمن الرحيم» في بداية الصلاة، فلأنما هو بيان لأحد مصاديق الذكر ليس إلا.

(٢٠: ١٢٩)

**فضل الله:** ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ في ما نقله الصلاة من معنى القرب من الله في الطاعة لأوامره ونواهيه، والتجسيد العملي للعبودية، حتى لا يشغله عن الله مال أو شهوة أو طمع، في أي شيء من حطام الحياة الدنيا. إذا كان منافياً لرضاء سبحانه وتعالى. وهذا هو خط الفلاح الذي يلتقي بالمصير الأخروي السعيد في رضوان الله، وفي نعم جنته الذي أعدّه الله للذين همشون الحضور القلبي، الموصول به تعالى، الذي يتحول إلى ذكر في القلب، وعلى اللسان، وفي العمل، بحيث يعيش الإنسان المؤمن صلاة الفكر والروح والحمد.

(٢٤: ٢١٢)

**ذِكْرُهُ - تَذْكِرُهُ - يَذْكُرُونُ**

١ - كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ \* فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ \* وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ... المدّثر: ٥٤ - ٥٦

ابن عباس: ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عظة من الله، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ﴾: فمن شاء الله أن ينطق بالقرآن العظم، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾: ما يتعظون. (٤٩٣)

نحوه القرطبي: (١٩: ٨٩)

قَتَادَةُ: القرآن تبصرة وموعظة لمن عمل به واتعظ بما فيه. (الطوسي: ١٠: ١٨٨)

الطبري: يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾

ولا ينسأ ويجعله نصب عينه فعل، فإن نفع ذلك راجع إليه.

والضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ و ﴿ذِكْرُهُ﴾ للتذكير في قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِيرِ مُغْرِبِينَ﴾ المدثر: ٤٩، وإثما ذكر لا تها في معنى الذكر أو القرآن. (١٨٨: ٤)

نحوه الفخر الرازي (٢١٣: ٣٠)، والتسفي (٤: ٣١٣)، والتيسابوري (٢٩: ١٠١).

ابن عطية: ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ وفقه الله تعالى لذلك، ذكر معاده ففعل له. ثم أخبر تعالى أن ذكر الإنسان معاده وجريه إلى فلاحه، إثما هو كله بمشيئة الله تعالى، وليس يكون شيء إلا بها. وقرأ نافع وأهل المدينة وسلام وحقوب (تذكرون) بالتاء من فوق.

وقرأ أبو جعفر وعاصم وأبو عمرو والأعمش وتطحن وابن كثير وعيسى والأعرج ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ بالياء من تحت. وروي عن أبي جعفر بالتاء من فوق وهذا الذال، كما أنه تتذكرون فأدغم. (٤٠٠: ٥)

الطبرسي: ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾، أي إن القرآن تذكير وموعظة، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ﴾ أي انعط به، لأنه قادر عليه. (٣٩٢: ٥)

ابن الجوزي: ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾، أي تذكير وموعظة، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ﴾، الهاء عائدة على القرآن، فالعنى فمن شاء أن يذكر القرآن وينعط به ويفهمه، ذكره. (٤١٤: ٨)

أبو حيان: ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ﴾ ذكر في ﴿إِنَّهُ﴾ وفي ﴿ذَكَّرَهُ﴾، لأن التذكير ذكر، ثم ذكر القراءات نحو ابن عطية [٣٨١: ٨]

ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن، من أنه سحر يؤثر، وأنه قول البشر، ولكنه تذكير من الله خلقه، ذكرهم به.

وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن شاء من عباد الله الذين ذكرهم الله بهذا القرآن ذكره، فاعظ فاستعمل ما فيه من أمر الله ونهيه.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يذكرون هذا القرآن فيتخطون به، ويستعملون ما فيه، إلا أن يشاء الله أن يذكره، لأنه لأحد يقدر على شيء إلا بأن يشاء الله، يقدره عليه، ويعطيه القدرة عليه. (٣٢٣: ١٢)

نحوه المراغي: (٢٩: ١٤٢)

الطبرسي: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ﴾ أي من شاء أن ينعط بما فيه وهو يتذكر به، فعل، لأنه قادر عليه، ثم قال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ من قرأها ابتغاء

فعل الخطاب، ومن قرأها بالياء، فعلى الإخبار عنهم. ومعناه: ليس يتذكرون ولا ينعطون بالقرآن إلا أن يشاء الله، ومعناه: إلا والله شاء له، لأنه طاعة، والله يريد الطاعات من خلقه. (١٨٨: ١٠)

الواحدي: ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: تذكير وموعظة، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ﴾: انعط به. (٣٨٨: ٤)

البغوي: [نحو الواحدي وأضاف:]

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ قرأ نافع وحقوب، (تذكرون) بالتاء، والآخرين بالياء. (١٨١: ٥)

الزمخشري: إنه ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ يعني تذكير بليغة كافية منهم أمرها في الكفاية، ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ أن يذكره

الشَّريفي: ﴿إِلَهُ﴾ أي القرآن ﴿تَذْكِرَةً﴾ أي عظيمة توجب إعجابها عظيمًا أتباعه، وعدم الانفكاك عنه بوجه، فليس لأحد أن يقول: أنا مغرور لم أجد مذكرًا ولا معرفًا، فإنَّ عنده أعظم مذكر وأشرف معرف.

﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ أي أن يذكره ﴿تَذْكِرَةً﴾ أي انعط به، وجعله نصب عينيه وعلم معناه وتخلَّى به، فمن فعل ذلك سهل عليه لفظه وبعض معانيه، فإنه كالبحر الغرات فمن شاء اغترف.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ أي في وقت من الأوقات.

(٤: ٤٣٧)

نحوه أبو النجود.

البروسوي: الضمير في ﴿إِلَهُ﴾ وفي ﴿تَذْكِرَةً﴾

للتذكرة، لأنها بمعنى الذكر أو القرآن، كالموعظة بمعنى الوعظ، والصيحة بمعنى الصوت ﴿تَذْكِرَةً﴾ أي تذكرة، فالقنوين للتعظيم، أي تذكرة بليغة كافية، وفيه برهان القرآن، أي تذكير للحق وهدل إليها للفاصلة.

﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ أن يذكره ويتعظ به قبل الحطول في القبر ﴿تَذْكِرَةً﴾ أي جعله نصب عينه وحاز بسببه سعادة الدارين، فإنه ممكن من ذلك.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بمجرد مشيتهم للذكر، كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ تَذْكِرَةً﴾، إذ لا تأثير لمشيئة العبد وإرادته في أفعاله. وضمير الجمع إما أن يعود إلى الكثرة، لأن الكلام فيهم، أو على من نظر إلى عموم المعنى لشموله لكل من المكلفين.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء مفرغ من أعم العمل أو

من أعم الأحوال، أي وما يذكرون لعل من العمل أو في حال من الأحوال إلا بأن يشاء الله، أو حال أن يشاء الله ذكرهم. وهذا تصريح بأن أفعال العبد بمشيئة الله لا بإرادة نفسه.

نحوه الألوسي.

القاسمي: ﴿فَمَنْ شَاءَ تَذْكِرَةً﴾ أي فاعظ وعمل بما فيه من أمر الله ونهيه.

سيد قطب: إنه، هذا القرآن الذي يعرضون عن سماعه، وينفرون كالحجر، وهم يفسرون في أنفسهم الحمد للحمد، والاستهتار بالآخرة. إنه تذكرة تنبه وتذكر، فمن شاء فليذكر، ومن لم يشأ فهو وشأنه، وهو وحصيله، وهو وما يختار من جنة وكرامة، أو من عجز ومهانة.

الشيخ عاشور: جملة ﴿إِلَهُ تَذْكِرَةً﴾ تعطيل للردع عن سؤالهم أن تنزل عليهم صحف منشرة، بأن هذا القرآن تذكرة عظيمة، وهذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ \* أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ المنكسوت: ٥١، ٥٠، ضمير ﴿إِلَهُ﴾ للقرآن، وهو معلوم من المقام، ونظائر ذلك كثيرة في القرآن، وتكثير ﴿تَذْكِرَةً﴾ للتعظيم.

وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ تَذْكِرَةً﴾ تفرع على أنه تذكرة، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ تَذْكِرَةً فَمَنْ شَاءَ أَخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ المزمل: ١٩.

وهذا تعريض بالترغيب في التذكر، أي التذكر

طوع مشیتکم فإن شئتم فقد کُروا.

والضمیر الظاهر فی: ﴿ذِکْرُهُ﴾ یجوز أن يعود إلى ما عاد إلیه ضمیر ﴿إِلَهِ﴾ وهو القرآن، فیکون علی الحذف والإیصال، وأصله: ذِکْرُ بِهِ.

ویجوز أن يعود إلى الله تعالى وإن لم یقدم لاسمه ذکر فی هذه الآیات، لأنه مستحضر من المقام علی نحو قوله: ﴿إِنْ هَلِیْهِ ذِکْرُهُ فَغَنَ شَاءَ الْخِذْلَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ المزمل: ۱۹.

و ضمیر ﴿شَاءَ﴾ یراجع إلى (مَنْ)، أي من أراد أن یتذکر ذکر بالقرآن، وهو مثل قوله آنفاً: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ یَتَقَدَّمَ أَوْ یَتَأَخَّرَ﴾ المدثر: ۳۷، وقوله فی سورة المزمل: ﴿فَغَنَ شَاءَ الْخِذْلَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ المزمل: ۱۹. وهو إنذار للناس بأن التذکر بالقرآن یحصل إفاة شأوا التذکر به. والمشیئة تستدعی التأمل فیمسک بصلصهم من المواخذة علی التقصیر، وهم لا یستلزمون فی إهمال ذلك، وجمله: ﴿وَمَا یَذْکُرُونَ إِلَّا أَنْ یَشَاءَ اللَّهُ﴾ معترضة فی آخر الکلام، لإفادة تعلّمهم بهذه الحقیقة، والواو اعتراضیة.

والمعنی: أن تذکر من شأوا أن یتذکروا، لا یقع إلا مشروطاً بمشیئة الله أن یتذکروا، وقد تکرر هذا فی القرآن تکرراً ینبّه علی أنه حقیقة واقعة، کقوله: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ یَشَاءَ اللَّهُ﴾ التکویر: ۲۹، وقال هنا: ﴿كَلاَّ إِلَهُ ذِکْرُهُ﴾ فَمَنْ شَاءَ ذِکْرُهُ ﴿فَلَمَنَّا أَنْ لِلنَّاسِ مَشِیئَةُ هِیْ مَنَاطُ التَّکَالِیْفِ الشَّرْعِیَّةِ وَالْجِزَاءِ فی الدنیا والآخرة، وهی المعبر عنها عند أهل التحقیق من المتکلمین بالکسب، كما حقه الأشعری، وعند

المعتزلة بالقدرة الحادثة، وهما هاتان مقاربان، وأن الله تعالى المشیئة العظمی التي لا یمانعها مانع ولا یفسرها قاصر، فإذا لم یتوجه تعلّقها إلى إرادة أحد عباده، لم یحصل له مراد. (۲۹: ۳۰۸)

مَفْئِیة: ثُمَّ بَيْنَ لَهُمْ وَلِغیرهم أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ مَوْعِظَةٌ مِنْ أَفْهِ عِبَادِهِ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ سَاحِرٍ وَلَا شَاعِرٍ، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذِکْرُهُ﴾، أي انتفع بأحكامه ومواظله. (۷: ۴۶۶)

الطَّبَاطِبَائِي: ﴿كَلاَّ إِلَهُ ذِکْرُهُ﴾ رَدُّعٌ ثَانٍ لِاتِّحَاحِهِمْ نَزُولَ كِتَابٍ سَمَاقِيٍّ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ، وَالْمَعْنَى: لَا نَنْزِلُ كِتَابًا كَذَلِكَ، إِنْ الْقُرْآنُ تَذِکْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِعَظَمِهِ بِهِ، لَا نَرِيدُ بِهِ أَنْ يَدَّ مِنْ ذَلِكَ، وَأَثَرُ ذَلِكَ مَا أَعِظَ لِلْمَطْعِ وَالْعَاقِبِي عِنْدَنَا مِنَ الْجِزَاءِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذِکْرُهُ﴾، أي فَمَنْ شَاءَ التَّحْقِيقُ هُوَ فَلَکُمَا هِیْ دَعْوَةٌ فِي ظَرْفِ الْاِخْتِيارِ مِنْ غَیْرِ إِكْرَامٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا یَذْکُرُونَ إِلَّا أَنْ یَشَاءَ اللَّهُ...﴾، دفع لما یمکن أن یتوهموه من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذِکْرُهُ﴾ أن الأمر إلیهم، وأنهم مستقلّون فی إرادتهم وما یرغب علیها من أفعالهم، فإن لم یشأوا الذکر ولم یذکروا، غلبوه تعالى فیما أراد، وأعجزوه فیما شاء من ذکرهم.

والمحصل من الدفع أن حکم القدر جاء فی أفعالهم کغیرها من الحوادث، و تذکرهم إن تذکروا، وإن کان فعلاً اختیاریاً صادرًا عنهم باختیارهم من غیر إکرام، فالمشیئة الإلهیة متعلّقة به بما هو اختیاری، بمعنی: أن الله



تعالى يريد بإرادة تكوينية أن يفصل الإنسان الفاصل  
الفلاحي بإرادته واختياره، فالفصل اختياري ممكن  
بالنسبة إلى الإنسان، وهو بعينه متعلق الإرادة الإلهية  
ضروري التحقق بالنسبة إليها، ولو لاها لم يتحقق.

(١٠٠: ٢٠)

عبد الكريم الخطيب: قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ  
تَذْكِرَةٌ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ للقرآن الكريم، الذي  
أشارت إليه الآية السابقة: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ  
مُفْرَضِينَ﴾، وإنه ليس عن شأن هذه التذكرة أن تحمل  
هؤلاء المشركين حملاً على الخوف من عذاب الآخرة،  
وليس القرآن إلا تذكرة للغافلين، وتنبهاً للشاردين.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ أي فمن شاء ذكره  
ربه بهذا القرآن، إنه أمر مرده إلى الإنسان نفسه، وإلى  
إقباله على ذكر الله، أو إغراضه عنه، ولو كان الأمر  
على سبيل التهم والإلزام، لما كان ثمة امتحان وإبتلاء،  
تتكشف به أحوال الناس، وتختلف فيه منازلهم،  
ولكانوا جميعاً على منزلة سواء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾  
هو دفع لما قد يقع من مفهوم خاطئ، لقوله تعالى:  
﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ حيث أطلق مشيئة الإنسان،  
ومشيئة الإنسان ليست مطلقة، بل هي مقيدة بمشيئة  
الله.

وقسم الإنسان له مشيئة يجدها في كيانه، وفيما  
يأخذ أو يدع من أمور، وفيما يقبل أو يرفض من  
أعمال، ومع هذا فإن تلك المشيئة مرتبة بمشيئة الله،  
مقيدة بها، جارية مع القدر الذي أرادته مشيئة الله،

فهي مشيئة مطلقة في داخل الإنسان، مقيدة من خارج  
بالمشيئة الإلهية العامة الشاملة. (١٣٠٩: ١٥)

فضل الله: فهذا القرآن أنزله الله، ليكون تذكرة  
تكشف الحقيقة، وترشد إلى المنهج السليم للوصول  
إليها عبر صنع الوجدان الفكري والروحي للإنسان،  
﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ لأن للذكرى  
أسبابها الداخلية في عسى النفس الإنسانية،  
والخارجية في الظروف المحيطة بها، وذلك من خلال  
القوانين التي أودعها الله في الطبيعة الإنسانية، وما  
يتصل بها من أوضاع وأحداث، وهي من الأمور  
الخاصة لتقدير الله من جهة هذا الرباط، بين فصل  
الإنسان وإرادة الله. (٢٢٩: ٢٣)

وجاء بهذا المعنى قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾

هيس: ١١، ١٢

## ذَكُرُوا

١ - ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِئَةً أَوْ ظَلَمُوا الظَّالِمِينَ  
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ...﴾ آل عمران: ١٣٥  
ابن مسعود: ذكروا الله قولاً، بأن قالوا: «اللَّهُمَّ  
اغفر لنا ذنوبنا» فإن الله قد سهل على هذه الأمة ما  
شدت على بني إسرائيل، إذ كانوا إذا أذنب الواحد منهم  
أصبح مكتوباً على بابه من كفارة ذنبه: اجذع أنفلك،  
اجذع أذنك ونحو ذلك، فجعل الاستغفار،

مثله عطاء بن أبي رباح. (الماوردي ١: ٤٢٤)

- ابن عباس: خافوا الله. (۵۶)
- أَلَمْ تَحَالِكْ: ذكروا الفرض الأكبر على الله عز وجل. (التعليق ۳: ۱۶۹)
- نحوه أبو السعد. (۳۴: ۲)
- أبن عطية: معناه بالخوف من عقابه والحياء منه: (۵۱۰: ۱)
- إذ هو المنعم المتطول. (۲۱۰: ۴)
- نحوه القرطبي.
- أبن الجوزي: فيه قولان: (۱۶۹: ۳)
- أحدهما: أنه ذكر اللسان، وهو الاستغفار، قاله
- أبن مسعود، وعطاء في آخرين.
- والثاني: أنه ذكر القلب، ثم فيه خمسة أقوال: [ثم
- ذكر الأفعال الماضية] (۱۶۹: ۳)
- أبن الجوزي: [الثاني: ذكر غفران الله.
- أبن الجوزي: ۱: ۴۶۳]
- الطبري: يعني بذلك: ذكروا وعيد الله على ما أتوا
- من معصيتهم إياه. (۲: ۴۳۹)
- المأوردي: فيه قولان:
- أحدهما: أنهم ذكروه بقرينهم فلم ينسوه. (الطبري ۱: ۴۶۳)
- ذكره على التوبة والاستغفار.
- والثاني: [قول ابن مسعود] (۱: ۴۲۴)
- نحوه ملخصاً للتفسير.
- الطوسي: في معناه قولان: (۱: ۱۸۳)
- أحدهما: ذكروا وعيد الله، فيكون من الذكر بعد
- التسليم. والمدح على أنهم تعرضوا للذكر.
- والآخر: أنهم ذكروا الله بأن قالوا: اللهم اغفر لنا
- ذنوبنا، فإننا ثبنا، نادمين عليها مقلعين عنها. (۲: ۵۹۵)
- نحوه الطبرسي.
- الزمخشري: تذكروا عقابه أو وعيده أو نهييه، أو
- حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه.
- (۱: ۴۶۴)
- أبن مسعود، وعطاء في آخرين.
- والثاني: أنه ذكر القلب، ثم فيه خمسة أقوال: [ثم
- ذكر الأفعال الماضية] (۱: ۴۶۳)
- أبن الجوزي: [الثاني: ذكر غفران الله.
- أبن الجوزي: ۱: ۴۶۳]
- الطبري: يعني بذلك: ذكروا وعيد الله على ما أتوا
- من معصيتهم إياه. (۲: ۴۳۹)
- المأوردي: فيه قولان:
- أحدهما: أنهم ذكروه بقرينهم فلم ينسوه. (الطبري ۱: ۴۶۳)
- ذكره على التوبة والاستغفار.
- والثاني: [قول ابن مسعود] (۱: ۴۲۴)
- نحوه ملخصاً للتفسير.
- الطوسي: في معناه قولان: (۱: ۱۸۳)
- أحدهما: ذكروا وعيد الله، فيكون من الذكر بعد
- التسليم. والمدح على أنهم تعرضوا للذكر.
- والآخر: أنهم ذكروا الله بأن قالوا: اللهم اغفر لنا
- ذنوبنا، فإننا ثبنا، نادمين عليها مقلعين عنها. (۲: ۵۹۵)
- نحوه الطبرسي.
- الزمخشري: تذكروا عقابه أو وعيده أو نهييه، أو
- حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه.
- (۱: ۴۶۴)

نحوه الثباوري:

(٧٠: ٤)

ابن عسري: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ في صدور أفعالهم،  
برؤيتها واقعة بقدرة الله، وتبرأوا عنها إليه لرؤيتهم  
ابتلاء إياهم بها. (٢٢٠: ١)

البيضاوي: تذكروا وعيده أو حكمه أو حقه  
العظيم. (١٨٢: ١)

مثله الشريفي (٢٤٧: ١)، والكاشاني (٣٥٢: ١).  
ونحوه الثرؤسوي (٩٦: ٢).

أبو حيان: معنى ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [نقل بعض  
الأقوال وأضاف]:

وقيل: نهي الله، وقيل: غفرانه، وقيل: تمرضوا  
لذكره بالقلوب ليهتهم على التوبة. وقيل: عظيم  
عفوه فطمعوا في مغفرته. وقيل: إحسانه فاستحسروا من  
إساءتهم.

وهذه الأقوال كلها على أن الذكر هو بالقلب.  
وقيل: هو باللسان، وهو الاستغفار. [ونقل قول  
ابن مسعود]

وروي عن أبي هريرة: «ما رأيت أكثر استغفاراً  
من رسول الله ﷺ».

ولا بد مع ذكر اللسان من مواطاة القلب، إلا  
فلا اعتبار بهذا الاستغفار. ومن استغفر وهو مصرّ  
فاستغفاره يحتاج إلى استغفار. (٥٩: ٣)

الألوسي: أي تذكروا حقه العظيم وعيده، أو  
ذكروا المرض عليه، أو سؤاله عن الذنب يوم القيامة،  
أو نهيهِ، أو غفرانه. وقيل: ﴿ذَكَرُوا﴾ جماله فاستحيوا،  
وجلاله فهابوا.

وقيل: ﴿ذَكَرُوا﴾ ذاته المقدسة عن جميع القبائح  
وأحبوا التقرب إليه بالمناسبة له بالتطهير من الذمائم.  
وعلى كل تقدير ليس المراد مجرد ذكر اسمه عزّ  
أسمه. (٦٠: ٤)

القاسمي: أي تذكروا حقه وعيده، فاستحيوه  
وخافوه. (٩٧٦: ٤)

رشيد رضا: وذكر الله عند الذنب يكون بتذكر  
نبيه وعيده أو عقابه، أو تذكر عظمته وجلاله. وهما  
مرتبتان: مرتبة دنيا، لعامة المؤمنين المتقين المستحقين  
للجنة، وهي أن يتذكروا عند الذنب النهي والعقوبة  
فيأدروا إلى التوبة والاستغفار.

ومرتبة عليا، لخواص المتقين وهي أن يذكروا إذا  
قرط منهم ذنب ذلك المقام الإلهي الأعلى المنزه عن  
التقص الذي هو مصدر كل كمال، وما يجب من طلب  
قرم بالمعروف والتخلُّق الذي هو منتهى الآمال. فإذا  
هم تذكروا انصرف عنهم طائف الشيطان، ووجدوا  
نفس الرحمن، فرجعوا إليه طالعين مغفرة، راجين  
رحمته، ملتزمين سنته، وادين شرعته، عالمين أنه لا  
يغفر الذنوب سواه، وأنه يضل من يدعون عند الحاجة  
إلا إياه لأن الكل منه وإليه، وهو المتصرف بسنته فيه،  
والحاكم بسلطانه عليه. (١٣٥: ٤)

المرآغي: ذكروا وعد الله وعيده، وعظمتته  
وجلاله. (٧٢: ٤)

ابن عاشور: الذكر في قوله: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ ذكر  
القلب، وهو ذكر ما يجب لله على عبده، وما أوصاه به،  
وهو الذي يتفرّع عنه طلب المغفرة. وأمّا ذكر اللسان

فلا يترتب عليه ذلك. ومعنى ذكر الله هنا: ذكر أمره ونهيه ووعدته ووعيده. (٢٢٣: ٣)

عبد الكريم الخطيب: ذكر الله. وذكر عظمة الله وجلاله. وعلمه به. وفضله عليه. وذكر لقضاء ربه. ومحاسنته بين يديه. فارجع إلى الله من قريبه. (٥٨٨: ٢)

٢ - إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا...

ابن عباس: في الشعر. (٣١٥)

نحوه ابن زيد. (الطبري ٩: ٤٩١)

في كلامهم. (الطبري ٩: ٤٩١)

إِنَّ ذَلِكَ خُلِقَ لَهُمْ وَعِبَادَةٌ وَعَادَةٌ.

(ابن عطية ٤: ٢٤٧)

الطبري: اختلف أهل التأويل في حال الذكر

الذي وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعركم فقالوا: بعضهم، هي حال منقطعهم ومحاورتهم الناس. قالوا:

معنى الكلام: وذكروا الله كثيراً في كلامهم.

وقال آخرون: بل ذلك في شعرهم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله

وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر

الله كثيراً. ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في

كتابه. ولا على لسان رسوله. فصفتهم أنهم يذكرون

الله كثيراً في كل أحوالهم. (٩: ٤٩١)

ابن عطية: ... ويحتمل أن يريد أن ذلك خُلِقَ لهم

وعبادة وعادة. قاله ابن عباس. وهذا كما قال لبيد

حين طُلب منه شعره. إن الله أبدلني بالشعر القرآن

خيراً منه. وكل شاعر في الإسلام يهجو ويمدح من غير حق. ولا يرتدع عن قول دقي. فهم داخلون في

هذه الآية. وكل بقي منهم يُكثر من الزهد ويسك عن كل ما يُعاب. فهو داخل في الاستثناء. (٢٤٧: ٤)

الفخر الرازي: أن يكون شعرهم في التوحيد والتوبة. ودعوة الخلق إلى الحق. (١٧٦: ٢٤)

أبو السُّعْد: الذين يُكثرُونَ ذكر الله عز وجل.

ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد. والتناء على الله

تعالى. والحث على طاعته. والحكمة والموعظة.

والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون إليها.

والزجر عن الاغترار بخارفها. والافتنان بملاذها

القلبية. (٦٥: ٥)

ابن عاشور: أي كان إقبالهم على القرآن

والعبادة أكثر من إقبالهم على الشعر. (٢١٣: ١٩)

### ذَكَرَتْ

... وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَثَرَا عَلَى

أَذْهَارِهِمْ لُغْوًا.

قتادة: إن المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله. أنكر

ذلك المشركون وكبرت عليهم. (الطبري ٨: ٨٦)

الطبري: يقول: وإذا قلت: لا إله إلا الله في

القرآن وأنت تتلو. (٨: ٨٦)

مثله التلمبي (٦: ١٠٤). ونحوه مخنية (٥: ٥٠).

الطوسسي: يعني إذا ذكرته بالتوحيد وأنت

لا شريك له في الإلهية. (٦: ٤٨٤)

نحوه الطبرسي. (٣: ٤١٨)

وهناك مباحث أخرى راجع: ن ف ر: «تُفَوَّرُ».

### ذِكْرُ

١- ٢- فَكُلُوا مِنَّا ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ \* وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِنَّا ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ...

الأحكام: ١١٨، ١١٩

ابن عباس: من الذبائح.

[لها] ما لم يُذكر اسم الله عليه [الميتة].

(الماوردي: ٢: ١٦١)

عِكْرَمَة: لما أنزل تحريم الميتة كتب بحوس فارس إلى مشركي قريش - فكانوا أولياءهم في الجاهلية وبينهم مكانة - أن يهتدوا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله، ثم يزعمون أن ما ذبحوا فهو حلال وما ذبح الله فهو حرام، فوقع في أنفسهم من المسلمين، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِنَّا﴾.

(أبو حنبل: ٤: ٢١٠)

عطاء: يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والنبيح. وكل شيء يدل على ذكره بأمر به.

(الطبري: ٥: ٣٢١)

المراد بها [ما لم يُذكر اسم الله عليه] ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها.

(الماوردي: ٢: ١٦١)

الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وعبادة المؤمنين به وآياته، ﴿فَكُلُوا﴾ أي المؤمنون مما ذكيت من ذبائحهم، وذبحتموه الذبيح الذي بينت لكم أنه تحل به الذبيحة لكم. وذلك ما ذبحه المؤمنون بي من أهل دينكم دين الحق، أو ذبحه من دان

بتوحيدي من أهل الكتاب، دون ما ذبحه أهل الأوثان ومن لا كتاب له من الجوس. (٣٢٠: ٥)

الزجاج: معناه: كلوا مما أخلصتم ذبحه الله، والمنع من الميتة داخل في هذا، ليس بين الناس اختلاف في أن المشركين ناظروا المسلمين، فقالوا لهم: تتركون ما سبقكم الله إلى إمامته وتأكلون ما أمثمت أنتم، فاعلم جل وعز أن الميتة حرام، وأن ما قصد بتزكيتهم اتباع أمر الله عز وجل فذلك الحلال، فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِنَّا ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

أبو مسلم الأصفهاني: إنه [ما لم يُذكر اسم الله عليه] صيد المشركين الذين لا يذكرون اسم الله، ولا هم من أهل التسمية، يحرم على المسلمين أن يأكلوه حتى يذكروا هم الذين صادوه. (الماوردي: ٢: ١٦١)

الطحاوي: أي مما أخلص الله، وتحريم الميتة داخل في هذا.

(٤٧٩: ٢)

القطبي: وقت الذبح، يعني المذكاة بسم الله.

الماوردي: فيه [ما لم يُذكر اسم الله عليه] أربعة تأويلات: [نقل قول ابن عباس وعطاء وابن عمر ثم قال:]

والرابع: أنه ما لم يُسم الله عند ذبحه. (١٦٢: ٢)

الطوسي: قوله: ﴿مِنَّا ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾

فالذكر المستون هو قول: بسم الله.

وقيل: كل اسم يختص الله تعالى به أو صفة مختصة.

كقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، أو بسم القدير، أو بسم

القادر لنفسه، أو العالم لنفسه، وما يجري مجرى ذلك.

على الغفلة فما دامت تلك القوة باقية فيه فخطاؤه :  
إما هو اجس النفس، أو وساوس الشيطان.

(١٩١: ٢)

الواحد: جواب لقول المشركين: تأكلون مما  
قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ والمعنى كلوا مما ذكر  
[ذبح] على اسم الله، والميتة لم تذبح على اسم الله،  
فلا يجوز أكلها. (٣١٥: ٢)

البقوي: أي كلوا مما ذبح على اسم الله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ  
بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾، وذلك أنهم كانوا يحرمون أحنافاً  
من النعم ويحلون الأموات، فقيل لهم: أحلوا ما أحل  
الله وحرموا ما حرم الله. (١٥٤: ٢)

الزمخشري: مسبب عن إنكار اتباع المضلّين  
الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال: وذلك أنهم  
كانوا يقولون للمسلمين: إنكم ترعون أنكم تعبدون  
الله بما قتلتم، الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم، فقيل  
للمسلمين: إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا ﴿مِمَّا ذُكِّرَ  
أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من  
أهلهم، أو مات حتف أنفه، وما ذكر اسم الله عليه هو  
المذكى بـ «بسم الله».

نحوه البضاوي (٣٢٨: ١)، والتسني (٣٠: ٢)،  
والثري (٤٤٦: ١)، وأبو السحود (٤٣٦: ٢)،  
والكاشاني (١٥١: ٢)، والثري (٩٢: ٣).

الفخر الرازي: في الآية مباحث نذكرها في  
معرض السؤال والجواب.

السؤال الأول: «القاء» في قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ  
أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يقتضي تعلّقاً بما تقدّم، فما ذلك الشيء؟

والأول مُجمّع على جوازه، والظاهر يقتضي جواز  
غيره، ولقوله: ﴿قُلْ اذْكُرُوا اللَّهَ لَوْ اذْكُرُوا الرُّحْمَنَ أَيَّامًا  
تَذْكُرُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الإسراء: ١١٠.

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ خطاب  
للمؤمنين، وفيه دلالة على وجوب التسمية على  
الذبيحة، لأن الظاهر يقتضي أن ما لا يستحق عليه  
لا يجوز أكله، بدلالة قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.  
لأن هذا يقتضي مخالفة المشركين في أكلهم ما لم يذكر  
اسم الله عليه، فما لم يذكر اسم الله عليه فهو أو  
نسياناً، فلا يجوز أكله على كل حال.

والآية تدلّ على أن ذبائح الكفار لا يجوز أكلها،  
لأنهم لا يؤمنون بالله عليها. ومن حقّ منهم، لأنه  
لا يعتقد وجوب ذلك بل يعتقد أن الذي يستبدلوه  
الذي أبدع شرع موسى أو عيسى وكذب محمد بن  
عبدالله، وذلك لا يكون [الله، فإذا هم ذاكرون باسم  
شيطان والاسم إنما يكون] المستحقّ مخصوص  
بالقصد. وذلك مفتقر إلى معرفته واعتقاده، والكفار  
على مذهبنا لا يعرفون الله تعالى، فكيف يصحّ منهم  
تسميته تعالى؟ أو في ذلك دلالة واضحة على ما قلناه.

(٢٧٢: ٤)

نحوه الطبرسي.

الثميري: هذا في حكم التفسير مختص بالذبيحة  
وفي معنى الإشارة منع الأكل على الغفلة، فإن من أكل

(١) جاء في الهامش: ما بين المعقوفين ساقطة من

الطبعة.

المؤمن، وكلمة (إن) في قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾  
تفيد الاشتراط.

والجواب: التقدير: ليكن أكلكم مقصوراً على ما  
ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين، والمراد أنه  
لو حكم بإباحة أكل الميتة، لندح ذلك في كونه مؤمناً.

(١٦٤: ١٣)

نحوه الثيباوري: (١١: ٨)

أبو حنيفة: ذكر أن السبب في نزولها أنهم قالوا  
للرسول: من قتل الشاة التي ماتت؟ قال: الله، قالوا:  
فترحم أن ما قتل أنت وأصحابك وما قتلته الصقر  
والكلب حلال وما قتلته الله حرام. [ثم نقل قول  
صكرمة وقال:]

ولما تضمنت الآية التي قبلها الإنكار على الباع  
المؤمنين الذين يحلّون الحرام ويحرّمون الحلال،

وكانوا يبيحون في كثير مما يذكرونه اسم آلهتهم، أمر  
المؤمنين بأكل ما سمي على ذكاته اسم الله لا غيره من  
آلهتهم أمر [بإباحة، وما ذكر اسم الله عليه فهو المذكي  
لأما مات حنيفة أنه.

(٢١٠: ٤)

نحوه القاسمي: (٢٤٧٨: ٦)

الآلوسي: المعنى على ما ذهب إليه غير واحد:  
كلوا مما ذكر اسم الله تعالى عليه، لا بما ذكر عليه  
اسم غيره خاصة، أو مع اسمه عز اسمه، أو مات حنيفة  
أنفه، والحصر - كما قيل - مستفاد من عدم اتباع  
المؤمنين ومن الشرط، ولولا ذلك لكان هذا الكلام  
متمركزاً لما لا يحتاج إليه، ساكتاً عما يحتاج إليه.

وادعى بعضهم أن لا حصر واستفادة عدم حل ما

والجواب: قوله: ﴿فَكُلُوا﴾ مستتب عن إنكار  
الاتباع المضلين الذين يحلّون الحرام ويحرّمون  
الحلال، وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين: إنكم  
ترغمون أنفسكم تعبدون الله، فما قتلته الله أحق أن تأكلوه  
منما قتلتموه أنفسكم.

فقال الله للمسلمين: إن كنتم متحققين بالإيمان  
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكي بـ«بسم الله».

السؤال الثاني: القوم كانوا يبيحون أكل ما ذبح  
على اسم الله ولا ينازعون فيه، وإنما التزاع في أنهم  
أيضاً كانوا يبيحون أكل الميتة، والمسلمون كانوا  
يحرّمونها، وإذا كان كذلك كان ورود الأمر بإباحة ما  
ذكر اسم الله عليه عبثاً، لأنه يقتضي إنبات الحكم في  
المتفق عليه، وترك الحكم في المختلف فيه.

والجواب: فيه وجهان:

الأول: لعل القوم كانوا يحرّمون أكل الميتة  
ويبيحون أكل الميتة، والله تعالى رد عليهم في الأمرين.  
فحكم بحل المذكاة بقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ﴾، وبتحرّم الميتة بقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَكُلُوا مِمَّا  
ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

الثاني: أن لحمل قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ﴾ على أن المراد اجعلوا أكلكم مقصوراً على ما  
ذكر اسم الله عليه، فيكون المعنى على هذا الوجه:  
تحرّم أكل الميتة فقط.

السؤال الثالث: قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ﴾ صيغة الأمر، وهي للإباحة.

وهذه الإباحة حاصلة في حق المؤمن وغير

بآياته التي جاء تكلم بالهدى والعلم مؤمنين، وبما يخالفها من ضلال الشرك والكفر وجهل أهله مكذّبين.

وحكمة الاهتمام بهذه المسألة وقرئها بمسائل العقائد، هو أن مشركي العرب وغيرهم من أهل الملل جعلوا الذبائح من أمور العبادات، بل نظموها في سلك أصول الدين والاعتقادات، فصاروا يتعبدون بذبائح الذبائح لألهتهم ومن قدسوا من رجال دينهم، ويهلّون لهم بها عند ذبحها كما يأتي.

وهذا شرك بالله، لأنه عبادة، توجه إلى غيره سواء سمي ذلك الغير إلهاً أو معبوداً أم لا. وقد غفل عن هذا بعض كبار المفسرين، فلم يهتموا إليه بذكائه وعلمه، ولم يروه عن غيره، فاستشكل هو ومن تبعه المسألة، وقالوا: إن المشركين لم يكونوا يعرّمون ما ذكر اسم الله عليه، ولا يمتنعون من أكله، ولكنهم كانوا يأكلون الميتة أيضاً، فكيف تازعهم في المقتضى عليه، وسكت عن المختلف فيه؟

وأجابوا عن السؤال باحتمال أنهم كانوا يعرّمون المذكاة، وبجواز أن يكون المراد بما ذكر اسم الله عليه الاقتصار على المذكى دون غيره، فيكون بمعنى تحريم الميتة. وكل من الوجهين باطل، ولا محل له هنا كما علمت.

وقد يثبت من قبل أن سبب حفلة أذكاء المفسرين عن أمثال هذه المسائل، اقتصارهم في أخذ التفسير على الروايات المأثورة، ومدلول الألفاظ في اللغة، أو في عرف الفقهاء والأصوليين والمتكلمين الذي حدث

مات حقيقته من صريح النظم، أعني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُمْ﴾، وهو مخالف لما عليه الجمهور. [إلى أن قال:]

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إنكار لأن يكون لهم شيء يدعوهم إلى الاجتناب عن أكل ما ذكر اسم الله تعالى عليه، فـ (مَا) للاستغناء الإنكاري وليست نافية كما قيل، وهي مبتدأ و﴿لَكُمْ﴾ الخبر، و«أن تأكلوا» بتقدير حرف الجر، أي في أن تأكلوا، الخلاف في محل المنسبك بعد المحذوف مشهور.

وجوز أن يكون ذلك حالاً، ورد بأن المصدر المؤول من «أن والفعل» لا يقع حالاً كما صرح به سيوطه، لأنه معرفة، ولأنه مصدر بعلامة حرف الاستقبال المنافية للعالية، إلا أن يؤول بنكرة أو يقدّر مضاف، أي ذوي أن لا تأكلوا، ومفعول ﴿فَمَا كَلَّمَا﴾ كما قال أبو البقاء - محذوف، أي شيئاً مما إلخ.

قيل: وظاهر الآية مشعر بأنه يجوز الأكل مما ذكر اسم الله تعالى عليه وغيره معاً، وليست (مِنْ) التبعيضية لإخراجه، بل لإخراج ما لم يؤكل كالروث والدم، وهو خارج بالخصر السابق، فلا تغفل. وسبب نزول الآية - على ما قاله الإمام أبو منصور - أن المسلمين كانوا يتخرجون من أكل الطيبات تحشفاً وترقداً، فنزلت.

رشيد رضا: أي إذا كان أمر أكثر الناس على ما يثبت لكم، فكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح دون غيره. وهو ما يصرح به بعد آيتين من السياق، إن كنتم



بعد نزول القرآن بزمن طويل، ولا يُغني شيء من ذلك عن الاستعانة على فهم الآيات الواردة في شؤون البشر بمعرفة الملل والتحلل وتاريخ أهلها، وما كانوا عليه في عصر التنزيل.

وقد كان من أثر تقصير المفسرين وعلماؤهم الطائفة والأحكام في أهم ما يتوقف عليه فهم المراد من أمثال هذه الآيات، أن وقع كثير من المسلمين فيما كان عليه أولئك الضالون من مشركي العرب وغيرهم، حتى الذبح لبعض الصالحين وتسميت التواب لهم، كمجمل البدوي المشهور أمره في أرياف مصر.

ولما سرت هذه الضلالة إلى المسلمين ذكر الفقهاء حكمها ومتى تكون كفرًا، كما سيأتي، وجملة القول أن مسألة الذبائح من مسائل العبادات التي كان يتقرب بها إلى الله تعالى، ثم حصاروا في عهد الوثنية بقرابين بها إلى غيره، وذلك شرك صريح. وهذا هو الوجه لذكرها في هذه السورة، بين مسائل الكفر والإيمان والشرك والتوحيد. (١٧: ٨)

عزّة دروزة: تعليق على آية ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وما بعدها:

وجهور المفسرين على أن الذي أمر المسلمون بأكله إذا ذكر اسم الله عليه في الآيات، وهو ما أكله إذا لم يذكر اسم الله عليه هو المواشي والذبائح. وهذا مؤيد بآيات قرآنية أخرى جاء فيها ذكر ذلك صراحة، وهي آية سورة المائدة: ٣ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِثَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزْيَرِ وَمَا أَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُكْرَذَةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا

مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فَعَى الْيَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا لَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْتَصَبٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

والآيات وإن كانت تبدو فصلًا جديدًا، فإنّ بما يمكن أن يستلهم من مضمونها ومضمون سياقاتها أنها غير منقطعة الصلة بالآيات السابقة لها، وأنها متصلة بما كان يقوم بين النبي ﷺ والمسلمين من جهة، والكفار من جهة ثانية، من مواقف جدلية متنوعة بما حكته فصول السورة.

ولقد أورد المفسرون في سياقها روايات متنوعة، ذكر بعضها أن المشركين أو اليهود كانوا يجادلون النبي ﷺ في تحريمه لأكل الميتة التي قتلها الله وتحليل الذبيحة التي قتلها الإنسان، وأن مجوس فارس كانوا يكتبون لكفار قريش، ليجادلوا النبي ﷺ في هذه النقطة.

والرواية الأخيرة تبدو غريبة جدًا، كما أن الآيات ليست في صدد أكل الميتة، وإنما هي في صدد تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه عند ذبحه، وأكل الميتة محرّم على اليهود في التوراة، فلا يحقّل أن يكونوا من المنتقدين لذلك، أو المجادلين فيه.

ومهما يكن من أمر فالآيات ثلهم أنه كان يقع بين المسلمين والمشركين جدل ومناظرات في صدد الذبائح، فالمشركون كانوا يأكلون ما يموت حتف أنفه، ولم يكونوا يذكرون كذلك اسم الله تعالى على ما

يذبحونه.

وكلهم أن بعض الثبهاء من الزعماء كانوا يلقنون الذين يتصلون بالمسلمين من الكفار ما يجادلونهم به من حجاج، وأن بعض المسلمين كانوا يترددون في هذه الأمور لسابق عهدهم بالتقاليد التي كانوا يجهرون عليها قبل إسلامهم. فنزلت الآيات للقضاء على هذا التردد، ولبيان الأمر بصورة حاسمة على الوجه الذي جاءت به، وللتبهي إلى أن التقاليد الجاهلية ليست قائمة على علم وحق وإما هي بنت الأوهام والأهواء والظنون، وأن السير على هذه التقاليد ومطاوعة المشركين فيها هو شرك.

« هكذا تكون الآيات من الفصول التشريعية الحاسمة التي جاءت لهدم تقليد من تقاليد الشرك والجاهلية.

ولقد أشكل على المفسرين معنى الآية الثانية التي تذكر أن الله قد فصل للمسلمين ما حرم عليهم، لأن ذلك لم يرد في السور السابقة في النزول سورة الأنعام. وبعضهم قال: إن تفصيل ذلك ورد في آية سورة المائدة التي أوردنا نصها قبل قليل. وبعضهم أنكروا ذلك، لأن سورة المائدة مدنية ورد التفصيل إلى ما احتوته آيات تأتي قريباً في سورة الأنعام، وهو وجه مع فرض أن الآيات المذكورة قد نزلت مع هذه الآيات دفعة واحدة، وهو فرض في محله.

و للفقهاء أقوال متنوعة في صدد هذا الموضوع: فيعظم أوجب ذكر اسم الله جهراً عند ذبح الذبيحة، وبعضهم قال بالاكتماء بالتيه. وبعضهم قال بحمل

الذبيحة التي يذبحها المسلم و لو نسي ذكر الله عليها أو تعمد عدم ذكره. وبعضهم قال بحمل ما نسي دون العمد. وبعضهم توقف في الذبيحة التي لا يعرف مجزماً أنها ذكر اسم الله عليها. وبعضهم أباح ذلك إذا كان يعرف يقيناً أن الذابح مسلم أو كتابي.

وبعضهم قال: إن الآية نسخت أو عُدلت بآية سورة المائدة التي أحلت طعام أهل الكتاب وهي: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ المائدة: ٥.

والذي يشاور لنا أن المقصود هو ذكر الله جهراً أو نية عند الذبح، لمخالفته عادة المشركين في الذبح لغير كتابهم. وأن المحرم هو ما ذبحه المشركون أو الوثنيون الذين يعرف يقيناً أنهم لا يذكرون اسم الله، أو أنهم لا يذكرون الله وحده عند الذبح. وأن ما يعرف يقيناً أن ذابحه مسلم أو كتابي حل، ولو لم يعرف يقيناً أنه ذكر عليه اسم الله، لأن هذا هو المفروض. أما حل طعام أهل الكتاب فهو أت من ناحية كونهم مؤمنين بالله، ولا يذكرون غيره عند الذبح، ولنا نرى في آية المائدة نسخاً أو تعديلاً، وإما تشريعاً متمماً أو توضيحاً. (٤: ٢١٠)

سيد قطب: إنه يأمر بالأكل مما ذكر اسم الله عليه. والذكر يقرر الوجهة ويحدد الاتجاه، ويعلق إيمان الناس بطاعة هذا الأمر الصادر إليهم من الله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٩٦: ٣)

ابن عاشور: وقوله: ﴿مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾

دلّ على أن الموصول صادق على الذبيحة، لأن العرب كانوا يذكرون عند الذبح أو التحريم المقصود بتلك الذكاة، يجهرون بذكر اسمه، ولذلك قيل فيه: أهّل به لصير الله، أي أعلن. والمعنى: كلوا المذكي ولا تأكلوا الميتة، فما ذكر اسم الله عليه كناية عن المذبح، لأن التسمية إنما تكون عند الذبح.

وتعليق فعل الإباحة بما ذكر اسم الله عليه أفهم أن غير ما ذكر اسم الله عليه لا يأكله المسلمون. وهذا الغير يساوي معناه معنى ما ذكر اسم غير الله عليه، لأن عادتهم أن لا يذبحوا ذبيحة إلا ذكروا عليها اسم الله، إن كانت هديّة في المحج، أو ذبيحة للكعبة، وإن كانت قرباناً للأصنام أو للجن ذكروا عليها اسم المتقرب إليه. فسار قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من غير الله عن أكل ما ذكر اسم غير الله عليه، والله أعلم بما لم يُذكر عليه اسم الله ولا اسم غير الله، لأن ترك ذكر اسم الله بينهم لا يكون إلا لتقصّد تحييت ذكره.

وعلم من ذلك أيضاً التهي عن أكل الميتة ونحوها، بما لم تقصد ذكاته، لأن ذكر اسم الله أو اسم غيره إنما يكون عند إرادة ذبح الحيوان، كما هو معروف لديهم، فدلّت هذه الجملة على تعيين أكل ما ذكي دون الميتة، بناء على عرف المسلمين، لأن التهي موجه إليهم.

ومما يؤيد ذلك: ما في «الكشاف»، أن الفقهاء تأولوا قوله الآتي: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأنه أراد به الميتة، وبناء على فهم أن يكون قد ذكر اسم الله عليه عند ذكاته دون ما ذكر عليه اسم غير الله، أخذاً من مقام الإباحة، والاقصا فيه على

هذا دون غيره.

وليس في الآية صيغة قصر، ولا مفهوم مخالفة، ولكن بعضها من دلالة صريح اللفظ، وبعضها من سياقها، وهذه الدلالة الأخيرة من مستبعات التراكيب المستغادة بالعقل التي لا توصف بحقيقة ولا بجهاز، وبهذا يعلم أن لا علاقة للآية بحكم نسيان التسمية عند الذبح، فإن تلك مسألة أخرى، لها أدلتها، وليس من شأن التشريع القرآني التعرض للأحوال القادرة.

و«على» للاستعلاء المجازي، تدلّ على شدة الصال فعل الذكر بذات الذبيحة، بمعنى أن يُذكر اسم الله عليها عند مباشرة الذبح لاقبله أو بعده. [إلى أن قال:]

فأما ترك التسمية: فإن كان قصد تحييت ذكر اسم الله، فهو مباح، لذكر اسم غير الله، وإن كان لسهو فتحكمه يُعرف من أدلة غير هذه الآية، منها قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا﴾ البقرة: ٢٨٦، وأدلة أخرى من كلام النبي ﷺ

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ﴾، عطف على قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، والمخاطب للمسلمين.

و(مَا) للاستفهام، وهو مستعمل في معنى التثني، أي لا يثبت لكم عدم الأكل بما ذكر اسم الله عليه، أي كلوا بما ذكر اسم الله عليه، والآم للاختصاص، وهي ظرف مستقر خبر عن (مَا)، أي ما استقر لكم، [إلى أن

[قال:]

والوجه عندي أن سبب نزول هذه الآية ما تقدم  
أنفاً من أن المشركين قالوا للذي ﷺ وللمسلمين، لنا  
حرّم الله أكل الميتة: «أناكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل  
الله»! يعنون الميتة، فوقع في أنفس بعض المسلمين  
شيء، فأنزل الله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ، أَي فأنابهم الله بإبطال قياس المشركين المَوْتِ،  
بأن الميتة أولى بالأكل مما قتله الذابح بيده، فأهدى الله  
للتأسي الفرق بين الميتة والمذكى. بأن المذكى ذكر اسم  
الله عليه، والميتة لا يذكر اسم الله عليها، وهو فارق  
مؤثر.

وأعرض عن محاجة المشركين، لأن الخطاب  
مسوق إلى المسلمين، لإبطال محاجة المشركين، فقال  
إلى الرد على المشركين بطريق التعريض، وهو من  
فيل قوله في الرد على المشركين، في قولهم: ﴿إِنَّمَا  
الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ البقرة: ٢٧٥، إذ قال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ  
الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة: ٢٧٥، كما تقدم هنالك،  
فهتقلب معنى الاستفهام في قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا  
تَأْكُلُوا﴾ إلى معنى لا يسؤل لكم المشركون أكل الميتة،  
لأنكم تأكلون ما ذكر اسم الله عليه، هذا ما قالوه، وهو  
تاويل بعيد عن موقع الآية. (٢٤: ٧)

الطَّبَائِبِيُّ: لما تقدم ما تقدمه من البيان الذي  
هو حجة على أن الله سبحانه هو أحق بأن يطاع من  
غيره، استنتج منه وجوب الأخذ بالحكم الذي شرعه،  
وهو الذي يدل عليه هذه الآية، وجوب رفض ما  
بيعه غيره بهواه من غير علم، ويجادل المؤمنين فيه

بوحى الشياطين إليه، وهو الذي يدل عليه قوله:  
﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الأنعام:  
١٢١، إلى آخر الآية.

ومن هنا يظهر أن العناية الأصلية متعلقة بمحلتين  
من بين الجمل المتسقة في الآية، إلى تمام أربع آيات،  
وسائر الجمل مقصودة بتبسيطها بين بها ما يتوقف عليه  
المطلوب بجهاته. فاصل الكلام: فكلوا مما ذكر اسم الله  
عليه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه، أي فرقوا بين  
المذكى والميتة، فكلوا من هذه ولا تأكلوا من ذلك،  
وإن كان المشركون يجادلونكم في أمر التفريق.

قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ تفرع  
للعلم على البيان السابق، ولذا أردفه بقوله: ﴿وَأَن  
تَكْتُمُ بِلَا يَدِ مُؤْمِنِينَ﴾ والمراد بـ ﴿مَا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ﴾ الذبيحة المذكاة. (٣٣٢: ٧)

٣- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ  
أَعْيُنُهُمْ... الأنفال: ٢  
ابن عباس: إذا أمروا بأمر من قبل الله، مثل أمر  
الصلح وغيره. (١٤٥)

السُّدِّي: إذا ذكر الله وجل قلبه، وهو الرجل  
يريد أن يظلم، أو يهمل بمعصية، فينزع عنها. (٢٧٨)  
الزُّجَّاج: تأويله: إذا ذكرت عظمة الله وقدرته،  
وما خُوف به من عصاه. (٤٠٠)

مثله الواحدي: (٤٤٤: ٢)  
اليحوي: قيل: إذا خُوفوا بالله انقادوا خوفاً من  
عقابه. (٢٦٨: ٢)

الزَّمَرُ شَرِيٌّ: هذا الذكر خلاف الذكر في قوله: ﴿ثُمَّ ثَلَاثِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣. لأن ذلك ذكر رحمته ورافته ونوابه.

وقيل: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهزم بمعية. فيقال له: اتق الله فينزع. (١٤٢: ٢)

الطَّبْرُ سِيٌّ: إذا ذكر عندهم عقوبته، وعدله، ووعيده على المعاصي بالعقاب، واقتداره عليه. فأما إذا ذكرت نعمة الله على عباده وإحسانه إليهم، وفضله ورحمته عليهم، وثوابه على الطاعات، اطمأنت قلوبهم، وسكنت نفوسهم إلى عفو الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨، فلا تنافي بين الآيتين، إذ وردتا في حالتين.

ووجه آخر، وهو أن المؤمن ينهي أن يكون من صفته، أنه إذا نظر في نعم الله عليه، ومنته لديه، وعظم مغفرته ورحمته، اطمأن قلبه، وحسن باقه ظنهم، وإذا ذكر عظيم معاصيه بترك أو أسره وارتكاب نواهي، وجعل قلبه، واضطربت نفسه. (٥١٩: ٢)

القحط الرأزي: قال أصحاب الحقائق: الخوف على قسمين: خوف العقاب، وخوف العظمة والجلال. أما خوف العقاب فهو للنصاة. وأما خوف الجلال والعظمة فهو لا يزول عن قلب أحد من المخلوقين، سواء كان ملكاً مقرَّباً أو نبياً مرسلًا، وذلك لأنه تعالى غني لذاته عن كل الموجودات، وما سواه من الموجودات فمحتاجون إليه، والمحتاج إذا حضر عند الملك الغني يهابه ويخافه، وليست تلك الهيبة من العقاب، بل مجرد علمه بكونه غنياً عنه، وكونه محتاجاً

إليه يوجب تلك المهابة، وذلك الخوف.

إذا عرفت هذا فتقول: إن كان المراد من «الوجل» القسم الأول، فذلك لا يحصل من مجرد ذكر الله، وإنما يحصل من ذكر عقاب الله، وهذا هو اللائق بهذا الموضوع، لأن المقصود من هذه الآية إلزام أصحاب بدر طاعة الله وطاعة الرسول في قسمة الأنفال. وأما إن كان المراد من «الوجل» القسم الثاني، فذلك لازم من مجرد ذكر الله، ولا حاجة في الآية إلى الإضمار.

فإن قيل: إنه تعالى قال ها هنا: ﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وقال في آية أخرى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الرعد:

٢٨، فكيف الجمع بينهما؟ وأيضاً قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ ثَلَاثِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣.

قلنا: الاطمئنان إنما يكون عن تلج اليقين، وشرح الصدر بحرقة التوحيد، والوجل إنما يكون من خوف العقوبة، ولا منافاة بين هاتين الحالتين، بل نقول: هذان الوصفان اجتماعاً في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿تَقْشِطُهُمْ عَلَيْهِ جُلُودُ الَّذِينَ يَفْشُونَ رَبُّهُمْ ثُمَّ ثَلَاثِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣، والمعنى: تقشع الجلود من خوف عذاب الله، ثم ثلثين جلودهم وقلوبهم عند رجاء ثواب الله. (١١٧: ١٥)

البيضاوي: فرغت لذكره استعظماً له وتهيباً من جلاله. وقيل: هو الرجل يهزم بمعية فيقال له: اتق الله، فينزع عنها خوفاً من عقابه. (٣٨٤: ١)

نحوه التسفي: (٩٣: ٢)

الئيسابوري: أي فرغت لذكره استعظماً

الله. فينزع عنها خوفاً من عقابه. فمن ينزع بمجرد ذكره، من غير أن يذكر هناك ما يوجب النزع من صفاته وأفعاله، استعظماً لشأنه الجليل وتهيئاً منه.

واعلم أن شأن نور الإيمان أن يرقى القلب ويخففه عن كدورات صفات النفس وظلماتها ويلين قسوته، فيلين إلى ذكر الله ويجد شوقاً إلى الله، وهذا حال أهل البدايات. وأما حال أهل النهايات فالطمأنينة والسكون بالذكر. (٣١٢: ٣)

رشيد رضا: والمراد بذكر الله: ذكر القلب نظمته وسلطانه وجلاله، أو لو عيده ووعده، و

محاسنه لحلقه وإدائهم. وغير ذلك من صفاته وأفعاله سواء صحبه ذكر اللسان أم لا. وأعظم ذكر اللسان مع القلب ترتيل القرآن بالتدبر. وقد يقول المتوكل في صلاة التهجد في الخلسة: «الله أكبر»

من حفيظاً يلهي كبريائه عز وجل، فينتفض ويقصر جلده، فمن خص الذكر هنا بالوعد غفل عن كل هذا، وظن أن الوجل لا يكون إلا من خوف العذاب،

وكأنه لم يذق طعم الخشية والوجل من مهابة الله وعظمته وكبريائه وعزة سلطانه، وغير ذلك من معاني أسمائه وصفاته، ولم يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ هُمْ﴾ فاطر: ٢٨، ولم يعلم أن

من عباد الله من يخشع قلبه، وبقيض دمه من ذكر أسماء الله، في آخر سورة الحشر: ٢٦ و ٢٧: ﴿لَوْ أَلْزَمْنَا

هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُصْطَفًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغُيُوبِ

لجلاله وحذرًا من ألهم عقابه. وقد يطمئن القلب بعد ذلك إذا تذكر كمال رافته وجزيل ثوابه كقوله: ﴿ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣.

وقيل: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهيم بمعصية، فيقال له: اتق الله، فينزع. (١٢٠: ٩)

أبو حيان: يحتمل قوله ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أن يذكر اسمه ويلفظ به، تنزع قلوبهم لذكره، استعظماً له وتهيئاً وإجلالاً، ويكون هذا الذكر محالفاً للذكر في

قوله: ﴿ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣، لأن ذكر الله هناك راحته ورحمته وثوابه.

(٤٥٧: ٤)

نحوه الألو سي:

الشريبي: أي وعيده [ثم أدام البحث نحو الفخر الرازي]

أبو السعود: أي فرغت بمجرد ذكره من حجبته عن ذكره هناك ما يوجب النزع من صفاته وأفعاله، استعظماً لشأنه الجليل، وتهيئاً منه.

وقيل: هو الرجل يهيم بمعصية فيقال له: اتق الله، فينزع عنها خوفاً من عقابه. (٧٧: ٣)

البروسوي: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ عندهم ﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ من هيبة الجلال وتصور عظمة المولى الذي لا يزال. وهذا الخوف لازم لأهل كمال

الإيمان، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلأ أو مؤمناً تقياً نقياً، وهذا بخلاف خوف العقاب، فإنه لا يحصل بمجرد ذكر الله، بل ملاحظة المعصية وذكر عقاب الله انتقاماً من العصاة، وأين من يهيم بمعصية، فيقال له: اتق

وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

ولا يجد مثل هذا الوجل عند وصف جهنم، وذكر الحساب والجزاء. وإنما يأخذ مثل هذا من معاني القرآن من فهمه لظواهر بعض الألفاظ، بدون شعور بما لها من التأثير في القلوب، فيقابل بين هذه الآية وما في معناها، وبين قوله تعالى في سورة الرعد: ٢٨: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ فيظن أن بينهما تعارضاً، فيحاول التلصص منه، بحمل هذا على ذكر الوعد، والآخر على ذكر الوعيد.

ولا تعارض في الحقيقة ولا تنافي، فلي كل من الوعد والوعيد وصفات الكمال وذكر آيات الله تعالى، في الأنفس والأفاق مطمئنان للقلوب بالإيمان بالله تعالى، واليقظة بما عنده، وغير ذلك مما يأتي بسطه في محله إن شاء الله تعالى. ولا ذكر يضر من حقيقة الوجل في القلب، كتلاوة كلام الرب عز وجل: ﴿اللَّهُ نُزِّلَ أَحْسَنَ النَّدْوَى كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلْبَسُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ إِلَّا الضَّالُّ﴾ (٢٣: ٩٠: ٥٨٩).

المراعي: أي الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم فرعوا لعظمته وسلطانه، أو لوعده ووعيده ومحاسبته لخلقه، والآية بمعنى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْبُقِيَّةِ الصَّالِحِينَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الحج: ٣٤، ٣٥.

سيد قطب: وصف الله المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه. ﴿وَإِذَا نَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ يقول: زادتهم تصديقاً، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول: لا يرجعون غيره.

وسرى من طبيعة هذه الصفات أنه لا يمكن أن يقوم بدونها الإيمان أصلاً، وأن الأمر فيها ليس أمر كمال الإيمان أو نقصه، إنما هو أمر وجود الإيمان أو عدمه، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

إنها الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يُذكر بالله في أمر أو نهي فيخشاه جلاله، ويخشى فيه مخافته، ويتمتل عظمة الله ومهابته، إلى جانب تقصيره هو وذنبه، فينبعث إلى العمل والطاعة، أو هي كما قالت أم الدرداء رضي الله عنها فيمسارواه الثوري، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء قالت: «الوجل في القلب كاحتراق السفينة، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى. قالت: إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك، فإن الدعاء يذهب ذلك».

إنها حال ينال القلب منها أمر يحتاج إلى الدعاء، ليستريح منها ويقرأ وهي الحال التي يجدها القلب المؤمن حين يُذكر بالله في صدد أمر أو نهي، فيأتمر معها، وينتهي كما يريد الله، وجلأ وهوى الله. (٣: ١٤٧٥) ابن عاشور: الذكر حقيقة الشلف باللسان، وإذا غلقت بما يدل على ذات فالقصود من الذات

له من الخضوع للشهوات واللذوات المنعرفة،  
وموجتها له للسير في الخط المستقيم. (٣٢٧: ١٠)

٤- وبشّر المُنشِئِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ  
قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ... الحج: ٣٤، ٣٥  
ابن عباس: أمروا بأمر من قبل الله. (٢٨٠)

الطوسي: والمعنى: إذا ذكر تواب الله على  
طاعاته، وعقابه على معاصيه، خافوا عقابه وخشوا  
من ترك طاعته. (٣١٥: ٧)

الواحدى: إذا خُوفوا بالله خافوا. (٢٧١: ٣)

٥ و ٦- وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخُذَتْ أَسْمَانُ قُلُوبِ الَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ  
يَسْتَكْبِرُونَ الزمر: ٤٥

ابن عباس: إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله.

(٢٨٩)

الطبري: يقول تعالى ذكره: وإذا أفرده الله جلّ  
تناؤه بالذكر، فدُعي وحده، وقيل: لا إله إلا الله،  
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد  
الممات، وعق بقوله: «اشمأزت» نفرت من توحيد  
الله. «وإذا ذكر الذين من دونه» يقول: وإذا ذكر  
الآله التي يدعونها من دون الله مع الله، فقيل: تلك  
الفرانق الشلى، وإن شفاعتها لثريجي، إذا الذين  
لا يؤمنون بالآخرة يستشرون بذلك ويفرحون.

(١١: ١١)

نحو المرائي.

الزجاج: إذا ذكر الله فقيل: لا إله إلا الله، فقرأوا

أسمائها، فالمراد من قوله: «إذا ذكر الله» إذا نطق  
ناطق باسم من أسماء الله أو بشأن من شؤنه، مثل أمره  
ونهيّه، لأن ذلك لا يذمّه من جريان اسمه أو ضميره أو  
موصوله أو إشارته أو نحو ذلك من دلائل ذاته. [إلى  
أن قال:]

وقد أجملت الآية ذكر الله إجمالاً بديقاً ليناسب  
معنى الوجيل، فذكر الله يكون: بذكر اسمه، وبذكر  
عقابه، وعظمته، وبذكر توابه ورحمته، وكل ذلك  
يحصل معه الوجيل في قلوب كَمَل المؤمنين، لأنه يحصل  
معه استحضار جلال الله وشدة بأسه وسعة توابه،  
فينبعث عن ذلك الاستحضار توقع حلول بأسه،  
وتوقع انقطاع بعض توابه أو رحمته، وهو وجيل بحيث  
المؤمن إلى الاستكثار من الخير وتوقي ما لا يرضى الله  
تعالى، وملاحظة الوخوف عند حدود الله في الأمور  
ونهيّه.

فضل الله: عاشت الشعوب بالخشية منه، في ما  
يتمثلونه من عظمة الله، في مظاهر قدرته في خلقه، وفي  
وحدانيته ووجوده، بالمستوى الذي يشعرون معه بأن  
الكون كله ظل لوجوده، فهو الحقيقة وكل ما عداه  
خيال. ولكن هذا الوجيل لا يمثل حالة انسحاق يلغى  
في الإنسان الإرادة، بل يمثل حالة المسؤولية التي تحرّك  
إرادته في الجانب المشرق من الحياة، عند ما توحى له  
بأن حركته ليست محكومة لمزاجه أو مزاج الآخرين،  
بل هي خاضعة للقوة المهيمنة التي تخطط لإرادته كما  
تخطط لفكره، وبذلك كان الخوف من الله حافظاً  
لإنسانيته من الانحراف تحت تأثير الضغوط، ورادعاً



من هذا، لأنهم كانوا يقولون: اللات والعزى، وهذه الأوثان آلهة.

الواحدى: كان المشركون إذا سمعوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نفروا من هذا، لأنهم كانوا يقولون: الأوثان آلهة، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ قَوْلِهِ﴾ بمعنى الأصنام التي عبدوها من دونه. (٥٨٤: ٣) مثله الطيرسي. (٥٠١: ٤)

القفر الرأزي: اعلم أن هذا نوع آخر من الأعمال القبيحة للمشركين، وهو أنك إذا ذكرت الله وحده، تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ظهرت آثار الفسرة من وجوههم وقلوبهم، وإذا ذكرت الأصنام والأوثان ظهرت آثار الفرح واليسارة في قلوبهم وصدورهم، وذلك يدل على الجهل والجهالة، لأن ذكر الله رأس السعادات وعنوان الخيرات، ولما ذكر الأصنام التي هي الجمادات الخسيسة وقبحوا رأس

الجهالات والخصافات، فنفرتهم عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الأصنام من أقوى الدلائل على الجهل الغليظ والحق الشديد. (٢٨٦: ٢٦)

سيد قطب: الآية تصف واقعة حال على عهد النبي ﷺ حين كان المشركون يهشون ويهشون إذا ذكرت آلهتهم، وينقبضون وينفرون إذا ذكرت كلمة التوحيد.

ولكنها تصف حالة نفسية تتكرر في شتى البيئات والأزمان، فمن الناس من تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دعوا إلى الله وحده إلهاً، وإلى شريعة الله وحدها قانوناً، وإلى منهج الله وحده نظاماً، حتى

إذا ذكرت المساهج الأرضية والنظم الأرضية، والشرائع الأرضية هشوا ويشتوا ورهبوا بالحدث، وفتحوا صدورهم للأخذ والركب.

هؤلاء هم بعينهم الذين يصور الله غودجاً منهم في هذه الآية، وهم بذاتهم في كل زمان ومكان، هم المسوخ والفطرة، المنحرفو الطبيعة، الضالون المضلون، مهما تنوعت البيئات والأزمنة، ومهما تنوعت الأجناس والأقوام. (٣٠٥٥: ٥)

ابن عاشور: إذا ذكر النبي ﷺ أن الله واحد، أو ذكر المسلمون كلمة لا إله إلا الله، اشتمزت قلوب المشركين من ذلك، وكذلك إذا ذكر الله بأنه إله الناس ولم يذكر مع ذكره أن أصنامهم شركاء الله، اشتمزت قلوبهم من الانقباض على ذكر الله، فلا يرضون بالتسكوت عن وصف أصنامهم بالإلهية، وذلك مؤذن بأنهم يسبون بها الله تعالى.

قوله: ﴿وَخَذَهُ﴾ لك أن تجعله حالاً من اسم الجلالة، ومعناه منفرداً، ويُقدر في قوله: ﴿ذُكِرَ اللَّهُ﴾ معنى: ذكر بوصف الإلهية، ويكون معنى ﴿ذُكِرَ اللَّهُ وَخَذَهُ﴾ ذكر تفرد بالإلهية، وهذا جار على قول يونس بن حبيب في ﴿وَخَذَهُ﴾، ولك أن تجعله مصدرًا وهو قول الخليل بن أحمد، أي هو مفعول مطلق لفعل ﴿ذُكِرَ﴾ لبيان نوعه، أي ذكرًا واحدًا، أي لم يذكر مع اسم الله أسماء أصنامهم.

وإضافة المصدر إلى ضمير الجلالة لاشتهار المضاف إليه بهذا الواحد، وهنا الذكر هو الذي يجري في دعوة النبي ﷺ وفي الصلوات تلاوة القرآن، وفي

بجامع المسلمين.

(١٠٣: ٢٤)

لاحظ: دون: « من دونه ».

٧- وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَلَا كُنْتُمْ سُرُورًا فَإِذَا  
أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي  
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَظَنُّوا أَنَّهُ مَوْتٌ عَلَيْهِمْ  
مِنْ الْمَوْتِ قَالُوا لَيْسَ بِهِمْ مَوْتٌ فَأُولَئِكَ لَظُفْرٌ الْمَفْطُوسِ عَلَيْهِ

محمد: ٢٠

ابن عباس: أمر فيها بالقتال.

(٤٢٩)

نحوه القراء.

(٦٢: ٣)

فضل الله: كواجب شرعي يدعو المؤمنين إلى

الانطلاق نحوه، في ساحة المعركة التي تفرضا  
سلامة الإسلام أمام الأخطار الداهية من قبل  
الأعداء...

(٦٩: ٢١)

يَذْكُرُ

١- أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَئِيلٍ وَنَمِثْلَةٍ

شيئا.

مریم: ٦٧

ابن عباس: أَوَلَا يَتَنَبَّهُ أَيُّ بَنٍ خَلْفَ الْجَنَحِ.

(٢٥٨)

القراء: هي في قراءة أبي: (يَذْكُرُ)، وقد قرأت

القراء: (يَذْكُرُ) عاصم وغيره.

(١٧١: ٢)

الطبري: قد اختلفت القراء في قراءة قوله:

(أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ) فقرأه بعض قراء المدينة

والكوفة: (أَوَلَا يَذْكُرُ) بتخفيف الذال، وقد قرأ ذلك

عامة قراء الكوفة والبصرة والمجاص: (أَوَلَا يَذْكُرُ)

بتشديد الذال والكاف، بمعنى أَوَلَا يَتَذَكَّرُ، والتشديد

أعجب إلي، وإن كانت الأخرى جائزة، لأن معنى

ذلك: أَوَلَا يَتَفَكَّرُ فيحتمل.

(٣٦٢: ٨)

الثعالب: أي أَوَلَا يَتَفَكَّرُ وينظر، ويذكره بعلم.

ويتبينه؟

(٣٤٦: ٤)

الثعلبي: أي يتذكر ويتفكر، والأصل: يتذكر.

وقرأ ابن عامر ونافع وعاصم وطلوب: (يَذْكُرُ)

بالتخفيف، والاختيار التشديد، لقوله سبحانه (وَالْمَا

يَذْكُرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ) الزمر: ٩، وأخواتها، يدل عليه

قراءة أبي (يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ) يعني أي بن خلف

الجنسي.

(٢٢٣: ٦)

نحوه البصري: (٢٤٢: ٣)، والقرطبي: (١٣١: ١١).

الطوسي: قرأ نافع وابن عامر وعاصم

(أَوَلَا يَذْكُرُ) خفيفا، الباقون بالتشديد، من شدة،

أراد أَوَلَا يَتَذَكَّرُ، فادغم التاء في الذال لقرب

حزبتهما. ومن خفف، فلقوله: (فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ)

المائدة: ٥٥، الخفيفة دون ذلك في الكثرة في هذا

المعنى.

هذا حكاية من الله تعالى عن قول من ينكر البعث

والشور من الكفار، وهم المعنيون بقوله: (أَوَلَا يَذْكُرُ

الْإِنْسَانُ) بأنهم يقولون على وجه الإنكار

والاستبعاد: (أَلَا مَتَى يَفْرَجُنَا اللَّهُ أَحْيَاءَ وَيَمَيِّدُنَا كَمَا

كنّا؟) فقال الله تعالى منبها على دليل ذلك:

(أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ) من شدة أراد أَوَلَا يَتَفَكَّرُ، ومن

خفف أراد أَوَلَا يعلم.

(١٤٠: ٧)

نحوه السقي.

(٤١: ٣)

ابن الجوزي: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة،

والكسائي: بفتح الذال مشددة الكاف، وقرأ نافع

وحاصم وابن عامر: ﴿يَذْكُرُ﴾ ساكنة الذال خفيفة.  
وقرأ أبي بن كعب وأبو المتوكل الشاجي <sup>٢</sup> أو لا يذكُر  
الإنسان) بياء وتاء. وقرأ ابن مسعود وابن عباس،  
وأبو عبد الرحمن السلمي والحسن ﴿يَذْكُرُ﴾ بياء من  
غير تاء ساكنة الذال مخففة مرفوعة الكاف، والمصلى  
أو لا يذكُر هذا الجاحد أول خلقه، فيستدل بالابتداء  
على الإعادة؟ (٢٥٢: ٥)

الفخر الرازي: والقراء كلهم على (يَذْكُرُ)  
بالتشديد إلا نافعاً وابن عامر وعاصماً قد خففوا، أي  
أو لا يذكُر الإنسان اثناً خلقناه من قبل، وإذا قرئ  
﴿أو لا يذكُر﴾ فهو أقرب إلى المراد، إذ الغرض التفكر  
والتفكر في أنه إذا خلق من قبل لا من شيء، فجاء أن  
يعاد ثانياً. [إلى أن قال:]

فإن قيل: كيف أمر تعالى الإنسان بالذكر مع أن  
الذكر هو العلم بما قد علمه من قبل، ثم تحللها بسهولة؟  
قلنا: المراد أو لا يذكُر لم يعلم خصوصاً إذا قرئ  
(أو لا يذكُر الإنسان) بالتشديد، أما إذا قرئ  
﴿أو لا يذكُر﴾ بالتخفيف، فالمراد أو لا يعلم ذلك من  
حال نفسه، لأن كل أحد يعلم أنه لم يكن شيئاً في الدنيا  
ثم صار شيئاً. (٢٤١: ٢١)

أبو السعود: من الذكر الذي يراد به التفكير،  
والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإشمار  
بأن الإنسانية من دواعي التفكير فيما جرى عليه من  
شؤون التكوين المنجية بالقطع عن القول بالمذكور،  
وهو السر في إسناده إلى الجنس أو إلى الفرد بذلك  
العنوان، والهمزة للإنكار التوبيخي، والواو لطف

الجملة المنفية على مقدر يدل عليه ﴿يقول﴾ أي  
أقول ذلك ولا يذكُر.

نحوه الألوسي: (١١٧: ١٦)  
البر وسوي: الهمزة للإنكار التوبيخي، والواو  
لطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه  
﴿يقول﴾. والذكر في الأصل، هو العلم بما قد  
علم من قبل ثم تحلله سهو، وهم ما كانوا عالمين،  
فالمراد به هنا: التذكُر والتفكر، والمعنى: أيقول ذلك  
ولا يتفكر. (٣٤٩: ٥)

٢ - وإفان الله الذين كفروا أن يشهدوا لك إلا هزوا  
أهذا الذي يذكُر إليهم وهم يذكُر الرخصن هم  
كافرون. الأنبياء: ٢٦

ابن عباس: ﴿يَذْكُرُ﴾ يعيب. (٢٧١)  
القرطبي: يعيب أهلككم. وكذلك قوله:  
﴿سيفعلن يذكُرهم﴾ يقال له إنهم ﴿الأنبياء: ٦٠،  
أي يعيبهم. وأنت قائل للرجل: لئن ذكرتني لندمن،  
وأنت تريد: بسوء. [ثم استشهد بشر] (٢٠٢: ٢)  
نحوه الشعبي (٢٧٥: ٦)، والألوسي (٢٤٨: ٧)،  
والقرطبي (٢٨٨: ١١).

الطبري: يعني بقوله: ﴿يَذْكُرُ إليهم﴾ بسوء  
ويعيبها، تعجباً منهم من ذلك. يقول الله تعالى ذكره:  
فيحبون من ذكرك يا محمد أهلكهم التي لا تنصر  
ولا تنفع بسوء. (٢٦: ٩)

الزجاج: المعنى: أهذا الذي يعيب أهلككم، يقال:  
فلان يذكُر الناس، أي يفتابهم ويذكُرهم بالعيوب،

ويقال: فلان يذكر الله، أي يصفه بالعظمة، ويثني عليه ويوحده. وإنما يحذف مع الذكر ما عقيل معناه. [ثم استشهد بشعر]

نحوه البهوي: (٢٨٨: ٣)

الواحد: [نقل كلام الزجاج وأضاف:]  
وعلى ما قال لا يكون الذكر في كلام العرب العيب، وحيث يراد به العيب حذف منه السوء.

(٢٣٧: ٣)

الزجاجي: المني أنهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهمهم، وما يجب أن لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء، ويؤوهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك.

ابن عطية: قوله: ﴿يَذْكُرُ﴾ لفظة تعميم المصحح والذم، لكن قرينة المقال أبدًا تدل على المراد من الذكر. وتم ما حكى عنهم في قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ﴾ (٨٢: ٤)

الطبرسي: أي يعيب آلهتهم، وذلك قوله: ﴿إِلَهُهَا﴾ جاد لا ينفع ولا يضر.

الفخر الرازي: الذكر يكون بخير وبخلافه، فإذا دلت الحال على أحدها أطلق ولم يقتد بقولك للرجل: سمعت فلانًا يذكرك، فإن كان الذكور صديقًا فهو ثناء، وإن كان عدوًا فهو ذم، ومنه قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا قُلًّا يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِنْهُمْ﴾ (٦٠: ٦٠) والمعنى أنه يبطل كونها معبودة ويقبح عبادتها.

(١٧٠: ٢٢)

نحوه السفي (٧٨: ٢)، والثيسابوري (٢٥: ١٧).

وأبو حيان (٣١٢: ٦).

البر وسوي: ﴿يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ﴾: أصنامكم بسوء، أي يبطل كونها معبودة ويقبح عبادتها. يقال: فلان يذكر الناس، أي يفتاحهم ويذكرهم بالعيوب - كما قال في بحر العلوم - وإنما أطلق الذكر لدلالة الحال، فإن ذكر السوء لا يكون إلا بدم وسوء. (٤٨٠: ٥)

ابن عاشور: [نحو الفخر الرازي وأضاف:]

وكلامهم مسوق مساق الغيظ والنصب.

(٤٨: ١٧)

الطباطبائي: حكاية كلمة استهزأتهم، والاستهزاء في الإشارة إليه بالوصف، ومرادهم ذكره آلهتهم بسوء، ولم يصرح بحوايه أدبًا مع آلهتهم، وهو نظير قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا قُلًّا يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِنْهُمْ﴾ (٢٨٨: ١٤)

فصل الله: وبهاجها ويعمل على إفساد الناس عن عبادتها في الوقت الذي لا يملك أي موقع يسمح له بذلك؟ (٢٢٣: ١٥)

ومثلها هذه الآية:

٣- قَالُوا سَمِعْنَا قُلًّا يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِنْهُمْ

الأنبياء: ٦٠

يَذْكُرُوا

١- لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ... الحج: ٢٨  
مقابل: إذا ذبحت فقل: «بسم الله والله أكبر اللهم منك وإليك» وتستقبل القبلة. (الفخر الرازي ٢٩: ٢٣)

الكَلْبِي: [مثل مُقَاتِل وَزَاد]

﴿إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الْأَنْعَام: ١٦٢. (الفخر الرازي ٢٣: ٢٩)  
أبو يعلى: يحتمل أن يكون الذكر المذكور هاهنا هو الذكر على الهدايا الواجبة، كالذم الواجب لأجل التمتع والقران، ويحتمل أن يكون الذكر المفعول عند رمي الجمار ونكبير التشريق، لأن الآية عامة في ذلك. (ابن الجوزي ٥: ٤٢٥)

الزَّجَّاج: إن الذكر هاهنا يدل على التسمية على ما ينحر، لقوله: ﴿وَعَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (٣: ٤٢٣)

الطُّوسِي: الذكر هو التكبير في أيام التشريق. (٧: ٣٦)

الزَّمْخَشَرِي: كُثِيَ عن النحر والذبح بذكر اسم الله، لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إلا انحرى أو ذبحوا. وفيه تنبيه على أن الفرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه. وقد حسن الكلام تحسباً بيننا أن جمع بين قوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَعَلَى مَا رَزَقَهُمْ﴾. ولو قيل: لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام، لم تر شيئاً من ذلك الحسن والروعة. (٣: ١١)

نحوه الفخر الرازي (٢٣: ٢٩)، ومثله (٥: ٣٢٣). ابن عطية: ﴿اسْمَ اللَّهِ﴾ يصح أن يريد بالاسم هاهنا المستمى بمعنى ويذكروا الله، على تجاوز في هذه العبارة، إلا أن يقصد ذكر القلوب.

ويحتمل أن يريد بالاسم التسميات، وذكر الله

تعالى إنما هو بذكر أسمائه، ثم بذكر القلب السلطان والصفات. وهذا كله على أن يكون «الذكر» بمعنى حمده وتقديسه، شكراً على نعمته في الرزق، ويؤيده قوله عليه: ﴿إِنَّمَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى﴾.

وذهب قوم إلى أن المراد: ذكر اسم الله تعالى على النحر والذبح، وقالوا: إن في ذكر «الأنعام» دليلاً على أن الذبح في الليل لا يجوز. وهو مذهب مالك وأصحاب الرأي. (٤: ١١٨)

الطُّبْرَسِي: قيل: إن الذكر فيها كناية عن الذبح، لأن صفة الذبح لما كان بالتسمية سمي باسمه توسعاً. وقيل: هو التكبير، قال أبو عبد الله عليه: «التكبير

بمضي عقب خمس عشرة صلاة، أوها صلاة الظهر من يوم النحر يقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أهدانا، والله أكبر على ما رزقنا من بهِيمَةِ الْأَنْعَامِ». (٤: ٨١)

ابن عَرَبِي: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ بالانصاف بصفاته. (٢: ١٠٣)

الْقُرْطُبِي: المراد بذكر اسم الله: ذكر التسمية عند الذبح والنحر، مثل قولك: باسم الله والله أكبر، اللهم منك ولك. ومثل قولك عند الذبح: ﴿إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي...﴾ الْأَنْعَام: ١٦٢، وكان الكفار يذبحون على أسماء أصنامهم، فبين الرب أن الواجب الذبح على اسم الله. (١٢: ٤١)

أبو حَيَّان: [نقل بعض الأقوال ثم قال:]

وقيل: الذكر هنا: حمده وتقديسه، شكراً على

نعمته في الرزق، ويؤيده قوله ﷺ [فيها أتيتم أكل وشرب وذكر اسم الله]. (٦: ٣٦٤)

الشريفي: أي الجامع لجميع الكمالات بالتكبير وغيره عند الذبح وغيره. [ثم نحو الزمخشري] (٢: ٥٤٩)

أبو السعود: «ويذكروا اسم الله» عند إعداد الهدايا والضحايا وذبيحتها، وفي جعله غاية للإتيان إيذان بأنه الغاية القصوى دون غيره. وقيل: هو كناية عن الذبح، لأنه لا ينفك عنه. (٤: ٣٧٨)

القاسمي: لا بعد أن تكون (على) تعليلية، والمعنى لذكروا اسم الله وحده في تلك الأتيام بمحمد وشكره وتسبيحه، لأجل ما رزقهم من تلك النعم، فإنه هو الرزاق لها وحده، والمنفصل عنهم بها. (٦: ٣٣٥)

سيد قطب: وهذه كناية عن نحر الذبائح في أتيام العيد وأتيام التشريق الثلاثة بعده. والقرآن يقدم ذكر اسم الله المصاحب لنحر الذبائح، لأن الجواز عبادة، ولأن المقصود من النحر هو التقرب إلى الله. ومن ثم، فإن أظهر ما يبرز في عملية النحر، هو ذكر اسم الله على الذبيحة، كما هو الهدف المقصود من النحر، لا النحر ذاته. (٦: ٣٣٥)

والنحر ذكرى لفداء إسماعيل عليه السلام فهو ذكرى لآية من آيات الله، وطاعة من طاعات عبده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فوق ما هو صدقة وعري لله بإطعام الفقراء. (٤: ٢٤٢)

مكارم الشيرازي: وأن يذكروا اسم الله عليها حين الذبح في أتيام محدثة معروفة. وبما أن الاحتسام الأساس في مراسم الحج، ينصب على الحالات التي يرتبط فيها الإنسان بربه، ليعكس جوهر هذه العبادة العظيمة، فتجد الآية المذكورة تقديم قربان بذكر اسم الله على الأضحية فقط، وهو أحد الشروط لقبولها من لدن العلي القدير. وهذا الذكر إشارة إلى توجه الحاج إلى الله كل التوجه عند تقديم الأضحية. وهم كسب رضى الله وقبوله القربان، كما أن الاستفادة من لحم الضحية تقع ضمن هذا التوجه. (١٠: ٢٩)

٢- وَيُكَلِّمُ أُمَّةً جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ الْإِنْعَامِ... الحج: ٣٤

القشيري: ذكر اسم الله على ما رزقهم على أقسام: منها: معرفتهم إنعام الله بذلك عليهم؛ وذلك من حيث الشكر ثم يذكرون اسمه على ما وفقهم لمعرفة بآية هو الذي يتقبل منهم، وهو الذي يتوبهم. (٤: ٢١٥)

ابن الجوزي: المراد من الآية: أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة. (٥: ٤٣٦)

الفخر الرازي: فالمعنى: شرعنا لكل أمة من الأمم السالفة - من عهد إبراهيم عليه السلام إلى من بعده - ضرباً من القربان، وجعل العلة في ذلك أن يذكروا اسم الله - تحسنت أسمائه - على المناسك، وما كانت العرب

تذبحه للصنم يستى العثر والعثرة كالذبح والذبيحة.  
(٣٤: ٢٣)

ابن عسري: ﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ بالانصاف  
بصفاته، التي هي مظاهرها في التوجه إلى التوحيد.

(١٠٦: ٢)

البيضاوي: خاصة دون غيره، ويجعلون  
تسميتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على أن المقصود  
من المناسك تذکر المعبود على ما رزقهم، من بيممة  
الأنعام عند ذبحها.

نحوه أبو السعود (٤: ٣٨١)، والكاشاني (٣: ٣٧٨)  
والبروسوي (٦: ٢٣)، والآلوسي (١٧: ١٥٤).

التسقي: أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده،  
فلأن إلهكم إله واحد، وفيه دليل على أن ذكر اسم الله  
شرط الذبح، يعني أن الله تعالى شرع لكل أمته أن  
يتسكوا له، أي يذبحوا له على وجه التصريح، ويجعل  
العللة في ذلك أن يذكروا اسمه - تهدست أسماءه - على  
التسائك.

نحوه القاسمي: (١٢: ٤٣٤٣)

أبو حيان: معناه: أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله،  
وأن يكون الذبح له، لأنه رازق ذلك. (٦: ٣٦٩)  
الشربيني: يقولون عند التحنن: الله أكبر لا إله إلا  
الله والله أكبر، اللهم منك وإليك. (٢: ٥٥٢)

المراغي: أي وإنما شرعنا لهم ذلك كي يذكروا  
الله حين ذبحها، ويشكروه على ما أنعم به عليهم؛ إذ  
هو المقصود الأهم. (١٧: ١١٢)

فضل الله: فعلهم أن يذبحوها لله، لا للأصنام.

ويذكروا عليها اسمه، دلالة على الإخلاص له.

(١٦: ٦٧)

## يَذْكُرُونَ

١- الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى  
جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّمَا  
مَا خَلَقَتْ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

آل عمران: ١٩١

ابن مسعود: من لم يستطع أن يصلي قائما صلى  
قاعدا، وإلا مضطجعا. (الثعالب: ١: ٥٢٣)

إنها في المريض الذي تختلف أحواله بحسب  
إمكاناته. (ابن العربي: ١: ٣٠٤)

نحوه ابن عباس والبخاري وقشادة (التعليق: ٣:  
١٢٤٤) والفتي (١١: ١٢٩).

ابن عباس: يصلون الله. (٦٣)

الحسن: قوله: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ إلى آخره، إنما  
هو عبارة عن الصلاة، أي لا يضيعونها، فهي حال  
المذر يصلونها قعودا أو على جنوبهم.

(القرطبي: ٤: ٣١١)

الإمام الباقر عليه السلام: الصحيح يصلي قائما وقعودا  
والمريض يصلي جالسا، ﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾: أضعف  
من المريض الذي يصلي جالسا. (العياشي: ١: ٣٥٧)

[وفي رواية أخرى: لا يزال المؤمن في صلاة ما  
كان في ذكر الله، إن كان قائما أو جالسا أو مضطجعا،  
لأن الله يقول: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا  
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾. (العياشي: ١: ٣٥٦)

قَتَادَةَ: هذه حالها بما ابن آدم، فاذكره وأنت على جنبك، يسراً من الله وتخفياً.

(الطبري ٣: ٥٥٠)

ابن جُريج: هو ذكر الله في الصلاة وفي غير الصلاة، وقراءة القرآن.

(الطبري ٣: ٥٥٠)

الطبري: يعني بذلك قياماً في صلاتهم، وقعوداً في تشهدهم وفي غير صلاتهم، وعلى جنوحهم قياماً.

(٣: ٥٥٠)

الزجاج: إلهم يذكرون الله في جميع أحوالهم... وقد قال بعضهم: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُسُوبِهِمْ﴾ أي يصلون على جميع هذه الأحوال على قدر إمكانهم في صحتهم وسقمهم.

وحقيقته عندي - والله أعلم - أنهم موحدون لله.

وحيث أنه علم - والله أعلم - أنهم موحدون لله، فإن كل حال.

لحمه الواحد.

الثقاس: في معنى الآية قولان:

أحدهما: [قول ابن مسعود]

والقول الآخر: أنهم الذين يوحدون الله عز وجل

على كل حال، ويذكرونه. والقول الأول ليس

بصحيح الإسناد.

وأيضاً فإن الله تعالى إنما وصف أولي الأبواب

بالذكر له على كل الأحوال التي يكون الناس عليها،

ويبين لك هذا حديث ابن عباس حين بات عند النبي

ﷺ قال: «فاستوى على فراشه فاعداً ثم رفع رأسه

إلى السماء، ثم قال: سبحان الملك القدوس ثلاث

مرات، وقرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حتى

ختم السورة». (١: ٥٢٤)

ابن قورك: المعنى قياماً بحق الذكر وقعوداً عن

الدعوى فيه. (ابن العربي ١: ٣٠٤)

الشعلي: [نقل قول التميمي وقَتَادَةَ ثُمَّ قَالَ:]

وقال سائر المفسرين: أراد به ذكر الله تعالى،

وصفهم بالمداومة عليه، إذ الإنسان قلماً يخلو من

معنى هذه الحالات الثلاث، نظيره قوله في سورة

النساء: ١٠٣: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ لِيَنَاسَ

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُسُوبِكُمْ...﴾

عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ «من

أراد أن يرتفع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله».

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «ذكر الله تعالى

عظم الإيمان، وبُره من التناق، وحصن من الشيطان،

وسيلة من التيران».

(١: ٥٢٤)

قال محمد بن قيس: يا موسى اجعلني منك

على بالٍ ولا تنس ذكرني على كل حال، وليكن هناك

ذكرني فإن الطريق إليّ.

(٣: ٢٣١)

الطوسي: أي هؤلاء يستدلون على توحيد الله

بخلقه السماوات والأرض، وأنهم يذكرون الله في

جميع أحوالهم قياماً وقعوداً، وهو نصب على الحال.

[إلى أن قال:]

فبين تعالى أن هؤلاء المستدلين على حقيقة

توحيد الله يذكرون الله في سائر الأحوال.

وقال قوم: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

جُسُوبِهِمْ﴾ أي يصلون على قدر إمكانهم في صحتهم

وسقمهم، وهو المروي في أخبارنا.



ولا تنافي بين التأويلين، لأنه لا يمتنع أن يصفهم بأنهم يفكرون في خلق السموات والأرض في هذه الأحوال، ومع ذلك يصلون على هذه الأحوال في أوقات الصلوات، وهو قول ابن جرير وقادة.

(٨١: ٢)

نحوه الطبرسي: استغرق الذكر جميع أوقاتهم؛ فإن قاموا فذكروه، وإن قعدوا أو ناموا أو سجدوا فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذكر، فيقومون بحق ذكره ويقعدون عن إخلاف أمره، ويقومون بصفاء الأحوال ويقعدون عن ملاحظتها، والدعوى فيها.

ويذكرون الله قياماً على بساط الخدمة، ثم يقعدون على بساط القرية.

ومن لم يسلم في بداية قيامه عن التصير، لم يسلم له قصود في نهايته بوصف الحضور.

والذكر طريق الحق سبحانه، فما سلك المريدون طريقاً أصح وأوضح من طريق الذكر، وإن لم يكن فيه سوى قوله: «أنا جليس من ذكرني» لكان ذلك كافياً.

والذاكرون على أقسام؛ وذلك لتباين أحوالهم. فذكر يوجب قبض الذاكر لما يذكره من نقص سلف له، أو قبح حصل منه، فيمنعه خجله عن ذكره، فذلك ذكر قبض.

وذكر يوجب بسط الذاكر لما يجد من لذائذ الذكر. ثم تهرب الحق إياه بجميل إقباله عليه.

وذاكر هو محو في شهود مذكوره؛ فالذكر يمحي

على لسانه عادة، وقلبه مضطرب فيما بدا له. وذاكر هو محل الإجلال، يأنف من ذكره ويستغفر وصفه، فكأنه لتصاغره عنه لا يريد أن يكون له في الدنيا والآخرة ثناء ولا بقاء، ولا كون ولا بقاء. قال قائلهم:

ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني

قلبي وروحي وسرّي عند ذكراك  
حق كأن رفيقاً منك يهتف بي

إياك وبجلك والتذكار إياك والذكر عنوان الولاية، وبيان الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلامة صحة البداية، ودلالة صفاء النهاية، فليس وراء الذكر شيء، وجميع الخصال المحسودة واجبة إلى الذكر، ومشتاة عن الذكر. (٣١٦: ١)

الزمخشري: ذكر دائماً على أي حال، كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في أغلب أحوالهم.

وعن ابن عمر وعروة ابن الزبير وجماعة: أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلّى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم: أما قال الله تعالى: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ فقاموا يذكرون الله على أقدامهم.

وعن النبي ﷺ: «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله».

وقيل: معناه يصلون في هذه الأحوال على حسب استطاعتهم. قال رسول الله ﷺ لعمران بن الحصين: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب تؤمن بإيماء».

(٤٨٨: ١)

نحوه البضاوي (١: ١٩٨)، والتسليم (١: ٢٠٠)،  
والشريفي (١: ٢٧٤).

ابن العربي: فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: فيها أربعة أقوال:

الأول: الذين يذكرون الله في الصلاة المشتملة  
على قيام وقعود ومضطجعين على جنوبهم.

الثاني: [قول ابن مسعود]

الثالث: أنه الذكر المطلق.

الرابع: [قول ابن فورك]

المسألة الثانية: في الأحاديث المناسبة لهذا المعنى.

وهي خمسة:

الأول: روى الأئمة عن ابن عباس، قال: بث عند  
خالتي ميمونة، وذكر الحديث إلى قوله: فاستفظ  
رسول الله ﷺ وجعل يمسح التوم عن وجهه  
ويقول: «إِنِّي خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجَنَّةَ  
وَالنَّارَ عَلَى كَلِمَةٍ».

الثاني: روى البخاري وأبو داود والتسائي  
وغيرهم عن عمران بن حصين أنه كان به ناسور،  
فسأل النبي ﷺ فقال: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِن لَمْ يَسْتَطِعْ  
فَقَاعِدًا، فَإِن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ».

الثالث: روى الأئمة منهم مسلم: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ  
كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانَةٍ».

الرابع: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَحْجِزُهُ عَنْ قِرَاءَةِ  
الْقُرْآنِ شَيْءٌ لَيْسَ الْجَنَابَةُ».

الخامس: روى أبو داود أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَسْنَى  
وَحَلَّ اللَّحْمَ أَخَذَ عَمُودًا فِي مَصَلَاةٍ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ.

المسألة الثالثة: الصحيح أن الآية عامة في كل  
ذكر، وقد روي عن مالك: من قَدَّرَ صَلَّى قَائِمًا، فَإِن  
لَمْ يَقْدِرْ صَلَّى مُعْتَمِدًا عَلَى عَصَا، فَإِن لَمْ يَقْدِرْ صَلَّى  
جَالِسًا، فَإِن لَمْ يَقْدِرْ صَلَّى نَائِمًا عَلَى جَنْبِهِ الْيَمِينِ، فَإِن  
لَمْ يَقْدِرْ صَلَّى عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْسَرِ وَرَوَى عَلَى ظَهْرِهِ...  
والصحيح الجنب، واختلف قول مالك فيه، وما  
وافق الحديث فيه أولى، وهو مبني في المسائل.

(١: ٣٠٤)

ابن عطاء: هذا وصف ظاهره استكمال التعميد  
والتهليل والتكبير ونحوه من ذكر الله، وأن يحضر  
القلب اللسان، وذلك من أعظم وجوه العبادات  
والأحاديث في ذلك كثيرة، وابن آدم منتقل في هذه  
الثلاث المرات لا يخلو في غالب أمره منها، فكأنها  
مستحسنة، وكذلك جرت عائشة رضي الله عنها إلى  
حجر الزمزم في قولها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ  
عَلَى كُلِّ أَحْيَانَةٍ» فدخل في ذلك كونه على الخلاء  
وغير ذلك.

وذهبت جماعة من المفسرين إلى أن قوله:  
«الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ» إنما هو عبارة عن الصلاة، أي  
لا يضجعونها، ففي حال العذر يصلونها فعودًا وعلى  
جنوبهم، قال بعضهم: وهي كقوله تعالى: «فَإِذَا قَضَيْتُمُْ  
الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ» النساء: ١٠٣، هذا تأويل من  
تأول هناك «فَقَضَيْتُمْ» بمعنى أدبتم، لأن بعض الناس  
يقول: «فَقَضَيْتُمْ» هناك بمعنى فرغتم منها، فإذا كانت  
هذه الآية في الصلاة ففهمها أن الإنسان يصلي قائمًا،  
فإن لم يستطع فقاعدًا، ظاهر المدونة: متربعا. [ثم نقل]

بعض الأقوال في ذلك]

(٥٥٤: ١)

ابن الجوزي: في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

أحدها: [قول ابن مسعود وابن عباس وقادة].

والثاني: أنه الذكر في الصلاة وغيرها، وهو قول

طائفة من المفسرين.

والثالث: أنه الخوف، فالمعنى يخافون الله قيامًا في

تصرفهم، وقعودًا في دعوتهم وعلى جنوبهم في منامهم.

(٥٢٧: ١)

الفخر الرازي: اعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل

الإلهية والقدرة والحكمة، وهو ما يتصل بتقرير

الربوبية، ذكر بعدها ما يتصل بالعبودية، وأصناف

العبودية ثلاثة أقسام:

التصديق بالقلب، والاعتراف باللسان، والعمل

بالمجوارح، فقوله تعالى: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ إشارة إلى

عبودية اللسان، وقوله: ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

جَنُوبِهِمْ﴾ إشارة إلى عبودية المجوارح والأعضاء،

وقوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾

إشارة إلى عبودية القلب والفكر والروح.

والإنسان ليس إلا هذا المجموع، فإذا كان اللسان

مستغرقًا في الذكر، والأركان في الشكر، والجنان في

الفكر، كان هذا العبد مستغرقًا بجميع أجزائه في

العبودية. فالآية الأولى دالة على كمال الربوبية،

وهذه الآية دالة على كمال العبودية، فما أحسن هذا

الترتيب في جذب الأرواح من الخلق إلى الحق؟ وفي

نقل الأسرار من جانب عالم الغرور إلى جانب الملك

المتفورا

وتقول في الآية مسائل:

المسألة الأولى: للمفسرين في هذه الآية قولان:

الأول: أن يكون المراد منه كون الإنسان دائم

الذكر لربه، فإن الأحوال ليست إلا هذه الثلاثة، ثم

لما وصفهم بكونهم ذاكرين فيها، كان ذلك دلالة على

كونهم مواظبين على الذكر، غير فائتين عنه ألبتة.

والقول الثاني: أن المراد من الذكر: الصلاة،

والمعنى: أنهم يصلّون في حال القيام، فإن عجزوا ففسي

حال القعود، فإن عجزوا ففسي حال الاضطجاع،

والمعنى: أنهم لا يتركون الصلاة في شيء من الأحوال.

والحمل على الأول أولى، لأن الآيات الكثيرة

ناطقة بفضيلة الذكر، وقال عليه الصلاة والسلام:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْتَعَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَلْيُكثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ».

المسألة الثانية: يحتمل أن يكون المراد بهذا الذكر

هو الذكر باللسان، وأن يكون المراد منه الذكر

بالقلب، والأكمل أن يكون المراد الجمع بين

الأمرين (١٣٥: ٩)

أبو حيان: [نحو ابن عطية وأضاف:]

وقيل: المراد بالذكر صلاة التفل يصلّيها كيف

شاء. وجلب المفسرون في هذه الآية أشياء من كيفية

إيقاع الصلاة في القيام والقعود والاضطجاع،

وخلاف الفقهاء في ذلك، ودلائلهم؛ وذلك مقرر في

علم الفقه.

وعلى الظاهر من تفسير «الذكر» فتقديم القيام،

لأن الذكر فيه أخف على الإنسان، ثم انتقل إلى حالة

القعود والذكر فيه أشق منه في حالة القيام، لأن

الإنسان لا يقعد غالباً إلا لشغل يشغل به من صناعة أو غيرها. ثم انتقل إلى هيئة الاضطجاع والذكر فيها أشق منه في هيئة القعود، لأن الاضطجاع هو هيئة استراحة وفراغ عن الشواغل. ويمكن في هذه الهيئات أن يكون التقديم لما هو أقصر زماناً، فهدئ بالقيام لأنها هيئة زمانها في الغالب أقصر من زمان القعود، ثم بالقعود إذ زمانه أطول، وبالاضطجاع إذ زمانه أطول من زمان القعود. ألا ترى أن الليل جمعه هو زمان الاضطجاع، وهو مقابل لزمان القعود والقيام، وهو التهار؟

وأما إذا كان «الذكر» يراد به الصلاة المفروضة، فالهيئات جاءت على سبيل التدرج. فمن قدر على القيام لا يصلي قاعداً، ومن قدر على القعود لا يصلي مضطجعا.

وأما إذا كان يراد به صلاة النفل فالهيئات على سبيل الأفضلية، إذ الأفضل الانتقال قائماً ثم قاعداً ثم مضطجعا.

وأبعد في التفسير من ذهب إلى أن المعنى: يذكرون الله قياماً بأوامره وقعوداً عن زواجره، وعلى جنوحهم أي تجانبهم مخالفة أمره ونهييه. وهذا غريب بكلام أرباب القلوب، وقريب من الباطنية. (١٣٨: ٤)

أبو السعود: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ الموصول إنما موصول بأولي الألباب، بمرور على أنه نصت كاشف له بما في حيز الصلاة، وإنما مفصول عنه مرفوع، أو منصوب على المدح، أو مرفوع على أنه خير لمبدأ محذوف. وقيل هو مرفوع على الابتداء، والخبر هو

القول المقدّر قبل قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا﴾ وفيه من تفكيك القلم الجليل ما لا يخفى.

وأياً ما كان فقد أشير بما في حيز صلته أن المراد بهم: الذين لا يخلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم، لا طمئنان قلوبهم بذكره، والمستغرق سرائرهم في مراقبته لما أيقنوا، بأن كل ما سواه فائض منه، وعائد إليه، فلا يشاهدون حالاً من الأحوال في أنفسهم، وإليه أشير بقوله عز وجل: ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ولا في الآفاق، وإليه أشير بما بعده إلا وهم يعانون في ذلك شأناً من شؤنه تعالى، فالمراد به: ذكره تعالى مطلقاً سواء كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات والأفعال، وسواء قارنه الذكر أم لا.

وأما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم، من أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلّى، فجعلوا يذكرون الله تعالى، فقال بعضهم: أما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾؟ فقاموا يذكرون الله على أقدامهم، فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على القيين، إنما أرادوا به التبرك بنبوع موافقة لها، في ضمن الإتيان بفرد من أفراد عدلوها.

وأما حمل الذكر على الصلاة في هذه الأحوال حسب الاستطاعة، كما قال عطاء لعمران بن الحصين: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب ثمومين (يعاء)»، فمما لا يساعده سباق القلم الجليل ولا سياقه. (٨١: ٢)

الكاشاني: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ في جميع الأحوال، وعلى جميع الهيئات. (٣٧٧:١)

مثله شبر. (٤١٢:١)

الآلوسي: والظاهر أن المراد من الذكر: الذكر باللسان، لكن مع حضور القلب؛ إذ لا يمدح بالذكر بدون، بل أجمعوا على أنه لا تنوب لذاكر غافل، وإليه ذهب كثير، وعدا بن جريج قراءة القرآن ذكراً فلا تكرر له المضطجع القادر، نعم نص بعض الشافعية على كراهتها له إذا غطى رأسه للتوم.

وقال بعض المحققين: [وذكر نحو أبي السعود إلى قوله: فرد من أفراد مدلولها ثم قال:]

وليس مرادهم به تفسيرها وتحقيق مصداقها على القمين، وإلا لأضطلعوا وذكروا أيضاً، ليتم التفسير وتحقيق المصداق.

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن طريق جوير، عن الضحاك عن ابن مسعود في الآية، أنه قال: إنما هذا في الصلاة إذ لم تستطع قائماً فقاعد، وإن لم تستطع قاعداً فعلى جنب. وكذلك أمر عمار بن حصين وكانت به بواسير، كما أخرجه البخاري عنه.

وبهذا الخبر احتج الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه على أن المريض يصلي مضطجعا على جنبه الأيمن مستقبلاً بقدم يده، ولا يجوز له أن يستلقي على ظهره، على ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه، وجعل الآية حجة على ذلك - بناءً على أنه لما حصر أمر الذّاكر في الهيئات المذكورة، دلّ على

أن غيرها ليس من هيئته، والصلاة مشتملة على الذكر، فلا ينبغي أن تكون على غير هيئته - محل تأمل. وتخصيص ابن مسعود بالذكر بالصلاة لا يتنهض حجة، على أنه بعيد من سياق النظم الجليل وسبأه. [إلى أن قال:]

والمراد من ذكر هذه الأحوال الإشارة إلى الدوام، وانتهامه منها عرفاً بما لا شبهة فيه. وليس المراد الدوام الحقيقي لاستحالة، بل في غالب أحوالهم، وبعضهم يأخذ الدوام من المضارع الدال على الاستمرار. وكيفما كان فالمراد: يذكرون الله تعالى كثيراً.

(١٥٨:٤)

رشيد رضا: والذكر في الآية على عمومه لا يخص بالصلاة، والمراد به ذكر القلوب، وهو إحصار لتمامي في النفس وتذكر حكمه، وفعله، ونعمه في حال القيام والقعود، والاضطجاع. وهذه الحالات الثلاث التي لا يخلو العبد عنها تكون فيها السماوات، والأرض معه لا يتفارقان، والآيات الإلهية لا تظهر من السماوات والأرض إلا لأهل الذكر، فكأن من عالم يقضي ليله في رصد الكواكب، فيعرف منها ما لا يعرف الناس، ويعرف من نظامها، وسننها، وشرائعها ما لا يعرف الناس، وهو يتلذذ بذلك العلم، ولكنه مع هذا لا تظهر له هذه الآيات لأنه منصرف عنها بالكلية. (٢٩٨:٤)

المراغي: إنهم هم الذين لا يفكرون عنه تعالى في عامة أوقاتهم باطمئنان قلوبهم بذكره، واستغراق سرائرهم بمراقبته. (١٦٢:٤)

ابن عاشور: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ إِمَّا مِنَ الذِّكْرِ اللِّسَانِيِّ وَإِمَّا مِنَ الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ وَهُوَ التَّفَكُّرُ. وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿فِي مَآثِرٍ وَقُوَّةٍ أَوْ عَلَى جَنُوبِهِمْ﴾ عَمُومَ الْأَحْوَالِ، كَقَوْلِهِمْ: ضَرَبَهُ الظَّهْرُ وَالْبَطْنُ. وَقَوْلُهُمْ: اشْتَهَرَ كَذَا عِنْدَ أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ. عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالُ هِيَ مُتَعَارِفُ أَحْوَالِ الْبَشَرِ فِي السَّلَامَةِ، أَيْ أَحْوَالِ الشُّغْلِ وَالرَّاحَةِ وَقَصْدِ التَّوَمُّ.

وقيل: أَرَادَ أَحْوَالَ الْمُصَلِّينَ: مِنْ قَادِرٍ، وَهَاجِرٍ، وَشَدِيدِ الْعُجْزِ. وَسَبَّاقِ الْآيَةُ بِمَعْنَى هَذَا الْمَعْنَى.

(٣: ٨-٣٠)

مكارم الشيرازي: لقد أشير في هذه الآية إلى الذِّكْرِ أَوَّلًا، ثُمَّ إِلَى الْفِكْرِ ثَانِيًا، وَبِمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي، إِنَّ الذِّكْرَ إِذَا مَا يُعْلَى ثَمَّارَهُ الْقِيَمَةَ إِذَا كَانَ مُقْتَرِنًا بِالْفِكْرِ، كَمَا أَنَّ التَّفَكُّرَ فِي خَلْقِ السَّعَاءِ وَالْأَرْضِ هُوَ الْآخِرُ لَا يُجْدِي وَلَا يُوَصِّلُ إِلَى التَّحْقِيقِ الْمَتَوَحَّاةِ، مَا لَمْ تَقْتَرِنْ عَمَلِيَّةَ التَّفَكُّرِ بِعَمَلِيَّةِ التَّذَكُّرِ، وَبِالْثَّانِي لَا يَفْرَنُ الْفِكْرُ بِالذِّكْرِ، فَمَا أَكْثَرَ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ يَقِفُونَ - فِي تَحْقِيقَاتِهِمُ الْفَلَكِيَّةَ وَالْفَضَائِيَّةَ - عَلَى مَظَاهِرِ رَائِعَةٍ مِنَ النِّظَامِ الْكَوْنِيِّ الْبَدِيعِ، وَلَكِنَّهُمْ حِينَ لَا يَتَذَكَّرُونَ اللَّهَ وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى كُلِّ هَذِهِ الْمَظَاهِرِ بِمَنْظَارِ الْمُوَحِّدِ الْفَاحِصِ، بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا مِنَ الزَّوَايَا الْعِلْمِيَّةِ الْمَجْرُودَةِ الْبَحْثَةِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَقْطِفُونَ مِنْ هَذِهِ التَّحْقِيقَاتِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الثَّمَائِجِ التَّزْوِيَّةِ وَالْآثَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمِثْلُهُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلُ مَنْ يَأْكُلُ طَعَامًا لِقَوِيٍّ بِهِ جِسْمُهُ، فَلَا يَكُونُ لَمَّا يَأْكُلُهُ أَيْ أُنْزِلَ فِي تَقْوِيَّةِ فِكْرِهِ وَرُوحِهِ.

(٣: ٤٧)

فضل الله: لَا تُهْمُ بِرُوحِهِ فِي كُلِّ ظَاهِرَةٍ خَارِجٍ نِطَاقِ الْجِسْمِ، وَفِي كُلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكَاتِ الْجَسَدِ فِي دَاخِلِهِ وَخَارِجِهِ، فَلَا يَغِيبُ عَنْهُمْ لَحْظَةٌ وَاحِدَةٌ، لِأَنَّهُ يَمْلِكُ عَلَيْهِمُ الْحَسَّ وَالشُّعُورَ. وَإِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّ هَذَا الذِّكْرَ لَا يَتَحَوَّلُ إِلَى حَالَةٍ صُوفِيَّةٍ مُتَشَبِّهَةٍ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَخْرُقُ فِي الذَّاتِ، فِي مِثْلِ الْغَيْبِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي تَرْبِطُهُ بِعَدَمِ الْوَعْيِ بَلْ يَتَحَوَّلُ إِلَى وَعْيٍ كَامِلٍ لِلْكَوْنِ مِنْ خِلَالِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ الْقَادِرَ الْعَلِيمَ الْحَكِيمَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا عَبَثًا، فَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ خَاضِعٌ لِحِكْمَةٍ خَفِيَّةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ. إِنَّهَا الْفِكْرَةُ الْإِجْمَالِيَّةُ الَّتِي تَحْكُمُ التَّصَوُّرَ الْإِنْسَانِيَّ فِي شَخْصِيَّةِ الْمُؤْمِنِ.

(٦: ٤٥٦)

٢- إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُسْرَءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا. النساء: ١٤٢

رشيد رضا: قيل: معناه أَنَّهُمْ لَا يَنْطَقُونَ إِلَّا بِالْأَذْكَارِ الْجَهْرِيَّةِ الَّتِي يَسْمَعُهَا النَّاسُ كَالْتَكْبِيرَاتِ، وَقَوْلُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ «عِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ الرُّكُوعِ، وَالسَّلَامِ».

وقيل: إِنَّ الْمُرَادَ بِالذِّكْرِ هُنَا: ذِكْرُ النَّفْسِ، وَإِنَّمَا يَقَعُ هَذَا مِنَ الْمَرَاتِبَيْنِ دُونَ الْجَاهِدَيْنِ.

وقيل: إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ الصَّلَاةُ، أَيْ لَا يُصَلُّونَ إِلَّا قَلِيلًا. وَذَلِكَ إِذَا أَدْرَكَتْهُمْ الصَّلَاةُ وَهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ قَرِيبَةٌ، وَبِجُوزِ أَنْ تُرَادَ كُلُّهَا مِنَ اللَّفْظِ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، وَلَعَلَّ الْقَوْلَ الثَّانِي أَقْوَاهَا.

هذه حال منافقي الصدر الأول، ومنافقو هذا العصر الأخير شر منهم لا يقومون إلى الصلاة اليقظة، ولا يرون للمؤمنين قيمة في دنياهم فبرأؤهم فيها، وإنما يقع الرياء بالصلاة من بعضهم إذا صاروا وزراء، وحضروا مع السلاطين والأمراء بعض المواسم الدينية الرسمية. (٤٧١: ٥)

راجع: ق ل ل: «قليلًا».

٣... وَأَقَامَ حُرُمَتَ ظُهُورِهَا وَأَقَامَ لَا يَذْكُرُونَ  
اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفتشرون.  
الأنعام: ١٣٨

ابن عباس: إذا حملت ولا إذا ركبت وهي البحيرة. (١٢: ٢)

الضحاك: هي التي إذا ذكرها أهلوا الطهارة بأصنامهم، ولا يذكرون اسم الله عليها. (الطبري: ٤: ١٩٦)

نحو الواحدي (٣٢٨: ٢)، والبيهقي (١٩٣: ٢)، والقرطبي (٩٥: ٧)، والنسفي (٣٦: ٢).

السدي: الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها، فلاهم أولادوها ولاهم نحرورها. (٢٥٢)

ابن قتيبة: يعني البحيرة، لأنها لا تتركب ولا يحمل عليها شيء، ولا يذكرون اسم الله عليها. (١٦١) أبو وائل: هي البحيرة، كانوا لا يحبون عليها.

(الطبري: ٥: ٢٥٦)

الطبري: حرّموا [الجهلة من المشركين] من أصنامهم أنصامًا آخر، فلا يحبون عليها، ولا يذكرون

اسم الله عليها إن ركبوها بحال، ولا إن حملوها، ولا إن حملوا عليها. (٣٥٥: ٥)

الثعالب: قيل: معنى ﴿وَأَقَامَ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ الساتية، لأنها لا تتركب، فيذكر اسم الله عليها. وقيل: يذبحونها لأصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها. (٤٩٧: ٢)

الماوردي: وهي قربان أو ثانم يذكرون عليها اسم الأوثان، ولا يذكرون عليها اسم الله تعالى.

(١٧٦: ٢) نحوه ابن الجوزي. (١٣٢: ٣)

الزمخشري: ﴿وَأَقَامَ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في النبح، وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام. وقيل: لا يحبون عليها ولا يلبثون على ظهورها.

(٥٥: ٢)

مثل المفسر الرازي (٢٠٧: ١٣)، ونحو البيضاوي (٣٣٣: ١)، وأبو السعود (٤٥٠: ٢)، والمراغي (٨: ٤٦)، ومكارم الشيرازي (٤٤٣: ٤).

ابن عطية: قيل: كانت لهم ستة في أنصام ما أن لا ينجح عليها، فكانت تتركب في كل وجه إلا في الحج، لذلك قوله: ﴿وَأَقَامَ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾. هذا قول جماعة من المفسرين، ويروى ذلك عن أبي وائل. وقالت فرقة: بل ذلك في الذبائح، يريد أنهم جعلوا لأصنامهم منها نصيبًا، لا يذكرون الله على ذبحها.

(٣٥١: ٢)

الشريبي: [نحو الزمخشري وأضاف:] ولا يركبونها لفعل خير، لأن العادة لما جرت

الله تحريم ذكر اسمه على ما يقرب لغيره لولا أنهم يزعمون أن ذلك من القران الذي يرضي الله تعالى. لأنه لشركائه، كما كانوا يقولون: «لهيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، فتلكه وما ملك».

وعن جماعة من المفسرين، منهم أبو وائل: الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها، كانت لهم ستة في بعض الأنعام أن لا ينجع عليها، فكانت تركب في كل وجه إلا الحج، وأنها المراد بقوله: ﴿وَالْقَامُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ لأن الحج لا يخلو من ذكر الله حين الكون على الراحلة، من تلبية وتكبير، فيكون ﴿لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، كناية عن منع الحج عليها.

والظاهر أن هذه هي الحاسي والبحيرة والسائية. لأنهم لما جعلوا نعلها للأنعام، لم يميزوا أن تستعمل في غير خدمة الأنعام.

وقوله ﴿وَالْقَامُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، معطوف على قوله: ﴿وَالْقَامُ حُرِّقَتْ ظُهُورُهَا﴾، وهو عطف صنف على صنف، بقرينة استيلاء أوصاف المعطوف عليه، كما تقدم في نظيره. (٨١: ٧) الطبا طبائي: أي وهم أنعام وهي الأنعام التي كانوا يعلون عليها بأصنامهم لا باسم الله. وقيل: هي التي كانوا لا يركبونها في الحج، وقيل: أنعام كانوا لا يذكرون اسم الله عليها، ولا في شأن من شؤونها.

(٣٦٢: ٧)

سوا إذا ذكروا ولا يذكرون. الصفات: ١٣ ابن عباس: ﴿وإذا ذكروا﴾: وعظوا بالقرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ لا يخطون.

(٣٧٤)

بذكر الله على الخير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير، ونسبوا ما فعلوه إلى الله تعالى. (٤٥٢: ١)

البر وسوي: صفة له ﴿الْقَامُ﴾ لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره، بل مسوق من جهته تعالى تبييناً للموصوف، وتمييزاً له من غيره، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ النساء: ١٥٧، على أحد التفاسير، كأنه قيل: وأنعام ذبحت على الأصنام، فلأنها التي لا يذكرون اسم الله عليها الأصنام. (١١٠: ٣)

نحو الألوسي.

رشيد رضا: أنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح، بل يعلون بها لأصنام وحدها. وعن أبي وائل: كانوا لا يحبون عليها فلا يعلون على ظهورها.

وقال مجاهد: كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم

الله عليها ولا في شيء من شأنها، لا إن ركبوها ولا إن حملوها ولا إن سحروا ولا إن عملوا شيئاً.

(١٢٨: ٨)

سيد قطب: قالوا: هذه لا يذكرون اسم الله عليها عند ركوبها ولا عند حلبها، ولا عند ذبحها، إنما تذكرون أسماء الآلهة وتخلص لها كل ذلك ﴿الْفِرَاءَ عَلَى اللَّهِ﴾. (١٢٢٠: ٣)

ابن عاشور: أي لا يذكرون اسم الله عند نحرها أو ذبحها، يزعمون أن ما أهدي للجن أو للأنعام يذكرون عليه اسم ما قرب له، ويزعمون أن الله أمر بذلك لتكون خالصة القران لما عنت له، فلاجل هذا الزعم قال تعالى: ﴿الْفِرَاءَ عَلَيْهِ﴾: إذ لا يقبل أن ينسب إلى



مثله التعلبي (٨: ١٤١)، والواحدى (٣: ٥٢٣)،  
والهوي (٤: ٢٨)، والشريفي (٣: ٣٧٣).

سعيد بن جبير: وإذا ذكروا بمن هلك من الأمم  
لا يبصرون. (المأزدي ٥: ٤١)

قناة: أي لا ينتصمون ولا يبصرون.

(الطبري ١٠: ٤٧٧)

وإذا ذكروا بما نزل من القرآن لا ينتصمون.

(المأزدي ٥: ٤١)

الطبري: يقول تعالى ذكره: وإذا ذكر هؤلاء  
المشركون حُجج الله عليهم ليحتمروا ويغفروا، فنبهوا  
إلى طاعة الله ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾. يقول: لا ينتصمون  
بالتذكير فيتذكروا. (١٠: ٤٧٧)

الطوسي: ﴿وإذا ذكروا﴾ بآيات الله وحججه  
وحواسنهم ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ أي لا ينتصرون  
ولا ينتصمون بها. (٨: ٤٨٧)

نحوه الطبرسي: إذا ذكروا بآياته، يمرضون عن الإيمان  
بها والتفكر فيها، ويقولون: ليس هذا الذي أتى به  
محمد إلا سحراً ظاهراً. (٥: ٢٢٩)

الزمخشري: ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء  
لا يمتصون به. (٣: ٣٣٧)

مثله التلبي: (٤: ١٨)

ابن الجوزي: [مثل ابن عباس وأضاف]:  
وقرأ سعيد بن جبير، والضحاك، وأبو التوكل،  
وعاصم الجعدي، وأبو عمران: (ذكرُوا) بتخفيف  
الكاف. (٧: ٥١)

البيضاوي: وإذا وعظوا بشيء لا يمتصون به، أو  
إذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتصمون به  
لبلاذتهم وقلة فكرهم. (٢: ٢٩٠)

نحوه أبو السعود. (٥: ٣٢١)

البروسوي: [نحو الزمخشري وأضاف]:

وفيه إشارة إلى أنهم نسوا الله غاية النسيان بحيث  
لا يذكرونه، ﴿وإذا ذكروا﴾ يعني بالله تعالى  
لا يذكرون. (٧: ٤٥٢)

الآلوسي: [نحو البيضاوي وأضاف]:

واستفادة الاستمرار من مقام الذم، ولعل في (إذا)  
والعطف على الماضي ما يؤيده، وقرأ ابن حنبل  
(ذكرُوا) بتخفيف الكاف. (٢٣: ٧٧)

المراغي: أي هم لقسوة قلوبهم إذا وعظوا  
لا تنفعهم العظة، لأنه قد ران على قلوبهم ما كانوا  
يكسبون لها ذا نفيد العبر أو يجدي التذكير مع قوم  
هذه حالهم؟ (٢٣: ٤٦)

ابن عاشور: التذكير بأن يذكروا ما يغفلون عنه  
من قدرة الله تعالى عليهم، ومن تنظير حالهم بحال  
الأمم التي استأصلها الله تعالى، فلا يمتصون بذلك عناداً،  
فأطلق ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ على أثر الفعل، أي لا يحصل  
فيهم أثر تذكر ما يذكرون به وإن كانوا قد ذكروا ذلك.  
ويجوز أن يراد لا يذكرون ما ذكروا به، أي لشدة  
إغراضهم عن التأمل فيما ذكروا به لاستقرار ما ذكروا  
به في عقولهم، فلا يذكرون ما هم غافلون عنه، على حد  
قوله تعالى: ﴿وَأَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ  
إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ الفرقان: ٤٤. (٢٣: ١٨)

الطُّبَاطِبَاءُ أَيُّ: وَإِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَدِينِ الْحَقِّ لَا يَذْكُرُونَ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ.

(١٢٩: ١٧)

مكارم الشيرازي: إلهم كلما ذُكِّروا بدلائل المعاد والعقوبات الإلهية لا يتذكرون. (٢٦٦: ١٤)

هـ - وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّغْوَى وَأَهْلُ الْمَغْضُورِ. المذتر: ٥٦ مضت في «ذكرة».

كذُكِّرْ

قَالُوا اللَّهُ تَعَالَى أَكْذَرُ يُوسُفَ حَقًّا تَكُونَ خَرَجْتُمْ لَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ. يوسف: ٨٥ راجع: ف ت أ: «تَفْشُرًا».

الفدير، عرف أن ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى، فيعمله ذلك على الاتقياد والطاعة له تعالى، وعلى الاشتغال بالشكر لنعمة التي لا نهاية لها.

(١٩٨: ٢٧)

أبو السعود: أي تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستظمين لها، ثم تحمدوا عليها بالاستحسان. (٢٨: ٦) ابن عاشور: الذكر هنا هو التذكر بالفكر لا تذكر باللسان.

وهنا تعرض بعض المشركين، إذ تقلبوا في نعم الله وشكروا غيره، إذ اغفلوا له شركاء في الإلهية، وهم لم يشاركوه في الأنعام، وذكر النعمة كناية عن شكرها. لأن شكر المنعم لازم للإعانة عرفاً، فلا يصرف عنه إلا نسيانها، فإذا ذكره شكر النعمة. (٢٢٣: ٢٥)

فَسَتَذْكُرُونَ

فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ. المؤمن: ٤٤ ابن عباس: فسعلمون يوم القيامة. (٣٩٦) الطبري: يقول تعالى ذكره، محبراً عن قبل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه: فسَتَذْكُرُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ إِذَا عَاقَبْتُمْ عِقَابَ اللَّهِ قَدْ حُلَّ بِكُمْ، وَلَقِيتُمْ مَا لَقِيتُمُوهُ صَدَقَ مَا أَقُولُ، وَحَقِيقَةُ مَا أُخِيرَكُمْ بِهِ مِنْ أَنْ الْمُسْرِقِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. (٦٥: ١١) الثعلبي: «سَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ» إذا عاقبتكم المذاب حين لا ينفعكم الذكر، وكذا أكثر التفاسير.

كذُكِّرُوا

يَسْكُرُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَرْتَضَيْتُمْ عَلَيْهِمْ وَتَفَرَّوْا مِنْ حَتَّى الَّذِي... الزخرف: ١٣ الفخر الرازي: معنى ذكر نعمة الله: أن يذكرها في قلوبهم، وذلك الذكر هو أن يصرف أن الله تعالى خلق وجه البحر، وخلق الرياح، وخلق جرم السفينة على وجه يتمكن الإنسان من تصريف هذه السفينة إلى أي جانب شاء وأراد، فإذا تذكروا أن خلق البحر، وخلق الرياح، وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصرفات الإنسان وتحرركاته ليس من تدبير ذلك الإنسان، وإنما هو من تدبير الحكيم العليم

ولا تصبرون عنه. وفيه طرف من التوبيخ، كقوله:  
﴿عَلِمَ اللَّهُ أَلَكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَالُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ البقرة: ١٨٧.  
(٣٧٣: ١)

نحوه التسمي (١: ١٢٠)، وشهر (١: ٢٤٠).  
الطبرسي: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَلَكُمْ سَأَلْتُمْ كُرُوهْنَهُ﴾  
برغبتكم فهن: خوفاً منكم أن يسبقكم (لهن) غيركم  
فأباح لكم ذلك. (٣٣٨: ١)

نحوه الكاشاني. (٢٤٣: ١)  
الفهر الرأزي: لأن شهوة النفس إذا حصلت في  
باب التكاح لا يكاد يخلو ذلك المشتبه من العزم  
والتشي. فلما كان دفع هذا الخاطر كالشيء الشاق،  
أسقط تعالى عنه هذا المخرج وأباح له ذلك.

(١٤١: ٦)  
نحوه التيسابوري. (٢٨٨: ٢)  
القولاني: أي إما سرّاً وإما علاناً في نفوسكم  
وبالاستنكاف، فرخص في التعريض دون التصريح.

(١٩٠: ٣)  
البيضاوي: ولا تصبرون على السكوت عنهن  
ومن الرغبة فهن: وفيه نوع توبيخ. (١٢٥: ١)  
نحوه أبو السعود (١: ٢٧٨)، والالوسي (٢: ١٥١).  
أبو حيان: هذا عذر في التعريض، لأن الميل متى  
حصل في القلب عسر دفعه، فأسقط الله المخرج في ذلك.  
وفيه طرف من التوبيخ، كقوله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَلَكُمْ كُنْتُمْ  
تَحْتَالُونَ﴾ البقرة: ١٨٧. وجاء الفصل بالسّين التي  
تدل على تقارب الزمان المستقبل لا تراخيه، لأنهن  
يذكرن عند ما انفصلت حبالهن من أزواجهن بالموت،

ابن عاشور: وفعل ﴿سَأَلْتُمْ كُرُوهْنَهُ﴾ مشتق من  
الذكر بضم الدال. وهو ضد التسيان، أي سئد كرون في  
عقولكم، أي ما أقول لكم الآن يحضر نصب بصائركم  
يوم تحقّقه، فنسبه الإعراض بالتسيان، ورمز إلى  
التسيان بما هو من لوازمه في العقل ملازمة الضد  
لضده، وهو التذكّر على طريقة المكتبة، وفي قريبتها  
استعارة تبيته.

والمعنى: سيحلّ بكم من العذاب ما يُذكّركم ما  
أقوله: إنه سيحلّ بكم. (٢٠٦: ٢٤)

### سَأَلْتُمْ كُرُوهْنَهُ

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النَّسَاءِ  
أَوْ اكْتُمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَلَكُمْ سَأَلْتُمْ كُرُوهْنَهُ وَلَكِنْ  
لَا كُرْ أَعِدُّوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا أَقُولُ مَا مَعْرُوفاً...

البقرة: ٢٣٥  
ابن عباس: تذكرون نكاحهن. (١٣)  
مجاهد: ذكر ك إياها في نفسك، فهو قول لله:  
﴿عَلِمَ اللَّهُ أَلَكُمْ سَأَلْتُمْ كُرُوهْنَهُ﴾ (الطبري ٢: ٥٣٥)  
الحسن: هي الخيبة. (الطبري ٢: ٥٣٥)  
مثله الواحدي. (٣٤٦: ١)

الطبري: يعني تعالى ذكره بذلك: علم الله ألكم  
سئد كرون المعتذات في عدهن بالخيبة في أنفسكم  
وبالاستنكاف. (٥٣٥: ٢)  
الثعلبي: بقلوبكم. (١٨٦: ٢)  
الزمخشري: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَلَكُمْ سَأَلْتُمْ كُرُوهْنَهُ﴾  
لا محالة ولا تنفكون عن التلطف برغبتكم فهن

و هو حق إلهن الأنفس، ويتمنى نكاحهن...

وقوله: ﴿سَتَذْكُرُوْنَهُنَّ﴾ شامل لذكر اللسان و ذكر القلب، فنفي المخرج عن التعريض، وهو كسر اللسان، وعن الإخفاء في النفس وهو ذكر القلب.

(٢٢٦: ٢)

الشريفي: ﴿سَتَذْكُرُوْنَهُنَّ﴾ بالمحبة ولا تصبرون عنهن، فأباح لكم التعريض، وفيه نوع توبيخ.

(١٥٤: ١)

رشيد رضا: أباح الله تعالى أن تعرض الرجل للمرأة في البعد بأمر الزواج تعرضاً، و قرن ذلك بما يكون من التتبع في القلب والعزم المستكن في الضمير، كأنه مثله في هذا الاحتراز منه أو نكثه، ولم يحرم

عليهم أن يقطعوا في هذا الأمر بأنفسهم، لأن الأمر أمر ديني، بل راعى فيما شرعه لهم ما فطرهم عليه، ولذلك ذكر وجه الرخصة، فقال: ﴿عَلِمَ اللهُ أَنِّيْكُمْ كَمَا تَكُوْنُوْنَ فِيْ أَنْفُسِكُمْ﴾، و خطرات قلوبكم ليست في أيديكم، ويشق عليكم أن تكتموا رغبنتكم، تصبروا عن التلق لم يما في أنفسكم، فرخص لكم في التعريض دون التصريح، فقفوا عند حد الرخصة.

(٤٢٦: ٢)

المراغي: ﴿سَتَذْكُرُوْنَهُنَّ﴾ في أنفسكم، ويشق عليكم أن تكتموا رغبنتكم، وتصبروا عن أن تبوحوا لمن بما انطوت عليه جوارحكم، ومن ثم رخص لكم في التعريض دون التصريح، فليكن أن تقفوا عند حد الرخصة ولا تتجاوزوها.

سيد قطب: وقد أباحها الله، لأنها تتعلق ببيل

فطري، حلال في أصله، مباح في ذاته، والملابسات وحدها هي التي تدعو إلى تأجيل اتخاذ الخطوة العملية فيه، والإسلام يلحظ ألا يحطم الميول الفطرية إنما يهديها، ولا يكبت التواضع البشرية إنما يضبطها، ومن ثم ينهى فقط عما يخالف غنافة الشعور، وطهارة الضمير.

ابن عاشور: أي علم أنكم لا تستطيعون كتمان ما في أنفسكم، فأباح لكم التعريض تيسيراً عليكم.

مفتي: ﴿سَتَذْكُرُوْنَهُنَّ﴾ في أنفسكم، ولنا أباح لكم التلويح، ولو حرم عليكم التلويح والتصريح لكان ذلك عليكم.

الخطيب: ﴿عَلِمَ اللهُ أَنِّيْكُمْ كَمَا تَكُوْنُوْنَ فِيْ أَنْفُسِكُمْ﴾ في أنفسكم، ولنا أباح لكم التلويح، ولو حرم عليكم التلويح والتصريح لكان ذلك عليكم.

(٣٦٤: ١)

عبد الكريم الخطيب: أي علم الله أنكم لا تقدر على كتمان ما في أنفسكم، وسيجري ذكر من على ألسنتكم.

وقد تجاوز سبحانه وتعالى لكم عن ذلك، ولم يبح لكم لقاءهن والتحدث إلهن في تكلم وخفاء، فذلك بما يثير الشكوك والريب، ويحصل لألسنة سوء مقالاً، فإذا كان لكم معهن حديث، فليكن

حديثاً مشهوراً نحن يؤمن عليه، فيعرف ما يقال،  
ولا يدع سبيلاً إلى قائله سوء. (٢٨٢: ١)

مكارم الشيرازي: هذا المقطع من الآية يوضح  
أنه من الطبيعي أن يرغب بعض الرجال بالزواج من  
النساء اللاتي يفقدون أزواجهن.

ولما كان الإسلام لا يعارض أمراً طبيعياً  
ومعقولاً، فهو لا يعتبر رغبتكم هذه معصية. (١٢٤: ٢)

### أذكرة

قال أرايت إذ أوتينا إلی الصخرة فإني نسيت  
الغوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ  
سبيلاً في البحر فجيتا.

راجع: ن من ي: «الأنابية».

الكهف: ١٣

### تذكرتك

وأشركته في أمري • كسى لسبحك كثيراً •  
وتذكرتك كثيراً. طه: ٣٢-٣٤

ابن عباس: «وتذكرتك» بالقلب واللسان.  
(٢٦١)

الطبري: فحمدك.  
الطوسي: معناه: تذكرك بحمدك والثناء عليك بما  
أوليتنا من نعمك، ومننت به علينا من تحميل رسالتك.

(١٧١: ٧)

مثله الواحدي (٢: ٣٠٥)، والطبرسي (٤: ١٩)،  
ونحوه البقوي (٣: ٢٦١).

ابن الجوزي: «وتذكرتك» بالستنا، حامدين

لك على ما أوليتنا من نعمك. (٢٨٢: ٥)

التسفي: «وتذكرتك» في الصلوات وخارجها.

(٥٢: ٣)

أبو حيان: «وتذكرتك» بالثناء والثناء عليك.  
وقدم التسبيح لأنه تنزيهه تعالى في ذاته وصفاته

وبراءته عن النقائص، ومحل ذلك القلب، والذكر  
والثناء على الله بصفات الكمال ومحلّه اللسان، فلذلك

قدم ما محلّه القلب على ما محلّه اللسان. (٢٤٠: ٦)

الشريفي: أي نصفك بصفات الكمال والجلال

والكبرياء. (٤٦٠: ٢)

أبو السعود: نصفك بما يليق بك من صفات  
الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيهاً كثيراً، أو

زماناً كثيراً، من جملة زمان دعوة فرعون وأوان  
الفتنة معه. وأما ما قيل: من أن المعنى كي نصلي لك

تذكرتك فذلك وتثنى عليك فلا يساعده المقام.

(٢٧٨: ٤)

نحوه الثبرسي: (٥: ٢٨٠)

الآلوسي: [قل كلام أبي السعود ثم قال:]

وجوز أبو حيان كونه منصوباً على الحال، أي  
نسبحك التسبيح في حال كثرته، كذا يقال في  
الآخر، وليس بذلك.

وتقديم التسبيح على الذكر من باب تقديم  
التغلية على التعليه. وقيل: لأن التسبيح تنزيه عما  
يليق ومحلّه القلب، والذكر ثناء بما يليق ومحلّه  
اللسان؛ والقلب مقدم على اللسان.

وقيل: إن المعنى كي نصلي لك كثيراً ونحمدك

سبحانه، وذكرهما له بين الناس علناً، لا في حال خلوتهما أو في قلبهما سرّاً؛ إذ لا تعلق لذلك أيضاً بعمله وزيراً بل المراد أن يسبحاه ويذكراه معاً بين الناس في مجامعهم ونواديهم، وأي مجلس منهم حلاً فيه وحضراً، فتكثر الدعوة إلى الإيمان بالله ورفض الشركاء.

وبذلك يرجع ذيل السياق إلى صدره، كأنه يقول: إن الأمر خطير، وقد غر هذا الطاغية وملاء وأنته عزهم وسلطانهم، ونشب الشرك والوثنية بأعراقه في قلوبهم، وأنهم ذكر الله من أصله، وقد امتلئت أعين بني إسرائيل بما يشاهدونه من عزه فرعون وشوكة ملاء، واتدهشت قلوبهم من سطوة آل فرعون، وارتاعت نفوسهم من سلطتهم، فنسوا الله ولا يذكرون إلا الطاغية. فهذا الأمر أمر الرسالة والدعوة إلى نجاحه ومضاه في حاجة شديدة إلى تنزيهك بنفي الشريك كثيراً، وإلى ذكرك بالربوبية والألوهية بينهم كثيراً ليتصروا فيؤمنوا. وهذا أمر لأقوى عليه وحدي، فأجمل هارون وزيراً لي وأئدني به وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً، لعل الشعي ينجع والدعوة تنفع.

(١٤٧: ١٤)

### يُذَكِّرُ

١ - وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ تَسَابُحَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا

اسْمُهُ وَصَلَّى بِإِخْرَاقِهَا... البقرة: ١١٤

ابن عباس: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بالتوحيد

والأذان. (١٧)

ونفي عليك كثيراً بما أوليتنا من نعمتك ومننت به علينا من تحميل رسالتك، ولا يخفى أنه لا يساعده المقام. (١٦: ١٨٦)

ابن عاشور: علل موسى ﷺ سؤاله تحصيل ما سأله لنفسه ولأخيه، بأن يسبحا الله كثيراً ويذكرا الله كثيراً. ووجه ذلك أن فيما سأله لنفسه تسهلاً لأداء الدعوة بتوفر آلاتها وجود العون عليها، وذلك مظنة تكثيرها.

وأيضاً فيما سأله لأخيه تشريكه في الدعوة ولم يكن لأخيه من قبل، وذلك يجعل من أخيه مضاعفة لدعوته، وذلك يبعث أخاء أيضاً على الدعوة. ودعوة كل منهما تشمل على التعريف بصفات الله وتنزيهه، فهي مشتملة على التسبيح وفي الدعوة حتّى على العمل بوصايا الله تعالى عباده، وإدخال الأمة في حضرة الإيمان والتقوى، وفي ذلك كثرة إكثار من ذكر الله بإبلاغ أمره ونهيه، ألا ترى إلى قوله تعالى بعد هذه الآيات: ﴿إِذْ هَبَّتْ زَوَاجِرُهَا بِإِيمَانٍ وَ لَاتِيَا فِي ذِكْرِي﴾ طه: ٤٢. أي لانضغافاً في تبليغ الرسالة، فلا جرم كان في تحصيل ما دعا به إكثار من تسبيحهما وذكرهما لله. (١٦: ١١٥)

الطباطبائي: ظاهر السياق - وقد ذكر في الفاية

تسبيحهما معاً وذكرهما معاً - أن الجملة غاية لجعل هارون وزيراً له؛ إذ لا تعلق لتسبيحهما معاً وذكرهما معاً بمضامين الأدعية السابقة، وهي شرح صدره وتيسير أمره وحل عقدة من لسانه. ويركب على ذلك أن المراد بالتسبيح والذكر تنزيههما معاً

الطبري: قوله: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، فإن فيه وجهين من التأويل:

أحدهما: أن يكون معناه: ومن أظلم ممن منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه، فتكون (أَنْ) حيثئذ نصباً - من قول بعض أهل العربية - بقصد الخفافض، وتعلق الفعل بها.

والوجه الآخر: أن يكون معناه: ومن أظلم ممن منع أن يذكر اسم الله في مساجده، فتكون (أَنْ) حيثئذ في موضع نصب، تكريهاً على موضع المساجد ورداً عليه.

نحوه التعليل (٢٦١: ١)، وأبو السُّرود (١٨٦: ١).

الألوسي: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿مَنْعَ﴾ أو مفعول من أجله، بمعنى منعها كراهية أن يذكر، أو بديل استعمال من ﴿مَسَاجِدَ﴾ هو المفعول الثاني إذن مقدراً أي عمارتها، أو العبادة فيها، أو مجموعها أي الناس مساجد الله، تعالى أو لا تقدير والفعل متعدّ لواحد، وكُتِبَ بذكر اسم الله تعالى عما يوقع في المساجد من الصَّلوات والتَّقَرُّبات إلى الله تعالى بالأعمال القلبية والقلبية المأذون بفعلها فيها.

(٣٦٣: ١)

فضل الله: في منع المصلين من الصلاة فيها.

(١٨١: ٢)

٢ - وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُمْ يُذَكَّرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِلَهُ لَيْسَتْ...

ابن عباس: من الذبائح عمداً.

(١١٨)

إن هذا جواب للمشركين حين سألو النبي ﷺ وتخاصموا فقالوا: كيف لا تأكل مما قتل ربك وتأكل مما قتلنا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُمْ يُذَكَّرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (التحاس ٤٨١: ٢) إنها الميتة. (الماوردي ١٦١: ٢) مثله التحاس.

سعيد بن جبّير: إذا ترك التسمية عمداً لم يؤكل، وإذا نسي أكل.

مثله عطاء. (التحاس ٤٨١: ٢)

الشَّعْبِي: لا يؤكل من الذبائح التي لم يسم الله جل وعز عليها، كان ذلك عمداً أو نسياناً.

(التحاس ٤٨١: ٢)

مثله ابن سيرين (التحاس ٤٨١: ٢)، ودأود (الماوردي ١٦٢: ٢)، والجُبَّائي (الطوسي ٢٧٧: ٤).

الحسين: لا يجرم [أكل ما لم يذكر اسم الله عليه] سواء تركها عمداً أو نسياناً.

مثله الشافعي. (الماوردي ١٦٢: ٢)

ابن سيرين: إنه عام فيما لم يسم الله عند ذبحه.

مثله عبد الله بن يزيد الخطمي.

(ابن الجوزي ١١٥: ٣)

الإمام الباقر عليه السلام: [في حديث:] أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جَوْسِي قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَذَبَحَ، فَقَالَ: كُلْ، فَقِيلَ: مُسْلِمٌ ذَبَحَ وَلَمْ يَسْمُ فَقَالَ: لَا تَأْكُلْ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿فَكُلُوا مِنْهُ﴾ ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ: ١١٨، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُمْ﴾ لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

[وفي حديث آخر عنه عليه السلام:] فِي ذَبْحَةِ النَّاصِبِ

واليهودي والنصراني، قال: - لا تأكل ذبيحته حتى  
تسمعه يذكر اسم الله عليه، أما سمعت قول الله:  
﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾

(الكاشاني ٢: ١٥٢)

عطاء: المراد بها ذبائح كانت العرب تذبجها  
لأوثانها.

كل ما لم يذكر عليه اسم الله من طعام أو شراب،  
لهو حرام، تمسكاً بعموم هذه الآية.

(الفخر الرازي ١٣: ١٦٨)

الكلبي: يعني ما لم يذبح، أو ذبح لغير الله.

(الواحدي ٢: ٣١٦)

الإمام الصادق عليه السلام: [في حديث:] أنه سئل عن  
ذبائح أهل الكتاب، فقال عليه السلام: لا بأس إذا ذكر اسم الله  
عليه، ولكني أعني منهم من يكون على أمر موسى  
وعيسى عليه السلام.

[وفي حديث آخر عنه عليه السلام:] أنه سئل عن ذبائح  
اليهود والنصارى، فقال عليه السلام: الذبيحة اسم ولا يؤمن  
على الاسم إلا مسلم.

[وفي حديث آخر عنه عليه السلام:] أنه سئل عن رجل  
ذبح ولم يسم، فقال: إن كان ناسياً فليسم حين يذكر،  
ويقول: بسم الله على أوله وآخره.

(الكاشاني ٢: ١٥٢)

[وعنه عليه السلام:] إذا ذبح المسلم ولم يسم ونسي،  
فكل من ذبيحته وسم الله على ما تأكل.

[وعنه عليه السلام:] أنه سئل عن رجل ذبح فسبح أو كثر  
أو هلل أو حمد الله، قال عليه السلام: هذا كله من أسماء الله

تعالى، ولا بأس به. (الكاشاني ٢: ١٥٣)  
أبو حنيفة: يحرم [أكل ما لم يذكر اسم الله عليه]  
إن تركها عامداً، ولا يحرم إن تركها ناسياً.

(الماوردي ٢: ١٦٢)

الطبري: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا  
لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: لا تأكلوا ألبها المؤمنين، مما  
مات فلم تذبجوه أتم، أو يذبحه موحد يدين لله بشرائع  
شرعها له في كتاب منزل، فإنه حرام عليكم. ولما  
أهل به لغير الله مما ذبحه المشركون لأوثانهم، فإن أكل  
ذلك فسق، يعني: محصية كفر.

الزجاج: أي محال يخلص ذبحه لله عز وجل.

(٢٨٧: ٢)

أبو مسلم الأصفهاني: [إنه صيد المشركين الذين  
لا يذكرون اسم الله، ولا هم من أهل التسمية، يحرم  
على المسلمين أن يأكلوه حتى يكونوا هم الذين  
صادوه.

الجصاص: فيه نهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله  
عليه. وقد اختلف في ذلك. [ونقل أقوال الفقهاء في  
ذلك ثم قال:]

«ظاهر الآية موجب لتحريم ما ترك اسم الله عليه  
ناسياً كان ذلك أو عامداً، إلا أن الدلالة قد قامت  
عندنا على أن التسيان غير مراد به. فأما من أباح أكله  
مع ترك التسمية عمداً لقوله مخالف للآية غير  
مستعمل لحكمها بحال، هذا مع مخالفته للأثار المروية  
في إيجاب التسمية على الصيد والنبیحة. (٧: ٣)

النجاس: [نقل قول سعيد بن جبتر وقال:]



وهذا حسن، لأنه لا يستوي فاسقًا إذا كان ناسيًا، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا...﴾ مما لم يُخلص لله. (٤٨١: ٢)  
 الثعلبي: فاقد التسمية، ولم يدرك ذكاته، أو ذبح  
 لغير الله. (١٨٦: ٤)

الماوردي: فيه أربعة تأويلات: [إلى أن قال:]  
 والرابع: أنه ما لم يُسم الله عند ذبحه. (١٦١: ٢)  
 الطوسي: نهى الله تعالى في هذه الآية عن أكل  
 ما لم يذكر اسم الله عليه، وذلك صريح في وجوب  
 التسمية على الذبيحة، لأنها لو لم تكن واجبة، لكان  
 ترك التسمية غير محرم لها، فأما من ترك التسمية  
 ناسيًا، فمذهبنا أنه يجوز أن تؤكل ذبيحته، بعد أن  
 يكون معتقدًا لوجوبها...

فأما إذا تركها متعمدًا فعندنا لا يجوز أكله بجمال  
 وفيه خلاف بين الفقهاء، فقال قسوم: إذا كان لم يترك  
 التسمية متعمدًا من المسلمين جاز أكل ذبيحته وقال  
 آخرون: لا يجوز أكلها كما قلناه، وذلك يدل على أن  
 ما يذبحه أهل الكتاب لا يجوز أكله، لأنهم لا يعتقدون  
 وجوب التسمية ولا يذكرونها. ومن ذكر اسم الله  
 منهم، فإنما يقصده اسم من أبدى شرعهم، ولم يبعث  
 محمدًا ﷺ بل كذبه، وذلك ليس هو الله، فلا يجوز أكل  
 ذبيحتهم. ولأنهم لا يعرفون الله، فلا يصح منهم قصد  
 إلى ذكر اسمه.

فأما من عدا أهل الكتابين، فلا خلاف في تحريم ما  
 يذبحونه.

وليست الآية منسوخة ولا شيء منها، ومن  
 ادعى نسخ شيء منها فعليه الدلالة.

وقال الحسن وعكرمة: نسخ منها فبائع الذين  
 أوتوا الكتاب بقوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
 حِلٌّ لَكُمْ﴾ المائة: ٥، وعندنا أن ذلك مخصوص  
 بالحبوب دون الذبائح.

وقال قوم: ليس أهل الكتاب داخلين في جملة من  
 يذكر اسم الله على ذبيحته، وليس واحد من هؤلاء  
 معنيًا بالآية، فلا يحتاج إلى النسخ. (٢٧٧: ٤)  
 نحوه الطبرسي: (٣٥٨: ٢)  
 الزمخشري: إن قلت: قد ذهب جماعة من  
 المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه  
 بنسيان أو عمد.

قلت: قد تأوله هؤلاء بالمهتة وبما ذكر غير اسم الله  
 عليهم كقوله: ﴿أَوْفِيتُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ اللَّهُ بِهِ الْأُنْعَامَ: ١٤٥﴾.  
 (٤٧: ٢)

ابن العربي: فيها عشر مسائل: [إلى أن قال:]  
 المسألة الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ  
 يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يعني: فمطلق سبب الآية المهتة،  
 وهي التي قالوا هم فيها: ولا تأكل مما قتل الله. فقال الله  
 لهم: لا تأكلوا منها، فإنكم لم تذكروا اسم الله عليها، فإن  
 قيل: وهي:

المسألة السادسة: هذا هو السبب الذي خرجت  
 عليه الآية، وقصر اللفظ الوارد على السبب المورود  
 عليه إذا كان اللفظ مستقلًا دون عطفه عليه، لا يجوز  
 لغة ولا حكمًا.

قلنا: قد آن أن نكشف لكم نكتة أصولية، وقصت  
 تنافق في أقوال العلماء تلقنتها جملة من فك شديده

وذلك أكانقول: مهما قلنا: إن اللفظ الوارد على سبب، هل يقصر عليه أم لا؟ فإننا لا نخرج السبب عنه، بل نقره فيه ونعطف به عليه، ولا نمتنع أن يضاف غيره إليه إذا احتمله اللفظ، أو قام عليه الدليل، فقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ظاهر في تناول الميتة بعموم لفظه، وكونها سبباً لوروده، ويدخل فيه ما ذكر اسم الله عليه [و] اسم غيره من الآلهة المبطلة، وهي:

المسألة السابعة: بعموم أنه لم يذكر اسم الله عليه، وبزيادة ذكر غير الله عليه الذي يقتضي تحريمه هذا اللفظ عمومًا ومعناه تنبيهها من طريق الأولى، ويقتضي تحريمه نصًا قوله: ﴿وَمَا أَهْلُ الْقُرَىٰ مِنْهُمْ﴾ التعليل: ١١٥، فقد توارد على تحريم ذلك الثمن والعموم والتنبيه من طريق الأولى بالتحريم، لظاهر أدلة الشرع عليه أولاً. وهذا من بدع الاستصحاب في موارد الأدلة المماثلة في اقتضاء الحكم الواحد عليه، وهل يدخل فيه ما ترك المسلم التسمية عليه عمدًا من الذبائح أم لا؟ مسألة مشككة جدًا قد مهدنا القول فيها في تخلص الطريقتين، ولكننا نشير فيها هاهنا إلى نكتة تتعلق بالمقصود، فنقول: اختلف العلماء في متروك التسمية على ستة أقوال: [نقل الأقوال إلى أن قال:]

السادس: يجب أن تعلق هذه الأحكام بالقرآن والسنة والدلائل المعنوية التي أسسها الشريعة. فأما القرآن فقد قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ: ١١٨﴾ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ

اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، قسنا الحائنين، وأوضح الحكمين. وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ نهي محمول على التحريم، ولا يجوز حمله على الكراهة، لتناوله في بعض مقتضياته المحرام المحض، ولا يجوز أن يتنقض. وهذا من نفوس علم الأصول.

وأما السنة فقوله: ﴿فَكُلُوا﴾ في الصمغ: «ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه فكل». وقال أيضًا: ﴿فَكُلُوا﴾ إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه فكل». وقال أيضًا: «وإن وجدت مع كلبك كلبًا آخر فلا تأكل، فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على الآخر».

وهذه أدلة ظاهرة خالية عالية، وذلك من أظهر الأدلة.

فإن قيل: المراد بذكر اسم الله بالقلب، لأن المذكر يعمد النسيان، ومحل النسيان القلب، فمحل الذكر القلب. [ثم أدام البحث فيه، فلاحظ] (٧٤٦: ٢) نحوه القرطبي: (٧٤: ٧)

ابن عطيّة: المقصد بهذه الآية النهي عن الميتة؛ إذ هي جواب لقول المتشركين: تتركون ما قتل الله، والنهي أيضًا عما ذبح للأصنام، ومع ذلك فلفظها يعم ما تركت التسمية عليه من ذبح الإسلام، وهذا الموم تعلق محمد بن سيرين وعبد الله بن عباس بن أبي ربيعة وعبد الله بن عمر وتامع وعبد الله بن يزيد الخطمي والشامي وغيرهم: فيما تركت التسمية عليه نسيانًا أو عمدًا لم يؤكل.

وقالت طائفة عظيمة من أهل العلم: يؤكل ما ذبح

ولم يسمّ عليه نسياناً، ولا يؤكل ما لم يسمّ عليه عمدًا، وهذا قول الجمهور. وحكى الزهراوي عن مالك بن أنس أنه قال: تؤكل الذبيحة التي تركت التسمية عليها عمدًا أو نسياناً.

وعن ربيعة أيضًا قال عبد الوهاب: التسمية سنة، فإذا تركها الذابح ناسيًا أكلت الذبيحة في قول مالك وأصحابه، وإذا تركها عمدًا فقال مالك: لا تؤكل، فعمل بعض أصحابه قوله: «لا تؤكل» على التحريم، وحمله بعضهم على الكراهة.

وقال أشهب: تؤكل ذبيحة تارك التسمية عمدًا إلا أن يكون مستخفًا، وقال نحوه الطبري.

وذهب أهل الكتاب عند جمهور العلماء في حكم ما ذكر اسم الله عليه، من حيث لم دين وشرع. وقال قوم: نسخ من هذه الآية ذبائح أهل الكتاب، فلا عكرمة والحسن بن أبي الحسن.

والضمير في (أية) من قوله: ﴿وَاللَّهُ يَتَّقِي﴾ عائد على الأكل الذي تضمنه الفعل في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾، ويعتدل أن يعود على ترك الذكر الذي تضمنه قوله: ﴿لَمْ يَذْكُرْ﴾. (٣٤٠: ٢) **الفهر الرأزي:** المسألة الأولى: نقل عن عطاء أنه قال: كل ما لم يذكر عليه اسم الله من طعام أو شراب، فهو حرام، تمتكًا بعموم هذه الآية. وأما سائر الفقهاء فإنهم أجمعوا على تخصيص هذا الصوم بالذبح، ثم اختلفوا... [فلاحظ] (١٦٨: ١٣)

**أبو حنيفة:** [نقل الأقوال منفصلاً في حكم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، وبعد نقل بعض التخصيصات في

حرمة أكل ما ترك التسمية عليه عمدًا قال:] وتحتاج هذه التخصيصات إلى دلائل، والظاهر أن المراد بقوله: ﴿مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ظاهرة لعموم الآية، وهو متروك التسمية. (٢١٢: ٤)

**البر وسوي:** أي عمدًا إذا الناسي حال نسيانه لا يكون مكلفًا، وذكر الله تعالى في قلب كل مؤمن. وأما العامد فلائه لما ترك التسمية عمدًا فكأنه نفس ما في قلبه، ويدخل فيه الميتة، لأنها بما لم يذكر اسم الله عليه، وكذا ما ذبح على اسم غيره تعالى. (٩٥: ٣)

**الآلوسي:** أي من الميمون كما هو المتبادر، والآية ظاهرة في تحريم متروك التسمية عمدًا كان أو نسيانًا، وإليه ذهب داود. [ثم نقل الأقوال في ذلك]

(١٥: ٨) **الناسي:** أي عند ذبحه، أي بأن ذكر عليه اسم غيره، يعني يذبح لغيره تعالى. [إلى أن قال:] تنبيهات:

**الأول:** روي في سبب نزول هذه الآيات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله! إنا نأكل ما نقتل، ولأننا نأكل ما يقتل الله تعالى، فأنزل الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١١٨ - ١٢١، أخرجه أصحاب السنن...

**الثاني:** دلت الآية على مشروعية التسمية عند الذبح. قيل: باسم الله، بهذا اللفظ الكريم. وقيل: بكل قول فيه تعظيم له كالرحمان، وسائر أسمائه المحسنة،

لقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾  
الإسراء: ١١٠، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ  
الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠.

الثالث: ما قدمناه من حمل الآية على ما ذبح لغير  
الله تعالى، هو الأظهر في تأويلها، لقوله تعالى بعد:  
﴿أَوْ فِستًا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ الأنعام: ١٤٥، ومراعاة  
التظاير في القرآن أولى ما يلتصق به المراد. (ثم نقل  
روايات في ذلك) [٢٤٨٢: ٦]

المراغمي: أي ولا تأكلوا أنها المؤمنون مما مات  
فلم تدبجوه، ولا ما أكل لغير الله به مما ذبحه المشركون  
لأوثانهم، فإن أكل ذلك فسق ومعيبة، كما جاء في  
الآية الأخرى: ﴿أَوْ فِستًا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ الأنعام:  
١٤٥ (١٦: ٨)

ابن عاشور: جملة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ  
اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مطروقة على جملة: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ  
اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الأنعام: ١١٨.

و (ما) في قوله: ﴿مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾  
موصولة، وما صدق الموصول هنا: ذكركي، بقرينة  
السابق الذي ما صدقه ذلك بقرينة المقام، ولما كانت  
الآية السابقة قد أفادت إباحة أكل ما ذكر اسم الله  
عليه، وأفتحت التهي عما لم يذكر اسم الله عليه، وهو  
الميتة، وتم الحكم في شأن أكل الميتة والتفرقة بينها  
وبين ما ذكركي وذكر اسم الله عليه، ففي هذه الآية أهد  
التهي والتحذير من أكل ما ذكر اسم غير الله عليه،  
فمعنى: ﴿لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أنه ترك ذكر اسم  
الله عليه قصدًا أو تجبُّبًا لذكره عليه، ولا يكون ذلك

إلا قصد أن لا يكون الذبح لله، وهو يساوي كونه  
لغير الله، إذ لا واسطة عندهم في الذكاة بين أن يذكر  
اسم الله أو يذكر اسم غير الله، كما تقدم بيانه عند  
قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، ومما يرشح أن  
هذا هو المقصود قوله هنا: ﴿وَاللَّهُ تَفَسَّقَ﴾، وقوله في  
الآية الآتية: ﴿أَوْ فِستًا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ الأنعام:  
١٤٥، فسلم أن الموصوف بالفسق هنا هو الذي وُصف  
به هنالك، وقد هنالك بأنه أهل لغير الله به، وبقرينة  
نفيه بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ لأن  
الشرك إنما يكون بذكر أسماء الأصنام على المذكى،  
ولا يكون بترك التسمية.

وربما كان المشركون في تحمُّلهم على المسلمين في  
أمر الذكاة يقتنعون بأن يسألوه ترك التسمية، بحيث  
لا يحسبون لله ولا يستنون للأصنام، فيكون المقصود  
من الآية تحذير المسلمين من هذا الترك المقصود به  
التسوية، وأن يمتنعوا على الذبائح غير أسماء آلهتهم.

فإن اعتدنا بالمقصد والسياق، كان اسم الموصول  
مرادًا به شيء معين، لم يذكر اسم الله عليه، فكان  
حكمها قاصرًا على ذلك المعين، ولا تتعلق بها مسألة  
وجوب التسمية في الذكاة، ولا كونها شرطًا أو غير  
شرط، بله حكم نسيانها.

وإن جعلنا هذا المقصد بمنزلة سبب للتزول،  
واعتدنا بالموصول صادقًا على كل ما لم يذكر اسم الله  
عليه، كانت الآية من العام الوارد على سبب خاص،  
فلا يخصص بصورة السبب، وإلى هذا الاعتبار مال  
جمهور الفقهاء المختلفين في حكم التسمية على

الذبيحة.

وهي مسألة مختلف فيها بين الفقهاء على أقوال: [وذكر الأفعال ثم قال:]

وأرجح الأقوال: هو قول الشافعي. والرواية الأخرى من مالك، إن تعمد ترك التسمية توكلاً، وأن الآية لم يقصد منها إلا تحريم ما أحل به نفي الله، بالقرائن الكثيرة التي ذكرناها آنفاً، وقد يكون تارك التسمية عمداً أمثلاً، إلا أن إنغه لا يبطل ذكائه، كالصلاة في الأرض المقصوبة عند غير أحمد. (٧: ٣٠) **مَغْنِيَّةٌ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾** خسير (إِنَّهُ) يعود إلى الأكل، وهو مصدر متعبد من ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ والفسق: المصيبة، بعد أن أحل سبحانه ما ذبح على اسمه تعالى، حرّم ما لم يذكر اسمه عليه. واستناداً إلى ذلك أجمع الفقهاء - ما عدا الشافعية - على أن الذابح إذا ترك التسمية عامداً حرمت الذبيحة، تماماً كالهيئة، ويكفي بجرّد اسم الله، مثل: الله، الله أكبر، الحمد لله، بسم الله، لا إله إلا الله، ونحو ذلك.

واختلفوا إذا تركت التسمية سهواً، قال المنهية والجمعونية والحنابلة: لا تحرم الذبيحة، وقال المالكية: تحرم. وقال الشافعية: لو ترك التسمية عمداً لا تحرم الذبيحة، فيها أولى لو تركها سهواً. (٣: ٢٥٥)

**الطَّبَاطِبَاتِي: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾** نهي هو زميل قوله: ﴿فَلْيَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، الأسماء: ١١٨، كما تقدم.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ إلى آخر الآية، بيان لوجه

التهيؤ وتثبيت له، أمّا قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ فهو تعليل، والتقدير: إنه لفسق، وكل فسق يجب اجتنابه، فالأكل مما لم يُذكر اسم الله عليه واجب الاجتناب. (٧: ٣٣٣)

٣- في صوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. (التور: ٣٦) ابن عباس: يتلى فيها كتابه. (الطبري: ٩: ٣٣٠) يؤخذ الله فيها.

مثله متقابل. (الواحدي: ٣: ٣٢١) الكلبي: توحده بأن لا إله غيره.

(الماوردي: ٤: ١٠٧) الطبري: يقول: وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها، وقد قيل: غني به، أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها. [ويجوز قول ابن عباس ثم قال:]

وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك، لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله، غير أن الذي قلناه به أظهر معنيته، فلذلك اخترنا القول به. (٩: ٣٣٠)

تذكر فيها أسماءه المحسنى. (الماوردي: ٤: ١٠٧) الطوسي: أي يذكر اسم الله في هذه البيوت. وقيل: نغزه من التباسات والمعاصي. (٧: ٤٤٠) الزمخشري: هو عام في كل ذكره. (٣: ٦٨) نحوه أبو السعود. (٤: ٤٦٤)

الفخر الرازي: اختلفوا في المراد من قوله: ﴿وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُهُ﴾

فانقول الأول: أنه عام في كل ذكر. والثاني: [قول ابن عباس]

والثالث: لا يتكلم فيها بما لا ينفي. والأول أولى،  
لعموم اللفظ. (٢٤: ٤)

ابن عروبي: ﴿وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمَهُ﴾ باللسان  
والمجاهدة، والتخلق بالأخلاق في مقام التمس،  
والمحضور، والمراقبة، والانتصاف بالأوصاف في مقام  
القلب، والمناجاة، والمكاملة، والتحقق بالأسرار في  
مقام السر، والمناجاة بالمشاهدة، والتحرر في الأنوار في  
مقام الروح، والاستغراق، والانتطاس، والفناء في  
مقام الذات. (١٤١: ٢)

البيضاوي: عام فيما يتضمن ذكره، حتى  
المذاكرة في أفعاله والمباحث في أحكامه. (١٢٨: ٢)  
نحوه الشريبي: (٦٢٥: ٢)

التسفي: يتلى فيها كتابه، أو هو عام في كل ذكر.  
(١٤٦: ٣)

منه شبر.  
أبو حنبل: ظاهره مطلق الذكر، فيعم كل ذكر  
عموم البدل. وقيل: أسماء الحسنى، وقيل: يصلي  
فيها. (٤٥٨: ٦)

الهروسي: وهو عام في كل ذكر توحيداً كان،  
أو تلاوة قرآن، أو مذاكرة علوم شرعية، أو أدائب، أو  
إقامة، أو نحوها. (١٥٩: ٦)

فضل الله: ﴿وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمَهُ﴾ في ما يعنيه  
الذكر لاسم الله، من استحضار ذاته في نفوس عباده،  
ليكون ذلك متعلقاً للشعور بحضوره الدائم في حياتهم،  
ليدفعهم ذلك إلى المزيد من التوحيد في العبادة، أو في  
الطاعة، أو في حركة الحياة. (٣٢٧: ١٦)

## اذكُرْ

١- قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزَأَ وَاذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَتُنَجِّيَ بِالنَّفْسِ  
وَالْإِيمَانِ. آل عمران: ٤١

ابن عباس: باللسان والقلب. (٤٧)  
الفخر الرازي: فيه قولان:

أحدهما: أنه تعالى حبس لسانه عن أمور الدنيا  
﴿إِلَّا زَمْزَأَ﴾ فأتى في الذكر والتسبيح، فقد كان لسانه  
جيداً، وكان ذلك من المعجزات الباهرة.

والثاني: إن المراد منه الذكر بالقلب، وذلك لأن  
المستغرقين في بحار معرفة الله تعالى عاداتهم في الأول  
أن يواظبوا على الذكر اللساني مدة، فإذا امتلأ القلب  
من نور ذكر الله سكنت اللسان وبقي الذكر في القلب،  
ولذلك قالوا: من عرف الله كمل لسانه، فكان  
ذكره قائماً باللسان والتسبيح واستحضار معاني الذكر  
والمعرفة واستدامتها. (٤٤: ٨)

ابن عاشور: أمر بالشكر، والذكر، المراد به:  
الذكر بالقلب والصلاة إن كان قد سلب قوة التطق، أو  
الذكر اللساني إن كان قد نهي عنها فقط. (٩٤: ٣)

٢- إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي  
عَلَيْكَ وَعَلَى الْوَيْلِكَ إِذْ أَذْنُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ..

المائدة: ١١٠  
ابن عباس: احفظ مني. (١٠٤)  
الحسن: ذكر التعمة شكرها. (الطبري: ٤: ١٢٣)  
ابن عاشور: الذكر بضم الذال، وهو استحضار

الأمر في الذهن. والأمر في قوله: ﴿وَاذْكُرْ﴾ للاعتناء؛ إذ ليس همس بناس لنعم الله عليه وعلى والدته. ومن لازمه خزي اليهود الذين زعموا أنه ساحر مفسد، إذ ليس السحر والفساد بنعمة يعدها الله على عبده. ووجه ذكر والدته هنا الزيادة من تبيكيت اليهود وكندهم، لأنهم تقصوها بأقذع مما تقصوه.

(٢٦٠: ٥)

٣- واذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَرُونَ  
الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْفُسُوخِ وَالْأَحْصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ  
الْغَافِلِينَ. الأعراف: ٢٠٥

ابن عباس: اقرأ أنت يا محمد.

يعني بالذكر القراءة في الصلاة. (الطبري: ٤: ٣٢٩)

مُجَاهِدٌ: أَمَرُوا أَنْ يَذْكُرُوهُ فِي الصَّدُورِ تَضَرُّعًا  
(الطبري: ٤: ٣٦٥) وخيفة.

الآية متوجهة إلى من أسر بالاستماع للقرآن  
والإنصات له، الذين كانوا إذا سمعوا القرآن رفعوا  
أصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة أو النار.

مثله ابن جرير وابن زيد. (الطبري: ٥: ٨٢)

قتادة: إنه [الذكر] ذكر القراءة في الصلاة خلف  
الإمام سرًا في نفسه. (الماوردي: ٢: ٢٩٠)

ابن زيد: إنه [المخاطب بهذا الذكر] المستمع  
للقرآن إما في الصلاة أو الخطبة. (الماوردي: ٢: ٢٩١)

الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿وَاذْكُرْ﴾ أيها  
المستمع المنصت للقرآن، إذا قرئ في صلاة أو خطبة  
﴿رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ﴾. يقول: انصت بما في أي القرآن

واعتبر به وتذكر معاذك إليه عند سماعك. (١٦٥: ٦)

الطحاس: لم يختلف في معنى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ  
رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾، أنه في الدعاء. (١٢٣: ٣)

الطبري: قال أهل المعاني: واذْكُرْ رَبَّكَ: انصت  
بالقرآن وآمين بآياته، واذْكُرْ رَبَّكَ بالطاعة في ما  
بأمرك. (٣٢٢: ٤)

الماوردي: في هذا الذكر ثلاثة أوجه:

أحدها: [قول قتادة]

والثاني: أنه ذكر بالقلب باستدامة الفكر حتى  
لا ينسى نعم الله الموجبة لطاعته.

والثالث: ذكره باللسان إمارعةً إليه في دعائه أو  
تطمينًا له بالآية.

في المخاطب بهذا الذكر قولان:

أحدهما: [قول ابن زيد]

والثاني: أنه خطاب للشيء كذا ومعناه عام في  
جميع المكلفين. (٢٩٠: ٢)

الطوسي: أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يذكره على  
حال التضرع، والمراد به الأمة. [ونقل قول مجاهد  
وابن زيد ثم قال:]

والأولى أن يكون ذلك متوجهًا إلى النبي، والمراد  
به: جميع الأمة، فإنه أكثر فائدة.

وإنما أمره بالذكر في النفس، وإن كان لا يقدر  
عليه العبد لأمرين:

أحدهما: أن المراد به: التعرض للذكر من جهة  
الفكر. وهذا في الذكر المضاد للسهو.

الثاني: أنه أمر بالذكر الذي هو القول فيما بنفسه

كحديث النفس. (٨١: ٥)

الزَّمَنُ شَرِيٌّ: هو عامٌ في الأذكار، من قراءة القرآن والذِّهَاءِ والتَّسْبِيحِ والتَّهْلِيلِ، وغير ذلك. (١٤٠: ٢) مثله التَّسْبِيحُ (٩٢: ٢)، ونحوه الكاشفاني (٢: ٢٦٣)، وشيْر (٢: ٤٥٠).

ابن عَطِيَّة: الآية مخاطبة للنبي ﷺ تَمَّ جميع أمته، وهو أمر من الله عزَّ وجلَّ يذكره وتسميحه وتقديسه والثناء عليه بحامده، والجمهور على أن الذكر لا يكون في النفس ولا يراعى إلا بركة اللسان.

(٤٩٤: ٢)

الطَّبْرَسِي: خطاب للنبي عليه وآله السلام والمراد به عام.

وقيل: هو خطاب لمستمع القرآن، والمعنى: وأذكر ربك في نفسك بالكلام من التسبيح، والتَّهْلِيلِ، والتَّحْمِيدِ.

وروى زرارة عن أحدهما عليه السلام، قال: مضى إذا كنت خلف الإمام، تأتم به، فأصبت، وفتح في نفسك، يعني فيما لا يبهر الإمام فيه بالقراءة.

وقيل: معناه: وأذكر نعمة ربك بالتفكير في نفسك. وقيل: أراد أذكره في نفسك بصفاته العليا، وأسمائه الحسنَى. (٥١٥: ٢)

الفَخْر الرَّاكِزِي: إنه تعالى أمر رسوله بالذكر مَقِيدًا بِقِيود.

التقيّد الأول: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾، والمراد بذكر الله في نفسه كونه عارفاً بمعاني الأذكار التي يقوِّها بلسانه مستحضراً لصفات الكمال والعزِّ والظُّلْمِ

والجلال والعظمة؛ وذلك لأنَّ الذكر باللسان إذا كان عارفاً عن الذكر بالقلب، كان عديم الفائدة. ألا ترى أنَّ الفقهاء أجمعوا على أنَّ الرجل إذا قال: بعتُ واشتريتُ مع أنه لا يعرف معاني هذه الألفاظ ولا يفهم منها شيئاً، فلا ينعقد البيع والشراء. فكذا هاهنا، ويتفرَّع على ما ذكرنا أحكام. [فلاحظ] (١٠٦: ١٥)

الْقُرْطُبِيُّ: ... وقيل: المعنى اقرا القرآن بتأمل وتدبر.

الهيضايي: عامٌ في الأذكار من القراءة والذِّهَاءِ وغيرهما، أو أمر للمأموم بالقراءة سرّاً بعد فراغ الإمام عن قراءته، كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه. (٣٨٣: ١)

الْجَسَّاسِي: [التأويل] بأن يُدْخِلَ أخلاقها بأخلاق الله. (١١٥: ٩)

أبو جَعْفَرٍ: لما أمرهم تعالى بالاستماع والإنصات إذا شرع في قراءة القرآن، ارتقى من أمرهم إلى أمر الرسول ﷺ أن يذكر ربه في نفسه، أي بحيث يراقبه ويذكره في الحالة التي لا يشعر بها أحد، وهي الحالة الشريفة العليا. [إلى أن قال:]

والذكر شامل لكل من التَّهْلِيلِ والتَّسْبِيحِ وغير ذلك...

والظاهر أن قوله: ﴿وَأَذْكُرْ﴾ خطاب للرسول ﷺ وقيل: خطاب لكل ذاكر. وقال ابن عَطِيَّة: خطاب له ويعم جميع أمته. والظاهر تعلُّق الذكر بالربِّ تعالى، لأنَّ استحضار الذات المقدَّسة استحضار لجميع أوصافها.



وقيل: هو على حذف مضاف، أي واذكر نعم ربك في نفسك باستدامة الفكر حتى لا تنسى نعمه الموجبة لدوام الشكر. [إلى أن قال:]

وقال ابن عطية: والجمهور على أن الذكر لا يكون في النفس ولا يراعى إلا بركة اللسان، قال: ويدل عليه من هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَتُؤْنِّثُ الْجُحُشَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فهذه مرتبة السر والمخافة باللفظ، انتهى. ولادلالة في ذلك لما زعم، بل الظاهر المغايرة بين الحالتين، وأنها ذكران لفظي ولساني. ولذلك قال الزمخشري: ومثكلنا كلاماً دون الجهر، لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى جنس الفكر، انتهى. (٤: ٥٢)

الشريفي: عام في الأذكار من القراءة والنداء وغيرهما، والمراد بالذكر في النفس: أن يستحضر في قلبه عظمة الله تعالى جل جلاله، لأن الذكر باللسان إذا كان عارفاً عن ذكر القلب كان عديم الفائدة، لأن فائدة الذكر حضور القلب، وإنعاره وعظمة المذكور تعالى. (١: ٥٥٠)

الهروسي: أي اذكره بالأفعال والأخلاق والذات في نفسك، بأن تبدل أفعال نفسك بالأعمال التي أمر الله بها، وتبدل أخلاقها بأخلاق الله، ونفى ذاتها في ذات الله، وهذا كما قال: «وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» وهو سر قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢، ألا ترى أن الفرائض لما ذكر الشمعة في نفسه بإقناء ذاته في ذاتها، كيف ذكرته الشمعة بإبقائه ببقائها، على أن تلك الحضرة منزهة عن المثل

والمثال. (٣: ٨٠٨)

القاسمي: خطاب للشيء والمراد عام، أو المعنى: واذكر ربك أيها الإنسان. والأول أظهر، لأن ما خوطب به الشيء لم يكن من خصائصه، فإنه مشروع لأتمته. وقد أوضح هذا آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الأحزاب: ٤١، ٤٢. [ثم ذكر قول الزمخشري المتقدم]

وقال بعض الزيدية: هذا الأمر يحتمل الوجوب، إن فسر الذكر بالصلاة وإن أريد الدعاء، أو الذكر باللسان، فهو محمول على الاستحباب. قال: وبكل حسرت الآية. (٧: ٢٩٣٦)

سيد قطب: إن ذكر الله ليس بمجرد الذكر بالشفة واللسان، ولكنه الذكر بالقلب والجنان. فذكر الله إن لم يحضر له الوجدان، وإن لم ينفق له القلب، وإن لم تمس به النفس، إن لم يكن مصحوباً بالتضرع والتذلل والخشية والخوف، لن يكون ذكراً بل قد يكون سوء أدب في حق الله سبحانه.

إنما هو التوجه إلى الله بالتذلل والضرعة والخشية والتقوى. إنما هو استحضار جلال الله وعظمته، واستحضار المخافة لفضله وعقابه، واستحضار الرجاء فيه والالتجاء إليه، حتى يصفو الجوهر الروحي في الإنسان، ويتصل بصدره القدسي الشريف المنير.

فإذا تحرك اللسان مع القلب، وإذا نبست الشفاه مع الروح، فليكن ذلك في صورة لا تحدى الخشوع

وحيث يكون الإنسان كله مشاعر خاشعة، تلين بها الجلود، وتفيض منها العيون، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْخَبِيثِ كِتَابًا مِثْلًا مِثْلًا تَنْشِيرُهُمْ جُلُودَ الَّذِينَ يَهْتَمُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣.

وهناك ذكر باللسان، هو في درجة بعد هذه الدرجة، ومزلة دون تلك المزلة، التي هي من شأن القلب وحده...

وليس الذكر باللسان مجرد أصوات تردد بكلمات الله وآياته، فإن مثل هذا الذكر لا يحصل له ولا ثمره ورائه، وإنما يكون ذكر اللسان موردًا من موارد الخير، وطريقًا قاصدًا إلى الحق والهدى، حين يتخلى من قلب خاشع، ويتلقى من مشاعر مجتمعة ما كتبه، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَذُنُوبَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي اذكر ربك في نفسك تضرعًا وخيفة ودون الجهر من القول.

يعني واذكر ربك بلسانك كما ذكرته بقلبك، ولكن بصوت خفيض ضارع متناجي فيه ربك، في غير وضوء أو جليلة، وفي هذا اجتماع للقلب واستحضار لما عذب من سوانحه وخواطره، فكما في ذكر الله بالقلب دون اللسان إتاحة الفرصة للقلب أن يضيء إلى ندائاته المنبثقة من داخله، كذلك في ذكر الله باللسان هو إيقاظ للقلب بتلك الكلمات الرقيقة الهامسة التي مرت عليه في رفق، وتصادمه في عطف ولين. (٥٥٣: ٥)

ولا تناقض الضراعة، ليكن ذلك في صوت خفيض، لا مكاء وتصدي، ولا صراخًا وضجّة، ولا غناء وتطرية ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾. (١١٢٦: ٣)

ابن عاشور: المعنى اذكر ربك وأنت في خلوتك، كما تذكره في مجامع الناس.

والذكر حقيقة في ذكر اللسان، وهو المراد هنا، وبعضه قوله: ﴿وَذُنُوبَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وذلك يشمل قراءة القرآن وغير القرآن من الكلام الذي فيه تعجيد لله وشكره ونحو ذلك، مثل كلمة التوحيد والموقلة والتسبيح والتكبير والدعاء، ونحو ذلك. (٤١٢: ٨)

الطباطبائي: قسم الذكر إلى ما في النفس ودون الجهر من القول، ثم أمر بالقسامين. وأما الجهر من القول في الذكر لمضرب عنه، لآلته ليس ذكر الجهر من القول، لأنما فاته لأدب العبودية، ويدل على ذلك ما ورد أن النبي ﷺ سار بأصحابه في بعض غزواته، فدخلوا وادبًا موحشًا والليل داج، فكان ينادي بعض أصحابه بالكبير، فنهاه النبي ﷺ، وقال: «إنيكم لا تدعون غائبًا بعيدًا».

عبد الكريم الخطيب: هو خطاب للنبي الكريم، يتصوي تحته المؤمنون جميعًا.

ومطلوب هذا الخطاب، هو ذكر الله، وشغل القلب به، في صمت «خشوع»، وفي ضراعة لكبرياء الله، وخوف ورفق لسطوته وجبروته.

وهذا هو ذكر القلب، حيث تسكن كل جارحة.

مكارم الشيرازي: هذا المحكم كلّيّ وهامّ أيضاً وإن كان الخطاب موجّهاً للنبي ﷺ، كما هو الحال في سائر آيات القرآن الأخرى وأحكامها، إذ يقول سبحانه في كتابه: ﴿وَإِذْ كُنْزُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَيْفَةً...﴾. فذكر الله في كلّ حال وفي كلّ وقت، صباحاً ومساءً، مدعاة لإيقاظ القلوب وجلائها من الدُّرن، وإبعاد الغفلة عن الإنسان، ومثله مثل مزنة الربيع، إذا نزلت أمرت القلوب بازهار التوجّه، الإحساس بالمسؤولية والبصيرة، وكلّ عمل إيجابيّ يتناه.

٤- وَلَا تَقْرَأْنِ إِشْرَاءً إِلَيْهِ فَاعِثُ لَدُنْكَ غَدًّا ۖ  
الْآنَ يَشَاءُ اللَّهُ وَادْخُلْ فِي الْكُفِّ: ٢٣، ٢٤  
راجع: ش ي هـ: «يَشَاءُ» و: ن س ي: «لَمْ يَشَأْ»

٥- وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مِرْيَمَ إِذِ انْتَبَهَتْ مِنَ الْمَوْتِ  
مَكَانًا شَرِيفًا.  
مریم: ١٦  
ابن عاشور: المراد بالذكور: التلاوة، أي أئله خبر  
مریم الذي قصته عليك. (٢٠: ١٦)

٦- وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا  
نَبِيًّا.  
مریم: ٤١  
الفخر الرازي: إنما أمر بذكره، لأنه لا يخلو ما كان  
هو ولا قومه ولا أهل بلده مشغولين بالعلم ومطالعة  
الكتب، فإذا أخبر عن هذه القصة كما كانت من غير  
زيادة ولا نقصان، كان ذلك إخباراً عن القريب  
ومعجزاً قاهرًا دالاً على نبوته. (٢٢٢: ٢١)

أبو السُّعُود: أي أئله على الناس قصته وبأنها  
إتاهم. (٢٤٢: ٤)

٧- وَإِذْ كُنَّا عِنْدَ دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِذْ أَوَّابٌ حِصْنٌ ۖ  
ابن عاشور: ابتدئ بذكر داود، لأن الله أعطاه  
ملكاً وسلطاناً لم يكن لأبيه، ففي ذكره إيماء إلى أن  
شان محمد ﷺ سيصير إلى العزة والسلطان، ولم يكن  
له سلف ولا جند، فقد كان حال النبي ﷺ أشبه بحال  
داود ﷺ...

فالمصدر المتصرف منه ﴿وَإِذْ كُنَّا عِنْدَ دَاوُدَ﴾ هو  
الذكر بضم الدال، وهو التذكّر وليس هو ذكر  
الإنسان، لأنه إنما أمر النبي ﷺ بذلك لتسلية وحفظ  
كماله، لا ليعلّمه المشركين ولا ليعلّمه المسلمين، على  
أن يلا الأمرين حاصل تبعاً حين إبلاغ المنزل، في  
المراد بالمراد لهم وقراءته عليهم.

ومعنى الأمر بتذكر ذلك تذكر ما سبق إعلام  
النبي ﷺ به من فضائله، وتذكير ما عسى أن يكون  
لم يعلمه مما يعلم به في هذه الآية. (١٢٧: ٢٣)

٨- وَإِذْ كُنَّا اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّكُلْ إِلَيْهِ عِيسَى الْمَرْمَلُ: ٨  
ابن عباس: صلّ بأمر ربك، ويقال: اذكر توحيد  
ربك. (٤٩٠)

الكلمة: صلّ لربك، أي بالتهار. (القرطبي: ١٩: ٤٢)  
سهل الشستري: اقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ﴾ في ابتداء صلواتك، توصلها بركة قراءتها إلى  
ربك وتقطعك عن كلّ ما سواه. (القرطبي: ١٩: ٤٢)

أنه إنما قال: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ هاهنا، وقال في آية أخرى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ الأعراف: ٢٠٥، لأنه لا يبدى في أول الأمر من ذكر الاسم باللسان مدّة، ثم يزول الاسم ويبقى المسمى، فالدرجة الأولى هي المراد بقوله هاهنا: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ والمرتبة الثانية هي المراد بقوله في السورة الأخرى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾. وإنما تكون مستغلاً بذكر الرب، إذا كنت في مقام مطالعة ربوبيته، وربوبيته عبارة عن أنواع تربيته لك وإحسانه إليك، فما دمت في هذا المقام تكون مشغول القلب بمطالعة آلائه ونعمائه، فلا تكون مستغرق القلب به، وحينئذ يزداد الترقى فتصير مستغلاً بذكر إلهيته، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ البقرة: ٢٠٠. وفي هذا المقام يكون الإنسان في مقام الطهارة والنجاسة، لأن الإلهية إشارة إلى الفهامة والعزة والعلو والسموية، ولا يزال العبد يرقى في هذا المقام متردداً في مقامات الجلال والتزينة والتقديس، إلى أن ينتقل منها إلى مقام الهويّة الأحديّة، التي كلّت العبارات عن شرحها، وتقاصرت الإشارات عن الانتهاء إليها. وهناك الانتهاء إلى الواحد الحق، ثم يقف لأنه ليس هناك نظير في الصفات، حتّى يحصل الانتقال من صفة إلى صفة، ولا تكون الهويّة مركبة حتّى ينتقل نظر العقل من جزء إلى جزء، ولا مناسبة لشيء من الأحوال المدركة عن النفس حتّى تُصرف على سبيل المقايسة، فهي الظاهرة، لأنها مبدأ ظهور كل ظاهر، وهي الباطنة، لأنها فوق عقول كل

أبو مسلم الأصفهاني: إنه إذا أردت القراءة فابدأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. (الماوردي: ٦: ١٢٨) الشعلي: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد والتعظيم. (١٠: ٦٢)

مثله البهوي.

الماوردي: فيه وجهان:

أحدهما: اقصد بعملك وجه ربك.

الثاني: [قول أبي مسلم]

ويحتمل وجهاً ثالثاً: واذكر اسم ربك في وعده ووعيده، لتوقّر على طاعته، وتعبد عن مصيبته.

(٦: ١٢٨)

الطوسي: يعني أسماء الله الحسنى التي تعبد بالذعاء بها. (١٠: ١٦٤)

مثله الطبرسي.

الزَّمَخْشَرِيُّ: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وذكره عليّ ذكره في ليلتك ونهارك، وأخرص عليه. وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب: تسبيح وتحميل وتكبير وتمجيد وتوحيد وحلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم، وغير ذلك مما كان رسول الله ﷺ يستغرق به ساعات ليله ونهاره. (٤: ١٧٦)

نحوه التَّبَّضَاوِيُّ (٢: ٥١٤)، والتَّسْفِي (٤: ٣٠٤)، وأبو حنّان (٨: ٣٦٣)، وأبو السَّعُود (٦: ٣٢٢)، والمَراغِي (٢٩: ١١٣).

الفخر الرازي: هذه الآية تدل على أنه تعالى أمر بشيئين:

أحدهما: الذكر، والثاني: التبتل. أمّا الذكر فاعلم

المخلوقات، فبها من احتجب عن العقول لشدة ظهوره، واختفى عنها بكمال نوره. (١٧٧: ٣٠)  
ابن عَرَبِيٍّ: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ الذي هو أنت، أي اعرف نفسك واذكرها ولا تنساها فتنساك الله، واجتهد لتحصّل كمالها بعد معرفة حقيقتها. (٧٢٠: ٢)  
الْقُرْطُبِيُّ: أي ادعُ باسمائه الحسن، ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة وقيل: أي اقصد بعملك وجه ربك، وقال سهل: اقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها إلى ربك وتقطعك عما سواه

وقيل: اذكر اسم ربك في وعده ووعيد، تشوقاً على طاعته وتعذّل عن معصيته. وقال الكلبي: صل لربك، أي بالتهازل قلت: وهذا حسن، فإنه لما ذكر الليل ذكر التهازل: إذ هو قسيمه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الَّذِي جُفِلَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ خِلْفَةً لِّمَن كَانَ إِذْ أُنْزِلَ يَذْكُرُ﴾ الفرقان: ٦٢، على ما تقدّم. (٤٢: ١٩)

الشَّارِبِيُّ: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي المحسن إليك والموجد والمدير لك بكل ما يكون ذكراً، من اسم وصفة وثناء وخضوع وتسبيح وتحميد وصلاة وقراءة ودعاء وإقبال، على علم شرعي وأدب مرعي، وذم على ذلك في ليلك ونهارك واحرص عليه، فإذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسنى بالتوحيد والإخلاص، وذلك عون لك على مصالح الدارين. أمّا الأخرى فواضح. وأمّا الدنيا فقد أرعد النبي ﷺ أعز الخلق عليه فاطمة ابنته رضي الله تعالى عنها لما سأله خادماً يقبها التعب إلى التسبيح

والتحميد والتكبير عند التوم. (٤١٧: ٤)  
الْبُرُوسِيُّ: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وذم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً على أي وجه كان، من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم، خصوصاً بعد صلاة الفداة وقبل غروب الشمس، فإتتهما من ساعات الفتح والقيض.

وذكر الله على الدوام من وظائف المقرئين سواء كان قلباً أو لساناً أو أركاناً. وسواء كان قياماً أو قعوداً أو على الجنوب.

قال شيخنا: «من أحصاها، أي حصلها دخل الجنة» فالمراد من ذكر اسمه ذكره تعالى بواسطة ذكر اسمه، ولذا قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الكهف: ٢٨ فالذكر والتسبيح في الحقيقة كلاهما من صفات القلب، وعند تعجلي المذكور يعني الذكر والذكر. كما قال شيخنا: «ثم ذكر كلامه فلاحظ: سم و: «اسم ربك»» (٢١٠: ١٠)

شهر: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ في تهجدك، أو دائماً بالتسبيح والدعاء والتلاوة ونحوها. (٣٠٥: ٦)  
الألوسي: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي وذم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً على أي وجه كان، من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك، وفتر «الأمر» بالدوام، لأنه عليه الصلاة والسلام لم ينسه تعالى حتى يؤمر بذكره سبحانه، والمراد: الدوام العرفي لا الحقيقي لعدم إمكانه، ولأن مقتضى السياق أن هذا تعميم بعد التخصيص، كأن المعنى على ما سمعت من اعتبار ليلاً ونهاراً. (١٠٦: ٢٩)

الدوام على العرفي وهم ناشئ عن عدم تحصيل المعنى على ما هو عليه، فالله جل ذكره مذكور للإنسان لا يغيب عنه ولا لحظة، سواء تنبه عليه الإنسان أو غفل عنه.

ومن الممكن أن يعرفه الله نفسه بحيث لا يغفل عنه ولا في حال، قال تعالى: ﴿قَالِ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمِعُونَ﴾ فصلت: ٢٨، وقال: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْثُونَ﴾ الأنبياء: ٢٠. وقد تقدم في تفسير الآيتين وأخر سورة الأعراف أن ذلك لا يختص باللائكة.

وبالجملة قوله: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أمر بذكر اسم من أسمائه، أو لفظ الجلالة خاصة. وقيل: المراد به البهجة.

عبد الكريم الخطيب: هو دعوة إلى الرسول الكريم أن يكون دائم مع ذكر الله في الليل أو في النهار، مع نفسه، أو مع الناس، فلا يقطع هذا السبح الطويل في النهار مع الناس، عن ذكر الله أبداً. إن رسالته كلها هي ذكر الله، والتذكير به، فهو حيث كان في ذكر الله. وفي تلاوة آياته.

وفي التعبير عن ذكر الله بذكر اسمه تعالى، إشارة إلى أن ذكر اسم الله، هو الذي يذكر بالله، وهو الذي يستحضر به ماله سبحانه من صفات الكمال والجلال التي تشع من أسمائه وصفاته، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠. ويقول جل شأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ وذكر اسم ربهم فصلت: ١٤، ١٥.

سيد قطب: وذكر اسم الله، ليس هو مجرد ترديد هذا الاسم الكريم باللسان، على عدة المستبعدة المبنية أو الالفيه، إنما هو ذكر القلب الحاضر مع اللسان الذكور. أو هو الصلاة ذاتها، وقراءة القرآن فيها.

(٣٧٤٦: ٦) ابن عاشور: عطف على ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ المزمل: ٢، وقصد بإطلاق الأمر عن تعيين زمان إلى إضادة تعميمه، أي اذكر اسم ربك في الليل وفي النهار كقوله: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الدهر: ٢٥.

وإقحام كلمة ﴿اسْمُ﴾ لأن المأمور به ذكر اللسان، وهو جامع للتذكر بالعقل، لأن الألفاظ تجري على حسب ما في النفس. الأنرى إلى قوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَكُنُوفًا﴾ من القول: الأعراف: ٢٠٥. (٢٩١: ٢٩٧)

الطباطبائي: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ كالتعظيم، وهو كالتعظيم التفسيري على قوله: ﴿وَرَكْعَ الْقُرْآنِ عَرَبِيًّا﴾ وعلى هذا المراد بذكر اسم الرب تعالى: الذكر اللفظي بمواطاة من القلب، وكذا المراد بالتهليل: التثني مع اللفظ. [ثم ذكر كلام الألويسي وأضاف:]

وفيه أنه إن أراد بالذكر الذكر اللفظي فعدم نسيانه ﷻ تعالى لا ينافي أمره بالذكر اللفظي، وإن أراد ما يعم الذكر القلبي فهو ممنوع، ولو سلم فيه: أو لا أن عدم نسيانه ﷻ إلى حين الخطاب، لا ينافي أمره بذكره بعده.

وثانياً: أن عدة الدوام الحقيقي غير ممكن، وحمل

ويقول سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت:

٤٥.

ويقول سبحانه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه:

١٤. (١٢٥٦: ١٥)

مكارم الشيرازي: من الطبيعي أن المراد ليس ذكر الاسم فحسب، بل التوجه إلى المعنى، لأن الذكر اللفظي مقدمة للذكر القلبي، والذكر القلبي يبعث على صفاء القلب والروح ويروى منهل المعرفة والتقوى في القلب.

المراد بالرتبة هو الإشارة إلى التوجه إلى النعم غير المتناهية؛ وذلك عند الإتيان بذكره المقدس، وأن يكون ذكره ملازماً مع التوجه إلى تربته تعالى شأنه لنا، ويهين بعض المفسرين مراحل لذكر الرتبة تعالى:

المرحلة الأولى: ذكره تعالى، كما أشير إلى ذلك.

المرحلة الثانية: الذكر القلبي لذاته المقدسة، كما

هو في الآية (٢٠٥) من سورة الأعراف: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَيْفَةً﴾.

ثم تبدأ المرحلة الثالثة: وفيها يتصدى الذكر مقام الربوبية، ليصل إلى مقام مجموعة الصفات الجمالية والجلالية المجتمعمة في الله تعالى، كما هو في الآية (٤١) من سورة الأحزاب؛ حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

وعلى هذا الأساس يستمر هذا الذكر ليتكامل في مراحل، ليوصل الذّاكر نفسه إلى أوج الكمال.

(١٢٢: ١٩)

٩- وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. الذّهر: ٢٥

ابن عباس: صلّ بأمرك ربك. (٤٩٦)

الفخر الرازي: وفي هذه الآية قولان:

الأول: أن المراد هو الصلاة، قالوا: لأن التقيد

بالبكرة والأصيل يدل على أن المراد من قوله: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ الصلوات.

ثم قالوا: البكرة: هي صلاة الصبح، والأصيل:

صلاة الظهر والعصر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾:

المغرب والعشاء، فتكون هذه الكلمات جامعة

الصلوات الخمس...

القول الثاني: أن المراد من قوله: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ

رَبِّكَ﴾ إلى آخر الآية، ليس هو الصلاة، بل المراد

التسبيح الذي هو التسول والاعتقاد، والمقصود أن

يكون ذاكر الله في جميع الأوقات ليلاً ونهاراً بقلبه

ولسانه وهو المراد من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وسبحوه بُكْرَةً وَأَصِيلًا.

الأحزاب: ٤١، ٤٢. (٢٥٩: ٣٠)

ابن عاشور: أي أقبل على شأنك من الدعوة

إلى الله، وذكر الله بأنواع الذكر. وهذا إرشاد إلى ما فيه

عون له على الصبر على ما يقولون.

والمراد بالبكرة والأصيل: استغراق أوقات

النهار، أي لا يصدك إغراضهم عن معاودة الدعوة

وتكريرها طرقي النهار. ويدخل في ذكر الله الصلوات

مثل قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ

الْأَيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي

لِلنَّكَارِينَ﴾ وأصير فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

هود: ١١٤، ١١٥.

وكذلك التواكل التي هي من خصائص النبي ﷺ بين مفروض منها وغير مفروض. فالأمر في قوله: ﴿وَاذْكُرْ﴾ مستعمل في مطلق الطلب من وجوب ونقل.

وذكر اسم الرتبة يشمل تبليغ الدعوة، ويشمل عبادة الله في الصلوات المفروضة والتوافل، ويشمل الموعظة بتخويف عقابه ورجاء نوابه. (٣٧٥: ٢٩) الطَّبَّاطِبَاثِي: أي دارم على ذكر ربك وهو الصلاة، في كل بكرة وأصيل وهما القدوة والعشي. (١٤١: ٢٠)

فضل الله: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فذلك هو الذي يملك تعيش حضور الله في وعيك الفكري والروحي، لتمثل وجوده في رقابته الإلهية عليك، في حضوره في ساحتك العملية، في أي موقع تختاره في ساحة الصراع، وند أي موقف ترضيه في مواقف التحدي؛ وذلك هو الذي يمنحك القوة عندما تندفع قوة الآخرين إليك لتسقط روحك، وترحق أعضائك، ولتضعف قوتك، لأنك - من خلال ذكره - تستمد قوتك من قوته، فلا تنهاب أية قوة أخرى، لأنه يملأ شعورك الداخلي وإحساسك وروحيتك بكل قوة.

إنَّ تحصين ذاتك في مواجهة التحديات والشدائد يفرض عليك أن تذكره صباحًا عندما تشرق الشمس بقدرته، فتضيء الحياة كلها من حولك بنوره، وأن تذكره عند الأصيل عندما يطبق الظلام على الكون

بإرادته، فتنام الحياة في ظلال رحمته، ليكون ذكر الله هو الذي يخرجك من الغفلة لتصحو على نداء مسؤوليتك، وهو الذي يدفعك إلى البقطة لتتحرك في التزامك من موقع وضوح الرؤية في عقلك ووجدانك. إنه ذكر القلب والعقل واللسان، والموقف العملي الذي يتوازن بين يديه. (٢٧٨: ٢٣)

### اذكُرْنِي

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ. يوسف: ٤٢

الطُّوسِي: إنما سأله أن يذكره عند سيده بخير وجرته علمه، وما خصه الله تعالى من الفضل والعلم، ليكون ذلك سبب خلاصه. والذكر حضور المعنى المتكلم وتكلم حال الذكر يتصاحب العلم وأخداه من الجهل والشك. (١٤٤: ٦)

الزَّمَخْشَرِي: صفني عند الملك بصفتي وقصر عليه قبتي، لعله يرحمني ويتناشني من هذه الورطة. (٣٢٢: ٢)

ابن عَطِيَّة: ﴿اذْكُرْنِي﴾ عند الملك، ليحتمل أن يريد أن يذكره بعلمه ومكانته، ويحتمل أن يذكره بظلمته وما امتحن به بغير حق، أو يذكره بهما.

ابن الجَوَوزِي: قل له: إنَّ في السجن خلاصًا خبيسًا ظلمًا. (٢٢٧: ٤)

الفهر الرَّاظِي: المعنى اذكر عنده أنه مظلوم من



جهة إخوته لما أخرجوه وباعوه، ثم إنه مظلوم في هذه الواقعة التي لأجلها حبس، فهذا هو المراد من الذكر. (١٨: ١٤٤)

أبو السعود: ﴿اذكّرني﴾ بما أنا عليه من الحال والصلة. (٣: ٣٩٧)

رشيد رضا: وهذا الذكر يشمل دعوته إتيانهم إلى التوحيد، وتأويله للرفق، وإنشاءهم بكل ما يأتهم من طعام وغيره قبل إتيانه، وآخره فتواه الصريحة، فهي جدية بأن تذكره به كلما قدم للملك شرايه. (١٢: ٣١٣)

سيد قطب: اذكر حالى وضمي وحقيقتي عند سيدك وحاكمك الذي تدين بشرعه وتخضع لحكمه. (٤: ١٩٩٢)

ابن عاشور: أراد بذكره: ذكر فضيلته ومظلمته. (١٣: ١٧٧)

أي اذكرني لربك، أي سيدك. فضل الله: حدثته عن مشكلتي في السجن الذي دخلته بلاذنب، وأطلب إليه أن يخرجني منه. (١٢: ٢١٣)

### اذكروا - واذكروا

١ - يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإني أفرق بين البقرة: ٤٠

ابن عباس: اشكروا واحفظوا مني. (٨)

الحسن: ذكر النعمة: شكرها. (البقي: ١: ١٠٩)

القرّاء: المعنى: لاتنسوا نعمتي، لتكون منكم على

ذكر، وكذلك كل ما جاء من ذكر النعمة قبل أن معناه - والله أعلم - على هذا: فاحفظوا ولا تنسوا. وفي حرف عبدالله: (اذكروا) وفي موضع آخر: (وذكروا ما فيه). «مثله في الكلام أن تقول: اذكر مكاتي من أهلك. (١: ٢٨)

البهوي: احفظوا، والذكر يكون بالقلب يكون باللسان. وقيل: أراد به الشكر، وذكر بلفظ الذكر، لأن في الشكر ذكرًا وفي الكفر نسيانًا. (١: ١٠٩)

الزمخشري: فذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا ما معها. (١: ٢٧٥)

نحوه التنقي: القُرطبي: الذكر: اسم مشترك، فالذكر بالقلب ضد اللسان، والذكر باللسان ضد الإنصات، وذكرات الشيء بلساني وقلبي ذكرًا، واجعله منك على ذكره يضم الذال - أي لاسمه. (٤٤: ١)

قال الكسائي: ما كان بالضمير فهو مضموم الذال، وما كان باللسان فهو مكسور الذال. وقال غيره: هما لغتان، يقال: ذكر وذكّر، ومعناها واحد. والذكر - بفتح الذال - خلاف الأنثى. والذكر أيضًا الشرف، ومنه قوله: ﴿وَأَلِهَ لَذِكْرُكَ أَكْثَرُ﴾ الزخرف: ٤٤.

قال ابن الأنباري: والمعنى في الآية: اذكروا شكر نعمتي، فحذف الشكر اكتفاء بذكر النعمة. وقيل: إنه أراد الذكر بالقلب وهو المطلوب، أي لا تنفلوا عن نعمتي التي أنعمت عليكم ولا تناسوها، وهو حسن. (١: ٣٣١)

على المستعمل تخصيصه أحد مصدرى الفعل الواحد، لأحد معاني الفعل عند التعبير فيصير ذلك اصطلاحياً استعمالياً، لا وضعاً حتى يكون من مترادف؛ إذ اتحاد الفعل مانع من دعوى ترادف المصدرين، فقد قال عمر رضي الله عنه: أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه، فسمي النوعين ذكراً. والمقصود هنا الذكر العقلي؛ إذ ليس المراد ذكر التلعة باللسان. (۴۳۶: ۱) ومتلها جاء:

۲ و ۳ - يَا أَيُّهَا إِسْرَائِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلِي فُضِّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ البقرة: ۴۷ و ۱۲۲

۴ - وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا إِنَّا آتِيَانَكُمْ بِنُورٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ البقرة: ۶۳

ابن عباس: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ من الثواب والطاب، واحفظوا ما فيه من الحلال والحرام. (۱۰) الربيع: أمروا بما في الثروة. (الطبري: ۱: ۳۶۸) الإمام الصادق عليه السلام: ﴿اذْكُرُوا مَا فِي تَرْكِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ﴾. (الطبرسي: ۱: ۱۲۸) ابن زيد: اعملوا بما فيه بطاعة الله وصدق. ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾، لا تتسوه ولا تنفلوه.

(الطبري: ۱: ۳۶۸) الطبري: يعني: واذكروا ما فيما آتيناكم من كتابنا من وعد ووعد شديد، وترغيب وترهيب، فاتلوه، واعتبروا به، وتدبروه إذا فعلتم ذلك. (۳۶۸: ۱)

الشريبي: أي بالتكثر فيها والقيام بشكرها، والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان؛ وتعيد التلعة بهم لأن الإنسان غيور حسود بالطبع، فإذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حملة الغيرة والحسد على الكفران والسخط، وإن نظر إلى ما أنعم به عليه حملة حُب التلعة على الرضا والشكر له. (۵۳: ۱)

أبو السعود: بالتفكر فيها والقيام بشكرها، وفيه إشعار بأنهم قد نسوها بالكثرة، ولم يخطر بها بالبال، لأنها أهملوا شكرها فقط. (۱۲۶: ۱)

الآلوسي: ﴿اذْكُرُوا﴾ أمر من الذكر بكسر الذال وضمتها بمعنى واحد، ويكونان باللسان والجنان. وقال الكسائي: هو بالكسر للسان وبالضم للقلب، وضد الأول المثلث وضد الثاني التام. (۲۴۴: ۱)

المرآغي: أي احفظوا بقلوبكم بمعنى بالتذكر في شكرها باللسان. وفي هذا إشارة إلى أنهم نسوها ولم يخطر بها ببالهم. (۹۹: ۱)

ابن عاشور: ﴿اذْكُرُوا﴾ أمر من الذكر، وهو أي الذكر بكسر الذال وضمتها يطلق على ظهور شيء بهال من نسيه، ولذلك قيل: «كيف يذكره من ليس ينساه». ويطلق على التلحق باسم الشيء المخاطر بهال الناس، ثم أطلق على التصريح بالذال مطلقاً، لأن الشان أن أحدًا لا ينطق باسم الشيء إلا إذا خطر بهاله، وقد فرّق بعض اللغويين بين مكسور الذال ومضمومه، فجعل المكسور للسان والمضموم للعقل، وعلما بفرقة استعمالية مؤيدة، إذ لا يحجر

الزَّجَّاج: معناه: أدرُسُوا ما فيه. (١٤٨:١)  
 الثَّعلبي: أي احفظوه واعلموه واعملوا به، وه في  
 حرف أولي: «فأذكروا بذلك مشددة وكسر الألف  
 المشددة وه في حرف» وإله وتذكروا ما فيه،  
 ومعناها اتفظوا به. (٢١٢:١)

الطُّوسي: معنى «أذكروا ما فيه»، قال قوم:  
 احفظوه، لا تنسوه. وقال آخرون: اعملوا بما فيه  
 ولا تتركوه. والمعنى في ذلك أن ما آتيناكم فيه من وعد  
 ووعد، وترغيب وترهيب اعتبروا به، واقبلوه  
 وتنبهوه، كي إذا فعلتم ذلك تتقوني وتخافوا عناي  
 بالإصرار على ضلالتكم، فتنهوا إلى طاعتي، فتزعموا  
 عنا أنتم عليه من المعصية. (٢٨٧:١)

الواحدي: المعنى: احفظوا ما في التوراة من  
 الحلال والحرام، واعملوا بما فيه. وقيل: اذكروا ما فيه  
 من الثواب والعقاب. (١٥١:١)

البهوي: وأدرُسُوا «ما فيه». وقيل: احفظوا  
 واعملوا به. (١٢٥:١)

الزَّمَخْشَرِي: واحفظوا ما في الكتاب وأدرُسوه  
 ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه. (٢٨٦:١)

مثله التَّسْمِي (٥٣:١)، والهُرُوسِي (١٥٤:١)،  
 والقاسمي (١٤٨:٢).

ابن عَطِيَّة: أي تدبروه واحفظوا أوامره وعيده،  
 ولا تنسوه ولتضيحوا الضمير عائد على «ما آتيناكم»  
 يعني التوراة. (١٥٩:١)

نحوه القُرْطُبي:  
 الطُّبْرَسِي: يعود الضمير من (فيه) إلى (ما) من

قوله: «ما آتيناكم» وهو التوراة، يعني: احفظوا ما في  
 التوراة من الحلال والحرام، ولا تنسوه...  
 وقيل: معناه اعملوا بما فيه، ولا تتركوه.

وقيل: المعنى في ذلك أن ما آتيناكم فيه من وعد  
 ووعد، وترغيب وترهيب، تدبروه، واعتبروا به  
 واقبلوه. (١٢٨:١)

الفخر الرازي: أي احفظوا ما في الكتاب  
 وأدرُسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه.

فإن قيل: هلا حملناه على نفس الذكر؟  
 قلنا: لأن الذكر الذي هو ضد النسيان من فعل الله  
 تعالى، فكيف يجوز الأمر به. فأتينا إذا حملناه على  
 الدراسة فلا إشكال. (١٠٨:٣)

نحوه التَّسْمِي (٣٣٥:١)  
 ابن عَرَبِي: وأذكروا: وعوا ما فيه من الحكم  
 والمعارف والمعلوم والشرائع، لكي تتقوا الشَّرك  
 والجهل والنفس. (٥٥:١)

الْبَيْضاوي: أدرُسوه ولا تنسوه، أو تفكروا فيه  
 فلا تتركوا بالقلب، أو اعملوا به. (٦١:١)

نحوه الشَّرِيفِي (٦٧:١)، وأبو السَّمُود (١٤٣:١)،  
 والمراغي (١٣٦:١).

أبو حَيَّان: «وأذكروا ما فيه» قرأ الجمهور به  
 أمرًا من ذكر، وقرأ أبي: (وأذكروا ما فيه): أمرًا من  
 أذكُر، وأصله: وأذكروا، ثم أبدل من التاء دال، ثم  
 أدغم الدال في الدال، إذاكثر الإدغام يستحيل فيه  
 الأول إلى الثاني. ويجوز في هذا أن يستحيل الثاني إلى  
 الأول. ويدغم فيه الأول، فيقال: أذكُر، ويجوز

أنه قال: «يهدف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا لم تحمل». وذلك أن العلم إنما يحضر في النفس مجملًا غير سالم من إيهام وغموض، فإذا برز للوجود بالعمل صار تفصيليًا جليًا، ثم ينقلب التقريبي منه بالتكرار والمواظبة بديهيًا ضروريًا، وبذلك يثبت فلا ينسى.

(٣٤١: ١)

ابن عاشور: يجوز أن يكون الذكر مجازًا عن الامتثال، أي اذكروه عند عزمكم على الأعمال حتى تكون أعمالكم جارية على وفق ما فيه، أو المراد بالذكر: التفتيم بدليل حرف «في» المؤنن بالظرفية المجازية، أي استنباط الفروع من الأصول. (٥٢٤: ١)  
فضل الله: «وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ» من المفاهيم العلمية والأخلاقية والشرائع العملية، واحفظوه ولا تنسوه، وتدبروا معانيه، ليكون ذلك كله حضورًا لكم في وعيكم وفي الواقع.

(٧٨: ٢)

٥ ... فَإِذَا أَتَيْتُم مِّنْ عَرَقَاتِ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْرِقِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِن كُنْتُمْ مِنْ قَلِيلٍ لَّيِّنَ الضَّالِّينَ. البقرة: ١٩٨

ابن عباس: بالقلب واللسان. (٢٧)

ابن أبي نجيب: يستحب للحاج أن يصلي في منزله بالمزدلفة إن استطاع، وذلك أن الله قال: «فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْرِقِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ».

(الطبري ٢: ٢٩٩)

الطبري: يعني بذلك: الصلاة والدعاء عند المشعر الحرام.

(٢٩٩: ٢)

الإظهار فتقول: إذ ذكر. وقرأ ابن مسعود: (تذكروا)، على أنه مضارع انهمزم على جواب الأمر الذي هو ﴿تَذَكَّرُوا﴾ فعلى القراءتين قيل: هذا يكون أمرًا بالاذكار، وعلى هذه القراءة يكون الذكر مترتبًا على حصول الأخذ بقوة، أي أن تأخذوا بقوة تذكروا ما فيه.

وذكر الزمخشري أنه قرئ: (وَتَذَكَّرُوا) أمرًا من التذكَّر، ولا يبعد عندي أن تكون هذه القراءة هي قراءة ابن مسعود، وهم الذي نقلناه من كتابه (تذكروا) في إسقاط الواو... [وقيل: معنى ذلك] ما فيه من أمر الله ونبيه وصفة محمد ﷺ، أو انظروا به لتنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.

والذكر: قد يكون باللسان، وقد يكون بالقلب على ما سبق، وقد يكون بهما. فباللسان مضاف: ادرُسُوا، وبالقلب معناه: تدبروا، وبهما معناه: اذكروا. ألفاظه وتدبروا معانيه. أو أريد بالذكر: تمرنه، وهو العمل، فمعناه: اعملوا بما فيه من الأحكام والشرائع والضمير في (فيه) يعود على (ما). (٢٤٣: ١)  
نحوه ملخصًا الألويسي: (٢٨١: ١)

الكاشاني: «وَأَذْكُرُوا...» من جزيل نوابنا على قيامكم به، وشديد عقابنا على إيهانكم له. (١٢٤: ١)  
شبر: [مثل الكاشاني وأضاف:]

أو احفظوه واعمَلُوا به. (١٠٧: ١)

رشيد رضا: أي بالمحافظة على العمل به، فإن العمل هو الذي يجعل العلم راسخًا في النفس مستقرًا عندها. ويؤثر عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

واذكروا الله أنها المؤمنون عند المشعر الحرام،  
بالتناء عليه والشكر له على أياديهم عندكم، وليكن  
ذكركم إتياء بالخضوع لأمره، والطاعة له، والشكر  
على ما أنعم عليكم... (٣٠٣: ٢)

الزجاج: المعنى: واذكروه ذكرًا مثل هدايته  
إياكم، أي يكون جزاء هدايته إياكم، واذكروه  
بتوحيده، والتناء عليه والشكر. (٢٧٣: ١)

ابن الأثير: يعني اذكروه بتوحيده كما ذكركم  
بهدايته. (الفتاوى: ٥: ١٩٦)

الثعلبي: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالقلبية والدعاء.  
(١١١: ٢)

مثله الواحدي (٣٠١: ١)، والبزوي (٢٥٤: ١)،  
والقرطبي (٤٢١: ٢).

الطوسي: إن الذكر بالشكر، والتناء بحسب  
يكون بحسب الأنعام، والهداية في العظمة، لا أنه يجب  
أن يكون الشكر كاللعمه في عظم المنزلة، كما يجب أن  
يكون على مقدارها لو صغرت اللعمه، ولا يجوز  
التسوية في الشطر بين من عظمت نعمته، ومن  
صغرت. (١٦٧: ٢)

نحوه الطبرسي: (٢٩٥: ١)  
القشيري: الإشارة فيه إذا وقعت حتى تمت بحق  
طلبه، فاذا كفر فضله معك، فلولا أنه أرادك لما أردته،  
ولولا أنه اختارك لما آثرت رضاه. (١٧٨: ١)

الزمخشري: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالقلبية والتهليل  
والتكبير والتناء والدعوات.

وقيل: بصلاة المغرب والعشاء. [إلى أن قال:]

واذكروه ذكرًا حسنًا، كما هداكم هداية حسنة، أو  
اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه، لا تعدلوا عنه.

(٣٤٨: ١)

نحوه البياضوي (١٠٩: ١)، والسفي (١٠٢: ١)،  
والشربيني (١٣٢: ١)، وأبو السعود (٢٥١: ١)،  
والألوسي (٨٨: ٢).

ابن العربي: فيها عشر مسائل: [إلى أن قال:]  
المسألة السابعة: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾،  
روى جابر بن عبد الله في «الصحيح»: أن النبي ﷺ  
وقف بعرفة حتى غابت الشمس، ثم دفع فأتى المزدلفة  
فصلّى فيها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين  
لم ينتح بينهما، ثم اضطلع رسول الله ﷺ حتى طلع  
الفجر فصلّى الفجر حين تبين الصبح بأذان وإقامة،  
ثم تكبّ القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل  
القبلة ودعا، كثير وهلل ووحّد، فلم يزل واقفًا حتى  
أسفر جدًا، ثم دفع قبل أن تطلع الشمس، فخرجه  
مسلم.

المسألة الثامنة: قال قوم: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا  
اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ إشارة إلى الصلاة به دون أن  
تفعل في الطريق، فإن الوقت أخذ بعرفة وتمادى عليه  
الوجوب في الطريق، فكان من حقّه أن يصلّي،  
وكذلك قال أسامة: الصلاة يا رسول الله، قال له  
النبي ﷺ «الصلاة أمامك»، حتى نزل المزدلفة فجمع  
بين الصلاتين فيها.

خرجه الأئمة، حتى قال علماؤنا وأبو حنيفة: إن  
صلاها قبل ذلك لم تجز لقول النبي ﷺ: «الصلاة

أمامك»، فجعله<sup>(١)</sup> لها حدًّا. [إلى أن قال:]

فأذكر والله تعالى، كالقلبية عند الإحرام، والتكبير عند الرمي، والتسمية عند الذبح.

(١: ١٣٧ - ١٤٠)

ابن عطيّة: تعدد للثمة «أمر بشكرها.

(١: ٢٧٥)

ابن الجوزي: ﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ أي

جزاء هدايته لكم.

فلن قيل: ما فائدة تكرير الذكر؟ قيل: فيه أربعة أجوبة:

أحدها: أنه كرره للمبالغة في الأمر به. والثاني:

أنه وصل بالذكر الثاني ما لم يصل بالذكر الأول.

فمحسن تكريره، فالمعنى: اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته.

والثالث: أنه كرره ليبدل على مواعظته.

والمعنى اذكروه ذكرًا بعد ذكر، ذكر هذه الأحوال محمد

ابن القاسم التتوي.

والرابع: أن الذكر في قوله: ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ

الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو صلاة المضرب والصلاة اللسان

يجمع بينهما بالمزدلفة. والذكر في قوله: ﴿كَمَا هَدَيْكُمْ﴾

هو: الذكر المفعول عند الوقوف بمزدلفة غدوة جمع،

(١: ٢١٣)

حكاه القاضي أبو علي.

الفخر الرازي: اختلفوا في الذكر المأمور به عند

المشعر الحرام، فقال بعضهم: المراد منه الجمع بين

(١) كذا، والظاهر، فجعل.

صلاتي المغرب والعشاء هناك، والصلاة تسمى ذكرًا،

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه: ١٤،

والدليل عليه أن قوله: ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ

الْحَرَامِ﴾ أمر وهو للوجوب، ولا ذكر هناك يجب إلا

هذا. وأما الجمهور فقالوا: المراد منه ذكر الله بالتسبيح

والتهليل...

أما قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ ففيه

سؤالات:

السؤال الأول: لما قال: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ

الْحَرَامِ﴾ فلم يقل مرة أخرى: ﴿وَأَذْكُرُوا﴾، وما

الفائدة في هذا التكرير؟

والجواب من وجوه:

أحدها: أن مذهبنا أن أسماء الله تعالى توقيفية

لا اختيارية، فقوله أولًا: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أمر بالذكر،

والمعنى الثاني: ﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ أمر لبيان

تذكره سبحانه بالأسماء والصفات التي بينها لنا وأمرنا

أن نذكره بها. لا بالأسماء التي تذكرها بحسب الرأي

والقياس.

وثانيها: أنه تعالى أمر بالذكر أولًا، ثم قال ثانيًا:

﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ أي وافعلوا ما أمرناكم به

من الذكر، كما هداكم الله لدين الإسلام، فكأنه تعالى

قال: إنما أمرتكم بهذا الذكر لتكونوا شاكرين لنطق

الثمة، ونظيره ما أمرهم به من التكبير إذا أكملوا شهر

رمضان، فقال: ﴿وَلْيَكُونُوا الْوَعْدَةُ وَيَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى

مَا هَدَيْكُمْ﴾ البقرة: ١٨٥، وقال في الأضاحي:

﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمُ الْيَكْبَرُ وَاللَّهُ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ﴾

المعجم: ٣٧.

و ثالثها: أن قوله أولاً: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ أمر بالذكر باللسان، وقوله ثانياً: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ أمر بالذكر بالقلب، وتقريره: أن الذكر في كلام العرب ضربان: أحدهما: ذكر هو ضد التسيان، والثاني: الذكر بالقول، فما هو خلاف التسيان قوله: ﴿وَمَا أَتَسَاءِلُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ الكهف: ٦٣، وأما الذكر الذي هو القول فهو كقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَلِمَاتٍ كُنَّ لَكُمْ أَوْ أَعْدَ ذُكْرًا﴾ البقرة: ٢٠٠، ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْضُودَاتٍ﴾ البقرة: ٢٠٣، فثبت أن الذكر وارد بالمعنيين، فالأول: محمول على الذكر باللسان، والثاني: محمول على الذكر بالقلب، فإن بهما يحصل تمام اليهودية.

ورابعها: [قول ابن الأنباري]

وخامسها: بمقتضى أن يكون المراد من الذكر مواصلة الذكر، كأنه قيل لهم: اذكروا الله واذكروه، أي اذكروه ذكراً بعد ذكر، كما هداكم هداية بعد هداية، ويرجع حاصله إلى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٤١.

وسادسها: أنه تعالى أمر بالذكر عند المشعر الحرام، وذلك إشارة إلى القيام بوظائف الشريعة، ثم قال بعده: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ والمعنى أن توقيف الذكر على المشعر الحرام فيه إقامة للوظائف الشرعية، فإذا عرفت هذا فربيت إلى مراتب الحقيقة، وهو أن ينقطع قلبك عن المشعر الحرام، بل عن سن سواه فيصير مستغرقاً في نور جلاله وسموته.

وبذكره لأنه هو الذي يستحق لهذا الذكر، ولأن هذا الذكر يعطيك نسبة شريفة إليه، بكونك في هذه الحالة تكون في مقام العروج ذاكراً له ومشتغلاً بالتناء عليه. وإنما بدأ بالأول وثني بالثاني، لأن العبد في هذه الحالة يكون في مقام العروج فيصعد من الأدنى إلى الأعلى. وهذا مقام شريف لا يشرحه المقال ولا يعبر عنه الخيال، ومن أراد أن يصل إليه فليكن من الواصلين إلى العين، دون السامعين للأثر.

وسابعها: أن يكون المراد بالأول هو ذكر أسماء الله تعالى وصفاته الحمسى، والمراد بالذكر الثاني: الاشتغال بشكر نعمائه، والشكر مشتمل أيضاً على الذكر، فصح أن يسمى الشكر ذكراً، والدليل على أن الذكر الثاني هو الشكر أنه علقه بالهداية، فقال: ﴿كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ والذكر المرتب على النعمة ليس إلا

الشكر.

وثامنها: أنه تعالى لما قال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ جاز أن يظن أن الذكر مختص بهذه البقعة وهذه العبادة، يعني المعجم، فأزال الله تعالى هذه التهمة فقال: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ يعني اذكروه على كل حال، وفي كل مكان، لأن هذا الذكر إنما وجب شكراً على هدايته، فلما كانت نعمة الهداية متواصلة غير منقطعة، فكذلك الشكر يجب أن يكون مستمراً غير منقطع.

وتاسعها: أن قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ المراد منه الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك، ثم قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ المراد منه

التهليل والتسبيح. (١٩٥:٥)

نحوه التيسابوري. (١٨٤:٢)

ابن عربي: أي شاهدوا جمال الله عند السر الروحي المسمى بالحفي، فإن الذكر في هذا المقام هو المشاهدة، والمشرع هو مهمل الشعور بالجمال المحرم من أن يصل إليه الغير، ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ إلى ذكره في المراتب، فإنه تعالى هدى أولاً إلى الذكر باللسان وهو ذكر النفس، ثم إلى الذكر بالقلب وهو ذكر الأفعال الذي تصدر نعماء الله وآلوه منه، ثم ذكر السر وهو معانية الأفعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات، ثم ذكر الروح وهو مشاهدة أنوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات، ثم ذكر الحفي وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاتنية، ثم ذكر الذات وهو الشهود الذاتي بارتفاع البقية. (١٧٣:١)

الرازي: فإن قيل: ما غائدة تكرار الأمر بالذكر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَقْسَمْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ﴾؟

قلنا: إنما كرره تنبيها على أنه أراد ذكرًا مكررًا لا ذكرًا واحدًا، بل مرة بعد أخرى، ولأنه زاد في الثاني فائدة أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ يعني اذكروه بأحدثته كما ذكركم بهديته، أو إشارة إلى أنه أراد بالذكر الأول: الجمع بين الصلاتين بمزدلفة. وبالثاني: الدعاء بعد الفجر بها، فلا تكرار. (١٤)

القرطبي: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ كرر الأمر تأكيدًا، كما تقول: ازم، ازم. وقيل: الأول: أمر بالذكر عند المشعر الحرام، والثاني: أمر بالذكر على حكم

الإخلاص. وقيل: المراد بالتاني: تعدد التعمية وأمر بشكرها، ثم ذكرهم بجمال ضلالهم ليظهر قدر الإنعام. فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لِنَ الضَّالِّينَ﴾ والكاف في (كما) نعت لمصدر محذوف، و(ما) مصدرية أو كافية، والمعنى اذكروه ذكرًا حسنًا كما هداكم هداية حسنة، واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه، لاتعدلوا عنه.

(٤٢٦:٢)

أبو حيان: الذكر هنا الدعاء والتضرع والثناء، أو صلاة المغرب والعشاء بالمزدلفة، أو الدعاء. وهذه أقوال ثلاثة يبنى عليها أهل الأمر: أمر نذوب، أم أمر وجوب؟ وإذا كان الذكر هو الصلاة فلا دلالة فيه على الجمع بين الصلاتين، فبصير الأمر بالذكر بالنسبة إلى الجمع بين الصلاتين مجملًا يبينه فعله <sup>فعله</sup>، وهو سنة بالمزدلفة. [إلى أن قال:]

فإن قيل: الأمر بالذكر لا يدل على ذكر مخصوص. قال بعضهم: وأولى الذكر أن يقول: اللهم كما وفقنا فيه فوفقنا لذكرك كما هديتنا، واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك وقولك الحق: ﴿فَإِذَا أَقْسَمْتُمْ﴾ ويتلو إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ثم بعد ذلك يدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة.

والذي يظهر أن ذكر الله هنا هو الثناء عليه، والمحمد له، ولا يراد بذكر الله هنا ذكر نقطة الله، وإنما المعنى اذكروا الله بالألفاظ الدالة على تعظيمه، والثناء عليه، والمحمدة له. [إلى أن قال:]

﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ هذا الأمر الثاني هو الأول، وكرر على سبيل التوكيد والمبالغة في الأمر



بالذكر، لأن الذكر من أفضل العبادات، أو غير الأول،  
فيراد به تعلقه بتوحيد الله، أي وذكروه بتوحيده كما  
هداكم بهديته. [ثم ذكر بعض الأقوال في ذلك  
وأضاف:]

والمعنى: أوجدوا الذكر على أحسن أحواله من  
مماثلته لهداية الله لكم؛ إذ هدايته إياكم أحسن ما  
أسدي إليكم من النعم، فليكن الذكر من المصور  
والدهومة في الغاية، حتى تحايل إحسان الهداية.

(٩٦: ٢)

البر وسوي: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالقلبية والتهليل  
والتسبيح والتحميد والثناء والدعوات. [إلى أن  
قال:]

﴿كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ أي كما علمكم كيف تذكرونه.  
مثل كون الذكر ذكراً كثيراً، وعلى وجه التضرع  
والخيفة والطع نائتاً عن الرغبة والرهبة. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾  
جلال المذكور وجماله، كما قال عليه السلام: «الإحسان أن  
تعبد الله كأنك تراه». فالقصود من الكاف مجرد  
التقيد لا التشبيه، أي اذكروه على الوجه الذي هداكم  
إليه، لا تعدلوا عما هديتم إليه، كما تقول: أفضل كما  
علمتلك. وليس هذا تكراراً لقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ  
التَّشْعُرِ الْحَرَامِ﴾ لأن الأول لبيان محل الذكر  
والوقوف، وتعليم التسلك المناسب لذلك المحل،  
وأوجب بالتالي أن يكون ذكرنا إياه كهدايته إيانا، أي  
موازياً لما في الكم والكيف...

قال القاشاني: إن الله تعالى هدى أولاً إلى الذكر  
باللسان في مقام النفس، ثم إلى الذكر بالقلب وهو

ذكر الأفعال، أي تصور آلاء الله ونعمائه، ثم إلى ذكر  
السر، وهو معاينة الأفعال ومكاشفة علوم تجليات  
الصفات، ثم إلى ذكر الروح وهو مشاهدة أنوار  
تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات، ثم إلى ذكر  
الخليق وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاشئنة، ثم  
إلى ذكر الذات وهو التهود الذاتي بارتقاع البعد وإن  
كنتم من قبل الهدى إلى هذه المقامات لمن الضالين عن  
طريق هذه الأذكار، انتهى. (٣١٧: ١)

شبر: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بآلاته ونعمائه، والصلاة  
على النبي صلى الله عليه وسلم، أو بالتسبيح ونحوه ﴿وَادْكُرُوا﴾  
بالثناء والشكر. (٢٠٣: ١)

المرامي: أي يطلب من الحاج إذا دفع من عرفات  
إلى أزدلفة أن يذكر الله عند المشعر الحرام بالثناء  
والتحميد والثناء والقلبية، وإنما طلب منه ذلك  
مختصةً له بكونه بعد المبيت، فطلب منه المضي في الذكر  
مادام في هذا الموضع.

﴿وَادْكُرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ أي واذكروه كما  
علمكم كيف تذكرونه، بأن يكون بتضرع وخيفة  
وطمع في ثوابه، صادر عن رغبة ورهبة، كما قال عليه السلام:  
«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه  
فإنه يراك». ولا تعدلوا عنه إلى ما كنتم تفعلونه في  
الجاهلية من الشرك واتخاذ الوسطاء بينكم وبينه،  
فلانفرغ قلوبكم له، فقد كانوا يقولون في القلبية: لبيك  
لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

(١٠٢: ٢)

ابن عاشور: ﴿وَادْكُرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ الحلف

يقتضي أن الذكر المأمور به هنا غير الذكر المأمور به في قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمُشْرَعِ الْحَرَامِ﴾، فيكون هذا أمر بالذكر على العموم بعد الأمر بذكر خاص، فهو في معنى التذييل بعد الأمر بالذكر الخاص في المشرع الحرام. (٢٣٧: ٢)

٦ - فَلَا تَقْضِيهِمْ مِنْكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا... البقرة: ٢٠٠

ابن عباس: فقولوا: يا الله. (٢٨)

كما يذكر الآباء. (الطبري ٣: ٣٠٩)

نحو الضحك، والربيع. (الطبري ٢: ٣٠٩)

كانت العرب إذا قضت مناسكها، وأقاموا بمنى، فيقوم الرجل فيسأل الله، فيقول: «اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة عظيم القبة، كثير المال، فأعطني مثله ما أعطيته». أي ليس يذكر الله تعالى، إنما يذكر آباءه، ثم يسأل أن يعطى في الدنيا. (التحاسن ١: ١٤١)

مثله السدي. (الطبري ٢: ٣١٠)

سئل ابن عباس عن قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، فقل: قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه آباءه، قال ابن عباس: ليس كذلك، ولكن أن تضرب الله إذا عصي أشد من غضبك لو أديك إذا شتمت. (البغوي ١: ٢٥٧)

أنس بن مالك: كانوا يذكرون آباءهم في الحج، فيقول بعضهم: كان أبي يعطم الطعام، ويقول بعضهم: كان أبي يضرب بالسيف، ويقول بعضهم: كان أبي جزّ

نواصي بني فلان. (الطبري ٢: ٣٠٨)  
نحوه مجاهد وأبو وائل (الطبري ٢: ٣٠٨).  
والحسن، وعطاء (ابن الجوزي ١: ٢١٥).

الحسن: إن العرب كانوا إذا حدثوا أو تكلموا يقولون: وأبيك إنهم فعلوا كذا وكذا، فنزلت هذه الآية. (ابن الجوزي ١: ٢١٥)

الإمام الباقري: كان الرجل في الجاهلية يقول: كان أبي، و كان أبي، فأنزلت هذه الآية في ذلك.

(القياسي ١: ٢٠٨)

إن أهل الجاهلية كان من قولهم: كلاً وأبيك، بلى وأبيك، فأمروا أن يقولوا: لا والله وبلى والله.

(القياسي ١: ٢٠٨)

إنهم كانوا يجتمعون، يتفاخرون بالآباء، وبآثرهم. (الطوسي ٢: ١٧٠)

عطاء: ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ هو قول الصبي: يا آباءه. (الطبري ٢: ٣٠٩)

فتادة: كان أهل الجاهلية إذا قضوا مناسكهم بمنى، فعدوا جيلًا فذكروا صنيع آبائهم في الجاهلية وفعلهم، به يخطب خطيبهم ويحدث محدثهم، فأمر الله عز وجل المسلمين أن يذكروا الله كذكر أهل الجاهلية آباءهم أو أشد ذكرًا. (الطبري ٢: ٣٠٩)

الطبري: إن أهل التأويل اختلفوا في صفة: «ذكر القوم آباءهم»، الذين أمرهم الله أن يجهلوا ذكرهم (آباءهم) كذكرهم آباءهم أو أشد ذكرًا.

فقال بعضهم: كان القوم في جاهليتهم بعد فراقهم من حجهم ومناسكهم يجتمعون فيتفاخرون بآثر

آبائهم، فأمرهم الله في الإسلام أن يكون ذكرهم بالثناء والشكر والتعظيم لربهم دون غيره، وأن يلزموا أنفسهم من الإكثار من ذكره، نظير ما كانوا الزموا أنفسهم في جاهليتهم من ذكر آبائهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فاذكروا الله كذكر الأبناء والصبيان الآباء.

وقال آخرون: بل قيل لهم: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، لأنهم كانوا إذا قضوا مناسكهم فدهوا ربهم، لم يذكروا طير آبائهم، فأمروا من ذكر الله بنظير ذكر آبائهم.

والصواب من القول عندي في تأويل ذلك أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أمر عباده المؤمنين بذكره بالطاعة له في الخضوع لأمره والعبادة له، بعد قضاء مناسكهم. وذلك «الذكر» جائز أن يكون هو التكبير الذي أمر به جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَقْدُودَاتٍ﴾ البقرة: ٢٠٣، الذي أوجبه على من قضى نسكه بعد قضائه نسكه، فالزمه حينئذ من ذكره ما لم يكن له لازماً قبل ذلك، وحث على المحافظة عليه لمحافظة الأبناء على ذكر الآباء، في الإكثار منه بالاستكانة له، والتضرع إليه بالترغيب منهم إليه في حوائجهم، كتضرع الولد لوالده، والصبي لأمه وأبيه، أو أشد من ذلك؛ إذ كان ما كان بهم وبآبائهم من نعمة فمنه، وهو وليه.

وإنما قلنا: الذكر الذي أمر الله جلّ ثناؤه به الحاج بعد قضاء مناسكه بقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْتَابِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ جائز أن

يكون هو التكبير الذي وصفناه من أجل أنه لا ذكر لله أمر العباد به بعد قضاء مناسكهم، لم يكن عليهم من فرضه قبل قضائهم مناسكهم، سوى التكبير الذي خص الله به أيام منى.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان معلوماً أنه جلّ ثناؤه قد أوجب على خلقه بعد قضائهم مناسكهم من ذكره، ما لم يكن واجباً عليهم قبل ذلك، وكان لاشيء من ذكره خص به ذلك الوقت سوى التكبير الذي ذكرناه، كانت بينه صحة ما قلنا من تأويل ذلك على ما وصفناه. (٣٠٨: ٢)

الترجّح: كانت العرب إذا قضت مناسكها، وقفت بين المسجد منى وبين الجبل، فتشدّد فضائل آبائهم وتذكر محاسن آتامها. فأمرهم الله أن يجعلوا ذلك الذكر له، وأن يزيدوا على ذلك الذكر فيذكر الله من الله عز وجل، وهو المستكور عليها.

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ ﴿ذِكْرًا﴾ منصوب على التمييز. (٢٧٤: ١)

أبو مسلم الأصفهاني: جرى ذكر الآباء مثلاً لدوام الذكر، والمعنى: أن الرجل كما لا ينسى ذكر أبيه، فكذلك يجب أن لا ينفل عن ذكر الله.

(الفخر الرازي: ٥: ٢٠٢)

القمي: كانت العرب إذا وقفوا بالمشرع يتفاخرون بآبائهم، فيقولون: لا وأبيك، لا وأبي، وأمر الله أن يقولوا: لا والله، وبلى والله. (٧٠: ١)

ابن الأثيري: إن العرب كان أكثر أقسامها في

هو المعتمد. (١٧٠: ٢)

نحوه الطيرسي. (٢٩٧: ١)

القشيري: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ إشارة إلى القيام بحق الهبة. قضاء المناسك قيام بالنفس. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ قيام له بالقلب على استدامة الوقت واستغراق العمر.

ويقال: كما أن الأغيار يفتخرون بأبائهم، ويستبشرون بأسلافهم، قلَّيْكَنَّ المتضارع ببناء واستشاركم ببناء.

ويقال: إن كان لأبائكم عليكم حق التربية فحقنا عليكم أوجب، وأفضائنا عليكم أتم.

ويقال: إن كان لأسلافكم مآثر ومناقب، فاستحقاقنا لنحوات الجلال فوق ما لا يأتكم من حسن الجلال.

ويقال: إنه سائر الدعاء لله تعالى في ذلك الموضع، لا أنتم، لأنكم لا تعلمون ذلك، فاستقيم ذكرنا، ولا تفتخر ضلك ملائكة أو سامة أو نسيان.

ويقال: إن طعن في تسبيل طاعين لم ترض، فكذلك ما تسع من أقاويل أهل الضلال والبدع فذهب عنها. ويقال: الأب يُذكر بالحرمة والحشمة، فكذلك اذكرنا بالهبة مع ذكر لطيف القرية بحسن التربية.

وقال: ﴿كَلِمَاتُكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ ولم يقل: أمهاتكم، لأن الأب يُذكر احتراماً والأم تُذكر شفقةً عليها، والله يرحم ولا يرحم.

﴿لَوْ أَشَدُّ ذِكْرًا﴾ لأن الحق أحق، ولأنك قد تستوحش كثيراً عن أبيك، والحق سبحانه منزّه عن

الجاهلية بالآباء، كقوله: وأبي وأبيكم، وجددي وجدكم، فقال تعالى: عظموا الله كعظيمكم آبائكم.

(الفخر الرازي ٥: ٢٠٢)

المأوردي: في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ تأويلان:

أحدهما: أن هذا الذكر هو التكبير في أيام منى. والثاني: أنه جميع ما سن من الأدعية في مواطن الحج كلها. (٢٦٢: ١)

الطوسي: قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ فالذكر هو العلم. وقيل: هو حضور المعنى للنفس بالقول أو غيره بما هو كالملة، لحضوره بها.

وقيل: المراد به هاهنا: التكبير أيام منى، لأنه الذكر الذي يختص به بالترغيب فيه على غيره من الأوقات.

وقيل أيضاً: إنه سائر الدعاء لله تعالى في ذلك الموضع، لا أنتم، لأنكم لا تعلمون ذلك، فاستقيم ذكرنا، ولا تفتخر ضلك ملائكة أو سامة أو نسيان.

وقوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ ذِكْرًا﴾ إنما شبه الأوجب بما هو دونه في الوجوب، لأمرين:

أحدهما: أنه خرج على حال لأهل الجاهلية، كانت معتادة أن يذكروا آباءهم بأبلغ الذكر على وجه التفاضل، فقل: اذكروا الله كالذكر الذي كنتم تذكرون به آباءكم في المبالغة، أو أشد ذكرًا بما له عليكم من اللزعة. هذا قول أنس، وأبي وائل، والحسن، وقناة.

والثاني: قال عطاء: أذكروه بالاستعانة به، كذكركم آباءكم، الصبي لأبيه إذا قال: يا أبا، والأول

أن ينظر ببال من يعرفه أنه بخلاف ما يقتضي الواجب حتى إن كان ذرة.

وقوله: ﴿كَلِمَاتُكُمْ أَتَاءَكُمْ﴾ الأب على ما يستحقه، والرتب على ما يستحقه. (١٧٩: ١)

البهوي: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير والتحميد والثناء عليه. [إلى أن قال:]

قال ابن عباس وعطاء: معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء، وذلك أن الصبي أول ما يتكلم يلهج بذكر أبيه لا يذكر غيره، فيقول الله: فاذكروا الله لا غير، كذكر الصبي آباء. (٢٥٧: ١) الزمخشري: فاذكروا ذكر الله وبالفواه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وآبائهم.

وكانوا إذا قضاوا مناسكهم وقفوا بين المسجد وبين وبين الجبل، فيحدّدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن آباءهم. ﴿أَوْ أَشَدُّ ذِكْرًا﴾ في موضع عطف على ما أضيف إليه الذكر في قوله: ﴿كَلِمَاتُكُمْ﴾، كما تقول: كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرًا. أو في موضع نصب عطف على ﴿آبَاءَكُمْ﴾ بمعنى أو أشد ذكرًا من آبائكم، على أن ذكرًا من فعل المذكور.

(٣٤٩: ١)

لحوه البضاوي (١١٠: ١)، والتسفي (١٠٢: ١)، والثريبي (١٣٣: ١)، وأبو السموذ (٢٥٢: ١)، والكاشاني (٢١٧: ١).

أبن عطية: المعنى إذا فرغتم من حجكم الذي هو الوقوف بعرفة، فاذكروا الله بحامده، وأنتموا عليه بآلائه عندكم. وخص هذا الوقت بالقضاء لما يقضي

الناس فيه مناسكهم في حين واحد، وما قبل وما بعد فهو على الاقتراق، هذا في طواف، وهذا في رمي، وهذا في حلق، وغير ذلك. وكانت عادة العرب إذا قضت حجها، تقف عند الجمرة فتتفاخر بالآباء، وتذكر آباءهم أسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك، فنزلت الآية ليلزموا أنفسهم ذكر الله تعالى أكثر من التزامهم ذكر آبائهم بآبائهم الجاهلية. هذا قول جمهور المفسرين.

وقال ابن عباس وعطاء: معنى الآية اذكروا الله كذكر الأطفال آباءهم وأمهاتهم، أي فاستفيشوا به والجؤوا إليه، كما كنتم تفعلون في حال صغركم بآبائكم.

وقالت طائفة: معنى الآية اذكروا الله وعظموه وذكروا عن حرمه وادفعوا من أراد الشرك والتقص في آيته ومشاعره، كما تذكرون آباءكم بالخير إذا غضّ لخدمته، وتحمون جوانبهم وتذنون عنهم.

وقرأ محمد بن كعب القرظي: ﴿كَلِمَاتُكُمْ أَتَاءُكُمْ﴾، أي اهتملوا بذكره كما يهتمل المرء بذكر ابنه. فالمصدر على هذه القراءة مضاف إلى المفعول. (٢٧٦: ١) الفخر الرازي: الفاء في قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ يدل على أن الفراغ من المناسك يوجب هذا الذكر، فلهاذا اختلفوا في أن هذا الذكر أي ذكر هو؟ فمنهم من حمله على الذكر على الذبيحة.

ومنهم من حمله على الذكر الذي هو التكبيرات بعد الصلاة في يوم النحر وآيام التشريق، على حسب اختلافهم في وقته أولًا وآخرًا، لأن بعد الفراغ من الحج لا ذكر مخصوص إلا هذه التكبيرات.

ومنهم من قال: بل المراد تحويل القوم عما اعتادوه بعد الحج من ذكر التقاخر بأحوال الآباء، لأنه تعالى لو لم ينه عن ذلك بإنزال هذه الآية، لم يكونوا يعدلوا عن هذه الطريقة الذميمة، فكأنه تعالى قال: فإذا قضيتم وفرغتم من واجبات الحج وحللتهم، فتوفروا على ذكر الله دون ذكر الآباء.

ومنهم من قال: بل المراد منه أن الفراغ من الحج يوجب الإقبال على الدعاء والاستغفار؛ وذلك لأن من تحمّل مفارقة الأهل والوطن وإنفاق الأموال، والتزام المشاق في سفر الحج، فعقيق به بعد الفراغ منه أن يقبل على الدعاء والتضرع وكثرة الاستغفار والالتفات إلى الله تعالى، وعلى هذا جرت السنة بعد الفراغ من الصلاة بالدعوات الكثيرة.

وفيه وجه خامس: وهو أن المقصود من الاشتغال بهذه العبادة قهر النفس ومحو آثار النفس والطبيعة، وهذا العزم ليس مقصوداً بالذات بل المقصود منه أن تزول النقوش الباطلة عن لوح الروح حتى يتجلى فيه نور جلال الله. والتقدير: فإذا قضيت مناسككم وأزلت آثار البشرية، وأعطت الأذى عن طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله، فالأول نفي والثاني إثبات، والأول إزالة مآدون الحق من سنن الآثار، والثاني استنارة القلب بذكر الملك الجبار.

أما قوله تعالى: ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ فله وجهان: أحدهما: وهو قول جمهور المفسرين: أننا ذكرنا أن القوم كانوا بعد الفراغ من الحج يبالغون في الثناء على

آبائهم في ذكر مناقبهم وفضائلهم، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، يعني توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الآباء، وابتذلوا جهدكم في الثناء على الله وشرح آياته ونعماته، كما بذلتم جهدكم في الثناء على آبائكم. لأن هذا أولى وأقرب إلى العقل من الثناء على الآباء. فإن ذكر مفاخر الآباء إن كان كذباً فذلك يوجب الذميمة في الدنيا والعقوبة في الآخرة، وإن كان صدقاً فذلك يوجب العجب والكبر وكثرة الغرور، وكل ذلك من أضرار المهلكات، فثبت أن اشتغالكم بذكر الله أولى من اشتغالكم بمفاخر آبائكم، فإن لم تحصل الأولوية فلا أقل من التساوي. [إلى أن قال:]

وتمامها: قال بعض المذكورين: المعنى اذكروا الله بالوحدانية كذكركم آبائكم بالوحدانية، فإن الوحدانية لو نسب إلى الدين لتأذى واستكف منه، ثم كان يثبت لنفسه آلهة، فقبل لهم: اذكروا الله بالوحدانية كذكركم آبائكم بالوحدانية. بل المبالغة في التوحيد هاهنا أولى من هناك، وهذا هو المراد بقوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ ذِكْرًا﴾.

وسادسها: أن الطفل كما يرجع إلى أبيه في طلب جميع المهمات، ويكون ذاكرًا له بالتعظيم، فكونوا أنتم في ذكر الله كذلك.

وسابعها: يحتمل أنهم كانوا يذكرون آباءهم ليتوسلوا بذكرهم إلى إجابة الدعاء عند الله، فعرفهم الله تعالى أن آباءهم ليسوا في هذه الدرجة؛ إذ أفعالهم الحسنة صارت غير معتبرة بسبب شركهم، وأمر أن

يجعلوا بدل ذلك تعديداً لآلاء الله ونعمانه وتكثير الثناء عليه، ليكون ذلك وسيلة إلى تواتر النعم في الزمان المستقبل. وقد نهى رسول الله ﷺ عن أن يحلفوا بآبائهم فقال: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت». إذا كان ما سوى الله فإلماً هو الله وبالله، فالأولى تعظيم الله تعالى ولا إله غيره...

واعلم أن هذه الوجوه وإن كانت محتملة إلا أن الوجه الأول هو المتعين، وجميع الوجوه مشتركة في شيء واحد وهو أنه يجب على العبد أن يكون دائم الذكر لله، دائم التعظيم له، دائم الرجوع إليه في طلب مهماته، دائم الانقطاع عن سواه، اللهم اجعلنا بهذه الصفة يا أكرم الأكرمين.

أما قوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدُّ ذِكْرًا﴾ ففيه مسائل: المسألة الأولى: عامل الإعراب في ﴿أَشَدُّ﴾ فمفعول الكاف، فيكون موضعه جرراً، وقيل: ﴿أَشَدُّ ذِكْرًا﴾ فيكون موضعه نصباً، والتقدير: اذكروا الله مثل ذكركم آباءكم، واذكروه ﴿أَشَدُّ ذِكْرًا﴾ من آباؤكم.

المسألة الثانية: قوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ ذِكْرًا﴾ معناه: بل أشد ذكرًا وذلك لأن مفاخر آباؤهم كانت قليلة، أما صفات الكمال لله عز وجل فهي غير متناهية، فيجب أن يكون اشتغالهم بذكر صفات الكمال في حق الله تعالى أشد من اشتغالهم بذكر مفاخر آباؤهم. قال الثعالبي رحمه الله: وبما أن اللغة في مثل هذا معروفة، يقول الرجل لغيره: ائمتل هذا إلى شهر أو أسرع منه، لا يريد به التشكيك، إنما يريد به التقليل عن الأول إلى ما هو أقرب منه.

(٢٠٦: ٥)

نحوه الثيباوري: ابن عمر: أي فلا تكونوا كأهل العادة مشغولين بذكر الأنساب والمفاخرات «سائر أحوال الدنيا، فإن ذلك يُكدر وقتكم ويقسي قلوبكم، بل كونوا مشغولين بأنواع الذكر والمناكرة مع الإخوان، مثل ما كنتم تذكرون أحوال الأنساب وسائر أحوال الدنيا قبل السلوك، أو كما يذكر الناس هذه الأحوال بالعادة، وأبلغ أو أقوى وأكثر ذكراً منها، ليبقى صفاؤكم ويتهدي بكم الناس.

أبو حيان: نهي بالذكر ما أمروا به من الدعاء برفات، والتمتع بالحرام، والطواف والسعي، فيكون المعنى: فإذا شرعتم في قضاء المناسك، أي في أدائها فاذكروا. وهذا خلاف الظاهر، لأن الظاهر الفراغ من المناسك لا الشروع فيها، ويؤيد ذلك مجيء الفاء في ﴿فَإِذَا﴾ بعد الفعل السابقة. ثم نقل الأقوال في «الذكر»، والأقوال في وجه نصب (ذكرًا) إلى أن قال:

فهي خمسة وجوه من الإعراب كلها ضعيف، والذي يتبادر إلى الذهن في الآية أنهم أمروا بأن يذكروا الله ذكرًا يماثل آباءهم أو أشد، وقد سألنا حمل الآية على هذا المعنى بتوجيه واضح ذهبوا عنه، وهو أن يكون: ﴿أَشَدُّ﴾ منصوباً على الحال، وهو نعت لقوله: ﴿ذِكْرًا﴾ لو تأخر، فلما تقدم انتصب على الحال، كقولهم: «يسيرة موحشاً طلل» فلو تأخر لكان: لمية طلل موحش، وكذلك لو تأخر هذا لكان: أو ذكرًا أشد، يعني من ذكركم آباءكم، ويكون إذاً: ذكرًا أشد، معطوفاً على محل الكاف من ﴿كَذُكِّرْكُمْ﴾.

ويجوز أن يكون ﴿ذَكَرًا﴾ مصدرًا، لقوله: فاذكروا كذكركم، في موضع الحال، لأنه في التقدير: نعت نكرة تقدم عليهما فانتصب على الحال، ويكون: ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ معطوفًا على محل الكاف حالًا معطوفة على حال، ويصير كقوله: أضرب مثل ضرب فلان ضربًا، التقدير ضربًا مثل ضرب فلان، فلما تقدم انتصب على الحال، وحسن تأخره أنه كالفاصلة في جنس المقطع. ولو تقدم لكان: فاذكروا ذكرًا كذكركم، فكان اللفظ يتكرر، وهم بما يجتنون كثرة التكرار للفظ، فلهذا المعنى، ولحسن القطع، تأخر.

البر وسوي: يعني فاتركوا عادة الجاهلية والجهل سبب الإسلام، واشتغلوا بذكر رب الأنعام. وكانت العرب إذا قضوا مناسكهم وقضوا بين الميعة والجهل، ويذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن آبائهم، يريد كل واحد منهم بذلك حصول الشهرة والبرح، كما يأتى سلفه، فلما هم الله من ذلك، وأمرهم بأن يجعلوا بدل ذكرهم آبائهم ذكر الله تعالى وتحميده والتثناء عليه، إذ الخير كله من عنده وآبائهم عبده، ونالوا ما نالوا بفضل الله.

﴿أَوْ أَشَدُّ ذَكَرًا﴾ مجرور معطوف على الذكر بجمله ذاكراً على الجاز، أي اذكروه ذكرًا كان مثل ذكركم المتعلق بآبائكم، أو كذكر هو أشد منه وأبلغ ذكرًا، أو تحقيقه أن «أفضل» إنما يضاف إلى ما بعده إذا كان من جنس ما قبله، كقولك: وجهك أحسن وجه، أي أحسن الوجوه، فإذا نصب ما بعده كان غير الذي قبله، كقولك: «زيد أقره عبداً» فالفراصة للعبدة

لا يزيد، والمذكور قبل ﴿أَشَدُّ﴾ هنا هو «الذكر» والذكر لا يُذكر حتى يقال: أشد ذكرًا، إنما قياسه أن يقال للذكر: أشد ذكر جبراً إضافة، فوجه التنبه أنه يجعل الذكر ذاكراً مجازاً. ويجوز نسبة الذكر إلى الذكر بأن يسمع إنسان الذكر، فيذكر، فكان الذكر قد ذكر لحدوثه بسببه.

شهر: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكرًا كثيرًا. (٢٠٤: ١) الألو سي: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ أي كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حبكم بالمفاخر...

﴿أَوْ أَشَدُّ ذَكَرًا﴾ إنما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكراً على الجاز، والمعنى: واذكروا الله ذكرًا كذكركم آباءكم أو كذكر أشد منه وأبلغ، أو على ما أضيف إليه بناءً على مذهب الكوفيين الموزعين للعطف على الضمير المجرور بدون إعادة التكرار في السكت، بمعنى: أو كذكر قوم أشد منكم ذكرًا، ﴿إِنَّمَا مَنصُوبٌ بِاللَّطْفِ عَلَى﴾ ﴿آبَاءَكُمْ﴾.

و ﴿ذَكَرًا﴾ من فعل المبني للمفعول بمعنى أو كذكركم أشد مذكورية من آبائكم، أو بضم دل عليه المعنى، أي لكن ذكركم الله تعالى أشد من ذكركم آباءكم، أو كونوا أشد ذكرًا الله تعالى منكم لآبائكم، كناية عن الاختيار في «البحر» أن يكون ﴿أَشَدُّ﴾ نصب على الحال من ﴿ذَكَرًا﴾ المنصوب بـ ﴿فَاذْكُرُوا﴾ إذ لو تأخر عنه لكان صفة له، وحسن تأخر ﴿ذَكَرًا﴾ لأنه كالفاصلة، ولزوال قلق التكرار؛ إذ لو تقدم لكان التركيب فاذكروا الله كذكركم آباءكم، أو اذكروا ذكرًا أشد. وفيه أن الظاهر على هذا الوجه أن يقال: أو أشد



بدون ﴿ذَكَرًا﴾ بأن يكون مطلقاً على ﴿كَذَرِكُمْ﴾ صفة للذكر المقدّر. وأن المطلوب الذكر الموصوف بالاشدية لا طلبه حال الشدية. (٢: ٨٩)

القاسمي: فآكثروا ذكر الله، وأبذلوا جهدكم في الثناء عليه وشرح آياته ونعماته، كما تفعلون في ذكر آياتكم ومفاخرهم، وآياهم بعد قضاء مناسككم.

(٣: ٥٠١)

نحوه المراغي: (٢: ١٠٥)

رشيد رضا: كان للعرب في الجاهلية مجامع في الموسم يفاخرون فيها بآبائهم، ويذكرون أنسابهم وفصلهم. [ثم نقل شأن نزول الآية عن ابن عباس ومجاهد، كما تقدم وقال:]

وروي أنهم كانوا يقفون بين المسجد والجبل يتفاخرون ويتناشدون، فأمرهم الله تعالى

بأن يذكروا الله تعالى بعد قضاء المناسك وهي أعمد الحج، كما كانوا يذكرون آباءهم في الجاهلية، أو أشد من ذكرهم بآبائهم.

وقد كان في حجة الوداع أن خطب النبي في اليوم الثاني من أيام التشريق، فأرشدهم إلى ترك تلك المخافات.

روى أحمد من حديث أبي نضرة، قال: حدثني من سمع خطبة النبي ﷺ في أوسط أيام التشريق، فقال: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أبائكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. أبلغت؟» قالوا: بلى رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَشْدَّ ذِكْرًا﴾ معناه ظاهر، وهو بل اذكروه أشد من ذكركم آباءكم، وفيه من الإيجاز ما ترى حسنه.

قال الأستاذ الإمام: وقد تصف في إعرابه الذين حكموا النحو الذي وضعوه في القرآن، ويعجبني قول بعض الأئمة، وأظن أنه أبو بكر بن العربي: من العجيب أن التحوين إذا ظفر أحدهم بيت شعر لأحد أجلاف الأعراب بطير فرخا به ويجعله قاعدة، ثم يُشكل عليه إعراب آية من القرآن فلا يتخذها قاعدة، بل يتكلف في إرجاعها إلى كلام أولئك الأجلاف وتصحيحها به، كأن كلامهم هو الأصل الثابت. ويعجبني أيضاً ما قاله أبو البقاء: وهو أن للقرآن إيجازاً واختصاراً في بعض المواضع المفهومة من المقام، وهو أن المعنى هنا: أو كونوا أشد ذكراً، ومثل هذا

وقال الأستاذ هنا: كلمته التي يُكررها في مثل هذا المقام، وهي أنه كان يجب أن يكون القرآن مبداً لإصلاح في اللغة العربية، وقد ذكرناها من قبل. (٢: ٢٢٥) سيّد قطب: لا يفيد أن يذكروا الأباء مع الله، ولكنه يحمل طابع التهديد، ويُوحي بالتوجيه إلى الأجداد والأولاد. يقول لهم: إنكم تذكرون آباءكم حيث لا يجوز أن تذكروا إلا الله، فاستبدلوا هذا بذلك، بل كونوا أشد ذكراً لله، وأنتم خرجتم إليه متجبرين من الثياب، فتجردوا كذلك من الأنساب. ويقول لهم: إن ذكر الله هو الذي يرفع العباد حقاً، وليس هو التفاخر بالآباء، فالميزان الجديد للقياس البشرية هو

مِيزَانُ التَّقْوَى، مِيزَانُ الْإِتِّصَالِ بِاللَّهِ وَذِكْرُهُ وَتَقْوَاهُ.

(٢٠١: ١)

ابن عاشور: أعاد الأمر بالذكر بعد أن أمر به، وبالإستغفار تحضيضاً عليه وإبطالاً لما كانوا عليه في الجاهلية، من الاشتغال بقضول القول والتفاخر، فإتاه يبرر إلى المراء والمجدال، والمقصد أن يكون الحاج منغمساً في العبادة فعلاً وقولاً واعتقاداً.

وقوله: ﴿كَذُكِّرْكُمْ آيَاهُكُمْ﴾ بيان لصفة الذكر، فالجاء والمجرور نعت لمصدر محذوف، أي ذكرًا. ﴿كَذُكِّرْكُمْ...﴾ إشارة إلى ما كانوا عليه من الاشتغال في أيام منى بالتفاخر بالآساب ومفاخر آيائهم. [أن قال:]

والمراد: تشبيه ذكر الله بذكر آيائهم في الكثرة والتكرير، وتعمير أوقات الفراغ به، وليس فيه سلب يؤذن بالجمع بين ذكر الله وذكر الآباء.

وقوله: ﴿أَوْ أَشْدُّ ذُكْرًا﴾ أضل (أو) أنها للتخيير، ولما كان المعطوف بها في مثل ما هنا أولى بضمون الفعل العامل في المعطوف عليه أفادت (أو) معنى من التدرج إلى أعلى، فالمقصود أن يذكر الله كثيراً، وشبهه أولاً بذكر آيائهم تعريضاً بأنهم يشتغلون في ذلك المناسب بذكر لا ينفع، وأن الأجدر بهم أن يعرضوه بذكر الله. فهذا تعريض بإبطال ذكر الآباء بالتفاخر، ولهذا قال أبو علي الفارسي وابن جني: إن (أو) في مثل هذا للإضراب الانتقالي، ونفيًا لاشتراط تقدم نفسي أو شبهه، واشتراط إعادة العامل. وعليه خرج قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ بالصفات:

١٤٧، وعلى هذا فالمراد من التشبيه أولاً: إظهار أن الله حقيق بالذكر هنالك مثل آيائهم، ثم بين بأن ذكر الله يكون أشد لأنه أحق بالذكر. (٢: ٢٤٠)

الطباطبائي: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ذُكِّرْكُمْ﴾ دعوة إلى ذكر الله والبلاغ فيه، بأن يذكره التائب كذكره آيائه وأشد منه، لأن نعمته في حقه - وهي نعمة الهداية، كما ذكره بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا كَمَا هُنَّ كُفُّوا عَنْكُمْ﴾ - أعظم من حق آيائه عليه. وقد قيل: إن العرب كانت في الجاهلية إذا فرغت من الحج مكنت حيناً في منى، فكانوا يتفاخرون بالآباء بالنظم والترديد لله تعالى من ذكره كذكرهم أو أشد من ذكرهم، و(أو) في قوله: ﴿أَوْ أَشْدُّ ذُكْرًا﴾ للإضراب لضيد معنى «بل» وقد وصف الذكر بالشدّة وهو المثل بقل الشدة في الكيفية، كما يقبل الكثرة في الكمية، يقال تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٤١، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٥، فإن «الذكر» بحسب الحقيقة ليس مقصوراً في اللفظ، بل هو أمر يتعلق بالحضور القلبي واللفظ حاك عنه، فيمكن أن يتصف بالكثرة من حيث الموارد بأن يذكر الله سبحانه في غالب الحالات، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران: ١٩١، وأن يتصف بالشدّة في مورد من الموارد، ولما كان المورد المستفاد من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ مورداً يستوجب التلهي عنه تعالى ونسيانه، كان الأنسب توصيف الذكر الذي أمر به فيه بالشدّة دون الكثرة، كما هو

ظاهر.

(٨٠: ٢)

الصلاة وعند الجمرات يكثر مع كل حصة وغيرها من الأوقات. (٢٦١: ١)

٧- وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِمَّامَ عَلَيْهِ... البقرة: ٢٠٣

ابن عباس: بالتكبير والتهلل والتسبيح. (٢٨) الإمام الصادق عليه السلام: التكبير في أيام التشريق في دبر الصلاة. (العماشي: ١: ٢٠٩) الطبري: اذكروا الله بالتوحيد والتعظيم.

(٣١٤: ٢)

ابن العربي: لا خلاف أن المراد بالذكر هاهنا: التكبير. وأما القلبية فاعلموا أنها مشروعة إلى رمي الجمرة بالعقبة، لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة. (١٤٠: ١)

ابن الجوزي: في هذا الذكر قولان:

أحدهما: أنه التكبير عند الجمرات، وأدبار الصلوات، وغير ذلك من أوقات الحج.

والثاني: أنه التكبير عقب الصلوات المفروضة. (٢١٧: ١)

نحوه أبو حنيفة. (١٠٩: ٢)

الفخر الرازي: المراد بالذكر في هذه الأيام: الذكر عند الجمرات، فإنه يكثر مع كل حصة، والذكر أدبار الصلوات. والثاس أجمعوا على ذلك، إلا أنهم اختلفوا في مواضع:

الموضع الأول: أجمعت الأمة على أن التكبيرات المقيدة بأدبار الصلوات مختصة بعيد الأضحية، ثم في ابتدائها وانتهائها خلاف. [ثم ذكر الأقوال في ذلك]

(٢١١: ٥)

نحوه الشافعي. (١٩٢: ٢)

الشافعي: أي كبروه أدبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها. (١٣٤: ١)

مثله أبو السعود (٢٥٣: ١)، والبروسوي: ١:

مثله الثعالب. (١٤٤: ١) الطوسي: الآية تدل على وجوب التكبير في هذه الأيام، وهو أن يقولوا: «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد». وبه قال الحسن والمجاهدي، وزاد أصحابنا على هذا القدر: «الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا» وقيل من بهيمة الأنعام.

وأول التكبير عندنا لمن كان بمنى، عقب الظهر من يوم النحر إلى فجر يوم الرابع من النحر، عقب خمس عشرة صلاة، وفي الأمصار عقب الظهر من يوم النحر إلى عقب فجر يوم الثاني من التشريق، عقب عشر صلوات، واختار المجاهدي من صلاة الفداة من يوم عرفة إلى صلاة العصر آخر يوم التشريق. وفيه خلاف ذكرناه في «الخلاف». (١٧٥: ٢)

نحوه الطبري (٢٩٩: ١)، والكاشاني (٢١٨: ١)، وشيخ (٢٠٧: ١).

البهقي: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ يعني التكبيرات أدبار

٣٢٠، والآلوسي (٢: ٩٣)، والمراغي (٢: ١٠٧).

رشيد رضا، وإنما أمر سبحانه بالذكر في هذه الأيام ولم يأمر برمي الجمار، لأنه من الأعمال التي كانوا يعرفونها ويعملون بها، وقد أقرهم عليها، وذكر المهم الذي هو روح الدين، وهو ذكر الله تعالى عند كل عمل من تلك الأعمال، تلك سنة القرآن يذكر إقامة الصلاة والخشوع فيها، وذكر الله تعالى ودعاء، وتأثير ذلك في إصلاح النفوس، ولا يذكر صفة القيام والركوع والتجود، وكون الركوع بفعل مرة في كل ركعة، والتجود بفعل مرتين، وإنما يترك ذلك لبيان النبي ﷺ له بالعمل.

وبنت السنة أيضاً أن ذكر الله تعالى في هذه الأيام هو: التكبير أدهار الصلوات، وعند ذبح القرابين، وعند رمي الجمار، وغير ذلك من الأعمال فقد روى الجماعة عن الفضل بن العباس قال: كنت رديف رسول الله ﷺ من جمع مزدلفة إلى منى فلم يزل يلبي حق رمي جرة العقة. وروى أحمد والبخاري عن ابن عمر: «أنه ﷺ كان يرمي الجمرة تكبير مع كل حصاة» وورد في التكبير في أيام التشريق أحاديث كثيرة منها حديث ابن عمر في الصحيح «أنه ﷺ كان يكبر بمعنى تلك الأيام وعلى فراشه، وفي فسطاطه، وفي مجلسه وفي معشاه في تلك الأيام جميعاً».

وأما الذكر في يوم عرفة ويوم النحر، فهو التكبير لغیر الحاج، وله أعم، ثم ذكر الروايات في ذلك إلى أن قال:

وقد قالوا: إن التلبية أفضل الذكر للحاج، ويلها

التكبير في يوم عرفة والأضحى وأيام التشريق. ولفظ التلبية المأثور: «تَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَيْلِكَ، لا شريك لك لَيْلِكَ، إن الحمد والتحمدة لك والمُلك لك، لا شريك لك». هذا هو المرفوع، وله أن يزيد من الذكر والثناء والثناء ما شاء. والتكبير المرفوع صحيحاً: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر أكبر كبيراً» ويزيدون. (٢: ٢٤١)

ابن عاشور: معطوف على ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ البقرة: ٢٠٠، وما بينهما اعتراض، وإعادة فعل ﴿اذْكُرُوا﴾ ليشي عليه تعليق الجور، أي قوله: ﴿في أيام مفد وذات﴾ لعمد متعلقه، وهو ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، لأنه أريد تعيد الذكر بصفته، ثم تعيده بزمانه ومكانه. فالذكر الثاني هو نفس الذكر الأول، وعطفه عليه منظور فيه إلى الغاوية بما علق به من زمانه. [إلى أن قال:]

ودلت الآية على طلب ذكر الله تعالى في أيام رمي الجمار، وهو الذكر عند الرمي وعند نحر الهدايا، وإنما أمروا بالذكر في هذه الأيام، لأن أهل الجاهلية كانوا يشغلونها بالتفاخر ومفاخرة النساء. [ثم استشهد بشعر]

لأنهم كانوا يرون أن الحج قد انتهى بانتهاء العاشر، بعد أن أمسكوا عن ملاذهم مدة طويلة فكانوا يعودون إليها، فأمرهم الله تعالى بذكر الله فيها، وذكر الله فيها هو ذكره عند رمي الجمار. (٢: ٢٤٥)

مكارم الشيرازي: أما المراد من «أذكار» فقد ورد في الأحاديث الإسلامية أنها تصني تلاوة التكبيرات التالية بعد خمس عشرة صلاة في هذه

الأيام، ابتداءً من صلاة الظهر من يوم العيد حتى صلاة الصبح من اليوم الثالث عشر. [وذكر ما سبق إلى بهيمة الأنعام] (٤٢: ٢)

ابن عباس: فصلوا لله بالركوع والسجود. (٣٤) ابن زيد: فإذا أمنتم فصلوا الصلاة كما افترض الله عليكم، إذا جاء الخوف كانت لهم رخصة.

(الطبري ٥٩٢: ٢)

نحوه ابن عاشور (٤٤٨: ٢)، ومثنية (٣٦٨: ١)، ومكارم الشيرازي (١٣٢: ٢).

الطبري: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ في صلاتكم وفي غيرها بالشكر له والحمد والثناء عليه، على ما أنعم به عليكم من التوفيق لإصابة الحق الذي ضل عنه أعدائكم من أهل الكفر بالله. (٥٩١: ٢)

الزجاج: أي فإذا أمنتم فقوموا قانتين مؤدنين للفرس. (٣٢١: ١)

النعاش: فاذكروا الله، أي صلوا الصلاة التي قد علمتموها، أي فصلوا كما علمكم صلاة تامة.

(ابن عطية ٣٢٥: ١)

نحوه التسلي: (١٢٢: ١)

الشعلي: أي فصلوا الصلوات الخمس تامة لحقوها. (٢٠٠: ٢)

مثله الواحدي (٣٥٣: ١)، والبقوي (٣٢٧: ١).

والشربيني (١٥٦: ١).

الماوردي: فيه تأويلان: أحدهما: [قول ابن زيد] والثاني: يريد فاذكروه بالثناء عليه والحمد له،

كما علمكم من أمر دينكم ما لم تكونوا تعلمون.

(٣٩٠: ١)

الزمخشري: من صلاة الأمن، أو فإذا أمنتم

فاشكروا الله على الأمن، واذكروه بالعبادة. (٣٧٦: ١)

٨... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ

مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ يَعِظُكُمْ بِهِ... البقرة: ٢٣١

ابن عباس: احفظوا مئة الله. (٣٢)

الزمخشري: ذكرها [النعمة]: مقابلتها بالشكر والقيام بحقوقها. (٣٦٩: ١)

نحوه البيضاوي (١٢٢: ١)، والتسلي (١١٦: ١)،

والشربيني (١٥٠: ١)، وأبو الكمود (٢٧٤: ١).

والبروسوي (٣٦٠: ١)، والآلوسي (١٤٣: ٢).

رشيد رضا: أراد تعالى أن يقرر هذه الأحكام

في النفوس بباعث الرغبة فيها بالتذكير بغوامدها

ومزاياها، ويبيان البتة في هداية الدين التي هي منسجمة

لقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ

الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ أي امتثلوا ما ذكر أنما

من أمر ونهي، وتذكروا نعمة الله عليكم بالفطرة

السليمة في الرابطة الزوجية المعبر عنها بقوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم: ٢١، وما أنزله عليكم من آيات

الأحكام المكملّة للفطرة في الزوجية والحكمة فيها.

(٣٩٨: ٢)

٩... فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا

اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. البقرة: ٢٣٩

نحوه أبو حنّان (٢: ٢٤٤)، والكاشاني (١: ٢٤٨)،  
والألوسي (٢: ١٥٨)، والمراغي (٢: ٢٠٣).

ابن عَطِيَّة: فاذا ذكروا الله بالشكر على هذه النعمة،  
في تعليمكم هذه الصلاة التي وقع بها الإجزاء،  
ولم تفتكم صلاة من الصلوات، (١: ٣٢٥)

نحوه القرطبي (٣: ٢٢٥)  
الطبرسي: أي فصلوا صلاة الأمن، وقيل:  
اذكروا الله بالثناء عليه والحمد له. (١: ٣٤٤)

نحوه ابن الجوزي (١: ٢٨٥)  
الفخر الرازي: فيه قولان:

الأول: ﴿فَاذْكُرُوا﴾ بمعنى فافعلوا الصلاة كما  
علمكم بقوله: ﴿خَالِفُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ  
الْوُسْطَى وَتَقَرُّوا إِلَيْهِ قَاتِنِينَ﴾ البقرة: ٢٣٨، وكما  
بيته بشروطه وأركانه، لأن سبب الرخصة إذا زال غاب  
الوجوب فيه كما كان من قبل، والصلاة قد تيسر  
ذكرًا لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِزَّ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة: ٩.

والقول الثاني: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي فاشكروه  
لأجل إنعامه عليكم بالأمن. طعن القاضي في هذا  
القول، وقال: إن هذا الذكر لما كان معلقًا بشرط  
مختص، وهو حصول الأمن بعد الخوف، لم يكن  
حملة على ذكر يلزم مع الخوف والأمن جميعًا على حدّ  
واحد. ومعلوم أن مع الخوف يلزم الشكر، كما يلزم مع  
الأمن، لأن في كلا الحالين نعمة الله تعالى متصلة،  
والخوف هاهنا من جهة الكفار لا من جهة تعالى،  
فالواجب حمل قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ على ذكر  
يختص بهذه الحالة.

والقول الثالث: أنه دخل تحت قوله: ﴿فَاذْكُرُوا  
اللَّهَ﴾ الصلاة والشكر جميعًا، لأن الأمن بسبب الشكر  
محدد يلزم فعله مع فعل الصلاة في أوقاتها. (٦: ١٦٧)  
نحوه الثيسابوري (٢: ٢٩٩)

أبو السُّعُود: أي فصلوا صلاة الأمن، وعبر عنها  
بالذكر لأنه معظم أركانها. (١: ٢٨٢)  
مثله الثرؤسي (١: ٣٧٣)

رشيد رضا: أي زال خوفكم واطمأنتم  
فاذكروا الله، لأنه علمكم كيف تعبدونه وتصلون له في  
حال الخوف، فيكون ذلك عونًا لكم على دفعه، أي  
تذكروا نعمه عليكم بهذا التعليم واشكروه له، هذا إذا  
قبل: إن الكاف للتعليل، وإذا قلنا: إن الكاف للبدلية،  
فالمعنى: فاذكروه على الطريقة التي علمكم إياها من  
قبل، أي فصلوا على السنة المعروفة في الأمن بإتمام  
القيام والاعتكاف، والركوع، والسجود. (٢: ٤٤٥)  
فصل الله: فإذا ارتفع الخوف وحصل الأمان،  
﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالثناء عليه، ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا  
لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ من شرائعه، وعودوا إلى ما  
وجب عليكم من الصلاة. (٤: ٣٦٢)

١٠- فَإِذَا أَقَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا  
وَعَلَى جُنُوبِكُمْ... النساء: ١٠٣  
ابن مسعود: فإذا أردتم الصلاة، فصلوا قيامًا إذا  
كنتم أصحاء، وقعودًا إذا كنتم مرضى، لا تقعدون  
على القيام، وعلى جنوبيكم إذا لم تقعدوا على القعود.  
(الطبرسي ٢: ١٠٣)

ابن عباس: فصلوا الله.

(٧٩)

لحموه الزمخشري.

(٥٦٠: ١)

أي ادعوا الله في هذه الأحوال، لعله يتصرفكم على عدوكم، ويظفركم بهم، مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال: ٤٥.

مثله أكثر المفسرين.

(الطبرسي ١٠٣: ٢)

إنه الذكر لله في غير الصلاة.

(ابن الجوزي ١٨٧: ٢)

الطبري: فاذكروا الله على كل أحوالكم، قيامًا وقعودًا ومضطجعين على جنوبكم، بالتكبير، والدعاء لأنفسكم بالظفر على عدوكم، لعل الله يظفركم وينصركم عليهم، وذلك تظهير قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال: ٤٥.

(٢٦: ٤)

نحوه الطوسي.

(٣١٢: ٣)

الزجاج: أي اذكروه بتوحيده وشكره وتسبيحه، وكل ما يمكن أن يتقرب به منه.

(٩٩: ٢)

الفعلي: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ يعني فصلوا الله... ويقال:

معناه فاذكروا الله بتوحيده وتسبيحه وشكره على كل حال.

(٣٧٩: ٣)

مثله البغوي.

(٦٩٥: ١)

الماوردي: يعني ذكر الله بالتكبير والتسبيح والتقديس بعد صلاته في خوف وغيره. (٥٢٦: ١) القشيري: الوظائف الظاهرة موقفة وحضور القلب بالذكر مسرمد [فسرمد] غير منقطع، أما

بالرُسوم فوقنا دون وقت، وأما بالقلوب فلا يترك والقيمة عن الحقيقة لحظة كيفما اختلفت بهم الأحوال. الذكر كيفما كنتم وكما كنتم، وأما الصلاة فإذا اطمأننتم.

(٥٣: ٢)

ابن عطية: ذهب جمهور العلماء إلى أن هذا الذكر المأمور به، إنما هو إثر صلاة الخوف، على حد ما أمروا عند قضاء المناسك بذكر الله، فهو ذكر باللسان. وذهب قوم إلى أن ﴿قَضَيْتُمْ﴾ بمعنى فعلتم، أي إذا تلبستم بالصلاة فلتكن على هذه الهيئات بحسب الضرورات: المرض وغيره.

(١٠٧: ٢)

ابن الجوزي: في هذا الذكر قولان:

أحدهما: [قول ابن عباس] والجمهور قالوا: وهو التسبيح، والتكبير، والدعاء، والشكر.

والثاني: [قول ابن مسعود] (١٨٧: ٢)

الفخر الرازي: فيه قولان:

الأول: فإذا قضيت صلاة الخوف، فواظبوا على ذكر الله في جميع الأحوال، فإن ما أنتم عليه من الخوف والحذر مع العدو جدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع إليه.

الثاني: أن المراد بالذكر: الصلاة، يعني صلوا قيامًا حال اشتغالكم بالمسابقة والمقارعة، وقعودًا حال اشتغالكم بالرمي، وعلى جنوبكم حال ما تكثر الجراحات فيكم، فتسقطون على الأرض، ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ حين تضع الحرب أوزارها فأقيموا الصلاة، فاقضوا ما صليتم في حال المسابقة.

هذا ظاهر على مذهب الشافعي في إيجاب الصلاة

الأذکار المفروضة والمسنونة؛ والقول الأول أظهر، والله أعلم. (۳۷۳:۵)

نحوه الشریعتی: (۳۲۹:۱)

التیضاوی: فدوموا علی الذکر فی جمیع الأحوال، أو إذا أردتم أداء الصلاة واشتد الخوف

فأدوها كيفما أمكن قیامًا مسایفین ومقارعین، وقعودًا مرامین، وعلی جنوبکم متخنین. (۲۴۱:۱)

نحوه الثقی: (۲۴۸:۱)

السیاوری: [نحو الفطر الرأزی] إلا أنه قال فی آخره:

اللهم إلا أن یقال: المراد فإذا أردتم قضاء الصلاة صلوا فی شدة النعمان القتال. (۱۳۱:۵)

أبو حیان: الذکر المأمور به هنا هو الذکر باللسان

والصلاة الخوف، علی حد ما أمروا به عند

قضاء المناسبات ذکر الله، فأمروا بذكر الله من التهليل، والتكبير، والتسبیح، والدعاء بالتصر، والتأييد فی

جمیع الأحوال، فإن ما هم فيه من ارتعاب مقارعة العدو، حقیق بالذکر، والاتجاء إلى الله، أي فإذا

اطمأنتم فاقیموا الصلاة أي أتموها.

وذهب قوم إلى أن معنى ﴿قَضَيْتُمْ الصَّلَاةَ﴾: تلبستم بالصلاة وشرعتم فيها، ومعنى الأمر بالذکر أي صلوا قیامًا فی حال المسایفة والاختلاط،

وقعودًا جائین علی الרכب من أنین، وعلی جنوبکم متخنین بالجراح، فهي هیأت لأحوال علی حسب تفصیلها. (۳۴۱:۳)

أبو السعود: أي فداوموا علی ذکر الله تعالى،

علی الشارب، فی حال المسایفة إذا حضر وقتها، وإذا

اطمأنوا فاعلمهم القضاء. إلا أن علی هذا القول إشکالًا، وهو أن یصیر تقدير الآية: فإذا قضیت

الصلاة فصلوا، وذلك بعيد، لأن حل لفظ «الذکر» علی الصلاة مجاز، فلا یصار إلیه إلا لضرورة. (۲۸:۱۱)

القرطبی: ذهب الجمهور إلى أن هذا الذکر المأمور به، إنما هو أثر صلاة الخوف، أي إذا فرغتم من

الصلاة فاذکروا الله بالقلب واللسان، علی أي حال كنتم قیامًا وقعودًا وعلی جنوبکم، وأدیموا ذکره

بالتكبير والتهليل والدعاء بالتصر لا یما فی حال القتال، ونظيره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُتِلْتُمْ فَمِنَ

مَنْ قَاتَلُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال: ۴۵.

وبقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ بمعنى إذا صلتم فی دار الحرب، فصلوا علی الذواب، أو قیامًا أو قعودًا أو

علی جنوبکم إن لم تستطعوا القيام، إذا كان خوفًا أو مرضًا، كما قال تعالى فی آیه أخرى: ﴿فَإِنْ جُفِيتُمْ

فَرَجُلًا أَوْ زُكُلًا﴾ البقرة: ۲۳۹.

وقال قوم: هذه الآية نظیره أتی فی آل عمران: فروي أن عبد الله بن مسعود رأى الناس یضجّون فی

المسجد، فقال: ما هذه الضجة؟ قالوا: أليس الله تعالى یقول: ﴿فَازْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾؟

قال: إنما یعنی بهذا الصلاة المكتوبة إن لم تستطع قیامًا فقاعدًا، وإن لم تستطع فصلًا علی جنبك، فالمراد نفس الصلاة؛ لأن الصلاة ذکر الله تعالى، وقد اشتملت علی



وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الأحوال، حتى في حال المسابقة والقتال، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال: ٤٥. [ثم أدام نحو الفخر الرازي]

(١٩٢: ٢)

نحوه البروسوي (٢: ٢٧٦)، والآلوسي (٥: ١٣٧).  
رشيد رضا: أي اذكروه في أنفسكم بتذكروا وعده، ينصر من ينصرونه في الدنيا، وإعداد الثواب والرضوان لهم في الآخرة، وأن ذلك جزاؤهم عنده ما داموا مهتدين بكتابه، جارين على سنته في خلقه، وبالسنتكم بالحمد والتكبير والتسبيح والتهليل والدعاء. اذكروه على كل حال تكونون عليها من قيام في المسابقة والمقارعة، وقعود للرمي أو المصارعة واضطجاع من الجراح أو المخادعة، تضوى قلوبكم وتعلو هممكم، وتحترقوا متاعب الدنيا وخمائمها في سبيله، فهذا مما يرجى به الثبات والصبر، وما يعقبهما من الفلاح والنصر، وهذا كقوله تعالى في سورة الأنفال ٤٥: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وإذا كنا مأمورين بالذكر على كل حال نكون عليها في الحرب، كما يُعطيه السياق. فأجدر بنا أن نؤمر بذلك في كل حال من أحوال السلم، كما يُعطيه الإطلاق على أن المؤمن في حرب دائمة وجهاد مستمرة تارةً يجاهد الأعداء، وتارةً يجاهد الأهواء، ولذلك وصف الله المؤمنين المقلاء بقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُسُودِهِمْ﴾ آل عمران:

١٩١، وأمرهم بكثرة الذكر في عدة آيات، ذكر الله أعوان ما يعين على تربية النفس، وإن جهل ذلك الغافلون.

روى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال في تفسير الآية: «لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها جزاءً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينهي إليه، ولم يُعذر أحداً في تركه، إلا مفلوفاً على عقله، فقال: فاذكروا الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ بالليل والنهار، في البر والبحر وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة والبر والعلة، وعلى كل حال».

المراغبي: أي فإذا أدبتم الصلاة على هذه الصورة فاذكروا الله تعالى في أنفسكم بتذكروا وعده ينصر من ينصرونه في الدنيا وتبيل الثواب في الآخرة، وبالسنتكم بالحمد والتكبير والدعاء، وعلى كل حال تكونون عليها من قيام في المسابقة والمقارعة، وقعود للرمي أو المصارعة، واضطجاع من الجراح أو المخادعة، فذكر الله مما يقوي القلوب ويُعلي الهِمَم، ويجعل متاعب الدنيا حقيرة «مشاقها سهلة، والثبات والصبر يعقبهما الفلاح والنصر كما قال تعالى في سورة الأنفال: ٤٥ ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

والخلاصة: إنا أمرنا بالذكر على كل حال نكون عليها في الحرب، كما يدل على ذلك السياق، فأجدر

بأن يؤمر به في حال السلم، إلى أن الموالنين<sup>(١)</sup> في جهاد مستمر وحروب دائمة، فهم تارة يجاهدون الأعداء، وأخرى يجاهدون الأهواء، ومن ثم أمرهم الله بالذكر في كثير من الآي، كقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ لما في ذلك من تربية النفس وصفاء الروح، وتذكّر جلال الله وعظمته، وأن كل شيء هين في سبيله وابتغاء مرضاته. (١٤٢: ٥)

ابن عاشور: إن المراد من الذكر هنا: التأمل، أو ذكر اللسان كالسبح والتحميد، فقد كانوا في الأمن يجلسون إلى أن يفرغوا من التسبيح ونحوه، فرخص لهم حين الخوف أن يذكروا الله على كل حال، والمراد القيام والقعود والكون على الجنب ما كان من ذلك في أحوال الحرب، لا لأجل الاستراحة. (٢١٤: ٤)

فضل الله: ﴿فَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾، لأن ذلك هو الزاد للوحي، للمؤمن المقاتل الذي يمنحه الشعور بالقوة، عندما يحس بحضور الله معه في المعركة، وفي كل حالات التحدي، فيؤدي به ذلك إلى طرد كل نوازع الخوف والقلق والضياع من نفسه، ليحل بدلًا منها الشعور بالأمن والقباط ووضوح الرؤيا، والامتلاء الروحي بعظمة الله. (٤٣١: ٧)

١١... فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْعِقَابِ المائدة: ١١

(١) كذا، والظاهر: المؤمنين.

ابن عباس: إذا أرسلت جوارحك لقل: بسم الله، وإن نسيت فلا حرج. (الطبري ٤: ٤٣٩)

السدي: إذا أرسلته فسم الله عليه حين ترسله على الصيد. (٢٢٣)

الإمام الصادق عليه السلام: إذا أرسلت الكلب المعلم فاذكر اسم الله عليه، فهو ذكاته، وهو أن تقول: بسم الله، والله أكبر. (الطبرسي ٢: ١٦١)

الطوسي: صريح في وجوب التسمية عند الإرسال. (٤٤٢: ٣)

القشيري: بين أن الأكل على الغلة غير مرضي عنه في القيامة. (٩٨: ٢)

الواحدي: إذا أرسلتم الكلاب وأطلقتموها على الصيد، والأولى للصائد أن يرسل الجارحة على اسم الله، فإن نسي حل أكل صيده، كالذابح من المسلمين، لأن اسم الله على ذبيحته حل أكلها. (١٥٧: ٢)

البهقي: فيه بيان أن ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يذبح، وفي الصيد حالة ما يرسل الجارحة أو السهم. (١٨: ٢)

ابن عطيّة: أمر بالتسمية عند الإرسال على الصيد، وفقه الصيد والذبح في معنى التسمية واحد، فقال بعض العلماء: هذا الأمر على الوجوب، ومضى ترك المرسل أو الذابح التسمية عمدًا أو نسيانًا لم تترك، وممن رويت عنه كراهية ما لم يسم عليه الله نسيانًا: الشعبي، وابن سيرين، وتافع، وأبو ثور.

ورأى بعض العلماء هذا الأمر بالتسمية على

ورأى بعض العلماء هذا الأمر بالتسمية على

الذب، وإلى ذلك ينحو أشهب في قوله: إن ترك التسمية مستخفاً لم تؤكل، وإن تركها عامداً لا يدري قدر ذلك، لكنه غير متهاون بأمر الشريعة، فإنها تؤكل.

ومذهب مالك وجمهور أهل العلم أن التسمية واجبة مع الذكر ساخطة مع التسيان، فمن تركها عامداً فقد أفسد الذبيحة والصيد، من تركها ناسياً سقى عند الأكل، وكانت الذبيحة جائزة.

واستحب أكثر أهل العلم أن لا يذكر في التسمية غير الله تعالى وأن لفظها: بسم الله، والله أكبر. وقال قوم: إن صلى مع ذلك على النبي ﷺ فجائزة. (١٥٨: ٢) ابن الجوزي: في ماء الكتابة قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الإرسال، قاله ابن عباس والشدّي. وعندنا أن التسمية شرط في إباحة الصيد والثاني: ترجع إلى الأكل، فتكون التسمية مستحبة. (٢٩٤: ٢)

القحط الرزقي: فيه أقوال:

الأول: أن المعنى: سم الله إذا أرسلت كلبك. وروى أن النبي ﷺ قال: «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل». وعلى هذا التقدير فالضمير في قوله: «عَلَيْهِ» عائد إلى «مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ» أي سموا عليه عند إرساله.

القول الثاني: الضمير عائد إلى «مَا أَمْسَكْتُمْ»، يعني سموا عليه إذا أدركتم ذكاته.

الثالث: أن يكون الضمير عائداً إلى الأكل، يعني: واذكروا اسم الله على الأكل.

روي أنه ﷺ قال لعمر بن أبي سلمة: «بسم الله وكل بما يليك».

واعلم أن مذهب الشافعي رحمه الله أن متروك التسمية عامداً يحل أكله. فإن حملنا هذه الآية على الوجه الثالث فلا كلام، وإن حملناه على الأول والثاني كان المراد من الأمر الذب توفيقاً بينه وبين النصوص الدالة على حله، وسنذكر هذه المسألة إن شاء الله تعالى في تفسير قوله: «وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» الأنعام: ١٢١. (١٤٥: ١١)

نحوه الثيسا بوري (٦٢: ٤٤)، والشريفي (١٢: ٣٥٦)، والآلوسي (٦: ٦٤). [إلا أنه قال بعد القول الثالث: وهو بعيد]

ابن عراقي: واحضروا بقلوبكم، ألها للصورة الإنسانية الكاملة تقصد وترا، لا لغرض آخر.

(٣١٢: ١)

القرطبي: أمر بالتسمية، قيل: عند الإرسال على الصيد، وفقه الصيد والذبح في معنى التسمية واحد، يأتي بيانه في «الأنعام».

وقيل: المراد بالتسمية هنا التسمية عند الأكل، وهو الظاهر. (٧٤: ٦)

البيضاوي: الضمير لـ «مَا عَلَّمْتُمْ» والمعنى سموا عليه عند إرساله أو لـ «مَا أَمْسَكْتُمْ» بمعنى سموا عليه إذا أدركتم ذكاته. (٢٦٣: ١)

نحوه السفي: (٢٧١: ١)

أبو حيان: الظاهر عود الضمير في «عَلَيْهِ» إلى المصدر المفهوم من قوله: «فَكُلُوا»، أي على الأكل.

و الرمي بالسهم، هذه الآية و هذا الحديث. و هذا القول هو المشهور عند الجمهور: أن المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الإرسال، كما قال السدي وغيره. و قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: في هذه الآية: «إذا أرسلت جارك فقل: بسم الله، و إن نسيت فلا حرج». انتهى.

قال بعض الزيدية: و التسمية هنا كالتسمية على الذبيحة. فبين قائل بوجودها على الذكور لا التماسي، لحديث: «رفع عن أمي الخطأ والبيان».

و من قائل بأنها مستحبة، و من قائل بأنها شرط مطلقا، المشهور عن أحمد التفرقة بين الصيد و الذبيحة.

فذهب في الذبيحة إلى هذا القول الثالث. ثم قال: لقائل أن يقول: يحتمل أن يرجع قوله تعالى: «و اذكروا اسم الله عليه» إلى الأكل، أي فسموا عند الأكل، فدلالة الآية محتملة في وجوب التسمية، انتهى. و هذا الاحتمال حكاه ابن كثير ونحوه:

و قال بعض الناس: المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الأكل. كما ثبت في الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ علم ربيبه، عمر بن أبي سلمة، فقال: سم الله و كل بيمينك و كل شمالك».

و في صحيح البخاري عن عائشة أنهم قالوا: «يا رسول الله! إن قومنا يأتوننا، حديث عهد بكفر، بلحمان، لا تدري أذكر اسم الله عليها أم لا؟ فقال: سموا الله أنتم و كلوا أنتم». و قال الترمذي: حسن صحيح.

(١٨٥٥: ٦)

رشيد رضا: الظاهر المتبادر من هذا الأمر:

و في الحديث في صحيح مسلم: «سم الله و كل شمالك». و قيل: يعود على «ما أمسكن» أي على معنى و سموا عليه إذا أدركتم ذكاته، و هذا فيه بعد.

و قيل: على «ما علمتم من الجوارح» أي سموا عليه عند إرساله، لقوله: إذا أرسلت كلبك و ذكرت اسم الله فكل.

واختلفوا في التسمية عند الإرسال، أهى على الوجوب؟ أو على التدب؟ و المستحب أن يكون لفظها بسم الله، و لله أكبر. و قول من زعم: أن في الكلام تقدما و تأخيرا، و أن الأصل: فاذكروا اسم الله عليه و كلوا مما أمسكن عليكم، قول مرغوب عنه لضعفه.

(١٣٠: ٣)

أبو السعود: الضمير في «ما علمتم» أي سموا عليه عند إرساله، أو لما أمسكنه، أي سموا عليه إذا أدركتم ذكاته.

نحوه الثرؤسوي (٣٤٦: ٢)، و شبر (١٤٣: ٢).

القاسمي: تنبيهات: [إل أن قال:]

الراجع: في الآية مشروعية التسمية. قال ابن كثير: قوله تعالى: «و اذكروا اسم الله عليه» أي عند إرساله له، كما قال النبي ﷺ لهدي بن حاتم: «إذا أرسلت كلبك المعلم و ذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك».

و في حديث أبي ثعلبة الخفري في «الصحيحين» أيضا: «إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، و إذا رميت بسهمك».

و لهذا اشترط من اشترط من الأئمة، كالإمام أحمد رحمه الله، في المشهور عنه: التسمية عند إرسال الكلب

اذكروا اسم الله على ما أمسكت عليكم جوارحكم من الصيد عند أكله. والمشهور أن المراد به التسمية عند إرسال الكلب ونحوه، أخذاً من حديث عدي بن حاتم: «إذا أرسلت كلبك وسميت، فأخذ فقتل فكل». وفي رواية: «فلان وجدت مع كلبك كلباً غيره، وقد قتل فلان تأكل؛ فإلك لا تدري أيهما قتله». وفي رواية: «فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره».

وقد يقال: إن هذا لم يرد في تفسير الآية، فهو حكم قد ثبت بالسنة، على رأي من يقول: إن الأحكام تثبت بها، وإن لم يكن لها أصل في الكتاب، أو هو مأخوذ من آية أخرى كظاهر: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا نَمُ يَذْكُرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الأنعام: ١٢١. أو يقال: إن التسمية عند إرسال الكلب سنة.

وقد اختلف العلماء في حكم التسمية: إذ ليس فيها نص صريح أجمع السلف عليه. [إلى أن قتال يحد نقل بعض الروايات وأقوال الفقهاء:]

والتمذة في هذا الباب آية الأنعام: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا نَمُ يَذْكُرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِشْقٌ﴾ فقد ذهب بعض مفسري الأثر إلى أن المراد به: ما ذبح لغير الله، وذهب آخرون: إلى أنه عام في جميع الذبائح، قال ابن جرير بعد ذكر الروايات في الآية: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عني بذلك: ما ذبح للأصنام والآلهة، أو ما مات، أو ذبحه من لا يحل ذبحته. وأما من قال: عني بذلك ما ذبحه المسلم فمسي ذكر اسم الله، فقول بعيد من الصواب، لشذوذه، وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله.

وكفى بذلك شاهداً على فساد، وقد بينا فساد، من جهة القياس في كتابنا المسمى «لطيف القول في أحكام شرائع الدين» فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. (٦: ١٧٥)

سيد قطب: والله يعلم المؤمنين أن يذكروا اسم الله على الصيد الذي تمسك به الجوارح. ويكون الذكر عند إطلاق الجراح، إذ إنه قد يقتل الصيد بنابه أو ظفره، فيكون هذا كالتذبح له، واسم الله يذكر عند الذبح، فهو يذكر كذلك عند إطلاق الجراح، سواء.

(٢: ٨٤٧)

ابن عاشور: أمر بذكر الله على الصيد، ومعناه أن يذكر، عند الإرسال، لأنه قد يموت بجرح الجراح، وأما إذا أسكه حيًا فقد تعين ذبحه، فيذكر اسم الله عليه حينئذ. ولقد أبدع إيجاز كلمة ﴿عَلَيْهِ﴾ لينسب إلى الذبح حكم نسيان التسمية ونعمت تركها معلوم من كتب الفقه والخلاف، والدين يسر.

وقد اختلف الفقهاء في أن الصيد رخصة، أو صفة من صفات الذكاة، فالجمهور الحقوه بالذكاة، وهو الرأجح، ولذلك أجازوا أكل صيد الكتابي دون المجوسي. وقال مالك: هو رخصة للمسلمين، فلا يؤكل صيد الكتابي ولا المجوسي، ولا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْلُغُوا إِلَى اللَّهِ يُشْرِكُ بِهِ مِنَ الْصيدِ ثَلَاثَةً أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ المائدة: ٩٤. وهو دليل ضعيف؛ لأنه وارد في غير بيان الصيد، ولكن في حرمة الحرم. وخالفه أشهب، وابن وهب، من أصحابه.

ولا خلاف في عدم أكل صيد المجوسي إلا رواية

عن أبي نوري: إذا لم يلقهم بأهل الكتاب، فهو اختلاف في الأصل لا في الفرع. (٤٢: ٥)

مغنية... فلا يحمل صيد الجوارح إلا مع توافر الشروط التالية: [إلى أن قال:]

٤ - أن يُسمي الصائد عند إرسال الجارح، فيقول: اذهب على اسم الله وما أشبه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (١٦: ٣)

عبد الكريم الخطيب: أي اذكروا اسم الله على الصيد الذي يحمل إليكم من كلاب الصيد هذه، وذلك بذكر اسم الله عليها بقولكم: «باسم الله أكبر»

وكذلك ينبغي أن يذكر اسم الله على الصيد الذي يصاد بالسم، وترسل الكلاب المعلمة للإتيان به بعد أن يحسبه السهم، حياً أو ميتاً، فذلك هو ذكاة له. (١٦: ٣)

فضل الله: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ قبل أن ترسلوه إليه، فإن الله أراد للإنسان أن يتطلق في قتل الحيوان باسمه، لأنه خائفه، فليس له أن يقتله إلا على أساس وحيه ورضخته به، ليكون ذلك وسيلة للخروج من الحالة الذاتية الفريزية الصوانية إلى الحالة الروحية المتحركة في دائرة أمر الله ونهيه بحيث يعيش الإنسان معنى العبودية لله في علاقته بالحيوان في حاجاته للتغذي به، والله العالم. (٥١: ٨)

١٢ - وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّتِي وَاقَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَلْفَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

عظيم بذات الصدور.

المائة: ٧

أبن عباس: أحفظوا مئة لله. (٨٩)

أبن الجوزي: في هذا حث على الشكر. (٣٠٦: ٢)

الفخر الرازي: فيه مسألان:

المسألة الأولى: قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ المراد التأمل في هذا النوع، من حيث إنه ممتاز عن نعمة غيره، وذلك الامتياز هو أنه لا يقدر عليه غيره ومعلوم أن النعمة متى كانت على هذا الوجه كان وجوب الاشتغال بشكرها أتم وأكمل.

المسألة الثانية: قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ مشعر بسبق التسيان، فكيف يعقل نسيانها مع أنها متواترة متوالية علينا في جميع الساعات والأوقات، إلا أن الجواب عنه أنها لكثرتها وتعاقبها صارت كالامر المتتابع لبيانات غلبة ظهورها وكثرتها سبباً لوقوعها في محل التسيان، ولهذا المعنى قال المحققون: إنه تعالى إنما كان باحثاً لكونه ظاهراً، وهو المراد من قولهم: «سبحان من احتجب عن العقول بشدة ظهوره، واخفى عنها بكمال نوره». (١٧٩: ١١)

نحوه الشريف: (٣٥٩: ١)

١٣ - وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَخْدَانٍ مِنَ الْعَالَمِينَ. (المائدة: ٢٠)

أبو السعود: توجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث، مع أنها المقصودة بالذات

للمبالغة في إيجاب ذكرها، لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني، ولأن الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلاً، فإذا استحضر كان ما وقع فيه حاضراً بتفاصيل كآله مشاهد عياناً، و﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بنفس «الجمعة» إذا جعلت مصدراً، وبمحذوف وقع حالاً منها إذا جعلت إسماً، أي اذكروا إتمامه عليكم.

نحوه الألويسي: (١٠٥: ٦)

المراغي: اشكروه على ذلك بالطاعة له، لأن ذلك يوجب مزيدها. (٨٨: ٦)

١٤-١٥- وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ تَحْتِ عِلَافٍ وَيُؤَاكُمُ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثُونَ مِنْ سُوءِ أَلْفَاظِهِمْ وَتُحِبُّونَ الْجِبَالَ بَيْوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَغْفُوا إِلَى الْأَرْضِ مُغْفِدِينَ.

ابن عاشور: فعل ﴿واذكروا﴾ مشتق من المصدر، الذي هو بضم الذال، وهو التذكر بالعقل والظفر النفساني، وتذكر الآلاء يبعث على الشكر والطاعة وترك الفساد، فلذلك عطف عليهم عن الفساد في الأرض على الأمر بذكر آلاء الله. (١٧١: ٨)

١٦-... خَلَدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِمْ لَعَلَّكُمْ تُفْقَهُونَ.

ابن عباس: ﴿واذكروا ما فيه﴾ من الثواب والعقاب. ويقال: احفظوا ما فيه من الأمر والنهي. ويقال: اعملوا بما فيه من الحلال والحرام. (١٤١)

ونحوه أكثر التفسير

١٧- وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُخْطَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ...

الأنفال: ٢٦

ابن عاشور: فعل ﴿واذكروا﴾ مشتق من الذكر بضم الذال، وهو التذكر لا ذكر اللسان، أي تذكروا.

(٧٣: ٩)

١٨- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُلْتُمْ فَتَةً فَاسْتَثْنُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

ابن عباس: بالقلب واللسان، بالتهليل والتكبير.

(١٤٩)

أمر الله أوليائه بذكره في أشد أحوالهم، تنبيهاً على أن الإنسان لا يجوز أن يخلي قلبه ولسانه عن ذكر الله، ولو كان حياً.

الأموال سبحانه، والآخر من المشرق إلى المغرب يضرب بسيفه في سبيل الله، كان التذكير أعظم أجراً.

(الفتح الرازي: ١٥: ١٧١)

الطبري: يقول: وادعوا الله بالتضرع عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وأستذكروا. (٢٩٠: ٦)

نحوه الطبري: (٣٦٣: ٤)، والبقي (٢٩٨: ٢).

الزمخشري: ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ في مواطن الحرب، مظهرين بذكره مستنصرين به، داعين له على عدوكم: اللهم اخلطهم، اللهم اقطع دابرهم.

(١٦٣: ٢)

نحوه البضاوي: (٣٩٦: ١)، والتسني: (١٠٦: ٢).

وَأَبُو السُّعُود (٣: ١٠١)، وَالتِّرْوَسَوِي (٣: ٣٥٢).

الْفُطْر الرَّاظِي: فِي تَفْسِيرِ هَذَا الذِّكْرِ قَوْلَانِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونُوا يَظْلُمُونَ ذَاكِرِينَ اللَّهَ  
وَبِالسُّنَنِ ذَاكِرِينَ اللَّهَ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنْ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا الذِّكْرِ الدُّعَاءُ  
بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

(١٥: ١٧١)

الْقُرْطُبِيُّ: لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الذِّكْرِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: اذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ جَزَعِ قُلُوبِكُمْ، فَلَمَّا ذَكَرَهُ  
يَمِينُ عَلَى الثَّبَاتِ فِي الشَّدَائِدِ.

الثَّانِي: ائْتَمُوا بِقُلُوبِكُمْ، وَادْكُرُوهُ بِالسُّنَنِ، فَلَمَّا  
الْقَلْبُ لَا يَسْكُنُ عِنْدَ الْفَقْدِ وَيُضْطَرُّبُ اللِّسَانَ، فَأَمَرَ  
بِالذِّكْرِ حَتَّى يَثْبُتَ الْقَلْبُ عَلَى الْيَقِينِ، وَثَبَتَ اللِّسَانُ  
عَلَى الذِّكْرِ، وَيَقُولُ مَا قَالَهُ أَصْحَابُ طَالُوتَ: **وَإِذَا  
أَفْرَغَ غَلِيظًا حَتِيرًا وَنَهَسَتْ أَفْدَانُنَا وَالصَّرْنَا عَلَى الْخُفُوفِ  
الْكَاثِرِينَ** (البقرة: ٢٥٠). وَهَذِهِ الْحَالَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا  
عَنْ قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ، وَاتِّقَادِ الْبَصِيرَةِ، وَهِيَ الشَّجَاعَةُ  
الْحَمُودَةُ فِي النَّاسِ.

الثَّالِثُ: اذْكُرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ لَكُمْ فِي  
ابْتِغَاءِهِ أَنْفُسَكُمْ وَمَنَامَتِهِ لَكُمْ.

قُلْتُ: وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ ذِكْرُ اللِّسَانِ الْمُوَافِقُ لِلجَنَانِ.

[[إِلَى أَنْ قَالَ:]]

وَحُكْمُ هَذَا الذِّكْرِ أَنْ يَكُونَ خَفِيًّا، لِأَنَّ رَفْعَ  
الصَّوْتِ فِي مَوَاطِنِ الْقِتَالِ رَدِيءٌ مَكْرُوهٌ إِذَا كَانَ الذَّاكِرُ  
وَاحِدًا. فَأَمَّا إِذَا كَانَ مِنَ الْجَمِيعِ عِنْدَ الْحَمَلَةِ فَحَسَنٌ،  
لِأَنَّهُ يَنْفَعُ فِي أَعْضَادِ الْعَدُوِّ. (٨: ٢٣)

الْأَلُوسِي: أَيُّ فِي تَضَاعُفِ الْقِتَالِ. وَفَرَّ بَعْضُهُمْ  
هَذَا الذِّكْرَ بِالتَّكْبِيرِ، وَبَعْضُهُمْ بِالدُّعَاءِ، وَرَوَوْا أَدْعِيَةً  
كَثِيرَةً فِي الْقِتَالِ، مِنْهَا: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ نَوَاصِينَا  
وَنَوَاصِيَهُمْ بِيَدِكَ، فَاقْتُلْهُمْ وَاهْزَمْهُمْ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ: إِخْطَارُهُ بِالْقَلْبِ،  
وَتَوْقُّعُ نَصْرِهِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ: اذْكُرُوا مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ

النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي السُّنَنِ وَالْقَوَابِ فِي الْآخِرَةِ،  
لِيَدْعُوَكُمْ ذَلِكَ إِلَى الثَّبَاتِ فِي الْقِتَالِ. (١٠: ١٣)

رَشِيدُ رَضَا: وَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِي أَثْنَاءِ الْقِتَالِ

وَتَضَاعُفِهِ، اذْكُرُوهُ فِي قُلُوبِكُمْ بِذِكْرِ قُدْرَتِهِ، وَوَعْدِهِ  
بِنَصْرِ رُسُلِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَنَصْرَ كُلِّ مَنْ يَتَّبِعُ سُنَّتَهُمْ بِنَصْرِ  
دِينِهِ، وَإِقَامَةِ سُنَّتِهِ، وَبِذِكْرِ نَهْيِهِ لَكُمْ عَنِ الْيَأْسِ مَهْمَا  
اِسْتَدَّ الْيَأْسَ، وَبِأَنَّ النَّصْرَ بِيَدِهِ وَمِنْ عِنْدِهِ، بِنَصْرِ مَنْ  
يَتَّبِعُهُ، وَهُوَ الْقُدْرَةُ الْعَزِيزَةُ. فَمَنْ ذَكَرَ هَذَا، وَتَأَمَّلَ فِيهِ  
لَا يَهْوِلُهُ قُوَّةُ عَدُوِّهِ وَاسْتِعْدَادُهُ، لِإِيْمَانِهِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
أَقْوَى مِنْهُ، وَادْكُرُوهُ أَيْضًا بِالسُّنَنِ مَوَافَقَةً لِقُلُوبِكُمْ،  
بِمَثَلِ التَّكْبِيرِ الَّذِي تَتَصَفَّرُونَ بِمُلَاحَظَةِ مَعْنَاهُ كُلِّ مَا  
عَدَاهُ، وَالدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَعَ الْيَقِينِ بِأَنَّ  
لَا يُجْزِئُهُ شَيْءٌ. (١٠: ٢٢)

نَحْوُ الْمَرَاغِي

ابْنُ عَاشُورَ: وَذِكْرُ اللَّهِ الْمَأْمُورُ بِهِ هُنَا، هُوَ ذِكْرُهُ  
بِاللِّسَانِ، لِأَنَّهُ يَتَضَعَّنُ ذِكْرَ الْقَلْبِ، وَزِيَادَةُ فَلَائِهِ إِذَا  
ذَكَرَ بِلِسَانِهِ فَقَدْ ذَكَرَ بِقَلْبِهِ وَبِلِسَانِهِ، وَسَمِعَ الذِّكْرَ  
بِسَمْعِهِ، وَذَكَرَ مِنْ بَلِيَّةِ ذَلِكَ الذِّكْرِ، فَفِيهِ فَوَائِدُ زَائِدَةٌ  
عَلَى ذِكْرِ الْقَلْبِ الْمَجْرُودِ، وَفَرِيقَةٌ إِزَادَةُ ذِكْرَ اللِّسَانِ



ظاهر وصغير بكثير، لأن الذكر بالقلب يوصف بالقوة، والمقصود تذكُّر الله التامر. (١٢٢: ٩)

**الطَّابَّاتِي:** ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي في جنانكم ولسانكم، فكل ذلك ذكر. ومن المعلوم أن الأحوال القلبية الباطنة من الإنسان هي التي تميز مقاصده ومختصها، سواء وافقها اللفظ كالفقير المستغيث بالله من فقره، وهو يقول: يا غني، والمريض المستغيث به من مرضه، وهو يقول: يا شافي. ولو قال الفقير في ذلك: يا الله أو قال المريض فيه ذلك، لكان معناه: يا غني ويا شافي، لأنهما بمقتضى الحال الباعث لهما على الاستغاثة والدعوة، لا يريدان إلا ذلك كما هو ظاهر.

والذي يخرج إلى قتال عدوه، ثم يقبضه ويستجده الطرف للقتال، وليس فيه إلا زهاق النفوس، واستحالة الدماء، ونقص الأطراف، وكل ما يهدم الإنسان بالفناء في ما يحبّه، فإن حاله يُحوّل فكرته ويصرف إرادته إلى الظفر بما يريد به بالقتال، والغلبة على العدو الذي يهدّده بالفناء، والذي حاله هذا الحال وتفكيره هذا التفكير إنما يذكر الله سبحانه بما يناسب حاله، وتنصرف إليه فكرته.

وهذا أقوى قرينة على أن المراد بذكر الله كثيراً: أن يذكر المؤمن ما علمه تعالى من المصارف المرتبطة بهذا الشأن، وهو أنه تعالى إلهه وربّه الذي بيده الموت والحياة، وهو على نصره تقدير، وأنه هو مولاه نعم المولى ونعم النصير، وقد وعده النصر إذ قال: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا اللَّهَ يَنْصَرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: ٧، وأن

لله لا يضع أجر من أحسن عملاً، وأن مآل أمره في قتاله إلى إحدى الحسنيين: إمّا الظفر على عدوه ورفع راية الإسلام، وإخلاص الجوّ لسعادته الدنيّة، وإمّا القتل في سبيل الله والانتقال بالشهادة إلى رحمته، والدخول في حظيرة كرامته، ومجاورة المقرّبين من أوليائه، وما في هذا الصف من المعارف الحقيقية التي تدعو إلى السعادة الواقعيّة والكرامة السرمديّة.

وقد قيّد الذكر بالكثير لتجدّده روح التقوى، كلما لاح للإنسان ما يصرف نفسه إلى حب الحياة الفانية، والتمتع بزخارف الدنيا الفارّة، والخطورات الفانية التي يُلقيها الشيطان بتوابعه. (٩٤: ٩)

**مكارم الشيرازي:** لا ريب أن المراد من ذكر الله هنا ليس هو الذكر اللفظي فحسب، بل حضور القلب، وحضور علمه تعالى وقدرته غير المحدودة ورحمته الواسعة، وهذا التوجّه إلى الله يقوّي من عزيمة الجنود المجاهدين، ويشعر الجندي بأنّ سنداً قوياً يدهمه، لا يستطيع أيّة قدرة في الوجود أن تتخلّب عليه في ساحة القتال. وإذا قُتل فسينال السعادة الكبرى، ويبلغ الشهادة العظمى، وجوار رحمة الله، فذكر الله يبعث على الاطمئنان والقوّة والقدرة والقبسات في نفسه.

بالإضافة إلى ذلك، فذكر الله وحبّه يُخرجان حبّ الزوجة والمال، والأولاد من قلبه، فإن التوجّه إلى الله يزيل من القلب كلّ ما يضعفه ويزلزله، كما يقول الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام في دعائه المعروف - في الصّحيفة السّجّادية - بدهاء أهل

ابن عباس: باللسان والقلب، عند المعصية والطاعة. (٣٥٤)

لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مظلوماً على عقله، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ النساء: ١٠٣، وقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٤٦، بالليل والنهار وفي البر والبحر، والسر والظهر، وعلى كل حال.

(التعليق ٨: ٥١)

جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد قل: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»، عدد ما علم، ورتبه ما علم، وبله ما علم، فإن من قالها كتب الله له بها ست خصال: كتب من الذاكرين الله كثيراً، وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار، وكان له غرساً في الجنة، ونحاتت عنه خطاياها، كما نحات ورق الشجرة اليابسة، وينظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لم يعذبه.

(الطبرسي ٤: ٣٦٢)

سعيد بن جبير: [المراد بالذكر هنا:] الدعاء له والرغبة إليه. (الماوردي ٤: ٤٠٩)

مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبداً.

(التعليق ٨: ٥١)

قتادة: قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا

الثغور: «وَأَسِيهُمُ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دِيَارِهِمُ الْمَدِينَةِ، وَأَمَحُّ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتُ الْمَالِ الْفُسُونِ، وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نَصَبًا أَعْيُنُهُمْ». (٤١٢: ٥)

١٩ - وَالَّذِينَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا... الحج: ٣٦

ابن عباس: الله أكبر الله أكبر، اللهم منك ولك. (الطبرسي ٩: ١٥٣)

هو أن تقول: الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، اللهم منك ولك. (التعليق ٧: ٢٣)

نحوه الزمخشري: الفخر الرازي: قال المفسرون: هو أن يقال عند التحريم أو الذبح: بسم الله والله أكبر، اللهم منك وإليك. (٣٦: ٢٣)

٢٠ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ لَكُمْ جُنُودٌ فَاسْتَغْلِبْتُمْ عَلَيْهَا رِيحًا وَجُنُودًا أَمْ تَرَوْنَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. الأحزاب: ٩

ابن عباس: احفظوا نعمة الله: منته الله. (٣٥١)

لاحظ: ن ع م: «نعمته الله»

٢١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. الأحزاب: ٤١

النبي ﷺ: «من عجز عن الليل أن يكابده، وجبن عن العدو أن يجاهده، وبخل بالمال أن ينفقه، فليكثر ذكر الله عز وجل». (الطبرسي ٤: ٣٦٢)

الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(الترمذي ٣: ٢٦٥)

السُّدِّي: اذكروا الله باللسان ذكرًا كثيرًا.

(الماوردي ٤: ٤٠٩)

الْكَلْبِيُّ: يقال: ذكرًا كثيرًا بالصلوات الخمس.

(ابن الجوزي ٦: ٣٩٦)

الإمام الصادق عليه السلام: مَنْ سَبَّحَ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ

الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا.

(الطبرسي ٤: ٣٦٢)

مُقَاتِلُ بْنُ حَبِيبٍ: هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ

وَالْتَهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ:

سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَبَلَّغْنَا

أَنْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتُ يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ صَاحِبُ الْجَنَّةِ

(الواحدي ٣: ٤٧٩)

الطَّبْرِيُّ: اذْكُرُوا اللَّهَ بِقُلُوبِكُمْ وَالسَّيِّئَاتِ

وَجَوَارِحِكُمْ ذِكْرًا كَثِيرًا، فَلَا تَحْمِلُوا أَيْدَانَكُمْ مِنْ ذِكْرِهِ

(١٠: ٣٠٦)

فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالٍ طَافْتُمْ ذَلِكَ.

الماوردي: فيه قولان:

أحدهما: اذكروه بالقلب ذكرًا مستديمًا، يؤذي إلى

طاعته واجتناب معصيته.

الثاني: [قول السُّدِّي]

وفي ذكره هنا وجهان:

أحدهما: [قول ابن جبير]

الثاني: الإقرار له بالربوبية، والاعتراف له

(٤: ٤٠٩)

بالعبودية.

الطُّوسِي: الذِّكْرُ الْكَثِيرُ أَنْ تَذْكُرَهُ بِصِفَاتِهِ الَّتِي

يَخْتَصُّ بِهَا، وَلَا يَشَارِكُ فِيهَا غَيْرُهُ، وَلِئِنْ هُوَ عَمَّا

لَا يَلِيقُ بِهِ. وَرَوَى فِي أَخْبَارِنَا أَنَّ مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثِينَ مَرَّةً، فَقَدْ

ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.

وَكُلُّ صِفَةٍ تَعَالَى فِيهَا صِفَةُ تَعْظِيمٍ، وَإِذَا ذُكِرَ

بِأَكْثَرِ شَيْءٍ وَجِبَ أَنْ يَقَالَ: إِنَّهُ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ،

وَكَذَلِكَ أَحَدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَكَذَلِكَ الْقَدِيمُ هُوَ

الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ،

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُذَكَّرَ بِفِعْلٍ لَيْسَ فِيهِ تَعْظِيمٌ، لِأَنَّ جَمْعَ مَا

يُضَمُّ يَسْتَحِقُّ بِهِ الْحَمْدَ وَالْوَصْفَ بِالْجَمِيلِ عَلَى جِهَةِ

التَّعْظِيمِ، مِثْلَ الذِّكْرِ بِالْفَتْحِ وَالْكَرَمِ بِمَا يَوْجِبُ اتِّسَاعَ

الْعَمَلِ.

وَالذِّكْرُ إِحْضَارُ مَعْنَى الصِّفَةِ لِلنَّفْسِ: [مَا يَزِيدُ

الْمَعْنَى فِي النَّفْسِ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ، وَالْآخِرُ بِالطَّلَبِ

مِنْ جِهَةِ الْفِكْرِ، وَالدِّكْرُ قَدْ يَجْمَعُ الْعِلْمَ، وَقَدْ يَجْمَعُ

الشُّكْلَ، وَالْعِلْمُ لَا يَجْمَعُ الشُّكْلَ فِي الشَّيْءِ عَلَى وَجْهِ

وَاحِدٍ، وَالدِّكْرُ أَيْضًا يَضَادُّ السُّهُوَ، وَلَا يَضَادُّ الشُّكْلَ،

كَمَا يَضَادُّ الْعِلْمَ. (٨: ٣٤٧)

القُسَيْرِيُّ: الْإِشَارَةُ فِيهِ أَحْيَا اللَّهَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ» فَيَجِبُ أَنْ

تَقُولَ: اللَّهُ، ثُمَّ لَا تَنْسَ اللَّهَ بَعْدَ ذِكْرِكَ اللَّهَ.

وَيَقَالُ: اذْكُرُوا اللَّهَ بِقُلُوبِكُمْ، لِأَنَّ الذِّكْرَ الَّذِي يُتَكَّنُ

اسْتِدَامَتُهُ ذِكْرُ الْقَلْبِ، لِأَمَّا ذِكْرُ اللِّسَانِ فَلِإِدَامَتِهِ

مُسْتَرْتَدًّا كَالْمُنْعَذِرِ. (٥: ١٦٤)

الترمذي: «اذْكُرُوا اللَّهَ» أَثْنَا عَلَيْهِ بِضُرُوبِ

الثناء، مِنَ التَّقْدِيسِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَمَا

هو أهله، وأكثروا ذلك. [إلى أن قال:]

ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره: تكثير الطاعات والإقبال على العبادات، فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكر. (٢٦٥: ٣)

نحوه التقني: **الفهر الرازي**: هاهنا لطيفة، وهي أن المؤمن قد ينسى ذكر الله فأمر بدوام الذكر، أما النبي لكونه من المقربين لا ينسى، ولكن قد يفقر المضرب من الملك بقربه منه فيقل خوفه، فقال: ﴿أئني الله به فإن المخلص على خطر عظيم، وحسنة الأولياء سبعة الأنبياء.﴾

وقوله: ﴿ذكرنا كثيراً﴾ قد ذكرنا أن الله في كثير من المواضع لما ذكر الذكر وصفه بالكثرة، إذ لا مانع من الذكر على ما بيننا. (٢٦٥: ٢٥)

ابن عسري: ﴿اذكروا الله﴾ باللسان في محنتكم النفس، والحضور في مقام القلب، والمناجاة في مقام السر، والمجاهدة في مقام الروح، والمواصلة في مقام الحفاء، والغناء في مقام الذات. (٢٩١: ٢)

**القُرطبي**: أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثرُوا من ذلك على ما أنعم به عليهم، وجعل تعالى ذلك دون حدٍّ لسهولته على العبد، ونعظم الأجر فيه...

وقيل: الذكر الكثير: ما جرى على الإخلاص من القلب، والقليل ما يقع على حكم التفات كالذكر باللسان. (١٩٧: ١٤)

**البیضاوي**: يغلب الأوقات ويسمى الأنواع بما هو أهله من التقديس والتحميد والتهلل

والتمجيد

(٢٤٧: ٢)

نحوه أبو السُّعُود (٢٢٩: ٥)، والكاشاني (١٩٤: ٤)، وشَّير (١٥١: ٥)، والآلوسي (٤٢: ٢٢).

**التيساهوري**: اعلم أن معنى هذه السورة على تأديب النبي ﷺ وقد مرَّ أنه سبحانه بدأ بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي مع الله وهو التقوى، وذكر ما ينبغي أن يكون عليه مع أهله، فأمر بعد ذلك عامة المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين. وبدأ بما يتعلق بجانب التعظيم لله، وهو الذكر الكثير.

وفيه لطيفة وهي أن النبي لكونه من المقربين لم يكن ناسياً فلم يؤمر بالذكر، بل أمر بالتقوى والمحافظة عليها، فإنها تكاد لا تنهاى، والتسبيح بُكرة وأصيلاً عبارة عن الدوام، لأن مرید العموم قد يذكر المُنظرين ويفهم منهما الوسط. كقوله ﷺ: «ولأن أولكم وآخركم».

وجوز أن يراد بالذكر الكثير: الإقبال على العبادات كلها، ويراد بالتسبيح: الصلاة، وبالوقتين: الصوم كما مرَّ، أو صلاة الصبح والعشاءين، لأن أدائها أشق، ومراعاتها أشد. (٢٦: ٢٢)

**البروسوي**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بما هو أهله، من التهلل والتحميد والتكبير ونحوها. والذكر: إحضار الشيء في القلب أو في القول، وهو ذكر عن نسيان، وهو حال العامة، أو إدانة المحذور والحفظ، وهو حال الخاصة، إذ ليس لهم نسيان أصلاً، وهم عند مذكورهم مطلقاً، ﴿ذكرنا كثيراً﴾ في جميع الأوقات ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، وفي عموم

الأمكنة براءً وبحراً، سهلاً وجبلاً، وفي كل الأحوال  
حضرًا وسفرًا، صحة وسقمًا، سرًا وعلائية، قيامًا  
وقعودًا، وعلى الجنوب، وفي الطاعة بالإخلاص،  
وسؤال القبول والتوفيق، وفي المعصية بالامتناع منها،  
وبالتوبة والاستغفار، وفي التعمة بالشكر، وفي الشدة  
بالتصبر، فإنه ليس للذكر حد معلوم كسائر الفرائض،  
ولا تركه عذر مقبول إلا أن يكون المرء مغلوبًا على  
عقله.

وأحوال الذّاكرين متفاوتة بتفاوت أذكّارهم:

فذكر بعضهم بمجرد اللسان بدون فكر مذكوره  
ومطالعة آثاره بعقله، وبدون حضور مذكوره  
ومكاشفة أطواره بقلبه، وبدون أنس مذكوره  
ومشاهدة أنواره بروحه، وبدون فنائه في مذكوره  
ومماينة أسرارهِ بسره، وهذا مردود مطلقاً.

وذكر بعضهم باللسان والعقل، فقد يذكر بكلماته  
ويتفكر مذكوره ويطلع آثاره بعقله، لكن ليس له  
الحضور والأنس والفناء المذكور، وهو ذكر الأبرار  
مقبول بالتسبة إلى الأول.

وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب فقط بدون  
الأنس والفناء المذكور، وهو ذكر أهل البداية من  
المقربين مقبول بالتسبة إلى ذكر الأبرار وما تحته.

وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب والروح  
والسرّ جميعاً، وهو ذكر أرباب النهاية من المقربين من  
الأنبياء والمرسلين والأولياء الأكملين، وهو مقبول  
مطلقاً. وللإرشاد إلى هذه الترقّيات قال عليه السلام: «إن  
هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد»، قيل: يا رسول

الله فما جلاؤها؟ قال: «تلاوة كتاب الله وكثرة ذكره»  
فبكثرة الذكر يترقى السالك من مرتبة اللسان إلى ما  
فوقها من المراتب العالية، ويصقل مرآة القلب من  
ظلماتها وأكدارها.

ثم إن ذكر الله وإن كان يشتمل الصلوة والتلاوة  
والندامة ونحوها، إلا أن أفضل الأذكار: «لا إله إلا  
الله»، فالاشتغال به منفرداً مع الجماعة، محافظاً على  
الآداب الظاهرة والباطنة، ليس كالاشتغال بغيره.

وقال بعضهم: الأمر بالذكر الكثير إشارة إلى محبة  
الله تعالى، يعني أحبوا الله، لأن النبي عليه السلام قال: «من  
أحب شيئاً أكثر من ذكره».

فأوجب الله محبته بالإشارة في الذكر الكثير،  
والنحو أوجبها بالإشارة دون العبارة الصريحة، لأن  
أهل المحبة هم الأحرار عن رِق الكونين، سواء لم تكن فيه  
الإشارة بوجه أو لم تصرح بوجوب المحبة، لأنها  
مخصوصة بقوم دون سائر الخلق، كما قال: ﴿فَلَسْتُ وَفِي  
يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة: ٥٤، فعلى  
هذا بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢، يشير  
إلى أحبوني أحببكم.

المراغبي: اذكروا الله بقلوبكم واستنكم  
وجوارحكم ذكرًا كثيرًا في جميع أحوالكم جهد  
الطاقة، لأنه النعم عليكم بأنواع النعم وصنوف المنن،  
(١٨: ٢٢)

سيد قطب: ذكر الله: اتصال القلب به،  
والاشتغال بمراقبته، وليس هو مجرد تحريك اللسان.  
وإقامة الصلوة ذكر الله.

الحياة المادية كثيرة جداً، وسهام وسوسة الشياطين ترمى من كل جانب صوب الإنسان، فلا طريق لممارستها إلا بذكر الله الكثير.

إن الذكر الكثير - بالمعنى الواقعي للكلمة - يعني التوجه إلى الله سبحانه بكل الوجود، لا بلفظة اللسان وحسب.

الذكر الكثير هو الذي يقذف التور في كل أعمال الإنسان، ويغمرها بالفضاء، ولهذا فإن القرآن أمر كل المؤمنين في هذه الآية أن يذكروا الله على كل حال:

فاذكروه أثناء العبادة، فاحضروا غلوسكم وأخلصوا فيها.

واذكروه عند إقدامكم على المعصية وتجنبوها، وإذا ما هدرت منكم عشرة وهلة فبادروا إلى التوبة، ولا ترجعوا إلى طريق الحق.

والذكر وذكر عند التعم واشكروه عليها.

واذكروه عند البلاء والمصائب واصبروا عليها وتحملوها.

والخلاصة: لا تسوا ذكره في كل مشهد من مشاهد الحياة والابتعاد عن سخطه، والتعرب لما يجلب رضاه.

ونطالع في حديث مروي في سنن الترمذي ومسنده أحمد، عن أبي سعيد الخدري عن النبي الأكرم ﷺ أنه سئل: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ فقال: «الناكرون الله كثيراً».

قال أبو سعيد: فقلت يا رسول الله، ومن الغا في سبيل الله؟ قال: «لو ضرب بسيفه في الكفار

بل إنه وردت آثار تكاد تُخصص الذكر بالصلاة. روى أبو داود والتستائي وابن ماجه من حديث الأعمش، عن الأضرابي مسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصلى ركعتين، كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».

وإن كان ذكر الله أشمل من الصلاة، فهو يشمل كل صورة يتذكر فيها العبد ربه، ويتصل به قلبه، سواء جهر بلسانه بهذا الذكر أم لم يجهر.

والمقصود هو الاتصال المحرك الموحى على أية حال، وإن القلب ليظل فارغاً أو لاهياً أو حائراً حتى يتصل بالله «يذكره» وأنس به. فإذا هو مليء جادة، قار، يعرف طريقه، ويعرف منهجه، ويعرف من أهله وإلى أين ينقل خطاه.

ومن هنا يحض القرآن كثيراً، وتحضر الشبهة كثيراً، على ذكر الله. ويربط القرآن بين هذا الذكر وبين الأوقات والأحوال التي يمر بها الإنسان، لتكون الأوقات والأحوال مذكّرة بذكر الله ومنهية إلى الاتصال به، حتى لا يتفل القلب ولا ينسى. (٥: ٢٨٧١) ابن عاشور: الذكر ذكر اللسان، «هو المناسب لموقع الآية بما قبلها وبعدها. (٢١: ٢٧٥)

الطباطبائي: الذكر ما يقابل التسيان، وهو توجيه الإدراك نحو المذكور، وأما التلطف بما يدل عليه من أسمائه وصفاته، فهو بعض مصاديق الذكر.

(١٦: ٣٢٨) مكارم الشيرازي: لما كانت عوامل النغلة في

والمشركين حتى ينكسرو ويخضض دماء، لكان  
الذاكرون أفضل درجة منه؛ وذلك لأن الجهاد  
المخلص لا يمكن أن يتم بدون ذكر الله الكثير.

ومن هنا يعلم أن للذكر الكثير معنى واسعاً، وإذا  
ما فسر في بعض الروايات بتسبيح فاطمة عليها السلام  
- وهو ٣٤ مرة «الله أكبر» و٢٣ مرة الحمد لله» و٢٣  
مرة «سبحان الله» - وفي كلمات بعض المفسرين بذكر  
الصفات العليا والأسماء الحسنى، وتزويه الله سبحانه  
عماً لا يليق به، فإن كل ذلك من باب ذكر المصدق  
الواضح، لا تحديد. (١٣: ٢٦٣)

**فضل الله:** سواء كان ذلك [الذكر] بالقلب في ما  
يستشعره المؤمن، من حضور الله في عمق شعوره  
ونبض حركته، أو باللسان في ما يتلفظ به من كل  
كلمات حمده، التي تتضمن أسرار عظمته، وتواقع  
نعمته، ليهي مع الله في حالة حضور راح مستحضر بوجهه  
من خلال ذلك، حيث يريد الله أن يقف عند حدوده،  
ويتحرك حيث يريد أن يتحرك في دائرتها الشرعية.  
(١٨: ٣٢٦)

٢٢ - **بَاءُ يَهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ  
مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...**  
فاطر: ٣

**القرءاء:** ما كان في القرآن من قوله: ﴿أَذْكُرُوا  
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فمعناه: احفظوا، كما تقول: اذكر  
أيادي عندك، أي احفظها. (٢: ٣٦٦)

ابن عاشور: المقصود من تذكر النعمة: شكرها  
وقدرها. ومن أكبر تلك النعم الرسالة المحمدية

التي هي وسيلة فوز الناس الذين يتبعونها بالتعميم  
الأبدى. فالمراد بالذكر هنا: التذكر بالقلب وباللسان.  
فهو من عموم المشترك، أو من إرادة القدر المشترك،  
فإن الذكر باللسان والذكر بالقلب يستلزم أحدهما  
الآخر، وإلا لكان الأول هذياً والثاني كتماً، قال  
عمر بن الخطاب: «الفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله  
عند أمره ونهيه»، أي وفي كليهما فضل.

ووصفت النعمة بـ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لأن المقصود من  
التذكر التذكر الذي يترتب عليه الشكر، وليس المراد  
مطلق التذكر بمعنى الاعتبار والنظر في بديع فضل الله،  
فذلك له مقام آخر، على أن قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ  
اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ قد تضمن الدعوة إلى النظر في دليل  
الموحيانية والقدرة والفضل. (٢٢: ١١٣)

٢٣ - **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ  
وَادْكُرُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ  
تُفْلِحُونَ.**  
الجمعة: ١٠

**ابن عباس:** بالقلب واللسان. (٤٧١)  
**سعيد بن جبير:** بالطاعة. (الفخر الرازي: ٣٠: ٩)  
**مجاهد:** لا يكون من الذاكرين كثيراً حتى يذكره  
قائماً وقاعداً أو مضطجعاً. (الفخر الرازي: ٣٠: ٩)  
**مقاتيل:** باللسان. (الفخر الرازي: ٣٠: ٩)  
**الطبري:** واذكروا الله بالحمد له، والشكر على  
ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه. (١٢: ٩٧)  
**الطوسي:** ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ يا محمد على  
إحسانه، وبالشكر على نعمه، والتعظيم لصفاته.

حياة الإنسان. في ما يارسه من صلاة معينة في وقتها، أو من ذكر واجب أو مستحب في زمان معين، بل يكون حالة مستمرة يستشعرها الإنسان في قلبه ولسانه وحياته، حتى يكون حضور الله في حياته، هو الحضور الحي الذي يشمل الكيان كله بحيث لا يرى شيئاً إلا ويرى الله معه، فتساك أحواله وأفعاله، وتتوازن خطواته، ويستقيم سبيله في آفاق الله. (٢٢: ٢١٨)

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ.

البقرة: ١٥٢

رسول الله ﷺ: من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قللت صلواته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصي الله فقد نسي الله وإن كثرت صلواته وصيامه وتلاوته

(الواحد: ١: ٢٣٤)

ابن عباس: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالطاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالجنة. ويقال: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في الرغاء ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ في الشدة. (٢١)

﴿أَذْكُرُونِي﴾ بطاعتي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بعموتي.

(التعليق: ٢: ١٩)

سعيد بن جبير: ﴿أَذْكُرُونِي﴾ بطاعتي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بظرفي.

الإمام الباقر عليه السلام: قال النبي ﷺ: «إن الملك ينزل الصحيفة أول النهار، وأول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم، فأمثلوا في أولها خيراً وفي آخرها خيراً، فإن الله ينظر لكم ما بين ذلك إن شاء الله، فإن الله يقول:

(٩: ١٠)

الطُّبَّاطِبَاتِي: المراد بالذكر أعم من الذكر اللفظي، فيشمل ذكره تعالى قلباً بالتوجه إليه باطنياً، والفلاح: النجاة من كل شقاء، وهو في المورد بالنظر إلى ما تقدم من حديث التزكية والتعليم، وما في الآية التالية من التوبيخ والعتاب الشديد، الزكاة والعلم، وذلك أن كثرة الذكر يفيد رسوخ المعنى المذكور في النفس وانتقاه في الذهن، فتقطع به منابت الغفلة ويورث التقوى الذي هو مظنة الفلاح، قال تعالى: ﴿وَالْتَقُوا اللَّهَ لِقَاءَكُم تَخْلُفُونَ﴾ آل عمران: ٢٠٠ (١٩: ٢٧٤)

مكارم الشيرازي: جملة: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ إشارة إلى ذكر الله تعالى الذي وحى كل تلك البركات والنعيم للإنسان.

وقال بعضهم: إن الذكر هنا يعني التفكير، كما جاء في الحديث: «تفكر ساعة خير من عبادة ستة».

وفسرها آخرون بمعنى التوجه إلى الله تعالى في الكسب والمعاملات، وعدم الانحراف عن جادة الحق والعدالة.

غير أنه من الواضح أن الآية مفهومها واسماً يشمل كل تلك المعاني، كما أنه من المسلم أن روح الذكر هو التفكير. والذكر الذي لا يكون مقروناً بالتفكير لا يزيد عن كونه لفظة لسان. وأن الذكر المزوج بالتفكير هو سبب الفوز في جميع الحالات.

(١٨: ٣٠٨)

فضل الله: لا يكون الذكر مجرد حالة طارئة في



﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (العنكبوت: ١٧٧)

تسبيح غاطمة عليه السلام من ذكر الله الكثير الذي قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (العنكبوت: ١٧٨) السُّدِّي: ليس من عهد يذكر الله إلا ذكره الله. لا يذكره مؤمن إلا ذكره برحمته. ولا يذكره كافر إلا ذكره بعذاب. (١٣٥)

الزبيدي: إن الله فاكراً من ذكره، وزائد من شكره. ومعذب من كفره. (الطبري: ٢: ٤٠)

الإمام الصادق عليه السلام: ذكر الله لأهل الطاعة أكبر من ذكرهم إياه. لا ترى أنه يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (الكشاف: ١: ١٨٤)

قال الله عز وجل: يا ابن آدم اذكرني في ملا أذكرك في ملا خير من ملاك. (الكشاف: ١: ١٨٤)

فضيل بن عياض: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ طاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتواهي. (الطبري: ٢: ٢٣٨)

نحو الزمخشري (١: ٣٢٣)، وابن عطية (١: ٢٢٦)، والبيضاوي (١: ٩٠)، والكشاف (١: ١٨٤)، وشبر (١: ١٦٢)، ومثنية (١: ٢٣٨).

ابن عبيدة: بلغنا أن الله عز وجل قال: أعطيت عبادي ما نوا أعطيت جبرئيل وميكائيل كنت قد اجزلت هما، قلت: ﴿أَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. وقلت لموسى: قل للظلمة: لا يذكرني فإني أذكر من ذكرني. فإن ذكرني إياهم أن الصلح. (الطبري: ٢: ٢١)

ابن كيسان: ﴿أَذْكُرُونِي﴾ بالشكر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالزيادة. (الطبري: ٢: ١٩)

الطبري: يعني تعالى ذكره بذلك: فاذكروني أيها

المؤمنون بطاعتكم إيتاني فيما أمركم به وفيما أنهاكم عنه. اذكركم برحمتي إيتاكم ومغفرتي لكم. (٢: ٤٠) الزجاج: أي فاذكروني بالشكر والإخلاص كما أرسلنا فيكم.

فإن قال قائل: فكيف يكون جواب: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾<sup>(١)</sup> ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾؟

فالجواب هاهنا إنما يصلح أن يكون جوابين. لأن قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ أمر، وقوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ جزاء ﴿أَذْكُرُونِي﴾. والمعنى إن تذكروني أذكركم.

ومعنى الآية: أنها خطاب لمشركي العرب. فخطبهم الله عز وجل بما دأبهم على إثبات رسالة النبي ﷺ فقال: كما أرسلنا فيكم محمدًا ﷺ وهو رجل منكم أمي، تعلمون أنه لم يسل كتاباً قبل رسالته ولا بعدها إلا بما أوحى إليه. وإني كنتم أهل جاهلية لا تعلمون الحكمة ولا أخبار الأنبياء. ولا آباءهم ولا أقاصيصهم فأرسل إليكم النبي ﷺ فأنبأكم بأخبار الأنبياء. وبما كان من أخبارهم مع أمهم، لا يدفع ما أخبر به أهل الكتاب. فكما أنعمت عليكم بأرساله فاذكروني بتوحيدي وتصديقه ﷺ. ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ اذكركم برحمتي ومغفرتي والثناء عليكم. (١: ٢٢٧)

(١) في الآية ١٥١: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيَكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا نَمَّا تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

أبو مسلم الأصفهاني: ﴿أَذْكُرُونِي﴾ بالدعاء، ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالإجابة والإحسان، وهو بمنزلة قوله: ﴿أَذْعُرُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ المؤمن: ٦٠. أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين، وراغبين خائفين، ويخلصوا الذكر له عن الشركاء، فإذا هم ذكروه بالإخلاص في عبادته وربهيته ذكرهم بالإحسان والرحمة والتمتع في العاجلة والآجلة. (الفخر الرازي ٤: ١٦٢)

فأذكروني في الرخاء بالطاعة والدعاء، أذكركم في البلاء بالعطية والتمتع. (أبرحيان ١: ٤٤٦)

الثعلبي: ... وقيل: أذكروني بالتوحيد والإيمان، أذكركم بالجنات والدرجات، بيانه: ﴿وَيُبَشِّرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ لَجِبَتْ مِنْ خِطِّهَا الْأَنْهَارُ﴾ البقرة: ٢٥.

وقيل: أذكروني على ظهر الأرض، أذكركم في بطنها.

قال الأصفهاني: رأيت أعرابيا واقفا يوم عرفة بالموقف، وهو يقول: ضجّت إليك الأصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك أن تذكرني عند البلى إذا نسيتني أهل الدنيا.

وقيل: أذكروني بالطاعات أذكركم بالمعافاة. ودليله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذُكِّرُوا أَوْ نُنسِيْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ التحل: ٩٧.

وقيل: أذكروني في الخلاء والملاء أذكركم في الجلاء والملا. بيانه ما روي في بعض الكتب أن الله قال: «أنا عند من عبدني، فليظن بي ما شاء، وأنا معه إذا ذكرني، فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن

ذكرني في الملا ذكرته في ملا غير منه، ومن تقرّب إليّ شهرا تقرّب له ذراعا، ومن تقرّب إليّ ذراعا، تقرّبت إليه باعا، ومن أتاني مشيا أتته هروا، ومن أتاني بقراب الأرض فضة أتته بمثلها مغفرة بعد أن لا يشرك بي شيئا».

وقيل: أذكروني في التمتع والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء. بيانه قوله: ﴿فَلَوْلَا أَلِهَ كَانَ مِنَ الْمُسْتَخِينِ﴾ لَيْثٌ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُنْفَخُونَ ﴿الصَّاقَاتِ ١٤٣، ١٤٤.

قال سلمان الفارسي: إن العبد إذا كان له دعاء في السر؛ فإذا أنزل به البلاء قالت الملائكة: عبدك نزل به البلاء فاستمعون له فينجيه الله، فإذا لم يكن له دعاء قالوا: لأن فلان فلا تشفعون له، بيانه لفظة فرعون: ﴿الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ يَنْسُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يونس: ٩١.

وقيل: أذكروني بالتسليم والتقوى أذكركم بأصلح الاختيار، بيانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق: ٣.

وقيل: أذكروني بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقرية.

وقيل: أذكروني بالحمد والثناء أذكركم بالجزاء.

وقيل: أذكروني بالأوبة أذكركم بغفران المحبة.

وقيل: أذكروني بالدعاء أذكركم بالطعام.

أذكروني بالسؤال أذكركم بالتوال.

أذكروني بلا غفلة أذكركم بلا مهلة.

أذكروني بالتقدم أذكركم بالكرم.

أذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة.

أذكروني بالإرادة أذكركم بالإرادة.

أذكروني بالتفضل أذكركم بالتفضل.

أذكروني بالإخلاص أذكركم بالإخلاص.

أذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الكروب.

أذكروني بالانسيان أذكركم بالأمان.

أذكروني بالافتقار أذكركم بالافتقار.

أذكروني بالإعدام والاستغفار أذكركم بالرحمة

والافتقار.

أذكروني بالآيمان أذكركم بالجنان.

أذكروني بالإسلام أذكركم بالإكرام.

أذكروني بالقلب أذكركم برفع التعجب.

أذكروني ذكرًا إلهانيًا أذكركم ذكرًا إلهيًا.

أذكروني بالابتهاال أذكركم بالافتضال.

أذكروني بالظلل أذكركم بعفو الزلل.

أذكروني بالاعتراف أذكركم بحسب الاعتراف.

أذكروني بصفاء السر أذكركم بخالص البر.

أذكروني بالصدق أذكركم بالرفق.

أذكروني بالصفو أذكركم بالعفو.

أذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم.

أذكروني بالتكبير أذكركم بالتطهير.

أذكروني بالتعجيد أذكركم بالمزيد.

أذكروني بالمناجاة أذكركم بالنجاة.

أذكروني بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء.

أذكروني بترك الخطأ أذكركم بحفظ الوفاء.

أذكروني بالجهد بالخلة أذكركم بإتمام التهمة.

أذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا.

ولذكر الله أكبر. [إلى أن قال:]

وقال أبو عثمان التهدي: إني لأعلم حين يذكرني

ربي عز وجل. قيل: كيف ذلك؟ قال: إن الله عز وجل

قال: ﴿اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ وإذا ذكرت الله تعالى

ذكرني. (١٩: ٢)

نحوه الشريفي: (١٠٤: ١)

المأوردي: فيه تأويلان:

أحدهما: اذكروني بالشكر أذكركم بالتعنة.

والثاني: اذكروني بالقبول أذكركم بالجزاء.

(٢٠٨: ١)

الطوسي: الذكر المأمور به في الآية، والموعود به،

قيل: فيه أربعة أقوال:

أحدها: [قول سعيد بن جبير].

الثاني: ﴿اذْكُرُونِي﴾ بالشكر ﴿اذْكُرْكُمْ﴾

بالتوب.

الثالث: ﴿اذْكُرُونِي﴾ بالدعاء ﴿اذْكُرْكُمْ﴾

بالإجابة.

الرابع: ﴿اذْكُرُونِي﴾ بالثناء بالتعنة ﴿اذْكُرْكُمْ﴾

بالثناء بالطاعة. (٣٦: ٢)

القشيري: الذكر استغراق الذكور في شهود

المذكور، ثم استهلاكه في وجود المذكور، حتى لا يبقى

منك أثر يذكر، فيقال: قد كان مرة فلان.

﴿قَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، أي كونوا مستهلكين في

وجودنا، نذكركم بعد فنائكم عنكم. قال الله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ الناريات: ١٦.

كانوا وقتا ولكنهم بانوا دائما. [ثم استشهد بشعر]

وطريقة أهل العبارة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالمواقفات  
﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالكرامات.

وطريقة أهل الإشارة: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بشرك كل  
حظ ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بأن أقيمكم بحقي بعد فنائكم عنكم.  
﴿فَاذْكُرُونِي﴾ مكثفين بي عن عطائي وإفضالي  
﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ راضيا بكم دون أفعالكم.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بذكرى لكم ما تذكرون، ولولا  
سابق ذكرى لما كان لاحق ذكرى.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بقطع العلائق ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بمنسوت  
الحقائق.

ويقال: اذكروني لكل من بقيته أذكرك لمن خاطبته.  
« فمن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم » [إلى أن  
قال:]

ويقال: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتذلل ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾  
بالتفضل.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالانكسار ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالمبار.  
﴿فَاذْكُرُونِي﴾ باللسان ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالجيتان.  
﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بقلوبكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتحقيق  
مطلوبكم.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ على الأسباب من حيث الخدمة  
﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالإيجاب على بساط القرية بكمال  
الخدمة.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بتصفية السر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتوفية  
البر.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالجهد والعناء ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالجدود  
والعطاء.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بوصف السلامة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ يوم  
القيامة يوم لا تنفع الندامة. ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالرهبة  
﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتحقيق الرغبة. (١: ١٤٩)

الطَّبِيرُ سَي: ... وقيل: اذكروني على ظهر الأرض  
أذكركم في بطنها، وقد جاء في الدعاء: اذكروني عند  
البلاء إذا نسيته الناسون من الوری.

وقيل: اذكروني في الدنيا أذكركم في العقب.  
وقيل: اذكروني في التهمة والرخاء أذكركم في  
الشدة والبلاء. ويانه قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا  
مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ تَلَبَّثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿  
الصافات: ١٤٣، ١٤٤.

في الخبر تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.  
وقيل: اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة، بيانه:  
قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ المؤمن: ٦٠، (١: ٢٣٤)  
الضمير للرازي: أعلم أن الله تعالى كلنا في هذه  
الآية بأمرين: الذكر، والشكر، أما الذكر فقد يكون  
باللسان، وقد يكون بالقلب، وقد يكون بالجوارح،  
فذكرهم إتياء باللسان أن يحمده، ويستحمده، ويعبده،  
ويقرأوا كتابه.

وذكرهم إتياء بقلوبهم على ثلاثة أنواع:  
أحدها: أن يتفكروا في الدلائل الدالة على ذاته  
وصفاته، ويتفكروا في الجواب عن الشبهة القادحة في  
تلك الدلائل.

وثانيها: أن يتفكروا في الدلائل الدالة على كيفية  
تكاليفه وأحكامه وأوامره ونواهيه وعنده ووعيده،  
فإذا عرفوا كيفية التكليف وعرفوا ما في الفعل من

الوعد وفي الترك من الوعيد سهل فعله عليهم.

الفلوات.

و ثالثها: أن يتفكروا في أسرار مخلوقات الله تعالى حتى تصير كل ذرة من ذرات المخلوقات كالمرآة الجلوة المحاذية لعالم القدس. فإذا نظر العبد إليها انعكس شعاع بصره منها إلى عالم الجلال. وهذا المقام مقام لانهاية له.

السادسة: اذكروني في الرخاء، أذكركم في البلاء.  
السابعة: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمعصيتي.  
الثامنة: اذكروني بمجاهدي، أذكركم بهدائي.  
التاسعة: اذكروني بالصديق والإخلاص، أذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص.

أما ذكرهم إتياء تعالى بجوارحهم، فهو أن تكون جوارحهم مستغرقة في الأعمال التي أمروا بها، وخالية عن الأعمال التي نهوا عنها. وعلى هذا الوجه سمي الله تعالى الصلاة ذكرًا بقوله: ﴿فَلْيَسْخَرُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة: ٩. فصار الأمر بقوله: ﴿أَذْكُرُونِي﴾ متضمنًا لجميع الطاعات، فلهذا روي عن سميد بن جُمَيْر أنه قال: ﴿أَذْكُرُونِي﴾ بطاعتي، فأجمله حتى يدخل الكل فيه.

العاشرة: اذكروني بالزبونية في الفاتحة، أذكركم بالرحمة والعبودية في الخاتمة. (٤: ١٦١)  
نحوه التيسابوري: (٢: ٣٠)  
ابن عَرَبِي: ﴿فَأَذْكُرُونِي﴾ بالإجابة، والطاعة، والإرادة، ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالزيادة، والثوالي للسلوك، وإفاضة نور اليقين. (١: ٩٨)  
القرطبي: ﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أمرٌ وجوابه، وفيه معنى المجازاة، فلذلك جزم. وأصل الذكر التنبه

أما قوله: ﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فلا بد من تعليق على ما يليق بالموضع، والذي له تعلق بذلك الثواب والمدح، وإظهار الرضا والإكرام، وإيجاب المنزلة، وكل ذلك داخل تحت قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾.

بالقلب للذكور واليقظ له. وسمي الذكر باللسان ذكرًا، لأنه دلالة على الذكر القلبى، غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم. [ثم نقل بعض الأقوال في الآية] (٢: ١٧١)

ثم للناس في هذه الآية عبارات:  
الأولى: ﴿فَأَذْكُرُونِي﴾ بطاعتي. ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ برحمتي.

التسني: ﴿فَأَذْكُرُونِي﴾ بالمعذرة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالمغفرة، أو بالثناء والعطاء، أو بالسؤال والثواب، أو بالقوة وعفو المعصية، أو بالإخلاص والمخلص، أو بالمناجاة والتجاء. (١: ٨٤)

الثاني: [قول أبي مسلم]  
الثالثة: اذكروني بالثناء والطاعة، أذكركم بالثناء والتعنة.

أبو حنيفة: ...وقيل: هو على حذف مضاف، أي اذكروا نفسي أذكركم بالزيادة. وقد جاء التصريح بالتعنة في قوله: ﴿أَذْكُرُوا نَفْسِي﴾ البقرة: ٤٧.

الرابعة: اذكروني في الدنيا، أذكركم في الآخرة.  
الخامسة: اذكروني في الخلووات، أذكركم في

وقيل: الذكر باللسان وبالقلب عند الأوامر

والثوابع.

وقيل: اذكروني بتوحيدي وتصديق نبئي. [ثم قال نحو الثملي وأضاف:]

وقالوا: الذكر هو تنبيه القلب للمذكور والتيقظ له، وأطلق على اللسان لدلالته على ذلك. ولما كثر إطلاقه عليه، صار هو السابق إلى الفهم.

فالذكر باللسان سرّي وجهرّي، والذكر بالقلب دائم ومتحلّل، وبهما أيضاً دائم ومتحلّل.

فباللسان ذكر عامة المؤمنين، وهو أدنى مراتب الذكر، وقد سماء رسول الله ﷺ ذكرًا...

وبالقلب هو ذكر المصارفين وخوادم المؤمنين، وقد سماء النبي ﷺ ذكرًا، ومعناه استقرار الذكر فيه

حتى لا ينحدر فيه غير المذكور. [ثم استشهد بمشعر] وبهما هو ذكر خواص المؤمنين، وهذه ثلاث

المقاسات، أدومها أفضلها، انتهى. وقد طال بنا الكلام في هذه الجملة، تركنا أشياء مما ذكره الناس. وهذه

التفسيحات والتفسيرات التي فسر بها الذكران، لا يدلّ اللفظ على شيء منها، وينبغي أن يحمل ذلك من

المفسرين له على سبيل التمثيل، وجواز أن يكون المراد.

وأما دلالة اللفظ فهي طلب مطلق الذكر، والذي يتبادر إليه الذهن هو الذكر اللساني. والذكر اللساني

لا يكون ذكر لفظ الجلالة مفردًا من غير إسناد، بل لابد من إسناد، وأولها الأذكار المروية في الآثار،

والشار إليها في القرآن. وقد جاء الترغيب في ذكر جملة منها، والوعد على ذكرها بالثواب الجزيل.

وتلك الأذكار تتضمن: الثناء على الله، والحمد له،

والمدح لجلاله، والتماس الخير من عنده. فعبّر عن ذلك بالذكر، وأمر العبد به، فكأنه قيل: عظموا الله،

وأثنوا عليه بالألفاظ الدالة على ذلك. وسقى الثواب المترتب على ذلك ذكرًا، فقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

على سبيل المقابلة، لما كان نتيجة الذكر ناشئًا عنه سماء ذكرًا.

أبو السعود: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ الفاء للدلالة على تراب الأمر على ما قبله من وجوباته، أي فاذكروني

بالطاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثواب، وهو تحريض على الذكر مع الإشعار بما يوجب.

البر وسوي: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالطاعة، لقوله ﷺ: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه

وقراءته القرآن، ومن عصي الله فقد نسي الله وإن كتبته جليلي» وقراءته القرآن. ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثواب

واللطف والإحسان وإفاضة الخير وفتح أبواب السموات. وأطلق على هذا المعنى الذكر الذي هو

إدراك مسبوق بالتسليم هو الله تعالى منزّه عن التسيان - طريق الجواز والمشاكلة، لو جعده في صحة

ذكر العبد. (٢٥٥: ١)

الآلوسي: [نحو الفخر الرازي وأضاف:] قال أهل الحقيقة: حقيقة ذكر الله تعالى أن ينسى

كل شيء سواه. ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ أي أجازكم بالثواب وعبر عن ذلك بالذكر للمشاكلة، ولأنه نتيجة

و منقوّة. وفي الصحيحين: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير

من ملته».

(١٩: ٢)

رشيده رضا: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في قلوبكم بما شرعت من أمر القبلة، للفوائد الثلاث التي تقدم شرحها، وبما أتممت عليكم من النعمة بإرسال رسول منكم يعلمكم ويذكركم، وبكل ما أنعمت عليكم من ثمرات ذلك، ولا تنسوا أنني أنا المفضل بإفاضة هذه النعم عليكم.

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بإدامتها وتمكينها وزيادة عليها من التصبر والسلطان، وغير ذلك من أسباب السعادة، واذكروني بالستكم بأسمائي الحسنى، والتحدث بنعمي التي لأخصي، والثناء علي بها سراً وجهراً، اذكركم في الملأ الأعلى برضائي عنكم وقربي منكم ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه، إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ خيرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً» إلى آخر الحديث.

وقال الأستاذ الإمام: هذه الكلمة من الله تعالى كبيرة جداً، كأنه يقول: إني أعاملكم بما تعاملوني به، وهو الرب ونحن العبيد، وهو الغني عنا ونحن الفقراء إليه، أي وهذه أفضل تربية من الله تعالى لعباده، إذا ذكروه ذكرهم بإدامة النعمة والفضل، وإذا نسوه نسهم وعاقبهم بمقتضى العدل.

المراغي: أي اذكروني بالطاعة بأنستكم بالحمد والتسبيح، وقراءة كتابي الذي أنزلته على عبدي، ويقلوبكم بالفكر في الأدلة التي نصبها في الكون

لتكون علامة على عظمتي، وبرهاناً على قدرتي ووعديتي، وبجوارحكم بالقيام بما أمرتكم به، واجتنابكم ما نهيتكم عنه، أجازكم بالثواب والإحسان وإفاضة الخير وفتح أبواب السعادة، ودوام التصبر والسلطان. [إلى أن قال:]

وهذه أفضل تربية من الله لعباده، إذا ذكروه ذكرهم بإدامة النعمة والفضل، وإذا نسوه نسهم وعاقبهم بمقتضى العدل.

سيد قطب: يا للفضل الجليل الودود! الله جل جلاله يجعل ذكره لمؤلاء العبيد مكافئاً لذكرهم له في عالمهم الصغير. إن العبيد حين يذكرون ربهم يذكرونه في هذه الأرض الصغيرة، وهم أصغر من أرضهم المتكبرة، والله حين يذكرهم يذكركم في هذا الكون الكبير، وهو الله العلي الكبير، أي تفضل، وأي كرم، وأي لحي في السماحة والجود.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ إنه الفضل الذي لا يقبضه إلا الله الذي لا خازن لخزائنه، ولا حاسب لعطائه. الفضل الفائض من ذاته تعالى بلا سبب لا موجب إلا أنه هكذا هو سبحانه، فيأخذ العطاء.

وفي الصحيح: يقول الله تعالى: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأٍ خَيْرَ مِنْهُ».

وفي الصحيح أيضاً: قال رسول الله ﷺ، قال الله عز وجل: «يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك، ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ، ذكرتك في ملأ من الملائكة» أو قال في ملأ خير منه - وإن دنوت مني

شبراً، دنوت منك ذراعاً، وإن دنوت عني ذراعاً، دنوت منك يا غا، وإن أتيتني قمبي، أتيتك حرزاً، إنه ذلك الفضل الذي لا يصفه لفظ ولا يعبر عن شكره الحق إلا بسجود القلب.

وذكر الله ليس لفظاً باللسان، إنما هو انفعال القلب معه أو بدونه، والشعور بالله وجوده، والتأثر بهذا الشعور تأثراً ينتهي إلى الطاعة في هذه الأدنى، وإلى رؤية الله وحده، ولا شيء غيره لمن يهيه الله الوصول ويؤدبه حلوة اللقاء. (١٣٩: ١)

ابن عاشور: قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فعلان مشتقان من الذكر بكسر الهمزة، ومن الذكر بضمها، والكل مأمور به، لأننا مأمورون بذكر الله تعالى عند الإقدام على الأعمال، لنذكر أوامر ونواهيه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً أَوْ ظَلَمُوا الْقُسُومَ ذَكَرُوا اللَّهَ فَلَا يَسْتَظْهَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران: ٣٨ [إلى أن قال:]

والذكر في قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ يحیی على المعنيين، ولا بد من تقدير في قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ على الوجهين، لأن الذكر لا يتعلق بذات الله تعالى، فالتقدير: اذكروا عظمي وصفاتي «ثنائي وما ترهب عليها من الأمر والتهبي، أو اذكروا نفسي وعامدي، وهو تقدير من دلالة الاقتضاء. وأما ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ فهو مجاز، أي أعاملكم معاملة من ليس بفعال عنه، بزيادة الثعم والتصر والعناية في الذكاء، وبالثواب ورفع الدرجات في الآخرة، أو أخلق ما يفهم منه التماس في الخلا الأعلى وفي الأرض فضلكم والرضى عنكم، نحو

قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ آل عمران: ١١٠، وحسن مصيركم في الآخرة، لأن الذكر بمعنييه الحقيقيين مستحيل على الله تعالى، ثم إن تعديته للمفعول أيضاً على طريق دلالة الاقتضاء: إذ ليس المراد تذكّر الذات ولا ذكر أسمائها، بل المراد تذكّر ما ينفعهم إذا وصل إليهم وذكر فضائلهم. (٤٩: ٢)

الطباطبائي: إن الذكر ربما قابل الغفلة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْلِعْ مِنْ أَهْلِكَ قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ الكهف: ٢٨، وهي انتفاء العلم بالعلم، مع وجود أصل العلم، فالذكر خلافه، وهو العلم بالعلم، وربما قابل التسيان، وهو زوال صورة العلم عن خزائنه الذهن، فالذكر خلافه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا بِكَ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ الكهف: ٢٤، وهو حينئذ كالنسيان ممسحاً بآثاره وخواصه تفرغ عليه، ولذلك ربما أطلق الذكر كالتذكير في موارد تتحقق فيها آثارها وإن لم تتحقق أنفسهما، فإذ لم تنصر صدقك وأنت تعلم حاجته إلى نصرتك فقد نسيت، والحال أنك تذكره، وكذلك الذكر.

والظاهر أن إطلاق الذكر على الذكر اللفظي من هذا القبيل، فإن التكلّم عن الشيء من آثار ذكره قلباً، قال تعالى: ﴿قُلْ سَأَلْتُوْا عَلَيْنَكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الكهف: ٨٣، ونظائره كثيرة، ولو كان الذكر اللفظي أيضاً ذكراً حقيقة، فهو من مراتب الذكر، لأنه مقصور عليه ومنحصر فيه.

وبالجملة: الذكر له مراتب، كما قال تعالى: ﴿وَالَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْعِينَ الْقُلُوبِ﴾ الرعد: ٢٨، وقال:



﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ  
الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ الأعراف: ٢٠٥، وقال تعالى:  
﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ البقرة:  
٢٠٠، فالشدّة إنما يتصف به المعنى دون اللفظ، وقال  
تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي  
رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ الكهف: ٢٤، وذيل هذه  
الآية تدل على الأمر بربح ما هو أعلى منزلة مما هو  
فيه، فيؤول المعنى إلى أنك إذا تنزّلت من مرتبة من  
ذكره إلى مرتبة هي دونها، وهو التسيان، فاذا ذكر ربك  
وارج بذلك ما هو أقرب طريقاً وأعلى منزلة، فينتج  
أن الذكر القلبي ذو مراتب في نفسه، وبذلك يتبين  
صحة قول القائل: إن الذكر حضور المعنى عند النفس،  
فإن الحضور ذو مراتب.

ولو كان لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ - وهو غرض  
متعلق بقاء المتكلم - حقيقة من دون تجويز، لكان ذلك أن  
للإنسان سنخاً آخر من العلم غير هذا العلم المهود  
عندنا، الذي هو حصول صورة المعلوم ومفهومه عند  
العالم؛ إذ كلما فرض من هذا القبيل فهو تحديد  
ووصف للمعلوم من العالم، وقد تقدّست ساحتها  
سبحانه عن توصيف الواصفين، قال تعالى: ﴿مُسْتَحْسَنَانِ  
لِلَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ إلا عباد الله المخلصين ﴿الصفات:  
١٦٠﴾ وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ طه: ١١٠.

(٣٣٩: ١)

مكارم الشيرازي: واضح أن عبارة  
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ لا تشير إلى معنى عاطفي بين  
الله وعباده، كما يقول الناس لبعضهم ذلك، بل تشير

إلى أصل تروبي وتكوبي، أي اذكروني اذكروا الذات  
المقدّسة التي هي معدن الخيرات والحسنات والمبرات،  
ولتظهر أرواحكم وأنفسكم، وتكون قابلة لتسمل  
الرحمة الإلهية. ذكركم لهذه الذات المقدّسة يجعل  
تحرّركم أكثر إخلاصاً ومضاءً وقوةً والعباد.

[إلى أن قال:]

بحثان:

١ - أقوال المفسرين في تفسير ﴿فَاذْكُرُونِي  
أَذْكُرْكُمْ﴾ للمفسرين آراء متنوعة في تفسير هذه  
الآية، وفي بيان كيفية ذكر العبد وذكر الله. [ثم نقل  
كلام الفخر الرزقي في ذلك وأضاف:]

كل واحدة من التفسير المذكورة، هي طبقاً مظهر  
من مظاهر المعنى الواسع للآية، ولا تقتصر هذه المظاهر  
على ما سبق، فيشمل المعنى أيضاً: اذكروني  
هو التذكير، لا ذكركم، بزيادة التعمية، كما ورد في  
قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لِيُنْشِرْ لَكُمْ لَكُمْ﴾ إبراهيم: ٧.  
كل ذكر لله - كما قلنا - له أثر تروبي في وجود  
الإنسان؛ إذ يجعل روحه مستعدة لنزول بركات  
جديدة متناسبة مع طريقة الذكر.

٢ - المقصود من ذكر الله:

من المؤكد أن ذكر الله ليس بتحريك اللسان فقط،  
بل اللسان ترجمان القلب، الهدف هو التوجه بكل  
الوجود إلى ذات الهائى سبحانه، ذلك التوجه الذي  
يصون الإنسان من الذنوب ويدعوه إلى الطاعة.

ومن هنا ورد في أحاديث عديدة عن المعصومين:  
أن ذكر الله ليس باللسان فحسب، ومن ذلك حديث

عن الرسول ﷺ يوصي به علياً قائلاً: ثلاث لا تحيط بها الأمتة: المواساة بالأخ في مال، وإنصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال. وليس هو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولكن إذا وزد على ما يحرم عليه خاف الله تعالى عنده وعزّه.

على أية حال، لا ينبغي أن تغفل عن الروعة في هذا الاقتران، الله سبحانه على عظمته وجلاله وجبروته يقرن ذكره بذكر عبده الضعيف المحدود الصغير، إنه تكريم ما بعده تكريم للإنسان.

(١: ٣٧٨)

**فضل الله:** ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في كل ما يفتح عقولكم وقلوبكم على معنى الألوهية والربوبية في ذات الله، تدفعكم ذلك إلى الوعي العميق للعضور الشامل في كل حياتكم العقلية في معنى الفكر، وفي بحاركم العملية في خط الواقع، لتذكروا كل صفاته العليا، وأسمائه الحسنى، ونعمه الوافرة، وآياته الكثيرة، ولتتحركوا في اتجاهه في كل موقع وموقف، فهو الذكر الذي يُخرجكم من الغفلة ويفتح لكم أبواب المعرفة، لتمشوا معه في عالم الشهود، من خلال الوعي الروحي المنطلق من عالم الغيب. وهو الذكر الذي يجعل الإنسان قريباً إلى الله بروحه وجسده، ليكون الله معه في كل حال. وإبراء مع كل شيء هو خلف كل شيء.

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالرحمة والنعمة والمغفرة والرضوان، ما يجعلكم تحت رعايتي بشكل مباشر أو غير مباشر. [إلى أن قال:]

وليس معنى التأكيد للجانب العملي للذكر، هو التهمين من الجانب الآخر الذي يتمثل في الذكر باللسان، في كلمات التسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار، بل قد يكون هذا مقدمة لذلك، لأن الاستمرار في ذكر آلاء الله ونعمائه وعظمته يخلق لدى الإنسان حالة رائعة منفتحة على الله، حتى يحس به في كل شؤون حياته، مما يؤدي به إلى الإحساس بضرورة طاعته في كل شيء.

وفي ضوء ذلك كله، نفهم أن المقابلة بين ذكر الله لعبده وبين ذكر العبد لله، تُعطينا الفكرة الإسلامية التي توحى للعبد بأن استحقاقه لرعاية الله له بنعمه وألطافه، مشروط بالضباط العملية أمام أوامره وتواحيه، كما هي الحال في مشاق الله لعباده، وعهد النبي ﷺ أمام ربه في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِلَيَّ قَارِعُونَ﴾ البقرة: ٤٠.

وبإتنا نشعر في هذا التأكيد على ذكر الله في الكلمة والموقف، بأن حركة الإيمان في داخل نفس المؤمن وحياته، تحتاج إلى الارتباط العميق بالله، ليكون للإيمان أصالته في نفسه، لتتركز القاعدة على أساسه، وتطلق الأعماق من خلاله، بعفوية وبساطة ووعي.

(٣: ٩٦)

أَذْكُرَنَّ

وَأَذْكُرَنَّ مَا يَخْلُقُ فِي يَدَايَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْعِزَّةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ مُطِيقًا خَبِيرًا. الأحزاب: ٣٤

ابن عباس: واحفظن. (٣٥٣)  
 ابن عاشور: قل ﴿اذْكُرْنَ﴾ يجوز أن يكون من  
 الذكر بضم الذال وهو التذكر. وهذه كلمة جامعة  
 تشمل المعنى الصريح منه، وهو أن لا يُلْسِتنَ ما جاء في  
 القرآن، ولا يَفْطُلْنَ عن العمل به، ويشمل المعنى  
 الكُنائِي وهو أن يراد مراعاة العمل بما يُتلى في بيوتن  
 بما ينزل فيها، وما يقرأ النبي ﷺ فيها، وما يُبَيِّنُ فيها  
 من الدين، ويشمل معنى كُنائِيًا ثانيًا، وهو تذكر تلك  
 النعمة العظيمة إن كانت بيوتن موقع تلاوة القرآن.  
 ويجوز أن يكون من الذكر بكسر الذال، وهو  
 إجراء الكلام على اللسان، أي يُلْفِئُهُ لِلنَّاسِ بأن يقرآن  
 القرآن ويُلْفِئَنَّ أقوال النبي ﷺ وسيرته. وفيه كناية  
 عن العمل به. (٢١: ٢٥٩)

### الذَّاكِرِينَ - الذَّاكِرَاتِ

١ - وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ  
 الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرُكَ لِلذَّاكِرِينَ.  
 هود: ١١٤

ابن عباس: توبة للثائبين، ويقال: كفارات  
 للذنوب الثابتين. نزلت في شأن رجل تمارى يقال له:  
 أبو اليسير بن عمرو. (١٩٢)

الكلبي: توبة للثائبين. (الماوردي: ٢: ٥٠٩)  
 الطبري: يقول تعالى ذكره: هذا الذي أوعدت  
 عليه من الركون إلى الظلم، وتعددت فيه، والذي  
 وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتي يُذْهِبُ  
 السيئات، وتذكرة ذكرت بها قومًا يذكرون وعبد الله،

فيرجون ثوابه ووعيده، فيخافون عقابه، لا من قد طبع  
 على قلبه، فلا يجيب داعيًا، ولا يسمع زاجرًا.  
 وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نال من  
 غير زوجته ولا ملك عينه بعض ما يحرم عليه، فتاب  
 من ذنبه ذلك. (٧: ١٣١)

الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: [قول الكلبي]  
 الثاني: بيان للمتقين. (٢: ٥٠٩)  
 الطوسي: فيه تذكير لمن تذكر به وفكر فيه.  
 (٦: ٨٠)

مثله الطبري: الواحدية: يعني القرآن عظة لمن ذكره. (٢: ٥٩٦)  
 البهوي: (ذلك)، أي ذلك الذي ذكرنا، وقيل:  
 هو إجماع إلى القرآن، ﴿ذُكِّرْ﴾: عظة ﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾  
 أي لمن ذكره. (٢: ٤٧١)

الزمخشري: (ذلك) إشارة إلى قوله: ﴿فَلَا تَسْتَكْبِرُوا﴾  
 فما بعده، ﴿ذُكِّرْ لِلذَّاكِرِينَ﴾ عظة للمتقين.  
 (٢: ٢٩٧)

نحوه البضاوي (١: ٤٨٤) والتسفي (٢: ٢٠٨)  
 والشربيني (٢: ٨٤)، وأبو السعود (٣: ٣٥٧)،  
 والكاناني (٢: ٤٧٦)، وشبر (٣: ٢٥٣)، والآلوسي  
 (١٢: ١٦٠).

ابن عطية: قوله: (ذلك) إشارة إلى الصلوات  
 وصفها بـ ﴿ذُكِّرْ﴾ أي هي سبب ذكر وموضع  
 ذكرى، ويحتمل أن يكون (ذلك) إشارة إلى الإخبار  
 بـ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ﴾، فتكون هذه  
 «الذكرى» تحضر على الحسنات، ويحتمل أن تكون

إشارة إلى جميع ما تقدم من الأوامر والتواهي في هذه  
النسوة، وهو تفسير الظري.

ابن الجوزي: في المشار إليه به (ذلك) ثلاثة  
أقوال:

أحدها: أنه القرآن، والثاني: إقام الصلاة،  
والثالث: جميع ما تقدم من الوصية بالاستقامة،  
والتهمي عن الظمان، وترك الميل إلى الظالمين، والقيام  
بالصلاة.

وفي المراد به «الذكرى» قولان:

أحدهما: أنه بمعنى التوبة، والثاني: بمعنى العظة.

(١٦٩: ٤)

الغفر الرازي: قوله: (ذلك) إشارة إلى قوله:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ إلى آخرها ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾

عظة للمتقين وإرشاد للمسترشدين.

(١٨٠: ١٨٤)

ابن عثري: ذلك الذي ذكر من إقامة الصلاة في

الأوقات المذكورة، وإذهاب السيئات بالحسنات،

تذكير لمن يذكر حاله عند الحضور مع الله في الصفاء،

والجمعية والأنس، والذوق.

(١: ٥٨٤)

القُرطبي: أي القرآن موعظة وتوبة لمن انحط

وتذكر. وخص الذَّاكِرِينَ بالذكر، لأنهم المنتفعون

بالذكرى. والذكرى مصدر جاء بالالف الثابت.

(٩: ١١٣)

أبو حيان: الظاهر أن الإشارة قوله: (ذلك) إلى

أقرب مذكور، وهو قوله: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي إقامتها

في هذه الأوقات. ﴿ذِكْرَى﴾ أي سبب عظة وتذكير

﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾ أي المتعطين.

وقيل: إشارة إلى الإخبار بأن الحسنات يُذهبن

السيئات، فيكون في هذه الذكرى حصًا على فعل

الحسنات. [إلى أن قال:]

وقيل: إشارة إلى القرآن، وقيل: ﴿ذِكْرَى﴾

مضاهة: توبة.

الثبري وسوي: (ذلك) أي المذكور من الاستقامة

والإقامة وغيرهما، ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ أي موعظة

للمتعطين. فمن استل إلى أمر الله تعالى فاستقام وأقام،

فقد تحقق بحقيقة الحال والمقام.

(٤: ١٩٨)

نحوه المرائسي (١٢: ٩٥)، ومُنْتَبِهَة (٤: ٢٧٦)،

وعبد الكريم الخطيب (٦: ١٢١٠).

كشيد رضا: أي إن فيما ذكر من الوصايا من

الأمر بالاستقامة إلى هنا، لموعظة للمتقين الذين

يأقربون الله ولا ينسونه.

ابن عاشور: أي تذكرة للذي شأنه أن يذكر

ولم يكن شأنه الإعراض عن طلب الرشيد والخير،

وهذا أفاد العموم نصًا. وقوله: (ذلك) الإشارة إلى

المذكور قبله، من قوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ هو:

(١١: ٣٤٤).

الطباطبائي: أي هذا الذي ذكر وهو أن

الحسنات يُذهبن السيئات على رغبة قدره، تذكير

للمتطسعين بذكر الله تعالى من عباده.

فضل الله: ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ ليتعلموا من

خلاله سر التجارة، وليتذكروا دائمًا أن الارتباط بالله،

والشعور بحضوره الدائم في وعي المؤمن، وحركة

حياته، هو الأساس للحصول على رضا، والانضباط في خط طاعته. (١٤٤: ١٢)

٢... وَالْحَافِظِينَ لُصُورِهِمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا. الأحزاب: ٣٥

النبي ﷺ: إذا أيقظ الرجل أهله فتوضيا، وصليا، كتب من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ. (الواحدى ٣: ٤٧١)

سبق المفردون، قالوا: وما المفردون؟ قال ﷺ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ». (الشريفي ٣: ٢٤٧)

أبى بن عباس: باللسان والقلب. ويقال بالصلوات الخمس، من الرجال: «وَالذَّاكِرَاتِ» من النساء. (٢٣٥٤)

يريد في أديار الصلوات. (الواحدى ٣: ٤٧١)  
جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، قل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنه فعلم ومله ما علم، فرائه من قائلها كتب الله له بها ست خصال: كتب من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، و كان أفضل من ذكر الليل والنهار، و كان له غرسا في الجنة و تحانت عنه خطايا، كما يتحانت ورق الشجرة اليابسة، ينظر الله إليه، و من ينظر الله إليه لم يحدبه. (الواحدى ٣: ٤٧١)  
مُجَاهِدٌ: لا يكون الرجل من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا. (الواحدى ٣: ٤٧١)

عطاء بن أبي رباح: من صلى الصلوات الخمس بحقوقها، فهو داخل في قوله: «وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا».

(التعلي ٨: ٤٦)

الإمام الصادق عليه السلام: من بات على تسييح فاطمة عليها السلام، كان من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ. (الطبرسي ٤: ٣٥٨)

يحيى بن سلام: باللسان. (الماوردي ٤: ٤٠٤)

الطبرسي: الذَّاكِرِينَ اللَّهَ بقلوبهم والسننهم وجوارحهم، والذَّاكِرَاتِ كذلك. (١٠: ٢٩٩)

التقاس: المصلين والمصليات.

(الماوردي ٤: ٤٠٤)

الماوردي: فهم ثلاثة أوجه:

الأول: قول يحيى بن سلام

الثاني: القول لكتابه، قاله ابن شجرة.

الثالث: [قول التقاس] (٤: ٤٠٤)

القشيري: بالسنتهم وقلوبهم وفي عموم أحوالهم لا يلتزمون، ولا يتداخلهم نسيان. (٥: ١٦٢)

الزمخشري: والذَّاكِرُ اللَّهَ كَثِيرًا: من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما، وقراءة القرآن

والاشتغال بالعلم من الذكر، وقال رسول الله ﷺ: «من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا

ركعتين، كتب من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ». والمعنى: والمحافظة والذَّاكِرَاتِ، فعُذِفَ لَأَنَّ الظَّاهِرَ

يدل عليه. (٣: ٢٦١)

القحط الرأزي: يعني هم في جميع هذه الأحوال

الاستيقاظ من النوم. (٢٤٧: ٣)

الآلوسي: بالآلة والقلوب، ومدار الكثرة  
العرف عند جمع...

وقيل: المراد بذكر الله تعالى ذكر آلائه سبحانه  
ونعمه، وروي ذلك عن عكرمة، ومأل هذا إلى  
الشكر، وهو خلاف الظاهر. (٢١: ٢٢)

سيد قطب: وذكر الله كثيرًا: وهو حلقة الاتصال  
بين نشاط الإنسان كله وعقيدته في الله، واستشمار  
القلب في كل لحظة، فلا يفصل بخاطر ولا حركة  
عن العروة الوثقى. وإشراق القلب ببشاشة الذكر،  
الذي يكسب فيه التور والحياة. (٢٨٦٣: ٥)

ابن عاشور: ذكر الله كما علمت له محملان:  
أحدهما: ذكره اللسان، فبدخل فيه قراءة القرآن  
وطلب العلم ودراسة.

قال النبي ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله  
يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم  
السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده»،  
ففي قوله: «وذكرهم الله» إيماء إلى أن الجزاء من  
جنس عملهم، فدل على أنهم كانوا في شيء من ذكر  
الله. وقد قال تعالى: ﴿لَمَّا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾  
البقرة: ١٥٢.

وقال فيما أخبر عنه رسوله ﷺ: «إن ذكرني في ملا  
ذكرته في ملاخير منهم». وشمل ما يذكر عقب  
الصلوات ونحو ذلك من الأذكار.

والحمل الثاني: الذكر القلبي وهو ذكر الله عند  
أمره ونهي، كما قال عمر بن الخطاب: أفضل من ذكر

يذكرون الله، ويكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم  
وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقهم وصومهم  
بنية صادقة لله.

واعلم أن الله تعالى في أكثر المواضع حيث ذكر  
الذكر قرنه بالكثرة هاهنا، وفي قوله بعد هذا: ﴿يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٤١،  
وقال من قبل: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ يَتَّبِعِ الْآخِرَ  
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٢١، لأن الإكثار من  
الاتصال البدنية غير ممكن أو عسر، فإن الإنسان أكله  
وشربه وتحصيل ما كوله ومشروبه يمنعه من أن  
يشغل دائمًا بالصلاة، ولكن لا مانع له من أن يذكر الله  
تعالى وهو آكل ويذكره وهو شارب أو ماش أو مانع  
أو شار، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ  
اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُهُودِهِمْ﴾ آل عمران: ٢١١،  
ولأن جميع الأعمال صحتها بذكر الله تعالى، **وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ**  
التيه. (٢١١: ٢٥)

نحوه الثيسابوري.  
البيضاوي: بقلوبهم وألسنتهم. (٢٤٥: ٢)  
مثله أبو السعود (٢٢٦: ٥)، والكاشاني (٤: ١٩٠)،  
وشتر (١٤٧: ٥).

التسقي: بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير  
وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر، والمعنى:  
والمحافظات فروعهن ﴿وَالذَّاكِرَاتُ﴾ لله، فعُذِفَ  
لدلالة ما تقدم عليه. (٣٠٣: ٣)

الشريفي: أي بقلوبهم وألسنتهم في كل حالة،  
ومن علامات الإكثار من الذكر اللهج به عند

الله بالإنسان ذكر الله عند أمره ونهيته، وهو الذي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران: ١٣٥، فدخل فيه التوبة، ودخل فيها الارتداد عن المظالم كلها من القتل، وأخذ أموال الناس والخيرانية والإضرار بالناس في المعاملات. وتما يوضح شموله لهذه الشرائع كلها تنجيده به ﴿كثيراً﴾. لأن المرء إذا ذكر الله كثيراً فقد استغرق ذكره على المخلصين جميع ما يُذكر الله عنده.

معنوية: أما ذكر الله كثيراً فهو كناية عن المواظبة على الصلوات الخمس.

الطباطبائي: أي الله كثيراً حذف لظهوره، وهم الذين يكثر من ذكر الله بلسانهم وجنانهم، ويشمل الصلاة والحج.

عبد الكريم الخطيب: ذكر الله كثيراً هو القيمة التي يرى إليها هذا الذي دخل بالإسلام في دين الله، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت: ٤٥.

والمراد بذكر الله هو ميل القلب باستحضار جلاله، وعظمته، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وكل ما فيه من صفات الكمال والجلال، فبهذا الذكر يكون المؤمن دائماً في أنس من ربه، وقرب من جلاله وعظمته، فلا يعمل إلا تحت هذا الشعور المراقب لله، والخائف من عقابه، الطامع في رحمته.

وهكذا يستطيع الناظر في هذه الأوصاف أن يرى منها روى لا حصر لها، من آيات الله وشواهد الإعجاز

في آيات الله وكلماته. (٧١٣: ١١)

مكارم الشيرازي: أجل إن هؤلاء يجب أن يكونوا مع الله ويذكروه في كل حال، وفي كل الظروف، وأن يُزَيِّحُوا عن قلوبهم حجب الغفلة والجهل، ويعتدون عن أنفسهم همزات الشياطين ووسوسهم، وإذا ما بدرت منهم عثرة فليأتهم بهتون نجراتها في الحال، لتلايحيدوا عن الصراط المستقيم.

وقد ذكرت تفاسير مختلفة للذكر الكثير في الروايات وكلمات المفسرين، وكلها من قبيل ذكر المصدق ظاهراً، ويشملها جميعاً معنى الكلمة الواسع. ومن جملتها ما نقرأه في حديث عن النبي الأكرم ﷺ: «إِذَا بَقِظَ الرَّجُلُ أَحْلَسَهُ...» [وقد سبق عن الزمخشري]

وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ بَاتَ عَلَى تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ».

وقال بعض المفسرين: إن الذكر الكثير هو الذكر حال القيام والقعود، وذكر الله عندما يأوي المسرء إلى فراشه.

وعلى أي تقدير، فإن الذكر علامة الفكر، والفكر مقدمة للعمل، فليس الهدف هو الذكر الخالي من الفكر والعمل مطلقاً. (٢٣٦: ١٣)

فضل الله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾ في ما يحنيه ذلك من الحضور القلبي واللساني والعملي أمام الله، في الانفتاح عليه بالنية المفتوحة على كل مواقع الخير في الحياة، وبالكلمة الممجدة له، المسيحة

بجسمه في نعشه وآلائه، والموحدة له في ألوهيته وطاعته، وبالعامل الذي يقف عند حدود الله في حرامه وحلاله، في الحفظ المستقيم الذي يبدأ من الله وينتهي إليه. (٣٠٩: ١٨)

### مذكوراً

قُلْ أَنَسَى عَلَى اللِّسَانِ حِينَ مِمَّنَ الذَّكَرُ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً. الذَّكَرُ: ١

ابن عباس: ﴿مذكوراً﴾ يذكّر، ولا يندري ما هو، وما اسمه، وما يراد به إلا الله. (٤٩٥)

الإمام الباقر عليه السلام: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً.

(المعاشي ٣: ١٦٢)

كان مذكوراً في العلم، ولم يكن مذكوراً في الخلق.

(المعاشي ٣: ١٦٢)

الإمام الصادق عليه السلام: كان شيئاً مقبلاً.

(المعاشي ٣: ١٦٢)

ولم يكن مكشوراً. مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: هل أنسى حين من الذكر لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله، ولم يخلق بعده حيواناً.

(الماوردي ٦: ١٦٢)

يحيى بن سلام: لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق،

وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً. (الماوردي ٦: ١٦٢)

الفرّاء: أي كان جسداً مصوراً تراثاً وطناً،

ولا يذكّر ولا يعرف، ولا يندري ما اسمه، ولا ما يراد به،

ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً.

مثله قطرب، وتغلب. (الماوردي ٦: ١٦٢)

الطبري: لأنه أنسى عليه [آدم] وهو جسم مصور لم يُنفخ فيه الروح أربعين عاماً، فكان شيئاً، غير أنه لم يكن شيئاً مذكوراً. قالوا: ومعنى قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ لم يكن شيئاً له نهاية ولا رفعة، ولا شرف، إنما كان طيناً لازماً وحنأ مسنوناً. (٣٥٣: ١٢)

القشيري: لم يكن في العلم ولا في الذكر، وفي حديث آخر: كان في العلم ولم يكن في الذكر. (٣٩٨: ٢)

الشعبي: لا يذكّر ولا يعرف ولا يندري ما اسمه، ولا ما يراد به. (٩٣: ١٠)

الطوسي: أي لم يكن ممن ذكره ذاكر، لأنه كان معدوماً غير موجود. وفي الآية دلالة على أن المعدوم

لا يسمى شيئاً، وإنما سمي زلزلة الساعة شيئاً مجازاً،

والمعنى أنها إذا وجدت كانت شيئاً عظيماً. (٢٠٦: ١٠)

القشيري: في التفسير: قد أنسى على الإنسان

من الذكر لم يكن شيئاً له خطر ومقدار...

ويقال: ﴿قُلْ أَنَسَى عَلَى اللِّسَانِ حِينَ مِمَّنَ الذَّكَرُ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ أي لم يأت عليه وقت إلا كان مذكوراً إلى.

(٢٢٨: ٦)

الواحدي: لا في السماء ولا في الأرض، يعني أنه

كان جسداً ملقى من طين قبل أن يُنفخ فيه الروح.

(٣٩٨: ٤)

البيهقي: لا يذكّر ولا يعرف ولا يندري ما اسمه

ولا ما يراد به، يريد أن كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، وذلك

من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح.

(١٨٩: ٥)

الزمخشري: أي كان شيئاً منسياً غير مذكور،



لطفة في الأصحاب.

(١٩٤: ٤)

نحوه التيساوي (٥٢٤: ٢)، وأبو السعود (٦).

(٣٤٠).

ابن عطية: أي لم يكن موجوداً، وقد يستلزم الموجود شيئاً، فهو مذكور بهذا الوجه. (٤٠٨: ٥) الطبرسي: قيل: إنه أتى على آدم ﷺ أربعون سنة لم يكن شيئاً مذكوراً إلا في السماء ولا في الأرض، بل كان جسداً ملقى من طين قبل أن يُنفخ فيه الروح.

(٤٠٦: ٥)

الفخر الرازي: إن قيل: إن الطين والصلصال والحمل المستون قبل نفخ الروح فيه ما كان إنساناً، والآية تقتضي أنه قد مضى على الإنسان حال كونه إنساناً حين من الدهر، مع أنه في ذلك الحين ما كان شيئاً مذكوراً.

قلنا: إن الطين والصلصال إذا كان مصوراً بصورة الإنسان و يكون محكوماً عليه بأنه سيُنفخ فيه الروح و سيصير إنساناً، صح تسميته بأنه إنسان، والذين يقولون الإنسان هو النفس الناطقة، وإنها موجودة قبل وجود الأبدان، فالإشكال عنهم زائل.

وأعلم أن الغرض من هذا التنبيه على أن الإنسان مُحدث، ومتى كان كذلك فلا بد من مُحدث قادر.

﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ محله التصب على الحال من ﴿الإنسان﴾ كأنه قيل: هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور؟ أو الرقع على الوصف له ﴿حين﴾ تقديره: هل أتى على الإنسان حين لم يكن فيه شيئاً؟

(٢٣٥: ٣٠)

ابن عريبي: أي على وجه التكرير والتكريب، أي كان شيئاً في علم الله، بل في نفس الأمر لقدّم روحه، ولكنه لم يذكر فيما بين الناس لكونه في عالم الغيب، وعدم شعور من في عالم الشهادة به. (٧٣٩: ٢) القرطبي: قيل: ليس هذا الذكر بمعنى الإخبار، فإن إخبار الرب عن الكائنات قديم، بل هذا الذكر بمعنى الخطر والشرف والقدرة، تقول: فلان مذكور، أي له شرف وقدر. وقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَذْكُرُ لَكُمْ وَلِقَوْمِكُمْ﴾ الزخرف: ٤٤، أي قد أتى على الإنسان حين لم يكن له قدر عند الخليفة، ثم لما عرفت الله الملائكة أنه جعل آدم خليفة، وحمله الأمانة التي عجز عنها السماوات والأرض والجبال، ظهر فضله على الكل، فصار مذكوراً. [إلى أن قال:]

وقال قوم: التقى يرجع إلى الشيء، أي قد مضى من الدهر من الدهر و آدم لم يكن شيئاً يذكر في الخليقة، لأنه آخر ما خلقه من أصناف الخليقة، والمصدوم ليس بشيء حتى يأتي عليه حين. والمعنى: قد مضت عليه أزمنة وما كان آدم شيئاً ولا مخلوقاً ولا مذكوراً لأحد من الخليقة. وهذا معنى قول قتادة ومقاتل.

(١١٧: ١٩)

التسفي: لم يذكر اسمه ولم يذكر ما يراد به، لأنه كان طيناً يمر به الزمان، ولو كان غير موجود لم يوصف بأنه قد أتى عليه حين من الدهر. ومحمل ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ التصب على الحال من ﴿الإنسان﴾ أي أتى عليه حين من الدهر غير مذكور.

(٣١٦: ٤)

وغير ذلك ولا يذكر الإنسان، لأنه لم يوجد بعد حتى  
وُجد فقول: الإنسان، فكونه مذكورًا كناية عن كونه  
موجودًا بالفعل. فالتفي في قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا  
مَذْكُورًا﴾ متوجه إلى كونه شيئًا مذكورًا لا إلى أصل  
كونه شيئًا، فقد كان شيئًا ولم يكن شيئًا مذكورًا،  
ويؤيد قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ لَطْفٍ...﴾ فقد  
كان موجودًا بمادته ولم يتكون بعد إنسانًا بالفعل.

والآية وما يطلعها من الآيات واقعة في سياق  
الاحتجاج بمن بها أن الإنسان حادث يحتاج في  
وجوده إلى صانع يصنعه وخالق يخلقه، وقد خلقه  
ربه وجهزه التقدير الربوبي بأدوات الشعور من السمع  
والبصر، يهتدي بها إلى السبيل الحق الذي من  
الواجب أن يسلكه مدى حياته، فإن كفر فمضيه إلى  
جحيم عظيم، وإن شكر فإلى نعم مقيم. (٢٠: ١٢٠)

### ذكر

١- إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوَلِّحَ بَيْنَكُمْ الضَّادَةَ  
وَالنَّهْضَةَ فِي الْحُمْرِ وَالنَّيْمِ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ  
وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ. المائدة: ١١  
أبن هباص: عن طاعة الله. (١٠٠)  
رشيد رضا: [ له مطالب سياقي في: ص ٥٥:  
«يصدكم» ] (٧: ٦١)

ابن عاشور: والذكر المقصود في قوله: ﴿عَنْ  
ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يشمل أنه من الذكر اللسان، فيكون المراد  
به القرآن وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام الذي  
فيه نفعهم وإرشادهم، لأنه يشتمل على بيان أحكام

الشر وسوي: ﴿شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ بل كان شيئًا  
منشأ غير مذكور بالإنسانية أصلًا، نقطة في الأصلاب،  
فما بين كونه نقطة وكونه شيئًا مذكورًا بالإنسانية  
مقدار محدود من الزمان، وتقدم عالم الأرواح  
لا يوجب كونه شيئًا مذكورًا عند الخلق ما لم يتعلق  
بالبدن، ولم يخرج إلى عالم الأجسام. (١٠: ٢٥٩)

الآلوسي: بل كان شيئًا غير مذكور بالإنسانية  
أصلًا، أي غير معروف بها، على أن التقى راجع إلى  
التقيد، والمراد أنه ممدوم لم يوجد بنفسه، بل كان  
الموجود أصله مما لا يستحق إنسانًا ولا يعرف بعنوان  
الإنسانية، وهو مادته البعيدة أعني العناصر، أو  
المتوسطة وهي الأغذية، أو القريبة وهي التطفة  
المتولدة من الأغذية المخلوقة من العناصر. (٢٩: ١٥١)  
المرآغي: لم يكن موجودًا حتى يعرف ويذكر.

(١٢٩: ١٦٣)

ابن عاشور: المذكور: المعين الذي هو بحيث  
يذكر، أي يعبر عنه بخصوصه ويخبر عنه بالأخبار  
والأحوال. ويعلق لفظه الدال عليه بالأفعال.  
فأما الممدوم فلا يذكر لأنه لا تعين له فلا يذكر إلا  
بعنوانه العام. كما تقدم آنفًا. وليس هنا هو المراد  
بالذكر هنا.

ولهذا يجعل ﴿مَذْكُورًا﴾ وصفًا لـ ﴿شَيْئًا﴾،  
أريد به تقييد ﴿شَيْئًا﴾، أي شيئًا خاصًا وهو  
الموجود المعبر عنه باسمه للمعين له. (٢٩: ٣٤٦)  
الطباطبائي: أي شيئًا يذكر باسمه في المذكرات،  
أي كان يذكر مثلًا الأرض والسماء والبر والبحر

الطَّهْرِي: يقول: أو عجبتم أن جاءكم تذكير من  
الله وعظة يُذكِّركم بما أنزل ربكم. (٥٢١: ٥)

الطَّهْرِي: يعني نبوة الرسالة، وقيل: معجزة وبيان.  
(٢٤٤: ٤)

نحوه البهوي (٢: ٢٠٢)، والطبرسي (٢٣: ٤٣٤).

الطُّوسِي: الذكر حضور المعنى للنفس، والذكر  
على وجهين: ذكر البيان وذكر البرهان، فذكر البيان:  
إحضار المعنى للنفس، وذكر البرهان: الشهادة بالمعنى  
في النفس، وكلا الوجهين يحتمل في الآية. (٤٦٩: ٤)  
ابن الجوزي: في الذكر قولان: أحدهما: الموعظة.  
والثاني: البيان. (٢٢١: ٣)

الفخر الرازي: ذكروا في تفسير هذا الذكر  
وجوهًا: [ونقل قول الحسن]  
وقال آخرون: المراد بهذا الذكر: المعجز، ثم ذلك  
المعجز يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه تعالى كان قد أنزل عليه كتابًا، وكان  
ذلك الكتاب معجزًا، فسماه الله تعالى ذكرًا، كما سُمي  
القرآن بهذا الاسم، وجعله معجزة لمحمد ﷺ.  
والثاني: أن ذلك المعجز كان شيئًا آخر سوى  
الكتاب. (١٥٢: ١٤)

البيضاوي: رسالة أو موعظة. (١: ٣٥٤)  
نحوه أبو السعود (٢: ٥٠٣)، والبروسوي (٣: ١٨٣)،  
وشتر (٢: ٣٧٧).

اليسابوري: الذكر المعجز كتابًا أو غير كتاب.  
وقيل: هو الموعظة. (٨: ١٥٦)  
أبوحيان: الذكر: الوعظ، أو الوحي، أو المعجز.

ما يحتاجون إليه فإذا اتلمسوا في شرب الخمر وفي  
التقامر غابوا عن مجالس الرسول وسماع خطبه، وعن  
ملاقات أصحابه الملازمين له، فلم يسمعوا الذكر  
ولا يتلقوه من أفواه سامعيه، فيجهلوا شيئًا كثيرًا فيه ما  
يجب على المكلف معرفته. فالشيء الذي يصد عن هذا  
هو مفسدة عظيمة يستحق أن يحرم تعاطيه.

ويحتمل أن المراد به الذكر القلبي، وهو تذكُّر ما  
أمر الله به ونهى عنه، فإن ذكر ذلك هو ذكر الله، كقول  
عمر بن الخطاب: أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله  
عند أمره ونهيه. فالشيء الذي يصد عن تذكُّر أمر الله  
ونهي، هو ذريعة للوقوع في مخالفة الأمر وفي اقتحام  
التهمة. وليس المقصود بالذكر في هذه الآية ذكر الله  
باللسان، لأنه ليس شيء منه بواجب عند ما هو من  
أركان الصلاة، فذلك مستغنى عنه بقوله: **وَأَمَّا**  
الصلوة. (٥٢١: ٥)

٢- أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل  
منكم فيبذركم وليستقوا أو تعلمكم فرقون.

الأعراف: ٦٣

ابن عباس: نبوة.

(الواحد: ٢: ٣٨٠)

نحوه الزمخشري (٢: ٨٦)، والقرطبي (٧: ٢٣٥)،

والسبكي (٢: ٥٨)، والشَّشْبِي (١: ٤٨٥)،

والكاشاني (٢: ٢٠٩).

الحسن: إله الوحي الذي جاءهم به.

(الفخر الرازي ١٤: ١٥٢)

أو كتاب معجز، أو البيان أقوال. (٣٢٢: ٤)

الآلوسي: المراد بالذكر ما أرسل به، كما قيل للقرآن: ذكر، ويفسر بالموعظة. (١٥٣: ٨)

الطباطبائي: المراد بالذكر ما يذكر به الله، وهو المعارف الحقة التي أوحيت إليه. (١٧٥: ٨)

وجاء بهذا المعنى قوله تعالى:

٣ - أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ...  
الأعراف: ٦٩

٤ - وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسِيهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ مِائَةٍ.  
يوسف: ٤٢

الزَّمَخْشَرِيُّ: أن يذكره لربه، وقيل: فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره. (٣٢٢: ٢)

أبو السُّعُود: أي ذكر الشراي له ~~عند الله~~، والإضافة لأدنى ملائكة، أو ذكر إخبار ربه. (٣٩٧: ٣)  
نحوه الثُّرُوسِيُّ (٢٦٣: ٤)، والآلُوسِيُّ (١٢: ٢٤٧).

المُراغِي: أي فأنسى الشيطان ذلك الشافي الناجي تذكر إخبار ربه، أي أن يذكر يوسف للملك.

(١٥٢: ١٢)

راجع: ن س ي: «فَأَنسِيَهُ».

٥ - وَمَا نَسْتَلُهمْ عَلَيْهِمْ مِنْ آجَرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ.  
يوسف: ١٠-٤

ابن عباس: عظة. (٢٠: ٤)

نحوه الثُّبَايُورِيُّ (١٣: ٥٥)، والشَّريهِيُّ (٢: ١٤٩)، وأبو السُّعُود (٣: ٤٣١)، والكَاشَّانِيُّ (٣: ٥٢).

الطُّبَّيْرِيُّ: إلا عظة وتذكير للعالمين، ليتعظوا ويتذكروا به.

(٣١١: ٧) الثَّعَلِيُّ: عظة وتذكير. (٢٦٢: ٥)

منه البُشُورِيُّ (٢: ٥١٧)، والقُرْطُبِيُّ (٩: ٢٧١)، ونحوه الآلُوسِيُّ (١٣: ٦٥)، والمُراغِي (١٣: ٤٧).

الواحدِي: تذكير لهم بما هو صلاحهم ونجاتهم من النار. (٦٣٧: ٢)

نحوه ابن الجَوْزِيِّ. (٢٩٣: ٤) الزَّمَخْشَرِيُّ: عظة من الله. (٣٤٦: ٢)

نحوه البُخَاوِيُّ (١: ٥١٠)، والسَّيِّ (٢: ٢٣٩)، والثُّرُوسِيُّ (٤: ٣٢٩)، وشَّيْر (٣: ٣١٢).

الْقنْطَر الرَّازِي: أي هو تذكير لهم في دلائل ~~القرآن~~ والنبوة والمعاد والتقص والكاليف والعبادات. «معناه: أن هذا القرآن يشتمل على هذه المنافع العظيمة، ثم لا يطلب منهم مالا ولا جُمُلاً، فلو كانوا عتلاء لقبوا ولم يتمردوا».

(٢٢٣: ١٨) الطُّبَّاطِبَائِيُّ: قوله: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ»

بيان لشأن القرآن الواقعي، وهو أنه محض في أنه ذكر للعالمين، يذكرون به ما أودع الله في قلوب جماعات البشر من العلم به وبأياته فما هو إلا ذكر يذكرون به ما أنستهم الفطلة والإعراض، «ليس من الأمتعة التي يكتسب بها الأموال أو ينال بها عزة أو جاءه أو غير ذلك».

(٢٧٥: ١١)

٦ و ٧ لَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ. الرعد: ٢٨

ابن عباس: القرآن، ويقال: بالحلف بالله. (٢٠٨) هذا في الحلف، ويقولها إذا حلف الرجل المسلم بالله على شيء، ثم سكن قلوب المؤمنين إليه.

(التعليق: ٥: ٢٨٨)

مُجَاهِدٌ: بِالْقُرْآنِ. (الماوردي: ٣: ١١٠)

مثله مقاتيل. (التعليق: ٥: ٢٨٨)

قَتَادَةُ: بِذِكْرِ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ. (الماوردي: ٣: ١١٠)

الإمام الصادق عليه السلام: بِحَمْدِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

القلوب، وهو ذكر الله وحجابه. (العباسي: ٢: ٣٩٠)

ابن عبيدة: بِأَمْرِهِ. (القرطبي: ٩: ٣١٥)

الزجاج: أي إذا ذكر الله بوحدياته آمنوا به غير شاكين. (٢٤٧: ٢٣)

القاسمي: ذَكَرَ اللَّهُ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِمَامَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

[وهذا تأويل] (٣٦٥: ١١)

الرمثاني: بِوَعْدِ اللَّهِ لَهُمْ. (الماوردي: ٣: ١١٠)

الماوردي: فِيهِ أَرْبَعَةُ أَوْجِهٍ:

أحدها: [قول قَتَادَةَ]

الثاني: بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. [إلى أن قال:]

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ بِمَثَلِ ثَلَاثَةِ

أَوْجِهٍ:

أحدها: بِطَاعَةِ اللَّهِ.

الثاني: بِثَوَابِ اللَّهِ.

الثالث: بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ. (١١٠: ٣)

الرطوسي: أَي تَسْكُنُ قُلُوبُهُمْ وَتَأْنِسُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ

الَّذِي مَعَهُ إِيمَانٌ بِهِ، لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ لَا تُحْصَى وَأَيَادِيهِ الَّتِي لَا تُجَازَى، مَعَ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ وَبَسْطِ إِحْسَانِهِ. وَالدَّكَرُ حَضُورُ الْمَعْنَى لِلنَّفْسِ، وَقَدْ يَسْمَى الْعِلْمُ ذِكْرًا، وَالْقَوْلُ الَّذِي فِيهِ الْمَعْنَى الْحَاضِرُ لِلنَّفْسِ يَسْمَى ذِكْرًا.

ووصف الله تعالى هاهنا المؤمن بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله، ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه، لأن المراد بالأول أنه يذكر ثوابه وإنعامه، فيسكن إليه، والثاني يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويجل قلبه.

وقوله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ إخبار منه تعالى أن يذكر الله تسكن القلوب وتستأنس وتطمئن إلى ما وعد الله به من الثواب والتعيم، ومن لم يكن مؤمناً عارفاً لا يسكن قلبه إلى ذلك. (٢٤٩: ٦)

نحوه الطبرسي (٣: ٢٠)، والطبرسي (٣: ٢٩١).

الزمخشري: بِذِكْرِ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ بَعْدَ الْقَلْقِ

وَالْاضْطِرَابِ مِنْ خَشْيَتِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ تَلْبِثُ جُلُودُكُمْ

وَقُلُوبُكُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣، أَوْ تَطْمَئِنُّ بِذِكْرِ

دَلَالَتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، أَوْ تَطْمَئِنُّ بِالْقُرْآنِ لِأَنَّهُ

مُعْجَزَةٌ بَيِّنَةٌ، تَسْكُنُ الْقُلُوبَ وَتَثْبِتُ الْيَقِينَ فِيهَا.

(٣٥٩: ٢)

نحوه التبريزي (١: ٥١٩)، وأبو حيان (٥: ٣٨٩).

ابن الجوزي: فِي هَذَا الذِّكْرُ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ الْقُرْآنُ.

والثاني: ذَكَرَ اللَّهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ. (٣٢٧: ٤)

الفخر الرازي: [لَهُ كَلَامٌ سَيَأْتِي فِي طَرَفِ أَنْ:

«تَطْمِئِنُّ» [

(٤٩: ١٩)

ابن عَرَبِي: ذَكَرَ النَّفْسَ بِاللِّسَانِ وَالتَّفَكَّرَ فِي النَّعْمِ، أَوْ ذَكَرَ الْقَلْبَ بِالتَّفَكُّرِ فِي الْمَلَكُوتِ وَمَطَالَعَةِ صِفَاتِ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ. فَإِنَّ لِلذِّكْرِ مَرَاتِبَ: ذَكَرَ النَّفْسَ بِاللِّسَانِ وَالتَّفَكَّرَ فِي النَّعْمِ، وَذَكَرَ الْقَلْبَ بِمَطَالَعَةِ الصِّفَاتِ، وَذَكَرَ السِّرَّ بِالمُنَاجَاةِ، وَذَكَرَ الرُّوحَ بِالمُشَاهَدَةِ، وَذَكَرَ الْخَفَاءَ بِالمُنَاجَاةِ فِي الْمَحَاشِقَةِ. وَذَكَرَ اللَّهَ بِالْفَنَاءِ فِيهِ، وَالنَّفْسَ تَضْطَرِبُ بِظُهُورِ صِفَاتِهَا وَأَحَادِيثِهَا، وَتَطْلُشُ لِهَيْلُوتِ الْقَلْبِ بِهَا وَيَتَخَيَّرُ بِأَحَادِيثِهَا، فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ اسْتَقَرَّتِ النَّفْسُ وَانْتَفَتِ الْوَسَاوِسُ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَضَعُ خَرطُومَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ غَاطِمَانِ الْقَلْبِ»، وَكَذَا ذَكَرَ الْقَلْبَ بِالتَّفَكُّرِ فِي الْمَلَكُوتِ وَمَطَالَعَةِ أَسْوَارِ الْجَبَرُوتِ، وَأَمَّا سَائِرُ الْأَذْكَارِ فَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْإِطْمِئْنَانِ. (٤٩: ١٩)

الْقَرطبي: أَيِ تَسْكُنُ وَتَسْتَأْنِسُ بِرُوحِهِدِ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

أَوْ تَطْمِئِنُّ بِذِكْرِ فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ، كَمَا تُوجَلُ بِذِكْرِ عَدْلِهِ وَانْتِقَامِهِ وَفَضَائِلِهِ.

وَقِيلَ: ﴿يَذْكُرِ اللَّهُ﴾ أَيِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيَسْمَعُونَ آيَاتِهِ، فَيَعْرِفُونَ كِمَالَ قُدْرَتِهِ عَنْ بَصِيرَةٍ. (٣١٥: ٩)

التَّسْفِي: ﴿يَذْكُرِ اللَّهُ﴾ عَلَى الدَّوَامِ أَوْ بِالْقُرْآنِ أَوْ بِوَعْدِهِ. (٢٤٩: ٢)

الشَّارِبِي: ﴿يَذْكُرِ اللَّهُ﴾ أَيِ أُنْسَابِهِ، وَاعْتِمَادًا عَلَيْهِ، وَرَجَاءً مِنْهُ. [ثُمَّ قَالَ: نَحْوُ الزَّمْخَشَرِيِّ] (١٥٨: ٢)

نَحْوُ الْكَاشَانِيِّ. (٦٩: ٣)

أَبُو السُّعُودِ: يَذْكُرُ اللَّهُ بِكَلَامِهِ الْمَعْجَزِ الَّذِي لَا رِبَّ فِيهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ هَذَا ذُكِّرُوا بِمَا كُنْتُمْ لَكُمْ رِشْقًا﴾. الْأَنْبِيَاءُ: ٥٠. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا لَنَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُنْفِثُونَ﴾ الْحَجَرِ: ٩، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ لَا آيَةَ أَكْثَرُ مِنْهُ لِيَقْتَرِحُوهَا، وَالْعُدُولُ إِلَى صِيغَةِ الْمُضَارِعِ لِإِفَادَةِ دَوَامِ الْإِطْمِئْنَانِ وَتَجِدُّدِهِ، حَسَبَ تَجِدُّدِ الْآيَاتِ وَتَعَدُّدِهَا.

﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ﴾ وَحْدَهُ ﴿تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ بِدُونِ غَيْرِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَعْبِلُ [لِهَا] التَّكْوُسُ مِنَ الدُّنْيَا وَآيَاتِهَا، وَهَذَا ظَاهِرٌ. وَأَمَّا سَائِرُ الْمَعْجَزَاتِ فَالْقَصْرُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا لَيْسَتْ فِي إِفَادَةِ الْعُمَامِئِنَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ لَمْ يَشَاهِدْهَا بِمَنَاقِبِ الْقُرْآنِ الْحَمِيدِ، فَإِنَّهُ مَعْجَزَةٌ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَشَاهِدُهَا كُلُّ أَحَدٍ، وَتَطْمِئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ كَأَنَّهُ

(٤٥٦: ٣)

الْبَرُّ وَمُؤَيِّدُ: إِذَا سَمِعُوا ذَكَرَ اللَّهُ أَحَبُّهُ وَاسْتَأْنَسُوا بِالْقُرْآنِ، وَذَكَرَ اللَّهُ الَّذِي هُوَ الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ وَيُحِبُّونَ اسْتِمَاعَهَا، وَالْكَفَّارُ يَفْرَحُونَ بِالدُّنْيَا وَيَسْتَبْشِرُونَ بِذِكْرِ غَيْرِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخُذَتْ أَسْمَاطُ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ الزَّمَرِ: ٤٥.

(٣٧٢: ٤)

شَجَرٌ: أُنْسًا وَتَعَهُ، أَوْ بِالْقُرْآنِ لِنُضْمَتِهِ دَلَائِلَ وَحِدَانِيَّتِهِ، وَآيَاتِ وَعْدِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الْأَنْفَالِ: ٢، أَيِ مِنْ وَهْمِهِ وَنَقْمَتِهِ. (٣٣٣: ٣)

الْأَلُوسِي: [نَحْوُ أَبِي السُّعُودِ وَأَضَافَ:]

والوجه الأول: [كون المراد بالذكر القرآن] أشد ملائمة للنظم، لاسيما لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يونس: ٢٠. والمصدر فيه بمعنى المفعول. ومن الغريب ما نقل في تفسير الخازن أن هذا في الحلف بالله، وذلك أن المؤمن إذا حلف له بالله تعالى سكن قلبه، وروى نحو ذلك أبو الشيخ عن السدي، فإن الحمل عليه هنا مما لا يناسب المقام.

وأما ما روي عن أنس من أنه ﷺ قال لأصحابه حين نزلت هذه الآية: «هل تدرون ما معنى ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «من أحب الله تعالى ورسوله وأحب أصحابي». ومثله ما روي عن علي كرم الله تعالى وجهه من أنه عليه الصلاة والسلام قال حين نزلت: «ذاك من أحب الله تعالى ورسوله وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب وأحب المؤمنين تسليماً غير غائباً»، فلمس المراد منه تفسير المراد بذكر الله، وهل يمان أن الموصوفين بما ذكر من أحبه الله تعالى ورسوله ﷺ إلخ. وهو كذلك إذ لا يكاد يتحقق الانفكاك بين هاتيك الصفات، فليتأمل. (١٤٩: ١٣) سيد قطب: ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة، يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فائصلت بالله. يعرفونها، ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها، لأنها لا تنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها، ويندى بها ويستريح إليها، ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفرداً بلا أنيس، فكل ما حوله صديق،

إذ كل ما حوله من صنع الله الذي هو في حياء. وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله. ليس أشقى ممن يتطلق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله في الكون، لأنه انفصم من العروة الوثقى التي تربطه بما حوله في الله خالق الكون. ليس أشقى ممن يعيش لا يدري لم جاء؟ ولم يذهب؟ ولم يعاني ما يعاني في الحياة؟ ليس أشقى ممن يسير في الأرض يوجس من كل شيء خيفة، لأنه لا يستشعر الصلة الخفية بينه وبين كل شيء في هذا الوجود.

ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه فريداً وحيداً شارقاً في فلاة، عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هادٍ ولا معين.

وإن هناك للحظات في الحياة لا يصمد لها بشر إلا أن يكون مرتكئاً إلى الله، مطمئناً إلى حياء، مهما أوتي من القوة والثبات والصلاة والاعتداد، ففي الحياة لحظات تصف بهذا كله، فلا يصمد لها إلا المطمئنون بالله ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. (٢٠٦: ٤) ابن عاشور: ﴿ذُكِّرَ اللهُ﴾ يجوز أن يراد به خشية الله ومراقبته بالوقوف عند أمره ونهيهِ. ويجوز أن يراد به القرآن، قال: ﴿وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الزخرف: ٤٤، وهو المناسب لقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يونس: ٢٠، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٢، أي للذين كان قد زادهم قسوة قلوب، وقوله في آخرها: ﴿ثُمَّ كَلِمَينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾

إلى ذكر الله في الزمر: ٢٣.

والذكر من أسماء القرآن، ويجوز أن يراد ذكر الله  
باللسان، فإن إجراؤه على اللسان ينهيه القلوب إلى  
مراقبته. (١٨٢: ١٢)

مُخَفِّية: أما الذكر فليس المراد به مجرد الكلام  
المفروض المسوع، وإنما المراد به الذكر الذي يزيد  
الذكر يقيناً بالله، وثقة بوعده ووعيدته، فإذا لم يتحقق  
هذا الأثر فلا يمد الثلف بالتقديس والتسويح ذكرًا  
حقيقيًا. والذكر الذي يزيد الذكر يقينًا وثقة هو المراد  
من قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢.

(٤٠٣: ٤)

الطَّاهِرَاتِي: الظاهر أن يكون المراد بالذكر أعم  
من الذكر اللفظي، وأعمى به مطلق انتقال البهذه  
والخطور بالبال، سواء كان بمشاهدة آية أو العشور  
على حجة أو استماع كلمة. ومن الشاهد عليه قوله  
بعده: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ ظُلُمَتِ الْقُلُوبِ﴾ فإنه كضرب  
القاعدة يشمل كل ذكر، سواء كان لفظيًا أو غيره،  
وسواء كان قرآنًا أو غيره.

وقوله: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ ظُلُمَتِ الْقُلُوبِ﴾ فيه تنبيه  
للناس أن يتوجهوا إليه ويؤمنوا قلوبهم بذكره، فإنه  
لاهم للإنسان في حياته إلا الفوز بالسعادة والنجاة،  
ولا خوف له إلا من أن تغتاله الشقة والتقصير. والله  
سبحانه هو السبب الوحيد الذي يمهده زمام الخير،  
وإليه يرجع الأمر كله، وهو القاهر فوق عباده،  
والفعال لما يريد، وهو ولي عباده المؤمنين به،  
اللاجئين إليه، فذكره للنفس الأسيرة بيد الحوادث

الطَّاهِرَاتِي لركن شديد، يضمن له السعادة المتحصنة في  
أمرها، وهي لا تعلم أين تريد ولا ألى يراد بها؟  
كوصف الترياق للسليم تنبسط به روحه وتستريح  
منه نفسه، والركون إليه والاعتماد عليه والاتصال  
به، كتناول ذلك السليم لذلك الترياق، وهو يجد من  
نفسه نشاط الصحة والنافع آتيا بعد آن.

فكل قلب على ما يفيد الجمع المحلى باللام من  
المعوم - يطمئن بذكر الله ويمكن به ما فيه من القلق  
والاضطراب. نعم إنما ذلك في القلب الذي يستحق أن  
يسمى قلبًا، وهو القلب الباقي على بصيرته ورشدته.  
وأما المنصرف عن أصله الذي لا يصبر ولا يثقه، فهو  
منصرف عن الذكر محروم عن الطمانينة والسكون،  
قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَفْشَى الْأَنْصَارُ وَلَكِنْ تَفْشَى  
الْقُلُوبُ أَلَمْ يَكُنِ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمْ فِي الصُّورِ﴾ الحج: ٦٦، وقال: ﴿لَهُمْ  
قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الأعراف: ١٧٩، وقال: ﴿كُفُّوا  
أَعْيُنَكُمْ عَنْ أَنْ تَنظُرُوا فِي شِعَابِ الْقُلُوبِ﴾ التوبة: ٦٧.

وفي لفظ الآية ما يدل على الحصر، حيث قدّم  
متعلق الفصل، أعني قوله: ﴿يَذْكُرُ اللَّهُ﴾ عليه، فيفيد أن  
القلوب لا تطمئن بشيء غير ذكر الله سبحانه، وما  
قدّمناه من الإيضاح ينور هذا الحصر؛ إذ لا هم للقلب  
الإنسان وهو نفسه المدركة، إلا نيل سعادته والأمن  
من شقائه، وهو في ذلك متعلق بذيل الأسباب، وما  
من سبب إلا وهو غالب في جهة «مطلوب من أخرى،  
إلا الله سبحانه فهو الغالب غير المطلوب، الغني  
ذو الرحمة. فذكره أي به سبحانه وحده تطمئن  
القلوب، ولا يطمئن القلب إلى شيء غيره إلا غفلة



به صدر.

من حقيقة حاله، ولو ذكر بها أخذته الرعدة والقلق.

(٣٥٥: ١١)

عبد الكريم الخطيب: ذكر الله هو تذكره، في

استحضار جلاله، وعظمته، وقدرته، وكلمه له

سبحانه من صفات الكمال والجلال. فإذا ذكر

الإنسان ربه، واستحضر جلاله وعظمته، كان من هذا

التذكر في ظل ظليل، من جلال الله وعظمته، وفي جمى

لا ينال من حياته، ورعايته. وفي عزة تصغر أمامها

عزة كل عزيز في هذه الدنيا، إذ كان محتصمه هو الله

القوى العزيز. ﴿وَمَنْ يَحْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران: ١٠١.

فالذي يذكر الله وهو مؤمن به، طامع في رحمته،

معتصم بجلاله، محتتم بجماله، لانه بفضل، عائد به، من

عموم الدنيا، ومن ظلم الظالمين، وبني الباغين يحدو

قريباً منه، سامعاً دعاءه مستجيباً له، حال تعظم

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ المؤمن: ٦٠،

وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢، وقال

جل شأنه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

أَجِبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا

بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة: ١٨٦.

وليس ذكر الله الذي تطمئن به القلوب، هو هذا

التذكر الذي تردده الألسنة تردداً آلياً، دون أن يكون

منبعثاً من القلب، دافئاً بحرارة الإيمان، منطلقاً بقوة

اليقين، فمثل هذا التذكر لا يعدو أن يكون أصواتاً

مرددة، أشبه بالجمث الهاممة، لا روح فيه، ولا معقول له

ومن هنا تكون آفته، فلا يطمئن به قلب، ولا ينشرح

أما التذكر الذي يقول فيه سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ثم يؤكد

بقوله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ فهو التذكر

الذي يثبت عن إيمان، فتهدأ له المشاعر، وتهدأ به

الصدور، وتطمئن به القلوب. ولهذا قدم سبحانه

الإيمان على الذكر، حتى يكون للذكر أصل يرجع

إليه، ومنطق ينطق منه، وهو الإيمان، فإذا ذكر المؤمن

بالله ربه، غرقت في نفسه بلاه البهجة، وزخرت في

صدره عرائس الرضا، واستولت عليه حال من الشجاعة

المزجج بالشوة، حتى ليكاد يكون كله عاطفة ترف

بجناحي الصبا والوجد، وتعلق في حماوات هالية،

مشرقة بنور الحق، مغطاة بأريج الصفاء والظهر.

ولا يكون التذكر لله ذكراً ينمر هذه الثمرة، التي

تطمئن بها القلب، إلا إذا انبثت من قلب عارف بالله،

مدرك لما ينحني له سبحانه، من صفات الكمال

والجلال، فذلك هو الذي يفيض على القلب خشية

عند ذكر الله، وهو الذي يستثير مشاعر الولاء لله،

والإخبات له، فتتقشر الجلود، وتدمع العيون.

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الأنفال: ٢، وقوله

سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ﴾ الحج: ٣٤، ٣٥، وقوله جل شأنه: ﴿اللَّهُ

نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مَكْتُبًا بِهَا مَثَانِي تَقْتَسِرُ بِهِ

جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ

إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣.

فإذا ذكر المؤمن ربه، وقد تلبست به تلك الحال، واستولت عليه هذه المشاعر، قرب من الله، ودنا من مواقع رحمته، وأحس برؤء السكينة بغير قلبه، ووجد ريح الأمن والطمأنينة تهب عليه، معطرة الأنفاس، ذاكية الأرواح.

إن الإنسان إذا يذكر حدثاً من الأحداث، أو يستحضر صورة شخص من الأشخاص، له به غلقة حب أو بغض، فإنه يجهد في كيانه لهذا الذكر، ولذلك الاستحضار ما يهز كيانه، ويثير عواطفه، ويهيج أشجانه، أو يبعث مخاوفه. [تم استشهد بشعر وشرحه ثم قال:]

هذا بعض ما تثير ذكريات الأحداث، وتذكر الأشخاص، في مجال الخير والشر، وفي مقام الحب والبغض. فكيف يكون الحال عند من يذكر الله ويستحضر جلاله، وعظمته، وقدرته، وعلوه، وحكمته، وكل ما ينفي له سبحانه من صفات الكمال والجلال؟

إن التذكُّر لله على تلك الصفة يجد نفسه في حضرة مالك الملك، القائم على هذا الوجود، والمصرف لكل موجود، وإذا هو في هذا المقام ذاهل عن كل ما عدا الله، مستخف بكل ما سواه، موقن بأن ما هو فيه من خير أو شر، هو بما قضى الله به، وأنه لا يكشف الضر إلا هو سبحانه، ولا يسوق الخير إلا هو جل شأنه، فوصي قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ يُسْئَلْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُسْئَلْكَ بِخَيْرٍ فَلَهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]، وأخذ من ثمراتها الطيبة المباركة، زاداً

طيباً مباركاً، فيه الشبع من كل جوع، والري من كل ظمأ، والشفاء من كل داء.

فإذا ذكر الإنسان ربه هذا الذكر الذي يُدنيه من ربه، والذي يشهد منه ما يشهد من جلال الله، وعظمته، وقدرته، ارتفع عن هذا العالم الثرائي، واستصر كل شيء فيه، فلا يأسى على فائت، ولا يظير فرحاً، ولا يأسر بطراً، بما يقع ليديه من خطام هذه الدنيا. وهذا هو الاطمئنان الذي يسكن به القلب وتقر العين؛ حيث لا حزن، ولا جزع، ولا خوف، ﴿وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

ذلك أن الداء الذي يفتال أمن الناس، ويقض مضاجعهم هو ما يدخل عليهم من هموم الدنيا، وما يشغلهم من توقعات الأمور فيها. وأنه لا دواء لهذا الداء إلا بالرجوع إلى الله، والفرع إليه؛ وذلك بذكره، وتذكر بجلاله المبسوط على هذا الوجود، وأمره القائم على كل موجود ﴿وَاللَّهُ الْغَلِيُّ وَالْآمُرُ يُهَارَلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾، وفي التعبير عن الإيمان بالفعل الماضي ﴿آمَنُوا﴾، وعن الاطمئنان بفعل المستقبل ﴿تَطْمَئِنُّ﴾، في هذا إشارة إلى أن الإيمان حال لا يتحول عنها المؤمن، وأنه لا يوصف بالإيمان إلا إذا كان مؤمناً، على خلاف الاطمئنان، فإنه غير ملازم للمؤمن في كل حال، وإنما يقع الاطمئنان عند ذكر الله، وكلمة ذكر المؤمن ربه، حين تعرض له عوارض القلق والجزع. وهنا، نود أن نشير إلى أن ذكر الله الذي يمنح

القلب اطمئناناً وأمثاً، يحسن أن يكون منظوراً فيه إلى صفة من صفات الله، المناسبة لتلك الحال العارضة، التي أزعجت الطمأنينة عن القلب، وأطارت السكينة والأمن من الجوانح...!

فإذا كان الإنسان في مواجهة مرض، مثلاً في نفسه، أو نفس من يحبه، ذكر الله الرحمن الرحيم، وذكر قدرته على كشف هذا الضر، ورفع هذا السوء، وإذا كان في يد سلطان جائر، أو عدو متسلط قاهر، ذكر الله القوي القاهر، الجبار المنتقم، فأراه ذلك ضالة هذا السلطان، وصغر شأن هذا العدو.

وهكذا يذكر للذاكر ربه، فيرى في وجهه الكريم، العفة التي يتجلى بها عليه، فإذا هي السكن لجوارحه، «الدواء لدائه، والطمأنينة لقلبه، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَرَبِّهِ الْأَسْمَاءُ الْعُصَىٰ فَاظْهَرُوا بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠، وبالاسم الذي تدعو الله به يتجلى به الله سبحانه علينا، فنرى في سنا وجهه الكريم، غيوت رحمته، ومواطر فضله ورضوانه.

ولعله من المناسب أن نذكر هنا قول الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، البقرة: ١٥٢، فالله سبحانه وتعالى لا ينسى، حتى يُذكر ليذكر، بل هو جل شأنه يذكرنا دائماً، ذكرناه أو لم نذكره. ولكن المراد بذكره لنا هنا إذا ذكرناه، هو أننا إذا ذكرناه وجدناه سبحانه حاضراً في قلوبنا وعقولنا، وأتينا إذا لم نذكره، فهو سبحانه حاضر كذلك، ولكن هذا المحضور لا نحس به، ولا نتأثر له.

فإذا ذكر المؤمن ربه، وجد ربه تجاهه. وكأَنَّ

بطلته عن ذكر ربه قد بُعد عن الله، فإذا ذكر ربه، ذكره ربه وأشرق عليه بنوره السني اليهي، وفي الحديث القدسي: «من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

فذكر الله، واستلاء القلب بهذا الذكر، يفيض على الذاكر أنواراً من جلال الله وبهائه، وإذا هو في حسي عزيز لا ينال، وفي ضمان وثيق من أن يهون أو يذل لخير الله الواحد القهار.

واسمى الذكر وأكملته، هو ذكر الصائرين بالله، معرفة يطلعون منها على ما يملأ قلوبهم جلالاً وخشية لله، حيث يتهدون من كمالات الله ما لا يشهده إلا المقربون، الذين<sup>(١)</sup> رضي الله عنهم ورضوا عنه، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾، فهذا الود إنما يناله أولئك الذين يذكرون الله فيذكرهم الله، «يرفونه فيمرهم» ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾، فهذا الذكر المستبصر، هو الذي يضيء الطريق الذي يسلكه الذاكر إلى ربه، فيرى على ضوء هذا النور، قدرة الخالق وجلاله، وعظمته، فيخضع قلبه وتسكن وساوسه.

فالذكر = كما قلنا = ليس مجرد كلمات يُرددها

(١) في الأصل: الذي!!

اللسان، وإثما هو نبضات قلب معصور بالإيمان بالله،  
و خفقات وجدان ريمان بالرجاء في الله، والطمع في  
فضله وإحسانه؛ وذلك بعد أن يصرف المرء ربه،  
و يعرف ما ينبغي له سبحانه من كمالات.

والرجاء الذي يقوم على غير إيمان، ويستند إلى  
غير طاعة، هو مكر بالله، وخداع للنفس، وعدوان  
على سكن الحياة التي أقام الله عباده عليها، فجعل لكل  
عامل عمله، ولكل حارس ثمة ما غرس.

وحسن أن يحسن العبد ظنه بربه، بل وأن يبائع ما  
شابه في هذا الظن، ولكن شريطة أن يكون ذلك الظن  
نابهاً من الإيمان بالله، ومستنداً على ما يجد العبد من  
شواهد القرب من ربه، فهنا يحق له أن يتمنى على ربه،  
و أن يدلّ دلالة الم محبوب مع محبوبه.

وفي الحديث الشريف: «رُبَّ أَشْمَتٍ أَغْبَرَتْ لَو  
أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَرَهُ».

وفي الخبر الثابت أن البراء بن مالك - هو أخو  
أنس ابن مالك - كان يَحْنُ يَقْسِمُ عَلَى اللَّهِ فَيَجِرُّهُ  
قَسَمَهُ، وَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْحَرْبُ فِي  
قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، يَقُولُونَ: يَا بَرَاءُ، أَقْسِمِ عَلَى رَبِّكَ  
فَيَقْسِمُ عَلَى رَبِّهِ فَيَنْتَصِرُونَ!

و الدعاء، هو من ذكر الله حيث يوجه الداعي  
وجهه إلى الله، طائبا للرجاء إليه، والمدد من إحسانه  
و لفضله.

يقول ابن القيم الجوزية في تفسيره المسمى:  
«التفسير القيم»: «إن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه،  
متضمن للطلب منه، والثناء عليه باسمائه وأوصافه،

فهو أي الدعاء ذكر و زيادة، كما أن الذكر سمي دعاء  
لأنه يتضمن الطلب، كما قال عليه السلام: «أفضل الدعاء: الحمد  
فه» فسمي الحمد دعاءً، وهو ثناء محض، لأن الحمد  
يتضمن الحب والثناء، والمحبة أعلى أنواع الطلب  
للمحبيب!

ثم يقول ابن القيم: «و تأمل كيف قال تعالى في آية  
الذكر: ﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِفَةً﴾  
الأعراف: ٢٠٥، وفي آية الدعاء: ﴿أُدْعُوا رَبَّكُمْ  
تَضَرُّعًا وَ خِفَةً﴾ الأعراف: ٥٥، فذكر التضرع فيهما  
معاً، وهو التذلل و التمسك، والانتكسار، وهو روح  
الذكر والدعاء.

و خصّ الذكر بالخيفة لحاجة الذكر إلى الخوف،  
فإن الذكر يستلزم المحبة و يثمرها ولا بد، فمن أكثر من  
ذكر الله أقرب له ذلك محبته، والمحبة ما لم تقترن بالخوف،  
فإنها لا تنفع بها حياء، بل تضره، لأنها توجب الإدلال  
والإسقاط.

و ربما آلت بكثير من الجهال المخرورين إلى أنهم  
استغنوا بها عن الواجبات، وقالوا: المقصود من  
العبادات إنما هو عبادة القلب، إقباله على الله و  
محبته له، و تأليه له، فإذا حصل المقصود فلا اشتغال  
بالوسيلة باطل! «فإن من سلك هذا المسلك أنسلخ  
عن الإسلام العام كانسلخ الحية عن قشرها، و سبب  
هذا، عدم اقتران الخوف من الله، بحبه و إرادته، أي  
كونه مريداً له».

و هذا قال بعض السلف: «من عبد الله بالحسبة  
وحده فهو زنديق، و من عبده بالخوف وحده فهو

حُروري<sup>(١)</sup>، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجس<sup>(٢)</sup> ومن عبده بالغيب والخوف والرجاء فهو مؤمن». وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاثة في قوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ فابتناء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف.

وبعد، فإن ذكر الله بالقلب واللسان، هو خير زاد يتزود به الإنسان في رحلة الحياة، وخير رفيق يؤنس في طريقه الموحش، حيث يجد في جوار الله الأنس، حين يستوحش الناس، ويمجد الشبح والبرقي إذا أجذب الناس، وقلب الزمان، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَمَنْ أَكْبَحُ عَذَابٍ فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْفِي﴾ • ومن أغرض عن ذكرى فإن له معيشة ضحكا ونحشة يوم القيمة أغنى • طه: ١٢٣، ١٢٤.

مكارم الشيرازي: «الذكر» كما يقول الراغب في مفرداته: حفظ المعاني والعلوم، ويستعمل الحفظ للهدى به، بينما الذكر للاستمرار فيه، ويأتي في معنى آخر [و] هو ذكر الشيء باللسان أو القلب، لذلك قالوا: إن الذكر نوعان: ذكر القلب وذكر اللسان وكل واحد منهما على نوعين: بعد النسيان أو بدونه.

(١) الحُروري: نسبة إلى فرقة من فرق الخوارج، تعرف

بالحرورية، الذين يقولون بالقدره المطلقة للهدى.

(٢) المرجئة: من الفرق الخارجة على الملة الإسلامية، وهي

التي تتعلق بالرجاء من غير عمل.

وعلى أية حال ليس المقصود من الذكر سفي الآية أعلاه - هو ذكره باللسان فقط فنقوم بتسحيحه وتهيله وتكبيره، بل المقصود هو التوجه القلبي له ولعظمته وعلمه، وبأنه الحاضر والناظر. وهذا التوجه هو مبدأ الحركة والعمل والجهاد والسمي نحو الخير، وهو سد منيع عن الذنوب، لهذا هو الذكر الذي له كل هذه الآثار والبركات، كما أشارت إليه عدة من الروايات. [تم ذكر بعض الروايات فلاحظ]

(٣٦١: ٧)

٨- ذُكِرَ رَحْمَتُ رَبِّكَ غِنَةً ذَكْرًا. مريم: ٢  
ابن عطية: ارتفع قوله: ﴿ذُكِرَ﴾ في ما قالت لفرقة يقولون: ﴿كهنصص﴾، وقد تقدم وجه ذلك، وقالت فرقة: ارتفع على خبر ابتداء، تقديره: هذا ذكر. وقالت فرقة: ارتفع بالابتداء، والخبر مقدر تقديره: فيها أوحى إليك ذكر. وقرأ الحسن بن أبي الحسن وابن عسار (ذكر رحمة ربك) بفتح الذال والكاف والراء على معنى: هذا التلوذ ذكر رحمة بالتصب. هذه حكاية أبي الفتح، وحكى أبو عمرو الداني عن ابن عسار أنه قرأ: (ذُكِرَ رَحْمَةً) بفتح الذال وكسر الكاف المشددة ونصب «الرحمة» و«غِنَةً» نصب بـ «الرحمة»، التقدير: ذُكِرَ أن رحم ربك عبده، ومن قال: في الكلام تقديم وتأخير فقد تعسف.

الفخر الرازي: في لفظه ﴿ذُكِرَ﴾ أربع قراءات: صيغة المصدر، أو الماضي محففة، أو مشددة، أو الأمر. أما صيغة المصدر فلا بد فيها من كسر ﴿رَحْمَتِ

رَبُّكَ عَلَى الإِضَافَةِ، ثُمَّ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

أحدها: نصب الدَّال من ﴿عَتِدَ﴾ وهو الممثلة من (زَكْرِيَّا)، وهو المشهور.

وثانيها: برفعهما، والمعنى: وتلك الرحمة هي عبده زكريَّا، عن ابن عامر.

وثالثها: ينصب الأوَّل ويرفع الثاني، والمعنى: رحمة ربك عبده وهو زكريَّا.

وأما صيغة الماضي بالتشديد فلا بدَّ فيها من نصب (رَحْمَةً).

وأما صيغة الماضي بالتخفيف ففيها وجهان: أحدهما: رفع الباء من (رَبُّكَ)، والمعنى: ذكر ربك عبده زكريَّا.

وثانيها: نصب الباء من (رَبُّكَ) والرفع في (عَتِدَ).

زكريَّا، وذلك بتقديم المفعول على الفاعل، وهذان القراءةان للكنزي.

وأما صيغة الأمر فلا بدَّ من نصب (رَحْمَةً) وهي قراءة ابن عباس.

واعلم أن على تقدير جعله صيغة المصدر والماضي يكون التقدير: هذا المتلو من القرآن ذكر

رحمة ربك. (١٧٩: ٢١)

وينصوا الذي قدم مع تفاوت يسير قال المفسرون، فلاحظ القراء (١٦١: ٢)، والطبري (٨: ٣٠٥)، والزجاج (٣١٨: ٣)، والشعلبي (٢٠٦: ٦)،

والزمخشري (٥٠٢: ٢)، والقرطبي (٧٥: ١١)، والبيضاوي (٢٨: ٢)، وأبو السعود (٢٢٦: ٤)،

والثبروسي (٣١٣: ٥)، واللويسي (٥٨: ١٦).

وابن عاشور (٨: ١٦)، والطباطبائي (٧: ١٤).

٩. حَتَّى يَأْتِيَهُمْ مِنْ ذِكْرِ مَنْ رَبَّهُمْ مُحَدَّثٌ إِلَّا اسْتَعْفَوْهُ وَهُمْ يُلَاقُونَ. الأنبياء: ٢

ابن عباس: «مِنْ ذِكْرِ» بذكر، يعني القرآن. (٢٦٩)

نحوه الطبرسي: قتادة: شيء من القرآن. (الطبري: ٩: ٤)

نحوه الطبري (٩: ٣)، والشعلبي (٢٦٩: ٦)، والطوسي (٢٢٨: ٧)، والواحدي (٢٢٩: ٣)،

والنفي (٧١: ٣)، والثيسابوري (٥: ١٧)، وسيد قطب (٢٣٦٧: ٤).

أبو سليمان التمشقي: أنه ذكر من الأذكار، (ابن الجوزي: ٥: ٣٣٩)

جس، بن فضل: قيل: الذكر: الرسول نفسه، بدليل ما في سياق الآية: ﴿قُلْ هَذَا إِلَّا بُشْرًا مِثْلَكُمْ﴾

الأنبياء: ٣، ولو أراد بالذكر القرآن لقال: هل هذا إلا أساطير الأولين. (القرطبي: ١١: ٢٦٨)

التعاشي: هو ذكر من رسول الله، وليس بالقرآن. (ابن الجوزي: ٥: ٣٣٩)

البهقي: يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يُذكرهم ويظهرهم به. قال مقاتل: يحدث الله

الأمر بعد الأمر. وقيل: «الذكر المحدث» ما قاله النبي ﷺ ويثبته من السنن والمواظع، سوى ما في القرآن، وإضافته إلى الرب عز وجل لأنه قال: بأمر الرب.

(٢٨٢: ٣)

- الزَّيْمُ مُشْتَرِيٌّ: الذِّكْرُ هُوَ الطَّائِفَةُ النَّازِلَةُ مِنَ  
الْقُرْآنِ. (٥٦٢: ٢)
- ابن عطية: قالت فرقة: المراد ما يُنَزَّلُ مِنَ  
الْقُرْآنِ، ومعناه: «مُحَدَّثٌ» نزوله وإتيانه إيتاهم لاهو  
في نفسه.
- وقالت فرقة: المراد به «الذِّكْر» أقوال النبي ﷺ في  
أمر الشريعة ووعظه وتذكيره، فهو محدث على  
الحقيقة، وجعله من رتبة من حيث إن النبي ﷺ لا ينطق  
عن الهوى ولا يقول إلا ما هو من عنده.
- وقالت فرقة: الذِّكْر «الرسول نفسه»، واحتجَّت  
بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ رُسُلًا يَلْقُوا  
فَلَئِنْ كُنْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ ﴿الطَّلَاق: ١٠، ١١﴾ فهو  
محدث على الحقيقة. (٧٣: ٤)
- نحوه القُرْطُبِيُّ: (٢٦٧: ١١)
- الفقر الرازي: (له كلام تقدم في...)
- «مُحَدَّثٌ» فلاحظ [١٤٠: ٢٢]
- القُرْطُبِيُّ: [نحو ابن عطية، ثم نقل قول حسين بن  
فضل وأضاف:]
- ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَا إِلَهَ  
لَنَا جُثْرُونَ﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿القلم: ٥١، ٥٢﴾،  
يعني محمداً ﷺ وقال: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾  
رُسُلًا ﴿الطَّلَاق: ١٠، ١١﴾ (٢٦٧: ١١)
- البيضاوي: ينتههم من سنة الغفلة والجهالة.
- (٩٦: ٢)
- نحوه الكاشاني (٣: ٢٣٠)، وشيخ (٤: ١٨٤).
- الشَّريفي: أي وحى ينتههم من سنة الغفلة
- والجهالة. (٤٩٥: ٢)
- أبو السعود: من طائفة نازلة من القرآن تذكروهم  
ذلك أكمل تذكير، وتنتههم عن الغفلة أتم تنبيه، كأنها  
نفس الذِّكْر. (٣٢٢: ٤)
- نحوه البروسوي (٥: ٤٥٢)، والألوسي (١٧: ٧).
- سيد قطب: وكَلَّمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ جَدِيدٌ  
قابِلُوهُ بِاللَّهُوِّ وَالِاسْتِهْتَارِ. (٢٣٦٧: ٤)
- ابن عاشور: الذِّكْر: القرآن، أطلق عليه اسم  
الذِّكْر الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ لِإِفَادَةِ قُوَّةٍ وَصِفَةٍ بِالْتَّذَكُّيرِ.
- (١٧: ١٠)
- الطُّبَّاطِبَانِيُّ: المراد بالذِّكْر: ما يُذَكَّرُ بِهِ اللَّهُ  
سُبْحَانَهُ مِنْ وَحْيٍ إلهي كَالْكَتَابِ السَّمَاوِيَّةِ وَمِنْهَا  
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، والمراد بإتيانه لهم: نزوله على النبي  
ﷺ وَاجْتِمَاعُهُ تَلَايُفُهُ، وَ«مُحَدَّثٌ» بِمَعْنَى جَدِيدٍ وَهُوَ  
جَدِيدٌ لِضَرُفَتِهِ وَهُوَ وَصَفٌ «ذِكْرٌ»، فَالْقُرْآنُ مَثَلًا ذِكْرٌ  
جَدِيدٌ أَنَاهُمْ بَعْدَ الْإِنْجِيلِ، وَالْإِنْجِيلُ كَانَ ذِكْرًا جَدِيدًا  
أَنَاهُمْ بَعْدَ التَّوْرَةِ، وَكَذَلِكَ بَعْضُ سُورِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ  
ذِكْرٌ جَدِيدٌ أَنَاهُمْ بَعْدَ بَعْضٍ. (٢٤٦: ١٤)
- مكارم الشيرازي: إن كلمة «ذِكْرٌ» في  
الآية آتفة الذِّكْر إشارة إلى كل كلام منبه  
يرقق الغافلين. (١١٠: ١٠)
- ١٠ و ١١ سَامُ الْغُلُوِّ مِنْ قُوَّةِ إِلَهَةٍ قُلُوبُهَا تَوَلَّى  
بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِينٍ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ. الأنبياء: ٢٤
- ابن عباس: (هذا) يعني القرآن، «ذِكْرٌ مِنْ مَعِينٍ»

خبر من هو معي، ﴿وَذَكَرْتُ مِنْ قَبْلِي﴾ خبر من كان قبلي من المؤمنين والكافرين، ليس فيه أنفه ولذا وشريكاً. (٢٧٠)

﴿هَذَا ذَكَرْتُ مِنْ مَعِيَ﴾ أي هذا هو الكتاب المنزل على من معي، ﴿وَذَكَرْتُ مِنْ قَبْلِي﴾ أي الكتاب المنزل على من تقدمني من الأنبياء وهو القوراة والإنجيل والزبور والصحف، وليس في شيء منها التي أدنت بأن تشعروا إلهاً من دوني بل ليس فيها إلا ﴿إِلَهِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ كما قال بعد هذا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كُحِيَ إِلَيْهِ أَلْفُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥.

مثله الزجاجة والقفال.

(الفخر الرازي ٢٢: ١٥٨)

سعيد بن جبيرة: إن قوله: ﴿وَذَكَرْتُ مِنْ قَبْلِي﴾ صفة للقرآن، فإنه كما يشتمل على أحوال هذه الأمة فكذا يشتمل على أحوال الأمم الماضية. مثله قتادة، والسدي، ومقاتيل.

(الفخر الرازي ٢٢: ١٥٨)

قتادة: هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام ﴿وَذَكَرْتُ مِنْ قَبْلِي﴾ يقول: ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم إلى ما صاروا. (الطبري ٩: ١٦) الإمام الصادق عليه السلام: يعني بـ ﴿وَذَكَرْتُ مِنْ مَعِيَ﴾ من معه وما هو كائن، وبـ ﴿وَذَكَرْتُ مِنْ قَبْلِي﴾ ما قد كان. (الطبري ٤: ٤٤)

ابن جرير: حديث من معي، وحديث من قبلي.

(الطبري ٩: ١٦)

ابن قتيبة: ﴿هَذَا ذَكَرْتُ مِنْ مَعِيَ﴾ يعني القرآن، ﴿وَذَكَرْتُ مِنْ قَبْلِي﴾ يعني الكتب المتقدمة من كتب الله. يريد أنه ليس في شيء منها أنه اتخذ ولداً. (٢٨٥) نحوه المراغي. (١٧: ٢٠)

الجبائي: ﴿هَذَا ذَكَرْتُ مِنْ مَعِيَ﴾ بالحق في إخلاص الإلهية والتوحيد في القرآن، وعلى هذا ﴿وَذَكَرْتُ مِنْ قَبْلِي﴾ في القوراة والإنجيل، لأن القرآن ذكر أسماء الله ومن معه، والقوراة والإنجيل ذكر تلك الأمم.

(الطبري ٤: ٤٤)

نحوه الرماني. (المأزدي ٣: ٤٤٣)

الطبري: هذا الذي جئكم به من عند الله من القرآن والسنن، ﴿وَذَكَرْتُ مِنْ مَعِيَ﴾ يقول: خبر من معي مما لهم من نواب الله على إيمانهم به، وطاعتهم له، وما أوتوا عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه، وبخبرهم به، ﴿وَذَكَرْتُ مِنْ قَبْلِي﴾ يقول: وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي، وما فعل الله بهم في الدنيا، وهو فاعل بهم في الآخرة. (٩: ١٦)

نحوه السلمي (٦: ٢٧٢)، والبغوي (٣: ٢٨٦)، وأبو الفتح الرازي (١٣: ٢١٥).

الزجاج: قيل لهم: ها توارثناكم بأن رسولاً من الرسل أنبأ أئمة بأن لهم إلهاً غير الله، فهل في ذكر من معي وذكر من قبلي إلا توحيد الله عز وجل. وقد قرئت (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي)، ووجهها جيد، ومعناه: هذا ذكر مما أنزل عليّ مما هو معي، وذكر من قبلي.

يريد بقوله: ﴿مَنْ مَعِيَ﴾ أي من الذي عندي، أو



من الذي قبلي. (٣٨٩: ٣)

**القول:** إن المعنى قل لهم: هذا الكتاب الذي جئكم به قد اشتمل على بيان أحوال من معي من المخالفين والموافقين، وعلى بيان أحوال من قبلي من المخالفين والموافقين، فاختاروا لأنفسكم، كأن الغرض منه التهديد. (الفخر الرازي ٢٢: ١٥٨)

**الواحد:** ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِي﴾ يعني القرآن يقول: فيه خبر من معي على ديني فمن تبعني إلى يوم القيامة، بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على العصية، ﴿وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد التوراة والإنجيل وما أنزل الله من الكتب.

والمعنى هذا القرآن وهذه الكتب التي أنزلت قبلي، فانظروا هل في واحد من الكتب أن الله أمر بالتخاذل له سواء؟ فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواء من حيث الأمر به. (٣٢٥: ٣)

نحوه الطبرسي (٤: ٤٤)، وابن الجوزي (٥: ٣٤٦)، والتبريني (٢: ١٠١: ١٥٠).

**الزمخشري:** هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه، كما ورد على فقد ورد على جميع الأنبياء، فهو ذكر، أي عظة للذين معي، بمعنى أمته، وذكر للذين من قبلي، يريد أمم الأنبياء عليهم السلام.

وقرى: (ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِي وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي) بالتثنية، و(مِّنْ) مفعول منصوب بالذكر كقوله: ﴿لَوْ إِنْطَقَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَةٍ \* يَتِيمًا...﴾ البلد: ١٤، ١٥. وهو الأصل، والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول، كقوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ تَبَعٍ

غُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ تَبَعٍ

وقرى: (مِّنْ مَّعِي وَمِنْ قَبْلِي) على (مِن) الإضافة في هذه القراءة، وإدخال الجارة على «مع» غريب، والمترقبه أنه اسم هو ظرف، نحو: قبل، وبعد، وعتد، ولئن، وما أشبه ذلك، فدخل عليه «مِّن» كما يدخل على أخواته.

وقرى: (ذِكْرٌ مَّعِي وَذِكْرٌ قَبْلِي) كأنه قيل: بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله، وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل، فمن ثم جاء هذا الإعراض، ومن هناك ورد هذا الإنكار.

ابن عطية: يحتمل أن يريد به (هَذَا) جميع الكتب المذكورة قديماً وحديثاً، أي ليس فيها برهان على اتخاذ آلهة من دون الله بل فيها ضد ذلك.

ويحتمل أن يريد هذا القرآن، والمعنى: فيه ذكر الأولين والآخرين، فذكر الآخرين بالذم والبيان الشرع لهم: وردهم على طريق التبعة، وذكر الأولين بقصص أخبارهم، وذكر النصوص في أمورهم. ومعنى الكلام على هذا التأويل عرض القرآن في معرض البرهان، أي هاتوا برهانكم فهذا برهاني أنا ظاهر في ﴿وَذِكْرٌ مِّنْ مَّعِي وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾.

وقرأت فرقة: (هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ) و(ذِكْرٌ مِّنْ) بالإضافة فيهما، وقرأت فرقة: (هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ) بالإضافة (وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي) بتثوين (ذِكْر) الثاني وكسر الميم من قوله تعالى: ﴿مِّنْ قَبْلِي﴾ وقرأ يحيى ابن سعيد وابن مكرم بالتثوين في (ذِكْرٌ مِّنْ) في

الموضعين وكسر الميم من قوله آمين إلى الموضعين، وضعت أبوحاتم هذه القراءة كسر الميم في الأولى ولم ير لها وجهًا. (٧٨: ٤)

نحوه أبو حيان (٣٠٦: ٦)، وأبو السعود (٤: ٣٣١).  
الْقُرْطُبِيُّ: «هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ» بإخلاص التوحيد في القرآن، «وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي» في التوراة والإنجيل، وما أنزل الله من الكتب؛ فانظروا هل في كتاب من هذه الكتب أن الله أمر باتخاذ آلهة سواء؟ فالشرائع لم تختلف فيما يتعلق بالتوحيد، وإنما اختلفت في الأوامر والتواهي. [إلى أن قال:]

وقيل: معنى الكلام الوعيد والتهديد، أي اعلموا ما شئتم، فمن قريب ينكشف الغطاء. [إلى أن قال:]

وقيل: ذكر كائن من قبلي، أي جئت بما جاء من قبله الأنبياء من قبلي. (١١: ٧٨)

الْبَيْضاوي: «هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي» من الكتب السماوية، فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والتهي عن الإشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحة بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال فيه بالثقل، و«مَنْ مَعِيَ» أمتي، و«مَنْ قَبْلِي» الأمم المتقدمة، وإضافة الذكر إليهم لأنه عظمتهم. (٢: ٧٠)

نحوه شبر (٤: ١٩١)، والآلوسي (١٧: ٣١).  
الْهَرُوسَوِيُّ: هذا إشارة إلى الموجود بينهم من الكتب الثلاثة: القرآن والتوراة والإنجيل، فالقرآن ذكر وعظة لمن أتبعه <sup>بالتقوى</sup> إلى يوم القيامة، والتوراة والإنجيل ذكر وعظة للأمم المتقدمة، يعني راجعوا هذه

الكتب الثلاثة هل تجدون في واحد منها غير الأمر بالتوحيد؟ فهذا يرهاني قد أقمته فأقيموا أيضًا برهانكم.

وفي «الآويلات التجمية» يشير إلى أن إنبات الوجدانية بالتحقيق وكشف العيان، من خصوصية العلماء المحققين من أمتي الذين هم معي في سير المقامات وقطع المنازل إلى الحضرة، كما هو من خصائص الأنبياء من قبلي، ومن هنا قال: <sup>عليه السلام</sup> «علماء أمتي كانباء بنى إسرائيل»، أي في صدق طلب الحق بالإعراض عن الكونين والتوجه إلى الله تعالى. (٥: ٤٦٦)

سَيِّد قُطُوب: لهذا هو القرآن يشتمل على ذكر المعاصرين للرسول <sup>ﷺ</sup> وهناك ذكر من سبقه من الرسل <sup>ﷺ</sup> ليس فيما جاؤوا به ذكر الشركاء، فكل الأنبياء قادمين على عقيدة التوحيد، فمن آمن جاء المشركون بدعوى الشرك التي تنقضها طبيعة الكون، ولا يوجد من الكتب السابقة عليها دليل. (٤: ٢٣٧٤)  
أبن عاشور: الإشارة في قوله تعالى: «هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ» إلى مقدر في الذهن يفسره الخبر، والمقصود من الإشارة تمييزه وإعلانه بحيث لا يستطيع المخاطب المغالطة فيه ولا في مضمونه، كقوله تعالى: «هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» لقمان: ١١، أي أن كتب الذكر، أي الكتب الدنيوية في تناول الناس، فانظروا هل تجدون في أحد منها أن الله شر كاه وأن الله أذن باتخاذهم آلهة؟

وإضافة «ذِكْرٌ» إلى «مَنْ مَعِيَ» من إضافة

المصدر إلى مفعوله، وهم المذكرون بفتح الكاف.

والمعية في قوله تعالى: ﴿مَنْ مَعِيَ﴾ معية المتابعة، أي مَنْ مَعِيَ من المسلمين، فما صدق (مَنْ) الموصولة الأسم، أي هذا ذكر الأمة التي هي معي، أي الذكر المنزل لأجلكم، فالإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ الأنبياء: ١٠.

والمراد بقوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ القرآن، وأما قوله تعالى: ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ فمعناه ذكر الأمم الذين هم قبلي، يشمل جميع الكتب السابقة المعروفة: التوراة والزبور والإنجيل وكتاب لقمان. وهذا كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ آل عمران: ١٨. (١٧: ٢٥) **الطُّبَّاطِبَائِي:** يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لِّمَنَ عِبَادِهِ

المتخذين الآلهة من دون الله، هاتوا برهانكم عليّ دعواكم، فإن الدّعوى التي لا دليل عليها لا سمح ولا يجوز عقلاً أن يُركن إليها، والذي استند إليه في طلب الدليل أن الكتب السماوية النازلة من عند الله سبحانه لا يوافقكم على ما ادّعتهم بل يخالفكم فيه، لهذا القرآن - وهو ﴿ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ - وهذه سائر الكتب كالقوراة والإنجيل وغيرهما - وهي ﴿ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ - تذكر المحصار الألوهية فيه تعالى وحده ووجوب عبادته، أو أن ما في القرآن من الوحي النازل عليّ وهو ﴿ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾، والوحي النازل على من سبقني من الأنبياء وهو ﴿ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ في أمر عبادة الإله، يحصر الألوهية والعبادة فيه تعالى. (١٤: ٢٧٤)

**عهد الكريم الخطيب:** هو إشارة إلى القرآن الكريم، الذي بين يدي الرسول، وهو برهانه على الإله الذي عبده، ويدعو الناس إلى عبادته. وهذا القرآن كما هو حجة وبرهان للرسول الكريم، هو حجة وبرهان هؤلاء المشركين الذين يدعوهم الرسول إلى الإيمان بالله، كما أنه حجة وبرهان على أهل الكتاب ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾، فمن مع الرسول هم هؤلاء المشركون، والذين من قبله هم أهل الكتاب. والقرآن الكريم حجة على هؤلاء وأولئك جميعاً. (٩: ٨٦٣)

**فضل الله:** ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ وهو القرآن النازل على من الله، ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ من الكتب النازلة على موسى ﷺ وعيسى ﷺ التي تنمّدت عن الإله الواحد في مواجهة عقيدة الشرك، فهل تعبدون فيها أي إشارة إلى أي شريك لله كما ترعون؟ وهل هناك كتاب آخر قد أنزله هذا الإله على الناس؟

(١٥: ٢٠٩) ١٢- وَإِذْ أَرْأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يُشْهِدُونَكَ إِلَّا هُزُوماً هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرُّخْصَ عَنْهُمْ كَافِرُونَ. الأنبياء: ٣٦ **الطُّوسِي:** يذكر توحيد الرحمن. (٧: ٢٤٨) **الزُّمَحْشَرِي:** ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوجدانية. (٢: ٥٧٢)

نحو: التَّنْصِي (٣: ٧٨)، والبُرُوسُوي (٥: ٤٨٠). **الطُّبْرِمِي:** أي بتوحيده، وقيل: بكتابه المنزل. (٤: ٤٧)

١٣ - قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرُّخْمِ  
بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ. الأنبياء: ٤٢  
ابن عباس: عن توحيد ربهم وكتاب ربهم.

(٢٧١)

الطبري: عن ذكر مواضع ربهم وحبسه التي  
احتج بها عليهم. (٣٠: ٩)

الطبري: عن كتاب ربهم. (٢٧٦: ٦)

الطوسي: معناه، كأنه قال: ما يلتفتون إلى شيء  
من الحجب والمواضع. (٢٥١: ٧)

الواحد: أي عن القرآن، وعن مواضع الله.

(٢٣٨: ٣)

مثله الحقوقي (٢٨٩: ٣)، ومحسوه الطبرسي (٤: ٤)

(٤٩: ٤)، وابن الجوزي (٣٥٣: ٥)، والقرطبي (١١: ١١)

(٤٩٩: ٢)، والشريفي (٥٠٠: ٢)، وشبر (١٩٨: ٤).

والطباطبائي (٢٩٠: ١٤).

١٤ - وَهَذَا ذِكْرُ مَبَارَكِ الْأَزْلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَنْكُرُوا

الأنبياء: ٥٠

الطبري: وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد ﷺ  
ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن العظة به. (٣٥: ٩)

محسوه الطبري (٢٧٨: ٦)، وابن الجوزي (٥: ٥)

(٣٥٦: ٢)، والشريفي (٥٠٧: ٢)، والآلوسي (٥٨: ١٧)،

والمرآغي (١٧: ٤١)، ومقنية (٢٨٢: ٥).

الزمخشري: الذكر: الموعظة، أو ذكر ما  
يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم، أو الشرف.

(٥٧٥: ٢)

محسوه شبر. (١٩٧: ٤)

الفخر الرازي: الذي هو المنعم الخالق المحيي  
الأميت ﴿كافرون﴾... ويحتمل أن يراد ﴿بذكر  
الرخم﴾: القرآن والكتب. (١٧٠: ٢٢)

القرطبي: أي بالقرآن. (٢٨٨: ١١)

البيضاوي: بالتوحيد، أو بإرشاد الخلق ببعض  
الرسائل وإنزال الكتب رحمة عليهم، أو بالقرآن.

(٧٢: ٢)

محسوه أبو السعود. (٣٣٦: ٤)

أبو حيان: هو ما أنزل من القرآن. (٣١٢: ٦)

الآلوسي: [نحو البيضاوي وأضاف:]

وقيل: المراد ﴿بذكر الرخم﴾: ذكره ﷺ هذا  
اللفظ وإطلاقه عليه تعالى، والمراد بكفرهم به: قولهم  
ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة، فهو مضمحل  
مضاف إلى المفعول لا غير، وليس بشيء كما لا ينبغي.

(٤٨: ١٧)

ابن عاشور: الذكر الثاني مستعمل في الذكر  
بالثناء والتمجيد بقرينة المقام، والأظهر أن المراد  
﴿بذكر الرخم﴾: هذا القرآن، أي الذكر الوارد من  
الرحمان، والمناسبة الانتقال من ذكر إلى ذكر.

(٤٩: ١٧)

الطباطبائي: المراد ﴿بذكر الرخم﴾ ذكره  
تعالى بأنه مقيض كل رحمة ومُنعم كل نعمة، ولأنه  
كونه تعالى هو الرب الذي تحب عبادته. وقيل: المراد  
بالذكر: القرآن. (٢٨٨: ١٤)

ابن عاشور: اسم الإشارة يشير إلى القرآن، لأن حضوره في الأذهان وفي التلاوة بمنزلة حضور ذاته. ووصفه القرآن بأنه ذكر، لأن لفظ الذكر جامع لجميع الأوصاف المتقدمة، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِتِلْكَ الْفُلْسَافَةِ الَّتِي نَفَسَا وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾ (التحل: ٤٤). (١٧: ٦٦)

١٥ - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة... (التور: ٣٧) ابن مسعود: إن قوما من أهل السوق، وقد نودي بالصلاة فتركوا بايعاتهم ونهضوا إلى الصلاة، هؤلاء من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَرِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزجاج: ٤: ٤٤٦) ابن عباس: عن طاعة الله، ويقال: عن الأولات الخمسة. (٧٩٦)

عن الصلاة المكتوبة. (الطبري: ٣٢٢) مثله عطاء. (ابن الجوزي: ٦: ٤٨) الإمام الباقر عليه السلام: إثم قوم إذا حضرت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة، وهم أعظم أجرا ممن يتاجر. (الطبرسي: ٤: ١٤٥) قتادة: عن القيام بحق الله. (ابن الجوزي: ٦: ٤٨) السدي: أي عن صلاة الجماعة. (٣٦١) نحوه عطاء. (التحس: ٤: ٥٣٩) يحيى بن سلام: عن الأذان. (الماوردي: ٤: ١٠٧) أبو سليمان الدمشقي: عن ذكر الله باللسان. (ابن الجوزي: ٦: ٤٨) الطبري: عن ذكر الله وإقام الصلاة. (٩: ٣٣١)

الماوردي: فيه وجهان:

أحدهما: عن ذكره بأسمائه الحسنى.

الثاني: [قول ابن سلام] (٤: ١٠٧)

الطوسي: عن ذكر الله وتعظيمه. (٧: ٤٤١)

الواحد: عن حضور المساجد لإقامة

الصلوات. (٣: ٣٢١)

مثله البقوي: (٣: ٤٢٠)

الفخر الرازي: اختلفوا في المراد بذكر الله تعالى،

فقال قوم: المراد التثاء على الله تعالى والندوات،

وقال آخرون: المراد الصلوات.

فإن قيل فما معنى قوله: ﴿وإقام الصلاة﴾ قلنا

عنه جوابان:

أحدهما: قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد

إقام الصلاة إقامتها لمواقيتها.

والثاني: يجوز أن يكون قوله: ﴿وإقام الصلاة﴾

تفسيراً لـ ﴿وذكر الله﴾، فهم يذكرون الله قبل الصلاة

وفي الصلاة. (٢٤: ٥)

نحوه الثباوري: (١٨: ١١٣)

القرطبي: اختلف في تأويله [ثم نقل بعض

الأقوال وأضاف:]

وقيل: عن ذكره بأسمائه الحسنى، أي يوحّدونه

ويعبّدونه. [ثم نقل بعض الأقوال في النزول وأضاف:]

وقيل: إن رجلين كانا في عهد النبي صلى الله عليه وآله أحدهما

بيّاعاً، فإذا سمع النداء بالصلاة، فإن كان الميزان يئسه

طرحه ولا يضعه وضعا، وإن كان بالأرض لم يرفعه.

وكان الآخر قتيلا يعمل السيوف للتجارة، فكان إذا

حضور أي شيء غيرهم، من الأشخاص أو الأعمال التي تشغل الناس وتهيمن على حياتهم.

(٣٢٧: ١٦)

١٦ - وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَذَّاتٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ. الشعراء: ٥

ابن عباس: ما يأتي جبرئيل إليهم بقرآن.

(٣٠٦)

الطبري: من تذكير وتبهي على مواضع حجج الله عليهم، على صدقك وحقيقة ما تدعوهم إليه بما يحدثه الله إليك، ويوحيه إليك لتذكرهم به إلا لم يروا من استماعه وتركوا أعمال الفكرة فيه.

(٤٢٣: ٩)

الطبري: أي وعظ وتذكير.

(١٥٨: ٧)

الطبري: أي وعظ وتذكير. ونحوه الزمخشري (٣: ١٠٥)، والشاوي (٤٦: ١٩).

الطبري: يعني القرآن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ المجر: ٩، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ الْذِّكْرُ وَتُحَرِّقُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يس: ٦٩.

(٦: ٨)

نحوه الطبري (٤: ١٨٤)، والكاشاني (٤: ٣٠)، وشبر (٤: ٣٧٥)، وحصل الله (١٧: ٨٩).

الطبري: أي ما يجدد لهم شرفاً، وما نرسل لهم رسولاً...

(٧: ٥)

الواحد: أي وعظ وتذكير من الله، يعني القرآن.

(٣٥٠: ٣)

ابن عطية: أي مجيء القرآن للبشر كان شيئاً بعد

كانت مطرقة على السندان أبقاها موضوعاً، وإن كان قد رفعها ألقاها من وراء ظهره إذا سمع الأذان، فأنزل الله تعالى هذا تناء عليهما على كل من اقتدى بهما.

التسقي: ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ باللسان والقلب.

(١٤٦: ٣)

الشريبي: إنما ذكر إقام الصلاة، مع أن المراد من ذكر الله: الصلوات الخمس، لأنه تعالى أراد بإقامة الصلاة حفظ المواقيت.

(٦٢٦: ٢)

أبو السعد: بالتسبيح والتحميد.

(٤٦٦: ٤)

نحوه البرزوي (٦: ١٥٩)، والآلوسي (١٨: ١٧٨).

الطباطبائي: المقابلة بين ذكر الله وبين إقام الصلاة.

الصلاة وإيتاء الزكاة - وهما خاصة الصلاة من ذكر الله - يعطي أن يكون المراد بـ ﴿ذِكْرُ اللَّهِ﴾ الذكر الذي يعطى.

الذي يقابل التسميان والغفلة، وهو ذكر علمي، كما أن أمثال الصلاة والزكاة ذكر عملي.

فالمقابلة المذكورة تطبي أن المراد بقوله:

﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ أنهم لا يشتغلون بشيء من ذكرهم المستمر بقلوبهم لربهم، وذكرهم الموقت بأعمالهم من الصلاة والزكاة. وعند

ذلك يظهر حسن التقابل بين التجارة والبيع وبين ذكر الله وإقام الصلاة إلخ، لرجوع المعنى إلى أنهم لا يلهيهم

مُلهٍ مستمر ولا موقت عن الذكر المستمر والموقت، فافهم ذلك.

(١٢٧: ٦٥)

فضل الله: لأن حضور الله في قلوبهم أقوى من

آياته وسوره. (١١: ٣٠٠)

١٧... إن الصلوة تلهي عن الفحشاء والمنكر  
ولذكر الله أكثر والله يعلم ما تصنعون. العنكبوت: ٤٥  
الشيء عليه السلام: ذكر الله على كل حال أحسن  
وأفضل. والذكر أن تذكره عند ما حرّم، فندع ما حرّم،  
وتذكره عند ما أحل، فنأخذ ما أحل.

(التعليق ٧: ٢٨٢)

الأنبياء خير أعمالكم وأزكاها عند مليكم  
وأرضها في درجاتكم، وخير من إعطاء الذهب  
والفضة. وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم  
ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال،

(الشريفي ٣: ١٤٣)

(التعليق ٧: ٢٨٢)

معاذ بن جبل: ما عمل آدمي عملاً أنجي له من  
عذاب الله من ذكر الله سبحانه. قالوا: ولا الجهاد في  
سبيل الله؟ قال: لا ولو ضرب بسيفه، قال الله سبحانه:  
﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

(التعليق ٧: ٢٨٢)

أبو الدرداء: معناه، ولذكر الله أكبر مما سواه.

وهو أفضل من كل شيء.

(التعليق ٧: ٢٨١)

نحوه سلمان.

(الطبري ١٠: ١٤٧)

أبو مسعود: ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد

لربه.

نحوه سلمان، وابن عباس، وعكرمة، وشعيب،  
وعطية، وأبو قرة (الطبري ١٠: ١٤٦)، وابن عمر

شيء. وقالت فرقة: يحتمل أن يريد به الذكر  
محمد عليه السلام كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿قَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ  
إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ رسولاً، الطلاق: ١٠، ١١. فيكون  
وصفه بالحدث متمكناً. والقول الأول أفصح.

(٤: ٢٢٥)

الفخر الرازي: يأتيهم حالاً بعد حال بالقرآن.  
وهو الذكر.

البيضاوي: موعظة أو طائفة من القرآن.

(٢: ١٥٣)

مثله الشريفي (٣: ٣)، والمشهدى (٧: ٢٢٤).

التسفي: أي ما يجدد لهم الله بوجه موعظة  
وتذكير، إلا جدّدوا إعراضاً عنه.

أبو السعود: أي ما يأتيهم من موعظة من

المواعظ القرآنية، أو من طائفة نازلة من القبرانيات

تذكّرهم أكمل تذكير، وتنبههم عن الغفلة التي تسبب

كأنها نفس الذكر من جهته تعالى، يقتضى رحمة

(٥: ٣١)

نحوه الثرؤسوي (٦: ٢٦٢)، والآلوسي (١٩: ١٩)

(٦١).

أبو عاصم: الذكر هو القرآن، لأنه تذكير

للناس بالأدلة، وقد تقدّم وجه تسميته ذكراً عند قوله

تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ

لَتَجْثِثُنَا بِالحِجْرِ ٦﴾

مكارم الشيرازي: التعبير به (ذكر) هو إشارة

إلى هذا الواقع، وهو أن القرآن منبّه للأفكار، كما أنه

يهب الاطلاع، وهذا الأمر أو الشأن متحقق في جميع

(التعلي ٧: ٢٨١).

لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته.

مثله سلمان، وابن عباس، ومجاهد.

(الطوسي ٨: ٢١٣)

مثله المراهقي.

ابن عباس: ذكر الله إياكم بالمغفرة والتواب أكبر من ذكركم إياه بالصلاة.

ذكر الله إياكم عند ما أمر به أو نهى عنه، إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه.

لها وجهان: ذكر الله أكبر مما سواه، وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.

لها وجهان: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، وذكر الله عند ما حرم.

الضحاك: وذكر الله عند ما يحرم فيتم ذكر الله أكبر من ذكركم إياه.

الإمام الباقر عليه السلام: ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إياه.

الأنسري أنه يقول: ﴿فَلَا تُكْرِبُوا أَذْكَرُكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢.

قَتَادَةَ: لا شيء أكبر من ذكر الله، أكبر الأشياء كلها - وقرأ ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه: ١٤ - لذكر الله. والله لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر.

ابن عطاء: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من أن تبقى معه بالمعصية.

الإمام الصادق عليه السلام: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ذكر

الله عند ما أحل وحرّم.

مقاتيل: يعني إذا صليت لله تعالى فذكرته، فذكرك الله بخير، وذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه في الصلاة.

الفراء: ذكر الله إياكم بالتواب خير من ذكركم إياه إذا انتهيتم.

ويكون ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كُنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وأحق أن ينهى.

ابن قتيبة: ذكر الله العبد - ما كان في صلاته - أكبر من ذكر العبد لله.

ويقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي التسبيح والتكبير أكبر وأحرى بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر.

الطبري: اختلف أهل التأويل في تأويله، فقالوا: معنى: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولذكركم الله أفضل من كل شيء.

عن أم الدرداء، أنها قالت: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فإن صليت فهو من ذكر الله، وإن صمت فهو من ذكر الله، وكل غير عمله فهو من ذكر الله، وكل شرّ تجتنبه فهو من ذكر الله، وأفضل ذلك تسبيح الله.

وقال آخرون: هو محتمل للوجهين جميعاً، يعنون القول الأول الذي ذكرناه والثاني.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة.

عن أبي مالك في قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: ذكر الله العبد في الصلاة، أكبر من الصلاة.



وقال آخرون: بل معنى ذلك: والصلاة التي أتيت أنت بها، وذكرك الله فيها، أكبر مما نعتك الصلاة من الفحشاء والمنكر.

وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل، قول من قال: ولذكر الله إيمانكم أفضل من ذكركم إياه. (١٤٥: ١٠-١٤٨)

الزجاج: جاء في التفسير: ولذكر الله إيمانكم إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم، ووجه آخر معناه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ هو التهي عن الفحشاء والمنكر، أكبر من الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، لأن الله قد نهى عنها. (٤: ١٧٠)

الطبري: قالت الحكماء: لأن ذكر الله سبحانه للعبد على حد الاستغناء، وذكر العبد إياه على حد الاقتدار، ولأن ذكره دائم، وذكر العبد مؤقت، وذكر العبد بحد رفع أو دفع ضرر، وذكر الله سبحانه بحد إيمان، والفضل والكرم.

وقال ذو التون: لأنك ذكرته بعد أن ذكرك. وقال ابن عطاء: لأن ذكره لك بلا علة، وذكرك مشوب بالعلل.

أبو بكر الوراق: لأن ذكره تعالى للعبد أطلق لسانه بذكره له، ولأن ذكر العبد مخلوق وذكره غير مخلوق.

[ونقل القول بأن ذكر الله أفضل من كل شيء ثم قال:]

قالت الحكماء: وإنما كان الذكر أفضل الأشياء، لأن ثواب الذكر الذكر، فقال الله تعالى: ﴿فَمَا ذَكَّرُونِي

أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢. ويؤيد هذا ما عن رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي...» [وقد مضى سابقاً] (التعليق ٧: ٢٨١)

الماوردي: فيه سبعة تأويلات:

أحدها: [قول ابن عباس]

الثاني: [قول سلمان]

الثالث: ولذكر الله في الصلاة التي أنت فيها أكبر مما نعتك عنه الصلاة من الفحشاء والمنكر، قاله عبد الله بن عون.

الرابع: [قول أبي مالك]

الخامس: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من أن تحويه إيمانكم وعلوكم.

السادس: أكبر من قيامكم بطاعته.

السابع: أكبر من أن يبقى على صاحبه عقاب الفحشاء والمنكر. (٤: ٢٨٥)

الطوسي: [ذكر بعض الأقوال ثم قال:]

وقيل: ذكر الله تحطيه أكبر من سائر طاعاته.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من التهي عن الفحشاء.

القشيري: ذكر الله أكبر من ذكر المخلوقين لأن ذكره قديم وذكر المخلوق مُحدث.

ويقال: ذكر العبد لله أكبر من ذكره للأشياء الأخرى، لأن ذكره لله طاعة، وذكره لغيره لا يكون طاعة.

ويقال: ولذكر الله لك أكبر من ذكرك له.

ويقال: ذكره لك بالاستعانة أكبر من ذكرك له.

بالعبادة.

ويقال: ذكر الله أكبر من أن يبقى معه وحشة.

ويقال: ذكر الله أكبر من أن يُتقي للذاكر معه ذكر مخلوق.

ويقال: ذكر الله أكبر من أن يُتقي للزكاة معلوماً أو مرسوماً.

ويقال: ذكر الله أكبر من أن يحبس أحد من المخلوقين بنفيه.

ويقال: ولذكر الله أكبر من أن يُتقي معه للفحشاء والمنكر سلطاناً، فمحرمه ذكره ذلات الذآكر مخفورة، وصوبه مستورة. (٩٩: ٥)

الواحدى: يعنى تما سواء والفضل من كل شىء قال قتادة: ليس الفضل من ذكر الله، والمعنى أن الفضل إذا كان ذاكر الله لم يعبر عليه القلم بمصيبة لأنه إذا ذكر الله ارتدع عما يهيم به من السيئة.

البهوي: أي ذكر الله أفضل الطاعات. (٥٥٩: ٣) الزمخشري: يريد: وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله، كما قال ﴿فاستقر إلى ذكر الله﴾ الجمعة: ٩، وإسما قال: ﴿وَلْيُذَكِّرْ﴾ ليستقل بالتعليل، كأنه قال: وللصلاة أكبر لأنها ذكر لله عند الفحشاء والمنكر، وذكر نهيه عنهما وعنده عليهما أكبر، فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة. (٢٠٧: ٣)

نحوه التستفي (٢٥٩: ٣)، والثيسابوري (٩: ٢١) وأبو السعود (١٥٤: ٥).

ابن القري: فيها أربعة أقوال:

الأول: ذكر الله لكم أفضل من ذكركم له، أضاف المصدر إلى الفاعل.

الثاني: ذكر الله أفضل من كل شىء.

الثالث: ذكر الله في الصلاة أفضل من ذكره في غيرها، يعنى لأنها عبادتان.

الرابع: ذكر الله في الصلاة أكبر من الصلاة. وهذه كلها من إضافة المصدر إلى المفعول. وهذا كله صحيح، فإن الصلاة بركة عظيمة. (١٤٨٧: ٣)

ابن عطية: [نقل بعض الأقوال وأضاف:] وعندى: أن المعنى: ﴿وَلْيُذَكِّرْ﴾ على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.

خارجة الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله، وتواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيُذَكِّرْ﴾ من ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه.

والحرركات التي في الصلاة لا تأثير لها في نهى، والذكر التافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله تعالى. وأما ما لا يتجاوز اللسان، فهي رتبة أخرى. وذكر الله تعالى العبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه، وذلك ثمرة لذكر العبد لله، فقال الله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢. (٣٢٠: ٤) القمطر الرأزي: لما ذكر أمرين وهما تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة، بين ما يوجب أن يكون الإتيان بهما على أبلغ وجوه التعظيم، فقال: ﴿وَلْيُذَكِّرْ﴾ الله أكبر، وأنتم إذا ذكرتم آياه كم بما فهم من الصفات الحسنة، تنبهوا لذلك وتذكروهم بملا أفواهكم

وقلوبكم، لكن ذكر الله أكبر، فينبغي أن يكون على أبلغ وجوه التعظيم.

وأما الصلاة فكذلك، لأن الله يعلم ما تصنعون وهذا أحسن صنعكم، فينبغي أن يكون على وجه التعظيم.

وفي قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ مع حذف بيان ما هو أكبر منه لطيفة، وهي: أن الله لم يقل: أكبر من ذكر فلان، لأن ما نسب إلى غيره بالكبر فله إليه نسبة، إذ لا يقال: الجبل أكبر من خردلة، وإنما يقال: هذا الجبل أكبر من ذلك الجبل، فاسقط المنسوب، كأنه قال: ولذكر الله له الكبر لا لغيره، وهذا كما يقال في الصلاة «الله أكبر» أي له الكبر لا لغيره.

ابن عَرَبِي: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ الذي هو ذكر الذات في مقام النساء الفاضل، وصلاة الحق لخصه المتمكين في مقام البقاء أكبر من جميع الأذكار والصلوات.

الْقُرْطُبِيُّ: أي ذكر الله لكم بالثواب والنساء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم. [إلى أن قال:]

وقيل: المعنى: إن ذكر الله أكبر مع المداومة من الصلاة في التهي عن الفحشاء والمنكر.

وقيل: المعنى: ولذكر الله للتهي عن الفحشاء والمنكر أكبر، أي كبير، و﴿أَكْبَرُ﴾ يكون بمعنى كبير، وليل، ذكر الله يمنع من المعصية، فإن كان ذاكرًا له لا يخالفه.

الْبَيْضاوي: ولا الصلاة أكبر من سائر الطاعات،

وإنما عبر عنها به للتعليل، بأن اشتغالها على ذكره هو الممددة، في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات، أو لذكر الله إيمانكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته. (٢١١: ٢)

أَبُو حَيَّان: [اكتفى بذكر الأقوال فيها] (١٥٣: ٧) الشَّيْبَانِيُّ: أي لأن ذكر المستحق لكل صفات كمال أكبر من كل شيء، فذكر الله تعالى أفضل الطاعات... [ثم نقل الروايات] (١٤٣: ٢)

الْبُزْجِيُّ: [نحو الزمخشري وأصاف:] أو لذكر الله أفضل الطاعات، لأن ثواب الذكر هو الذكر، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢.

وَقَالَ رحمته: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عهدي بي وأنتسفه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ أكثر من الملا الذي ذكرني لهم».

فالمراد بهذا الذكر هو الذكر الخالص، وهو أصنى وأجل من الذكر المشوب بالأعمال الظاهرة، وهو خير من ضرب الأعناق وعنق الرقاب وإعطاء المال للأحياء.

وَأَوَّلُ الذِّكْرِ تَوْحِيدُ ثُمَّ تَجْرِيدُ ثُمَّ تَفْرِيدُ، كما قال رحمته: «سبق المفردون» قالوا: يارسول الله وما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات».

قال الشيخ الطَّائِبُ: أصل تجريدت وداع شهوتت بلکہ کُلّی انقطاع لذتت

كرتو بهر يدي زموجودات اميد

انكه از تفريد كردي مستفيد

والذكر: طرد الغفلة، ولذا قالوا: ليس في الجنة ذكر أي لأنه لا غفلة فيها، بل حال أهل الجنة المحضون الدائم.

وفي «التأويلات النجمية» ما حاصله: أن الفحشاء والمنكر من أمارات مرض القلب، ومرضه نسيان الله، وذكر الله أكبر في إزالة هذا المرض، من تلاوة القرآن وإقامة الصلاة، لأن العلاج إنما هو بالصلاة.

فإن قلت: إذا كانت تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والذكر صادرة من قلب مريض معلول بالسيان الطبيعي للإنسان، لا يكون كل منها سبباً لإزالة المرض المذكور.

قلت: الذكر مختص بطرح أكبر ذكر الله تعالى كما قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢، فأبطل خاصية المطلوبة، وجعله إبريزاً خاصاً بخاصيته المذكورة، فذكر العبد فني في ذكر الله، فلذا كان أكبر.

وقال بعض الكبار: ذكر الذات في مقام الفناء المحض، وصلاة الحق عند التمكن في مقام البقاء أكبر من جميع الأذكار، وأعظم من جميع الصلوات.

قال ابن عطاء رحمه الله: ذكر الله أكبر من ذكركم، لأن ذكره للفضل والكرم بلا علة، وذكركم مشوب بالعلل والأمانى والسؤال.

وقال بعضهم: إذا قلت: ذكر الله أكبر من ذكر العبد قابلت الحادث بالتقديم، وكيف يقال: الله أحسن

من الخلق؟ ولا يوازي قدمه إلا قدمه، ولا ذكره إلا

ذكره، ولا يبقى الكون في سطوات المكون. (٤٧٥: ٦)

الآلوسي: [ذكر بعض الأقوال وأضاف:]

وقيل: المعنى: ولذكر العبد لله تعالى في الصلاة أكبر من سائر أركان الصلاة.

وقيل: أي ولذكر العبد لله تعالى في الصلاة أكبر من ذكره إياه سبحانه خارج الصلاة.

وقيل: أي ولذكر العبد لله تعالى أكبر من سائر أعماله. [إلى أن نقل سائر الأقوال وقال:]

فذكر على هذه الأحوال مصدر مضاف

للمفعول والمفضل عليه محذوف. وجوز أن لا يكون المفعول للتفضيل، سواء كانت إضافة المصدر للفاعل أم للمفعول، كما في: الله أكبر. (١٦٤: ٢٠)

مفيد قطب: إن الصلاة حين تمام تنهى عن

الفحشاء والمنكر، فهي اتصال بالله يغفل صاحبه

ويستحي أن يصطحب معه كبار الذنوب وفواحشها

ليلقى الله بها، وهي تطهر وتجرد، لا يتسقى معها دنس

الفحشاء والمنكر وتقللها. «من صلى صلاة لم تنهه

عن الفحشاء والمنكر، لم يزد بها من الله إلا بعداً» وما

أقام الصلاة كما هي، إنما أداها أداءً ولم يقمها. وفرق

كبيرة بينهما، فهي حين تمام ذكر لله ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

أكبر إطلاقاً أكبر من كل اندفاع، ومن كل نزوع.

وأكثر من كل تعبد وخشوع. (٢٧٢٨: ٥)

ابن عاشور: يجوز أن يكون عطفاً على جملة

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، فيكون

عطف علة على علة، ويكون المراد بـ ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾ هو



وتسمية اللفظ ذكراً إنما هو لاشتماله على المعنى القلبي، والذكر القلبي بالثبوت إلى اللفظي كالأثر المترتب على سببه، والغاية المقصودة من الفعل.

والصلاة تسمى ذكراً لاشتغالها على الأذكار القولية من تهليل وتحميد وتزكية، وهي باعتبار آخر مصداق من مصاديق الذكر، لأنها بمجموعها تمثل لعبودية العبد لله سبحانه، كما قال: ﴿إِذَا تَوَدَّى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة: ٩، وهي باعتبار آخر أمر يترتب عليه الذكر ترتب الغاية على ذي الغاية، يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه: ١٤.

والذكر الذي هو غاية مترتبة على الصلاة، أعني الذكر القلبي، بمعنى استحضار المذكور في ظرف، بمعنى الإدراك بعد غيبته نسباً أو إدامة استحضاره، أفضل من عمل يتصور صدوره عن الإنسان، وأصله في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، وذلك أن الله تعالى يذكر من ذكره، وأعظم قدرًا وأثرًا، فإنه السعادة الأخيرة التي هي للإنسان، وفتح كل خير.

ثم إن الظاهر من سياق قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ أن قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ متصل به مبين لأثر آخر للصلاة وهو أكبر مما بين قبله، فيقع قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ موقع الإضراب والقرقي، ويكون المراد بالذكر القلبي الذي يترتب على الصلاة ترتب الغاية على ذي الغاية، فكأنه قيل: أقم الصلاة لترددك عن الفحشاء والمنكر، بل الذي تفيد من ذكر الله الحاصل بها أكبر من ذلك، أي من التهي عن الفحشاء والمنكر، لأنه

أعظم ما يناله الإنسان من الخير، وهو مفتاح كل خير، والتهي عن الفحشاء والمنكر بعض الخير.

ومن المحتمل أن يراد بالذكر: ما تشتمل عليه الصلاة من الذكر أو نفس الصلاة، والجملة أيضاً واقعة موقع الإضراب.

والمعنى بل الذي تشتمل عليه الصلاة من ذكر الله، أو نفس الصلاة التي هي ذكر الله أكبر من هذا الأثر الذي هو التهي عن الفحشاء والمنكر، لأن التهي أثر من آثارها الحسنة، و﴿ذِكْرُ اللَّهِ﴾ على الاحتمالين جميعاً من المصدر المضاف إلى مفعوله، والمفضل عليه لقوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ هو التهي عن الفحشاء والمنكر.

ولهم في معنى الذكر وكون المضاف إليه فاعلاً أو مفعولاً للمصدر، وكون المفضل عليه خاصاً أو عاماً، قول آخر: قيل: معنى الآية: ذكر الله العبد أكبر من ذكره، وذلك أن الله تعالى يذكر من ذكره، وقوله: ﴿فَلَا تَكُونُوا أَذْكُرًا﴾ البقرة: ١٥٢.

وقيل: المعنى ذكر الله تعالى العبد أكبر من الصلاة. وقيل: المعنى لذكر الله العبد أكبر من كل شيء. وقيل: المعنى لذكر العبد لله في الصلاة أكبر من سائر أركان الصلاة.

وقيل: المعنى لذكر العبد لله في الصلاة أكبر من ذكره خارج الصلاة.

وقيل: المعنى لذكر العبد لله أكبر من سائر أعماله. وقيل: المعنى للصلاة أكبر من سائر الطاعات. وقيل، المعنى لذكر العبد لله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهي عنهما أكبر من زجر الصلاة وردعها.

وقيل: إن قوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ معرّى من معنى التفضيل. لا يحتاج إلى مفضل عليه. كقوله: ﴿مَا عِشْدُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ﴾ الجمعة: ١١.

لهذه أقوال ثم متفرقة أغمضنا عن البحث عما فيها إنباءً للاختصار، والتدبر في الآية يكفي مؤنة البحث، على أن التحكم في بعضها ظاهر لا يخفى.

(١٦: ١٣٦)

عبد الكريم الخطيب: المراد بالذكر هنا: استحضار عظمة الله، وجلاله في الصلاة حيث يكون الإنسان في صلاته في حال من الخشوع، والتخاضع بين يدي الله، لما يلا قلبه من جلال الله وعظمته. وهذا هو الذي يجعل للصلاة ثمراً طيباً مباركاً. يذوق الإنسان منه حلاوة الإيمان، ويَسْرُوح منه أسقام القنوى، وبذلك يدخل في عباد الله المفلحين المكرمين كما يقول سبحانه: ﴿هَذَا قَلْعُ الْمُؤْمِنِينَ هَاهُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ في صلاتهم خاشعون ﴿المؤمنون: ١، ٢﴾ فالصلاة التي لا يحضرها ذكر الله، ولا يشاها الخشوع والرهبة لا تظللها سكينه النفس، وطمانينة القلب، هي صلاة قليلة الثمر، ضئيلة الأثر. يقول الله سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه: ١٤، أي تذكرني بها.

وإذا كان ذكر الله مطلوباً في كل حال في الصلاة وفي غير الصلاة - فإن ذكره سبحانه في الصلاة، أولى وأوجب، إذ كانت الصلاة في ذاتها ذكر لله، فالذكر في مقام الذكر أولى، وأوجب، وأنفع. (١٠: ٤٣٧) مكارم الشيرازي: ظاهر الجملة هو بيان غاية

وحكمة أخرى في الصلاة، أي إن أثراً آخر من آثار الصلاة وبركاتها أهم من كونها تنهى عن الفحشاء والمنكر، هو تذكير الإنسان بربه. هذا الذكر هو أساس السعادة والخير، بل العامل الأصلي للثبوت عن الفحشاء والمنكر أيضاً هو ذكر الله، وكونه أكبر، لأنه العلة والأساس للصلاة.

وأساساً فإن ذكر الله فيه حياة القلوب ودعائها، ولا شيء يبلغ مبلغه ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعْلَمِينَ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨.

ولارب أن روح العبادة بجميع أقسامها - صلاة كانت أم غيرها - هو ذكر الله، فإذكار الصلاة، أفعالها ومقتضاها، جميعها في الواقع لمحي ذكر الله في قلب الإنسان.

ومما يلفت النظر أن في الآية (١٤) من سورة طه، إشارة إلى هذه الحكمة الأساسية من الصلاة: إذ نلاحظ فيها الخطاب لموسى قائلاً: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

إلا أن المفسرين الكبار ذكروا الجملة المتقدمة تفسيرات أخرى، وقد ورد في الروايات الإسلامية إشارة إليها أيضاً. من ضمنها: أن المراد من الجملة المتقدمة، أن ذكر الله لكم برحمته أكبر من ذكركم لله بطاعته.

ومنها: أن ذكر الله أكبر من الصلاة وأعلى، لأن روح كل عبادة ذكر لله.

وهذه التفسيرات التي ورد بعضها في الروايات الإسلامية، ربما كانت إشارة إلى بطون الآية، وإلا

فلان ظاهرها منسجم مع المعنى الأول، لأنه في أغلب الموارد التي يرد التعبير فيها بـ ﴿ذَكَرَ اللَّهَ﴾ أو ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أو ﴿أَذَكَرُوا اللَّهَ﴾ إلخ، يقصد بها ذكر الناس لله.

والآية المذكورة آنفاً، يتداعى لها هذا المعنى، إلا أن ذكر الله لعباده يمكن أن يكون نتيجة مباشرة لذكر العبادة، وبهذا يرتفع التضاد بين المعنيين [إلى أن قال: إن روح الصلاة وأساسها وهدفها ومقدمتها وتبجتها، وأخيراً حكمتها ولفظها، هي ذكر الله، كما بينت في الآية، على أنها أكبر النتائج.

وبالطبع فإن الذكر المراد هنا، هو الذكر الذي يكون مقدمة للفكر، والفكر الذي يكون باعثاً على العمل، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير جملة: ﴿وَلَذَكَرَ اللَّهَ أَكْثَرُ﴾ قال: «ذكر الله عندما أحلّ وحرّم»، أي عليه أن يتذكر الله فيتبع الحلال ويتحلى أجفانه عن المحرام.

**فضل الله:** إن ما يترتب على الصلاة من تعميق ذكر الله في نفس المؤمن المصلّي أكبر من التهي عن الفحشاء والمنكر الذي يتحقق من خلالها، لأنه هو الذي يحرّك في روحه عوامل الخير وإيماءاته، ويُعير فيه الوعي للموقع الذي ينتج فيه على ربه، ويحوّله إلى إنسان يرصد كل ما يحبه الله ويرضاه ليفعله، وكل ما يبغضه الله ويسخطه ليركعه.

وربما فسّر ذلك بأن الذي تشتمل عليه الصلاة أكبر في تأثيره في النفس من ذلك الأثر، لأنه هو الذي يوحى به ويغيره من نتائج الخير.

ولعل المراد من ذلك، أن علاقة الإنسان بالله التي

يُعطلها ذكر الله، في حضوره في نفسه وفي لسانه وحياته، الذي يقف به عند حدود ما أحله الله وحرّمه، في ما يختفي وراء رفضه للفحشاء والمنكر، وما يوحى به من محبة لله وخوف منه، هي أعظم من كل شيء، وأكبر من كل عمل. لأن كل الأمور تلتقي عند الله، فهو الغاية في كل عمل وكل علاقة وغاية. فقد جاء الإسلام ليفتح قلب الإنسان على الله، لتكون الحياة كلها والذين كله، على غير ما قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَرَضَوْنَ مِنْ اللَّهِ أَكْثَرَ﴾ الآية: ٧٢، فإن النتائج المباشرة في القضايا الروحية العبادية لا تمثل شيئاً أمام النتيجة العميقة غير المباشرة، وهي علاقته بالله وحضوره في نفسه.

٢٨ وَمَا غَلَسَتْ الشُّعْرُ وَمَا يَنْتَهِي لَهْ إِنَّهُوَ إِلَّا  
٢٩

ابن عباس: عظة. (٣٧٣)  
نحوه ابن الجوزي: (٣٧: ٧)  
الطبري: ﴿إِنْ هُوَ﴾، أي محمّد إلا ذكر لكم أنها الناس، ذكركم الله بإرساله إياه إليكم، ولتبهكم به على حفظكم. (٤٦١: ١٠)

الزمخشري: يعني ما هو إلا ذكر من الله تعالى يوعظ به الإنس والجن، كما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ التکویر: ٢٧. (٣٢٩: ٣)  
نحوه الفخر الرازي (١٠٥: ٢٦)، وأبو السعود (٥: ٣١٠).

سيد قطب: ذكر وقرآن، وهما صفتان لشيء



مفروضة في ذلك الوقت أم لا؟ إلا أن اعتراضه الخليل قد شغله حتى جاز وقت يذكر الله عز وجل فيه.

(٣٣١: ٤)

التعلي: يعني الصلاة. (٢٠٦: ٨)

مثله القرطبي: (١٩٦: ١٥)

الطوسي: روى أصحابنا أنه فاتته الوقت

الأول. (٥٦٠: ٨)

شهر: من أمره إتياء بجهتها وارتباطها، أو عن

الصلاة، وعُدِّي به (عَنْ) لخصته معنى «أهنت».

(٢٨٤: ٥)

الآلوسي: «ذكر» مضاف إلى مفعوله، «جسود

أن يكون مضافاً إلى فاعله. وقيل: الإضافة على معنى

اللام، ولا يراد بالذكر المعنى المصدرى، بل يراد به

الصلاة، فمعنى «عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» عن صلاة ربي التي

مررت بها على وجهه كما ترى.

وبعض من جعل (عَنْ) للتعليل، فسّر ذلك الربّ

بكتبه عز وجل وهو التوراة، أي أحببت الخليل بسبب

كتاب الله تعالى وهو التوراة، فإن فيه مدح ارتباطها.

(الآلوسي: ٢٣: ١٩٢)

ابن عاشور: المراد بذكر الربّ الصلاة، فلعلها

صلاة كان ربها لنفسه، لأن وقت العشي ليست فيه

صلاة مفروضة في شريعة موسى إلا المغرب.

(١٥٢: ٢٣)

مفنيّة: معناه: إني فعلت هذا عن أمر الله لا عن

أمري. (٣٧٩: ٦)

الطباطبائي: قالوا: «إِنْ» «أَحْبَبْتُ» مضمّن معنى

واحد، ذكر بحسب وظيفته، وقرآن بحسب تلاوته، فهو

ذكر في يستغل به القلب، وهو قرآن يُتلى ويستغل به

اللسان، وهو منزل ليؤدّي وظيفة محدّدة. (٢٩٧٥: ٥)

فضل الله: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ» من وحي الله لإيقاظ

الإنسان من غفلة. (١٦٢: ١٩)

١٩ - فَقَالَ إِنْ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْغَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي

عَلَى لَوَارِثٍ بِالْجَنَابِ. ص: ٣٢

الإمام علي عليه السلام: [سئل عن الصلاة

الوسطى، فقال:]

هي العصر، وهي التي فتن بها سليمان بن داود.

(الطبري: ١٠: ٥٧٨)

(الماوردي: ٥: ٥٥٤)

(٤١٢: ٣)

مررت بها على وجهه كما ترى.

(الماوردي: ٥: ٩٢)

(الطبري: ١٠: ٥٧٨)

نحوه السدي (١٢: ٤)، والواحدي (٣: ٥٥٦)،

والهروي (٤: ٦٨).

الجهاني: إنه لم يفتنه الفرض، «إنما فاتته نفل كان

يفعله آخر النهار، ففاته لاشتغاله بالخليل.

(الطوسي: ٨: ٥٦٠)

الطبري: حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء

فريضته.

وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر. (١٠: ٥٧٨)

الزجاج: نست أدري هل كانت صلاة العصر

في الدنيا. (٥٧٢: ٨)  
 نحوه الطبرسي (٤: ٧٤)، والطبرسي (٤: ٤٨١)،  
 وابن الجوزي (٧: ١٤٨)، والقراطبي (١٥: ٢١٩)  
 والتسلي (٤: ٤٥)، والهرسلي (٨: ٤٨).  
 القشيري: أي هذا القرآن فيه ذكر ما كان، وذكر  
 الأنبياء والتقصص.

ويقال: إنه شرف لك، لأنه معجزة تدل على  
 صدقك. (٥: ٢٦٠)  
 الزمخشري: أي هذا نوع من الذكر وهو  
 القرآن. لما أجرى ذكر الأنبياء وأتته وهو باب من  
 أبواب التنزيل ونوع من أنواعه، وأراد أن يذكر على  
 محله ما آتاه غيره، وهو ذكر الجنة وأهلها. (٣: ٣٧٨)

أي عطية: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ يحتمل معنيين:

أولهما: أن يشير إلى مدح من ذكر وإتياء  
 الشرف له، كما في قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾  
 ﴿الذَّارِ﴾ ص: ٦٦، يراد بها الدار الدنيا.

والثاني: أن يشير بهذا إلى القرآن، إذ هو ذكر  
 للعالم. (٤: ٥١٠)

نحوه التتطاوي: (٢: ٣١٢)  
 الفخر الرازي: أعلم أن في قوله: ﴿ذِكْرٌ﴾ وجهين:  
 الأول: أنه تعالى إنما شرح ذكر أحوال هؤلاء  
 الأنبياء عليهم السلام، لأجل أن يصير محمد ﷺ على تحصيل  
 سفاة قومه، فلما قسم بيان هذا الطريق وأراد أن  
 يذكر عنده طريقاً آخر يوجب التصبر على سفاة  
 الجهال، وأراد أن يميز أحد البابين عن الآخر، لا يجرم  
 قال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ ثم شرع في تقرير الباب الثاني فقال:

الإيتاء، و (هَنْ) بمعنى «على»، والمراد: إتي أنت  
 حب الخليل على ذكر ربي، وهو الصلاة محباً إتياء أو  
 أحببت الخليل محباً مؤثراً إتياء على ذكر ربي، فاشتغلت  
 بما عرض علي من الخليل عن الصلاة، حتى غربت  
 الشمس...

فمحصل معنى الآية: أنني شغلني حب الخليل -  
 حين عرض الخليل علي - عن الصلاة حتى فوات وقتها  
 بغروب الشمس. وإنما كان يحب الخليل في الله لبعثنا به  
 للجهاد في سبيل الله، فكان الحضور للعرض عبادة منه،  
 فشغلته عبادة عن عبادة، غير أنه بعد الصلاة أهم.  
 (١٧: ٢٠٣)

٢٠- هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّبِعِينَ لَحُسْنَ مَآسٍ.

ابن عباس: ذكر الصالحين، ويقال في قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾  
 القرآن خير الأولين والآخرين. (٢٨٣)

هذا ذكر من مضى من الأنبياء. (أبرحان ٧: ٤٠٤)  
 السدي: القرآن. (٤١٤)

الطبرسي: يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي  
 أنزل إليك يا محمد ذكر لك وقومك، ذكرناك وإتياءهم  
 به. (١٠: ٥٩٥)

الزجاج: معناه - والله أعلم - هذا شرف وذكر  
 جميل يذكرون به أبداً. (٤: ٣٣٧)

نحوه التتطاس (٦: ١٢٦)، والواحدي (٣: ٥٦٢).  
 الطوسي: معناه: أن ما أخبرنا عنهم ذكر، أي  
 شرف لهم وذكر جميل وتناء حسن، يذكرون به

﴿وَإِنْ لِلْمُتَّبِعِينَ﴾. كما أن المصنف إذا تمّ كلاماً قال: هذا باب. ثم شرع في باب آخر، وإذا فرغ الكاتب من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر قال: هذا وقد كان كيت وكيت، والدليل عليه أنهما لما تمّ ذكر أهل الجنة وأراد أن يردفه بذكر أهل النار، قال: ﴿هَذَا وَإِنْ لِلطَّاغِينَ﴾ ص: ٥٥.

الوجه الثاني: في التأويل، أن المراد: هذا شرف وذكر جميل لؤلاء الأنبياء عليهم السلام يُذكرون به أبداً. والأول هو الصحيح. (٢١٨: ٢٦)

ابن عَرَبِيّ: أي هذا باب مخصوص بذكر السابقين من أهل الله، المخصوصين بالعناية. (٣٦٢: ٢)

الشَّريفي: أي شرف في الدنيا، وعوطة من ذكر القرآن ذي الذكر. (٤٢٣: ٣)

نحوه البروسوي. (٦٨: ٨)

أبو السُّعود: أي شرف لهم وذكر جميل يُذكرون به أبداً، أو نوع من الذكر الذي هو القرآن، وباب منه مشتمل على أنباء الأنبياء عليهم السلام. (٣٦٧: ٥)

نحوه شبر. (٢٩٠: ٥)

الألوسي: أي شرف لهم. وشاع الذكر بهذا المعنى، لأن الشرف يلزمه الشهرة والذكر بين الناس، فتجوز به عنه بعلاقة اللزوم، والمراد: في ذكر قصصهم وتنويه الله تعالى بهم شرف عظيم لهم.

أو المعنى هذا المذكور من الآيات نوع من الذكر الذي هو القرآن، وذكر ذلك للانتقال من نوع من الكلام إلى آخر. كما يقول الجاحظ في كتبه: فهذا باب، ثم شرع في باب آخر. ويقول الكاتب إذا فرغ من

فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر: هذا، وكان كيت وكيت، ويحذف ـ على ما قيل ـ الخبر في مثل ذلك كثيراً، وعليه: ﴿هَذَا وَإِنْ لِلطَّاغِينَ لَشَرٌّ مَّا بِي﴾ ص: ٥٥. (٢١٢: ٢٣)

نحوه القاسمي (٥١١٢: ١٤)، والمراسي (٢٣: ١٢٨).

ابن عاشور: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ جملة فصلت الكلام السابق عن الكلام الآتي بعدها، قصد الانتقال الكلام من غرض، إلى غرض، مثل جملة: أما بعد فكذا، ومثل اسم الإشارة المجرد، نحو: ﴿هَذَا وَإِنْ لِلطَّاغِينَ لَشَرٌّ مَّا بِي﴾ ص: ٥٥، وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾ الحج: ٣٠، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الحج: ٣٢.

قال في «الكشاف»: وهو كما يقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر: هذا وقد كان كيت وكيت، انتهى.

وهذا الأسلوب من الانتقال هو المسمّى في عرف علماء الأدب بـ «الاقتضاب»، وهو طريقة الصرب ومن يليهم من المخضرمين.

ولهم في مثله طريقتان: أن يذكروا الخبر كما في هذه الآية وقول المؤلفين: هذا باب كذا، وأن يحذفوا الخبر لدلالة الإشارة على المقصود، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾ الحج: ٣٠، أي ذلك شأن الذي عملوا بما دعاهم إليه إبراهيم وذكروا اسم الله على ذنابهم، ولم يذكروا أسماء الأصنام، وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الحج: ٣٢، أي ذلك

مثل الذين أشركوا بالله. وقوله بعد آيات: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ نَشْرًا مَّاءٍ مَّحْضًا﴾ ص: ٥٥، أي هنا ماء المطر المستقي. ومنه قول الكاتب: هذا وقد كان كَيْتٌ وكَيْتٌ.

وإسما صرح بالخبر في قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ للاهتمام بتعيين الخبر، وأن المقصود من المشار إليه التذكُّر والاعتداء، فلا يأخذ السامع اسم الإشارة مأخذ الفصل المجرّد والانتقال الاقتضائي، مع إرادة التوجيه بالملفظ ﴿ذِكْرٌ﴾ بتحميله معنى حسن السّمة، أي هذا ذكر لأولئك المسمّين في الآخرين، مع أنه تذكرة للمقتدين على نحو المقتفين، في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَذِكْرُكُمْ فَتُؤْمِنُوا بِهِ﴾ الزخرف: ٤٤.

ومن هنا احتمل أن تكون الإشارة بـ ﴿هَذَا﴾ إلى القرآن، أي القرآن ذِكْرٌ، فتكون الجملة استئنافاً ابتدائياً للتبوية بشأن القرآن، راجعاً إلى غرض قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخَذَ اللَّهُ لَكُمْ الْقرآنَ ذِكْرًا وَلَهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ص: ٢٩. (١٧٣: ٢٣)

مُغْنِيَّة: (هذا) إشارة إلى التّناء على من ذكر سبحانه في الآيات السابقة كإبراهيم وإسماعيل وداود وسليمان وغيرهم. ﴿ذِكْرٌ﴾ أي شرف تذكّركم به الأجيال. (٣٨٤: ٦)

الطُّبَاطِبَائِيُّ: والظاهر أن الإشارة بـ ﴿هَذَا﴾ إلى القرآن والمراد بالذِّكْر: ما يشتمل عليه من الذِّكْر. وفي الكلام عود إلى ما ابتدئ به في السّورة من قوله: ﴿وَالقرآنُ أَنْذِيرٌ﴾، فهو فصل من الكلام بهذا ذكر فيه الله سبحانه ما في الدار الآخرة من ثواب المستقيين، وعقاب الطّاغين. (٢١٨: ١٧)

عبد الكريم الخطيب: الإشارة هنا إلى ما ذكر من حديث عن هؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. وفي الحديث ذكر وموعظة لمن يتذكّر ويتعظ، فيكون بيننا من المؤمنين المتقين. (١١٠١: ١٢)

فضل الله: هذا التاريخ الرسالي في حركة الأنبياء والمرسلين، وفي ملامحهم الروحية، وفي دعوتهم النبوية، وفي كلّ نصحياتهم وجهادهم وتضائهم في خدمة الله، وإخلاصهم لطاقته. هذا ذكر للحاضر والمستقبل في خطّ الدعوة لكلّ الدعاة الرساليين، والمجاهدين العاملين، فيه كلّ الشرف الكبير والتناء الجميل والخير العظيم، لكلّ الذين يتذكّرونه ويسرون في الجاهد الصّحيح، في خطّ الفكر والعمل. (٢٧٧: ١٩)

٢١- ابن جرير الأذكار للعالمين ص: ٨٧ ابن عباس: عظة. (٣٨٥)

نحوه الخطيب (٢١٩: ٨)، والقشيري (٢٦٥: ٥)، والبيضاوي (٣١٦: ٢)، وشهر (٢٩٧: ٥).

الطُّهْرِيُّ: إلا تذكير من الله. (٦٠٨: ١٠) الطُّوسِي: أي ليس هذا القرآن إلا شرف للعالمين. (٥٨٥: ٨)

الواحدي: ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين. (٥٦٨: ٣)

نحوه البقوي (٧٨: ٤)، وابن عطية (٥١٦: ٤)، والطبرسي (٤٨٧: ٤)، وابن الجوزي (١٥٩: ٧)، والشَّريفي (٤٣٠: ٣)، والقاسمي (٥١٢٥: ١٤).

والمراغي (١٣٩: ٢٣).

فضل الله: هذا القرآن الذي أتوه عليكم، وأقدمه إليكم، من دون أن أطلب منكم أجراً عليه، هو الكتاب الذي يفتح للمالين الثافذة الواحة على ذكر الله وهي المسؤولية، وسعة المعرفة، فيشمل الناس كلهم بهدا، من مختلف الأمم والشعوب.

(٢٨٩: ١٩)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى:

٢٢ - وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْقُرْآنَ وَحُيَّاءُ وَذَكَرَ الْمُتَّقِينَ. (الأنبياء: ٤٨)

٢٣ -... فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ

في ضلال مبين. الزمر: ٢٢. القراء: «مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» و«عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ»، كل صواب، تقول: أَتَعَمَّتْ مِنْ طَعَامٍ أَكَلْتَهُ، وَطَعْنُ طَعَامٍ أَكَلْتَهُ، سواء في المعنى. (٤١٨: ٢)

الطبري: يعني عن القرآن الذي أنزل به تعالى ذكره، مذكراً به عباده، فلم يؤمن به، ولم يصدق بما فيه. [ثم نقل كلام القراء] (٦٢٨: ١٠)

نحوه القرطبي (٢٤٨: ١٥)، وأبو حنبل (٤٢٢: ٧). الثعالب: قيل: معنى (مِنْ) و«عَنْ» هاهنا واحد، وليس هنا بشي، فمعنى (مِنْ) إذا تليت عليهم آياته فسواء كما قال تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرِادْلُهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ» القوية: ١٢٥. وإذا قال: «عَنْ» فمعناه: قست قلوبهم، وجفت عن قبول ذكر الله. (١٦٧: ٦)

الزمخشري: «مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» من أجل ذكره، أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشتهروا وازدادت قلوبهم غسابة، كقوله تعالى: «فَرَادْلُهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ» القوية: ١٢٥.

وهرى: (عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ).

فإن قلت: ما الفرق بين (مِنْ) و«عَنْ» في هذا؟ قلت: إذا قلت: قسا قلبه من ذكر الله، فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه، وإذا قلت: عن ذكر الله، فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه، ونظيره: سقاء من العمة، أي من أجل عطشه، وسقاء من العمة، إذا أرواه حتى أبعد عن العطش.

(٣٩٤: ٣)

نحوه أبو السعود (٣٨٨: ٥)، والبروسوي (٨: ٢٩٥). ابن الجوزي: إن قيل: كيف يقسو القلب من ذكر الله عز وجل؟

فالجواب: أنه كلما تلى عليهم ذكر الله الذي يكذبون به، قست قلوبهم عن الإيمان به. (١٧٤: ٧) الفخر الرازي: [له كلام سيأتي في: قس و«القاسية»]. (٢٩٦: ٢٦)

التيضاوي: من أجل ذكره، وهو أبلغ من أن يكون «عَنْ» مكان (مِنْ)، لأن القاسي من أجل الشيء أشد تأنيباً من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر. (٣٢٠: ٢)

نحوه الكاشاني (٣١٩: ٤)، وشير (٣١٠: ٥)، والآلوسي (٢٥٧: ٢٣).

الثَّقَفِي: أي من ترك ذكر الله، أو من أجل ذكر الله، أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قسوة، كقوله: ﴿فَزَادَلَهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ التوبة: ١٢٥، (٤: ٥٥)

الْهَيْسَابُورِي: ﴿مِنْ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ أي من أجل سماع القرآن، وإنما عُدِّي به (مِنْ) لأن قسوة القلب تدل على خلوه من فوائد القرآن، ويجوز أن يكون (مِنْ) للتعليل؛ وذلك أن جواهر القلوب مختلفة، فبعضها تكون مشرقة بنور الله يزيد بها نور القرآن بها، وبعضها تكون مظلمة كثيرة لا ينعكس نور الذكر إليها، ولا تظهر صور الحق فيها كالمرآة الصلبة.

(٢٣: ١٢٤)

الشَّرْبِي: [نحو الهيسابوري وأضاف:]

وقيل: (مِنْ) بمعنى «عن»، أي قست قلوبهم عن قبول ذكر الله، وجرى على ذلك الجلال المحلى (٣: ٤٤١)

ابن عاشور: (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ يجوز أن تكون بمعنى «عن» بضمين «لِلْقَاسِيَةِ» معنى المرضة والتافرة، وقد عُدَّ مرادف معنى «عن» من معاني (مِنْ)، واستشهد له في «معني اللبيب» بهذه الآية بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ ٢٢، وفيه نظر، لإمكان حملها على معنيين شائعين من معاني (مِنْ)، وهما معنى التعليل في الآية الأولى كقولهم: سقاهم من القيمة، أي لأجل العطش. قاله الزمخشري: وجعل المعنى أن قسوة قلوبهم حصلت فيهم من أجل ذكر الله. ومعنى الابتداء في الآية الثانية.

أي قست قلوبهم ابتداء من سماع ذكر الله.

والمراد بـ ﴿ذَكَرَ اللَّهَ﴾: القرآن، وإضافته إلى ﴿اللَّهُ﴾ زيادة تشريف له، والمعنى: أنهم إذا تليت آية اشعروا، فتمكنوا الاشتغال بهم، فقصت قلوبهم. (٢٤: ٦٤)

٢٤ ..... كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى تَقْتَرِبُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ. الزمر: ٢٣

السُّدِّي: إلى وعد الله. الطَّبْرِي: يعني إلى العمل بما في كتاب الله، والتصديق به. (١٠: ٦٢٩)

نحوه: القليل. الطوسي: وما ضمنه الله على ذلك من الثواب. (٨: ٢٣٠)

الْقُرْطُبِيُّ: أي عند آية الرحمة، «قيل: إلى العمل بكتاب الله والتصديق به»، وقيل: ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام. (١٥: ٢٤٩)

الْبَيْضاوي: بالرحمة وعموم المغفرة. والإطلاق للإشعار بأن أصل أمره الرحمة، «أن رحمته سبقت غضبه». (٢: ٣٢١)

أبو السعود: أي ساكنة مطمئنة إلى ذكر رحمة تعالى، وإنما لم يصرح بها إيداعاً بأنها أول ما يحظر بالبال عند ذكره تعالى. (٥: ٣٩٠)

نحوه: الآلوسي. الكاشاني: تطمئن إليه بالرحمة وعموم المغفرة. (٤: ٣٢٠)

ابن عاشور: ﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾ وهو أحسن الحديث،  
وعُدل عن ضميره لبعد المعاد، وعُدل عن إعادة اسمه  
السابق لمدحه بأنه ذكر من الله، بعد أن مُدِّحَ بآئته  
أحسن الحديث، والمراد بـ ﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾ ما في آياته من  
ذكر الرحمة والبشارة؛ وذلك أن القرآن ما ذُكِرَ  
موعظةً وترهيباً إلا أعقبه بترغيب وبشارة. (٧٢: ٢٤)  
مُفْتِيَّةٌ: وعد الله وبشارته بالتعميم. (٤٠٧: ٦)

٢٥ - حَوْثٌ يَغْشَى عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ لِقَبْضِ لَهْ  
شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. الزخرف: ٣٦

ابن عباس: عن توحيد الرحمن وكتابه. (٤١٣)  
عَمَّا بَيْنَهُ اللَّهُ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ.

(المأوردي: ٥: ٢٢٦)

ابن كعب القرظي: ذكر الرحمن هو القرآن.

(التعليق: ٨: ٣٣٤)

نحوه التثني: (١٦٨: ٤)

قَتَادَةُ: من ذكر الله. (المأوردي: ٥: ٢٢٦)  
الْكَلْبِيُّ: عن القرآن، لأنه كلام الرحمن.

(المأوردي: ٥: ٢٢٦)

نحوه الواحدي: (٧٢: ٤)، وابن عَرَبِيٍّ (٤٤٧: ٢).

ابن عَطِيَّة: أي ما ذُكِرَ به عباده، فالمصدر إلى  
الفاعل. (٥٥: ٥)

الطَّبْرَسِيُّ: الذكر هو القرآن، وقيل: هو الآيات  
والأدلة. (٤٨: ٥)

أَبُو حَيَّان: الذكر يجوز أن يراد به القرآن،  
واحتمل أن يكون مصدراً أُضِيفَ إلى المفعول، أي  
يَغْشَى عَنْ أَنْ يَذَكَرَ الرَّحْمَانُ. (١٥: ٨)

أَبُو السُّعُود: وهو القرآن، وإضافته إلى اسم  
الرحمان للإيذان بنزوله رحمة للعالمين. (٣٤: ٦)

نحوه البروسوي: (٣٦٩: ٨)

الْأَلُومِيُّ: [نحو أبي حَيَّان وأضاف:]

وَأَنْ يَكُونَ مُصَدِّراً أُضِيفَ إِلَى الْفَاعِلِ، أَيْ عَنْ  
تذكير الرحمن عباده سبحانه. (٨٠: ٢٥)

الْقَاسِمِيُّ: أي القرآن التنازل من عنده، ولهم  
معناه. (٥٢٧٢: ١٤)

ابن عاشور: ﴿ذَكَرَ الرَّحْمَنُ﴾ هو القرآن المعبر  
عنه بالذكر في قوله: ﴿أَنْتَضِرُ غَضَبَ الذِّكْرِ صَفْحًا﴾

الزخرف: ٥، وإضافته إلى ﴿الرَّحْمَنُ﴾ إضافة  
تخصيف، وهذا بناء خامس على القرآن. (٢٥٢: ٢٥)

وهذا المعنى جاء قوله تعالى:

٢٦ - لَقَدْ نَبَّأَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُضِلْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ

يُضِلْهُمُ اللَّهُ بِضَلَالٍ كَبِيرَةٍ. الجن: ١٧

لاحظ: ابن عباس (٤٨٩)، وابن زيد (المأوردي: ٦: ١١٨)،  
والطُّوسِيُّ (١٥٥: ١٠)، والواحدي (٤: ٣٦٧)،  
والزَّمَخْشَرِيُّ (٤: ١٧٠)، والفخر الرازي (٣٠: ١٦٢)،  
وأبو السُّعُود (٦: ٣٦٦)، وفضل الله (٢٣: ١٦٦).

٢٧ - وَإِلَهُ ذِكْرُكَ وَإِقْوَمُكَ وَسَوَّاهُ تُسَلِّطُونَ.

الزخرف: ٤٤

ابن عباس: شرف لك. (٤١٤)

السُّدِّي: القرآن لشرف لك ولقومك. (٤٣٧)

نحوه الفَرَّاء (٣: ٣٤)، وابن قُتَيْبَةَ (٣٩٨).

ابن عطية: قوله: ﴿وَإِلَهُ تَذَكَّرْتُ لَكَ﴾ يحتمل أن يريد: وإله لشرف وحمد في الدنيا، وه القوم ه على هذا قرئش، ثم العرب. وهذا قول ابن عباس وقادة ومجاهد والسدي وابن زيد. [إلى أن قال:]

ويحتمل أن يريد: وإله لتذكرك وموعظة، ه القوم ه على هذا أمة بأجمعها. وهذا قول الحسن بن أبي الحسن.

لحمه أبو حنيفة. (١٨: ٨)

القرطبي: يعني القرآن شرف لك ولقومك من قرئش، إذ نزل بلغتهم، وعلى رجل منهم. نظيره: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ الأنبياء: ١٠، أي شرفكم. فالقرآن نزل بلسان قرئش وإقاهم خاطب، فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم، كل من آمن بذلك فصاروا عيالاً عليهم، لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم، حتى يفهموا معنى الذي عني به من الأمر والتهي، وجميع ما فيه من الأنباء، فشرّفوا بذلك على سائر أهل اللغات، ولذلك سمي عربياً...

وقيل: ﴿وَإِلَهُ تَذَكَّرْتُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ يعني الخلافة، فإنها في قرئش، لا تكون في غيرهم. (٩٣: ١٦)

ابن عاشور: الذكر يحتمل أن يكون ذكر العقل، أي اعتداء، لما كان غير عالم به، فشبهه بتذكر الشيء المنسي وهو ما فتر به كثير الذكر بالتذكير، أي الموعظة. ويحتمل ذكر اللسان، أي أنه يكسبك وقومك ذكراً، والذكر بهذا المعنى غالب في الذكر بخبره.

والطبري (١١: ١٩١)، والسلمي (٨: ٣٣٦)، والواحدي (٤: ٧٤)، والقسوي (٤: ١٦٢)، والزمخشري (٣: ٤٩٠)، والطبرسي (٥: ٤٩)، وابن الجوزي (٧: ٣١٨)، والفخر الرازي (٢٧: ٢١٥)، والبيضاوي (٢: ٣٦٨)، والسفي (٤: ١١٩)، والشريفي (٣: ٥٦٥)، وأبو الشموه (٦: ٣٦)، والبروسوي (٨: ٣٧٣)، والآلوسي (٢٥: ٨٥)، والمراغي (٢٥: ٩٢)، ومثلية (٦: ٥٥٠).

الإمام الصادق عليه السلام: الذكر: القرآن، ونحن قومه، ونحن المسؤولون. (الكاشاني ٤: ٣٩٣)

الزجاج: يريد أن العذاب [أي عذاب أعدائك] شرف لك ولقومك. (٤: ٤١٣)

الزمخاني: إنه لذكر لك ولقومك تذكرون به أمر الدين وتصلون به. (الماوردي ٥: ٢٢٧)

الطوسي: قيل: في معناه قولان: أحدهما: أن هذا القرآن شرف لك بما أعطاك الله عز وجل من الحكمة، ولقومك بما عرضهم له من إدراك الحق به، وإنزاله على رجل منهم.

الثاني: أنه حجة تؤدي إلى العلم لك ولكل أمتك. والأول أظهر.

وقيل: إنه لذكر لك ولقومك يذكرون به الدين ويعلمونه، وسوف يسألون عما يلزمكم من القيام بحقه والعمل به. (٩: ٢٠٢)

القشيري: أي إن هذا القرآن لذكر لك، أي شرف لك وحسن صيت، واستحقاق منزلة.

(٥: ٣٦٩)



والمعنى: أن القرآن سبب الذكر، لأنه يكسب قومه شرفاً يُذكرون بسببه. [إلى أن قال:]

ففي لفظ ﴿ذُكِّرْ﴾ محسن التوجيه، فإذا ضُمَّ إليه أن ذكره وقومه بالثناء، يستلزم ذم من خالفهم، كان فيه تعريض بالمعرضين عنه. (٢٥: ٢٦١)

الطَّبَّاطُبَائِي: الظاهر: أن المراد بالذكر ذكر الله، وبهذا المعنى تكرر مراراً في السورة...

وعن أكثر المفسرين: أن المراد بالذكر: الشرف الذي يُذكر به، والمعنى وإله لشرف عظيم لك ولقومك من العرب، يُذكرون به بين الأمم. (١٨: ١٠٥)

مكارم الشيرازي: ﴿وَإِلَهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْلُكَ﴾ فإن الهدف من نزوله إيقاظ البشر، وتربيتهم بتكاليفهم ﴿وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾

وبناء على هذا التفسير، فإن «الذكر» في هذه الآية يعني ذكر الله سبحانه، ومعرفة التوحيات

الدينية، والاطلاع على تكاليف البشر، كما ورد هذا المعنى في الآيتين: ٥ و ٣٦ من هذه السورة، وكثير من آيات القرآن الأخرى.

ومن المعروف أن «الذكر» أحد أسماء القرآن الكريم، و«الذكر» بمعنى ذكر الله سبحانه، ونقرأ هذه الجملة عدة مرات في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ الآيات: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

إضافة إلى أن جملة ﴿وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ تشهد بأن المراد هو السؤال عن العمل بهذا البرنامج الإلهي. لكن سمع كل ذلك - فالعجيب أن كثيراً من

المفسرين اختاروا تفسيراً آخر لهذه الآية لا يتناسب مع ما قلناه، فمن جملة ما قالوا: إن معنى الآية هو: أن هذا القرآن هو أساس الشرف والعزة، أو الذكر الحسن والسمعة الطيبة لك ولقومك، وهو يمنح العرب وقریشاً أو أمثلك الشرف، لأنه نزل بلغتهم، وسيُسالون قريباً عن هذه النعمة.

صحيح أن القرآن رفع نداء نبي الإسلام ﷺ والعرب، بل وكل المسلمين حالياً في أرجاء العالم، وأن اسم النبي ﷺ يُذكر بإعظام بكرة وعشياً على المآذن، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وأن عرب الجاهلية الخاملية الذكر قد عُرفوا في ظل اسمه ﷺ وعلا صوت الأمة الإسلامية في ربوع العالم بفضل.

صحيح أن «الذكر» قد ورد بهذا المعنى في القرآن الجيد أحياناً، إلا أن بما لا شك فيه أن المعنى الأول المذكور هو الذي في آيات القرآن، وأكثر ملاءمة مع هدف نزول القرآن والآيات مورد البحث.

واعتبر بعض المفسرين الآية العاشرة من سورة الأنبياء شاهداً على التفسير الثاني، وهي: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ ب�َنَاتٍ لِيُذَكِّرَكُمْ أَقْلًا تُنْعَلُونَ﴾، في حين أن الآية تناسب التفسير الأول أيضاً، كما فصلنا ذلك في ذيل هذه الآية. (١٦: ٥٩)

فضل الله: ﴿وَإِلَهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْلُكَ﴾ بما يشتمل عليه من أفكار تنفع العقل والقلب والروح على ذكر الله، الذي يتحول إلى عنصر إيجابي فعال في إغناء شخصيتك الرسالية، التي يزيد بها ذكر الله قوة وحركة في اتجاه الدعوة، والعمل في سبيله، وفي

إغناء شخصية قومك في التزامهم بالخط المستقيم الذي يقودهم إلى الخير، ويركز أقدامهم على قاعدة الحق. وقد ذكر بعضهم أن المراد بالذكر: الشرف الذي يُذكر به النبي وقومه من بين الأمم، وهو غير واضح، لأن القرآن ليس امتيازاً اجتماعياً لقوم النبي يحصلون عليه، بل هي مسؤولية فكرية وعملية في خط الاستقامة على طريق الله، فهو لا يمثل حالة شخصية أو قومية، بل حالة رسالية، كما يوحى به قوله تعالى بعد ذلك: ﴿هُوَ سَوَّاهُ كَسَطُونَ﴾ (٢٤٤: ٢٠).

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى:

٢٨- وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. القلم: ٥٢

فلاحظ: ابن عباس (٤٨٢)، والماوردي (٦)، (٧٤)، واللويس (١٠: ٩٢)، والزمخشري (٤: ١٤٨)، وابن عطية (٥: ٣٥٥)، والفخر الرازي (٣٠: ١٠١)، ومكارم الشيرازي (١٨: ٥١٢).

٢٩- أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ... الحديد: ١٦

ابن عباس: وعد الله ووعده، ويقال: فتوحه الله. (٤٥٨)

مقاتيل: ذكر الله هو القرآن. (٤: ٢٤٢)

الماوردي: في ذكر الله هاهنا وجهان: أحدهما: [قول مقاتيل]

الثاني: أنه حقوق الله، وهو محتمل. (٥: ٤٧٨)

الزمخشري: إن قلت: ما معنى ﴿لَذِكْرِ اللَّهِ وَمَا

نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾؟

قلت: يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق: القرآن، لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة، وأنه حق نازل من السماء. (٤: ٢٤)

نحوه السفي. (٤: ٢٢٦)

ابن عطية: أي لأجل ذكر الله ووحيه الذي بهن أظهرهم. ويحتمل أن يكون المعنى لأجل تذكير الله إياهم وأوامره فيهم. (٥: ٢٦٤)

الطبرسي: أي لما يُذكرهم الله به من مواعظه.

(٥: ٢٣٨)

الفخر الرازي: فيه قولان:

الأول: أن تقدير الآية: أنا حان للمؤمنين أن ترقى

لغيرهم لذكر الله، أي مواعظ الله التي ذكرها في القرآن؟ وعلى هذا، الذكر مصدر أضيف إلى الداعل.

والقول الثاني: أن الذكر مضاف إلى المفعول،

والله تعالى هو الذي يذكرهم الله، أي يجب أن تُورثهم الذكر

خشوعاً، ولا يكونوا كمن ذكره بالغلظة، فلا يخشع قلبه

لذكر. (٢٩: ٢٢٩)

نحوه الثياوري (٢٧: ٩٨)، والبروسوي (٩: ٣٦٣).

البيضاوي: أي القرآن، وهو عطف على الذكر،

عطف أحد الوصفين على الآخر. ويجوز أن يراد

بالذكر: أن يذكر الله. (٢: ٤٥٤)

اللويس: أي القرآن، وهو عطف على ﴿لَذِكْرِ

اللَّهِ﴾. فإن كان هو المراد به أيضاً فالعطف لتضار

الضوائن. نحو:

■ هو الملك القرم وابن الهمام \*

فلأنه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء.  
والإيهان كان المراد به تذكير الله تعالى إياهم،  
فالعطف لتغاير الذاتين على ما هو الشائع في العطف.  
وكذا إذا أريد به ذكرهم الله تعالى بالمعنى المعروف.  
وجوز العطف على الاسم الجليل إذا أريد  
بالذكر: التذكير، وهو كما ترى. وقال الطيبي: يمكن  
أن يحمل الذكر على القرآن، وهو ما نزل من الحق  
على نزول السكينة معه، أي الواردات الإلهية.

(٢٧: ١٨٠)

المراغي: عند سماع القرآن والمواظ.

(٢٧: ١٧٢)

ابن عاشور: ﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾ ما يذكرهم به النبي ﷺ  
أو هو الصلاة، ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن، فقال  
تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ  
قُلُوبُهُمْ﴾ الأنفال: ٢.

ويجوز أن يكون الوصفان للقرآن تشريفاً به بأنه  
ذكر الله، وتعريفاً لنفسه بأنه نزل من عند الله، وأنه  
الحق، فيكون قوله: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ عطف  
وصف آخر للقرآن. [ثم استشهد بشعر]

واللام في ﴿يَلُوحِرُ اللَّهُ﴾ لام الملة، أي لأجل ذكر  
الله. (٢٧: ٣٥٢)

الطباطبائي: المراد بـ ﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾ ما يذكر به  
الله، ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ هو القرآن النازل من عنده  
تعالى، و﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ بيان له ﴿مَا نَزَلَ﴾ ومن شأن  
ذكر الله تعالى عند المؤمن أن يعقب خشوعاً، كما أن  
من شأن الحق النازل من عنده تعالى أن يعقب خشوعاً

تحت آمن بالله ورسوله.

وقيل: المراد بـ ﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾ ما نزل من الحق  
جميعاً القرآن، وعلى هذا فذكر القرآن بوصفه لكون  
كل من الوصفين مستدعياً لخشوع المؤمن، فما القرآن  
لكونه ذكر الله مستدعي الخشوع، كما أنه لكونه حقاً  
نازلاً من عنده تعالى يستدعي الخشوع. (١٩: ١٦١)  
٣٠ - استحوذ عليهم الشيطان فأنسبهم ذكر الله  
أو أنسبهم جزب الشيطان إلا أن جزب الشيطان لهم  
الغافرون. المجادلة: ١٩

ابن عباس: حتى تركوا ذكر الله: طاعة الله في

السرا (٤٦٢)

الماوردي: يحصل ﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾: هاهنا وجهين:

أحدهما: أوامره في العمل بطاعته.

الثاني: زواجه في التهي عن معصيته.

(٥: ٤٩٥)

مثله القرطبي. (١٧: ٣٠٦)

ابن عاشور: الذكر يطلق على نطق اللسان باسم  
أو كلام، ويطلق على التذكر بالنقل. وقد يخص هذا  
الثاني بضم الدال، وهو هنا مستعمل في صريحه  
كنايته، أي مستعمل في لازمه وهو العبادة والطاعة،  
لأن المعنى أنه أنساهم توحيد الله بكلمة الشهادة  
والتوجه إليه بالعبادة، والذي لا يتذكر شيئاً لا يتوجه  
إلى واجباته. (٢٨: ٤٩)

ففضل الله: ﴿فَأَنسَبَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾ في الكلمة،  
فلا تطلق به أنسبهم، وفي الموقف فلا تعصي حضوره  
ذهنيتهم، فاستغرقوا في الباطل كله، يقدسون رموزه،

و يتحركون في محظاتهم.

(٨٣: ٢٢)

قلت: ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والتناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموصلة والتذكير، فهو في حكم ذكر الله، فأما ما عدا ذلك من ذكر المخلصة وأتقياءهم والتناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان، وهو من ذكر الله على مراحل.

٣٦- ياء يها الذين آمنوا إذا تودى للصلوة من يوم الجمعة فاستقوا إلى ذكر الله وذروا البيع... الجمعة: ٩ ابن عباس: إلى خطبة الإمام والصلوة معه

(٤٧١)

نحوه أبو السعد.

(٢٤٩: ٦)

و إذا قال المنصت للخطبة لصاحبه: حس، فقد لغا، أفلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لا غيا؟ نعم ذبا لله من غربة الإسلام، ونكد الأيام.

الطبرسي: قيل: المراد بـ ﴿ذكر الله﴾: الخطبة التي تتضمن ذكر الله والمواظ.

الفقر الرازي: الذكر، هو الخطبة عند الأكثر من أهل التصير، وقيل: هو الصلاة.

نحوه التضاوي: أي الصلاة. [إلى أن قال:]

و إذا قلنا: إن المراد بالذكر الصلاة فالخطبة من الصلاة. والعبد يكون ذاكر الله بفعله، كما يكون متبحرا بفعله.

التسقي: أي إلى الخطبة عند الجمهور. (٢٥٦: ٤) الكاشاني: يعني إلى الصلاة، كما يستفاد مما قبله و مما بعده.

الآلوسي: المراد بـ ﴿ذكر الله﴾: الخطبة والصلاة، واستظهر أن المراد به الصلاة، وجوز كون المراد به الخطبة، وهو على ما قيل: مجاز من إطلاق البعض على الكل، كإطلاقه على الصلاة، أو لأنها كالحل له.

ابن المسيب: فهي موحظة الإمام فإذا قضيت الصلاة بعد.

سعيد بن جبير: الخطبة والمواظ.

القرطبي: (١٠٧: ١٨) الضحاك: امضوا إلى الصلاة مسرعين غير متناقلين.

مثله قتادة، وابن زيد.

نحوه الطوسي: (٨٤: ١٠) السدي: إنها الوقت.

الماوردي: في ذكر الله هاهنا ثلاثة أقاويل: أحدها: [قول ابن المسيب]

الثاني: [قول السدي] الثالث: أنه الصلاة، وهو قول الجمهور. (٩: ٦) الزمخشري: إلى الخطبة والصلاة، وتسمية الله الخطبة ذكرا له، قال أبو حنيفة رحمه الله: إن اقتصر الخطيب على مقدار يستوي ذكر الله، كقوله: الحمد لله سبحان الله: جاز. [إلى أن قال:] فإن قلت: كيف يفسر ﴿ذكر الله﴾ بالخطبة وفيها ذكر غير الله؟

وقيل: الذكر عام يشمل الخطبة المعروفة ونحو  
التسبيحة... (١٠٢: ٢٨)

ابن عاشور: ﴿ذَكَرَ اللهُ﴾ فُتْرٌ بِالصَّلَاةِ وَقُتْرٌ  
بِالْخُطْبَةِ، يَهْدَاهُ فُتْرُهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.  
قال أبو بكر بن العربي: «والصحيح أنه الجمع. أوله  
الخطبة».

قلت: وإشارة ﴿ذَكَرَ اللهُ﴾ هنا دون أن يقول: إلى  
الصلاة، كما قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ لتأني  
إرادة الأمرين: الخطبة والصلاة. وفيه دليل على  
وجوب الخطبة في صلاة الجمعة. وشرطيته على  
الجملة. (٢٠٢: ٢٨)

الطَّاهُطَاهِيُّ: المراد بـ ﴿ذَكَرَ اللهُ﴾: الصلاة كما  
في قوله: ﴿وَلَذَكَرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت: ٤٥، على ما  
قبل، وقيل: المراد به الخطبة قبل الصلاة. (٢٧٣: ١٩)

فَضَّلَ اللهُ: والمراد به الصلاة التي تمتلئ بالخشوع  
والحسني المتحرك لذكر الله في حركاتها وسكناتها  
وقراءتها وأذكارها.

وقيل: إن المراد به الخطبتان قبل الصلاة، باعتبار  
أنهما تشتملان على ذكر الله، وعلى تذكير الناس به  
وبموقعهم منه. (٢١٧: ٢٢)

٣٢ - يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلَهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا  
أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْفَاسِقُونَ. ٩

ابن عباس: عن الهجرة والجهاد.  
الضَّحَّاك: الصلوات الخمس.

(الطبري: ١٢: ١٠٩)

مثله التعليل (٣٢٣: ٩) ونحوه عطاء (الماوردي: ٦  
١٨)، ومقاييل (٤: ٣٤١).

أنه أراد فرائض الله التي فرضها من صلاة  
وغيرها. (الماوردي: ٦: ١٨)

نحوه الحسن. (الزَّمَخْشَرِيُّ: ٤: ١١١)

الْكَلْبِيُّ: إله طاعة الله في الجهاد. (الماوردي: ٦: ١٨)

الطَّبْرِيُّ: قيل: عُني بـ ﴿ذَكَرَ اللهُ﴾ في هذا  
الموضع: الصلوات الخمس. (١٠٩: ١٢)

أبو مسلم الأصفهاني: ﴿ذَكَرَ اللهُ﴾ جميع  
طاعاته. (الطبري: ٥: ٢٩٥)

الماوردي: فيه أربعة أوجه: [إلى أن قال:]

الرابع: أنه أراد الخوف من الله عند ذكره. (١٨: ٦)

الطُّوسِي: قال قوم: الذكر المأمور به هو ذكر الله

بالتقوى والشكر والتعظيم بصفاته العليا وأسمائه

الحسنى... قال قوم: ﴿ذَكَرَ اللهُ﴾: جميع فرائضه.

(١٥: ١٠)

الزَّمَخْشَرِيُّ: قيل: ﴿ذَكَرَ اللهُ﴾: الصلوات

الخمس... وقيل: القرآن. (١١١: ٤)

نحوه التسلي: (٢٦٠: ٤)

ابن قُطَيْبَةَ: ﴿ذَكَرَ اللهُ﴾ هنا عام في الصلاة

والتوحيد والدعاء وغير ذلك من فرض ومندوب

وهذا قول الحسن وجماعة من المفسرين.

وقال الضَّحَّاك وعطاء وأصحابه: المراد بالذكر

الصلاة المكتوبة، والأول أظهر. (٣١٥: ٥)

الطَّبْرِيُّ: ﴿عَنْ ذَكَرَ اللهُ﴾ أي عن الصلوات

الخمس المفروضة...

وقيل: ذكره: شكره على نعمائه، والصبر على  
بلائه، والرضا بقضائه. وهو إشارة إلى أنه لا ينبغي أن  
يقفل المؤمن عن ذكر الله في بؤس كان أو نعمة، فإن  
إحسانه في الحالات لا يتقطع. (٢٩٥: ٥)

ابن الجوزي: في المراد بـ ﴿ذَكَرَ اللَّهَ﴾ هاهنا أربعة  
أقوال: [إلى أن قال:]

الرابع: أنه على إطلاقه. (٢٧٧: ٨)  
الفخر الرازي: من فرائض الله تعالى، نحو  
الصلاة والزكاة والحج، أو عن طاعة الله تعالى. [إلى  
أن قال:]

وقيل: هو القرآن، وقيل: هو النظر في القرآن  
والتفكير والقائل فيه. (١٨: ٢٩)  
نحوه القرطبي: (١٢٩: ١٨)

الهروسوي: ذكره تعالى من الصلاة وسائر  
العبادات المذكرة للمعبود، ففي ذكر الله سبحانه  
المستب وأريد السب.

قال بعضهم: الذكر بالقلب، خوف الله، وباللسان:  
قراءة القرآن والتسبيح والتهليل والتحميد  
والتكبير، وتعلم علم الدين وتعليمه وغيرها،  
وبالأبدان الصلاة وسائر الطاعات. (٥٤٠: ٩)  
نحوه الألوسي: (١١٧: ٢٨)

ابن عاشور: ﴿ذَكَرَ اللَّهَ﴾ مستعمل في معنيه  
الحقيقي والمجازي، فيشمل الذكر باللسان كالصلاة  
وتلاوة القرآن، والذكر بالعقل كالقُدْر في صفاته  
واستحضار أمثاله. (٢٢٥: ٢٨)

مفنيّة: من تنبّر هذه الآية والتي قبلها يرى أن

المراد بذكر الله هنا: الجهاد، لأن الله سبحانه ذكر أولاً  
أن العزة له ورسوله وللمؤمنين، ثم نهى المؤمنين  
وحذرهم من الفعلة والتشاغل عن ذكر الله بالدنيا  
وحطامها، وجعل نتيجة هذا التشاغل الحسران، أي  
الحزني والمذلة دنياً وأخراً، وليس من شك أن الحزني  
والمذلة نتيجة حتمية لحب الحياة والخوف من الجهاد  
والاستشهاد، ولا شيء أصدق من أدل على هذه الحقيقة  
من حياة المسلمين والعرب في هذا العصر. (٣٣٤: ٧)  
مكارم الشيرازي: اختلف المفسرون في معنى  
﴿ذَكَرَ اللَّهَ﴾ ففسرها البعض بأنه الصلوات الخمس،  
وقال آخرون: إنه شكر النعمة والصبر على السبلاء  
والرضى بالقضاء، وقيل: إنه الحج والزكاة وتلاوة  
القرآن، وقيل: إنه كل الفرائض، ويبدو أن لـ ﴿ذَكَرَ  
لَهُ﴾ معنى واسعاً يشمل كل تلك المصاديق.

(٣٣٩: ١٨)

٣٣- إن هُوَ إِلَّا ذَكَرُ لِقَاءَيْنِ التكويد: ٢٧  
ابن عباس: عظة من الله. (٥٠٣)  
نحوه الطبري: (٤٧٥: ١٢) أبو السعود: (٦: ٢٨٨)

الفخر الرازي: بيان وهداية المخلوق أجمعين.

ابن عاشور: القصر المستفاد من الثني والاستثناء  
في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكَرُ لِقَاءَيْنِ﴾ يفيد قصر القرآن  
على صفة الذكر، أي لا غير ذلك، وهو قصر إضافي  
تُصَدّ منه إبطال أن يكون قول شاعر، أو قول كاهن، أو

قول مجنون، فمن جملة ما أفاده القصر نفسي أن يكون قول شيطان رجيم، وبذلك كان فيه تأكيد لجملة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾.

والذكر اسم يجمع معاني الدعاء والوعظ بحسن الأعمال، والزجر عن الباطل وعن الضلال، أي ما القرآن (لأن تذكر لجميع الناس يستفهمون به في صلاح اعتقادهم، وطاعة الله ربهم، وتهذيب أخلاقهم، وآداب بعضهم مع بعض، والمحافظة على حقوقهم، ودوام انتظام جماعتهم، وكيف يعاملون غيرهم من الأمم الذين لم يتبعوه. (١٤٦: ٣٠)

فضل الله: فلا تختص به جماعة دون جماعة، بل هو للعالمين كافة، ليكون ذكراً لهم، ينفذ إلى عقولهم فيزيل عنها حجاب الغفلة، وإلى مشاعرهم، فيزيح عنها ظلمة الإحساس، وإلى حياتهم، فيحطّم فيها الحواجز التي تحجزها عن رؤية الحق. (١٤٦: ٣٤)

### ذُكِّرْ

١ - فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا... البقرة: ٢٠٠

مضى في «فاذكروا».

٢ - قَالَ قَائِلٌ لِّیْهِ قَلَّا نَسْتَلِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُخْبِرَ لَكَ مِثْلُ ذِكْرٍ. الكهف: ٧٠

مضى في: ح دث: «أخبرت» ملاحظ.

٣ - وَيَسْتَلْزِمُونَكَ مِنَ الْقُرْآنِ قُلْ سَأَقُولُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ ذِكْرٍ. الكهف: ٨٣

ابن عباس: يئانا. (٢٥١)

أبو السُّعُود: أي نبأ مذكوراً. (٢١٣: ٤)

ابن عاشور: جعل خبر ذي القرنين تلاوة وذكرًا، للإشارة إلى أن المهم من أخباره ما فيه تذكير، وما يصلح، لأن يكون تلاوة حسب شأن القرآن، فإنه يتلى لأجل الذكر، ولا يساق مساق القصص.

وقوله: ﴿مِثْلَ ذِكْرٍ﴾ تنبيه على أن أحواله وأخباره كثيرة، وألهم إسمائهم بعض أحواله المفيدة ذكرًا وعظة. ولذلك لم يقل في قصة أهل الكهف: نحن نقص عليك من نبئهم، لأن قصصهم متحصرة فيما ذكر، وأحوال ذي القرنين غير منحصرة، فهما ذكر هنا.

و حرف (ين) في قوله: ﴿مِثْلَ ذِكْرٍ﴾ للتبعض باعتبار مضاف محذوف، أي من خبره. (١٢٥: ١٥)

فضل الله: ﴿ذِكْرًا﴾ بمنحكم الفكرة والعبرة، بعيداً عن الفضول الذاتي الباحث عن التفاصيل.

(٣٨٤: ١٤)

٤ - كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ الْأَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا. طه: ٩٩

ابن عباس: قد أكرمناك بالقرآن فيه خبر الأولين والآخرين. (٢٦٦)

مقاتيل: يقول: قد أعطيناك من عندنا تبياناً يعني القرآن. (٤٠: ٣)

أبو سهل: شرفاً وذكرًا في الناس.

(أبو حيان ٦: ٢٧٨)

الجبائي: أراد آيتناك من عندنا القرآن، لأنه سماه  
ذكرًا. (الطوسي: ٧: ٢٠٦)

الطبري: وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرًا  
يتذكر به، ويتعظ به أهل العقل والفهم، وهو هذا  
القرآن الذي أنزل له الله عليه، فجعله ذكرى للعالمين.

(٨: ٤٥٥)

الثعلبي: يعني القرآن.

مثله الواحدي (٣: ٢٢١)، والبخوي (٣: ٢٧٤)،  
وابن الجوزي (٥: ٣٢٠).

الطوسي: علمًا بأخبار الماضين. (٧: ٢٠٦)

الزمخشري: الذكر الذي آتيناك، يعني القرآن  
مستملًا على هذه الأقسام والأخبار الحقيقية  
بالتفكير والاعتبار، لذكر عظيم وقرآن كريم، منه  
النسج والسعادة لمن أقبل عليه. (٢: ٢٥٥٢)

نحوه النسخي (٣: ٦٤)، وأبو حنبل (٦: ٢٧٨)،  
وأبو السعود (٤: ٣٠٨)، والالوسي (١٦: ٢٥٩).

الطبرسي: يعني القرآن، لأن فيه ذكر كل ما  
يحتاج إليه من أمور الدين. (٤: ٢٩)

نحوه شبر. (٤: ١٧١)

الفخر الرازي: يعني القرآن كما قال تعالى:  
﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكِ الرَّثَاءِ﴾ الأنبياء: ٥٠، ﴿وَاللهُ  
لَذِكْرُكَ﴾ الزخرف: ٤٤، ﴿وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ﴾  
ص: ١، ﴿مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ الأنبياء: ٢، ﴿يَا أَيُّهَا  
الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ الحجر: ٦.

ثم في تسمية القرآن بالذكر وجوه:

أحدها: أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه الناس

من أمر دينهم ودنياهم.

وثانيها: أنه يذكر أنواع آلاء الله تعالى ونعمائه،  
ففيه التذكير والمواظف.

وثالثها: فيه الذكر والشرف لك وتقومك على ما  
قال: ﴿وَاللهُ لَذِكْرُكَ﴾ الزخرف: ٤٤.

واعلم أن الله تعالى سمي كل كتبه ذكرًا، فقال:  
﴿فَسْطُورُ الظُّلِّ الذِّكْرِ﴾ التل: ٤٣. (٢٢: ١١٣)

نحوه الشريفي. (٣: ٤٨٣)

ابن عربي: أي ذكرًا ما أعظمه، وهو ذكر الذات  
الذي يشمل مراتب التوحيد. (٢: ٦٠)

القرطبي: يعني القرآن. وسمي القرآن ذكرًا لما  
فيه من الذكر، كما سمي الرسول ذكرًا، لأن الذكر كان  
ينزل عليه. وقيل: ﴿إِنَّكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ أي شرفًا.  
كما قال تعالى: ﴿وَاللهُ لَذِكْرُكَ﴾ الزخرف: ٤٤.  
نحوه الشريفي (١١: ٢٤٣).

التيضاوي: [نحو الزمخشري وأضاف:]

وقيل: ذكرًا جميلًا وحيثًا عظيمًا بين الناس.

البروسوي: أي كتابًا شريفًا مطوياً على هذه  
الأقسام والأخبار، حقيقاً بالتفكير والاعتبار. [ثم]

نقل كلام الفخر الرازي وأضاف:]

قال بعض الكبار: أي موعظة تشعيرها وتسابيح  
بلازمتها، فلا يخفى عليك شيء من أسرارنا، وما  
أودعناه أسرار الذين كانوا قبلك من الأنبياء، فتكون  
الأنبياء مكتشفين لك وأنت في ستر الحق. (٥: ٤٢٤)  
سيد قطب: ويسمى القرآن ذكرًا، فهو ذكره



ولا ياتيه، وتذكير بما كان من هذه الآيات في القرون الأولى. (٢٣٥٢: ٤)

ابن عاشور: إيماء إلى أن ما يقص من أخبار الأمم ليس المقصود به قطع حصة الزمان ولا إيهاس السامعين بالحديث، إنما المقصود منه العبرة والتذكيرة وإيقاظ لبصائر المشركين من الصرب إلى موضع الاعتبار من هذه القصة، وهو إعراض الأمة عن هدي رسولها وانصياعها إلى تضليل المضللين من بينها. فلإيماء إلى هذا قال تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ بِسُوءِ الْقِيَمَةِ ذُرًّا﴾ مخالدين فيه طه: ٩٩-١٠١

وتذكير ﴿ذِكْرًا﴾ للتعظيم، أي أتمنا لك كتابًا عظيمًا. (١٦: ١٧٨)

مفسنة: أي قرأنا، وسمي القرآن ذكراً، لأن فيه ذكر لله وصفاته، والأنبياء وأخبارهم، والآخرة وشؤونها، والإيمان والكفر، والخير والشر، والحلال والحرام، وخلق السماوات والأرض، إلى غير ذلك. (٢٤٣: ٥)

الطباطبائي: المراد به القرآن الكريم، أو ما يشتمل عليه من المعارف المتنوعة التي يذكّر بها الله سبحانه من حقائق وقصص وعبر وأخلاق وشرائع وغير ذلك. (٢٠٩: ١٤)

عبدالكريم الخطيب: إشارة أخرى إلى أن القرآن الذي بين يدي النبي، وما فيه من آيات، دالة على قدرة الله، وما فيه من شرائع وأحكام هو ذكر لمن يتذكر، وعظة لمن يعتبر، وأن هذا القصص ليس إلا

من بعض آيات الله التي تحمل العظة والعبرة.

(٨: ٨٢٤)

مكارم الشيرازي: ويلزم بيان هذه الملاحظة أيضاً، وهي أن كلمة «ذُكِّرَ» هنا، وفي آيات كثيرة أخرى من آيات القرآن الكريم تشير إلى القرآن نفسه، لأن آياته سبب لتذكر وتذكير البشر، والوعي والحذر. (٦٦: ١٠)

فضل الله: بما أوحينا إليك من القرآن الذي تنوع فيه الأفكار والمفاهيم والقصص والمواعظ، من أجل أن تتعرف من خلاله على حقائق الأمور وتفصيل القضايا التي تشمل مسؤوليتك أمام الله في الدنيا والآخرة. (١٥: ١٥٥)

هو كذلك الزكّاء قرأنا غريباً وصرفنا فيه من الزعماء العظيم يحقون أو يُحدث لهم ذكراً. طه: ١١٣ ابن عباس: نواباً إن آمنوا، ويقال: شرفاً إن وحدوا، ويقال: عذاباً إن لم يؤمنوا. (٢٦٦)

الضحّاك: شرفاً لإيمانهم. (المأوردي ٣: ٤٢٨) فتادة: جذاً وورعاً. (التعليق: ٦: ٢٦٢) حذراً. (المأوردي ٣: ٤٢٨)

مقاتيل: عظة فيخافون فيؤمنون. (٤٢: ٣) القرّاء: شرفاً، وهو مثل قول الله: ﴿وَاللَّهُ لَذِكْرُكُمْ لَكُم وَلِتُؤْمِنُوا﴾ الزخرف: ٤٤، أي شرف. ويقال: ﴿أَوْ يُخَدِّثْ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ عذاباً، أي يتذكرون حلول العذاب الذي وعده. (١٩٣: ٢)

الطبري: يقول: أو يحدث لهم هذا القرآن تذكيرة،

الذكر إليه.

السؤال الثاني: لم أضيف الذكر إلى القرآن وما أضيف التقوى إليه؟

الجواب: أن التقوى عبارة عن أن لا يفعل القبيح، وذلك استمرار على عدم الأصلي، فلم يجوز إسناده إلى القرآن، أما حدوث الذكر فامر حدث بعد أن لم يكن، فجازت إضافته إلى القرآن.

السؤال الثالث: كلمة (أو) للمضافة، ولانفاضة بين التقوى وحدث الذكر، بل لا يصح الاتقاء إلا مع الذكر، فما معنى كلمة (أو)؟

الجواب: هذا كقولهم: جالس الحسن أو ابن عيسى، أي لا تكن خاليًا منهما، فكنا هاهنا.

الوجه الثاني: أن يقال: إننا أنزلنا القرآن ليتقوا، فإن لم يحصل ذلك فلا أقل من أن يحدث القرآن لهم ذكرًا شرعًا أو صيغًا حسنًا، فعلى هذين التقديرين يكون إزاله تقوى.

الشرعيني: أي عظة واعتبارًا حين يسمعونها فينبطهم عنها، وهذه التكمة أسند التقوى إليهم والإحداث إلى القرآن.

مثله الكاشاني (٣: ٣٢٢) ونحوه أبو السمود (٤: ٣١١)، والآلوسي (١٦: ٢٦٧).

ابن عاشور: الذكر هنا بمعنى التذكر، أي يحدث لهم القرآن تذكيرًا ونظرًا فيما يحق عليهم أن يختاروه لأنفسهم.

فضل الله: فيتذكرون الحقائق الكامنة في فطرتهم التي حجبها الضباب القادم من قلب الشهوات

فيعتبرون ويحفظون بفعلنا بالأمم التي كذبت الرسل قبلها، وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله. (٨: ٤٦٤)

التعليق: عظة وعبرة. (٦: ٢٦٢)  
نحوه القرطبي (١١: ٢٥٠)، والبيضاوي (٢: ٦٢).  
الماوردي: فيه ثلاث تأويلات: [إلى أن قال:]  
الثالث: ذكرًا يعتبرون به. (٣: ٤٢٨)

الطوسي: معناه ذكرًا يعتبرون به. وقيل: (ذكرًا) أي شرعًا بإيمانهم به. (٧: ٢١٢)  
الواحدى: يجتهد لهم القرآن اعتبارًا فيتذكروا به عقاب الله للأمم، فيعتبروا. (٣: ٢٢٣)

نحوه البقوي (٣: ٢٧٦)، والطبرسي (٤: ٣١)، وابن الجوزي (٥: ٣٢٥)، والبروسوي (٥: ٤٣٢).  
الزمخشري: الذكر - كما ذكرنا - يطلق على الطاعة والعبادة. (٢: ٤٤٤)

ابن عطية: قالت فرقة: معناه: أو يكسبهم شرعًا ويبقى عليهم إيمانهم ذكرًا صالحًا في الغابرين. (٤: ٦٥)  
النسفي: عظة أو شرعًا بإيمانهم به، وقيل: (أو) بمعنى الواو. (٣: ٦٧)

الفخر الرازي: فيه وجهان:  
الأول: أن يكون المعنى إننا إنما أنزلنا القرآن لأجل أن يصيروا متقين، أي محترزين عما لا ينبغي، أو يحدث القرآن لهم ذكرًا يدعوهم إلى الطاعات وفصل ما ينبغي، وعليه سؤالات:

السؤال الأول: القرآن كيف يكون موجدًا للذكر؟  
الجواب: لما حصل الذكر عند قراءته أضيف

الطَّبْرِي: يعني كتاباً أنزل من السَّمَاء كالقُورَة  
والإنجيل. أَوْسِي: أَنَا نَسَمِلُ الَّذِي أَتَى الْيَهُودَ  
الْتَّصَارِي (١٠: ٥٤٠)

نَحْوَهُ الْقُرْطُبِي (١٥: ١٣٨)  
الْتَّعْلَبِي: كِتَابًا مِثْلَ كِتَابِهِمْ (٨: ١٧٢)

نَحْوَهُ الْوَاحِدِي (٣: ٥٣٥)، وَالْبِقَوِي (٤: ٥٠)،  
وَالزَّمَنْتَشَرِي (٣: ٣٥٦)، وَالْبَيْضَاوِي (٢: ٣٠٢)،  
وَالْتَّسْفِي (٤: ٣٦)، وَالشَّسْرِي (٣: ٣٩٧)،  
وَأَبُو السُّعُود (٥: ٢٤٣)، وَالْأَلُوسِي (٢٣: ١٥٥)،  
وَالطُّبَّاطْبَانِي (١٧: ١٧٦)، وَفَضْلُ اللَّهِ (١٩: ٢٢٤).

الطُّوسِي: أَي كِتَابًا فِيهِ ذِكْرٌ مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ  
الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ. وَقِيلَ: بِمَعْنَى عَلَمًا، بِمَعْنَى  
الْعِلْمِ ذِكْرًا، لِأَنَّ الذِّكْرَ مِنْ أَسْبَابِهِ، فَسَمِيَ بِاسْمِهِ.

(٨: ٥٣٦)

(٤: ٤٦٦)

الْقَهْرُ الرَّازِي: أَي كِتَابًا مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ  
نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْقُورَةُ وَالْإِنْجِيلُ (٢٦: ١٧١)

ابْنُ عَاشُور: الذِّكْرُ: الْكِتَابُ الْمَقْرُوءُ، سَمِيَ ذِكْرًا  
لأنه يُذَكِّرُ النَّاسَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، مُسَمًّى بِالمصدر،  
وَتَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ  
عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الْحَجَر: ٦. (٢٣: ١٠٠)

٩ - أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي  
الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا \*  
رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ... (الطَّلَاق: ١٠، ١١)

ابْنُ عَبَّاسٍ: ذِكْرًا مَعَ الرَّسُولِ (٤٧٦)

الْحَسَنُ: الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ: الرَّسُولُ، قَوْلُهُ: ﴿فَنَسْتَوْفَا

وَالْمَطَامِعَ وَالْأَحْقَادَ، وَيَنْطَلِقُونَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ لِلسَّيْرِ  
مَعَ اللَّهِ فِي خُطٍّ مُسْتَقِيمٍ جَدِيدٍ (١٥: ١٥٩)

٦ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا.

الْأَحْزَاب: ٤١

تَقَدَّمَ فِي «الذِّكْرُ» فَلَاحِظْ.

٧ - فَالْثَّالِثَاتِ ذِكْرًا. الصَّافَات: ٣

أَبُو عُبَيْدَةَ: ﴿ذِكْرًا﴾: كِتَابًا. (٢: ١٦٦)

أَبُو السُّعُود: أَمَّا ﴿ذِكْرًا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿فَالْثَّالِثَاتِ ذِكْرًا﴾ فَمَفْعُولُ ﴿الْثَّالِثَاتِ﴾ ذِكْرًا عَظِيمٌ

الْثَّانِ، مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكُتِبَ الْمَنْزِلَةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ

عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَغَيْرُهَا مِنَ التَّسْبِيحِ

وَالْتَّقْدِيسِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّعْجِيدِ.

وَقِيلَ: هُوَ أَيْضًا مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لَمَّا قَبْلَهُ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ

مِنْ بَابِ الذِّكْرِ. (٥: ٣٩٨)

رَاجِعْ بِل وَ: «الْثَّالِثَاتِ».

٨ - لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ. الصَّافَات: ١٦٨

ابْنُ عَبَّاسٍ: رَسُولًا مِثْلَ رُسُلِ الْأَوَّلِينَ. (٣٧٩)

الضَّحَّاكُ: لَوْ كَانَ لَنَا كِتَابٌ، أَوْ جَاءَنَا رَسُولٌ

لَكُنَّا مِنْ أَتَقَى عِبَادَ اللَّهِ.

مِثْلُهُ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ. (ابْنُ عَطِيَّةٍ ٤: ٤٨٩)

السُّدِّيُّ: هَؤُلَاءِ نَاسٌ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، قَالُوا:

لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا كِتَابًا مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ، أَوْ جَاءَنَا عِلْمٌ مِنْ

عِلْمِ الْأَوَّلِينَ. (٤٠٧)

الْقَرَاءُ: كِتَابًا أَوْ نَبُوءَةً. (٢: ٣٩٥)

أَهْلَ الذِّكْرِ التَّحِل: ٤٣. (الطُّوسِيّ: ١٠: ٣٩)

نَحْوَهُ تَغْلِب. (ابن الجَوْزِيِّ: ٨: ٢٩٨)

السُّدِّيّ: الذِّكْر: القرآن، والرَّسُول: مُحَمَّدٌ ﷺ

(الطُّبْرِيّ: ١٢: ١٤٤)

الإمام الصادق عليه السلام: يعني الرُّسُول.

(الطُّبْرِيّ: ٥: ٣١٠)

ابن زَيْد: القرآن: رُوحٌ مِنْ اللَّهِ.

(الطُّبْرِيّ: ١٢: ١٤٤)

الطُّبْرِيّ: اختلف أهل التأويل في المعنى بالذكر

والرَّسُول في هذا الموضع، فقال بعضهم: الذكر هو

القرآن، والرَّسُول مُحَمَّدٌ ﷺ.

وقال آخرون: الذكر: هو الرُّسُول.

والصَّواب من القول في ذلك أن الرَّسُول ترجمة

عن الذكر؛ وذلك لخصب لآله مردود عليه على اللسان

عنه والترجمة.

فتأويل الكلام إذن: قد أنزل الله إليكم بما أوَّلِي

الآلِباب ذكرًا من الله لكم يُذَكِّرُكم به، ويُنْهِيْكم على

حظكم من الإيمان بالله، والعمل بطاعته، ﴿رَسُولًا يَتْلُوا

عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ. (١٢: ١٤٤)

الزَّجَّاج: يكون المعنى: قد أنزل الله إليكم ذكرًا

ورسولًا ذا ذكر رسولًا يَتْلُوا، ويكون ﴿رَسُولًا﴾ بدلًا

من ذِكْرٍ، ويكون معنى به جبرئيل عليه السلام، ويكون دليل

هذا القول قوله يعني به جبرئيل عليه السلام: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

الْأَمِينُ﴾ الشعراء: ١٩٣.

القُمِّيّ: «ذكر»، اسم رسول الله ﷺ، قالوا: نحن

أهل الذكر.

التَّعْلِيّ: ﴿ذِكْرًا﴾ يعني القرآن، ﴿رَسُولًا﴾ بدل

من الذكر. وقيل: مع الرُّسُول وقيل: وأرسل رسولًا،

وقيل: الذكر هو الرُّسُول. وقيل: أراد شرفًا، ثم بين ما

هو، فقال: رسولًا. (٩: ٣٤٢)

المأورديّ: الذكر: القرآن. وفي الرُّسُول قولان:

أحدهما: جبرئيل، فيكونان جميعًا، منزّلين، قاله

الكَلْبِيّ.

الثاني: أنه مُحَمَّدٌ ﷺ فيكون تهدير الكلام؛ قد

أنزل الله إليكم ذكرًا أو بعث إليكم رسولًا. (٦: ٣٦)

الطُّوسِيّ: قال قوم: أراد بالذكر القرآن، لأنه

سمّاه ذكرًا في قوله: ﴿إِنَّا نَعْنُكَ الذِّكْرَ﴾ الحَجَر: ٩.

ذهب إليه السُّدِّيّ وابن زَيْد، فعلى هذا تقديره: أنزل

لَكَ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا وأرسل إليكم رسولًا. وسمّاه ذكرًا

لأنه يتذكر به ما يجب العمل به والانتباه عنه.

وقيل: إن معنى الذكر: الشرف، كأنه قال: أنزل

لَكَ إِلَيْكُمْ شرفًا.

وقيل: المراد بالذكر: الرُّسُول لقوله: ﴿فَسُئِلُوا

أَهْلَ الذِّكْرِ التَّحِل: ٤٣، ذهب إليه الحسن. فعلى هذا

يكون ﴿رَسُولًا﴾ بدلًا منه، وتقديره: أنزل الله إليكم

ذكرًا هو رسولُه. (١٠: ٣٩)

الزَّمَخْشَرِيّ: ﴿رَسُولًا﴾ هو جبرئيل صلوات

الله عليه، أبدل من ﴿ذِكْرًا﴾ لأنه وُصف بتلاوة آيات

الله، فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر، فصَحَّ إبداله منه.

أو أريد بالذكر: الشرف من قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَشَرُّكُمْ

لَكَ وَلِيقْوِكَ﴾ الزخرف: ٤٤، فأبدل منه كسائه في

نفسه شرف: إمامًا لأنه شرف للمنزّل عليه، وإمامًا لأنه

ذو مجد وشرف عند الله، كقوله تعالى: ﴿عِندَ ذِي  
الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ التكاوير: ٢٠، أو جعل لكثرة ذكره في  
وعبادته كأنه ذكر.

أو أريد: ذا ذكر، أي ملكاً مذكوراً في السماوات  
وفي الأمم كلها.

أو دل قوله: ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ الطلاق:  
١٠، على أرسل، فكأنه قيل: أرسل رسولاً، أو أعمل

ذكرًا في ﴿رَسُولًا﴾ إعمال المصدر في المفاعيل، أي  
أنزل الله أن ذكر رسولاً، أو ذكره رسولاً. (١٢٣: ٤)

بحو: الشقي: (٢٦٨: ٤)

ابن عطية: اختلف الناس في تقدير ذلك، فقال  
قوم من المتأولين: المراد بالاسمين: القرآن، و«رسول»

يعني رسالة، وذلك موجود في كلام العرب، وقال  
آخرون: ﴿رَسُولًا﴾ نعت أو كالتعت لـ «ذكر».

فالمعنى: ذكر ذار رسول.

وقيل: الرسول ترجمة عن الذكر، كأنه يدل منه.

وقال آخرون: المراد بهما جميعاً محمد وأصحابه.

المعنى ذا ذكر رسولاً.

وقال بعض حذائق المتأولين: الذكر اسم من أسماء  
التي ﷺ واحتج بهذا القاضي ابن الباقلاني في تأويل

قوله تعالى: ﴿عَايَاتِهِمْ مِنْ ذِكْرِ مَنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّتٍ﴾  
الأنبياء: ٢.

وقال بعض النحاة: معنى الآية: ﴿ذُكْرًا﴾ بعث  
﴿رَسُولًا﴾ فهو منصوب بإضمار فعل. وقال أبو علي

الفارسي: يجوز أن يكون ﴿رَسُولًا﴾ معمولاً للمصدر  
الذي هو الذكر.

وأبين الأقوال عندي معلى أن يكون الذكر

للقرآن والرسول محمد ﷺ والمعنى: بعث رسولاً. لكن  
الإيجاز يقتضي اختصار الفعل القاصب للرسول، ولما

هذا المعنى الشدي: (٣٢٧: ٥)

ابن الجوزي: ﴿ذُكْرًا﴾ أي قرآناً. (٢٩٨: ٨)  
الفخر الرازي: هو على وجهين:

أحدهما: أنزل الله إليكم ذكرًا، هو الرسول، وإثما  
ثناه ذكر الآله يذكر ما يرجع إلى دينهم وعقباهم.

وثانيهما: أنزل الله إليكم ذكرًا، وأرسل رسولاً.

(٣٨: ٣٠)

القرطبي: قيل: إن المعنى: قد أنزل الله إليكم  
صاحب ذكر رسولاً، و﴿رَسُولًا﴾ نعت للذكر، على

تقدير حذف المضاف.

وقيل: إن ﴿رَسُولًا﴾ معمول للذكر، لأنه مصدر،

وقال القاضي: قد أنزل الله إليكم أن ذكر رسولاً، ويكون  
ذكره الرسول قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ الفتح: ٢٩.

ويجوز أن يكون ﴿رَسُولًا﴾ بدل من «ذكر».

على أن يكون ﴿رَسُولًا﴾ بمعنى رسالة، أو على أن

يكون على بابه ويكون معمولاً على المعنى، كأنه قال:

قد أظهر الله لكم ذكرًا رسولاً، فيكون من باب بدل  
الشيء من الشيء وهو هو.

ويجوز أن يتصّب ﴿رَسُولًا﴾ على الإغراء، كأنه

قال: البهو رسولاً.

وقيل: الذكر هنا: الشرف، نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ

أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ الأنبياء: ١٠، وقوله  
تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذِكْرًا مِنْ رَبِّهِمْ يُخْزِفُ﴾ ٤٤، ثم

بين هذا الشرف، قال: ﴿رَسُولًا﴾. والأكثر على أن المراد بالرسول هنا محمد ﷺ (١٨: ١٧٣)

نحوه الشريف: (٤: ٣٢٠)

التيضاوي: يعني بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره، أو لفزوله بالذكر وهو القرآن، أو لأنه مذكور في السماوات، أو ذا ذكر أي شرف، أو محمد ﷺ لمواظبته على تلاوة القرآن، أو تبليغه، وعبر عن إرساله بالإنزال ترشيحاً، أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه، وأبدل منه ﴿رَسُولًا﴾ للبيان، أو أراد به القرآن و﴿رَسُولًا﴾ منصوب بمصدر مثل أرسل، أو ﴿ذِكْرًا﴾ مصدر و﴿رَسُولًا﴾ مفعوله، أو بدله على أنه بمعنى الرسالة. (٢: ٤٨٤)

نحوه أبو السعود (٦: ٢٦٣)، وشعر (٦: ٢٢٨) الثيسابوري: [مثل الزمخشري وأضاف:]

قلت: لم يجد على هذه الوجوه أن يكون المراد بالرسول هو محمد ﷺ (٢٨: ٧٥)

أبو حيان: الظاهر أن الذكر هو القرآن، وأن الرسول هو محمد ﷺ

لأنما أن يجعل نفس الذكر مجازاً لكثرة<sup>(١)</sup> يقدر منه الذكر، فكأنه هو الذكر. أو يكون بدلاً على حذف مضاف، أي ذكر رسول.

وقيل: ﴿رَسُولًا﴾ نعت على حذف مضاف، أي ذكرًا ذا رسول. وقيل: المضاف محذوف من الأول، أي ذا ذكر رسول، فيكون ﴿رَسُولًا﴾ نعتاً لذلك المحذوف.

أوبدلاً.

وقيل: رسول بمعنى رسالة، فيكون بدلاً من ﴿ذِكْرًا﴾، ويؤيده قوله بعده: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ﴾ والرسالة لا تستند القلاوة إليها إلا مجازاً.

وقيل: الذكر أساس أسماء التي ﷺ وقيل: الذكر: الشرف، لقوله: ﴿وَالَهُ لَذِكْرُنَا﴾ و﴿قَوْلِكَ﴾ الزخرف: ٤٤، فيكون ﴿رَسُولًا﴾ بدلاً منه، وبها ثاله.

وقال الكلبي: الرسول هنا جبريل عليه السلام، وتبعه الزمخشري فقال: رسولاً هو جبريل صلوات الله وسلامه عليه، أبدل من ﴿ذِكْرًا﴾ لأنه وصف بتلاوة آيات الله، فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر، فصحّ أبداله منه، انتهى.

ولا يصح لتساين المدلولين بالحقيقة، و لكونه لا يكون بدلاً بعض ولا بدل اشتغال، وهذه الأعراب على أن يكون ﴿ذِكْرًا﴾ و﴿رَسُولًا﴾ لشيء واحد.

(٨: ٢٨٦) نحوه الآلوسي: (٢٨: ١٤١)

البروسوي: ﴿ذِكْرًا﴾ هو النبي ﷺ، كما بينه بأن أبدل منه قوله: ﴿رَسُولًا﴾ وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن، أو تبليغه والتذكير به، وعبر عن إرساله بالإنزال بطريق الترشيع، أي للتجاوز فيه ﷺ بالذكر، أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه، يعني أن رسول الله ﷺ بالذكر الذي هو القرآن لشدة ملاسته به، فأطلق عليه اسم المشبه به استعارة كصر محبة، وقرن به ما يلائم المستعار منه،

وهو الإنزال ترشيحاً لها، أو مجازاً مرسلًا من قيل إطلاق اسم السبب على المسبب، فإن إنزال الوحي إليه ﷺ سبب لإرساله.

وقال بعضهم: إن التقدير: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ يعني القرآن وأرسل إليكم ﴿رَسُولًا﴾ يعني محمدًا ﷺ. لكن الإيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول. وقد دل عليه الفرينة، وهو قوله: ﴿أَنْزَلَ﴾ نظيره قوله: «عَلَفْتَهَا تَبًا وَمَاءً بَارِدًا» أي وسقيتها ماء باردًا، فيكون الوقف في ﴿ذِكْرًا﴾ تامًا بخلافه إذا كان بدلًا.

وقال القاشاني: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ أي فرقًا مشتملاً على ذكر الذات والصفات والأسماء والأفعال والمعاد، ﴿رَسُولًا﴾ أي روح القدس الذي أنزله به، فأبدل منه بدل الاشتغال، لأن إنزال الذكر هو إنزاله بالاحتيال بالروح النبوي، وإلقاء الحديث في القلب. (٤١: ١٠)

سيد قطب: ويَجَسَّم هذا الذكر ويمزجه بشخص الرسول ﷺ فيجعل شخصه الكريم هو الذكر، أو بدلًا منه في العبارة: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾.

وهنا لفظة مبدعة عميقة صادقة ذات دلالة متنوعة: إن هذا الذكر الذي جاء من عند الله مر إليهم من خلال شخصية الرسول الصادق، حتى لو كان الذكر نفذ إليهم مباشرة بذاته، لم تعجب شخصية الرسول شيئًا من حقيقته.

والوجه الثاني: لإيهاء الشخص هو أن شخصية

الرسول ﷺ قد استحالَت ذِكْرًا، فهي صورة مجسَّمة لهذا الذكر صنعت به فصارت هو. وهو ترجمة حية لحقيقة القرآن. وكذلك كان رسول الله ﷺ وهكذا وصفته عائشة رضي الله عنها، وهي تقول: «كان خلقه القرآن». وهكذا كان القرآن في خاطره في مواجهة الحياة، وكان هو القرآن يواجه الحياة. (٣٦٠٥: ٦) ابن عاشور: الذكر: القرآن، وقد سمي بالذكر في آيات كثيرة، لأنه يتضمن تذكير الناس بما هم في غفلة عنه من دلائل التوحيد، وما يتفرع عنها من حسن السلوك، ثم تذكيرهم بما تضمنته من التكليف، ويأتي عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ﴾، ٦. وإنزال القرآن: تبليغه إلى الرسول بواسطة الملائكة، واستمير له «الإنزال» لأن الذكر مشبه بالشيء المرفوع في السماوات، كما تقدم في سورة الحجر وفي آيات كثيرة.

وجعل إنزال الذكر إلى المؤمنين، لأهلهم الذين انغمسوا به وعملوا بما فيه، فحُصِّصوا هنا من بين جميع الأمم، لأن القرآن أنزل إلى الناس كلهم.

وقوله: ﴿رَسُولًا يَدُلُّ مِنْ ذِكْرِهِ﴾ بدل اشتمال، لأن بين القرآن والرسول محمد ﷺ ملازمة وملازمة، فإن الرسالة تحققت له عند نزول القرآن عليه، فقد أُعْمِلَ لِمَصْلَحَةٍ ﴿أَنْزَلَ﴾ في ﴿رَسُولًا﴾ تبعًا لإعماله في المبدل منه باختيار هذه المقارنة، واشتمال مفهوم أحد الاسمين على مفهوم الآخر، وهذا كما أبدل ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ البينة: ٢، من قوله: ﴿حَقٌّ تَأْتِيهِمُ الْبَيِّنَةُ﴾ البينة: ١، والرسول: هو محمد ﷺ.

وأما تفسير الذكر بجبريل، وهو مروى عن  
الكثير لتصحيح إبدال ﴿رَسُولًا﴾ منه، ففيه تكلفات  
لاداعي إليها، فإنه لا يخصص عن اعتبار بدل الاشتغال،  
ولا يستقيم وصف جبريل بأنه يتلو على الناس  
الآيات، فإن معنى التلاوة بعيد من ذلك، وكذلك  
تفسير الذكر بجبريل.

ويجوز أن يكون ﴿رَسُولًا﴾ مفعولاً لفعل محذوف  
بدل عليه ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، وتهديره: وأرسل إليكم  
رسولاً، ويكون حذفه إيجازاً، إلا أن الوجه السابق  
أبلغ وأوجز. (٣٠٢: ٢٨)

مغنية: أرسل رسوله محمدًا بالقرآن. (٣٥٧: ٧)  
الطباطبائي: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ  
مُتَنَزِّلِينَ﴾ إلخ عطف بيان أو بدل من ﴿ذُكْرًا﴾، فسر  
بالذكر الذي أنزله هو الرسول، سمي به لأنه وسيلة  
التذكرة بالله وآياته، وسبيل الدعوة إلى دين الحق  
والمراد بالرسول محمد ﷺ على ما يؤيده ظاهر قوله:  
﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُتَنَزِّلِينَ﴾ إلخ

وعلى هذا، فالمراد بإزالة الرسول: بعثه من عالم  
الغيب، وإظهاره لهم رسولاً من عنده بعد عالم يكونوا  
يحتسبون، كما في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ الحديد:  
٢٥

وقد دعا ظهور الإزال - في كونه من السماء -  
بعضهم كصاحب «الكشاف» إلى أن فسر ﴿رَسُولًا﴾  
بجبريل، ويكون حينئذ معنى تلاوته الآيات عليهم  
تلاوته على النبي ﷺ بما أنه منبوع قومه ووسيلة  
الإبلاغ لهم، لكن ظاهر قوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ﴾ إلخ،

خلاف ذلك.

ويحتمل أن يكون ﴿رَسُولًا﴾ منصوباً بفعل  
محذوف، والتقدير: أرسل رسولاً يتلو عليكم آيات  
الله، ويكون المراد بالذكر المنزل إليهم: القرآن، أو ما  
بين فيه من الأحكام والمعارف. (٣٢٥: ١٩)

عبد الكريم الخطيب: أي قد أنزل الله إليكم ما  
فيه تذكرة لقولكم، وهو القرآن الكريم، فانظروا فيه،  
وتدبروا آياته، وستجدون منه الهدى، والنور.

وقوله تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ  
مُتَنَزِّلِينَ﴾ ﴿رَسُولًا﴾ بدل من ﴿ذُكْرًا﴾ في قوله  
تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذُكْرًا﴾. فهذا الذكر الذي  
أنزله الله إليكم، ينقل في هذا الرسول الذي يتلو  
عليكم آيات الله اليّنات، الكاشفات لطريق الحق،  
والهدى.

وهو الذي هو  
القرآن، ثم على الرسول الذي يتلو آيات الله، في هذا  
إشارة إلى مقام الرسول الكريم، وأنه صلوات الله  
وسلامه عليه أشبه بآية من آيات الله المنزلة من  
السماء، وأنه منزل إليهم من عند الله، كما تنزل  
عليهم آياته.

وهذا يعني أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه  
هو في ذاته مصدر هدى، ومطلع رحمة ونور، وأن من  
عجز عن أن يدرك ما في آيات الله من حق وخير،  
يستطيع أن يرى تأويل آيات الله في رسول الله فهو  
صلوات الله وسلامه عليه كتاب الله المنظور، على حين  
أن القرآن هو كتاب الله المسموع، والله سبحانه وتعالى



يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُنِيرًا  
وَالذِّكْرَ﴾ و«ذَاعيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا»  
الأحزاب: ٤٥، ٤٦. فهو صلوات الله وسلامه عليه  
سراج منير مرسل من عند الله، كما أن القرآن الكريم  
﴿كِتَابٌ مُبِينٌ﴾ المائدة: ١٥. منزل من عند الله.

(١٤: ١٧-١٠)

مكارم الشيرازي: إن هناك خلافا بين  
المفسرين في معنى كلمة «ذكر» ولكلمة «رَسُولًا»  
اعتبر بعضهم أن الذكر أي القرآن، بينما فسرها  
البعض الآخر بأنها تعني «رسول الله» لأن الرسول  
هو سبب تذکر الناس. وطبقا لهذا التفسير فإن كلمة  
﴿رَسُولًا﴾ التي تأتي بعدها تعني شخص الرسول  
وليس في البين كلام محذوف. ولكن يصبح معنى  
الإنزال هنا هو وجود الرسول ﷺ في الأمة وبعثه فيها  
من قبل الله تعالى.

ولكن إذا أخذنا الذكر بمعنى القرآن، فإن كلمة  
﴿رَسُولًا﴾ سوف لا يمكن أن تكون بدلا، وفي الجملة  
محذوف تقديره: أنزل الله إليكم ذكرا وأرسل إليكم  
رسولا.

قال البعض: إن الرسول يقصد به جبرائيل. وهذا  
يكون النزول نزولا حقيقيا، نزل من السماء. غير أن  
هذا التفسير لا ينسجم مع عبارة ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ  
اللَّهِ﴾ لأن جبرائيل لم يقرأ الآيات القرآنية بصورة  
مباشرة على المسلمين.

و لكن بصورة عامة، فإن كل رأي من هذه الآراء  
يحتوي على نقاط قوة ونقاط ضعف، ويبقى التفسير

أو الرأي الأول أفضل الآراء، أي أن «الذكر» يقصد  
به القرآن، و﴿رَسُولًا﴾ يقصد به رسول الله ﷺ.  
وذلك لأن القرآن الكريم أطلق على نفسه «الذكر»  
في آيات كثيرة، خصوصا أنها كانت مقرونة بكلمة  
«إنزال» إلى الحدة الذي أصبح كلما جاءت عبارة  
«إنزال الذكر» تدعى إلى الأذهان: القرآن الكريم.

ثم نقرأ في الآية (٤٤) من سورة التحل: ﴿وَالَّذِينَ  
إِنَّهَا الذِّكْرُ لَتَنِينَ لِلنَّاسِ مَا تُزَلُّ إِلَيْهِمْ﴾

وجاء في الآية (٦) من سورة الحجر: ﴿وَقَالُوا  
يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾

وإذا جاء في بعض الروايات عن أهل البيت

أن المقصود من «الذكر» هو رسول الله ﷺ

و«أهل الذكر» هو نحن، فقد يكون المقصود هو المعنى  
الباطني للآية، لأننا نعلم أن أهل الذكر في آية:

﴿فَتَسْمَعُوا لِقَوْلِ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ التحل: ٤٣،

ليس خصوص أهل البيت ﷺ، بل إن شأن نزولها

هو علماء أهل الكتاب، لكن نظرا للإسراع معنى

«الذكر» فإنه يمثل رسول الله كأحد مصاديقه.

(١٨: ٣٩٤)

فضل الله: ﴿ذِكْرًا﴾ يُخَطِّطُ لَكُمْ الْمَنْهَجَ الصَّحِيحَ  
في حياتكم، ليؤدي بكم إلى النهاية السعيدة التي  
تذكركم بالله كلما نسيتوه، وباليوم الآخر كلما  
أغفلتموه، وبالرسالة التي تحمّلتم مسؤوليتها منذ  
آمنتتم بها، كلما ابتعدتم عن خطيئها المستقيم.

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ﴾ ولعل

إطلاق «الذكر» على الرسول باعتبار أنه يجسد

ابن عطية: الذكر: الكتب المنزلة والخرائج  
ومضناتها. (٤١٧: ٥)

فضل الله: الظاهر أن المراد بالذكر: القرآن الذي  
يقيم الحجة على الناس وينذرهم عذاب الله، في ما  
تلقى الملائكة آياته على النبي ﷺ.

وقيل: إن المراد به الرياح، وبالذكر المطر الذي  
يذكر بالله ورحمته، فالؤمن يشكر الله حين ينزل المطر،  
ويعتذر عما سبق منه من التقصير، والكافر يزداد  
طغيانا، لأن المطر يزد من ثرائه، فيكون المطر أو  
الرياح نذيرا له بعذاب أليم. (٢٨٩: ٢٣)

### الذكر

١- ذلِكَ ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ.  
آل عمران: ٥٨

الذي ﷺ: هو القرآن. (التعليق: ٨٣: ٣)

مثله ابن عباس، والضحاك، (الطبري: ٣: ٢٩٣)،  
والزمخشري (١: ٤٣٣) والطباطبائي (٣: ٢١٢).

العلي: قيل: هو اللوح المحفوظ، وهو معلق  
بالعرش في درة يضاء. (٨٣: ٣)

ابن عطية: الذكر: ما ينزل من عند الله. (٤٤٦: ١)

القهر الرازي: فيه قولان:

الأول: المراد منه القرآن. [إلى أن قال:]

القول الثاني: أن المراد بـ «الذكر الحكيم» هاهنا،  
غير القرآن، وهو اللوح المحفوظ الذي منه نقلت جميع

الكتب المنزلة على الأنبياء ﷺ. (٧٨: ٨)

نحوه أبو السعود. (٣٧٧: ١)

القرآن الذي يشمل على الذكر الإلهي، فيكون باعتبار  
على التذكر في ما يتلوه من آيات الله المبينات. أما كيف  
تصور إنزال الرسول؟ فقد فسره البعض بالإنزال من  
عالم الغيب، أي بعثه منه، وإظهاره لهم رسولا من عنده  
بعد ما لم يكونوا يحسبون، وقد فسره صاحب  
«الكشاف»: بجبريل باعتبار إنزاله من السماء،  
ويكون حينئذ معنى تلاوته الآيات عليهم تلاوته على  
النبي ﷺ بما أنه متبوع لقومه ووسيلة الإبلان لهم،  
لكن ظاهر قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ...﴾ إلخ خلاف  
ذلك.

ويحصل أن يكون «رسولا» منصوبا بفعل  
محذوف، والتقدير: أرسل رسولا يتلو عليكم آيات  
الله، ويكون المراد بالذكر: القرآن، أو ما يستفاد منه  
الأحكام والمعارف. وقد يكون الأقرب أن يكون  
«رسولا» بدلًا قريبًا من أجواء بدل الأشياء  
باعتبار أن إنزال الذكر يكثر في داخله وجود رسول  
يُبلغه ويتلوه، بعد أن كان الإنزال بشكل غير مباشر،  
ولله العالم. (٣٠٠: ٢٢)

١٠- فَأَلْمَلَيْنَاهُ ذِكْرًا. المرسلات: ٥

ابن عباس: وأقسم بالمنزلات وحيا. (٤٩٧)

قتادة: الملائكة تلقى القرآن. (الطبري: ١٢: ٣٨١)

الكلي: الملائكة تلقى ما حملت من الوحي  
والقرآن إلى من أرسلت إليه من الأنبياء.

(الماوردي: ٦: ١٧٧)

نحوه ابن قتيبة (٥٠٥)، والتعليق (١٠٩: ١٠).

فضل الله: الذي ينزل عليك وحياً من الله.  
ليوضح لك سبيل النجاة في الدنيا والآخرة. (٥٥: ٦)

٢ - وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ  
لَمَجْنُونٌ

أبن عباس: جبرئيل بالقرآن برزعمك. (٢١٦)  
الضحّاك: القرآن. (الطبري ٧: ٤٩٢)

مثله الحسن (المأزدي ٣: ١٤٩)، والسلمي (٥: ٣٣١)، والطوسي (٦: ٣١٨)، والطبرسي (٣: ٣٣٠).  
الطبري: وهو القرآن الذي ذكر الله فيه مواضع خلقه. (٧: ٤٩٢)

أبن عاشور: ﴿الذِّكْرُ﴾: مصدر ذكر. إذا تلفظ  
ومصدر ذكر إذا خطر بباله شيء. فالذكر: الكلام  
الموحى به لئنلى ويكرّر، فهو للتلاوة، لأنه يُذكر  
وبعاد: إمّا لأن فيه التذكير بالله واليوم الآخر، وإمّا  
بمعنى أن به ذكرهم في الآخرين. وقد عملها قوله تعالى:  
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (الأنبياء: ١٠).  
وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف: ٤٤).  
والمراد به هنا: القرآن.

فتسمية القرآن ذكراً تسمية جامعة عجيبة،  
لم يكن للعرب علم بها من قبل أن ترد في القرآن.  
وكذلك تسميته قرآناً، لأنه قصد من إنزاله أن  
يقرأ. فصار الذكر والقرآن صفتين من أصناف الكلام  
الذي يلقي للناس القصد وعيه وتلاوته، كما كان من  
أنواع الكلام: الشعر والخطبة والقصة والأسطورة.  
ويدلّك هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا

يَنْتَهِي لَهُ إِنَّهُ الْوَالِدُ الْكَرِيمُ الَّذِي تُرَىٰ آيَاتُهُ عَلَىٰ سَنَدٍ مِّمَّنْ ۖ يَسْ ٦٩. فنفي  
أن يكون الكتاب المنزل على محمد شعراً، وصفه بأنه  
ذكر وقرآن. ولا يخفى أن وصفه بذلك يقتضي مغايرة  
بين الموصوف والصفة، وهي مغايرة باعتبار ما في  
الصفتين من المعنى الذي أشرنا إليه. فالمراد: أنه من  
صنف الذكر ومن صنف القرآن، لا من صنف الشعر  
ولا من صنف الأساطير. (١٣: ١٤)

٣ - إِلَّا الْخَنَازِرَ الَّذِينَ ذُكِّرُوا بِهَا لَافِتًا بِظُهُورِهِمْ

الحجر: ٩  
جاء الذكر فيها بمعنى ساقها، وكذا في الآيتين

٤ - وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ  
وَمَا يَكْفُرُ بِهِ لِقَوْلِهِمْ إِنَّمَا هِيَ قَوْلُنَا بِالْجَلَمِ الْأَعْتَمِ ۚ

٥ - وَلَقَدْ نَكَّاهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا لِقَوْلِهِمْ بِالْهَضْرَةِ  
لَقَدْ سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ. (القلم: ٥١)

٦ - وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحي إِلَيْهِمْ  
فَسَتَرُوا أَعْيُنَ الذِّكْرِ أَنْ كُتِبَ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. (التحل: ٤٣)

أبن عباس: أهل التوراة والإنجيل. (٢٢٤)  
لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو  
من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله  
بشراً مثل محمد، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ كَانَ لِلنَّاسِ عِجْبٌ أَنْ  
أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ (يونس: ٢)، وقال: ﴿وَمَا  
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحي إِلَيْهِمْ فَمَنَعُوا أَهْلَ  
الذِّكْرِ أَنْ كُتِبَ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٢٩).

﴿فَسْتَوْفُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، يعني أهل الكتب الماضية،  
أبشراً كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا  
ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشرًا فلاتكروا أن يكون  
محمد رسولاً. ثم قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا  
نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، أي ليسوا من أهل  
السماء كما قلتم. (الطبري ٧: ٥٨٧)

مجاهيد: هم أهل الكتاب. (الطبري ٧: ٥٨٧)  
مثله التعليق (٦: ١٨)، ونحوه الثعالب (٤: ٦٨).  
السدي: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى  
الذين جاءتهم الرسل قبلهم. (٣٢٧)  
الأعمش: سمعنا أنه من أسلم من أهل القسورة  
والإنجيل. (الطبري ٧: ٥٨٧)

مثله سفيان. (الثعالب ٤: ٦٨)  
ابن زيد: أنهم أهل القرآن. (الماوردي ٣: ١٨٩)  
الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل:  
أحدها: أن ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بأخبار من  
سلف من القرون الخالية الذين يعلمون أن الله تعالى ما  
بعث رسولاً إلا من رجال الأئمة، وما بحث إليهم  
ملكاً... (٣: ١٨٩)

الزمخشري: ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أهل الكتاب،  
وقيل للكتاب: الذكر، لأنه موعظة وتبیه للخاطفين.  
(٢: ٤٦١)

الفخر الرازي: فيه مسائل:  
المسألة الأولى: في المراد بـ ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ وجوه:  
[ذكر وجهين، إلى أن قال:]  
والثالث: ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أهل العلم بأخبار

الماضين، إذ العالم بالشيء يكون ذاكرًا له...

وأقول: الظاهر أن هذه الشبهة وهي قولهم: الله  
أعلى وأجل من أن يكون رسوله واحداً من البشر،  
إنما تمسك بها كفار مكة، ثم إنهم كانوا مقرين بأن  
اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب، فأمرهم  
الله بأن يرجعوا في هذه المسألة إلى اليهود والنصارى،  
ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها، فإن اليهودي  
والنصراني لا بدّ لهما من تريف هذه الشبهة وبيان  
سقوطها. (٢٠: ٣٦)

البيضاوي: أهل الكتاب، أو علماء الأخبار  
ليعلموكم. (١: ٥٥٦)  
سيد قطب: أهل الكتاب الذين جاءتهم الرسل  
من قبل، كانوا رجالاً أم كانوا ملائكة أم خلقاً آخر.  
(٤: ٢١٧٢)

ابن خلدون: ﴿الذِّكْر﴾: كتاب الشريعة.  
(١٣: ١٢٩)  
مفنيّة: المراد بـ ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أهل العلم  
المنصفون، سواء أكانوا من أهل الكتاب أم غيرهم.  
(٤: ٥١٧)

فضل الله: ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: ممن اختصوا بالعلم في  
الكتب السماوية، وعرفوا تاريخ الأديان وتاريخ  
الرسل. (١٣: ٢٣٢)

وراجع: أهل: ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾.

٧- وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ  
فَسْتَوْفُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. الأنبياء: ٧

راجع: أهل: و: ذكر: «أهل الذكر».

٨- وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ  
الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. الأنبياء: ١٠٥  
ابن عباس: من بعد التوراة، ويقال: ﴿وَلَقَدْ  
كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ في كتب الأنبياء من بعد الذكر:  
اللوح المحفوظ. (٢٧٦)

سعيد بن جبير: ﴿الذكر﴾: الذي في السماء.  
(الطبري ٩: ٩٧)

مثله القرطبي: (١١: ٣٤٩)

كتبنا في القرآن من بعد التوراة. (الطبري ٩: ٩٧)  
نحوه الشنقي وقناة. (الفخر الرازي ٢٢: ٢٢٩)

الشنقي: في زبور داود، من بعد ذكر موسى.  
(الطبري ٩: ٩٨)

نحوه الشنقي: (٣: ١٩١)

مجاهد: ﴿الزبور﴾: الكتاب، ﴿من بعد الذكر﴾:  
أم الكتاب عند الله. (الطبري ٩: ٩٧)

الضحاك: ﴿الذكر﴾: التوراة، يعني بـ ﴿الزبور﴾  
من بعد التوراة: الكتب. (الطبري ٩: ٩٨)

الإمام الصادق عليه السلام: الذكر عند الله، والزبور  
الذي أنزل على داود عليه السلام، وكل كتاب نزل فهو عند

أهل العلم، ونحن هم. (الكاشاني ٣: ٣٥٧)

ابن زيد: ﴿الزبور﴾: الكتب التي أنزلت على  
الأنبياء: و: ﴿الذكر﴾: أم الكتاب الذي تكتب فيه

الأنبياء قبل ذلك. (الطبري ٩: ٩٧)

الطبري: اختلف أهل التأويل في المعنى

بـ ﴿الزبور﴾: و: ﴿الذكر﴾ في هذا الموضع، فقال  
بعضهم: عني بـ ﴿الزبور﴾: كتب الأنبياء كلها التي  
أنزلها الله عليهم، وعني بـ ﴿الذكر﴾: أم الكتاب التي  
عنده في السماء.

وقال آخرون: بل عني بـ ﴿الزبور﴾: الكتب  
التي أنزلها الله على من بعد موسى من الأنبياء،  
وبـ ﴿الذكر﴾: التوراة.

وقال آخرون: بل عني بـ ﴿الزبور﴾: زبور داود،  
وبـ ﴿الذكر﴾: توراة موسى صلى الله عليهما.

«أولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما

قاله سعيد بن جبير ومجاهد، ومن قال بقولهما في  
ذلك، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم

الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق  
المخلوقات والأرض، وذلك أن الزبور هو الكتاب،

يقال عنه: ﴿تُحَرِّثُ الْكِتَابَ وَذَبْرُهُ﴾: إذا كتبه، وأن كل

كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه، فهو ذكر، فإذا كان  
ذلك كذلك، فإن في إدخاله الألف واللام في ﴿الذكر﴾،

الدلالة البينة أنه معني به، ذكر بعينه، معلوم عند  
المخاطبين بالآية. ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي

ذكرنا لم تكن القوراة بأولى من أن تكون المعنيّة بذلك  
من صُحُف إبراهيم، فقد كان قبل زبور داود.

فتأويل الكلام إذن، إذ كان ذلك كما وصفنا:

ولقد قضينا، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم  
الكتاب، ﴿وَأَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، يعني

بذلك: أن أرض الجنة يرثها العاملون بطاعته، المنتهون

إلى أمره ونهيه من عبادته، دون العاملين بمصيته، منهم

البَيْضَاوي: أي التوراة، وقيل المراد به ﴿الزبور﴾  
جنس الكتب المنزل وبـ ﴿الذكر﴾: اللوح المحفوظ.

(٨٣: ٢)

التيسابوري: التأويل: ﴿في الزبور﴾ أي في أم  
الكتاب ﴿من تغفر الذنوب﴾ أي بعد أن قلنا للقلم:  
أكتب، نظيره: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس: ٨٢ (٧٢: ١٧)  
أبو السعود: ﴿في الزبور﴾ هو كتاب داود عليه السلام  
وقيل: هو اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء عليه السلام،  
﴿من تغفر الذنوب﴾ أي التوراة.

وقيل: اللوح المحفوظ، أي وبالله لقد كتبنا في  
كتاب داود بعد ما كتبنا في التوراة، أو كتبنا في جميع  
الكتب المنزلة بعدما كتبنا وأثبتنا في اللوح المحفوظ.

(٣٦١: ٤)

نحوه شتر.  
التيسابوري: ﴿في الزبور﴾ وهو كتاب  
داود عليه السلام كما قال: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ﴿من تغفر  
الذنوب﴾ أي بعدما كتبنا في التوراة، لأن كل كتاب  
سماوي ذكره كما سبق...

وقال بعضهم: اسم للكتاب المقصور على الحكمة  
العقلية دون الأحكام الشرعية، والكتاب لما يتضمن  
الأحكام والحكم، ويدل على ذلك أن زيور داود  
لا يتضمن شيئاً من الأحكام.

(٥٢٧: ٥)

نحوه الألوسي:  
المراغي: أي ولقد كتب الله عنده، وأثبت في قديم  
علمه الأزلي الذي لا ينسى، ثم أثبت في الكتب  
السمائية من بعد ذلك.

(٧٦: ١٧)

المؤثرون طاعة الشيطان على طاعته. (٩٧: ٩)

الزجاج: ﴿الزبور﴾: جميع الكتب، التوراة،  
والإنجيل، والفرقان زيور، لأن الزبور والكتاب بمعنى  
واحد. ويقال: زبرت وكُتبت بمعنى واحد. والمعنى:  
ولقد كتبنا في الكتب من بعد ذكرنا في السماء ﴿أن  
الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ (٤٠٧: ٣)  
القسي: الكتب كلها ذكر.

(٧٧: ٢)

ابن خالويه: ﴿من تغفر الذنوب﴾ معناه قبل الذكر  
الذي هو القرآن (الطوسي: ٧: ٢٨٣)

القشيري: ﴿الذكر﴾ هنا: التوراة. (١٩٨: ٤)  
البهوي: [بعد ذكر بعض الأقوال أضاف:]

وليس: ﴿الزبور﴾: زيور داود و﴿الذكر﴾:  
القرآن، و﴿تغفر﴾ بمعنى قبل، كقوله تعالى: ﴿كُنْ  
وَرَأَاهُمْ مَلِكًا﴾ الكهف: ٧٩ أي أمامهم، و﴿الأرض  
تغفر ذلك﴾ حيثما التازعات: ٣٠، أي قبله. (٣٢: ٣٩)  
القنبر الرازي: في ﴿الزبور﴾ و﴿الذكر﴾ وجوه:  
[إلى أن قال:]

و تألها: ﴿الزبور﴾: زيور داود عليه السلام، و﴿الذكر﴾:  
هو الذي يروى عنه عليه السلام، كان الله تعالى ولم يكن معه  
شيء، ثم خلق الذكر.

وعندي فيه وجه رابع: وهو أن المراد بـ ﴿الذكر﴾:  
العلم، أي كتبنا ذلك في الزبور بعد أن كنا عالمين علماً  
لا يجوز السهو والسيان علينا، فإن من كتب شيئاً  
والتزمه، ولكنه يجوز السهو عليه، فإنه لا يعتمد عليه.  
أما من لم يجر عليه السهو والمخلف، فلذا التزم شيئاً،  
كان ذلك الشيء واجب الوقوع.

(٢٢٩: ٢٢)

سيد قطب: والزبور إما أن يكون كتاباً بعينه هو الذي أوتيه داود عليه السلام، ويكون الذكر إذن هو الصورة التي سبقت الزبور. وإما أن يكون وصفاً لكل كتاب، بمعنى قطعة من الكتاب الأصل الذي هو الذكر وهو اللوح المحفوظ، الذي يمثل المنهج الكلي، والمرجع الكامل، لكل نواحيس الله في الوجود (٤: ٢٣٩٩) ابن عاشور: ﴿الزبور﴾: كتاب داود، وهو مبعوث في الكتاب المسمى بالمزامير من كتب اليهود. [إلى أن قال:]

ومعنى ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أن ذلك الوعد ورد في الزبور عقب تذكير وعظ للأمة... وقيل: المراد بـ ﴿الذِّكْر﴾: كتاب الشريعة وهو التوراة (١٧: ١١٩) مفتية: ﴿الزبور﴾ هو كتاب داود، و﴿الذِّكْر﴾ ما تقدمه من الكتب السماوية، كصحائف إبراهيم وتوراة موسى.

العلما طهاني: الظاهر أن المراد بـ ﴿الزبور﴾: كتاب داود عليه السلام، وقد سمي بهذا الاسم في قوله: ﴿وَأَنبِئْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ النساء: ١٦٣، الإسراء: ٥٥. وقيل: المراد به القرآن، وقيل: مطلق الكتب المنزلة على الأنبياء أو على الأنبياء بعد موسى، ولادليل على شيء من ذلك.

والمراد بـ ﴿الذِّكْر﴾: قيل: هو التوراة، وقد سماها الله به في موضعين من هذه السورة وهذا قوله: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية: ٧. وقوله: ﴿وَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الآية: ٤٨، منها. وقيل: هو القرآن، وقد سماه الله ذكراً في مواضع

من كلامه، وكون الزبور بعد الذكر على هذا القول بعدية رتيبة لازمانية.

وقيل: هو اللوح المحفوظ، وهو كما ترى.

(١٤: ٣٢٩)

عبد الكريم الخطيب: المراد بـ ﴿الزبور﴾ هنا والله أعلم - الكتب السماوية، التي هي بعض الكتاب «الأم»، كتاب الله، وهو مستودع علمه الذي لا ينضب.

وأصل الزبور: القطعة من الشيء، وجمعه زُبُر، كما يقول تعالى: ﴿أَتُوبِي زُبُرَ النَّدْبِيرِ﴾ و﴿الذِّكْرِ﴾ على هذا التقدير، هو أم الكتاب. (٩: ٩٦١)

مكارم الشيرازي: إن زبور داود - أو تعبير كتب العهد القديم مزامير داود - عبارة عن مجموعة أدعية التي داود ومناجاته ونصائحه ومواعظه.

ولم يحفل بعض المفسرين أن يكون المراد من ﴿الزبور﴾ هنا: كل كتب الأنبياء السابقين.

ولكن يبدو على الأغلب - مع ملاحظة الدليل الذي ذكرناه - أن ﴿الزبور﴾ هو كتاب مزامير داود فقط، خاصة وأن في المزامير الموجودة عبارات مطابقة هذه الآية تماماً، وسنشير إلى ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

و﴿الذِّكْر﴾ في الأصل يعني التذكير أو ما يسبب التذكير والتذكر، واستعملت هذه الكلمة في القرآن بهذا المعنى، وأطلقت أحياناً على كتاب موسى السماوي، كآية: ٤٨، من سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ أَنبَأْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْقُرْآنَ وَحُيْنَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾

و استعملت أحياناً في شأن القرآن، كالأية: ۲۷، من سورة التکویر: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ولذلك قال البعض: إن المراد من ﴿الذکر﴾ - في الآية مورد البحث - هو القرآن «الزبور» كل كتب الأنبياء السابقين، أي إنا كتبنا في كل كتب الأنبياء السابقين إضافة إلى القرآن بأن الصالحين سيرتوب الأرض جميعاً.

لكن ملاحظة التسميات التي استعملت في الآية توضح أن المراد من ﴿الزبور﴾: كتاب داود و﴿الذکر﴾ بمعنى التوراة، ومع ملاحظة أن ﴿الزبور﴾ كان بعد التوراة، فإن تعبير ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ حقيقي. وعلى هذا فإن معنى الآية: إنا كتبنا في الزبور بعد التوراة أننا سنورث المهدي الصالحين الأرض. (۲۲۸: ۱۰) فضل الله: ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ وهو التوراة - كما قيل - لأن الله سماها به في قوله تعالى: ﴿فَسَنُفَعِّلُهُمْ أَفْئِدَةً تَنْقُلُهَا مِنْ أَفْئِدَةٍ إِلَى أُخْرَىٰ أُولَٰئِكَ نَبْشِطُ قُلُوبَهُمْ يُجِيبُونَ﴾ (الزمر: ۲۸).  
الذکر إن كنتم لا تعلمون ﴿الحل: ۴۳.

وقيل: هو القرآن، لأن الله أطلق عليه ذلك في أكثر من آية. (۲۷۶: ۱۵)

۹-... وَلَكِنْ مَثَلُهُمْ وَأَنبَاءُ هُمْ حَقٌّ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا. الفرقان: ۱۸

ابن عباس: حتى تركوا التوحيد وطاعتك.

(۳۰۱)

ابن زيد: حتى تركوا القرآن. (المأوردي ۴: ۱۳۶)

ابن قتيبة: ﴿نَسُوا الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن. (۳۱۱)

مثله ابن عاشور. (۲۸: ۱۹)

التعلي: أي تركوا القرآن فلم يعملوا بما فيه. وقيل: الرسول، وقيل: الإسلام، وقيل: التوحيد، وقيل: ذكر الله سبحانه وتعالى. (۱۲۷: ۷)

المأوردي: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: [قول ابن زيد]

الثاني: حتى غفلوا عن الطاعة.

الثالث: حتى نسوا الإحسان إليهم والإنعام

عليهم. (۱۳۶: ۴)

الطوسي: أي ذكرك. (۴۷۹: ۷)

الواحد: تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن.

(۳۳۷: ۳)

نحوه ابن الجوزي.

الطوسي: تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن. وقيل:

تركوا ذكرك وغفلوا عنه. (۴۳۹: ۳)

نحوه الخازني (۲: ۶۵۴)، وشتر (۴: ۳۵۰).

ابن عطية: أي ما ذكر به الناس على السنة

الأنبياء. (۲۰۴: ۴)

نحوه الطبرسي. (۱۶۴: ۴)

الفخر الرازي: ﴿الذکر﴾: ذكر الله والإيمان به

والقرآن والشرائع، أو ما فيه حسن ذكرهم في الدنيا

والآخرة. (۶۳: ۲۴)

مثله التستفي (۳: ۱۶۱)، واثيساوري (۱۸: ۱۴۶).

القرطبي: في ﴿الذکر﴾ قولان:

أحدهما: [قول ابن زيد].

الثاني: الشكر على الإحسان إليهم والإنعام

عليهم. (۱۱: ۱۳)



مقَابِل: يعني ذا البيان. (٦٣٥: ٣)

مثله البهوي. (٥٢: ٤)

ابن قُتَيْبَةَ: ذكر ما قبله من الكتب.

(المأوردي ٥: ٧٥)

الْجَبَّائِي: فيه ذكر الله وتوحيده وأسماؤه الحمسة وصفاته العلى، وذكر الأنبياء وأخبار الأمم، وذكر الميث والتشور، وذكر الأحكام وما يحتاج إليه

المكلف من الأحكام. (الطبرسي ٤: ٤٦٥)

نحوه شبر. (٢٧٣: ٥)

الطَّبْرِي: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله:

﴿ذِي الذُّكْرِ﴾، فقال بعضهم: معناه: ذي الشرف.

وقال بعضهم: بل معناه: ذي التكبير، ذكر كم لله

وأول القولين فيه بالتأويل قول من قال: معناه:

﴿الَّذِي تَعَزَّى لَكُمْ﴾، لأن الله أتبع ذلك قوله: ﴿يَهْلُ الَّذِينَ

كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، فكان معلوماً بذلك أنه إنما

أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكرًا لعباده ذكرهم به، وأن

الكفار من الإيمان به في عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ. (١٠: ٥٤٥)

الْخَمَاس: قيل معنى ﴿ذِي الذُّكْرِ﴾، فيه ذكر

الأسم وغيرهم. (٧٥: ٦)

الْثَمَلِي: قيل: ذي ذكر الله عز وجل. (٨: ١٧٦)

الطُّوسِي: قيل: معناه ذي الذكر للبيان

والبرهان، المؤدّي إلى الحقّ الهادي إلى الرشد الرّادع

عن الضي. وفيه ذكر الأدلة التي من تمسك بها سعد،

ومن عدل عنها شقي، ومن عمل بها نجاب، ومن ترك

العمل بها هلك. (٨: ٥٤١)

الْيَضَاوِي: حلى غفلوا عن ذكرك، أو التذكّر

لأنك، والتدبّر في آياتك. (١٤١: ٢)

نحوه أبو السعود (٤: ٥٠٠)، والكاشاني (٤: ٨)،

والبروسوي (٦: ١٩٧)، والآلوسي (١٨: ٢٥٠).

الطُّهَاطِبَائِي: نسوا الذكر الذي جاءت به

الرسول، فعدلوا عن التوحيد إلى الشرك. (١٥: ١٩١)

١٠- لَقَدْ أَهْلَكُنَا مِنَ الذُّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ

الشُّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا. الفرقان: ٢٩

١١- إِنَّمَا تَذَكَّرُ مِنَ الذُّكْرِ وَخَشِيَ

الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَهَشَرَهُ بِمُحَقِّقَةٍ وَأَجْمَرَ كَرِيمٌ. يس: ١١

١٢- إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآلِ الذُّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ رَأْيُهُ

لِكِتَابٍ غَزِيرٌ. فصل: ٤١

هذه الآيات الثلاث جاءت بمعنى سابقها.

١٣- ص وَالْقُرْآنُ ذِي الذُّكْرِ. ص: ١

ابن عباس: ذي الشرف والبيان، شرف من آمن

به، وبيان الأولين والآخرين. (٣٨٠)

سعيد بن جبّير: ذي الشرف. (الطبرسي ١٠: ٥٤٥)

مثله السدي (٨: ٤٠٨)، وأبو حصين (الطبرسي ١٠: ١٠٤٦)

، وابن قُتَيْبَةَ (٣٧٦) والتسفي (٤: ٣٢)، ونحوه

الزجاج (٤: ٣١٩).

الضَّحَالَة: فيه ذكر كم، ونظيرتها: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا

إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، الأنبياء: ١٠.

(الطبرسي ١٠: ٥٤٦)

قَتَادَةُ: أي ما ذكر فيه. (الطبرسي ١٠: ٥٤٦)

الْقُشَيْرِيُّ: ذِي الشَّرَفِ، وَشَرَفَهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. (٢٤٥: ٥)

الزَّمَخْشَرِيُّ: ﴿الذِّكْرُ﴾: الشَّرَفُ وَالشَّهْرَةُ مِنْ قَوْلِكَ: فَلَانٌ مَذْكُورٌ، ﴿وَأَلَّهُ لَذِكْرُكُمْ كَلِمَةً وَلَقَوْمِكُمْ﴾ الزُّخْرَفُ: ٤٤، أَوِ الذِّكْرَى وَالْمَوْعِظَةُ، أَوْ ذَكَرَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَغَيْرِهَا، كَأَقْاصِمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ. (٣٥٩: ٣)

نَحْوُهُ أَبُو السُّمُودِ (٣٤٧: ٥)، وَالثَّيْرُوسِيُّ (٣: ٨). الطَّبْرُسِيُّ: قِيلَ: مَعْنَاهُ ذِي الْبَيَانِ الَّذِي يُوَفِّي إِلَى الْحَقِّ، وَيَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ، لِأَنَّهُ فِيهِ ذِكْرُ الْأَدَلَّةِ الَّتِي إِذَا تَذَكَّرَ فِيهَا الْعَاقِلُ عَرَفَ الْحَقَّ عَقْلاً وَشَرْعاً. (٤٦٥: ٤)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: فِي قَوْلِهِ: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ وَجِهَانِ الْأَوَّلِ: الْمُرَادُ ذِي الشَّرَفِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَذِكْرُكُمْ لَكُمْ وَلَقَوْمِكُمْ﴾ الزُّخْرَفُ: ٤٤، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ الْأَنْبِيَاءُ: ١٠١، وَبِجَازِ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ: «لَفَلَانٌ ذَكَرَ فِي الثَّاسِ»، كَمَا يَقُولُونَ: «لَهُ صِيتٌ».

الثَّانِي: ذِي الْبَيَانِ، أَيُّ فِيهِ فَصَحُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، وَفِيهِ بَيَانُ الْعُلُومِ الْأَصْلِيَّةِ وَالْفُرْعَانَةِ، وَبِجَازِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ الْقَمَرُ: ٢٢. (١٧٥: ٢٦)

الْقَرَطِيُّ: الضَّحَّاكُ: ذِي الشَّرَفِ، أَيُّ مَنْ آمَنَ بِهِ كَانَ شَرَفًا لَهُ فِي الدَّارَيْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ الْأَنْبِيَاءُ: ١٠، أَيُّ شَرَفِكُمْ. وَأَيْضًا الْقُرْآنُ شَرِيفٌ فِي نَفْسِهِ، لِإِعْجَازِهِ وَاشْتِمَالِهِ عَلَى مَا لَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ. (١٤٤: ١٥)

الشَّرِيفِيُّ: أَيُّ الْمَوْعِظَةِ وَالتَّذْكِيرِ. (٣٩٩: ٣) سَيِّدُ قُطْبٍ: وَالْقُرْآنُ يَشْتَمِلُ الذِّكْرَ كَمَا يَشْتَمِلُ غَيْرَهُ مِنَ التَّشْرِيعِ وَالْقَصَصِ وَالتَّهْذِيبِ، وَلَكِنَّ الذِّكْرَ وَالْإِتِّجَاهَ إِلَى اللَّهِ هُوَ الْأَوَّلُ، وَهُوَ الْحَقِيقَةُ الْأُولَى فِي هَذَا الْقُرْآنِ، بَلْ إِنَّ التَّشْرِيعَ وَالْقَصَصَ وَغَيْرَهُمَا إِنْ هِيَ إِلَّا بَعْضُ هَذَا الذِّكْرِ.

فَكُلُّهَا تَذَكُّرٌ بِاللهِ وَتَوَجُّهُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى ذِي الذِّكْرِ، أَيُّ الْمَذْكُورِ الْمَشْهُورِ، وَهُوَ وَصَفُ أَصِيلٍ لِلْقُرْآنِ. (٣٠٧: ٥) الطَّبَّاطِبَائِيُّ: الْمُرَادُ بِ﴿الذِّكْرِ﴾: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِتَوْحِيدِهِ، وَمَا يَنْشُرُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَارِفِ الْحَقَّةِ مِنَ الْمَعَادِ وَالْآثَرِ وَغَيْرِهَا. (١٨١: ١٧)

مَكَارِمُ الشَّيْرَازِيِّ: الْقُرْآنُ ذِكْرٌ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى الذِّكْرِ، وَالذِّكْرُ يَعْنِي التَّذْكِيرَ وَصَقْلَ الْقُلُوبِ مِنْ صَدَأِ الْعُتَاهِ، تَذَكُّرُ اللَّهِ، وَتَذَكُّرُ نَعْمِهِ، وَتَذَكُّرُ مُحْكَمَتِهِ الْكُبْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَذَكُّرُ هَدَفِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ. (٤٠٢: ١٤)

١٤- أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَتَذَكَّرُوا عَذَابٌ. ابنُ عَبَّاسٍ: أَخَصَّ بِالثَّبُوتِ وَالْكِتَابِ مِنْ بَيْنِنَا. (٣٨١)

الزُّجَاجُ: أَيُّ كَيْفَ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِنَا؟ (٣٢٢: ٤) نَحْوُهُ الطُّوسِيُّ (٥٤٥: ٨)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ (٧: ١٠٤).

الْبَقَوِيُّ: ﴿الذِّكْرُ﴾ الْقُرْآنُ. (٥٤: ٤)

مثلته الشريفي: (٤٠١: ٣)	السُّدِّي: أَفْضَرِبْ عَنْكُمْ الْعَذَابَ.
وكذلك باقي التفسير	(الطُّبْرِي ١١: ١٦٧)
١٥ أَفْضَرِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْعًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ.	الكَلْبِي: أَفْتَرَكُم سُدًى، لَا تَأْمُرُكُمْ وَلَا تَنْهَاهُمْ؟
الزخرف: ٥	(التَّلْهِي ٨: ٣٢٨)
أَبْنُ عَبَّاسٍ: أَفْرَضَ عَنْكُمْ الْوَحْيَ وَالرَّسُولَ مَا أَهْلُ مَكَّةَ.	الكِسَائِي: أَفْطَوَى عَنْكُمْ الذِّكْرَ طَلًّا، فَلَا تُدْعَوْنَ وَلَا تَوْعَلُونَ؟
أَفْضَرِبْتُمْ أَنْ تَصْفَحَ وَلَمَّا تَفْعَلُونَ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ؟	(التَّلْهِي ٨: ٣٢٨)
(الْمَاوِزِي ٥: ٢١٦)	الطُّبْرِي: اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: أَفْضَرِبْ عَنْكُمْ وَتَسْرِكُمْ أَهْلُهَا الْمُشْرِكُونَ فِيمَا تَحْسِبُونَ، فَلَا تَذْكُرْكُمْ بِعَقَابِنَا مِنْ أَجْلِ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِكُونَ.
أَفْتَمَسَكَ عَنْ عَذَابِكُمْ وَتَسْرِكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ؟	وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَفْتَسْرِكْ تَذْكِيرَكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَلَا تَذْكُرْكُمْ بِهِ، لِأَنَّ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ.
مثلته مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّي: (ابْنُ الْجَوْزِيِّ ٧: ٣٠٣)	وَأَوَّلُ التَّأْوِيلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالْعَوَابِ تَأْوِيلٌ مِنْ تَأْوِيلِ: أَفْضَرِبْ عَنْكُمْ الْعَذَابَ، فَتَسْرِكُمْ وَتَعْرِضُ بَيْنَكُمْ، لِأَنَّ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ لَا تَوْعَلُونَ بِرَبِّكُمْ؟
أَبُو صَالِحٍ: ﴿الذِّكْرُ﴾ هُنَا: الْعَذَابُ نَفْسُهُ.	(ابْنُ عَطِيَّة ٥: ٤٦)
مُجَاهِدٌ: تَكْذِبُونَ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ لَا تَعَاقِبُونَ عَلَيْهِ؟	(الطُّبْرِي ١٢: ١٦٧)
﴿الذِّكْرُ﴾: الْقُرْآنُ.	وَأَمَّا قُلْنَا ذَلِكَ أَوَّلَ التَّأْوِيلَيْنِ بِالْآيَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَتَمَّ ذَلِكَ خَبْرَهُ عَنِ الْأُمَمِ السَّافِلَةِ قَبْلَ الْأُمَمِ الَّتِي تَوَعَّدَهَا بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي تَكْذِيبِهَا رُسُلَهَا، وَمَا أَحْلَى بِهَا مِنْ تَقَمُّعِهِ، فَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَفْضَرِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْعًا﴾ وَعِيدٌ مِنْهُ لِلْمُخَاطَبِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، إِذْ سَلَكُوا فِي التَّكْذِيبِ بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ رُسُلَهُمْ مَسْلَكَ الْمَاضِينَ قَبْلَهُمْ.
مثلته الضحاك: (ابْنُ عَطِيَّة ٥: ٤٦)	(١٦٦: ١١)
مثلته الشريفي: (٥٥٣: ٣)، وَشَبَّ (٥: ٤١٣).	الزَّجَّاجُ: وَالْمَعْنَى: أَفْضَرِبْ عَنْكُمْ ذِكْرَ الْعَذَابِ وَالْعَذَابَ بِأَن أَسْرَفْتُمْ؟ وَالِدَلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى هَذَا وَأَنَّهُ ذِكْرُ الْعَذَابِ قَوْلُهُ: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾
قَتَادَةُ: ﴿الذِّكْرُ﴾: مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَنَهَاَهُمْ صَفْعًا، لَا يَذْكُرْ لَكُمْ مِنْهُ شَيْئًا.	(الطُّبْرِي ١١: ١٦٧)
معناه: أَفْتَمَسَكَ عَنْ إِتْرَالِ الْقُرْآنِ وَتَسْرَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْتُمْ لَا تَوْعَلُونَ بِهِ، فَلَا تُنْزِلُهُ وَلَا تُكْرِرُهُ عَلَيْكُمْ.	مثلته ابْنُ زَيْدٍ: (التَّلْهِي ٨: ٣٢٨)
أن تقطع تذكيركم بالقرآن، وإن كنتم به.	(الْمَاوِزِي ٥: ٢١٦)

ولا ترسل إليكم رسولاً؟ (۳۹: ۵)

الفخر الرازي: اختلفوا في معنى ﴿الذکر﴾، فقيل: معناه: أفترده عنكم ذكر عذاب الله؟ وقيل: أفترده عنكم النصائح والمواعظ؟ وقيل: أفترده عنكم القرآن؟ وهذا استفهام على سبيل الإنكار، يعني إنا لا نترك هذا الإنذار والإنذار بسبب كونكم مسرفين.

(۱۹۵: ۲۷)

الآلوسي: قيل: بل هو ذكر العباد بما فيه صلاحهم، فهو بمعنى المصدر حقيقة. وعن ابن عباس ومجاهد ما يقتضيه. والمعزة للإنكار، والفاء للعطف على محذوف، ويقتضيه على أحد الرأيين في مثل هذا التركيب، أي أنهم لكم فتنحي الذکر عنكم؟

(۶۵: ۲۵)

ابن عاشور: أي اتعجبون أن إعراضكم عما أتذكركم به من الذکر وتذكروا ما تنسوا من الذکر؟ فالتذكير بإزالة شيء آخر من القرآن؟ فلما أرادت إعادة تذكيرهم، وكانوا قد قدم إليهم من التذكير ما فيه هديهم لو تأملوا وتدبروا، وكانت إعادة التذكير لهم موسومة في نظرهم بقلّة الجدوى، بمن لهم أن استمرار إعراضهم لا يكون سبباً في قطع الإرشاد عنهم، لأن الله رحيم بهم، يريد لصلاحهم، لا يصدّه إصرارهم في الإنكار عن زيادة التقدّم إليهم بالمواعظ والهدى.

والاستفهام إنكاري، أي لا يجوز أن تضرب عنكم الذکر صفحاً من جراء إصرافكم. (۲۱۴: ۲۵)

الطباطبائي: المعنى أفنضرب عنكم الذکر

ونعطي لكل الأولين ﴿الزخرف﴾ ۸: (۴: ۴۰۵)

التفاس: أي نهملكم فلا نعترفكم بما يجب عليكم؟ (الماوردي: ۲۱۶: ۵)

الطوسي: معناه: أنعرض عنكم جانباً بإعراضكم عن القرآن، والتذكير له والتفكير فيه؟

(۱۸۱: ۹)

القشيري: أفنقطع عنكم خطابنا وتعريفنا إن أسرفتم في خلافكم؟ لا إنسا لانرفع التكليف بأن خالفتم، ولا نهجركم بقطع الكلام عنكم إن أسرفتم. (۳۶۲: ۵)

الواحدي: المراد ب﴿الذکر﴾ ما هنا القرآن... ومعنى الآية: أفنسل عن إنزال القرآن ونهملكم

فلا نعترفكم ما يجب عليكم، من أجل أنكم أسرفتم في كفركم؟ (۱۱: ۴)

الزحبي: يعني أفنحي عنكم الذکر وتذكروا ما تنسوا من الذکر؟ فالتذكير بإزالة شيء آخر من القرآن؟ فلما أرادت إعادة تذكيرهم، وكانوا قد قدم إليهم من التذكير ما فيه هديهم لو تأملوا وتدبروا، وكانت إعادة التذكير لهم موسومة في نظرهم بقلّة الجدوى، بمن لهم أن استمرار إعراضهم لا يكون سبباً في قطع الإرشاد عنهم، لأن الله رحيم بهم، يريد لصلاحهم، لا يصدّه إصرارهم في الإنكار عن زيادة التقدّم إليهم بالمواعظ والهدى.

فمنضرب عنكم الذکر إنكاراً لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إنزال الكتاب وخلقه قرآناً عربياً، ليقلوه ويعملوا بماوجه. (۴۷۸: ۳)

ابن عطية: ﴿الذکر﴾ هنا الدعاء إلى الله، والتذكير بعذابه والتخويف من عقابه. (۴۶: ۵)

الطبرسي: المراد ب﴿الذکر﴾ هنا: القرآن، أي أفنترك عنكم الوحي صفحاً، فلا تأمركم ولا تنهاكم،

— وهو الكتاب الذي جعلناه قرآنا لتعلموه —  
للإعراض عنكم لكونكم مسرفين، أو أفنصرفه عنكم  
إلى جانب لكونكم مسرفين، أي إنا لا نصرفه عنكم  
لذلك؟ (٨٥: ١٨)

مكارم الشيرازي: أي المحصول عنكم هذا  
القرآن الذي هو أساس التذكرة إلى جانب طرف  
آخر؟ (١٥: ١٦)  
نحوه فضل الله. (٢١٤: ٢٠)

الطوسي: إنما صار الذكر من أجل ما يُدعى  
إليه ويبحث عليه، لأنه طريق العلم، لأن السأهي عن  
الشيء أو عن دليله لا يجوز أن يعلمه في حال شهوة،  
فإذا تذكر الدلائل عليه والطريق المؤدية إليه، فقد  
تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له. (٤٥٠: ٩)  
البهوي: ليتذكر ويعتبر به. (٣٢٤: ٤)  
ابن عطية: ﴿الذكر﴾: الحفظ عن ظهر قلب.  
(٢١٥: ٥)

### الفقر الرازي: فيه وجوه:

الأول: للحفظ، فيمكن حفظه ويسهل، ولم يكن  
شيء من كتب الله تعالى يُحفظ على ظهر القلب غير  
القرآن.  
وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ مَنْ مُدْكِرُ﴾ أي هل من  
يحفظ ويتلوه؟  
الثاني: سهلناه للاعتناء حيث أتينا فيه بكل  
حكمة.

الثالث: جعلناه بحيث يعلق بالقلوب ويُستلذ  
سماعه، ومن لا يفهم يتفهمه، ولا يسأم من سماعه وفهمه،  
ولا يقول: قد علمت فلا أسمعه، بل كل ساعة يزداد منه  
لذة وعلمًا.

الرابع: وهو الأظهر: أن النبي ﷺ لما ذكر بحال  
نوح عليه السلام وكان له معجزة قيل له: إن معجزة القرآن  
﴿وَلَقَدْ يَمُرُّنَا الْقُرْآنُ لِلذِّكْرِ﴾ تذكرة لكل أحد،  
وتتحدث به في العالم، ويقضى على مرور الدهور،  
ولا يحتاج كل من يحضره إلى دعاء ومسألة في إظهار  
معجزة، وبذلك لا ينكر أحد وقوع ما وقع، كما ينكر

١٦ — وَلَقَدْ يَمُرُّنَا الْقُرْآنُ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ.

القر: ١٧

ابن عباس: للحفظ والقرأة والكتابة، ويقال:  
هو تأخر القرآن. (٤٤٩)

سعيد بن جبيرة: يمرناه للحفظ والقرأة، وليس  
شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن.  
(البهوي: ٣٢٤: ٤)

نحوه الواحدي (٤: ٢٠٩)، وابن الجوزي (٨: ٩٤).  
السدي: يمرنا تلاوته على الألسن. (٤٤٦)  
القرءاء: ﴿لِلذِّكْرِ﴾: للحفظ، فليس من كتاب  
يحفظ ظاهراً غيره. (١٠٨: ٣)

نحوه القرطبي.  
ابن قتيبة: أي سهلناه للتلاوة. ولو لذلك، ما  
أطلق العباد أن يلفظوا به، ولا أن يستمعوا له. (٤٣٢)  
الطبري: يقول تعالى ذكره: ولقد سهلنا القرآن،  
يسمونه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر  
ويتخط، وهو هوناء. (٥٥٥: ١١)

ودفع ضرره، وهو الالتماظ والاعتبار. (١٨٢: ٢٧)

الطَّبَاطِبَاتِي: المراد به ﴿الذِّكْر﴾: ذكره تعالى باسمائه أو صفاته أو أفعاله. (٦٩: ١٩)

١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ - وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ. القمر: ١٧، و ٢٢ و ٣٢، و ٤٠

أين عباس: للمحفظ والقراءة. (٤٤٩)

الفَخْرُ الرَّازِي: التَّكْرِيرُ لِلتَّحْقِيرِ. (٤٨: ٢٩)

الشَّرِيفِي: كَرَّرَهُ إِذَا نَأَى بِأَنْ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ مَعَ

إِعْجَازِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعِظَةِ ثَلَاثِ قَوِي الْبُشْرِ وَ تَعَجُّزِ

عَنْهَا مِنْهُمْ الْقُدْرُ. (١٤٧: ٤)

فَضَّلَ اللَّهُ: لِيَذْكُرَ النَّاسُ مِنْ خِلَالِ الْعَبْرِ

الْقَارِئُ حَتَّى آتِي مُطْعَمِي الْإِنْسَانَ بِرُؤْيَا مُسْتَهْلِكَةٍ فِي

حَنَانِهِ. (٢٨٧: ٢١)

الذِّكْرُ غَلِيظٌ مِنْ بَيْنَايَلٍ هُوَ كَذَابٌ

أَخِيرُ. القمر: ٢٥

أين عباس: أخص بالثبوت. (٤٤٩)

الطَّبَرِي: يَتَوَنَّنُ بِذَلِكَ: أَنْزَلَ الْوَحْيَ «حُصْنٌ

بِالْثَّبُوتِ مِنْ بَيْنَا وَهُوَ وَاحِدٌ مَثَلًا. إِنْكَارًا مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ

لِلَّهِ يُرْسِلُ رَسُولًا مِنْ بَنِي آدَمَ. (٥٥٩: ١١)

نَحْوَهُ الطَّبَرِسِيُّ (١٩١: ٥)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ (٨:

٩٧)، وَالتَّنْفِي (٢٠٤: ٤).

التَّعْلِي: أَنْزَلَ الْوَحْيَ؟. (١٦٧: ٩)

نَحْوَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ (٣٩: ٤)، وَالشَّرِيفِيُّ (١٤٨: ٤).

أَيْنَ عَطِيَّةٍ: ﴿الذِّكْر﴾ هُنَا: الرِّسَالَةُ، وَمَا يُمْكِنُ أَنْ

جَاءَ مِنْهَا مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ. (٢١٧: ٥)

الْبَعْضُ انْتِشَاقُ الْقَمَرِ. (٤٢: ٢٩)

الْأَيْسَابُورِي: سَهْلَانَهُ لِلذِّكَارِ وَالْإِثْمَاطِ، بِسَبَبِ

الْمَوَاطِظِ الشَّافِيَةِ وَالْبَيِّنَاتِ الْوَاقِيَةِ.

وَقِيلَ: لِلْحَقِّقِ. وَالْأَوَّلُ أَنْسَبُ بِالْمَقَامِ، وَإِنْ رُوِيَ

أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَحْفُوظًا عَلَى ظَهْرِ الْقَلْبِ

سِوَى الْقُرْآنِ.

سُئِلَ: مَا الْحِكْمَةُ فِي تَكَرُّرِ مَا كُرِّرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ

مِنَ الْآيِ؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّ فَائِدَتَهُ تَجْدِيدُ التَّنْبِيهِ عَلَى الْآذِكَارِ

وَالْإِثْمَاطِ، وَالتَّوْقِيفِ عَلَى تَعْدِيدِ الْأَسْمِ السَّافَةِ

لِيَتَبَيَّنَ بِمَجَالِهِمْ، وَطَلَا فَرَعَتِ الْعَصَا لِذَوِي الْحِلْمِ

وَأَصْحَابِ الْإِهْمِ، وَهَكَذَا حَكَمَ التَّكْرِيرُ فِي سُورَةِ

الرَّحْمَانِ عِنْدَ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَفِي سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ هُنَا

عِندَ كُلِّ آيَةٍ، لَتَكُونَ مَصُورَةً لِلْآذِهَانِ، مَحْفُوظَةً فِي كُلِّ

أَوَانٍ. (٥٢: ٢٩١)

الشَّرِيفِي: ﴿الذِّكْر﴾ أَيُّ الْإِثْمَاطِ وَالذِّكْرِ

وَالْقُدْرُ وَالْفَهْمِ وَالْقَشْرِيفِ، وَالْمَحْفُظُ لِمَنْ يَرَاعِيهِ. (١٤٦: ٤)

أَبُو السُّعُودِ: أَيُّ لِلذِّكْرِ وَالْإِثْمَاطِ. (١٦٨: ٦)

مِثْلُهُ الْبُرُوسِيُّ (٢٧٤: ٩)، وَالْأَلُوسِيُّ (٢٧:

٨٤)، وَتَثْنِيَّةُ (١٩٣: ٧).

شُبْرُ: سَهْلَانَهُ وَهَيَّأَهُ لِلذِّكَارِ وَالْإِثْمَاطِ، أَوْ

لِلْحَقِّقِ. (١١٨: ٦)

أَيْنَ عَاشُورَ: ﴿الذِّكْر﴾: مَصْدَرُ ذَكَرَ، الَّذِي هُوَ

التَّذْكُرُ الْعَقْلِيَّ لَا اللَّسَانِيَّ، وَالَّذِي يَرَادُفُهُ «الذِّكْر» بِضَمِّ

الذَّالِ اسْمًا لِلْمَصْدَرِ، فَالذِّكْرُ هُوَ تَذْكُرُ مَا فِي تَذْكُرِهِ تَضَعُ

الْبُرُوسِيُّ: أي الكتاب والوحي. (٢٧٧: ٩)

مثله شبر. (١١٩: ٦)

سيد قطب: أي الوحي، وما يحمله من توجهات للتذكّر والتدبّر، ماذا في هذا الاختيار لعبد من عباد، يعلم منه تهوّه واستعداده، وهو خالق الخلق، وهو منزل الذكر؟ إنها شبهة واهية لا تقوم إلا في النفوس المنحرفة، النفوس التي لا تريد أن تنظر في الدعوى، لترى مقدار ما فيها من الحق والصدق، ولكن إلى الداعية تستكبر عن اتباع فرد من البشر، مخافة أن يكون في اتباعها له إضرار له تعظيم، وهي تستكبر عن الإذعان والتسليم. (٣٤٣٢: ٦)

(٢٩٥: ٣)

الْقَرَاء: بشرفهم. (٢٣٩: ٢)

مثله ابن قتيبة. (٢٩٩)

الطبري: اختلف أهل التأويل في تأويل «الذكر» في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل أتيناهم بشرفهم؛ وذلك أن هذا القرآن كان شرفاً لهم، لأنه نزل على رجل منهم، فأعرضوا عنه وكفروا به. وقالوا: ذلك نظير قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الزخرف: ١٤.

وهذان القولان متقاربان المعنى؛ وذلك أن الله جلّ ثناؤه أنزل هذا القرآن بيّناً بين فيه ما خلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسوله ﷺ والرسول ﷺ لهم. (٢٣٤: ٩)

نحوه الشعر الرازي (١١٢: ٢٣)، وأبو السعود (٤: ٤٢٦).

الزجاج: أي بما فيه فخرهم وشرفهم. ويجوز أن يكون ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ أي بالذكر الذي فيه حظهم لو البعوه. (١٩: ٤)

الشعبي: بيّانهم وشرفهم يعني القرآن. (٥٢: ٧) الماوردي: فيه وجهان: [إلى أن قال:]

ويحتمل ثالثاً: بذكر ما عليهم من طاعة، ولهم من جزاء. (٦٣: ٤)

البهوي: بما يذكّرهم... ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ﴾ يعني عن شرفهم. (٣٧١: ٣)

### ذِكْرِهِمْ

٢، ١ سَوَّلُوا لِمَنْ أَحَقُّ أَهْوَاءِهِمْ لِقَدْ تَرَكُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ.

ابن عباس: أنزلنا جبرئيل إلى نبيهم بالقرآن، فيه عزهم وشرفهم، ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ﴾ عن شرفهم وعزهم. (٢٨٩)

نحوه المراغي: يتناهم. (٤٢: ١٨) (الطبري: ٢٣٤: ٩)

عني بيان الحق لهم. (الماوردي: ٦٣: ٤) قتادة: فهم عن القرآن معرضون.

(الماوردي: ٦٣: ٤) السدي: بما فيه شرفهم وعزهم. (٣٥٩)

مثله التودري (الماوردي: ٦٣: ٤)، ونحوه الواحدي

الزَّمَنُ شَرِيٌّ: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ أي بالكسب الذي هو ذكرهم، أي وعظهم أو صيتهم وفخرهم. أو بالذكر الذي كانوا يتمنونونه، ويقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الصافات: ١٦٨، ١٦٩، وقرئ: ﴿يَذْكُرَاهُمْ﴾. (٣٧: ٣)  
مثله البضاوي (٢: ١١١)، ونحوه التلوي (٣: ١٢٤)، والثيسابوري (١٨: ٣١)، والشريفي (٢: ٥٨٦)، والكاشاني (٣: ٤٠٥).

الطبرسي: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ أي بما فيه شرفهم وفخرهم، لأن الرسول ﷺ منهم، والقرآن نزل بلسانهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ﴾ أي شرفهم. (٤: ١١٢)  
ابن الجوزي: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ أي بما فيه شرفهم وفخرهم، وهو القرآن ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مَعْرُضُونَ﴾ أي قد تولوا عما جاءهم من شرف الدنيا والآخرة.

وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو جهم: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾، وأبو الجوزاء: ﴿يَلْ أَتَيْنَاهُمْ يَذْكُرَاهُمْ﴾ ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرَاهُمْ مَعْرُضُونَ﴾ بألف فيهما. (٥: ٤٨٤)  
البروسوي: والمراد بالذكر: القرآن الذي فيه فخرهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الزخرف: ٤٤، أي شرف لك ولقومك. والمعنى: بل أتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل إقبال.

وفي «التأويلات التجميعية»: ﴿يَلْ أَتَيْنَاهُمْ﴾ بما فيه لهم صلاح في الحال وذكر في المآل. ﴿فَهُمْ﴾ بسوء اختيارهم ﴿عَنْ ذِكْرِهِمْ﴾ عن صلاح حالهم وشرف ما لهم. (٦: ٩٥)

نحوه الألوسي: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ أي بالكسب الذي هو شرفهم أو وعظهم. (١٨: ٥٣)  
سيد قطب: وقد ظلت أمة العرب لا تذكر لها في تاريخ العالم حتى جاءها الإسلام، وقد ظل ذكرها يدوي في آذان القرون طالما كانت به مستسكة. وقد تضاعف ذكرها عند ما تحللت عنه، فلم تُقد في العير ولا في الثدير، ولن يقوم لها ذكر إلا يوم أن تضيء إلى عنوانها الكبير. (٤: ٢٤٧٥)

ابن عاشور: الذكر يجوز أن يكون مصدراً بمعنى التذكير، ويجوز أن يكون اسماً للكلام الذي يُذكر كإسمه بما غفل عنه، وهو شأن الكتب المرتبثة. وإضافة «الذكر» إلى ضمير (هم) لفظية من الإضافة إلى مفعول المصدر.

والجاء في إعراضهم على الإتيان بالذكر إليهم، أي فطرح على الإرسال إليهم بالذكر إعراضهم عنه، والمعنى أرسلنا إليهم القرآن لئلا يذكروهم.

وقيل: إضافة «الذكر» إلى ضمير (هم) معنوية، أي الذكر الذي سألوه حين كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الصافات: ١٦٨، ١٦٩، فيكون الذكر على هذا مصدراً بمعنى الفاعل، أي ما يذكرون به.

واقفاء على هذا الوجه فاء فصيحة، أي فها قد أعطيناهم كتاباً فاعرضوا عن ذكرهم الذي سألوه، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي من رسل قبل محمد ﷺ، ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾



الصفات: ١٦٨، ١٦٩. [ثم استشهد بشعر] (١٨: ٧٧)

مَهْنِيَّة: أتى محمد ﷺ العرب بعامة، وبالخصوص قريشاً، أتاهم بذكرهم، أي بسلطانهم ومجدهم وتاريخهم، فأنكروهم، بل قاوموه «حاربوه» ولولا، لم يكونوا شيئاً مذكوراً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكُم وَلِقَوْمِكُمْ﴾ الزخرف: ٤٤. (٥: ٣٨٠)

الطَّبَاطِبَائِي: لا ريب أن المراد بالذكر هو القرآن، كما قال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ الأنبياء: ٥٠. وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكُم وَلِقَوْمِكُمْ﴾ الزخرف: ٤٤، إلى غير ذلك من الآيات. ولعل التعبير عنه بالذكر بعد قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ نوع مقابلة لفوهم: ﴿يَسَاءَ يُسَاءَ الَّذِي كُذِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْتَبِيٌّ﴾ الحجر: ٦.

وكيف كان فقد سمي ذكراً لأنه يذكّرهم بالله، أو يذكّرهم دين الله من الاعتقاد الحق والعمل الصالح. والثاني أوفق لصدر الآية بما تقدم من معناه، أي التذكير، أضيف إليهم لأن الذين أعني الدعوة الحقّة مختلفة بالنسبة إلى الناس بالإجمال والتفصيل، والذي يذكّره القرآن آخر مراحل التفصيل، لكون شريعته آخر الشرائع.

والمعنى: لم يتبع الحق أهواءهم، بل جئناهم بكتاب يذكّرهم أو يذكرون به دينهم الذي يختص بهم، ويتفرع عليه أنهم عن دينهم الخاص بهم معرضون.

وقال كثير منهم: إن إضافة الذكر إليهم للتشريف. نظير قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكُم وَلِقَوْمِكُمْ﴾ وَمَوْفٍ كُتِبُوا ﷻ الزخرف: ٤٤. والمعنى: بل أتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم أن يقبلوا

عليه أكمل إقبال، فهم بما فعلوه من الكصوص عن فخرهم وشرفهم أنفسهم معرضون.

وفيه أنه لا ريب في أن القرآن الكريم شرف للنبي ﷺ إذ أنزل عليه ولأهل بيته إذ نزل في بيتهم، وللعرب إذ نزل بلغتهم، وللأمة إذ نزل لهدايتهم. غير أن الإضافة في الآية ليست لهذه العناية، بل لصناية اختصاص هذا الدين بهذه الأمة، وهو الأوفق لصدر الآية بالمعنى الذي تقدمت الإشارة إليه.

(١٥: ٤٧)

مكارم الشيرازي: أي منعناهم القرآن الذي هو أساس للذكر والتوجه إلى الله، وسبب لرفعتهم وشرفهم، إلا أنهم أمرضوا عن هذا المنار الذي يضيء لهم أبواب السعادة والشرف. (١٠: ٤٢٦)

فضل الله: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ وهو القرآن الذي يذكّرهم بالحقائق التي تفتح عقولهم على ما غفلوا عنه من عناصر الهدى، وتذكّرهم ما نسوه من قواعد التجارة والتجّاح. وقد نسب الذكر إليهم باعتبار أن هدف حركته في الواقع هو تذكيرهم ليكونوا القاعدة الإيمانية للمستقبل، باعتبارهم أوّل من تحركت الدعوة إليهم بالإسلام، في وقت غفلوا فيه عن الحق ونسوا قواعد التجارة. (١٦: ١٧٥)

ذُكِّرَ

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ. الانشراح: ٤

راجع: رف ع: «رَفَعْنَا».

## ذِكْرُكُمْ

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

الأنبياء: ١٠

أين عباس: شرفكم وعزكم إن آمنتم به. (٢٦٩)

مجاهيد: فيه حديثكم. (الطبري ٩: ٨)

الحسن: معناه: فيه ما تحتاجون إليه من أمر

دينكم. (الطوسي ٧: ٢٢٣)

السدي: فيه ذكر ما تفتنون به، وأمر آخرتكم

ودنياكم. (٣٥٠)

الثوري: نزل القرآن بمكارم الأخلاق، ألم تسمعه

يقول: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. (الطبري ٩: ٨)

مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم.

(الماوردي ٣: ٤٣٩)

القرطبي: شرفكم.

مثله ابن قتيبة.

الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك.

فقال بعضهم: معناه: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم.

فيه حديثكم.

وقال آخرون: بل معنى «الذكر» في هذا الموضع:

الشرف، وقالوا: معنى الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتابا

فيه شرفكم.

وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة، وهو نحو ما

قال سفيان الذي حكينا عنه؛ وذلك أنه شرف لمن

أنعمه وعمل بما فيه. (٩: ٨)

الزجاج: أي فيه تذكرة لكم بما تلقونه من رحمة

أو عذاب، كما قال عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُ لِمَذْكَرٌ

مَذْذَرٌ: ٥٤، وقد قيل: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: فيه شرفكم.

(٣: ٣٨٥)

الرقماني: شرفكم إن تمسكتم به وعملتكم بما فيه.

(الماوردي ٣: ٤٣٩)

الماوردي: فيه خمسة تأويلات: [إلى أن قال:]

الرابع: ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم.

الخامس: العمل بما فيه حياتكم، قاله سهل بن عبد

الله. (٣: ٤٣٩)

القشيري: أي شرفكم ومحلكم، فمن استبصر بما

فيه من التورس سعد في دنياه وآخرته. (٤: ١٦٧)

الواحدي: يريد فيه شرفكم. كقوله: ﴿وَإِلَهُ

لَذِكْرُكُمْ ذَلِكَ وَلَقُومِكُمْ﴾ الزخرف: ٤٤، وذلك أنه كتاب

عربي بلغة قريش. (٣: ٢٣١)

نحوه البهوي.

الزمخشري: ﴿ذِكْرُكُمْ﴾: شرفكم وصيبتكم.

كما قال: ﴿وَإِلَهُ لَذِكْرُكُمْ ذَلِكَ وَلَقُومِكُمْ﴾ الزخرف: ٤٤،

أو موعظتكم، أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم

تطلبون بها الثناء، أو حسن الذكر كحسن الجوار

والوفاء بالعهد وصديق الحديث وأداء الأمانة

والسخاء، وما أشبه ذلك. (٢: ٥٦٤)

نحوه التيساوي.

أين عطية: يحتمل أن يكون في الذكر الذي أنزل

الله تعالى إليكم بأمر دينكم وآخرتكم ونجاتكم من

عذابه، فأضاف «الذكر» إليهم حيث هو في أمرهم.

ويحتمل أن يريد فيه شرفكم وذكركم. (٤: ٧٥)

الطبرسي: أي فيه شرفكم إن تمسكتم به، كقوله:  
﴿وَإِلَهُ لَذِكْرُكَ لَكَ وَبِقَوْمِكَ﴾ الزخرف: ٤٤.

وقيل: هو خطاب للعرب، لأنه أنزل القرآن  
بلغتهم. وقيل: هو خطاب لجميع المؤمنين، لأن فيه  
شرفاً للمؤمنين كلهم. (٤: ٤٠)

الفخر الرازي: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ﴿ذِكْرُكُمْ﴾: شرفكم وصيتكم، كما قال:  
﴿وَإِلَهُ لَذِكْرُكَ لَكَ وَبِقَوْمِكَ﴾ الزخرف: ٤٤.

ثانيها: المراد فيه تذكرة لكم لتحذروا ما لا يحل  
ترغبوا فيما يجب، ويكون المراد بالذكر: الوعد  
والوعيد، كما قال: ﴿وَذِكْرُ قَبْلِ الذِّكْرِ يُثَقِّعُ  
الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات: ٥٥.

وثالثها: المراد: ذكر دينكم ما يلزم وما لا يلزم  
لتفوزوا بالجنة إذا تمسكتم به، وكل ذلك محتمل.

(١٤٥: ٢٢)

نحوه الشريف:

القرطبي: المراد بالذكر هنا: الشرف، أي فيه  
شرفكم، مثل: ﴿وَإِلَهُ لَذِكْرُكَ لَكَ وَبِقَوْمِكَ﴾ الزخرف:  
٤٤. [ثم ذكر بعض الأقوال وأضاف:]

قلت: وهذه الأقوال بمعنى، والأول بعتهاء؛ إذ هي  
شرف كلها، والكتاب شرف لتبينا ﷺ، لأنه معجزته،  
وهو شرف لنا إن عملنا بما فيه، دليله قوله ﷺ:  
«القرآن حجة لك أو عليك» (٢٧٣: ١١)

الثماني: شرفكم إن عملتم به، أو لأنه بلسانكم،  
أو فيه موعظتكم، أو فيه ذكر دينكم ودنياكم، والجملة  
أي ﴿فَبِهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صفة له ﴿كِتَابًا﴾. (٧٣: ٣)

نحوه الشريف:  
أبو حنبلان: قيل: تذكرة لتحذروا ما لا يحل،  
وترغبوا فيما يجب.

وقال صاحب «التحرير»: الذي يقتضيه سياق  
الآيات أن المعنى: فيه ذكر مشاتتكم ومثاليكم، وما  
عاملهم به أنبياء الله من التكذيب والعناد، فعلى هذا  
تكون الآية ذمّاً لهم وليست من تعداد النعم عليهم،  
ويكون الكلام على سياقه، ويكون معنى قوله: ﴿هَلْ  
هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾ الأنبياء: ٣، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾  
إنكاراً عليهم على إصاهاهم التدبر والتفكير المؤذنين  
إلى اقتضاء الغفلة. (٢٩٩: ٦)

أبو السعود: ﴿فَبِهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صفة له ﴿كِتَابًا﴾  
مؤكدة لما أفاده التذكير التلخيصي من كونه جليل  
للقطوع بأنه جميل الآثار، مستجلب لهم منافع جليلة،  
أي فيه شرفكم وصيتكم، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَهُ لَذِكْرُ  
لَكَ وَبِقَوْمِكَ﴾ الزخرف: ٤٤.

وقيل: ما تحتاجون إليه في أمور دينكم ودنياكم،  
وقيل: ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق،  
وقيل: فيه موعظتكم، وهو الأنسب بسباق السظم  
الكريم وسياقه.

فإن قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ إنكار توبيخي  
فيه بحث لهم على التدبر في أمر الكتاب، والتأمل فيما  
في تضاعفه من فنون المواعظ والزواجر التي من  
جملتها الفوارع السابقة واللاحقة.

والقاء للعطف على مقدّر ينسحب عليه الكلام،  
أي ألا تتفكرون فلا تعلمون أن الأمر كذلك؟ أو

لا تعقلون شيئاً من الأشياء التي من جعلها ما ذكر.

(٤: ٣٢٦)

نحوه الآلوسي.

المراغي: أي ولقد آتيناكم كتاباً فيه عظمتكم بما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق، وفاضل الآداب، وسديد الشرائع والأحكام، بما فيه سعادة البشر في حياتهم الدنيوية والأخروية. (١٧: ١١)

سيد قطب: ولقد كان به ذكر العرب ومجدهم، حين حملوا رسالته فشرعوا بها وغربوا. فلم يكن لهم قبله ذكر، ولم يكن معهم ما يطلونه للبشرية. فحرفه هم وتذكرهم به. ولقد ظلت البشرية تذكرهم ترفهم طالما استمسكوا بهذا الكتاب، وقادوا به البشرية قروناً طويلة، فسعدوا وسعدت بما معهم من ذلك الكتاب. حتى إذا تخلوا عنه تخلت عنهم البشرية، وانحطت فيها ذكركم، وصاروا ذليلاً للفاقة. يتخطون الناس، وكانوا بكتابتهم يتخطون الناس من حولهم وهم آمنون.

وما يملك العرب من زاد يقدمونه للبشرية سوى هذا الزاد، وما يملكون من فكرة تقدمونها للإنسانية سوى هذه الفكرة. فإن تقدموا للبشرية بكتابتهم ذلك، عرفتهم وذكرتهم ورفعتهم، لأنها تجد عندهم ما تنفع به. فأمّا إذا تقدموا إليها عرباً فحسب بجنسية العرب، فما هم؟ وما ذلك؟ وما قيمة هذا التسبب بغير هذا الكتاب؟ إن البشرية لم تعرفهم إلا بكتابتهم وعقيدتهم وسلوكهم المستمد من ذلك الكتاب، وهذه العقيدة.

لم تعرفهم لأنهم عرب فحسب، فذلك لا يساوي

شيئاً في تاريخ البشرية، ولا مدلول له في معجم الحضارة! إنما عرفتهم لأنهم يحملون حضارة الإسلام ومثله وفكرته. وهذا أمر له مدلوله في تاريخ البشرية ومعجم الحضارة. ذلك ما كان يشير إليه القرآن الكريم، وهو يقول للمعركين، الذين كانوا يواجهون كل جديد يأتيهم منه باللهو والإعراض والغفلة والكذب: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا إِيَّكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. (٤: ٢٣٧)

ابن عاشور: الذكر يطلق على التذكير بما فيه الصلاح، ويطلق على السحرة والصيت، كقوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ غِنًى ذِكْرُنَا﴾ مريم: ٢. وقد أوشر هذا المصدر هنا وجعل مرفقاً بالإضافة إلى ضمير المخاطبين، ليكون كلاماً موجهاً، فيصح قصد المعنيين. كما أن كلمة «الذكر» بأن يجيء القرآن مشتملاً على أعظم الهدى، وهو تذكير لهم بما به نهاية إصلاحهم، وبجنته بلفتهم، وفي قومهم، وبواسطة واحد منهم، حجة عظيمة لهم، كما قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء: ١٩٥. وقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ البقرة: ١٥١. (١٧: ١٧)

الطباطبائي: امتنان منه تعالى بإزالة القرآن على هذه الأمة، فالمراد بـ «ذكرهم»: الذكر المخصص بهم اللائق بحالهم، وهو آخر ما تسعه حوصلة الإنسان من المعارف الحقيقية العالية، وأقوم ما يمكن أن يجري في المجتمع البشري من الشريعة المنيفّة، والمخاطب لجميع الأمة.

وقيل: المراد بالذكر: الشرف، والمعنى: فيه شرفكم

إن تحسبكم به لذكرون به، كما فسر به قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَذِكْرُكُمْ أَكْبَرُ لَكُم وَلِقَوْمِكُمْ﴾ والخطاب لجميع المؤمنين أو للعرب خاصة، لأن القرآن إنما نزل بلغتهم، وفيه بقدر.

عهد الكريم الخطيب: في قوله تعالى: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ تحريض العرب على أن ينشدوا الهدى من هذا الكتاب، ويستظلوا بظله، ففى هذا عزهم، ومجدهم، وخلود ذكرهم في العالمين.

وفي هذا أيضًا إشارة إلى ما يكشف عنه المستطيل من موقف قريش والعرب، من الدعوى الإسلامية، وأنهم جميعًا سيدخلون في دين الله، وسيبقى ذكر العرب خالدًا ما ذكر الإسلام الخالد.

فالعرب كما في المأثور، هم: «مادة الإسلام» وجاهدهم في سبيل الله امتد ظل الإسلام، واستشعرت رفته، وطرقت أعلامه في كل أفق من آفاق الدنيا (٨٥٢: ٩).

مكارم الشيرازي: لقد اختلف المفسرون في معنى كلمة ﴿ذِكْرُكُمْ﴾ في الآية آفة الذكر، وذكرها تفاسير مختلفة.

فذهب بعضهم: إلى أن المراد هو أن آيات القرآن منبع الوعي والتذكر بين أفراد المجتمع، كما يقول القرآن في موضع آخر: ﴿لَذِكْرُكُمْ أَكْبَرُ أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ لَا تَخْشَوْنَ﴾ (٤٥: ٤٥).

وقال آخرون: إن المراد أن هذا القرآن سيرفع اسمكم ومكانتكم في الدنيا، أي إنه أساس عزكم وشرفكم أيها المؤمنون والمسلمون، أو أنتم أيها العرب

الذين نزل القرآن بلسانكم، وإذا أخذ منكم فسوف لا يكون لكم اسم ولا رسم في العالم.

والبعض الآخر قالوا: إن المقصود هو أنه قد ذكر في هذا القرآن كل ما تحتاجون إليه في أمور الدين والدنيا، أو في مجال مكارم الأخلاق.

وبالرغم من أن هذه التفسيرات لا يشافي بعضها بعضًا، ويمكن أن تكون مجتمعة في تعبير ﴿ذِكْرُكُمْ﴾ إلا أن التفسير الأول يبدو هو الأظهر.

فإن قيل: كيف يكون هذا القرآن أساس الوعي واليقظة، في حين أن كثيرًا من المشركين قد سمعوه فلم ينتبهوا؟

قلنا: إن كون القرآن موقظًا ومنتبهًا لا يعني إجباره الناس على هذا الوعي، بل إن الوعي مشروط بأن يربط الإنسان ويصمم، وأن يفتح نوافذ قلبه أمام القرآن (١١٧: ١٠).

### ذِكْرِي

١ سَأَلِ الَّذِينَ كَانَتْ أُعْيَاهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا. (الكهف: ١٠١)

ابن عباس: عن توحيدي وكتابي. (٢٥٢: ٢٥٢)

عما جاء به محمد ﷺ من البينات والهدى. (الواحد: ٣: ١٦٩)

التعلي: يعني الإيمان والقرآن. (٢٠٠: ٦)

المأوردي: يحتمل وجهين: أحدهما: عن تذكر الانظام.

الثاني: غفلوا عن الاعتبار بقدرته الموجبة لذكره. (٣٤٦: ٣)

وإرادة السبب، وفيه أن من لم ينظر نظراً يؤدّي به إلى ذكر التعظيم، كأنه لا ينظر له البتة، وهذا فائدة اقتجوز. وقيل: الكلام على حذف مضاف، أي عن آيات ذكرى، وليس بذلك، ويجوز أن يكون المراد بالأعين: البصائر القلبية، والمعنى: كانت بصائرهم في غطاء عن أن يذكروني على وجه يليق بشأني، أو عن ذكرى الذي أنزلته على الأنبياء ﷺ. ويجوز أن يخصّ بالقرآن الكريم. (٤٥: ١٦)

٢- وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. طه: ١٤  
التي ﷻ: من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها، إن لله سبحانه يقول: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي). (التعليق: ٦: ٢٤١)  
نحو الإمام الباقر ﷺ. (الطبرسي: ٤: ٥)  
أبو حنيفة: لو نسيت صلاة فصلها حين ذكرتها. (٢٦٠)  
التعظيم: يصلها حين يذكرها. (الطبرسي: ٨: ٤٠١)  
مجاهد: إذا صلى ذكرته. (الطبرسي: ٨: ٤٠٠)  
أي لتذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم. مثله الحسن. (الطوسي: ٧: ١٦٥)  
مقاتل: يقول: لتذكرني بها يا موسى. (٢٣: ٣)  
إذا تركت الصلاة ثم ذكرتها فأقمها. (التعليق: ٦: ٢٤٠)  
القراء: ويقرأ: (لِذِكْرِي) بالألف، فمن قال: (ذِكْرِي) فجعلها بالألف، كان على جهة التذكير. وإن

الواحد: عن آيات الله تعالى وأدلة توحيده. (١٦٩: ٣)  
البقوي: عن الإيمان والقرآن، وعن الهدى والبيان، وقيل: عن رؤية الدلائل. (٢٢٠: ٣)  
الزمخشري: عن آيات التي ينظر إليها أذكر بالتعظيم، أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها. (٥٠٠: ٢)  
نحوه التيساوي (٢٦: ٢)، والتسفي (٢٦: ٣)، وأبو حنيفة (١٦٥: ٦).

ابن الجوزي: أي عن توحيدي والإيمان بي وبكتابي. (١٩٦: ٥)  
ابن عربي: أي محبوبة عن آياتي، وتجليات صفاتي، الموجبة لذكرى. (٧٧٩: ١)  
القرطبي: دلائل الله تعالى. (١١: ٦٥)  
الشريفي: أي عن القرآن، فهم لا يفتكرون به. (١١: ٦٥)  
وعمّا جعلنا على الأرض من زينة، دليلاً على الساعة بإفنائهم ثم إحيائهم وإعادة بعد إبدادهم. (٤٠٩: ٢)  
أبو السعود: عن الآيات المؤدية لأولي الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكرى بالتوحيد والتعظيم، أو كانت أعين بصائرهم في غطاء عن ذكرى على وجه يليق بشأني، أو عن القرآن الكريم. (٢١٩: ٤)  
نحوه البروسوي. (٣٠٢: ٥)  
الكاشاني: عن آياتي والتفكر فيها. (٢٦٦: ٣)  
الآلوسي: عن الآيات المؤدية لأولي الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكرى بالتوحيد والتعظيم، فالذكر مجاز عن الآيات المذكورة، من باب إطلاق المسبب

شئت جعلتها ياء إضافة، حُوِّلت ألفاً لرؤوس الآيات.  
[ثم استشهد بشعر]

والعرب تقول: ياها وأما، يريدون: يا أبي وأمي،  
ومثله: ﴿يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ﴾ المائدة: ٣٦، وإن شئت  
جعلتها ياء إضافة، وإن شئت ياء كذبة و﴿يَا خُشْرَى﴾  
على ما قرأْتُ في جنب الله كما الزمر: ٥٦. (٢: ١٧٦)  
ابن قتيبة: أي لتذكرني فيها. (٢٧٧)

الطبري: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك،  
فقال بعضهم: معنى ذلك: أقم الصلاة لي، فإليك إذا  
أقمتها ذكرتنى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأقم الصلاة حين  
تذكرها. وكان الزهري يقرؤها: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ  
لِذِكْرِي) بمسألة «فعلى».

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من  
قال: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها، لأن ذلك أظهر  
معنيته، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل:  
أقم الصلاة لتذكركها. وفي قوله: ﴿لِذِكْرِي﴾ دلالة  
بيّنة على صحة ما قال مجاهد في تأويل ذلك.

ولو كانت القراءة التي ذكرناها عن الزهري قراءة  
مستفيضة في قراءة الأمصار، كان صحيحاً تأويل من  
تأوله بمعنى: أقم الصلاة حين تذكرها، وذلك أن  
الزهري وجه بقراءته (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) بالالف  
لأنها إضافة، إلى أقم لتذكرها، لأن الهاء والألف  
حذفتا، وهما مرادتان في الكلام، ليوفق بينها وبين  
سائر رؤوس الآيات، إذ كانت ياء الألف والفتح.

«لو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرنا

عنه، إنما قصد الزهري بفتحها تصديره الإضافة ألفاً،  
للتوفيق بينه وبين رؤوس الآيات قبله وبعده، لأنه  
خالف بقراءته ذلك، كذلك من قرأه بالإضافة. [ثم  
استشهد بشعر]

وكقول العرب: يا أها وأما، وهي تريد: يا أبي  
وأمي، كان له بذلك مقال. (٨: ٤٠٠)

الزجاج: هذا على معنيين:

أحدهما: أقم الصلاة لأن تذكرني، لأن الصلاة  
لا تكون إلا بذكر الله.

والمعنى الثاني: هو الذي عليه الناس، ومعناه: أقم  
الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة، كنت في وقتها أو  
لم تكن، لأن الله عز وجل لا يؤاخذنا إن نسينا ما  
لم نتعهد الأشياء التي تنفل وتلهي عن الصلاة. ولو  
ذكرنا أن عليك صلاة في وقت طلوع الشمس أو  
غروبها، لم يوجب أن يصليها. وقرئت: (لِذِكْرِي)،  
معناه: في وقت ذكرك. (٣: ٣٥٢)

أبو مسلم الأصفهاني: إن معناه: صل لي  
ولا تصل لغيري، كما يصله المشركون.

(الطبرسي: ٤: ٥)  
القسي: إذا نسيتها ثم ذكرت لها فصلها. (٢: ٦٠)  
الماوردي: فيه ثلاث تأويلات: [١] أن قال:  
الثاني: وأقم الصلاة بذكرك، لأنه لا يدخل في  
الصلاة إلا بذكرك. (٣: ٣٩٧)

الطوسي: ... وقيل: معناه: لأن أذكرك بالمدح  
والثناء. وقيل: المعنى: متى ذكرت أن عليك صلاة كنت  
في وقتها أو فات وقتها، فأقمها.

وقرى بفتح الراء، قال أبو علي: يحتمل أن يكون قلب الكسرة فتحة مع ياء الإضافة. (١٦٥: ٧)

الواحد: أي أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة كنت في وقتها أو لم تكن. هذا قول عامة المفسرين. (٢٠٢: ٣)

الزَّامُ خَشْرِي: لتذكرني، فإن ذكرني أن أعبد، ويصلي لي.

أو لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار. أو لأنني ذكرتها في الكتب وأمرت بها. أو لأن أذكرك بالمدح والتناء وأجمل لك لسان صدق.

أو ذكرني خاصة لاتشوبه بذكر غيري. أو لإخلاص ذكرني وطلب وجهي. لا إرائي بها ولا تقصدها غرضاً آخر.

أو لتكون لي ذكراً غير فاس فصل المخلصين في الدنيا جعلهم ذكر ربهم على بال منهم. وتوكلهم منهم وأفكارهم به. قال: ﴿لَا تُلْهِبُهُمْ نَجَارَةً وَلَا تَتَّبِعْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ التور: ٣٧.

أو لأوقات ذكرني، وهي مواقيت الصلاة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ النساء: ١٠٣، واللام مثلها في قولك: جئتك لوقت كذا، وكان ذلك لست ليال خلون. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ مَنَّا لِعِمَّتَانِي﴾ الفجر: ٢٤.

وقد جعل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه الصلاة والسلام: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها»، وكان حق العبارة أن يقال:

لتذكرها، كما قال رسول الله ﷺ «إذا ذكرها» ومن يتمحل له يقول: إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله.

أو بتقدير حذف المضاف، أي: لذكر صلاتي. أو لأن الذكر والتسبيح من الله عز وجل في الحقيقة.

وقرأ رسول الله ﷺ (للتذكرى). (٥٣٢: ٢) نحوه التسبيح (٥٠: ٣)، وأبو السعود (٢٧٢: ٤)، وشعر (١٤٥: ٤).

ابن عطية: يحتمل أن يريد: لتذكيري فيها، أو يريد لأذكرك في عليين بها. فالصدر على هذا يتمحل الإضافة إلى الفاعل، أو إلى المفعول، واللام لام التنبؤ.

وقالت فرقة معنى قوله: ﴿إِلَّا تَذَكَّرُ﴾ أي عند ذكرني إذا ذكرتني وأمرني لك بها، فاللام على هذا لا تكون لي ذكراً غير فاس فصل المخلصين في الدنيا جعلهم ذكر ربهم على بال منهم. وتوكلهم منهم وأفكارهم به. قال: ﴿لَا تُلْهِبُهُمْ نَجَارَةً وَلَا تَتَّبِعْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ التور: ٣٧.

وقرات فرقة: (للتذكرى)، وقرأت فرقة: (التذكرى) بغير تعريف، وقرأت فرقة: (للتذكر). (٣٩: ٤)

الطبرسي: ... وقيل معناه: لأن أذكرك بالمدح والتناء. وقيل: معناه: أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة كنت في وقتها أم لم تكن، عن أكثر المفسرين.

(٥: ٤) ابن الجوزي: وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب وابن السميع: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ) بلامين وتشديد الذال. (٢٧٥: ٥)

القحطاني: في قوله: ﴿إِلَّا تَذَكَّرُ﴾ وجوه: (ثم



أدام نحو الزمخشري وأضاف:

وتاسعها: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ حين تذكرها، أي أتمك إذا نسيت صلاة فاقضها إذا ذكرتها...

فإن قيل: حق العبارة أن يقول: أقم الصلاة لذكرها، كما قال عنه: «فليصلها إذا ذكرها».

قلنا: قوله: ﴿لِيَذْكُرَ﴾ معناه للذكر الحاصل بخلفي، أو بتقدير حذف المضاف، أي لذكر صلاتي.

(١٩: ٢٢)

الْقُرْطُبِيُّ: اختلف في تأويل قوله: ﴿لِيَذْكُرَ﴾ فقيل: يحتمل أن يريد: لتذكرني فيها، أو يريد: لأذكرك بالمدح في عليين بها، فالمصدر على هذا يحتمل الإضافة إلى الفاعل وإلى المفعول.

وقيل: المعنى: أي حافظ بعد التوجه على الصلاة، وهذا تنبيه على عظم قدر الصلاة، إذ هي تضرع إلى الله تعالى، وقيام بين يديه.

وعلى هذا فالصلاة هي الذكر، وقد سمي الله تعالى الصلاة ذكراً في قوله: ﴿فَلْيَسْمَعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة: ٩.

وقيل: المراد إذا نسيت فتذكرت فصل، كما في الحديث: «فليصلها إذا ذكرها»، أي لا تنقطع الصلاة بالتسيان.

الْبَيْضاوي: خصها بالذكر وأفردها بالأمر، للعلّة التي أناط بها إقامتها، وهي تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره، [ثم أدام نحو الزمخشري]

(٤٧: ٢)

نحوه الضربيني (٤٥٣: ٢)، والكاشاني (٣: ٢-٣).

الْبَيْضاوي: وفي قوله: ﴿لِيَذْكُرَ﴾ وجوه، لأن الّلام إمّا بمعنى الوقت، أو هي للتعليل، والذكر إمّا بالجنان، أو هو ضد التسيان، وباء المتكلم فاعل في الأصل أو مفعول.

وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف أم لا؟ ومثل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه.

فمنها: أن الّلام للتعليل والياء منصوب، أي لتذكرني، فلن ذكرني أن أعبد ويصلي لي، أو أراد لتذكرني في الصلاة، لاستعمالها على الأذكار، عن مجاهد: والفرق أن إطلاق الذكر على العبادة والصلاة في الأول حقيقة شرعية، وفي الثاني مجاز، أو قول: في الأول تكون نفس الصلاة مطلوبة بالذات، وفي الثاني تكون مطلوبة بعرض الذكر، أو أراد لتذكرني خاصة لا تشوبه بذكر غيره.

ومنها: أن المضاف مع ذلك محذوف، أي لإخلاص ذكرني وطلب وجهي.

ومنها: أن الياء فاعل، أي لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو لأني أذكرك بالمدح والتناء وأجعل لك لسان صدق.

ومنها: أن الّلام للوقت، كقولك: جئتلك لوقت كذا، أي لأوقات ذكرني، وهي موافقت الصلاة.

ومنها: أن يحتمل «الذكر» على ضد التسيان، أي لتكون لي ذاكرة غير ناس فعل المخلصين، في كونهم رطاب اللسان في جميع الأحيان، بذكر مولى الإنعام ومولى الإحسان ﴿وَجَالَ لَا تُلْهِمُهُمْ يَبْعَارَةً وَلَا يَبْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ التور: ٣٧، أو أراد ذكر الصلاة بعد تسيانها.

الذكر، كآله قيل: أقم الصلاة لتستعين بها على استغراق فكرك وهتك في الذكر، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ البقرة: ٤٥. وجوز أن يكون متعلقاً بـ ﴿فَاعْتَدِ﴾ أو بـ ﴿أَقِم﴾، على أنه من باب الإعمال، أي لتكون ذاكرة لي بالعبادة وإقامة الصلاة.

وإذا عمم الذكر ليتناول القلب والقلبي والقالي جاز اعتبار باب الإعمال في الأول أيضاً، وهو خلاف الظاهر.

وقيل: المراد ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ خاصة لاتراني بها ولا تنويها بذكر غيره.

أو لإخلاص ذكرى وإتقاء وجهي، ولا قصد بها غرضاً آخر، كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ الكوثر: ٢. أو لأن أذكرك بالفناء، أي لأني عليك وأنتك

سبحك

أو لذكرى إتيها في الكتب الإلهية وأمرى بها. أو لأوقات ذكرى وهي مواقيت الصلوات، فاللام وقتية بمعنى «عند»، مثلها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ قَدْ مَنَّا لِيَعْنَاهُ﴾ الفجر: ٢٤، وقوله: كان ذلك لخمس ليال خلون.

ومن الناس من حمل الذكر على ذكر الصلاة بعد نسيانها. وروي ذلك عن أبي جعفر، واللام حمشة وقتية أو تعليلية، والمراد: أقم الصلاة عند تذكرها، أو لأجل تذكرها، والكلام على تقدير مضاف، والأصل: لذكر صلاتي.

أو يقال: إن ذكر الصلاة سبب لذكر الله تعالى،

وكان حق العبارة أن يقال: لذكرها، كقوله ﴿كَلِمَةً﴾ من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها. ففعل المضاف محذوف، أي لذكر صلاتي. أو ذكر الصلاة هو ذكر الله، فالهاء في الأصل منصوب، أو الذكر أو التسيان من الله عز وجل في الحقيقة فالهاء فاعل.

(١٦: ٩٨)

أبوحيان: والذكر مصدر يحتمل أن يضاف إلى الفاعل، أي ليذكرني، فإن ذكرني أن أعبد ويصلي لي. ويحتمل أن تضاف إلى المفعول، أي لأن أذكرك بالمدح والتناء وأجعل لك لسان صدق. [ثم أدام نحو الزمخشري]

الهر وسموي: ﴿لِذِكْرِي﴾ من إضافة المصدر إلى مفعوله أي لتذكرني، وتكون ذاكرة لي، فإن ذكر الله كما ينبغي عبارة عن الاشتغال بعبادته باللسان والجنان والأركان، والصلاة جامعة لها، أو من إضافة إلى فاعله، أي لأذكرك بالإنابة. (٥: ٣٧١)

الآلوسي: ﴿لِذِكْرِي﴾ الظاهر أنه متعلق بـ ﴿أَقِم﴾، أي أقم الصلاة لتذكرني فيها لاشتغالها على الأذكار، وروي ذلك عن مجاهد. وقريب منه ما قيل: أي لتكون لي ذاكرة غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكرتهم على بال منهم، وتوكيلهم بهم وأفكارهم به.

وفرق بينهما بأن المراد بالإقامة على الأول تعديل الأركان، وعلى الثاني الإدامة، وجعلت الصلاة في الأول مكاناً للذكر ومفرقاً وعلته، وعلى الثاني جعلت إقامة الصلاة - أي إدامتها - علة لإدامة

فأطلق المسبب على السبب.

أو أنه وقع ضمير «الله» تعالى موقع ضمير الصلاة لشرفها.

أو أن المراد للذكر الحاصل مني، فأضيف الذكر إلى الله عز وجل هذه الملازمة. والذي حمل القائل على هذا الحمل أنه ثبت في «الصحيح» من حديث أبي هريرة: «أنه ﷺ نام عن صلاة الصبح فلما قضاهَا قال: من نسي صلاة فليقضها إذا ذكرها، فإن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾» فظن هذا القائل أنه لو لم يحصل هذا الحمل لم يصح التعليل، وهو من بعض الظن، فإن التعليل كما في «الكشف» صحيح.

و«الذكر» على ما فُسر في الوجه الأول، وأراد عليه الصلاة والسلام أنه إذا ذكر الصلاة انتبهي من ذكرها إلى ذكر ما شرعت له، وهو ذكر الله تعالى، فيحصله على إقامتها.

وقال بعض المحققين: أنه لما جعل المقصود الأصلي من الصلاة: ذكر الله تعالى، وهو حاصل مطلوب في كل وقت، فإذا فاتته الوقت المحدود له ينهي المبادرة إليه ما أمكنه، فهو من إشارة النفس لاسن منطوقه حتى يحتاج إلى التمهّل، فافهم.

وإضافة «ذكر» إلى الضمير تحتل أن تكون من إضافة المصدر إلى مفعوله، وأن تكون من إضافة المصدر إلى فاعله، حسب اختلاف التفسير.

وقرأ السلمي والتخمي وأبو رجاء (لِلذِّكْرِ) بلام التعريف وألف التانيث، وقرأت فرقة: (لِذِّكْرِي) بألف التانيث بغير لام التعريف، وأخرى (لِلذِّكْرِ)

بالتعريف والتذكير. (١٦: ١٧١)

المراسي: أي وأد الصلاة على الوجه الذي أمرت به مقومة الأركان مستوفاة الشرائط، لتذكرني فيها، وتدعوني دعاء خالصاً لا يشوبه إشراك، ولا توجه إلى سواي. (١٦: ٩٩)

سيد قطب: لأن الصلاة أكمل صورة من صور العبادة، وأكمل وسيلة من وسائل الذكر، لأنها تتمتع بهذه الغاية، وتجرد من كل الملايسات الأخرى، وتنبها فيها النفس لهذا الغرض وحده، وتتجمع للاتصال بالله. (٤: ٢٣٣١)

ابن عاشور: الذكر يجوز أن يكون بمعنى التذكير بالعقل، ويجوز أن يكون الذكر باللسان، واللام في ﴿لِذِّكْرِي﴾ للتعليل، أي أقسم الصلاة لأجل أن تذكّرني، لأن الصلاة تذكّر العبد بخالفه، إذ يستشعر

لنفي هذا الكلام إيماء إلى حكمة مشروعية الصلاة، وبضميمته إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كُنْهِيَ عَنْ أَفْخَشَاءِ وَالْمُكْرِ﴾ العكسوت: ٤٥، يظهر أن التقوى من حكمة مشروعية الصلاة، لأن المكلف إذا ذكر أمر الله ونبيه، فعل ما أمره واجتنب ما نهاه عنه، والله عرف موسى حكمة الصلاة مجملة، وعرفها محمداً ﷺ مفصلة.

ويجوز أن يكون اللام أيضاً للثوقية، أي أقم الصلاة عند الوقت الذي جعلته لذكركي.

ويجوز أن يكون الذكر الذكر اللساني، لأن ذكر اللسان يترك ذكر القلب، ويشتمل على الغناء على

الله والاهتراج بما له من الحق، أي الذي عيشه له،  
ففي الكلام إيماء إلى ما في أوقات الصلاة من الحكمة،  
وفي الكلام حذف يعلم من السياق (١٦: ١٠٦)  
الطباطبائي: خص الصلاة بالذكر، وهو من  
باب ذكر الخاص بعد العام اعتناء بشأنه، لأن الصلاة  
أفضل عمل يمثل به الخضوع العبودي، ويتحقق بها  
ذكر الله سبحانه تحقق الروح بقالبه. وعلى هذا المعنى  
فقوله: ﴿الذكرى﴾ من إضافة المصدر إلى مفعوله،  
واللام للتعليل، هو متعلق بـ ﴿أقم﴾، محصلة أن:  
حقق ذكرك لي بالصلاة، كما يقال: كل لتشبع واشرب  
لتروي، وهذا هو المعنى السابق إلى الذهن من مثل هذا  
السباق.

وقد تكاثرت الأحوال في قوله: ﴿الذكرى﴾ قيل:  
إنه متعلق بـ ﴿أقم﴾ كما تقدم، وقيل: بـ ﴿الصلاة﴾،  
وقيل: بقوله: ﴿فاعتدق﴾ ثم اللام قبل للتعليل،  
وقيل للتوقيت، والمعنى: أقم الصلاة عند ذكرى، أو  
عند ذكرها إذا نسيها، أو فانت منك، فهي كاللام في  
قوله: ﴿أقم الصلاة لذلول الشمس﴾ الإسراء: ٧٨.  
ثم الذكر قيل: المراد به الذكر اللفظي الذي تشتمل  
عليه الصلاة، وقيل: الذكر القلبي الذي يقارنها  
ويتحقق بها، أو يترتب عليها ويحصل بها حصول  
المستحب عن سببه، أو الذكر الذي قبلها، وقيل: المراد  
الأعم من القلبي والقلبي.

ثم الإضافة قيل: إنها من إضافة المصدر إلى  
مفعوله، وقيل: من إضافة المصدر إلى فاعله، والمراد:  
صل لأن أذكرك بالتساءل والإثابة، أو المراد: صل

لذكرى إتيانها في الكتب السماوية وأمرى بها.  
وقيل: إنه يفيد قصر الإقامة في الذكر، والمعنى:  
أقم الصلاة لغرض ذكرى لا لغرض آخر غير ذكرى،  
كنواب ترجوه أو عذاب تخافه، وقيل: لا قصر،  
وقيل: إنه يفيد قصر المضاف في المضاف إليه،  
والمراد: أقم الصلاة لذكرى خاصة من غير أن ترائي  
بها أو تشويها بذكر غيري، وقيل: لادلالة على ذلك  
من جهة اللفظ وإن كان حقاً في نفسه.

وقيل: المراد بالذكر: ذكر الصلاة، أي أقم الصلاة  
عند تذكرها أو لأجل ذكرها، والكلام على تقدير  
مضاف، والأصل: لذكر صلاتي، أو على أن ذكر  
الصلاة سبب لذكر الله، فأطلق السبب وأريد به  
السبب إلى غير ذلك.

والوجوه الحاصلة بين غث وسمين، والذي سبق  
﴿لأنهم كانوا قد آمنوا﴾ (١٤: ١٤٠)

عبد الكريم الخطيب: أي اجعل الصلاة هي  
العبادة التي تذكرني بها، وحُصِنَت الصلاة بالذكر من  
بين العبادات، لأنها هي المناجاة التي يُناجي بها العبد  
ربه، ويكشف فيها عن ولاته، وما يتطوي عليه قلبه  
من تعظيم لله، وولاء له، وانقياد وخضوع لجلاله  
وعظمته. (٧٨٥: ٨)

مكارم الشيرازي: الصلاة أفضل وسيلة لذكر  
الله.

أشير في الآيات - محل البحث - إلى واحدة من  
أهم أسرار الصلاة، وهي أن الإنسان يحتاج في حياته  
في هذا العالم - وبسبب العوامل المؤدية إلى الغفلة - إلى

عمل يُذكره بالله والقيامه ودعوة الأنبياء وهدف الخلق، في فترات زمنية مختلفة، كي يحفظه من الفرق في دوامة الغفلة والجهل، وتقوم الصلاة بهذه الوظيفة المهمة.

إن الإنسان يستيقظ في الصباح من النوم، ذلك التوم الذي عزله عن كل موجودات العالم، ويريد أن يبدأ نشاطه الحياتي، فقبل كل شيء يتوجه إلى الصلاة، ويصفي قلبه وروحه بذكر الله، ويستمد منه القوة والمدد، ويستمد للجهد والسعي المحتزج بالصدق والموت.

وعندما يفرق في زحمة الأعمال اليومية، وتضي عدة ساعات وقد نسي ذكر الله، وفجأة يحين الظهور، ويسمع صوت المؤذن: الله أكبر! حسي على الصلاة، فيتوجه إلى الصلاة ويقف بين يدي ربه ويناجيه، وإذا كان غبار الغفلة قد استقر على قلبه فإنه يخصص للصلاة، كان عبار الغفلة قد استقر على قلبه فإنه يخصص للصلاة، ومن هنا يقول الله سبحانه لموسى في أول الأوامر في بداية الوحي: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٧٥: ٩)

٣- (إِذْ هَبْنَا نُبَاهِي وَنُلَوِّهَ الْبَايَاتِي وَنُلَوِّهَ الْبَايَاتِي ذِكْرِي، طه: ٤٢)

ابن عباس: في تبليغ رسالتي إلى فرعون، (٢٦٢) فتادة: في رسالتي، (المأوردي ٣: ٤٠٤) السدي: في أمري، (الطبرسي ٤: ١١) القرآني: ذكرني وعن ذكرني سواء، (١٧٩: ٢) الطبري: يقول: ولا تضعنا في أن تذكراني فيما

أمرنكما ونهيتكما، فإن ذكركما إلهي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتاني، ذكرتما مني عليكما نعمًا جمّة، ومنثًا لأثمنى كثرة، (٤١٨: ٨)

الواحد: المعنى: لا تقصر في ذكرني بالإحسان إليكما والإنعام عليكما، وذكر التهمة: شكرها، (٢٠٧: ٣)

الزمخشري: يجوز أن يريد بالذكر تبليغ الرسالة، فإن الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها، أعظمها، فكان جديرًا بأن يطلق عليه اسم الذكر، (٥٣٨: ٢)

نحوه التثني: لمن الجوزي: في المراد بالذكر هاهنا هولان: أحدهما: أنه الرسالة إلى فرعون.

والثاني: أنه القيام بالفرائض والتسبيح والتهليل، (٢٨٧: ٥)

القهر الرازي: قيل: فيه أقوال: أحدها: المعنى: لا تتيسر بل اتخذ ذكرني آلة لتحصيل المقاصد، واعتقد أن أمرًا من الأمور لا يمتشي لأحد إلا بذكرني، والحكمة فيه أن من ذكر جلال الله استحق غيره، فلا يخاف أحدًا، ولأن من ذكر جلال الله تقوى روحه بذلك الذكر، فلا يضعف في المقصود، «لأن ذاكر الله تعالى لا يذو وأن يكون ذاكرًا لإحسانه، وذاكر إحسانه لا يفتر في أداء أوامره.

وثانيها: المراد بالذكر: تبليغ الرسالة، فإن الذكر يقع على كل العبادات، وتبليغ الرسالة من أعظمها،

فكان جديرًا بأن يُطلق عليه اسم الذكر.

وثالثها: قوله: ﴿وَلَا تَنْتَهِ فِي ذِكْرِي﴾ عند فرعون، وكيفية الذكر هو أن يذكر فرعون وقومه أن الله تعالى لا يرضى منهم بالكفر ويذكر لهم أمر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب.

ورابعها: أن يذكر فرعون آلاء الله وتعماده، وأنواع إحسانه إليه، نحوه الثياهوري (١٦: ١٢٨)، والشريفي (٢: ٤٦٤).

التيضاعي: لا تنسائي حيثما تفلتتما. وقيل: في تبليغ ذكرى والدعاء إلى مثله الكاشاني.

أبو السعود: أي بما يليق بي من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة، عند تبليغ رسالتي والدعاء إلى الله تعالى. قال: نحو الزمخشري نحوه الألوسي.

البروسوي: ﴿فِي ذِكْرِي﴾ أي في مداومته على كل حال لسانًا وجنانيًا، فإنه آلة لتحصيل كل المقاصد، فإن أمرًا من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكرى، فالفتور في الأمور بسبب الفتور في ذكر الله، وهو تذكير لقوله: ﴿كَيْ تَسْبَحُكَ كَثِيرًا﴾ وتذكرتك كثيرًا طه: ٣٣، ٣٤.

قال بعضهم: الحكمة في هذا التكليف أن من ذكر جلال الله تعالى وعظمته استغف غيره، فلا يخاف أحدًا غيره، فيتقوى روحه بذلك المذكر، فلا يضيع في مقصود.

قال مرجع طريقتنا الجلولية سبحانه - حضرة الهدايي قدس سره: التوحيد قبل الوعظ باعث لإصفاء السامعين، وموجب للتأثير بعون الله الملك القدير.

وفي «العرانس» لا تنبها عن مشاهدتي باشتغالكما بأمرى حتى تكونا فاترين بي عني. (٣٨٦: ٥) مقننية: لا تنهاونا في رسالتى والتذكير بأمرى ونهيى. (٢١٩: ٥)

الطهاتبائي: الأنسب للسياق السابق أن يكون المراد بالذكر: الدعوة إلى الإيمان به تعالى، وحده، لا ذكره بمعنى التوجه إليه قلبًا أو لسانًا، كما قيل. (١٥٤: ١٤)

فصل الله: أي لا يحتر كما الفتور والوهن في ذكرى، أي ما يعتله ذكر الله من الدعوة إلى الإيمان في خطب الصرائل المستقيم الذي يفود عباده المؤمنين إليه، وفي ما يوحيه في وعيها الفكري والروحي، ليستمدًا

منه القوة على مواصلة الجهد، وتحتمل الصعوبات، وثيراقباء في كل موقف من مواقف المسيرة التي تدفع للقلق والاهتزاز، في مواقع الزلازل النفسية والعملية. وهذا هو ما يحتاجه كل داعية في مسيرة الدعوة إلى الله، على مستوى الجهاد الفكري، أو على صعيد الجهاد الصلي الحركي، وذلك بأن يفتح على الله في صق فكره وشعوره، ليهقى مرتبطًا بالهدف الذي يتحرك نحوه، وهو رضا الله، لأن الاستغراق في العمل الحركي قد يجعل الإنسان مشدودًا إليه بحيث ينسى الفاية في حركة الوسيلة. وربما انحرف عن بعض

و يحتمل أن يُحمل الذكر على الرسول، لأنه كان منه  
الذكر. (٢٥٨: ١١)

التيضاوي: عن الهدى الذكر لي والداعي إلى  
عبادتي. (٦٣: ٢)

نحوه أبو السمود. (٣١٥: ٤)  
النسفي: عن القرآن. (٦٩: ٣)

أبو حيان: الذكر يقع على القرآن وعلى سائر  
الكتب الإلهية. (٢٨٦: ٦)

نحوه شير. (١٧٧: ٤)  
البروسوي: أي عن ملازمة ذكره في اتباع  
هداي، أي إذا جاءه. (٤٤١: ٥)

الألوسي: [بحث في المراد من الهدى بأنه كتاب  
له أو غيره، ثم قال:]

ولمختار العموم، أن يقول: الذكر يقع على القرآن  
وعلى سائر الكتب الإلهية، وكذا الآيات تكون بمعنى

الأدلة مطلقاً. وقد فُسِّرَ الذكر أيضاً هنا بالهدى، لأنه

سبب ذكره تعالى وعبادته سبحانه، فأطلق المسبب  
وأريد سببه، لوقوعه في المقابلة، وما في الخبر من باب

التنصيص على حكم أشرف الأفراد الدلول عليه  
بالعموم، اعتناء بشأنه. (٢٧٦: ١٦)

المراغي: أي ومن أعرض عن ذكره الذي  
أذكره به وتولى عنه، ولم ينظر به، فينجزر عما هو

مقيم عليه من مخالفة أمر ربه. (١٦١: ١٦)  
الطباطبائي: المراد بذكره تعالى: [ما المعنى

المصدري، فقوله: ﴿ذِكْرِي﴾ من إضافة المصدر إلى  
مفعوله، أو القرآن، أو مطلق الكتب السماوية، كما

خصوصيات المسؤولات الشرعية، في الممارسات  
العملية في نظره الذاتية، إلى طبيعة العمل والعلاقات،  
ولكي لا تتحول حركة الدعوة إلى حالة صنيعة في  
الوعي الحزبي أو الطائفي، في الدائرة الفكرية أو  
الشعورية. (١١٣: ١٥)

٤- وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا  
وَلَعَنَّا يَوْمَ الْقِيَمَةِ الْغَافِلِينَ طه: ١٢٤

ابن عباس: عن توحيد. (٢٦٧)  
عطاء: عن موعظتي. (الواحد: ٣: ٢٢٥)

الكلبي: عن القرآن، فلم يؤمن به ولم يتبعه.  
(الواحد: ٣: ٢٢٥)

مثله السخري (٢٦٥: ٦)، والبسوي (٢٧٨: ٣)،  
والشربيني (٤٩٠: ٢).

الإمام الصادق عليه السلام: ﴿عَنْ ذِكْرِي بِحُضْرَةِ الْأَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ [وهو تأويل] (الكاشاني: ٣: ٣٢٥)

الطوسي: أي من لم ينظر في ذكره الذي هو  
القرآن، والأدلة المنصوبة على الحق وحذف عنها.

(٢١٩: ٧)  
نحوه الطبرسي. (٣٤: ٤)

ابن عطية: عن ذكر الله وكفر به. (٦٨: ٤)  
القهر الرازي: والذكر يقع على القرآن

وعلى سائر كتب الله تعالى، على ما تقدم بيانه،  
ويحتمل أن يراد به الأدلة. (١٣٠: ٢٢)

القرطبي: ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾ أي ديني، وتلاوة كتابي،  
والعمل بما فيه، وقيل: عما أنزلت من الدلائل.

لها لزال هذا الشك عنهم. (١٧٩: ٢٦)

القرطبي: أي من وحيي، وهو القرآن.

(١٥٢: ١٥)

البيضاوي: من القرآن أو الوحي. (٣٠٥: ٢)

مثله أبو السعود. (٣٥٠: ٥)

ذكريا

١ - ... وَلَا تَطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ

هُوَ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا. الكهف: ٢٨

ابن عباس: عن توحيدنا. (٢٤٦)

ابن الجوزي: عن التوحيد والقرآن والإسلام.

(١٣٣: ٥)

القرطبي: عن التوحيد. (٣٩٢: ١٠)

يؤيده قوله الآتي: ﴿أَتَأْتِكُنَا فَتَسْبِيحُنَا﴾ طه: ١٢٦.

أو الدعوة الحقّة وتسميتها ذكرًا، لأن لازم اتباعها

والأخذ بها ذكره تعالى.

٥ - فَأَتَاهُمُوهُمْ سِطْرًا حَتَّى السَّوْتُمْ ذِكْرِي

وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَخَفَكُونَ. المؤمنون: ١١٠

ابن عباس: عن توحيدني وطاعتني. (٢٩١)

الزمخشري: أي تركم أن تذكرولي تخافوني

في أوليائي. (٤٤: ٣)

الطباطبائي: التباي يشهد أن المراد من

﴿ذِكْرِي﴾ قول المؤمنين: ﴿رَبُّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا

وَارْحَمْنَا﴾ المؤمنون: ١٠٩، إلخ، وهو معنى قول

الكفار في الشار. (٧١: ١٥)

٦ - أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ

ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَبْلُغُوا عَذَابِهِمْ. من: ٨

ابن عباس: عن توحيدنا وكتابنا. (٤٤٧)

القلبي: يعني القرآن، وقيل: الإيمان، وقيل:

محمد ﷺ. (١٤٨: ٩)

القرطبي: يعني القرآن والإيمان. (١٠٥: ١٧)

الفخر الرازي: في ﴿ذِكْرِنَا﴾ وجوه:

الأول: القرآن.

الثاني: الدليل والبرهان.

الثالث: ذكر الله تعالى. (٣١١: ٢٨)

أبو السعود: ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾ المفيد للعلم اليقيني.

وهو القرآن المنطوي على علوم الأولين والآخريين

ابن عباس: من كتابي ونبوّة نبي.

الطبري: في شك من وحينا إليه، وفي هذا القرآن

الذي أنزلناه إليه أنه من عندنا. (٥٥٤: ١٠)

الطوسي: الشك في الذكر الذي أنزلت على

رسولي. (٥٤٥: ٨)

الزمخشري: من القرآن. (٣٦١: ٣)

مثله الطباطبائي. (١٨٤: ١٧)

ابن عطية: أي في رب أن هذا التذكير بالله حق.

(٤٩٤: ٤)

الفخر الرازي: أي من الدلائل التي لو نظروا



المذكّر لأموال الآخرة، أو عن ذكرنا كما ينبغي، فإن ذلك مستتب لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمرهوب عنها. (١٥٨:٦)

ابن عاشور: الذكر المضاف إلى ضمير الجلالة هو القرآن. (١٢١:٢٧)

الطباطبائي: المراد بالذكر: إما القرآن، الذي يهدي متبعه إلى الحق الصريح، ويرشدهم إلى سعادة الدار الآخرة التي وراء الدنيا بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة التي لا تنفى معها وصمة شقة.

وإما ذكر الله بالمعنى المقابل للغفلة، فإن ذكره تعالى بما يليق بذاته المتعالية من الأسماء والصفات، يهدي إلى سائر الحقائق العلمية في المبدأ والمعاد هنا علمية لا ريب فيها. (٤١٦:١٩)

مكارم الشيرازي: المراد من ﴿ذُكِّرْنَا فِي﴾ اعتقاد أغلب المفسرين هو القرآن، وقد تفسر بما تقدم الدلائل المنطقية والعقلية التي توصل الإنسان إلى الله، كما احتملوا أن يكون المراد: هو ذكر الله الذي يقابل الغفلة عند الإنسان.

إلا أن الظاهر أن هذا التفسير ذو مفهوم واسع، بحيث يشمل كل توجه نحو الله، سواء أكان ذلك عن طريق القرآن، أو عن طريق العقل، أو عن طريق السنة، أو تذكر القيامة وما إلى ذلك. (٢٢٨:١٧)

### ذُكِّرُوا

١ - وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَشْكُونَ مِنْ جِسْمِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذُكِّرُوا لَعَلَّهُمْ يَشْكُونَ. الأنعام: ٦٩

ابن عباس: ذكروهم بالقرآن. (١١٢)  
السدي: إذا ذكرت قمم. (٢٤٤)  
القراء: في موضع نصب أو رفع، التصب بفعل مضمر ﴿وَلَكِنْ﴾ نذكرهم ﴿ذُكِّرُوا﴾، والرفع على قوله: ﴿وَلَكِنْ﴾ هو ﴿ذُكِّرُوا﴾. (٣٣٩:١١)  
أبو عبيدة: «الذُكْرَى» الذكر واحد. (١٩٤:١)  
الطبري: معنى «الذُكْرَى» الذكر، والذكر والذُكْرَى بمعنى.

وقد يجوز أن يكون ﴿ذُكِّرُوا﴾ في موضع نصب ورفع: فأما التصب، فعلى ما وصفت من تأويل: ولكن ليعرضوا عنهم ذكرى.

وأما الرفع، فعلى تأويل: وما على الذين يتكلمون من حسابهم شيء بترك الإعراض، ولكن إعراضهم ذكرى لأمر الله ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُونَ﴾. (٢٢٦:٥)

الزجاج: أي ولكن عليكم أن تذكروهم. و﴿ذُكِّرُوا﴾ يجوز أن يكون في موضع رفع ونصب، فمن نصب فالمعنى: ولكن ذكروهم ذكرى، ومن رفع فعلى وجهين:

أحدهما: ولكن عليكم أن تذكروهم، كما قال: ﴿إِنْ غَلَبَتْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ الشورى: ٤٨، وجائز أن يكون: ولكن الذين تأمرون به ذكرى. (٢٦١:٢)

نحوه الطوسي (٤: ١٨٠)، وأبو السعود (٢: ٣٩٨).  
الثعلبي: أي ذكروهم وعظموهم، وهي في محل التصب على المصدر، أي ذكروهم ذكرى.

والذكر والذُكْرَى واحد، ويجوز أن يكون في

موضع الرقع، أي هو ذكرى. (١٥٧: ٤)

الفهر الرازي: [نقل قول الزجاج وأضاف:]

فعلى الوجه الأول الذكرى بمعنى التذكير، وعلى الوجه الثاني الذكرى تكون بمعنى الذكر، وأما كونه في موضع نصب، فالقدير: ذكروهم ذكرى لعلمهم يتقون. والمعنى لعل ذلك الذكرى يمنعهم من الخوض في ذلك الفضول. (٢٦: ١٣)

القرطبي: فليذكروهم. (١٥: ٧)

نحوه التيساوي. (٣١٥: ١)

الشريبي: أي تذكرة لهم ووعظ. (٤٢٧: ١)

البروسوي: عليهم أن يذكروهم ذكرى

ويعنهم عن الخوض وغيره من القباح، بما أمكن

من العظة والتذكير، ويظهروا لهم الكراهة والذكر

نصب ﴿ذكرى﴾ على المصدرية. (٥٠: ٣)

نحوه الألوسي.

رشيد رضا: ﴿الذكرى﴾ هنا بمعنى التذكير، ولي

الآية السابقة بمعنى التذكّر كما تقدم. وقيل: إن المعنى

ما عليهم من حسابهم من شيء إن عرضوا أو قعدوا

مهم، ولكن عليهم أن يذكروهم، أي يحضروهم

وينكروا عليهم في تلك الحال، لعلمهم يتقون الخوض،

ولو في حضرته. (٥١٧: ٧)

المراغي: أي ولكن لحرصوا عنهم ذكرى لأمر

الله. (١٦١: ٧)

ابن عاشور: «الذكرى» اسم مصدر ذكر

بالتشديد بمعنى وعظ، كقوله تعالى: ﴿تُبصِّره وذكّره

لكلّ عيب مبين﴾ ق: ٨، أي عليهم إن سمعوه

يستعزّون أن يحضروهم ويخبروهم غضب الله فيجوز

أن يكون ﴿ذكرى﴾ منصوباً على المفعول المطلق

الآتي بدلاً من فعله. والقدير: ولكن يذكروهم

ذكرى، ويجوز أن يكون ﴿ذكرى﴾ مرفوعاً على

الابتداء، والقدير: ولكن عليهم ذكرى. (١٥٥: ٦)

مفنيّة: ولكن يذكروهم وينهونهم. (٢٠٧: ٣)

الطباطبائي: إن قوله ﴿ذكرى﴾ مفعول مطلق

لفعل مقتر، والقدير: ولكن نذكّره بذلك ذكرى، أو

ذكروهم ذكرى، أو خبر لمبتدأ محذوف والقدير:

ولكن هذا الأمر ذكرى، أو مبتدأ لخبر محذوف،

والقدير: ولكن عليك ذكراهم، وأوسط الوجوه

(١٤٢: ٧)

لأنها إلى الذم.

٢ - ... قل لا أسئلكم عليه أجر إن هو إلا ذكرى

الأنعام: ٩٠

جاء بمعنى سابقها، فلاحظ: ابن عباس (١١٤)،

والطبري (٢٦٢: ٥) والتعلي (١٦٧: ٤)، وابن عطية

(٣٢٠: ٢)، وابن الجوزي (٨٢: ٣)، والقرطبي (٧)

(٣٦)، والتيساوي (٣٢٠: ١)، والسفي (٢٢: ٢)،

والشريبي (٤٣٥: ١)، وأبو السعود (٤١٣: ٢)،

والبروسوي (٦٣: ٣)، وشبر (٢٨٥: ٢) والألوسي

(٢١٨: ٧)، والمراغي (١٨٦: ٧)، وابن عاشور (٦)

(٢١٠)، والطباطبائي (٢٦٠: ٧)، ومكارم الشيرازي

(٣٤٦: ٤).

٣ - كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه

التكوير به وذكّره للمؤمنين. الأعراف: ٢

ابن عباس: عظة.

(١٢٤)

الزَّجَّاجُ: ﴿وَذَكَّرَى﴾ يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وجر، فأما النصب فعلى قولك: ﴿أَنْزَلَ... يُثْذِرُ بِهِ وَذَكَّرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ولتذكر به ذكرى، لأنَّ في الإنذار معنى التذكير.

ويجوز أن يكون وهو ذكرى للمؤمنين، كقولك: وهو ذكر للمؤمنين.

فأما الجر فعلى معنى ﴿يُثْذِرُ﴾، لأنَّ معنى ﴿يُثْذِرُ﴾ لأنَّ تُذَر، فهو في موضع جر، المعنى للإنذار والتذكير. فأما ﴿ذَكَّرَى﴾ فمصدر فيه ألف التانيث، بمنزلة دعوت دعوى، وبمنزلة رجعت رجعى، وانثبت ثبوى، إلا أنه اسم في موضع المصدر.

(٣١٥: ٢)

نحوه ابن الجوزي.

الثعلبي: أي عظة لهم وموعظة، في موضعه أرفع.

مردود على الكتاب. وقيل: هو نصب على المصدر تقديره: ويذكر ذكرى، [ثم ذكر نحو الزججاج]

(٢١٥: ٤)

الطوسي: «الذَّكَّرَى» مصدر ذكر يُذكر تذكيراً، فالتذكير اسم للتذكير وفيه مبالغة، ومثله الرُّجْمَى. وقيل في موضعه ثلاثة أقوال:

أولها: النصب على ﴿أَنْزَلَ﴾ للإنذار وذكرى، كما تقول: جئتلك للإحسان وشوقاً إليك.

الثاني: الرفع بتقدير: وهو ذكرى.

الثالث: قال الزججاج: يجوز فيه الجر، لأنَّ المعنى لأنَّ تُذَر وذكرى.

قال الرماني: هذا ضعيف، لأنه لا يجوز أن يحصل

الجر على التأويل، كما لا يجوز: مررت به وزيد.

(٣٦٩: ٤)

الواحدى: ومواعظ للمصدقين. (٣٤٨: ٢)

الزَّمَعَشْرِي: إن قلت: فما عمل ﴿ذَكَّرَى﴾؟

قلت: يحتمل الحركات الثلاث: النصب بإضمار

فعلها، كأنه قيل: لتذكر به وتذكر تذكيراً، لأنَّ

الذكرى اسم بمعنى التذكير. والرفع عطفاً على

﴿كِتَابٍ﴾ أو بآته خبر مبتدأ محذوف، والجر للعطف

على عمل أن تُذَر أي للإنذار والتذكير. (٦٦: ٢)

مثله التستبي.

ابن عطية: قوله: ﴿وَذَكَّرَى﴾ معناه تذكيرة

وإرشاد. [ثم ذكر نحو الزمخشري] (٣٧٢: ٢)

القرطبي: ﴿وَذَكَّرَى﴾ يجوز أن يكون في موضع

رفع ونصب وخفض.

فالرفع من وجهين: قال البصريون: هي رفع على

إضمار مبتدأ، وقال الكيساني: عطف على ﴿كِتَابٍ﴾.

والنصب من وجهين: على المصدر، أي وذكر به

ذكرى، قاله البصريون. وقال الكيساني: عطف على

الماء في ﴿الزَّلْزَلَةُ﴾ والخفض حملاً على موضع

﴿يُثْذِرُ بِهِ﴾ والإنذار للكافرين، والتذكير

للمؤمنين، لأنهم المنتفعون به. (١٦٦: ٧)

نحوه أبو حنيفة (٢٦٧: ٤)، وأبو السعود (٤٧٣: ٢).

والأوسى (٧٧: ٨).

الشمري: أي وتذكيرة. (٤٦٣: ١)

البروسى: أي ولتذكر المؤمنين تذكيراً.

(١٣٤: ٣)

رشيد رضا: ﴿الذِّكْرَى﴾ فهي مصدر لذكر الشيء بقلبه ولسانه، والاسم: الذكر بالضم، وكذا بالكسر. قال في «المصباح»: نص عليه جماعة منهم أبو عبيدة وابن قتيبة، وأنكر الفراء الكسر في ذكر القلب، وقال: اجعلني على ذكر منك، بالضم لا غير، وهذا اقتصر جماعة عليه اهـ.

وقال الراغب: و﴿الذِّكْرَى﴾: كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر اهـ. ولعله أخذ هذا المعنى من كثرة استعمالها في القرآن، بمعنى التذكر التام والموعظة المؤثرة، ولا أذكر أنها استعملت فيه بمعنى ذكر اللسان إلا في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا﴾ فهم آت من ذكرها، التازعات: ٤٢، ٤٣. على وجه وفُسرت بالعلم، ولا يعنى مطلق التذكر إلا في قوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بِهَذَا الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام: ٦٨، لأنه في مقابل الإنساء، وقد خصه هذا بالمؤمنين، لأنهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ، كما قال في الذاريات ٥٥: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تُلْغَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، ومثله في سورة العنكبوت: ٥١ ﴿وَذَكِّرْ لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ﴾، وفي سورة الأنبياء: ٨٤ ﴿وَذَكِّرْ لِلْعَابِدِينَ﴾، وفي سورة ص: ٤٣ ﴿وَذَكِّرْ لِلأُولَى الْأَلْيَابِ﴾، وفي سورة ق: ٨ ﴿عَبْصِرَةٌ وَذَكِّرْ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

فصل الله: ﴿وَذَكِّرْ﴾ تذكر نافع، وهو كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر. قال في «المجمع»: الذكر مصدر ذكر يذكر تذكيراً، فهي اسم للتذكير، وفيه مبالغة. (١٢: ١٠)

وجاء بهذا المعنى قوله تعالى:

١-٩ ﴿وَكَلَّا لَتَنصُرُنَّ عَلَىٰ نَفْسِكَ مِنَ النَّبِيِّاتِ الرَّسُلِ مَا تُلْقِينَ بِهِ فَوَادِكُ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ١٢٠  
و﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ فَعَشَقْنَا مَا يَدْعُو مِن خَشَرٍ وَالْإِنثَاءَ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عَثَرْنَا﴾ ذكروا ﴿لِلْعَابِدِينَ﴾

الأنبياء: ٨٤

و﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُثَدِّرُونَ﴾ ذكروا  
و﴿مَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩  
و﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ عَلَيْنَا الْكِتَابِ يُلْقُونَ عَلَيْهِمُ أَنْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

العنكبوت: ٥١

و﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا﴾  
و﴿وَذَكِّرْ لِلأُولَى الْأَلْيَابِ﴾ ص: ٤  
و﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلَّامِنِ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾

هود: ١١٤

مضى بحثها في: «الذَّاكِرِينَ».

١١- إِنْ أَهْلَصْتَهُمْ بِهَا لَيَبْصِرَنَّ الذَّاكِرِينَ الذَّاكِرِينَ ص: ٤٦

لاحظ: خ ل ص: «خالصة».

١٢- ثُمَّ يَهَيِّجُ قَهْرَهُ مُصْتَفِرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِّلأُولَى الْأَلْيَابِ الزمر: ٢١

ابن عباس: ليعظة. (٣٨٧)

الطَّبْرِي: لذكرى وموعظة لأهل العقول

والهجا يذكرون به. (١٠: ١٢٧)

الزجاج: أي تفكر لذوي العقول، فذكرهم ما هم في هذا من الدلالة على توحيد الله جل وعز.

(٣٥١: ٤)

نحوه اللطاس (١٦٦: ٦)، والواحد (٥٧٦: ٣).  
الطوسي: أي ما يذكر به ويفكر فيه، لأولى الآليات، يعني ذوي العقول السليمة. (٢٠: ٩)  
الزجاج شري: لتذكير أو تنبيه على أنه لابد من صانع حكيم، وأن ذلك كائن من تقدير وتدير، لا عن تعطيل وإهمال.

ويجوز أن يكون مثلاً للدنيا، كقوله تعالى: ﴿الْمَثَلُ الْخَيْرُ الدُّنْيَا﴾ يونس: ٢٤، ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْخَيْرِ الدُّنْيَا﴾ الكهف: ٤٥. (٣٩٤: ٣)

نحوه التضاوي (٣٢٠: ٢)، والتسفي (٥٤: ٤).  
والكاشاني (٣١٩: ٤)، وشير (٣٠٩: ٥).

ابن عطية: أي للبعث من القبور، وإحياء الموتى على ما يوجب هذا المثال المذكور. (٥٢٧: ٤)

الطبرسي: لتذكير ذوي العقول السليمة، إذا تفكروا في ذلك عرفوا الصانع المحدث، وعلوموا صحة الابتداء والبعث والإعادة. (٤٩٥: ٤)

الفخر الرازي: يعني أن من شاهد هذه الأحوال في الثبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك، وأنه وإن طال عمره فلا بد له من الانتهاء إلى أن يصير مصفراً للكون منقطع الأجزاء والأجزاء، ثم تكون عاقبته الموت.

فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في الثبات، تذكره حصول مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته.

فمبتدئ نظم فقرته في الدنيا وطبيعتها. (٢٦٤: ٢٦)  
نحوه التيساري (١٢٣: ٢٣)، والشريفي (٣: ٤٤١)، والبروسوي (٨١: ٩٤).

أبو السعود: لتذكير عظيمًا ﴿لأولى الآليات﴾ لأصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل، وتنبيهًا لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا في سرعة التغير والانصرام، كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام، فلا يغترون بهجتها ولا يلتفتون بفسادها، أو يجزمون بأن من قدر على إنزال الماء من السماء وإجرائه في ينابيع الأرض قادر على إجماع الأنهار من تحت الأرض.

هذا وأما ما قيل: إن في ذلك لتذكير أو تنبيه، على أنه لابد من صانع حكيم، وأنه كائن من تقدير وتدير، لا عن تعطيل وإهمال، فيعزل من تفسير الآية المذكورة وإسناد ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجلية والأفعال الجميلة، من غير إسنادها إلى مؤثر ما، فحيث ذكرت مسندة إلى الله عز وجل، تبين أن يكون متعلق التذكير والتنبيه بشؤونه تعالى أو شؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى. (٣٨٨: ٥)  
نحوه الألوسي. (٢٥٦: ٢٣)

ابن عاشور: المراد: ذكرى بالدلالة على ما يغفل عنه العاقل. ويجوز أن تكون الذكرى لما يغفل عنه العاقل مما تشتمل عليه هذه الأحوال من مبدئها إلى منتهاها.

فمن ذلك: أنها تصلح مثلاً لتقريب البعث، فإن إنزال الماء على الأرض وإنباتها بسببه، أمر يتجدد بعد

أن يذكر شيئاً آخر كان معلوماً ثم صار منسياً. وأما الذكرى فهي التي يكون كذلك. فكثرت أنبياء الله مشتتة على هذين القسمين، بعضها دلائل في أنفسها، وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الإلهية المتقدمة.

(٧٧: ٢٧)

القرطبي: أي موعظة لأصحاب العقول.

(٣٢٣: ١٥)

أبو السعود: هداية وتذكير، أو هادياً ومذكراً ﴿لأولي الآيات﴾ لنوي القول السليمة الصامتين بما في تضاعفه. (٤٢٣: ٥)

ابن عاشور: ﴿هَدَى﴾ و﴿ذَكَرَى﴾ حالان من ﴿الكتاب﴾ [في الآية قبلها] أي هدى لبني إسرائيل وذكرى لهم، ففيه علم ما لم يعلمه المتعلمون، وفيه ذكرى لما علمه أهل العلم منهم. وتشمل الذكرى استنباط الأحكام من نصوص الكتاب، وهو الذي يختص بالعلماء منهم من أنبيائهم وقضاة وأخبارهم ليكون ﴿لأولي الآيات﴾ متعلقاً ب﴿ذَكَرَى﴾.

وأولوا الآيات: أولو العقول الراجحة القادرة على الاستنباط. (٢١٧: ٢٤)

مكارم الشيرازي: الفرق بين الهداية والذكرى: أن الهداية تكون في مطلع العمل وبدايته، أما التذكير فهو يشمل تنبيه الإنسان بأمور سمعها سابقاً وآمن بها، لكنه نسيها.

وبعبارة أخرى: إن الكتب السماوية تعتبر مشاعل هداية ونور في بداية انطلاق الإنسان، وتراخيه في أشواط حياته تبت من نورها وهداها عليه.

أن صار ما عليها من الثبات خطائاً، وتخللت زرارعه الأرض فنبئت مرة أخرى بنزول الماء، فكذلك يعود الإنسان بعد فئانه، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاً﴾ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم من إخراجاً ﴿يُوح: ١٧، ١٨﴾ فتضمن الآية إدماج قريب البعث وإمكانه، مع الاستدلال على انفراد الله تعالى بالتصرف. (٦١: ٢٤)

فأنتية: تذكيراً بالبارئ المبدع. (٤٠٤: ٦) مكارم الشيرازي: هذا المشهد يُذكر الإنسان بالنظام الدقيق والعظيم الذي وضعه البارئ عز وجل لعالم الوجود، وأنه تذكير بنهاية الحياة وانطفاء شعلتها. ومن ثم بمسألة البعث وعودة الأموات إلى الحياة. (٥٦: ١٥)

١٣- ولقد أنبأ موسى الهدي وأزوتنا بني إسرائيل الكتاب ﴿هَدَى وَذَكَرَى﴾ لأولي الآيات ﴿المؤمن: ٥٣، ٥٤﴾

ابن عباس: عظة. (٣٩٧) الطبري: وتذكيراً عملاً لأهل الحجة والعقول منهم بها. (٧٠: ١١)

الطوسي: أي ما يتذكر به أولوا الآيات، وإنما خص العقلاء بذلك، لأنهم الذين يتمكنون من الانتفاع به دون من لا يعقل. (٨٦: ٩)

الزمخشري: إرشاداً وتذكيراً، وانتصاحاً على المفعول له أو على الحال. (٤٣٢: ٣)

الفخر الرازي: الفرق بين الهدى والذكرى: أن الهدى ما يكون دليلاً على الشيء، وليس من شرطه

ولكن الذي يستفيد من مشاعل الهدى هذه هم  
أولو الألباب وأصحاب العقول، وليس الجهلة  
والمعاندون المتعصبون. (٢٦٤: ١٥)

وجاء بهذا المعنى:

١٤- تبصيرة وذكرى لكل عبد متوجب. ق: ٨

١٥- إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى  
السَّمْعَ وهو شهيد. ق: ٣٧

١٦- وما هي إلا ذكرى للبشر. المدثر: ٣١

### الذكرى

١-... وإما يتسبب الشيطان فلا تفقد بعد

الذكرى مع القوم الظالمين. الأنعام: ٦٨

ابن عباس: بعد ما ذكرت.

نحوه السطحي (١٥٧: ٤)، والقرطبي (١٦٣: ٧)

والبيضاوي (٣١٥: ١)، والتميمي (١٧: ٢)، والمراغي  
(١٦٠: ٧).

أبو مسلم الأصفهاني: بعد تذكرهم بدعائك  
إياهم إلى الدين، ونهيكهم عن الخوض في الآيات.

(الأنوسي: ٧: ١٨٤)

الأنوسي: الذكرى والذكر واحد. (١٧٨: ٤)

الزمخشري: بعد أن تذكر النبي. (٢٦: ٢)

نحوه الشربيني (٤٢٧: ١)، وأبو السعود (٣٩٨: ٢).

البروسوي: أي بعد أن تذكره، فهو مصدر بمعنى

الذكر، ولم يجر مصدر على «فعل» غير ذكرى.

(٤٩: ٣)

شبر: للنهي، أو بدعائك إياهم إلى الدين.

(٢٧٢: ٤)

الأنوسي: أي بعد تذكر الأمر بالإعراض، كما

عليه جمهور المفسرين. (١٨٣: ٧)

ابن عاشور: أي بعد أن تتذكر الأمر بالإعراض.

فالذكرى اسم للتذكر وهو ضد التسيان، فهي

اسم مصدر، أي إذا أهملت بعد هذا ففقدت إليهم، فإذا

تذكرت فلا تفقد، وهو ضد «فأعرض» وذلك أن

الأمر بالشيء نهي عن ضده. (١٥٣: ٦)

٢- ألي لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين.

الدخان: ١٣

هو سابقها.

٣- وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

الناريات: ٥٥

ابن عباس: «وذكرى»: عظة بالقرآن، «فإن»

الذكرى: العظة بالقرآن. (٤٤٣)

مجاهد: فذكر بالخطبة، فإن الوعظ ينفع

المؤمنين. (الماوردي: ٥: ٣٧٤)

نحوه الأنوسي (٣٩٧: ٩)، والقرطبي (١٧: ٥٥).

قتادة: فذكر بالقرآن. (الماوردي: ٥: ٣٧٤)

الكلبي: عظة بالقرآن من آمن من قومك، فإن

الذكرى تنفعهم. (الواحدي: ٤: ١٨١)

مقاتيل: عظة بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع

من سبق في علم الله أن يؤمن منهم. (البقوي: ٤: ٢٨٨)

الطبري: يقول: وعظ يا محمد من أرسلت إليه،

فإن العظة تنفع أهل الإيمان بالله. (١١: ٤٧٥)

الزجاج: أي ذكرهم بأيمان الله وعذابه وعقابه ورحمته. (٥: ٥٨)

الماوردي: فيه وجهان: [إلى أن قال:]

ويتمثل ثالثاً: وذكر بالتواب والعقاب، فإن الرغبة والرغبة تنفع المؤمنين. (٥: ٣٧٤)

القشيري: ذكر العاصين عقوبتي ليرجعوا عن مخالفة أمري، وذكر المطيعين جزيل نوابي ليزدادوا طاعة وعبادة وذكر العارفين ما صرفت عنهم من بلائي، وذكر الأغنياء ما أكتفت لهم من إحساني وعطائي، وذكر الفقراء ما أوجبته لهم من صرف الدنيا عنهم، وأهدت لهم من لقائي. (٦: ٣٧)

البيضاوي: ولا تدع التذكير والموعظة ﴿فإن التذكير تنفع المؤمنين﴾ من قدر الله إيمانه، أو من آمن فإنه يزداد بها بصيرة. (٢: ٤٦٣)

نحوه أبو السعود (٦: ١٤١)، والالوسي (٢٧: ٢٠).  
الطباطبائي: تخرج على الأمر بالتولي عنهم، فهو أمر بالتذكير بعد التهي عن الجمدال معهم. والمعنى: واستكبر على التذكير والعظة، فذكر كما كنت تذكر، فسل التذكير تنفع المؤمنين، بخلاف الاحتجاج والجمدال مع أولئك الطاغين، فإنه لا ينفعهم شيئاً ولا يزيدهم إلا طغياناً وكفراً. (١٨: ٣٨٥)

٤- أو يذكر فتتفقه التذكير. عيس: ٤

راجع: ن ف ع: «فتتفقه».

٥- قد كثر إن نفعت التذكير ﴿ستذكر من ينشئ﴾.

الأعلى: ٩، ١٠

ابن عباس: ﴿قد كثر﴾: عظم بالقرآن وبالله، ﴿إن نفعت التذكير﴾ يقول: لا تنفع العظة بالقرآن وبالله إلا من ينشئ من الله، وهو المؤمن. (٥٠٨)

مجاهد: بالقرآن. (٦: ٢٥٤)

الحسن: تذكير للمؤمن وحجة على الكافر. (القرطبي ٢٠: ٢٠)

الطبري: يقول تعالى ذكره: فذكر عبادة الله يا محمد عظمت، وعظمتهم، وحذرهم عقوبته، ﴿إن نفعت التذكير﴾ يقول: إن نفعت التذكير الذين قد آيسك من إيمانهم، فلا تنفعهم التذكير.

وشوله: ﴿قد كثر﴾ أمر من الله لنبه به بالتذكير جميع الناس، ثم قال: ﴿إن نفعت التذكير﴾ هؤلاء الذين قد آيسك من إيمانهم. (١٢: ٥٤٥)

الطبري: عظم بالقرآن ﴿إن نفعت التذكير﴾ التذكر. (١٠: ١٨٤)

الماوردي: فيما يذكر به وجهان:

أحدهما: [قول مجاهد]

الثاني: بالله رغبة ورهبة، قاله ابن شجرة.

(الماوردي ٦: ٢٥٤)

الواحد: أي عظم يا محمد أهل مكة بالقرآن إن نفعت الموعظة والتذكير، والمعنى إن نفعت أو لم تنفع، لأن النبي ﷺ بعث مبشراً للإعذار والإنذار، فطوبى التذكير في كل حال، نفع أو لم ينفع، ولم يذكر الحالة الثانية كقوله: ﴿سراييل تقيكم النار﴾... التحل: ٨١



وقد نسيه الله تعالى على تفصيل الحالين بقوله:

﴿سَيَذْكُرُهُمْ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ﴾ سيتعظ بالقرآن من يخشى الله.

(٤٧٠: ٤)

نحوه البخوي (٥: ٢٤٢)، والقرطبي (٢٠: ٢٠).

الزمخشري: إن قلت: كان الرسول ﷺ مأموراً بالذكرى نفعت أو لم تنفع، فما معنى اشتراط النفع؟

قلت: هو على وجهين:

أحدهما: أن رسول الله ﷺ قد استخرج بجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتوا وطغيانا، وكان النبي ﷺ يتلظى حسرة و تلهفا، ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه، ف قيل له:

﴿وَمَا آتَيْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ فَذَكَرَ﴾ فذكر بالقرآن من يهاب

وعيسى (٤٥)، و﴿فَانصَبْ عَلَيْهِمْ وَقُلْ لِلَّهِ الشَّرُّ﴾ الزخرف: ٨٩، و﴿فَذَكَرَ أَنْ لَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾ وذلك بعد إلزام المحبة بتكرير التذكير.

والثاني: أن يكون ظاهره شرطا، ومعناه دأبا للمذكرين، وإخبارا عن حالهم، واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم، وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم، كما تقول للواعظ: عطر المكاسين إن سمعوا منك، قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك، وأنه لن يكون.

(٤: ٢٤٤)

الطبرسي: أمر النبي ﷺ أن يذكر المخلق ويعظهم ﴿إِنْ لَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾، وإنما قال ذلك وذكره تنفع لا محالة في عمل الإيمان والامتناع من العصيان، لأنه ليس بشرط حقيقة، وإنما هو إخبار عن أنه ينفع لا محالة في زيادة الطاعة والانتها عن المعصية، كما

يقال: سئل إن نفع السؤال، [ثم ذكر نحو الواحد]

(٤٧٥: ٥)

الفخر الرازي: أعلم أنه تعالى لما تكمل بتدبير جميع مصالح الدنيا والآخرة، أمر بدعوة المخلق إلى الحق، لأن كمال حال الإنسان في أن يتغلق بأخلاق الله سبحانه تأثما وفوق التمام. فلما صار محمد عليه الصلاة والسلام تأثما يقتضى قوله: ﴿وَلَيْسَ رَبُّكَ لِيُشْرَى﴾ الأعلى: ٨، أمر بأن يجعل نفسه فوق التمام، يقتضى قوله: ﴿فَذَكَرَ﴾ لأن التذكير يقتضى تكميل التائقين وهداية الجاهلين. ومن كان كذلك كان تأثما للكمال فكان تأثما وفوق التمام. وهاهنا

سؤالات:

السؤال الأول: أنه ﷺ كان مبعوثا إلى الكل، فيجب عليه أن يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى أو

﴿إِنْ لَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾؟

الجواب: أن المعلق بـ (إن) على الشيء لا يلزم أن يكون عدما عند عدم ذلك الشيء، ويدل عليه آيات: منها هذه الآية، ومنها قوله: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِتَابَكُمْ عَلَى الْبِلَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَخَصِّتًا﴾ التور: ٣٣، ومنها قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ آيَاءً تَعْبُدُونَ﴾ البقرة: ١٧٢، ومنها قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِنْ تَصَصَّرْتُمْ مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ جُنْتُمْ﴾ النساء: ١٠١، فإن التصصر جائز وإن لم يوجد الخوف، ومنها قوله: ﴿وَلَمْ تَعْبُدُوا كَائِدًا﴾ فرقان: البقرة: ٢٨٣، والرهن جائز مع الكتابة، ومنها قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا إِنْ تَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ

من يكون جاهلاً بالعواقب، أمّا علام الغيوب فكيف يليق به ذلك؟

الجواب: روي في الكتب أنّه تعالى كان يقول لموسى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ يَدٌ أَنْ يَنْهَضَنِي﴾ طه: ٤٤، وأنا أشهد أنّه لا يتذكر ولا ينهض. فأمر الدعوة والبصيرة شيء، وعلمه تعالى بالغيبيات وعواقب الأمور غير، ولا يمكن بناء أحدهما على الآخر.

السؤال الثالث: التذكير المأمور به هل هو مضبوط مثل أن يُذكرهم عشرات مرّات، أو غير مضبوط. وحينئذ كيف يكون الخروج عن عهدة التكليف؟

والجواب: أن الضابط فيه هو العرف والله أعلم. (٣١: ١٤٤)

ابن عربي: أي كسل الخلق بالذخيرة إن كانوا قلة مستعملين لقبول التذكير فتنفعهم. يعني أن التذكير وإن كان عامّاً لا ينفع الخلق كلّهم، بل هو مشروط بشرط الاستعداد، فمن استعد قبل انتفع به ومن لا، فلا، أجل في قوله: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ ثم فصل بقوله: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَهْدِي﴾ أي يندكر ويخطّ و ينفع به من كان له القلب سليم الفطرة مستعدّاً لقبوله، يتأثر به لنوريته وصفائه. (٢: ٧٩٦)

أبو حيان: أمره بالتذكير إذ ثمرة الإقراء هي انتفاعه في ذاته وانتفاع من أرسل إليهم. والظاهر أن الأمر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى، وهذا الشرط إما جوي به تويحاً لقريش، أي إن نفعت الذكرى في هؤلاء الطفاة الغفلة، ومعناه: استعداد انتفاعهم

بكمّنا حدّود الله ﴿المراجعة جائزة بدون هذا الظن. إذا عرفت هذا فنقول: ذكروا لذكر هذا الشرط فوائد:

أحدها: أن من يشرط لغيره فلا شك أن الصورة التي يفصل فيها الإضاء تلك الوسيلة إلى ذلك الغرض، كان إلى ذلك الفعل أوجب من الصورة التي علم فيها عدم ذلك الإضاء، فذلك قال: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾

وثانيها: أنّه تعالى ذكر أشرف الحاتين، ونه على الأخرى، كقوله: ﴿سَرَّابِيلٌ يَغِيظُكُمْ الْعَرَبُ﴾ التحل: ٨١ والتقدير: ﴿فَلَا تَزِرُكُمْ ثِقَلَتِ الذُّكْرَى﴾ أو لم تنفع.

وثالثها: أن المراد منه البحث على الانتفاع بالذكرى، كما يقول المرء لغيره إذا بين له الحق: قد أوضحت لك إن كنت تعقل، فيكون مراده البحث على القبول والانتفاع به.

ورابعها: أن هذا يجري مجرى تنبيه الرسول ﷺ أنّه لا تنفعهم الذكرى، كما يقال للرجل: ادع فلاناً إن أجابك، والمعنى وما أراه يجيبك.

وخامسها: أنّه ﷺ دعاهم إلى الله كثيراً، وكلّما كانت دعوته أكثر كان علوّهم أكثر، وكان ﷺ يحترق حسرة على ذلك، فقول له: ﴿وَمَا آتَتْ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدَ﴾ ق: ٤٥، إذ التذكير العام واجب في أول الأمر، فأما التكرير فلعله إما يجب عند رجاء حصول المقصود، فلهذا المعنى قيد بهذا الشرط.

السؤال الثاني: التعليق بالشرط إنما يحسن في حق

بالذكرى. [ثم استشهد بشر]

كما تقول: قل لفلان واعذله إن سمعك، فقوله:  
«إن سمعك» إنما هو توبيخ وإعلام أنه لن يسمع.  
(٤٥٩: ٨)

الشريبي: [قال نحو الزمخشري وأضاف]:

وقيل: بعده شيء محذوف، تقديره: إن فعلت  
الذكرى وإن لم تنفع. كقوله تعالى: ﴿سَرَّابِيلَ تَقِيكُمُ  
الْعَرَّةَ﴾ التحل: ٨١، أي البرد، فإله الفراء والثعالب.  
وقيل: (إن) بمعنى «ما» لا بمعنى الشرط، لأن  
﴿الذكرى﴾ باقية بكل حال. (٤: ٥٢٢)

أبو السعود: أي لذكر الناس حسبا يترنك له  
بأيوحى إليك، وأهدهم إلى ما في تضاعيفه من  
الأحكام الشرعية، كما كنت تفعله لا بعد ما استطب لك  
الأمر، كما قيل.

وتقييد التذكير بنفع الذكرى، لما أن رسول الله ﷺ  
طالما كان يذكرهم ويستنصرهم فيه غاية الجهود،  
ويتجاوز في الجد كل حد معهود، حرصاً على إيمانهم،  
وما كان يزيد ذلك بعضهم إلا كفرًا وعنادًا، فأمر عليه  
الصلاة والسلام بأن يخص التذكير بموارد التفتح في  
الجملة، بأن يكون من يذكره كلاً أو بعضاً ممن يرجى  
منه التذكر، ولا ينبغي نفسه في تذكير من لا يورثه  
التذكير إلا عتواً ونفوراً من المطبوع على قلوبهم، كما  
في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَسَىٰ أَن يَكُونَ  
٤٥﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾  
التجم: ٢٩.

وقيل: هو ذم للمذكّرين وإخبار عن حالهم،

واستبعاد لتأثير التذكير فيهم، وتسجيل عليهم  
بالطبع على قلوبهم، كقولك للواعظ: عظم المكاسين إن  
سموا منك، قصداً إلى أنه مما لا يكون.

والأول أنسب لقوله تعالى: ﴿سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَىٰ﴾  
أي سيتذكر بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله تعالى  
حقّ خشيته، أو من يخشى الله تعالى في الجملة، فيزداد  
ذلك بالتذكير، فيتفكر في أمر ما تذكر به، فيقف على  
حقيقته فهو من به.

وقيل: (إن) بمعنى «إذ»، كما في قوله تعالى:  
﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٩،  
أي إذ كنتم. (٦: ٤١٥)

نحو: البر وسوي (١٠: ٤٠٧)، والالوسي (٣٠: ٢٠٧)

محمد عبده: إياك أن تنخدع بما يقوله أولئك  
الذين يخطون لباس العلماء، ويزعمون مزاعم  
السفهاء، من أنه لا يجب عليهم التذكير لأنه لا ينفع،  
و يحتجّون بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾  
فإن ذلك منهم خلال وتضليل، ولو صدق قولهم لما  
وجب التذكير في وقت من الأوقات، لأنه لا يخلو زمان  
من معاندين، ولا يسلم قائل من جاحدين، وقد يعرف  
بعضهم أنه ينطق عن الهوى، ولكنه يدافع عن جبته،  
ويحتج لكسله، ويحب أن يُرَى نفسه في أعين الناس،  
وإن أوقعها في سخط الله. (مغنيه: ٧: ٥٥٣)

ابن عاشور: الفاء للتفريع على ما تقدّم، تفريع  
النتيجة على المقدمات.

والأمر: مستعمل في طلب الدوام.

والتذكير: تليغ الذكر، وهو القرآن.

والذكرى: اسم مصدر التذكير، وقد تقدم في

سورة عبس.

ومفعول ﴿فَذَكِّرْ﴾ محذوف لقصد التعميم، أي  
فذكر الناس، ودل عليه قوله: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾  
الآيتين.

وجملة: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ معترضة بين  
الجملةتين المعلقة وعلاها، وهذا الاعتراض منظور فيه  
إلى العموم الذي اقتضاه حذف مفعول ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي  
قدّم على تذكير الناس كلهم إن نفعت الذكرى  
جميعهم، أي وهي لا تنفع إلا البعض، وهو الذي يؤخذ  
من قوله: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى...﴾.

فالشرط في قوله: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ جملة  
معترضة، وليس متعلقاً بالجملة ولا تنقيداً لمضمونها  
إذ ليس المعنى: فذكر إذا كان للذكرى نفع حتى ينجس  
منه بطريق مفهوم المخالفة أن لا تذكر إذا لم تنفع  
الذكرى، إذ لا وجه لتقييد التذكير بما إذا كانت  
الذكرى نافعة، إذ لا سبيل إلى تصرف مواقع نفع  
الذكرى، ولذلك كان قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِآيَاتِ أَنْ  
مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ﴾ ق: ١٥، مؤولاً بأن المعنى: فذكر  
بالقرآن فيتذكر من يخاف وعبيده، بل المراد فذكر  
الناس كافة إن كانت الذكرى تنفع جميعهم، فالشرط  
مستعمل في التشكيك، لأن أصل الشرط به (إن) أن  
يكون غير مقطوع بوقوعه.

فالدعوة عامة وما يعلمه الله من أحوال الناس في  
قبول الهدى وعدمه أمر استأثر الله بعلمه، فأبوجهل

مدعو للإيمان والله يعلم أنه لا يؤمن، لكن الله لم يخص  
بالدعوة من أرجى منهم الإيمان دون غيرهم، والواقع  
يكشف المقدور.

وهذا تصريح بأن في القوم من لا تنفعه الذكرى،  
وذلك يفهم من اجتلاب حرف (إن) المتعدي عدم  
احتمال وقوع الشرط أو ندرة وقوعه، ولذلك جاء  
بعده بقوله: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ فهو استئناف بياني  
ناشئ عن قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾ وما لحقه من الاعتراض  
بقوله: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ المشعر بأن التذكير  
لا ينفع به جميع المذكرين. وهذا معنى قول ابن عباس:  
تنفع أوليائي ولا تنفع أعدائي.

وفي هذا ما يربك معنى الآية واضحاً لا غبار عليه،  
ويدفع حيرة كثير من المفسرين في تأويل معنى (إن)،  
ولا حاجة إلى تقدير الفراء والتحاس: إن نفعت  
الذكرى، بل كلف تنفع، وأنه اقتصر على القسم الواحد  
لدلالته على الثاني.

و«يذكر»: مطاوع ذكره. وأصله: يتذكر، فقلبت  
التاء ذالاً لقرب مخرجيهما، ليتأني إدغامها في الذال  
الأخرى. (٣٠، ٢٥١)

صلحية: ليس من شك أن التذكير واجب حتى مع  
العلم بأنه لا يجدي نفعاً، لإلقاء المحبة وقطع المصدرة،  
وإلا امتنع الحساب والعقاب، قال تعالى: ﴿رُسُلًا  
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ  
بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ النساء: ١٦٥، «عليه تكون» (إن) هنا  
بمعنى كل الأبعد عن معنى الشرط والقييد وأن المراد بها  
بيان الواقع، أي إن الذكرى ينتفع بها من يبني الهداية،

أَمَا مِنْ يُصِرَّ عَلَى الضَّلَالِ فَلَا يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ، وَ يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى بِإِلَافٍ: ﴿سَيَذْكُرُهُمْ يَخْشَى﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى. فَالذِّكْرُ يُنْفَعُ لِمَحَالَةٍ مِنْ يَوْقُظُهُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ، وَلَا يُعْرِضُ عَنْهَا إِلَّا شَقِيٌّ أَعْمَتِ الشَّهَوَاتُ بَصِيرَتَهُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ شَقْوَتُهُ.

[ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامَ مُحَمَّدٍ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِ] (٥٥٣: ٧) **الطَّبَاطِبَاتِي**؛ قَدْ اشْتَرَطَ فِي الْأَمْرِ بِالتَّذْكَرَةِ أَنْ تَكُونَ نَافِعَةً، وَهُوَ شَرْطٌ عَلَى حَقِيقَتِهِ، فَإِنَّمَا إِذَا لَمْ تَنْفَعْ كَانَتْ لَفْظًا، وَهُوَ تَعَالَى يَجْعَلُ مِنْ أَنْ يَأْمُرَ بِاللَّفْظِ، فَالتَّذْكَرَةُ لِمَنْ يَخْشَى لِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَقْدِيرًا مِمَّا لَمْ يَنْفَعِ إِلَى الْحَقِّ وَهُوَ نَفْعُهَا، وَكَذَا التَّذْكَرَةُ بَعْدَ التَّذْكَرَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿سَيَذْكُرُهُمْ يَخْشَى﴾

وَالتَّذْكَرَةُ لِلْأَشْقَى الَّذِي لَا خَشْيَةَ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَقْدِيرًا فَتَامَ الْحَبِطَةِ عَلَيْهِ وَهُوَ نَفْعُهَا، وَيَلْزِمُهَا الْحَقِيقَةُ وَتَوَلَّيَهُ عَنِ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ وَالتَّذْكَرَةُ بَعْدَ التَّذْكَرَةِ لَهُ لَا تَنْفَعُ شَيْئًا، وَلِذَا أَمَرَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْغَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ السَّجْم: ٢٩.

وَقِيلَ: الشَّرْطُ شَرْطٌ صَوْرِيٌّ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ، وَإِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ أَنَّ الذِّكْرَ نَافِعَةٌ لَا مَحَالَةَ فِي زِيَادَةِ الطَّاعَةِ وَالْإِتِّهَاءِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، كَمَا يُقَالُ: سَلُّهُ إِنْ نَفَعَ السُّؤَالَ، وَلِذَا قَالُوا بَعْضُهُمْ: إِنَّ (إِنْ) فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى «قَدْ»، وَقَالَ آخَرُونَ: [إِنَّمَا بِمَعْنَى «إِذَا»].

وَفِيهِ أَنْ كَوْنَ الذِّكْرِ نَافِعَةً مُفِيدَةً دَائِمًا حَتَّى فِيمَنْ يَعَانِدُ الْحَقَّ وَقَدْ تَحَمَّتْ عَلَيْهِ الْحَبِطَةُ مَحْنُوعٌ كَيْفَ؟

وَقَدْ قِيلَ فِيهِمْ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حَتَّى اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴿البقرة: ٧﴾.

وَقِيلَ: إِنَّ فِي الْكَلَامِ إِيجَازًا بِالْغُذْفِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَذَكَرَ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرُ وَإِنْ لَمْ تَنْفَعِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ﷺ بُعِثَ لِلتَّذْكَرَةِ وَالْإِعْذَارِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَذْكَرَ نَفْعًا أَوْ لَمْ يَنْفَعِ، فَالْآيَةُ مِنْ قِبَلِ قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَهْيِكُمْ الْخُرُوجَ﴾ التَّحِلُّ: ٨١، أَيْ وَالْبَرْدُ.

وَفِيهِ أَنْ وَجُوبَ التَّذْكَرَةِ عَلَيْهِ ﷺ حَتَّى فِيمَا لَا يَرْثِبُ عَلَيْهَا أَمْرٌ «أَصْلًا مَحْنُوعٌ».

وَقِيلَ: إِنَّ الشَّرْطَ مَسْوُوقَ لِلْإِشَارَةِ إِلَى اسْتِجَابَةِ النَّفْعِ فِي تَذْكَرَةِ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ نَعْمًا عَلَيْهِمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَمَّا مَا أَمَرْتُ بِهِ لَتُؤْجِرُوا وَإِنْ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ.

وَفِيهِ أَنَّهُ يَرُدُّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَهُ بِإِلَافٍ: ﴿سَيَذْكُرُهُمْ يَخْشَى﴾ (٢٠: ٢٦٨).

عِنْدَ الْكَرِيمِ الْمُخْطَلِبِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ كُنَّا أَنْ لَفَعَتِ الذِّكْرُ﴾ أَيْ وَهَذِهِ التَّسْبِيعَةُ السَّمْعَاءُ أَدْعُ النَّاسَ إِلَيْهَا وَذَكَرَ بِهَا، وَوَجَّهَ الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ إِلَى اللَّهِ بِهَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ لَفَعَتِ الذِّكْرُ﴾ [إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ يَذْكَرُ الْإِنْسَانُ مَا وَجَدَ لِلذِّكْرِ نَفْعًا، وَالدِّكْرُ لَا يَخْلُو مِنْ نَفْعٍ أَبَدًا، فَإِنَّمَا إِذَا لَمْ تَجِدْ فِي النَّاسِ مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهَا، وَيَنْتَفِعُ بِهَا، فَإِنَّمَا وَاجِدَةٌ فِيهِمْ أَيْضًا مَنْ يَسْتَجِيبُ وَيَنْتَفِعُ، وَهَذَا مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

(١) فِي الْأَصْلِ: أَثَرًا.

﴿وَذِكْرُ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذائبات : ٥٥.  
وهذا يعني أن النبي ﷺ لا يتخلّى عن مهمة التذكير أبداً.

فبعد الأمر بالتذكير، بنفع الذكرى قيد لازم، ومن لزوم هذا القيد أن يكون النبي مذكّراً بدعوته دائماً، لأن مع كل ذكرى نفعاً، وما دام النفع معها، فهي مطلوبة من النبي أبداً، وهو مذكّر أبداً.

وقد اضطرب المفسرون في تأويل هذه الآية، وفي تأويل القيد الوارد عليها في هذا الشرط ﴿إِنْ لَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾، وبداهة من ذلك أن النبي لا يذكّر إلا في حال يكون فيها للذكرى نفع، فإن لم يكن فيها نفع، فلا تذكير!! والتي مطلوب منه أن يذكّر دائماً نفعاً للذكرى أو لم تنفع، فكيف يتفق هذا الدوام مع هذا القيد، وهو التذكير في حال النفع وحده؟

وقد ذهب المفسرون مذاهب شتى في حيلولة هذا الإشكال، وخرجوه على وجوه قلبت فيها مذاهب النحوي واللغة، على جميع وجوهها، دون أن يحصلوا من ذلك على طائل، نستريح له ونطمئن إليه.

وقد رأيت كيف كانت نظرتنا إلى الآية، فلعلنا تجد فيها ما نطمئن إليه ونستريح له.

قوله تعالى: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ هو إشارة إلى أن الذكرى على أية حال نافعة، وأنه سيدذكّر بها من يخشى الله سبحانه وتعالى، وأنه لن تخلو الإنسانية من يخشى الله ويتقوه، ويفتح قلبه للهدى المرسل في آياته.

(١٥٣٢: ١٥)

مكارم الشيرازي: قيل: الإشارة هنا إلى أن

التذكير بحد ذاته نافع، وقليل أولئك من الذين لا ينتفعون به، والحد الأدنى للتذكير هو إتمام المحبة على المنكرين، وهذا بنفسه نفع عظيم.

ولكن ثمة من يعتقد أن في الآية محذوف، والتقدير: فذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع، وهذا يشبه ما جاء في الآية (٨١) من سورة التحل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ يُقِيمُ الْخُرُوجَ فَذَكَرَ الْحُرَّ وَالْحَرَّةَ الْبَرَّ وَالْبَرَّةَ﴾ بقرينة المقابلة.

وهناك من يؤكد أن الجملة الشرطية في الآية لها مفهوم، والمراد: أنه يجب عليك التذكير إذا كان نافعاً، فإن لم يكن نافعاً فلا يجب.

وقيل: (إن) - في الآية - ليست شرطية، وجاءت بمعنى لقد للتأكيد والتعقيق، فيكون مراد الآية: ذكر طاعة الذكرى مفيدة ونافعة.

ويبدو لي أن التفسير الأول مرجح على بقية التفسيرات الثلاثة، بقرينة سلوك النبي ﷺ في نشره الإسلام، وتبليغه الحق، فإنه كان يحظ ويُنذر الجميع.

(١٢٥: ٢٠)

٦- وجاء: ﴿يُذَكِّرُ بِهِ يَوْمَ تَشَدَّدُ كُرُّ الْإِنْسَانِ وَالْأَمْرِ الذِّكْرَى﴾ الفجر: ٢٣.

ابن عباس: من أين له العظة وقد فاتته العظة.

(٥١١)

الضحّاك: يحوب وكيف له بالتوبة، لأن التوبة بالقيام لا تنفع.

الحسن: ﴿يَذَكِّرُ﴾: يتوب.

(الفخر الرازي: ٣١: ١٧٥)

الطَّهْرِي: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ يقول تعالى ذكره: يومئذ يتذكر الإنسان فتربطه في الدنيا في طاعة الله، وفيما يقرب إليه من صالح الأعمال، ﴿وَأَلَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ يقول: من أي وجه له التذكير. (٥٧٨: ١٢)

الزَّجَّاج: يومئذ يظهر الإنسان التوبة ﴿وَأَلَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ أي ومن أين له الذكرى، أي التوبة. (٣٢٤: ٥)

المأوردي: فيه تأويلان:

أحدهما: [قول الضحاك]

الثاني: يتذكر ما عمل في دنياه وما قدم لأخرته، وألى له الذكرى في الآخرة، وإنما ينتفع في الدنيا قاله ابن شجرة. (٢٧٩: ٦)

الطُّوسِي: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ إخبار منه تعالى بأن الإنسان يتذكر ما فرط فيه في دار التكليف من ترك الواجب، فعل القبيح ويندم عليه. ثم قال تعالى: ﴿وَأَلَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ ومعناه: من أين له الذكرى التي كان أمر بها في دار الدنيا، فلأنها تقوده إلى طريق الاستواء وتبصره الضلال من الهدى، فكأنه قال: وألى له الذكرى التي ينتفع بها، كما لو قيل: يتندم وألى له التندم. (٣٤٧: ١٠)

الواحدى: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ يتعظ ويتوب الكافر. مثله البهوي. (٤٨٦: ٤)

الزَّحَّاشِي: أي يتذكر ما فرط فيه، أو يتعظ، ﴿وَأَلَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ ومن أين له منفعة الذكرى.

لا بد من تقدير حذف المضاف، وإلا فبين يوم يتذكر، وبين وألى له الذكرى، تناف وتناقض. (٢٥٣: ٤)

ابن عطية: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾: معناه يتذكر عيبانه وطفياه، وينظر ما فاتته من العمل الصالح. (٢٥٣: ٤)

الطَّهْرَسِي: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ أي يتعظ ويتوب الكافر. ﴿وَأَلَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾... وقيل: معناه: يتذكر الإنسان ما قصر وفرط، إذ يعلم يقيناً ما قد نوءد به، فكيف ينفعه التذكر؟ أثبت له التذكر ثم نفاء، بمعنى أنه لا ينتفع به، فكأنه لم يكن. وكان ينبغي له أن يتذكر في وقت ينفعه ذلك فيه. (٤٨٩: ٥)

بحوه الشربيني: نحو الجوزي: أي يتعظ الكافر ويتوب، ﴿وَأَلَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ أي كيف له بالتوبة، وهي في القياس لا ينتفع به. (٥٣٥: ٤)

الطَّهْرَسِي: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ لا ينتفع به. (١٢٢: ٩)

الفخر الرازي: في تذكره وجوه: الأول: أنه يتذكر ما فرط فيه، لأنه حين كان في الدنيا كانت همته تحصيل الدنيا، ثم إنه في الآخرة يتذكر أن ذلك كان ضلالاً، وكان الواجب عليه أن تكون همته تحصيل الآخرة.

الثاني: يتذكر أي يتعظ، والمعنى: أنه ما كان يتعظ في الدنيا فيصير في الآخرة متعظاً، فيقول: ﴿يَا لَيْتَنَّا كُنَّا نَدْرُ وَلَا نَكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا﴾ الأنعام: ٢٧.

الثالث: [قول الحسن]

واعلم أن بين قوله: ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ وبين قوله: ﴿وَأَلَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ تنافضاً، فلا بد من إضمار

المضاف. والمعنى: ومن أين له منفعة الذكرى.

(١٧٥: ٣١)

الْقُرْطُبِيُّ: أَي يَقْظُ وَيَتَوَبُّ، وَهُوَ الْكَافِرُ، أَوْ مَنْ هَمَّتْ مُعْظَمُ الدُّنْيَا، ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ أَي وَمِنْ أَيْنَ لَهُ الْإِعْطَافُ وَالْقُوَّةُ، وَقَدْ فُرِطَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا.

(٥٦: ٢٠)

الْبَيْضَاوِيُّ: أَي يَتَذَكَّرُ مَعَاصِيهِ، أَوْ يَنْتَظِعُ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ قُبْحَهَا فَيَنْدَمُ عَلَيْهَا، ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ أَي مَنْفَعَةُ الذُّكْرَى ثَلَاثًا يَنْقُصُ مَا قَبْلَهُ، وَاسْتَدْلَ بِهِ عَلَى عَدَمِ وَجُوبِ قَبُولِ التَّوْبَةِ، فَإِنَّ هَذَا التَّذَكُّرَ تَوْبَةٌ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ.

(٥٥٨: ٢)

نَحْوَهُ مَلْخُصًا السَّنْفِيُّ (٤: ٣٥٦)، وَشَبَّهَ (٦: ٤٠٨).

أَبُو السَّهْوَدِ: أَي يَتَذَكَّرُ مَا فُرِطَ فِيهِ بِمُخَاصِلَتِهِ، بِمُشَاهَدَةِ آثَارِهِ وَأَحْكَامِهِ أَوْ بِمُعَايِنَةِ عَيْنِهِ، بِحُلِيِّ أَنْ يَتَذَكَّرَ الْأَعْمَالُ تَتَجَسَّمُ فِي النَّشْأَةِ الْآخِرَةِ، فَيُجِزُّ كُلٌّ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، بِمَا يَنْاسِبُهَا مِنَ الصُّورِ الْحَسَنَةِ وَالْقَبِيحَةِ، أَوْ يَقْظُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ اعْتِرَاضٌ جَمْعِيٌّ بِهِ لِلتَّحْقِيقِ أَنَّهُ لَيْسَ يَتَذَكَّرُ حَقِيقَةً، لِمَرَاتِهِ عَنِ الْجَدْوَى بِعَدَمِ وَقُوعِهِ فِي أَوَانِهِ، وَ﴿أَنَّى﴾ خَبَرٌ مُقَدِّمٌ وَ﴿الذُّكْرَى﴾ مُبْتَدَأٌ، وَ(لَهُ) مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَعَلَّقَ بِهِ الْمَلْبَرُ، أَي وَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ لَهُ الذُّكْرَى وَقَدْ فَاتَ أَوَانُهَا. وَقِيلَ: هُنَاكَ مُضَافٌ مَحْذُوفٌ، أَي وَأَنَّى لَهُ مَنْفَعَةُ الذُّكْرَى. وَالِاسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَى عَدَمِ وَجُوبِ قَبُولِ الْقُوَّةِ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ تَمَالُوجُهُ لَهُ، عَلَى أَنَّ تَذَكُّرَهُ

لَيْسَ مِنَ الْقُوَّةِ فِي شَيْءٍ، فَإِنَّهُ عَالِمٌ بِأَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي الدُّنْيَا. (٤٢٨: ٦)

نَحْوُهُ الثَّبْرُوسِيُّ (١٠: ٤٣٠)، وَالْأَلُوسِيُّ (٣٠: ١٢٨).

الْقَاسِمِيُّ: [مِثْلُ الطَّبْرِيِّ، ثُمَّ قَالَ:]

﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ أَي مَنْفَعَتُهَا، فَالْمُرَادُ بِتَذَكُّرِهِ نِدَائَتُهُ عَلَى تَعْرِيفِهِ فِي الصَّالِحَاتِ، مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَوْرَتْهُ لِمَعْنَى الْأَبَدِ. (٦١٥٦: ١٧)

الْمُرَاغِمِيُّ: أَي حِينَئِذٍ تَذْهَبُ الْغَفْلَةُ، وَيَتَذَكَّرُ الْمَرْءُ مَا كَانَ قَدْ فُرِطَ فِيهِ، وَعَرَفَ أَنَّ مَا كَانَ فِيهِ كَانَ ضَلَالًا، وَأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَالٍ خَيْرٍ تَمَّا كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَبَيِّنُ أَنَّ هَذِهِ الذُّكْرَى لَا فَائِدَةَ مِنْهَا فَقَالَ: ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ أَي وَمِنْ أَيْنَ لَهُ هَذِهِ الذُّكْرَى فَائِدَةٌ، أَوْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ بِعَائِدَةٍ، وَقَدْ فَاتَ الْأَوَانُ، وَحَسَمَ (١٥٢: ٣٠)

سَهْدَ قَلْبِهِ: يَتَذَكَّرُ الْحَقَّ وَيَنْتَظِعُ بِمَا يَرَى. وَلَكِنْ لَقَدْ فَاتَ الْأَوَانُ ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾، وَلَقَدْ مَضَى عَهْدُ الذُّكْرَى، فَمَا عَادَتْ تُجِدي هُنَا فِي دَارِ الْجَزَاءِ أَحَدًا، وَإِنْ هِيَ إِلَّا الْحَسْرَةُ عَلَى فَوَاتِ الْفُرْصَةِ فِي دَارِ الْعَمَلِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. (٣٩٠٦: ٦)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: أَي يَتَذَكَّرُ أَجَلِي التَّذَكُّرِ أَنَّ مَا كَانَ يُوْتَاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، كَانَ مِنْ ابْتِلَاءِ اللَّهِ وَامْتِحَانِهِ، وَأَنَّهُ قَصُرَ فِي أَمْرِهِ، هُنَا مَا يَلِيهِ السَّيِّئَاتِي.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ أَي وَمِنْ أَيْنَ لَهُ الذُّكْرَى، كُنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ انْتِفَاعِهِ بِهَا، فَإِنَّ الذُّكْرَى إِنَّمَا تَنْفَعُ فِيمَا أَمَكَّنَهُ أَنْ يَتَذَكَّرَ مَا فُرِطَ فِيهِ بِتَوْبَةٍ وَعَمَلٍ



صالح، واليوم يوم الجزاء لا يوم الرجوع والعسل.

(٢٨٤: ٢٠)

عبد الكريم الخطيب: أي في هذا اليوم يعقل الإنسان كل شيء، ويعلم عن يقين ما فاتته علمه في الدنيا من حق، ولكن لا تنفعه الذكرى، ولا يفيد العلم، فقد طويت صحف الأعمال، ولا سبيل إلى تدارك ما فات.

فضل الله: ﴿يَوْمَ يُبْدَى تَذَكُّرُ الْإِنْسَانِ﴾ حقائق الأشياء، وتكشف عنه حجب الغفلة، ويعلم أن ما قرره الله في كتبه، وما جاءت به الأنبياء في تعاليمها، هو الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ أي من أين له الذكرى.

فوجودها كعدمه في هذا الموقف الذي ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الأنعام: ١٥٨، لأنه لا يستطيع تدارك ما فاتته من الفرض والكنه. لا مجال الآن للثوبة وللصل الصالح. (٢٥٢: ٢٤)

### ذِكْرُهَا

فِيمَ آتَتْ مِنْ ذِكْرُهَا. التازعات: ٤٣

ابن عباس: ما أتت وذاك أن تذكرها لهم. (٥٠١)

ابن الزبير: فِيمَ تَسْأَلُ يَا مُحَمَّدُ عَنْهَا وَلَيْسَ لَكَ

السؤال. (الماوردي: ٦: ٢٠٠)

الحسن: أي إنه ليس عندك علم متى تكون، وإنما عندك علم أنها تكون. (الطوسي: ١٠: ٢٦٥)

ابن قتيبة: أي ليس علم ذلك عندك. (٥١٣)

نحوه الواحدي (٤: ٤٢٦)، والبقوي (٥: ٢٠٨).

وابن الجوزي (٩: ٢٤).

الطبري: يقول الله لنبيه: ﴿فِيمَ آتَتْ مِنْ ذِكْرُهَا﴾ يقول: في أي شيء أتت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها. وذكر أن رسول الله ﷺ كان يكرر ذكر الساعة حتى نزلت هذه الآية. (٤٤١: ١٢)

الطوسي: [ذكر قول الحسن وقال:]

وقال غيره: هي حكاية قولهم، أي قد أكثرت من ذكرها، فمتى تكون؟ (١٠: ٢٦٥)

القشيري: من أين لك علمها ولم تعلمك ذلك.

(٦: ٢٥٤)

الزمخشري: يعني ما أتت من ذكرها لهم وتبين وقتها في شيء.

ومن عائشة رضي الله عنها: لم يزل رسول الله ﷺ يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت، فهو على هذا يحجب من كثرة ذكرها، كأنه قيل: في أي شغل واهتمام أتت من ذكرها والسؤال عنها؟

والمعنى: أنهم يسألونك عنها فلحرصك على

جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها، ثم قال: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُتَّهِئَاتٌ﴾ أي منتهى علمها، لم يؤت علمها أحدا

من خلقه.

وقيل: ﴿فِيمَ﴾ إنكار لسؤالهم، أي فِيمَ هذا

السؤال، ثم قيل: أتت من ذكرها، أي إرسالك وأنت

خاتم الأنبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة

تذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها، فكفاهم بذلك

دليلاً على دنوها ومشارفتها وجوب الاستعداد لها،

ولا معنى لسؤالهم عنها. (٤: ٢٦٦)

خبر مقدم و «أنت» مبتدأ، و «من ذكرها» ما  
متعلق بالاستقرار الذي في الخبر، أو هو حال من  
المبتدأ.

و (من) إما مبنية للإبهام الذي في (ما)  
الاستفهامية، أي في شيء هو ذكرها، أي في شيء هو  
أن تذكرها، أي لست متصدِّياً لشيء هو ذكرى  
الساعة، وإما صفة للمبتدأ فهي اتصالية، وهي ضرب  
من الابتدائية ابتداءً بجازي، أي لست في شيء  
يتصل بذكرى الساعة ويحوم حوله، أي ما أنت في  
شيء هو ذكر وقت الساعة.

وعلى الثاني: ما أنت في صلة مع ذكر الساعة، أي  
لا علاقة بينك وبين تعيين وقتها.

وتقديم «فهم» على المبتدأ للاهتمام به، لئلا  
مضمون الخبر هو مناط الإنكار، بخلاف ما لو قيل:  
«أنت في شيء من ذكرها؟»

والذكرى: اسم مصدر الذكر، والمراد به هنا:  
الذكر اللساني.

الطباطبائي: «فهم أنت من ذكرها» استفهام  
إنكاري، و «فهم أنت» مبتدأ وخبر، و (من) لا ابتداء  
الغاية، وه الذكري: كثرة الذكر، وهو أبلغ من  
«الذكر» على ما ذكره الراغب.

والمعنى في أي شيء أنت من كثرة ذكر الساعة؟  
أي ماذا يحصل لك من العلم بوقتها من ناحية كثرة  
ذكرها وبسبب ذلك؟ أي لست تعلمها بكثرة ذكرها.  
أو «الذكرى» بمعنى حضور حقيقة معنى الشيء  
في القلب، والمعنى على الاستفهام الإنكاري لست في

نحوه الفخر الرازي (٣١: ٥٢)، والبيضاوي (٢: ٥٣٩)،  
والنسي (٤: ٣٣١)، والثعالبي (٣٠: ٢٣)،  
والشربيني (٤: ٤٨٢)، وأبو السعود (٦: ٣٧٤)،  
والبروسوي (١٠: ٣٢٩)، والآلوسي (٣٠: ٣٧).

ابن عطية: أي من ذكر تهيئتها ووقتها، أي  
لست من ذلك في شيء.

الطبرسي: أي لست في شيء من علمها  
وذكرها، والمعنى لا تعلمها...

وقيل: معناه ليس هذا مما يتصل بما بحث لأجله،  
فلئما بحث داعياً.

وقيل: إنها من حكاية قوهم، والمعنى إنك قد  
أكثر من ذكرها، فحق يكون.

أبو حيان: [نقل قول الزمخشري وأضاف:]  
وهذا القول حكاية الزمخشري وزمكه: [ملاء]

بكثرة الفاظه، وهو تفكيك للكلام، وخروج عن  
الظاهر المتبادر إلى الفهم، ولم يخله من مسيسة  
الاعتزال.

الكاشاني: في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها  
لهم، أي ما أنت من ذكرها لهم وتبين وقتها في شيء،  
فلأنه مما استأثره الله بعلمه.

نحوه القاسمي: (١٧: ٦٠٥٤)  
المراغي: أي ما هذه الذكرى الدائمة لها، وما هذا

الاهتمام الذي جعلك لاتألو جهداً في السؤال عنها؟  
(٣٠: ٣٦)

ابن عاشور: حذف ألف (ما) لوقوعها بعد  
حرف الجر، مثل «عَمَّ يَسَاءُ لَوْنٌ» الثبأ: ١٠، و «فهم»

شيء من العلم بحقيقتها وما هي عليه حتى تحيط  
بوقتها، وهو أنسب من المعنى السابق.

وقيل: المعنى: ليس ذكرها مما يرتبط بعبثك، إنما  
بعتت لتتذكر من ينشأها.

وقيل: ﴿فهم﴾ إنكار لسؤالهم، وقوله: ﴿أنت من  
ذكرها﴾ استئناف وتعليل لإنكار سؤالهم، والمعنى:  
فهم هذا السؤال؟ إنما أنت من ذكرى الساعة لا اتصال  
بعبثك بها، وأنت خاتم الأنبياء، وهذا المقيد من العلم  
بكلهم، وهو قوله ﷺ فيما روي: «بعتت أنا  
والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني».

وقيل: الآية من تمام سؤال المشركين خاطبوا به  
التي ﷺ، والمعنى: ما الذي عندك من العلم بها  
وبوقتها؟ أو ما الذي حصل لك وأنت تذكرها  
وأنت خير بآيات السياق لا يلائم شيئاً من هذه  
المعاني تلك الملامة، على أنها أو أكثرها لا تخلو من  
تكلف. (٢٠: ١٩٥)

نحوه مكارم الشيرازي. (١٩: ٣٥٥)  
عبد الكريم الخطيب: أي في أي شيء أنت أنها  
التي من ذكرها هم؟ إنك لا تدري ما جواب هذا  
السؤال الذي يسألونك فيه عن يومها، لأنك لم تسأل  
ربك هذا السؤال، ولم تشغل نفسك به، ولم تتكلف له  
جواباً، لأنه ليس الذي يُعنيك من هذا اليوم مواعده،  
وإنما الذي أنت مشغول به منه، هو لقاءه، والإعداد  
له، وهو آت لا ريب فيه. (١٥: ١٤٤٥)

فضل الله: فهي أعظم من أن يتحدث عنها بسنة  
الطريقة العابثة التي يراد من خلالها إثارة الجدل، أو

محاولة السخرية العابثة. (٢٤: ٥١)

### ذُكِرَ لَهُمْ

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ  
أَشْرَاطُهَا قَالُوا لَنْهَمُ إِذَا جَاءَ لَهُمْ ذُكْرُهُمْ. محمد: ١٨

ابن عباس: ﴿ذُكْرُهُمْ﴾: التوبة. (٤٢٩)  
عطاء: من أين لهم التوبة إذا جاءتهم الساعة؟  
ومثله قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ  
الذِّكْرَى﴾ الفجر: ٢٣. (الواحد: ٤: ١٢٤)

قتادة: أنى لهم أن يتذكروا أو يتوبوا إذا جاءتهم  
الساعة؟ (الطبري: ١١: ٣١٧)

ابن زيد: لا ينفعهم عند الساعة ذكراهم.  
(الطبري: ١١: ٣١٧)  
القرطبي: ﴿ذُكْرُهُمْ﴾ في موضع رفع بعد ﴿لَهُمْ﴾،  
والمعنى: فإلى لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة؟ ومثله:  
﴿يَوْمَئِذٍ تَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ الفجر:

٢٣، أي ليس ينفعه ذكره، ولا ندامته. (٣: ٦٦)  
نحوه الأخفش. (٢: ٦٩٤)

ابن قتيبة: فكيف لهم متعة الذكرى إذا جاءت،  
والتوبة حينئذ لا تقبل؟ (٤١١)

الطبري: يقول تعالى ذكره: فمن أي وجه هؤلاء  
المكذِّبين بآيات الله ذكرى ما قد ضيعوا وفرطوا فيه،  
من طاعة الله إذا جاءتهم الساعة؟

يقول: ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والتقدم،  
لأنه وقت مجازاة لا وقت استعتاب ولا استعصال.

و«الذكرى» في موضع رفع بقوله: ﴿قَالُوا لَنْهَمُ﴾

لأن تأويل الكلام: فأتى لهم ذكرهم إذا جاءتهم الساعة؟ (٣١٧: ١١)

الزجاج: المعنى: فمن أين لهم ذكرهم إذا جاءتهم الساعة، و﴿ذُكِّرْتُمْ﴾ في موضع رفع بقوله: (فأتى). (١١: ٥)

الثقاس: فمن أين لهم متعة الذكرى، إذا جاءت الساعة، وانقطعت التوبة؟ (٤٧٧: ٦)

الفعلي: معني: فمن أين لهم الذكر والاعطاء والتوبة إذا جاءتهم الساعة، نظيره قوله: ﴿وَأَلَىٰ لَهُمُ الْكُتُوبُ﴾ من مكان بعيد سبأ: ٥٢. (٣٤: ٩) نحوه البخوي: (٢١٥: ٤)

الموردي: في الذكرى وجهان:

أحدهما: تذكيرهم بما عملوه من خير أو شر. الثاني: هودعائهم بأسمانهم تبيها أو تخويفا. (٢٩١: ٥)

الطوسي: أي ما يذكروهم أعمالهم من خير أو شر، فإنه لا ينفعهم في ذلك الوقت الإيمان والطاعات، لزوال التكليف عنهم. (٣٠٠: ٩)

الزمخشري: أي يذكروهم وأعمالهم إذا جاءتهم الساعة، معني لا تنفعهم الذكرى حينئذ، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَذُكَّرُ الْأَلْسَانُ وَاللَّسَانُ وَاللَّسَانُ﴾ الفجر: ٢٣. (٥٣٤: ٣)

نحوه الشريبي (٢٩: ٤)، والمراعي (٦٢: ٢٦). ابن عطية: يحتمل أن يكون المعنى: ﴿فَأَلَىٰ لَهُمُ﴾ الخلاص أو النجاة ﴿إِذَا جَاءَهُمْ﴾ الذكرى بما كانوا يفعلون به في الدنيا فيكتبون به، وجاءهم العذاب مع

ذلك.

ويحتمل أن يكون المعنى: فأتى لهم ذكرهم وعملهم بحسبها إذا جاءتهم الساعة. وهذا تأويل قتادة، نظيره: ﴿وَأَلَىٰ لَهُمُ الْكُتُوبُ﴾ من مكان بعيد سبأ: ٥٢. (١١٦: ٥)

الطبرسي: أي فمن أين لهم الذكر والاعطاء والتوبة إذا جاءتهم الساعة، و موضع ﴿ذُكِّرْتُمْ﴾ رفع، مثله في قوله: ﴿يَوْمَ تَذُكَّرُ الْأَلْسَانُ وَاللَّسَانُ وَاللَّسَانُ﴾ الذكرى الفجر: ٢٣، أي ليس تنفعه الذكرى، والذكرى: ما أمر الله سبحانه أن يذكروا به، ومعناه: وكيف لهم بالنجاة إذا جاءتهم الساعة، فإنه لا ينفعهم في ذلك الوقت الإيمان والطاعات، لزوال التكليف عنهم. (١٠٢: ٥)

البيضاوي: أي يذكروهم إذا جاءتهم الساعة (٢٩٥: ٢)

نحوه الكاشاني (٢٤: ٥) وشتر (٢٩: ٦). أبو السعود: حكم بخطتهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر إلى إتيانها، ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَذُكَّرُ الْأَلْسَانُ وَاللَّسَانُ وَاللَّسَانُ﴾ الذكرى الفجر: ٢٣، أي وكيف لهم ذكرهم إذا جاءتهم، على أن (ألى) خبر مقدم و﴿ذُكِّرْتُمْ﴾ مبتدأ و﴿إِذَا جَاءَهُمْ﴾ اعتراض وسط بينهما، رمزا إلى غاية سرعة مجيئها، وإطلاق الميم عن قيد اليقظة، لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقا، لا مقيدا بقيد اليقظة. (٨٩: ٦)

نحوه البروستوي (٨٢: ٥١٠)، والالوسي (٢٦: ٥٢).

ابن الجوزي: وفي معنى ﴿ذُكِّرُوا بِهِ﴾ قولان:  
أحدهما: أمروا، والثاني: أوصوا. (٣١٣: ٢)  
مَعْنِيَّة: ذُكِّرُوا بِالْقُرْآنِ، فحرفوا منها ما يتناق مع  
أهوائهم، وأبقوا ما يشتهون. (٣١: ٣)  
وبهذا المعنى جاء قوله تعالى:

٢- وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَعْتَارُ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ  
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى دِينِ اللَّهِ  
لَمَنَعُوا آلَهُمْ مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ. (المائدة: ١٤)

٣- فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَخَرْنَاهُمْ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ  
وَعَسَىٰ أَن يَكُونَ لَكُمْ آيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (النمل: ١٤)

ابن عباس: تركوا ما أمروا به في الكتاب. (١٠٩)  
لم يتركوا ما وعظوا به. (الواحد: ٢: ٢٧١)  
ابن جرير: ما دعاهم الله إليه ورسله، أبوه  
الطبري (١٩٢: ٥).

نحوه مقابل. (الواحد: ٢: ٢٧١)  
الطبري: تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن  
رسلنا. (١٩٢: ٥)

الطبري: أي أنكروا ما وعظوا وأمروا به.  
(١٤٧: ٤)  
نحوه البغوي. (١٢٤: ٢)  
الماوردي: معنى ذلك أنهم تركوا ما ذكرهم الله  
من آياته الدالة على توحيده وصدق رسوله.

(١١٣: ٢)  
الطوسي: لم يتخلوا ولم ينفعهم الزجر بالفتراء  
والسراء، ولا الترغيب بالتوسعة والرخاء. (١٤٧: ٤)

مَعْنِيَّة: في الكلام تقديم وتأخير، والأصل: فأتى  
لهم ذكرهم إذا جاءتهم الساعة. والمعنى: لقد ذكرهم  
في الدنيا الرسول الأعظم فلم يتذكروا، وحين يبعثوا  
ورأوا العذاب تذكروا وندموا، ولكن حين  
لا ينتفعون بشيء. (٧٠: ٧)

نحوه الطباطبائي. (٢٣٧: ١٨)

### ذُكِّرُوا

١- يُخَرِّقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَكَانُوا حَقًّا  
مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ... (المائدة: ١٣)

ابن عباس: أمروا به في التوراة من اتباع محمد  
وإظهار صفته ونحته. (٩٠)

نحوه ابن قتيبة (١٤٢)، والسعدي (٣٨: ٤)،  
والبغوي (٣١: ٢)، والقرطبي (١١٦: ٦)، والبيضاوي  
(٢٦٧: ١)، والسفي (٢٧٥: ١)، وأبو السموذ (٣٦)  
(٢٤٩)، والبروسوي (٣٦٥: ٢)، واللويسي (١٤٠: ٦).

كما أنزل على موسى.  
مثله السدي. (الطوسي ٣: ٤٧٠)  
نحوه الزمخشري (٦٠٠: ١)، وابن عاشور (٥: ٦٢)

الماوردي: من الميثاق المأخوذ عليهم.  
(٢١: ٢)  
الطبرسي: تركوا نصيباً مما وعظوا به، ومما أمروا  
به في كتابهم من اتباع النبي، فصار كالمُنْسَى عندهم،  
ولو آمنوا به واتبعوه، لكان ذلك لهم حظاً.

وقيل: معناه: ضيعوا ما ذكرهم الله به في كتابه مما  
فيه رشد لهم، وتركوا تلاوته، فنسوه على مر الأيام.  
(١٧٣: ٢)

الطبرسي: فلما ترك أهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به، ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك. (٤٩٣: ٢)  
البيضاوي: ما ذكرهم به صلحاهم. (٣٧٤: ١)  
نحوه التسنفي (٨٣: ٢)، وأبو السعود (٤٥: ٣)، والبروسوي (٢٦٥: ٢)، واللويسي (٩٢: ٩).

٥- إنا يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها سجدوا سجداً أو سجدوا يحترقون وهم لا يستكبرون.

السجدة: ١٥

ابن عباس: «إذا ذكرُوا» دعوا إليها إلى الصلوات الخمس بالأذان والإقامة. (٣٤٨)  
القرطبي: «إذا ذكرُوا» إلى الصلاة أتموها. (٣٣١: ٢)  
الماوردي: فيه وجهان:

أولهما: الذين إذا دعوا إلى الصلوات الخمس بالأذان أو الإقامة أجابوا إليها - قاله أبو معاذ - لأن المنافقين كانوا إذا أقيمت الصلاة خرجوا من أبواب المساجد.

الثاني: إذا قرئت عليهم آيات القرآن. (٣٦١: ٤)  
الطوسي: «إذا ذكرُوا» بجميع الله وتليت عليهم آياته. (٣٠١: ٨)

الواحد: أي وعظوا. (٤٥٢: ٣)  
مثله البغوي (٥٩٦: ٣)، والزمخشري (٢٤٣: ٣)، وابن الجوزي (٣٣٧: ٦)، والبيضاوي (٢٣٥: ٢)، والتسنفي (٢٨٩: ٣)، وأبو السعود (٢٠٣: ٥)  
الطبرسي: تذكرُوا واعظوا بمواعظها. (٣٢٩: ٤)

الزمخشري: «فلما نسوا ما ذكرُوا به» من البأساء والضراء، أي تركوا الاعتناء به، ولم ينفع فيهم، ولم يزجرهم. (١٩: ٢)  
نحوه القرطبي (٢٢٥: ١٢)، والبيضاوي (١: ٣١٠)، والتسنفي (١٢: ٢)، وأبو حنبل (١٣٠: ٤)، وأبو السعود (٣٨٢: ٢).

ابن عاشور: معنى «تذكرُوا به» أن الله ذكرهم عقابه العظيم، بما قدم إليهم من البأساء والضراء.

(١٠٠: ٦)

٤- فلما نسوا ما ذكرُوا به آياتنا الذين يتهنون عن السوء وأخذوا الذين ظلموا به قلوبهم بها كانوا ينسئون.

الأعراف: ١٦٥

ابن عباس: تركوا ما أمروا به. (١٤٠)

ابن جرير: نسوا موعظة المؤمنين إياهم، الذين قالوا: «لِمَ كُطِبَ قَوْمًا» الأعراف: ١٦٤.

(الطبرسي: ١٠٠: ٦)

الطبرسي: تركت الطائفة التي اعتذرت في السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه، وضمت ما وعظتها الطائفة الواعظة وذكرتها به، من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها، فتقدمت على استحلال ما حرم الله عليها. (١٠٠: ٦)

الثعلبي: تركوا ما وعظوا به. (٢٩٧: ٤)

مثله ابن الجوزي. (٢٧٧: ٣)

الماوردي: التي ذكرُوا به أن يأمرُوا بالمعروف وينهوا عن المنكر. (٢٧٢: ٢)

٦- وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ. الصّافات: ١٣

مضى في «يذكرون».

ذُكِّرْتُمْ

قَالُوا طَائِرُكُمْ مَقْتُمْ أَتَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ.

من: ١٩

أبن عباس: أتساءلهم بأن ذكركم وخوفاكم بالله. (٣٧٠)

الفخر الرازي: أي بين لكم الأمر بالمعز والبرهان. (٥٣: ٢٦)

القرطبي: أي لأن وعظمت، وهو كلام مستأنف، أي إن وعظمت تطيرتم. وقيل: إنما تطيروا لئلا بلغهم أن كل نبي دعا قومه فلم يهتدوا كان عاقبتهم الهلاك. (١٥: ١٤)

أبو السّمود: أي وعظمت بما فيه معادنكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله «لأنهم» أي تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتضبيب.

وقرى باللف بين الممرتين، وفتح «ان» بمعنى انتطيرتم لأن ذكركم، و«أن ذكركم»، و«إن ذكركم» بخير استفهام، و«أتين ذكركم» بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ. (٥: ٢٩٤)

نحوه البروسوي ملخصاً. (٧: ٣٨٢)

فضل الله: «أتين ذكركم» بالحق المتمثل بوجود الله وتوحيده، ومنهجه السليم في الحياة، أعرضتم عنه وبقيتم تترددون في أجواء الغفلة المطبقة المستولية على عقولكم ومشاعركم ومواقفكم في الحياة. (١٩: ١٣٦)

فَذَكَّرْ

... فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى...

البقرة: ٢٨٢

الضحاك: إن تنس إحداها، فذكرتها الأخرى. نحوه السدي، والربيع. (الطبري ٣: ١٢٦)

ابن زيد: أن تضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى. كلاهما لغة، وهما سواء، ونحن نقرأ ﴿فَذَكَّرْ﴾ (الطبري ٣: ١٢٦)

ابن عبيدة: ليس تأويل قوله: ﴿فَذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ من الذكر بعد التيان، إنما هو من الذكر، بمعنى أنها إذا شهدت مع الأخرى حارت شهادتهما كشهادة الذكر. (الطبري ٣: ١٢٤)

الطبري: اختلفت القراءة في قراءة ذلك:

فقرأت جماعة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ بفتح الالف من (أن)، ونصب ﴿تَضِلَّ﴾، و﴿تُذَكِّرَ﴾، بمعنى: فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان، كي تذكر إحداها الأخرى إن ضلت. وهو عندهم من المقدم الذي معناه التأخير، لأن التأخير عندهم هو الذي يجب أن يكون مكان ﴿تَضِلَّ﴾، لأن المعنى ما وصفنا في قولهم.

وقالوا: إنما نصبنا ﴿تُذَكِّرَ﴾، لأن الجزاء لئلا تقدم اتصل بما قبله، فصار جوابه مردوداً عليه، كما تقول في الكلام: «إنه ليعجبني أن يسأل السائل فتعطى»، بمعنى إنه ليعجبني أن يعطى السائل إن سأل

أو إذا سأل. فالتذي يعجبك هو الإعطاء دون المسألة.  
ولكن قوله: «أن يسأل» لما تقدم. اتصل بما قبله و  
هو قوله: «ليعجبني». ففتح (أن) ونصب بها. ثم أتبع  
ذلك قوله: «يُعْطَى» فنصبه بنصب قوله: «ليعجبني»  
أن يسأل. نسقاً عليه. وإن كان في معنى الجزاء.  
وقرأ ذلك آخرون كذلك. غير أنهم كانوا يقرأونه  
بتسكين الذال من (تذكير) وتخفيف كافها. وقارئو  
ذلك كذلك يختلفون فيما بينهم. في تأويل قراءتهم إياه  
كذلك.

وكان بعضهم يوجهه إلى أن معناه فتصير إحداها  
الأخرى ذكراً باجتماعهما. بمعنى أن شهادتهما إذا  
اجتمعت وشهادة صاحبتها. جازت كما تجوز شهادة  
الواحد من الذكور في «الدين» لأن شهادة كل واحدة  
منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الذكور  
إلا باجتماع اثنتين على شهادة واحد. فتصير  
شهادتهما حينئذ بمنزلة شهادة واحد من الذكور.  
فكان كل واحدة منهما في قول متاويل ذلك بهذا المعنى  
صيرت صاحبتهما معها ذكراً. وذهب إلى قول العربية  
«قد أذكرت فلان أمه» أي ولدته ذكراً. فهي تذكيره.  
«وهي امرأة مُذكِر» إذا كانت تلد الذكور من  
الولاد.

وكان آخرون منهم يوجهونه إلى أنه يعني الذكر  
بعد التسيان.

وقرأ ذلك آخرون: (إن تفضل أحديهما فتذكر  
أحديهما الأخرى) بكسر (إن) في قوله: (إن تفضل)  
ورفع (تذكر) وتشديده. كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما

تفضل المرأتان. إن نسيت إحداها شهادتها. ذكرتها  
الأخرى. من تثبتت الذكرة التاسية وتذكيرها ذلك  
واقطاع ذلك عما قبله. ومعنى الكلام عند قارئ ذلك  
كذلك. واستشهدوا شهيدين من رجالكم. فإن  
لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من  
الشهداء. فإن إحداها إن ضلّت ذكرتها الأخرى.  
على استئناف الخبر عن فعلها إن نسيت إحداها  
شهادتها. من تذكير الأخرى منهما صاحبتهما التاسية.

وهذه قراءة كان الأعمش يقرأها ومن أخذها  
عنه. وإنما نصب الأعمش «تفضل» لأنها في محل  
جزم بحرف الجزاء. وهو (إن). وتأويل الكلام على  
قراءته: «إن تفضل». فلما اندغمت إحدى اللامين في  
الأخرى. حركها إلى أخف الحركات. ورفع (تذكر)  
بالفعل. لأنه جواب الجزاء.

والجواب من القراءة عندنا في ذلك. قراءة من  
قرأه بفتح (أن) من قوله: «أن تفضل أحديهما»  
وتشديد الكاف من قوله: «فتذكر أحديهما»  
الأخرى. ونصب الراء منه. بمعنى فإن لم يكونا  
رجلين. فليشهد رجل وامرأتان. كي إن ضلّت  
إحداها ذكرتها الأخرى.

وأما نصب «فتذكر» فبالعطف على «تفضل»  
وفتحت (أن) بحلوها محل «كي». وهي في موضع  
جزاء. والجواب بعده. اكتفاءً بفتحها. أعني بفتح (أن)  
من «كي». ونسق الثاني أعني: «فتذكر» على  
«تفضل» ليعلم أن الذي قام مقام ما كان يعمل فيه  
وهو ظاهر. قد دل عليه وأدى عن معناه وعمله. أي



عن «كي».

وإنما اخترنا ذلك في القراءة، لإجماع المجتعة من قدماء القراءة والمتأخرين على ذلك، وانفراد الأعمش ومن قرأ قراءته في ذلك بما انفرد به عنهم ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستغضة بينهم، إلى غيرها.

وأما اختيارنا ﴿فَتَذَكَّرْ﴾ بتشديد الكاف، فإنه بمعنى تذكير الذكر من إحداهما على الأخرى، وتعريفها بأنها نسبت ذلك، لتذكر. فالتشديد به أولى من التخفيف.

وأما ما حكى عن ابن عثمة من التأويل الذي ذكرناه، فتأويل خطأ لا معنى له، لوجوه شتى:

أحدها: أنه خلاف لقول جميع أهل التأويل.

والثاني: أنه معلوم أن ضلال إحدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها، إنما هو ذهبا عنها ونسيانها إياها، كضلال الرجل في دينه إذا تخبر فيه فعدل عن الحق. وإذا صارت إحداهما بهذه الصفة، فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكراً معها، مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها؟ وللثالثة منهما في شهادتها حينئذ، لا شك أنها إلى التذكير أحوج منها إلى الإذكار، إلا إن أراد أن التذكير إذا ضحفت صاحبها عن ذكر شهادتها شحذتها على ذكر ما ضحفت عن ذكره فنسيته، فقوتها بالذكر حتى صيرتها كالرجل في قوتها في ذكر ما ضحفت عن ذكره من ذلك، كما يقال للشيء القوي في عمله: «ذَكَرَ»، وكما يقال للشيء الماضي في ضربه: «سيف ذَكَرَ»، و«رجل ذَكَرَ» يراد

به: ماض في عمله، قوي البطش، صحيح العزم.

فإن كان ابن عثمة هذا أراد، فهو مذهب من مذاهب تأويل ذلك، إلا أنه إذا تأوّل ذلك كذلك، صار تأويله إلى نحو تأويلنا الذي تأولناه فيه، وإن خالفت القراءة بذلك المعنى، القراءة التي اخترناها. ومعنى القراءة حينئذ صحيح بالذي اختار قراءته من تخفيف الكاف، من قوله: ﴿فَتَذَكَّرْ﴾، ولا نعلم أحداً تأوّل ذلك كذلك، ويستحب قراءته كذلك بذلك المعنى. فالصواب في قراءته إذا كان الأمر عامّاً على ما وصفنا ما اخترنا. (٣: ١٢٤)

الزجاج: من كسر (أَنْ) فالكلام على لفظ الجزاء ومعناه، المعنى في (أَنْ تُضِلَّ) إن تنسى إحداهما، تذكّرهما التذكير فتذكر. و﴿فَتَذَكَّرْ﴾ رفع مع كسر (أَنْ) لا غير.

والثاني: أن الضلال إنما هو ذهبا عنها ونسيانها إياها، كضلال الرجل في دينه إذا تخبر فيه فعدل عن الحق. وإذا صارت إحداهما بهذه الصفة، فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكراً معها، مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها؟ وللثالثة منهما في شهادتها حينئذ، لا شك أنها إلى التذكير أحوج منها إلى الإذكار، إلا إن أراد أن التذكير إذا ضحفت صاحبها عن ذكر شهادتها شحذتها على ذكر ما ضحفت عن ذكره فنسيته، فقوتها بالذكر حتى صيرتها كالرجل في قوتها في ذكر ما ضحفت عن ذكره من ذلك، كما يقال للشيء القوي في عمله: «ذَكَرَ»، وكما يقال للشيء الماضي في ضربه: «سيف ذَكَرَ»، و«رجل ذَكَرَ» يراد

ولست أعرف لم صار الجزاء إذا تقدم وهو في مكانه أو في غير مكانه، وجب أن يُفتح (أَنْ) معه.

وذكر سيبويه والتحليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم أن المعنى: استشهدوا امرأتين، لأن تذكر

إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار، فكأنه قيل: إرادة أن تُذكر إحداهما الأخرى إن ضلت. ونظيره قوله: «أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعته، وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدعته».

وقرئ (فَتُذَكِّرُ) بالتخفيف والتشديد، وهما لغتان، و(فَتُذَكِّرُ)، وقراءة حمزة: (إِنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا) على الشرط. (فَتُذَكِّرُ) بالرفع والتشديد، كقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَعِمِ اللَّهُ بِهِ﴾ المائدة: ٩٥.

وقرئ (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا) على البناء للمفعول والثاني.

ومن بدع التفسير: ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ فتجعل إحداهما الأخرى ذكراً، يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر. **الذكر**  
محمداً والنسوة.  
(٤٠٣: ١)  
(٣٢١: ١)

**الطبرسي:** [نحو الواحدى وأضاف:]  
وهذا لأن التسيان يطلب على النساء، أكثر مما يطلب على الرجال.

وقيل: هو من الذكر أي يجعلها كذكر من الرجال، عن سفهان بن عتيقة، والأول أقوى.  
فإن قيل: لم كرر لفظة ﴿إِخْدَاهُمَا﴾؟ وهلا قال: فتذكرها الأخرى؟ فجوابه على وجهين:

أحدهما: إنه إنما كرر ليكون الفاعل مقترناً على المفعول، ولو قال: فتذكرها الأخرى، لكان قد فصل بين الفعل والفاعل بالمفعول، وذلك مكروه.  
والثاني: ما قاله حسين بن علي المغربي: إن معناه

إحداهما الأخرى، ومن أجل أن تُذكر إحداهما الأخرى. قال سيبويه: فإن قال إنسان فليسم جازاً أن تَضِلَّ، وإنما أعد هذا للإذكار؟ فالجواب: أن الإذكار لما كان سببه الإضلال جاز أن يُذكر ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ لأن الإضلال هو السبب الذي أوجب الإذكار. قال: ومثله: «أعددت هذا الجذع أن يميل الحائط، فأدعته، إنما أعدته للدعم لا للتيل» ولكن الميل ذكر لأنه سبب الدعم، كما ذكر الإضلال لأنه سبب الإذكار؛ فهذا هو البين إن شاء الله. (٣٦٤: ١)

نحوه ملخصاً البقوي. (٣٩٥: ١)

**الواحدى:** هنا من التذكير بعد التسيان، تقول لها: هل تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا، وبحضرتنا فلان أو فلانة؟ حتى تذكر الشهادة.

والتقدير: فتذكر إحداهما الأخرى الشهادة التي احتملتها.

ومن قرأ: (فَتُذَكِّرُ) من الإذكار، فهو بهذا المعنى أيضاً. يقال: أذكره الشيء، وذكره، مثل: فرخه وأفرجه، وهو كثير... (٤٠٤: ١)

**الزمخشري:** ﴿أَنْ تَضِلَّ إِخْدَاهُمَا﴾ أن لا تهدي إحداهما للشهادة بأن تنساها، من ضل الطريق إذا لم يهتد له. وانتصابه على أنه مفعول له، أي إرادة أن تضل.

فإن قلت: كيف يكون ضلالها مراداً الله تعالى؟ قلت: لما كان الضلال سبباً للإذكار والإذكار مسبباً عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لا تلباسهما واتصالهما، كانت

أن تفضل إحدى الشهادتين، أي تضيّع باللسان، فتذكر إحدى المرأتين الأخرى، لتلايتكرر لفظ ﴿إحديهما﴾ بلامعنى. ويؤيد ذلك أنه لا يسمى ناسي الشهادة ضالاً، ويقال: ضلّت الشهادة، إذا ضاعت. كما قال سبحانه: ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنْهَا﴾ المؤمن: ٧٤، أي ضاعوا عنها.

ابن الجوزي: [نقل بعض الأقوال ومنها قول ابن عثمة، ثم قال:]

قال أبو علي: ليس مذهب ابن عثمة بالقوي، لأنهم لو بلغن ما بلغن، لم تميز شهادتين، إلا أن يكون معهن رجل، ولأن الضلال هاهنا اللسان، فمنحى أن يقابل بما يعادله، وهو التذكير.

الفخر الرازي: المعنى: أن اللسان غالب فلباح النساء، لكثرة البرد والرطوبة في أمريجهن، واجتماع المرأتين على اللسان أبعد في العقل من صدق الشهادتين على المرأة الواحدة، فأقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى أن إحداها لو نسبت ذكرتها الأخرى، فهذا هو المقصود من الآية. ثم فيها مسائل:

المسألة الأولى: قرا حمزة (إن تفضل) بكسر (إن) (فتذكر) بالرفع والتشديد، ومعناه: الجزاء، وموضع (تفضل) جزم إلا أنه لا يتبين في التضعيف. (فتذكر) رفع لأن ما بعد الجزاء مبتدأ.

وأما سائر القراء فقرأوا بنصب (أن)، وفيه وجهان:

أحدهما: التقدير: لأن تفضل، فت حذف منه الحافظ. والثاني: على أنه مفعول له، أي إرادة أن تفضل.

فإن قيل: كيف يصح هذا الكلام والإشهاد للإذكار لا الإضلال؟

قلنا: هاهنا غرضان: أحدهما: حصول الإشهاد، وذلك لا يتأتى إلا بتذكير إحدى المرأتين الثانية. والثاني: بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين أن إقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية؛ وذلك لا يأتي إلا في ضلال إحدى المرأتين.

فإذا كان كل واحد من هذين الأمرين أعني الإشهاد، وبيان فضل الرجل على المرأة مقصوداً، ولا سبيل إل ذلك إلا بضلال إحداها وتذكر الأخرى، لا جرم صار هذان الأمران مطلوبين، هذا ما خطر ببال من الجواب عن هذا السؤال وقت كثرة هذا الموضع. وللتحسين أجوبة أخرى ما استحسنتها والكتب مشتملة عليها، والله أعلم.

العكبري: ﴿إن تفضل﴾ بفتح الهمزة على أنها المصدرية القاصية للقول، وهو مفعول له، وتقديره: لأن تفضل إحداها ﴿فتذكر﴾ بالنصب: مفعول عليه. فإن قلت: ليس الفرض من استشهد المرأتين مع الرجل أن تفضل إحداها، فكيف يقتضى باللام؟

فالجواب ما قاله سيئويه: إن هذا كلام محمول على المعنى، وعادة العرب أن تقدم ما فيه السبب، فيجعل في موضع المسبب، لأنه يصير إليه، ومثله قولك: أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدعته بها، ومعلوم أنك لم تقصد بإعداد الخشبة ميل الحائط، وإنما المعنى لأدغم بها الحائط إذا مال.

فكذلك الآية، تقديرها: لأن تُذكر إحداها  
الأخرى إذا ضلّت أو نضلاها.

ولا يجوز أن يكون التقدير: مخافة أن تضلّ، لأنه  
عطف عليه ﴿فَتَذَكَّرْ﴾، فيصير المعنى: مخافة أن تُذكر  
إحداها الأخرى إذا ضلّت. وهذا عكس المراد  
ويقرأ (فَتَذَكَّرْ) بالرفع على الاستئناف.

ويقرأ (إِنْ) بكسر الهمزة على أنها شرط، وفتحة  
اللام على هذا حركة بناء لانتقاء الساكنين، (فَتَذَكَّرْ)  
جواب الشرط، ورفع الفعل لدخول الفاء الجواب.

ويقرأ بتشديد الكاف وتخفيفها. يقال: ذكرته  
وأذكرته. و(إِخْذِيهِنَّ) الفاعل، و(الأخرى)  
المفعول.

ويصح في المعنى العكس، إلا أنه يمتنع في الإعراب  
على ظاهر قول التحويين، لأن الفاعل والمفعول إذا  
لم يظهر فيهما علامة الإعراب، أوجبوا تقديم الفاعل  
في كل موضع يخاف فيه اللبس. فعلى هذا إذا أمن  
اللبس جاز تقديم المفعول، كقولك: كسر عيسى  
العصا. وهذه الآية من هذا القبيل، لأن التسيان  
والإذكار لا يتعین في واحدة منهما بل ذلك على  
الإيهام، وقد علم بقوله: ﴿فَتَذَكَّرْ﴾، أن التي تُذكر هي  
الذاكرة، والتي تُذكر هي التاسية، كما علم من لفظ  
«كسر» من يصح منه الكسر، فعلى هذا يجوز أن  
يُجعل ﴿إِخْذِيهِنَّ﴾ فاعلاً، و﴿الأخرى﴾ مفعولاً بأن  
يُعكس.

فلان قول: لم يقل فتذكرها الأخرى؟

قيل: فيه وجهان:

أحدهما: أنه أعاد الظاهر ليدل على الإيهام في  
الذكر والتسيان، ولو أضمر لتعین عوده إلى المذكور.

والثاني: أنه وضع الظاهر موضع المضمّر، تقديره:  
فتذكرها. وهذا يدل على أن إحداها الثانية مفعول  
مقدم، ولا يجوز أن يكون فاعلاً في هذا الوجه، لأن  
المضمير هو المظهر بعينه، والمظهر الأول فاعل  
﴿تُضِلُّ﴾ فلو جعل المضمير لذلك المظهر، لكانت  
التاسية هي المذكورة، وهذا محال.

والمفعول الثاني له ﴿تَذَكَّرْ﴾ مضاف، تقديره:  
الشهادة ونحو ذلك، وكذلك مفعول ﴿يَأْبَ﴾،  
وتقديره: ولا ياب الشهادة إقامة الشهادة وتحمل  
الشهادة. (٢٢٩: ١)

البيضاوي: علة اعتبار العدد، أي لأجل أن  
إحداها إن ضلّت الشهادة بأن نسبتها ذكرتها  
الأخرى: والثقة في الحقيقة التذكير، لكن لما كان  
الضلال سبباً له نُزل منزلته، كقولهم: «أصددت  
السلح أن يمي» عدوّ فأدفعه»، وكأنه قيل: إرادة أن  
تذكر إحداها الأخرى إن ضلّت، وفيه إشعار بنقصان  
عقلهن وقلة ضبطهن. (١٤٤: ١)

لهو البروسوي (١: ٤٤١)، وشيبر (١: ٢٨٦).

الألوسي: بيان الحكمة مشروعية الحكم  
واشترائط العدد في النساء، أي شرع ذلك إرادة أن  
تذكر إحداها الأخرى إن ضلّت إحداها، لما أن  
التسيان غائب على طبع النساء لكثرة الرطوبة في  
أمرجهن، وقُدّرت الإرادة لما أن قيد الطلب يجب أن  
يكون فعلاً للأمر وباعثاً عليه، وليس هو هنا إلا

إرادة الله تعالى، للقطع بأن الضلال والتذكير بعده ليس هو الباعث على الأمر بل إرادة ذلك.

واعتراض بأن التسيان وعدم الاهتداء للشهادة لا ينبغي أن يكون مراد الله تعالى بالإرادة الشرعية سيما وقد أمر بالاستشهاد.

وأجيب: بأن الإرادة لم تتعلق بالضلال نفسه، أعني عدم الاهتداء للشهادة، بل بالضلال المرتب عليه الإذكار، ومن قواعدهم أن القيد هو مصب الفرض، فصار كأنه علق الإرادة بالإذكار المسبب عن الضلال والمرتب عليه، فيؤول التحليل إلى ما ذكرنا.

وهذا أولى مما ذهب إليه البعض في الجواب من أن المراد من الضلال: الإذكار، لأن الضلال سبب للإذكار فأطلق السبب وأريد المسبب، لظهور أنه لا ينبغي على ظاهره معنى لقوله تعالى: ﴿تَذَكَّرْ﴾.

قيل: والثبوت في إشارته ﴿أَنْ تَعْلَمَ﴾ إلخ مفسر في أن تذكر إن ضللت الإيماء إلى شدة الاهتمام بشأن الإذكار؛ بحيث صار ما هو مكروه كأنه مطلوب لأجله، من حيث كونه مقتضياً إليه. ﴿إِخْذِيهُمَا﴾ الثانية يجوز أن تكون فاعل ﴿تَذَكَّرْ﴾ وليس من وضع المظهر موضع المضمرة؛ إذ ليست المذكورة هي التاسية، و يجوز أن تكون مفعولاً لـ ﴿تَذَكَّرْ﴾ و ﴿الْأُخْرَى﴾ فاعل، وليس من قبيل ضرب موسى عيسى - كما وهم - حتى يتعين الأول، بل من قبيل أرضعت الصغرى الكبرى، لأن سبق إحداهما بعنوان نسبة الضلال رافع للضلال، والسبب في تقديم المفعول على الفاعل التنبيه على الاهتمام بتذكير الضال، ولهذا -

كما قيل - عدل عن التضمير إلى الظاهر، لأن التقديم حينئذ لا يثبت على الاهتمام كما يثبت عليه المفعول الظاهر الذي لو أخر لم يلزم شيء سوى وضعه موضعه الأصلي.

وذكر غير واحد أن العدول عن (تذكرها الأخرى) وهي قراءة ابن مسعود كما رواه الأعمش إلى ما في النظم الكريم، لتأكيد الإيماء والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال بـ ﴿إِخْذِيهُمَا﴾ بعينها، والتذكير بـ ﴿الْأُخْرَى﴾.

وأبعد الحسين بن علي المفسر في هذا المقام، فجعل ضمير ﴿إِخْذِيهُمَا﴾ الأولى راجعاً إلى الشهادتين، و ضمير ﴿إِخْذِيهُمَا الْآخَرَى﴾ إلى المرأتين، فالمعنى أن تفضل إحدى الشهادتين، أي تضييع بالتسيان فتذكر إحدى المرأتين الأخرى منهما. وأيده الطبرسي بأنه لا يستلزم تنافي الشهادة ضالاً وإتما يقال: ضلّت الشهادة، إذا ضاعت، كما قال سبحانه: ﴿ضَلُّوا عَنْهَا﴾ المؤمن: ٧٤، أي ضاعوا عنها، وعليه يكون الكلام عارفاً عن شائبة توهم الإضمار في مقام الإظهار رأساً. وليس بشيء؛ إذ لا يكون لإحداهما أخرى في الكلام، مع حصول التكميل وعدم الانتظام، وما ذكر في التأييد ينشئ عن قلة الاطلاع على اللغة.

ففي «نهاية» ابن الأثير وغيرها إطلاق الضال على التاسي، قد روي ذلك في الآية عن سعيد بن جبّير والضحاك والربيع والسدي وغيرهم.

ويقرب هذا في القرابة مما قيل: إنه من بدع التفسير، وهو ما حكى عن ابن عثمة أن معنى

﴿فَذَكِّرْ﴾ إلخ فتجعل إحداها الأخرى ذكراً، يعني  
أتهما إذا اجتمعا كانتا بمنزلة الذكر، فإن فيه قصوراً  
من جهة المعنى واللفظ، لأن التذكير في مقابلة التسيان  
معنى مكشوف وغرض يبين، ورعاية العدد، لأن  
التسوية محل التسيان كذلك، ولأن جعلها ذكراً يجاز  
عن إقامتها مقام الذكر، ثم تجوز ثانياً لآتهما القائمان  
مقامه، فلم تجعل إحداها الأخرى قائمة مقامه، وبعد  
التجاوز ليس على ظاهره، لأن الاحتياج إلى اقتصران  
ذكر ألبكة معهما، وقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ تَكُونُونَ  
رَجُلَيْنِ﴾ يُبَيِّنُ عَنْ قَصُورِهَا عَنْ ذَلِكَ أَيْضاً، والتمام  
توجيه مثل ذلك، وعرضه في سوق القبول لا يفتقر فضلاً  
بل هو عند أرباب الذوق عين الفضول.

لقد رأيت في «طراز المجالس» أن المفسرين  
سأل قاضي القضاة شهاب الدين الغزنوي عن لسر  
تكرار «إحدى» مرثياً بما ذكره المصنف، فقال  
بارأس أهل العلوم السادة البررة

ومن نداه على كل الورى نضرة  
ما سر تكرار إحدى دون، تذكرها

في آية نذوى الإلهاد في البقرة  
وظاهر الحال إيجاز الضمير على

تكرار «إحديهما» لو أنه ذكره  
وحمل الإحدى على نفس الشهادة في

أولاهما ليس مرثياً لدى المهرة  
فغص بفكره لاستخراج جوهره

من بحر علمك ثم أبعت لنا ذرره،  
فأجاب القاضي:

يا من فوائده بالعلم منتشرة

و من فضائله في الكون مشتهرة

يا من تفرّد في كشف العلوم لقد

وإني سؤالك والأسرار مستترة

﴿تَضِلُّ إِحْدَيْهُمَا﴾ فالقول محتمل

كليهما فهي الإظهار مفترة

و لو أنى ضمير كان مفتضياً

تعيين واحدة للحكم معتبرة

و من رددتم عليه الحل فهو كما

أشرت لمريضاً لمن سببه

هذا الذي صحح الذهن الكليل به

والله أعلم في القسوى بما ذكره

وهري (أن تحضل) بالبناء للمفصول والتأنيث

وهري (فتذكر) وقرأ ابن كثير وحفوب وأبو عمرو

﴿الْمُسْنَدُ﴾ (فتذكر) بسكون الذال وكسر الكاف،

وحمة (إن تحضل) على الشرط (فتذكر) بالرفع،

وعلى ذلك فالتعليل مجزوم، والفتح لانقائه الساكنين،

والفاء في الجزاء، قيل: لتقدير المبتدأ وهو ضمير الفصة

أو الشهادة، وقيل: لا تقدير لأن الجزاء إذا كان

مضارعاً مثبتاً يجوز فيه الفاء تركه، وقيل: الأوجه أن

يقدر المبتدأ ضمير الذكرة، و﴿إحديهما﴾ بدل عنه أو

عن الضمير في ﴿تذكر﴾.

وقال بعض المحققين: الأوجه من هذا كله تقدير

ضمير التثنية، أي فهما تذكر إحداها الأخرى، عليه

كلام كثير من العربيين، والقاتلون عن ذلك تفرقوا

أيدي سباء لستاروا تنظير الزمخشري قراءة الرفع

بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ المائدة: ٩٥، ولم يفتنوا بأن ذلك إنما هو من جهة تقدير ضمير بعد الغاء بحسب ما يقتضيه المقام، لامن جهة خصوص الضمير إفراداً وتثنيةً.

محمد عهده: تكلم المفسرون في هذا، وجعلوا سببه المزاج، فقالوا: إن مزاج المرأة يعثره البرد فينبهه التسيان، وهذا غير متحقق، والسبب الصحيح: أن المرأة ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوزات، فلذلك تكون ذاكرتها فيها ضعيفة، ولا تكون كذلك في الأمور المنزلية التي هي شغلها، فلأنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل، يعني أن من طبع البشر ذكرنا وإنانا أن أقوى تذكرهم للأمور التي تهتمهم ويكثر اشتغالهم بها، ولا ينافي ذلك اشتغال بعض نساء الأجانب في هذا العصر بالأعمال المالية، فإنه قليل لا يحول عليه، والأحكام العامة التي كفاها بالأكثر في الأشياء وبالأصل فيها.

إن الله تعالى جعل شهادة المراتين شهادة واحدة، فإذا تركت إحداها شيئاً من الشهادة، كأن نسيت أو ضل عنها تذكرها الأخرى وتتم شهادتها، وللقاضى بل عليه أن يسأل إحداها بحضور الأخرى، ويعتد بجزء الشهادة من إحداها وبقاها من الأخرى.

هذا هو الواجب، وإن كان القضاء لا يعملون به جهلاً منهم، وأما الرجال فلا يجوز له أن يعاملهم بذلك، بل عليه أن يفرق بينهم، فإن قصر أحد الشاهدين أو نسي فليس للآخر أن يذكره، وإذا ترك

شيئاً تكون الشهادة باطلة، يعني إذا ترك شيئاً مما يتيسر الحق، فكانت شهادته وحده غير كافية لبيانها، فلائها لا يعتد بها ولا بشهادة الآخر وحدها وإن ثبت.

(رشيد رضا: ٣: ١٢٤)

رشيد رضا: أي حذر أن تضل إحداها، أي تخطئ لعدم ضبطها وقلة عنايتها، فتذكر كل منهما الأخرى بما كان، فتكون شهادتها متممة لشهادتها، أي إن كلا منهما عرضة للخطأ والضلال، أي الضياع، وعدم الاهتمام إلى ما كان وقع بالضبط فاحتج إلى إقامة التنتين مقام الرجل الواحد، لأنهما بتذكر كل منهما للأخرى تقوم مقام الرجل، ولهذا أعاد لفظ ﴿أحدهما﴾ مظهرًا وليس المعنى: ثلثا تنسى واحدة فتذكرها الثانية، كما فهم كثير من المفسرين.

وقال بعضهم: - وهو الحسين بن علي المفسري - مناه: أن تضل إحدى الشهادتين عن إحدى المراتين، فتذكرها بها المرأة الأخرى، فجعل «إحدى» الأولى للشهادة، والثانية للمرأة.

وأيد الطبرسي: بأن نسيان الشهادة لا يسمى ضلالاً، لأن الضلال معناه الضياع، والمرأة لا تضيع واستدل على التفرقة بين الضلال والنسيان بقوله تعالى: ﴿ضَلُّوا عَنْهَا الْمُؤْمِنُونَ: ٧٤، ومثله: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَلْسَى﴾ طه: ٥٢، وكان الأستاذ الإمام أقره عند ما ذكره، وردّه بعضهم: بما فيه من التفكيك، وبأن تفسير الضلال بالنسيان، مروى عن سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما، ونقله ابن الأثير لغة.

أقول: وما ذكرته يُغني عن هذا، ثم قل كلام

الحقّاجي عن طراز المجالس المتقدم عن الألوسي  
وأضاف:

وقد علّل بعضهم كون النساء عرضة للضلال أو  
التسيان، بأنهن ناقصات عقل ودين، وعلّله بعضهم  
بكثرة الرطوبة في أزجتهن. [ثم ذكر كلام محمد عبده  
المتقدم] (١٢٣: ٣)

المراعي: أي حذر أن تضلّ إحداها وتخطي  
لعدم ضبطها وقلة عنايتها، فتذكر كل منهما الأخرى  
بما كان، فتكون شهادتها معقمة لشهادة الأخرى.

و خلاصة هذا أنه لما كان كل منهما عرضة  
للخطأ والضلال، أي الضياع وعدم الاهتمام إلى ما  
كان قد وقع بالضبط، أحتج إلى إقامة التنتين مقام  
الرجل الواحد حتى إذا تركت إحداها نسيًا من  
الشهادة، كان نسيته أو ضلّ عنها، فذكرها الأخرى  
و تتم شهادتها، وعلى القاضي أن يسأل إحداهما  
بمحضور الأخرى، ويمتدّ بجزء الشهادة من إحداها  
وبباقيها من الأخرى. وكثير من القضاة لا يعملون  
بهذا جهلاً منهم بما ينبغي أن يتّبع في نحو هذا.

أما الرجلان فيفرق بينهما، فإن قصر أحدهما أو  
نسي شيئاً مما يبين الحق لا يعضد بشهادته، وتكون  
شهادة الآخر وحده غير كافية، ولا يصحّ عليها إن  
بيّن الحق.

وهذه العبارة لبيان سرّ تشريع الحكم في اشتراط  
العدد في النساء، إذ قد جرت العادة أن المرأة لا تشتغل  
بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوزات، فتكون  
ذاكرتها ضعيفة فيها، بخلاف الأمور المنزلية، فإن

ذاكرتها فيها أقوى من ذاكرة الرجل، فقد جُبل  
الإنسان على أن يقوى تذكّره لما يهتم به، بمعنى بشأته،  
واشتغال النساء في هذا العصر بالمسائل المالية لا يغيّر  
هذا الحكم، لأن الأحكام إنما تكون للأعمّ الأكثر،  
وعدد هؤلاء قليل في كل أمة وجيل. (٧٤: ٣)  
ابن عاشور: هذه حيلة أخرى من تحريف  
الشهادة، وهي خشية الاشتباه والتسيان، لأن المرأة  
أضعف من الرجل بأصل الجبلة بحسب الغالب،  
والضلال هنا بمعنى التسيان.

وقوله: ﴿أَنْ تُضِلَّ﴾ قرأ الجمهور بفتح همزة (أَنْ)  
على أنه محذوف منه لام التعليل، كما هو الغالب في  
الكلام العربي مع «أَنْ»، والتعليل في هذا الكلام  
ينصرف إلى ما يحتاج فيه إلى أن يُعلّل لقصد إقناع  
المكلفين، إذ لا نجد في هذه الجملة حكماً قد لا تعلل  
إليه المتكلمين إلا جعل عوض الرجل الواحد بامرأتين  
اتنتين، فصرّح بتعليله، واللام المقدرة قبل (أَنْ) متعلّقة  
بالخبر المحذوف في جملة جواب الشرط، إذ التقدير:  
فرجل وامرأتان يشهدان، أو فليشهد رجل وامرأتان.  
و قرأوه بنصب ﴿فَتَذَكَّرْ﴾ عطفاً على ﴿أَنْ تُضِلَّ﴾  
و قرأ همزة بكسر الهمزة على اعتبار (إن) شرطية  
و (تضيل) فعل الشرط، ورفع (تذكر) على أنه خبر  
مبتدأ محذوف بعد الفاء، لأن الفاء تؤذن بأن ما بعدها  
غير مجزوم، والتقدير: فهي تذكرها الأخرى، على نحو  
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتِهِمُ اللَّهُ مِتَّةً﴾ المائدة: ٩٥.  
ولما كان ﴿أَنْ تُضِلَّ﴾ في معنى تضلل إحداها،  
صارت العلّة في الظاهر هي الضلال، وليس كذلك بل



العلّة هي ما يترتب على الضلال من إضاعة المشهود به، فتفرّع عليه قوله: ﴿فَتَذَكَّرْ إِحْدِيَهُمَا الْأُخْرَى﴾ لأنّ ﴿فَتَذَكَّرْ﴾ معطوف على ﴿تَضِلُّ﴾ بفاء التقييد، فهو من تكملته، والعبرة بآخر الكلام، كما قدمناه في قوله تعالى: ﴿أَيُّوذاً أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِمَّنْ تَعْمَلُ وَانْتَابَ﴾ البقرة: ٢٦٦.

ونظيره - كما في «الكشاف» - أن تقول: أعددت الخشبة أن يبل الحائط فأدغته، وأعددت السلاح أن يهيء عدوّ فادغمه، وفي هذا الاستعمال جدول عن الظاهر، وهو أن يقال: أن تذكر إحداها الأخرى عند نسيانها، ووجهه صاحب «الكشاف» بأن فيه دلالة على الاهتمام بشأن التذكير حتى صار المتكلم يحلّل بأسبابه القضية إليه لأجل تحصيله.

و ادعى ابن الحاجب في «أماله» على هذا الآية بالفاهرة سنة ست عشرة و ستمئة: أن من ينسئ لصية العرب إذا ذكروا علة و كان للعلّة علة، قدموا ذكر علة العلّة، و جعلوا العلّة معطوفة عليها بالفاء، لتحصل الدلائلثان معاً بعبارة واحدة، ومثله بالمثال الذي مثل به «الكشاف»، و ظاهر كلامه أن ذلك ملتزم و لم أراه لغيره.

و الذي أراه أن سبب الجدول في مثله أن العلّة تارة تكون بسيطة، كقولك: فعلت كذا إكراماً لك، و تارة تكون مركبة من دفع ضرر و جلب نفع بدفعه، فهناك يأتي المتكلم في تحليله بما يدل على الأمرين في صورة علة واحدة إيجازاً في الكلام، كما في الآية و المثالين، لأن المقصود من التعمد خشية حصول التسيان للمرأة

المفردة، فلذا أخذ بقولها حق المشهود عليه و قصد تذكير المرأة الثانية إتيانها، وهذا أحسن مما ذكره صاحب «الكشاف».

وفي قوله: ﴿فَتَذَكَّرْ إِحْدِيَهُمَا الْأُخْرَى﴾ إظهار في مقام الإضمار، لأن مقتضى الظاهر أن يقول: فتذكرها الأخرى، و ذلك أن «الإحدى والأخرى» وصفان مبهمان لا يتعين شخص المقصود بهما، فكيفما وضعهما في موضعي الفاعل و المفعول كان المعنى واحداً، فلو أضمر «الإحدى» ضمير المفعول لكان المعاد واضحاً، سواء كان قوله: ﴿إِحْدِيَهُمَا﴾ المظهر فاعلاً أو مفعولاً به، فلا يظن أن كون لفظ ﴿إِحْدِيَهُمَا﴾ المظهر في الآية فاعلاً ينافي كونه إظهاراً في مقام الإضمار، لأنه لو أضمر لكان الضمير مفعولاً، و للمفعول غير الفاعل، كما قد ظنّه التفتازاني، لأن المنظور إليه في اعتبار الإظهار في مقام الإضمار، هو تأني الإضمار مع اتحاد المعنى، و هو موجود في الآية، كما لا يخفى.

ثم نكتة الإظهار هنا قد تحسّرت فيها أفكار المفسرين، و لم يتعرض لها المتقدمون. قال التفتازاني في «شرح الكشاف»: «و مما ينبغي أن يتعرض له وجه تكرير لفظ ﴿إِحْدِيَهُمَا﴾ و لاختفاء في أنه ليس من وضع المظهر موضع المضمّر، إذ ليست المذكرة هي التاسية إلا أن يجعل ﴿إِحْدِيَهُمَا﴾ الثانية في موقع المفعول، و لا يجوز ذلك لتقديم المفعول في موضع الإتيان، و يصح أن يقال: فتذكرها الأخرى، فلا بد للجدول من نكتة».

وقال العصام في « حاشية التبتاوي » : نكتة التكرير أنه كان فصل التركيب أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلّت، فلما قدّم « إن ضلّت » وأبرز في معرض العلة لم يصح الإضمار - أي لعدم تقدّم إمعاد - ولم يصح أن تفضل الأخرى، لأنه لا يحسن قبل ذكر إحداهما، أي لأن « الأخرى » لا يكون وصفاً إلا في مقابلة وصف مقابل مذكور، فأبدل بـ « إحداهما » أي أبدل موقع لفظ لأخرى بلفظ « إحداهما » ولم يفر ما هو أصل العلة عن حياته، لأنه كان لم يقدّم عليه « أن تفضل إحداهما » يعني بهذا وجه الإظهار.

وقال الحفاجي في « حاشية التفسير » : قالوا: إن النكتة الإيهام، لأن كل واحدة من المرأتين يجوز عليها ما يجوز على صاحبتها من الضلال والتذكير، فدخل الكلام في معنى العموم، يعني أنه أظهر لئلا يتوهم أن إحدى المرأتين لا تكون إلا مذكّرة الأخرى، فلا يكون شهادة بالأصالة، وأصل هذا الجواب لشهاب الدين الغزنوي عسري الحفاجي عن سؤال وجهه إليه الحفاجي، وهذا السؤال [تم ذكر الأشعار كما في الألويسي]

وقد أشار السؤال والجواب إلى ردّ على جواب لأبي القاسم المغربي في تفسيره، إذ جعل « إحداهما » الأول مراداً به إحدى الشهاداتتين، وجعل « تفضل » بمعنى تلتف بالتسيان، وجعل « إحداهما » الثاني مراداً به إحدى المرأتين، ولما اختلف المدلول لم يبق إظهار في مقام الإضمار، وهو تكلف وتشبّه للضماير لادليل عليه، فينزه تخريج كلام الله عليه، وهو الذي

عنه الغزنوي بقوله: « ومن ردّدتم عليه المحلّ إلخ ». والذي أراه أن هذا الإظهار في مقام الإضمار لنكتة هي قصد استقلال الجملة بمدلولها، كيلا يحتاج إلى كلام آخر فيه معاد الضمير لو أضمر، وذلك يُرشح الجملة لأن تجري مجرى المثل، وكان المراد هنا الإيماء إلى أن كلتا الجملتين علة لمشروعية تعدد المرأة في الشهادة، فالمرأة معرضة لطرق التسيان إليها « قلة ضبط ما بهم ضبطه، والتعدد مظنة لاختلاف مواد القصص والمثل، فمضى ألا تنسى إحداهما ما نسيته الأخرى. بقوله: « أن تفضل » تعليل لعدم الاكتفاء بالواحدة، وقوله: « فتذكر إحداهما الأخرى » تعليل لإشهاد امرأة ثانية حتى لا تبطل شهادة الأولى من أصلها (٢: ٥٧٤)

مفتية: هنا سؤالان:

الأول: لما ذاق قال: « أن تفضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى »، ولم يقل: فتذكرها الأخرى، فأعاد الاسم الظاهر، وهو « إحداهما » في جملتين لا فاصل بينهما بعيد أو قريب؟

وأجيب عن ذلك بوجوه: خيرها جميعاً أن شهادة المرأتين لما كانت بمنزلة شهادة الرجل الواحد، وجب الجمع بين المرأتين لتؤدي كل منهما شهادتها على مسمع من الثانية، حتى إذا تركت شيئاً من الشهادة ذهب لا عنه ذكرتها الأخرى، فإذا انتهت الأولى أدت الثانية بمحض من زميلتها، ومثلت الدور الذي مثلته تلك، وعليه تكون شهادة كل منهما متممة لشهادة الأخرى. وهذا المعنى لا يتأذى إلا بإعادة لفظ

﴿إحْدَيْهُمَا﴾، لكني ينطبق على الاثنين، ولو قال: فتذكرها الأخرى، لكان المعنى لثلاثين واحدة فتذكر الثانية، فتكون إحداها ناسية، والأخرى ذاكرة، وليس هذا مجرد، وإنما المراد أن كلًا منهما تذكر الأخرى، كما قدمنا.

و تجمل الإشارة إلى أنه لا يجب الجمع بين الشهود إذا كانوا رجالاً، بل التفريق أولى، على العكس من التماس الشاهدات.

السؤال الثاني: ما هو السر في أن شهادة امرأتين تساوي شهادة الرجل الواحد؟

وأجيب عن هذا السؤال بأوجه: منها: أن المرأة ضعيفة العقل، ومن الطريف جواب بعض المفسرين بأن مزاج المرأة تكثر فيه الرطوبة. ولو صح هذا القول يكون كل رطب المزاج نصف شاهد، حتى ولو كان رجلاً، وكل حار المزاج يكون شاهداً كاملاً. ~~فإن~~ ولو كان امرأة. وأرجح الأقوال نسبياً أن الرجل يملك عاطفته وهوأكثر من المرأة غالباً، والجواب الصحيح أن علينا أن نتجبد بالنص، حتى ولو جهلنا الحكمة منه.

وتجمل الإشارة إلى أن القاضي قد تركز نفسه إلى شهادة امرأة واحدة، ويحصل له العلم من قولها أكثر مما تركز نفسه إلى شهادة عشرة رجال غير عدول.

والقاضي يجوز له أن يقضي بعلمه إذا تكون هذا العلم من ظروف الدعوى وملابساتها وقرائناتها، ولو كانت هذه القرينة شهادة امرأة، ما دامت وسيلة للعلم

أو الاطمئنان. (١: ٤٤٦)

الطباطبائي: ﴿أَنْ تُضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾، على تقدير حذر: أن تضل إحداها، وفي قوله: ﴿إحْدَيْهُمَا الأخرى﴾ وضع الظاهر موضع المضمر، والتكئة فيه اختلاف معنى اللفظ في الموضعين، فالمراد من الأول ﴿إحْدَيْهُمَا﴾ لا على التبيين، ومن الثاني ﴿إحْدَيْهُمَا﴾ بعد ضلال الأخرى، فالمعنيان مختلفان. (٢: ٤٣٤)

عبد الكريم الخطيب: ﴿أَنْ تُضِلَّ إِحْدَيْهُمَا﴾ فكذلك ﴿إحْدَيْهُمَا الأخرى﴾ معدول به عن أن يقال: «أَنْ تُضِلَّ إِحْدَاهُمَا فتذكرها الأخرى» حيث يبدو معناها واحداً، وهو أنه إذا ضلّت إحدى المرأتين عن الحقيقة، التي شهدت عليها، ذكرتها الأخرى بهذه الحقيقة، وأعادتها إلى العتوب.

واللفظ القرآني في ظاهره فيه إطناب وتكرار، ولا يمكن ذلك إلا لمعنى زائد، وإلا لفرض مراد، لا يحقّقه غير هذا اللفظ القرآني على صورته تلك، فما ذا هناك؟

لم يعرض القرآن الكريم للرجلين، إذا ضلّ أحدهما وأنكر ما شهد عليه، كما لم يعرض للرجل مع المرأتين إذا ضلّ عما شهد عليه، وإنما عرض للمرأتين فقط، وما قد يقع من إحداها، فما وجه هذا؟

نقول والله أعلم: إن الشهادة أمانة عهملها الشاهد، وقبلها طائعاً مختاراً، حسبةً لوجه الله، فإذا خسر الشاهد وبذل فيما شهد عليه، فليس لأحد عليه من سبيل، وحسابه عند ربه! سواء أكان الشاهد رجلاً أو امرأة.

ولكن لما كانت المرأة أقرب إلى السهو والتسليان من الرجل، بسبب ما يعرض لها من أحوال جسدية، من حمل وولادة، ومن هزات عاطفية، في قيامها على شؤون صغارها، وما يعرض لهم، لما كانت المرأة على تلك الصفة هنا فإن استشهادهما لم يكن إلا لضرورة، وذلك حين لم يكن ثمة أكثر من رجل واحد يصلح للشهادة وهنا تقوم المرأتان مقام الرجل الآخر المطلوب للشهادة.

ولما كان الضلال عن طريق الحق في جانب المرأتين ليس مقصوراً على إحداهما دون الأخرى، بل هو قدر مشترك بينهما، فقد تذكر إحداها بعض ما شهدت عليه وتنسى بعضاً، كأن تذكر أن الدين قدس كذا وتنسى الأجل المضروب له، أو تذكر أن كان مجلس العقد تنسى زمانه، أو يختلط عليها الأمر في من هو الدائن أو المدين، على حين تذكر الآخر في مسألة نسيت الأولى، وتنسى ما تذكره صاحبها، وهكذا تكمل إحداها الأخرى، فيأتيان بالشهادة على وجهها الصحيح، أو على ما هو أقرب إلى الصحيح فالمراد بالضلال هنا الخيدة من الواقع، بسبب سهو أو تسليان، كما يضل السائر طريقه إلى الغاية التي يقصدها. (٢: ٣٨١)

**فضل الله:** قد يكون الأساس فيه [امراتان مقام الرجل الواحد] هو قوة الجانب العاطفي الذي تقتضيه طبيعة الأمومة التي تحتاج في تحمل مسؤولياتها وأعبائها الثقيلة المرهقة، إلى رصيد كبير من العاطفة، كما تقتضيه طبيعة الأمومة التي توحى بالأجواء

والمشاعر العاطفية المرهقة التي تحير في الجوارح الزوجي الخنثان والعاطفة والطمأنينة. وربما تغلب العاطفة فتتحرف المرأة عن خط العدل في الشهادة وتضل عن الهدى، لاسيما إذا كان جو القضية المشهود بها يوحى بالمأساة في جانب المشهود عليه أو المشهود له، فتشبه العاطفة إلى مراعاة مصلحته من خلال الحالة المساوية الخاصة التي تحيط به، فكان لابد من امرأة مثلها تصحح لها الخطأ، وتذكرها المسؤولية، وتترك للحاكم المجال لممارسة حريته، في الوصول إلى الحق من خلال ذلك.

وليس في القضية إشهاد لكرامة المرأة، لأن العاطفة ليست شيئاً خذاً القيمة في شخصيتها، بل هي قيمة إنسانية كبيرة. ولكن الله أراد هنا أن تعيش الضوابط الذاتية والداخلية والخارجية التي تحميها من الانحلال في الجانب الأقوى منها، على أساس الاحتياط للعدالة التي أراد الله للإنسان أن يبلنها في كل ما يحدث من قضايا وأوضاع، على مستوى الفرد أو المجتمع. [إلى أن تقل بعض الأقوال في معنى ﴿تذكر﴾ و﴿تضلل﴾]

ولكن الأقرب هو أن تكون كلمة ﴿تضلل﴾ مفسرة للتذكر، لأن المطلوب في سلامة الشهادة أن لا يتأثر الشاهد بأية حالة من الحالات التي تؤدي إلى الشهادة بخلاف الواقع، سواء كان ذلك من جهة التسليان أو الخطأ الناشئ من اشتباه الأمور عنده، كنتيجة للخلل في الرؤية أو في فهم الموضوع، من دون انتباه إلى ذلك. ولهذا، فإن التسليان لا خصوصية له في

الموضوع، بل الخصوصية للضلال، وهو الابتعاد عن الحق، من خلال أسبابه الطبيعية.

وربما يقال: إن المفروض عدالة الشاهدة، فكيف تخضع المرأة للخلل في الرؤية أو للفهم السيئ، لتشهد على أساس ذلك، في الوقت الذي تفرض العدالة عليها أن تدقق في المشهود به، فلا يتناسب الإقدام على الشهادة في حالة الخطأ مع العدالة؟

والجواب عنه: أن ذلك قد يكون من غير الطأت إلى أساس الخطأ، كما في الكثير من حالات الاستغراق في الأشياء؛ بحيث يفتح الإنسان فيها على جانب واحد، فلا ينافي ذلك العدالة، كما لا ينافيها التسيان، لأن من الممكن أن تكون الحالتان غير اختياريتين.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن التذكير قد يتمثل في الإخراج من النطقة، كما يتمثل في الإيجاز من التسيان، أو من حالة الخطأ على سبيل الجهل المركب. وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَسْتَ الذِّكْرَىٰ بِمَا أَعْلَىٰ: ٩﴾، وغيرها من الآيات التي تعتبر التذكير رسالة الأنبياء الذين يبلغون الناس رسالات الله، لإخراجهم من ضلالهم، لينتهوا إلى حقائق الأمور وقضايا المصير التي كانوا يعيشون الفكرة الخطأ في طبيعتها وتفاصيلها.

ومن الغريب ما جاء في هذا الكلام من أن النساء أكثر نسياناً من الرجال، ولكن ذلك لم يثبت علمياً ولا وجدانياً، بل هما على حد سواء، لأن أسباب التسيان قد تعيش في داخل الرجال والنساء لتؤثر

فيهم، وربما تحدث للرجل من خلال بعض الحالات الداخلية أو الخارجية الضاغطة المؤدية إلى ذلك بما لا تحدث للمرأة لذلك، فإن الأقرب - والله العالم - أن يكون المراد من «الضلال» معناه الواسع الذي يتمثل في الابتعاد عن الحق في الشهادة، إما خطأ أو غفلة أو نسياناً، ليكون التذكير شاملاً لأي حالة تنبيه على الخطأ.

(٥: ١٧٠ - ١٧٣)

### ذِكْرُ

١- وَذَكَرَ الَّذِينَ أَتَوُا دِيْنَهُمْ لَعِبًا وَلَهُمْ أَوْ غَيْرُ لَهُمُ الْخِيَرَةُ فَعَلُوا ذِكْرَهُمْ أَنْ يَنْبَسِلَ نَفْسُ بِنَا كَسَبَتْ...

الأنعام: ٧٠

ابن عباس: عطف بالقرآن. (١١٢)

مثله النمل: (٤١: ١٥٨)، والواحد: (٢: ٢٨٦)،

والنمل: (٢١: ١٢٣)، وابن الجوزي: (٣: ٦٤)، والسلفي: (٢: ١٨).

الطبرسي: أي عطف بالقرآن، وقيل: يوم الدين، وقيل: بالحساب. (٢: ٣١٨)

رشيد رضا: والضمير في قوله: (به) للقرآن المعلوم بقرينة الحال، لأنه هو الذكر الذي بحث به الرسول المذكر، وبقرينة المقال، كقوله تعالى في آخر سورة ق: ٤٥: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعْبِدُ﴾

والقرآن يفسر بضمه بعضاً، كما قالوا: [إلى أن قال:]

والمعنى وذكر الناس وعظهم بالقرآن اتقاء أن تبسل كل نفس في الآخرة بما كسبت، أي اتقاء حبسها أو رهتها في العذاب، أو إسلامها إليه، أو منعها من نعم

(٣١٩:٥)

المأوردي: فيه وجهان:

أحدهما: إنما أنت واعظ.

الثاني: ذكرهم التعم ليخافوا التعم. (٢٦٢:٦)

الطوسي: ﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.

فالذكير: التعريف للذكر بالبيان الذي يقع به الفهم؛

والنعم بالذكير عظيم، لأنه طريق للمعلم بالأمور التي

تحتاج إليها، وملين القلب للعمل بها، و﴿مُذَكِّرٌ﴾

يعني بنعم الله تعالى عندهم، وما يجب عليهم في مقابلتها

من الشكر والعبادة. فقد أوضح الله تعالى طريق

المحجج في الدين وأكد غاية التأكيد، بما لا يسمع فيه

التقليد بقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٣٣٨:١٠)

نحو: الطوسي: (٤٨٠:٥)

الواحد: فبط إنما أنت واعظ. (٤٧٧:٤)

ابن الجوزي: أي عبط ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي

واعظ، ولم يكن حينئذ أمر بغير التذكير، ويدل عليه

قوله تعالى: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ الفاشية: ٢٢.

أي بسلط، فتعلمهم وتكرهم على الإيمان. (١٠٠:٩)

الفخر الرازي: اعلم أنه تعالى لما بين الدلائل

على صحة التوحيد والمعاد، قال لرسوله ﷺ ﴿فَذَكِّرْ﴾

إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. وتذكير الرسول إنما يكون بذكر

هذه الأدلة وأمثالها، والبعث على النظر فيها،

والتحذير من ترك تلك، وذلك بعث منه تعالى

لرسوله على التذكير والصبر على كل عارض معه،

وبيان أنه إنما بعث لذلك دون غيره، فلهذا قال: ﴿إِنَّمَا

أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١٦٠:٣١)

المجته، وتفادياً من ذلك بما بينه الذكر الحكيم، من

أسباب التجة والسعادة. (٥١٩:٧)

ابن عاشور: الضمير المجرور في ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾

عائد إلى القرآن، لأن التذكير هو التذكير بالله

وبالبعث وبالقيم والعذاب، وذلك إنما يكون

بالقرآن فيعلم السامع أن ضمير القصة يرجع إلى ما في

ذهن المخاطب من المقام، ويدل عليه قوله تعالى:

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ق: ٤٥. وحذف

مفعول ﴿ذَكِّرْ﴾ لدلالة قوله: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا

دِينَهُمْ لُغُيَا وَلَهْوَ﴾ أي وذكرهم به. (١٥٨:٦)

وجاء بهذا المعنى قوله تعالى:

٢- فَذَكِّرْ لِمَا أَنْتَ بِنَفْعَتِ رَبِّكَ يَكَاهِنَ وَلَا مَجْنُونٍ.

الطور: ٢٩

٣- وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَلُوقُ الْمُؤْمِنِينَ

الفرجات: ٥٥

٤- فَذَكِّرْ إِنْ نَفَسْتَ الذِّكْرَى.

الأعلى: ٩

مضت في: «الذكرى».

٥- فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ.

الفاشية: ٢١

ابن عباس: عبط ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ محذوف

بالقرآن. ويقال: واعظ متعظ بالقرآن وبالله. (٥٠٩)

الطبري: ﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد عبادي بآياتي،

وعظهم بمحجبي، وبلغهم رسالي ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.

يقول: إنما أرسلناك إليهم مذكراً، لتذكركم نعمتي

عندهم، وتعرفهم اللازم لهم، وتعظهم. (٥٥٦:١٢)

الزجاج: هذا قبل أن يؤمر النبي ﷺ بالحرب.

الْقُرْطُبِيُّ: أَي عَظَمَهُمْ يَا مُحَمَّدُ وَخَوَّفَهُمْ. (٣٧: ٢٠)  
 التَّنْثِيْقُ: فَذَكَرَهُمْ بِالْأَدَلَّةِ لِيَتَفَكَّرُوا فِيهَا. ﴿إِنَّمَا  
 أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا التَّبْلِيغُ. (٣٥٣: ٤)  
 الشُّرَيْبِيُّ: أَي نَعِمَ اللَّهُ تَعَالَى وَدَلَّاهُ تَوْحِيدَهُ،  
 وَعَظَمَهُمْ بِذَلِكَ وَخَوَّفَهُمْ يَا أَشْرَفَ الْخَلْقِ. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ  
 مُذَكِّرٌ﴾ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا يَنْظُرُوا وَلَا يَذْكُرُوا، أَوْ مَا عَلَيْكَ  
 إِلَّا الْبَلَاغُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ﴾  
 الشُّورَى: ٤٨.

أَبُو السُّعُودِ: الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ﴾  
 لِتَرْتِيبِ الْأَمْرِ بِالذِّكْرِ، عَلَى مَا يَنْبَغِي عَنْهُ الْإِنْكَارُ  
 السَّابِقُ مِنْ عَدَمِ التَّنْظُرِ، أَيْ فَاقْتَصَرَ عَلَى الذِّكْرِ،  
 وَلَا تُلْحِجْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُهْمِئْ لَكَ أَنَّهُمْ لَا يَنْظُرُونَ  
 وَلَا يَذْكُرُونَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ لِمُحَمَّدٍ  
 لِلْأَمْرِ. (٤٢٦: ٦)

مِثْلُهُ الْأَلُوسِيُّ:

الْهَرُوسِيُّ: [مِثْلُ أَبِي السُّعُودِ وَاضَافَ:]  
 ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِمَا أَمَرْتَ بِهِ، أَيْ  
 مَبْلُغٌ، وَإِنَّمَا الْهُدَايَةُ وَالتَّوْفِيقُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

(٤١٨: ١٠)  
 الْمُرَاضِيُّ: ﴿فَذَكِّرْ﴾ بِآيَاتِي، وَعَظَمَهُمْ بِمَجْمَعِي،  
 وَبَلَّغَهُمْ رِسَالَاتِي، وَحَذَّرَهُمْ أَنْ يَتْرَكُوا ذَلِكَ، ثُمَّ يَحْدِثُ  
 لَا تَذَهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا.

ثُمَّ حَلَّلَ الْأَمْرَ بِالذِّكْرِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾  
 أَيْ إِنَّمَا بُعِثْتَ لِلذِّكْرِ فَحَسِبْ، وَ لَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ  
 عَلَيْكَ أَنْ يُؤْمِنُوا؛ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا التَّبَشِيرُ وَالتَّحْذِيرُ، فَإِنْ  
 آمَنُوا فَقَدْ احْتَدَوْا إِلَى مَا تَسُوقُ إِلَيْهِ الْفُطْرَةُ، وَإِنْ

أَعْرَضُوا فَقَدْ تَحَكَّمْتَ فِيهِمُ الْخَفَلَاتُ، وَتَقَلَّبْتَ عَلَيْهِمُ  
 الشَّهَوَاتُ، وَاسْتَوَلَتْ عَلَى عَقُولِهِمُ الْأَهْوَاءُ  
 وَالْجَهَالَاتُ. (١٢٨: ٣٠)

سَيِّدُ قُطَيْبٍ: فَذَكَرَ بِهَذَا وَذَلِكَ، ذَكَرَهُمْ بِالْآخِرَةِ  
 وَمَا فِيهَا، وَذَكَرَهُمْ بِالْكَوْنِ وَمَا فِيهِ، إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ.  
 هَذِهِ وَطِيفَتُكَ عَلَى وَجْهِ التَّعْدِيدِ، وَهَذَا دَوْرُكَ فِي هَذِهِ  
 الدَّعْوَةِ، لَيْسَ لَكَ وَلَا عَلَيْكَ شَيْءٌ وَرَاءَهُ، عَلَيْكَ أَنْ  
 تَذَكَّرَ، فَإِنَّكَ مَيَّسَّرٌ لِهَذَا وَمُكَلَّفٌ إِيَّاهُ. (٣٨٩٩: ٦)

ابْنُ عَاشُورٍ: الْفَاءُ فَصِيحَةٌ تَفْرِيعٌ عَلَى مُحْصَلِ مَا  
 سَبَقَ، مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ، الَّذِي هُوَ التَّذْكَيرُ بِالْفَاشِيَةِ،  
 وَمَا اتَّعَلَّ بِهِ مِنْ ذِكْرِ إِعْرَاضِهِمْ «إِنْذَارِهِمْ، رَغْبَ عَلَى  
 ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ رَسُولَهُ ﷺ بِالذِّوَامِ عَلَى تَذْكَيرِهِمْ، وَأَنَّهُ  
 لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِصْرَارُهُمْ عَلَى الْإِعْرَاضِ، وَعَدَمُ ادِّكَارِهِمْ بِمَا  
 أَتَاهِي إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَوَاعِظِ، وَتَبَيُّنُهُ بِأَنَّهُ لَا تَبْعَةَ عَلَيْهِ مِنْ  
 عَدَمِ إِصْحَاقِهِمْ؛ إِذْ لَمْ يُبْعَثْ مُلْجِئًا لَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ.

فَالْأَمْرُ مُسْتَمْتَلٌ فِي طَلَبِ الْإِسْتِمْرَارِ وَالذِّوَامِ، وَمَقْعُولُ  
 ﴿ذَكِّرْ﴾ مَحْذُوفٌ، هُوَ ضَمِيرٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَهُ:  
 ﴿لَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّطٍ﴾.

وَجُمْلَةُ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِالذِّوَامِ  
 عَلَى التَّذْكَيرِ مَعَ عَدَمِ إِصْحَاقِهِمْ، لِأَنَّ ﴿إِنَّمَا﴾ مَرْكَبَةٌ  
 مِنْ «إِنْ» وَ «مَا» وَ شَأْنُ «إِنْ» إِذَا وَرَدَتْ بَعْدَ جُمْلَةٍ أَنْ  
 تَقِيدَ التَّطْلِيلَ، وَ تُشْفِي غِنَاءَ فَاءِ التَّسْبِيْبِ، وَاتِّصَالِ «مَا»  
 الْكَافَّةِ بِهَا لَا يَخْرُجُهَا عَنْ مَهْمُهَا.

وَالْقَصْرُ الْمُسْتَفَادُ بِـ ﴿إِنَّمَا﴾ قَصْرٌ إِضَافِي، أَي أَنْتَ  
 مُذَكِّرٌ لَسْتُ وَكَيْلًا عَلَى تَحْصِيلِ تَذْكَرِهِمْ، فَلَا تَنْتَحَرِجُ  
 مِنْ عَدَمِ تَذْكَرِهِمْ، فَأَنْتَ غَيْرُ مُقْصَرٍ فِي تَذْكَرِهِمْ. وَهَذَا





القطرة، حتى يكون بيانها تذكيراً أو كالذكر لمن  
فقهها بشيء كان يعرفه بالقوة، فعرفه بالفعل، ويطلق  
على الوعظ والنصح المشتمل على عواقب الأمور.  
(١١: ٤٥٩)

**فَضَّلَ اللهُ:** ﴿وَتَذَكَّرَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ التي تنفع  
قلوبكم على الحقيقة من أقرب طريق، «توجهكم إلى  
الخير في موارده ومصادره، وتربطكم بخط المسؤولية  
الذي يبدأ في حركته الصاعدة، من بداية حياة الإنسان  
لتنتهي إلى يوم القيامة، في مواجهة نتائجها بين يدي  
الله، ليكون العمل منطلقاً في أجواء الرسالة وآفاقه».  
وبذلك كان هذا الذكر المستمر الذي لا يتصل  
حالة شخصية تطلق من تجربة خاصة، بل يمثل وحيثما  
إنها ينطلق من وحي الله، لتثير الإنسان نحو التفكير  
الذي يقوده إلى محاكاة الأشياء ودراستها ومناقشتها،  
بشكل موضوعي هادئ، ليتحرك نحو إدارة الجوارح  
الآخرين، من موقع مسؤولته الفكر على أساس قضية  
المصير، في ما يتصل بحياته وحياة الناس من حوله.  
(١١: ٣٤٤)

### تذكرة

١- مَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ يَشْفِي ۖ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ  
يَشْفِي.

ابن عباس: عظة.

مثله البقوي.

القرآن: قوله: ﴿إِلَّا تَذَكُّرٌ﴾ نصبها على قوله:

«وَمَا أُنْزِلْنَا إِلَّا تَذَكُّرٌ».

الطبري: قد اختلف أهل العربية في وجه نصب

﴿تَذَكُّرٌ﴾، فكان بعض نحويي البصرة يقول: قال،  
﴿إِلَّا تَذَكُّرٌ﴾ بدلاً من قوله ﴿يَشْفِي﴾، فجعله: ما  
أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ إِلَّا تَذَكُّرٌ.

و كان بعض نحويي الكوفة يقول: نصبت على  
قوله: «مَا أُنْزِلْنَا إِلَّا تَذَكُّرٌ».

و كان بعضهم ينكر قول القائل: نصبت بدلاً من  
قوله: ﴿يَشْفِي﴾، ويقول: ذلك غير جائز، لأن  
﴿يَشْفِي﴾ في الجسد، و ﴿إِلَّا تَذَكُّرٌ﴾ في التحليل،  
ولكنه تكرير.

و كان بعضهم يقول: معنى الكلام: ما أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ  
القرآن إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَشْفِي، لا يَشْفِي.

المأوردي: فيه وجهان:

أحدهما: إِلَّا إِنْذَارٌ لِمَنْ يَشْفِي اللهُ.

والثاني: إِلَّا زَجْرٌ لِمَنْ يَتَّقِي الذُّنُوبَ. (٣: ٣٩٣)

القطبي: القرآن تبصرة لذوي العقول، تذكرة  
لذوي الوصول، هؤلاء به يستبصرون، فينالون به  
راحة النفس في آجالهم، وهؤلاء به يذكرون فيجدون  
رَوْحَ الْأَنْسِ في عاجلهم. (٤: ١١٧)

الزمخشري: أما النصب في ﴿تَذَكُّرٌ﴾ فهي  
كالتي في ضربت زيداً، لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي  
هي أصول وقوانين لغرها.

فإن قلت: هل يجوز أن يكون ﴿تَذَكُّرٌ﴾ بدلاً من  
محل ﴿يَشْفِي﴾؟

قلت: لا، لاختلاف الجنس، ولأنها نصب على  
الاستثناء المنقطع الذي (إلا) فيه بمعنى «لكن»،  
و يحتمل أن يكون المصنف: إنا أنزلنا عليك القرآن

لتحتمل متاعب التبليغ، ومقاولة العناد من أعداء الإسلام، ومقاتلتهم، وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة، وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليهكون تذكرة. وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون ﴿تَذْكِرَةً﴾ حالاً ومفعولاً له ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾.

(٥٢٩: ٢)

ابن عطية: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ يصح أن يُصَبَّ على البذل من موضع ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾. ويصح أن يُصَبَّ بفعل مضمر، تقديره: لكن أنزلناه تذكرة.

الفخر الرازي: وجه كون القرآن تذكرة، أنه ﷺ كان يعظم به وبيانه، فدخل تحت قوله: ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾ الرسول ﷺ لأنه في الخشية والتذكرة بالقرآن كان فوق الكل.

البيضاوي: لكن تذكيراً أو انتصاحاً على الاستثناء المنقطع. ولا يجوز أن يكون مبدلاً من ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾ لاختلاف الجنس، ولا مفعولاً له ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾ فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين. وقيل: هو مصدر في موقع الحال من الكاف، أو القرآن أو مفعول له على أن ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾ متعلق بمحذوف هو صفة القرآن، أي ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه إلا تذكرة لمن يخشى.

(٤٥: ٢)

نحوه شبر ملخصاً.

النسفي: استثناء منقطع. أي لكن أنزلناه تذكرة، أو حال.

(٤٨: ٣)

نحوه الشريفي.

أبو السعود: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ يُصَبَّ على أنه

مفعول له ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾ لكن لا من حيث إنه معلل بالشقاء، على معنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً...﴾. كقولك: ما ضربتك للتأديب إلا إشفاقاً، لما أنه يجب في أمثاله أن يكون بين العلتين ملازمة بالسببية والمسببية حتمًا، كما في المثال المذكور. وفي قوله: ما شافهتك بالسوء لتأذي إلا

زجرًا لغيرك. فإن التأديب في الأول مسبب عن الإشفاق، والتأذي في الثاني سبب لزجر الغير، وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من الثاني، ولا يجدي أن يراد به التعب في الجملة الجامع للتذكرة، لظهور أن لا ملازمة بينهما بما ذكر من السببية والمهيئة. وإنما يجوز ذلك أن لو قيل مكان ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾: إلا تذكيراً

مفعولاً له ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾ فإن الأجر بقدر التعب. ولا من حيث إنه بدل من فعل ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾. كما في قوله تعالى: ﴿مَا فَعَلُوا إِلَّا ظُلْمًا﴾. لوجوب المجانسة بين البدلين. وقد عرفت حالهما، بل من حيث إنه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع. كأنه قيل: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه. ولكن تذكرة لمن يخشى. وقد جرد «التذكرة» من اللام لكونها فعلاً لفاعل الفعل المعلن، أي لمن من شأنه أن يخشى الله عزّ وعلا، ويتأثر بالإنذار. لرقّة قلبه ولين عريكته، أو لمن علم الله تعالى أنه يخشى بالتخوف.

(٢٦٧: ٤)

نحوه البروسوي ملخصاً (٣٦٢: ٥)، واللويسي

(١٥٠: ١٦).

الطباطبائي: التذكرة هي إحياء الذكر فحين

نسي الشيء، وإذا كان الإنسان ينال حقائق الدين الكلية بفطرته، كوجوده تعالى، وتوحيده في وجوب وجوده، وألوهيته وربوبيته والنبوة والمعاد وغير ذلك، كانت أموراً مودعة في الفطرة، غير أن إخلاد الإنسان إلى الأرض وإقباله إلى الدنيا واستغاله بما يهواه من زخارفها اشتغالا لا يدع في قلبه فراغا، أنساه ما أودع في فطرته، وكان إلقاء هذه الحقائق إلقاء لنفسه إليها وتذكرة له بها بعد نسيانها.

ومن المعلوم أن ذلك إعراض، وإعماضي نسائيا بنوع من العناية، وهو اشتراكهما في الأثر، وهو عدم الاعتناء بشأنه. فلابد في دفع هذا النسيان الذي أوجبه اتباع الهوى والانكباب على الدنيا، من أمر ينزع النفس اشتغالا، ويدفعها إلى الإقبال إلى الحق **دفعها** وهو الخشية والخوف من عاقبة الغفلة **ووبال** الاسترسال، حتى تقع التذكرة موقعها، **وتلح في التلح** الحق صاحبها.

وبما تقدم من البيان يظهر وجه تسمية التذكرة بقوله: ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾، وأن المراد به ﴿مَنْ يَخْشَى﴾ من كان في طبعه ذلك، بأن كان مستعداً لظهور الخشية في قلبه لو سمع كلمة الحق، حتى إذا بلغت إليه التذكرة ظهرت في باطنه الخشية، فأمن وانقى.

والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ استثناء منقطع على ما قالوا، والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتعجب به نفسك، ولكن ليكون مذكراً يتذكر به من شأنه أن يخشى، فيخشى هوى من يالله ويتقي.

فالسباق على رسله يستدعي كون: ﴿تَذْكِرَةً﴾

مصدراً بمعنى الفاعل ومفعولاً له، لقوله: ﴿مَا أُنْزِلْنَا﴾ كما يستدعي كون قوله: ﴿تَذْكِرَةً﴾ بمعنى اسم المفعول حالاً من ضمير ﴿تَذْكِرَةً﴾ الرجوع إلى القرآن، والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتعجب به نفسك، ولكن لتذكر الخاشعين بكلام إلهي منزل من عنده.

(١١٩: ١٤)

مكارم الشيرازي: ثبوت الآية الأخرى الهدف من نزول القرآن، فتقول: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ إن التعبير بـ ﴿تَذْكِرَةً﴾ من جهة، وبـ ﴿مَنْ يَخْشَى﴾ من جهة أخرى يشير إلى واقع لا يمكن إنكاره، وهو: أن التذكرة توحى بأن أسس ومقومات كل التعليمات الإلهية موجودة في أعماق روح الإنسان وطبيعته، والتعليمات الأنبياء تجعلها متممة، وتوصلها إلى **الطبع النضج**، كما تذكّر أحيانا ما يطلب وأمرنا.

**لا تنسى**: إن الإنسان كان يعلم كل العلوم من قبل و زالت من ذاكرته، وإن أثر التعليم في هذا العالم هو التذكير فحسب - كما ينقلون ذلك عن أفلاطون - بل نقول: إن مادتها الأصلية قد أخفيت في طينة آدمي، **دفعوا ذلك**. (٤٦٥: ٩)

نحوه فضل الله. (٩١: ١٥)

٢- نحن جعلناها تذكيرة ومقارناً للمؤمنين.

الواقعة: ٧٣

ابن عباس: عظة للنار الآخرة. (٤٥٥)

مجاهد: للنار الكبرى التي في الآخرة.

(الطبري ١١: ٦٥٦)

نحوه عكرمة ومقابل (الواحد ٤: ٢٣٨).

وَقَتَادَةَ. (الطَّبْرِيّ ١١: ٦٥٦) وَالْقُلَيْبِيّ (٢١٧: ٩).

تبصرة للناس من الظلام. (الماورديّ ٥: ٤٦١)  
عطاء: موعظة ليتعظ بها المؤمن.

(الواحديّ ٤: ٢٣٨)

ابن قُتَيْبَةَ: أي تذكركم جهنم. (٤٥١)

الطَّبْرِيّ: نحن جعلنا النار تذكرة لكم تذكرون  
بها نار جهنم، فتعبرون وتتعظون بها. (١١: ٦٥٥)  
الطُّوسِيّ: يجوز أن يكون المراد تذكرة بتذكرها  
ويعتبر فيها ويعتبر بها، فيعلم أنه تعالى قادر على  
النشأة الثانية، كما قدر على إخراج النار من الشجر  
الرطب. (٩: ٥٠٨)

نحوه الطَّبْرَسِيّ (٥: ٢٢٤)، وشتر (٦: ١٤٩).

الْقُشَيْرِيّ: فالمعنى أن هذه النار تذكرة بتذكر  
بها الإنسان ما نوعده به في الآخرة. (٦: ٦٩٣)

الزَّمَخْشَرِيّ: تذكرنا نار جهنم حيث علقنا بها  
أسباب المعاش كلها، وعلمنا بالحاجة إليها الهلوى،  
لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما  
أوعدها به.

أو جعلناها تذكرة وألحذجنا من جهنم، لما روي  
عن رسول الله ﷺ «لاركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء  
من سبعين جزءاً من حر جهنم». (٤: ٥٨)

نحوه التَّنَافُيّ (٤: ٢١٩)، والتيسابوريّ (٢٧: ٢٧).

٨٢، والمراخيّ (٢٧: ١٤٨).

ابن الجوزيّ: قال المفسرون: إذا رآها الرائي  
ذكر نار جهنم، وما يخاف من عذابها، فاستجار بالله  
منها. (٨: ١٤٩)

القَطْر الرَّاظِيّ: في قوله: «تذكرنا» وجهان:

أحدهما: تذكرة لنار القيامة، فيجب على العاقل  
أن يخشى الله تعالى وعذابه إذا رأى النار الموقدة.

وثانيهما: تذكرة بصحة البعث، لأن من قدر على  
إبداع النار في الشجر الأخضر، لا يعجز عن إبداع  
الحرارة الفريزية في بدن الميت.

وفيه لطيفة: وهو أنه تعالى قدم كونها تذكرة على  
كونها متاعاً، ليعلم أن الفائدة الأخروية أتمّ وبالذكر  
أهم. (٢٩: ١٨٤)

البيضاويّ: تبصرة في أمر البعث، أو في الظلام،  
أو تذكرنا أو ألحذجنا لنار جهنم. (٢: ٤٤٩)

الشَّيْبَانِيّ: أي: شيئاً يتذكر به تذكرنا عظيماً  
جليلاً كما أخبرنا به من البعث وعذاب النار  
المكبرى، وما ينشأ فيها من شجرة الزقوم وغير ذلك.  
وقيل: موعظة يتعظ بها المؤمن. (٤: ١٩٤)

أبو السَّعْدِ: [نحو الزَّمَخْشَرِيّ وأضاف:]  
وقيل: تبصرة في أمر البعث، فإنه ليس بأبدع من  
إخراج النار من الشيء الرطب. (٦: ١٩٤)

البرُّومِيّ: [نحو أبي السَّعْدِ وأضاف:]  
وفي «عين المعاني»: وهو حجة على منكري  
عذاب القبر، حيث تضمن النار ما لا يحرق ظاهراً.

(٩: ٣٣٥)

الآلُوسِيّ: [نحو أبي السَّعْدِ وأضاف:]  
وعلى الوجهين التذكرة من الذكر المقابل  
للنسيان، ولم ينظر في الأوّل إلى أنها من جنس نار  
جهنم أولاً، وفي الثاني نظر إلى ذلك وقيل: تبصرة في

أمر البعث، لأن من أخرج النار من الشجر الأخضر المضاد لها قادر على إعادة ما تفرقت مواده.

وقيل: تبصرة في الظلام يُبَصِّرُ بضوئها، وفيه أن التذكيرة لا تكون بمعنى التبصرة المأخوذة من البصر، وكون المراد تذكيرة لنار جهنم هو المأثور عن الكثيرين، ومنهم ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

(٢٧: ١٥٠)

سيد قطب: تذكر بالنار الأخرى، كما جعلناها ﴿مَتَاعًا لِلْمُقْسِينَ﴾، أي للمسافرين. وكان لهذه الإشارة وقعها العميق في نفوس المخاطبين، لما نقلته في واقع حياتهم من مدلول حي حاضر في تجاربهم وواقعهم.

مفنيّة: موعظة تذكر بالبعث، لأن من أخرج النار من الشجر الأخضر يحيي الخلق بعد موته. (٧: ٢٢٩)

مكارم الشيرازي: إن لإشعال النار في الجحيم الشرارة الأولى، والتي تستحصل اليوم بواسطة الكبريت والقذاحات وما إلى ذلك، فإنهم كانوا يحصلون عليها من الحديد والحجر المخصص للقذح؛ حيث تظهر الشرارة بضرب الواحد بالآخر. أما أعراب الحجاز فكانوا يستفيدون من نوعين من الشجر الخاص الذي ينمو في الصحراء، وهما «المرخ» و«العفار» حيث يأخذون قطعتي خشب ويضعون الأولى أسفل والعفار فوقه، فتوكد الشرارة منها، كما تتوكد من الحجر المستعمل للقذح.

وفسر أغلب المفسرين الآية بأنها دليل آخر على قدرة الله البالغة في النار المخفية في خشب الأشجار

الخضراء، كمؤكد للثبوت والثبات في الوقت الذي تكون فيه الأشجار الخضراء متباعدة بالماء، فأين الماء؟ وأين النار؟

هذا الخالق العظيم الذي يتميز بهذه القدرة، الذي وضع الماء والنار جنباً إلى جنب الواحد داخل الآخر، كيف لا يستطيع أن يلبس الموتى لباس الحياة، ويحييهم في الحشر؟

وقد ورد دليل تشبيه بهذا حول المعاد في الآية: ٨٠، آخر آيات سورة يس أيضاً، يقول تعالى: ﴿الَّذِي يَجْعَلْ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أُلْتِمُ بِهِمْ يَبْعُثُونَ﴾.

ولكن كما ذكرنا في تفسير الآية أعلاه، فإن تعبير «القرآن يمكن أن يكون إشارة إلى دليل الظرف، وهو حشواً وتحرر الطاقات وإطلاقها.

ويتجلى آخره: فإن الحديث هنا ليس فقط عن القاذحات بل عن المواد التي لديها قابلية الاشتعال - كالخشب والحطب - حيث تؤكد عند احتراقها كل هذه الحرارة والطاقة.

توضح ذلك: أنه ثبت من التاحية العلمية، أن النار التي نشاهدها اليوم عند احتراق الأخشاب هي نفس الحرارة التي أخذتها الأشجار من الشمس على مر السنين وأدخرتها في داخلها، فنحن نتصور أن أشعة الشمس طيلة إشراقها على الشجر خلال خمسين سنة قد ذهبت آثارها، خافلين عن أن حرارتها قد أدخرت في الشجرة، وعندما تصل شرارة النار إلى الأخشاب اليابسة تبدأ بالاحتراق وتطلق الحرارة الكامنة فيها.

الجوزي (٨: ٣٤٨)، والفخر الرازي (٣٠: ١٠٦)،  
والسقي (٤: ٢٨٦).

الطوسي: تذكرون بها أنعم الله، وتشكرونها  
عليها، وتفكرون فيها. (١٠: ٩٨)

نحوه الطبرسي: (٥: ٣٤٥)  
القرطبي: المعنى أبقيت لكم تلك المنشآت حتى

تذكروا ما حل بقوم نوح، وإنجاء الله آباءكم، وكم من  
سفينة هلكت وصارت ترابًا، ولم يبق منها شيء.

وقيل: لتجعل تلك القطعة من إغراق قوم نوح  
وإنجاء من آمن معه موعظة لكم. (١٨: ٢٦٣)

البيضاوي: عبرة ودلالة على قدرة الصانع  
وحكمته وكمال قهره ورحمته. (٢: ٤٩٩)

نحوه أبو السعود (٦: ٢٩٤)، والمراشي (٢٩: ٥٣).  
ابن عاشور: ذكر إحدى الحكيم والعلل لهذا

الحمل، وهي: حكمة تذكير البشر به على تعاقب  
الاعصار، ليكون لهم باعثًا على الشكر، وعظة لهم من

أسوأ الكفر، وليخبر بها من عليها قومًا لم يعلموها  
فنجيها أجمعهم. (٢٩: ١١٤)

مفاتيح: الهاء تعود إلى قصة نوح وسفينته،  
وكرر هاء سبحانه في كتابه، لتكون عظة وعبرة.

وأيضًا يعرف كل إنسان أنه لو لا سفينة نوح لما  
كان لأبناء آدم وحواء بعد الطوفان عين ولا أثر. وقد

أبعد أبو العلاء حين دعا على أمنا حواء بالعقم، لأن  
الوجود من حيث هو نعمة، كما قال أرسطو وتلاميذه.

الطباطبائي: تعليل لحملهم في السفينة، فضمير  
الطبا

وبذلك يكون هنا أيضًا معاد ومحشر ونجما  
الطافات من جديد مرة أخرى، ولسان حال الأشجار

يقول: إن الخالق الذي هبنا لنا المحشر قادر أن يهب  
لكم حشرًا يابني البشر. [إلى أن قال:]

وفي الآية اللاحقة يضيف مؤكدًا الأبحاث  
أعلاه بقوله سبحانه: ﴿لَنُحْيِيَنَّهَا نُدُورًا وَمَتَاعًا

لِلْمُتَّقِينَ﴾. إن عودة النار من داخل الأشجار الخضراء تذكرنا  
برجوع الأرواح إلى الأبدان في المحشر من جهة، ومن

جهة أخرى تذكرنا هذه النار بنار جهنم. (١٧: ٤٥٤)  
فضل الله: أي موعظة للناس، كونها توحى

بالتأثر الخالدة في الآخرة التي تثير في نفوسهم الخوف  
والحذر، وتدفعهم إلى طاعة الله في مواقع رضاه.

(٢١: ٣٤٩)

٣- لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُنْزَاجُهَا.

الحاقة: ١٢  
ابن عباس: عظة تشغلون بها. (٤٨٣)

نحوه الفراء. (٣: ١٨١)  
قتادة: فأبقاها الله تذكرة وعبرة وآية حتى نظر

إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة قد كانت بعد  
سفينة نوح قد صارت رمادًا. (الطبري ١٢: ٢١٢)

الطبري: يعني عبرة وموعظة تشغلون بها.  
(١٢: ٢١٢)

نحوه السلمي (١٠: ٢٨)، والواحدي (٤: ٣٤٥)،  
والبحوي (٥: ١٤٥)، والزمخشري (٤: ١٥١)، وابن

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ للحمل باعتبار أنه فعله، أي فعلنا بكم تلك الفعل، لنجعلها لكم أمراً تذكرون به، وعبرة تتبرون بها، وموعظة تتعلمون بها. (٣٩٤: ١٩)  
عبد الكريم الخطيب: أي لنجعل هذه الإشارة إلى نجاتكم في أصلاب آباءكم الأولين، الذين آمنوا ولجوا من الطوفان، لنجعل هذه الإشارة تذكراً لكم أنها المشركون، تذكرون بها أنكم من أصلاب آباء كانوا مؤمنين، فكونوا مثلهم، إذا كنتم حقاً تحرصون على التمسك بما كان عليه آباؤكم، إذ تقولون: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾ المائة: ١٠٤، لأن في آباءكم مهتدين، وضالين، فتخبروا من تروثه أهلاً للتأبع من هؤلاء الآباء. (١١٣٠: ١٥)

مكارم الشيرازي: إننا لم نرد الانتقام منكم أبداً، بل الهداية والخير والسعادة، كنا نروم أن نكونوا في طريق الكمال والتضيق التربوي والوصول إلى ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المكرم. (٥٢٦: ١٨)

٤- وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ. الحاقة: ٤٨

ابن عباس: عظة.

الطبري: يعني عظة يتذكر به، ويتلذذ به للمؤمنين.

(٢٢٤: ١٢)

الماوردي: في التذكرة أربعة أوجه: أحدها:

رحمة، الثاني: ثبات، الثالث: موعظة، الرابع: نجاة.

(٨٧: ٦)

الطوسي: التذكرة: العلامة التي يذكر بها المعنى،

ذكره تذكرة، فهو مذكر، كقولك جزاء تجزية، فالمتنبي

يتذكر القرآن بأن يعمل عليه في أمر دينه في اعتقاد أو عمل به، فيتميز الجائز مما لا يجوز، والواجب مما ليس بواجب، والصحيح مما لا يصح. (١١٠: ١٠)

القرطبي: يعني القرآن. وقيل: المراد بمحمد ﷺ أي هو تذكرة ورحمة ونجاة. (٢٧٧: ١٨)

سيد قطب: فهذا القرآن يُذكر القلوب الثمينة فتذكر إن الحقيقة التي جاء بها كامنة فيها، فهو يتبرها فيها ويذكرها بما فتش ذكرها، فأما الذين لا يتقنون فقلوبهم مطوسة غافلة، لا تنفتح ولا تتذكر، ولا تفيد من هذا الكتاب شيئاً، وإن المتقين ليجدون فيه من الحياة والنور والمعرفة والتذكير ما لا يجدونه الغافلون. (٣٦٨٩: ٦)

ابن عاشور: التذكرة: اسم مصدر التذكير، وهو التنبه إلى مخول عنه.

والإظهار به ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ﴾ إخبار بالمصدر للمبالغة في الوصف، والمعنى: أنه مذكر للناس بما يغفلون عنه من العلم بالله، وما يليق بجلاله لينتشلهم من هوة القمادي في الغفلة حتى يفوت الفوات، فالقرآن في ذاته تذكرة لمن يريد أن يتذكر، سواء تذكر أم لم يتذكر.

وقد تقدم تسمية القرآن بالذكر والتذكير في آيات عديدة، منها: قوله تعالى في سورة طه: ٣، ﴿إِنَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾، وقوله: ﴿وَقَالُوا لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي كُذِّبَ الذِّكْرُ﴾ في سورة الحجر: ٦.

(١٣٧: ٢٩)

الطباطبائي: يذكرهم كرامة تقوهم ومعارف

المبدأ والمعاد بحقائقها، ويعرفهم درجاتهم عند الله ومقاماتهم في الآخرة والجنة، وما هذا شأنه لا يكون تنوُّلاً وافتراءً، فالآية مسوقة حجة على كون القرآن منزهاً عن التناول والقرينة. (١٩: ٤٠٥)

عبد الكريم الخطيب: يذكّرهم بما في فطرتهم السليمة، من إيمان بالله، وتقبل للحق والخير، فهل بقي لكم من فطرتكم أنها المشركون شيء تلتقي به مع الحق، وتؤمن به؟ (١٥: ١١٥٢)

وهذا المعنى جاء قوله تعالى:

٥ و ٦ - كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ مَدِّتُرٌ ٥٤. و عيسى: ١١

مضت في: «ذكر».

٧ و ٨ - إِنَّ هَٰذَا تَذَكُّرٌ قَسَنَ شَاءَ الْغَدَ إِلَىٰ وَبَسْ

المزمل: ١٩. والنظر: ٢٩

الماوردي: يحتمل بالمراد بـ ﴿هَٰذَا﴾ وجهين:

أحدهما: هذه السورة.

الثاني: هذه الخلقة التي خلق الإنسان عليها.

ويحتمل قوله: ﴿تَذَكُّرٌ﴾ وجهين:

أحدهما: إذكار ما غفلت عنه عقولهم.

الثاني: موعظة بما تؤول إليه أمورهم. (٦: ١٧٤)

الفخر الرازي: المعنى أن هذه السورة بما فيها من

الترتيب العجيب، والتساق البعيد، والوعد والوعيد،

والترغيب والترهيب، تذكرة للمتأملين وتبصرة

للمستبصرين. (٣٠: ٢٦١)

ابن عاشور: التذكرة: مصدر ذكر، مثل التزكية.

أي أكلّمه كلاماً يذكّره به ما عسى أن يكون نسيه، أطلقت هنا على الموعظة بالإقلاع عن عمل سيئ والإقبال على عمل صالح، وعلى وضوح الخير والشر لمن تذكر، أي تبصر بتشبيه حالة المعرض عن الخير المشغول عنه بحالة الناسي له، لأن شأنه ألا يفرط فيه إلا من كان ناسياً لما فيه من نفع له.

(٢٩: ٣٨١)

عبد الكريم الخطيب: أي إن هذه الآيات، وما ضمت عليه، من علم، وحكمة، هي تذكرة وموعظة، وهي دليل هاد، وقائد أمين، لمن شاء أن يتعرف طريقه إلى الله، ويمسك مسالك الهدى والرشد.

(١٥: ١٣٨٥)

فضل الله: ﴿إِنَّ هَٰذَا تَذَكُّرٌ﴾ في ما تعبر عنه هذه السورة من حقيقة الوجود الإنساني وحرية الاختيار في الإنسان، وآنساق الهداية في حياته، وحركة مسؤولته في التزاماته في دائرة السلب والإيجاب، ونتائج المواقف غذا بين يدي الله، مما يفتح قلب الإنسان على الله ليدركه دائماً، فلا يفضل عنه القلب واللسان والروح، ليتجه إليه في عمله، وليستمع إلى النداء الرسالي الصاغر منه في دعوته إلى الناس، أن يأخذوا بالطريق المستقيم. (٢٣: ٢٨١)

### التذكرة

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. المدثر: ٤٩

ابن عباس: عن القرآن. (٤٩٣)

نحوه فتادة (الطبري ١٢: ٣٢٠)، والتسفي (٤:



(٣١٢)، وأبو السعود (٦: ٣٣٣)، ومفتي (٧: ٤٦٥)، إلى سلامة المصير؟ (٢٣: ٢٢٧)  
والطباطبائي (٢٠: ٩٩).

الطبري: عن تذكّر الله إياهم بهذا القرآن.

(١٢: ٣٢٠)

الماوردي: ... ويحتمل ثانياً: عن الاعتبار بعقولهم.

(٦: ١٤٨)

الطوسي: عن التوبة والرتبة. (١٠: ١٨٧)

الزمخشري: عن التذكير وهو العظة، يريد

القرآن أو غيره من المواعظ. (٤: ١٨٧)

مثله الفخر الرازي (٣٠: ٢١١)، ونحوه البضاوي

(٢: ٥٢٠).

الطبرسي: «التذكيرة»: التذكير بمواعظ القرآن

(٥: ٣٩٦)

نحوه ابن الجوزي. (٨: ١١٥)

ابن عاشور: جيء باسم التذكيرة الظاهر دون أن

يؤتى بضمير، نحو أن يقال: عنها مرضين، لتلاخيص

الإنكار والتعجب بإعراضهم عن تذكيرة الإنذار

بستقر، بل المقصود التعميم، لإعراضهم عن كل تذكيرة،

وأعظمها تذكيرة القرآن. كما هو المناسب للإعراض.

قال تعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا نُكْرِلُ لِلْعَالَمِينَ» التكاوير: ٢٧.

(٢٩: ٣٠٥)

فضل الله: ما هو السبب الذي يتمتعهم من الإقبال

على الحقائق الفكرية، المتصلة بمقيدة التوحيد وباليوم

الآخر، من خلال الآيات القرآنية التي بلغها

الرسول ﷺ، لتفتح عقولهم على آفاق الحق، ليتذكروا

وليفكروا. ليتعرفوا على عمق الفكر الذي يقودهم

تذكروا

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ

تذكروا فإذا هم مبهورون. الأعراف: ٢٠١

ابن عباس: عرفوا. (١٤٤)

سعيد بن جبيرة: هو الرجل يغضب الغضب

فيذكر الله، فيكظم الغيظ. (التعليق: ٤: ٣٢٠)

مجاهد: هو الرجل هم بالذنب فيذكر الله.

فيده. (التعليق: ٤: ٣٢٠)

الذي: إذا زلوا تابوا. (الطبري: ٦: ١٥٧)

مقاتل: إن المتقين إذا أصابهم نزغ من الشيطان

تذكروا وعرفوا أنها معصية، فزعوا منها من مخالفة. (٢: ٨٢)

الطبري: تذكروا عقاب الله ونوابه، ووعده

ووعبه. (٦: ١٥٥)

نحوه الشربيني. (١: ٥٤٨)

الزجاج: أي تفكروا فيما هو أوضح لهم من

الحجة. (٢: ٣٩٦)

الطبري: تفكروا وعرفوا، وقال أبو روق: اتهلوا.

(٤: ٣٢٠)

الماوردي: فيه وجهان:

أحدهما: علموا فإذا هم منتبهون.

والثاني: اعتبروا فإذا هم مهتدون. (٢: ٢٨٩)

الطوسي: أي تذكروا ما عندهم من المخرج

والتوبة. [إلى أن قال:]

تذکروا فمروا ما علیهم من العتاب بذلك،  
فیجتنبونه ویترکونه. (۷۶: ۵)

نحوه الطبرسی: (۵۱۴: ۲)

الزَّمَّحْشَرِي: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ما أمر الله به ونهى  
عنه. (۱۳۹: ۲)

منه البیضاوی (۳۸۲: ۱)، والتفسي (۹۲: ۲)،  
والکاشاني (۲۶۲: ۲)، والبروسوي (۳۰۰: ۳)،  
ومثني (۴۴۰: ۳).

أبن عطية: إشارة إلى الاستعاذة بالمأور بها قبل،  
وإلى ما لله عز وجل من الأوامر والتواهي في التازلة  
التي يقع تعرض الشيطان فيها. وقرأ ابن الزبير: (من  
الشيطان تأملوا فإذا هم) وفي مصحف أبي بن كعب  
(إذا طاف من الشيطان طائف تأملوا). (۴۹۲: ۲)

ابن الجوزي: فيه ثلاثة أحوال: [إلى أن قال:]

والتالت: تذكروا غضب الله فامسكوا. (۳۰۳: ۳)

الفخر الرازي: في الآية مسائل: [إلى أن قال:]

المسألة الثالثة: اعلم أن الغضب إنما يهيج

بالإنسان إذا استقبح من المفضوب عليه عملاً من  
الأعمال، ثم اعتقد في نفسه كونه قادراً، واعتقد في  
المفضوب عليه كونه عاجزاً عن الدفع، فعند حصول  
هذه الاعتقادات الثلاثة إذا كان واقعاً في ظلمات عالم  
الأجسام فينتروا بظواهر الأمور، فأمّا إذا انكشف له  
نور من عالم الغيب، زالت هذه الاعتقادات الثلاثة من  
جهات كثيرة:

أما الاعتقاد الأول: وهو استقبح ذلك الفعل من  
المفضوب عليه، فإذا انكشف له أنه إنما أقدم على

ذلك العمل، لأنه تعالى خلق فيه داعية جازمة  
راسخة، ومتى خلق الله فيه تلك الداعية، امتنع منه أن  
لا يقدم على ذلك العمل، فإذا تجلّى هذا المعنى زال  
الغضب. وأيضاً فقد يخطر بهال الإنسان أن الله تعالى  
علم منه هذه الحالة، ومتى كان كذلك فلا سبيل له إلى  
تركها، فعند ذلك يفر غضبه، وإليه الإشارة بقوله عليه  
الصلاة والسلام: «من عرف سر الله في القدر هانت  
عليه المصائب».

وأما الاعتقاد الثاني والثالث: وهو اعتقاده في  
نفسه كونه قادراً، وكون المفضوب عليه عاجزاً، فهذان  
الاعتقادات أيضاً فاسدان من وجوه:

أحدها: أنه يعتقد أنه كم أساء في العمل، والله كان  
قادرًا عليه، وهو كان أسيراً في قبضة قدرة الله تعالى،  
ثم إنه تجاوز عنه.

والثاني: أن المفضوب عليه كما أنه عاجز في يد  
الغضبان، فكذلك الغضبان عاجز بالسبب إلى قدرة  
الله.

وثالثها: أن يتذكر الغضبان ما أمره الله به، من ترك  
إساءة الغضب والرجوع إلى ترك الإيذاء والإيحاء،  
ورابعها: أن يتذكر أنه إذا أمضى الغضب وانقسم،  
كان شريكاً للسبّاع المؤذية والحياة القاتلة، وإن ترك  
الانتقام واختار العفو، كان شريكاً لأكابر الأنبياء  
والأولياء.

وخامسها: أن يتذكر أنه ربما انقلب ذلك  
الضعيف قوياً قادراً عليه، فعيشه ينتقم منه على أسوأ  
الوجود، أمّا إذا عفا كان ذلك إحساناً منه إليه.

وبالجملة فالمراد من قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ الأعراف: ٢٠١. ما ذكرناه من الاعتقادات الثلاثة، والمراد من قوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ما ذكرناه من الوجوه التي تنهد ضعف تلك الاعتقادات.

(٩٩: ١٥)

نحوه الثياهوري.

(١٠٩: ٩)

ابن عريبي: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ مقام التوحيد، ومشاهدة الأفعال من الله.

(٤٦٣: ١)

أبو السعود: أي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه.

(٧١: ٣)

شبر: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ما عليهم من العقاب بذلك.

(٤٤٩: ٢)

الألوسي: أي ما أمر الله به ونهى عنه، أو الاستعاذة به تعالى والالتجاء إليه سبحانه وتعالى، أو عداوة الشيطان وكبده.

رشيد رضا: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أن هذا من عدوهم الشيطان وإغوائه. وما أمر الله تعالى به في هذه الحال من الاستعاذة به، والالتجاء إليه في الحفظ منه. وقال بعضهم: تذكروا ما أمر الله تعالى به ونهى عنه. وقال آخرون: تذكروا عقاب الله لمن أطاع الشيطان وعصى الرحمن، وجزيل ثوابه لمن عصى الشيطان وأطاع الرحمن. وقال بعضهم: تذكروا وعده وعيده. ومآل الأقوال كلها واحد.

(٥٤٣: ٩)

المراغي: تذكروا أن هذا من إغواء الشيطان عدوهم الذي أمر الله بالاستعاذة منه والالتجاء إليه في الحفظ من غوائته.

(١٥٠: ٩)

ابن عاشور: التذكر: استحضار المعلوم السابق، والمراد: تذكروا أوامر الله وحمايه. كقوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ الله فاستفهموا لذكوبهم. آل عمران: ١٣٥، ويشمل التذكر تذكر الاستعاذة لمن أمر بها من الأمم الماضية، إن كانت مشروعة لهم، ومن هذه الأمة، فلا اقتداء بالذين اتهموا بعم سائر أحوال التذكر للعمورات.

(٤٠٥: ٨)

الطباطبائي: تذكروا أن الله هو ربهم الذي يملكهم ويربهم يرجع إليه أمرهم، فأرجعوا إليه الأمر فكفاهم مؤنته، ودفع عنهم كيد، ورفع عنهم حجاب الغفلة، فإذا هم مبصرون غير مضروب على أبصارهم بحجاب الغفلة.

فالآية كما عرفت في معنى قوله: ﴿إِلَيْهِ لَنُبْسِئُ﴾. ﴿تَذَكَّرُوا﴾ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. (٤٤٩: ٢)

وقد ظهر أيضاً أن الاستعاذة بالله نوع من التذكر، لأنها مبنية على أن الله سبحانه هو هو ربه - هو الركن الوحيد الذي يدفع هذا العدو المهاجم بماله من قوة، وأيضاً الاستعاذة نوع من التوكل كما مر. (٣٨١: ٨) عبد الكريم الخطيب: تذكروا العداوة التي بينهم وبين هذا الشيطان، وذكروا ما بينهم وبين الله.

(٥٤٩: ٥)

يُذَكَّرُ

١ - سَأَقْسَنُ يَغْلَمُ أَلَمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَسُنَّ هُوَ أَغْنَى إِلَمَّا يَكْذَرُ أَوْ لَوْ أَلْتَابَ. الرعد: ١٩  
ابن عباس: يتعظ بما أنزل إليك من القرآن. (٢٠٧)

الطبري: إنما يتخط بآيات الله ويعتبر بها.

(٣٧٤: ٧)

الطوسي: إنما يتذكر في ذلك ويفكر فيه

(٢٤٢: ٦)

ويستدل به.

(٢٨٨: ٣)

نحوه الطبرسي:

الواحد: يتخط ويتذكر ما رغب فيه من الجنة.

(١٣: ٣)

ابن عطية: يؤمن ويراقب الله.

(٣٠٩: ٣)

الفخر الرازي: المراد أنه لا ينتفع بهذه الأمتعة

إلا أرباب الآلاب الذين يطلبون من كل صورة

معناها، ويأخذون من كل قشرة لبابها، ويهترون

بظاهر كل حديث إلى سره ولبابه.

(٣٩: ١٩)

أبو السعود: ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بما ذكر من المذكرات

(٤٥٣: ٣)

فيقف على ما بينهما من التفاوت والتناهي.

(١٢٩: ١٣)

نحوه الآلوسي:

(٣٦٣: ٤)

البر وسوي: أي لا يقبل نصح القرآن ولا يعمل

به إلا ذوي العقول الصافية من معارضة الوهم.

(٣٣٠: ٣)

شهر: يعتبر.

(٩٢: ١٣)

الحراشي: أي إنما يعتبر بهذه الأمثال ويتخط بها.

و يصل إلى لبها وسرها.

و جاء بهذا المعنى قوله تعالى:

٢... قُلْ هَلْ يَسْمَعُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَاب. الزمر: ٩

٣... هُوَ الَّذِي يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَيُزِيلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ. المؤمن: ١٣

١... قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى.

طه: ٤٤

أبو السعود: ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بما بلغته من ذكره

و يرغب فيما رغبته فيه.

(٢٨٢: ٤)

ابن عاشور: التذكر: من الذكر بضم الذال، أي

النظر، أي لعله ينظر نظر المتبصر فيعرف الحق، أو

يخشى حلول العقاب به فيطيع عن خشية لا عن بهتر.

و كان فرعون من أهل الظنمان واعتصم أنه على

الحق، فالتذكر: أن يعرف أنه على الباطل، والخشية:

أن يتردد في ذلك، فيخشى أن يكون على الباطل.

فيحاط لنفسه بالأخذ بما دعاه إليه موسى.

(١٢٤: ١٦)

الطباطبائي: رجاء لتذكره أو خشية، وهو قائم

بمقام المعاودة، لأنه تعالى العالم بما سيكون، والتذكر

بمقام التذكير، فيكون قبولاً والتزاماً لما تقتضيه

حجة المذكر وإيمانه به، والخشية من مقدمات القبول

والإيمان، فمال المعنى لعله يؤمن أو يقرب من ذلك،

فجيبكم إلى بعض ما تسألونه.

(١٥٤: ١٤)

٥... أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ...

فاطر: ٣٧

مضت في: «تذكر».

٦... يَكْتُبُ الزُّنُوءَ وَإِذَا مَكَارِهِمْ يَسْأَلُونَ أَتَايَهُ

وَلَيَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَاب. ص: ٢٩

ابن عاشور: التذكر: استحضار الذهن ما كان

يعلمه، وهو صادق باستحضار ما هو منسي،  
وباستحضار ما الشان أن لا يغفل عنه وهو ما بهم  
العلم به، فجعل القرآن للناس ليتذبروا معانيه  
ويكتشفوا عن غوامضه بقدر الطاقة، فإنهم على تعاقب  
طبقات العلماء به لا يصلون إلى نهاية من مكنونه،  
ولذلك ذكرهم الآية بنظيرها وما يقاربها، وليتذكروا ما  
هو موعظة لهم وموقف من غفلاتهم. (٢٣: ١٤٩)

٧- يَوْمَ يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى. التازعات: ٣٥  
الزَّمَخْشَرِيُّ: يعني إذا رأى أعماله مدونة في  
كتابه تذكرها وكان قد نسيها، كقوله: ﴿أَخْصِيهِ اللَّهُ  
وَكُتُوبُهُ﴾ المجادلة: ٦. (٤: ٢١٥)

مثله الفخر الرازي (٣١: ٥٠)، ونحوه التيساوي  
(٢: ٥٣٨)، والتسفي (٤: ٣٣١)، والمراغي (٣٠: ٣٤).

أبو السعود: قيل: هو بدل من ﴿فَإِذَا جَاءَ ذِكْرُ﴾  
والأظهر أنه منصوب به «أعني» كما قيل تفسيراً  
لـ ﴿الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾ التازعات: ٣٤، فإن الإبدال  
منها بالظرف المحض مما يوهن تعلّقها بالجواب.  
ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾  
مفتوحاً لإضافته إلى الفعل، على رأي الكوفيين، أي  
يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر. بأن  
يشاهده مدوناً في صحيفة أعماله، وقد كان نسيه من  
فرط الغفلة وطول الأمد، كقوله تعالى ﴿أَخْصِيهِ اللَّهُ  
وَكُتُوبُهُ﴾ المجادلة: ٦.

ويجوز أن تكون ما مصدرية. (٦: ٣٧٢)  
الآلوسي: المراد يوم يتذكر كل أحد ما عمله من

خير أو شر. بأن يشاهده مدوناً في صحيفته، وقد كان  
نسيه من فرط الغفلة، أو طول الأمد، أو شدة ما لقي.  
أو كثرته التي تعجز الحافظ عن الضبط، لقوله تعالى:  
﴿أَخْصِيهِ اللَّهُ وَكُتُوبُهُ﴾ المجادلة: ٦، ويمكن أن يكون  
تذكره بوجه آخر، ويجوز أن تكون (ما) مصدرية، أي  
يتذكر فيه سعيه. (٣٠: ٣٥)

مكارم الشيرازي: يتذكروا ما زرعوا لحياتهم.  
(١٩: ٣٤٩)

٨- وَجَاءَ يَوْمَ يُنْفَخُ بِهِمْ يَوْمَ يُنْفَخُ الْإِنْسَانُ  
وَأَلَى لَهُ الذِّكْرَى. الفجر: ٢٣  
مضت في: «الذكرى».

يَذْكُرُونَ

﴿يَذْكُرُونَ﴾

البقرة: ٢٢١  
ابن عباس: لكي يتعظروا وينتبهوا عن تزويج  
الحرام. (٣١)

الطبري: ليتذكروا فيعتبروا، ويميزوا بين الأمرين  
الذين أحدهما ذقاء إلى النار والخلود فيها، والآخر  
ذقاء إلى الجنة وغفران الذنوب، فيختاروا خيراًهما  
لهم. ولم يجهل التفسير بين هاتين إلا غيبي الرأي  
مدخول العقل. (٢: ٣٩٢)

التعلي: يتعظرون. (٢: ١٥٥)

مثله البقوي. (١: ٢٨٤)

أبو السعود: أي لكي يتذكروا ويعلموا بما فيها.

يهفوزوا بما دُعوا إليه من الجنة والنيران. (٢٦٨: ١)  
 الآلوسي: لكي يتعظوا، أو يستحضروا  
 معلوماتهم، بناء على أن معرفة الله تعالى مركزة في  
 العقول، والجملة تذييل للنصح والإرشاد، والوارد  
 اعتراضية أو عاطفية، وفصلت الآية السابقة  
 بـ ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ لأنها كانت لبيان الأحكام والمصالح  
 والمنافع، والرغبة فيها التي هي محل تصرف العقل  
 والقيمين للمؤمنين، فناسب التذكّر، وهذه الآية  
 بـ ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ لأنها تذييل للإخبار بالدعوة إلى  
 الجنة والنار التي لا سبيل إلى معرفتها، إلا التقليل  
 والقيمين لجميع الناس، فناسب التذكّر. (١٢٠: ٢)  
 وشهد رضا: يتعظون فيستقيمون. فإن الحكم إذا  
 لم يُعرف فائدته للعامل لا يلبس أن يعمل العمل به،  
 فيتركه وينساه، وإذا عرف عاقبته ودليله وانطباقه  
 على مصلحته ومصلحة من يعيش معهم، فأجبرهم أن  
 يحفظوه ويقيموا على وجهه ويستقيم عليه، لا يكسبي  
 بالعمل بصورته، وإن لم تؤد إلى المراد منه. (٣٥٧: ٢)  
 فضل الله: ليقربهم إليه من خلال تربيهم إلى  
 الإيمان به، من خلال آياته الظاهرة البينة التي تؤذي  
 إلى القناعة، وترتكز على المحبة الواضحة التي  
 لا تسمح لأي لبس أو اشتباه، وذلك هو دور الآيات،  
 فإنها تُنقذ الإنسان من غفلته، وتدفعه إلى أن يتذكر  
 كل القضايا الحية المتصلة بحياته وبمسيره، ليتوازن في  
 نظراته إليها وفي التزامه بها في الواقع العملي.  
 (٢٤١: ٤)  
 وجاء بهذا المعنى قوله تعالى:

٢ - وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَنْقَضْنَا  
 الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَاحِبِ النَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ  
 يَتَذَكَّرُونَ. القصص: ٤٣  
 ٣ - وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً  
 مِنْ رَبِّكَ لِتُلْهِقَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ  
 يَتَذَكَّرُونَ. القصص: ٤٦  
 ٤ - وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ  
 مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. الزمر: ٢٧  
 ٥ - قَالُوا يَسِّرْنَا يَلْزَمْنَا لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. الدخان: ٥٨  
 ٦ - نُوحي أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ  
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. إبراهيم: ٢٥  
 قول الله جل ذكره. (٢١٣)  
 الزمخشري: لأن في ضرب الأمثال زيادة إلهام  
 وتذكير وتصور للمعاني. (٣٧٦: ٢)  
 نحوه التيساري (٥٣٠: ١)، والتسفي (٢٦١: ٢)،  
 وأبو السعود (٤٨٣: ٣).  
 الفخر الرازي: [مثل الزمخشري وأضاف:]  
 وذلك لأن المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس  
 والخيال والوهم، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات  
 ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة، وانطبق  
 المعقول على المحسوس، وحصل به الفهم القائم  
 والوصول إلى المطلوب. (١٢٠: ١٩)

في كثير من مظاهره. هي مشكلة الغفلة التي تحجب وضوح الرؤية في كثير من الأشياء. ما يؤدي إلى الاستغراق في الشهوات والتوازع الذاتية، من دون الالتفات إلى النتائج السلبية المترتبة عليها، على صعيد قضايا الدنيا والآخرة. (٣٠٧: ١٧)

### تَذَكَّرُونَ

١-... وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ.

الأنعام: ٨٠

أين عباس: تشظون فيما أقول لكم من التهي.

(١١٣)

الطبري: يقول: أفلا تعتبرونها الجبهة، فتخطوا خطاياكم أنتم عليه مقيمون، من عبادتكم صورة مصورة وخشية منحوتة، لا تقدر على ضرر ولا نفع، ولا تفهم شيئاً ولا تعقله. وترككم عبادة من خلقكم وخلق كل شيء ويده الخير، وله القدرة على كل شيء، والعالم لكل شيء. (٢٤٨: ٥)

الواحد: أفلا تشظون فتكون عبادة الأصنام.

(٢٩٢: ٢)

الزمخشري: «أفلا تتذكرون» فتميزوا بين

الصحيح والفساد والقادر والعاجز. (٣٢: ٢)

مثله التيساوي (٣١٨: ١)، ونحوه التيسفي (٢: ٢)

(٢١)، والكاشاني (١٣٥: ٢)، وشتر (٢٨٠: ٢).

أبو السعد: أي أمرضون عن التأمل في أن أهلكم جمادات غير قادرة على شيء، من نفع ولا ضرر، فلا تتذكرون أنها غير قادرة على

الآلوسي: لأن في ضربها زيادة إلهام وتذكير، فإنه تصوير المعاني العقلية بصور المحسوسات، وبه يرتفع التنازع بين الحس والخيال. (٢١٤: ١٣)

فضل الله: إن التمثيل الحقيقي للحقائق الأشياء يدفع الناس إلى التذكير عبر التأمل، والتفكير العميق المنفتح على الحقيقة. (١٠٦: ١٣)

٧- وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ.

القصص: ٥١

البروسوي: فيؤمنون ويطيعون، أو تابعنا لهم المواعظ والزواجر، وبما لهم ما أهلكنا من القرون قروا بعد قرن، فأخبرناهم أننا أهلكنا قوم نوح بكذا وقوم هود بكذا وقوم صالح بكذا، لعلهم يتشظون فيخافون أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم.

وفي «الآيات التجميعية» يشير إلى توصيل القول في الظاهر بتلهم المعنى في الباطن، أي فهمناهم معنى القرآن، لعلهم يتذكرون عهد الميثاق، إذ آمنوا ببواب قلوبهم، بلى، وأقروا بالترحميد، ويعبدون الإيمان عند سماع القرآن. (٤١٣: ٦)

مفنية: المعنى: أن الله سبحانه أرشد العباد إلى ما لهم وما عليهم، ليطيعوا ويعملوا، فمن عمل وأصلح فهو في أمن وأمان، والعذاب على من كذب وتولى. (٧٣: ٦)

فضل الله: فلا يندفعون في عمل لا يعرفون صلاحه، ولا ينطقون بكلمة لا يعرفون صدقها، أو ينطقون في علاقة لا يعرفون شرعيتها على أساس من غفلتهم من ذلك كله. فإن مشكلة الانحراف الإنساني

وضوح دلالة التذكر. والمراد التذكر في صفات آلهتهم  
المنافية لمقام الإلهية. وفي صفات الإله الحق التي دلت  
عليها مصنوعاته. (١٨٥: ٦)

٢... مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْعٍ أَفَلَا  
تَتَذَكَّرُونَ. السجدة، ٤

أهل السجود: أي ألا تسمعون هذه المواعظ  
فلا تذكرون بها. أو أستمعونها فلا تذكرون بها؟  
فالإنكار على الأول متوجه إلى عدم السماع وعدم  
التذكر معاً. وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما  
يوجهه من السماع. (١٩٩: ٥)

نحوه الألوسي: (١٢٠: ٢١)

المؤوسوي: ... الفرق بين التذكر والتفكير: أن  
التفكير عند فقدان المعلوم لا احتجاب القلب  
بالصفات النفسانية. أما التذكر فهو عند رفع  
الحجاب والرجوع إلى الفطرة الأولى. فالتذكر ما انطبع  
في الأزل من التوحيد والمعارف. (١٠٨: ٧)

الطباطبائي: استفهام توبيخي موجه لهم على  
استمرارهم على الإعراض عن أدلة العقول، حتى  
يتذكروا أن الملك والتدبير في سبحانه، وهو المعبود  
بالحق ليس لهم دونه ولي ولا شفيع، كما يزعمون ذلك  
لآلهتهم. (٢٤٧: ١٦)

٢... وَمَنْ يَسْتَوْي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا النَّفْسِ، قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ.

المؤمن: ٥٨

أين عباس: ما تخطون بقليل ولا بكثير من أمثال

إضراري؟ وفي إيراد التذكر دون التفكير، ونظائره  
إشارة إلى أن أمر أصنامهم موكوز في العقول  
لا يتوقف إلا على التذكر. (٤٠٧: ٢)

نحوه البروسوي: (٥٨: ٣)، والألوسي: (٢٠٥: ٧).  
رشيد رضا: «أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ» أيها الغافلون أن  
هذا هو شأن الرب الفاطر، وأنه ينال ما أتم عليه من  
الشرك الظاهر، ومنه اعتقاد وقوع الضرر بي أو النفع  
لكم، بالتصرف الذي تزعمونه في معبوداتكم. وقد  
تقدم أنهم كانوا مؤمنين بأن للعالم كله رباً خالقاً غير  
هذه الآلهة والأرباب المتخذة من مخلوقاته اتخذاً،  
ولكنهم لم يكونوا يعقلون بأنفسهم أن نسبة جميع الخلق  
إلى الخالق واحدة، من حيث إنه هو الذي أعطى كل  
شيء خلقه ثم هدى، فسخر ما شاء لما شاء بهن  
الأقدار، ونظام الأسباب والمسببات، ثم هدى الخلق  
لذلك الأسباب، ليطلبوا المنافع ويتقوا المضار.

وقد ظهر بالذلات والتجارب أنها مسخرة على  
سواء، فالسلطة الغيبية العليا له وحده، ليس لغيره  
تأثير فيها معه ولا تدبير، فإذا جعل بعض الأجناس أو  
الأشخاص سبباً للنفع أو الضرر، بإرادة خلقها لها  
كالحيوانات، أو بنير إرادة كالجملادات، فلا يقتضي  
ذلك أن ترفع رتبة المخلوقات، وتجعل أرباباً  
ومعبودات، وكان يجب أن يظن العاقل لذلك  
ويتذكره بالتذكير به، لأنه تذكير بما يدركه العقل  
بالبرهان، وتعرفه الفطرة بالوجدان، فكأنه مما غفل  
عنه لا يحتاجه، لأنه معلوم له بالقوة. (٥٧٦: ٧)

ابن عاشور: الاستفهام إنكار لعدم تذكرهم مع



القرآن.

(٣٩٨)

الطبري: يقول جل ثناؤه: قليلاً ما تتذكرون أنها الناس حجج الله، فتعبرون وتتعضون، يقول: لو تذكرتم آياته واعتبرتم، لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقبضون، من إنكاركم قدرة الله على إحيائه من فني من خلقه من بعد الفناء، وإعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم، وعلمتم قبح شرككم من تشركون في عبادة ربكم.

واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ فقراءت ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة: (تَذَكَّرُونَ) بالياء على وجه الخبر، وقراءته عامة قراء الكوفة: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء على وجه الخطاب، والقول في ذلك أن القراءة بها صواب. (١١: ٧٢)

الطوسي: يجوز أن تكون (ما) صلة، ويجوز أن تكون بمعنى المصدر، وتقديره: قليلاً ما تذكركم.

ومن قراءات آلاء أراء: قل لهم وخاطبهم به، وهو قرأ بالياء على وجه الإخبار عنهم بذلك. (٩: ٨٩) نحوه الطبرسي: (٤: ٥٢٩)

الفخر الرازي: يعني أنهم وإن كان يطمعون أن العلم خير من الجهل، وأن العمل الصالح خير من العمل الفاسد، إلا أنه قليلاً ما تتذكرون في التورع المعتبر من الاعتقاد أنه علم أو جهل، والتورع المعتبر من العمل أنه عمل صالح أو فاسد. فإن الحسد يعمي قلوبهم، فيعتقدون في الجهل والتقليد أنه محض المعرفة، وفي الحسد والحقد والكبر أنه محض الطاعة، فهذا هو المراد من قوله: ﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

قرأ عاصم وحمة والكسائي: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء

على الخطاب، أي قل لهم: ﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، والباقون بالياء على الغيبة. (٢٧: ٧٩)

ابن عاشور: و (ما) في قوله: ﴿مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ مصدرية، وهي في محل رفع على الفاعلية. وهذا يؤكد لمعنى قوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المؤمن: ٥٧، لأن قلة التذكّر تؤول إلى عدم العلم، والقلة هنا كناية عن النقص، وهو استعمال كثير، كقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: ٨٨.

ويجوز أن تكون على صريح معناها، ويكون المراد بالقلة عدم التمام، أي لا يعلمون، فإذا تذكروا تذكروا تذكراً لا يمتونه فيتنطقون في أثنائه عن الحق إلى استنباط الدلالة منه، فهو كالعدم في عدم تبيين أثره عليه.

وقرأ الجمهور (تَذَكَّرُونَ) بياء الغيبة جرماً على الخطاب ظاهر الكلام، وقرأ عاصم وحمة والكسائي وخلف: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بتاء الخطاب على الالتفات، والخطاب للذين يجادلون في آيات الله.

وكون الخطاب لجميع الأمة من مؤمنين ومشركين، وأن التذكّر القليل هو تذكّر المؤمنين فهو قليل بالنسبة، لعدم تذكّر المشركين، بعيد عن سياق الرّد ولا يلاقي الالتفات. (٢٤: ٢٢٥)

الطباطبائي: خطاب للناس بداعي التوبيخ، وهو الوجه في الالتفات من الغيبة إلى الحضور.

(١٧: ٣٤٢)

فضل الله: ﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ عند ما لا تفرقون بين هؤلاء، لأنكم غارقون في انجذابكم إلى

ظواهر الأسماء، ما يجعلكم غافلين عن بواطنها وحقاتها. ولكن هذه الغفلة لن تستمر أمام المصير الحاسم الذي تنكشف فيه كل غوامض الأمور.

(٦٢: ٢٠)

### تَذَكُّرُونَ

١..... دُلِّكُمْ وَصِيَّكُمْ بِوَلَعَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ.

الأنعام: ١٥٢

ابن عباس: لكي تتعلموا.

(١٢٢)

الطبري: لتذكروا عواقب أمركم، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتزجروا عنها، وترتدعوا وتنبهوا إلى طاعة ربكم.

(٣٩٥: ٥)

الطبرسي: قيل: في معناه قولان:

أحدهما: لئلا تنفلوا عنه فتركوا العمل به، والقيام بما يلزم منه.

الثاني: لتذكروا كل ما يلزمكم بتذكر هذا.

(٣٤٤: ٤)

نحوه الطبرسي:

الواحد: لتذكروه وتأخذوا به.

(٣٣٨: ٢)

البقوي: تتعلمون. قرأ حمزة والكسائي وحفص:

﴿تَذَكُّرُونَ﴾ خفيفة الذال، كل القرآن، والآخرين بتشديدها.

(١٧١: ٢)

نحوه البياضي (٣٣٨: ١)، والتسلي (٤٠: ٢).

ابن عطية: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ترجح بحسبنا، وقرأ ابن

كثير وأبو عمرو ﴿تَذَكُّرُونَ﴾ بتشديد الذال والكاف جميعاً، وكذلك ﴿يَذَكُّرُونَ﴾ و﴿يَذَكُّرُ الْإِنْسَانَ﴾ وما

جرى من ذلك مشدداً كله.

وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر كل ذلك بالتشديد إلا قوله: ﴿أَوْ لَا يَذَكُّرُ الْإِنْسَانَ﴾ مريم: ٦٧، فإنهم خففوها. وروى أبان وحفص عن عاصم ﴿تَذَكُّرُونَ﴾ خفيفة الذال، في كل القرآن.

وقرأ حمزة والكسائي ﴿تَذَكُّرُونَ﴾ بتخفيف الذال إذا كان الفعل بالياء، وإذا كان بالياء فراه

بالتشديد، وقرأ حمزة وحده في سورة الفرقان: ٦٢.

(لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ) يسكون الذال وتخفيف الكاف.

وقرأ ذلك الكسائي بتشديدها وفتحها. (٣٦٢: ٢)

الفخر الرازي: إن قيل: فما السبب في أن جعل

خاتمة الآية الأولى بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ﴾ وخاتمة

هذه الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ﴾؟

قلنا: لأن التكليف الخمسة المذكورة في الأولى

أشهر من الثانية، فوجب تعليلها وتنفهها. وأما

التكاليف الأربعة المذكورة في هذه الآية فأمور خفية

غامضة، لا بد فيها من الاجتهاد والفكر حتى يقف

على موضع الاعتدال، فلهذا السبب قال: ﴿لَعَلَّكُمْ

تَذَكُّرُونَ﴾.

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم

﴿تَذَكُّرُونَ﴾ بالتخفيف، والباقيون ﴿تَذَكُّرُونَ﴾ بتشديد

الذال في كل القرآن، وهما بمعنى واحد. (٢٣٥: ١٣)

أبو السعود: تذكرون ما في تضاعيفه، وتعملون

بمقتضاه. وقرئ بتشديد الذال. (٤٦٠: ٢)

مثله البُرُوسِيّ.

الآلُوسِيّ: [غوابي السُّعُودِ وَأَضَافَ:]

وَحُثِّمَتِ الْآيَةُ الْأُولَى بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وهذه بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لأنَّ القوم كانوا مستمرين على الشرك وقتل الأولاد وقربان الزنى وقتل النفس المحرمة بغير حق، غير مستنكفين ولا عاقلين قبيحها، فتهاجم سبحانه لعلمهم يعقلون قبيحها، فيستنكفوا عنها ويتركوها، وأما حفظ أموال اليتامى عليهم وإبقاء الكيل والعدل في القول والوفاء بالعهد، فكانوا يفعلونه ويفتخرون بالانصاف به، فأمرهم الله تعالى بذلك لعلمهم يذكرون إن عرض لهم نسيان. قاله القطب الرازي، ثم قال:

فإن قلت: إحصان الوالدين من قبيل الثاني أيضاً، فكيف ذكر من الأول؟

قلت: أعظم النعم على الإنسان نعمة الله تعالى ويتلوها نعمة الوالدين، لأنهما المؤثران في اللسان ومنهما نعمة التربية والحفظ عن الهلاکة، وقبح الضمير، فلما نهى عن الكفر بالله تعالى نهى بعده عن الكفران في نعمة الأبوين، تنبيهاً على أن القوم لما لم يرتكبوا الكفران، فبطريق الأولى أن لا يرتكبوا الكفر. [ثم نقل كلام الفخر الرازي وأضاف:]

ويمكن أن يقال: إن أكثر التكليفات الأولى أدنى بصيغة التهي وهو في معنى المنع، والمرء حريص على ما منعه، فتناسب أن يحل الإيحاء بذلك بما فيه إيماء إلى معنى المنع والمحس. وهذا بخلاف التكليفات الأخرى، فإن أكثرها قد أدنى بصيغة الأمر، وليس المنع فيه ظاهراً كما في التهي، فيكون تأكيد الطلب والمبالغة فيه ليستمر عليه ويتذكر إذا نسي، فليتدبر. (٥٦: ٨)

رشيد رضا: قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (تذكرون) مخففة من الذكر، واليهون بالتشديد من التذكّر، وأصله: تذكرون، وليس معناها واحداً كما قيل، فإن الصيغ من المادة الواحدة تُطغى معاني خاصة، ويُجوز في بعضها ما لا يصح في بعض، فالذكر يطلق في الأصل على إخطار معنى الشيء أو خطوره في الذهن ويسمى ذكر القلب، وعلى اللطيق باللفظ الدال عليه ويسمى ذكر اللسان، ويستعمل مجازاً بمعنى الحسنة والشرف، وفُسر به قوله تعالى: ﴿وَالِلهُ لَذَكِرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الزخرف: ٤٤، ويطلق بمعنى العلم، وبه يُسمى القرآن وغيره من الكتب الإلهية ذكرًا، ومنه: ﴿فَمَسَكُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء: ٧.

وأما التذكّر: فمعناه تكلف ذكر الشيء في القلب، أو التدبر فيه بفعله المرة بعد المرة، ويطلق على الاحتياط ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ المؤمن: ١٣، وقوله: ﴿مَتَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ الأعلى: ١٠، والشواهد عليه في الذكر كثيرة، ومثله الذاكرة: ﴿فَقُلْ مِنْ مَذَكِّرٍ﴾ القمر: ١٧، وهو «افتعال» من الذكر، والافتعال يقرب من «التفعل»، وحكمة القراءتين إفادة المعاني التي تدلّان عليها من باب الإيجاز البليغ.

والمعنى: ذلکم المتلوّ علیکم في هذه الآية، من الأوامر والتواهي الجيدة مذكى الفائدة ومسافة المنفعة لمن قام بها، وصاكم الله به في كتابه رجاء أن تذكروا في أنفسكم ما فيها من الصلاح لكم، فيحصلكم ذلك على

العمل بها، أو رجاء أن يذكره بعضكم لبعض في التعليم والتواصي الذي أمر الله به، يشمل قوله: ﴿وَتَوَاصَرُوا بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ وَتَوَاصَرُوا بِالصَّبْرِ﴾ العصر: ٣.

ولكل من الذكر التسيي واللساني وجه هنا، ولا مانع من الجمع بينهما على مذهب الشافعية وابن جرير المختار عندنا، وكذا الجمع بينهما وبين معاني التذكر في القراءة الأخرى.

والمنع على هذه القراءة: وحائكم به رجاء أن يتكلف ذكر هذه الوصايا وما فيها من المصالح والمنافع من كان كثير التسيي والغفلة، أو كثير الشواغل الذنوبية، أو رجاء أن يذكرها المرة بعد المرة من أراد الانتفاع بها، بتلاوة آياتها في الصلاة وغيرها وبغير ذلك، أو رجاء أن يتعظ بها من سمعها وقرأها، أو ذكرها أو ذكر بها. وبعض هذه الوجوه عام يطلب من كل مسلم، وبعضها خاص.

المراغي: التذكر يطلق حينئذ على تكلف ذكر الشيء في القلب، أو التدرج فيه بفعله المرة إثر الأخرى. وحينئذ على الالتماظ والتدبر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنْهَبُ﴾ المؤمن: ١٣. وقال: ﴿سَيَذَكَّرُنَّ يَحْشَى﴾ الأعلى: ١٠.

والخلاصة: أن ذلك الذي تلونه عليكم من الأوامر والتواهي. وحائكم الله به رجاء أن يذكره بعضكم لبعض في التعليم والتواصي الذي أمر الله به، في مثل قوله: ﴿وَتَوَاصَرُوا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَرُوا بِالصَّبْرِ﴾ العصر: ٣، لما فيه من مصالح ومنافع، كتدارك التسيي والغفلة من كثرة الشواغل الذنوبية، أو رجاء أن يتعظ

به من سمعه أو قرأه. (٧٢: ٨)

سيد قطب: الذكر ضد الغفلة، والقلب التذكر غير الغافل، وهو يذكر عهد الله كله، ويذكر وصاياه المرتبطة بهذا العهد، ولا ينساها. (١٢٣٤: ٣)

ابن عاشور: لأن هذه المطالب الأربعة حُرِفَ بين العرب أنها محامد، فالأمر بها، والتعريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها، ولكلهم تناسوه بغلبة الهوى، وغشاة الشرك على قلوبهم. (١٢٧: ٧)

مُفْتِيَّة: لا تغفلون عن طاعة من لا يغفل عنكم.

(٢٨٥: ٣)

الطباطبائي: [له بحث تفصيلي في اختلاف ختم

الآيات الثلاث: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ - تَذَكَّرُونَ - تَعْمَلُونَ - تَتَّقُونَ﴾ فلاحظ] (٣٧٨: ٧)

فصل الله: لأن مثل هذه الوصايا تحتاج إلى وهي دائم وتظل مستمرة، فالغفلة عن آية واحدة منها في حساب النتائج، يبعد الإنسان عن الانسجام مع الخط الصحيح في الحياة. (٣٧٦: ٩)

٢ - إلهوا عما أُنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون. الأعراف: ٣

ابن عباس: ما تشغلون بقليل ولا بكثير. (١٢٤) الطبري: يقول: قليلاً ما تشغلون وتعتبرون فتراجعون الحق. (٤٢٧: ٥)

الزجاج: (ما) زائدة مؤكدة، المعنى: قليلاً تذكرون، وفي ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ وجهان في القراءة: (قليلاً ما تذكرون) بالتشديد في الدال، والمعنى: قليلاً ما

تتذكرون، [لأنَّ التاء تُدغم في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه.

ومن قرأ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ فالأصل أيضًا: تتذكرون، إلا أنه حُذِفَ إحدى التاءين، وهي التاء الثانية لأنهما زائدتان، [لأنَّ الأولى تدل على معنى الاستقبال فلا يجوز حذفها، والثانية إنما دخلت على معنى: فعلت الشيء على قَهْلٍ، نحو: تفهمت وتعلمت، أي أحدثت الشيء على مهل، وتدخل على معنى إظهار الشيء والحقيقة غيره، كقولك: تفهست، أي أظهرت أنني قيسى.

فإنما المحذوف من «تتفعلون» الثانية، لأن الباقي في الكلمة من تشديد العين من «تفعل» يدل على معنى الكلمة، ولو حذفت تاء «استقبال» لَبطل معنى الاستقبال.

الطوسي: قرأ حمزة، والكسائي: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال تاء واحدة، الباقون بالتشديد [لأبن عامر، فإنه قرأ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بهاء وتاء، ثم نقل كلام الزجاج وأضاف:]

ومن قرأ بتشديد الذال، فأصله: تتذكرون، فادغم التاء في الذال لقرب مخرجيهما، لأنَّ التاء مهموسة والذال مجهورة، والمجهورة أزيد صوتًا وأقوى من المهموس، فحسن إدغام الأتقص في الأزيد، ولا يسوغ إدغام الأزيد في الأتقص. ألا ترى أن الصاد وأختها لم يُدغمُن في مقاربهن لما فيهن من زيادة الصقير.

وقراءة ابن عامر بالياء والتاء، أنه مخاطبة للنبي ﷺ، أي قليلًا ما يتذكرون هؤلاء الذين ذكروا

بهذا الخطاب، [إلى أن قال:]

﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ معنى الاستبطاء في التذكُّر، وخرج مخرج الخبر، وفيه معنى الأمر، ومعناه: تذكروا كثيرًا، إنما يلزمكم من أمر دينكم، وما أوجب الله عليكم. وأخبر أنهم قليلًا ما يتذكرون، و(ما) زائدة، و«تذكر» معناه: أخذ في التذكر شيئًا بعد شيء، مثل تفقه وتعلم. ويقال: تفتس إذا انتفى إلى قيس، ولم يكن منهم، لأنه يدخل نفسه فيهم شيئًا بعد شيء.

(٣٧١: ٤)

نحوه الطبرسي (٢٢: ٣٩٤)، وأبو السعود (٤٧٣: ٢)

والأوسي (٨: ٧٧).

الواحدى: قليلًا ما معشر المشركين تذكركم وأبناؤكم...

(٣٤٨: ٢)

(١٨٠: ٢)

نحوه البغوي.

الزجاجي: حيث تكون دين الله وتبصرون غيره، وقرئ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف التاء، و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالياء، و﴿قَلِيلًا﴾ نصب به ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، أي تذكرون تذكرًا قليلًا، و(ما) مزيدة لتوكيد القلة. (٢٦: ٢)

نحوه التضاوي (١: ٣٤١)، والتسفي (٢: ٤٤)،

والبروسوي (٢: ١٣٤).

رشيد رضا: أي تذكر قليلًا تتذكرون، أو زمنا قليلًا تتذكرون ما يجب أن تعلم فلا تجهل ويحفظ فلا ينسى، مما يجب للرب تعالى، ويحظر أن يشر لك معه غيره فيه. أو قليلًا ما تتعظون بما توعظون به، فترجعون عن تقاليدكم وأهوائكم إلى ما أنزل إليكم من ربكم.

(٣٠٧: ٨)

و «قليل» مستعمل في العدم على طريقة الشكك بالمضيق للأمر التام. يقال له: إنك قليل الإتيان بالأمر التام، تبيها له على خطئه، وإنه إن كان في ذلك تفرط، فلا ينبغي أن يتجاوز حد التقليل دون التضييع له كله.

و (ما) مصدرية، والتقدير: قليلاً تذكركم. ويجوز أن يكون «قليلًا» صفة مصدر محذوف دل عليه «تذكرون» و (ما) مزيدة لتوكيد القلة، أي نوع قلة ضئيف، نحو قوله تعالى: «أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا...» البقرة: ۲۶، وتقدم القول في نظيره عند قوله تعالى: «فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» البقرة: ۸۸، والمعنى: لو تذكركم لما اتبعتم من دونه أولياء، ولما احتجتم إلى الله عن أن تتبعوا من دونه أولياء. وهذا بناء على إضاعتهم النظر والاستدلال في صفات الله، وفي تعاضل نواحيهم المزمعين. [تم ذكر القراءات] (۸: ۱۶) العياطياتي: لو تذكركم لدرت أن الله تعالى هو ربكم لا رب لكم سواه. فليس لكم من دونه أولياء. (۸: ۸)

۴ - وهو الذي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا بِحَالٍ سُقَّتْهُ لِبَلَدٍ مَّيْمَنٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. الأعراف: ۵۷ ابن عباس: لكي تتطهروا. الطبري: لتعبروا فتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته، فبسير في قدرته [حياء الموتى بعد فنائها، وإعادتها خلقاً سويًا بعد دروسها. (۵: ۵۱۸)]

المراعي: أي إنكم تذكرون قليلاً لا كثيراً ما يجب أن يعلم للرب سبحانه، وما يحظر أن يُشرك معه فيه غيره. وقد يكون المراد: قليلاً ما تتعظون بما توعدون به، فترجعون عن تقاليدكم وأهوائكم إلى ما أنزل إليكم من ربكم.

وفي هذا إيماء إلى التهي عن طاعة الخلق في أمر الدين غير ما أنزل الله من وحيه، كما فعل أهل الكتاب في طاعة أسيارهم و رهائهم فيما أحلوا لهم، وزادوا على الوحي من العبادات، وما حرموا عليهم من المباحات، كما جاء في قوله: «وَالْعَصَلُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَهَائِهِمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» التوبة: ۳۱، فكل من أطاع أحداً في حكم شرعي لم ينزله الله فقد اخذ به. (۸: ۱۶)

ابن عاشور: جملة: «قليلًا ما تذكرون» هي في موضع الحال من «لا تتبعوا»، وهي حالي مستمرة وكاشفة لصاحبها، وليست مقيدة للشيء. فظهور أن المتبعين أولياء من دون الله، ليسوا إلا قليلي التذكر.

و يجوز جعل الجملة اعتراضاً تذييلًا، ولفظ «قليلًا» يجوز أن يجعل على حقيقته، لأنهم قد يتذكرون ثم يعرضون عن التذكر في أكثر أحوالهم، فهم في غفلة معرضون، و يجوز أن يكون «قليلًا» مستعاراً للمعنى التقي والعدم على وجه التلميح، كقوله تعالى: «فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» البقرة: ۸۸، فإن الإيمان لا يوصف بالقلة والكثرة.

والتذكر مصدر «الذكر» بضم الذال، وهو حضور الصورة في الذهن.

نحوه الطُّوسِيّ (٤: ٤٦١)، والطُّبْرَسِيّ (٢: ٤٣١).  
والتهنّواويّ (١: ٣٥٣).

الزَّجَّاج: أي لعلكم بما يتناه لكم تستدلّون على  
توحيد الله، وأنه يبعث الموتى. (٢: ٣٤٦)

الزَّهَّاشَرِيّ: فيؤذيكُم التذكُّر إلى أنه لا فرق بين  
الإخراجين؛ إذ كل واحد منهما إعادة للشيء بعد  
إنشائه. (٢: ٨٤)

نحوه التَّسْتِيّ. (٢: ٥٧)

الفَخْر الرَّاظِيّ: المعنى: أنكم لما شاهدتم أن هذه  
الأرض كانت مزينة وقت الربيع والصف بالازهار  
والثمار، ثم صارت عند الشتاء ميتة عارية عن تلك  
الزينة، ثم إله تعالى أحيّاها مرة أخرى. فالحقادر على  
إحيائها بعد موتها يجب كونه أفعالاً قادراً على إحياء  
الأجساد بعد موتها، فقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ المراد  
منه: تذكّر أنّه لما لم يمتنع هذا المعنى في إحياء  
الصورتين وجب أن لا يمتنع في الصورة الأخرى.

(١٤٣: ١٤)

نحوه التَّيسَابُورِيّ.  
أبو حنّان: أي مثل هذا الإخراج ﴿يُخْرِجُ  
الْمَوْتَى﴾ من قبورهم أحياء إلى الحشر. ﴿لَعَلَّكُمْ  
تَذَكَّرُونَ﴾ بإخراج الثمرات وإنشائها خروجهن  
للبعث، إذ الإخراجات سواء. فهذا الإخراج المشاهد  
نظير الإخراج الموعود به.

خرج البيهقي وغيره عن رزين العقيليّ، قال:  
قلت: يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك في  
خلقه؟ قال: أما مررت بوادي قومك جدياً ثم مررت به

خضراً؟ قال: نعم، قال: فذلك آية الله في خلقه، انتهى.  
وهل التشبيه في مطلق الإخراج، ودلالة إخراج  
الثمرات على القدرة في إخراج السموات أم في كيفية  
الإخراج، وأنه ينزل مطر عليهم فيحيون كما ينزل  
المطر على البلد الميت فيحيي نباته، احتمالان.

(٤: ٣١٨)

أبو السَّعُود: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بطرح إحدى  
القائين، أي تتذكرون، فتعلمون أن من قدر على ذلك  
قدر على هذا من غير شبهة. (٢: ٥٠٠)

نحوه الكاشانيّ (٢١: ٢٠٧)، ومثله البروسويّ (٣:  
١٨٠)، والآلوسيّ (٨: ١٤٧).

شهر: لكم تفكروا فتعلموا أن القادر على إنشاء  
ما ذكر قادر على الإعادة. (٢: ٣٧٥)

السن عاتقور: جملة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾  
مستأنفة، والمرجاء ناسخ عن الجمل المتقدمة من قوله:  
﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا لِّهِنَّ يُدْخِلْنَ فِيهِمْ﴾  
لأن المراد التذكّر الشامل الذي يزيد المؤمن عبرة  
وإيماناً، والذي من شأنه أن يقطع عن المشرک اعتقاد  
الشرك ومن منكر البعث إنكاره.. (٨: ١٤١)  
فضل الله: وتخرجون من هذه الغفلة المطبقة التي  
تبعد عنكم كل وعي «معرفة وإيمان». (١٠: ١٤٨)

٤ - إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْقُرْآنِ يُدِيرُ الْأُمُورَ قَاسِمٌ  
شَفِيعٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ الذِّبْدَةَ لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاطْبِقُوا  
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. يونس: ٣

- ابن عباس: أفلا تشعظون. (١٧٠)
- نحوه ابن الجوزي: (٧: ٤)
- الطبري: يقول: أفلا تشعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج، فتنبهون إلى الإذعان بترعيد ربكم وإفراده بالعبادة، ثم تعلمون الأنداد وتبرأون منها؟ (٥٣٠: ٦)
- الواحدي: أفلا تشعظون يا أهل مكة بالقرآن ومواظبه؟ (٥٣٨: ٢)
- الزمخشري: فإن أدلى التفكير والتفكير بنبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه. (٢٢٥: ٢)
- نحوه التيساوي (٤٣٩: ١)، والكاشاني (٢: ٣٩٤)، والهرودي (١١: ٤).
- ابن عطية: فيكون التذكير سبباً للاعتناء. (٢: ٣)
- الطبرسي: حثهم سبحانه على التذكير بربهم والتفكير فيما أخبرهم به، وعلى تعرق صحتهم. (٩٠: ٣)
- الفخر الرازي: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ دالاً بذلك على وجوب التفكير في تلك الدلائل القاهرة الباهرة؛ وذلك يدل على أن التفكير في مخلوقات الله تعالى والاستدلال بها على جلالته وعزته وعظمته، أعلى المراتب وأكمل الدرجات. (١٥: ١٧)
- القرطبي: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أنها مخلوقاته فتستدلوا بها عليه. (٣٠٨: ٨)
- السنسي: أفلا تتدبرون فتستدلون بوجوب المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع. (١٥٣: ٢)
- الشريفي: أي أفلا تتفكرون أدنى تفكر، فينبهكم عن أنه المستحق للربوبية والعبادة، لا ما تعبدونه. (٤: ٢)
- أبو السعود: أي تعلمون أن الأمر كما فصل فلا تذكرون ذلك حتى تلقوا على فساد ما أنتم عليه، فتردوا عنه. (٢١١: ٣)
- الآلوسي: [ذكر نحو أبي السعود وأضاف:] وإشاراً ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ على «تفكرون» للإيذان بظهور الأمر، وأنه كالمعلوم الذي لا ينتقل إلى فكر تام ونظر كامل، بل إلى مجرد التفات وإخطار بالبال. (٦٦: ١١)
- رشيد رضا: أي أتجهلون هذا الحق المبين، فلا تذكرون أن الذي خلق السماوات والأرض وحده، واستوى على عرش الملك، يُدير الأمر وحده، ولا يمكن لأحد منكم أن يعبدوا غيره؟ وهو مقتضى الفطرة، وما إنكاره إلا ضرب من الغفلة عالجها التذكير.
- هذا الاستفهام التمجيسي من غفلة المشركين، منكري الوحي عن هذه الحقيقة، وهي أنه لا يستحق العبادة من المخلوق أحد إلا رتبهم خالقهم ومدبر أمورهم. (٢٩٧: ١١)
- ابن عاشور: جملة: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ابتدائية للتحريم، وهو فرض جديد، فلذلك لم يُعطف. فالاستفهام إنكار لا انتفاء تذكركم؛ إذ أشركوا معه غيره، ولم يذكروا في أنه المنفرد بخلق العوالم وملكها



وبتدبير أحوالها.

والتذكّر: التأمل، وهو بهذه الصيغة لا يطلق إلا على ذكر العقل لمحاولاته، أي حركته في معلوماته، فهو قريب من التفكير، إلا أن التذكّر لما كان مشتقاً من مادة «الذكر» - التي هي في الأصل جريان اللفظ على اللسان، والتي يعبر بها أيضاً عن خطوط المعلوم في الذهن بعد سهوه وغيبته عنه - كان مشعراً بأنه حركة الذهن في معلومات متفرقة فيه من قبل.

لهذا ذلك أوثر هنا دون ﴿تَعْلَمُكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ البقرة: ٢١٩، للإشارة إلى أن الاستدلال على وحدانية الله تعالى قد تقرر في النفوس بالفطرة، وبما تقدم لهم من الدعوة والأدلة، فيكفي في الاستدلال مجرد إخطار هذه الأدلة في البال.

فهيئة أي أفلا تعقلون بأن الله وحده هو المحمدي بالطاعة والعبادة.

الطباطبائي: أي هل انتظمت انتقالاً فكرياً إلى ما يستنير به أن الله هو ربكم لا رب غيره، بالتأمل في معنى الألوهية والخلافة والتدبير.

٥ - مثل أقربيتم كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون. هود: ٢٤ ابن عباس: أفلا تعقلون بأمثال القرآن فتؤمنوا.

(١٨٣) الطبري: يقول جلّ تساؤه: أفلا تعقلون أيها الناس، وتذكرون، فتعلموا حقيقة اختلاف أمرهما، فتزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى

الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان؟ (٢٧: ٢٧)

الطوسي: معناه: أفلا تتفكرون في ذلك فتعلموا صحة ما ذكرنا؟ (٥٣٧: ٥)

مثله الطبرسي: (١٥٢: ٣)

الواحد: أفلا تعقلون يا أهل مكة؟ (٥٧٠: ٢)

الشريفي: أي تعقلون بضرب الأمثال، والتأمل فيها. (٥٢: ٢)

أبو السعود: أي أتسكنون في عدم الاستواء

وما بينهما من الثباين؟ أو أنظفون عنه فلا تذكرونه

بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل؟ فيكون الإنكار

وارداً على العطفين معاً، أو أتسمعون هذا

فلا تذكرون؟ فيكون راجعاً إلى عدم التذكّر بعد تحقق

ما يجب وجوده وهو المثل المضروب، كما في قوله

تعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ مَاتَ لَوْ قُبِلَ الْغَلْبُكُمْ عَلَىٰ أَغْلَابِكُمْ﴾

آل عمران: ١٤٤. فإن الغاء لإنكار الانقلاب بعد تحقق

ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول

الله ﷺ أو أفلا تعقلون التذكّر؟ أو أفلا تعقلون؟ ومعنى

المهزة إنكار عدم التذكّر واستبعاد صدوره عن

المخاطبين، وأنه ليس بما يصلح أن يقع، لا من قبيل

الإنكار في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ نَيْكَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾

هود: ١٧، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ هود: ٢٤،

فإن ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء. (٣٠١: ٣)

نحوه البروسوي (٤: ١١٤)، والالوسي (١٢: ٣٥)

الكاشاني: بضرب الأمثال والتأمل فيها.

(٤٤٠: ٢)

شبهوا: أي يعتبرون بضرب الأمثال والتأمل فيها.

(٢٠٩: ٣)

رشيد رضا: أي أتجهلون أيها المخاطبون هذا المثل المحسني الجملي، أو أنظفون عنه فلا تتذكرون ما بينهما من الثباين فتصبروا به؟ أي يجب أن تتفكروا فتذكروا فصبروا وتهتدوا. (٥٨: ١٢)

سيد قطب: القضية في وضعها هذا لا تحتاج إلى أكثر من التذكر، فهي بديهية لا تقتضي التفكير.

وتلك وظيفة التصوير الذي يطلب في الأسلوب القرآني في التمييز، أن ينقل القضايا التي تحتاج لجهد فكري إلى بديهيات مفرزة، لا تحتاج إلى أكثر من توجيه النظر والتذكر. (١٨٦٨: ٤)

عبد الكريم الخطيب: تحريض لدوي الألباب أن يقفوا عند هذا المثل، وأن ينظروا إلى ما فيه من عبرة واعتبار. فعلى ضوء هذا المثل ينكشف الفرق بين المؤمنين والكافرين. (١١٢٧: ٦)

٦- وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكَبَّرُوا فِي اللَّهِ إِنَّا نَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ. هود: ٣٠

ابن عباس: أفلا تتعظون بما أقول لكم فتؤمنوا. (١٨٤)

الطبري: يقول: أفلا تتفكرون فيما تقولون، فتعلمون خطأ، فتنتهوا عنه؟ (٣١: ٧)

الطوسي: معناه أفلا تتفكرون، فتعلمون أن الأمر على ما قلته.

وفرق الطبري بين التذكر والتفكير بأن قال:

التذكر: طلب معنى قد كان حاضراً للنفس، والتفكير:

طلب معرفة الشيء بالقلب وإن لم يكن حاضراً

لنفس. (٥٤٥: ٥)

نحو الطبرسي: (١٥٦: ٣)

التيضاعي: تعرفوا أن التماس طردهم وتوقف الإيمان عليه ليس بصواب. (٤٦٦: ١)

مثله الكاشاني: (٤٤١: ٢)

أبو السعود: أتستمررون على ما أنتم عليه من

الجهل المذكور، فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم، حتى

تعرفوا أن ما تأتونه بمزل عن الصواب. (٣٠٧: ٣)

نحو الثرؤسي (١١٩: ٤)، واللوحي (١٢: ١٢).

رشيد رضا: أصله تتذكرون، حذفت إحدى

التائين منه للتخفيف، وهو قياس، ويحذف بعد همزة

التي هي مفتوحة على الجمل، أي أتصرون على

جهلكم، أو أأمرؤني أن أطردكم، فلا تتذكرون أن هم

رأيا ينصرهم وينظم لهم؟. (٦٦: ١٢)

مكارم الشيرازي: الفرق بين التفكير

والتذكر، هو أن التفكير في حقيقة إنما يكون لمعرفة

شيء لم تكن لنا فيه خبرة من قبل، وأما التذكر فيقال

في مورد يكون معروفاً للإنسان قبل ذلك، كما في

المعارف الطرية.

والمسائل التي كانت بين نوح عليه السلام وقومه هي

أيضاً من هذا القبيل، مسائل يعرفها الإنسان

ويذكرها بغير طرقة وتدبر، ولكن تعصب قومه

وغرورهم وغفلتهم وأنايتهم ألقت عليها حججها

وغشاء، فكأنهم غموا عنها.

(٤٨١: ٦)

٧- أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ.

التحل: ١٧

ابن عباس: أفلا تلاحظون فيما خلق الله لكم؟

(٢٢٢)

الطبري: يقول: أفلا تذكرون نعم الله عليكم، وعظم سلطانه وقدرته على ما شاء، وعجز أوثانكم وضعفها ومهانته، وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضررا، فتمرقوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها، وإقراركم لها بالألوهة؟

(٥٧٣: ٧)

الطوسي: أفلا يتذكرون في ذلك ويعتبرون به.

فإن ذلك من الخطأ الفاحش.

(٣٦٩: ٦)

الواحدى: يعني المشركين، يقول: أفلا تلاحظون

كما تلاحظ المؤمنون؟

البيضاوي: فتمرقوا فساد ذلك، فإنه لجلاته

كالخاصل للعقل الذي يحضر عنده، بأدنى تذکر

والنفات.

أبو السعود: أي ألا تلاحظون فلا تذكرون ذلك،

فإنه لو ضوحه بحيث لا يفتر إلى شيء سوى التذکر.

(٥١: ٤)

نحوه البروسوي.

(٢٢: ٥)

الطوسي: أي ألا تلاحظون فلا تذكرون ذلك؟

فإنه لجلاته لا يحتاج إلى شيء سوى التذکر، وهو

مراجعة ما سبق تصوّره وذهل عنه. وقدّر بعضهم

المفعول عدم المساواة، وذكر أنه لعدم سبقه حتى

يتصور فيه حقيقة التذکر بأن يتصور ويذهل عنه،

جعل التذکر استعارة تصريحية للعلم به. وقيل:

الاستعارة مكنية في المفعول المقدّر، وإثبات التذکر

تحصيل، فتذکر.

المراغي: أفلا تذكرون هذه النعم وهذا السلطان

العظيم والقدرة على ما شاء من الحكمة، وعجز

أوثانكم. [وذكر مثل الطبري] (١٤: ٦٤)

٨- إِنْ أَفَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي

الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْأَهْلَىٰ يَعْظُمُكُمْ

لَعْنُكُمْ تَذَكَّرُونَ.

ابن عباس: لكي تلاحظوا مثال القرآن. (٢٢٩)

نحوه الطبري.

الواحدى: يعني المشركين، يقول: أفلا تلاحظون

كما تلاحظ المؤمنون؟

البيضاوي: فتمرقوا فساد ذلك، فإنه لجلاته

كالخاصل للعقل الذي يحضر عنده، بأدنى تذکر

والنفات.

أبو السعود: أي ألا تلاحظون فلا تذكرون ذلك،

فإنه لو ضوحه بحيث لا يفتر إلى شيء سوى التذکر.

(٥١: ٤)

نحوه البروسوي.

الطوسي: أي ألا تلاحظون فلا تذكرون ذلك؟

فإنه لجلاته لا يحتاج إلى شيء سوى التذکر، وهو

مراجعة ما سبق تصوّره وذهل عنه. وقدّر بعضهم

المفعول عدم المساواة، وذكر أنه لعدم سبقه حتى

يتصور فيه حقيقة التذکر بأن يتصور ويذهل عنه،

جعل التذکر استعارة تصريحية للعلم به. وقيل:

إلى الحق.

(٤١٩:٦)

نحوه الطيرسي.

(٣٨٠:٣)

الفخر الرازي: معناه أن المقصود من هذا الوعد

أن يقدموا على تحصيل ذلك التذكر، فإذا لم يكن

التذكر فعلاً له فكيف طلب منه تحصيله، وهذا هو

الذي يحتاج به أصحابنا على أن قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُكُمْ

تَذَكُّرُونَ﴾ لا يدل على أنه تعالى يريد منه ذلك، والله

أعلم. (١٠٦:٢٠)

السيابوري: ﴿تَعْلَمُكُمْ تَذَكُّرُونَ﴾ لأنها كافية

في باب العظة والتذكر، والارتقاء من حضيض عالم

البشرية إلى ذروة عالم الأرواح المقدسة.

قال الكشي: في الآية دلالة على أنه تعالى لا يحل

الجمود والفحشاء وإلا فكيف ينهاهم عما يخلقها لهم

ويعرض بالعلم والداعي، كما مر مراراً

واعلم أنه لا يلزم من إرادة الله تذكركم

والتذكر من فعل الله بالاتفاق لا من حصول الصدد - أن

يطلب الله منه التذكر، فإن طلب ما ليس في وسعه

محال. فمعنى ﴿تَعْلَمُكُمْ تَذَكُّرُونَ﴾ إرادة أن تكونوا على

حالة التذكر لا إرادة أن تحصلوا التذكر. (١١٣:١٤)

أبو حيان: أي تنبهون لما أمرم به وتهتم عنه،

وعقد الله علم لما عقده الإنسان والتمسه، مما يوافق

الشريعة. (٥٣٠:٥)

الشربيني: أي لكي تتعلموا فعملوا بما فيه رضا

الله تعالى. (٢٥٧:٢)

البروسوي: طلباً لأن تتعلموا فتأتمروا بالأمر،

وتتنهوا بالتهمة. (٧٢:٥)

المراغمي: كي تتعلموا فعملوا بما فيه رضا سبحانه

و تعالى، وما فيه صلاحكم في دنياكم وآخرتكم.

(١٢٣:١٤)

سيد قطب: فهي عظة للتذكر، تذكر وحسي

الفطرة الأصل القويم. (٢١٩١:٤)

ابن عاشور: التذكر: مراجعة المنسي المفقول

عنه، أي رجاء أن تتذكروا، أي تتذكروا بهذه الموعظة

ما اشتملت عليه، فإنها جامعة بأقية في نفوسكم.

(٢٠٩:١٣)

الطباطبائي: أي تتذكرون فتعلمون أن الذي

يدعوكم إليه فيه حياتكم وسعادتكم. (٣٣٣:١٢)

فضل الله: ذلك أن الموعظة تمثل تذكيراً بالقضايا

المهمة التي تنتظر حياة الناس بإيجابياتها، في نطاق ما

يرضى الله، وتواجههم بسلبياتها في نطاق ما يسخطه.

المهمة التي تنتظر حياة الناس بإيجابياتها، في نطاق ما

يرضى الله، وتواجههم بسلبياتها في نطاق ما يسخطه.

بالمسؤولية، تجاه الدنيا والآخرة بشكل دائم.

(٢٨٤:١٣)

٩ - قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. المؤمنون: ٨٥، ٨٤

ابن عباس: أفلا تتعلمون فتعلمون الله. (٢٨٩)

الطبري: يقول: قل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك:

أفلا تذكرون، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك

ابتداء، فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم، وإعادتهم

خلقاً سواً بعد فنائهم. (٢٣٨:٩)

نحوه السعدي (٥٤:٧)، والواحدي (٢٩٦:٣).

واليسوي (٣: ٣٧٢)، والقسطي (١٢: ١٤٥)،

والنضاي (٢: ١١٣)، واليرسوي (٦: ١٠٠)،

وشتر (٤: ٢٨٨)، والمرافي (١٨: ٤٨).

**الطوسي:** أي أفلاتكسرون في مالكنها،

وتذكرون قدرته، وأنه لا يعجزه شيء عن إعادة تكم

بعد الموت، مرة ثانية، كما أنشأكم أول مرة. (٧: ٣٨٧)

نحوه الطبرسي: (٤: ١١٥)

**الزحشري:** قرئ (تذكرون) بحذف التاء

الثانية، ومعناه: أفلاتكسرون فتعلموا أن من فطر

الأرض ومن فيها اختراعاً، كان قادراً على إعادة

الخلق، و كان حقيقاً بأن لا يشرك به بعض خلقه في

الربوبية. (٣: ٤٠)

نحوه السفي (٣: ١٢٦)، و أبو السعود (٤: ٤٢٩)

والألوسي (١٨: ٥٨).

**القطر الرأزي:** اعلم أنه يمكن أن يكون المقصود

من هذه الآيات الرد على منكري الإعادة، وأن يكون

المقصود الرد على عبدة الأوثان؛ وذلك لأن القوم

كانوا مقرين بالله تعالى، فقالوا: تعبد الأصنام فنحن

إلى الله رافق.

ثم إنه سبحانه احتج عليهم بأمر ثلاثة:

أحدها: قوله: ﴿قُلْ لَيْسَ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا بِه

ووجه الاستدلال به على الإعادة أنه تعالى لما كان

خالقاً للأرض ولئن فيها من الأحياء، وخالقاً لمحياتهم

وقدرتهم وغيرها، فوجب أن يكون قادراً على أن

يعيدهم بعد أن أفناهم.

ووجه الاستدلال به على نفي عبادة الأوثان، من

حيث إن عبادة من خلقكم وخلق الأرض كل ما

فيها من النعم، هي الواجبة دون عبادة ما لا يضر

ولا ينفع، وقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ معناه الترغيب في

التدبر، ليعلموا بطلان ما هم عليه. (٢٣: ١١٥)

**الشريبي:** أي في ذلك المركوز في طباعكم،

المقطوع به عندكم ما غفلتم عنه من تمام قدرته وباهر

عظمته فتصدقوا ما أخبر به من البعث الذي هو دون

ذلك، وتعلموا أنه لا يصلح شيء منها - وهو ملكه - أن

يكون شريكاً له تعالى ولا ولداً، وتعلموا أن الصادر

على الخلق ابتداءً قادر على الإحياء بعد الموت، وأنه

لا يصح في الحكمة أصلاً أن يترك البعث، لأن أقلكم

لا يرضى بترك حساب عبيده والعدل بينهم. (٢: ٥٨٨)

**ابن عاشور:** الاستنهام إنكاري، إنكار لعدم

تذكرهم بذلك، أي تفتن عقولهم لدلالة ذلك على

الافتقار إلى الله تعالى بالإلهية. وخص بالتذكر لما في بعضه من

خفاء الدلالة والاحتياج إلى النظر. (١٨: ٨٩)

**مفنيّة:** تنفهمون وتدبرون هذه الحقيقة،

وهي: أن من يقدر على التثابة الأولى يقدر على

الثانية. وكل قادر غير الله يقدر على شيء، ويعجز

عن أشياء، ويعلم قليلاً، ويعجز كثيراً، أما هو فإنه

على كل شيء قدير، وبه عليم. (٥: ٣٨٣)

**الطباطبائي:** أمر بعد تسجيل الجواب أن

يوتخهم على عدم تذكرهم بالحجة الدالة على إمكان

البعث. والمعنى: قل لهم: فإذا كان الله سبحانه مالك

الأرض ومن فيها لم لا تذكرون أن له لمكان ما لكيت،

أن يتصرف في أهلها بالإحياء بعد الإماتة. (١٥: ٥٦)

۱۰ - سُورَةُ الزَّلَٰتِهَا وَفَرَحَتَاهَا وَالزَّلَٰتِهَا فَيَتَايَأَتِ  
بَيِّنَاتٍ لِّقُلُوبِكُمْ تَذَكَّرُونَ. التور: ۱

ابن عباس: لكي تشعظوا بالأمر والتهبي  
فلا تشعظوا الحدود. (۲۹۱)

الطبري: يقول: لتذكروا بهذه الآيات البينات  
التي أنزلناها. (۲۵۶: ۹)

الطوسي: معناه: لكي تذكروا الدلائل التي فيها،  
فتكون حاضرة لكم، لتعملوا بموجبها وتلتزموا بمعانيه.

(۴۰۴: ۷)

نحوه الطبرسي:

البيهقي: تشعظون.

نحوه التستقي (۳: ۱۳۰)، والشريفي (۲: ۵۹۵).

وشير (۴: ۲۹۷).

البيضاوي: فتكون المحارم.

نحوه الكاشاني: (۴: ۴۴۴)

أبو السعود: أي تذكرونها فتصلون بموجبها

عند وقوع الحوادث الداعية إلى إجراء أحكامها.

وفيه إيذان بأن حقها أن تكون على ذكر منهم بحيث

متى سئت الحاجة إليها استحضروها. (۴: ۴۳۸)

نحوه الثبروسي: (۶: ۱۱۴)

الآلوسي: قال الإمام: إنه تعالى ذكر في أول

السورة أنواعاً من الأحكام والحدود، وفي آخرها

دلائل التوحيد، ففعله تعالى: ﴿فَرَحَّتَا هَا﴾ إشارة إلى

الأحكام المبينة أولاً، وقوله سبحانه: ﴿وَالزَّلَٰتِهَا﴾

آيات بيّنات ﴿إشارة إلى ما بين من دلائل التوحيد،

ويؤيده قوله عز وجل: ﴿لَقُلُوبُكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فإن

الأحكام لم تكن معلومة حتى يذكرونها، انتهى.

وهو عندي وجه حسن، نعم قيل: فيما ذكره من

التأييد نظراً؛ إذ لئن ذهب إلى الاحتمال الأول أن

يقول: المراد من التذكر: غايته، وهو اتقاء المحارم

بالعمل بموجب تلك الآيات، ولقائل أن يقول: إن هذا

محوج إلى ارتكاب الجواز في التذكر دون ما ذكره

الإمام، فإن التذكر عليه على معناه المتبادر، ويكفي

هذا القدر في كونه مؤيداً. (۷۶: ۱۸)

ابن عاشور: التذكر: خطور ما كان منسياً

بالذهن، وهو هنا استثمار لاكتساب العلم من أدلته

اليقينية، يجعله كالعلم الحاصل من قبل نفسه الذهن،

أي العلم الذي شأنه أن يكون معلوماً، فنتبه جهله

بالتبيان ونسبه علمه بالتذكر. (۱۱۷: ۱۸)

مفنية: أنزل سبحانه هذه السورة بيّنة واضحة

مفنية: أنزل سبحانه هذه السورة بيّنة واضحة

لفضل الله: ﴿لَقُلُوبُكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ كيف يجب

للإنسان أن يتحرك، وللحياة أن تعاش، وللعباد أن

يلتصوا بالله من مواقع الحجة المتجسدة بالطاعة،

ومواقع الخوف المتمثل بالابتعاد عن المصيبة، ليكون

المرر كله في طريق الله. (۲۱۷: ۱۶)

۱۱ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ

بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْأَلُوا أَهْلَهَا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ

لَّكُمْ لَقُلُوبُكُمْ تَذَكَّرُونَ. التور: ۲۷

ابن عباس: لكي تشعظوا فلا تدخل بعضكم على

بعض بغير إذن. (۲۹۴)

الطَّهْرِي: يقول: لتذكروا بفعلكم ذلك أمر الله عليكم، واللازم لكم من طاعته، فطيعوه. (٢٩٩:٩)  
الطُّوسِي: لتذكروا في ذلك، فلا تجمعوا على الموراث. (٤٢٦:٧)

الواحدي: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أن الاستئذان خير فتأخذون به. (٣١٥:٣)

الزَّمَخْشَرِي: أي أنزل عليكم، أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعظوا، وتعملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان. (٥٩:٣)

نحوه اليَضاوي (١٢٣:٢)، والتسفي (١٣٩:٣)، والشَّريفي (٦١٤:٢)، وأبو السَّعود (٤٥٢:٤)،

والهَرُوسِي (١٣٨:٦)، وشَّير (٣٠٩:٤)، والألوسي (١٠٩:١٥)، والطَّباطبائي (١٣٦:١٨).

الطَّهْرَسِي: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ مواءمة الله وأوامره ونواهيه فتتبعونها. (٤٥٣:٤)

الفخر الرازي: أي لكي تذكروا هذا القاديب فتسكوا به. (٢٠٠:٢٣)

المرأغي: أي الاستئذان والتسليم والانتظار حتى يؤذن لكم، خير من الدخول بفتة أو من الدخول على عادة الجاهلية. فقد كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتاً غير بيته، يقول: حُيتهم صباحاً، حُيتهم مساءً، ثم يدخل، لربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد.

وقد أرشدكم ربكم إلى ذلك، كي تذكروا وتعظوا وتعملوا بما أمرتم به. (٩٥:١٨)

١٢ - مَنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيُخَفِّفُ

السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ مَالَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ. التعل: ٦٢

ابن عباس: ما تتعظون قليلاً ولا كثيراً. (٣٢٠)  
الطَّهْرِي: يقول: تذكروا قليلاً من عظمة الله وأما ديه عندكم تذكرون وتعتبرون خُجج الله عليكم يسيراً، فلذلك أشر كنتم بالله غيره في عبادته. (٦:١٠)  
الماوردي: أي ما أقل تذكركم لنعمة الله عليكم.

(٢٢٣:٤)  
الطُّوسِي: أي تفكرون قليلاً بما قلناه ونهينا

عليه. (١١٠:٨)  
الواحدي: ... ومن قرأ بالآلاء، فالمعنى: قليلاً تذكروا هؤلاء المشركين.

(٣٨٢:٣)  
نحوه الطَّهْرَسِي (٢٢٩:٤)

الزَّمَخْشَرِي: فري (تذكرون) بالآلاء مع الإدغام. والفاء مع الإدغام والم حذف، و (ما) مزيدة، أي

تذكرون تذكروا قليلاً، والمعنى نفسي التذكروا، والقلة تستعمل في معنى التفي. (١٥٥:٣)

نحوه الفخر الرازي (٢٤:٢٠٩)، والقرطبي (١٣:٢٢٥)، والتسفي (٣:٢١٨)، وشَّير (٤:٤٣٦).

اليَضاوي: أي تذكرون آلاءه تذكروا قليلاً، و (ما) مزيدة، والمراد بالقلة: العدم أو الحقارة المزيجة للفائدة.

(١٨١:٢)  
أبو السَّعود: أي تذكروا قليلاً أو زماً قليلاً

تذكرون، و (ما) مزيدة لتأكيد معنى القلة التي أريد بها العدم، أو ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى.

وفي تدليل الكلام بنفي التذكروا عنهم إيمان بأن

مستعملة في كلامهم. وهذه الكناية تلميح وتعريض، أي إن كنتم تذكرون فإن تذكركم قليل.

وقرأ الجمهور: ﴿تَذْكُرُونَ﴾ بتاء الخطاب.

وقرأه روح عن أبي عمرو وهشام عن ابن عامر بياء

الغنية على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ففي قراءة

الجمهور نكته توجيه الخطاب إلى المتكرين مكافئة

لهم، وفي قراءة روح وهشام نكته الإعراض عنهم،

لأنهم استأهلوا الإعراض بعد تذكركم. (١٩: ٢٩٠)

مُغْنِيَّة: المراد بالتذكّر هنا: العمل بالذلاّتل،

والاستغفار بالتذّر، والالتماظ بالعبر. (٦: ٣٤)

الطّباطبائي: ﴿قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ خطاب

توبيخي للكفار، وفسري (يُذَكِّرُونَ) بالياء للغيبة،

وهو أجمع لموافقتها ما في ذيل سائر الآيات الخمس،

تقول: ﴿يَهْلُ هُمْ قَوْمٌ يَقُولُونَ﴾ التمل: ٦٠، ﴿يَهْلُ أَكْثَرُهُمْ

يَقُولُونَ﴾ الأنبياء: ٢٤، وغيرهما، فإن الخطاب فيها

جميعاً للنبي ﷺ بطريق الالتفات، كما مرّ بياحه.

(١٥: ٣٨٤)

١٣ - أَصْطَلَقِي الْيَتَامَى عَلَى الْيَتِيمِ • مَا لَكُمْ كَيْفَ

تَحْكُمُونَ • أَفَلَا تَذْكُرُونَ. الصّافّات: ١٥٣-١٥٥

ابن عباس: أفلا تتعظون بما تقولون. (٣٧٩)

نحوه البخري: (٤٩: ٤)

الطّبري: يقول: أفلا تتدبرون ما تقولون فتعرفوا

خطأ، فتتوبوا عن قيله؟ (١٠: ٥٣٤)

نحوه الواحدي: (٣: ٥٣٤)، والطبرسي: (٤: ٤٦٠)،

والمراغي: (٢٣: ٨٧).

مضمونه مركوز في ذهن كل ذكيّ وغبيّ، وأنه من

الوضوح بحيث لا يتوقّف إلا على التوجّه إليه

وتذكّره. (٥: ٩٧)

نحوه البرّوسوي: (٦: ٣٦٣)

الآلوسي: أي تذكّر قليلًا، أو زمانًا قليلًا

تذكرون، فـ ﴿قَلِيلًا﴾ نصب على المصدرية أو على

الظرفية، لأنه صفة مصدر أو ظرف مقدّر، و(ما)

مزيدة على التقديرين لتأكيد معنى القلة التي أريد بها

العدم، أو ما يجري مجراه في الحقايرة وعدم الجدوى.

ومفعول ﴿تَذْكُرُونَ﴾ محذوف للفاصلة، فقيل:

التقدير: تذكرون نعمه، وقيل: تذكرون مضمون ما

ذكر من الكلام، وقيل: تذكرون ما مرّ لكم من البلاء

والسرور؛ ولعل الأولى: نعمه المذكورة. والإيمان بأن

المتذكّر في غاية الوضوح بحيث لا يتوقّف إلا على

التوجّه إليه، كان التذييل ينفي التذكّر. (٢٠: ٢٧)

المراغي: أي قليلًا ما تذكرون نعم الله عليكم

وأباده عندكم، ومن ثمّ أشر كنتم به غيره في العبادة.

(٢٠: ١٠)

ابن عاشور: التذكّر من «الذكر» بضمّ الذال،

وهو ضدّ النسيان، فهو استحضار المعلوم، أي قليلًا

استحضاركم الافتقار إلى الله، وما أنتم فيه من إنصافه

فتتدوا بأنه الحقيق بأن لا تشركوا معه غيره، فالمتصود

من التذكّر: التذكّر المفيد استدلالًا، و(ما) مصدرية

والمصدر هو فاعل ﴿قَلِيلًا﴾.

والقليل هنا مكتى به عن المصدوم، لأنّ التذكّر

المقصود معدوم منهم، والكناية بالقليل عن المصدوم



الزَّمَخْشَرِيُّ: قَرَأَ (تَذَكَّرُونَ) مِنْ «ذَكَرَ».

(٣٥٥:٣)

ابن عَطِيَّة: ثُمَّ قَرَّرَ وَوَبَّخَ وَعَرَضَ لِلتَّذَكُّرِ وَالنَّظَرِ. وَاسْتَفْهَمَ عَنِ الْبَرْهَانِ وَالْمُجَبَّةِ عَلَى جِهَةِ الْقَرِيرِ، وَضَمَّهِمُ الْاسْتَظْهَارَ بِكِتَابٍ أَوْ أَمْرٍ يُظْهِرُ صِدْقَهُمْ.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ مُشَدَّدَةً الذَّالِ وَالْكَافِ، وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ (تَذَكَّرُونَ) بِسُكُونِ الذَّالِ وَضَمِّ الْكَافِ خَلِيفَةً.

الْقُرْطُبِيُّ: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فِي آيَةٍ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ.

نَحْوُهُ الْبَيْضَاوِيُّ (٣: ٣٠١)، وَالشَّرِيفِيُّ (٣: ٣٩٦)، وَشَرِّ (٥: ٢٦٨).

أَبُو السُّعُودِ: أَيُّ الْإِتْلَاحِطُونَ ذَلِكَ فَلَا تَذَكَّرُونَ بِطِلَانِهِ، فَإِنَّهُ مَرْكُوزٌ فِي عَقْلِ كُلِّ ذَكِيٍّ وَغَيٍّ (٥: ٣٤١).

مِثْلُهُ الْبُرُوسِيُّ (٧: ٤٩٢)، وَالْأَلُوسِيُّ (١٥١).

مُفَنِّئَةٌ: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وَتَرْتَدُّعُونَ عَنِ الشَّرِكِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَقَدْ ذَكَرَكُمْ اللَّهُ وَحَذَّرَكُمْ بِلِسَانِ نَبِيِّهِ وَأَمِينٍ وَحَمِيدٍ.

مَكَارِمُ الشَّيْخِ رَازِي: إِذْ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَا أَسَاسَ لَهُ، وَهُوَ بَاطِلٌ بِحَيْثُ لَوْ أَنَّ أَيَّ إِنْسَانٍ لَهُ ذَرَّةٌ مِنْ عَقْلِ وَدِرَايَةٍ وَتَفَكُّرٍ فِي الْأَمْرِ جَيِّدًا، لَأَدْرَكَ بِطِلَانِ هَذِهِ الْمَزَاحِمِ.

١٤- أَقْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ

غِيَاوَةً فَسَنُيَهْدِيهِمْ مِنْ تَحْتِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ.

الْجَاهِلِيَّة: ٢٣

ابن عَبَّاسٍ: تَتَعَلَّقُونَ بِالْقُرْآنِ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

الطَّبْرِيُّ: أَيُّهَا النَّاسُ، فَتَعَلَّمُوا أَنَّ مَنْ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ مَا وَصَفْنَا، فَلَنْ يَهْتَدِيَ أَبَدًا، وَلَنْ يَجِدَ لِنَفْسِهِ وَلِيًّا مَرشِدًا.

نَحْوُهُ الْأَلُوسِيُّ (٩: ٢٥٩)، وَالْمُرَاغِي (٢٥: ١٥٧)، الْوَاحِدِيُّ: فَتَصَرَّفُوا قُدْرَتَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ.

نَحْوُهُ الْقُرْطُبِيُّ.

الطَّبْرِمَسِيُّ: أَيُّ أَفْلَاحٍ تَتَعَلَّقُونَ بِهَذِهِ الْمَوَاضِعِ. وَهَذَا اسْتِطَاءٌ بِالتَّذَكُّرِ مِنْهُمْ، أَيُّ تَذَكُّرُوا وَاعْظُوا حَتَّى تَحْصُلُوا عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

الشَّرِيفِيُّ: أَيُّ أَمٍّ يَكُنْ لَكُمْ نَوْعٌ تَذَكَّرَ تَتَعَلَّقُوا.

نَحْوُهُ أَبُو السُّعُودِ (٦: ٦١)، وَالْأَلُوسِيُّ (٢٥: ١٥٢).

الْبُرُوسِيُّ: الْإِتْلَاحِطُونَ أَيُّهَا النَّاسُ فَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا تَتَفَكَّرُونَ، فَتَعَلَّمُوا أَنَّ الْهُدَايَةَ لَا يَمْلِكُهَا أَحَدٌ سِوَاهُ، أَوْ فَلَا تَتَعَلَّقُونَ.

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: أَيُّ أَفْلَاحٍ تَتَفَكَّرُونَ فِي حَالِهِ، فَتَذَكَّرُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى الْهُدَى، مَعَ اتِّبَاعِ الْهَوَى فَتَتَعَلَّقُوا.

فَضْلُ اللَّهِ: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وَتَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْفُضْلَةِ الْمَطْبُوعَةِ الَّتِي تَنْعَمُ عَنْكُمْ وَضُوحِ الرُّؤْيَةِ لِلْأَشْيَاءِ، لِتَمْلِكُوا التَّصَوُّرَ الْمُتَوَازِنَ لِقَضَايَا

الحياة والإنسان، في آفاق الله. (٢٠: ٣٢٨)

١٥ - وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. (النَّارِيات: ٤٩)

ابن عباس: لكي تتظفروا فهم خلق الله. (٤٤٢) الطهري: لتذكروا وتنبهوا بذلك، فاعلموا أنها المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة، هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه، وابتداع زوجين من كل شيء، لا ما لا يقدر على ذلك. (١١: ٤٧٣)

نحوه المرامي: (٢٧: ١٠)

الطهري: فاعلمون أن خالق الأزواج فرد. (٩: ١١٩)

مثله الواحدي (٤: ١٨٠)، واليغوي (٤: ٢٨٧).

الماوردي: يحتمل وجهين: أحدهما: تعلمون بأنه واحد.

الثاني: تعلمون أنه خالق. (٥: ٣٧٤)

الطوسي: معناه لتذكروا وتفكروا فيه وتنبهوا به. (٩: ٣٩٥)

الزمخشري: أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبده. (٤: ٢٠)

نحوه الطبرسي (٥: ١٦٠)، والتسفي (٤: ١٨٨)، ونحوه الشريفي (٤: ١٠٦)، وأبو السموذ (٦: ١٤٠)، والثيروسي (٩: ١٧٢)، وشير (٦: ٨٨)، والطباطبائي (١٨: ٣٨٢).

الفخر الرازي: أي لعلكم تذكرون أن خالق الأزواج لا يكون له زوج وإلا لكان ممكناً. فيكون مخلوقاً ولا يكون خالقاً. أو ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أن خالق الأزواج لا يعجز عن حشر الأجساد وجمع الأرواح. (٢٨: ٢٢٧)

البيضاوي: فاعلموا أن التعدد من خواص الممكنات، وأن الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام. (٢: ٤٢٣)

الآلوسي: أي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا، فصرفوا أنه عز وجل الرب القادر الذي لا يعجزه شيء فاعلموا بقتضاه، ولا تمهدوا ما سواه.

وقيل: خلقنا ذلك كي تتذكروا فاعلموا أن التعدد من خواص الممكنات، وأن الواجب بالذات سبحانه لا يقبل التعدد والانقسام.

وقيل للزاد: التذكر بجميع ما ذكر لأمر الحشر والنشر، لأن من قدر على إيجاد ذلك فهو قادر على إعادة الأموات يوم القيامة، وله وجه. (٢٧: ١٨) ابن عاشور: أي تفكرون في الفروق بين الممكنات والمستحيلات، وتفكرون في مراتب الإمكان، فلا يختلط عليكم الاستبعاد وقلة الاحتمال بالاستحالة، فتوجهوا الغريب محالاً.

فالذكر مستعمل في إعادة التفكير في الأشياء، ومراجعة أنفسهم فيما أحالوه، ليعلموا بعد إعادة النظر أن ما أحالوه ممكن، لكنهم لم يبالغوه، فاشتبه عليهم الغريب بالمحال فأحالوه. فلما كان تجديد التفكير المنقول عنه شيئاً بتذكر الشيء المنسي أطلق

عليه ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وهذا في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ على أن يُبدل أنشأكم وتنبهتكم في ما لا تعلمون \* ولقد عليهم التثنية الأولى فلو لا تذكرون \* الواقعة: ٦٠ - ٦٢، فقد ذُيل هنالك بالحث على التذكر، كما ذُيل هنا برجاء التذكر، فأعاد أن خلق الذكور والأنثى من نطفة هو التثنية الأولى، وأنها الدالة على التثنية الآخرة.

وجملة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تعليل لجملة ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي رجاء أن يكون في الزوجين تذكركم أي دلالة مفعول عنها. (٣٨: ٢٧)

١٦ - وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ

الواقعة: ٦٢

ابن عباس: فهلا تشظون بالخلق الأول فتؤمنوا بالخلق الآخر.

الطبري: يقول تعالى ذكره: فهلا تذكرون أنما أنشأتم، فتعلموا أن الذي أنشأكم التثنية الأولى، ولم تكونوا شيئاً، لا يعتذر عليه أن يُعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء.

نحوه المراهي: (٦٥٢: ١١)

الزجاج: هل تذكرون؟ (١٤٦: ٢٧)

مثله القرطبي: (١١٤: ٥)

الطوسي: فهلا تذكرون وتذكرون وتعتبرون بأن من قدر عليها قدر على التثنية الثانية.

(٥٠٤: ٩)

نحوه الطبرسي: (٢٢٣: ٥)

الواحد: فلا تتكروا قدرة الله على التثنية الأخيرة. (٢٣٧: ٤)

البهوي: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أني قادر على إعادتكم، كما قدرت على إبدائكم. نحوه بشر: (١٧: ٥)

ابن عطية: وهذه الآية نص في استعمال القياس والحض عليه. (١٤٨: ٦)

البضاوي: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أن من قدر عليها قدر على التثنية الأخرى، فإلها أقل صنفاً لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال، وفيه دليل على صحة القياس. (٢٤٨: ٥)

نحوه التقي: (٢١٨: ٤)

الشريفي: أي تذكروا عظيمًا تكرر هون أنفسكم على التثنية، فإلها أقل صنفاً لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال، وفيه دليل على صحة القياس.

وفي الخبر: عجباً كل العجب للمكذب بالتثنية الآخرة وهو يرى التثنية الأولى، وعجباً للمصدق بالتثنية الآخرة وهو يسمي لدار القرور. (١٩٢: ٤)

نحوه أبو السعود (١٩٢: ٦)، والثروسوي (٩: ٣٣١)، والآلوسي (١٤٨: ٢٧).

ابن عاشور: أي هل تذكرون ذلك فأمسكنم عن الجحداء وهذا تجهيل لهم في تركهم قياس الأشياء على أشباهها، ومثله قوله أنفأ: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا نَتَذَكَّرُونَ﴾ الواقعة: ٥٧.

وجيء بالمضارع في قوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ للتثنية

على أن باب التذكر مفتوح، فإن قاتهم التذكر فيما مضى، فليست دار كونه الآن. (٢٧: ٢٩٢)

مفاتيح: علمتم بأنا خلقناكم من لا شيء، فهل تعجز عن جمع أجزائكم بعد تفرقها؟ إعادتها إلى ما كانت عليه؟

وأبلغ تفسير لهذه الآية قول الإمام علي عليه السلام: «عجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى». (٧: ٢٢٨)

الطباطبائي: [ذكر المراد بها نشأة الأولى والثانية ثم قال:]

وهذا كما ترى برهان على إمكان حشر الأجساد، محصله أن البدن المشور مثل البدن الذكيوي، وإذ جاز صنع البدن الذكيوي وإحياءه، فليجوز صنع البدن الأخروي وإحياءه، لأنه مثله.

حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، فلو كان البدن الأخروي مثلاً للبدن الذكيوي، ومثل الشيء غيره، كان الإنسان المعاد في الآخرة غير الإنسان المبتدئ في الدنيا، لأنه مثله لا عينه.

قلت: قد تقدم في المباحث السابقة غير مرة أن شخصية الإنسان بروحه لا يبدله، «الروح لا تتعدم بالموت، وإنما يفسد البدن» تتلاشى أجزاؤه، ثم إذا سوي ثانياً مثل ما كان في الدنيا ثم تعلقت به الروح، كان الإنسان عين الإنسان الذي في الدنيا، كما كان زيد الثابت مثلاً عين زيد الثابت لبقاء الروح على شخصيتها مع تغير البدن لحظة بعد لحظة. (١٩: ١٣٣)

فصل الله: فهل فكرتم كيف يمكن لوصي البداية

على قياس الأولى، لأنه الذي في الآية انتهى.

وفيه ما في سابقه، على أن الذي في الآية ليس من قياس الأولى في شيء، لأن الجامع بين النشأة الأولى والأخرى أنهما يشلان ومبدأ القياس أن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد.

وأما قوله: إن النشأة الأخرى أقل صنفاً لحصول المواد وتخصيص الأجزاء، فهو ممنوع، فإن المواد تحتاج إلى إفاضة الوجود بقاء، كما تحتاج إليها في حدودها وأول حصولها، وكذا تخصص الأجزاء يحتاج إليها بقاء كما تحتاج إليها، فالصنع ثانياً كالصنع أولاً.

وأما قوله: وسبق المثال، فقد خلط بين المثل والمثال، فالبدن الأخروي بالنظر إلى نفسه مثل البدن الذكيوي لا على مثاله، ولو كان على مثاله كانت الآخرة ثانياً لا آخره.

حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، فلو كان البدن الأخروي مثلاً للبدن الذكيوي، ومثل الشيء غيره، كان الإنسان المعاد في الآخرة غير الإنسان المبتدئ في الدنيا، لأنه مثله لا عينه.

قلت: قد تقدم في المباحث السابقة غير مرة أن شخصية الإنسان بروحه لا يبدله، «الروح لا تتعدم بالموت، وإنما يفسد البدن» تتلاشى أجزاؤه، ثم إذا سوي ثانياً مثل ما كان في الدنيا ثم تعلقت به الروح، كان الإنسان عين الإنسان الذي في الدنيا، كما كان زيد الثابت مثلاً عين زيد الثابت لبقاء الروح على شخصيتها مع تغير البدن لحظة بعد لحظة. (١٩: ١٣٣)

يصدقون أن الخير والفلة والعفاف الذي كان يأمر به رسول الله ﷺ هو حق صواب. (٣٦٢: ٥)

الطبرسي: لا تذكرون ولا تفكرون، فتعلموا المعجز وتفصلوا بينه وبين الشعر والكهانة. (٣٥٠: ٥)  
الفخر الرازي: لا تذكرون كيفية نظم القرآن واشتماله على شتم الشياطين، فلماذا السب تقولون: إنه من باب الكهانة. (١١٨: ٣٠)

البيضاوي: تذكرون تذكرًا قليلًا، فلذلك ينس الأمر عليكم. وذكر الإيمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية. لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمرين لا ينكره إلا معاند، بخلاف مباينته للكهانة. فلماذا تتوقف على تذكر أحوال الرسول مناهي القرآن، المتناهية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم. (٥٠٢: ٢)

سبحو للكاشاني (٢٢٢: ٥)، وشبر (٢٧٦: ٦).  
أبو السعود: أي تذكرًا قليلًا أو زمانًا قليلًا تذكرون، على أن القلة بمعنى النسي، أي لا تؤمنون ولا تذكرون أصلًا. [ثم ذكر كلام البيضاوي وأضاف:]

وأنت خير بأن ذلك أيضًا محال يتوقف على تأمل قطعًا. (٢٩٧: ٦)

نحوه الألوسي: (٥٣: ٢٩)  
الهروسي: أي تذكرًا قليلًا أو زمانًا قليلًا تذكرون، أي لا تذكرون أصلًا...

وقال بعضهم: المراد من الإيمان القليل: إيمانهم واستيقانهم بأنفسهم، وقد جحدوا بالسهم، لا معنى

أن يفسح المجال نوعي التشاة الأخرى؟ إن المسألة لا تحتاج إلى جهد من التفكير الفلسفي ليقنع الإنسان بما، بل إن طبيعة الفطرة وإحساس الوجدان، يفرضان القناعة لمن تذكر، لذلك كان من المهم أن لا يغفل عن ذلك، ولا ينسى، بل تطلق الذكرى لتكون التور الذي يفتح على الحق كله. (٣٣٩: ٢١)

١٧- وما هو بقول شاعر قليلًا ما يؤمنون •  
ولا يقول كاهن قليلًا ما قد كُروُن. الحاشية: ٤١، ٤٢  
أبن عباس: ما تشعظون بقليل ولا بكثير. (٤٨٤)  
الطبري: يقول: تشعظون به أنتم، قليلًا ما تعتبرون به. (٢٢٢: ١٢)

الزجاج: (ما) مؤكدة. وهي للمؤلف باب الإعراب، والمعنى: قليلًا يؤمنون، وقليلًا يذكرون.

(٢٨٨: ٥٩)  
الزمخشري: القلة في معنى العدم، أي لا تؤمنون ولا تذكرون ألبته، والمعنى: ما أكرمكم وما أغفلكم.

(١٥٤: ٤)  
نحوه النسفي: (٢٨٩: ٤)

أبن عطية: (ما) يحتمل أن تكون نافية فهنضي إيمانهم ألبته، ويحتمل أن تكون مصدرية ويتصف بالقلة، إما الإيمان وإما العدد الذي يؤمنون، فعلى الكشاف إيمانهم بالقلة فهو<sup>(١)</sup> الإيمان اللغوي، لأنهم قد صدقوا بأشياء يسيرة لا تفني عنهم شيئًا، إذ كانوا

(١) في الأصل: فهم!

اللفظي. وقال بعضهم: إن كان المراد منه الإيمان الشرعي فالتقليل لللفظي، وإن كان اللغوي فالتقليل على حاله، لأنهم كانوا يصدقون ببعض أحكام القرآن، كالصلة والخير والعفاف ونحوها، ويكذبون ببعضها كالوحدة والحقيقة والبهت ونحوها، وعلى هذا التذكر، قيل: ذكر الإيمان مع نفي الشاعرية، والتذكر مع نفي الكاهنية، لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بمن لا ينكره إلا معاند.

فلا مجال فيه لتوهم عذر لتارك الإيمان، فذلك وتبعوا عليه وعجب منه، بخلاف مباينته للكهانة، فإنها تتوقف على تذكر أحواله عليه السلام ومعاني القرآن المناهية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم، فالكاهن ينصب نفسه للدلالة على الضوابط والإلهامات بالمفاهيم يصدق فيها تارة ويكذب كثيرًا أو يحتمل جفلاً على ذلك، ويقتصر على من يسأل عن كنهه عليه السلام واحد منها من دأبه عليه السلام.

والحاصل أن الكاهن من يأتيه الشياطين ويؤمنون إليه من أخبار النساء فيخبر الناس بما سمع منهم، وما يُلقيه عليه السلام من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم، فكيف يمكن أن يكون ذلك بإلقاء الشياطين، فإنهم لا ينزلون شيئاً فيه ذمهم وسبهم، لا سيما على من يلعنهم ويطعن فيهم، وكذا معاني ما يُلقيه عليه السلام متنافية لمعاني أقوال الكهنة، فإنهم لا يدهون إلى تهذيب الأخلاق وتصحيح العقائد والأعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد، بخلاف معاني قوله عليه السلام، فلو تذكر أهل مكة معاني القرآن ومعاني أقوال الكهنة، لما قالوا بأئمة

كاهن.

وفي «برهان القرآن» خص ذكر الشعر بقوله: ﴿مَا تَوَمَّنُونَ﴾ لأن من قال: القرآن شعر ومحمد عليه السلام شاعر بعدما علم اختلاف آيات القرآن في الطول والقصر واختلاف حروف مقاطعه خلكفرة وقلة إيمانه، فإن الشعر كلام موزون مقفى، وخص ذكر الكهانة بقوله: ﴿مَا تَذْكُرُونَ﴾ لأن من ذهب إلى أن القرآن كهانة وأن محمدًا عليه السلام كاهن، فهو ذاهل عن ذكر كلام الكهان، فإنه أسجاع لامعالي قصصها، وأوضاع تنو الطباع عنها، ولا يكون في كلامهم ذكر لله، انتهى. قال المولى أبو السعود في «الإرشاد»: وأنت خير بأن ذلك أيضًا بما لا يتوقف على تأمل قطعاً انتهى أي تعطيلهم بالفرق غير صحيح، وفيه أن عليه السلام شرط للتذكر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا نَجْمُكَ﴾ والكافر ليس من أهل الإنابة، وأيضاً ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي أولو العقول الزكية والقلوب الطاهرة، والكافر ليس منهم، فليس من أهل التذكر.

ولاشك أن كون الشيء أمراً يثاب لا ينافي التذكر، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ إِلَهُكُمْ فَلْيَلْزِمُوا﴾ تذكرون مع أن شواهد الألوهية ظاهرة لكل بصير، باهرة عند كل خير. على أنه يظهر من تقريراتهم أنه لا بد من التذكر في نفي الكهانة، لحفاء أمرها في الجملة بالنسبة إلى الشعراء والعلم عند الله العلام، (١٠: ١٤٩) نحوه ابن عاشور ملخصاً (٢٩: ١٣٢)، ومكارم الشيرازي (١٨: ٥٤٩).

سيد قطب: مدلوله نفي الإيمان، ونفي التذكر. وفق تعبيرات اللغة المألوفة. وفي الحديث في وصف رسول الله ﷺ «إنه كان يقل اللغو»، أي لا يلتزم أصلاً. فقد نفي عنهم أصل الإيمان وأصل التذكر. وإلا فما يقول مؤمن عن الرسول: إنه شاعر، ولا يقول متذكر متذبر: إنه كاهن. إنما هما الكفر والعقل ينضحان بهذا القول التكبر. (٣٦٨٩:٦)

فضل الله: أي لا يتذكر به أحد منكم إلا القليل، أو لا ينطق التذكر من خلاله، لأنه إذا كان قول كاهن يستعد كلامه من الجن فلا يملك القداسة التي تدفع إلى التذكر، من خلال الروحانية التي يحملها الكلام.

(٨١: ٢٣)

وقد ذكر كثير من المفسرين ذيل آيات ١٦، ٣ اختلاف القراءات في ﴿تَذْكُرُونَ﴾ تركاها حذوا من التكرار، اعتماداً على ما نقلنا عنهم في الآيات الثلاث الأولى.

### اذْكُرْ

وَقَالَ الَّذِي لَبَّاهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِزَعُ بِأُولَئِكَ فَأَرْسِلُونِ. يوسف: ٤٥

ابن عباس: تذكر يوسف. (١٩٨)

أبو عبيدة: أي «افقتل» من «ذكر»<sup>(١)</sup>، فأدغم التاء في الذال، فحوّلوها دالاً ثقيلة. (٣١٣: ١)

الأحفش: إنما هي «افقتل» من «ذكر»، فأصلها

(١) في الأصل: ذكرت!!

«إذْكَرَ»، لكن اجتماعاً في كلمة واحدة ومخرجاها متقارباً، وأرادوا أن يدغموا، والأول حرف مجهور وإنما يدخل الأول في الآخر والآخر مهموس، فكَر هو أن يذهب منه الجهر، فجعلوا في موضع التاء حرفاً من موضعها مجهوراً وهو الذال، لأن الحرف الذي قبلها مجهور. ولم يجعلوا الطاء لأن الطاء مع الجهر مطبقة. وقد قال بعضهم «مُذْكَرٌ» فأبدل التاء ذالاً، ثم أدخل الذال فيها. (٥٩١: ٢)

الطبري: يقول: وتذكر ما كان نسي من أمر يوسف، وذكر حاجته للملك التي كان سألها عند تعبيره رؤياه أن يذكرها له بقوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ (٢٢٥: ٧)

نحوه الخطيب (٢٢٦: ٥)، والواحدي (٦١٥: ٢)، الخطابي (٤٩٤: ٢)، وابن الجوزي (٢٣١: ٤)، والقرطبي (٢٠١: ٩).

الزجاج: ﴿واذْكُرْ﴾ أصله: واذتكر، ولكن التاء أبدل منها الذال، وأدغمت الذال في الذال.

ويجوز (اذْكُرْ) بالذال، والأجود الدال. (١١٣: ٣) نحوه عبد الكريم الخطيب. (١٢٧٩: ٦)

الطوسي: الذاكرة طلب الذكر، ومثله التذكر والاستدكار، ووزنه «الافتعال» من الذكر، وأصله: الازدكار، فقلبت التاء ذالاً وأدغمت فيها الذال على أصل إدغام الأول في الثاني، ويجوز (اذْكُرْ)، على تظليل الأصلي على الزائد. (١٤٧: ٦)

الزمخشري: قرئ ﴿واذْكُرْ﴾ بالذال وهو الفصح، وعن الحسن (واذْكُرْ) بالذال المعجمة،

والأصل، تذكر، أي تذكر الذي نجا من الفتيين من  
القتل، يوسف وما شاهد منه. (٣٢٤: ٢)

نحوه التسقي (٢: ٢٢٤)، وأبو حيان (٥: ٣١٤)،  
وأبو السعود (٣: ٣٩٩)، والألوسي (١٢: ٢٥٣).

رشيد رضا: أي والحال أنه تذكر بعد طائفة  
طويلة من الزمن وصية يوسف إياه، بأن يذكره عند  
سيده الملك، فأنساه الشيطان ذلك.

وأصل اذكر اذكر اذكر افعال من الذكر، أبدلت تاؤه  
دالاً مهملة لقرب مخرجهما، وأدخلت فيها الذال  
المعجمة، وهو الفصح. وقرئ في الشواذ بالذال  
المعجمة، وهي لغة. (١٢: ٣١٨)

### يذكر

١ - يُؤمِّن الحكمة من يشاء ومن سوت الحكمة  
فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب  
البقرة: ٢٦٩

ابن عباس: يتعظ بأمثال القرآن والحكمة. (٣٩١)  
الطبري: يعني بذلك جعل تساؤه، ولا يتعظ بما  
وعظ به ربه في هذه الآيات، التي وعظ فيها المستفيين  
أموالهم بما وعظهم به وغيرهم، فيها وفي غيرها من أي  
كتابه، فيذكر وعده ووعيده فيها، فينجز عما زجره  
عنه ربه، ويطيعه فيما أمره به. (٣: ٩١)

الزجاج: أي ما يفكر فكراً يذكر به ما قص من  
آيات القرآن. (١: ٣٥٢)

مثله الثعاس. (١: ٢٩٩)

العلبي: يتعظ. (٢: ٢٧٢)

مثله الواحدي (١: ٣٨٣)، والبقوي (١: ٣٧٤).  
الزمخشري: المراد به الحث على العمل بما  
تضمنت الآي في معنى الاتفاق. (١: ٣٩٦)

نحوه التسقي. (١: ١٣٦)

الطبرسي: أي وما يتعظ بآيات الله. (١: ٣٨٢)

نحوه البروسوي. (١: ٤٣١)

اليضاوي: وما يتعظ بما قص من الآيات، أو ما  
يتذكر، فإن المتفكر كالمذكر لما أودع الله في قلبه من  
العلوم بالقوة. (١: ١٤٠)

الشريبي: فيه إدغام القاء في الأصل في الذال.  
[ثم قال: نحو اليفاي] (١: ١٨٠)

أبو السعود: أي وما يتعظ بما أوتي من الحكمة.  
أو وما يتذكر فيها إلا أولوا الألباب... وفيه من  
الترتيب في المحافظة على الأحكام الواردة في شأن  
الاتفاق ما لا يخفى. والجملة إما حال أو اعتراض  
تذييلي. (١: ٣١٢)

نحوه الألوسي. (٣: ٤٢)

رشيد رضا: أي وقد جرت سنته تعالى بما أنه لا  
يتعظ بالعلم ويتأثر به تأثيراً يبعث على العمل، إلا  
أصحاب العقول الخالصة من الشوائب، والقلوب  
السليمة من المعاييب. (٣: ٧٧)

المرآغي: أي ولا يتعظ بالعلم ويتأثر به، ويجعل  
الإرادة مُصرفة له، خاضعة لمشيئته. (٣: ٤٢)

الطباطبائي: التذكر هو الانتقال من النتيجة إلى  
مقدماتها، أو من الشيء إلى نتائجها، والآية تدل على  
أن اقتناص الحكمة يتوقف على التذكر، وأن التذكر



يتوقف على العقل، فلا حكمة لمن لا عقل له. (٣٩٦:٢)  
 مكارم الشيرازي: التذكر هو حفظ العلوم  
 والمعارف في داخل الروح. (٢٢٥:٢)  
 فضل الله: التذكر: هو حركة العقل في دراسة  
 الأشياء التي تربط بين المقدمات ونتائجها، أو بين  
 الشيء ونتائجها، ليحصل الإنسان على الفكرة  
 الجديدة، من خلال مفردات المعلومات التي يحترنها في  
 وجدانه، فتكون التذكري لوئاً من ألوان البقعة  
 الوجدانية للوعي، التي توحى له بشيء جديد.  
 وهذا هو المنهج الذي قرره القرآن الكريم في مسأله  
 الإيمان التي هي حركة تذكر الله في عبادته وطاعته،  
 من خلال التذكر لآلائه ونعمه وأسرار مقامه  
 الربوبي، وعلاقة الناس به. (١٠٩:٥)

٢.... والراغبون في العلم يقولون أمثالهم كل  
 من عذر بما وما يذكر إلا أولوا الآلآب. آل عمران: ٧  
 ابن عباس: يتخط بأمثال القرآن. (٤٣)  
 الطبري: وما يتذكر ويتخط وينزجر عن أن  
 يقول في متشابه أي كتاب الله ما لا علم له به، إلا  
 أولو العقول والتهى. (١٨٦:٣)  
 الزجاج: أي ما يتذكر القرآن وما أتى به  
 الرسول. (٣٧٩:١)

الثعلبي: يتخط بما في القرآن.  
 نحوه الواحدي (٤١٥:١)، والبغوي (٤١٢:١)،  
 والفخر الرازي (١٩١:٧).  
 ابن عطية: أي ما يقول هذا ويؤمن به ويقف

حيث وقف، ويدع اتباع المتشابه إلا ذولب، وهو  
 العقل. (٤٠٤:١)  
 نحوه القرطبي: (١٩:٤)  
 التستفي: هو ما يتخط، وأصله: يتذكر. (١٤٧:١)  
 نحوه الشربيني: (١٩٧:١)  
 الطبرسي: أي وما يتذكر في آيات الله ولا يرد  
 التشابه إلى الحكم. (٤١٠:١)  
 أبو السعود: ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾ حق التذكر.

(٣٣٧:١)  
 حظه الروسوي: (٦:٢)  
 المراغي: أي وما يتقل ذلك ويقفه حكمته إلا  
 ذوو البصائر المستنيرة. (١٠٢:٣)  
 الطباطبائي: التذكر هو الانتقال إلى دليل  
 الشيء لاستنتاجه، ولما كان قولهم: ﴿كُلُّ مَنْ عَذَرَ  
 رَبَّهُ﴾ كناية، استدلالاً منهم وانتقالاً لما يدل على  
 فعلهم، سمى الله تعالى تذكرًا، ومدحهم به. (٢٩:٣)  
 فضل الله: ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾ في حركة الفكر التي  
 تفتح آفاق الإنسان على الله في مواقع ربوبيته،  
 وتوحى له بحقيقة عبوديته له، وتذكره بما ينتظره في  
 الآخرة من ثواب وعقاب، في خط المسؤولية التي  
 يمثل الإنسان نتائجها الإيجابية والسلبية في الموقف،  
 بين يدي الله. (٢٤١:٥)

٣... هذا بلاء للناس وليذكرُوا به ويقتضوا أَلَمًا  
 هَؤُلَاءِ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا آلَآبَ. إبراهيم: ٥٢  
 ابن عباس: ولكي يتخط بالقرآن. (٢١٦)

نحوه الكلبى (الماوردي ٣: ١٤٦)، والواحدى (٣: ٣٧)، والبهوي (٣: ٤٩)، وشتر (٣: ٣٧٠).

الطبري: يقول: وليتذكر فيتعظ بما احتج الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن، فينزع عن أن يعمل معه إلها غيره، ويترك في عبادته شيئاً سواه أهل المحبى والقول.

نحوه المراغى: (١٣: ١٧٠)

الماوردي: فيه وجهان:

أحدهما: [قول الكلبى]

الثاني: ليرجع، بمعنى بما سمع من المواعظ.

(٣: ١٤٦)

الطبرسي: في قوله: «ليتذكر» دلالة على أنه أراد من الجميع التذكر والتذكر، وعلى أن العقل حجة لأن غير ذوي العقول لا يمكنهم الفكر والاعتبار.

الفخر الرازي: قوله: «وليتذكر أولوا الألباب»

إشارة إلى ما يجري مجرى الرئيس، لكمال حال القوة العملية. فإن الفائدة في هذا التذكر، إنما هو الإعراض عن الأعمال الباطلة والإقبال على الأعمال الصالحة، وهذه الحاتمة كالدليل القاطع في أنه لا سعادة للإنسان إلا من هاتين الجهتين.

البيضاوي: فيردعوا عما يرددهم ويتذرعوا

عما يحظيهم. (١١: ٥٣٦)

الشريفي: يادغام التاء في الأصل في النال، أي

يتعظ. (٢: ١٩٢)

أبو السعود: أي ليتذكروا ما كانوا يعملونه من

قبل، من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده، فيردعوا عما يرددهم من الصفات التي يتصف بها الكفار، ويتذرعوا بما يحظيهم من الصفات الحقة، والأعمال الصالحة.

وفي تخصيص التذكر بأولي الألباب تلويح

باختصاص العلم بالكفار، ودلالة على أن المشار إليه

هنا ما ذكرنا من التواريخ المسوقة لشأنهم، لا كل

النورة المشتعلة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين أيضاً،

فإن فيه ما يفيدهم فائدة جديدة، وحيث كان ما يفيد

البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الأحكام

بالتسبة إلى الكفرة أمراً حادثاً، وبالتسبة إلى أولي

الألباب الثبات على ذلك - حسبما أشير إليه - غير

عن الأول بالعلم وعن الثاني بالتذكر، وروعي

ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى، والله

(٣: ٥٠٥)

نحوه الترويسوي (٤: ٤٣٨)، والالوسي (١٣: ٢٥٨).

ابن عاشور: التذكر: النظر في أدلة صدق

الرسول عليه الصلاة والسلام، وجوب الباطل،

ولذلك خص بذوي الألباب تنزيلاً لغيرهم منزلة من

لا عقول لهم «إن هم إلا كالألقام بل هم أضل سبيلاً»

الفرقان: ٤٤. (١٢: ٢٧٤)

الطباطبائي: يتذكر المؤمنون منهم خاصة بما فيها

من المعارف الإلهية. (١٢: ٩٠)

٤ - هو الذي جعل الليل والنهار حلقة لمن أراد

أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكْرًا.

الفرقان: ٦٢

ابن عباس: أن يتعظ باختلافهما. (٣٠٥)

القرءاء: هي في قراءة أبي (يَتَذَكَّرُ) حجة لمن شدد، وقراءة أصحاب عبد الله وحمة وكثير من الناس: «لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ» بالتخفيف، و«يذكر ويتذكر» بآنيان بمعنى واحد. (٢٧١: ٢)

الطبري: لمن أراد أن يذكر أمر الله، فينب إلى الحق.

اختلفت القرءاء في قراءة قوله: ﴿يَذْكُرُ﴾ فقرأ ذلك عامة قرءاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ﴿يَذْكُرُ﴾ مشددة، بمعنى يتذكر. وقرأ عامة قرءاء الكوفيين (يَتَذَكَّرُ) مخففة، وقد يكون التشديد والتخفيف في مثل هذا بمعنى واحد، يقال: ذكَّرتُ حاجة فلان وتذكَّرتُها.

والقول في ذلك إجماع قرءاءتان معروفتان بخلاف المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ لمصيب الثواب فيهما.

(٤٠٦: ٩)

الثعلبي: قرءاء العامة بتشديد الذال، بمعنى يتذكر ويتعظ، وقرأ حمزة وخلف بتخفيف الذال من الذكر.

(١٤٤: ٧)

نحوه البهوي.

الماوردي: أي يصلي بالتهار صلاة الليل ويصلي بالليل صلاة النهار.

(١٥٤: ٤)

الطوسي: أي خلقناه كذلك لمن أراد أن يتذكر ويستدل بها، على أن لها مديراً ومصرفاً، لا يشبهها ولا تشبهه، فيوجه العبادة إليه. (٥٠٤: ٧)

نحوه الطبرسي (١٧٨: ٤)، والتسفي (١٧٤: ٣).

الزمخشري: قرئ (يَذْكُرُ) و﴿يَذْكُرُ﴾ وعن أبي بن كعب (يَتَذَكَّرُ) والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر، فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال إلى حال، وتغيرهما من ناقل ومغير، ويستدل بذلك على عظم قدرته. (٩٩: ٣)

نحوه القمرازي.

ابن عطية: أي يعتبر بالمصنوعات، ويشكر الله

على نعمه عليه في العقل والفهم والفكر.

وقال عمر بن الخطاب والحسن وابن عباس: معناه: لمن أراد أن يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في أحدهما، فيستدركه في الذي يليه.

وقرأ حمزة وحده (يَتَذَكَّرُ) يكون الذال وضمة الكاف، وهي قراءة ابن وثاب وطلحة والتخفي.

ابن كعب: (يَتَذَكَّرُ) بزيادة ناء. (٢١٧: ٤)

ابن الجوزي: أي يتعظ ويعتبر باختلافهما. [ثم ذكر القراءات] (١٠٠: ٦)

القرطبي: أي يتذكر، فيعلم أن الله لم يجعله كذلك هبلاً، فيعتبر في مصنوعات الله، ويشكر الله تعالى على

نعمه عليه في العقل والفكر والفهم. (٣٦: ١٣)

البيهضاوي: أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه، فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب الثبات، رحيم على العباد. (١٥٠: ٢)

نحوه الشربيني (٦٧١: ٢)، أبو السعود (٢٣: ٥)، والبروسوي (٢٣٨: ٦).

الصفات والأسماء و غايته الإيمان بالله؛ وبالشكور:  
القول أو الفعل الذي يُنصح عن الثناء عليه بجميل ما  
أنعم، وينطبق على عبادته وما يلحق بها من صالح  
العمل. (٢٣٦: ١٥)

**فضل الله:** ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرْهُ فَيُدْعِهِ ذَلِكَ إِلَى  
وَعِي مَالَةِ الْإِيمَانِ فِي ذَاتِهِ، وَإِلَى مَوْجِعِ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ  
وَحَيَاةِ الْكَوْنِ كُلِّهِ، فَلَا يَغْلِبُ عَنْهُ طَرْفَةُ عَيْنٍ، أَمَامَ هَذَا  
الْوُجُودِ الَّذِي يَنْفُذُ إِلَى كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحْظَاتِ وَجُودِهِ،  
فَيَتَوَعَّبُ كُلَّ جَوَانِبِهِ، فَيَرَى اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ،  
فِي إِشْرَاقَةِ النَّهَارِ، وَفِي ظِلَامِ اللَّيْلِ. (٧١: ١٧)

٥- أَوْ يَذْكُرُ فَتَنْقَضُ الذِّكْرَى. عيس: ٤  
٦- سَيَذْكُرُ مَنْ يَحْشَى. الأعلى: ١٠  
مضنا في: «الذكرى».

### يَذْكُرُونَ

١- وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ  
لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ. الأنعام: ١٢٦  
أبن عباس: يتشظون فيؤمنون. (١١٩)  
نحوه التنفي. (٣٣: ٢)  
عطاء: يريد أصحاب النبي ﷺ قبلوا مواعظ الله  
تعالى وانتبهوا عما نهاهم الله عنه. (الواحد: ٢: ٣٢٢)  
الطبري: يقولون لمن يذكروا ما احتج الله به عليه  
من الآيات والبر فيتميز بها. وخص بها الذين  
يذكرون، لأنهم هم أهل التمييز والفهم، وأولو  
الحبى والفضل. (٣٤١: ٥)

الآلوسي: أي ليكونا وقتين للمتذكر من فاته  
ورثه من العبادة في أحدهما تداركه في الآخر.  
وروي هذا عن جماعة من السلف.

وروي الطيالسي وابن أبي حاتم: أن عمر بن الخطاب  
أطال صلاة الضحى، فقيل له: صنعت شيئاً لم تكن  
تصنعه، قال: إنه بقي عليّ من وردي شيء فأحببت أن  
أتمه، أو قال: أقضيه، وتلاهذه الآية.

وكان التذكر مجاز عن أداء ما فات، وهو مما  
يتوقف الأداء عليه، وفي الكلام تقدير كما أشير إليه،  
ويجوز أن يكون تقدير معنى لا إعراب. (٤٢: ١٩)  
المراغي: يكون في ذلك عظة لمن أراد أن يتحفظ  
باختلافهما، ويتذكر آلاء الله فيهما، ويتفكر في صنعه.  
(٣٣: ١٩)

ابن عاشور: التذكر: «تفعل» من الذكر، أي  
تكلف الذكر. والذكر جاء في القرآن بمعنى التفاضل  
أدلة الدين، وجاء بمعنى تذكر فائت أو منسى، ويجمع  
المعنيين استظهار ما احتجب عن الفكر. (٨٦: ١٩)  
مغنيّة: معناه: أن من طلب الدليل على وجود الله  
وجده في جميع الأشياء، ومنها تعاقب الليل والنهار،  
(٤٨٠: ٥)

الطباطبائي: تقييد الخلفة بقوله: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ  
يَذْكُرْ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ للدلالة على نيابة كل منهما  
عن الآخر في التذكر والشكر.

والمقابلة بين التذكر والشكر يُطلي أن المراد  
بالتذكر: الرجوع إلى ما يعرفه الإنسان بفطرته، من  
الحجج الدالة على توحيد ربه، وما يلحق به تعالى من

الطوسي: قوله: ﴿يَذْكُرُونَ﴾ أصله: يتذكرون. قلبت التاء ذالاً، وأدغمت الأولى في الثانية، ولم يميز قلب النال إلى الدال كما جاز في ﴿فَقُلْ مِنْ مَدَّ كَيْفٍ﴾ القمر: ١٠، لأنهم لم يميزوا إدغام التاء في الدال، لأنها أفضل منها بالجهر، فلبست إلى الدال لتعديل الحروف، وليس كذلك إدغام التاء في الدال. وإلما خص الآيات بـ ﴿قَوْمٌ يَذْكُرُونَ﴾ لأنهم المنتفعون بها وإن كانت آيات لغيرهم، كما قال: ﴿وَهَدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٣.

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال: المعارف ضرورية، لأنها لو كانت ضرورية لم يكن لفصل الآيات ليتذكر بها فائدة.

نحوه ملخصاً الطبرسي: ابن عطية: أي للمؤمنين الذين يعدون أنفسهم للنظر، ويسلكون طريق الاهتداء.

التيضاعي: فيعلمون أن القادر هو الله سبحانه وتعالى، وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه، وأنه عالم بأحوال العباد حكم عادل فيما يفعل بهم.

مثله الكاشاني: (١٥٧: ٢)

الشريفي: فيه إدغام التاء في الأصل في الدال، أي يتظنون. (ثم ذكر نحو التيضاعي وأضاف:)

وخصوا بالذكر لأنهم المنتظون. (٤٤٩: ١) نحوه أبو السعود (٤٤٢: ٢)، وشير (٣١٣: ٢)، والالوسي (٢٣: ٨).

رشيد رضا: قوم يتذكرون ما بلغوه منها، كلما

عرضت الحاجة إليه فيزدادون بها يقيناً ورسوخاً في الإيمان، ويدرون ما يورد عليهم من الشبهات والأوهام، كما يزدادون إيماناً وموعظة تبعثهم على الأعمال الصالحة، ولذلك خصوا بالذكر دون غيرهم. (٦٣: ٨)

الطباطبائي: أي إن أقول حق بين عند من تذكر ورجع إلى ما أودعه الله في نفسه، من المعارف الفطرية والعقائد الأولية التي يتذكرها يهدي الإنسان إلى معرفة كل حق وتميزه من الباطل. والبيان مع ذلك، قد سبحانه، فإنه هو الذي يهدي الإنسان إلى النتيجة بعد هدايته إلى الحق. (٣٤٥: ٧)

الطبرسي: أي للمؤمنين الذين يعدون أنفسهم للنظر، ويسلكون طريق الاهتداء.

ابن عباس: لكي يتظنوا. (١٢٥) مثله الواحدي: (٣٥٩: ٢)

الطبري: يقول جل ثناؤه: جعلت ذلك لهم دليلاً على ما وصفت، ليدذكروا فيعتبروا وينبوا إلى الحق وترك الباطل، رحمة مني بعبادي. (٤٦١: ٥)

الطوسي: معناه: لكي يتذكروا فيها ويؤمنوا بالله، ويصيروا إلى طاعته، وتنبهوا عن معاصيه. (٤٠٨: ٤) مثله الطبرسي: (٤٠٩: ٢)

الزمخشري: فيعرفوا عظيم التبعة فيه. (٧٤: ٢) مثله الفخر الرازي (١٤٢: ٥٢)، والتسلي (٤٩: ٢).

التيضاعي: فيعرفون نعمته، أو يتظنون

من هذا المرض الذي تعرض فيه آيات الله، وتحدث فيه نعمه - هم غافلون، لا تصفى منهم الأقدمة، ولا تستيقظ منهم العقول. فعمل هؤلاء السامعون يستيقظون، ولعل هؤلاء الغافلون يتنبهون. (٣٨٦: ٤)  
مكارم الشيرازي: ليتذكر الناس نعم الرب تعالى. (٩: ٥)

فضل الله: فتودعهم الذكرى إلى الوقوف الواحي أمام أوامر الله ونواهيه بكل قوة وإيمان، كما تهودهم إلى الابتعاد عن حياثل الشيطان وخداعه وغروره. (٧٢: ١٠)

٣ - ولقد أخذنا آل فرعون بالسبين وكفص من  
الاعراف: ١٣٠  
ابن عباس: لكي يتعظوا. (١٣٥)

لربى القلوب وترغب فيما عند الله، وفي الرجوع إليه. الأثرى إلى قوله جل وعز: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلُّ مَن يَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ الْإِسْرَاءُ: ٦٧﴾، وقال جل وعز: ﴿وَإِذَا أَلْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ اعْرِضْ وَكُنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَزِدْهُ دُخَانًا بِضْعَ فَضْلٍ: ٥١﴾ (٣٦٨: ٢)

الطوسي: معناه لكي يتفكروا في ذلك ويرجعوا إلى الحق، وإنما قال: ﴿فَلَهُمْ﴾ - وهي موضوعة للشفقة، وهو لا يجوز في كلام الله - لا لهم عوملوا معاملة الشاك مظاهرة في القول، كما جاء الابتلاء والاختبار مثل ذلك.

فيتورعون عن القبائح. (٣٤٥: ١)  
مثله الشريفي (١: ٤٧٠)، وأبو السعود (٢: ٤٨٧)، والكاشاني (٢: ١٨٧)، والآلوسي (٨: ١٠٤)، ونحوه شير (٢: ٣٥٥).

البروسوي: فيعرفون نعمته حيث أغناهم باللباس عن خصف الورق، أو يتعظون فيتورعون عن القبائح، نحو كشف العورة. (١٤٩: ٣)  
رشيد رضا: أي ذلك الذي ذكر من نعم الله، بإنزال أنواع الملابس الصورية والمعنوية، من آيات الله تعالى ودلائل إحسانه إلى بني آدم، وكثرة نعمه عليهم، التي من شأنها أن تلهيهم وتوغلهم لتذكر فضله وعنته، وإلهام بما يجب عليهم من شكرها، وإلقاء فتنة الشيطان لهم بإبداء الصورات تشارة، وبالإسراف في الزينة تارة أخرى. (٣٦١: ٨)

ابن عاشور: ضمير الغيبة في ﴿فَلَهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ الثقات، أي جعل الله ذلك آية لهم لتذكرون عظم قدرة الله تعالى، وانفراده بالخلق والتقدير والطف. وفي هذا الالتفات ترميض بمن لم يتذكر من بني آدم، فكأنه غائب عن حضرة الخطاب. على أن ضمائر الغيبة، في مثل هذا المقام في القرآن، كثيرًا ما يقصد بها مشركو العرب. (٥٩: ٨)

مفنية: أي إن الله أعطاكم اللباس تفضلاً منه، لتعملوا بطاعته، وتتنهوا عن معصيته. (٣٦٦: ٣)  
عبد الكريم الخطيب: في العدول من الخطاب من ﴿فَلَهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ إلى الغيبة، إشارة إلى ما في الناس من غفلة، وأنهم - وهم بمحض

والآية تدل على بطلان مذهب الجبرة من أن الله تعالى يريد الكفر والمعاصي، لأنه بين أنه فصل بهم ذلك لكي يذكروا، ويرجعوا، فقد أراد منهم الإذكار، فكأنه قال: من أجل أن يذكروا، وليس كذلك إذا كلفهم من أجل الثواب، لأن إرادة المريد لما يكون من فعله في المستأنف عزم، وذلك لا يجوز عليه تعالى، وليس كذلك إرادته لفعل غيره، (٥٤٩: ٤)

الزُّمَّشَرِيُّ: فينتهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لايات الله، ولأن الناس في حال الشدة أضرع خدوداً والين أعطافاً وأرق أفئدة.

وقيل: عاش فرعون أربعين سنة ولم يرمكروها في ثلاثين سنة، ولو أصابه في تلك السنة وجع أو جوع أو حتى لما ادعى الربوبية. (٩٠٦: ٢) نحوه التستوي (٧١: ٢)

الطُّهْرَسِيُّ: أي يخافون فيوحدون الله، فلم يذكروا. وقيل: لكي يتفكروا في ذلك، ويرجعوا إلى الحق. [إلى أن قال:]

وقيل: معناه: لكي تذكروا أن فرعون لو كان إلهاً، لما كان يستسلم لذلك الضر. وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب الجبرة، وفي أنه سبحانه يريد الكفر، فإنه بين أنه أراد منهم التذكُّر والرجوع إلى الله. (٤٦٦: ٢)

القَطْرُ الرَّازِيُّ: فيه مسألتان:

المسألة الأولى: [نحو الزُّجَّاج]

المسألة الثانية: قال القاضي: هذه الآية تدل على أنه تعالى فعل ذلك إرادة منه أن يذكروا، لا أن يقيموا

على ما هم عليه من الكفر.

أجاب الواحدي عنه: بأنه قد جاء لفظ الابتلاء والاختبار في القرآن، لا بمعنى أنه تعالى يمتحنهم، لأن ذلك على الله تعالى محال، بل بمعنى أنه تعالى عاملهم معاملة تشبه الابتلاء والامتحان، فكذا هاهنا، والله أعلم. (٢١٤: ١٤)

نحوه الثَّيْسَابُورِيُّ: (٣٤: ٩)

القُرْطُبِيُّ: أي ليضطوا وترق قلوبهم. (٢٦٤: ٧) التَّيْسَاوِيُّ: لكي ينتهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيضطوا، أو ترق قلوبهم بالشدة فيغز عون إلى الله ويرغبوا فيها عنده. (٣٦٤: ١)

نحوه الكاشاني (٢٢٩: ٢)، والألوسي (٣١: ٩). أبو حيان: رجاء لتذكُّرهم وتنتههم، على أن ذلك الابتلاء إنما هو لإصرارهم على الكفر، وتكذيبهم لايات الله فيزدجروا. (٣٦٩: ٤)

نحوه أبو السعود (٢٠: ٣)، والبروسوي (٢١٧: ٣). شهر: يخافون الله فيوحدونه. (٤٠٥: ٢)

رشيد رضا: لعلمهم يذكرون ضعفهم أمام قوة الله وعجز ملكهم الجبار المنتظر، وعجز آلتهم، ولعلمهم إذا تذكروا اعتسبوا وأثعلسوا، فرجعوا عن ظلمهم لبني إسرائيل، وأجابوا دعوة موسى عليه السلام، فإن الشدة من شأنها أن ترقق القلوب، وتهدب الطباع، وتوجه الأنفس إلى مرضاة رب العالمين والتضرع له، دون غيره من المعبودات التي اتخذت في الأصل وسائل إليه وشغلاء عنده، ثم صار ينسى في وقت الرخاء، لأنه غيب لا يرى، تذكُّر هي، لأنها مشاهدة

بجانسة لعابديها، بل هي أو أكثرها دونهم لو كانوا يعقلون. فإذا بلغ الشرك من الناس أن ينسوا الله تعالى حتى في أوقات الشدائد، فذلك هو الضلال البعيد.

(۸۷:۹)

المراغي: أي إله تعالى أخذ آل فرعون بالجذب وضيق المعيشة. لعلمهم يتذكرون ضعفهم أمام قوة الله، وعجز ملكهم العالي الجبار وعجز آلتهم، ليرجعوا عن ظلمهم لبني إسرائيل، ويحيوا دعوة موسى خطيئة، إذ قد دلت التجارب على أن الشدائد ترقق القلوب وتهدب الطباع، وتوجه النفوس إلى مناجاة الرب سبحانه، والعمل على مرضاته، والتضرع له دون غيره من المعبودات، متى الغدوها وسائل إليه ونفعا عنده.

(۴۱:۹)

مكارم الشيرازي: كان جملة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إشارة إلى هذه النقطة، وهي أن التوجه إلى حقيقة التوحيد موجودة من البداية في الروح الأدمية، ولكنه على أثر القرية غير الصحيحة أو بطلان التهمة ينساها الإنسان، ولكن عند حلول الهلايا والأزمات يتذكر ذلك مجدداً، ومادة «تذكر» تناسب هذا المعنى.

(۱۵۷:۵)

فضل الله: فيتراجعون عن تمردهم وعشوائهم واستكبارهم، ويتسجعون مع نداء رسله للسير على خط رسالاته الداعية إلى عبادته وحده، في كل مجالات الحياة الخاصة والعامة، ولكنهم لم يتذكروا، بل كانوا يواجهون الموضوع بطريقة أخرى. (۲۲۱:۱۰)

۴- قَامَا تَتَفَكَّهُمْ فِى الْخَرَبِ فَشَرَدَبَهُمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ.

الأنفال، ۵۷

ابن عباس: يتعظون، فيجتنبون نقض العهد.

(۱۵۰)

ابن إسحاق: لعلمهم يعقلون. (الطبري ۶: ۲۷۱)

القرآن: فلا ينقضون العهد. (۴۱۴: ۱)

الطبري: كي يتعظوا بما فعلت هؤلاء الذين وصفت صفهم، فيحذروا نقض العهد الذي بينك وبينهم خوف أن ينزل بهم منك ما نزل هؤلاء، إذا هم نقضوه.

الشعلي: يعتبرون العهد فلا ينقضون العهد.

(۳۶۹: ۴)

الطوسي: معناه: لكي يفكروا فيتعظوا ويزجروا عن الكفر والمعاصي.

(۱۶۸: ۵)

الواحدى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ التكال فلا ينقضون العهد. والتأويل: فشرد بقتلهم والاكفاء فيهم من بعدهم، يكن ذلك تحويلاً لهم من نقض العهد، فلا ينقضوا.

(۴۶۷: ۲)

نحوه الفخر الرازي (۱۵: ۱۸۳)، والمراسي (۱۰: ۲۱).

اليكسوي: يتذكرون ويتعظون ويعتبرون

(۳۰۲: ۲)

ابن عطية: معناه يتعظون. (۵۴۳: ۲)

مثله الكاشاني (۲: ۳۱۱)، ونحوه الشربيني (۱: ۵۷۷).

الطبرسي: أي لكي يتذكروا ويتعظوا،

(۵۵۳: ۲)

ويزجروا عن مثل ذلك.



- نحوه شبر. (٣٦:٣)  
 الْقُرْطُبِيُّ: أي يتذكرون بوعدك إياهم. (٣١:٨)  
 الْبَيْضَاوِيُّ: لعل المشردين يتخطون. (٣٩٩:٦)  
 نحوه التثقي. (١٠٩:٢)  
 أَبُو السُّعُود: يتخطون بما عاهدوا عما نزل  
 بالتأخير. فيردعوا عن التقص أو عن الكفر.  
 (١٠٨:٣)  
 نحوه الثرؤسوي (٣٦٢:٣)، واللوحي (١٠٢:٢٣).  
 رشيد رضا: أي لعل من خلفهم من الأعداء  
 يتخطون ويعتبرون، فلا يقدمون على القتال ولا يعود  
 المعاهد منهم لنقض العهد، ونكت الأيمان. (٥١:١٠)  
 ابن عاشور: التذكّر، تذكّر حالة المستفيين في  
 الحرب التي انجرت لهم من نقض العهد، أي لعل من  
 خلفهم يتذكرون ما حلّ بنقض العهد من التكاليف  
 فلا يقدموا على نقض العهد، فال معنى التذكّر  
 لازم، وهو الاعتناء والاعتبار، وقد شاع إطلاق  
 التذكّر وإرادة معناه الكفائي وغلب فيه. (١٤٠:٩)  
 الطُّبَّاطِبِيُّ: المراد بقوله: ﴿لَظْهَمَ يَذْكُرُونَ﴾  
 رجاء أن يتذكروا ما لنقض العهد والإفساد في  
 الأرض، والمعادة مع كلمة الحق من التهمة السيئة  
 والعاقبة المشؤومة، فإن الله لا يهدي القوم الفاسقين،  
 وإن الله لا يهدي كيد الفاتنين. (١١٣:٩)  
 فضل الله: يعرفون النتائج السيئة المترتبة على  
 نقض العهد على جميع المستويات، ليراجعوا عن غيهم  
 وضلالهم وانحرفهم عن الخط الصحيح. (٤٠٥:١٠)  
 ٥ - لَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَشُونَ فِي كُلِّ عِلَامٍ مَرَّةً أَوْ
- مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ. القوية: ١٢٦  
 ابن عباس: يتخطون. (١٦٩)  
 مثله الحسن. (التعلي ١١٣:٥)  
 الضحالة: لا يتذكرون في عظمة الله.  
 (التعلي ١١٣:٥)  
 الطُّبُّرِيُّ: لا يترجرون ولا يتخطون. (٥٢١:٦)  
 الطُّوسِي: لا يتذكرون فيها، والتذكّر طلب الذكر  
 بالفكر فيه. (٣٧٦:٥)  
 الواحدي: ولا يتخطون بذلك المرض. (٥٣٥:٢)  
 الهوي: أي ولا يتخطون بما يرون من تصديق  
 وعد الله بالتصريح والظفر للمسلمين. (٤٠٧:٢)  
 نحوه الشريف: (٦٦٢:١)  
 ابن عطية: معنى الآية: فلا يزدجر هؤلاء الذين  
 تفصح سرائرهم كل سنة مرة أو مرتين بحسب واحد،  
 ويحتمون أن ذلك من عند الله، فيتوبون ويتذكرون  
 وعد الله ووعد. (٩٩:٣)  
 الطُّبُّرِيُّ: أي لا يتذكرون نعم الله عليهم.  
 (٨٥:٣)  
 ابن الجوزي: أي يعتبرون ويتخطون. (٥١٩:٣)  
 الفخر الرازي: فما كانوا يتخطون، ولا يترجرون.  
 (٢٣٣:١٦)  
 البيضاوي: ولا يعتبرون. (٤٣٧:١)  
 مثله التثقي (١٥١:٢)، واللوحي (٥١:١١).  
 أبو السُّعُود: ولا هم يتذكرون بتلك الفتن  
 الموجبة للتذكّر والقوية. (٢٠٣:٣)  
 مثله الثرؤسوي. (٥٤١:٣)

رشید رضا: ای تم قرآن اعمام علی ذلک ولا  
یتوبون من نفاقهم، ولا یعتظون بما حل بهم تمّا أنذرهم  
الله تعالی به، وهل بعد هذا من برهان علی انطفاء نور  
الفطرة والاستعداد للإیمان أقوى من هذا؟ إن كان  
وراءه برهان أقوى منه، فهو ألهم یفرون من العلاج  
الذي من شأنه أن یشفيهم من مرض قلوبهم.

(۸۴: ۱۱)

فضل الله: فی ما یوحی به الناس من أن المؤمنین  
فی المنطقة لا یمنون مرکز قوتک ولا یجحدون موقفا  
مقتضا.

(۲۵۰: ۱۱)

لاحظت ان: «یفتنون».

تنبیه: ختم تعالی الآیه الأولى بالتفکر، لأن ما علیها  
یحتاج إلى تأمل ونظر، وختم الثانية بالعقل، لأن مدار  
ما یخدم علیه، وختم الثالثة بالتذکر، لأنه نتیجة ما  
تقدم، وجمع الآیات فی الثانية دون الأولى والثالثة،  
لأن ما یبیط بها أكثر و لذلك ذکر معها العقل. (۲: ۲۲۱)

أبو السعود: فإن ذلك غیر محتاج إلا إلى تذکر

ما عسی یغفل عنه من العلوم الضرورية. (۴: ۴۹)

مطه الرؤسوی: (۵: ۱۸)

شیر: «یذکرون» أن ذلك إنما یصدر عن قادر

حکم. (۳: ۴۰۳)

المراغی: «یذکرون» آلاء الله وتعمد لیشکروه

علی ما أنعم، ویخبتون إلیه علی ما تفضل به

شیر: «یذکرون» أن ذلك إنما یصدر عن قادر

حکم. (۱: ۲۱۶۳)

الطباطبائی: هذه حجج ثلاث نسب الأولى إلى

الذين یفکرون، والثانية إلى الذين یفکرون، والثالثة

إلى الذين یذکرون. وذلك أن الحجة الأولى مؤلفة من

مقدمات ساذجة، یمکن فی اتاجها مطلق التفکر،

والثانية مؤلفة من مقدمات علمية، لا یتيسر فهمها إلا

لمن غار فی أوضاع الأجرام العلویة والسفلیة، وعقل

أثار حركاتها وانتقالاتها، والثالثة مؤلفة من مقدمات

کلیة فلسفية، إنما یتأها الإنسان یذکر ما للوجود من

الأحكام العامة الکلیة، کاحتیاج هذه النشأة المفقرة

إلى المادة، وكون المادة العامة واحدة متشابهة الأمر،

ووجوب انتهاء هذه الاختلافات الحقیقیة إلى أمر آخر

۶- وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِی الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانًا لِیَفْکَرُوا  
ذلك لا یة تقوم یذکرون.

ابن عباس: یفکرون بما فی القرآن.

نحوه التفسیر: (۲: ۲۸۲)

البقوی: یعتبرون. (۳: ۷۴)

الطبرسی: أي یفکرون فی الأدلة فیمثلون فیها،

و یفکرون و یعتبرون بها. (۲: ۳۵۳)

القرطبی: أي یفکرون و یعلمون أن فی تسخیر

هذه المکونات لعلامات علی وحدانیة الله تعالی،

و أنه لا یقدر علی ذلك أحد غیره. (۱۰: ۸۵)

التهضاوی: «یذکرون» أن اختلافها فی الطباع

والهیئات والمناظر، لیس إلا بصنع صانع حکیم.

(۱: ۵۵۱)

الشربینی: أي یفکرون.

وراء المادة الواحدة المتشابهة. (٢١٥: ١٢)

مكارم انشیرازی: التّفكّر والتّعلّل والتّدكّر:

رأينا في الآيات المبحوثة أن القرآن دعا الناس بعد ذكر ثلاثة أقسام من النعم الإلهية إلى التأمل في ذلك، فقال في المورد الأول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وفي المورد الثاني: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وفي الثالث: ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ التحل: ١١-١٢.

إن الاختلاف الوارد ليس للتصوير النفسي في عبارات القرآن، لأن المعروف عن الأسلوب القرآني إشارته لكل معنى برمز خاص.

ولعل المقصود من ذلك أن النعم الإلهية الموجودة في الأرض من الوضوح ما يكفي معها التذكّر.

أما فيما يخص الزراعة والزيتون والتبخل والأعناب والفاكهة، فمحتاج إلى تركيز الفكر لفرصة خواصها الغذائية والعلاجية. ولهذا ورد التعبير بالمعركة بالتفكير فيها.

وأما تسخير الشمس والقمر والليل والنهار والتجوم، فيحتاج إلى تفكير أشد وأعمق من الحالة الأولى، فورد التعبير بالتعلّل. (١٣٥: ٨)

فضل الله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ بما توحىه كلمة التذكّر من وعي للكون والواقع والمصير، مما يجعل الإنسان يتوقّف أمام كل شيء، يراه أو يسمعه أو يلمسه أو يكتشفه، ليجعله موضع دراسة وتجربة، ومصدر معرفة واستدكار للنتائج الإيجابية أو السلبية التي يواجهها. تبعاً للتخطيط الدقيق الذي ينضج له حياته.

[ثم نقل قول صاحب تفسير الميزان للتساوت في التعبيرات الثلاث، ثم قال:]

ولكن نرى في ذلك لوئاً من التكلف، لأن إدراك الصلة بين هذه الأمور في خصائصها العلمية وأسرارها الكونية، يحتاج إلى فكر وعلم يصحّركان في دائرة العقل، وينطلقان من وعي يعتبر المعرفة مصدراً للتذكّر والاعتبار، فليست المسألة مسألة حاجة الأولى إلى مطلق التّفكّر، والثانية إلى عمق التّصور العقلي، والثالثة إلى حركة الفكر الفلسفي، بل المسألة هي تنوع في التعبير البلاغي، لأن فهم خصائص كل منها، سواء أكان في الأرض أم في السماء، يحتاج إلى عمق في الدراسة، وإلى جهد في الاكتشاف، أمّا الرّبط بينها وبين الحقيقة الإلهية، فإِنَّه يحتاج إلى إعمال الفكر والتّعلّل للوصول إلى التّدكّر، والاستنتاج من خلال المعركة (٢٠٣: ١٢)

يَذَّكَّرُوا

١- وَقَدْ حَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ يَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا. (الإسراء: ٤١)

أبن عباس: لكي يتعظوا. (٢٣٧)  
الجبائي: قوله: ﴿وَقَدْ حَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ يَذَّكَّرُوا﴾ يدل على أنه تعالى إنما أنزل هذا القرآن، وإنما أكثر فيه من ذكر الدلائل، لأنه تعالى أراد منهم فهمها والإيمان بها. وهذا يدل على أنه تعالى يفعل أفعاله لأغراض حكمية، ويدل على أنه تعالى أراد الإيمان من الكل سواء آمنوا أو كفروا. والله أعلم.

(الفخر الرازي: ٢٠: ٢١٦)

هذا القرآن ليذكروه بألسنتهم، فإن الذكر باللسان قد يؤدي إلى تأثر القلب بعينه.

(الفجر الرازي ٢٠: ٢١٦)

البقوي: أي ليتذكروا ويتعظوا. وقرأ حمزة والكسائي بإسكان الذال وضم الكاف، وكذلك في «الفرقان».

الزعمخشري: قرئ مشدداً أو مخففاً، أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا، ويعلموا إلى ما يحتاج به عليهم.

(٢: ٤٥٠)

نحوه ملحقاً بالكسائي (٢٢: ٣١٥)، والكاشاني (٣: ١٩٤)، وشير (٤: ٢٥) والالوسي (١٥: ٨١).

الطبرسي: أي ليتذكروا فيها فاعلموا الحق، وخفف ذكر الدلائل والغير لدلالة الكلام عليه، وعلم الضام به.

(٣: ٤١٧)

الفجر الرازي: قرأ الجمهور «ليتذكروا» بفتح الذال والكاف وتشديدهما، والمعنى: ليتذكروا، فأدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما. وقرأ حمزة والكسائي «ليتذكروا» ساكنة الذال مضمومة الكاف، وفي سورة الفرقان مثله من الذكر.

أبو السعود: قرئ بالتخفيف: «ليتذكروا» ما فيه ويفقوا على بطلان ما يقولونه، والالتفات إلى الغيبة

للإيمان باقتضاء الحال أن يعرض عنهم ويحكي للسامعين عنائهم، «قرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر، ويجوز أن يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مخالفاتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على أساليب مختلفة.

(٤: ١٣٢)

الطبرسي: يقول: ليتذكروا تلك المصاحح عليهم، فاعلموا خطأ ما عليهم مقيمون، ويعتبروا بالحق فيتعظوا بها، ويصبروا من جهالتهم.

(٨: ٨٣)

التعلي: قرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائي «ليتذكروا» مخففاً، وقرأ الباقون بالتشديد، واختار أبي عبيد، أي «ليتذكروا».

الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: ليتذكروا الأدلة.

الثاني: ليهتدوا إلى الحق.

الطوسي: قرأ حمزة والكسائي في جميع القرآن خفيفاً، من ذكر يذكروا، والباقيون بالتشديد في جميع القرآن، بمعنى ليتذكروا، فأدغموا التاء في الذال. وفي ذلك دلالة على بطلان مذهب الجبهة، لأنه أودع التصريف في القرآن، ليتذكر المشركون ما نزلهم إلى الحق، وهذا مما علق الإرادة الفعل فيه بالحق.

الذكر، ولولاها لم يمتلئ.

(٦: ٤٨٠)

الواحد: ليتعظوا ويتدبروه بحقولهم، ويتفكروا فيه.

(٣: ١٠٨)

التذكر هاهنا أشبه من الذكر، لأن المراد منه: التدبر والتفكير، وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد التسيان.

وأما قراءة حمزة والكسائي فيها وجهان: الأول: أن الذكر قد جاء بمعنى التأمل والتدبر، كقوله تعالى: «خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه» البقرة: ٦٣، والمعنى وافهموا ما فيه.

والثاني: أن يكون المعنى: صرقتنا هذه الدلائل في

أهادي عندهم وإحساني إليهم. (٣٩٧:٩)

الزَّجَّاج: أي ليتفكروا في نعم الله عليهم فيه،  
و يحمدوه على ذلك. (٧١:٤)

الْمَاوَرَدِي: يحتمل وجهين:

أحدهما: ليتذكروا التَّعَمُّعَ بنزوله.

الثاني: ليتذكروا التَّعَمُّعَ بانقطاعه. (١٤٩:٤)

الطُّوسِي: و يتفكروا، فيستدلوا على سعة مقدور  
الله وأنه لا يستحق العبادة سواه. (٤٩٧:٧)

نحوه الطُّوسِي: (١٧٣:٤)

الواحدِي: أي ليتفكروا في قدرة الله و موضع  
التَّعَمُّعِ منه بما أحيا بلادهم به من الفيت. و يحمدوه على  
ذلك. و من قرأها بالتخفيف، فمعناه: ليتذكروا موضع  
التَّعَمُّعِ به فيشكروه. (٣٤٣:٣)

نحوه البخوي (٤٥١:٣)، و شبر (٣٦٣:٤).

الزَّجَّاجُ شَرِي: ليتفكروا و يعتبروا، و يعرفوا حقَّ  
التَّعَمُّعِ فيه و يشكروا. (٩٦:٣)

مثله التَّنْفِي (١٧٠:٣)، و نحوه الشَّرِيفِي (٢):  
٦٦٦، و أبو السُّعُود (٢٠:٥)، و البرُّوسُوي (٦):  
٢٢٥.

ابن الجوزي: [نحو الزَّجَّاج و أضاف:]

و قرأ حمزة و الكسائي (لِتَذْكُرُوا) خفيفة الذَّال.  
قال أبو علي: يذكُر في معنى يَتَذَكَّر.

الْبَيْضَاوِي: [نحو الزَّجَّاج شَرِي و أضاف:]

أو ليعتبروا بالصَّرف عنهم و إليهم. (١٤٧:٢)

نحوه الكاشاني. (١٨:٤)

عبد الكريم الخطيب: ﴿لِتَذْكُرُوا﴾ بيان

نحوه ملخصاً البرُّوسُوي (١٦١:٥)

الْمُرَاغِي: ليتذكروا و يتعظوا، فيقفوا على بطلان  
ما يقولون، فإن التَّكْرار يقتضي الإذعان و اعظمتان  
النفس. (٥٠:١٥)

سيد قطب: فقد جاء القرآن بالترجيد، و سلك

إلى تقرير هذه العقيدة و إيضاحها طرقاً شتى،  
و أساليب متنوعة، و وسائل متعددة ﴿لِتَذْكُرُوا﴾  
فالترجيد لا يحتاج إلى أكثر من التذكُّر و الرجوع إلى  
الفطرة و منطقيها، و إلى الآيات الكونية و دلالتها،  
و لكنهم يزيدون نفوراً كلما سمعوا هذا القرآن نفوراً من  
العقيدة التي جاء بها، و نفوراً من القرآن، ذاته خيفة أن  
يغلهم على عقائدهم الباطلة التي يستمسكون بها  
عقائد الشرك و الوهم و الترهات. (٤٠٣:٤)

ابن عاشور: ضمير ﴿لِتَذْكُرُوا﴾ عائلاً

معلوم من المقام دلَّ عليه قوله: ﴿أَفَأَصْحَابُكُمْ كَالْجِبِّ  
بِالْأَيْدِينَ﴾ الإسراء: ٤٠، أي ليتذكروا الذين خطبوا  
بالتوبيخ في قوله: ﴿أَفَأَصْحَابُكُمْ رَبُّكُمْ﴾، فهو الضات  
من الخطاب إلى الضميمة، أو من خطاب المشركين إلى  
خطاب المؤمنين. (٨٨:١٤)

الطُّبَاطِبَائِي: ليتذكروا و يتبين لهم الحق.

(١٠٥:١٣)

٢. وَلَقَدْ صَرَّفْنَا إِلَيْهِمْ لِيَذْكُرُوا فَأَيُّ أَكْثَرِ الْأَسْوَ  
إِلَّا كُفُورًا. الفرقان: ٥٠

ابن عباس: لكي يتعظوا بذلك. (٣٠:٤)

الطُّبَرِي: ليتذكروا نصبي عليهم، و يشكروا

نوحًا، وكنيته فيما أتاهم به عن ربهم من التصيحة فيعتبر بهم، ويحذر أن يحل به من عذاب الله بكفره بربه، وتكذيبه رسوله محمد ﷺ مثل الذي حل بهم، فينبى إلى التوبة، ويراجع الطاعة.

وأصل «مذكر» : «مقتل» من ذكر، اجتمعت فاء الفعل، وهي ذال، وتاء وهي بعد الذال، فصارتا دالًا مشددة، وكذلك فعل العرب فيما كان أوله ذالًا يشعها تاء الاتصال، يميلونهما جميعًا دالًا مشددة، فيقولون: اذكرت اذكارة، وإنما هو اذتكرت لذكارة، و (فهل من مذكر)، ولكن قيل: اذكرت ومذكر لما قد وصلت، قد ذكر عن بعض بني أسد أنهم يقولون في ذلك: مذكر، فيقولون الدال، ويعتبرون الدال والهاء دالًا مشددة.

وذكر عن الأسودين يزيد أنه قال: قلت لعبد الله بن مسعود (فهل من مذكر) أو (مذكر)، فقال: أفرأى رسول الله ﷺ (مذكر) يعني بذال مشددة.

(٥٥٥: ١١) الزجاج: القراءة بالذال غير المعجمة، وأصله: مذكر، بالذال والهاء، ولكن التاء أهدل منها الدال، والذال من موضع التاء، وهي أشبه بالذال من التاء فأدغمت الذال في الدال. فهذا هو الوجه، أعني القراءة بالذال غير معجمة. وقد قال بعض العرب (مذكر) بالذال معجمة، فأدغم الشافي في الأول، وهذا ليس بالوجه، إنما الوجه إدغام الأول في الثاني.

الشعبي: متعظ معتبر وخائف، مثل عقوبتهم.

للحكمة من هذا التصريف، وهو أن يجد المستمع لكلمات الله، والتأخر في هذه المعارض المتعددة، ما يكشف له وجه الحقيقة، ويطلع على جوانبها كلها، وفي ذلك ما يفتح له الطريق إلى التعرف على الله والإيمان به.

مذكر  
١- وَقَدْ تَرَكْنَا هَاتِهَ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ. القمر: ١٥  
ابن عباس: فهل من متعظ بما صنع بقوم نوح، فيترك المعصية.  
ابن كعب القرظي: فهل من مزدجر عن معاصي الله.  
(الماوردي ٥: ٤١٣)  
فتادة: فهل من طالب خير فيمان عليه.

(الماوردي ٥: ٤١٣)  
ابن زيد: المذكر: الذي يتذكر، وفي كلام العرب المذكر: المتذكر.

الفراء: المعنى مذكر، وإذا قلت: «مقتبل» فيما أوله ذال صارت الدال وتاء الاتصال دالًا مشددة، وبعض بني أسد يقولون: مذكر، فيقولون الدال فتصير دالًا مشددة.

ابن قتيبة: أي معتبر ومتعظ وأصله «مقتل» من الذكر: «مذكر». فأدغمت الذال في التاء، ثم قلبت دالًا مشددة.

نحوه القرطبي (١٧: ١٣٣)، والبيضاوي (٢: ٤٣٦)، والتسفي (٤: ٢٠٣)، والثريفي (٤: ١٤٦).

الطبري: يقول: فهل من ذي تذكر يتذكر ما قد فعلنا بهذه الأمة التي كفرت بربتها، وعصت رسوله

(١٦٥: ٩)

الطوسي: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكَرٍ﴾ بها ومثبط بسببها، فيعلم أن الذي قدر على ذلك لا يكون من قبيل الأجسام، وأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء.

و﴿مُدْكَرٍ﴾ أصله: متذكر، فقلبت القاء دالاً لتواخي الدال بالجر، ثم أدغمت الدال فيها. (٤٤٨: ٩)  
الواحدى: متذكر يعلم أن ذلك حق فحسب ويخاف. (٢٠٩: ٤)

نحوه البقوي: (٤: ٣٢٤)، ومثله الطبرسي: (٥: ١٨٩).

الزقششري: المذكر: المحبر، وقرئ: (مُذْكَر) على الأصل، و(مُذْكَر) بقلب القاء دالاً وإدغام الدال فيها. (٣٨: ٤٤)

القنبر الرازي: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكَرٍ﴾ إشارة إلى أن الأمر من جانب الرسل قد تم ولم يبق إلا الجانب المرسل إليهم، بأن كانوا منذرين متفكرين يهتدون بفضل الله، فهل من مدكر مهتد. وهذا الكلام يصلح حثاً، ويصلح تخويفاً وزجرًا.

وليه مسائل: [الأولى في كلمة ﴿تَرْكَنَاهَا﴾]  
المسألة الثانية: ﴿مُدْكَرٍ﴾ مفعول «من ذكر يذكر، وأصله: مذتكر لما كان مخرج الدال قريباً من مخرج القاء، والحروف المتقاربة المخرج يصعب التلحق بها على التوالي، ولهذا إذا نظرت إلى الدال مع القاء عند التلحق، تطرب الدال من أن تصير تاء، والقاء تطرب من أن تصير دالاً، فيجعل القاء دالاً، ثم أدغمت الدال فيها. ومنهم من قرأ على الأصل المذتكر، ومنهم من قلب

القاء دالاً وقرأ (مذدكر). ومن اللغويين من يقول في مذكر: مذكر، فيقلب القاء ولا يدغم، ولكل وجهة. والمذكر: المعتبر المتفكر، وفي قوله: ﴿مُدْكَرٍ﴾ إما إشارة إلى ما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ الأعراف: ١٧٢، أي هل من يتذكر تلك الحالة، وإما إلى وضوح الأمر، كأنه حصل لكل آيات الله ونسوها ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكَرٍ﴾ يتذكر شيئاً منها.

(٤٠: ٢٩)

أبو السعود: أي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار. (١٦٧: ٦)

نحوه الثرؤسوي: (٩: ٢٧٣)، والآلوسي: (٢٧: ٨٣).  
المرامحي: أي فهل من معتبر بتلك الآية الحريّة بالاعتبار، الجديرة بطويل التفكير والتأمل في عواقب المكنتين برسول الله، المجاهدين بوحدايته، المتخذين له الأبدان والأوتان. (٨٤: ٢٧)

مغنية: أي ترك سبحانه أخبار سفينة نوح، لتكون عظة لمن يخط بالعبر، ويتفح بالذنر. (١٩٣: ٧)

الطباطبائي: فهل من متذكر يتذكر بها وحدانيته تعالى، وأن دعوة أنبيائه حق، وأن أخذه إليهم شديداً؟ ولازم هذا المصنى بقاء السفينة إلى حين نزول هذه الآيات علامة دالة على واقعة الطوفان مذكرة لها. وقد قال بعضهم في تفسير الآية على ما نقل: أبقى الله سفينة نوح على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة. (١٩: ٦٩)

٢ و ٣ و ٤ - وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكَرٍ  
القمر: ١٧ و ٢٢ و ٢٣

والغفلة، وهكذا تكرر قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ و﴿وَيَلَّيْلٌ يُدْخِلُ الْمُكَذِّبِينَ فِي سَخِرَاتِهِمْ﴾ ونحوها.

(١٠٤: ٥)

مثله شبر (١٢٢: ٦)، ونحوه المرائسي (٩٤: ٢٧)،  
ومثنيته (١٩٨: ٧).

عبد الكريم الخطيب: لقد تكرر هذا في قصص قوم نوح وعاد وحمود وقوم لوط، فما سر هذا؟ ولماذا لم يجمع هذا التعليل في قصة فرعون؟

السر في هذا - والله أعلم - أن هذا التعليل على كل قصة من تلك القصص، هو دعوة إلى هؤلاء المشركين أن يتدبروا هذه الآيات التي بين أيديهم من كتاب الله. فهذه الآيات تكشف للتأمل فيها، أو المستمع إليها في سر وعن قرب الدلائل الواضحة للحادية إلى الحق. ولكن هل من مذكر من هؤلاء المشركين الذين آمنوا؟ ستكشف الآيات عن جواب هذا السؤال.

أما السر في أنه لم يذكر مع قصة فرعون هذا التعليل الذي لازم القصص الأربع السابقة، فذلك - والله أعلم - ليصل مشركي قريش بفرعون، وليجعل منهم ومنه كياناً واحداً، وكأنهم هم المكذبون بآيات الله كلها، الوارثون لفرعون في ضلاله، وكبره وعناقه، والقرآن الكريم يقرن في مناسبات كثيرة بين مشركي قريش وبين فرعون، إذ كانوا أقرب الناس شبهاً به في التعالي والتشامخ، والتقصام عن كلمة الحق، والتعالي عن آيات الله.

وتكرر في هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ

جاء في ذيلها مثل ما قبل.

٥ - وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ.

القمر: ٤٠

ابن عباس: منقطع بمصحح لوط فيتركه المعصية. (٤٥٠)

الطبري: فهل من منقطع ومعتبر به، فيزجر به عباده الله عنه إلى ما أمره به وأذن له فيه؟

(٥٦٥: ١١)

التسلي: فائدة تكرر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ أن يهتدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكاراً وإعظاماً، وأن يستأنفوا انتهائاً واستيقاظاً إذا سمعوا الحديث على ذلك والبهت عليه. وهذا حكم التكرار في قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن: ١٣ عند كل نعمة عطاها، وقوله: ﴿وَيَلَّيْلٌ يُدْخِلُ الْمُكَذِّبِينَ فِي سَخِرَاتِهِمْ﴾ المرسلات: ١٥، عند كل آية أوردتها، وكذلك تكرر في الأنباء والقصص في أنفسها، لتكون تلك المعبر حاضرة للقلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان.

الشريبي: أي فيخلص نفسه من مثل هذا الذي أوقع فيه هؤلاء أنفسهم، ظناً منهم أن الأمر لا يصل إلى ما وصل إليه، جهلاً منهم وعدم اكترات بالمواقب.

(١٥٢: ٤)

الكاشاني: كرر ذلك في كل قصة إشعاراً بأن تكذيب كل رسول مقتض لزلزل العذاب، واستماع كل قصة مستدع للاذكار والإعظام، واستيقاظاً للتنبه والإيقاظ، لئلا يغلبهم السهو



عَذَابِي وَذُرِّيَّةً أَرْبَع مَرَّاتٍ، كَمَا تَكَرَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أَرْبَع مَرَّاتٍ كَذَلِكَ. وَدَاعِيَةُ هَذَا التَّكْرَارِ هُوَ التَّعْقِيبُ عَلَى هَذِهِ الْأَحْدَاثِ، بِإِشَارَتَيْنِ:

الإشارة الأولى: إِلَى مَوَاقِعِ نَقْمَةِ اللَّهِ، وَمَا أَخَذَ بِهِ الْمَكْذِبِينَ بِرِسَالِهِ مِنْ بَلَاءٍ: ﴿فَلْيَكْتَسِفْ كَأَن عَذَابِي وَذُرِّيَّةً﴾

وَالْإِشَارَةُ الثَّانِيَّةُ: هِيَ دَعْوَةٌ إِلَى طَرِيقِ الْخِلَاصِ وَالتَّجَاءُ مِنْ نَقْمَةِ اللَّهِ وَبَلَاءِهِ: ﴿وَلَقَدْ نَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾. فَهَذَا هُوَ طَرِيقُ التَّجَاءِ، وَهُوَ الْإِسْتِمَاعُ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَإِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ؟ (١٤: ٦٤٢)

فَضَّلَ اللَّهُ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ بِسُجُودِ التَّجَاءِ الذِّكْرِ فِي الْخَطِّ الْعَمَلِيِّ وَيَتَعَدَّدُ عَنْ نَهْجِ هَذِهِ فِي الْحِمَاةِ؟ (١٤: ٦٤٢)

مِثْلُهُ الطَّبْرَسِيّ: (١٩٤: ٥) الْوَاحِدِيّ: مَتَعَطَّ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ فَيَخَافُ وَيَعْتَبِرُ. (٤: ٢١٦)

نَحْوَهُ الْبَغَوِيّ (٤: ٣٣٠)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ (٨: ١٠٣)، الشَّرِيفِيّ: أَيُّ مَا وَقَعَ لَهُمْ أَلَمْ مِثْلُ مَنْ مَضَى بِلِ أَوْفَعِ، وَأَنَّ قُدْرَتَهُ تَعَالَى عَلَيْهِ كَقُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، لِيَرْجِعَ عَنْ غِيَةِ خَوْفِهِ مِنْ سَطْوَتِهِ. وَالْإِسْتِغْنَاءُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، أَيُّ اذْكُرُوا وَاتَّعَظُوا. (٤: ١٥٥)

### ذَكَرَ

١ - فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مَلَكُكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى تَفْضُلُكُمْ مِنْ تَفْضُلِي...

آل عمران: ١٩٥

لاحظ: ض ي ع: «لَا أَضِيعُ».

٢ - وَمَنْ يَفْعَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ قَالُوا لَيْسَ بِنَجْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْرُجُونَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى تَقُولُ...

النساء: ١٢٤

ابن عباس: مَنْ رَجَالَ أَوْ نِسَاءً. (٨١) ابن عاشور: وَجْهٌ لِقَوْلِهِ: «مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى» قَصْدُ التَّعْصِيمِ وَالرَّادُّ عَلَى مَنْ يَحْرِمُ الْمَرْأَةَ حُظُوظًا كَثِيرَةً مِنَ الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

(٤: ٢٦٢)

٣ - مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً... التلح: ٩٧

٦ - وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْتَاتًا مِمَّنْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ.

القمر: ٥١

ابن عباس: مَتَعَطَّ يَعْطَى صَنَعَ بِهِمْ فَهَرَكِ الْمُعْصِيَةِ. (٤٥٠)

نَحْوَهُ الطَّبْرَسِيّ: (١١: ٥٧٠)

ابن زيد: فَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يَتَذَكَّرُ؟

(الطَّبْرَسِيّ: ١١: ٥٧٠)

الطُّوسِيّ: بِمَعْنَاهُ: فَهَلْ مِنْ مُتَذَكِّرٍ لِمَا يُوْجِبُهُ هَذَا الْوَعْدُ مِنَ الْأَنْزِجَارِ عَنْ مِثْلِ مَا سَلَفَ مِنْ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ، تَلَايِقُ بِهِ مَا وَقَعَ بِهِمْ مِنَ الْإِهْلَاكِ؟ (٩: ٤٦١)

أبو السعود: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ مبالغة في بيان شموله للكل. (٩١: ٤)

ابن عاشور: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ تبيين للعموم الذي دلّت عليه (مَنْ) الموصولة. وفي هذا البيان دلالة على أن أحكام الإسلام يستوي فيها الذكور والنساء عندما خصصه الذين بأحد الصنفين.

(٢١٩: ١٣)

٤... وَمَنْ غَيِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ. المؤمن: ٤٠

ابن عباس: من رجال أو نساء. (٣٩٦)

الطبري: من رجل أو امرأة. (١١: ١٢٢)

ابن عاشور: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ بيان لما في (مَنْ) من الإيهام من جانب احتمال التعميم، فلفظ

﴿ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ مراد به عموم الناس بذكر صنفهم تنصيلاً على إرادة العموم، وليس المقصود به إفادة مساواة الأنثى للذكر في الجزاء على الأعمال، إذ لا مناسبة له في هذا المقام. وتعميماً بفرعون وخاصته ألهم غير مقلتين من الجزاء. (٢٠٢: ٢٤)

فضل الله: خلافاً في قيمة العمل بين إنسان وآخر ذكراً كان أو أنثى، لأن الأنوثة والذكورة لا تمنحان طبيعة العمل أمة مميزة، فقد يكون عمل المرأة أفضل من عمل الرجل أو العكس. وقد يتساوى عملهما في القيمة. (٤٦: ٢٠)

٥... يَاءُ يَهَيَّا النَّاسُ إِلَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا... الحجرات: ١٣

ابن عباس: من آدم وحواء. (٤٣٧)

مثله الطوسي. (٩: ٣٥٢)

مجاهد: ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعاً، لأن الله يقول: ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾. (الطبري: ١١: ٣٩٧)

الطبري: من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء. (١١: ٣٩٧)

الزجاج: خلقناكم من آدم وحواء، وكلكم بنو أب واحد وأم واحدة إليهما ترجعون. (٥: ٣٧)

الماوردي: قصد بهذه الآية التهي عن التفاسير بالإنساب، وبين التساوي فيها بأن خلقهم من ذكر وأنثى، يعني آدم وحواء. (٥: ٣٣٥)

نحوه الواحدي (٤: ١٥٨)، والبخوي (٤: ٢٦٥)، والطبرسي (٥: ١٣٧)، والشريني (٤: ٧٢)، ومكارم الشيرازي (١٦: ٥١٤).

الزمخشري: من آدم وحواء. وقيل: خلقنا كل واحد منكم من أب وأم، فما منكم أحد إلا وهو يدي يمثل ما يدي به الآخر سواء بسواء، فلا وجه للتفاسير والتفاضل في النسب. (٣: ٥٦٩)

نحوه البروسوي. (٩: ٩٠)

ابن غطية: يحتمل أن يريد آدم وحواء، فكأنه قال: إنا خلقنا جميعكم من آدم وحواء، ويحتمل أن يريد الذكر والأنثى اسم الجنس، فكأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ماء ذكر وماء أنثى، وقصد هذه

الآية التسوية بين الناس.

(١٥٢: ٥)

الفخر الرازي: فيه وجهان:

أحدهما: من آدم وحواء.

ثانيهما: كل واحد منكم أيها الموجودون وقت النداء خلقناه من أب وأم. فإن قلنا: إن المراد هو الأول، فذلك إشارة إلى أن لا يتفاخر البعض على البعض، لكونهم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة، وإن قلنا: إن المراد هو الثاني، فذلك إشارة إلى أن الجنس واحد، فإن كل واحد خلق كما خلق الآخر من أب وأم، والتفاوت في الجنس دون التفاوت في الجنسين، فإن من سنن التفاوت أن لا يكون تقدير التفاوت بين الذئاب والذئاب، لكن التفاوت الذي بين الناس بالكفر والإيمان كالتفاوت الذي بين الجنسين، لأن الكافر جهاد، إذ هو كالأنعام بل أضل، والمؤمن إنسان في المعنى الذي يتبني أن يكون جنسًا، والتفاوت في الإنسان تفاوت في الجنس لا في الجنس، إذ كلهم من ذكر وأنثى، فلا يبقى لذلك عند هذا اعتبار.

أبو السعود: [نحو الزمخشري وأضاف:]

وقد جوز أن يكون تأكيداً للتهي السابق بظهير الأخوة المانعة من الاعتيا.

الآلومي: من آدم وحواء، فالكل سواء

في ذلك، فلا وجه للتفاخر بالنسب، ومن هذا قوله:

الناس في عالم التمثيل أكفاء

أبوهم آدم والأم حواء

وجوز أن يكون المراد هنا: إنا خلقنا كل واحد

منكم من أب وأم، ويبيحه عدم ظهور ترتب ذم التفاخر بالنسب عليه، والكلام مساق له كما يتبين عنه ما بعد.

وقيل: هو تقرير للأخوة المانعة عن الاعتيا، وعدم ظهور الترتب عليه على حاله، مع أن ملاممة ما بعد له دون ملامته للوجه السابق، لكن وجه تقريره للأخوة ظاهر.

ابن عاشور: المراد بالذكر والأنثى آدم وحواء أبوا البشر، بقرينة قوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

ويؤيد هذا قول النبي ﷺ: «أنتم بنو آدم و آدم من آباء» فيكون تنوين «ذَكَرٌ وَأُنْثَى» لانهما وصفان لموصوف مقدر، أي من أب ذكر ومن أم أنثى. ولا يجوز أن يراد به «ذَكَرٌ وَأُنْثَى» صنف الذكر والأنثى، أي كل واحد مكون من صنف الذكر والأنثى. وحرف (ين) على كلا الاحتمالين للابتداء.

(٢٦: ٢١٥)

الطباطبائي: ذكر المفسرون أن الآية موقفة

لنفي التفاخر بالأنساب، وعليه فالمراد بقوله: ﴿مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ آدم وحواء، والمعنى: إنا خلقناكم من أب وأم تشتركون جميعاً فيهما من غير فرق بين الأبيض والأسود والعربي والعجمي، وجعلناكم شعوباً وقبائل مختلفة، لا لكرامة لبعضكم على بعض، بل لأن تتعارفوا فيعرف بعضكم بعضاً، ويتم بذلك أمر اجتماعكم، فيستقيم موصلاتكم ومعاملاتكم، فلو فرض ارتفاع المعرفة من بين أفراد المجتمع انقسم عقد

كان ظاهراً في ذم التفاهر بالأنساب، فأول الوجهين أوجه، وإلا فالثاني، لكونه أعم وأشمل. (١٨: ٣٢٦)

## الذكر

١ - فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ انِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ  
وَإِنَّهُ أَغْلَمُ بِهَا وَضَعْتُ وَنِيسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ...

آل عمران: ٣٦

ابن عباس: في الخدمة والعورة. (٤٦)

فتادة: كانت المرأة لا يستطيع أن يصنع بها ذلك.

يعني أن تحرر للكنيسة، فتجعل فيها، تقوم عليها  
وتكنسها فلا تبرحها، مما يصيبها من الحيض والأذى.

بمعنى ذلك قالت: «وَنِيسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ».

(الطبري ٣: ٢٣٧)

نحو الزبيح (الطبري ٣: ٢٣٧)، وابن الجوزي

نحو الزبيح

ابن إسحاق: لأن الذكر هو أقوى على ذلك من

الأنثى. (الطبري ٣: ٢٣٧)

الطبري: لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم

بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول

القدس والقيام بخدمة الكنيسة، لما يعثر بها من الحيض

والنفاس. (٣: ٢٣٧)

الشمس: في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها،

لمورثتها وضعتها وما يعثر بها من الحيض والنفاس

والأذى. (٣: ٥٥)

نحو الواحد (١: ٤٣١)، واليهوي (١: ٤٣٢).

الماوردي: لأن الأنثى لا تصلح لما يصلح له

الاجتماع وبادت الإنسانية، فهذا هو الغرض من جعل  
الشعوب والقبائل، لأن تفاهروا بالأنساب  
وتباهوا بالآباء والأهبات.

وقيل: المراد بالذكر والأنثى مطلق الرجل

والمرأة، والآية مسوقة لإلغاء مطلق التفاضل

بالطبقات، كالأبيض والأسود، والعرب والعجم،

والفني والفقير، والمولى والعبد، والرجل والمرأة،

والمعنى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من رجل وامرأة،

فكل واحد منكم إنسان مولود من إنسانين لا تفرقون

من هذه الجهة، والاختلاف الحاصل بالشعوب

والقبائل - هو اختلاف راجع إلى الجعل الإلهي -

ليس لكرامة ومهيلة، وإنما هو لأن تتعارفوا فهمهم

بذلك اجتماعكم.

واعترض عليه بأن الآية مسوقة لنفي التفاهر

بالأنساب وذمه، كما يدل عليه قوله: «وَجَعَلْنَاكُمْ

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا». وترتب هذا الغرض على

هذا الوجه غير ظاهر، ويمكن أن يناقش فيه أن

الاختلاف في الأنساب من مصاديق الاختلاف

الطبعي، وبناء هذا الوجه على كون الآية مسوقة

لنفي مطلق الاختلاف الطبقاتي. وكما يمكن نفي

التفاهر بالأنساب وذمه - استناداً إلى أن الأنساب

تنتهي إلى آدم وحواء والناس جميعاً مشتركون

فيهما - كذلك يمكن نفيه وذمه استناداً إلى أن كل

إنسان مولود من إنسانين والناس جميعاً مشتركون في

ذلك.

والحق أن قوله: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ» إن

الذكر من خدمة المسجد المقدس، لما يلحقها من الخيوض، و لصيانة النساء عن التبرج، وإنما يخصّ القلمان بذلك. (٣٨٧:١)

نحوه الطبرسي: إن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾؟

قلت: هو بيان لما في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ من التعظيم للموضوع والرفع منه، ومعناه: وليس الذكر الذي طُلِبَتْ كالأُنْثَى أُنْثَى وَهَبَتْ لَهَا، وَاللَّامُ فِيهِمَا لِلْعَهْدِ. (٤٢٥:١)

نحوه الثقي: (١٥٥:١)

ابن عطية:... وبدأت بذكر الأهم في نفسها، وإلا فساق قصتها يقتضي أن تقول: وليست الأُنْثَى كالذكر، فتضع حرف التثني مع الشيء الذي عندك، وانتفت عنه صفات الكمال للعرض المراد (٤٢٥:١) الفخر الرازي: فيه قولان:

الأول: أن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأُنْثَى، وسبب هذا التفضيل من وجوه: أحدها: أن شرعهم أنه لا يجوز تحرير الذكور دون الإناث.

والثاني: أن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة، ولا يصح ذلك في الأُنْثَى، لمكان الحيض وسائر عوارض النسوان.

والثالث: الذكر يصلح لقوته وشدهته للخدمة دون الأُنْثَى، فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة.

والرابع: أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس، وليس كذلك الأُنْثَى.

والخامس: أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأُنْثَى. فهذه الوجوه تقتضي فضل الذكر على الأُنْثَى في هذا المعنى.

والقول الثاني: أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأُنْثَى على الذكر، كأنها قالت: الذكر مطلوب في هذه الأُنْثَى موهوبة لله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوب في الأُنْثَى أُنْثَى هي موهوبة لله، وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله، عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريد العبد لنفسه. (٢٨:٨)

نحوه الثيايوري: (١٧٧:٣)

البيضاوي: [نحو الزمخشري وأضاف:] ويجوز أن يكون من قولها، بمعنى: وليس الذكر كالأُنْثَى سَيِّئاً فِيمَا نَذَرْتُ، فتكون اللام للجنس. (١٥٧:١)

نحوه الشريفي: (٢١٠:١)، وشير (٣١٤:١).

أبو حيان: [نحو الفخر الرازي]، ثم نقل كلام ابن عطية وقال:

وعلى هذا الاحتمال تكون الألف واللام في ﴿الذَّكَرُ﴾ للجنس. (٤٣٩:٢)

نحوه أبو السعود. (٣٦٠:١)

الكاشاني: ﴿وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ اعتراض، وهو قول الله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ من تنبيه كلام امرأة عمران، وهري (بِمَا وَضَعْتَ) على أنه من كلامها تسلية لنفسها، أي ولعل الله فيه سرّاً، أو الأُنْثَى كان خيراً. (٣٠٧:١)

البر وسوي: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ مقول لله  
أيضاً، مبین لتعظيم موضوعها ورفع منزلته. واللام  
فيهما للعهد، أي ليس الذكر الذي كانت تطلبه  
وتتخيل فيه كمثالاً قصاراه أن يكون كواحد من  
السنة كالأنثى التي وهنت لها، فإن دائرة علمها  
وأمثيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الأمور، فهي  
أفضل من مطلوبها وهي لا تعلم. وهاتان الجملتان من  
مقول الله تعالى اعتراضان بين قول أم مريم:  
﴿إِلَهِی وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ وقولها: ﴿وَإِلَهِی سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾  
وفائدتهما التسلية لنفس حنة والتعظيم لوضعها.

(۲۷: ۲)

الآلوسي: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ اعتراض  
آخر مبین لما اشتمل عليه الأول من التعظيم. وليس  
بمثلاً لخطوقه حتى يلحق بعطف البيان المعتنع فيه  
العطف.

واللام في ﴿الذَّكَرُ﴾ و ﴿الْأُنْثَى﴾ للعهد، أما التي  
في ﴿الْأُنْثَى﴾ فلسبق ذكرها صريحاً في قوله سبحانه  
حكاية: ﴿إِلَهِی وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾. وأما التي في ﴿الذَّكَرُ﴾  
فلقولها: ﴿إِلَهِی تَذَرْتُ...﴾ إذ هو الذي طلبته،  
والتحرير لا يكون إلا للذكر، ومجي هذا العهد  
التقديري، وهو غير الذهني، لأن قولها: ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾  
صالح للصقين، وقولها: ﴿مُحْضَرًّا﴾ فمن لأن يكون  
ذكراً، فأشير إلى ما في البطن حسب رجائها.

وجوز أن تكون الجملة من قولها، فيكون مرادها  
نفي مماثلة الذكر للأنثى، فاللام للجنس كما هو  
الظاهر، لأنه لم يقصد خصوص ذكر وأنثى، بل أن

المراد أن هذا الجنس ليس كهذا الجنس.  
وأورد عليه أن قياس كون ذلك من قولها أن  
يكون، «وليس الأنثى كالذكر»، فإن مقصودها  
تفويض الأنثى بالنسبة إلى الذكر، والعادة في مثله أن  
ينفي عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس.

وأجيب بأنه جار على ما هو العادة في مثله أيضاً،  
لأن مراد أم مريم ليس تفضيل الذكر على الأنثى، بل  
العكس تعظيماً لعظمة الله تعالى على مطلوبها، أي  
وليس الذكر الذي هو مطلوب كالأنثى التي وهنت لها  
تعالى لي، علماً منها بأن ما يفعلته الرب خير مما يريد.

العهد

وفيه نظر، أما أولاً: فلأن اللام في ﴿الذَّكَرُ﴾  
و ﴿الْأُنْثَى﴾ على هذا يكون للعهد، وهو خلاف  
الظاهر الذي ذهب إليه أكثر المفسرين. وأما ثانياً:  
فإن ﴿رَبِّ إِلَهِی وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ فإن تحزنها ذلك إنما هو  
لترجيحها الذكر على الأنثى، والفهوم من هذا  
الجواب ترجيحها الأنثى على الذكر، اللهم إلا أن  
يحمل قولها ذلك على تسلية نفسها بعد ما تحزنت على  
هبة الأنثى بدل الذكر الذي كانت تطلبه، إلا أنه تبقي  
مخالفة الظاهر على ما هي، فالأولى في الجواب عدم  
الخروج عما هو الظاهر، والبحث فيما اقتضته العادة،  
فقد قال في الانتصاف بعد نقل الإيراد وذكر القاعدة:  
وقد وجدت الأمر في ذلك مختلفاً، فلم يثبت لي تعين ما  
قالوه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ  
النِّسَاءِ﴾ فنفي عن الكامل شبه الناقص، لأن الكمال

لأزواج التي **كَلَّ** ناهت باللبة إلى عموم النساء؟ وعلى ذلك جاءت عبارة امرأة عمران، ومنه أيضاً: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ التحل: ١٧، انتهى.

وقام الكلام في هذا المقام ما ذكره بعض المحققين: أنه إذا دخل نفي بلا أو غيرها أو ما في معناه على تشبيه مصرح بأركانه أو ببعضها، احتمل معنيين: تفضيل المشبه بأن يكون المعنى أنه لا يشبه بكذا، لأن وجه الشبه فيه أول وأقوى، كقولك: ليس زيد كحام في الجود. ويحتمل عكسه بأن يكون المعنى أنه لا يشبه به لبعده المسافة بينهما، كقول العرب: ماء ولا كصداء، ومرعى ولا كالشعنان، وفقى ولا كمال لك. وقوله:

#### ● طرف الخيال ولا كليلة مدبح ●

ووقع في شروح المقامات وغيرها: أن الشرب لم تستعمل النفي به «لا» على هذا الوجه إلا كالمعصية الثاني، وأن استعماله لتفضيل المشبه من كلام المؤلدين، حتى اعترضوا على قول الحريري في قوله: غدوت ولا اغتداء الغراب ■

وحسب قول صاحب التلويح في خطبته:

نال حظاً من الاشتهار

ولا اشتهار الشمس نصف النهار وميق الاعتراض على هذا، ولعله ليس بلازم كما أشار إليه صاحب «الاتصاف» بما أورد من الآيات. ومما أورده الثعالب من خلافة أيضاً في كتابه «المنتخب»: «فلان حسن ولا القم وجواد ولا المطر»، على أنه لو سلم ما ذكره، فالعاني لا حرج فيها.

على أن ما ورد في النفي به «لا» المعترضة بين الطرفين لا في كل نفي، انتهى. وهو كما قال: من نفائس المعاني التي ينبغي حفظها. (١٣٥: ٣)

سيد قطب: لا تنهض الأنثى بما ينهض به الذكر في هذا المجال. (٣٩٢: ١)

ابن عاشور: جملة «وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى» خبر مستعمل في التعمير لفوات ما قصده في أن يكون المولود ذكراً، فتحرره لخدمة بيت المقدس.

و تعريف «الذكر» تعريف الجنس لما هو مركز في نفوس الناس من الرغبة في مواليد الذكور، أي ليس جنس الذكر مساوياً لجنس الأنثى. وقيل: التعريف في «وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى» تعريف العهد للمجهود في نفسها. و جملة «وَلَيْسَ الذَّكَرُ» تكملة للاعتراض المبدوء بقوله: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ» وضفت به «وَاللَّهُ» وتكرر الذكر الذي رغبت فيه بمساو للأنثى التي أعطيتها، لو كانت تعلم علو شأن هاته الأنثى، وجعلوا نفي المشابهة على بابها من نفي مشابهة المفضول للمفاضل، وإلى هذا مال صاحب «الكشاف»، وتبعه صاحب «الفتح»، والأول أظهر.

ونفي المشابهة بين الذكر والأنثى يقصد به معنى التفضيل<sup>(١)</sup> في مثل هذا المقام، وذلك في قول العرب: ليس سواء كذا وكذا، وليس كذا مثل كذا، ولا هو مثل كذا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَخْلُقُونَ وَالَّذِينَ لَا يَخْلُقُونَ﴾ الزمر: ٩، وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾

(١) هذا هو الظاهر. وفي الأصل: «التفصيل» بالصاد.

نُسْنُ كَأَحَدٍ مِنَ الثَّمَرِ ﴿٣٢﴾ الأحزاب : ٣٢، وقول السموأل :

« فليس سواءً عالمٌ وجهولٌ »

وقولهم : « مرعى ولا كالشعبدان، وماء ولا كعذى ».

ولذلك لا يتوخون أن يكون المشبه في مثله أضعف من المشبه به، إذ لم يبق للتشبيه أثر. ولذلك قيل هنا : ﴿ وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى ﴾ ولو قيل : « ليست الأنثى كالذكر » لفهم المقصود. ولكن قدم الذكر هنا لأنه هو المرجو المأمول، فهو أسبق إلى لفظ المتكلم وقد يجيء التقي على معنى كون المشبه المنفصلي أضعف من المشبه به، كما قال الحريري في المقامة الرابعة : « غدوت قبل استقلال الركاب، ولا اغتداء اغتداء الغراب ». قال في الحادية عشرة : « وضحككم وقت الدفن، ولا ضحككم ساعة الزفن » وفي الرابعة عشرة : « وقمت ولا كفروا بن قبيد ». فجاء بها كلها على نسق ما في هذه الآية.

الطَّبِاطِبِائِي : قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾، ﴿ وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى ﴾ جملتان معترضتان، وهما جميعاً مقولتان له تعالى لا لامرأة عمران، ولأن الثانية مقولة لها والأولى مقولة لله.

أما الأولى فهي ظاهرة، لكن لما كان قولها : ﴿ رَبِّ إِي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ مسوقاً لإظهار التحسر، كان ظاهر قوله : ﴿ وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ أنه مسوق لبيان أننا نعلم أنها أنثى، لكننا أردنا بذلك إغجاز ما كانت تتمناه بأحسن وجه وأرضى طريق، ولو كانت

تعلم ما أردناه من جعل ما في بطنها أنثى لم تحسر، ولم تحزن ذلك التحسر والتحزن، والحال أن الذكر الذي كانت ترجوه لم يكن ممكناً أن يصير مثل هذه الأنثى التي وهناها لها، وبترب عليه ما يترتب على خلق هذه الأنثى، فإن غاية أمره أن يصير مثل عيسى نبياً مبرئاً للأكمه والأبرص ومحبباً للموتى، لكن هذه الأنثى ستم به كلمة الله، وتلد ولداً يغير أب، وتجعل هي وابنها آية للعالمين، ويكلم الناس في المهد، ويكون روحاً وكلمة من الله، مثله عند الله كشل آدم، إلى غير ذلك من الآيات الباهرات في خلق هذه الأنثى الطاهرة المباركة وخلق ابنها عيسى عليه السلام.

ومن هنا يظهر أن قوله : ﴿ وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى ﴾ مغرول له تعالى لا لامرأة عمران، ولو كان مقولاً لها لكان حق الكلام أن يقال : وليس الأنثى كالذكر ﴿ وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى ﴾، فإن من كان يرجو شيئاً شريفاً أو مقاماً عالياً، ثم رزق ما هو أخس منه وأردأ، إنما يقول عند التحسر : ليس هذا الذي وجدتته هو الذي كنت أطلبه وأبتغيه، أو ليس ما رزقته كالذي كنت أرجوه، ولا يقول : ليس ما كنت أرجوه كهذا الذي رزقته البتة.

وظهر من ذلك أن اللام في ﴿ الذِّكْرُ ﴾ والـأنثى ﴿ الأنثى ﴾ معاً أو في ﴿ الأنثى ﴾ فقط للمهد.

وقد أخذ أكثر المفسرين قوله : ﴿ وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى ﴾ تنمة قول امرأة عمران، وتكلفوا في توجيه تقديم ﴿ الذِّكْرُ ﴾ على ﴿ الأنثى ﴾ بما لا يرجع إلى محصل، من أراده فليرجع إلى كتبهم. (٣ : ١٧١)



نحوه عهد الكريم الخطيب. (٤٣٦: ٢)  
 مكارم الشيرازي: يظهر من القرائن في الآية  
 والأحاديث الواردة في التفسير أن هذا القول:  
 ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ قول أم مريم. لا قول الله كما  
 ذهب إلى ذلك بعض المفسرين. ولكن كان ينبغي أن  
 تقول: «وَلَيْسَتِ الْأُنْثَى كَالذَّكَرِ». باعتبارها قد  
 ولدت أنثى لا ذكراً. لذلك يمكن أن يكون في الجملة  
 تقديم وتأخير. كما نلاحظه في كلام العرب وغير  
 العرب. ولعل ما انتابها من الكدر والحزن لوضعها  
 أنثى جعلها تنطق بهذا الشكل، إذ كانت شديدة  
 الاعتقاد أن ما ستلده ذكر. وأنها ستفي بنذرهما في  
 جعله خادماً في بيت المقدس. وهذا الاعتقاد والتوقع  
 جعلها تقدم الذكر على الأنثى. على الرغم من أن  
 أصول تركيب الجمل وجنس المولود يقتضيان تقديم  
 الأنثى. (٣٥٢: ١)

الكَلْبِي: قال مشركو مكة: الأصنام والملائكة  
 بنات الله. فنحلوه البنات. وكان الرجل منهم إذا بُشِّرَ  
 بالأنثى كرهه. فقال الله تعالى منكراً عليهم: ﴿الْكُفْرُ  
 الذَّكَرُ﴾ بمعنى البنين. ﴿وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ يعني ما نحلوه من  
 الأصنام. وهي إناث في أسمائها والملائكة.

(الواحد: ٤: ١٩٩)

الطَّبْرِي: يقول: يختارون لأنفسكم الذكر من  
 الأولاد وتكرهون لها الأنثى. وتعملون له الأنثى التي  
 لا ترضونها لأنفسكم. ولكم تقتلونها كراهة منكم  
 هن؟ (٥١٩: ١١)

نحوه المراغي: (٥٢: ٢٧)

الزجاج: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها  
 وتعملون معها الملائكة. ترسمون أن الملائكة وهذه  
 بنات الله. فوبخهم الله فقال: أرايتم هذه الإناث اللوهمي  
 وأنتم تعملون الذكور. وذلك قوله: ﴿الْكُفْرُ الذَّكَرُ  
 وَلَهُ الْأُنْثَى﴾. (٧٢: ٥)

الماوردي: حيث جعلوا الملائكة بنات الله.

(٣٩٩: ٥)

الطوسي: يقول الله تعالى على وجه الإنكار على  
 كفار قريش الذين أضافوا إلى الله تعالى الملائكة بأنهم  
 بنات الله. فقال لهم: كيف يكون ذلك وأنتم لو خيرتم  
 لا اخترتم الذكر على الأنثى. فكيف تضيفون إليه تعالى  
 ما لا ترضون لأنفسكم؟ فقد أخطأتم في ذلك من  
 وجهين:

أحدهما: أنكم أضفتم إليه ما يستحيل عليه  
 ولا يليق به. فهو قسمة فاسد غير جائز.

٢ - يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ خِطِّ  
 الْأُنْثَيْنِ...

راجع: ح ظ ط: «خط». ج: ١٢، ص: ٦٤٧.

٣ - ...وَإِنْ كَانُوا إِهْوَةَ رِجَالٍ وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ  
 خِطِّ الْأُنْثَيْنِ...

راجع: ح ظ ط: «خط».

٤ - أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى \* يَتْلُكِ إِنْ أَنْفِئَتْ  
 ضِمْرِي.

التجيم: ٢١، ٢٢

الثاني: ألكم أضفتم إليه ما لا ترضون لأنفسكم، فكيف ترضونه لله تعالى؟

وقيل: إنما فضل الذكر على الأنثى لأن الذكر يصلح لما لا يصلح له الأنثى، وينتفع به فيما لا يتفع فيه بالأنثى، ولهذا لم يبعث الله نبياً من الأنثى. (٤٢٨: ٩) نحوه الطبرسي: (١٧٧: ٥)

الزَّمَحْشَرِي: كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأصنام بنات لله، وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات، ف قيل لهم: **هَآلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى**، ويجوز أن يراد: أن اللات والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن شركاء، ومن شأنكم أن تحننوا الإناث وتتكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم، فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أنداداً لله وتسموهن آلهة؟ (٣١: ٤)

ابن عطية: أي النوع المستحسن المعبود هو الذكر، وموجود فيكم، والمذموم المستقل عندكم هو له يزعمكم (٢٠١: ٥)

نحوه الثمالي (٢٧: ٢٣)، والشريفي (٤: ١٢٩).

الفخر الرازي: لا ذكر اللات والعزى ومناة ولم يذكر شيئاً آخر، قال: إن هذه الأشياء التي رأيتموها وعرفتوها تجعلونها شركاء لله، وقد سمعتم جلال الله وعظمته، وإن الملائكة مع ربهم وعلوهم ينتهون إلى السدرة ويقفون هناك، لا يبقى سلك في كونهم يعبدون عن طريقة المعبول أكثر مما يعبدوا عن طريقة المنقول، فكأنهم قالوا: نحن لا نشك أن شيئاً منها

ليس مثلاً لله تعالى ولا قريباً من أن يماثله، وإنما صورنا هذه الأشياء على صور الملائكة المعظمين الذين اعترف بهم الأنبياء، وقالوا: إنهم يرتضون ويقفون عند سدرة المنتهى، ويرد عليهم الأمر والهي، وينتهون إلى الله ما يصدر من عبادته في أرضه وهم بنات لله، فالتخذنا صوراً على صور الإناث وسميناها أسماء الإناث. فقال لهم: كيف جعلتم لله بنات وقد اعترفتم في أنفسكم أن البنات ناقصات والبنين كاملون، والله كامل العظمة؟ فالمنسوب إليه كيف جعلتموه ناقصات وأنتم في غاية العقارة والذلة؟ حيث جعلتم أنفسكم أذل من خمار<sup>(١)</sup> وعبدتم صنعة من شجرة، ثم نسبتم إلى أنفسكم الكامل، فهذه القسمة جائز على طريقكم أيضاً، حيث أذلتكم أنفسكم جعلتم لها الأعظم من السفلين، وأبغضتم البنات منهن حتى نزلن إلى الأعظم وهو الله تعالى، وكان على عادتكم أن تجعلوا الأعظم للعظيم والأقص للحقير، فإذا أنتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التي لكم.

(٢٩٧: ٢٨) التيساوي: إنكار تقوهم: الملائكة بنات الله، وهذه الأصنام استوطنها جنات هن بناته، أو هي كل الملائكة، وهو المفعول الثاني لقوله: ﴿اقْرَأْهُمْ﴾

(٤٣٠: ٢) نحوه الكاشاني: (٩٢: ٥)

أبو السعود: شهادة بيعة، فإنه توبيخ مسيء على

(١) كذا، والظاهر: حمار بالهاء.

التوبيخ الأول، وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنبه تعالى بنسبهم إليه تعالى الإناث مع اختيارهم لأنفسهم الذكور، وجب أن يكون مناط الأول نفس تلك النسبة حتى ينشئ بناء التوبيخ الثاني عليه، وظاهر أن ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر. وأما ما قيل من أن: هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلقها عن العائد إلى المفعول الأول، لما إن الأصل: أخبروني أن اللات العزى ومناة أنكم الذكور، له من: أي تلك الأصنام؟ فوضع موضعها الأثنى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ، فمع ما فيه من التمحولات التي ينبغي تنبيه ساحة التذليل عن أمثالها، يقتضي إقصاء التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل، من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد إليه سبحانه.

(١٥٦: ٩)

نحوه الألوسي: (٥٦: ٢٧)  
شبه: إنكار لزعمهم أن الملائكة بنات لله وهذه الأصنام بناتهم، لعل زعمهم أن الملائكة بنات لأبناء لا احتجابهم عن الخلق. (١٠٦: ٦)

ابن عاشور: [نحو الزمخشري وأضاف:] أو تقديم المبرورين في ﴿الْكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ للاهتمام بالاختصاص الذي أفادته اللام اعتماداً في مقام التهنيت والتسفيه على أن في تقديم ﴿وَلَهُ الْأُنثَى﴾ إفادة الاختصاص أي دون الذكر. (١١١: ٢٧)

الطباطبائي: المعنى: إذا كان كذلك وكانت أرباب هذه الأصنام من الملائكة بنات لله، وأنتم

لا ترضون لأنفسكم إلا الذكر من الأولاد، فهل لكم الذكر وقد سبحانه الأثنى من الأولاد؟ تلك القسمة إذا قسمة جائزة غير عادلة استهزاء. (٣٨: ١٩)

عبد الكريم الخطيب: هو سؤال يكشف عن سفه هؤلاء المشركين وحقيقتهم، حتى في مجال هذا البيت الذي هم فيه، إذ كيف يسوغ لهم هذا العبث أن يتخذوا من الجهاد صوراً للملائكة؟ ثم يجعلون الملائكة بنات ينسبون بنوتها إلى الله، ثم يعبدونها تقرباً إليه بها؟ أما كان الأولى بهم - وهم في مقام التقرب إلى الله - أن يجعلوا ما ينسبون إليه من ذرية أن يكون من الذكور، الذين هم عندهم في مقام الحب والإعزاز، لا من الإناث الذين يسوءهم أن يولد منهم مولودة لأحد منهم ﴿وَيَحْتَقِلُونَ اللَّهَ مَا يَكْفُرُونَ﴾ التحل: ٦٢، ٦٣، ٦٤: (٦٠١: ١٤)

فضل الله: في تقاليدهم الجاهلية كانوا يميزون الذكور على الإناث، ويرون في الإناث هياراً عليهم، لأن واقعهم مبني على الفزوة والاسترقاق، فكيف ينسبون الإناث إلى الله ويحتفظون لأنفسهم بالذكور؟ (٢٥٨: ٢١)

هـ - وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى • مِنْ نَاطِقَةٍ إِذَا تَمَنَّى. التجم: ٤٥، ٤٦

الفخر الرازي: الذكر والأنثى اسمان هما صفة أو اسمان ليسا بصفة؟ المشهور عند أهل اللغة الثاني، والظاهر أنهما من الأسماء التي هي صفات، فالذكر كالحسن والعزب، والأنثى كالجهلي والكهري،

وإلما قلنا: إنها كالحبلى في رأي لأنها حيالها أنشئت لا كالكبرى، وإن قلنا: إنها كالكبرى في رأي، وإلما قلنا: إن الظاهر أنهما صفتان، لأن الصفة ما يطلق على شيء ثبت له أمر، كالعالم يطلق على شيء له علم، والمتحرك يقال لشيء له حركة، بخلاف الشجر والحجر، فإن الشجر لا يقال لشيء بشرط أن يثبت له أمر، بل هو اسم موضوع لشيء معين، والذكر اسم يقال لشيء له أمر، ولهذا يوصف به، ولا يوصف بالمتحرك، يقال: جاءني شخص ذكر، أو إنسان ذكر، ولا يقال: جسم شجر، والذي ذهب إلى أنه اسم غير صفة إنما ذهب إليه لأنه لم يرد له فعل، والصفة في الغالب له فعل كالعالم والجاهل والمزب والكبرى والحبلى، وذلك لا يبدل على ما ذهب إليه لأن الذكورة والأنوثة من الصفات التي لا يتبدل بعضها ببعض، فلا يصاغ لها أفعال، لأن الفعل لما يتوقع له تجدد في صورة الغالب، ولهذا لم يوجد للإضافات أفعال كالأبوة والبنوة والأخوة، إذ لم تكن من التي يتبدل، ووجد للإضافات المتبدلة أفعال، يقال: واخاء وتبناه، لما لم يكن مثبتا بتكلف قبيل التبدل.

(٢٩: ٢٠)

الآلوسي: من نوع الإنسان وغيره من أنواع الحيوانات، ولم يذكر الضمير على طرز ما تقدم، لأنه لا يتوهم نسبة خلق الزوجين إلى غيره عز وجل.

(٢٧: ٦٨)

ابن عاشور: لعل وجه ذكر الزوجين والبدل منه الذكر والأنثى دون أن يقول: وإله خلقه، أي

الإنسان من نطفة، كما قال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ﴾ الطارق: ٥، ٦، أمران:

أحدهما: إجماع الامتنان في أثناء ذكر الانفراد بالخلق بنعمة أن خلق لكل إنسان زوجة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم: ٢١.

الثاني: الإشارة إلى أن لكلا الزوجين حقاً من النطفة التي منها يخلق الإنسان، فكانت للذكر نطفة للمرأة نطفة، كما ورد في الحديث الصحيح أنه «إذا سبق ماء الرجل أشبه المولود أباه، وإن سبق ماء المرأة أشبه المولود أمه»، وبهذا يظهر أن لكل من الذكر والأنثى نطفة، وإن كان المتعارف عند الناس قبل القرآن أن النطفة هي ماء الرجل، إلا أن القرآن يناظر الناس بما يفهمون، ويشير إلى ما لا يعلمون إلى أن يفهمه المتدبرون، وحسبك ما وقع بيانه بالحديث المذكور آنفاً.

٦- فجعل ملة الزوجين الذكر والأنثى.

القيمة: ٢٩

الطبري: فجعل من هذا الإنسان بعد ما سواه خلقاً سوياً أولاداً له، ذكوراً وإناثاً. (١٢: ٣٥٢) القرطبي: أي الرجل والمرأة. (١٩: ١١٥)

٧- وما خلق الذكر والأنثى.

المحسن: والذي خلق الذكر والأنثى.

(الطبري ١٢: ٦١٠)

فإن حمل على قول الحسن، فكل ذكر وأنثى من آدمي وبهيمة، لأن الله خلق جميعهم. وإن حمل على التخريج الذي ذكرت أنه أظهر، فكل ذكر وأنثى من الآدميين دون البهائم، لاختصاصهم بولاية الله وطاعته، وهذا قسم ثالث. (٢٨٦:٦)

نحوه الطبرسي (٥: ٥٠٦)، والقرطبي (٢٠: ٨٠).  
الطوسي: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ للتناسل بينهما. ويحتمل أن يكون المراد: ومن خلق الذكر والأنثى، وفي قراءة عبدالله (وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى)، لأن (مَا) بمعنى «الذي»، وهو الله، فيكون القسم بالله. وعلى الأول يكون القسم بخلق الله. وقيل: المراد به ﴿الذَّكَرَ﴾ و﴿الْأُنْثَى﴾ آدم وحواء (١٠: ٣٦٣).

الزمخشري: وفي قراءة السبيكي (وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى).

وعن الكيساني: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) بالجر على أنه بدل من محل (مَا خَلَقَ)، بمعنى وما خلقه الله، أي: ومخلوق الله الذكر والأنثى.

وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لا تنفراده بالخلق، إذ لا خالق سواه.

وقيل: إن الله لم يخلق خلقاً من ذوي الأرواح ليس بذكر ولا أنثى. والمخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل، معلوم بالذكورة أو الأنوثة، فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرًا ولا أنثى وقد لقي خنثى مشكلاً، كان حائثاً، لأنه في الحقيقة إما ذكر أو

مثله الكلبي: (الطبرسي ٥: ٥٠٦)

الكلبي: الذكر والأنثى آدم وحواء (٥: ٥٠٦).

(الطبرسي ٥: ٥٠٦)

مثله مقاتل (الطبرسي ٥: ٥٠٦)، والزمخاني

(المأوردي ٦: ٢٨٧).

الطبري: يحتمل الوجهين اللذين وصفت في

قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحْيَهَا﴾

الشمس: ٥، ٦. وهو أن يجعل (مَا) بمعنى «من»،

فيكون ذلك قسمًا من الله جلّ تناؤه بخالق الذكر

والأنثى، وهو ذلك الخالق، وأن يجعل (مَا) مع ما

بعدها بمعنى المصدر، ويكون قسمًا بخلق الله الذكر

والأنثى.

وقد ذكر عن عبدالله بن مسعود وأبي البدر

أنهما كانا يقرآن ذلك (وَالذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) وَيُنَادِيَهُ

أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

المأوردي: قال الحسن: معناه: والذي خلق

الذكر والأنثى، فيكون هذا قسمًا بنفسه تعالى.

ويحتمل ثانيًا: - وهو أشبه من قول الحسن، - أن

يكون معناه: وما خلق من الذكر والأنثى، فتكون

«ين» مضرة المعنى محذوفة اللفظ، وميزهم بخلقهم

من ذكر وأنثى عن الملائكة الذين لم يخلقوا من ذكر

وأنثى، ويكون القسم بأهل طاعته من أوليائه

وأنبيائه، ويكون قسمه بهم تكريمة لهم وتشريفًا.

وفي المراد به ﴿الذَّكَرَ﴾ و﴿الْأُنْثَى﴾ قولان:

أحدهما: [قول الزمخاني]

الثاني: من كل ذكر وأنثى.

وعن الكسائي: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) بالجهر،  
ووجهه أن يكون معنى ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ أي وما خلقه  
الله تعالى، أي مخلوق الله، ثم يجعل الذكر والأنثى بدلًا  
منه، أي ومخلوق الله الذكر والأنثى، وجاز إضمار  
اسم الله لأنه معلوم أنه لا خالق إلا هو.

المسألة الثالثة: القسم بالذكر والأنثى يتناول  
القسم بجميع ذوي الأرواح الذين هم أشرف  
المخلوقات، لأن كل حيوان فهو إما ذكر أو أنثى،  
والخنثى فهو في نفسه لا بد وأن يكون إما ذكرًا أو  
أنثى، بدليل أنه لو حلف بالطلاق أنه لم يلق في هذا  
اليوم لا ذكرًا ولا أنثى، وكان قد لقى خنثى، فزأه  
بجنت في بيته. (١٩٨: ٣٦)

نحوه أبو السعود (٤٣٦: ٦)، واللويسي (٣٠: ٣٠).

البرهان كوي: (مَا): عبارة عن صفة العالم، كما في  
﴿وَمَا تَنبِئُهَا﴾ وإلها لتوغلها في الإيهام أفادت أن  
الوصف الذي استعملت هي فيه بالغ إلى أقصى  
درجات القوة والكمال بحيث كان مما لا يكتنه كنهه،  
وأنه لا سبيل للعقل إلى إدراكه بخصوصه، وإنما  
الممكن هو إدراكه بأمر عام صادق، واللامان  
للحقيقة، ويجوز أن يكونا للاستقراق. [ثم ذكر نحو  
الزمتخري وأضاف:] وفيه إشارة إلى الذكر الذي هو  
الروح والأنثى التي هي النفس، وقد ولد القلب من  
ازدواجهما. وعند بعض المارفين: الليل ذكر والنهار  
أنثى. (٤٤٧: ١٠)

سيد قطب: خلقة الذكر والأنثى إلهما في الإنسان.

أنثى، وإن كان مشكلاً عندنا. (٤: ٢٦٠)

ابن عطية: يحتمل أن تكون بمعنى «الذي»، كما  
قالت العرب في: سبحان ما سبَّح الرعد بمحمد، وقال  
أبو عمرو: وأهل مكة يقولون للرعد: سبحان ما  
سبَّحت له.

ويحتمل أن تكون (مَا) مصدرية، وهو مذهب  
الزجاج.

وقرأ جمهور النحابة: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ﴾، وقرأ  
علي بن أبي طالب [عليه السلام] وابن عباس وعبد الله بن  
مسعود وأبو النرداء - وجميعها من النبي ﷺ - وعقمة  
وأصحاب عبد الله: (والذكر والأنثى) وسط  
عندهم ﴿وَمَا خَلَقَ﴾.

وذكر قطب أن من السلف من قرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ  
الذكر والأنثى﴾ بحذف الذكر على البدل من (مَا)   
على أن التقدير: وما خلق الله، وقراءة علي بن موسى   
تشهد لهذه. (٤٩٠: ٥)

القحط الرأزي: فيه مسائل:  
المسألة الأولى: في تفسيره وجوه:  
أحدها: أي والقادر العظيم القدرة الذي قدر على  
خلق الذكر والأنثى من ماء واحد، وقيل: هما آدم  
وحواء.

وثانيها: أي وخلقه الذكر والأنثى.  
وثالثها: (مَا) بمعنى «من»، أي ومن خلق الذكر  
والأنثى، أي «الذي خلق الذكر والأنثى».  
المسألة الثانية: قرأ النبي ﷺ (والذكر والأنثى)،  
وقرأ ابن مسعود: (والذي خلق الذكر والأنثى).

والتدبيات الحيوانية نطفة تستقر في رحم. وخلقته تتحد بويضة، فميم هذا الاختلاف في نهاية المطاف؟ ما الذي يقول لهذه: كوني ذكراً، ويقول هذه: كوني أنثى؟ إن كشف العوامل التي تجعل هذه النطفة تصبح ذكراً، وهذه تصبح أنثى لا يغير من واقع الأمر شيئاً، فإنه لما ذاتوقر هذه العوامل هنا وهذه العوامل هناك؟ وكيف يتفق أن تكون صيرورة هذه ذكراً، وصيرورة هذه أنثى هو الحدث الذي يتناسق مع خطط سير الحياة كلها، ويكمل امتدادها بالتناسل مرة أخرى؟

مصادفة؟ إن للمصادفة كذلك قانوناً يستحيل معه أن تتوافر هذه الموافقات كلها من قبل المصادفة.

فلا يبقى إلا أن هنالك مدبراً يخلق الذكر والأنثى بحكمة مرسومة وغاية معلومة، فلا مجال للمصادفة. ولا مكان للثقلانية في نظام هذا الوجود أصلاً.

والذكر والأنثى شاملان بعد ذلك للأسوأ والافضل غير التدبيات. فهي مطردة في سائر الأحياء، ومنها النباتات.

قاعدة واحدة في الخلق لا تتخلف، لا يتصرف ولا يتوحد إلا الخالق سبحانه الذي ليس كمثلته شيء.

(٦: ٣٩٢١)

ابن عاشور: (ما) في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ مصدرية، أقسم الله بأثر من آثار قدرته، وهو خلق الزوجين وما يقتضيه من التناسل.

والذكر والأنثى: صنفان أنواع الحيوان، والمراد خصوص خلق الإنسان وتكوينه من ذكر وأنثى. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ

وَأُنْثَى﴾ الحجرات: ١٣، لأنه هو المخلوق الأرفع في عالم الماديات، وهو الذي يدرك المغاطبون أكثر دقائقه، لتكرره على أنفسهم ذكورهم وإنايتهم. بخلاف تكون نسل الحيوان، فإن الإنسان يدرك بعض أحواله ولا يحصي كثيراً منها.

والمعنى: وذلك الخلق العجيب من اختلاف حاله الذكورة والأنوثة مع خروجهما من أصل واحد، وتوقف التناسل على تزاوجهما، فالقسم بخلق بين تعلق صفات الأعمال الإلهية، وهي قسم من الصفات لا يختلف في تبوته، وإنما اختلف علماء أصول الدين في عدة صفات الأعمال من الصفات، فهي موصوفة بالقدم عند الماتريدي، أو بخلقها من تعلق صفة القدرة، هي عادية عند الأشعري، وهو آيل إلى الخلاف.

والذكر والأنثى: (ما) هنا مصدرية، أي وخلق الذكر والأنثى، ويترد هذا الخلق في كل حي إنساناً كان أم حيواناً أم نباتاً، وبه يتم التناسل وتتمد الحياة.

وهنا أسئلة تطرح نفسها، وهي: من الذي أوجد الحياة في هذا الكائن دون ذلك؟ ومن الذي أعد الحسي وأقله لوظيفة التناسل؟

ولما ذابأت المولود نارة ذكر أو أنثى أخرى مع أن مصدرهما واحد؟ فهل فعلت المائدة العمياء كل هذا الفعل الدقيق المحكم، أو هو من باب الصدفة؟ وهل

اكتشف العلم أن المائة الواحدة تكون علة لأحوال شتى دون أن يتدخل عنصر آخر في شأنها؟

أما الصفة فهي جهد العاجز. فلم يبق من الفروض والتفاسير إلا المذهب العليم الذي يرمس ويحفظ وفقاً للحكمة البالغة، والتظام الكامل الشامل. (٥٧٣: ٧)

الطَّبَائِبِيُّ: (مَا) موصولة، والمراد به الله سبحانه، وإثما غير به (مَا) دون «مَنْ»، إشاراً للإيهام المشعر بالتعظيم والتفخيم، والمعنى وأقسم بالشيء المعجيب الذي أوجد الذكر والأنثى المختلفين على كونهما من نوع واحد.

وقيل: (مَا) مصدرية، والمعنى: وأقسم بخلق الذكر والأنثى، وهو ضعيف.

والمراد بـ «الذكر» و «الأنثى» مطلق الذكر والأنثى أينما تحققا، وقيل: الذكر والأنثى من جنس الإنسان، وقيل: المراد بهما آدم وزوجته حواء، وأوجه الوجوه أوتها. (٣٠٢: ٢٠)

عبد الكريم الخطيب: (مَا) هنا مصدرية، أي وخلق الذكر والأنثى، وما أودع الخالق في كل منهما من آيات علمه وحكمته ورحمته.

والذكر والأنثى هو مطلق كل ذكر، وكل أنثى في عالم المخلوقات.

والذكر والأنثى تتم دورة الحياة وتعاقب الأجيال، كما بالليل والنهار يتولد الزمن، ويتكاثر نسله من الليالي والأيام. (١٥٩١: ١٥)

مكارم الشيرازي: القسم الأخير في السورة

بالحال المتصالي: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾

هو جود الجنسين في عالم الإنسان والحيوان والنبات، والمراحل التي تمر بها النطفة منذ انعقادها حتى الولادة، والخصائص التي يمتاز بها كل جنس متناسبة مع دوره ونشاطه، والأسرار العميقة المخبوءة في مفهوم الجنسية، كلها من دلالات وآيات عالم الخليفة الكبير، وبها يمكن الوقوف على عظمة الخالق. والقصير به (مَا) عن الخالق سبحانه كناية عن عظمة الذات الإلهية، وما يحيط بهذه الذات من غموض يجعله سبحانه فوق كل وهم وخيال وظن وقياس.

قال بعضهم: إن (مَا) في الآية مصدرية، ومعناها: أقسم بخلق الذكر والأنثى.

وهذا الاحتمال ضعيف في معنى الآية.

والحقيقة أن القسمين: الأول والثاني يشيران إلى الآيات الأفاقية، والقسم الثالث إلى الآيات الأنسية. (٢٣٤: ٢٠)

فضل الله: ﴿نحو الطَّبَائِبِيُّ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ:﴾

وربما كانت [مَا] مصدرية بمعنى: أقسم بخلق الذكر والأنثى اللذين يمثلان التنوع الذي تتكامل به الحياة المتحركة في خطين، المتلفضة في وحدتها الوجودية في حركة استمرار الإنسان.

وربما كان هذا الوجه قريباً، لمتناسب مع طبيعة الليل والنهار اللذين يمثلان التكامل الزمني في امتداد التوازن في النظام الكوني، كما يمثل الذكر والأنثى اكتمال الحي في حركة الوجود المستمر.



والظاهر أن المراد بـ ﴿الذكر﴾ و ﴿الأنثى﴾  
المعنى الشامل في كل الوجود الحي. (٢٩٥: ٢٤)

وقد أجاز سيبويه أن يكون البيت على ذلك  
وهو قوله:

لمرثك ما أدري وإن كنت دارياً

شعث بن سهم أم شعيب بن منقر

فأجاز أن يكون على أشعث بن سهم، ولكن  
القراءة بتبيين الألف الثانية في قوله: ﴿الذكرين﴾.

(٢٩٩: ٢)

الزمتخشري: المراد بـ ﴿الذكرين﴾: الذكر من  
الضأن والذكر من المعز. وبـ ﴿الأنثيين﴾: الأنثى  
من الضأن والأنثى من المعز على طريق الجنسية.

(٥٧: ٢)

القرطبي: ﴿قُلْ الذَّكَرَيْنِ﴾ منصوب بـ ﴿حَرَّمَ﴾،  
﴿أَمِ الْاُنْثَيَيْنِ﴾ عطف عليه. وكذا ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ﴾  
و ﴿وَصَلَّتْ مَعَ اَلْفِ الْوَصْلِ مَدَّةَ الْفَرْقِ بَيْنِ اَلِاسْتِفْهَامِ  
وَالْخَبَرِ وَبِهِمْ حَذْفُ اَلْمَعْرُفَةِ لِأَنَّ (أَم) تَدُلُّ عَلَى  
اَلِاسْتِفْهَامِ، كَمَا قَالَ:

﴿تُرْوَحُ مِنَ اَلْحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرُ﴾ (١١٤: ٧)

التصفي: المراد بـ ﴿الذكرين﴾: الذكر من  
الضأن والذكر من المعز، و ﴿الأنثيين﴾: الأنثى من  
الضأن والأنثى من المعز.

والمعنى إنكار أن يحرم الله من جنسي الفتم ضأنها  
ومعزها شيئاً من نوعي ذكورها وإناثها، ولا تتحمل  
الإناث، وذلك أنهم كانوا يحرّمون ذكورة الأنعام تارة  
وإناثها طوراً.

وأولادها كيفما كانت ذكوراً أو إناثاً أو مختلطة،  
و كانوا يقولون: قد حرّمها الله، فأنكر ذلك عليهم.

## الذكرين

١ - فَعَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ  
اِثْنَيْنِ قُلْ اَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْاُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ  
أَرْحَامُ الْاُنْثَيَيْنِ...

قَتَادَةَ: أمره الله جلّ وعزّ أن يقول لهم: ﴿الذكرين﴾  
حَرَّمَ أَمِ الْاُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْاُنْثَيَيْنِ  
إِنْ كَانَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْاُنْثَيَيْنِ حَرَامًا فَكُلْ  
مَوْلُودَ مِنْهَا حَرَامٌ وَكُلُّهَا مَوْلُودٌ، فَكُلُّهَا إِذَا حَرَامٌ، وَإِنْ  
كَانَ التَّحْرِيمُ مِنْ جِهَةِ الذَّكَورِ مِنَ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ، فَكُلُّ  
ذَكَرٍ حَرَامٍ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْإِنَاثِ فَكُلُّ اُنْثَى  
حَرَامٍ عَلَيْكُمْ، وَكَانُوا يَحْرَمُونَ الْوَصْلَةَ وَأَخَاهَا عَلَى  
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

لحمه الثخاس (٥٠٥: ٢)، والطوسي (٣٢٥: ٤)،  
والواحدي (٣٣٦: ٢).

الزجاج: [نحو قَتَادَةَ وَأَخَاف:]

فَأَمَّا إِعْرَابُ ﴿اَلذَّكَرَيْنِ﴾: فَالْتَّصِبُ بـ ﴿حَرَّمَ﴾،  
و بَيَّنَّتْ اَلْفُ اَلْمَعْرُفَةَ مَعَ اَلْفِ اَلِاسْتِفْهَامِ لِتَلَايُنِ  
اَلِاسْتِفْهَامِ بِالْخَبَرِ، لِأَنَّهُ لَوْ قِيلَ: اَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ بِأَلْفٍ  
وَاحِدَةٍ، لَاتَّبَسَ اَلِاسْتِفْهَامُ بِالْخَبَرِ.

وقد يجوز مع «أَمْ» حذف الألف لأن «أَمْ» تدلّ  
على الاستفهام، لأنه لو قيل: «أرجل ضربت أَمْ  
الضلام» لدلت «أَمْ» على أن الأول داخل في  
الاستفهام.

شركا... الأنعام: ١٣٩

ابن عباس: يعنون الرجال. (١٢٠)

يعني ألبان التحائر كانت للذكور دون النساء.  
فلذا ماتت اشترك في لحمها ذكورهم وإناهم.

مثل الشهي وقادة. (العلقي ٤: ١٩٦)

السدي: خالص للرجال دون النساء. (٢٥٣)

التحاس: كانوا إذا جعلوا لأصنامهم شيئا تما في  
بطون الأنعام، فولدت مولودا حيا ذكرا، كان للذكور  
دون الإناث، وإذا ولدت ميتا ذكر اشترك فيه  
الذكور والإناث، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْتَهُ  
فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾. [إلى أن قال:]

وهرئ (خالصة لذكورنا)، والمعنى على هذه

القرابة: ما خالص منه حيا لذكورنا. (٢: ٤٩٧)

الماوردي: في جعلهم ذلك لذكورهم دون إناهم

وإذا واجههم حولان:

أحدهما: لأن الذكور هم خدام الأوثان.

والثاني: تفضيلا للذكور على الإناث.

وأصل الذكور من الذكر، وفي أخذه من الذكر

وجهان:

أحدهما: لأنه المذكور بين الناس، فكان أنه ذكرا

من الأتقى.

والثاني: لأنه أشرف، والذكر هو الشرف، قاله

الله تعالى: ﴿وَالِلَّهِ الذِّكْرُ لَكَ وَبِقَوْمِكَ﴾ الزخرف: ٤٤،

أي شرف. (٢: ١٧٧)

راجع: بطن: «بطون»، ونع: «الأنعام».

وانصب ﴿الذكورتين﴾ بـ ﴿حرم﴾ وكذا ﴿أم

الأثنتين﴾ أي أم حرم الأثنين، وكذا في ﴿أما

اشتملت﴾. (٣٧: ٢)

أبو السعود: ﴿الذكورتين﴾: من ذنبك التسعين،

وهما الكبش والتيس. ﴿حرم﴾: أي الله عز وجل كما

ترجمون أنه هو المحرم، ﴿أم الأثنتين﴾: وهما التبعة

والعز؟ ونصب ﴿الذكورتين﴾ و ﴿أم الأثنتين﴾

بـ ﴿حرم﴾ وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وإن

توسط بينهما صورة. (٢: ٤٥٣)

[وقد تقدم بعض الخصوص في «حرم» فراجع]

٢... قل لا كرتين حرم أم الأثنتين أما اشتملتا

عليه أرخام الأثنين... الأنعام: ١٤٤

كما في الآية الماضية.

## الذكور حذركا

لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِئُ

لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهْبِئُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ. ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ

ذُكْرًا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ.

الشورى: ٥٠، ٤٩

تقدم بعض قصوده في: أن ت: «أنات»، وسياقي

في: زوج: «يُزَوِّجُهُمْ».

## ذكورنا

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا

وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْتَهُ فَهُمْ فِيهِ

## الذِّكْرَانِ

أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. الشعراء: ١٦٥

راجع: أت ي: «تأتون».

## الْوُجُوهُ وَالنَّظَائِرُ:

هارون الأعور: ضمير الذكر على خمسة عشر

وجهًا:

فوجه منها: الذكر بالطاعة، فذلك في البقرة: ١٥٢:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، يقول: اذكروني بالطاعة

وأطيعوني أذكركم بخير.

الوجه الثاني: الذكر باللسان، فذلك قوله عزَّ

وجلَّ في النساء: ١٠٣: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا

الله﴾، يعني الذكر باللسان، نظيرها في آل عمران

[الأنسان: ٤١ و ١٩١]، وقوله في البقرة: ١٥٢:

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، يعني

الذكر باللسان، وقال في الأحزاب: ٤١: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ

ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، يعني الذكر باللسان، نظيرها فيها.

[الآية: ٣٥]

الوجه الثالث: الذكر بالقلب، فذلك قوله في

آل عمران: ١٣٥: ﴿إِذَا قُلْتُمْ فَاجْتَنِبُوا أَنْفُسَكُمْ

ذَكُّوا اللَّهَ﴾، يعني ذكره في أنفسهم وعلّسوا أنه

سألهم عما عملوا.

الوجه الرابع: الذكر، يعني اذكروني عند هلاله

فذلك قوله في يوسف: ٤٢: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾،

وقال في مريم: ٤١: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾،

يقول: اذكر لأهل مكة أمر إبراهيم، وكذلك أمر

موسى وإسماعيل وإدريس. [مريم: ٥١، ٥٤، ٥٦]

الوجه الخامس: الذكر: الحفظ، فذلك قوله

عز وجلَّ في البقرة: ٦٣: ﴿وَإِذْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الْحِفْظُ فَأَتَيْنَا الْوَيْلَ مِنَ الْأَعْرَافِ

١٧١: ﴿حَفِظُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ﴾، يعني احفظوا ما في التوراة من الأمر والتهبي.

وقال في آل عمران: ١٠٣: ﴿وَإِذْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الْحِفْظُ﴾، يعني احفظوا، وكذلك في البقرة: [٤٠، ٤٧،

١٢٢، ٢٣١]. ونحوه كثير.

الوجه السادس: الذكر يعني عظة، فذلك قوله

عز وجلَّ في الأنعام: ٤٤: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ

فَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، نظيرها في الأعراف:

١٦٥: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ الْبَحْثَاتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

الْأَوَّلِينَ﴾، يعني ما وعظوا به. وقال في يس: ١٩: ﴿أَتَنْفِرُ

ذِكْرُكُمْ﴾، يعني قال في ق: ٤٥: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾، يعني

عظ بالقرآن. وقال في الفاشية: ٢١: ﴿فَذَكِّرْ السَّالَاتِ

مُذَكِّرًا﴾، يعني حظ فإلما أنت واعظ. ونحوه كثير.

الوجه السابع: الذكر يعني الشرف، فذلك قوله

عز وجلَّ في الزخرف: ٤٤: ﴿وَاللَّهُ لَذِكْرُكُمْ

لَذِكْرُكُمْ﴾، وقوله في المؤمنون: ٧١: ﴿يَسْأَلُ أَتَيْنَاهُمْ

بِذِكْرِهِمْ﴾، يعني بشرفهم. وقال في الأنبياء: ١٠: ﴿لَقَدْ

أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، يعني شرفكم.

الوجه الثامن: الذكر يعني الخبر، فذلك قوله

عز وجلَّ في الأنبياء: ٢٤: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ

قَبْلِي﴾، يقول: هذا خير من معي وخير من قبلي. وفي

الصفافات: ١٦٨: ﴿لَوْ أَنَّ عِثْرَنَا ذُكِّرَ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾،

في ص: ٦٩: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾، يعني ما هو إلا تفكير للعالمين وقرآن مبين.

الوجه الخامس عشر: الذكر يعني الصلوات الخمس، وذلك قوله في سورة البقرة: ٢٣٩: ﴿فَلَاذًا أَبِشْمُ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾، يعني: صلوا لله، يعني الصلوات الخمس ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. وكقوله في سورة التور: ٣٧: ﴿وَجَال لَأَتْلُوهُمْ بِجَارَةٍ وَلَا يَنْبَغُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، يعني عن الصلوات الخمس. وقال في سورة المنافقين: ٩: ﴿يَاءَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، يعني عن الصلوات الخمس وحضور الجمعة. (٦٨)

[نحو المير: باب الذكر، على تسعة عشر وجهًا؛

والمحارون الأهور، وأضاف:]  
والخامس: صلاة الجمعة، كقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَتَقَرُّوا فِيهِ﴾، الجمعة: ٩.

والثاني عشر: العيب، كقوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ اللَّهِ لَا يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾، الأنبياء: ٦٠.

والخامس عشر: صلاة العصر، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْغَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾، ص: ٣٢.

والثامن عشر: النبي ﷺ، كقوله: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، القلم: ٥٢. (٢٥١)

الذامهاني: الذكر على غانية عشر وجهًا؛ [نحو المير: إلا أنه لم يحسن بالوجه الثاني عشر - العيب - وأضاف وجهًا آخر وقال:]

والوجه السابع عشر: الذكر يعني التوحيد، قوله في سورة طه: ١٢٤: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾، يعني

يعني خبرًا من الأولين. وفي الكهف: ٨٣: ﴿سَأَلُوا عَنْكُمْ مِثْلَ ذِكْرٍ﴾، يعني خبرًا.

الوجه التاسع: الذكر يعني الوحي، فذلك قوله عز وجل في القمر: ٢٥: ﴿هَـ الْقَيْنِ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَانَا﴾، يعني الوحي. وفي الصافات: ٣: ﴿فَالْكَاتِبَاتِ ذِكْرًا﴾، يعني الوحي.

الوجه العاشر: الذكر: القرآن، فذلك قوله في الأنبياء: ٥٠: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ﴾، يعني القرآن. وقال في الزخرف: ٥: ﴿أَلَمْ تُضْرِبْ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾، يعني القرآن. وفي الأنبياء: ٢: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّشًا﴾، يعني القرآن. وكذلك في الشعراء [٥]: ونحوه كثير.

الوجه الحادي عشر: الذكر يعني التوراة، فذلك قوله عز وجل في الأنبياء: ٧: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾،

يعني أهل التوراة، عبد الله بن سلام وأصحابه.

الوجه الثاني عشر: الذكر يعني اللوح المحفوظ، فذلك قوله في الأنبياء: ١٠٥: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، يعني من بعد اللوح المحفوظ.

الوجه الثالث عشر: الذكر يعني البهتان، فذلك قول نوح ﷺ لقومه في الأعراف: ٦٣: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي بيان من ربكم ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾، وقول هود ﷺ، أيضًا في الأعراف: ٦٩: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

الوجه الرابع عشر: الذكر يعني التفكير، وذلك قوله في ص: ٨٧: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، يعني ما القرآن إلا تفكير للعالمين، أي الغافلين عن الله. ومنطلها

من توحيد، نظيره في سورة الزخرف: ٣٦: ﴿وَمَنْ يَتَشَعْشَعِ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ يعني عن توحيد الرحمن.

(٣٣٣)

الفيروز آبادي: الذكر في القرآن على عشرين وجهًا:

الأول: ذكر اللسان: ﴿قَدْ ذُكِّرُوا بِاللَّهِ كَذِكْرِكُمْ أَنْبَاءَكُمْ﴾ البقرة: ٢٠٠.

الثاني: ذكر بالقلب: ﴿ذُكِّرُوا بِاللَّهِ فَاسْتَقْبِرُوا لِذِكْرِهِمْ﴾ آل عمران: ١٣٥.

الثالث: بمعنى الوعظ: ﴿وَذُكِّرُوا لِلذِّكْرِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات: ٥٥، ﴿قَدْ ذُكِّرُوا نَفَقَتِ الذِّكْرِ﴾ الأعلى: ٩.

الرابع: بمعنى التوراة: ﴿فَسَلِّطُوا أَهْلَ الذِّكْرِ الْأَنْبِيَاءَ: ٧.

الخامس: بمعنى القرآن: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ الْحَبَاءِ﴾ الزلزال: ٥٠.

السادس: بمعنى اللوح المحفوظ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ الْأَنْبِيَاءَ: ١٠٥.

السابع: بمعنى رسالة الرسول: ﴿لَوْ جِئْتُمْ بِجَاءَكُمْ ذُكْرُكُمْ مِنْ الْأَعْرَافِ: ٦٩، أي رسالة.

الثامن: بمعنى السيرة: ﴿أَفَتَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ الزخرف: ٥، أي العبر.

التاسع: بمعنى الخبر: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ عَمِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبِلَ﴾ الأنبياء: ٢٤.

العاشر: بمعنى الرسول: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذُكْرًا رَسُولًا﴾ الطلاق: ١١، ١٠.

الحادي عشر: بمعنى الشرف: ﴿وَاللَّهُ لَذُكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الزخرف: ٤٤، أي شرف.

الثاني عشر: بمعنى التوبة: ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلنَّاسِ﴾ هود: ١١٤.

الثالث عشر: بمعنى الصلوات الخمس: ﴿قَدْ ذُكِّرُوا بِاللَّهِ كَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ البقرة: ٢٣٩.

الرابع عشر: بمعنى صلاة العصر خاصة: ﴿أَخْبَتِ حُبُّ الْغَيْبِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ ص: ٣٢.

الخامس عشر: بمعنى صلاة الجمعة: ﴿فَاسْتَقْبِرُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة: ٩.

السادس عشر: بمعنى العذر من التقصير: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ النساء: ١٠٣.

السابع عشر: بمعنى الشفاعة: ﴿ذُكِّرْتُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ يوسف: ٤٢.

الثامن عشر: بمعنى التوحيد: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ طه: ١٢٤، ﴿وَمَنْ يَعْزِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ الجن: ١٧.

التاسع عشر: بمعنى ذكر الميتة: ﴿أَذْكُرْ نَفْسِي عَلَيْكَ﴾ المائدة: ١١٠، ﴿أَذْكُرُوا نَفْسِي الَّتِي نَقَسْتُ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ٤٠.

العشرون: بمعنى الطاعة والخدمة: ﴿قَدْ ذُكِّرُوا بِاللَّهِ كَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ البقرة: ١٥٢، أي اذكروني بالطاعة اذكركم بالخدمة.

والذكر خلاف الأنثى، وجمعه ذكور وذكران، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ الليل: ٣، ثم ذكر الآيات

ذُكْرَةُ السِّيفِ وَذُكْرَةُ الرَّجُلِ. وَسِيفٌ ذُو ذُكْرٍ وَذُكْرَةٌ صَارِمٌ.

وَالذُّكْرَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْفُؤَادِ تُزَادُ فِي رَأْسِ الْفَأْسِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ ذُكِّرَتْ الْفَأْسُ وَالسِّيفُ.

وَسِيفٌ مُذَكَّرٌ، تَغْفِرُهُ حَدِيدٌ ذَكَرٌ وَمِثْلُهُ أَنْثَى، وَيَوْمٌ مُذَكَّرٌ، إِذَا وُصِفَ بِالشَّدَّةِ وَالصُّعُوبَةِ وَكَثْرَةِ الْفَعْلِ.

وَطَرِيقٌ مُذَكَّرٌ، مَخُوفٌ صَمْبٌ.

وَنَاهِيَةٌ مُذَكَّرَةٌ: لَا يَقُومُ لَهَا إِلَّا ذُكْرَانُ الرَّجَالِ.

وَالذُّكْرَةُ: حِمْلُ الثَّخْلِ.

وَالذُّكْرَةُ: الْفَعَالُ مِنَ الثَّخْلِ.

وَالذُّكْرَةُ: مَا يَصْلُحُ لِلرِّجَالِ: كَالْمَسْكِ وَالضَّبْرِ وَالْعُودِ وَوَاحِدُهُ ذَكَرٌ، وَمِثْلُهُ الذُّكُورَةُ.

وَأَرْضٌ مِذْكَارٌ: تُنْبِتُ ذُكُورَ النَّبْتِ.

وَفَلَانٌ مِذْكَارٌ: ذَاتُ أَهْوَالٍ، وَلَا يَسْلُكُهَا إِلَّا الذُّكُورُ مِنَ الرِّجَالِ.

وَفَلَانٌ مُذَكَّرٌ: كُنِبَتْ ذُكُورُ الْبَقْلِ.

وَذُكُورُ الْبَقْلِ وَالْعُشْبِ: مَا غُلِظَ وَخَشِنَ مِنْهُ.

وَذُكُورُ الطَّيْرِ: مَا يَصْلُحُ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ.

نَحْوُ: الْمَسْكِ وَالْعَالِيَةِ وَالذَّرِيرَةِ.

وَالذُّكْرُ: الْعُضْوُ الْمَعْرُوفُ، وَالْجَمْعُ: ذُكُورٌ.

وَمِذْكَارٌ: لاختصاصه بالذكور دون الأنثى. وفي الخبر «أَنْ عِيْدًا أَهْرَجَ جَارِيَةً لِسَيِّدِهِ، فَضَارَ السَّيِّدُ فَجَسِبَ مِذْكَارُهُ»: هِيَ جَمْعُ الذُّكْرِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ.

وَالْمِذْكَارُ: سُرَّةُ الرَّجُلِ، سَمَّيَتْ بِهِ لِمُقَارِبَتِهَا الْمِذْكَارَ.

وَالْأَصْلُ الثَّانِي: الذُّكْرُ: الْحِفْظُ لِلشَّيْءِ تُذَكَّرُهُ

وَبِمَعْنَى التَّوَامِينِ: ﴿فَبِعَمَلٍ مِثْلِهِ النُّؤُوجَاتِ الذُّكُورِ وَالْأُنْثَى فِي الْقِيَمَةِ: ٣٩﴾.

وَبِمَعْنَى مَرِيَمَ الْبَتُولِ: ﴿وَلَيْسَ الذُّكْرُ كَالْأُنْثَى﴾ آلِ عِمْرَانَ: ٣٦. [تَمَّ ذِكْرُ الْآيَاتِ] (١٣: ٣)

## الأصول اللغوية

١- هذه المادة أصلان: الأول: الذكور: خلاف الأنثى، والجمع: ذُكُورٌ وَذُكُورَةٌ وَذُكَارٌ وَذُكَارَةٌ وَذُكْرَانٌ وَذُكْرَةٌ. يقال: امرأة ذُكْرَةٌ وَمِثْلُ ذُكْرَةٍ، أَي مِثْلُهَا بِالدُّكُورِ، وَنَاقَةٌ مُذَكَّرَةٌ: مِثْلُهَا بِالْجَمَلِ فِي الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ.

وَأَذْكَرْتُ الْمَرْأَةَ وَغَيْرَهَا: وَلَدْتُ ذَكَرًا. فَهِيَ مُذَكَّرَةٌ. لِإِذَا كَانَ ذَلِكَ لَهَا عَادَةً فَهِيَ مِذْكَارٌ. وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ مِذْكَارٌ أَيْضًا. يُقَالُ: أَذْكَرَ الرَّجُلُ إِذْكَارًا. إِذَا وَلَدَ الذُّكُورَ مِنَ الْأَوْلَادِ.

وَكَمْ الذُّكْرَةُ مِنَ وَلَدِكَ؟ أَيِ الذُّكُورِ.

وَرَجُلٌ ذَكَرٌ: إِذَا كَانَ قُوًى شَجَاعَةً أَتَمًّا أَيْضًا. وَيُقَالُ أَيْضًا: رَجُلٌ ذَكِيرٌ.

وَمَطَرٌ ذَكَرٌ: شَدِيدٌ وَاهِلٌ.

وَقَوْلٌ ذَكَرٌ: صَلَبٌ مَتِينٌ.

وَشَيْعَرٌ ذَكَرٌ: فَعْلٌ.

وَسِيفٌ ذَكَرٌ: مَاضٍ فِي ضَرِيئَتِهِ، وَإِذَا كَانَ مِنْ حَدِيدٍ خَالِصٍ.

وَالذُّكْرُ مِنَ الْحَدِيدِ: أَيْسَهُ وَأَشَدُّهُ. وَهُوَ الذُّكِيرُ أَيْضًا، وَبِهِ سَمِّيَ السِّيفُ مُذَكَّرًا.

وَذُكْرَةُ السِّيفِ وَالرَّجُلِ: حَدِيثُهُمَا. يُقَالُ: ذَهَبَتْ

ولا تشاء، وهو الذُّكْرُ أيضًا. يقال: هو متي على ذُكْرٍ وعلى ذُكْرٍ، أي ما أنشأه.

وذكرت الشيء أذكره ذُكْرًا أو ذُكْرًا، وتذكرته وأذكرته، وأذكرته، وذكرته الشيء، وأذكرته إياه.

والذُّكْرُ: اسم بمعنى الذُّكْر والتذكر. والتذكُّر: «تفعَّال» من الذُّكْر، ومنه حديث الإمام عليٍّ عليه السلام: «أحمي الظُّلُمَ لتذاكير الجِسم»: جمع: تذكُّار<sup>(١)</sup>.

والتذكر: تذكُّر ما أنسيته، وطلب ما فات. والتذكيرة: ما تستذكر به الحاجة.

واستذكر الرجل: ربط في إصبعه خيطًا ليتذكر حاجته.

والاستذكُّار: الدراسة للحفظ. يقال: استذكُّر الشيء، أي درسته للتذكر.

ورجل ذكير وذُكْر: جهده الذُّكْر والحفظ. والذُّكْر: جري الشيء على لسانك، وهو محمول على الذُّكْر: ضد التسيان، يقال: جرى منه ذُكْر، وذُكْرته بلساني وبقلبي.

والذُّكْر: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ووضع الملل.

والذُّكْر: الصلاة لله والدعاء إليه والثناء عليه، وكذا قراءة القرآن والتسبيح والشكر والطاعة. يقال: فلان يذكُّر الله، أي يصفه بالعظمة ومُثني عليه ويوحِّد.

(١) نهج البلاغة - الخطبة (٢٤٦).

والذُّكْر: الشرف والصِّيت والفخر، وفي الحديث: «الرجل يقاتل للذُّكْر»، أي لثبته بين الناس ويوصف بالشجاعة.

وذكرتك الله أن تعمل كذا وكذا، كالقسم. ٢ - وروى البخاري عن عائشة: «أن أناسًا طافوا بالبيت بعد صلاة الصبح، ثم قصدوا إلى المذُّكْر، حتى إذا طلعت الشمس قاموا يصلُّون»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر العسقلاني: «المذُّكْر - بالمعجمة وتشديد الكاف - أي الواعظ»<sup>(٣)</sup>.

بعد أن ابن الأثير رواه بفتح الميم وسكون الهمزة وتخفيف الكاف، وقال: «المذُّكْر: موضع الذُّكْر، كأنها أرادت عند الركن الأسود أو الحجر».

يو لكن لم يرد «تفعَّل» من هذه المادة في اللغة. سوى ما ذكره الصفاني أنهم سموا مذُّكْرًا<sup>(٤)</sup>.

سلكوا يستعمل المولدون بعض المعاني من «ذكر» في كلامهم، ومنه قولهم: ذكَّر فلان فلانًا في الأمر، أي كالمه فيه، وخاض معه في الحديث.

كما أدخل محدثو الرعييل الأوَّل الفعل «تذاكر» في اللغة، ومنه ما ذكره الطبراني في حديث خولة بنت ليس: «أن رسول الله تذاكر هو وحمزة الدنيا»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري كتاب الجهاد الباب (٧٢).

(٢) فتح الباري (٣: ٣٨٤).

(٣) التكملة (٢: ٥٢٧).

(٤) المعجم الكبير (٢٤: ٢٢٩).

و مزيداً من «التفصيل» في «صيح: الماضي مجهولاً  
١٠ مرّات، والمضارع معلوماً: مرة، والأمر ٧ مرّات،  
والمصدر (فذكرى) ٢٩ مرة، ومن «التفعل» في  
صيفتين: الماضي معلوماً: مرتين، والمضارع معلوماً:  
٤٩ مرة، ومن «الاتصال» الماضي مرة، واسم الفاعل  
٦ مرّات، في ٢٤٦ آية.

### تهذيب

وبلاحظ أولاً:

١- أن آياتها الكثيرة التي تشمل ٢٢ عنواناً،  
تقسم إلى ثمانية أصناف:

الأول: ذكر أسماء الله؛ وهي العناوين الخمس  
الأولى «ذكر الله» إلى «ذكر الرحمن».  
الثاني: ذكر نعماء الله؛ وهي العناوين الخمس  
الثانية من «ذكر نعمة الله» إلى «ذكر القرآن».  
الثالث: ذكر الأنبياء والمرسلين والناس والإنسان  
والمشركين.

الرابع: الذكرى والتذكّر، وهي العناوين السبعة  
الآخيرة من «ذكرى للمؤمنين وغيرهم» و«تذكّر  
أول الألباب» إلى «التذكّر قليلاً».

الخامس: نسيان الذكر.

السادس: الذكر: الشرف.

السابع: الذكر: العيب.

الثامن: الذكر والأنثى.

٢- وكلها راجع إلى الذكر والذكرى حتى  
الشرف والعيب بتوجيه فيهما سوى الأخير: «الذكر  
والأنثى» فالذكر فيه مقابل للأنثى خاتماً من مفهوم

وحديث أبي موسى الأشعري: «تذكر هو و معاذ  
قراءة القرآن»<sup>(١)</sup>، أي تدارسا.

وهو في كلام المعاصرين التفاوض. يقال: تذكروا  
الصالح، أي تفاوضوا فيه.

والذكر عند المتصوفة: حقل يُردّدون فيه أسماء الله  
الحسنى والأدعية والأشعار وغيرها، ويصحبه  
القرنيم واللحن والموسيقى.

والتذكّر: لمطلق هذه الأيام على بطاقة السفر  
بوسائط النقل الحديثة، كالأطائرات والقطارات  
والسيارات، ويُدرج فيها رسم السفر واسم المسافر  
وتاريخ السفر وزمانه، ثم استعملت في استيفاء رسوم  
أخرى، كالدخول في ملعب لمشاهدة مباراة رياضية  
أو في دار سينما لمحضور عرض فيلم فيها.

والتعجب التذكاري: لوح من حجر أو خشب  
تكتب فيه نصوص دينية أو تاريخية أو غير ذلك  
ويُنصب في الساحات العامة، ليدكر الناس بما يدهو  
إليه.

## الاستعمال القرآني

جاءت مجردة ٩٨ مرة، في ٧ صيح: الماضي المعلوم:  
٧٠ مرة، والمجهول: ٧ مرّات، والمضارع المعلوم: ١٧  
مرة، والمجهول: ٤ مرّات، والأمر: ٤٩ مرة، واسم  
الفاعل: ٣ مرّات، واسم المفعول: مرة، والمصدر:  
(فذكر) ٧٠ مرة، والاسم (ذكر) مفرداً: ٤ مرّات،  
وجمعاً: (ذُكُور) و (ذُكُرَان) كل منهما مرتين.



الذكر. لكن الماوردي اعتبره من الذكر أيضاً، لأنه مذكور بين الناس، وأنه ذكر آمن الأتقى، أو لأنه شرف. لاحظ: الآية: (٢٤٥)، ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾. وفي كل من هذه العناوين بحث.

٣- وقد جاء في أكثرها ولا سيما في العنوان الأول: «ذكر الله» لفظ الجلالة. وقد جاء فيه ضميره بتفاوت في الآيات الثمان الأخيرة منها:-

(٢٨): ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ و (٢٩): ﴿كَذْكُرْكَ﴾ و (٣٠ و ٣١): ﴿ذُكِّرْنَا﴾ و (٣٢ - ٣٥): ﴿ذِكْرِي﴾ وكذا في غيره من العناوين.

٤- والذي يجلب النظر أن الله تعالى لم يقع فاعلاً للذكر صريحاً إلا في واحدة منها (٢٨): ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ بل الفاعل له هم الأنبياء والمؤمنون وسائر الناس، وكذلك «الذكر» وإما الله أنزل التذكير وذكر فيه نفسه بجميع صفات جلاله وجماله، كما ذكر الملائكة والأنبياء والناس رجالاً ونساءً، وكذلك الأشياء في الدنيا والآخرة. نعم «الذكرى والتذكرة» فيها فعل الله تعالى أو فعل أنبيائه.

٥- وبعد هذا التمهيد نذكر الأصناف الثمانية وعناوينها مع آياتها بتنظيم خاص:

الصنف الأول: أسماء الله وصفاته: خمسة عناوين:  
ألف: ذكر الله، ذكرى، ذكرنا: ٣ آية:  
١- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

الأحزاب: ٢١

٢- ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٥٣  
٣- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ غَدْرِ مَا ظَلَمُوا وَتَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ الشعراء: ٢٢٧  
٤- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِرَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

آل عمران: ١٣٥  
٥- ﴿وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ سُرُوبِهِمْ وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾

آل عمران: ١٩١  
٦- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخُذُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ عِندَهُمْ حِفْظًا فَذَاكَ نُفُوسُهُمْ فِي أَرْوَاحِهِمْ يُحَذِّرُونَ اللَّهَ كُلَّ نَفَسٍ وَالْأَخْيَارُ إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ١٤٢

٧- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْغُلُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمُشْتَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ البقرة: ١٩٨

٨- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ البقرة: ٢٠٠

٩- ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ الْإِثْمُ وَالْعَوَالُ وَأَغْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَكُمْ يَسِيرٌ﴾



٢٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا كُتُبَكُمْ آمِنًا وَلَا تَوَلَّوْا دُبُرَكُمْ عَنْ دُرَرِكِهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾  
المنافقون: ٩

٢٨- ﴿فَإِذَا ذُكِّرُوا بِىِٔ آذُنِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِىِٔ وَلَا تَكْفُرُوا﴾  
البقرة: ١٥٢

٢٩- ﴿وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى﴾ تى لتبخله كثيرًا •  
طه: ٣٢-٣٤

٣٠- ﴿وَأَصْحَابُ نَجْمٍ مَعَ الَّذِينَ يَسُدُّونَ رِثْمَهُمْ بِالْقُدُورِ وَالْأَعْيُنُ يُرِيذُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ دُرَرِنَا وَلَبِثَ الْوَيْلُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾  
الكهف: ٢٨

٣١- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ كُفَىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَبَّىٰ كَذِبًا﴾  
التجميد

٣٢- ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِىِٔ وَكَأَلُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾  
الكهف: ١٧

٣٣- ﴿إِنِّىٓ أَمَّا اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِىْ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِىِٔ﴾  
طه: ١٤

٣٤- ﴿وَمَنْ أَعْرِضَ عَنْ ذِكْرِىِٔ فَإِن لَّهٗ مُعِيشَةٌ ضَلٰكًا وَلَعُسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَقْسَىٰ﴾  
طه: ١٢٤

٣٥- ﴿فَالْعَذَابُ لَهُمْ سَبِيْرًا حَتَّىٰ الْاَسْوَأُ الَّذِى ذُكِّرِىْ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَاعِفُونَ﴾  
المؤمنون: ١١٠

وبعد ذلك تذكر مواضع ذكر الله في هذه الآيات أولاً، ثم موجبات ذكر الله فيها وفي غيرها من آيات هذه اللغة المهمة: «ذكر» - وكل لغات القرآن ذات أهمية بالغة ثانياً ثم نذكر بإحصاء آثاره الحسنة، ثالثاً ثم مواضع ذكر الله وما يترتب على الإمساك عنه من

المفاسد رابعاً، ثم التنبيه على أمور خامساً.

الأول: أمامواضع ذكر الله فيها حسب ترتيبها - وسباق أكثرها مدح، بعضها ذم نصريح به -:

ففى (١) رجاء الله واليوم الآخر: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

وفى (٢) الإسلام والإيمان وذكر الله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... وَالذَّكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾

وفى (٣) الإيمان والعمل الصالح: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾

وفى (٤) التوبة عند إتيان الفاحشة والظلم بالنفس: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾

وفى (٥) فى حالات البدن كلها: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

حالات الصحة والمرض - وهذا لا يناسب سياقها - فلاحظ. ومثلها: الآية (١١): ﴿فَإِذَا ذُكِّرُوا بِمَا

وَعُودُوا أَوْ عَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ لاحظ النصوص.

وفى (٦) نما للصلاة المتأقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَالاً يَرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لاحظ: ق ل ل: «قليلًا».

وفى (٧-٩) تناسك الحج: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَقَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ و ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ و ﴿وَلَا تَذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَقْدُودَاتٍ﴾

وفى (١٠) و (١١) صلاة الخوف: ﴿فَإِنِ عَفِيتُمْ

وفى (١٠) و (١١) صلاة الخوف: ﴿فَإِنِ عَفِيتُمْ

فَرَجَالًا أَوْ زُرْكُمَا فَإِذَا آمَنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ ۖ وَهَذَا قَضَايُ الصَّلَاةِ فَادْكُرُوا اللَّهَ ۖ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۖ

وفي (١٢) حالة القتال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾

وفي (١٣) بكرة وأصيل مع التسبيح: ﴿ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ وَحَمِلْتَ عَلَى الْأَوَاقَاتِ كُلِّهَا، فلاحظ. ونظيرها: (٤٦) ﴿وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمَهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْقُدُوسِ وَالْأَصَالُ ۖ وَ (٤٩): ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالنَّعْشِيِّ وَالْإِنْكَارِ ۖ﴾

وفي (١٤ و ١٥) حين ذكر الله لسانًا: ﴿إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ ۖ﴾

وفي (١٦) ذمًا، كعلامة للشرك: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَغَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ﴾

وفي (١٧) ذمًا، عند إرادة الشيطان إيقاع الضلالة بين الناس في الخمر والميسر: ﴿إِنَّمَا يَهْدِي الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْقِتَالَ وَالْهَضَاءِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالنَّهْيِ وَيَصْدُكُم عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾

وفي (١٨) مع الإيمان والطمأنينة القلب: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۖ﴾

وفي (١٩) حالة التجارة والبيع: ﴿رِجَالٌ لَا لَهْجَ لَهُمْ بِيَعَارٍ وَلَا تَنَع عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾

وفي (٢٠) قياسه مع الصلاة: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۖ﴾

وفي (٢١) ذمًا قسوة القلوب قبال انشراح الصدر

للإسلام: ﴿الَّذِينَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾

وفي (٢٢) عند قراءة أحسن الحديث، وهو القرآن: ﴿اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ... ثُمَّ ثَلَاثِينَ جُلُودَهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾

وفي (٢٣) قياسًا مع أهل الكتاب: ﴿أَنْ تَضَعُ قُلُوبَهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ... وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ۖ﴾

وفي (٢٤) ذمًا، عند استحواذ الشيطان: ﴿وَلِيَسْتَحْزَنَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَالْيُسْبُحُ ذِكْرُ اللَّهِ ۖ﴾

وفي (٢٥ و ٢٦) في الصلاة يوم الجمعة وبعدها: ﴿وَإِذَا رُدِّيَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ۖ فَإِذَا قُضِيَ الصَّلَاةُ... وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾

وفي (٢٧) عند الإمساك عن الإلهاء بالأموال والأولاد: ﴿لَا لِلَّهِ كُفُّوا أَلْفَاظُ الْكُفِّ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾

وفي (٢٨) عند التمايل بين ذكر الناس الله وذكره إيتاهم: ﴿فَلَا تَكُونُوا أَذْكُرُكُمْ ۖ﴾

وفي (٢٩) مع التسبيح كثيرًا: ﴿كُنْ تَسْبِيحًا كَثِيرًا ۖ وَتَذْكُرًا كَثِيرًا ۖ﴾

وفي (٣٠) ذمًا، إغفال القلب عن الذكر قياسًا مع الذين يدعون ربهم بالضلالة والعشي: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْضَلَالَةِ وَالْعَشِيِّ... وَلَا تَطِيعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ۖ﴾

وفي (٣١) ذمًا، قياسًا مع الذي يريد الحياة الدنيا: ﴿مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ﴾

وفي (٣٢) ذمًا، قياسًا مع الذين كانت أعينهم وسمعهم في غطاء: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَأَلُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾.

وفي (٣٣) مع الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾. وفي (٣٤) ذمًا، حالة الإعراض عن ذكر الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

وفي (٣٥) ذمًا عند نسيان الذكر: ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ سِيخْرِيًا حَتَّىٰ أَسْوَأْتُمْ أَصْوَابَهُمْ﴾.

الثانية: وأما موجبات ذكر الله فيها فقد علم من مواضعها:

ففي (١) التأسي برسول الله، وفي (٢) و (٣) و (١٤) و (٢٣) و (٢٥)، وكل آية في ذكر الله صدرها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الإسلام والإيمان والعمل الصالح، وفي (٤) التمسك على إتيان الفاحشة والعلم بالتفكير بالصالح، وفي (٥) التفكير في جليل السماوات والأرض، وفي (٦) و (٧) و (٨) و (٩) الاشتغال بمناسك الحج، وفي (١٠) و (١١) و (١٥) و (١٩) و (٢٠) و (٢٥) و (٢٦) و (٣٣) الاشتغال بالصلاة أو التمهؤ لها أو الفراغ منه.

وفي (١٢) التمهؤ للقتال، وفي (١٣) و (٢٩) التمهؤ للتسبيح، وفي (٢٢) القرآن ومثلها (٧) ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ هداية الله لما جاء في ذيلها: ﴿ذَلِكَ عَدُوِّي﴾ وفي صدرها: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ﴾. وفي (٢٨) ذكر الله إيمانًا والشكر له.

الثالثة: وأما آثاره الحسنة: فالغفران والأجر العظيم والأجر الكريم في (٢): ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَصْدَأُ اللَّهُ لَهُمْ مَغْغِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. و (١١٣): ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾، والانتصار في (٣): ﴿وَالْتَصَرُّوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾، وفي (٧) الاحتذاء، وفي (١١) و (١٨) اطمئنان القلوب، وفي (١٤) و (١٥) وجَل القلوب: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وفي (١٩) خوف الآخرة، وفي (٢٢) لين القلوب.

الرابعة: وأما مواعده وآثاره السيئة في هذه الآيات وغيرها بما يأتي فمهي:

١- اتفاق ومرض القلب في (٦): ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ ولا يذكرون الله إلا قليلًا.

٢- الغلال في (٧): ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَلِيلٍ لَّيْسَ بِالْغَالِبِينَ﴾.

٣- انحزاز القلوب في (١٦): ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخِلَّةٌ اشْتَرَاةٌ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.

٤- صد الشيطان واستحواده وإنساء والخسران في (١٧) و (٢٤): ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ و ﴿إِشْتَوَىٰ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾.

و (٥٠) ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ مِائَةٍ﴾ و (٥٨) ﴿وَمَنْ يَفْشُرْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ لَقَبِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ونحوهما إحلال الشيطان وخدلاته والخسران في (١١١): ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾.

١١- إلهاء التجارة والبيع في (١٩): ﴿وَرِجَالٌ

لَا تُلَهِيهِمْ بِيَعَارُهُ وَلَا يَتَّبِعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ

١٢-١٤- فَمَقَاسَاوَةِ الْقُلُوبِ، وَالضَّلَالِ الْمَسِينِ،  
وَالْفَسَقِ فِي (٢١): ﴿قَوْلُ لِقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ﴾  
و (٢٣): ﴿فَقَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَكُنْتُمْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﷻ﴾.

١٥-١٨- الْإِغْفَالُ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى وَالْإِفْرَاطُ  
وَالضَّرْبُ عَنْهُمْ صَفْحًا فِي (٣٠): ﴿وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا  
قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﷻ﴾  
و (١١٨): ﴿وَالضَّرْبُ عَلَيْكُمْ الذِّكْرَ حَقًّا ﷻ﴾.

١٩-٢١- الْقَوْلِيُّ وَطَلَبُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالتَّوَرُّدُ فِي  
(٣١): ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﷻ﴾. وَفِي (٥١): ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَلِّغُوا  
الْقُرْآنَ وَخُذُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ثُغْرًا ﷻ﴾.

٢٢-٢٣- الْإِطْعَامُ عَلَى الْأَعْيُنِ وَاعْدَمُ سَمَاعِ الْخَلْقِ  
فِي (٣٢): ﴿وَالَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَايَةٍ عَنْ ذِكْرِي ﷻ﴾  
وَمَا كَانُوا لَا يَسْمَعُونَ سَمْعًا ﷻ

٢٤-٢٧- الْإِعْرَاضُ وَالْمَعِيشَةُ ضَلَاكًا،  
وَالْحَشْرُ أَعْمَى، وَالْعَذَابُ صَحْدًا وَالْجَهْلُ بِالْحَقِّ، فِي  
(٣٤): ﴿وَمَنْ أَعْرِضْ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَلْكًا  
وَلَعَنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَغْمَى ﷻ﴾. وَ (٥٢): ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ  
عَنْ ذِكْرِ رَبِّي سَلْكُهُ عَذَابًا صَقْدًا ﷻ﴾. وَ (٥٣): ﴿بَلْ هُمْ  
عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﷻ﴾. وَ (٧٦): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ  
ذُكِّرَ بَيِّنَاتٍ رُبُّهُ فَأَعْرِضَ عَنْهَا ﷻ﴾. وَ (١١٠): ﴿هَذَا ذِكْرُ  
مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ  
فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﷻ﴾. وَ (١١٢): ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ  
الرَّحْمَنِ مُخَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﷻ﴾.

٢٨- الْكُفْرُ بِالذِّكْرِ فِي (٥٩): ﴿وَهُمْ يَلُوكُ الرُّخْمَ  
هُمْ كَافِرُونَ ﷻ﴾. وَ (٩٧): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا  
جَاءَهُمْ ﷻ﴾.

٢٩- الْإِمْسَاكُ عَنِ التَّذَكُّرِ فِي (٨٠): ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا  
لَا يَذْكُرُونَ ﷻ﴾.

٣٠-٣٢- اللَّعِبُ وَالضَّحْكُ وَالسُّخْرِيَّةُ فِي  
(١٠٥): ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ إِلَّا  
اسْتَحْزَوْهُ وَهُمْ يُلْعَنُونَ ﷻ﴾. وَ (٣٥): ﴿فَالْعُدُوكُمْ  
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ أَلَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ نَفْثًا ﷻ﴾.  
٣٣- الْإِنْكَارُ فِي (١٠٤): ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ  
الرَّزَاءِ أَقَالْتُمْ لَهُ مُشْكِرُونَ ﷻ﴾.

٣٤ وَ ٣٥- كِبَرُ التَّذْكِيرِ عَلَيْهِمْ وَكُونُهُ غَمَةً عَلَيْهِمْ  
فِي (٨١): ﴿وَمَا تَقُومُ أَنْ كَانَ كَثِيرٌ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِرِي  
بِقَوْلِي ﷻ﴾. وَ (١٠٤): ﴿وَقُلْتُ فَأَجِيبُوا أَمْرَكُمْ وَشَرَّكُمْ  
لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْكُمْ عَلَيْهِمْ غَمَةٌ ﷻ﴾.

٣٦- الْمُنْعُ عَنِ الذِّكْرِ فِي مَسَاجِدِ اللَّهِ وَسَائِرِ الْمَعَابِدِ  
فِي (٤٤): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ  
فِيهَا اسْمُهُ ﷻ﴾. وَ (٤٥): ﴿وَلَوْ لَادَّخَعَ اللَّهُ النَّاسَ  
بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَهَدَمْتُ صَوَابِعَ وَيَسَعَ وَصَلَوَاتٍ  
وَمَسَاجِدَ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﷻ﴾.

٣٧- الْخَوْفُ وَالْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ فِي (٧٥): ﴿فَلَا ذُكْرُوا  
إِلَّا اللَّهُ ﷻ﴾. وَلَا تَخْشَوْا فِي الْأَرْضِ مُضِيدِينَ ﷻ.

٣٨ وَ ٣٩- الْمَرْءُ وَالشَّكَايُ فِي (٨٩): ﴿وَالْقُرْآنُ  
ذِي الذِّكْرِ ﷻ﴾. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى عِزِّهِ وَشِقَاقِي ﷻ.

٤٠ وَ ٤١- نِسْبَةُ الْجَنُونَ إِلَى الشَّيْءِ ﷻ وَالْإِلْزَاقُ  
بِالذِّكْرِ فِي (١٠١): ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ

الذِّكْرُ إِلَيْكَ لَمَجْثُونَ ﴿١٢٠﴾: ﴿لَزَيَّرْتَهُمْ﴾  
بِإِصْرِهِمْ لَمَجْثُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِلَهَ لَمَجْثُونَ ﴿١٢٠﴾

٤٢ و ٤٣ - قَتَبَ اللَّهُ إِيَّاهُمْ وَكَوْنَهُمْ بُورًا فِي  
(٢٢٣): ﴿وَلَكِنْ مَنَعْنَاهُمْ وَأَنَاءَهُمْ حَتَّىٰ تَسْأَلَ الذِّكْرُ  
وَتَكْفُرُوا قَوْمًا بُورًا﴾

٤٤ - الشُّكَّةُ فِي الذِّكْرِ فِي (١١٤): ﴿يَلْهُمَّ فِي شُكَّةٍ  
مِنْ ذِكْرِي﴾

٤٥ - الإِعْجَابُ بِهِ فِي (١٢٢): ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ  
جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾

٤٦ - تَكْذِيبُ الشَّيْءِ فِي (١١٩): ﴿هُوَ أَقْسَىٰ  
الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ يَنْشَأَ يَلْهُو كَذَّابٌ أَشِيرٌ﴾

الخاصة: تنبيهات على أمور:

الأول: جاء في سبع آيات انصاف الذكر بالكرة:

وهي:

(١): ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا﴾

(٢): ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

(٣): ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا

اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(١٢): ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْثَبُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(١٣): ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

(٢٦): ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(٢٩): ﴿كَمْ لَسَبَّحْتَ كَثِيرًا﴾ وَكَذَكَرَكَ كَثِيرًا﴾

(٤٥): ﴿وَتَسَاجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾

(٤٩): ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالنَّعْثِ

وَالْإِتْكَارِ﴾

وهذا إن دل على شيء، يدل على الاهتمام بذكر  
الله فيها أكثر من غيرها، والعجب أنه لم يأت توصيف  
ذكر الله بالقليل إلا عن المتأخرين في (٦): ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ  
اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

الثاني: كما أن توصيف ذكر الله بوصف الكثرة  
تعميم لأنواره الطيبة، كذلك توصيفه بمحالات البدن:  
تعميم لمحالاته، كالقيام والعود والجنس في الآيتين:  
(٥) و (١١)، وبالأوقات صباحًا وعشاءً وغداةً  
وبُكْيًا وبكرةً وأصيلًا، والليل والنهار في الآيات:  
(١٣) و (٤٧) و (٤٩) و (٥٧) تعميم لأوقاته.

الثالث: قورن ذكر الله بتسبيحه في (٥) آيات:  
ثلاث منها - وهي (١٣) و (٢٩) و (٧٩) - ذكر الله  
موصوف فيها بـ (كثير) والتسبيح به في (٢٩) التسبيح  
مع الذكر أيضًا، وفي (٤٦) بدون هذا الوصف. ولاروب  
أن التسبيح نوع خاص من ذكر الله.

وقد قورن ذكر الله في (٣) بالانصاف: ﴿وَذَكَرُوا  
اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ غَلَرِ مَا ظَلَمُوا﴾

وفي (٤) بالاستغفار: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا﴾

وفي (٥) بالتفكر في الخلق: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ

... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

وفي (٧) بالهداية مع تكرار ﴿اذْكُرُوا﴾: ﴿فَإِذْ ذَكَرُوا

اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِقِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ﴾

وفي (٨) بذكر الآباء: ﴿كَذَكَرْتُمْ أَنَاءَكُمْ أَوْ آبَاءَكُمْ

ذِكْرًا﴾

وفي (١٠) بتعليم الله إيمانًا ما لم تكن تعلم: ﴿كَمَا

عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

وفي (١١) بحالات البدن: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾.

وفي (١٢) بالتيات: ﴿وَإِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

وفي (١٤) بتلاوة الآيات: ﴿وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجِلْتُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.

وفي (١٥) بالصبر والصلاة والإنفاق: ﴿وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجِلْتُمْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَحْسَبْتُمْ وَالْمُتَّبِعِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُتَّقُونَ﴾.

وفي (١٧) ذمًا، ومدًا عن ذكر الله وعن الصلاة: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾.

وفي (١٩) مع الصلاة والزكاة والخوف: ﴿وَرَجَالٌ لَا لِبَهُمُ تِجَارَةٌ وَلَا تِجَارَةٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَحَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾.

وفي (٢٠) مع تلاوة الكتاب والصلاة، مع توصيف الذكر بـ «الأكبر» وتوصيف الصلاة بالتهي عن الفحشاء والمنكر: ﴿أَلَمْ نَأْوِجِ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كُنْهِى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

وفي (٢٣) مع ما نزل من الحق: ﴿أَن تَفْشَحَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾.

وفي (٢٥) مع ذرؤ البيع: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.

وفي (٢٨) مع الشكر: ﴿فَاذْكُرُوا فِي أذْكُرْتُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾.

وفي (٤٤) ذمًا مع السعي في خراب المساجد: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾.

وفي (٤٨) ذكر الله مع القول: ﴿عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنَّا﴾ ولا رب أن في كل واحدة من هذه المقاربات لذكر الله تأكيدًا أو تسجيلاً له، فلاحظ.

الرابع: قد نُسب فعل الناس لذكر الله إلى هداية الله، كما نُسب عدمه إلى إضلاله وكذا ذلك إلى إغفاله، وجعله أَيْتَةً عَلَى الْقُلُوبِ فِي (٢٢): ﴿لَلَّذِينَ جَلَوْهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾، و (٣٠): ﴿وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، وفي (٥١): ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، وفي (٥٨): ﴿وَمَنْ يَخْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ لَقَبُضٌ لَهُ شَيْطَانًا قَهْرًا قَرِينٌ﴾.

وهنا راجع إلى البحث في أفعال العباد والخلاف فيه. وعلمنا أن هداية الله ومشيئته لأفعال الخير جزاء منه للصالحين، ومنعه وإغفاله عنها، عقوبة منه للعاصين. والآية (٥٨) صريحة في ذلك، فإن الله يقيض شيطانًا لمن يخشُ بنفسه عن ذكر الله، والتفصيل في «الهداية والضلالة».

ب- مذكر اسم الله: ١١، آية: (٣٦-٤٦)

٣٦- ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَثَامٍ مَّقْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَوَائِيسَ الْفَقِيرِ﴾ الحج: ٢٨

٣٧- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ قَلِيلٌ



اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿ التور: ٣٦  
١ - هذه الآية جاء في ثمان منها: (٣٧ - ٤٤) ذكر  
اسم الله متعلقًا إمّا بـ «ذبح الأنعام» في (٣٧ - ٤٠)، أو  
بـ «الأكل» بما ذكر اسم الله عليها في (٤١ - ٤٤)، كل  
منهما أربع مرات.

و جاء في ثلاث منها (٤٤ - ٤٦) ذكر اسم الله في  
المساجد، لأنها موضع الصلاة، وقد فسروه بالصلاة،  
في بعضها مثل آية الجمعة: (٢٦) ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾  
٢ - وذكر اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام  
في الآيات الأربع متفاوت: ففي (٣٦) جاء: ﴿وَيَذْكُرُوا  
اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾، وهذا ينطبق على  
الكبيرات في هذه الأيام، وأمّا في الثلاث الأخرى:  
(٣٧ - ٣٩) فالظاهر أنها راجعة إلى التسمية على  
الحيطة كالأربع الأخرى: (٤٠ - ٤٣).

٣ - ولا شك أن ذكر اسم الله فيها جميعًا لا بد أن  
يكون مع ذكر الله قلبًا، وليس في القرآن ولا في  
الشريعة أثرٌ لذكر الله لسانًا مع خلو القلب عنه، بل  
لعله بعد تلاعبًا مع اسم الله تعالى.

٤ - ثم إن هذه الآيات مختلفة نفيًا وإثباتًا، فالثمان  
الأولى كلها مثبتة ترغيبًا إلى ذكر الله، سوى الآية  
(٣٨): ﴿وَالْعَامَ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ﴾  
فلسانها نفي ومحتواها ترغيب إلى ذكر اسم الله.

وكذا الثلاث الأخيرة فاثنتان منها (٤٥ و ٤٦)  
إثبات، و واحدة: (٤٤) نفي: ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ  
يَذْكُرَ فِيهَا اسْمَهُ﴾ وكلها ترغيب أيضًا إلى ذكر اسم الله  
تعالى.

الحج: ٣٤  
٣٨ - ﴿وَقَالُوا هَلْ عَلِمَ الْغَامُ وَخَرْتُ جِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا  
إِلَّا مَنْ لَشَاءُ بَزْغِيهِمْ وَالْعَامُ حُرُمَتٌ ظُهُورُهَا وَالْعَامُ  
لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا  
كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام: ١٣٨

٣٩ - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَكُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ  
الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُغَلَّسُ نُهُنَّ  
بِمَا عَلَّمْنَكُمْ اللَّهُ فُكِّلُوا بِمَا أُكِّنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ  
اللَّهِ عَلَيْهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ المائدة: ٤  
٤٠ - ﴿وَالَّذِينَ جَعَلْنَاكُمْ لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ  
فِيهَا حَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَّهْتُمْ  
جُنُوبَكُمْ فَأَكِلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَالْمَعْصِرُ كَذَلِكَ  
سَعَرْنَا لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ فَتَشْكُرُونَ﴾ الحج: ٣٦

٤١ و ٤٢ - ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ  
بِأَيَّامِهِ مُرَبِّينَ﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ  
عَلَيْهِ... الأنعام: ١١٨، ١١٩

٤٣ - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ  
لَفِسْقٌ...﴾ الأنعام: ١٢١

٤٤ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ  
فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا...﴾ البقرة: ١١٤

٤٥ - ﴿الَّذِينَ اطَّرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَنْفِرُ عَنْهَا إِلَّا أَنْ  
يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَهُ اللَّهُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ  
لَفَدَّسَتِ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا  
اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَحْضُرَنَّ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَرِيبٌ  
غَرِيبٌ﴾ الحج: ٤٠

٤٦ - ﴿فِي بُسُوتٍ إِذْنُ اللَّهِ لَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرُ فِيهَا

ج- ذكر الرب: ٨ آيات: (٤٧-٥٤):

٤٧- ﴿وَاذْكُرْ فِي الْفَجْرِ نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً  
وَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ  
الْمُغَابِلِينَ﴾  
الأعراف: ٢٠٥

١٨- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا كُنَّا فِيهِ فَاعِلِينَ ۚ ذَٰلِكَ عَدُوًّا ۖ  
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرُوا رَبَّكَ إِذَا كُنتَ عَلَىٰ عَنَسٍ ۚ  
يَهْدِيكَ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَٰذَا وَنُجْدًا ۚ﴾ الكهف: ٢٣، ٢٤  
٤٩- ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ أَيُشْكِكُ ۚ لَا تَكْلَمْ  
الْأَسْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزَا وَادْكُرُوا رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ  
بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْكَارِ ۚ﴾ آل عمران: ٤٦

٥٠- وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي  
عِندَ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ذَكَرْتَهُ فَلْيَتَّبِعِ السُّبْحَانَ  
بِغَيْرِ سُبْحَانَ ۝

٥١- ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ لَا بَالِيَ الْفَرَادَ عَصَاكُمْ وَتِلْكَ أَسْمَاءُ الَّذِينَ أَنجَلْنَاهُمْ فِي الْقُرْآنِ وَأَنْتُمْ عَنْهُمْ غَائِبُونَ﴾

٥٢- ﴿لَقَدْ نَجَّيْنَاهُمْ فِيهِ مِنْ غَرَسٍ عَنِ ذِكْرِ رَبِّهِمْ  
سَلَّكُهُ عِبَادًا صَادِقِينَ﴾

٥٣- وَقُلْ مَنْ يَمْلِكُكُمْ هَاهُنَا وَالْقَارِ مِنَ الرِّحْمَنِ  
تَالْحَمْدِ إِنَّكُمْ ذُرِّيَّتُهُ مُطِيعَتُهُ

٥٤۔ ﴿قَالَ إِنِّي أَنشِئُ حَبْلَ غَيْرٍ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾  
 حَبْلٌ يَدُودُ بِالْحَبَابِ ۝

١ - الرتبة فيها مضاف يتفاوت في المضاف إليه:  
تلك، وتس، وتنا، وتهم.

٢- والأربع الأولى منها مثبتة ولسانها مدح:  
«كَلِمَاتُ اللَّهِ» (إذْكَرُ)، الخطاب في الآية ليس منها إلى

نَبِيَّنَا ﷺ. وفي الأخيرتين إلى النبي «ذكرنا» وصديق  
النبي: يوسف عليه السلام الذي ظن يوسف أنه ناسج، وهو  
أحد أصحابه في السجن. والمراد بالرب فيها الملك في  
الباقي الله تعالى.

والأربع الأخيرة - سوى واحدة: (٥١) - منفية  
ولانها جميعاً ذم.

٢- وجاء فيها تصويراً عن الله تعالى «الرب»  
- وهو وصف دال على ربيّة الله - لأن مواضع ما أمر  
الله فيها بالذكر يستدعي ربيّته تعالى بعناية خاصة.

ففي الرابع الأول:

التي - وهو المخاطب بالأمر في الأولين منها -  
 يحتاج في إطاعته لأمر الله إلى عناية خاصة من قبل  
 ربه. ولأن الآيتين يؤيدان: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾  
 ﴿فَرِحْنَا وَبَغِينَا﴾ وثون التفتيح من القول بالقدور  
 والاحوال ولا تكن من الغافلين، و﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا  
 سَبَّحْتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبٍ مِنْ هَذَا﴾  
 ﴿وَقَدْ أَهَلَّ

لقد جاء في الأول منهما الأمر بالذكر بأوصاف  
مع التصرُّف من ضده.

وفي الثانية كرّر (رَبِّ) (رَبِّكَ) و (رَبِّي)، كما جاءت فيها ربوبيّة الله له بلفظين آخرين: ﴿يَهْدِيَنِي﴾ و ﴿رَشِدًا﴾، وكل ذلك تأكيد فيها لربوبيّة تعالى لنسبته الكريم.

و كذلك الأمر في الأخيرتين منها، ففسي (٤٩)

من غلام في الآية قبلها - إلى عناية خاصة من قبل الله ربه. وكذلك يوسف عليه السلام يحتاج إليها ليصل إلى حاجته، وهي نجاة من السجن، وقد كرر (رب) فيهما أيضًا تأكيدًا لذلك.

وأما الأربع الأخيرة - وكلها ذم كما علمت، ومكينة - فتلات منها نزلت ذمًا للمضركين، والأخيرة حكاية عن سليمان عليه السلام لا اشتغاله عن ذكر ربه في صلاته حبًا للخيل، وفي تفسيرها خلاف، فلا حظ الخصوص.

وذكر «الرب» فيها جميعًا - سوى ٥٠ - تأكيد لذتهم جميعًا، حيث لم يلتفتوا إلى عناية الله بهم في ربوبيته لهم.

وهذا التأكيد في الثلاث الأولى توبيخًا للمضركين أشد، ولهذا جاء فيها الإعراض أو التفور عن ذكر الرب، دون الأخيرة المحكية عن علاقة عبدي بالجنات الدنيا خفلة من دون عصيان

د - ذكر اسم الرب ٣ آيات: (٥٥ - ٥٧):

٥٥ - ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى • وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ

فَصَلَّى﴾ الأعلى: ١٤، ١٥

٥٦ - ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَقَلُّلَ الْيَوْمِ تَنْبِيلًا﴾

المزمل: ٨

٥٧ - ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا • وَمِنَ

الْأَيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾

الذهر: ٢٥، ٢٦

١ - وقد أريد بها ذكر اسم الرب لسانًا ذريعة إلى

ذكره قلبًا.

٢ - وذكر اسم الرب فيها جميعًا تهديد للصلاة، وقد صرح بها في الأولى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾. وكفي عنها في الثانية بقوله: ﴿وَتَقَلُّلَ الْيَوْمِ تَنْبِيلًا﴾. وفي الثالثة بقوله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا • وَمِنَ الْأَيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾. تعبيرًا عن الصلوات الخمسة.

٣ - وجاء «ذكر اسم الرب» في الأولى عقيب التزكي: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى • وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾. وفي الثانية عقيب السبح الطويل في النهار: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا • وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ...﴾. والسبح الطويل للشيء الطويل في النهار، هي أعماله الطيبة في نشر الإسلام وتعليم القرآن، وغيرها من فعل الخير. وفي الثالثة عقيب الصبر لحكم الرب وعدم الإطاعة للأثم والكفور: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَثَلَهُمْ إِنِّي أَنَا أَتَقَوُّرًا • وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ...﴾.

٤ - وجاء في الأولى الترغيب إلى ذكر اسم الرب بصيغة الخبر عامًا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى • وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾. وفي الأخيرتين أمرًا للشيء خاصة: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ...﴾.

هـ - ذكر الرحمن آيتان: (٥٨، ٥٩):

٥٨ - ﴿وَمَنْ يَخْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقُيْضَ لَهُ

شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الزخرف: ٣٦

٥٩ - ﴿وَإِذَا زَاكَّةُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ شَيْئَهُمْ ذَكَرَكَ إِلَّا

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ إِلَهُكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ

كَافِرُونَ﴾ الأنبياء: ٣٦

١ - قد ذم الله فيهما من معرض عن ذكر الله تعالى

بوصفه رحمانًا.

٢- أولاهما عامة وصيغة المنبر: ﴿وَمَنْ يَفْشُرْ﴾  
عن ذكر الرُّحْمَنِ...﴿

وثانيتها خاصة بأعداء النبي من المشركين عقب  
الاستظهار استهزاء: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ وَهُمْ  
يَذْكُرُ الرُّحْمَنَ هُمْ كَاذِبُونَ﴾

٣- لعلك تسأل ما سر مجيء ﴿الرُّحْمَنِ﴾ في هاتين  
الآيتين من سورة ﴿الزخرف﴾ و«الأنبياء»  
و كلاهما مكِّي - بدل سائر أسماء الله وأوصافه  
تعالى؟

والجواب أولاً - والله أعلم - قد جاء ﴿الرُّحْمَنِ﴾  
في «الزخرف» ٦ مرات في آياته:

١- ١٧: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا حَسَرَبَ الرُّحْمَنُ  
مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾

٢- ٢٠: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرُّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاكُمْ مَعَ  
نَهْمٍ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَهْرَعُونَ﴾

٣- ٣٣: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً  
لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرُّحْمَنِ لِيُصْرِفَهُمْ سُقًّطًا مِنْ بَيْنِنَا  
وَمَعَاجِزَ عَلَيْهَا يَتَخَفُونَ...﴾

٤- ٣٦: ﴿وَمَنْ يَفْشُرْ عَنْ ذِكْرِ الرُّحْمَنِ...﴾  
٥- ٤٥: ﴿وَسُئِلَ مَنْ لَرُسُلَانَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا  
أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرُّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾

٦- ٨١: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرُّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ  
الْعَابِدِينَ﴾

وقد جاء ﴿الرُّحْمَنِ﴾ في الآية الثانية منها في كلام  
المشركين: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرُّحْمَنُ...﴾ وقد كان  
فريق منهم يعتقدون بالله باسم «الرحمان» له ولد، كما

أشارت إليه الآية الأولى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا  
حَسَرَبَ الرُّحْمَنُ مَثَلًا﴾ أي نسب إليه الولد وصرحت  
به الآية الأخيرة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرُّحْمَنِ وَلَدٌ﴾

فأخذهم الله بقولهم في بقية الآيات ذمًا لهم بما  
يعتقدونه في شأن «الرحمان» كفرًا به. فقال في الثالثة:

﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرُّحْمَنِ...﴾ وفي الرابعة: ﴿وَمَنْ  
يَفْشُرْ عَنْ ذِكْرِ الرُّحْمَنِ...﴾ وفي الخامسة: ﴿لَجَعَلْنَا مِنْ  
دُونِ الرُّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾

وكذلك الأمر في سورة الأنبياء، فقد جاء فيها  
﴿الرُّحْمَنِ﴾ في ٤ آيات:

١- ٢٦: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرُّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ  
يَعْلَمُ مَتَى تَكْفُرُونَ﴾

٢- ٣٦: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَمْجِدُوا وَلَهُ  
الْآلَهُوْا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرُّحْمَنَ  
كَافِرُونَ﴾

٣- ٤٢: ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالنَّبِيِّينَ  
الرُّحْمَنُ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾

٤- ١١٢: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرُّحْمَنُ  
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾

فقد صرحت الآية الأولى منها بمعتقدهم بشأن  
الرحمان حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرُّحْمَنُ وَلَدًا﴾

وذمهم بكفرهم بالرحمان في الثانية: ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ  
الرُّحْمَنَ هُمْ كَاذِبُونَ﴾

وبالسؤال عنهم تبكيًا في الثالثة بمن رساهم  
وحفظهم ليلاً ونهارًا عن سلاء الرحمان ﴿قُلْ مَنْ  
يَكْفُرْكُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالنَّبِيِّينَ الرُّحْمَنُ؟﴾

وقد برأ الله نفسه عما وصفوا به الرحمن حكاية  
عن النبي ﷺ في الآية - وهي الآية الأخيرة من هذه  
السورة - ﴿قَالَ رَبُّ أَحْكُم بِالنِّعَةِ وَرَبُّكَ الرَّخْمَنُ  
الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾

في هذه كلها الكلام في الصنف الأول من  
الأصناف الثمانية من آيات الذكر، وكلها أسماء الله  
تعالى.

الصنف الثاني: في نعماء الله وفي هذا الصنف خمسة  
عناوين أيضا:

أ- ذكر نعم الله: ١٣ آية: (٦٠ - ٧٢):

٦٠- ﴿يَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ  
عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارِضٌ بِكُمْ  
الْبَقَرَةُ: ٤٠، ١٢٢

٦١ و ٦٢- ﴿يَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي  
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلِي نَصْرَتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ  
الْبَقَرَةُ: ٤٧ و ١٢٢

٦٣- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ  
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم  
مَّا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ المائدة: ٢٠

٦٤- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ  
الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي  
ذَلِكُمْ لَآلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ إبراهيم: ٦

٦٥- ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ  
وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبْدَلْتُكَ رُوْحَ الْقُدُسِ﴾ المائدة: ١١٠  
٦٦- ﴿وَإِذْ كَرَّمْنَا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَرْسَلْ

عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَأَرْسَلْنَا بِعِزِّكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٣١

٦٧- ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا  
وَإِذْ كَرَّمْنَا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ  
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ  
مِّنَ النَّارِ فَأَنقَضَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران: ١٠٣

٦٨- ﴿وَإِذْ كَرَّمْنَا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّتِي  
وَأَتَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ المائدة: ٧

٦٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ أَن يُسْلِطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ  
أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاللَّهُ وَالْعَزِيزُ الَّذِي  
الْمائدة: ١١

٧٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
إِذْ جَاءَكُمُ الْيَهُودُ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجَالًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا  
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ الأحزاب: ٩

٧١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ حِينَ  
مِنْ خَلَقَ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ قَالِي لَوْ تَكُونُ﴾ طه: ٣

٧٢- ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ  
مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْإِنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ يستنصرون على ظهوره  
ثم لا تذكروا نعمة ربكم إذا استنصرتهم وعليهم وللنور  
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾

الزخرف: ١٢، ١٣

١- ستة من هذه الآيات (٦٠ - ٦٥) قصص من

بني إسرائيل وموسى وعيسى عليهما السلام، سوياً في الكلام في السبع الباقية - وقد خاطب الله في الثلاث الأولى بني إسرائيل بخطاب واحد في صدرها: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وبسياق واحد في ذيل الأخيرين منها: ﴿وَأَتَى فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

٢- وهذه الثلاث كلها من آيات سورة البقرة الثالثة بشأن بني إسرائيل وقصصهم المعركة لهم طول حياتهم، من عصر جدهم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - وكان يسمى إسرائيل وبنو إسرائيل كلهم من ذريته - إلى عصر نبينا صلوات الله عليه وآله.

٣- وهذه الآيات الكثيرة الباقية ٨٣ آية من البقرة (٤٠ - ١٢٣) كررت فيها صدراً أو ذيلاً آية واحدة بلفظ واحد: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَتَى فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. هذه على بني إسرائيل بنعمة أنعمها عليهم لم ينعمها على غيرهم من الأمم - وهي تفضيلهم على العالمين قبل أمّة الإسلام - كما من عليهم بنفس النعمة في أول آية بدأ الله بها قصص بني إسرائيل من دون كلمة ذكر: ﴿وَأَتَى فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ومع ذكر موضعها من الوفاء: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ تذكر أنما عاهدهم عليه. وأمرها بالوفاء به.

٤ - وفي الآيتين (٦٣، ٦٤) حكاية قول موسى خطاباً لقومه، تذكر أنما لهم بنعم أخرى عليهم من الله غير نعمة التفضيل على العالمين.

وفي (٦٣): ﴿يَا قَوْمِ لَذَكِّرْكُمْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

وذكر فيها ثلاث نعم عليهم: نعمة الأنبياء والملوك وما لم يؤت أحد من العالمين، وهي إمانعة التفضيل على العالمين، أو نعمة بقاء نسلهم وذكرهم - حتى إلى يومنا هذا - مع أن كثير من الأقوام انقرضوا وصاروا أحاديث وسطوراً في التاريخ.

وفي (٦٤): ﴿لَذَكِّرْكُمْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾. وهذه كلها نعم أنعم الله بها على أجدادهم في عصر حين كانوا تحت سلطة فرعون.

٥ - وفي الآية (٦٥) خطابها إلى عيسى عليه السلام وتذكراً أيضاً لما أنعمه الله عليه وعلى والدته: ﴿لَذَكِّرْكُمْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِلَٰدَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ الْفِرْعَوْنَ﴾. وقد عدّ الله نعمه عليه في الآيات إلى آخر السورة، من تأييده بروح القدس وغيره من معجزاته، ومن تعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، ومن إيمان الخوارج به، وإنزال المائدة عليه وعلوهم عداً لهم إلى غيرها.

لكن ليس فيها ذكر مما أنعمه الله على والدته، كما أنه أشار بقوله هنا: ﴿وَعَلَىٰ وَإِلَٰدَيْكُمْ﴾ إلى ما جاء في غيرها من الآيات في سائر السور - كالآيات (٣٥ - ٣٧) من سورة آل عمران - مثل قوله: ﴿وَرَأَيْتُهَا يَهْدِي بَيْنَ ذُرِّيَّتِيهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وإلى قوله في الآية ٧٥ من هذه السورة - المائدة - : ﴿وَأَنْعَسُ صِدْقَةً﴾.

٦- هذه نعمته تعالى على بني إسرائيل وأنبيائهم في الست الأولى منها ثم انتقل في سبع آيات بعدها (٦٦) - (٧٢) إلى نعمه على أمة الإسلام، ابتداءً في الآية (٦٦) بنعمة الكتاب والحكمة ﴿وَإِذْ كُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكُمْ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ ثم في (٦٧) بنعمة التأليف بين قلوب المؤمنين إلى حد الأخوة بينهم، وبنعمة إقناذهم من حفرة النار: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَهْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بَشْعَإٍ وَاحِدًا وَّكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا...﴾

ثم في (٦٨) بنعمة ميثاقه الذي واثقهم به وبمعهم وطاعتهم له: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكُمْ مِثْقَاتِ الْوَعْدِ وَالَّذِي كُنْتُمْ تُبْعِثُونَ فِي الْبِلَادِ أَرْحَامَكُم مَّا تُلْقُونَ بِالنِّسَابِ﴾

ثم في (٦٩) بنعمة كف أيدي أعدائهم عنهم: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّشْطَرُونَ لَوْ أَن يَرَوْا نَفْسَهُمْ فَكَيْفَ يُؤْمِنُ بِهِمْ هَكَذَا نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

ثم في (٧٠) بنعمة دفع جنود جاءتهم «إرسال ريح وبعثوا لهم بروها من الملائكة: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا...﴾

ثم في (٧١) بنعمة الرزق من السماء والأرض: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكُمْ عِلًّا مِّنَ حَافِلِهِ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾

ثم في (٧٢) بنعمة الركوب والاستواء على الأنام والفلك، ثم بنعمة شكره تعالى على ذلك: ﴿وَجَعَلْ لَّكُمْ مِّنَ الْأَنْعَامِ الْأَنْعَامَ مَا تَرْضَوْنَ...﴾

ظهوره ثم ﴿لَذِكْرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَرَيْتُمْ عَلَيْكُمْ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّبِينَ...﴾

٧- وقد جاء في الست الأولى: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكُمْ...﴾ وفي الأخيرة: ﴿ثُمَّ لَذِكْرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ...﴾ وهذا التكرار والتأكيد لذكر نعمة الله، كاشف عن عظم حقها، وعلو قدرها، وإرشاد للعباد إلى الاهتمام بها تذكاراً وشكراً.

٨- وقد بدأ الله عديداً من هذه الآيات خطاباً إلى المسلمين بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ تأكيداً لطلب نظرهم إلى تلك النعم، واعتبارها مئة من الله عليهم - كما خاطب بني إسرائيل بقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ...﴾ في تلك الآيات جللاً لانتصاتهم إلى ما أنعم الله بها عليهم - وخاطب الله الناس جميعاً في (٧١): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ...﴾

٩- وأيضاً ختم الله جميع هذه الآيات الشبهة بالأمر بالتقوى أو بوصف من أوصاف الله التي تدعو إلى الطاعة والتقوى، مثل: ﴿وَالْقُرْآنَ وَالْعَزْوَاقَ...﴾

ب- ذكر رحمة ربك: آية واحدة:

٧٣- ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَّرًا﴾ مريم: ٢  
وقد جاءت ﴿رَحْمَةً﴾ مفردة وجمعا في آيات كثيرة، مضافة إلى ﴿الله﴾ في بعضها أو إلى غير الله من أسمائه. ولكن هذه الآية وحيدة في إضافة كلمة ﴿ذِكْرُ﴾ إليها، كما أنها وحيدة في احتمال كون الله فاعلاً لـ «الذكر» فيها. وإن كان الظاهر أن ﴿ذِكْرُ﴾ تفسير وخبر للحروف المقطعة قبلها نظير: ﴿لَمْ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ البقرة: ١، ٢.

والبحت في الحروف المقطعة وإعرابها طويل. لاحظ المدخل: بحث الحروف المقطعة.

قال الطبرسي في تفسيرها (٣: ٥٠٢): «أي هنا خبر رحمة ربك زكراً عبده، ويعني بالرحمة: إيجابته إياه حين دعاه وسأله الولد - إلى أن قال - سويل: إن معناه ذكر ربك عبده بالرحمة».

ج- ذكر آلاء الله: آيتان: (٧٤، ٧٥):

٧٤- ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْفُلِّ سِنطَةً فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف: ٦٩  
٧٥- ﴿وَإِذْ كُنْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَنَحْنُ أَنْكُمْ فِي الْأَرْضِ تَلْعَبُونَ مِنْ سُوءِهَا قُصُورًا وَتَلْعَبُونَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الأعراف: ٧٤

١- قد جاء فيهما لفظ واحد ﴿فَإِذْ كُنْتُمْ آيَةَ اللَّهِ﴾ كلاهما من سورة الأعراف المكية.

٢- وقد كرر الذكر فيهما تأكيداً لهما في الأولى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ و﴿وَإِذْ كُنْتُمْ خُلَفَاءَ﴾ و﴿فَإِذْ كُنْتُمْ آيَةَ اللَّهِ﴾. وفي الثانية: ﴿وَإِذْ كُنْتُمْ خُلَفَاءَ﴾ و﴿فَإِذْ كُنْتُمْ آيَةَ اللَّهِ﴾.

٣- والخطاب في الأولى من الله للمشركين: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾. وفي الثانية من صالح لقوم ثمود، إذ جاء قبلها: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾.

٤- وقد من الله في الأولى على المشركين بنصتين: جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح، وزيادتهم بسطة في الفلك. ثم بشرهم بالافلاج إذا ذكروا آلاء الله: ﴿فَإِذْ كُنْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْفُلِّ سِنطَةً فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد، ويتبينهم في الأرض - أي إنزالهم وتمكنهم من المعيشة في الأرض - ليأخذوا من سوءها قصوراً، ومن تحت جبالها بيوتاً. ثم نهاهم عن الفساد في الأرض مؤكداً بلفظين مترادفين بعد أمرهم بذكر آلاء الله: ﴿فَإِذْ كُنْتُمْ آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. والثو هو الإفساد.

و الإفساد في الأرض، أشدّ - أضرم من مطلق الإفساد، لأنه يعم المجتمع جميعاً، ولا يخص بعض الناس.

٥- والمراد بجعلهم خلفاء بعد قوم نوح أو قوم عاد تذكار المشركين بعذاب الله قوم نوح بالفرق، وقوم عاد



بالخسف، فلم يعذب الله المشركين بالفرق، ولا قوم  
ثمود بالخسف، مع أنهم خلفاء لقوم نوح، أو قوم عاد  
٦- وفي التعبير عن المشركين وعن قوم ثمود  
بتعبير واحد «خلفاء» إنداء للمشركين بأنهم لو  
أصروا على كفرهم لابتلوا بما ابتلي به الكفار من قوم  
ثمود من العذاب.

٧- وفي جعل المشركين خلفاء قوم نوح، وسائر  
الأقوام الكافرة التي جاءت بعدهم، لعل إشارة إلى أن  
الإسلام دين عامة الناس - كما كان نوح نبيا لعامة  
كما شاع - أنه يبقى خالدا في العالمين، ولا يبلى بما  
ابتلي به دين نوح، ولا أمة الإسلام بما ابتلي به قوم  
نوح. لاحظ، خ ل ف: «خلفاء».

٨- وآء: جمع ألؤ، وهو التهمة، فالآء الله هي تتم

الله تبارك وتعالى.

٥- ذكر آيات الله والذكر كبير أو الذكر كبير  
آية: (٧٦-٨٧)؛

٧٦- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ  
عَنْهَا وَكَسَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً  
أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ كُنَّا لَهُمْ إِلَى الْهُدَى قَلْبًا  
يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الكهف: ٥٧

٧٧- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ  
عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَحِبُونَ﴾ السجدة: ٢٢

٧٨- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا  
عَلَيْهَا صَعَثًا وَغَمًّا﴾ الفرقان: ٧٣

٧٩- ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا  
سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

السجدة: ١٥

٨٠- ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ الصافات: ١٣

٨١- ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن  
كَانَ كُفْرُكُمْ عَلَيَّ فَتَقَامُوا فَتَدْعُونِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى  
اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجِيبُوا أَمْرَكُمْ وَشِرْكَاءُكُمْ تَصْهَلُونَ لَا يَكُنْ  
أَمْرُكُمْ عَلَيَّ غَمَةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾

يونس: ٧١

٨٢- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾

التازعات: ٢٥

٨٣- ﴿وَإِذْ كُنَّا مَا يَنْظُرُ فِي ثِيَابٍ كُنَّا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ  
وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٤

٨٤- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ  
خَالِدِينَ مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَآذَكُوا مَا فِيهِمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾

البقرة: ٦٣

٨٥- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ فَأَوْفَى  
أَلَّهُ وَعَلَىٰ بِهِمْ خَالِدِينَ مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَآذَكُوا مَا فِيهِمْ  
لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾ الأعراف: ١٧١

٨٦- ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ  
وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾ مريم: ٦٧

٨٧- ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ  
الْمُنْتَهَى وَأَهْلُ الْمُنْتَهَى﴾ المدثر: ٥٦

١- قد جاء الفعل مزيدا من «التفعل» ماضيا  
بمجهول «ذُكِّرَ» و «ذُكِّرُوا» في الخمس الأولى (٧٦ -

٨٠)، ومصدرا في (٨١): ﴿وَتَذْكُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾،  
ومن «التفعل» مضارعا: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ في

(٨٢).

أما باقي الآيات (٨٣-٨٧) فجاء الفعل فيها مجرداً أمراً أو مضارعاً، والفرق بين المجرّد والمزيد واضح، فإن المجرّد «ذكر» «كذلك» «التذكر» فعل الناس، والتذكير فعل غيرهم يتعلق بهم، والمذكر مجهول، وينطبق على الله، أو أنبيائه وأوليائه.

٢- وقد جاءت «الآيات» في ست منها: (٧٦-٧٩) و(٨١ و٨٣)، دون غيرها بل جاء فيها ما ينطبق عليها مثل: (٨٠): ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ أو على آيات التوراة في (٨٤، ٨٥): ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا مَا بِهِمْ لَغَلُكُم تَتْلُونَ﴾.

٣- و«الآيات» فيها مضافة بنحو: ﴿آيَاتِ رَبِّهِ﴾ أو ﴿آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أو ﴿آيَاتِ﴾ أو ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾.

٤- والآيات نعم الآيات التشرعية «القرآن» والآيات التكوينية «كل ما خلق الله»: (٦٠) و(٧٤).

هـ- الذكر: القرآن ٣٩ آية (٨٨-١٢٦) نزل تحت اسم «الذكر» ٨٨- ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذُكِّرُوا وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾

٦٩: يس

٨٩- ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ بل الذين

كفروا إلى عزّو وشقاق ﴿ص ١: ٢﴾

٩٠- ﴿لَعَنَ أَغْلَمُ بِمَا يَكُونُونَ وَمَا آتَتْ عَلَيْهِمْ

بِجِبَارٍ فَذُكِّرُوا بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيد﴾ ق: ٤٥

٩١- ٩٤ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ

مُذَكِّرٍ﴾ القمر: ١٧، ٢٢، ٢٢، ٤٠

٩٥- ﴿وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ

مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ طه: ١١٣

٩٦- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا

أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِّرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُظْهَرُونَ إِلَيْكَ لَظْفَرُ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنْ

الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ الأنبياء: ٢٠

٩٧- ﴿لَنْ أَلْزِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِلَهُ

الْكِتَابِ عَزِيزٌ﴾ فصلت: ٤١

٩٨- ﴿ذَلِكَ ثَلَاثُ أَوْفَاقٍ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ

الْعَظِيمِ﴾ آل عمران: ٥٨

٩٩- ﴿قَالَ فَإِنَّ الْمَثَلِيَّ فَلَا تَسْتَلِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى

أُخْبِرَ لَكَ بِهِ ذِكْرًا﴾ الكهف: ٧٠

١٠٠- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْآنِ قُلْ سَأَلْتُ

الْعِلْمَ بِهِ ذِكْرًا﴾ الكهف: ٨٣

١٠١- ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ

الْفَرِحَ الْفَرِحُونَ﴾ الحجر: ٦٠

١٠٢- ﴿إِنَّا لَنَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَنَحْفَظُونَهُ﴾

الحجر: ٩

١٠٣- ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٤٤

١٠٤- ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ

مُتَكِبُونَ﴾ الأنبياء: ٥٠

١٠٥- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا

سَمِعُوهُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ الأنبياء: ٢

١٠٦- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ قَبْلِ الذِّكْرِ أَنَّ

الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء: ١٠٥

١٠٧- ﴿وَمَا نَسْتُلْهُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجُرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

لِلْعَالَمِينَ﴾ يوسف: ١٠٤

تُرْحَمُونَ ﴿١٢٣﴾ الأعراف: ٦٣

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ

وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ طه: ٩٩

﴿فَالْثَّالِثَاتِ ذِكْرًا﴾ الصافات: ٣

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ

يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾

الطلاق: ١٠

﴿فَالْمُتَّقِينَ ذِكْرًا﴾ عذرا أو نذرا • إلخ

فوعدون الواقع ﴿المرسلات: ٥-٧

١- وقد أدرجنا القرآن في عداد نعماء الله، لأنه

أفضل وأكبر نعمة من نعماء الله أنعم بها على العالمين،

لهاته كما قال تعالى في الآيات: (١١٦ و ١١٧ و ١٢١):

﴿ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ من غير فرق في كونه من أفعاله

المتنوعة، كما عليه الشيعة والمعتزلة وغيرهم، أو من

صفاتة القدسية، كما أصر عليه أهل الحديث

والأشاعرة.

٢- وقد جاء لفظ «القرآن» في ثمان منها (٨٨ -

٩٥) ولفظ «الكتاب» في واحدة (٩٧) ولفظ

«الآيات» في واحدة: (٩٨) ولفظ «السورة» في

واحدة (٩٦) ولفظ «الآيات ذكرا» في واحدة

(١٢٤).

وهذه اللفاظ صريحة في أن المراد بالذكر فيها:

القرآن. أما سائر الآيات فأريد بها القرآن بقرائن، مثل

لفظ ﴿مَسَّالُوا﴾ في (١٠٠)، ولفظ ﴿سَيُخْرَأُ﴾ في

(١٢٠) والفاظ ﴿نُزِّلَ﴾ و ﴿نُزِّلْنَا﴾ و ﴿أُنْزِلْنَا﴾

و ﴿أُنْزِلَ﴾ في (١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١١٤).

١٠٨ و ١٠٩ - ﴿...فَسْتَغُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء: ٧، التحل: ٤٣

١١٠ - ﴿أَمْ آتَيْنَا مِنْ كُونِهِ إِلَهَةٌ قُلْ هَاتُوا

بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ رَبِّي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ الأنبياء: ٢٤

١١١ - ﴿لَقَدْ أَضَلُّنَا عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِجْمَاعِي وَكَانَ

الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ الفرقان: ٢٩

١١٢ - ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرُّحْمَنِ مُعَدِّثٍ

إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ الشعراء: ٥

١١٣ - ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَوَّشِيَ

الرُّحْمَانَ فَالْغَلْبَ فَتَمْرَةً بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ يس: ١١

١١٤ - ﴿وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي

شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَنْذَرُوهَا عَذَابٍ﴾

١١٥ - ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنْ لِلْمُتَّقِينَ لُحُوقٌ عَذَابٍ﴾

١١٦ و ١١٧ - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

الكوبر: ٢٧، ص: ٨٧

١١٨ - ﴿أَلَمْ تُضِرْ بِعَنَّا الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ

قَوْمًا مُعْرِضِينَ﴾ الزخرف: ٥

١١٩ - ﴿وَأَتَيْنَا الذِّكْرَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ

أَشِيرٌ﴾ القمر: ٢٥

١٢٠ و ١٢١ - ﴿وَإِنْ يَكَاذِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزَيَّنَّ لَهُمْ

بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ •

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ الفلم: ٥١، ٥٢

١٢٢ - ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ

عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلِتَعْلَمَكُمْ

قال الشريفي: «أي وحي ينهم عن سبب الغفلة والجهالة».

وقال الطباطبائي: «المراد بالذكر: ما يذكر به الله سبحانه من وحي إلهي كالكتب السماوية ومنها القرآن الكريم، والمراد بإتيانه لهم: نزوله على النبي وإسماعه وتبليغه، و«محدث» بمعنى جديد وهو معنى إضافي، وهو وصف «ذكر» فالقرآن مثلاً ذكر جديد أتاهم بعد الإنجيل، والإنجيل كان ذكراً جديداً أتاهم بعد التوراة، وكذلك بعض سور القرآن وآياته ذكر جديد أتاهم بعد بعض».

وقال مكارم الشيرازي: «إن كلمة «ذكر» في الآية آفة الذكر إشارة إلى كل كلام منه يوقف الغافلين».

الحق أن الذكر مطلق المذكر لكن أريد به الوحي القرآني، لأن هذه الآية والآيات بعدها ردة على المشركين في مكة، وكانوا ينكرون الوحي القرآني، وقد حكى القرآن أقوالهم فيه، منها أنه «أساطير الأولين» والأنعام: ٢٥، ومنها قولهم: «هل قالوا أضغاث أحلام بل إنشأه بل هو شاعر» الأنبياء: ٥.

ويؤيده آيات أخرى من هذه السورة بعدها وإن كان في بعضها خلاف أيضاً كما يأتي - مثل ٧: «وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاستطوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» فجاء فيها «نوحي إليهم» و«أهل الذكر» والمراد به التوراة وقيل: القرآن. و١٠: «قد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم

٢- وقد جاءت آيات أخرى غير هذه بشأن القرآن خلال بعض العناوين من الصنف الرابع، مثل عنوان: «لعلهم يتفكرون» وغيره فلاحظ.

٤- وفي بعض الآيات خلاف في أن المراد بها القرآن:

الأولى: الآية (١١٢) «وما يأتيهم من ذكركم من الرخص محدث» وعند أكثرهم «الذكر» القرآن:

وقال ابن عطية: «قالت فرقة: المراد ما ينزل من القرآن، ومعناه: محدث نزوله وإتيانه إليهم لا هو في نفسه، وقالت فرقة: المراد به «الذكر» أقوال النبي ﷺ في أمر الشريعة وعظه وتذكيره، فهو محدث على الحقيقة، وجعله من ربه، من حيث إن النبي ﷺ لا ينطق من الهوى ولا يقول إلا ما هو من عند الله».

وقالت فرقة: «الذكر» الرسول نفسه، واحتجوا بقوله تعالى: «قد أنزل الله إليكم ذكراً» رسولكم وإلهكم، فليكن منكم آيات الله منتهيات» الطلاق: ١٠، ١١، فهو محدث على الحقيقة».

وعن الحسين بن فضل: «قيل: «الذكر» الرسول نفسه بدليل ما في سياق الآية: «هل هذا إلا بشر مثلكم» الأنبياء: ٣، ولو أراد به «الذكر» القرآن لقال: «هل هذا إلا أساطير الأولين».

وذكر القرطبي نحوه، وأضاف: «ودليل هذا التأويل قوله تعالى: «ويقولون إنه لميجشون» وما هو إلا ذكر لآلئنا» القصص: ٥١، ٥٢، يعني محمداً ﷺ، ثم ذكر آية الطلاق السابقة.

وذكر بعضهم أن المراد به «الذكر» مطلق.

أَقْلًا تَقِيلُونَ ﴿

و ٢٤: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِينٍ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ... ﴿

و ٤٢: ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾

و ٤٥: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنَادُّونَ﴾

و ٤٨: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والمراد بالفرقان والذكر فيها التوراة.

و ٥٠: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ تُكْفِرُونَ﴾

و ١٠٥ و ١٠٦: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن قَبْلِهِ الذِّكْرَ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ غَابِينَ ﴿

و المراد بـ ﴿الذِّكْر﴾ فيها التوراة، وقيل: القرآن، أي كتبنا في الزبور فضلاً عن القرآن.

و ١٠٨: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُرِخِي إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

القافية: الآية (١١٠): من آيات «الذكر القرآن» ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِينٍ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ فجاء في الخصوص اختلافهم في المراد بـ ﴿ذِكْرٌ﴾ فيها:

قال ابن عباس: «﴿هَذَا﴾ يعني القرآن ﴿ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ خبر من هو معي ﴿وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ خبر من كان قبلي من المؤمنين والكافرين، ليس فيه أن الله ولداً وشريكاً».

وفي نص آخر منه: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ أي هذا هو الكتاب المنزل على من معي، ﴿وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ أي الكتاب المنزل على من تقدمني من الأنبياء... وهو التوراة والإنجيل والزبور والصحف... كما قال بعد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ...﴾ ونحوه عن الآخرين.

وقال ابن عطية: «يحتمل أن يريد به ﴿هَذَا﴾ جميع الكتب المنزلة قديمها وحديثها، أي ليس فيها برهان على النفاذ آله من دون الله بل فيها ضد ذلك.

و يحتمل أن يريد هذا القرآن، والمعنى فيه ذكر الأولين والآخرين، فذكر الآخرين بالدعوة وبهتان الشرع لهم وردتهم على طريق التبعة، وذكر الأولين بعض أخبارهم وذكر القيوب في أسورهم. ومعنى الكلام على هذا التأويل عرض القرآن في معرض البرهان أي هاتوا برهانكم بهذا برهاني أنا ظاهر في ﴿ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِينٍ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾».

وقال البرهسوي: «هذا إشارة إلى الموجود بينهم من الكتب الثلاثة: القرآن والتوراة والإنجيل، فالقرآن ذكر وعظة لمن أتبعه ﷺ إلى يوم القيامة، والتوراة والإنجيل ذكر وعظة للأسم المتقدمة...» ثم حكى عن «التأويلات التجميعة» تأويلها، فلاحظ.

وقال ابن عاشور: «الإشارة في قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ إلى مقدر في الذهن يفسره الخبر. والمقصود من الإشارة تمييزه وإعلانه بحيث لا يستطيع المخاطب المغالطة فيه ولا في مضمونه، كقوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾

أي الموعظة، و ربطه بأول السورة ﴿ص وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ﴾ وبما جاء بعدها في السورة من الثواب والعقاب في الدار الآخرة.

وقال الطبري: «هذا القرآن الذي أنزل إليك يا محمد ذكر لك ولقومك، ذكرناك وإياهم به».

٢ - وبعضهم كالزجاج والتخاس والواحدي وغيرهم اعتبروا المشار إليه بـ ﴿هَذَا﴾ ما سبق من قصص الأنبياء، وفسروا «الذكر» بالشرف.

وقال الطوسي: «معناه: إن ما أخبرنا عنهم ذكر، أي شرف لهم وذكر جميل وتناء حسن يذكرون به في الدنيا».

وذكر القشيري وجهين وقال: «أي هذا القرآن فيه ذكر ما كان، وذكر الأنبياء والقصص. ويقال: إنه شرف لك، لأنه معجزة تدل على صدقك».

والمشار إليه في الوجهين القرآن و «الذكر» في أولهما أخبار الأنبياء، وفي ثانيهما شرف للشيء، خلافاً لمن سبقه؛ حيث إن المشار إليه عندهم أخبار الأنبياء، و «الذكر» الشرف لهم لا للشيء عليه.

وسنبحث في العنوان العشرين معنى «الشرف» في بعض الآيات.

٣ - وفي قبال ذلك كله قول جملة منهم إن المراد بـ ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ الانتقال من باب إلى باب آخر. قال الزمخشري: «أي هذا نوع من الذكر وهو القرآن. لما أجرى ذكر الأنبياء وأسمه، وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه، وأراد أن يذكر على عقبه باباً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها».

لقمان: ١١، أي إن كتب الذكر أي الكتب الدينية في تناول الناس، فانظروا هل تجدون في أحد منها أن الله شركاء وأن الله آتٍ بآياتهم آلهة؟...».

وقد حمل الطباطبائي وفضل الله أيضاً: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ على القرآن، و ﴿ذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ على سائر الكتب السماوية.

فأصل الخلاف فيها بينهم يرجع إلى أن ﴿هَذَا﴾ خصوص القرآن أو عموم الكتب المنزلة. والأول أظهر، فلاحظ.

الثالثة: الآية (١١٥): ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنْ لِلصَّالِحِينَ لَعَسَىٰ مَنَابٍ﴾.

١ - قد جاء في جملة من التفسير أن المراد بـ «الذكر» القرآن:

منها نص ابن عباس: «ذكر الصالحين، ويقال: في هذا القرآن خبر الأولين والآخريين، هذا ذكرهم من ماضي من الأنبياء».

ومنها نص الطباطبائي: «والظاهر أن الإشارة بهذا إلى القرآن، والمراد بالذكر: ما يشتمل عليه من الذكر. وفي الكلام هوذا إلى ما يندى به في السورة من قوله: ﴿وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ﴾، فهو فصل من الكلام يذكر فيه الله سبحانه ما في الدار الآخرة من ثواب المتقين وعقاب الطاغين».

ففي كلا التصيين ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى القرآن، وإنما اختلفا في ﴿ذِكْرٌ﴾، فابن عباس اعتبره ما تقدم عليه في الآيات من قصص الأنبياء عليه السلام.

والطباطبائي اعتبره ما يشتمل عليه من الذكر،

وقد أخذ منه الفخر الرازي نحوه الألويسي وابن عاشور وغيرهما - قال: «اعلم أن في قوله: ﴿ذُكِّرْ﴾ وجهين: الأول: أنه تعالى إنما شرح ذكر أحوال هؤلاء الأنبياء ﷺ لأجل أن يصبر محمد ﷺ على تحمل سفاهة قومه، فلما قم بيان هذا الطريق وأراد أن يذكر عقبيه طريقاً آخر يوجب الصبر على سفاهة الجهال، وأراد أن يميز أحد الهابين عن الآخر، لا جرم قال: ﴿هَذَا ذُكِّرْ﴾ ثم شرع في تقرير الباب الثاني، فقال: ﴿وَإِنْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، كما أن المصنف إذا غم كلاماً قال: هنا باب، ثم شرع في باب آخر، وإذا فرغ الكاتب من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر قال: هذا وقد كان كيت وكيت، والدليل عليه أنصباً لما أتى ذكر أهل الجنة وأراد أن يردفه بذكر أهل النار قال: ﴿هَذَا وَإِنْ لِلطَّافِينَ﴾.

الوجه الثاني: في التأويل، أن المراد من التذكير وذكر جميل هؤلاء الأنبياء ﷺ يذكرون به أهدأ والأول هو الصحيح.

وقال ابن عريبي: «أي هذا باب مخصوص بذكر السابقين من أهل الله، المخصوصين بالعناية».

٤ - أما فضل الله فقد خالفهم بعض الشيء، وافقهم في بعض، حيث قال: «هذا التاريخ الرسالي في حركة الأنبياء والمرسلين وفي ملامحهم الروحية، وفي دعوتهم النبوية، وفي كل تضحياتهم وجهادهم وتفانيهم في خدمة الله، وإخلاصهم لطاعته. هذا ذكر للحاضر والمستقبل في خط الدعوة لكل الدعاة الرساليين، والمجاهدين العاملين، فيه كل الشرف

الكبير والثناء الجميل والخير العميم، لكل الذين يتذكرونه ويسيرون في اتجاهه الصحيح، في خط الفكر والعمل». فلاحظ الوجوه و كل محتمل، ولعل ما ذكره الفخر الرازي أقرب إلى سياق الآيات.

الرابعة: ﴿وَإِلَهُ لَذِكْرُكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ الزخرف: ٤٤، وهي من آيات العنصوان العشرين «الشرف»:

١ - وأكثرهم قالوا ما معناه: أن القرآن شرف لك وقومك، مثل القشيري حيث قال: «أي شرف لك وحسن صيت، واستحقاق منزلة».

وبعضهم كالرثماني قال: «إله لذكر لك وقومك تذكرون به أمر الدين» يعملون به».

٢ - وذكر الطوسي - ونحوه آخرون بتفاوت - للوجهين فقال:

«قيل: في معناه قولان:

أحدهما: أن هذا القرآن شرف لك بما أعطاك الله عز وجل من الحكمة وقومك، بما عرضهم له من إدراك الحق به، وإنزاله على رجل منهم. الثاني: أنه حجة تؤدي إلى العلم لك ولكل أمتك؛ والأول أظهر».

وقال ابن عطية: «يحتمل أن يريد: وإله لشرف وحمد في الدنيا، والقوم على هذا قریش، ثم العربيه وهذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وابن زيد، [إلى أن قال:]

و يحتمل أن يريد: وإله لتذكرك وموعظة، فـ «القوم» على هذا أمة بأكملها، وهذا قول الحسن

بن أبي الحسن.

وقال القرطبي: «يعني القرآن شرف لك ولقومك من قريش؛ إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم، نظيره: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْإِنشِينَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (الأنبياء: ١٠). أي شرفكم. فالقرآن نزل بلسان قريش وإياهم مخاطب، فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم، كل من آمن بذلك فصاروا عيالاً عليهم، لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم، حتى يفقوا على المعنى الذي عني به من الأمر والتبهي، وجميع ما فيه من الأنباء، فشرعوا بذلك على سائر أهل اللغات، ولذلك سمي عربياً...

وقيل: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَكُمُ لَكُمْ وَتَقْرَأُونَ﴾ يعني الخلافة، فلائها في قريش لا تكون في غيرهم.

وقال ابن عاشور: «الذكر محتمل أن يكون ذكر العقل، أي اعتدائه لما كان غير عالم به، فشمه بقدر كبر الشيء المنسي، وهو ما فتر به كثير الذكر بالتذكير، أي الموعظة. ويحتمل ذكر اللسان، أي أنه يكسبك وقومك ذكراً، والذكر بهذا المعنى غالب في الذكر بضمه. والمعنى أن القرآن سبب الذكر، لأنه يكسب قومه شرفاً يؤذكرون بسببه. [إلى أن قال:]

ففي لفظ ﴿ذُكِّرْ﴾ محسن التوجيه، فإذا ضم إليه أن ذكره وقومه بالثناء، يستلزم ضم من خالفهم، كان فيه ترميض بالمعرضين عنه.

وقال الطباطبائي: «الظاهر أن المراد بالذكر ذكر الله، وبهذا المعنى تكرر مراراً في السورة... وعن أكثر المفسرين أن المراد بالذكر الشرف

الذي يذكر به، والمعنى وإله لشرف عظيم لك ولقومك من العرب تذكرون به بين الأمم».

وقال مكارم الشيرازي: «فإن الهدف من نزوله إيقاظ البشر، وتعريفهم بتكالييفهم ﴿وَسَوْفَ نُسْطُونَ﴾ وبناء على هذا التفسير فإن الذكر في هذه الآية يعني ذكر الله سبحانه، ومعرفة الواجبات الدينية، والاطلاع على تكاليف البشر، كما ورد هذا المعنى في الآيتين: ٥ و ٣٦، من هذه السورة، وكثير من آيات القرآن الأخرى. [إلى أن قال:]

إضافة إلى أن جملة: ﴿وَسَوْفَ نُسْطُونَ﴾ تشهد بأن المراد هو السؤال عن العمل بهذا البرنامج الإلهي. ثم ذكر القول بأن المراد به «الشرف» وردة تفصيلاً، ويبدو أن هذا القول أقرب إلى الحق، فلاحظ.

وكذلك ذكر فضل الله القولين واختصار الأول بـ «سبحان واضح» ورد الثاني بقوله: «وهو غير واضح، لأن القرآن ليس امتيازاً اجتماعياً لقوم النبي يحصلون عليه، بل هو مؤولية فكرية وعملية في خط الاستقامة على طريق الله، فهو لا يمثل حالة شخصية أو قومية، بل حالة رسالية، كما يوحى به قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَسَوْفَ نُسْطُونَ﴾».

الخامسة: (١٢٣): ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ ١- وقد اتفقوا على أن المراد به: القرآن مع اختلاف في معناه، هل أريد به أخبار السابقين، أو الموعظة للمؤمنين به؟

فالأول قال فيه ابن عباس: «قد أكرمناك بالقرآن فيه خبر الأولين والآخرين».



وقال الطوسي - ومثله آخرون - : « علمًا بأخبار الماضين ».

وقال الزمخشري - وقد جمع بين الوجهين، ومثله آخرون - : « يعني القرآن مستملاً على هذه الأقسام والأخبار الحقيقة بالتفكير والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم، فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه ».

وقال الطباطبائي - ونحوه الخطيب وفضل الله - : « المراد به القرآن الكريم أو ما يستمل عليه من المعارف المتنوعة التي يذكر بها الله سبحانه من حقائق وقصص وعبر وأخلاق وشرائع وغير ذلك ».

والثاني: قال الطبري: « وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكراً يتذكر به، ويتخط به أهل العِلِّ والفهم، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه، فجعله ذكرى للعالمين ».

وقال الطبرسي: « يعني القرآن لأن فيه ذكراً كل ما يحتاج إليه من أمور الدين ».

وقال ابن عربي: « أي ذكراً ما أعظمه، وهو ذكر الذات الذي يشمل مراتب التوحيد ».

وقال ابن عاشور: « إيماء إلى أن ما يخص من أخبار الأمم ليس المقصود به قطع حصّة الزمان ولا إيناس السامعين بالحديث، إنما المقصود منه العبرة والتذكّرة وإيقاظ لبصائر المشركين من العرب إلى موضع الاعتبار من هذه القصّة، وهو إعراض الأمة عن هدي رسولها وانصياعها إلى تضليل المضللين من بينها، فللايماء إلى هذا قال تعالى: ﴿ وَتَذَكَّرْ أَتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَخِيزُ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ وَزُرَّا ﴾ خالدين فيه ».

وتنكير ﴿ ذِكْرًا ﴾ للتعظيم، أي آتيناك كتاباً عظيماً ».

٢ - وشذ من قال: المراد بالذكر فيها « الشرف » كما يسهل قال: « شرفاً وذكراً في الناس ».

٣ - وبعضهم ذكر وجوهاً لتسمية القرآن بـ ﴿ ذِكْرًا ﴾، قال الفخر الرازي - بعد ذكر جملة من الآيات التي أطلق فيها « الذكر » على القرآن - : « وفي تسمية القرآن بالذكر وجوه »:

أحدها: أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ودنياهم.

وثانيها: أنه يذكر أنواع آلاء الله تعالى ونعمائه، فيه التذكير والمواعظ.

وثالثها: فيه الذكر والشرف لله ولقومك، على ما قال: ﴿ وَإِلَهُ لَذِكْرُكَ ﴾ ولقومك ﴿ الزخرف: ١٤ ».

وأعلم أن الله تعالى سمي كل كتبه ذكراً، فقال: ﴿ فَاسْتَفْهِمُوا آلَ الذِّكْرِ ﴾ التحل: ٤٣ ».

وقال القرطبي: « وسمي القرآن ذكراً لما فيه من الذكر، كما سمي الرسول ذكراً، لأن الذكر كان ينزل عليه. وقيل: ﴿ أَتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ أي شرفاً، كما قال تعالى: ﴿ وَإِلَهُ لَذِكْرُكَ ﴾ ولقومك ﴿ الزخرف: ١٤ »، أي شرف وترويه باسمك ».

وقال مكارم الشيرازي: « كلمة « ذكر » في كثير من الآيات تشير إلى القرآن نفسه، لأن آياته سبب لتذكّر وتذكير البشر، والوعي والخطر ».

الصف الثالث: ذكر الأنبياء عليهم السلام والإنسان والمهاجرين والكفار: آية (١٢٧-١٤٥):

١٢٧- ﴿وَاذْكُرْ آخَا عَادٍ إِذْ أَدْرَأْنَاهُ بِالدَّرِّ قَوْمَهُ بِالْأَخْطَافِ وَقَدْ خَلَّاتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِلَيَّ آخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأحقاف: ٢١  
١٢٨- ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ

صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٤١

١٢٩- ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَةَ إِبْرَاهِيمَ إِنْ شِئْتَ وَيُقْرَبُ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَنْصَارِ﴾ ص: ٤٥

١٣٠- ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ ص: ٤٨

١٣١- ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِذْ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥٤

١٣٢- ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَةَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَيْسَ مِنِّي الشَّيْطَانُ يُلْغِي فِيَّ عَذَابِي﴾ ص: ٥١

١٣٣- ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِيذِينَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥٦

١٣٤- ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ لَوْ عَصَوْنَ وَاصْبِرُوا عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتِلْكَ أَسْمَاءُ هَوَاجَا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف: ٨٦

١٣٥- ﴿قَالُوا اللَّهُ تَعَالَى أَكْذَرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ خَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يوسف: ٨٥

١٣٦- ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِذْ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥١

١٣٧- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْقُرْآنَ

وَحِينَئِذٍ وَفُكِّرَ الْمُنَجِّينَ﴾ الأنبياء: ٤٨

١٣٨- ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ نَبِيًّا نَسِيتُ الْوَعْدَ وَمَا أَنَسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الكهف: ٦٣

١٣٩- ﴿فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَالْقَوْمُ أُخْرَى إِلَى اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِصَبِيرٍ بِالْعِيَادِ﴾ المؤمن: ٤٤

١٤٠- ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِذْ آوَى إِلَى الْكَافِرِينَ﴾ ص: ١٧

١٤١- ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ آخِهَا نَكَاحًا شَرِيفًا﴾ مريم: ١٦

١٤٢- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ الدهر: ١

١٤٣- ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَتَيْتُمْ قَلِيلًا مُّسْتَعْصِفُونَ فِي الْأَرْضِ مُخَافُونَ أَنْ يَنْقُضَ كَيْدَ النَّاسِ فَاوْثَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُجَازُونَ وَيُرَوِّدُوكُم مِّنَ الْعُلِيِّاتِ لِأُتْلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ لَّدُونِ﴾

الأنفال: ٢٦

١٤٤- ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ لَوْ أَنَّا عَجِلْنَا ذُكِّرْنَا مِنَ الْأُولَى﴾ الصافات: ١٦٧، ١٦٨

١٤٥- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنُتُمْ فِي الْفُسُكُمُ عَلَيْهِمُ اللَّهُ أَلَكُمْ سِتْرٌ تَكُونُونَ وَلَكِنْ لَا تُؤْخِذُوا عَنْ سِيرَةٍ﴾

البقرة: ٢٣٥

١- أكثرها إلى الآية (١٤١) راجع إلى الأنبياء وأهمهم: ابتداء من هود ﴿أَخَا عَادٍ﴾ وانتهاء بمريم وعيسى عليهما السلام، وواحدة (١٤٢) راجعة إلى ﴿الْإِنْسَانِ﴾

وواحدة (١٤٣) إلى المهاجرين في البدر وواحدة



الله فيما شاء من عذابهم، فاستغفاه، ورضي بنوابه، وغرض أمرهم إلى الله تعالى في عفوهم، ورواه أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام، لاحظ: إسماعيل.

ج - أيوب وإدريس أيتان (١٣٢ و ١٣٣):

١٣٢ - ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ كَادَىٰ رَبُّهُ أَنَّهُ مَسِيَّ الشَّيْطَانِ يُضَيِّرُ وَغَدَابَ﴾.

١٣٣ - ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا﴾.

١ - قال الطبرسي (٤: ٤٧٨): «﴿وَأَذْكُرْ﴾ يا محمد ﴿عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ شرفه الله سبحانه بأنه أضافه إلى نفسه، واقتد به في الصبر على الشدائد، وكان في زمان يعقوب بن إسحاق، وتزوج «ليسا» بنت يعقوب. ﴿إِذْ كَادَىٰ رَبُّهُ﴾ أي حين دعا ربه رافقاً صوته، يقول: يا رب، لأن القداء هو الدعاء بطريقة ~~التي~~ مَسِيَّ الشَّيْطَانِ يُضَيِّرُ وَغَدَابَ﴾ أي بتضيق ومكره ومشقة.

وقيل: بوسوسة، فيقول له: طال مرضك، ولا يرحمك ربك، عن مقاتل. وقيل: بأن يُذْكَرَ ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل والولد والمال، وكيف زال ذلك كله، وحصل فيما هو فيه من البلية، طمعاً أن يزله بذلك، ويجد طريقاً إلى تضجره، وتبرمه، فوجده صابراً مسلماً لأمر الله... لاحظ: أيوب.

٢ - قال الطبرسي (٣: ٥١٩) في إدريس: «وهو جذأب نوح عليه السلام، واسمه في التوراة «أخنوخ»، وقيل: إنه سمي إدريس لكثرة درسه الكتب، وهو أول من خط بالقلم، وكان خياطاً، وأول من خاط الثياب،

القوة على العبادة. ﴿وَالْأَبْصَارُ﴾ أي الفقه في الدين، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، ومعناه: أولي العلم والعمل. فالأيدي: العمل، والأبصار: العلم، عن أبي مسلم. وقيل: ﴿أُولَى الْأَيْدَى﴾: أولي النعم على عباده الله بالدعاء إلى الدين، والأبصار: جمع البصر، وهو العقل».

لاحظ: يدي «الأيدي»، وبص: «الأبصار» ثالثها (١٣٠): ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالتَّيْسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾.

١ - قال الطبرسي (٤: ٤٨١): «أي: اذكر لأمتك هؤلاء أبنائنا، ليقتدوا بهم، ويسلكوا طريقهم، ﴿وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ قد اختارهم الله للنبوة».

٢ - والمراد بـ ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ هنا إسماعيل بن إبراهيم، أو نبي آخر من أنبياء بني إسرائيل - كما سيأتي في إسماعيل صادق الوعد - إذ التمسق وذا الكفل كانا من أنبياء بني إسرائيل.

رابعها (١٣١): ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِذْ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

١ - قال الطبرسي (٣: ٥١٨): «﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ الذي هو القرآن ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ بن إبراهيم أيضاً ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ إذا وعد بشيء وفى به، ولم يخلف ﴿وَكَانَ﴾ مع ذلك ﴿رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ إلى جبرئيل - هو ذكر روايات في الوفاء بوصده إلى أن قال - وقيل: إن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام مات قبل أبيه إبراهيم عليه السلام، وإن هذا هو إسماعيل بن حزقيل، بعته الله إلى قومه، فسلخوا جلدة وجهه، وفرّوة رأسه، فخبره

وقيل: إن الله تعالى علمه النجوم والحساب، وعلم  
الهيأة، وكان ذلك معجزة له...»

د - قوم شعيب آية واحدة: (١٣٤): ﴿وَلَا تَقْعُدُوا  
بِكُلِّ صِرَاطٍ...﴾

١ - هذه تمة الآية قبلها: ﴿وَالِإِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ  
شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ  
جَاءَ لَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْثُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ  
وَلَا تَكْنُصُوا النَّاسَ اشْتَبَاهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ  
بِعَدَا إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ •  
وَلَا تَقْعُدُوا...﴾

٢ - قال الطبرسي<sup>٢</sup> (٤٤٧): «ثم عطف سبحانه  
على ما تقدم من القصص قصة شعيب، فقال: ﴿وَالِإِى  
مَدْيَنَ﴾ أي وأرسلنا إلى مدّين أخاهم شعيبًا، وقيل:  
إِنَّ مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، فَتُسَبِّ الْقَبِيلَةُ إِلَيْهِ قَالَ  
عطاء: هو شعيب بن نوبة بن مدّين بن إبراهيم، أو  
شعيب بن ميكيل بن يشجب بن مدّين بن إبراهيم»  
وذكر قصته، وفسر الآية.»

٣ - ثم فسر الآية الثانية - إلى أن قال :-  
«﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْتُكُمْ﴾ أي كثر عددهم،  
قال ابن عباس: وذلك أن مدّين بن إبراهيم تزوج بنت  
لوط، فولدت حتى كثر أولادها، قال الزجاج: وجائر  
أن يكون ﴿كثُرْتُكُمْ﴾ جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء،  
وجائر أن يكون عددهم قليلاً فكثُرهم.» ثم فسر  
الآية.

هـ - يوسف وموسى وسائر أنبياء بني إسرائيل

﴿يُؤْتِي الْحَيَاةَ مَن يَشَاءُ﴾ إلى مريم وعيسى عليه السلام: (١٣٥) -  
(١٤١).

إحداها (١٣٥): ﴿قَالُوا اللَّهُ تَفْتُلُ عَذْرَا  
يُوسُفَ...﴾ هذه كلام إخوة يوسف لأبيهم عندما تولّى  
عنهم، وقال: ﴿يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَيُّ ضَلَالَةٍ  
مِنَ الْعُزْنِ﴾ يوسف: ٨٤ فقد لاموا أباهم بأنه لا يزال  
يذكر يوسف، قال الطبرسي<sup>٣</sup> (٢٥٨): ﴿حَتَّى تَكُونَ  
حَرَضًا﴾ أي دكتاً فاسد العقل، عن ابن عباس، وابن  
إسحاق. وقيل: قريباً من الموت، عن مجاهد. وقيل:  
هرماً بالياً، عن قتادة والضحاك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ  
الْهَالِكِينَ﴾ أي الميتين، وإنما قالوا ذلك إشفاقاً عليه  
وتحفظاً ورحمة له...»

ثانيها (١٣٦): ﴿وَأَذْكُرُوا فِي الْكِتَابِ مُوسَى...﴾  
قال الطبرسي: «(إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا) أخلص  
اللهه من فرعون، وأخلص نفسه لأداء الرسالة، وبفتح  
اللام ﴿مُخْلِصًا﴾ يكون معناه: أخلصه الله بالنبوة،  
واختاره للرسالة، ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى فرعون  
وقومه ﴿لِيَا﴾ رفيع الشأن عالي القدر.»

ثالثها (١٣٧): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ  
الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ لاحظ: الفرقان  
والفرقان هـ، و: ضي هـ، ضياء هـ.

رابعها: (١٣٨) ﴿قَالَ آتَيْنَا إِذْ أَوْثَقْنَا...﴾

١ - هذه من تمة آيات من سورة الكهف: (٦٠) -  
(٦١) ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتِيلِهِ  
لَا تَرَحُّ حَتَّى أَتِلْغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ إذ  
كان موعد موسى لقاء خضر عند مجمع البحرين، فلما

قال موسى لغناه: ﴿أَيْتَا غَدَاءَنَا...﴾ قال فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُبْرَ...﴾ فقال موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْثِدْ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾

٢- قال الطبرسي: «أكثر المفسرين: على أنه موسى بن عمران، وفتاه يوشع بن نون، وسماء لهاء، لأنه صحبه، ولازمه سفرًا، وحضرًا، للتعلم منه، وقيل: لأنه كان يخدمه، ولهذا قال له: ﴿إِنَّمَا غَدَاةُكَ النَّارُ﴾، وهو يوشع بن نون بن أفراتيم بن يوسف بن يعقوب، وقال محمد بن إسحاق: يقول أهل الكتاب: إن موسى الذي طلب الخضر هو موسى بن ميثا بن يوسف، وكان نبيًا في بني إسرائيل قبل موسى ابن عمران. إلا أن الذي عليه الجمهور: أنه موسى بن عمران، ولأن إطلاقه يوجب صرفه إلى موسى بن عمران، كما أن إطلاق محمد ﷺ ينصرف إلى نبينا ﷺ».

خامستها (١٣٩): ﴿فَسَيَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ...﴾  
 ١ - هذه من جملة آيات ورجعت بشأن رجل مؤمن  
 بموسى من آل فرعون، ابتداءً من الآية: ٢٨، من سورة  
 المؤمن: ﴿وَقَالَ وَجُزْءُ مُؤْمِنٍ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكُفُّ  
 إِيمَانَهُ...﴾، إلى ٣٤: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ  
 بِالْبَيِّنَاتِ...﴾. ومن: ٣٨، ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ إلى ٤٥:  
 ﴿فَوَقَّيْهِ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا...﴾

٢- قال الطبرسي\* (٤: ٥٢٤): ﴿فَسْتَذْكُرُونَ﴾ صَعَةً ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ إذا حصلتم في العذاب يوم القيامة. وقيل: معناه فستذكرون عند نزول العذاب

بكم، ما أقول لكم من النصيحة، ﴿وَأَقْوَمُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي أسلم أمري إلى الله، وأتوكل عليه، وأعتمد على لطفه، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِصِرِّ الْيَتَادِ﴾ أي عالم بأحوالهم، وجاهل بقلوبهم من طاعة ومعصية، وأظهر إيمانه بهذا القول: ﴿قَوْلَهُ اللَّهُ سُبَاتِ مَا مَكُرُوا وَخَلَقَ بِأَلْفِرْعَوْنَ سُوهُ الْقَذَابِ﴾...».

سادستها (١٤٠): ﴿هُوَ أَذْكُرٌ عِنْدَ تِلْكَ ذِكْرًا...﴾.  
قال الطبرسي: «(ذَا الْأَيْدِي) أي ذا القوة على  
العبادة عن ابن عباس، ومُجَاهِد. وذكر أنه يقوم  
نصف الليل، ويصوم نصف الدهر، كان يصوم يومًا،  
وينظر يومًا، وذلك أشد الصوم. وقيل: ذا القوة على  
الأعداء وفهرهم... وقيل: معناه ذا الشُّمُوكِين العظيم،  
والثَّهْمِ العظيم...».

سَمِعْتُهَا (١٤١): ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرِّمًا...﴾  
 بِشَأْنِ مَرْيَمَ وَابْنِهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْتِدَاءً مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ:  
 وَهِيَ ١٦ إِلَى ٣٧: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ...﴾

٢- قال الطبرسي: «ثم عطف سبحانه قصة مريم وعيسى عليهما السلام على قصة زكريا ويحيى عليهما السلام، فقال: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ أي في كتابك هذا، وهو القرآن، أي حديث مريم وولادتها عيسى، وحملها ليقندي الناس بها، وتكون معجزة لك ﴿إِذْ تَبَثَّتْ مِنْ أَمْلِهَا مَكَالًا شَرْفِيًّا﴾ أي انفردت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق، وقعدت ناحية منهم، قال ابن عباس: إنما اتخذت القصارى المشرق قبلة، لأنها انتبخت مكانًا شرفيًا. وقيل: اتخذت مكانًا تنفرد فيه

للعباد، لئلا تشتغل بكلام الناس، عن الجبائي. وقيل: تباعدت عن قومها حتى لا يرونها عن الأصم. وأبي مسلم. وقيل: إنها عثت أن تجد خلوة فتغلي رأسها. فخرجت من يوم شديد البرد، فجلست في مشقة الشمس، من عطاء.

و - الإنسان: آية واحدة: (١٤٢): ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ...﴾ <sup>الذهر: ١</sup>  
١ - هذه أول آية من سورة الدهر قال الطبرسي: ﴿هَلْ أَتَى﴾ معناه: قد أتى ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ أي ألم يأت على الإنسان ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ وقد كان شيئاً، إلا أنه ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مذكوراً﴾ لأنه كان تراباً وطيناً، إلى أن نفخ فيه الروح، عن الزجاج. وعلى هذا (هل) هنا استفهام يراد به التقرير قال الجبائي: وهو تقرير على اللطف الوجوه، وتقريره: أنها المنكر للصانع وقدرته، أليس قد أتى علوه مذكوراً لم تكن شيئاً مذكوراً، ثم ذكرت، وكل أحد يعلم من نفسه أنه لم يكن موجوداً ثم وجد، فإذا تفكر في ذلك علم أن له صنائعاً صنعته، ومحدثات أحدثته.  
ثم ذكر المراد - ﴿الإنسان﴾ لاحظ: أن س: «الإنسان».

٢ - لقد جاء من مادة «الذكر» اسم المفعول مجرداً مرة في هذه الآية، وجاء اسم الفاعل جمعاً مذكراً مرتين، ومؤنثاً مرة في: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كُنْهراً﴾ والذَّاكِرَاتِ... الأحزاب: ٣٥، و﴿ذَلِكَ ذُكِّرَ لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود: ١١٤، على المرتغم من مجيء المشتقات منها مجردة ومزيدة، في ٢٤٦ آية.

ز - المؤمنون آيتان: أولاهما: (١٤٣): ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تُخَافُونَ أَنَّ يُتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَوَرَقَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ لِغَلَكُمْ فَتَشْكُرُونَ﴾.

١ - هذه من تمة آيات من سورة الأنفال، من الله بها على المجاهدين في غزوة بدر وحذرهم من الفتنة، وقبلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَنَومِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهٌُ مُخْتَارٌ﴾. و﴿تَقْرَأُونَ﴾. ﴿لَا تَصْهِنُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. و﴿اذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ...﴾.

٢ - قال الطبرسي: «الذكر: ضد السهو، وهو إحصاء المعنى للنفس». ونقول: معنى «الذكر» فيها هو إحصاء حالة المؤمنين قلباً حين كانوا قسطين ذكر القلب فلفظ من دون التلطف لساناً، بخلاف الآيات المتقدمة بشأن الأنبياء <sup>عليهم السلام</sup> مثل (١٢٨): ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ...﴾ فالمراد به «الذكر» فيها - كما تقدم في تفسيرها - التلاوة، وذكر هؤلاء الأنبياء في القرآن تلاوة: لساناً وقلباً.

٣ - وقال: «ثم ذكر سبحانه حالتهم السَّالفة في القلة والضعف، وإتمامه عليهم بالتصر والتأييد والتكثير، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا﴾ معشر المهاجرين ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ في العدد، وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الإسلام ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ يطلب ضعفكم بتوهم أمركم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي في مكة، عن ابن عباس،

والْحَسَنُ ﴿وَصَافُونَ أَنْ يَشْغَلَكُمْ الْإِنْسُ﴾ أي  
يستلبكم المشركون من العرب إن خرجتم منها.  
وقيل: إنه يعني بالإنس كفار قريش، عن قتادة،  
وعكرمة، وقيل: فارس، والسروم، عن ولب  
﴿فَأَوْيَكُمْ﴾ أي جعل لكم مأوى ترجعون إليه، يعني  
المدينة دار الهجرة، ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ أي قواكم،  
وآدام تفسيرها.

وثانيهما: (١٤٤): ﴿وَلَا يَتَّبِعْ عَلَيْكُمْ فِيمَا  
عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النَّاسِ﴾.

١- هذه من تسعة آيات من سورة البقرة في أحكام  
التكاح والطلاق، ابتداء من الآية: ٢٢١، ﴿وَلَا تَنْكِحُوا  
الْمُشْرِكَاتِ﴾ إلى الآية: ٢٤٢، ﴿كَذَلِكَ يَتَبَيَّنُ اللَّهُ  
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وهي خاصة تشريع خلال  
آيات الصنف الثالث.

٢- والمراد بها المنع عن مواعدة المطلقات كسرا  
للزواج من قبل الآخرين غير الزوج المطلق، إلا  
بالتعريض من خطبتهن بقول معروف، وقال: ﴿عَلِمَ  
اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤْاِئِدُوهُنَّ سِرًّا﴾  
٣- وقد نهى في آخرها عن عقدة نكاحهن حتى  
يبلغ الكتاب أجله.

٤- قال الطبرسي (١: ٣٣٨): «التعريض: ضد  
التصريح، وهو أن تضمن الكلام دلالة على ما تريد.  
وأصله من العرض من الشيء الذي هو جانبه وتاجه  
منه - إلى أن قال - والفرق بين التعريض والكناية: أن  
التعريض: تضمن الكلام دلالة على شيء ليس فيه  
ذكر له، والكناية: العدول عن الذكر الأخص بالشيء»

إلى ذكر يدل عليه...».

٥- وقال: «والخطبة: الذكر الذي يستدعي به  
إلى عقدة التكاح، أخذ من «الخطاب» وهو توجيه  
الكلام للإلهام».

٦- وقال: «والعقدة: الإكنا: الستر للشيء.  
والكن: الستر أيضا».

ح- المشركون آية: (١٤٥) ﴿لَوْ أَنَّ عِثْرًا ذُكِّرَ آمِنَ  
الْأَوَّلِينَ﴾

١- جميع آيات هذا الصنف جاءت بصيغة الفعل،  
سوى ثلاث آيات: اثنتان منها مصدر (١٣٧) ﴿وَذُكِّرًا  
لِلْمُتَّحِينَ﴾ و (١٤٥) ﴿لَوْ أَنَّ عِثْرًا ذُكِّرَ﴾، و واحدة  
اسم مفعول (١٤٢) ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾.

٢- وقبلها ابتداء من الآية (١٤٩) من سورة  
الصافات: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَزْ يُنَالُ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾  
إلى الآية (٢٠٤) ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَبِينِ﴾ لوم  
للمشركين على عقائدهم الباطلة، ثم قال بعدها ﴿وَمَا  
مِثْلُ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ \* وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّافُونَ \* وَإِنَّا  
لَنَعْنُ الْمُسَبِّحُونَ \* وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ \* لَوْ أَنَّ عِثْرًا  
ذُكِّرَ آمِنَ الْأَوَّلِينَ \* لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ \*  
فَتَكْفُرُوا بِهِ فُسُوقٌ يَعْلَمُونَ﴾.

وقد اختلفوا في موضعين منها:

أحدهما: ﴿وَمَا مِثْلُ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾.

وثانيهما: في مرجع الضمير في ﴿لَيَقُولُونَ﴾.

قال الطبرسي (٤: ٤٦١) في الأول: «هذا قول  
جبرائيل للنبي ﷺ وقيل: إنه قول الملائكة، وفيه  
مضمر: أي وما مثنا معشر الملائكة مذكور إلا له مقام



معلومه. [إلى أن قال:]

في ثانيهما: «والمعنى أن هؤلاء الكفار يعني أهل مكة كانوا يقولون...» فقد أرجعها إلى ما قبل الآيات: ﴿وَعَامِلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ تنقصة لآراء المشركين، فلاحظ. هذا تمام الكلام في الصنف الثالث.

#### الصنف الرابع: الذكري والتذكر

وله سبعة عناوين:

أ - ذكرى للمؤمنين وغيرهم: ١٨ آية: (١٤٦) - (١٦٣):

١٤٦ و ١٤٧ - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي

أَيَّامِنَا فَانصُرْهُمْ عَلَىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِفُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بِهِدَ الذِّكْرِ مِّنْ أَتَقَرُّمُ الظَّالِمِينَ ۖ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ جُنَاحِهِمْ مِن شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَهُمْ قُرْآنٌ مِّن قَبْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

الأنعام: ٦٨، ٦٩

١٤٨ - ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَتَقْدِرُ قُلْ لَا أَتَسْتَأْذِنُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

الأنعام: ٩٠

١٤٩ - ﴿كِتَابُ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صُدُورِكْ

خَرَجٌ مِّمَّنْ لِّتُلَدِّرُوا بِهِ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ٢٠

١٥٠ - ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنَا مِمَّا نُنزِّلُ الْكُتُبَ فِيهَا وَلَكِنَّهُ يُدْرِكُ الْبَاطِلَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَنُوحِطُهُ وَذَكَرَىٰ

لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ١٢٠

١٥١ - ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ

الْأَمَلِ إِنْ أَحْسَنْتَ يُدْهِبِ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَىٰ

لِلذَّاكِرِينَ﴾

هود: ١١٤

١٥٢ - ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

يَتْلُو عَلَيْهِمْ إِن فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْعَوْمِ يُؤْمِنُونَ﴾

العنكبوت: ٥١

١٥٣ - ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّا لَهُ فُكِّشْنَا مَا بِهِ مِنْ خِصْرٍ

وَالنَّهَاءِ أَظْلَمَ وَبَيَّنَّا لَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَذَكَرَىٰ

لِلْعَابِدِينَ﴾ الأنبياء: ٨٤

١٥٤ - ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا لَهَا مَسِيرُونَ ۝

ذَكَرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩

١٥٥ - ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِطَالِيسَةٍ ذَكَرَىٰ الدَّارِ﴾

ص: ٤٦

١٥٦ - ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

الذَّخَان: ١٣

١٥٧ - ﴿لَنُصْرِبَنَّ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ ضَالٍّ مُّشِيٍّ﴾ ق: ٨

١٥٨ - ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ

أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق: ٣٧

١٥٩ - ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ وَنُوحِطُهُمْ مِّنْ

الْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن

يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يُظِلُّهُ جُودَرٌ بَلَا إِلَّا هُوَ وَمَا

يَهْدِي إِلَّا ذَكَرَىٰ لِلنَّاسِ﴾ المدثر: ٣١

١٦٠ - ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يُزَكِّي ۖ أَوْ يَذْكُرُ

فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ عبس: ٤، ٣

١٦١ - ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ

الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ العج: ٢٢

١٦٢ - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا ۖ

قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ أَنَّهَا آتِيَةٌ ۚ إِنَّمَا الْغَايَةُ عِنْدَ رَبِّكَ ۚ

التازعات: ٤٢، ٤٣

١٦٣ - ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً  
فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَلْهَى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾

محمد: ١٨

١ - التت الأولى (١٤٦ - ١٥١) راجعة إلى  
القرآن، والثلاث الأخيرة (١٦١ - ١٦٣) راجعة إلى  
يوم القيامة، والباقي إلى غيرها.

٢ - قال الطوسي في الأولى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا عَنْ  
الذِّكْرِ﴾: «الذكرى والذكر واحد».

وقال في الرابعة (١٤٩): «الذكرى» مصدر ذكر  
يذكر تذكرًا، فالذكرى اسم للذكر، وفيه مبالغة،  
ومثله الرجمي. ووافقه ابن عطية: حيث قال:  
«معناه تذكرة وإرشاد». ويؤيده: ﴿فَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
نَسُوا الذِّكْرَ﴾ ومثله ابن عاشور في الآية. وقال  
البروسوي: «بعد أن تذكره، فهو مصدر بمعنى الذكر»  
ولم يبين مصدر على فعل غير ذكرى. وهذا هو الحق.

لقول ابن عباس: «بعد ما ذكرت». وقول  
الزمخشري: «بعد أن تذكر الله». لكن الظاهر أن  
﴿الذكرى﴾ هنا بمعنى «التذكر». قال ابن عاشور:  
«بعد أن تتذكر الأمر بالإعراض، فـ ﴿الذكرى﴾ اسم  
للتذكر وهو ضد التسيان، فهي اسم مصدر، أي إذا  
أغفلت بعد هذا فقدت إلهم فإذا تذكرت فلا تقصد،  
وهو ضد فأعرض، وذلك أن الأمر بالشئ نهى عن  
ضده».

٣ - قال ابن عباس: ونحوه الزجاج - في الثانية  
﴿وَلَكِنْ ذِكْرِي﴾: «ذكرهم بالقرآن».

وقال الطبري - ومثله الطوسي وغيره - «معنى

الذكرى: الذكر، والذكر والذكرى بمعنى».

١ - وقالوا في ﴿لَكِنْ ذِكْرِي﴾: في هذه الآية  
وغيرها: موضع ﴿ذِكْرِي﴾ نصب بفعل مضمر، أي  
تذكرهم ذكرى، أو رفع، أي ولكن هو ذكرى.

وأضافوا الجر في مثل الرابعة (١٤٩): ﴿لِتُذَكِّرَهُ  
وَذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفًا على موضع ﴿لِتُذَكِّرَهُ﴾.  
ولكن قال الرماني - على نقل الطوسي -: «هذا  
ضعيف، لأنه لا يجوز أن يحصل الجر على التأويل، كما  
لا يجوز مررت به وزيد».

وقال الطباطبائي: «التذكرة هي إحياء الذكر  
فمن نسي الشئ». ثم ذكر وجه التسيان كما هو  
موجود في فطرة الإنسان فلاحظ كلامه في هذه الآية.

بها التذكرة ١١ آية: (١٦١ - ١٧٤)

١٦٤ - ﴿مَا أَرْزَأْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِنُنْشِئَ بِهِ  
ذِكْرًا لِمَنْ يَنْشِئُ﴾

طه: ٢، ٣

١٦٥ - ﴿لَعَنَ جَعَلْنَاكَ ذِكْرًا وَمَتَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾  
الواقعة: ٧٣

١٦٦ - ﴿لِتَجْعَلَهَا لَكُمْ ذِكْرًا وَنِعْمَةً لِّأُولِي  
الْبَالِ﴾

١٦٧ - ﴿وَاللَّهُ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾

١٦٨ - ﴿إِنْ هَذِهِ ذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ الْخُذْ إِلَى رَبِّهِ  
سَبِيلًا﴾

١٦٩ - ﴿فَسَاءَ لَهُمْ مِنَ الذِّكْرِ مَقَرٌّ وَمِسْكَنٌ﴾  
المدثر: ٤٩

١٧٠ و ١٧١ - ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾  
المدثر: ٥٤، ٥٥

ذكره

١٧٢ - ﴿إِنْ هَلِيمٌ تَذْكِرَةٌ فَتَنْ شَاءَ الْخِذْلَى

رَبُّهُ سَبِيلًا﴾ الذهر: ٢٩

١٧٣ و ١٧٤ - ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ \* فَتَنْ شَاءَ

ذِكْرُهَا﴾ عيس: ١١، ١٢

١ - قال الماوردي في معني (١٦٤): ﴿إِلَّا تَذْكِرَةٌ

لِمَنْ يَخْشَى﴾ «فيه وجهان: أحدهما: إلا إنذارا لمن يخشى الله.

والثاني: إلا زجرا لمن يخشى الذنوب».

وقال الفخر الرازي: «وجه كون القرآن تذكرة

أتمه ﷺ كان يعظهم به وبيانه، فيدخل تحت قوله: لمن يخشى الرسول ﷺ، لأنه في الخشية والتذكرة بالقرآن كان فوق الكل».

٢ - وقال القشيري تأويلاً: «القرآن قصيدة

لذوي العقول، تذكرة لذوي الوصول، فهو لا يستبصرون، فينالون به راحة النفس في أسهلها، وهؤلاء به يذكرون فيجدون روح الأتس في عاجله».

٣ - ذكر الطبري: «وكذا الرتمخصري وغيرهما -

المخلاف في وجه نصب ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ في أمثالها بما لاحاصل تحتها. فلاحظ النصوص في هذه الآية.

٤ - قالوا في (١٦٥) ﴿لَعَنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾

«جعلنا النار تذكرة وعظة ليتذكر بها المؤمن في الدنيا».

٥ - الآية (١٦٧) ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أريد

بها القرآن، وهي عطف على الآية: ٤٠، من السورة: ﴿وَإِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾. وكذلك الآيات قبلها وبعدها، فلاحظ.

ج - تذكر أولي الآيات ٩ آيات (١٧٥ - ١٨٣)

١٧٥ - ﴿أَفَسَنْ يَغْلِبُ أَلَمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ

كَتَبَ هُوَ أَعْنَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْتَابِ﴾ الرعد: ١٩

١٧٦ - ﴿كِتَابُ الْأَرْشَادِ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لَيْدُهُمْ وَأَتَابِهِ

وَيَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْتَابِ﴾ ص: ٢٩

١٧٧ - ﴿... وَالرَّاسِطُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ

كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْتَابِ﴾

آل عمران: ٧

١٧٨ - ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا

أَلَمَّا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَيَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْتَابِ﴾ إبراهيم: ٥٢

١٧٩ - ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا

الْأَلْتَابِ﴾ البقرة: ٢٦٩

١٨٠ - ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءُ الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا

يَعْلَمُ الْأَوْرَثَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ

يَغْلِبُونَ وَالَّذِينَ لَا يَغْلِبُونَ إِلَّا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْتَابِ﴾

الزمر: ٩

١٨١ - ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً... إِنْ فِي

ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْتَابِ﴾ الزمر: ٢١

١٨٢ - ﴿وَوَعَدْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا

وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْتَابِ﴾ ص: ٤٣

١٨٣ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا

بَنِي إِسْرَآئِيلَ الْكِتَابَ \* هُدًى وَذِكْرَى لَأُولِي

الْأَلْتَابِ﴾ المؤمن: ٥٣، ٥٤

١ - الأربع الأولى منه توصف للقرآن بأشياء:

ففي (١٧٥) إنه حق وأن العالم بأنه حق ليس

في ثلاث: (١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩). لاحظ خصوص هذه الآيات التسع ولا سيما نص الطبرسي:

«تذكر وتذكر سائر الناس، ٣ آيات: (١٨٤ - ١٨٦):

١٨٤ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُنْصَرُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٦  
١٨٥ - ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا لَعْنَلِ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْلَمُ أَوَلَمْ نُقْصِرْكُمْ مَا يَكْفِيكُمْ مِنْ عَذَابِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ كُفَّارًا﴾ فاطر: ٣٧  
١٨٦ - ﴿... فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ كَرِهْتُم مِّنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِخْرَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْتِيَنَّ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا...﴾

البقرة: ٢٨٢

١ - «الآية الأولى منها (١٨٤): توصيف للمؤمنين، بأنهم إذا مسهم الشيطان تذكروا، وأنهم مبصرون. والثانية (١٨٥): إنذار للظالمين بعذاب الآخرة، وأنهم يطلبون التجاة منه، فلا يقبل منهم. والثالثة (١٨٦): تشريع جاءت في الشهادة على الذين، فلاحظ الخصوص.

٢ - وجاء «الذكر» فيها مزيداً: من «التفصيل» في الثالثة: ﴿فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ ومن «التفصيل» في الأوليين ماضياً ومضارعاً بثلاث صيغ: ﴿تَذَكَّرَ - يَتَذَكَّرُ - تَذَكَّرُوا﴾

٣ - «لعلكم» - أو - «لعلهم يتذكرون» ١٧ آية: (١٨٧ - ٢٠٣):

«لعلكم يتذكرون» ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٧) وفي (١٧٨) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي (١٧٩) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

وفي (١٧٦) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي (١٧٧) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي (١٧٨) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي (١٧٩) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

وفي (١٧٧) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي (١٧٨) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي (١٧٩) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي (١٧٦) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

وفي (١٧٨) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي (١٧٩) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي (١٧٦) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي (١٧٧) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

٢ - والخامسة (١٧٩) توصيف للحكمة.

٣ - والسادسة (١٨٠) فرق بين العلم والجهل.

٤ - والسابعة (١٨١) أن في إزال الماء من السماء آثاراً...

٥ - والثامنة (١٨٢): توصيف لا يعرفها إلا «الآية الأولى منها (١٨٤): توصيف للمؤمنين، بأنهم إذا مسهم الشيطان تذكروا، وأنهم مبصرون.

٦ - والتاسعة (١٨٣) توصيف للتوراة.

٧ - وقد ذيل الله هذه الآيات التسع التي من فيها بعمه على عباده - وأجلها القرآن - بذيل، وهو أن أولي الألباب - دون غيرهم - هم الذين يتذكرون عظم هذه النعم العظام، ويمتدرونها، ويشكرون الله عليها. «لاحظ: ل ب ب: «أولي الألباب».

٨ - وقد جاء فيها «الذكر» مزيداً من بابين: «التفصيل» ﴿فَذَكَّرَى﴾ في ثلاث آيات: (١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣) ﴿فَذَكَّرَى لَاُولَى الْأَلْبَابِ﴾، و «التفصيل»: ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ في ثلاث: (١٧٥ و ١٧٦ و ١٨٠) و ﴿يَتَذَكَّرُ﴾

١٩٧- ﴿وَلَقَدْ خَرَّسْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ سِنًا

كُلُّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الزمر: ٢٧

١٩٨- ﴿فَالَمَّا بَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

الدخان: ٥٨

١٩٩- ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَرْسَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا مِمَّا رَزَقْنَا

كُمْ وَارْبَعًا وَارْبَعًا وَارْبَعًا وَارْبَعًا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٦

٢٠٠- ﴿فَالَمَّا تَخَفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَدَبِهِمْ مِنْ

خَلْقِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الأملال: ٥٧

٢٠١- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا

مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ١٣٠

٢٠٢- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ مَا

أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ الْأَوَّلِيَّ نَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص: ٤٣

٢٠٣- ﴿فَقُولَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ

يَخْشَى﴾ طه: ٤٤

١- الآيات الثلاث عشر الأولى (١٨٧- ١٩٩)

إشارة إلى القرآن وآياته، أنزلها لهذه الأمة لعلمهم

بتذكرون بها، و (٢٠٠) تشرع في التشريع بالكفار في

الحرب لينذروا، و (٢٠١) في أخذ آل فرعون

بالسنين لعلمهم بتذكرون بها، و (٢٠٢) إشارة إلى

عالتوراة أنزلها الله على موسى هدى ورحمة لبني

إسرائيل، لعلمهم بتذكرون بها، و (٢٠٣) قول

موسى وهارون لفرعون لعلمه بتذكروا ويخشى.

٢- نتيجة تذكركم الله في الجميع تذكركم الناس، أما في

الآخرة (٢٠٣) التي هي تذكركم الله، فالنتيجة

١٨٧- ﴿لَا تَكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ

فَاعْمَلُوا أَوْ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَوْ تَسُوا ذَلِكُمْ

وَصِيحُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام: ١٥٢

١٨٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا بِقَالَا سُحُبًا مُّجْتَمِعِينَ يَلْمِزُكُمْ

فَالزَّلَازِلُ بِهِ الْمَاءُ فَاتُخَرِّجُهَا مِنْ كُلِّ شُعْرَةٍ كَذَلِكَ

يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ٥٧

١٨٩- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ

ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْفِهْشَىٰ

يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠

١٩٠- ﴿سُورَةُ الزَّلَازِلِ وَأَفْرَضْنَاَهَا وَزَلَّزْنَا فِيهَا

آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ التور:

١٩١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ

بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْأَلُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ التوبة: ٢٧

١٩٢- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾ الذاريات: ٤٩

١٩٣- ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْيَقِينِ وَالْمَقْبُورَةِ بِأَذْنِ

وَتَبَيَّنَ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ البقرة: ٢٢١

١٩٤- ﴿تَوَهَّيْ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ يَأْتِيَنَّهَا وَيَضْرِبْ

اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم: ٢٥

١٩٥- ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتَنِي وَلَكِنْ

رَحْمَةً مِنْ رَبِّي لِأَعْلِزَّ قَوْمًا مَا أَفْلَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ

قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص: ٤٦

١٩٦- ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص: ٥١

المهاورة، لأنه تعالى عالم بما سيكون، والتذكر مطاوعة التذكير، فيكون قبولاً والتزاماً لما تقتضيه حجة المذكر وإيمانه به. والخشية من مقدمات القبول والإيمان، فمآل المعنى لعله يؤمن أو يقرب من ذلك، فيجيبكم إلى بعض ما تسألونه. لاحظ الخصوص في آيات «التذكر» فيها بحوث أخرى.

٧- ظاهر كلمة «لعل» في هذه الآيات وغيرها الرجاء، وهو لازم التلك، فهل الله شاك في أمر من الأمور؟

والجواب ما أشار إليه الطباطبائي بقوله: «وهو قائم بمقام المهاورة، لابه تعالى العالم بما سيكون».

«مراده أن الرجاء الملازم للتلك ليس قائماً بالله تعالى، بل قائم بمقام المهاورة، لأن الذي تحاوره في أمر إيمانك هو الحق، أو لا يفيد، إلا بقدر أن يكون حقاً فيصيب العقاب لو لم يؤمن به. وهذه الخشية من مقدمات الإيمان، فربما يؤمن به بعد هذه الخشية.

و- أفلا يتذكرون: ١١ آية: (٢٠٤-٢١٤).

٢٠٤- ﴿وَحَاجُّهُ قُوَّةٌ قَالَ أَكُنَّ أَجُوبِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدِينِ وَلَا أَلْهَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِإِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

الأنعام: ٨٠

٢٠٥- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ السجدة: ٤  
٢٠٦- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

تذكر فرعون وخشيته، وإن كان تذكر الناس أيضاً قد لا يغفلوا عن الخشية. ولكن الله خصها بفرعون وبتدكار موسى وهارون له، مع أنه أمرهما بالآيتين في القول له: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَكُنَا لَهُ تِلْكَ الْهَيْكَلُ تَتَذَكَّرُونَ﴾. ٢- قال الطبرسي في تفسير ﴿قَوْلًا لَيْسَ﴾: «أي إرفقا به في الدعاء والقول، ولا تظفأ له في ذلك، عن ابن عباس، وقيل: معناه كتياء، عن السدي وعكرمة، وكنيته أبو الوليد. وقيل: أبو العباس، وقيل: أبو مرة. وقيل: إن القول للآيتين هو: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ وأهديك إلى ربك فتخشى» التارعات: ١٨، ١٩، عن مقاتل - إلى أن قال: - ﴿لَعَلَّه يَتَذَكَّرُونَ﴾ يخشى أي دعواه على الرجاء والطمع، لا على اليأس من فلاحه، موقع التمسك بها على هذا الوجه لأنه أبلغ لها في دعائه إلى الحق...»

٤- وقال أبو السود: «يتذكر» بما بلغه من الحق. ذكرى ويرغب فيما رغبته فيه.

٥- وقال ابن عاتور: «التذكر: من الذكر بضم الذال، أي النظر. وهذا رايه في آيات أخرى من التذكر أيضاً. أي لعله ينظر نظر المتبصر فيعرف الحق، أو يخشى حلول العقاب به فيطوع عن خشية لا عن تبصر. وكان فرعون من أهل الظلمان واعتقاد أنه على الحق، فالتذكر: أن يعرف أنه على الباطل، والخشية: أن يتردد في ذلك، فيخشى أن يكون على الباطل، فيحتاج لنفسه بالأخذ بما دعاه إليه موسى».

٦- وقال الطباطبائي في قوله: ﴿لَعَلَّه يَتَذَكَّرُونَ﴾ يخشى: «رجاء لتذكره أو خشيته، وهو قائم بمقام

وَالْأَرْضِ فِي سَبْعِ آيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ  
الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ  
فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾  
يونس: ٣٠

٢٠٧- ﴿مَثَلُ الْفَاسِقِينَ كَالْأَغْنَى وَالْأَصْمَى  
وَالْبَصِيرِ وَالسَّبْعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾  
هود: ٢٤

٢٠٨- ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ  
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾  
هود: ٣٠

٢٠٩- ﴿أَفَنَنْتَ بِخَلْقِ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾  
التحل: ١٧

٢١٠- ﴿سَيَقُولُونَ هَلْ نُفْلَئُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾  
المؤمنون: ٥٥

٢١١- ﴿أَحْطِمْ عَلَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ • مَا لَكُمْ  
كَيْفَ تَحْكُمُونَ • أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٥﴾  
الصافات: ٤٥-٤٥

٢١٢- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَمْسَلُ مِنْ الْأَمْرِ هَوِيَّةً وَأَضْلَمُ اللَّهُ  
عَلَى عِلْمٍ وَحُكْمٍ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ  
غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾  
الجنات: ٦٢

٢١٣- ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا  
تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾  
الواقعة: ٦٢

٢١٤- ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ  
السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾  
المؤمن: ١٣

٢- جاءت في الآيتين الأوليين: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾  
وفي الأخيرة: ﴿مَا يَتَذَكَّرُ﴾ وفي ما قبلها: ﴿فَلَوْلَا

تَذَكَّرُونَ﴾ وفي الباقي: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

٣- كان منها استغناء إنكاره بلفظ ﴿أَفَلَا  
تَذَكَّرُونَ﴾. وواحدة (٢١٣) بلفظ ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.  
وواحدة (٢١٤) خبر منفي مع استثناء: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ  
إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾.

٤- جاءت (٢٠٤) حكاية عن إبراهيم و (٢٠٨)  
حكاية عن نوح عليه السلام. والباقي خطاب إلى المشركين  
في مكة.

٥- لعل ما يتذكرون: ٤ آيات: (٢١٥-٢١٨):  
٢١٥- ﴿إِلَهُكُمْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا  
مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾  
الأعراف: ٣

٢١٦- ﴿وَلَا يَقُولِ كَإِنْ قَلِيلًا مَّا كَذَبُوا  
الْحَقَّ: ٤٢  
٢١٧- ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ  
السُّوءَ وَيَرْفَعُ خَلْقَهُ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا  
تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾  
التل: ٦٢

٢١٨- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا قَلِيلًا مَّا  
تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾  
المؤمن: ٥٨

١- كلها مكثية، وخطاب إلى المشركين ذمًا.  
٢- الأوليان منها: (٢١٥) و (٢١٦) جاءتا بشأن  
القرآن. والثالثة (٢١٧) في المنع عن الشرك، والرابعة  
(٢١٨) في عدم استواء المؤمنين والكافرين،  
والصالحين والمسيئين.

٣- جاء «الذكر» في الثلاث الأولى بلفظ:  
﴿تَذَكَّرُونَ﴾. وفي الرابعة بلفظ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ وقرئ

(يَتَذَكَّرُونَ)، وكلاهما من باب «التفعل».

٤- قال ابن عباس في الرابعة: «ما تتعظون بتقليل ولا بكثير من أمثال القرآن».

٥- وقال الطوسي فيها: «هو جار في غيرها: «يجوز أن تكون (ما) صلة، ويجوز أن تكون بمعنى المصدر، وتقديره: قليلاً ما تذكر كم».

٦- وقال ابن عاشور: «وهذا أيضاً جار في نظائرها: «(ما) مصدرية وهي في محل رفع على الفاعلية، وهذا مؤكد لمعنى قوله: «ولكن أكثر الناس لا يعلمون»، لأن حلة التذكر تؤول إلى عدم العلم، والقلة هنا كناية عن المصدم، وهو استعمال كثير، كقوله تعالى: «قل قليلاً ما يؤمنون» البقرة: ٨٨، ويجوز أن تكون على صريح معناها، ويكون المراد بالقلية عدم التمام، أي لا يعلمون، فإذا تذكروا تذكروا لا يتمونه، فينقطعون في أثنائه عن الصبر إلى استنباط الدلالة منه، فهو كعدم تركب أثره عليه».

ثم ذكر القراءة، وناقش في ما ذكره بعضهم: أن الخطاب لجميع الأمة من مؤمنين ومشركون، وأن التذكر القليل تذكر المؤمنين، فهو قليل بالنسبة لعدم تذكر المشركين، وأنه بعيد عن السياق.

٧- وقال الطباطبائي: «خطاب للناس بداعي التوبخ، وهو الوجه في الالتفات من الغيبة إلى الحضور».

و كانه لم يلغض إلى اختلاف القراءة خطاباً وغيبة لها، لاحظ: ق ل ل: «قليلاً».

الصنف الخامس: نسيان الذكر آيات:

(٢١٩-٢٢٤):

٢١٩ و ٢٢٠- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَاسِرَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْقَبْ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ فَذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ الْقَدَاوَةَ وَالنُّفْثَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يَنْبِئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

المائدة: ١٣، ١٤

٢٢١- ﴿قُلْنَا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ أَهْلَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَقٍّ إِذَا تَفَرَّقُوا بَيْنَ أَوْ لَوْ أَخَذْنَاهُمْ بَغْضَةً لَأَخَذْنَاهُمْ مِنْهُمْ مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

الأنعام: ٤٤

٢٢٢- ﴿قُلْنَا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَجَعَلْنَا لَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ أَهْلَابًا عَنَّا لِيُذَكِّرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

الأعراف: ١٦٥

٢٢٣- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْتَبِهُ لَنَا أَنْ نَشْجِدَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾

الفرقان: ١٨

٢٢٤- ﴿أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾

١- الأيمان: (٢١٩ و ٢٢٠) تخصان اليهود

والتصاري، فقوله في الأولى: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ راجع إلى اليهود في نسيانهم حظاً من التوراة.

و كذلك الآية (٢٢٢) لأنها تنمى الآية: ١٦٣، من الأعراف: ﴿وَسُئِلَهُمْ عَنِ الْقُرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً



الْبَهْرَ إِذْ يَقْدُرُونَ فِيهِ الْمُنْتَهَى.

وفي الثانية راجع إلى التصاري، حيث نسوا حفظاً من الإنجيل.

٢- قال الطبرسي في معناها: «تركوا نصيباً مما وعظوا به، ونما أمروا به في كتابهم من اتباع النبي، فصار كالمُنْسَى عندهم، ولو آمنوا به وأتبعوه، لكان ذلك لهم حفظاً، وقيل: معناه ضيعوا ما ذكرهم الله به في كتابه بما فيه رشدهم، وتركوا تلاوته، فسوه على مرّ الأيام».

٣- وأما قوله في الآية (٢٢١): ﴿فَلَسَّانُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، فراجع إلى كل آية ذكرها في الآية: ٤٢ قبلها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، والآيتين (٢٢٣ و ٢٢٤) راجعتان إلى المشركين في مكة والمنافقين في المدينة، فلاحظ.

النصف السادس: الذكر: الشرف، وفيه آيتان في آيات:

٢٢٥- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الانشراح: ٤  
٢٢٦- ﴿وَالَهُ لَذِكْرُكَ﴾ وَتَقْوَمُكَ وَتُتَوَاتَا  
نُسْتَلُونَ ﴿ الزخرف: ٤٤  
و ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ وغيرها  
كما سبق في «الذكر: القرآن» للاحظ.

١- قالوا في الأولى: «أي رفعا لك ذكرك شرفاً»  
لاحظ: رف ع: «رفعتا».

٢- وفي الثانية قال الزجاج - ونحوه - التماس والواحدى -: «معناه: والله أعلم - هذا شرف و ذكر جميل يُذكرون به في الدنيا».

وقال الطوسي: «معناه: إن ما أخبرنا عنهم ذكر، أي شرف لهم و ذكر جميل و ثناء حسن يُذكرون به في الدنيا».

وقال القشيري: «أي هذا القرآن فيه ذكر ما كان، و ذكر الأنبياء والصالحين. ويقال: إنه شرف لك، لأنه معجزة تدل على صدقك».

وقال ابن عطية: «يحمل معنيين: أحدهما: أن يشير إلى مدح من ذكر وإبقاء الشرف له...»

والثاني: أن يشير بهذا إلى القرآن، إذ هو ذكر للعالم».

وقد ذكر الفخر الرازي الوجهين تفصيلاً، فقال: الأول: أنه تعالى إنما شرح ذكر أحوال هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، لأجل أن يصبر محمد صلى الله عليه وآله على تحمل معناه قريباً...

الوجه الثاني في التأويل: أن المراد هذا شرف و ذكر جميل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام يُذكرون به أبداً. والأول هو الصحيح».

وأما الطباطبائي وبعض آخر فاختاروا الوجه الأول أيضاً.

وقد جمع فضل الله بين الوجهين؛ حيث قال: «هذا التاريخ الرسالي في حركة الأنبياء والمرسلين... هذا ذكرٌ للحاضر والمستقبل في خط الدعوة لكل الدعاة الرساليين، والمجاهدين العاملين، فيه كل الشرف الكبير والثناء الجميل والخير العميم، لكل الذين يتذكرونه ويسرون في اتجاهه الصحيح، في خط»

## الفكر والعمل.

٣- وقد مر في عنوان « ذكر آيات الله » في الرقم (٤) أن بعض آياتها أول إلى « الشرف » فلاحظ. منها الآية رقم (١١٠): « هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ». والآية (١١٥): « هَذَا ذِكْرُ إِنْ لِلْعَالَمِينَ نَحْسَنُ مَالًا ». والآية رقم (٢٢٦): « وَإِلَهُ ذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ ». والآية (١٢٣): « وَقَدْ آتَيْنَاكَ لَدُنَّا ذِكْرًا ».

الصفحة السابعة: الذكر: العيب آتان:

٢٢٧- « قَالُوا سَمِعْنَا فَسَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِذْهِمُّ » الأنبياء: ٦٠.

٢٢٨- « وَإِذْ أَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ هُزُوا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرُّحْمَنَ هُمُ الْكَافِرُونَ » الأنبياء: ٣٦.

١- الأولى تمة قصة إبراهيم عليه السلام ابتداء من الآية ٥١: « وَتَلَقَّائِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ... » إلى ٥٧: « وَكَانَ اللَّهُ لَا كُفْرًا أَصْنَاكُمْ بَعْدَ أَنْ كُوِّنُوا مَذْبُوحِينَ • فَجَعَلَهُمْ جَذًا إِذْ أَكْبَرُوا لَهُمْ لَقُلُّهُمْ إِلَهُ يَرْجِعُونَ • قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْإِثْنَاءِ إِلَهُ نُسْنِ الظَّالِمِينَ • قَالُوا سَمِعْنَا فَسَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِذْهِمُّ ».

٢- قال الطبرسي (٤: ٥٣) - ونحوه غيره - : « أي: قال الرجل الذي سمع من إبراهيم قوله: « لَا كُفْرًا أَصْنَاكُمْ » للقوم ما سمعه منه، فقالوا: سمعنا فسَى يذكُرهم بسوء. وقيل: إلههم قالوا: سمعنا فسَى يعيب آلهتهم ويقول: إلهها لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع. فهو الذي كسرهما... ثم ذكر وجهين لرفع

## «إذْهِمُّ» فلاحظ.

٣- والثانية حكاية قول المشركين للشيء الذي والخطاب له: « وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا... » وقوله: « أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ... » بتقدير القول، أي يتخذونك هزوا ويقولون: « أَهَذَا الَّذِي... ».

٤- قال ابن عباس - ونحوه غيره - : « يَذْكُرُ » يعيب.

وقال الفراء - ونحوه آخرون - : « يريد: يعيب آلهتهم. وكذلك قوله: « سَمِعْنَا فَسَى يَذْكُرُهُمْ... » الأنبياء: ٦٠، أي يعيبهم. وأنت قاتل للرجل: لئن ذكرتني لتذمن، وأنت تريد: بسوء ».

وقال الطبرسي: « يعني بقوله: « يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ » يسبحونهم بها، تعجبًا منهم من ذلك، يقول الله تعالى ذكره: فيصحبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع... ».

وقال الزجاج: « المعنى أهذا الذي يعيب آلهتهم، يقال: فلان يذكُر الناس، أي يقتابهم ويذكرهم بالعيوب، ويقال: فلان يذكُر الله، أي يصفه بالعظمة، ويثنى عليه ويوحده. » إلهنا يحذف مع الذكر ما عيّل معناه... ».

وقال الواحدي - بعد نقل كلام الزجاج - : « وعلى ما قال: لا يكون الذكر في كلام العرب العيب، وحيث يراد به العيب حذف منه الحذف... ».

وقال ابن عطية: « قوله: « يَذْكُرُ » لفظة تعميم المدح والذم، لكن قرينة المقال أبدًا تبدل على المراد من الذكر. وتم ما حكى عنهم في قوله تعالى: « وَإِلَهُكُمْ ».

وقال الطبرسي: «أي عيب أعتكم، وذلك قوله: إنها جماد لا ينفع ولا يضر».

وقال الفخر الرازي: «الذكر يكون بخير وبخلافه، فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقتد، كقولك للرجل: سمعت فلانا يذكرك، فإن كان الذكر حديقاً فهو ثناء، وإن كان عدواً فهو ذم، ومنه قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا نَقَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِسْرَاهِيمُ﴾ الأنبياء: ٦٠ والمعنى: أنه يهطل كونها معبودة، ويقبح عبادتها».

٥- وقال الطباطبائي: «حكاية كلمة استهزائهم، والاستهزاء في الإشارة إليه بالوصف، ومرادهم ذكره آهتهم بسوء، ولم يصرحوا به أدباً مع آهتهم، وهو نظير قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا نَقَى...﴾ الأنبياء: ٦٠».

٦- وقال فضل الله: «وتهاجها ويعمل على إبعاد الناس عن عبادتها، في الوقت الذي لا يملك أي موقع يسمح له بذلك؟».

٧- والحاصل من ملاحظة جميع النصوص يعلم أن الذكر في الآيتين وفي أشباهها بما أشرنا إليها، هو بمعناه اللغوي، وإنما يفهم منه العيب أو النساء إذا أطلق بالقرائن.

الصنف الثامن: الذكر والأنثى ١٨ آية: (٢٢٩ - ٢٤٦):

٢٢٩- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ ائْتِنِي وَحْشَتَهَا أَنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمِعْتُهَا قَرِيمٌ وَإِنِّي أُعَذِّبُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

٢٣٠- ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ غَسْلَ

غاسِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى تَفْضُلُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلْذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا...﴾

٢٣١- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْخِثَّةِ...﴾ النساء: ١١

٢٣٢- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾ النساء: ١٢٤

٢٣٣- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

٢٣٤- ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾

٢٣٥- ﴿وَأَن كَانُوا إِهْوَةً رَجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ خِثَّةٍ...﴾

٢٣٦- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُرُوبًا وَقَيْلًا لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

٢٣٧- ﴿الْكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ النجم: ٢١

٢٣٨- ﴿وَأَلَهُ خَلْقَ الرُّؤُوسِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى﴾ النجم: ٤٥

٢٣٩- ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الرُّؤُوسَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ القیمة: ٣٩

٢٤٠- ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ الليل: ٣

٢٤١ و ٢٤٢ - ﴿ثَنَانِيَّةُ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّانِّ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَذَّكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ...﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَذَّكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ...﴾  
الأنعام: ١٤٣، ١٤٤

٢٤٣ و ٢٤٤ - ﴿يَهِيهِ مُلْكُهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ أَوْ يَزْوَاجَهُمْ ذَكَرًا أَوْ إُنْثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِبًا إِنْهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾  
الشورى: ٤٩، ٥٠

٢٤٥ - ﴿وَلَا تُلَاقُوا فِي يَطُونَ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا وَمَحْرَمٍ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَوْسِمًا فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ سَجُودٌ لَهُمْ وَصَفَّهُمُ اللَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾  
الأنعام: ١٣٩

٢٤٦ - ﴿أَتَأْكُلُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾  
الشعراء: ٦٦٥

١ - قد صرح الله تعالى في أربع منها بملكية الذكور  
والأنثى بملكية:

لجاء في (٢٣٦): ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾  
وفي (٢٤٠): ﴿وَمَا خَلَقَ الذُّكُورَ وَالْأُنْثَى﴾  
وفي (٢٣٨): ﴿وَأَلَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾  
وفي (٢٤٣): ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾

٢ - وجاء ﴿الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى﴾ مفردين في الاتقي عشرة الأول، وجاء ﴿أُنْثَيَيْنِ﴾ في (٢٤١) و (٢٤٢): ﴿قُلْ أَلَذَّكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾

وجاء جمعا في (٢٤٣): ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾، وفي (٢٤٤): ﴿أَوْ يَزْوَاجَهُمْ

ذَكَرًا أَوْ إُنْثَاءً﴾، وفي (٢٤٥): ﴿خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا وَمَحْرَمٍ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾، وفي (٢٤٦): ﴿أَتَأْكُلُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

٣ - وجاءت سبع منها نكرة: خمس مفردة (٢٣٠ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٥ و ٢٣٦) واثنان: (٢٤٤ و ٢٤٥) جمعا. والباقي معرفة باللام أو بالإضافة، مثل (٢٤٥): ﴿لِذُكُورِنَا﴾

٤ - وجاءت اثنان منها تفسيرا للزوجين (٢٣٨ و ٢٣٩): ﴿وَأَلَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾

وجاءت في اثنتين منها: (٢٤١ و ٢٤٥) ﴿أَزْوَاجٍ﴾ جمعا، إما بمعنى «الأجناس»: ﴿ثَنَانِيَّةُ أَزْوَاجٍ﴾، وإما بمعنى «الزوجات»: ﴿وَمَحْرَمٍ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ لاحظ: زوج: «أزواج»

٥ - وجاء كل واحد من الذكر والأنثى منفردا في (٢٣٦) للذكر مرتين، في (٢٣٩): ﴿إِلَى وَخَشَعَتِ الْأُنْثَى﴾ و (٢٤٥): ﴿خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا﴾

٦ - وجاءت اثنان منها بشأن الأنعام (٢٤١ و ٢٤٢): ﴿ثَنَانِيَّةُ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّانِّ اثْنَيْنِ...﴾، ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ...﴾، والباقي للإنسان. وأما الآية (٢٤٥) وإن كان مرادها الأنعام إلا أن المراد بالذكر والأزواج فيها الإنسان دون الأنعام.

٧ - وجاءت في أربع منها: (٢٣٠ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٥) ﴿أَوَّالْنَى﴾، وفي واحدة (٢٢٩) ﴿كَأَلْنَى﴾، وفي اثنتين: (٢٤١ و ٢٤٢): ﴿أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ وفي الباقي: ﴿وَالْأُنْثَى﴾

٨ - وأما موضوعاتها فاثنتان منها قصة: (٢٢٩)

قصته ولادة مريم، و (٢٢٠): حكاية استجابة دعاء المؤمنين: ﴿فاستجاب لهم ربهم...﴾.

وهي من تمة دعواتهم، ابتداءً من الآية: ١٩١، من سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا...﴾ إلى الآية: ١٩٤: ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا كُنَّا عَلَىٰ سَبِيلِكَ...﴾.

وثلاث منها (٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٥) موعظة وتشير وإذار لمن يعمل عملاً صالحاً أو عملاً سيئاً.

وثلاث منها (٢٣٧ و ٢٤٥ و ٢٤٦) لوم وتوبيخ إماماً للمشاركين بأنهم يجعلون الذكر لهم والأنتى لله، أو يجعلون ما في بطون الأنعام خالصة لذكورهم، ومهرتها على أزواجهم، أو لوم وتوبيخ لقوم لوط على إيمانهم الذكران.

واثنتان منها (٢٣١ و ٢٣٤) تشريع لإرث الأولاد وإرث الكلالة: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّهِ فِي الْأَوْلَادِ لِلذَّكَرِ الْوَلَدُ الْوَلَدُ لِلْأُنثَىٰ﴾ و ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُم فِي الْكَلَالَةِ﴾.

والذي يجلب النظر أن أكثر المواضع والأعداد جاءت اثنتين اثنتين، سوى الموعظة واليوم فجاءتا أربعاً وثلاثاً تأكيداً لأهميتهما. وأما تفسير النصوص:

ففي (٢٢٩) ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾:

١- قالوا: ليس الذكر كالأنثى في الخدمة والعورة، وأن ثمرر الأنثى للكنيسة فلا تقوم عليها مما يصحبها من الحيض والأذى، لأن الذكر أقوى على الخدمة، وإنما يختص القلمان بذلك.

٢- وقال الزمخشري: «هو بيان لما في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ من التعظيم للموضوع والرفع منه، ومعناه: وليس الذكر الذي طلبت كالأنتى التي وهبت لها، واللام فيهما للعهد». وقد ذكر الفخر الرازي وغيره فيها وجوهاً، فلاحظ.

٣- وقال الطباطبائي: في الجملتين ﴿وَاللَّهُ﴾ و ﴿وَلَيْسَ...﴾: «جملتان معترضتان، وهما جملتان مقولتان له تعالى لا امرأة عمران، ولأن الثانية مقولة لها والأولى مقولة لله...». وقد أطلال هو وغيره الكلام فيها، فلاحظ.

وفي (٢٢٠): ﴿لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ يَخْضَعُكَ مِنْ نَحْسٍ﴾.

قال الطبرسي: «(من) في قوله: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ﴾ للتبيين والتفسير عن قوله ﴿مِنْكُمْ﴾، أي لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والإناث، فهو بيان لجنس من أضيع إليه العمل. ويقال: إنها مؤكدة بمعنى التفسير في ﴿لَا أَضِيعُ﴾ أي لا أضيع عمل ذكر وأنثى منكم. و ﴿يَخْضَعُكَ مِنْ نَحْسٍ﴾ مبتدأ وقوله: ﴿مِنْ نَحْسٍ﴾ في موضع رفع بأنه خبره».

٢- وقال: «﴿إِنِّي لَا أَضِيعُ﴾ أي لا أبطل، ﴿عَمَلٍ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ﴾ رجل أو امرأة ﴿يَخْضَعُكَ مِنْ نَحْسٍ﴾ في التصرة والذين والموالات، فعكسي في جميعكم حكم واحد، فلا أضيع عمل واحد منكم، لاتفاقكم في صفة الإيمان. وهذا يتضمن الحث على مواظبة الأدعية التي في الآيات المقدمة، والإشارة إلى

أنها إنما تعبد الله تعالى بها، وتدب إليها؛ وذلك لأنه تضمن الإجابة لمن دعا بها.

وفي الآيات (٢٣٠ و ٢٣٢ و ٢٣٣) قالوا:

١- ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ من رجال أو نساء. من ذكر أو امرأة.

٢- قصد بها التخصيم، والرتة على من يحرم المرأة حظوظاً كثيرة من الخير من أهل الجاهلية، أو من أهل الكتاب، إنها مبالغة في شموله للكل، تبين للصوم الذي دلّت عليه (مَنْ) الموصولة - في (٢٣٢) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ - وفي هذا البيان دلالة على أن أحكام الإسلام يتوي فيها الذكور والنساء، عدا ما خصه الذين بأحد الصنفين، بيان لما في (مَنْ) من الإيهام من جانب احتمال التخصيم، فلفظ ﴿ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ يُراد به عموم الناس بذكر صنفهم تصديقاً على إرادة الصوم. وليس المقصود به إعادة مسألة الأُنثى والذكر في الجزاء على الأعمال؛ إذ لا مناسبة له في هذا المقام...

٣- وقال فضل الله: «فلا فرق في قيمة العمل بين إنسان وآخر ذكراً كان أو أنثى، لأن الأنونة والذكورة لا تمنعان طبيعة العمل أمة مميزة، فقد يكون عمل المرأة أفضل من عمل الرجل أو العكس، وقد يتساوى عملهما في القيمة».

وفي (٢٣١ و ٢٣٤) ﴿مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾ لاحظ: ح ظ ظ، «حَظُّ الْأُنثَيْنِ».

وفي (٢٣٦) قالوا: خلقناكم من آدم وحواء، وكلكم بنوآب واحد وأم واحدة إليهما ترجعون.

أو خلقناكم من نطفة الرجل والمرأة.

وقال الماوردي: «قصد بهذه الآية التهي عن التناخر بالأنساب، ويبين التساوي فيها بأن خلقهم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء».

وقال الزمخشري: «من آدم وحواء، وقيل: خلقنا كل واحد منكم من أب وأم، فما منكم أحد إلا وهو يُدلي بمثل ما يُدلي به الآخر سواء بسواء، فلا وجه للتناخر والتفاضل في النسب».

وكذلك احتتمل ابن عطية والفخر الرازي وغيرهما أن يراد بهما آدم وحواء، أو خلق كل إنسان من أب وأم.

فقال الفخر: «فإن قلنا: إن المراد هو الأول، فذلك إشارة إلى أن لا يتناخر البعض على البعض، لكونهم أبناء رجل واحد، وامرأة واحدة، وإن قلنا: إن المراد هو الثاني، فذلك إشارة إلى أن الجنس واحد، فإن كل واحد خلق كما خلق الآخر من أب وأم، والتفاوت في الجنس دون التفاوت في الجنسين».

وأما الطبائفي فذكر الوجهين بتفصيل، وقال في الأول: «والمعنى: ألكا خلقناكم من أب وأم تشتركون جميعاً فيهما، من غير فرق بين الأبيض والأسود والعربي والعجمي، وجعلناكم شعوباً وقبائل مختلفة...».

وقال في الثاني: «... والمعنى: يا أيها الناس إلكا خلقناكم من رجل وامرأة، فكل واحد مشكم إنسان مولود من إنسانين لا تفرقون من هذه الجهة، والاختلاف الحاصل بالشعوب والقبائل، وهو

اختلاف راجع إلى الجمل الإلهي ليس لكرامته وفضيلته وإنما هو لأن تتعارفوا فيتم بذلك اجتماعكم».

ثم قال: «واعترض عليه بأن الآية مسوقة لنفي التفاضر بالأنساب وذاته، كما يدل عليه قوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. وزلزل هذا الفرض على هذا الوجه غير ظاهر.

ويمكن أن يناقش فيه بأن الاختلاف في الأنساب من مصاديق الاختلاف الطبيعي...».

وقال أخيراً: «والحق أن قوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ إن كان ظاهراً في ذم التفاضر بالأنساب فأول الوجهين أوجه، وإلا فالثاني، لكونه أعم وأشمل».

ونقول: أولاً: ليس فرق ظاهر بين الوجهين، غسواء أريد بالذكر والأنثى «آدم وحواء»، أو «الأب والأم» لكل إنسان، فكلاهما يعيدان التسمية لنفسه الناس، بغرض التهي عن التفاضر، فإن الآية صريحة صدرًا وذيلًا وسماغمًا في ذلك، ولهذا خاطب الله بها الناس، دون المؤمنين، مع أن سورة الحجرات مدنية، والمخاطب في المدنيات دائماً بـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ واستثنيتهن منها سبع آيات، هذه إحداها لأن موضوعها عام ولا يختص بالمؤمنين، هذا صدرها.

وكذلك يدل على هذا الفرض وسطها ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. وهذا ما اعترف به كلهم، أن المراد به: رفض التمييز والتفاضل، بغرض المنع عن التفاضر.

وأما ذيلها قوله: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْيَكُمْ﴾

أي التفاضل بينكم إنما يكون بالتقوى، فكل من كان أتقى فهو أكرم عند الله تعالى.

وثانياً: يبدو أن كلهم اعتبروا (من) في ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ للابتداء، مثلها في ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخُلُقْنِي مِنْ طِينٍ﴾ ص: ٧٦، وفي غيرها من الآيات.

ويحتمل أن تكون للتبيين، مثلها في ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ الحج: ٣٠، و﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الأعراف: ١٨٥، و﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ التعل: ٤٨.

ويؤيده أن «الذكر والأنثى» لم يُطلقا في غيرها من آياتهما على «آدم وحواء» ولا على «الأب والأم» بل أطلقا دائماً على الجنسين من البشر. وبناءً على ذلك فد «الذكر والأنثى» فيها نظيرهما في الآيتين (٢٣٨ و ٢٣٩)، ﴿الرَّوْجَيْنِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى﴾ لكونهما بيانا للزوجين، فلاحظ.

وفي (٢٣٧) قالوا: ١- إن المشركين اختاروا لأنفسهم الذكور، وجعلوا الملائكة بنات الله، وإلهم يكرهون لأنفسهم البنات فيقتلوهن، فيقول الله لهم على وجه الإنكار: ﴿أَلَيْسَ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾.

قال الطوسي: «فكيف يُضاهون إليه تعالى ما لا ترضون لأنفسكم، فلقد أخطأتم في ذلك من وجهين: أحدهما: أنكم أضفتم إليه ما يستحيل عليه ولا يليق به، فهو قسم قاسد غير جائز.

الثاني: أنكم أضفتم إليه ما لا ترضون لأنفسكم،

فكيف ترضونه لله تعالى.

وقيل: إنما فضل الذكر على الأنثى، لأن الذكر يصلح لما لا يصلح له الأنثى، وينتفع به في ما لا ينتفع فيه بالأنثى، ولهذا لم يبحث الله نبيًا من الإناث.

٢- وقد ذكر الزمخشري نحو الطوسي، ثم قال: «ويجوز أن يراد: أن اللات والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن لله شركاء، ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث، وتستكفروا من أن تولذن لكم وتبين إليكم، فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادًا لله وتسمونهن آلهة؟»

٣- وقال ابن عطية: «أي النوع المنعم المبوب هو لكم وموجود فيكم، والمذموم المستحل عندكم هو له بزعمكم؟»

٤- فصل الفخر الرازي وأبو السعود الكلام فيها بنحو مما ذكر، فلاحظ.

٥- وقال الأطباء: «المعنى: إذا كان كذلك وكانت أرباب هذه الأصنام من الملائكة بنات الله، وأنتم لا ترضون لأنفسكم إلا الذكر من الأولاد، فهل لكم الذكر والله سبحانه الأنثى من الأولاد؟ تلك القسمة إذا قسمة جائرة غير عادلة - استهزاء -»

٦- وقال الخطيب: «هو سؤال يكشف عن سفة هؤلاء المشركين وحققهم، حتى في مجال هذا العبث الذي هم فيه، إذ كيف يسوغ لهم هذا العبث أن يتخذوا من الجماد صورًا للملائكة...»

٧- وقال فضل الله: «في تقاليدهم الجاهلية كانوا يميزون الذكور على الإناث، ويرون في الإناث عارًا

عليهم، لأن واقعهم مبني على الفزو والاسترقاق، فكيف ينسبون الإناث إلى الله، ويحفظون لأنفسهم بالذكر؟»

فترى أن كل واحد منهم فسر الآية من وجهة نظر خاصة بتغاير وجهة نظر غيره.

وفي (٢٣٨): ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ من نطفة إذا أنثى.

١- قال الفخر الرازي: «الذكر والأنثى اسمان هما صفة أو اسمان لسا بصفة المشهور عند أهل اللغة الثاني، والظاهر أنهما من الأسماء التي هي صفات، فالذكر كالحسن والقريب، والأنثى كالحبلى والكبرى، وإنما قلنا: إنها كالحبلى في رأي، لأنها سيالها أنثت لا كالكبرى...» وقد أدام الكلام فيهما، فلاحظ.

٢- وقال ابن عاشور: «لعل وجه ذكر الزوجين والبدل منه: ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ - دون أن يقول: وأنه خلقه، أي الإنسان من نطفة، كما قال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ خلق من ماء ذاق في الطارق: ٦٠، ٥ - أمران:

أحدهما: إدماج الامتنان في أنشاء ذكر الانفراد بالخلق بنصفه أن خلق لكل إنسان زوجة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم: ٢١.

الثاني: الإشارة إلى أن لكلا الزوجين حظًا من النطفة التي منها يخلق الإنسان، فكانت للذكر نطفة



وللمرأة نطفة، كما ورد في الحديث الصحيح أنه: «إذا سبق ماء الرجل أشبه المولود أباه وإن سبق ماء المرأة أشبه المولود أمه»، وهذا يظهر أن لكل من الذكر والأنثى نطفة، وإن كان المتعارف عند الناس قبل القرآن أن النطفة هي ماء الرجل، إلا أن القرآن يخاطب الناس بما يفهمون ويشير إلى ما لا يعلمون إلى أن يفهمه المتدبرون، وحسبك ما وقع بيانه بالحديث المذكور آنفاً.

وفي (٢٣٩): ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾.

١ - قال الطبري: «فجعل من هذا الإنسان بعد ما سواه خلقاً سوياً أولاداً له، ذكوراً وإناثاً». وقال القرطبي: «أي الرجل والمرأة». والظاهر هو ما قاله القرطبي: إنه بعد ما جعله نطفة وعلقه جعله إنساناً: رجلاً أو امرأة، وليس المراد أنه جعل له منه أولاداً ذكرًا أو أنثى.

وكان الطبري اعتبر (مين) للابتداء من الإنسان بعد خلقه إنساناً سوياً - كما قال - إذ هو بعد أن سواه إنساناً - ما ذكر أو أنثى - فالجعل منه يتعلق بما ولده مع أن الظاهر أن (مين) ابتداء من قبل جعله إنساناً سوياً. فهذه الآية نظير الآية (٢٣٨): ﴿وَأَلَّهُ خَلْقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ فلاحظ.

وفي (٢٤٠): ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾

١ - أكثرهم قالوا: المراد بهما: الرجل والمرأة. وقال الكلبي ومقاتيل والطبرسي والرَّمْثاني والماوردي وغيرهم: «إن المراد بهما آدم وحواء».

٢ - وقالوا: معنى: ﴿وَمَا خَلَقَ﴾: الذي خلق، فجعلا (ما) بمعنى «من»، وقد قرئت: (الَّذِي) كما قرئت (الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) جراً بدلاً من (ما). وبعضهم قالوا: معناها: من الذكر والأنثى و«مين» مضرة، فيكون المراد بهما الرجل والمرأة دون آدم وحواء.

وقال ابن عطية: «يحتمل أن تكون (ما) مصدرية»، وهو منذهب الزجاج.

٣ - وذكر الطوسي في (ما) الوجهين، وأن المراد به (الَّذِي) الله، فيكون القسم بالله، وعلى الأول - كون (ما) بمعناها - يكون القسم بخلق الله.

وقال الزمخشري: «وَجَزَّازُ إِضْمَارِ اسْمِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ لِاتِّفَادِهِ بِالْخَلْقِ: إِذْ لَا خَالِيَ سِوَاهُ. وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لِلْأُنْثَى. وَ«الْحُنْثَى» وَإِنْ أَشْكَلَ أَمْرُهُ عِنْدَنَا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ شَكْلِ مَعْلُومٍ بِالذِّكُورَةِ أَوِ الْأُنْثَى...».

فقد عمّ الذكر والأنثى على الحيوان كله، لكن ابن عاشور قال: «والذكر والأنثى: صنفان أنواع الحيوان، والمراد: خصوص خلق الإنسان وتكوُّنه من ذكر وأنثى، كما قال تعالى: ﴿يَمَاءُ يَهْمَا الْإِنْسَانُ إِذَا خَلَقْتُمَا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ المحجرات: ١٣، لأنه هو المخلوق الأرفع في عالم الماديات...» ثم بحث في متعلق القسم في هذه الآية وخبرها، فلاحظ.

وأما الطباطبائي فقال - ونحوه فضل الله -: «(ما) موصولة، والمراد به الله سبحانه، وإنما عبر به - (ما)، دون «من»، إيتاراً للإيهام المشعر بالتعظيم والتتبع،

والمعنى: وأقسم بالشئ العجيب الذي أوجد الذكر والأنثى المختلفين على كونهما من نوع واحد.

وقيل: (ما) مصدرية، والمعنى: وأقسم بخلق الذكر والأنثى، وهو ضعيف.

والمراد بالذكر والأنثى مطلق الذكر والأنثى أينما تحققا، وقيل: الذكر والأنثى من الإنسان، وقيل: المراد بهما آدم وزوجته حواء، وأوجه الوجوه أوثقها.

٥ - وقد جمع الفخر الرازي أكثر ما قاله غيره في كلامه خلال مسائله، فلاحظ.

وفي (٢٤١ و ٢٤٢): ﴿قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرْمٌ أَمِ الْأُنثَيْنِ﴾:

١ - قد أطلق «الزوج» في هذه الآية على كل واحد من الذكر والأنثى، فصارت الأزواج ثمانية، وقال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ وهذا كما يطلق على الزوج والزوجة «زوجتين» مع أن «الزوج» في اللغة يطلق على اثنين، وبناء عليه فيكون مجموع هذه الأنعام أربعة أزواج لثمانية أزواج.

٢ - قال قتادة - ونحوه الزجاج والتسفي -: «أمره الله جل وعز أن يقول لهم: ﴿الذَّكَرَيْنِ حَرْمٌ أَمِ الْأُنثَيْنِ﴾ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ﴾ إن كان ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين حرامًا، فكل مولود منها حرام، ﴿كُلُّهَا مَوْلُودٌ فَكُلُّهَا إِذَا حَرَامٌ. وَإِنْ كَانَ التَّحْرِيمُ مِنْ جِهَةِ الذَّكَورِ مِنَ الضَّانِّ وَالْمَعَزِ، فَكُلُّ ذَكَرٍ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْإِنَاثِ فَكُلُّ أَنْثَى حَرَامٌ عَلَيْكُمْ. وَكَانُوا يَحْرَمُونَ الْوَصِيلَةَ وَأَخَاهَا عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ».

٣ - قال الزجاج - ونحوه القرطبي -: ﴿الذَّكَرَيْنِ حَرْمٌ أَمِ الْأُنثَيْنِ﴾: «فأما إعراب ﴿الذَّكَرَيْنِ﴾: فالتصب بـ ﴿حَرْمٌ﴾. وَيَتَّبِعُ أَلْفَ الْمَعْرِفَةِ مَعَ أَلْفِ الْاسْتِفْهَامِ، ثَلَاثًا يَتَّبِيسُ الْاسْتِفْهَامَ بِالْخَبَرِ...».

٤ - وقال الزمخشري - ونحوه التسفي -: «المراد بـ ﴿الذَّكَرَيْنِ﴾: الذكر من الضأن والذكر من المعز، وبـ ﴿الْأُنثَيْنِ﴾: الأنثى من الضأن والأنثى من المعز على طريق الجنسية». لاحظ: ح ر م: «حرم».

وفي (٢٤٣ و ٢٤٤): ﴿وَيَنْهَى لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ أَنْ يَزُوجَهُمْ ذَكَرًا أَوْ إِنَاثًا...﴾ لاحظ: أن ث: «إناثا»، و: زوج: «يُزَوِّجُهُمْ».

وفي (٢٤٥): ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الْأُنثَىٰ فَتَحَا﴾:

١ - قال ابن عباس - ونحوه غيره -: «يعنون الرجال يعني البان التحاير كانت للذكور دون النساء...».

٢ - وقال الثعالب -: «كانوا إذا جعلوا لأصنامهم شيئًا مما في بطون الأنعام، فولدت مولودًا حيًا ذكرًا، كان للذكور دون الإناث، وإذا ولدت ميتًا ذكرًا اشترك فيه الذكور والإناث...».

٣ - وقال الماوردي في جعلهم ذلك لذكورهم دون إناثهم وأزواجهم قولان:

أحدهما: لأن الذكور هم حُدَامُ الْأَوْثَانِ. والثاني: تفضيلًا للذكور على الإناث.

٤ - وقال أيضًا: «وأصل الذكور من الذكر، وفي أخذه من الذكر وجهان:

أحدهما؛ لأنه المذكور بين الناس، فكان أنه ذكراً من الأنثى.

والثاني؛ لأنه أشرف، والذكر هو الشرف، قاله الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الزخرف: ٤٤، أي شرف.

٥ - وقال اللخاس: «وقرئ: (حَالِصُهُ لَذِكْرُنَا)، والمعنى على هذه القراءة: ما خلص منه حياً لذكورنا». وفي (٢٤٦): ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَ إِن بَيْنَ الْعَالَمِينَ﴾ لاحظ: أت ي: «تأتون».

ثانياً: من هذه الآيات الكثيرة ما يقرب من رحمة مدنية، وأكثر من ثلثها مكية، وثمان منها مختلف فيها وأكثرها من سورة الحج، وهي إما تشريع أو قصص من بني إسرائيل في سورتين مدنيتين: البقرة وآل عمران. والباقي إما عقيدة أو قصص أو تشريع مكِّي مثل حرمة الميتة وغيرها، فلاحظ.

ثالثاً: من نظائر هذه المادة في القرآن:

الحفظ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا آتَوْا مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: ٣٤

الصلاة: ﴿... إِنْ صَلَّوْا تِلْكَ سَكَنَ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة: ١٠٣

الطاعة: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِبَادَتِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ...﴾ النساء: ٨١

العبادة: ﴿فَسَادَتْهُ السَّلَاسَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِتَعْنِي مُصَدِّقًا بِكَلِمَاتِهِ مِنْ أَفْوَةٍ وَمِنْهُ أَوْ حُشُورُ الْمُؤْمِنِينَ وَالصَّالِحِينَ﴾

آل عمران: ٣٩

البیان: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الْآيَاتُ لِقَوْمٍ يُؤْتُونَ﴾

البقرة: ١١٨

# ذكي

ذَكَيْتُمْ

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مدنية

## الخصوص اللغوي

أبو زيد: ويقال: أَرَسَاكَ قَارِيَةً، إذا أَمَرَكَهُ أَنْ يُعْظِمَهَا. وَذَلَّلَ نَارَكَ تَذْكِيَةً، وَهِيَ وَاحِدٌ.

الخليل: الذكي: من قولك: قلب ذكي، وحسن. والذكية: ما ألقيت على النار من بخر أو حطب ذكي، إذا كان سريع النطنة. (١٣٥)

ذكي يذكي ذكاءً، وذكاً يذكو ذكاءً. ذكيت النار تذكية، إذا رطبتها. واسم ذلك الشيء الذي يلقبه عليها من حطب أو بخر: الذكئة.

والذكاة في السن: أن يساق على فروجه سنة، وذلك تمام استتمام القوة. (الأزهرى ١٠: ٣٣٩)

ذكى يذكي تذكية، وهو المذكي، وأجود المذكي إذا استوثق قوارحه، ومنه: ابن الأعرابي: الذكوان: شجر، الواحدة: ذكوانة. (الأزهرى ١٠: ٣٣٩)

ابن السكيت: يقال للشمس: ذكاء. يقال: آضت ذكاءً وانتشر الرعاء. وإنما اشتقت من ذكوا النار، وهو طيها. (الأزهرى ١٠: ٣٣٩)

وإبن ذكاء: الصبح. [واستشهد بالشعر مرتين] (٣٨٧)

ذكاء: اسم للشمس، معرفة لا تنصرف، وهي (٣٩٩: ٥) [مرات]

مشتقة من ذكيت النار تذكو. (الأزهري: ١٠: ٣٣٨)  
المُبرَّد: وقوله: «و لقد فُرِّدت عن ذكاء» يعني  
تمام السن. والذكاء على ضربين: أحدهما: تمام السن،  
والآخر: الحيدة حدة القلب، فمما جاء في تمام السن  
قول قيس بن زهير:

● جري المذكيات غلاب ●

(٢٢٨: ١)

تَغْلِبُ: والذكاء والذكاة: النبح.

(ابن سيده ٧: ١٣٣)

الزجاج: وأصل الذكاء في اللغة كلها: تمام  
الشيء. فمن ذلك: الذكاء في السن والفهم، وهو تمام  
السن. وتأويل تمام السن: التهايم في الشباب، فإذا  
نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال لها: الذكاء.

والذكاء في الفهم: أن يكون فهماً تاماً لمخرج  
القبول.

وذكيت النار إنما هو من هذا، تأويله: انتمت  
إشعالها، «إلا ما ذكيتهم» ذبحه على التمام. (١٤٥: ٢)  
ابن دريد: الذكوة، والذكاء مقصور: الجفرة  
المتلظية، والجمع: الذكوة. واشتقاقه من: ذكا النار،  
وذكوها مقصور، «ثم استشهد بشعر»  
ومنه اشتقاق اسم: ذكوان، الألف والقون فيه  
زائدتان.

وذكاء السن محدود.

وذكاء محدود: اسم للشمس.

(١) يعني قول الشاعر.

وابن ذكاء: الصبح.

وهرس مذك، وهو إذا تم سبته. (٣١٧: ٢)

الأزهري: ويقال للصبح: ابن ذكاء، لأنه من  
ضوئها.

ويقال: ذكوا قلبه يذكو، إذا حي بعد بلادة، فهو

ذكي.

الصاحب: الذكي: السريع الفطنة، ذكي يذكى  
ذكاء، وذكاً يذكو ذكاء.

وأذكيت الحرب والنار: أوقدتهما.

والدابة إذا أتى على قروحه سته: ذكى يذكى  
تذكيةً وذكيةً. وفي مثل: «جري المذكيات غلاب»  
و غلاب.

«جري المذكي حشرت عنه الحمر»

والمذكية تقاس بالميداع.

واستلذي الفعل على الأئمن: اشتد عليها.

والذكية: في النبح، ذكيتها تذكية.

وذكاء: الشمس.

وابن ذكاء: الصبح.

وسحابة مذكية، وهي التي مطرت مرة بعد مرة.

وصفار السرح: ذكاوين: الواحد: ذكوان.

(٣١١: ٦)

الجوهري: الذكاء محدود: حنة القلب، وقد ذكى

الرجل بالكسر يذكى ذكاءً، فهو ذكي على «فعل».

والذكاء أيضاً: السن، وقال الحجاج: فُرِّدت عن

ذكاء.

وبلغت الدابة الذكاء، أي السن.

وذكاء بالضم غير مصروف: اسم للشمس، معرفة لا تدخلها الألف واللام. تقول: هذه ذكاء طالعة.

ويقال للصحيح: ابن ذكاء، لأنه من ضونها. والتذكية: الذبيح.

وتذكية النار: إيقادها وركتها.

ويقال أيضاً: ذكى الرجل، إذا أسن.

والمذاكي: الحبل التي قد أتى عليها بعد قروحها ستة أو سستان؛ الواحدة: مذكى، مثل المخلف من الإبل. وفي المثل: «جرى المذكيات غلاء».

وذكى النار تذكوا ذكاً مقصور، أي اشتعلت. وأذكبها ألبا.

وأذكى عليه العيون، إذا أرسلت عليه الطلائع. والمذكية: ما يلقي على النار تذكى به. (واستشهد بالشعر مرتين) (٢٤٤٣، ٢٤٤٤)

ابن فارس: الذال والكاف والحرف المعتل أصل واحد، مطرد منقاس، يدل على حدة في الشيء ونفاذ. يقال للشمس: ذكاء، لأنها تذكوا كما تذكوا النار. والصحيح: ابن ذكاء، لأنه من ضونها.

ومن الباب: ذكىته النبيعة أذكبها. وذكىته النار أذكبها، وذكوبها أذكوبها.

والفرس المذكى: الذي يأتي عليه بعد القروح ستة. يقال: ذكى يذكى.

والعرب تقول: جرى المذكيات غلاب، وغلاء أيضاً. والذكاء: ذكاء القلب.

والذكاء: سرعة الفطنة، والفعل منه: ذكى يذكى.

ويقال في الحرب والثار: أذكيت أيضاً.

والشيء الذي تذكى به ذكوة. (٢: ٣٥٧)

أبو هلال: الفرق بين الذكاء والفطنة: أن الذكاء تمام الفطنة، من قولك: ذكت النار إذا تم اشتعالها. وسميت الشمس: ذكاء، لتتمام نورها. والتذكية: تمام الذبيح.

ففي الذكاء معنى زائد على الفطنة. (٦٧)

أخروي: في حديث محمد بن علي الباقري: [ط] «ذكاة الأرض يمسها» يريد طهارتها من التجماسة، إذا نجست كانت بمنزلة الميتة، فإذا جفت ذكت، أي حلت. وسميت بعضهم يقول: الذكاة في النبيعة: تطهيرها وإباحة لأكلها، فجعل يمس الأرض بعد النجاسة تطهيراً لها. وإباحة للصلاة فيها، بمنزلة الذكاة للذبيحة، وهو قول أهل العراق. (٢: ٦٧٩)

كله: اشتد لهيبها.

ونار ذكية، على النسب.

وأذاها، وذكأها: ألقي عليها ما تذكوبه.

والذكوة، والذكية: ما ذكأها به. الأخيرة من باب: جئوت الخراج جياية.

والذكوة، والذكاء: الجمرة المتلتهية.

وذكاء: اسم الشمس، معرفة.

وابن ذكاء: الصحيح.

والذكاء: سرعة الفطنة، وقد ذكى، وذكأ، وذكوا.

فهو ذكى. وقد يستعمل ذلك في البحر.

وذكأ الرياح: شدتها من طيب أو ثخن.

ومثلك ذكي، وذلك: ساطع الرائحة، وهو منه.  
والذكاء: السن.

وذكى الرجل: أسنّ وبدن.

والمذكى أيضاً: المسن من كل شيء، وخصص بعضهم به ذوات الحافر.

وقيل: هو أن يجاوز القروح سنة.

والمذكى أيضاً من الخيل: الذي يذهب حُضْرته وينقطع.

والعرب تقول: «ذكاة الجنين ذكاة أمه» أي إذا ذبحت الأم ذبح الجنين.

وذكى الحيوان: ذبحه، ومنه قوله: يذكيها الأسل.  
وجذّي ذكي: ذبح.

وإنما أتيت هذه الكلمة في «الواو» وإن كان لفظها الياء، لأننا قد وجدنا «ذك» على ما انقطعت هذا الياء. وأما «ذكي» فعدم، ولهذا كثرت أن الذئبة نادر.

والذكاوين: صغار السرح، وأحدثها: ذكوانة.  
وذكوان: اسم.

وذكوة: قرية. [واستشهد بالشعر ٥ مرات] (١٣١: ٧)

الرّاغيب: ذكت النار فذكو، اتحدت وأضاءت، وذكيتها تذكية.

وذكاء: اسم للشمس، وابن ذكاء: للصبح، وذلك أنه تارة يتصور الصبح ابناً للشمس، وتارة حاجباً لها، قليل: حاجب الشمس، وعمر عن سرعة الإدراك وحيدة الفهم بالذكاء.

كقوتهم: فلان هو شعلة نار، وذكبت الشاة: ذبحتها.

وحقيقة التذكية: إخراج الحرارة الغريزية، لكن خص في الشرح بإبطال الحياة على وجه دون وجه، وبدل على هذا الاشتقاق قوتهم في الموت: خامد وهامد، وفي النار الهامدة: ميتة.

وذكى الرجل، إذا أسنّ، وحطّي بالذكاء لكثرة رياضته وتجاربه، وبحسب هذا الاشتقاق لا يستعمل الشيخ مذكياً إلا إذا كان ذا تجارب ورياضات.

ولما كانت التجارب والرياضات قلما توجد إلا في الشيوخ لطول عمرهم استعمل الذكاء فيهم، واستعمل في العتاق من الخيل المسان. وعلى هذا فقولهم: «جري المذكيات غلاب» (١٨٠)

الزمن حشري: أذكت النار وذكيتها. وذكيتها النار تذكو ذكاء، وأصابه ذكاء النار.

وذك النار بالذكوة، وهي ما تذكى به، ودخلت والمصايح تذكو، وفرس مذكو: أتت على قروحه سنة.

وخيل مذكيات ومذالو. وقد ذكى الفرس وبلغ الذكاء.

وذكيت الذبيحة.

وشاة ذكي، وبلغت ذكاتها.

ومن الجاز: ذكت الشمس ذكاءً، ومنه قيل لها: ذكاء. وللصبح ابن ذكاء، لأنه من ضونها. وذكنت الحرب وأذكيتها.

مثل ذكاة أمته. فحذف المصدر وصفته وأقام المضاف إليه مقامه، فلا بد عنده من ذبح الجنين إذا خرج حيًّا. ومنهم من يرويه بنصب الذكاتين، أي ذكروا الجنين ذكاة أمته.

ومنه حديث الصيد: «كُلْ مَا أَمْسَكَتْ عَلَيْكَ كَلَامُكَ ذَكِيٍّ وَغَيْرُ ذَكِيٍّ». أراد بالذكي ما أمسك عليه فأدركه قبل زهوق روحه، فذكاء في الحلق أو اللبنة. وأراد بغير الذكي: ما زهقت نفسه قبل أن يدركه ليعذبه بما جرحه الكلب بسننه أو ظفروه. (٢: ١٦٤) القيومي: ذكي الشخص ذكي، من باب «ثيب» ومن باب «غلا» لغة، وهو سرعة الفهم، فالرجل ذكي على «فعل»، والجمع: أذكيا.

والذكاء بالمد: حدة القلب. وذكيت البعير ونحوه تذكية، والاسم: الذكاة. قاله الجوزي في التفسير: الذكاة في اللغة: تمام الشيء؛ ومنه: الذكاء في الفهم إذا كان تامًا العقل سريع القبول. قال: ويُجزئ في الذكاة قطع الملقوم والمري، وهو رواية عن أحمد.

وفي رواية عنه: قطعهما مع قطع الودجيتين، فإن نقص منه شيء لم يحل. وقال أبو حنيفة: قطع الملقوم والمري، وأحد الودجيتين.

وقال مالك: يُجزئ قطع الأوداج وإن لم يقطع الملقوم. وقوله تعالى: «إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ» معناه: إلا ما أدركتم ذكاته.

وشاة ذكي «فعل» بمعنى «مفعول» مثل: امرأة

وفيه ذكاء: فطنة وتوقد. وقد ذكا تذكو، وذكي بذكي وذكو فلان بمد البلادة.

ورجل ذكي، وقلب ذكي، وقوم أذكيا. وذكا المسك ذكاءً ومسك ذكي، أذفر. وفي الحديث: «ذكاة الأرض تبسها» وسحابة تذكية: مطرت مرارًا. وسحاب مذالي.

واستذكى الفعل على العانة: اشتد عليها وتوقد. [واستشهد بالشرع مرات] (أساس البلاغة: ١٤٤) المديني: وفي الحديث: «قتلني رجها، وأحرقني ذكاؤها».

الذكاء: شدة ونهج النار، من ذكت النار وأذكتها. إذا أوقدتها فحيت ولاحت.

والذكاء: شدة رائحة الشيء. وتامها أبو حنيفة. حديث الحجاج: «لقد فررت عن ذكاء».

الذكاء: الانتهاء في السن، أي أصبحت، ووجدت تام السن. (١: ٦٠٧)

ابن الأثير: فيه: «ذكاة الجنين ذكاة أمته». التذكية: الذبح والتحر. يقال: ذكيت الشاة تذكية، والاسم: الذكاة، والمذبح ذكي.

ويروى هذا الحديث بالرفع والتصب: فمن رفعه جعله خبر المبتدأ الذي هو ذكاة الجنين، فتكون ذكاة الأم هي ذكاة الجنين، فلا يحتاج إلى ذبح مستأنف. ومن نصب كان التقدير: ذكاة الجنين كذكاة أمته، فلما حذف الجار نصب، أو على تقدير: يذكي تذكية



قتيل وجريح، إذا أدركت ذكاتها.

وذكيت النار بالتفيل، إذا أتممت وقودها.

وقوله: « ذكاة الجنين ذكاة أمه » المعنى: ذكاة الجنين هي ذكاة أمه، فحذف المبتدأ الثاني إيجازاً لفهم المعنى. وهو على قلب المبتدأ والخبر، والتقدير: ذكاة أم الجنين ذكاة له، فلما قدم حوّل الضمير ظاهراً لوقوعه أول الكلام، وحوّل الظاهر ضميراً اختصاراً. ويقرب من ذلك قولهم: أبو يوسف أبو حنيفة، في أن الخير منزل منزلة المبتدأ لا أنه هو.

قال الخطابي: والرواية برفع الذكائين، وقد حرّقه بعضهم فنصب الذكاة لينقلب تأويله، فيستعمل المعنى عن الإباحة إلى الحظر.

وقال المطرزي: والتصب في قوله: ذكاة أمه وشبهه خطأ. (٢٠٩: ١)

الغير وزاهادي: ذكت النار ذكواً وذكاً وذكاءً. بالمذة عن الزمخشري: واستذكت: اشتد لها، وهي ذكية.

وذكأها وأذكأها: أوقدها.

والذكوة: ما ذكأها به كالذكوة، والجفرة الملتهبة كالذكا.

والذكاء: سرعة الفطنة.

ذكي كرضي وسعي وكرم، فهو ذكي، والب من الضم.

وبالضم غير مصروطة: الشمس.

وابن ذكاء بالمذ: الصبح.

والذكوة: الذئب كالذكا والذكاة.

وكفي: الذبيح.

وذكى تذكية: أسن وبدن.

والمذاكي من الخيل: التي أتى عليها بعد قروحها ستة أو ستان.

ومسك ذكي وذاك وذكية: ساطع ريحه.

وسحابة مذكية كشحينة: مطرت مرة بعد مرة.

والذكاوين: صفار السرح: جمع ذكوانة. وذكوة:

مأساة. (٣٣٢: ٤)

مَجْمَعُ اللُّغَةِ: ذكى الحيوان المأكول لحمه: ذبحه

أو نحّره. (٤٢٦: ١)

محمد إسماعيل إبراهيم: ذكاة النساء: ذبحها.

والتذكية: الذبيح، أو الإتمام. وتقول: ذكيت النار، إذا

أتممت اشتعالها. (٢٠٢)

المصنفوي: والتحقني: أن الأصل الواحد في

هذه المادة هو الجدة في وفتح، وهذا مفهوم كلي عام،

سواء كان متحققاً في مصداق إضاءة، أو اقتصاد نار، أو

التهاب حطب، أو اشتعال وارتفاع، أو في سرعة إدراك

وفهم، أو حدة فطنة، أو حدة قلب وفؤاد، أو في تمامية

عقل، أو في اشتعال نار حرب، أو سطوع طيب، أو في

انتشار ريح، أو في اشتداد حرارة، أو في تسلل، أو في

كمال عمر وبلوغ نهايته، أو شدة قوى بدنية وبلوغ

كمال في الشباب.

فمن مصاديق هذا المفهوم: التذكية، وهو جعل

الشيء بالغاً إلى نهاية في جريان عمره وحياته، وهو

آخر حدة وآخر لحظة من إظهار القدرة والقوة،

وبالتذكية ينتهي آخر نوسان من جريان حياته.

فظهر أن الأصل والحقيقة هو ما قلناه، لا ما يقال من المصاديق المذكورة.

ولا بد من لحاظ القيد في كل منها، وهو الحدة في الوهج، وهذا هو الفارق بين هذه المادة وبين مواد السرعة والحدة والالتقاد والوهج والاشتعال والثفاذ والذبح والسطوع والفتنة والعقل، مطلقة، وغيرها. ويقرب منها مادة «الزكو» لفظاً ومعنى، فراجعها.

﴿وَمَا أَكَلِ السَّيِّئُ إِلَّا مَا ذُكِّرَ﴾ المائدة: ٣، أي إلا ما جعلتموه بالغا حدّ نهاية الحدة في نوسان حياته، ومدرّكاً آخر ظهور من قدرته وقوته، وهذا المعنى أبلغ من التمييز بالذبح، فإنه يدل على مطلق قطع الرأس وقضله. فالذبح إعدام وفصل، بخلاف التذكية فإنه أمر وجودي، وهو الإيصال إلى آخر حد من حدة الوهج وشدة الالتقاد في مراحل الوجود، لتعريفه بمشاكل لحظة من نهاية سيره وحموده وارتفاعه في نوسان حياته. (٣: ٣٢٣)

## التصوُّص التفسيرية

ذُكِّرَ

﴿وَمَا أَكَلِ السَّيِّئُ إِلَّا مَا ذُكِّرَ﴾ المائدة: ٣  
الإمام علي عليه السلام: إذا ركضت برجلها، أو طرعت بعينها، وحركت ذنبها، فقد أجزأ. (الطبري ٤: ٤١٢)  
ابن عباس: إلا ما أذكركم وفيه الروح فذبحتم. (٨٨)  
ما أدركت ذكاته من هذا كله، يتحرك له ذنب، أو

تطرف له عين فاذبح واذكر اسم الله عليه، فهو حلال. (الطبري ٤: ٤١١)

التطهي: إذا أكل السبع من الصيد، أو الوقيدة أو الطيحة أو المترددة، فأدركت ذكاته، فكل.

(الطبري ٤: ٤١١)

الضحاك: كان أهل الجاهلية يأكلون هذا، فحرّم الله في الإسلام إلا ما ذكّي منه، فما أدرك فتحرّك منه رجل أو ذئب أو طرف، فذكّي، فهو حلال.

(الطبري ٤: ٤١٢)

طاووس: إذا ذبحت فنصفت بذنبها، أو تحركت، فقد حلت لك

الحسن: إذا كانت الموقودة تطرف ببصرها، أو تمكّك برجلها، أو قصص بذنبها، فاذبح وكل.

(الطبري ٤: ٤١٢)

قوله: فكل هذا الذي سماء الله عز وجل هاهنا - ما خلا لحم الخنزير - إذا أدركت منه شيئاً تطرف، أو ذنباً يتحرك، أو قائمة تركض فذكّيته، فقد أحلّ الله لك ذلك. (الطبري ٤: ٤١١)

ابن وهب: قال مالك: وسئل عن الشاة التي يخرق جوفها السبع حتى يخرج أمعاؤها، فقال مالك: لا أرى أن تذكي، ولا يؤكل أي شيء يذكي منها.

(الطبري ٤: ٤١٢)

أبو عبيدة: وذكاته أن تقطع أوداجه أو تنهر دمه، وتذكر اسم الله، إذا ذبحته. [ثم استشهد بشعر]

(١: ١٥١)

ابن قتيبة: إلا ما لحقتم من هذا كله وبه حياة.

فذهب مشهور

(١٤٠)

عَبِيدُ بْنُ عَمِّيْرٍ: إِذَا طَرَفَتْ بِمِنْهَآ، أَوْ مَصَّفَتْ بِذَنْبِهَا، أَوْ تَحَرَّكَتْ، فَقَدْ حَلَّتْ لَكَ. (الطَّبْرِيّ ٤: ٤١٢)  
الطَّبْرِيّ: بِمَعْنَى جَلَّ تَنَاوُذُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾.  
إِلَّا مَا طَهَّرَ قُوَّةً بِالدَّهْنِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ طَهُورًا.

ثم اختلف أهل التأويل فيما استثنى الله بقوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾.

فقال بعضهم: استثنى من جميع ما سمى الله تحريمه من قوله: ﴿وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِدِوَالِ الْمُنْخَنَقَةِ وَالْمَوْقُودَةِ وَالْمُتَرَدِّيةِ وَالطَّيْحَةِ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾.

فتأويل الآية على قول هؤلاء: حُرِّمَتْ الْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ، إِنْ مَاتَتْ مِنَ التَّرَدِّيِّ وَالْوَقْدِ وَالطَّيْحِ وَفَرَسِ السَّبْعِ، إِلَّا أَنْ يُدْرِكَوا ذَكَاتِهَا، فَيُدْرِكُوهَا قَبْلَ مَوْتِهَا فَتَكُونُ حَيْثُ ذَكَاتُهَا حَلَالًا أَكَلَهَا.

وقال آخرون: هو استثناء من التحريم وليس باستثناء من المحرمات التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْمَةُ﴾، لِأَنَّ الْمَيْمَةَ لَا ذَكَاءَ لَهَا، وَلَا لِلْغَنَسِيزِ.

قالوا: وَإِنَّمَا مَعْنَى الْآيَةِ: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْمَةُ وَالْدَّمُ وَسَائِرُ مَا سَمَّيْنَا مَعَ ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ مِمَّا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَكُمْ بِالتَّذْكِيَةِ، فَإِنَّهُ لَكُمْ حَلَالٌ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

وعلى هذا القول يجب أن يكون قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، استثناء منقطعًا، فيكون تأويل الآية: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْمَةُ وَالْدَّمُ وَسَائِرُ مَا ذَكَرْنَا، وَلَكِنْ مَا ذَكَّيْتُمْ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي أَحَلَّلْنَاهَا لَكُمْ بِالتَّذْكِيَةِ، حَلَالٌ.

وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب، القول الأول وهو أن قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناء من قوله: ﴿وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِدِوَالِ الْمُنْخَنَقَةِ وَالْمَوْقُودَةِ وَالْمُتَرَدِّيةِ وَالطَّيْحَةِ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مُسْتَحَقُّ الصِّفَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا قَبْلَ حَالِ مَوْتِهِ، فَيُقَالُ: لِمَا قَرَّبَ الْمُشْرِكُونَ لَا لِهَتَمِهِمْ فَسَمَوْهُ لَهْمًا، هُوَ مَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، بِمَعْنَى سَمَّى قَرَبَانًا لِغَيْرِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ الْمُنْخَنَقَةُ، إِذَا انْخَنَقَتْ وَإِنْ لَمْ تَمُتْ، فَهِيَ مُنْخَنَقَةٌ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِعَدِّ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِدِوَالِ الْمُنْخَنَقَةِ وَالْمَوْقُودَةِ وَالْمُتَرَدِّيةِ وَالطَّيْحَةِ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مُسْتَحَقُّ الصِّفَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا قَبْلَ مَوْتِهِ، فَحَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ إِلَّا بِالتَّذْكِيَةِ الْمُحَلِّلَةِ، دُونَ الْمَوْتِ بِالسَّبَبِ الَّذِي كَانَ بِهِ مَوْصُوفًا.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ: وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ، وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ.

فـ (مَا) إِذَا كَانَ ذَلِكَ تَأْوِيلُهُ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ بِالِاسْتِثْنَاءِ مِمَّا قَبْلُهَا، وَقَدْ يَجُوزُ فِيهِ الرَّفْعُ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا، فَكُلُّ مَا أُدْرِكْتَ ذَكَاتُهُ مِنْ طَائِرٍ أَوْ بَيْهَمَةٍ قَبْلَ خُرُوجِ نَفْسِهِ وَمَفَارَقَةِ رُوحِهِ جَسَدَهُ، فَحَلَالٌ أَكَلَهُ، إِذَا كَانَ مِمَّا أَحَلَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ. (٤: ٤١١)

الزَّجَّاجُ: أَيُّ إِلَّا مَا أُدْرِكْتُمْ ذَكَاتُهُ مِنْ هَذِهِ الَّتِي وَصَفْنَا، وَمَوْضِعُ (مَا) نَصَبٌ، أَيُّ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ إِلَّا الشَّيْءَ الَّذِي أُدْرِكُ ذَبْحُهُ مِنْهَا، وَكُلُّ ذَبْحٍ ذَكَاءٌ، وَمَعْنَى التَّذْكِيَةِ: أَنْ يُدْرِكَهَا وَفِيهَا بِقِيَّةٍ تَشْخَبُ مَعَهَا الْأَوْدَاجُ، وَتَضْطَرِبُ اضْطِرَابَ الْمَذْبُوحِ الَّذِي

أدركت ذكاته.

وأهل العلم يقولون: إن أخرج السبع الحشوة أو قطع الجوف قطعاً خرج معه الحشوة، فلا ذكاة لذلك. وتأويله: أن يصير في حالة ما لا يؤثر في حياته الذبح.

(١٤٥: ٢)

السجستانى: قطعتم أوداجه، ونهرتم دمه، وذكرتم اسم الله عليه إذا ذبحتموه.

وأصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، ومن ذلك: ذكاة السن، وهو تمام السن، أي التهامه في الشباب. والذكاة في الفهم: أن يكون فهماً تاماً سريع القبول. وذكت الثار، إذا أتمت إشعالها. وقوله جل وعز: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ أي ما أدركنم ذبحه على القمام.

قال أبو عمر: سألت المبرد عن قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ فقال: أي ما خلصتم بفعلكم من الموت إلى الحياة، فسأله المبرد: وأنا اسم - عن قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ فقال: مخلص من الآفات والبلاء. وكذلك ذكت الثار إذا أخرجتها من باب الخمود إلى باب الإشعال بالوقود.

الخصاص: وأما قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ فإنه معلوم أن الاستثناء راجع إلى بعض المذكور دون جميعه؛ لأن قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَيْزُرِ وَمَا أُمِلَ إِلَيْهِ﴾ لا خلاف أن الاستثناء غير راجع إليه، وأن ذلك لا يجوز أن تلحقه الذكاة، وقد كان حكم الاستثناء أن يرجع إلى ما يليه، وقد ثبت أنه لم يعد إلى ما قبل المنخقة، فكان حكم العموم فيه قائماً، وكان الاستثناء عائداً إلى المذكور من عند

قوله: ﴿وَالْمُتَعَفِّقُ﴾ لما روي ذلك عن علي وابن عباس والحسن وقادة، وقالوا كلهم: إن أدركت ذكاته بأن توجد له عين تطرف أو ذئب يتحرك فأكله جائز.

وحكي عن بعضهم أنه قال: الاستثناء عائداً إلى قوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ دون ما تقدم، لأنه يليه وليس هذا بشيء، لا اتفاق السلف على خلافه، ولأنه لا خلاف أن سبعا لو أخذ قطعة من لحم البهيمة فأكلها، أو تردى شاة من جبل ولم يشف بها ذلك على الموت فذكاها صاحبها، أن ذلك جائز مباح الأكل، وكذلك الطهيحة وما ذكر معها، ثبت أن الاستثناء راجع إلى جميع المذكور من عند قوله: ﴿وَالْمُتَعَفِّقُ﴾ وإثنا قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ فإنه استثناء منقطع بمنزلة قوله: ﴿لَكِنْ مَا ذَكَيْتُمْ كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قُرْيَةُ أَمَتَتْ فَلَفَقَتْهَا﴾﴾. قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ يعني: لكن تذكرة لمن يغشى، ونظائره في القرآن كثيرة.

وقد اختلف الفقهاء في ذكاة الموقودة ونحوها، فذكر محمد في «الأصل» في المتردية: إذا أدركت ذكاتها قبل أن تموت أكلت، وكذلك الموقودة والطهيحة وما أكل السبع.

وعن أبي يوسف في «الإملاء» أنه إذا بلغ به ذلك إلى حال لا يعيش في مثله لم يؤكل وإن ذكسي قبل الموت.

وذكر ابن سحابة عن محمد: أنه إن كان يعيش منه

اليوم ونحوه أو دونه فذكاها حلت، وإن كان لا يبقى إلا كبقاء المذبوح لم يؤكل وإن ذبح. واحتج بأن عمر كانت به جراحة متلفة وصحت عهده وأمره، ولو قتله قاتل في ذلك الوقت كان عليه القود.

وقال مالك: إذا أدركت ذكاتها وهي حية تطرف أكلت.

وقال الحسن بن صالح: إذا صارت بحال لا تعيش أبداً لم تؤكل وإن ذبحت.

وقال الأوزاعي: إذا كان فيها حياة فذبحت أكلت، والمصدودة إذا ذبحت لم تؤكل.

وقال الليث: إذا كانت حية وقد أخرج السبع ما في جوفها أكلت إلا ما بان عنها.

وقال الشافعي: في السبع إذا نسق بطن النشاء ونسقين أنها سموت: إن لم تفلح فذكيته فلا بأس بها كلها.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ يقتضي ذكاتها ما دامت حية، فلا فرق في ذلك بين أن تعيش من مثله أو لا تعيش، وأن تبقى قصير المدة أو طويلها، وكذلك روي عن عليّ وابن عباس: أنه إذا تحرك شيء منها صحت ذكاتها.

ولم يختلفوا في الأنعام إذا أصابتها الأمراض المختلفة التي قد تعيش معها مدة قصيرة أو طويلة أن ذكاتها بالذبح، فكذلك المتردية ونحوها، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ اسم شرعي يعنونه معان: منها موضع الذكاة وما يقطع منه، ومنها الآلة،

ومنها الذين، ومنها التسمية في حال الذكور. [ثم بين شرط الذكاة في الأنعام] (٢: ٢٨٤)

الواحد: أي إلا ما أدركتم ذكاته وهي الذبح، يقال: ذكى فلان النشاء، إذا ذبحها الذبح التام يجوز معه الأكل ولا يجرم، وهذا استثناء من جميع هذه المحرمات التي ذكرت. (٢: ١٥١)

البغوي: يعني: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء، وأصل التذكية: الإتمام. يقال: ذكيت الثار، إذا أتممت استعمالها، والمراد هنا: إتمام فري الأوداج وإنهار الدم. قال النبي ﷺ: ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه، فكل غير السن والظفر.

وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه: قطع المريء والحنقيوم، وكما له أن يقطع الودجتين معهما. ويجوز بكل حديد يقطع من حديد أو قصب أو زجاج أو حجر إلا الحجر والظفر. نهى النبي ﷺ عن الذبح بهما. وإنما يحمل ما ذكّيته بعدما جرحه السبع أو أكل شيئاً منه إذا أدركته والحياة فيه مستقرة فذبحته. فأما ما صار بجرح السبع إلى حالة المذبوح، فهو في حكم الميتة، فلا يكون حلالاً وإن ذبحته، وكذلك المتردية والطبيعة إذا أدركتها حية قبل أن تتغير إلى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالاً.

و لو رمى إلى صيد في الهواء فأصابه، فسقط على الأرض فمات كان حلالاً، لأن الوقوع على الأرض من ضرورته. فإن سقط على جبل أو شجر أو سطح ثم تردى منه فمات فلا يحل، وهو من المتردية إلا أن يكون السهم أصاب مذبحة في الهواء، فيحل كيف ما

وقع لأن الذبح قد حصل بإصابة السهم المذبح. (٢، ١٠)  
الزَّمَحْشَرِي: إلا ما أدرككم ذكاته، وهو  
يضطرب اضطراب المذبح، وتخشب أوداجه.

(١: ٥٩٢)

ابن القري: فيها إحدى وعشرون مسألة...

المسألة الثامنة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ فيه  
ثلاثة أقوال:

الأول: أنه استثناء مقطوع عما قبله، غير عائد  
إلى شيء من المذكورات، وذلك مشهور في لسان  
العرب، يحملون (إلا) بمعنى «لكن»، من ذلك قوله:  
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْلِكَ مَوْثِقًا إِلَّا غَطًا﴾ النساء:  
٩٢، معناه: لكن إن قتل خطأ، وقد تقدم كلامنا عليه.  
[ثم استشهد بأشعار]

الثاني: أنه استثناء متصل، وهو ظاهر الاستثناء،  
ولكنه يرجع إلى ما بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾  
يؤيّد من «الْمُتَلَفَّةُ» إلى «مَا أَكَلِ السَّعْيُ».

الثالث: أنه يرجع الاستثناء إلى التحريم لا إلى  
المحرّم، ويبقى على ظاهره.

المسألة التاسعة في المختار: وذلك كما نقول: إن  
الاستثناء المنقطع لا يُنكر في اللغة، ولا في الشريعة في  
القرآن ولا في الحديث، حسبما أشرنا إليه في سورة  
النساء، كما أنه لا يخفى أن الاستثناء المتصل هو أصل  
اللغة وجمهور الكلام، ولا يرجع إلى المنقطع إلا إذا  
تعدّر المتصل.

و تعدّر المتصل يكون من وجهين: إما عقلياً، وإما  
شرعياً. فتعدّر الاتصال العقلي هو ما قدمناه من

الأمثلة، قبل هذا في الأول. وأما التعدّر الشرعي  
فكقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَالَتْ غَيْرِيَّةٌ أُمْنِيَّتٌ فَنَفَعَتْهَا  
إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ﴾ يونس: ٩٨، فإنه قوله: ﴿إِلَّا  
قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ﴾ ليس رفعاً لمقدم، وإنما هو بمعنى «لكن»  
وقوله: ﴿طَهَّ﴾ ما أزلنا عليك القرآن أن يتشقى إلا  
تذكيرة لمن يخشى طه: ١-٣، وقوله: ﴿إِنِّي  
لَا أَخَافُ لَدُنِيَ الْمُرْسَلُونَ﴾ إلا من ظلم الثمل: ١٠،  
١١.

فدنا إلى قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قلنا: فأتينا الذي  
يجب أن يعود إلى ما يمكن إعادته إليه، وهو قوله:  
﴿الْمُتَلَفَّةُ﴾ إلى آخرها، كما قال علي رضي الله عنه:  
«إذا أدركت ذكاة الموقوفة وهي كعرك بعد أو رجلاً  
فكلها يؤبه قال ابن عباس وزيد بن ثابت، وهو خالي  
عن طالع شرعي يردّه، بل قد أحله الشرع.

فقد روي عن أن جارية لكعب بن مالك كانت ترعى  
غنماً بالجليل الذي بالسوق، وهو «سُلُع» فأصبحت  
منها شاة، فكسرت حجراً فذبحتها، فذكروا ذلك  
للنبي ﷺ فأمر بأكلها.

وروى الثنائي عن زيد بن ثابت: أن ذئباً نهب  
شاة فذبحوها بمروة، فرخص النبي ﷺ في أكلها.

المسألة العاشرة: اختلف قول مالك في هذه  
الأمثلة. [ثم ذكر الروايات المنقولة عنه]

المسألة الحادية عشرة: في الذكاة، وهي في اللغة  
عبارة عن التمام، ومنه ذكاه السنن. ويقال: ذكيت  
الثار إذا أتممت اشتغالها. فقال بعضهم: لا بد أن تبقى في  
الذكاة بقية تشخب معها الأوداج، ويضطرب

اضطراب المذبح.

وقد تقدم قوله في الحديث المتقدم الذي صرح فيه، بأن الشاة أدركها الموت، وهذا يمنع من شحب أوداجها، وإنما أصاب الغرض مالك في قوله: «إذا ذبحها ونفسها تجري وهي تضرب» إشارة إلى أنها وجدت فيها قتل، صار باسم الله المذكور عليها ذكاة، أي قام بإحلالها وتطهيرها، كما جاء في الحديث في الأرض التلجسة: ذكاة الأرض بئها.

وهي في الشرع عبارة عن إنبهار الدم، والمري الأوداج في المذبح والتحر في المنحور، والعرف في غير المقدور عليه...

المسألة الثانية عشرة: ليس في الحديث الصحيح ذكر الذكاة بغير إنبهار الدم، فأما فري الأوداج وقطع الحلقوم والمري، فلم يصح فيه شيء.

وقال مالك وجماعة: لا تصح الذكاة إلا بطريق الحلقوم والودجين.

وقال الشافعي: يصح بقطع الحلقوم والمري، ولا يحتاج إلى الودجين بتفصيل، قد ذكرناه في «المسائل».

وتعلق علماؤنا بحديث رافع بن خديج: أن النبي ﷺ قال: «أفر الودجين وأذكر اسم الله».

ولم يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء لائنا ولاهم، وإنما المولى على المعنى، فالشافعي اعتبر قطع مجرى الطعام والشراب الذي لا يكون معه حياة، وهو الغرض من الموت، وعلماؤنا اعتبروا الموت على وجه يطيب معه اللحم، ويفترق فيه الحلال

وهو اللحم من الحرام - وهو الدم - بقطع الأوداج، وهو مذهب أبي حنيفة، وعليه يدل صحيح الحديث في قوله ﷺ: «ما أنبه الدم»، وهذا بين لا غبار عليه.

المسألة الثالثة عشرة: لا تصح الذكاة إلا بشاة، ولذلك قلنا: لا تصح من الجنون ومن لا يعقل، لأن الله تعالى منعها من المجوس، وهذا يدل على اعتبار التنية، ولو لم يعتبر القصد لم يبال بمن وقعت، وسكملت القول فيه في سورة الأتعام، [إلى أن قال:]

المسألة السابعة عشرة: قوهم: إن الاستثناء يرجع إلى التحريم لا إلى الحرمة، وهو كلام من لم يفهم ما التحريم، وقد ثبت أن التحريم حكم من أحكام الله تعالى، وقد شرحنا في غير موضع أن الأحكام ليست صفات للأعيان، وإنما هي عبارة عن قول الله تعالى: «ما أحل الله لكم من الميتة» [٢: ٥٣٧] المقول فيه، وهو المختار عنه.

ابن عطفية: واختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذُكِّمْتُمْ﴾ فقال ابن عباس والحسن بن أبي الحسن وعلي بن أبي طالب وقسادة وإبراهيم التيمي وطاووس وعبيد بن عمير والفتحاك وابن زيد وجمهور العلماء: الاستثناء هو من هذه المذكورات، فما أدرك منها بطريق معين أو يمتص برجل أو يحرق ذنباً، وبالمجمل ما يتحقق أنه لم تنفخ نفسه بل له حياة، فإنه يذكى على ستة الذكاة ويؤكل، وما لماضت نفسه فهو في حكم الميتة بالوجع ونحوه، على ما كانت أباها عليه تعتقده.

وقال مالك رحمه الله مرة هذا القول، وقال أيضا - وهو المشهور عنه وعن أصحابه من أهل المدينة - : إن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ﴾ معناه من هذه المذكورات في وقت تصح فيه ذكاتها، وهو ما لم تنفذ مقاتلها ويتحقق أنها لا تعيش، ومتى صارت في هذا الحد فهي في حكم الميتة.

قال بعض المفسرين: إن الاستثناء في قول الجمهور متصل، وفي قول مالك منقطع، لأن المعنى عنده: لكن ما ذُكِّتُمْ مما تجوز ذكيتته فكلوه، حتى قال بعضهم: إن المعنى: إلا ما ذُكِّتُمْ من غير هذه فكلوه.

وفي هذا عندي نظر، بل الاستثناء على قول مالك متصل، لكنه يخالف في الحال التي تصح ذكاة هذه المذكورات. وقال الطبري: «إن الاستثناء عند مالك من التحريم لا من المهرمات». وفي هذه العبارة تجوز كثير، وحينئذ يلتزم المعنى.

الطبرسي: يعني إلا ما أدركتم ذكاته فذكيتموه من هذه الأشياء. وموضع (ما) نصب بالاستثناء. وروي عن السيدين الباقر والصادق (عليهما السلام) «إن أدنى ما يدرك به الذكاة أن تدركه بتمركز أذنه أو ذنبه أو تطرف عينه» وبه قال الحسن وقسادة وإبراهيم وطاووس والضحاك وابن زيد.

واختلف في الاستثناء إلى ما ذا يرجع؟ فقيل: إلى جميع ما تقدم ذكره من المهرمات، سوى ما لا يقبل الذكاة من الخنزير والدم، عن علي (عليه السلام) وابن عباس، وقيل: هو استثناء من التحريم لا من المهرمات، لأن الميتة لا ذكاة لها ولا الخنزير، فمعناه: حرمت

عليكم سائر ما ذكر إلا ما ذُكِّتُمْ مما أحله الله لكم بالتذكية، فإنه حلال لكم، عن مالك وجماعة من أهل المدينة، واختاره الجبائي.

ومنى قيل: ما وجه التكرار في قوله: ﴿وَالْمُحَنَّقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ﴾ إلى آخر ما عُدَّ قهرمه، مع أنه التثنية الآية بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ والميتة تعم جميع ذلك، وإن اختلفت أسباب الموت من خنق أو نرد أو نطح أو إهلال لغير الله به أو أكل سح؟

فالجواب: أن الفائدة في ذلك أنهم كانوا لا يعدون الميتة إلا ما ماتت حنقا أو نطحا من دون شيء من هذه الأسباب، فأعلمهم الله سبحانه أن حكم الجميع واحد، وأن وجه الاستباحة هو الذكوة المشروعة فقط. قال النووي: «إن ناسا من العرب كانوا يأكلون جميع ذلك ولا يعدونه ميتا، إنما يعدون الميت الذي يموت من الخنق» المرجع مسدود (٢: ١٥٧)

نحوه الألويسي. الفخر الرازي: أصل الذكاة في اللغة: إتمام الشيء، ومنه الذكاء في الفهم وهو قامة، ومنه الذكاء في السن. وقيل: «جري المذكيات غلاب» أي جري المستات التي قد أسست. وتأويل تمام السن: النهاية في الشباب، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له: الذكاة في السن. ويقال: ذكيت النار، أي أتممت إشعالها.

إذا عرفت هذا الأصل فنقول: الاستثناء المذكور في قوله: ﴿إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ﴾ فيه أقوال: الأول: أنه استثناء من جميع ما تقدم من قوله ﴿وَالْمُحَنَّقَةُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّيِّعُ﴾، وهو



قول علي وابن عباس والحسن وقتادة. فعلى هذا إن أدركت ذكاته بأن وجدت له عينا تطرف أو ذئبا يتحرك أو رجلا تركض، فاذبح، فإنه حلال، فإنه لولا بقاء الحياة فيه لما حصلت هذه الأحوال، فلما وجدت مع هذه الأحوال دل على أن الحياة بتمامها حاصلة فيه.

والقول الثاني: أن هذا الاستثناء مخصص بقوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّيِّءُ﴾.

والقول الثالث: أنه استثناء منقطع، كأنه قيل: لكن ما ذكيت من غير هذا فهو حلال.

والقول الرابع: أنه استثناء من التصريم لاسن المحرمات، يعني حرّم عليكم ما مضى إلا ما ذكيتكم، فإنه لكم حلال. وعلى هذا التقدير يكون الاستثناء منقطعا أيضا.

نحوه الثيسابوري.

الثعكبري: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ في موضع نصب استثناء من الموجب قبله، والاستثناء راجع إلى المتردية، والطبيعة، وأكلة السبع. (٤١٨: ١)

القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ نصب على الاستثناء المتصل، عند الجمهور من العلماء والفقهاء. وهو راجع على كل ما أدرك ذكاته من المذكورات وفيه حياة، فإن الذكاة عاملة فيه، لأن حق الاستثناء أن يكون مصروفا إلى ما تقدم من الكلام، ولا يقبل منقطعا إلا بدليل يجب التسليم له.

[ثم أدام البحث نحو ابن العربي] (٥٠: ٦)

البيضاوي: إلا ما أدركتم ذكاته، وفيه حياة

مستقرة من ذلك، وقيل: الاستثناء مخصوص بما أكمل السبع. والذكاة في الشرع لقطع الحلقوم والمرئ به.

نحوه أبو السعود. (٢٣٧: ٢)

التسفي: إلا ما أدركتم ذكاته، وهو يضرب اضطراب المذبح. والاستثناء يرجع إلى المنخقة وما بعدها، فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها وسقى عليها، حلت.

الحازن: يعني إلا ما أدركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الأشياء المذكورة. والظاهر أن هذا الاستثناء يرجع إلى جميع المحرمات المذكورة في الآية من قوله تعالى: ﴿وَالْمُخَنَّقَةُ﴾ إلى ﴿وَمَا أَكَلَ السَّيِّءُ﴾. وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن وقتادة.

قال ابن عباس: يقول الله تعالى: ما أدركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال. وقال الكلبي: هذا الاستثناء مما أكل السبع خاصة. والقول هو الأول. [ثم نقل الأحوال المتقدمة في الإدراك وقال:]

وأصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، فالمراد من الذكاة: تمام قطع الأوداج وإنهار الدم. (٧: ٢) أبو حيان: [قال نحو ابن عطية والفخر الرازي وأضاف:]

والظاهر أنه استثناء متصل، وإيمان على هذه الخمسة وإن كان في حكم الميتة، ولم يكشف بذكر الميتة، لأن العرب كانت تعتقد أن هذه الحوادث على المأكول كالذكاة، وأن الميتة ما ماتت بوجع دون سبب

يُعرف من هذه الأسباب.

وظاهر قوله: ﴿إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ﴾ يقتضي أن ما لا يُذكر لا يجوز أكله كالجنين إذا خرج من بطن أمه المذبوحة ميتاً، إذا كان استثناءً منتظماً فيندرج في عموم الميتة. وهذا مذهب أبي حنيفة.

ونهب الجمهور إلى جواز أكله. والحديث الذي استنبطوا منه الجواز حجة لأبي حنيفة لاهم، وهو «ذكاة الجنين ذكاة أمه» المعنى على اقتضائه، أي ذكاة الجنين مثل ذكاة أمه، فكما أن ذكاتها الذبح فكذلك ذكاته الذبح. ولو كان كما زعموا، لكان التركيب ذكاة أم الجنين ذكاته. (٤٢٣: ٣)

الشَّريبي: استثناء متصل، أي إلا ما أدركتم ذكاته وصار فيه حياة مستقرة من ذلك، فهو حلال. (٣٥٢: ١)

البروسوي: أي إلا ما أدركتم ذكاته من قبله. والأشياء وفيه بقاء حياة يضطرب اضطراب المذبوح، فإنه يحل لكم، فأما ما صار بمجرع السبع إلى حالة المذبوح، فهو في حكم الميتة، فلا يكون حلالاً وإن ذبحته. وكذلك المتردية والقطيعة إذا أدركتها حيّة قبل أن تصير إلى حالة المذبوح فذبحتها، تكون حلالاً. ولو رمى إلى صيد في الهواء وأصابه فسقط على الأرض ومات، كان حلالاً، لأن الوقوع على الأرض من ضرورته. وإن سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات، فلا يحل، وهو من المتردية، إلا أن يكون السهم أصاب مذبحة في الهواء، فيحل كيف ما وقع، لأن الذبح قد حصل بإصابة السهم المذبوح، وأما ما أبين من

الصيد قبل الذكاة فهو ميتة.

والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم «المريء»، وهو اسم لما اتصل بالحلقوم، وهو الذي يجري فيه الطعام والشراب. وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع الحلقوم والمريء، وكما أنه أن يقطع الوتران معهما.

ويجوز بكل محدّد من حديد أو قصب أو رُجاج أو حجر أو نحوها، فإن جمهور العلماء على أن كل ما أفرى الأوداج وأنهر الدّم، فهو من آلات الذكاة، ما خلا السنّ والظفر والعظم ما لم يكن السنّ والظفر منزوعين، لأن الذبح بهما يكون خنقاً. وأما المنزوعان منهما إذا أفرى الأوداج فالذكاة جائزة بهما عندهم.

والذكاة: الذبح التام الذي يجوز معه الأكل ولا يحرم، لأن أصل الذكاة إتمام الشيء، ومنه: الذكاة في القتل إذا كان تاماً العقل. (٣٤١: ٢)

استثناء من جميع المحرمات التي يتوقف حلها على تذكية الإنسان لها، أي إمامتها إمامة شرعية لأجل أكلها، أم هو استثناء من الأخير، وهو ما أكل السبع؟ أم هو استثناء من التحريم دون المحرمات، بقصد به أنه حرّم عليكم ما ذكر إلا ما ذكّيتم، أي ولكن لم يحرم عليكم ما ذكّيتموه بقطعكم عما يذكي؟ والأول هو الظاهر المتبادر، ورجحه ابن جرير بعد ذكره وذكر الثالث، وجعله بعضهم استثناء من المنهقة والثلاث بعدها، لأن ما أهل به لغير الله، وما ذبح على التمسب لا شأن للتذكية فيها. [ثم نقل قول الطبري إلى أن قال:]

أما الذُّكَاةُ والذُّكَاةُ والتَّذْكِيَةُ والإِذْكَاةُ، فمعناها في أصل اللغة: إتمام فعل خاصٍّ أو تمامه، لا مجرد إيقاع ذلك الفعل أو وقوعه. يقال: ذكيت الثَّارَ تذكو ذُكُوًا وذُكًا وذُكَاءً، إذا تَمَّ اشتعالها، والشمس إذا اشتدت حرارتها كأنَّما يعتاد وأكمله، وذكى الرجل كرمى ورضى: تَمَّتْ فطنته، وأذكى الثَّارَ وذُكَّاهَا تذكِيَةً. وذكى البهيمة، إذا أزهق روحها، وإن بدأ بذلك غيره، أو عرضت لها علة توجب له لو تراكمت، إذا عبرة بالتمام. قال في «لسان العرب»: الذُّكَاةُ: تذكو وهيج الثَّار. يقال: ذُكِيَتِ الثَّارُ، إذا تَمَّتْ إشعالها ورفها، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذُكِّيْتُمْ﴾ ذُجِهَ على القمام، والذُّكَاةُ: تمام لإيقاد الثَّار مقصور، يُكْتَبُ بالالف. اهـ.

أقول: ذكر الذَّبْحِ مثال، ومثله غيره، معًا تَتِمُّ بِهِ الإِمَاتة، كنحر البعير وطعن المترددة في البئر والحفرة، وحق الجراح الصيد.

والذُّكَاةُ: السَّنُّ - القُمْرُ - أيضًا. يقال: بلغت الذُّكَاةُ الذُّكَاةَ، أي السَّنَّ، وأصله: أنهم يعرفون أعمارها برؤية أسنانها، ومنه: «جري المذْكِيَاتُ غلاب» وهي الخيل تَمَّتْ قوتها، وأشرفت على النقص، فهي كغالب الجري مغالبةً، وذكى الرجل - بالتشديد - أسنَّ وبدن. وفي السَّنِّ معنى القمام، قال في «اللسان»: وتأويل تمام السَّنِّ: النهاية في الشباب، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له: الذُّكَاةُ، والذُّكَاةُ في الفهم: أن يكون فهمًا تامًّا سريع القبول.

ابن الأنباري: في ذكاه الفهم والذَّبْحُ: إته التمام وإثما محدودان. اهـ.

ثم نقل أقوالاً عن اللغويين في كون الذَّبْحِ والتَّحَرُّرِ ذكَاةً، وذكر أهوال بعضهم في تفسير الآية، وقال: وأصل الذُّكَاةُ في اللغة إتمام الشيء، فمن ذلك: الذُّكَاةُ في السَّنِّ والفهم. اهـ.

وعد جعل النبي ﷺ خزق حديد المراضى وقتل الكلب ونحوه للصيد ذكَاةً؛ ففي حديث عدي بن حاتم في الصَّحْبِيِّين وغيرهما: «إذا رميت بالمراضى<sup>(١)</sup> فخرق، فكُله، وإن أصابه بمرضه فلا تأكله»، وفي رواية: «إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله» فإن أمسك عليك فأدركته حيًّا فاذبجه، وإن أدركته قد قُتل ولم يأكل منه فكُله؛ فإن أخذ الكلب ذكَاةً. [إلى أن قال:]

ولما كانت الذُّكَاةُ المعتادة في الغالب لصغار الحيوانات المقدور عليها هي الذَّبْحُ، كسر التعبير به، فجعلته الفقهاء هو الأصل، وظنوا أنه مقصود بالذَّاتِ التي هي ذكَاةٌ، فعمل بعضهم مشروعته الذَّبْحُ، بأنه يخرج الدم من البدن الذي يضرب بقاؤه فيه، لما فيه من الرطوبات والفضلات، ولهذا اشترطوا فيه قطع المخلوق والودجين والخريء، على خلاف بينهم في تلك الشروط.

وإن هذا لتتحكم في الطب والشرع بغير بينة، ولو كان الأمر كما قالوا لما أحل الصيد الذي يأتي به

(١) المراضى: بالكسر، سهم يُرمى به بلا ريش ولا

نصل يمضي عرضًا فيصيب بمرض العود لا بجذته.

(ابن منظور ٧: ١٨٠)

يكون ما حل بها من شأنه أن يقتلها سريعاً - أو يقتلها  
حتماً - فهذه حتى لو أدركت بالذبح لا تكون مذكاة.  
بينما بعض الأقوال يعتبرها مذكاة متى أدركت وفيها  
الروح، أيما كان نوع الإصابة، والتفصيل يُطلب في  
كتب الفقه المختصة. (٢: ٨٤٠)

ابن عاشور: وقوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ استثناء من  
جميع المذكور قبله، من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾،  
لأن الاستثناء الواقع بعد أشياء يصلح لأن يكون هو  
بعضها، يرجع إلى جميعها عند الجمهور، لا يرجع إلى  
الأخيرة إلا عند أبي حنيفة والإمام الرأزي،  
والمذكورات قبل بعضها محرمات لذاتها وبعضها  
محرمات لصفاتها. «حيث كان المستثنى حالاً لا ذاكلاً،  
لأن الذكاة حالة، تعين رجوع الاستثناء لما عدا لحم  
الحيوان، إذ لا معنى لتحريم لحمه إذا لم يُذَكَّ، وتحليله  
إذا لم يُذَكَّ، وهذا حكم جميع الحيوان عند قصد أكله.

ثم إن الذكاة حالة تقصد لقتل الحيوان، فلا تتعلق  
بالحيوان الميت، فملم عدم رجوع الاستثناء إلى الميتة،  
لأنه عبت، وكذلك إنما تتعلق الذكاة بما فيه حياة،  
فلا معنى لتعلقها بالدم، وكذا ما أهل تغير الله به، لأنهم  
يُهلّون به عند الذكاة، فلا معنى لتعلق الذكاة بتحليله،  
فنعين أن المقصود بالاستثناء: المنخقة، والموقودة،  
والمرتدة، والتطيحة، وما أكل السبع. فإن هذه  
المذكورات تعلقت بها أحوال تُنفي بها إلى الهلاك،  
فإذا هلكت بتلك الأحوال لم يُبَحَّ أكلها، لأنها حينئذ  
ميتة، وإذا تداركوها بالذكاة قبل القوات أبيع أكلها.  
والمقصود أنها إذا ألحقت الذكاة بها، في حالة هي

الجوارح ميتاً، وحيد السهم والمعرّض إذا خُزِفَ، لأن  
هذا الخُزْفَ لا يخرج الدم الكثير كما يخرج الذبح.  
والصواب: أن الذبح كان ولا يزال أسهل أنواع  
التذكية على أكثر الناس؛ فلذلك اختاروه وأقرهم  
الشرع عليه، لأنه ليس فيه من تعذيب الحيوان ما في  
غيره من أنواع القتل، كما أقرهم على حيد الجوارح  
والسهم والمعرّض، ونحو ذلك.

وإني لأعتقد أن النبي ﷺ لو أطلع على طريقة  
للتذكية أسهل على الحيوان ولا ضرر فيها كالتذكية  
بالكهربائية - إن صح هذا الوصف فيها - لفعلها على  
الذبح، لأن قاعدة شريعته أنه لا يحرم على الناس إلا  
ما فيه ضرر لأنفسهم أو غيرهم من الأحياء، ومنه  
تعذيب الحيوان بالوقد ونحوه، وأمور العادات في  
الأكل واللباس ليست مما يعتمد الله الناس تعذيباً  
بإقرارهم عليه، وإنما تكون أحكام العبادات بغير تعذيب  
من الشارع تدل عليها، ولا يُعترف مراد الشارع  
وحكمته في مسألة من المسائل إلا بفهم كل ما ورد  
فيها بجملته، ولو كان إقرار الناس على الشيء من  
العادات أو استئناف الشارع لها حجة على التعبد بها،  
لوجب على المسلمين اتباع النبي ﷺ في كيفية أكله  
وشربه ونومه، بل هنالك ما هو أجدر بالوجوب  
كالإزام صفة مسجده، وحينئذ يحرم فرسه ووضع  
السرج والمصايح فيه. (٦: ١٤٠)

سيد قطب: هناك تفصيلاً في الأقوال الفقهية،  
واختلافاً في حكم «التذكية»، ومتى تُعتبر البهيمة  
مذكاة. فبعض الأقوال يخرج من الذكاة البهيمة التي

فيها حية.

وهذا البيان ينه إلى وجه الحصر في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ قِسْطًا أُهْلَ الْغَيْرِ اللَّهُ بِهِ الْأَنْعَامُ: ١٤٥﴾، فذكر أربعة لا تعمل الذكاة فيها شيئاً، ولم يذكر المنخنقة والموقوذة، وما عطف عليها هنا، لأنها تحرم في حال اتصال الموت بالسبب لا مطلقاً؛ فعضوا على هذا بالتواجد.

و للفقهاء في ضبط الحالة التي تعمل فيها الذكاة في هاته الخمس عبارات مختلفة:

فما لجمهور ذهبوا إلى تحديدها، بأن يتس في الحيوان رمق و علامة حياة قبل الذبح أو التحريم، من تحريك عضو أو عين أو قدم تحريكاً يدل على الحياة عرفاً، وليس هو تحريك انطلاق الموت. وحيث قيل: مالك في «الموطأ»، ورواية جمهور أصحابه عنه.

وعن مالك: أن المذكورات إذا بلغت ميلاً أخذت معه مقاتلتها، بحيث لا ترجى حياتها لو تركت بلا ذكاة. لا تصح ذكاتها، فإن لم تنفذ مقاتلتها عملت فيها الذكاة. وهذه رواية ابن القاسم عن مالك، وهو أحد قولي الشافعي. ومن الفقهاء من قالوا: إنما ينظر عند الذبح أحيّة هي أم ميتة؟ ولا ينظر إلى حالة هل يعيش مثلها لو تركت دون ذبح، وهو قول ابن وهب من أصحاب مالك، واختاره ابن حبيب، وأحد قولين للشافعي.

ونفس الاستثناء الواقع في الآية يدل على أن الله

رخص في حالة هي محل توقف في إعمال الذكاة، أما إذا لم تنفذ المقاتل فلا يخفى على أحد أنه يباح الأكل، إذ هو حينئذ حيوان مرضوض أو مجروح، فلا يحتاج إلى الإسلام بإباحة أكله بذكاة، إلا أن يقال: إن الاستثناء هنا منقطع بمعنى «لكن» أي لكن كلوا ما ذكتم دون المذكورات، وهو بعيد.

ومن العلماء من جعل الاستثناء من قوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّيِّءُ﴾ على رأي من يجعل الاستثناء للأخيرة، ولا وجه له إلا أن يكون ناظراً إلى غلبة هذا الصنف بين العرب، فقد كانت السباع والذئاب تتناهم كثيراً، ويكثر أن يلحقوها فترك أكلها، فيدركوها بالذكاة.

(٢٣: ٥)

الطهارة: وقوله: ﴿وَالأَمَّا ذَكِّيمٌ﴾ استثناء لما جعل التذكية، بمعنى فري الأوداج الأربعة منها، كما إذا كانت ميتة من الحياة يدل عليها، مثل حركة ذنب أو أثر تنفس، وهو ذلك. والاستثناء كما ذكرنا آنفاً متعلق بجميع ما يقبله من الممدودات، من دون أن يتقيد بالتعلق بالآخر، من غير دليل عليه.

وهذه الأمور الخمسة، أعني المنخنقة والموقوذة والتردية والتطحية وما أكل السبع، كل ذلك من أفراد الميتة ومصاديقها، بمعنى أن المتردية أو التطحية مثلاً إنما تحرمان إذا ماتتا بالتردي «التطح»، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَالأَمَّا ذَكِّيمٌ﴾، فإن من البديهي أنهما لا تؤكلان ما دامت الروح في جثمانهما، وإما تؤكلان بعد زهوفا، وحينئذ فإما أن تُذَكَّى أولاً، وقد استثنى الله سبحانه التذكية فلم يبق للحرمة إلا إذا

ماتتا عن تردّد أو تطح من غير تذكية.

و أما لو تردّت شاة مثلاً في بئر، ثم أخرجت سليمة مستقيمة الحال فصاشت قليلاً أو كثيراً، ثم ماتت حتف أنفها أو ذكيت بهذبح، فلا تطلق عليها المتردّية، يدلّ على ذلك السّماي، فإن المذكورات فيها ما إذا هلك، واستند هلاكها إلى الوصف الذي ذكر لها، كالانحناس والوقد والتردي والتطح.

والوجه في تخصيص هذه المصاديق من الميتة بالذكر، رفع ما ربما يسبق إلى الوهم أنّها ليست ميتة، بناء على أنّها أفراد نادرة منها، والدّهن يسبق غالباً إلى الفرد الشائع، وهو ما إذا ماتت برض ونحوه، من غير أن يكون لفاجأة سبب من خارج، فصرّح تعالى بهذه الأفراد والمصاديق النادرة باسمائها، حتى يرفع اللبس وتضع الحرمة. (١٦٥: ٥)

مكارم الشيرازي: ويرى بعض المفسّرين أن قوله طح

هذا الاستثناء يخص القسم الأخير فقط، أي ذلك الذي جاء تحت عنوان: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّيِّعُ﴾، لكن أغلب المفسّرين يرون أن الاستثناء يشمل جميع الأنواع المذكورة، والتّظريّة الأخيرة أقرب للحقيقة من غيرها.

وهنا قد يسأل البعض: لما ذالم تدخل جميع أنواع الحيوانات المحرّمة في الآية في إطار «الميتة» التي ذكرت كأول نوع من المحرّمات الأحد عشر في الآية، أليست الميتة في مفهومها تعني كلّ الأنواع المذكورة؟ والجواب هو: أن الميتة لها معان واسعة من حيث المفهوم الفقهي الشرعي، فكلّ حيوان لم يُذبح وفق

الطريقة الشرعية يدخل في إطار مفهوم الميتة، أمّا المعنى اللّغويّ للميتة فيشمل فقط الحيوان الذي يموت بصورة طبيعيّة. وهذا السّبب فإنّ الأنواع المذكورة في الآية غير الميتة لا تدخل من التّاحية اللّغويّة ضمن مفهوم الميتة، وهي محتاجة إلى البيان والتّوضيح.

(٥٢٢: ٣)

فضل الله: وأحلّ الله للإنسان، في ما أحله من حيوانات، الحيوان الذي يذكيه الإنسان، وذلك وفق شروط فقهيّة تعدّد كميّة التذكية، وهذا ما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذُكِّمْتُمْ﴾ أي لا ما أدركتم ذكاته فذكّتموه من هذه الأشياء، وقد جاء عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام «إن أدنى ما يدرك به الذكاة أن تدركه بتحرّك أذنه أو ذنبه أو تطرف عينه»، وخلاصته أن تكون به حياة، بحسب العلامات الدّالة

واختلف المفسّرون في الاستثناء، هل يرجع إلى ما تقدّم ذكره من المحرّمات غير ما لا يقبل الذكاة كالميتة والدم ولحم الخنزير، أو يرجع إلى بقرة ﴿وَمَا أَكَلَ السَّيِّعُ﴾؟ والظاهر رجوعه إلى الجميع، وقد روي ذلك عن عليّ عليه السلام وابن عباس، [ثم نقل كلام الطّبرسي وأضاف:]

و على ضوء ذلك، فإنّ الميتة في الآية لا تشمل إلا ما مات حتف أنفه، أمّا الأنواع المذكورة الأخرى، بالإضافة إلى ما ذبح بطريقة غير شرعيّة، فلا يستفاد حكمها من الميتة، بل يستفاد من التّخصيص عليها، وما يستفاد من حصر الحلال في التذكية.

ولذلك لا يمكن إلحاق الميتة مطلقاً بهذه الضاوين من التجاسة أو حرمة البيع أو نحو ذلك، مما جعل الميتة موضوعاً له، إلا بدليل خاص، لأن المفهوم القرآني اللغوي لا يشملها، والله العالم. (٢٨: ٨)

## الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الذكاء، وهو شدة وهيج النار. يقال: ذكت النار تذكو ذكواً وذكاءً واستذكت، أي اشتدت لها واشتعلت، وهي نار ذكية، على التسبب، وذكيتها وأذكيها، إذا أمتت إشعالها ورغبتها. وأذكت الحرب، إذا أوقدتها. وفي حديث الإمام علي عليه السلام في ذم الدنيا: «ذالك وقودها» أي شديده وقودها، على المجاز.

والذكوة والذكية: ما ذكيتها به من حطب أو غيره. والذكوة والذكاء: الجمرة الملتبسة والجسيم الذكو.

وذكاء: اسم الشمس. يقال: هذه ذكاء طالعة، من: ذكت النار تذكو.

وابن ذكاء: الصبح، لأنه من ضوء الشمس. والذكاء: حدة الفؤاد وسرعة الفطنة. يقال: قلب ذكي، وصبي ذكي، إذا كان سريع الفطنة. وقد ذكي يذكي ذكاً، وذكاً يذكو ذكاءً، وذكوهو ذكي. وذكوا قلبه يذكوا، إذا حَيَّ بعد بلاءة فهو ذكي. والذكاء: شدة الريح من طيب أو ثخن. يقال: مسكاً

ذكي وذالك وذكية، أي ساطع الرائحة.

والذكاء: السن. يقال: بلغت الذابة الذكاء، أي السن، لأنه التهاية في الشباب، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له: الذكاء.

والمذكي: السن من كل شيء. يقال: ذكى الرجل، أي أسن وثن.

والمذكي: الفرس الذي أتى عليه بعد قروحه سنة أو ستان، والجمع المذاكي، وفي المثل: «جسري المذكيات غلاب»، أي جري المسان القرح من الخيل أن تغالب الجري غلاباً.

والمذكي من الخيل: الذي يذهب حنطه وينقطع. والذكاء والذكاء والتذكية، الذبح. يقال: ذكيت الشاة تذكية، أي ذبحتها، وصدئي ذكي: ذبيح. وفي الحديث: «ذكاة الجنين ذكاة أمه»، أي إذا ذبحت الأم ذبح الجنين. والمراد بهذا الحديث أن ذكاة الجنين شرعاً ذكاة أمه شرعاً، لا مطلق الذبح، أي قطع الرأس، وإلا لكان كذباً، كما لا يخفى.

٢- وزعم «آرثر جفري» أن الفصل «ذكى» عبري المنشأ، وأن معناه في التوراة: التطهير والبقاء على الطهارة شرعاً.

وأبعد في السوم أيضاً: حيث قال: (إن جميع مفردات الآية الثالثة من المائدة قد تأثرت بأسفار اليهود المقدسة)

ويبدو أن الأمر قد اشتبه عليه؛ إذ حسب أن الفعلين ذكى وذكى بمعنى واحد، وهو الطهارة

ج - أنه استثناء منقطع، واختلفت لذلك الفتاوى في المذاهب الفقهية.

د - أنه استثناء من التحريم لا من المحرمات. والمختار هو الأول اعتباراً بالسباق واستناداً إلى الرواية عن بعض الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، فلاحظ النصوص.

٢ - ذكر فيها حديث: «زكاة الجنين ذكاة أمه». واختلفوا في إعرابه ومعناه، والمختار أنه مبتدأ وخبر مرفوعين، وأن المراد به أنه إذا ذكيت أم الجنين شرعاً، فهو زكاة الجنين لا يحتاج إلى ذكاة أخرى.

وقد جاء في نص ابن سيده: «والعرب تقول: ذكاة الجنين ذكاة أمه» وهو سهو لأنه حديث، وليس قول العرب.

٣ - أصل الذكاة لغة - كما قال الفخر الرازي وغيره من علماء اللغة - «وشرعاً - كما قال ابن العربي -: هي إنباء الدم، وفري الأوداج في المذبوح، والتحرر في المنحور، والعقر في غير المقدور عليه.

وفيه خلاف بين المذاهب في لزوم صدق الحلق. [لاحظ نصوص ابن العربي والمصنف وابن عاشور]

وثانياً: أنها تشريع مدني تأييداً للتشريع المكسي في الآية: ١١٥، التحلل، «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ...» والآية: ١٧٣، البقرة، «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ...» وقد أضيفت إلى المحرمات الأربع في هاتين الآيتين - المشتركين بين

والنظافة (١) وخاب عنه أن الأول يعني شدة وجع الثار - كما تقدم - والثاني يعني الطهارة.

ويرجع سبب هذا الخلط إلى أن سائر اللغات السامية لا تستعمل حرف «الذال» في مفرداتها، فبعضها يبدله زايًا كالعبرية، مثل «زأكاه»، أي شدة وجع الثار، وبعضها يبدله دالًا كالسريانية، مثل «ديبا»، أي الذئب.

## الاستعمال القرآني

آية واحدة:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْسُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيغَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِى السُّورَةِ الَّتِىَ يُنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ أَنْتُمْ أَكْمَلَتَ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَضْتُ عَلَيْكُمْ بِطْنِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْتَصَبٍ غَيْرِ مُتَّبِعٍ لَا يَمُوتُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ المائدة: ٣

ويلاحظ أولاً أن فيها نحوًا:

١ - لقد أطلوا وكثروا الكلام في هذا الاستثناء على أقوال أربعة:

- أ - رجوعه إلى الجميع سوى «الميتة».
- ب - رجوعها إلى الأخيرة: «مَا أَكَلَ السَّبُعُ».

(١) راجع: (ذكوا) و(زكوا) من كتاب «المفردات الدخيلة في



المشركين في مكة والمدينة - محرمات أخرى كانت من  
 التشريعات الجاهلية عند المشركين في مكة، وقد  
 استئنمت في الجميع حالة الضرورة، [لاحظ: المواد  
 الواردة فيها]  
 وناثًا: من نظائر هذه المسألة في القرآن: الذبح  
 راجع: هـ ذ ب ح ٨.



# ذ ل ل

١٤ لفظاً، ٢٤ مرة: ١٤ مكية، ١٠ مدنية  
في ١٧ سورة: ١١ مكية، ٦ مدنية

كُذِّبَ ١: ١	ذُلُّوا ١: ١	والذُّلُّ ذُلٌّ: أسفل القميص والقباء، ونحو ذلك.
الذُّلُّ ٣: ٣	ذُلُّوا ١: ١	ويقال: شَرُّ ذُلٍّ ذُلٌّ. قال:
ذُلَّة ٥: ٥	ذُلُّوا ١: ١	• وَعَلَمُهَا فِي السَّمِيِّ ذُلُّ الذُّلِّ •
الذُّلَّة ٢: ٢	كُذِّبَ ١: ١	(١٧٦: ٨)
أَذُلَّة ٢: ٤	ذُلُّوا ١: ١	الكِسَافِي: فَرَسٌ ذُلُّو، مِنَ الذُّلِّ.
الذُّلُّ ١: ١	ذُلُّوا ١: ١	وَرَجُلٌ ذُلُّو بَيْنَ الذُّلَّةِ وَالذُّلِّ.
الذُّلُّ ١: ١	ذُلُّوا ١: ١	(الأزهري ١٤: ٤٠٦)

أبو عمرو والشَّيْبَانِيُّ: وَقَالَ الْغَزَّارِيُّ: سَارَ الْحَسِي  
عَلَى أَذْلَاهُمْ: عَلَى رُسُلِهِمْ، وَجَنَّتْ عَلَى أَذْلَالِي،  
وَأَمْسَ عَلَى أَذْلَالِك. (٢٧٩: ١)  
رَكِبُوا ذُلَّ الطَّرِيقِ، وَهُوَ مَا وَطِئَ مِنْهُ وَذُلِّلَ.

(ابن السَّكَيْتِ: ٦٢٢)  
أَبُو زَيْدٍ: الذُّلُّ ذُلٌّ: أَسْفَلُ الْقَمِيصِ الطَّرِيقِ؛  
وَاحِدُهَا: ذُلُّ. (الأزهري ١٤: ٤٠٦)  
ابن الأعرابي: الذُّلُّ: الْحَسِيَّة.

## التَّصَوُّصُ اللَّغَوِيُّ

الْمَخْلِيلُ: الذُّلُّ: مَصْدَرُ الذُّلِّ، أَيْ الْمُنْقَادُ مِنَ  
الذُّلِّ: ذُلٌّ يَذُلُّ.

وَدَاهِيَةُ ذُلُّو: بَيْتُهُ الذُّلُّ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَيْضًا.  
وَذُلُّتُهُ تَذُلُّو. وَيُقَالُ لِلْكُرْمِ إِذَا ذُلَّتْ عَنَاقِيدُهُ: قَدْ ذُلِّلَ تَذُلُّو.  
وَالذُّلُّ: مَصْدَرُ الذُّلِّ، ذُلٌّ يَذُلُّ، وَكَذَلِكَ الذُّلَّةُ.

الواحد: ذُلُّهُ، وَذُنْذُنٌ... وَقَدْ يَجْمَعُونَ بَيْنَهُمَا [السلام  
والتون] فِي قَاهِيَتَيْنِ، [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْر]

(الكَزْزُ اللُّغَوِي: ٩)

الذُّيُورِيُّ: الْقِدْلِيلُ: تَسْوِيَةُ عُنَاقِيْدِ الْكُرْمِ،

وَتَذْلِيلُهَا. (ابن سيده ١٠: ٤٩)

الرَّجْجَاجُ: وَذَلَّ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ يَذُلُّ، إِذَا صَارَ  
ذَلِيلًا، وَأَذَلَّ، إِذَا صَارَ مُسْتَعْقًا، لِأَنَّهُ يُذَلُّ.

(فعلت وأفعلت: ١٧)

ابن دُرَيْدٍ: ذَلَّ يَذُلُّ ذُلًّا بَعْدَ عِزٍّ، وَذَلَّتِ الدَّابَّةُ

بَعْدَ شِمَاسٍ وَتَضَعُ ذُلًّا، وَالرَّجُلُ ذَلِيلٌ، وَالدَّابَّةُ  
ذَلُولٌ.

وَالذَّلَّةُ: مَصْدَرٌ فِي الذَّلِيلِ أَيْضًا.

وَيَقُولُونَ: مَا بِهِ مِنَ الذَّلِّ وَالْقُلَّةِ، أَيُّ مَا بِهِ مِنَ

الذَّلَّةِ وَالْقُلَّةِ.

وَالذَّلَّةُ وَالْجَمْعُ: أَذْلَالٌ، مِنْ قَوَلِهِمْ: إِنَّ الْأُمُورَ

تَجْرِي عَلَى أَذْلَالِهَا، أَيُّ عَلَى مَسَالِكِهَا وَطُرُقِهَا.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَاسْتَلْكَ سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا﴾

التَّحِلُّ: ٦٩، أَيُّ عَلَى قَصْدِهَا، وَانَّهُ أَعْلَمُ. (١: ٧٩)

وَلَمْ يَأْتِ فِي الْمُضَاعَفِ «فَعْلَاءٌ» أَيُّ لَمْ يَأْتِ سِرْمٌ  
وَسُرْرَاءٌ، وَبَرَزَ مِنَ الْمُضَاعَفِ، لِأَنَّهُ رَائِي.

وَقَالُوا: بَنَارُ جَرُّرٍ: جَمْعُ جَرُّورٍ، وَإِبِلُ ذُلِّلٍ، جَمْعُ

ذُلُولٍ. (٣: ٥١٢)

نَفْطَوِيَّةٌ: ﴿ذَلَّلْتُ نَفْطَوِيَّهَا﴾ الدَّهْرُ: ١٤، أَيُّ

أَمْكِنْتُ، فَلَا تَمْنَعُ عَلَى طَالِبٍ، يُقَالُ لِكُلِّ مُطْعِمٍ غَيْرِ

مَمْنَعٍ: ذَلِيلٌ بِمَنْ غَيْرِ النَّاسِ: ذُلُولٌ. (الْمَرْوِيُّ ٢: ٦٨١)

الْقَالِي: وَالذَّلُّ: الذَّلَّةُ. (١: ٧٦)

وَاحِدُ الذَّلَالِ: ذُلُّهُ وَذُلَّتِيَّةٌ، وَهِيَ الذَّلَالِيزُ

أَيْضًا، وَاحِدُهَا: ذُنْذُنٌ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٤: ٤٠٨)

ابن السِّكِّيتِ: وَرَجُلٌ ذُلُولٌ بِالمَعْرُوفِ، بَيْنَ

الذَّلِّ، إِذَا كَانَ سَلِيًّا بِالمَعْرُوفِ. (٢٠٣)

وَيُقَالُ: ارْكَبُوا ذُلَّ الطَّرِيقِ. (٤٧٥)

وَيُقَالُ: صَارَ الثُّوبُ ذَلَالًا، وَاحِدُهَا: ذَلَالٌ

وَذُلْلٌ، وَذُلْلٌ.

وَذَلَالُ الثُّوبِ: أَطْرَافُهُ. (٥٢٢)

وَيُقَالُ: هَذَا جَمَلٌ ذُلُولٌ بَيْنَ الذَّلِّ.

الذَّلُّ: ضِدُّ الصَّعْبَةِ.

وَالذَّلُّ وَالذَّلَّةُ: ضِدُّ الْعِزِّ.

وَالذَّلُولُ: ضِدُّ الصَّعْبِ.

وَالذَّلِيلُ: ضِدُّ الْعَزِيزِ.

وَجَاؤُا عَلَى كُلِّ صَنْبٍ وَذُلُولٍ.

وَقَالُوا: أُمُورُ اللَّهِ جَارِيَةٌ عَلَى أَذْلَالِهَا، أَيُّ عَلَى

بَحَارِهَا، [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْر] (٦٢٢)

وَالذَّلُّ: ضِدُّ الصَّعْبَةِ. يُقَالُ: دَابَّةٌ ذُلُولٌ بَيْنَ الذَّلِّ،

إِذَا لَمْ يَكُنْ صَعْبًا.

وَالذَّلُّ: ضِدُّ الْعِزِّ. يُقَالُ: رَجُلٌ ذَلِيلٌ بَيْنَ الذَّلِّ

وَالذَّلَّةِ، وَالْمَذَلَّةِ. (إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ: ٣٣)

وَتَقُولُ: هَذَا رَجُلٌ ذَلِيلٌ بَيْنَ الذَّلِّ، مِنْ قَوْمٍ أَذْلَاءَ

وَأَذَلَّةَ.

وَدَابَّةٌ ذُلُولٌ بَيْنَ الذَّلِّ، مِنْ دَوَابِّ ذُلِّلَ.

وَتَقُولُ: أُمُورُ اللَّهِ جَارِيَةٌ عَلَى أَذْلَالِهَا، أَيُّ عَلَى

بَحَارِهَا. (إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ: ٣١١)

وَيُقَالُ: ذَلَالُ الْقَمِيصِ وَذَنَابُهُ: لِأَنَّهُ

فليصبر لها، فإن ذلك أبقى لأهله وماله، فإنه إن اضطرب فيها لم يأمن أن يستأصل ويهلك.

ووجه آخر: أن الرجل إذا علت هيمته وسمت إلى طلب المعالي عودي وتوزع وقوتل، فرمى أتى القتل على نفسه، وإن صبر على الذل وأطاع المستلط عليه، حتن دمه وحتى أهله وماله. (٤٠٦: ١٤)

الصاحب: الذل: مصدر الذلول، ذلَّ يذلُّ ذُلًّا، وهو المنقاد لك من الدواب.

وذلُّ الطريق: ما وطئ منه.

والكرم إذا ذلت عناقيدُه: قد ذلَّ ثديلاً، وكذلك إذا سويت غذوقه.

والذلُّ والذلة: مصدر الذليل، ذلَّ يذلُّ.

والذلان: الذليل.

والقوم ذلةً وأذلةً وأذلاء.

وذكر ذلولي: حسن الخلق دميم؛ وجمعه: ذلوليون.

والذلول: أسفل القميص والقباء ونحوه، وهو الذلول أيضاً والجميع: الذلّال.

وجاءت الأمور على أذلّالها، أي على وجوهها وبجانبها.

ودعّه على أذلّاله، أي على حاله.

وأطوّر التوب على أذلّاله، أي على متجسّره أي غرّه.

وأذلّال من الناس وذلاذل منهم وذليذلات وذليذلات، أي وأخر قليل من الناس.

والتذلل: الاضطراب والاسترخاء.

يقال: ذليل عاذ بقرملة. وهي شجرة صغيرة، يقال ذلك: لمن عاذ بمن هو أذلّ منه أو مثله. (١١٦: ١)

والذلّال: ما أحاط بالقميص من أسفله؛ واحدها: ذلّال، ذلّال. وقال أبو زيد: وذلّال.

(٢٧٠: ٢)

الأزهري: ويقال: حائط ذليل، أي قصير. وثبت ذليل: قصير السك من الأرض، ورُمع ذليل: قصير.

ويجمع الذليل من الناس: أذلةً وذلاكا، ويجمع الذلول: ذلّال.

ويقال: أجز الأمور على أذلّالها، أي على أحوالها التي تصلح عليها وتشر وتسهل؛ واحدها: ذلّ، [ثم]

استشهد به]

وطريق مذلل، إذا كان موطوء سهلاً.

وذلك القوافي للشاعر، إذا سهلت.

وفي حديث زياد في خطبته: «إنا رأيت سقياً أذلّالاً» فهلككم الأمر فانفذوه على أذلّاله أي على وجهه.

وقوله: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ» آل عمران: ١٢٣، جمع ذليل.

قلت: هذا جمع مطرّد في المضاعف، وإذا كان «فعليل» صفة لا تضعيف فيه، جُمع على «فَعْلَاء»،

كقولك: كريم وكُرَماء، ولئيم ولُؤَماء، وإذا كان اسماً جُمع على «أَفْعِلَة»، يقال: جريبٌ وأجربسة، وقبير وأقفرة.

والذلّان: جمع الذليل أيضاً.

وفي حديث ابن الزبير: «الذلّ أبقى للأهل والمال» تأويله أن الرجل إذا أصابته حطة ضيم

وَأَذْلَوْنِي: أَسْرَعَ. (٥٧: ١٠)  
 الْخَطَّابِي: وَأَسَافِلُ الْقَمِيصِ يُقَالُ لَهَا: الذَّلَازِلُ  
 وَاحِدُهَا: ذَلْزَلٌ. [تَمْ اسْتَشْهَدْ بِشَعْرٍ] (٣٨٧: ٢)  
 الْجَوْهَرِي: الذَّلُّ: ضِدُّ الْبِرِّ. وَرَجُلٌ ذَلِيلٌ بَيْنَ  
 الذَّلِّ وَالزَّلَّةِ وَالْمَذَلَّةِ، مِنْ قَوْمٍ أَذْلَاءُ وَأَذَلَّةٌ.  
 وَالذَّلُّ بِالنِّسْبَةِ: الذَّلِينُ، وَهُوَ ضِدُّ الصُّعُوبَةِ. يُقَالُ:  
 دَابَّةٌ ذَلُولٌ بَيْنَةَ الذَّلِّ، مِنْ دَوَابِّ ذُلٍّ، وَمِنْهُ غَوْلُهُمْ:  
 بَعْضُ النَّوْلِ أَبْقَى لِلْأَهْلِ وَالْمَالِ.

وغير المذلة: الوَيْد، لأنه يُشَجَّ رأسه.  
 وَذَلَالُ الْقَمِيصِ: مَا يَلِي الْأَرْضَ مِنْ أَصْفَلِهِ  
 الْوَاحِدُ: ذَلْزَلٌ، مِثْلُ: قُتُقْمٌ وَقُمَاقِمٌ.

و كذلك ذَلْزَلُ الْقَمِيصِ، وَهُوَ قَصْرُ الذَّلَازِلِ.  
 وَأَذَلُّهُ وَذَلَّلَهُ وَاسْتَذَلَّهُ، كُلُّهُ بِمَعْنَى:  
 وَتَذَلَّلَ لَهُ، أَيْ خَضَعَ.  
 وَأَذَلَّ الرَّجُلَ، أَيْ حَارَ أَصْحَابَهُ أَذْلَاءً.  
 وَقَوْلُهُمْ: جَاءَ عَلَى أَذْلَالِهِ، أَيْ عَلَى وَجْهِهِ.  
 يُقَالُ: دَعَا عَلَى أَذْلَالِهِ، أَيْ عَلَى حَالِهِ.

وَأُمُورُ اللَّهِ جَارِيَةٌ عَلَى أَذْلَالِهَا، أَيْ عَلَى جَمَارِهَا  
 وَطَرَفِهَا. [وَاسْتَشْهَدْ بِالشَّعْرِ مَرَّتَيْنِ] (١٧٠: ٦)  
 ابْنُ فَارَسٍ: الذَّالُّ وَالذَّلَامُ فِي التَّضْيِيفِ وَالْمُطَابَقَةِ  
 أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى الْخُضُوعِ، وَالْإِسْكَانَةِ، وَاللَّيْنِ.  
 فَالذَّلُّ: ضِدُّ الْبِرِّ.

و هذه مقابلة في التضاد صحيحة، تدل على  
 الحكمة التي خصت بها العرب دون سائر الأمم، لأن  
 الميز من المزاز، وهي الأرض الصلبة الشديدة؛  
 والذلل: خلاف الصعوبة.

و حكي عن بعضهم أنه قال: بعض الذل - بكسر  
 النون - أبقى للأهل والمال. يقال من هذا: دابة ذلول  
 بين الذل.  
 ومن الأول: رجل ذليل بين الذل والمذلة  
 والذلة. ويقال لما وطئ من الطريق: ذلٌّ. وذليل  
 القطف تذليلًا، إذا لَانَ وَتَدَلَّى. ويقال: أجبر الأمور  
 على أذلالتها، أي استقامتها، أي على الأمر الذي تطوع  
 فيه وتنقاد.

ومن الباب: ذلالُ القميص، وهو ما يلي الأرض  
 من أسفلها، الواحدة: ذَلْزَلٌ.

و يقولون: أَذْلَوْنِي الرَّجُلَ أَذْلِيلًا، إِذَا أَسْرَعُوا، وَهُوَ  
 مِنْ الْبَابِ. (٣٤٥: ٢)

أَبُو هِلَالٍ: الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَاضِعِ وَالتَّذَلُّلِ: أَنَّ  
 التَّذَلُّلَ إِظْهَارُ الْعِجْزِ عَنْ مَقَاوِمَةٍ مِنْ يَتَذَلَّلُ لَهُ،  
 وَالتَّوَاضِعُ إِظْهَارُ قُدْرَةٍ مِنْ يَتَوَاضِعُ لَهُ، سِوَاهُ كَانَ ذَا  
 قُدْرَةٍ عَلَى الْمُتَوَاضِعِ أَوْ لَا.

الآن ترى أنه يقال: العبد متواضع لخدمته، أي  
 يعاملهم معاملة من هم عليه قدرة، ولا يقال: يتذلل  
 لهم، لأن التذلل إظهار العجز عن مقاومة المتذلل له،  
 وإنه قاهر، وليست هذه صفة المالك مع خدمه.

الفرق بين التذلل والذل: أن التذلل فصل  
 الموصوف به، وهو إدخال النفس في الذل، كالتحلم  
 إدخال النفس في الحلم. والذليل المقول به الذل، من  
 قبل غيره في الحقيقة، وإن كان من جهة اللفظ غاعلاً.  
 ولهذا يمدح الرجل بأنه متذلل، ولا يمدح بأنه ذليل،  
 لأن تذللته لغيره اعترافه له، والاعتراف حسن.

و يقال: العلماء متذللون لله تعالى، ولا يقال: أدلاء له سبحانه.

الفرق بين الذل والضيعة: أن الضيعة لا تكون إلا بفعل الإنسان بنفسه، ولا يكون بفعل غيره وضيقاً، كما يكون بفعل غيره ذليلاً، وإذا غلبه غيره قبل، هو ذليل، ولم يقل: هو وضيع. ويجوز أن يكون ذليلاً، لأنه يستحق الذل، كالمؤمن يصير في ذل الكفر، فيميت به ذليلاً، وهو عزيز في المعنى، فلا يجوز أن يكون الموضع رقيقاً.

الفرق بين الذل والعغار: أن العغار هو الاعتراف بالذل والإقرار به، وإظهار صف الإنسان وخلافه: الكبر، وهو إظهار عظم الشأن. وفي القرآن ﴿سُيُوسِبَ الَّذِينَ آمَنُوا عِندَ اللَّهِ بِالْأَنْعَامِ﴾ ١٢٤: وذلك أن القصاة بالآخرة مقرون بالذل، معترفون به. ويجوز أن يكون دليل لا يعترف بالذل.

الفرق بين الذل والخزي: أن الخزي ذل مع اقتضاح، وقيل: هو الانتقام لبيع الفعل، والخزاية: الاستحياء، لأنه انتقام عن الشيء، لما فيه من العيب. قال ابن درستويه: الخزي، الإقامة على السوء، خزي يخزي خزيًا، وإذا استعيا من سوء فعله، أو فعل به، قيل: خزي يخزي خزايةً، لأنهما في معنى واحد، وليس ذلك بشيء، لأن الإقامة على السوء والاستحياء من السوء، ليسا بمعنى واحد.

الفرق بين الذل والضراعة: أن الضراعة مشتقة من الضرع، والضرع معرض لحاله والشارب منه، فالضارع هو المنقاد الذي لا امتناع به؛ ومنه التضرع في

الدعاء والسؤال وغيرهما، ومنه الضرع الذي ذكره سبحانه وتعالى في كتابه، إنما هو من طعام وذل، لا منفعة فيه لا كلب، كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَا يَسْنِبُ وَلَا يُفْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ الغاشية: ٧.

ويجوز أن يقال: التضرع هو أن يميل أصبعه يميناً وشمالاً، خوفاً وذللاً؛ ومنه سمي الضرع ضرعاً لميل اللب إليه، والمضارعة: المشاجرة، لأنها ميل إلى التشبه مثل المقاربة.

الفرق بين الذل والخضوع: راجع: «خ ض ع»

(٦-٢)

الفرق بين الإذلال والإهانة: أن إذلال الرجل للرجل هنا أن يجعله منقاداً على الكبر، أو في حكم المنقاد، والإهانة أن يجعله صغیر الأمر لا يسأل به. والشاهد قولك: استهان به، أي لم يبال به، ولم يلتفت

والإذلال لا يكون إلا من الأعلى للأدنى، والاستهانة تكون من التظير للتظير، ونقيض الإذلال: الإعزاز، ونقيض الإهانة: الإكرام، فليس أحدهما من الآخر في شيء، إلا أنه لما كان الذل يتبع الهوان، سمي الهوان ذلاً.

وإذلال أحدنا لغيره: غلبته له على وجه يظهر ويشهر، ألا ترى أنه إذا غلبه في خلوة، لم يقل: إنه أدته، ويجوز أن يقال: إن إهانة أحدنا صاحبه هو تعريف الغير، أنه غير مستصحب عليه، وإذلاله غلبته عليه لا غير.

وقال بعضهم: لا يجوز أن يذل الله تعالى العبد

ابتداءً، لأن ذلك ظلم ولكن بذلة عقوبة، ألا ترى أنه من فاذ غير على كره من غير استحقاق فقد ظلمه. ويجوز أن يهينه ابتداءً بأن يجعله فقيراً فلا يلتفت إليه ولا يبالى به.

وعندنا أن نقبض الإهانة: الإكرام، على ما ذكرنا، فكما لا يكون الإكرام من الله إلا ثواباً، فكذلك لا تكون الإهانة إلا عقاباً. والهوان: نقبض الكرامة، والإهانة تدل على العداوة، وكذلك العز يدل على العداوة والبراءة.

والهوان مأخوذ من تهوين القدر، والاستخفاف مأخوذ من خفة الوزن، والألم يقع للعقوبة ويقع للمعاوضة، والإهانة لا تقع إلا عقوبة. ويقال: يستدل على نجاسة الشيء بمجته الكرامة.

وقد قيل: الذلة الضعف عن المقاومة، ونقصها العزة. هي القوة على الظلمة، ومنه الذلول وهو المقود من غير صعوبة لأنه ينقاد لقياد الضعيف عن المقاومة. وأما الذليل فإنه ينقاد على مشقة.

الفرق بين المهين والذليل والمذعن: أن المهين هو المستعظم، وفي القرآن: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ الزخرف: ٥٢، ولله: ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ صَاءٍ مَهِينٍ﴾ السجدة: ٨، قال أهل التفسير: أراد الضعيف. قال المفضل: هو «فعل» من المهانة. يقال: مهن يمهّن مهانةً، ومهنته مهنةً، وأنا ماهن، وهو مهون، ومهين.

ويقال: هو من «المهنة» وهي العمل، وامتهنته امتهالاً، إذا ابتدأته، ومن ثم قيل للخادم: ماهن،

والجمع: مهنة، وميهان.

وأما الإذعان في العربية فهو الإسراع في الطاعة، وليس هو من الذل والهوان في شيء. (٢٠٨)

أهرووي: [ذكر قول نطوطيه ثم قال:]

ومنه الحديث: «رُبَّ عَذْقٍ مَذَلُّ لَأَبِي الدُّخْدَاحِ».

ومنه الحديث: «اتركون المدينة على خير ما

كانت مذلّة لا يغشاها إلا العوافي»، أي مذلّة قطوفها

فلا يغشاها إلا السباع.

ويقال: حائط ذليل، أي قصير، وثبت ذليل، أي

غريب السمك، وهو كقوله: ﴿قَطُوفُهَا ذَانِيَةٌ﴾ الحاقة:

٢٣. كلما أرادوا أن ينطقوا منها شيئاً ذلّ لهم فعدنا

منهم، فعدوا كانوا أو مضطجعين. [ثم ذكر حديث ابن

المرزوق كما سبق عن الأزهري، بتفاوت يسير

وأضاف:]

وهو حديث عبد الله: «ما من شيء في كتاب الله

إلا وقد جاء على أدلاله» أي على وجهه. (٢٨١: ٢)

أبوسهل أهرووي: تقول: رجل ذليل، أي هين

بين الذل بالضم، والذلة بالكسر، والمذلة، أي ظاهر

اللين والهوان.

ودابة ذلول بين الذل بالكسر، أي سهل مطاع

عند الركوب والقياد. (٣٥)

أهن سيده: الذل: نقبض العز، ذل يذل ذلاً وذلةً

وذلالةً ومذلةً، فهو ذليل، من قوم أدلاء وأذلة

وذلال.

وأذله هو، وأذل الرجل: صار أصحابه أدلاء.

وأذلته: وجدته ذليلاً.

واستذلوه، راوه ذليلاً.	والرَّاعِب: الذَّلُّ: ما كان عن قهر. يقال: ذُلُّ يَذُلُّ ذُلًّا.
واستذلَّ البعير الصَّعْبَ: نَزَعَ القَرَادَ عنه ليستلِّذَ.	والذَّلُّ: ما كان بعد تَصَعُّبٍ، وشِيعَاسٍ من غير قهر، يقال: ذُلُّ يَذُلُّ ذُلًّا.
فبائنٌ ويَذُلُّ.	يقال: الذَّلُّ والقُلُّ، والذِّكَّةُ والقِلَّةُ.
وَذُلُّ ذُلِيلٌ: إمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى المِبالِغَةِ، وإمَّا أَنْ يَكُونَ فِي مَعْنَى مُذِلٍّ.	وَذَلَّتِ الذَّاهِبَةُ بعد شِيعَاسٍ ذُلًّا، وهي ذُلُولٌ، أي ليست بصَعْبَةٍ.
والذَّلُّ والذَّلِيلُ: ضِدُّ الصَّعُوبَةِ.	والذَّلُّ مَقَى كَانِ مِنْ جِهَةِ الإنسانِ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ
ذُلُّ يَذُلُّ ذُلًّا، فهو ذُلُولٌ، يَكُونُ فِي الإنسانِ والذَّاهِبَةِ.	فمحمود نحو قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
والجَمْعُ: ذُلُلٌ وأَذِلَّةٌ.	المائدة: ٥٤.
وَذَاهِبَةُ ذُلُولٌ، الذَّكَرُ والأُنثَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ، وَقَدْ ذَلَّتْهُ؟	وقيل: الأمور تجري على أذلالها، أي: سالكها وطريقها.
والذَّلُّ والذَّلِيلُ: الرِّقُّ والرَّحْمَةُ.	والرَّحْمَةُ خَشْيَةٌ: هو ذليل بين الذَّلِّ والذِّكَّةِ والمذلة.
وَذُلُّ الطَّرِيقِ: ما وُطِئَ مِنْهُ وَسَهِّلَ.	وَقَدْ ذُلُّ لَهُ وَتَذَلَّلَ.
وَطَرِيقٌ ذَلِيلٌ، مِنْ طَرِيقٍ ذَلَّلَ.	وَأَذَلَهُ اللَّهُ وَذَلَّلَهُ.
وقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْكُمْ سَبِيلَ رَبِّكُمْ ذُلًّا﴾	واستذلَّ له العدو.
التَّحَلُّ: ٦٩، فَتَرَهُ تَغْلِبَ فَقَالَ: يَكُونُ الطَّرِيقُ ذَلِيلًا،	وهو مستذلٌّ بينهم: مستهان.
وَيَكُونُ هِيَ ذَلِيلَةً.	وهو ذليل مُذِلٌّ: أصحابه أذلاء.
وَذُلُّ الْكَرِّمِ ذَلَّتْ عَنَّا قِيْدَهُ.	وَذَاهِبَةُ ذُلُولٌ: يَهِنَةُ الذَّلِّ، وَذَلَّلَهَا صَاحِبُهَا.
والتَّذَلُّلُ: أَنْ يُوضَعَ اليَدُ عَلَى الجُرْمَةِ لِتُحْمِلَهُ.	وقميص طویل الذَّلَاذِلَ، وارْتَفَعَ ذَلَالٌ فَمِصْلُكَ،
وَأُمُورُ اللَّهِ جَارِيَةٌ عَلَى أَذْلَالِهَا، وَجَارِيَةٌ أَذْلَالُهَا،	ومن الجَازِ: رَكِبُوا كُلَّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ فِي أَمْرِهِمْ،
أَي جَارِيَهَا، وَاحِدَهَا: ذُلٌّ.	إِذَا بَذَلُوا إِلَيْهِ الطَّاقَةَ.
وَدَعَاهُ عَلَى أَذْلَالِهِ، أَيْ عَلَى حَالِهِ، لَا وَاحِدَ لَهُ.	وَفُلَانٌ ذُلُولٌ لِأَصْحَابِهِ وَمَتَذَلِّلٌ لَهُمْ.
وَالذُّكُوزُ وَالذُّكُوزُ وَالذُّكُوزُ وَالذُّكُوزُ	وَقَوْمٌ ذُلُّ لِمَنْ أَذَلَّ عَلَيْهِمْ.
وَالذُّكُوزُ، كَلَّةٌ: أَسَافِلُ الْقَمِيصِ الطَّوِيلِ إِذَا نَاسَ هَاخُلَقَ.	
وَالذُّكُوزُ، مَقْصُورٌ عَنِ الذُّكُوزِ الَّذِي هُوَ جَمْعُ ذَلِكَ كَلَّةً. [واستشهد بالشعر ٧ مرّات] (٤٨: ١٠)	



وَذَلَّتْ لَهُ الْعَوَافِي، إِذَا سَهَّلَ عَلَيْهِ يَقُولُ الشَّيْعِر.

وَأَجَرَ الْأُمُورَ عَلَى أَذْلَاهَا.

وَأُمُورُ اللَّهِ جَارِيَةٌ عَلَى أَذْلَاهَا، وَإِنْ قَضَاءُ اللَّهِ مَاضٍ عَلَى أَذْلَالِهِ، وَدَعَا عَلَى أَذْلَالِهِ، أَيِ كَمَا هُوَ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ سَعُودٍ: «مَا مِنْ شَيْءٍ

مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ عَلَى أَذْلَالِهِ».

رَكِبُوا ذُلَّ الطَّرِيقِ.

وَالزَّمْ ذُلَّ الطَّرِيقِ وَمِلْكُكَ وَهُوَ مَا ذُلِّلَ مِنْهُ بِكَرَّةٍ

الْوَطءِ.

وَطَرِيقٌ مُذَلَّلٌ وَمُعَبَّدٌ: مَسْلُوكٌ.

وَذَلَّلَ الْكَرْمَ: ذَلَّيْتُ عَنْقِيدَهُ.

وَشَجَرَةٌ مُذَلَّلَةٌ: يَتَاهَا كُلُّ أَحَدٍ.

وَشَيْءٌ ذَلَّ ذَلِكَ لِهَذَا الْأَمْرِ: تَجَلَّدَ لِكِفَايَتِهِ.

وَفَرَسٌ خَفِيفُ الذَّلَازِلِ، وَهِيَ الذَّنْبُ.

وَلَحَقْنَا ذَلَاذِلَ مِنَ النَّاسِ، وَذُلَّ ذِلَالَاتٍ أَوْ آخِرٍ

مِنْهُمْ. [وَأَسْتَشْهَدُ بِالْشَّعْرِ مَرَّتَيْنِ]

(أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ١٤٤)

[فِي حَدِيثِ] عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: مَا كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ

رَكَبَ فِي مَسِيرِهِ يَوْمَ سَارَا؟ فَقَالَ: «خَيْرُ بَيْنِ ذُلِّ

السَّحَابِ وَصَعَابِهِ فَاخْتَارَ ذُلَّهُ. هِيَ جَمْعُ ذُلُولٍ،

وَتَفْسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّهَا آتَتْ لِابْرِقٍ فِيهَا وَلَا رَعْدَ.

ابْنُ سَعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ

اللَّهِ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ عَلَى أَذْلَالِهِ». أَيِ عَلَى طَرَفِهِ

وَوُجُوهِهِ، الْوَاحِدُ: ذُلٌّ. (الْفَائِقُ ٢: ١٤٤)

[فِي حَدِيثِ]: «أَمَّا وَاللَّهِ لَيَدْعُنَّهَا مُذَلَّلَةٌ أَرْبَعِينَ

عَامًا لِلْعَوَافِي».

«مُذَلَّلَةٌ»، أَيِ مُدَلَّلَةٌ مُعَرَّضَةٌ لِلْاجْتِنَاءِ، لَا تَمْتَنِعُ

عَلَى الْعَوَافِي، وَهِيَ السَّبَاعُ وَالطَّيْرُ. (الْفَائِقُ ٣: ٢٢٨)

الطَّيْرُ مَسِيٌّ: الذَّلُّ بِكَسْرِ الذَّالِّ: ضِدُّ الصُّعُوبَةِ،

وَبُضْتُهُا: ضِدُّ الْعِزِّ. يُقَالُ: ذُلُّوا بَيْنَ الذَّلِّ مِنَ قَوْمٍ أَذَلُّ،

وَذَلِيلٌ بَيْنَ.

وَالذَّلُّ: مِنَ قَوْمٍ أَذَلَاءُ.

وَالْأَوَّلُ مِنَ الْيَبْنِ وَالْإِتْقَادِ، وَالثَّانِي مِنَ الْهَوَانِ

وَالِاسْتِغْفَافِ. (٢: ٢٠٧)

ابْنُ الْأَثِيرِ: فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى «الْمُذَلَّ» هُوَ الَّذِي

يَلْحِقُ الذَّلَّ بِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَنْفِي عَنْهُ أَنْوَاعَ الْعِزِّ

مِنْهَا.

وَفِيهِ: «كَمْ مِنْ عَذَقِي مُذَلَّلٌ لِأَبِي الدُّخْدُخِ».

تَذَلُّلُ الْمَذْذُوقِ: أَنَّهَا إِذَا خَرَجْتَ مِنْ كَوَافِيرِهَا أَلْقَى

بَعْضُ النَّاسِ قَطْطًا مِنْهَا يَمِيدُ الْإِبْرَ فَيَسْمَحُهَا - فِي

بَعْضِ النَّاسِ «فَيَسْمَحُهَا» - وَيُسَمِّرُهَا حَتَّى تَتَذَلَّى

خَارِجَةً مِنْ بَيْنِ الْجَرِيدِ وَالسَّلَاةِ، فَيَسْهَلُ قَطَافُهَا عِنْدَ

إِدْرَاكِهَا، وَإِنْ كَانَتْ الْعَيْنُ مَفْتُوحَةً فَهِيَ التَّخْلَةُ.

وَتَذَلِيلُهَا: تَسْهِيلُ اجْتِنَاءِ ثَمَرِهَا، وَإِدْنَاؤُهَا مِنْ قَاطِفِهَا.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «يَتْرَكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا

كَانَتْ مُذَلَّلَةً لَا يَغْنَسُهَا إِلَّا الْعَوَافِي»، أَيِ يُعَارِهَا دَانِيَةً

سَهْلَةً الْمُتَنَاوِلَ، مُخَلَّةٌ غَيْرُ مَخْمُومَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ عَلَى

أَحْسَنِ أَحْوَالِهَا، وَقِيلَ: أَرَادَ أَنْ الْمَدِينَةَ تَكُونَ مُخَلَّةً

خَالِيَةً مِنَ السُّكَّانِ لَا يَغْنَسُهَا إِلَّا الْوَحُوشُ.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلَّ السَّحَابِ»، هُوَ

الَّذِي لَا رَعْدَ فِيهِ وَلَا بَرْقَ، وَهُوَ جَمْعُ ذُلُولٍ مِنَ الذَّلِّ

بالكسر ضد الضم.

ومنه حديث ذي القرنين: «أَنَّهُ حَتَّى فِي رُكُوبِهِ بَيْنَ ذُلِّ السَّحَابِ وَصِيَابِهِ فَاخْتَارَ ذُلَّهُ».

ومنه حديث عبد الله: «مَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ عَلَى أَذْلَالِهِ»، أي على وجوهه وطرقه. وهو جمع ذُلٍّ بالكسر. يقال: رَكِبُوا ذُلَّ الطَّرِيقِ، وهو مَا مَهَّدَ مِنْهُ وَذُلِّلَ.

ومنه خطبة زياد: «إِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفَذْتُ فِيكُمْ الْأَمْرَ فَأَنْقِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ».

وفي حديث ابن الزبير: «بَعْضُ الذُّلِّ أَهْنُ لِلْأَهْلِ وَالْمَالِ»، معناه: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَصَابَتْهُ خُطَّةٌ ضَمِيمٌ بِنَالِهِ لَهَا ذُلٌّ غَصِرَ عَلَيْهَا، كَانَ أَهْنُ لَهُ وَلَا هَلْهُ وَمَالُهُ. فَإِذَا لَمْ يَصْبِرْ وَرَمَى بِهَا طَالِبًا لَلِيزْ غَرَّرَ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَذَالَهُ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ. (٢١٦: ٢)

الرازبي: [نحو الجوهري ملخصاً] إلا أنه قال: وقد ذُلَّ يذُلُّ بالكسر ذُلًّا. (٢٤٣)

الفَيَّومِي: ذُلٌّ ذُلًّا مِنْ بَابِ «ضَرَبَ»، وَالْأَسْمُ: الذُّلُّ بِالضَّمِّ، وَالْفَرْقَةُ بِالْكَسْرِ وَالْمَذَلَّةُ، إِذَا ضَعُفَ وَهَانَ، فَهُوَ ذَلِيلٌ وَالْجَمْعُ: أَذْلَاءُ وَأَذَلَّةٌ.

وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ، فَيُقَالُ: أَذَلَّهُ اللَّهُ.

وَذَلِكَ النَّاتِيَةُ ذُلًّا بِالْكَسْرِ: سَهَلَتْ وَانْقَادَتْ، فَهِيَ ذَلُولٌ وَالْجَمْعُ: ذُلُلٌ بِضَمِّتَيْنِ، مِثْلُ: رَسُولٍ وَرُسُلٍ.

وَذَلَّلْتُهَا بِالتَّخْفِيلِ فِي التَّعْدِيَةِ. (٢١٠: ١)

الْفَيْرُوزِزَادِيُّ: ذُلٌّ يذُلُّ ذُلًّا وَذَلَالَةً، بِضَمِّهِمَا، وَذِلَّةٌ، بِالْكَسْرِ، وَمَذَلَّةٌ وَذَلَالَةٌ: هَانٌ، فَهُوَ ذَلِيلٌ وَذَلَّانٌ بِالضَّمِّ، جَمْعُهُ: ذِلَالٌ، وَأَذْلَاءُ وَأَذَلَّةٌ.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، أَي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِيًّا يَعَاوِدُهُ وَيُخَالِفُهُ لِذِلَّةِ بِهِ، وَهُوَ عَادَةُ الْعَرَبِ. وَأَذَلَّهُ هُوَ.

وَاسْتَذَلَّهُ: ذَلَّلَهُ، وَاسْتَذَلَّاهُ: رَأَاهُ ذَلِيلًا، وَالْبُحَيْرُ الصُّغْبُ: تَزْعُ الْفُرَادِ عَنْهُ لِيَسْتَذِلَّ قِيَاسًا بِهِ.

وَأَذَلَّ سَارَ أَصْحَابُهُ أَذْلَاءً، وَفُلَانًا: وَجَدَهُ ذَلِيلًا. وَذُلٌّ ذَلِيلٌ: مُذِلٌّ، أَوْ مِبَالِقَةٌ.

وَالذُّلُّ بِالضَّمِّ، وَيَكْسَرُ: ضِدُّ الصُّعُوبَةِ، ذُلٌّ يَذُلُّ ذُلًّا، فَهُوَ ذَلُولٌ، جَمْعُهُ: ذُلُلٌ وَأَذَلَّةٌ.

وَذُلُّ الطَّرِيقِ بِالْكَسْرِ: مَعْتَبَرُهُ، وَالرُّفْقُ، وَالرَّحْمَةُ، وَيُضَمُّ، وَيُجَامَرُ: «وَأَحْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ فِي الْإِسْرَاءِ»: ٢٤، أَوِ الْكَسْرُ، عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرُ الْمَذَلُّومِ.

وَذُلُّ الْكَرَمِ بِالضَّمِّ: ذَلِيلَتُ عُنَانِيهِ، أَوْ سُوءِيَّتُهَا، وَنُحِيقُ غَدَقَهَا عَلَى الْجَرِيدَةِ لِنَعْمَلَهُ.

وَأُمُورُ اللَّهِ جَارِيَةٌ أَذْلَالُهَا، وَعَلَى أَذْلَالِهَا، أَيِ جَارِيَهَا، جَمْعُ ذُلٍّ بِالْكَسْرِ.

وَدَعَاهُ عَلَى أَذْلَالِهِ: حَالَهُ بِلاَ وَاحِدٍ.

وَجَاءَ عَلَى أَذْلَالِهِ، أَيِ وَجْهَهُ.

وَالذُّلَالُ ذُلٌّ وَالذُّلُّ ذُلٌّ وَالذُّلَّةُ، بِفَتْحِ ذَاكُمَا

الْأَوَّلَى وَلَا يَمُومَا، كُتِبَ طُورٌ وَغُلِبَ طُورٌ وَهَذَا وَزَيْجٌ وَزَيْجَةٌ: أَسَافِلُ الْقَمِيصِ الطَّوِيلِ.

وَالذُّلُّ لَوِيٌّ: الْحَسَنُ الْخُلُقِيُّ التَّمَيِّزُ، جَمْعُهُ:

ذُلُولُونَ.

وَأَذْلَالُ النَّاسِ وَذَلَالَتُهُمْ وَذُلُّ ذَلَالَتِهِمْ بِالضَّمِّ،

وَذَلِيلَاتُهُمْ: أَوَاخِرُهُمْ.

وغير المذلة: الويد.

وذلكذل: اضطرب، واسترعى.

واذلولي: أسرع. (٣: ٣٩٠)

الطريحي: والمذل من أسعاه تعالى، أي يلجئ

المذل بمن يشاء، وينفي عنه أنواع العز.

وفي الدعاء: «استغنا ذل السحاب»، هو الذي

لا رعد فيه ولا برق، جمع: ذلول، من الذل بالكسر ضد

الصعب.

وفي الحديث: «ذل الأمور للعقابر حتى يكون

الحشف في التدبير»، قال بعض المحققين من شراح

الحديث: ذلها: مطاوعتها للقدور بحسب القضاء الإلهي.

وربما كان الهلاك المقضي منها مقدراً، فيما يعتقد

الإنسان تدبيراً صالحاً، لجهله برّ القدر. (٥: ٣٧٥)

صَجَمَ اللُّغَةَ: ١ - ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا وَذُلَّةً وَمَذَلَّةً

هَانَ مِنْ قَهَرٍ، فَهُوَ ذَلِيلٌ، وَهُم أَذَلَّةٌ وَأَذَلَاءٌ.

٢ - ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا: لَانَ وَانْقَادَ بَعْدَ تَصَبُّبٍ،

وَشِمَاسٍ مِنْ غَيْرِ قَهَرٍ، فَهُوَ ذَلُولٌ وَجَمْعُهُ: ذُلٌّ وَأَذَلَّةٌ.

٣ - ذَلَّ يَذِلُّ: مَهَّدَ وَسَوَّاهُ وَسَهَّلَهُ.

٤ - ذَلَّ يَذِلُّ: جَعَلَهَا تَقَادَ لِمَا يُرَادُ مِنْهَا.

٥ - أَذَلَّهُ إِذْلَالًا: قَهَرَهُ وَأَهَانَهُ وَأَخْضَعَهُ.

(١: ٤٢٦)

محمد إسماعيل إبراهيم: ذَلَّ ذُلًّا مَذَلَّةً: هَانَ عَنْ

قَهَرٍ، فَهُوَ ذَلِيلٌ، وَالْجَمْعُ: أَذَلَّةٌ وَأَذَلَاءٌ.

وَذَلَّ يَذِلُّ وَأَذَلَّهُ وَاسْتَذَلَّهُ: صَيَّرَهُ يَذِلُّ وَيَخْضَعُ.

وَذَلَّ يَذِلُّ: خَضَعَ وَتَوَاضَعَ.

وَذَلَّتْ قَطُوفُهَا: ذَلَّتْ وَسَهَّلَتْ تَنَاوُلَهَا.

والأذل: ضد الأعز.

والبرقة الذلول: سهلة الاتقياد، لأنها ذللت،

وَذَلَّتْ عَلَى الْعَمَلِ.

والزلة: الهوان.

والسبل المذل: المصعدة السلوكة، والتي يسهل

السير فيها؛ والمفرد: ذلول. (١: ٢٠٢)

المصطفوي: والتحقيق: أن الأصل الواحد في

هذه المادة: هو الهوان والصغار في مقابل من هو أعلى

منه، كما أن البرقة هو الطوق والاستعلاء بالنسبة إلى

غيره الذي هو دونه، فهذا أمر حقيقي واقعي. وقد

يكون كل منهما ظاهرياً بالظاهر والتكلف، وإدخال

النفس فيه، كما في الذل والشلم والقسر، فإن

«القتل» يدل على قبول «التفصيل» والاعتراف

بالتأثير في قبال التأثير والإيقاع.

هَانَ مِنْ قَهَرٍ، فَهُوَ ذَلِيلٌ، وَهُم أَذَلَّةٌ وَأَذَلَاءٌ.

٢ - ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا: لَانَ وَانْقَادَ بَعْدَ تَصَبُّبٍ،

وَشِمَاسٍ مِنْ غَيْرِ قَهَرٍ، فَهُوَ ذَلُولٌ وَجَمْعُهُ: ذُلٌّ وَأَذَلَّةٌ.

٣ - ذَلَّ يَذِلُّ: مَهَّدَ وَسَوَّاهُ وَسَهَّلَهُ.

٤ - ذَلَّ يَذِلُّ: جَعَلَهَا تَقَادَ لِمَا يُرَادُ مِنْهَا.

٥ - أَذَلَّهُ إِذْلَالًا: قَهَرَهُ وَأَهَانَهُ وَأَخْضَعَهُ.

(١: ٤٢٦)

محمد إسماعيل إبراهيم: ذَلَّ ذُلًّا مَذَلَّةً: هَانَ عَنْ

قَهَرٍ، فَهُوَ ذَلِيلٌ، وَالْجَمْعُ: أَذَلَّةٌ وَأَذَلَاءٌ.

وَذَلَّ يَذِلُّ وَأَذَلَّهُ وَاسْتَذَلَّهُ: صَيَّرَهُ يَذِلُّ وَيَخْضَعُ.

وَذَلَّ يَذِلُّ: خَضَعَ وَتَوَاضَعَ.

وَذَلَّتْ قَطُوفُهَا: ذَلَّتْ وَسَهَّلَتْ تَنَاوُلَهَا.

● النفس في وحدته كل القوى ●

وهذا هو الحق والحقيقة الخالصة في مقام النزلة

والبرقة: «إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي

الْأَذَلِّينَ فِي الْمَجَادَّةِ: ٢٠. «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْقِصَى

الْمُلْكِيِّ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ فِي الْإِسْرَاءِ: ١١١.

جهة انتسابها إلى مراتب عالية و مرجع الإذلال  
الخارجي إلى عوارض ثانوية حاصلة من جانبهم،  
فالعزيز عزيز بالنسبة إلى مآدونه، والذليل ذليل  
بالنسبة إلى ما فوقه، وإن كان عزيزاً إذا انتسب إلى ما  
هو أدل منه.

وأما العزيز المطلق: فهو الله المتعال؛ إذ لا عزة فوقه  
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ الإسراء: ١١١.

والذليل: جعل الشيء ذليلاً، ونحت الكفوذ  
والسلطة. ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ يس: ٧٢.  
﴿وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا ذَلِيلًا﴾ الدھر: ١٤، أي جعلنا  
الأنعام ذللاً لكم، وكذلك القُطُوف ﴿إِنَّمَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ  
بِغَيْرِ الْأَرْضِ﴾ البقرة: ٧١. ﴿فَأَسْلَمَ سَبُلَ رَبِّكَ ذَلَالًا﴾  
التعل: ٦٩. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾  
القلوب: ١٥٥. ﴿خَضِرَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ البقرة  
١١١. ﴿لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو أن قبائل آخرين وليس لهم  
استبداد واستقلال وغناء في أنفسهم.

وبدل على كون هذه المادة في مقابل مادة العزة:  
﴿فَعِزٌّ مِّنْ كُثْبَانٍ وَذَلُولٌ مِّنْ كُثْبَانٍ﴾ آل عمران: ٢٦.  
﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المائدة:  
٥١. ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِيهَا أَذَلَّةً﴾ التعل: ٣٤.

وبدل على كون الماكة في مقابل الخشوع والخرى  
والمسكنة والفقر ومغايراتها، آيات: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزِلَ  
وَتُخْزَى﴾ طه: ١٣٤. ﴿خَالِشِينَ مِنَ الذَّلِيلِ﴾  
الشورى: ٤٥. ﴿وَجُوهُهُمْ قُتِرُوا لَإِذْلَةٍ﴾ يونس:  
٢٦. ﴿خَالِشِينَ أَنْصَارَهُمْ تَرَفُّقَهُمْ ذِلَّةً﴾ المعارج: ٤٤.  
فظهر أن الأصل في المادة: هو الهوان في مقابل من

﴿وَرَبُّهُ الْعِزَّةُ وَالرَّسُولُ﴾ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ  
لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: ٨.

و إما متحصل بالعوارض والأعمال والجهات  
الخارجية: كالذلّ والخسارة الحاصلة من الفقر أو  
الجهل أو الضعف أو غيرها: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ  
وَالْمَسْكَنَةُ﴾ البقرة: ٦١. ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الصِّبْيَ  
سِتَانًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ والأعراف: ١٥٢  
﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَفْسِلُهَا وَتَرْغَبُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يونس: ٢٧، أي  
تحصل لهم ذلة في مجتمعاتهم وبالنسبة إلى آخرين في إثر  
انحرافهم وإعراضهم عن الحق وسينات أعمالهم.

﴿وَلَقَدْ كُفِّرْتُمْ اللَّهُ يَذَرُ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ آل عمران:  
١٢٣، أي في مقابل الأعداء من جهة ضعف في  
التجهيزات والقوى بالنسبة إليهم.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْفُلُوكِ مَلِكُ السَّمَاءِ﴾  
﴿أَلْعَلَّكَ﴾ اسم من التملك، ويحصل  
آل عمران: ٢٦. كلما يقبل الملكية من أي نوع في عالم المادة أو في ما  
وراء تلك العالم، فالملك والعزة والذلة تشمل  
مفاهيمها ما يتكوّن أولاً وبالذات، أو ما يتحصل  
بالجهات الخارجية.

وقلنا: إن العزة والذلة مفهومان نسبتيان، كل  
بالنسبة إلى آخر. فيكون الإعزاز والإذلال ناظرين  
إلى إعزاز بالنسبة إلى آخرين وإذلال نسبي، لا إلى  
إعزاز وإذلال مطلقين.

فلابقي إشكال في نسبة الإذلال إلى الله المتعال،  
و كونه مُعِزّاً أو مُذِلّاً: فإن مرجع الإذلال التكويني إلى  
تكوين مراتب الوجود، وإيجاد النوات المختلفة من

هو أعلى منه، وأما مفاهيم الخسوف والضعف واللين والعجز على إطلاقها: فليست من الحقيقة. وأما السهولة والاستكانة والخضوع والقصور والانقياد: فمن لوازم الأصل.

ثم إن القول بمناسبة الكسرة بدل على لين وانقياد زائد. وعلى هذا يقال: إنه في مقابل الصعوبة: ﴿تَقْرَأُ لَا ذُلُّ لَكَ فِي الْقِرَاءَةِ: ٧١﴾ و﴿كَرِهْتَهُمْ ذُلًّا: يونس: ٢٧﴾. راجع: الخضع - الخشع - الخزي -.

وبهذه المناسبة لم تشمل هذه الصيغة منسوبة إلى الله المتعال. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ: الإسراء: ١١١﴾ و﴿وَالْخِضْيُ لَهَا جَنَاحُ الذُّلِّ مِنَ الرُّخْصَةِ: الإسراء: ٢٤﴾. فإن المورد ليس مقام تخفیر وتذليل.

(٣: ٣٢٧)

راجع: «اليز».

## النصوص التفسيرية

### الذل

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعُ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَكَفَرُوا.

راجع: خ زي: «كفري».

### الذل

١- وَالْخِضْيُ لَهَا جَنَاحُ الذُّلِّ مِنَ الرُّخْصَةِ وَقَالَ رَبُّ ارْخُضْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا. الإسراء: ٢٤  
الطبري: والذل بضم الذال والقرلة مصدران من التذليل. وذلك أن يتذل، وليس بذليل في الخلقة، من قول القائل: قد ذللت لك أذل ذلة وذلاً. وذلك نظير

القل والقلة. إذا أسقطت الهاء حُشمت الذال من الذل، والقف من القل. وإذا أثبتت الهاء كُسرت الذال من القلة. والقف من القلة، لما قال الأعشى:  
﴿وَمَا كُنْتُ قَلًّا قَبْلَ ذَلِكَ أَرَبًّا﴾

مرید: القلة.

وأما الذل بكسر الذال وإسقاط الهاء، فإنه مصدر من الذلول، من قولهم: دابة ذلول بينة الذل؛ وذلك إذا كانت لينة غير صعبة.

ومنه قول الله جل ثناؤه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا: الملك: ١٥﴾، يجمع ذلك: ذلاً، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَاسْأَلْكُمْ سَيِّدُ رَبِّكَ ذُلًّا: التحصيل: ٦٩﴾. وكان مجاهد يتأول ذلك أنه لا يتوهر عليها مكان سلكه.

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء

البحر والخرق والقتام (الذل) بضم الذال على أنه مصدر من الذليل. وقرأ ذلك سعيد بن جبش وعاصم الجعدي: (جناح الذل) بكسر الذال.

(٨: ٦٦)

الزجاج: وتقرأ (الذل) بكسر الذال... ويقال: رجل ذليل بين الذل، وقد ذل يذل ذلاً. ودابة ذلول، بين القل، ويجوز أن جميعاً في الإنسان. (٣: ٢٣٥)

الطوسي: وقرأ سعيد بن جبش (الذل) بكسر الذال. والذل والقرلة: مصدر التذليل، والقرل: مصدر الذلول، مثل الدابة والأرض. تقول: جعل ذلول، ودابة ذلول.

وتقدم سائر النصوص في ج ن ح: «جناح الذل».

و: يخف ض: «احْفِضْ» فلاحظ.

٢- وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرًا. الإسراء: ١١١

ابن عباس: من أهل الذل، يعني اليهود والتصارى، وهم أذل الناس. (٢٤٣)

نحوه الكلبي. (الماوردي ٣: ٢٨٢)

مُجاهد: لم يحالف أحدًا، ولا يهتني نصر أحد.

(الطبري ٨: ١٧٢)

لم يُذَلَّ فيحتاج إلى ولي يمتاز به. (الشملي ٦: ١٤٢) مثله الخازن. (٤: ١٥٥)

الإمام الباقري: لم يُذَلَّ فيحتاج إلى ولي فيهصره. (القمي ٢: ٣٠)

ابن كعب القرظي: في هذه الآية رد على اليهود والتصارى حين قالوا: اتخذ الله الولد. وعلى مشركي العرب حيث قالوا: تبيك اللهم تبيك، تبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك. وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا: لولا أولياء الله لذَلَّ الله. فأنزل الله ردًا لقولهم أجمعين. (الطوسي ٦: ٥٣٥)

زيد بن علي: معناه: لم يكن له حليف ولا ناصر. (٢٥٥)

الحسين بن الفضل: يعني لم يُذَلَّ فيحتاج إلى ولي ولا ناصر لعزته وكبريائه. (القرطبي ١٠: ٣٤٥) الطبري: يقول: ولم يكن له حليف حالفه من الذل الذي به، لأن من كان ذا حاجة إلى نصره غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلاً مهمناً يحتاج إلى

ناصر لها يُطاع. (٨: ١٧٢)

الزجاج: أي لم يحتاج إلى أن ينتصر بغيره.

(٣: ٢٦٥)

نحوه التماس. (٤: ٢٠٨)

الماوردي: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لم يحالف أحدًا.

الثاني: لا يهتني نصر أحد.

الثالث: لم يكن له ولي من اليهود والتصارى.

لأنهم أذل الناس. (٣: ٢٨٢)

الطوسي: معناه لم يكن له حليف حالفه لينصره

على من يناوئه، لأن ذلك صفة ضعيف عاجز.

ولا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة. (٦: ٥٣٤)

الباقر: ولا ولي له من الذل: إمّا على أنه

لم يُذَلَّ فيحتاج إلى ولي، أو على أنه لم يُوال أحدًا من

أهل مذلة بني عبد مناف بما جوالاته. ويقال: اشكره على

نعمته العظيمة حيث عرفك بذلك.

ويقال: له الأولياء ولكن لا يعترهم بذلهم؛ إذ

يصيرون بعبادته أعزة. (٤: ٤٧)

الواحد: قال مُجاهد: لم يحالف أحدًا، ولم يهتني

نصر أحد، والمعنى: أنه لا يحتاج إلى موالاة أحد لذلّ

يلحقه، فهو مُستن عن الولي والتصير، وهذا معنى

قول الزجاج. (٣: ١٣٤)

نحوه ابن الجوزي (٥: ١٠١) والقرطبي (١٠: ٣٤٥).

المبيدي: أي لم يتخذ ولياً يمتاز به سبحانه، والله

ولي المؤمنين. [إلى أن قال في التوبة الثالثة:]

لم يقل: لا ولي له بل له الأولياء، ولكن لا يعترتهم.

بل هم الذين يصيرون بعبادته أعزّة. (٥: ٦٣٤-٦٣٨)  
 الزمخشري: ﴿وَلِيٍّ مِنَ الذَّلِّ﴾ ناصر من  
 الذلّ، ومانع له منه لا عزّازه.

أو لم يُوال أحدًا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته.  
 فإن قلت: كيف لاقٍ وصفه بنفي الولد والشريك  
 والذلّ بكلمة التّحميد؟

قلت: لأنّ من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء  
 كل نعمة، فهو الذي يستحقّ جنس الحمد.

وكان النبي ﷺ إذا أفصح السلام من بني عبد  
 المطلب علمه هذه الآية. (٢: ٤٧٠)

ابن عطية: هذه الآية رائدة على العرب في قولهم:  
 لولا أولياء الله لذلّ، وقد لفظ الآية نفسي الولاية  
 عزّ وجلّ بطريق الذلّ وعلى جهة الانصهار إلى  
 ولايته موجودة بتفضله ورحمته، لمن والى من صالحي  
 عباد.

الطبرسي: [مثل الطوسي وأضاف:]

قال مجاهد: لم يذلّ فيحتاج إلى من يعزّزه، يعني  
 أنه القادر بنفسه، وكلّ ما عُبد من دونه، فهو ذليل  
 مقهور.

وقيل: معناه: ليس له وليّ من أهل الذلّ، لأنّ  
 الكافر والفاسق لا يكون وليّاً. (٣: ٤٤٦)

أبو الفتح: ليس له خليل ومصين وخليف،  
 فيعزّزه من المذلة. (١٢: ٣٠٢)

الفهر الرّازي: فذكر هاهنا من صفات اتّفّره  
 والجلال وهي السّلوّب، ثلاثة أنواع من الصفات.

التّوع الأول من الصفات: أنّه لم يتخذ ولداً.

والسّبب فيه وجوه:

الأول: أن الولد هو الشيء المتولّد من جزء من  
 أجزاء شيء آخر، فكلّ من له ولد فهو مركّب من  
 الأجزاء، والمركّب محدث، والمحدث يحتاج لا يقدر  
 على كمال الإنعام فلا يستحقّ كمال الحمد.

الثاني: أن كلّ من له ولد فإنه يمسك جميع النعم  
 لولده، فإذا لم يكن له ولد أفاض كلّ تلك النعم على  
 عبده.

الثالث: أن الولد هو الذي يقوم مقام الوالد بعد  
 انقضائه وفاته، فلو كان له ولد لكان منقضيّاً، ومن  
 كان كذلك لم يقدر على كمال الإنعام في كلّ الأوقات،  
 فوجب أن لا يستحقّ الحمد على الإطلاق.

والثّوع الثّاني من الصفات السّلبية: قوله: ﴿وَلَمْ  
 يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ والسّبب في اعتبار هذه  
 النّصفة أنّه لو كان له شريك، فحينئذ لا يصرف كونه  
 مستحقّاً للحمد والشكر.

والثّوع الثّالث: قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ  
 الذَّلِّ﴾ والسّبب في اعتبار هذه النّصفة أنّه لو جاز عليه  
 وليّ من الذلّ لم يجب شكره، لتجويز أن غيره حمّله  
 على ذلك الإنعام أو منعه منه، أمّا إذا كان منزّها عن  
 الولد وعن الشريك وكان منزّها عن أن يكون له وليّ  
 يلي أمره، كان مستوجباً لأعظم أنواع الحمد،  
 ومستحقّاً لأجل أقسام الشكر، ثمّ قال تعالى: ﴿وَكَبراً  
 تكبيراً﴾ راجع: ك ب ر: «تكبيراً». (٢١: ٧١)  
 العكبري: أي من أجل الذلّ. (٢: ٨٣٦)  
 ابن عرّابي: أي لم يكن له ناصر، علّة كان أو جزء.

علة تقوية، وتصره من ذلة الانفعال والعدم، وإلا لم يكن لها واجباً، بل ممكناً، لتكون حبيياً قائماً به لا بنفسه. (١: ٧٣٧)

البيضاوي: ولي يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بمولاته. نفى عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختصاراً واضطراباً، وما يعاونه ويقويه. ورتب الحمد عليه للذلة على أنه الذي يستحق جنس الحمد، لأنه الكامل الذات، المنفرد بالإيجاد، المنعم على الإطلاق، وما عداه ناقص مملوك نعمة، أو منعم عليه، ولذلك عطف عليه قوله: ﴿وَكَبِيرٌ﴾ (١: ٦٠١)

نحوه الشريف (٢: ٣٤٦)، وأبو السحود (٤: ١٦٤).

السنفي: أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر، أو لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بمولاته. (١: ٤٣٨) نحوه القاسمي (١٠: ٤٠١٣)، والمراغي (١٥: ١١١).

السيابوري: [نقل قول الزمخشري وأضاف:] وأقول: الولد يتولد من جزء من أجزاء الوالد، فالوالد مرتكب، وكل مرتكب محدث، والمحدث محتاج، والمحتاج لا يقدر على كمال الإنعام، فلا يستحق كمال الحمد.

وأيضاً: الولد مبغلة، والبغيل لا يستحق الحمد، والشركة في الملك إنما تتصور لمن لا يستقل بالمالكية، فيفتقر إلى من يتم بمشاركته أمور مملكته ومصالحه، وكل من كان كذلك، كان عاجزاً بالنظر إلى

ذاته، فلا يتم فيضائه، فلا يستحق الحمد على الإطلاق. وهكذا حكم من كان له ولي من الذل، أي اتخذ حبيياً من أجل ذل به واستفادة، لا من عزه وقوة وإغاضة، أو الولي بمعنى الناصر، أي ناصر من أجل مذلة به ليدفعها بمولاته.

وأيضاً: قد يمنعه الشريك من إصابة الخير إلى أوليائه، والذي يكون له ولي من الذل يكون محتاجاً إليه فينعم عليه دون من استغنى عنه، أمّا إذا كان مزارعاً عن الولد وعن الشريك وعن أن يكون له ولي ينصره ويلي أمره، كان مستوجباً لأعظم أنواع الحمد، ومستحقاً لأجل أقسام الشكر. (١٥: ٩٤)

أبو حنبل: [ذكر قول مجاهد والزمخشري: وأضاف:]

أي ولي من أهل الذل، فعلى هذا وما تقدم يكون أحدًا من أجل مذلة به، أو للسبب، أو للتبعض. (٦: ٩١)

السمين: قوله: ﴿مِنَ الذَّلِّ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنها صفة له ﴿وَلِيٌّ لَهُ﴾، والتقدير: ولي من أهل الذل، والمراد بهم اليهود والنصارى، لأنهم أذل الناس.

والثاني: أنها تبعية. والثالث: أنها للتعطيل، أي من أجل الذل، وإلى هذين المعنيين نحو الزمخشري. (٤: ٤٢٩) البروسوي: لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بمولاته، فإنه محال أن يذل فيحتاج إلى أحد ينعز به، ويدفع عنه المذلة، إذ له العزة كلها، فليس له



مذلة دلالة ولا له احتياج إلى ولي يدفع الذل عنه.  
وهو رد للمجوس والصائبين في قولهم: لولا أولياء الله  
لذل الله تعالى عن ذلك. (٢١٣: ٥)

شهر: من أجل ذل، ليدفعه بهوالاته، أي لم يذل  
فيه احتياج إلى ناصر. (٥٥: ٤)

الآلوسي: أي ناصر ومانع له سبحانه من  
الذل، لا عزازه تعالى بنفسه. فـ (من) صلة لـ ﴿وَلِي﴾  
وضمن معنى المنع والنصر، أو لم يوال تعالى أحدًا من  
أجل مذلة، فالولاية بمعنى المحبة على أصلها. و (من)  
تعليلية. وليس المعنى على الوجهين نفي الذل والنصر  
في الأول، والموالاتة والذل في الثاني. - على أسلوب  
لا يهتدى بناره - بل المراد أنه تعالى إذا اتخذ عبدًا له  
و لاء، فذلك محض الاصطناع في شأن العبد، لأن هناك  
حاجة، وكذلك نصر الله تعالى كمال للتناصر لأن ثمة  
حاجة، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿إِنْ تَشْكُرُوا لِيَ﴾  
يُنصِرْكُمْ ﴿مُحَمَّدٌ: ٧﴾، وإلى هذا ذهب صاحب  
«الكشف» وهو حسن. وجعل ذلك على الوجهين  
الفاضل الطيبي من ذاك الأسلوب.

وفي «الحواشي الشهابية» في بيان ثاني الوجهين:  
أن المراد نفي أن يكون له تعالى مولى يلتجئ هو  
سبحانه إليه. وأما الولي الذي يوصف به المؤمن فليس  
الولاية فيه بهذا المعنى، بل بمعنى من يتولى أمره لمحبته  
له، تفضلاً منه عز وجل ورحمة، ففاير بين الولايتين.  
ولعل الحق مع صاحب «الكشف».

ومن عجيب ما قيل: إن ﴿مِنْ الذَّلِّ﴾ في موضع

الصفة لـ ﴿وَلِي﴾ و (من) فيه للتبعيض، وأن الكلام  
على حذف مضاف، أي لم يكن له ولي من أهل الذل. و  
المراد بهم اليهود والنصارى. ولعمري إنه لا ينبغي أن  
يلتفت إليه.

وربما يتوهم أن المقام مقام التثنية لامقام الحمد،  
لأنه يكون على الفعل الاختياري، وبه وما ذكر من  
الصفات العدمية. ويدفع بأنه لاقي وصفه تعالى بما ذكر  
بكلمة التعميد، لأنه يدل على نفي الإمكان المتعدي  
للاحتياج، وإثبات أنه تعالى الواجب الوجود لذاته،  
الغني عما سواه. المحتاج إليه ما عداه، فهو الجواد  
المطلي لكل قابل ما يستحق، فهو تعالى المستحق  
للحيد دون غيره عز وجل. وهذا الذي عناء  
المتفكر.

وقال في «الكشف»: «لك أن تتخذ نفي هذه  
الصفات، هي ذرائع منع المعروف، أما الولد فلأنه  
مبخل، وأما الشريك فلأنه مانع من التصرف كيف  
يشاء، وأما الاحتياج إلى من يعتز به، أو يذنب عنه،  
فأظهر ردفاً لإثبات أحداها على سبيل الكناية.  
وهو وجه حسن.

ولو حمل الكلام على ظاهره أيضاً، لكان له  
وجه: وذلك لأن قول القائل: «الحمد لله»، فيه ما ينسج  
أن الإلهية تحتضي الحمد. فإذا قلت: الحمد لله المنزه عن  
التقائص مثلاً، يكون قد قويت معنى الإلهية المفهومة  
من اللفظ، فيكون وصفاً لائقاً مؤيداً لاستحقاقه تعالى  
الحمد من غير نظر إلى مدخلية الوصف في الحمد

بالاستقلال. وهذا بين مكشوف، إلا أن الزمخشري حاول أن يُثبت على مكان الفائدة الزائدة « انتهى ».

وتعقب بأن ما ذكره من أن في « الحمد لله » ما يُبين أن الإلهية تقتضي الحمد لا يتم على مذهب ما نسمي الاشتقاق في الاسم الكريم، وفيه تأمل. (١٥: ١٩٥) **طنطاوي:** أي لم يذلل فيحتاج إلى ناصر، أو لم يوال أحدًا من أجل مذلته به ليدفعها بموالاته، بل أولياؤه هم الذين استحقوا تلك الولاية بنظرهم وأعمالهم. وكما لم يكن له ولد يحبس نعمه عليه، لم يكن له شريك يقف أعماله في الملك، ولاناصر يدفع العدو المذل له.

وهذه الثلاثة هي آفات هذه الحياة: فالعجز يُميتنا، والشريك يقاومنا، والولد يجعلنا جبناءً بجهلاء أشقاء. وإذا تغرأ الله عن ذلك فقد أمن الناس نظوب موارده، وأصبحت مفتحة أبوابها لكل قاصد، فخلق هذا فله الحمد لله. (٩: ٨٥)

**ابن عاشور:** و (من) في قوله: « من الذل » بمعنى لام التعليل.

والذل: العجز والافتقار، وهو ضد العزة، أي ليس له ناصر من أجل الذل. والمراد: نفي الناصر له على وجه مؤكد، فإن الحاجة إلى الناصر لا تكون إلا من العجز عن الانتصار للنفس.

ويجوز تضمين « الولي » معنى المانع، فتكون (من) لتعدي الاسم المُضْمَنَ معناه. (١٤: ١٨٧)

**مكارم الشيرازي:** في الآيات أعلاه تفتت الإشارة إلى ثلاث صفات من صفات الله، ثم بملاحظة

الأمر الوارد في نهاية الآية تكتمل إلى أربع صفات. أولاً: نفي الولد...

الثاني: نفي الشريك...

الثالث: نفي الولي والناصر عند التعرض للمشاكل والمزائم: « وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ ».

ونفي هذه الصفة عن الخالق يُعتبر أمر بديهي. إن الآية تنفي أي مساعد للخالق أو شبهه له، سواء كان ذلك في مرحلة أدنى كالولد، أو في مرحلة مساوية كالشريك، أو أفضل منه كالولي. (٩: ١٦٣)

٣- وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ

يُنظَرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ. الشورى: ٤٥  
ابن عباس: دليلين من الحزن. (٤١٠)

ابن زيد: قد أذلهم الخسوف الذي نزل بهم (الطبري: ١١: ١٥٩)

الطبري: يقول: خاضعين مُتَذَلِّين. (١١: ١٥٨)  
وهكذا أكثر التفاسير.

الواحد: ساكنين متواضعين. (٤: ٥٩)  
المبشدي: الحزني. (٩: ٤١)

الزمخشري: « خاشعين » متضائلين متواضعين بما يلحقهم « من الذل ». وقد يُعَلَّقُ « من الذل »

بـ « يُنظَرُونَ » ويوقف على « خاشعين ». (٣: ٤٧٤)  
نحو: البرؤوسوي (٨: ٣٣٨)، والالوسي (٥١: ٥١).

ابن عطية: وقوله: « من الذل » يحتمل أن يتعلق بـ « خاشعين »، ويحتمل أن يتعلق بما بعده من قوله:

« يُنظَرُونَ ».

وقرأ طلحة بن مُصَرِّف **إِذَا نَزَلَ بِكَرَ النُّزُلِ**.

والخشوع: الاستكانة، وقد يكون محموداً، وما يخرج به إلى حالة الذم قوله: **﴿مِنْ الذُّلِّ﴾**، فيقوى على هذا تعلق (من) بـ **﴿خَاشِعِينَ﴾** (٤١: ٥) نحوه القرطبي (٤٥: ١٦)، وأبو حيان (٥٢٤: ٧).

الطَّيْرُوسِي: قوله: **﴿خَاشِعِينَ﴾** منصوب على الحال من **﴿يُعْرَضُونَ﴾** و **﴿يُعْرَضُونَ﴾** في موضع نصب على الحال من **﴿ثَرِيهٌ﴾**... ما كثر من مواضع في حال المرض.

الشَّيْرَبِي: **﴿خَاشِعِينَ﴾** أي خاضعين حقيرين بسبب ما لحقهم من الذل، لأنهم عرفوا إذ ذاك ذنوبهم، وانكشف لهم عظمة من عصوه.

أبو السَّعُود: متذللين متضائلين مما دهاهم.

(٢٢: ٦)

المراغي: وهم خاضعون أذلاء.

ابن عاشور: والمراد بالخشوع في هذه الآية: ما يبدو عليهم من أثر المذلة والمخافة، لقوله: **﴿مِنْ الذُّلِّ﴾** متعلق بـ **﴿خَاشِعِينَ﴾**، وتعلقه به يُغني عن تعليقه بـ **﴿يُنْظَرُونَ﴾**، ويغني ما لا يفيد تعليقه به.

و (من) للتعليل، أي خاشعين خشوعاً ناشئاً عن الذل، أي ليس خشوعهم لتعظيم الله والاعتراف له بالعبودية، لأن ذلك الاعتقاد لم يكن من شأنهم في الدنيا.

مكارم الشيرازي: فالقلق والخوف الشديد يسوطان على وجودهم، والذل والاستسلام يطغيان عليهم، وانتهى كل شيء من التكبر ومحاربة وظلم

وإيذاء المظلومين.

فضل الله: **﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾** الذي يعيشون فيه: الانسحاق والسقوط أمام المصير المحتوم، بدلاً من أن يكونوا خاشعين لله من خلال التزامهم بطاعته في الدنيا، وفي موقفهم أمامه يوم القيامة؛ حيث يكون الخشوع الروحي انفتاحاً على ما ينتظرهم من رضوانه، ونعيم الدائم في جنته.

(١٩٧: ٢٠)

ذَلَّةٌ

١- **إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سِتًّا لَهُمْ فُجْأٌ مِنْ رَبِّهِمْ ذَلَّةٌ فِي الْغِيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْسِدِينَ** الأعراف: ١٥٢

ابن عباس: مذلة بالجزية.

أبو العالية: هو ما أرواه من قتل أنفسهم.

(التعليق: ٤: ٢٨٦)

أبو جلال: فهو جزاء كل مُفسِد يكون إلى يوم

القيامة أن يُذله الله عز وجل. (الطبري: ٦: ٧١) القوي: أراد سيناهم أولادهم الكبير كبراً على عهد رسول الله ﷺ غضب وذلة في الحياة الدنيا، وهو ما أصاب بني لريظة والتضير من القتل والجلاء، لتوليتهم متخذي العجل ورضاهم به.

(التعليق: ٤: ٢٨٦)

عطاء: يعني ما أصاب قريظة، والتضير من الجلاء

والنفي. (الواحد: ٢: ٤١٣)

ابن جرير: هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى ﷺ ومن فر منهم حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضاً. (الطبري: ٦: ٧١)

أعرضا عن هذا فقالا: والله لا نعرض عنه حتى نخبرنا! فقال: ما عهد إلي رسول الله ﷺ (لَا كِتَابًا فِي قِرَابِ سِيفِي هَذَا فَاسْتَلْهُ، فَأَخْرَجَ الْكِتَابَ مِنْ قِرَابِ سِيفِهِ، وَإِنَّا فِيهِ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا لَهُ حَرَمٌ وَأُنْثَى حَرُمَتِ الْمَدِينَةُ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكَّةَ، لَا يَحْتَمِلُ فِيهَا السَّلَاحَ لِقِتَالٍ، مِنْ أَحَدٍ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحَدَّثًا فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ».

فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه: أما ترى هذا الكتاب؟ فرجما وتركاه وقالا: إِنَّا سَمِعْنَا اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْيَهُودَ سِتًّا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الآية، وإن القوم قد افتروا فرية ولا أدري إلا استنزل بهم ذلة. (٧٠: ٦)

الزجاج: «الذلة: هو ما أمروا به من قتل أنفسهم. وحمل: إن الله آله: أخذ الجزية، وأخذ الجزية لم يقع في الذين عبدوا اليهود، لأن الله جل وعزّ تاب عليهم بقتلهم أنفسهم. (٣٧٩: ٢)

الثعالب: وقيل: معنى ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْخَيْلِ وَالْأَنْفُسِ﴾: إنها الجزية. قيل: هو ما أمروا به من أن يقتل بعضهم بعضًا، وما رأوه من ضلالهم، قال الله جل وعزّ: ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ الأعراف: ١٤٩. وهذا القول أصح من الأول، لأن الجزية لم تؤخذ منهم وإنما أخذت من ذرّيتهم. (٨٤: ٣)

الطوسي: بمعنى صغر النفس والإهانة، يقال: ذلّ يذلّ ذلة، أدله إذلالًا، وتذلّل تذللاً، وذالّه تذللاً، واستذلّه استذلالًا.

الطبري: وهي الهوان لعقوبة الله إيمانهم على كفرهم برّبهم. [إلى أن ذكر قول ابن جرّيج وقال:] وهذا الذي قاله وإن كان قولاً له وجه، فإنّ ظاهر كتاب الله، مع تأويل أكثر أهل التأويل بخلافه، وذلك أن الله هم بالخير عن اتّخذ العجل أنّه سينالهم غضب من ربهم، وذلة في الحياة الدنيا.

وتظاهرت الأخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين، بأنّ الله إذ رجع إلى بني إسرائيل موسى عليه السلام تاب على عبدة العجل من فعلهم، بما أخبر به عن قبل موسى عليه السلام في كتابه، وذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَنَّمْتُمْ أَنَّكُمْ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ البقرة: ٥٤، ففعلوا ما أمرهم به ربهم فكان أمر الله إيمانهم بما أمرهم به من قتل بعضهم أنفسهم بعض عن غضبه منهم عليهم بعبادتهم العجل، فكان قتل بعضهم بعضاً هو آتاهم، وذلة أدلّهم الله بها في الحياة الدنيا، وتوبة منهم إلى الله قبلها.

وليس لأحد أن يجعل خبراً جاء الكتاب بعمومه، في خاصّ من أعمّه الظاهر، بخير برهان من حجة خبر أو عقل. ولا تعلم خبراً جاء بوجوب نقل ظاهر قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْيَهُودَ سِتًّا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، إلى باطن خاصّ، ولا من العقل عليه دليل، فيجب إحالة ظاهره إلى باطنه. [إلى أن قال: وفي حديث:]

أنّ قيس بن عباد، وجارية بن قدامة، دخلا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقالا: أرايت هذا الأمر الذي أنت فيه وتدعو إليه، أعهد عهده إليك رسول الله ﷺ أم رأي رأيت؟ قال: ما لكما وهذا؟

- و قيل: المراد به ما يؤخذ منهم من الجزية على وجه الضمان. (٥٨٥: ٤)
- الواحدى: يعنى الجزية. (٤١٣: ٢)
- القيوي: أراد ما أصاب بني قريظة والتضير من القتل والجلاء. (٢٣٦: ٢)
- الزَمَحْشَرِي: والذلة: خروجهم من ديارهم، لأن ذل القرية مثل مضروب... ومن الذلة بضرب الجزية. (١٢٠: ٢)
- نحوه التضاوي (١: ٣٧١)، والكاشاني (٢: ٢٤٠).
- ابن عطية: وه الغضب والذلة ه هو أمرهم بقتل أنفسهم، هذا هو الظاهر.
- وقال بعض المفسرين: الذلة: الجزية، ووجه هذا القول أن الغضب والذلة يهت في عقب هؤلاء المقصودين بها أولاً، وكان المراد سينال أعقابهم.
- وقال ابن جرير: الإشارة في قوله: «الذين هم» من مات من عبدة العجل قبل التوبة بقتل النفس وإلى من فرّ، فلم يكن حاضراً وقت القتل.
- والغضب على هذا والذلة هو عذاب الآخرة. (٤٥٨: ٢)
- ابن الجوزي: فيها قولان: [فذكر قول ابن عباس والزجاج ثم قال:]
- فعلى الأول يكون ما أضيف إليهم من الجزية في حق أولادهم، لأن أولئك قتلوا ولم يؤدوا جزية. (٢٦٥: ٣)
- القرطبي: لأنهم أمروا بقتل بعضهم بعضاً، وقيل: الذلة: الجزية. وفيه بُعد، لأن الجزية لم تؤخذ منهم
- و إنما أخذت من ذريّاتهم. (٢٩١: ٧)
- التسفي: خروجهم من ديارهم، فالقرية تذل الأعناق. أو ضرب الجزية عليهم. (٧٩: ٢)
- ابن جرير: أي غضب في الآخرة وذلة في الدنيا. (٤٦: ٢)
- أبو حيان: قيل: والغضب في الآخرة والذلة في الدنيا، وهم فرقة من اليهود أشربوا حب العجل فلم يتوبوا.
- وقيل: هم من مات منهم قبل رجوع موسى من الميقات.
- وقال أبو العالية وتبعه الزمخشري: هو ما أسروا به من قتل أنفسهم.
- وقال الزمخشري: والذلة: خروجهم من ديارهم، لأن ذل القرية مثل مضروب، انتهى، وينبغي أن يكون استمرار انقطاعهم عن ديارهم، لأن خروجهم كان سبق على عبادة العجل.
- وقال عطية القوي: هو في قتل بني قريظة وإجلاء بني التضير، لأنهم تولوا متخذي العجل. وقيل: ما نال أولادهم على عهد رسول الله ﷺ من السبي والجلاء والجزية وغيرها، وجمع هذين القولين الزمخشري فقال: هو ما نال أبناءهم، وهم بنو قريظة والتضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية، انتهى. (٣٩٧: ٤)
- الثبريني: وهي خروجهم من دارهم. (٥١٩: ١)
- أبو السعود: هي ذلة الاعترا بآتي تضرب بها الأمثال والمسكنة المنتظمة لهم ولأولادهم جميعاً،

والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد بالناس والابتلاء بلامساس.

(٣: ٣٤)

مثله البروسوي.

(٣: ٢٤٧)

الآلومي: ﴿وَذَلَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

وهي على ما أقول الذلة التي عرثهم عند تحريق إلههم ونسفه في اليمّ نسفاً، مع عدم القدرة على دفع ذلك عنه.

(٩: ٦٩)

رشيد رضا: الذلة: ما يشعرون به من هوانهم

على الناس وظلهم عند لقاء كل أحد أنه يذكر برؤيتهم ما كان متهم فيحترقهم، وقال بعضهم: إن هذه

الذلة خاصة بالسامري، وهي ما حكم به عليه من

القطيعة واجتناب الناس يقول موسى له: ﴿فَانْظُرْهَا

فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ طه: ٩٧، أي

امس أحدا ولا يمسي أحد.

(٩: ٢١١)

أهمن عاشور: والذلة: خضوع في المنطق كقولهم

واستكانة، من جرأ العجز عن الدفع. فمعنى نيل

الذلة إياهم: أنهم يصيرون مغلوبين لمن يغلبهم، فقد

يكون ذلك بتسلط العدو عليهم، أو بسلب الشجاعة

من نفوسهم، بحيث يكونون خائفين العدو، ولو

لم يسلم عليهم، أو ذلة الاغتراب إذ حرمهم الله ملك

الأرض المقدسة، فكانوا بلا وطن طول حياتهم حتى

انقرض ذلك الجيل كله.

وهذه الذلة عقوبة دينية قد لا تمحوها القوة، فإن

القوة إنما تقتضي العفو عن عقاب التكليف،

ولا تقتضي ترك المؤاخذه بمصائب البدن، لأن

العقوبات الدنيوية مسببات تنشأ عن أسبابها، فلا يلزم

أن ترفعها القوة إلا بعناية إلهية خاصة.

وهذا يشبه التفرقة بين خطاب الوضع وخطاب

التكليف، كما يؤخذ من حديث الإسراء لما أتى

رسول الله ﷺ يانائين، أحدهما من لين والآخر من

خمر، فاختار اللين، فقال جبريل: الحمد لله الذي هدانا

للفطرة، لو أخذت الخمر لقوت أمتك. هذا، وقد يحو

الله العقوبة الدنيوية إذا رضي عن الجاني والله ذو فضل

عظيم.

مكارم الشيرازي: ثم إن الآيات الحاضرة

ركزت فقط على الذلة في الحياة الدنيا، ويستفاد من

ذلك أن توبة بني إسرائيل من هذه المعصية سيهد

القبالة من فضيلة التوبة وتذوق العقوبة في هذه

الدنيا قد قبلت، بحيث إنها أزال عقوبتهم في الآخرة،

وإن بقيت أعباء الذنوب الأخرى التي لم يتوبوا منها في

(٥: ٢١٦)

فضل الله: أما هؤلاء الذين عبدوا العجل، لهم

على قسمين: أولئك الذين انخرقوا ثم تراجعوا وساروا

من جديد في خط الاستقامة والإيمان، وأولئك الذين

استمروا على خط الضلال، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ

سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في

ما أَرَادَ اللهُ مِنْ ضَرْبِ الذَّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ عَلَيْهِمْ، مِنْ

خِلَالِ الظُّرُوفِ الَّتِي تَحِيطُ بِهِمْ، وَمِنْ خِلَالِ التَّفَسُّيَةِ

الْوَضِيعَةِ الَّتِي تَجْعَلُهُمْ يَوجَهُونَ الْحَيَاةَ مِنْ مَوَاقِعِ

صَغَائِرِهَا، لَا مِنْ مَوَاقِعِ الْأَهْدَافِ الْعُلْيَا.

وبذلك فهم يسقطون أنفسهم تحت أقدام الأقوياء

والأغنياء، ليحصلوا على بعض الشهوات

والامتيازات الذاتية، فيحشون الذل في الموقف،  
والاستحقاق في التقسية والروحانية أمام الآخرين.

(٢٥٢: ١٠)

٢- الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ  
وُجُوهَهُمْ قُتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ.

يونس: ٢٦

ابن عباس: كآبة.

(١٧٣)

قَتَادَةُ: كآبة وكُوف.

(التعليق: ٥: ١٣٠)

ابن أبي ليلى: [هذا] بعد نظرهم إلى رُفْع.

(التحاس: ٣: ٢٩٠)

القُصَي: الخوف.

(٣١١: ١)

التحاس: الهوان.

(٣: ٢٩٠)

مثلته التعليق (٥: ١٣٠)، والبغوي (٢: ١١٨).

والبُضَاوِي (١: ٤٤٥)، والكاشاني (٢: ٤٠٠).

الطُّوسِي: والذلة: صغر النفس بالإهانة، والذلة:

تقيض العزة. وقد يكون صغر النفس بضيق المقدرة.

(٥: ٤١٩)

القُشَيْرِي: والذلة التي لا تصيبهم، أي لا يهترأوا

من غير شهود إلى رؤية غيره.

(٣: ٩٢)

الزَّمَخْشَرِي: ولا أثر هوان وكُوف بال.

(٢: ٢٣٤)

نحوه الفخر الرازي.

(١٧: ٧٩)

القُرْطُبِي: أي مذلة، كما يلحق أهل النار.

(٨: ٣٣١)

التَّسَنِّي: أي أثر هوان، والمعنى: لا يرهقهم ما

يرهق أهل النار

(٢: ١٦١)

الشَّوْشِي: أي كآبة وكُوف، يظهر منه  
الانكسار والهوان.

(٢: ١٦٦)

أبو السَّعُود: أي أثر هوان وكُوف بال، والمعنى:  
لا يرهقهم ما يرهق أهل النار، أو لا يرهقهم ما يوجب  
ذلك من الحزن وسوء الحال. والتذكير للتعقير، أي  
شيء منهما.

(٣: ٢٣٢)

الْبُرُوسِي: أي أثر هوان وكُوف بال،  
والغرض من نفي هاتين الصفتين: [قُتْرٌ وَذِلَّةٌ] نفسي  
أسباب الخوف والحزن والذل عنهم. ليعلم أن تعصيتهم  
الذي ذكره الله خالص لا يشوبه شيء من المكروهات،  
وإنه لا يتطرق إليهم ما إذا حصل بغير صفحة الوجه،  
ويحل ما فيها من الثضارة والحسن. [إلى أن قال:]

وفي «القاويلات الجميلة»: «وَلَا يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ  
قُتْرٌ» أي لا يصيبهم غبار الحجاب، «وَلَا ذِلَّةٌ»  
وجود نفسي الاتينية.

(٤: ٣٩)

الْأَلُوسِي: «وَلَا يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ قُتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ»،  
أي لا يغطها غيرة ما فيها سواد، ولا أثر هوان ما،  
وكُوف بال. والمعنى: لا يعرض عليهم ما يعرض  
لأهل النار، أو لا يعرض لهم ما يوجب ذلك من الحزن  
وسوء الحال.

والكلام على الأول حقيقة، وعلى الثاني كناية،  
لأن عدم غشيان ذلك لازم لعدم غشيان ما يوجبهما،  
فذكر اللازم لينتقل منه إلى الملزوم. ورجح هذا بأنه  
أمدح. والمقصود بيان خلوص تعصيتهم من شوائب  
المكارة. إتر بيان ما من سبحانه به عليهم من التعميم.  
وقيل: إن ذكر ذلك لتذكيرهم بما ينقذهم منه،

لما بهم إذا ذكروا ذلك، زاد ابتهاجهم وسرورهم، كما أن أهل النار إذا ذكروا ما فاتهم من النعيم ازداد غمهم وحسرتهم.

وقيل: الفرض إدخال السرور عليهم بتذكير حال أعدائهم أهل النار، فإن الإنسان متى علم أن عدوه في الهوان وسوء الحال، ازداد سرورا.

وقد شاهدنا من يكتفي بضربة عدوه عن حصول المنفعة له، بل من يسره ضرر عدوه، وإن تضرر هو.

وتقديم المفعول على الفاعل، للاهتمام ببيان أن المصون من الرهق أشرف أعضائهم، وللتشويق إلى المؤخر، ولأن في الفاعل ضرب تفصيل. (١١: ١٠٣)

القاسمي: أي أثر هوان وكسوف بال، من أثر الالتفات إلى ما دون الله تعالى.

قال القاسمي: وفي تعقيب الزيادة بهذه الجملة مصداق لصحة تفسير الزيادة بالرؤية الكريمة، فإن فيه تنبيها على إكرام وجوههم بالنظر إلى وجه الله تعالى. فجدير بهم أن لا يرهق وجوههم قشر البعد، ولا ذلة الحجاب، عكس المحرومين المحجوبين، فإن وجوههم مرهقة بقشر الطرد وذلة البعد. (٩: ٣٣٤٢)

شبر: هوان، أو كآبة وكسوف. (٣: ١٥٢)  
ابن عاشور: والذلة: الهوان، والمراد: أثر الذلة الذي يبدو على وجه الذليل، والكلام مستعمل في صريحه وكنائيه، أي لا تشوة وجوههم بالقشر وأثر الذلة، ولا يحصل لهم ما يؤثر القشر وهيئة الذلة.

وليس معنى نفي القشر والذلة عنهم في جملة

أوصافهم مدحاً لهم، لأن ذلك لا يخطر بالبال وقوعاً، بعد أن أثبت لهم الحسنى وزيادة، بل المعنى: التعريض بالذين لم يهدم الله إلى صراط مستقيم، وهم الذين كسبوا السيئات تعميلاً للمساواة إليهم بطريق التعريض قبل التصريح، الذي يأتي في قوله: ﴿وَكُرْهُهُمْ ذُلٌّ﴾ إلى قوله: ﴿مُظْلِمًا﴾ يونس: ٢٧. (١١: ٦٤)

فضل الله: لأنهم لم يفعلوا شيئا يهزم روحهم، أو يصف سوقيتهم، أو يُشير فيهم الشعور بالذلة والانسحاق، بل إنهم أخذوا بأسباب العزة والكرامة، من خلال ما فعلوه وقاموا به من طاعة لله وعبادته والشكر في طريقه المستقيم، مما جعلهم يواجهون الموقف أمام الله، بقلب مطمئن، ورأس مرفوع، موقف ثابت، وأمل مشرق بالفوز والنجاح.

(١١: ٣٠٠)

٣- والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكُرْهُهُمْ ذُلٌّ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا... يونس: ٢٧

ابن عباس: كآبة وكسوف. (١٧٣)  
السدي: الذلة: هي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾، والقطع: السواد. وهذه الآية نسخها الآية: ﴿يَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾.

البقرة: ٨١. (٢٩٩)

القاسمي: الصغار. (١: ٣١١)

الطوسي: أي يلحقهم هوان في أنفسهم. (٥: ٤٢٠)



مثلته قنادة. (الطبري ١: ٣٥٦)

عطاء: هو الكسب<sup>(١)</sup> والزئار وزي اليهود.

(البغوي ١: ١٢٣)

أبو عبيدة: الصغار. (٤٢: ١)

الطبري: وأما «الذلة» فهي «الفعلة» من قول

المقاتل: ذل فلان بذل ذلاً وذلة، كـ «الصخرة» من صخر الأمر، و«القعدة» من قعد.

و «الذلة» هي الصغار الذي أمر الله جل ثناؤه

عباده المؤمنين أن لا يسطوهم أمثا على القرار، على ما هم عليه من كفرهم به ورسوله إلا أن يبذلوا الجزية

عليه هم. فقال جل وعز: «فقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يعترفون ما حرم الله

ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يخلطوا الجزية عن يديهم صاغرون»

(البقرة: ٢٩) (٣٥٦: ١)

الزجاج: الصغار. (١٤٤: ١)

الشريف الرضي: وهذه استعارة، والمراد بها

صفة تمول الذلة لهم، وإحاطة المسكنة بهم، كالغنياء المضروب على أهلهم، والرواق المرفوع مستظلم. (٣)

التعلي: الذل والهوان. قالوا: بالجزية، يذل

عليه قوله: «حتى يخلطوا الجزية عن يديهم صاغرون» (٢٠٦: ١)

نحوه: البغوي. (١٢٣: ١)

(١) هو خيط غليظ يشبه الذئبي فوق ثيابه دون

الزئار.

القمثيري: هو تأييد العقوبة. (٩٢: ٣)

القرطبي: أي ينشاهم هوان وخزي. (٣٣٢: ٨)

التسقي: ذل وهوان. (١٦١: ٢)

أبو السعود: وأي ذلة، كما ينس عنه التسوين

التنخيمي. (٢٣٣: ٣)

البروسوي: الهوان والخزي، أي تظهر عليهم

آثار المذلة. (٣٩: ٤)

الألويسي: أي هوان عظيم، فالثنوين هنا

للتفخيم، على عكس الثنوين فيما قبل، كما أشرنا إليه. (١٠٤: ١١)

٤ - حاشية أنصارهم كرهت لهم ذلة وقد كانوا

يدعون إلى الشجور وهم متاليون. القلم: ٤٣

٥ - حاشية أنصارهم كرهت لهم ذلة ذلك اليوم الذي

كانوا يؤمنون. المعارج: ٤٤

وحاتان الأيمان كسا بهما، فراجع.

## الذلة

١ - ... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءت

بغضب من الله ذلك بالهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا

يعتدون. البقرة: ٦١

ابن عباس: جعلت عليهم المذلة بالجزية. (١٠)

نحوه: الكاشاني (١٢٢: ١)، وشير (١٠٤: ١).

هم أصحاب القبالات: [الجزية].

(القرطبي ١: ٤٣٠)

الحسن: يخلون الجزية عن يديهم صاغرون.

وقيل: الذَّلَّةُ كأنها هيئة من الذَّلِّ كالجليلة، والذَّلُّ:  
القصوع وذهاب الصَّعوبة. (٢٢٠: ١)

الشَّيريني: الذَّلُّ والهوان. (٦٥: ١)

مثله التَّروسي. (١٥٠: ١)

الآلوسي: الكلام كناية عن كونهم أذلاء  
متصاغرين؛ وذلك بما ضرب عليهم من الجزية التي  
يؤدونها عن يديهم صاغرون، وبما ألزموا من إظهار  
الزِّي ليعلم أنهم يهود، ولا يلتبسوا بالمسلمين، وبما  
طبعوا عليه من فقر النفس وشحها. فلا ترى ملَّة من  
الملل أحرص منهم. وبما تمودوا عليه من إظهار سوء  
الحال، مخافة أن تضاعف عليهم الجزية. إلى غير ذلك  
مما قرأه في اليهود اليوم.

وهذا الضرب مجازاة لهم على كفران تلك النعمة.  
وهذا الرُّبُط الآية بما قبلها، وإلصاقه بضمير  
الجملة للإشارة إلى أن ذلك راجع إلى جميع اليهود،  
وشامل للمخاطبين بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَكُمْ مَسَآئِمُ فَهُنَّ  
وَلَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فليس من قبيل  
الالفاظ على ما فهم. (٢٧٦: ١)

القاسمي: والذَّلَّةُ بالكسر: الصَّغار والهوان  
والحقارة. والذَّلُّ بالضم: ضد العزِّ. [إلى أن قال:]

وفي الذَّلَّةُ استعارة بالكناية: حيث شُبِّهت بالقُبَّة  
في التَّشْمُول والإحاطة، أو شُبِّهت الذَّلَّةُ بهم بلصوق  
الطين بالحائط في عدم الانفكاك. وهذا الخبر الذي  
أخبر الله تعالى به هو مطوم في جميع الأزمنة، فإنَّ  
اليهود أذلَّ القُرَى، وأشدَّهم مسكنةً، وأكثرهم  
تصاغراً، لم ينتظم لهم جمع، ولا خففت على رؤوسهم

الطُّوسي: مشتق من قولهم: ذلَّ فلان يَذِلُّ ذُلًّا  
وَذَلَّةً. (٢٧٧: ١)

نحوه الطُّبرسي: (١٢٢: ١)

الزَّمَخْشَرِي: اليهود صاغرون أذلاء، أهل  
مسكنة ومدقعة، إمَّا على الحقيقة، وإمَّا لتصاغرهم  
وتفاقرهم، خيفة أن تضاعف عليهم الجزية. (٢٨٥: ١)  
نحوه التَّيضاوي (٥٩: ١)، والتَّسْفِي (٥١: ١)،  
وأبو السُّمُود (١٤٠: ١).

ابن عَطِيَّة: ﴿الذَّلَّةُ﴾ «جملة» من الذَّلِّ كأنها  
الهيئة والحال. (١٥٥: ١)

القَطَر الرَّاظِي: والأقرب في الذَّلَّة أن يكون  
المراد منها ما يجري مجرى الاستحقاق، كقوله تعالى  
لهم من يحارب ويضد: ﴿ذَلِكَ لَكُمْ جِزْيَتِي فِي الدُّنْيَا﴾

فأما من يقول: المراد به الجزية خاصة، على ما قال  
تعالى: ﴿وَحَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾  
التوبة: ٢٩، لقوله بعد: «لأن الجزية ما كانت مضروبة  
عليهم من أوَّل الأمر. (١٠٢: ٣)

الْقُرْطُبِي: الذَّلُّ والصَّغار. (٤٣٠: ١)

الْأَبْهَارِيُّ: [مثل الزَّمَخْشَرِي ثم قال:]

وهذا من جملة الإخبار عن الغيب الدَّال على  
كون القرآن وحياً نازلًا من السماء على محمد ﷺ هذا  
حاشاه في الدنيا. (٣٣٠: ١)

الحَافِظ: الذَّلُّ والهوان. وقيل: الذَّلَّةُ: الجزية،  
وزي اليهودية. «فيه بُدٌّ، لأنه لم تكن ضربت عليهم  
الجزية بُدٌّ. (٥٦: ١)

أَبُو حَيَّان: الذَّلَّةُ: مصدر ذلَّ يَذِلُّ ذُلًّا وذلًّا

وتقهره، وترى الذل والصغار يبدو في أوضاع أعضائه  
وعلى ظاهر وجهه. (١٣٢: ١)

سيد قطيب: إن ضرب الذلة والمسكنة عليهم  
وعودتهم بغضب الله، لم يكن من التناحية التاريخية في  
هذه المرحلة من تاريخهم. إنما كان فيما بعد، بعد وقوع  
ما ذكرته الآية في ختامها: **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ**  
**بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ الَّذِينَ بَدَّلُوا عَصَاهُمْ**  
**وَكَانُوا يَفْشَرُونَ**.

وقد وقع هذا منهم متأخراً بعد عهد موسى  
بأجيال، إنما عجل السياق بذكر الذلة والمسكنة  
والغضب هنا، لتناسبه، لموقفهم من طلب القدس  
والعمل والتوهم والبقاء، فتناسب أن يكون قول موسى  
لهم: **«الْمُحِبُّونَ مِصْرًا»** هو تذكير لهم بالذل في مصر  
وبالكراهة منه، ثم هفوة نفوسهم للمطاعم التي ألغوها في  
الذل والذل والذل. (٧٥: ١)

ابن عاشور: والذلة: الصغار، وهي بكسر  
الذال لا غير، وهي ضد العزة... ومعنى لزوم الذلة  
والمسكنة لليهود أنهم فقدوا الأُس والشجاعة، وبدا  
عليهم سيما الفقر والحاجة مع وفرة ما أنعم الله عليهم،  
فلأنهم لمّا شتموها صارت لديهم كالعدم، ولذلك  
صار الحرص لهم سجيّة باقية في أعقابهم. (٥١١: ١)  
مفنيّة: كانوا أعزاء مستقلين يأتيهم رزقهم وغداً،  
فأبوا إلا الزراعة والصناعة والتجارة، وكل ذلك  
يستدعي التنافس والحروب، وهي تستدعي الفشل  
وذهاب الرّيح. (١١٦: ١)

عبد الكريم الخطيب: حكم قاطع على هذه

رأية ولا تثبت له ولاية، بل ما زالوا هبداً نصبي في  
كل زمن، وطروقه كل فعل في كل عصر، ومن تمسك  
منهم بتصيب من المال، وإن بلغ في الكثرة أي مبلغ،  
فهو مُرئد بأثواب المسكنة. (١٣٩: ٢)

رشيد رضا: الذلة والذل: خلق خبيث من  
أخلاق نفس الإنسان، بضادة الإباء، والعزّة. وأصل  
المادة فيه معنى اللين، فالذل بالكسر: اللين، وبالضم  
والكسر: ضد الصلابة.

وإذا تتبعنا المادة وجدتها لا تخلو من هذا المعنى،  
صاحب هذا الخلق، لين يفعل لكل قاعل، ولا يأي  
ضم ضائم، غير أن هذا الخلق الذي يهون على النفس  
قبول كل شيء، لا يظهر أثره غالباً على البدن وفي  
القول إلا عند الاستدلال والقهر. «كثيراً ما نرى  
الأذلاء تحسبهم أعزاء يحتالون في منيتهم من  
الكبرياء، ويباهون بما لهم من سلف وأبناء ورثته»  
فاخروا من لا يخشون سلوته من الكبراء.

وإذا ما خلا الجبان بأرض

طلب الظن وحده والزلزلة

(٣٣١: ١)

طنطاوي: أي جعلت الذلة محيطة بهم مستحقة  
عليهم. (٧٥: ١)

المراغي: أي إن الله عاقبهم على كفران تلك النعم  
بالذل الذي يهون على النفس قبول الضيم  
والاستكانة والخضوع في القول والعمل، وتظهر آثار  
ذلك في البدن فالذلّيل يستغذي ويسكن إذا طاف  
بجباله يَدْتَمِدُّ إِلَيْهِ، أو قوة القاهرة تريد أن تستدله

تميش لشهواتها وأطماعها، فتستسلم لكل القوى التي تؤمن لها ذلك، ولو على حساب كرامتها وعزيمتها ومبادئها. ويمتد بها هذا السلوك، حتى تنصرف عن خط الله المستقيم، فترجع بغضب الله وسخطه، لأن ذلك يؤدي بها إلى الكفر بآيات الله عناداً وضلالاً، وإلى النوقوف ضد رسالاته ورسله، كما فعل بنو إسرائيل الذين كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويعصون ربهم ويعدون على الناس بغير حق.

وتلك هي النهاية الطبيعية لكل شعب يفتقد إيمانه ووعيه للقيم الروحية الكبيرة التي تنمى حياته بالقوة وروحه بالسكينة وتعمر كيانه بالقوة والحياة. [إلى أن قال:]

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ من خلال خضوعهم للأطماع الذاتية، التي تنمى بهم عن الاعتناء الكبيرة، في مواقع التحدي والتمرد على الذات، الأمر الذي يجعلهم مشدودين إلى الضعف النفسي والسقوط الروحي أمام الآخرين الذين يملكون حاجاتهم ويفرضون عليهم سيطرتهم، من خلال نقاط الضعف المتحكمة فيهم، الكامنة في داخل شخصياتهم. (٦٠: ٢)

٢ - ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَوَقَّعُوا إِلَّا يَعْجَلُ مِنَ اللَّهِ وَخَلَّى مِنَ التَّوَّابِينَ وَيَأْتِيهِمْ الْغُصْبُ مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ آل عمران: ١١٢

الجماعة الشاردة المُرَبَّدَة، بأن تشتمل عليها الذِّلَّةُ والمسكنة باطنًا وظاهرًا، أي في كيانها الذاتي، وفي واقع الحياة المسلطة عليها، فقد كان العقاب الطبيعي لهذا الفرور المسئولي عليهم أن يقتل الله فيهم مصابي الإنسانية الكريمة، وأن يُحميت في نفوسهم كل معالم القوة والرجولة، ثم يسلط عليهم مع هذا من خارج أنفسهم قوى تسيبهم الخسف والموان، كما يقول تعالى: ﴿وَإِذْ كَانُوا مِنْكُمْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ سَاءَ الْأَعْرَابُ﴾ الأعراف: ١٦٧، وهذا هو معنى ضرب الذِّلَّةُ والمسكنة عليهم. (٩٠: ١)

مكارم الشيرازي: ذلّة بني إسرائيل ومسكنتهم

تفيد الآية الكريمة أن بني إسرائيل ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ وبأنهم يفتضون من الله ﴿لِعَامِلِينَ﴾

الأول: لكفرهم بآيات الله، وانحرافهم عن خط التوحيد.

الثاني: لقتلهم الأنبياء بغير حق، ظاهرة الانحراف عن خط التوحيد وظاهرة القسوة والفظاظة، لازالتنا مشهودين حتى اليوم عند جمع من هؤلاء القوم، ولازالنا سبباً لشقاوتهم وطيشهم وتعاستهم.

في تفسير الآية: ١١٢، من سورة آل عمران تحدثنا بالتفصيل عن مصير اليهود وحياتهم القبيحة. (٢١٦: ١)

فضل الله: وذلك هو سبيل كل المجتمعات التي

ابن عباس: مذلة الجزية. (٥٤)  
الحسن: أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم الله تحت  
أقدام المسلمين.

[و في خبر آخر: أذركتهم هذه الأمة. وإن الجحوس  
لتجبيهم الجزية. (الطبري ٣: ٣٩٤)]

جاء الإسلام وإن الجحوس لتجبيهم الجزية. وما  
كانت لهم عزة و منعة إلا يشرب وخيم، وتلك  
الأرض، فأزالها الله بالإسلام، ولم تبق لهم راية أصلا في  
الأرض. (ابن عطية ١: ٤٩١)

الطبري: الذلة والقلة من الذل، وقد بيتا ذلك  
بشواهد في غير هذا الموضع. (٣: ٣٩٤)

الطوسي: المسمى بقوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ  
الذِّلَّةُ﴾ اليهود. [ثم قال نحو الحسن] (٢: ٥٦٩)

القشيري: علم الهجران لا ينكم، وسمة البعد  
لا تحصى، ودليل القطيعة لا يستتر، فهم في صفار البرقعة

و ذل الرد، يعتبر بهم أولو الأبهصار، ويقترب بهم  
أضرابهم من الكفار النجار. (١: ٢٨٣)

ابن عطية: ﴿الذِّلَّةُ﴾ «فيلة» من الذل.  
(١: ٤٩١)

الطبرسي: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ أي أنبت  
لهم الذلة، وأنزلت بهم، وجعلت محيطه بهم. وهو

استعارة من ضرب القباب والخيام، عن أبي مسلم.

وقيل: معناه ألزموها الذلة، فثبت فيه، من قولهم:  
ضرب فلان الضريبة على عبده، أي ألزمها إياه.

قال الحسن: ضربت الذلة على اليهود، فلا يكون  
لها منعة أبدا.

وقيل: معناه: فرضت عليهم الجزية والهوان،  
فلا يكونون في موضع إلا بالجزية، ولقد أذركتهم  
الإسلام وهم يؤدون الجزية إلى الجحوس. (١: ٤٨٨)  
الفخر الرازي: ﴿الذِّلَّةُ﴾ هي الذل، وفي المراد  
بهذا الذل أقوال:

الأول: - وهو الأقوى - أن المراد أن يهاربوا  
ويقتلوا ويغنم أموالهم، ونسب ذراريتهم، وتملك  
أراضيهم. فهو كقوله تعالى: ﴿وَأَقْلَسَتْهُمْ فَهُتُ  
تَقْتُمُوهُمْ﴾ البقرة: ١٩١.

ثم قال تعالى: ﴿الْأَيْخَانَةُ مِنَ اللَّهِ﴾ والمراد: إلا  
بعهد من الله وعصمة، وذمام من الله ومن المؤمنين، لأن

عند ذلك تروى الأحكام، فلا قتل ولا غنمة ولا سبي.

الثاني: أن هذه الذلة هي الجزية، وذلك لأن  
ضرب الجزية عليهم يوجب الذلة والصغار.

والثالث: أن المراد من هذه الذلة أنك لا ترى فيهم  
ملكاً قاهراً ولا رئيساً معتبراً، بل هم مستخفون في  
جميع البلاد ذليلون مهينون.

واعلم أنه لا يمكن أن يقال: المراد من الذلة هي  
الجزية فقط، أو هذه المهانة فقط، لأن قوله: ﴿إِلَّا يَخْتَلِ

مِنْ اللَّهِ﴾ يقتضي زوال تلك الذلة عند حصول هذا  
الحبل، والجزية والصغار والدخاء لا يزول شيء منها

عند حصول هذا الحبل، فامتنع حمل الذلة على الجزية  
فقط.

وبعض من نصر هذا القول أجاب عن هذا  
السؤال، بأن قال: إن هذا الاستثناء منقطع، وهو قول

محمد بن جرير الطبري - فقال: اليهود قد ضربت

عليهم الذلّة، سواء كانوا على عهد من الله أو لم يكونوا، فلا يخرجون بهذا الاستثناء من الذلّة إلى العزة، فقلوه: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ﴾ تقديره: لكن قد يعتصمون بحبل من الله وحبل من الناس.

واعلم أن هذا ضعيف، لأنّ حمل لفظ (إِلَّا) على «لكن» خلاف الظاهر. وأيضا إذا حملنا الكلام على أن المراد: لكن قد يعتصمون بحبل من الله وحبل من الناس، لم يتم هذا التقدير، فلا بد من إضمار الشيء الذي يعتصمون بهذه الأشياء لأجل الخضر عنه، والإضمار خلاف الأصل، فلا يصار إلى هذه الأشياء إلا عند الضرورة، فإذا كان لا ضرورة هاهنا إلى ذلك كان المصير إليه غير جائز.

بل هاهنا وجه آخر، وهو أن يحمل ﴿الذُّلَّةُ﴾ على كل هذه الأشياء، أعني: القتل، والأسير، وسبي الذراري، وأخذ المال، وإلحاق الصغار، والمهانة، ويكون فائدة الاستثناء هو أنه لا يقس بمجموع هذه الأحكام؛ وذلك لا ينافي بقاء بعض هذه الأحكام، وهو أخذ القليل من أموالهم الذي هو مسمى بالجزية، وبقاء المهانة والحقارة والصغار فيهم، فهذا هو القول في هذا الموضع.

القرطبي: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود. (١٧٤: ٤)  
مثله التسمي.  
التيضاوي: هدر النفس والمال والأهل، أو ذلّ التمسك بالباطل والجزية. (١٧٧: ١)

نحوه الشيرازي (٢٤٠: ١)، وأبو السعود (١٩: ٢)، والكاشاني (٣٤٣: ١)، والبروسوي (٧٩: ٢)، وشبر

(١: ٣٦١).

التيضاوي: الهوان في عامة الأحوال بالقتل والسبي والنهب. (٤٢: ٤)  
الحازن: والمراد به ﴿الذُّلَّةُ﴾: قتلهم وسبيهم وغنيمة أموالهم.

وقيل: ﴿الذُّلَّةُ﴾: ضرب الجزية عليهم، لأنها ذلة وصغار.

وقيل: ذلتهم أنك لا ترى في اليهود ملكا شاهرا ولا رايضا معتبرا بل مستضعفون في جميع البلاد.

(١: ٢٤٠)

أبو حيان: تقدم شرح هذه الجملة، وهي وصف حال تفرّرت على اليهود في أقطار الأرض قبل مجيء الإسلام. [ثم نقل قول الحسن كما تقدم عن ابن عطية]

(٣: ٣٦)

رشيد رضا: والذلّة بكسر الذال، ضرب مخصوص من الذلّة، لأنها من الصيغ التي تدل على الهينة.

وقيل: المراد بها هنا: الجزية. وقيل: ما يحدث في

النفس عند السّلطة، وهذا هو الصحيح. (٤: ٦٧)

المرآغي: والذلّة هي الذلّ الذي يحدث في النفوس من فقد السّلطة. (٤: ٧٨)

سيد قطب: ذلك أنه قد ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذُّلَّةُ﴾ وكتب لهم مصيرا، فهم في كل أرض يُذَكَّرُونَ لا تعصمهم إلا ذمة الله وذمة المسلمين - حين يدخلون

في نيتهم فتحصم دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وتبليهم  
الامن والطمانينة - ولم تعرف يهود منذ ذلك الحين  
الامن إلا في ذمة المسلمين، ولكن يهود لم تعاد أحدا في  
الأرض عداها للمسلمين ﴿وَيَأْتُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ﴾  
كأنما رجعوا من رحلتهم يحملون هذا الغضب  
﴿وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ تعيش في ضمانهم  
وتكمن في مشاعرهم.

ولقد وقع ذلك كله بعد نزول هذه الآية، فما  
كانت معركة بين المسلمين وأهل الكتاب إلا كتب  
الله فيها للمسلمين التقصر - ما حافظوا على دينهم  
واستمسكوا بعقيدتهم، وأقاموا منهج الله في حياتهم -  
وكتب لأعدائهم المذلة والفران إلا أن يعتصموا بدمته  
المسلمين أو أن يتغلبوا المسلمون عن دينهم.

ويكشف القرآن عن سبب هذا القدر المكتسب  
على يهود، فإذا هو سبب عام يمكن أن تطبق آيات  
على كل قوم، مهما تكن دعواهم في الدين: إنه المعصية  
والاعتداء: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
يَعْتَدُونَ﴾.

فالكفر بآيات الله - سواء بإنكارها أصلاً، أو عدم  
الاحتكام إليها وتنفيذها في واقع الحياة - وقتل  
الأنبياء بغير حق، وقتل الذين يأمرون بالقسط من  
الناس - كما جاء في آية أخرى في السورة - والعصيان  
والاعتداء، هذه هي المؤهلات لغضب الله، والهزيمة  
والذلة والمسكنة.

وهذه هي المؤهلات التي تنوّر اليوم في البقايا

الشاردة في الأرض من ذراري المسلمين، الذين  
يُسَمُّون أنفسهم بغير حق مسلمين. هذه هي المؤهلات  
التي يتقدمون بها إلى دينهم اليوم، فينالون عليها كل ما  
كتبه الله على اليهود من الهزيمة والذلة والمسكنة، فإذا  
قال أحد منهم: لماذا تغلب في الأرض ونحن مسلمون،  
فليظر قبل أن يقولها: ما هو الإسلام ومن هم  
المسلمون؟

مُفْتِيَّة: اتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت  
في اليهود، كما اتفقوا على أن المراد منها أن الله سبحانه  
قد سلّمهم العزة والكرامة، وكتب عليهم الذل  
والهوان، من يوم الإسلام إلى آخر يوم، لأنهم قد بلغوا  
من الفساد والطغيان حداً لم يبلغه أحد من قبلهم،  
وأن يبلغه أحد من بعدهم. وبعد أن اتفق أهل التفسير  
على هذا، اختلفوا فيما بينهم على نوع الذلة والمسكنة  
التي لازمت اليهود، والتصفت بهم في كل جيل.

هذا الاختلاف بين المفسرين ناشئ عن اختلاف  
أوضاع اليهود في عصر التفسير؛ حيث كانوا يدفعون  
الجزية للمسلمين، أقصد أن قول المفسر جاء انعكاساً  
لما كان عليه اليهود في عصر المفسر. وليس هذا بغريب  
ما دام الإنسان يتأثر حتماً بما يسمع ويرى، وتفسيره  
اقتالي هذه الآية يخضع لهذه القاعدة.

ومهما يكن، فإن الذي أفهمه من ذل اليهود  
وهوانهم الذي عتته الآية أنهم متشتتون في شرق  
الأرض وغربها، وموزعون بين الدول مع الأقليات،  
فهم دائماً تابعون غير متبوعين، ومحكومون غير  
حاكمين في دولة منهم ولهم، مستقلة لها كيائها وشأنها

بين الدول.

الذلة... يرتبط باليهود، ومعنيهم.

أما إسرائيل التي قامت أخيراً في تل أبيب، فلاها دولة في الاسم فقط، أما في الواقع فهي قاعدة من قواعد الاستعمار، تماماً كمطاراته و ثكناته العدوانية. وقد ظهرت هذه الحقيقة بأوضح معانيها بعد عدوان إسرائيل على الأراضي العربية في (٥) حزيران سنة (١٩٦٧). لقد أوجد الاستعمار إسرائيل ليشتغلها أدلة لتحقيق مآربه، ولو غلبت عنها يوماً واحداً فخطتها العرب من كل جانب. وهذا هو الذلّ والحوان بمعناه إن العزيم يستمد قوته من نفسه، ويذود عن كيانه بساعده، لا بسواعد الناس. (١٣٣: ٢)

ففي هذا المقطع من الآية يقول سبحانه: إن أمام اليهود طريقين يستطيعون بهما أن يتخلصوا من لباس الذلة:

إما أن يعودوا إلى الله، ويقدوا حبيلهم بحبله، وإما أن يتمسكوا بحبل من الناس، ويعتمدوا على هذا وذاك، ويمشوا ذيولاً وأتباعاً للآخرين.

ومعنى لفظة «تقفوا» الأخوة من «تقف» على وزن «سقف»: الحذق في إدراك الشيء، والظفر به بهارة.

ويقصد القرآن من ذلك: أن اليهود أينما وجدوا فلاهم يوجدون وقد ختموا بخاتم الذلة على جباههم - مهما حاولوا إخفاء ذلك، - وكان ذلك هي الصفة البارزة لهم بسبب مواقفهم المشينة من تعاليم السماء. وإذا عادوا إلى منهج السماء، أو استعانوا بهذا أو ذاك من الناس، لتخليصهم من هذا الذلّ، وإنقاذهم من هذا الحوان. (٤٩٥: ٢) وهناك أبحاث راجع: ض رب: «ضربت».

أذلة

١ - وتقد نصركم الله بهنر وأثم أذلة فاثقوا الله  
لغلكم تشكرون. آل عمران: ١٢٣

ابن عباس: قليلة، ثلاثة وثلاثة عشر رجلاً. (٥٥)

الحسن: قليل، وهم يومئذ بضعة عشر وثلاثة. (الطبري ٣: ٤٢١)

قتادة: ذكر لنا أنه [نبي الله ﷺ] قال: «أنتم اليوم

الطباطباتي: الذلة: بناء نوع من الذلّ، والذلّ بالضم ما كان عن قهر، وبالكسر ما كان عن تعصب وشماس، على ما ذكره الراغب. ومعناه العاصم: حال الانكسار والطاوعة، ويقابله العزة، وهو الامتناع. (٣٨٣: ٣)

عبد الكريم الخطيب: والتعبير بضرب الذلة عليهم فيه إحكام لهذا الحكم الواقع بهم، وأن الذلة التي رماهم الله بها ذلة متعنتة، محتلطة بوجوههم، كما يحتلط لون الجلد بالجلد، لا يتغير ولا يتبدل أبداً.

(٥٥٧: ٢)

مكارم الشيرازي: إن الآيات المذكورة وإن لم تصرح باسم اليهود، لكن بقرينة القرائن الموجودة في هذه الآية والآيات السابقة، وكذا بقرينة الآية: ٦١ من سورة البقرة وظائرها، مما صرح فيه باسم اليهود، يستفاد أن قوله تعالى: «ضربت عليهم



بعدة أصحاب طالوت بسوم نفس جمالوت « فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، والمشركون يومئذ ألف أو راققوا ذلك.

نحوه الربيع، (الطبري ٣: ٤٢١)  
الإمام الصادق عليه السلام: [عن أبي بصير، قال قرأت عند أبي عبد الله عليه السلام الآية] قال: [من ليس هكذا أنزله الله، إنما أنزلت (وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ)].

[وفي رواية:] ليس هكذا أنزله الله ما أذل الله رسوله قط، وإما أنزلت (وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ).

[عن أبي عبد الله أن قرأ] (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ) ما كانوا أذلة ورسول الله فيهم عليه وعلى آله السلام. (العتاشي ١: ٣٣٦)

ابن إسحاق: أقل عددًا وأضعف قوة.

(الطبري ٣: ٤٢١)

الطبري: «أَذَلَّةٌ» بمعنى: قليلون، في غير نسخة من التاس، حتى أظهركم الله على عدوكم، مع كثرة عددهم وقلة عددكم، وأنتم اليوم أكثر عددًا منكم حينئذ. [إلى أن قال:]

وأما قوله: «أَذَلَّةٌ»، فإنه جمع ذليل، كما الأعزّة جمع عزيز، والآية جمع لبيب.

وإما سماهم الله عز وجل «أَذَلَّةٌ»، لقلة عددهم لأنهم كانوا ثلاثمائة نفس وبضعة عشر، وعدوهم ما بين التسعمائة إلى الألف، على ما قد بينا فيما مضى، فجعلهم لقلة عددهم أذلة. (٣: ٤٢٠)

الزجاج: معنى «أَذَلَّةٌ»: عددهم قليل، وكان المسلمون في تلك الحرب ثلاثمائة وبضعة عشر، وكانوا

في يوم أحد سبعمئة، والكفار في يوم أحد ثلاثة آلاف، وكانوا في يوم حنين اثني عشر ألفاً، فأعلم الله جل وعز أنهم حينما ألزموا الطاعة أنه ينصرهم، وهم قليل وعدوهم أضعافهم، وفي يوم أحد نزل بهم ما نزل لمخالفة أمر النبي ﷺ في أن جاوزوا ما أمروا به، فجعل الله ذلك لهم عقوبة لتلايحبوا. وجاء في بعض الخبر: «الفرار من الزحف كفر». ومعناه عندي - والله أعلم - من يفل الكفار، لأنه يخرج الإنسان من الإيمان إلى الكفر. وقد عفا الله فيه، فقال: «وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ دُبراً الْأَمْشِرَ فَأَلْغِمْ أَوْ مَكْحِزّاً إِلَى فَنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ» الأنفال: ١٦.

وأذلة: جمع ذليل، والاصل في «فصيل» إذا كان صفة أن يجمع على «فُصَلَاءَ»، نحو طريف وفُطُوفاء، وشريك وشركاء، ولكن «فُصَلَاءَ» اجتنب في التضعيف كقولهم: جُلَلَاءَ وقُلَلَاءَ في جليل وقليل، لا يجمع حرفان من جنس واحد، فعدل به إلى «أَفْصِلَةٌ» من جمع الأسماء في «فصيل»، نحو جريب وأجربة، وقهيز وأهزرة. (١: ٤٦٦)

عهد الجهار: كيف يوصف الفضلاء من أصحاب رسول الله ﷺ بأهم أذلة؟

وجوابنا: أنه تعالى تبه بقوله: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ» على أن المراد بقوله: «وَأَنْتُمْ أَذَلَّةٌ» قلة العدد والعدة والآلات، والخوف من غلبة الكفار. ولم يرد الذل الذي يجري مجرى الذم والسقوص، ومنه يقال قليل العدد إذا كان في مقابلتهم الجيش العظيم: إثم أذلة، ولذلك قال بعده: «وَإِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ

يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَوَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ آل عمران: ١٢٤، فبين أنه نصرهم بهم وأخرجهم من أن يكونوا أذلة. (٧٦)

نحوه خليل ياسين. (١٤٤: ١)  
الثعلبي: جمع ذليل، مثل عزيز وأعزة، ولبيب وألبه. وأراد هاهنا قلة العدد. (١٤١: ٣)

الطوسي: وقوله: ﴿وَأَلْثَمَ أَذْلَةً﴾ جملة في موضع الحال، والذلة: الضعف عن المقاومة، وضدها: العزة، وهي القوة على الغلبة. ويقال للجمل المتقاد من غير صعوبة: ذلول، لانقياده انقياد الضعيف. فأما الذليل فلأنما يتقاد على مشقة؛ ومنه تذليل الطريق، ونحوه، وهو توطئة الأصل، وفيه الضعف عن المقاومة.

وقوله: ﴿أَذْلَةً﴾: جمع ذليل، و«فعل» قياسه أن يُجمع على «فُعلاء» إذا كان صفة، وبمثل ظرف وفُرقاء، وكريم وكُرَماء، وعليم وعُلَماء، وعزباء وشركاء، فجمع على «أفعلة» كراهية الضعف، فعدل إلى جمع الأسماء، نحو قفيز وأقفة، فليل، ذليل وأذلة وعزيز وأعزة.

المعنى: ووصفهم الله بأنهم أذلة، لأنهم كانوا ضعفاء قليلي العدد قليلي القوة.

وروي عن بعض السلف الصالح أنه قرأ ﴿وَأَلْثَمَ ضَعْفَاءَ﴾، قال: ولا يجوز وصفهم بأنهم أذلة وفيهم رسول الله ﷺ. وكان صاحب رواية رسول الله ﷺ يوم بدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصاحب رواية الأنصار سعد بن عباد. (٥٧٨: ٢)  
الواحدى: جمع ذليل، أي بقلة العدد، وضمف

الحال بقلة السلاح والمال. (٤٨٦: ١)

البهوي: جمع ذليل، وأراد به: قلة العدد، فلو أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فنصرهم الله مع قلة عددهم وعددهم. (٥٠١: ١)

الزَّمَخْشَرِيُّ: ذكَّروهم ما يوجب عليهم التَّوَكُّلَ بما يَسَّرَ لهم من الفتح يوم بدر، وهم في حالة قلة وذلة. والأذلة: جمع قلة، والذلُّ لأن: جمع الكثرة. وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً، وذلكهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب، وذلك أنهم خرجوا على التواضع بمقتب الثر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد.

وقلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل، ومهمهم مائة فارس والشكَّة الشوكة. (٤٦١: ١)

نحوه التَّنَوُّي (١٨٠: ١)، والموازن: (٣٤٦: ١)، والنَّبَرِيُّ (٢٤٤: ١)، وأبو السَّمُود (٢٦: ٢)، والبروسوي (٩٠: ٢)، ورشيد رضا (١٠٩: ٤)، ومثني (١٥١: ٢).

أبن عطية: معناه: قليلون؛ وذلك أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلاً، وكان عدوهم ما بين التسعمئة إلى الألف و﴿أَذْلَةً﴾: جمع ذليل، واسم الذل في هذا الموضع مستعار، ولم يكونوا في أنفسهم إلا أعزة، ولكن نسبتهم إلى عدوهم وإلى جميع الكفار في أقطار الأرض يقتضي عند التأمل ذلتهم وأهم مغلوبون. وقد قال النبي ﷺ في ذلك

فوصف المؤمنين بالفرقة هنا، إنما هو وصف  
للحال الظاهر منهم للناس. أمّا في حقيقة أنفسهم، فهم  
من إيمانهم بالله، وتقنهم فيه، وتوكلهم عليهم،  
واستعلائهم على حاجات الجسد، ومتاع الحياة هم في  
عزة عزيزة، تستخف بكل قوى المادة وعتوها.

(٥٧٤: ١)

مكارم الشيرازي: فقد نصرهم الله وهم على  
درجة كبيرة من الضعف، وقلة العدد وضآلة القوة؛  
حيث كان عددهم (٣١٣) مع إمكانات بسيطة قليلة،  
وكان عدد المشركين يفوق ألف مقاتل مع إمكانات  
كبيرة.

فضل الله: ضعفاء عن المقاومة، لقلة عددهم  
وعُدّتهم، لا يملكون أية فرصة عادية للقوة والجزء،  
فقال ما كان عليه المشركون من القوة والشوكة. وهذا  
لا يتنافى إثبات العزة للمؤمنين، لأنها مستمدة من عزة  
الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْفُزُوءُ وَالْأَسْوَءُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾  
المنافقون: ٨ (٢٥٠: ٦)

٢- ياءُ الياء الذين آمنوا من يركد منكم عن دينهم  
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أولئك على  
المؤمنين أعزّ وأعلى الكافرين... المائدة: ٥٤  
ابن عباس: يعني بالأذلة: الرُحماء.

(الطبري: ٤: ٦٢٧)

تراهم للمؤمنين كالولد لوالد، وكالعبد لسيد،  
وهم في الغلظة على الكافر كالسبع على فريسته،  
وهذا كقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

الفتح: ٢٩. (الواحد: ٢: ٢٠٠)

علي بن أبي طلحة: أهل رقة على أهل دينهم.

(الطبري: ٤: ٦٢٧)

الأعمش: ضعفاء عن المؤمنين.

(الطبري: ٤: ٦٢٧)

ابن جرير: رُحماء بينهم. (الطبري: ٤: ٦٢٧)

ابن الأعرابي: رُحماء رفيقين بالمؤمنين.

(الأزهري: ١٤: ٤٠٦)

الطبري: أرقاء عليهم، رُحماء بهم، من قول

القاتل: ذل فلان لفلان، إذا خضع له واستكان.

(٦٢٦: ٤)

الزجاج: معنى ﴿أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي

جانبهم لأنّ على المؤمنين، ليس أنهم أذلاء مُهانون.

﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي جانبهم غليظ على

(١٨٣: ٢)

عبد الجبار: وربما قيل في قوله تعالى: ﴿...أَعِزَّةٌ

عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾ ومعلوم من حال المؤمن أنّه يُعزّز

المؤمن ويُعظمه ويتولاه، وجوابنا أن مراده تعالى بيان

ما يحصل بهم من القهر والغلبة للكفار، وما يحصل لهم

من اللين والخضوع للمؤمنين، فوصف ذلك بالعزة

وهذا بالفرقة، وهذا كما يقال لمن يخضع لغيره: أنّه

يذلّ له ويُذلّ، ولذلك قال تعالى بعده في وصفهم:

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾

وبين تعالى أن جهادهم على هذا الوجه فضل من

الله، من حيث يوفق لذلك؛ ومن حيث يؤدّبهم إلى

التمتع العظيمة من الثواب. وبين بعده عزّ وجلّ بقوله:

و«فصيل» الوصف قياس، جمعه على «فصلاء» كظريف وظرفاء وشرفاء، إلا أنه ترك في المضعف تخفيفاً؛ ألا ترى إلى ما يؤذي إليه قولك: ذللاء وحللاء من الثقل، من جمع ذليل وخليل. (٢: ٢٠٤) الألويسي: حال من مفعول «نصرتم» و«أذلة» جمع قلة لذليل. واختير على ذلائل ليدل على قتلهم مع ذلتهم، والمراد بها عدم الشدة لا الذل المعروف، فلا يشكل دخول التي في هذا الخطاب إن قلناه.

(٤: ٤٣) القاسمي: وذلك لأن المسلمين يوم بدر كانوا في غاية الضعف عدداً وعدداً، والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة.

المراغي: و«الأذلة» واحدهم: ذليل، وهو من لاسمعة له ولا قوة، وقد كانوا قليلي العدد من السلاح والذواب والزاد.

ابن عاشور: أي ضعاء، والذل: ضد العز، فهو الوهن والضعف. وهذا تعريض بأن انهزام يوم أحد لا يقل حدة المسلمين، لأنهم حاربوا أعزة، والحرب سجال.

الخطيب طيائي: ظاهر السياق أن تكون الآية مسوقة سوق الشاهد، لتعميم العتاب وتأكيده، فتكون تؤذي معنى الحال كقوله: «والله وليهما» آل عمران ١٢٢، والمعنى: وما كان ينبغي أن يظهر منكم المهم بالفشل وقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة. وليس من البعيد أن يكون كلاماً مستقلاً سبق مساق الامتنان بذكر نصر عجب من الله، بإنزال الملائكة لإمدادهم

ونصرهم يوم بدر.

ولما ذكر تعالى نصره إياهم يوم بدر، وقابل ذلك بما هم عليه من الحال. ومن المعلوم أن كل من اعتز نفسه إلا الفخر والذلة، ولذلك قال: «وأنتم أذلة».

ومن هنا يعلم أن قوله: «وأنتم أذلة» لا ينافي أمثال قوله تعالى: «وإنه العزيز العزيز» وللمؤمنين المنافقون: «فإن عزتهم إنما هي بكرة الله، قال تعالى: «فإن العزيز» جميعاً: النساء: ١٣٩. وذلك بنصر الله المؤمنين، كما قال تعالى: «ولقد أرسلنا من قبلك رسلًا إلى قومهم فجاءوهم بالآيات فالتفتوا من الذين أخرجوا وكان حقاً غلبنا نصر المؤمنين» الروم: ٤٧. فإذا كان الحال هذا الحال، فلو اعتبر حال المؤمنين من حيث أنفسهم، لم يكن لهم إلا الذلة.

على أن واجهة حال المؤمنين أيضاً يوم بدر كانت تقضي بكونهم أذلة، فبال ما كان عليه المشركون من القوة والثوكة والزينة. ولا خير في إضافة الذلة التسمية إلى الأعزة، وقد أضاعها الله سبحانه إلى قوم مدحهم كل المدح، حيث قال: «فموتوا يئس الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين» المائدة: ٥٤.

عبد الكريم الخطيب: والذلة التي وصف القرآن بها المسلمين هنا ليست ذلة نفسية، ولا ضعفاً قليلاً، وإنما هي ذلة حاجبة وغيور، وقلة في المال والرجال، بحيث يخف ميزان أصحابها في أعين الناس، حين ينظرون إلى ظاهرهم هذا.

فوصف المؤمنين بالزُّلَّة هنا، إنما هو وصف  
للحال الظاهر منهم للناس. أمّا في حقيقة أنفسهم، فهم  
من إيمانهم بالله، و تقسّم فيه، و توكلهم عليهم،  
و استعلاهم على حاجات الجسد، و متاع الحياة هم في  
عزّة عزيزة، تستخف بكل قوى المادة و عتوها.

(٥٧٤: ١)

مكارم الشيرازي: فقد نصرهم الله و هم على  
درجة كبيرة من الضعف، و قلّة العدد و ضآلة العدد؛  
حيث كان عددهم (٣١٣) مع إمكانيات بسيطة قليلة،  
و كان عدد المشركين يفوق ألف مقاتل مع إمكانيات  
كبيرة.

فضل الله: ضعفاء عن المقاومة، لقلّة عددهم  
و عُذرتهم، لا يملكون أمة فرصة عاديّة للقوة و العزّة  
فقال ما كان عليه المشركون من القوة و الشوكة. و هذا  
لا ينافي إثبات العزّة للمؤمنين، لأنّها مستمدة من عزّة  
الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾  
المنافقون: ٨

٢- ياءُ يَها الذين آمنوا من يَرُكِّدُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ  
فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ... المائدة: ٥٤  
أين عيَّاس: يعني بالأذلة: الرُّعَماء.

(الطَّبْرِيّ ٤: ٦٢٧)

تراهم للمؤمنين كالولد لوالد، و كالسيد لسيد،  
و هم في الغلظة على الكافر كالسبع على فريسته،  
و هذا كقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

الفتح: ٢٩.

(الواحدى ٢: ٢٠٠)

عليّ بن أبي طلحة: أهل رقة على أهل دينهم.

(الطَّبْرِيّ ٤: ٦٢٧)

الأعمش: ضعفاء عن المؤمنين.

(الطَّبْرِيّ ٤: ٦٢٧)

ابن جُرَيْج: رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ. (الطَّبْرِيّ ٤: ٦٢٧)

ابن الأعرابي: رُحَمَاءُ رَفِيقِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ.

(الأزهريّ ١٤: ٤٠٦)

الطَّبْرِيّ: أَرْقَاءُ عَلَيْهِم، رُحَمَاءُ بِهِمْ، مِنْ قَوْلِ

الْقَاتِلِ: ذَلْ فَلَانٌ لِفُلَانٍ، إِذَا خَضَعَ لَهُ وَاسْتَكَانَ.

(٦٢٦: ٤)

الزَّجَّاج: معنى ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي

جانِبُهُمْ لِيْنِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ أَنَّهُمْ أَذِلَّةٌ مُهَانُونَ.

﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أي جانِبُهُمْ غَلِيظٌ عَلَى

(١٨٣: ٢)

عَمِدِ الْجَهَنَّمَ: وَرَبَّمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿...أَعِزَّةٌ

عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾ و معلوم من حال المؤمن أنّه يُعَزَّرُ

المؤمن و يُعَظَّمُ و يتولاه. و جوابنا أن مراده تعالى بيان

ما يحصل بهم من القهر «الغلبة للكَفَّارِ، و ما يحصل لهم

من اللين و الخضوع للمؤمنين، فوصف ذلك بالعزّة

و هذا بالزُّلَّة، و هذا كما يقال لمن يخضع لغيره: أنّه

يَذَلُّ لَهُ و يَذَلُّ، و لذلك قال تعالى يصده في وصفهم:

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾.

و بين تعالى أن جهادهم على هذا الوجه فضل من

الله، من حيث يوفق لذلك؛ و من حيث يؤدّيه إلى

النعم العظيمة من الثواب. و بين بعده عزّ و جلّ بقوله:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، صفة من يتولى المؤمنين، وأنه تعالى يتكفل بنصرتهم وغلبيهم. (١١٨)  
التعلي: يعني أرقاء، رُحماء، لقوله عز وجل: ﴿وَالْحَبِيشَ لَهْمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ الإسراء: ٢٤.

وقيل: هو من الذل، من قولهم: دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون، كما قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الفرقان: ٦٣.

(٧٩: ٤)

نحوه البهوي.

(٦٢: ٢)

الماوردي: يعني أهل رقة عليهم.

(٤٨: ٢)

الطوسي: أي أهل لين ورفقة. والذل بكسر الذال غير الذل بضمها، لأن الأول اللين والانهيار، والثاني الهوان والاستخفاف.

(٥٥٧: ٣)

نحوه الطبرسي: يذلون السهج في المصوب من غير كراهة، ويذلون الأرواح في الذب عن المصوب من غير ادخار شطبة من الميسور.

(١٢٧: ٢)

المبيدي: يعني باللين والرحمة، ﴿أَعِزُّوْهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، باللفظة، كما قال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩. يقال: دابة ذلول بضم الذل بكسر الذال، إذا كان لينا سهل القياد. والذل بكسر

(١٢٧: ٢)

الذل: خلاف الذل بالضم، لأن الأول: اللين، والانهيار، والثاني: الهوان والاستخفاف. (١٤٨: ٣)

(١٤٨: ٣)

الزمخشري: جمع ذليل. وأما ذلول، فجمعه: ذلل. ومن زعم أنه من الثزل الذي هو تقيض الصعوبة،

(١٤٨: ٣)

الزمخشري: جمع ذليل. وأما ذلول، فجمعه: ذلل. ومن زعم أنه من الثزل الذي هو تقيض الصعوبة،

(١٤٨: ٣)

الزمخشري: جمع ذليل. وأما ذلول، فجمعه: ذلل. ومن زعم أنه من الثزل الذي هو تقيض الصعوبة،

(١٤٨: ٣)

قد غي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة.

فإن قلت: هلا قيل: أذلة للمؤمنين أعزة على

الكافرين؟ قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يضمن الذل معنى الحكو والعطف،

كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل

والتواضع.

والثاني: أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم

على المؤمنين خافضون لهم أجنتهم.

ونحوه قوله عز وجل: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩.

وقرى (أذلة) و (أعزة) بالتصبي على الحال.

(٦٢٣: ١)

نحوه البيضاوي: (١: ٢٨٠)، والتسني: (١: ٢٨٨).

وملخصا شبرا: (٢: ١٨٧) وحسين مخلوف: (١: ١٩٧).

أبو الفتح: ذلول ولين على المؤمنين. (٧: ٩)

ابن عطية: متذللين من قبل أنفسهم غير متكبرين، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩. وكقوله ﴿الْمُؤْمِنِينَ هَلْ يُعْذِلُ الْإِنْسَانُ مَا فَعَلُوا﴾ النحل: ١٢٥.

ابن كثير: (١: ٢٨٠)، والتسني: (١: ٢٨٨).

وملخصا شبرا: (٢: ١٨٧) وحسين مخلوف: (١: ١٩٧).

أبو الفتح: ذلول ولين على المؤمنين. (٧: ٩)

ابن عطية: متذللين من قبل أنفسهم غير متكبرين، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩. وكقوله ﴿الْمُؤْمِنِينَ هَلْ يُعْذِلُ الْإِنْسَانُ مَا فَعَلُوا﴾ النحل: ١٢٥.

ابن كثير: (١: ٢٨٠)، والتسني: (١: ٢٨٨).

وملخصا شبرا: (٢: ١٨٧) وحسين مخلوف: (١: ١٩٧).

أبو الفتح: ذلول ولين على المؤمنين. (٧: ٩)

ابن عطية: متذللين من قبل أنفسهم غير متكبرين، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩. وكقوله ﴿الْمُؤْمِنِينَ هَلْ يُعْذِلُ الْإِنْسَانُ مَا فَعَلُوا﴾ النحل: ١٢٥.

ابن كثير: (١: ٢٨٠)، والتسني: (١: ٢٨٨).

وملخصا شبرا: (٢: ١٨٧) وحسين مخلوف: (١: ١٩٧).

أبو الفتح: ذلول ولين على المؤمنين. (٧: ٩)

ابن عطية: متذللين من قبل أنفسهم غير متكبرين، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩. وكقوله ﴿الْمُؤْمِنِينَ هَلْ يُعْذِلُ الْإِنْسَانُ مَا فَعَلُوا﴾ النحل: ١٢٥.

الرازي: قيل: كيف قال: ﴿أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل: أذلة للمؤمنين، وإنما يقال: ذل له، لا ذل عليه؟

قلنا: لأنه ضمن الذل معنى الخسوة والعطف، فعداه تعديته. كأنه قال: حائين على المؤمنين، عاطفين عليهم. (مسائل الرازي: ٧٣)

القرطبي: ﴿أُولَئِكَ﴾ نعت لـ ﴿قَوْمٍ﴾، وكذلك ﴿أَهْوَجُ﴾، أي يرافون بالمؤمنين ويرحونهم، ويُلَبِّثون لهم من قولهم: دابة ذلول أي تنقاد سهلة. وليس من الذل في شيء... ويجوز (أذلة) بالتصّب على الحال، أي يُحِبُّهُمْ ويحبونه في هذا الحال. (٦: ٢٢٠)

الخازن: هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ﴾، يعني أنهم أرقاء رُحماء لأهل دينهم وإخوانهم من المؤمنين. ولم يرد ذل الهوان، بل أراد لين جانبهم لإخوانهم المؤمنين، وهم من رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم أشداه أقوياء غلظاء على أعدائهم الكافرين...

وقيل: إن الذل بمعنى الشفقة والرحمة، كأنه قال: راحين للمؤمنين مشفقين عليهم، على وجه التذلل والتواضع.

وأنى باللفظة (على) حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم، لا لأجل كونهم ذليلين في أنفسهم، بل ذلك التذلل لأجل أنهم خضعوا إلى علو منصبهم فضيلة التواضع. ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله: ﴿أَعَزُّوا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يعني أنهم أشداه أقوياء في أنفسهم وعلى أعدائهم. (٢: ٥٤)

أبو حيان: [نحو الزمخشري] (لأنه أضاف):

قيل: أو لأنه على حذف مضاف، التقدير: على فضلهم على المؤمنين. والمعنى: أنهم يذلّون ويخضعون لمن فضّلوا عليه مع شرفهم وعلو مكانهم، وهو نظير قوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩. وجاءت هذه الصفة بالاسم الذي فيه المبالغة، لأن أذلة جمع ذليل، وأعزة جمع عزيز، وهما صفتا مبالغة. وجاءت الصفة قبل هذا بالفعل في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ﴾ لأن الاسم يدل على الثبوت، قلنا كانت صفة مبالغة، وكانت لا تتجدد بل هي كالغريزة، جاء الوصف بالاسم. ولما كانت قبل تتجدد لأنها عبارة عن أفعال الطاعة والتقواب المترتب عليها، جاء الوصف بالفعل الذي يقتضي التجدد. ولما كان الوصف الذي يتعلق بالمؤمنين مؤكّداً، وتوضّوه الذي قدّم على الوصف المتعلق بالكافر، وشرف المؤمن أيضاً. ولما كان الوصف الذي بين المؤمن والمؤمن، قدّم قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ﴾ على قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من ذهب إلى أن الوصف إذا كان بالاسم وبالفعل، لا يتقدّم الوصف بالفعل على الوصف بالاسم، إلا في ضرورة الشعر نحو قوله:

■ وفزع يفسى المتن أسود قاحم \*

إذ جاء ما ادّعى أنه يكون في الضرورة في هذه الآية، فقدّم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ﴾ - وهو فعل - على قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ وهو اسم، وكذلك قوله تعالى:

لتضمن معنى العطف والمحو. (٤٠٦: ٢)

الآلوسي: [نحو الزمخشري وأضاف:]

ولعل المراد بذلك أنه استعيرت (على) لمعنى اللام، ليؤذن بأنهم غلبوا غيرهم من المؤمنين في التواضع حتى علوهم بهذه الصفة، لكن في استفادة هذا من ذلك خفاء.

وكون المراد به أنه ضمن الوصف معنى الفضل والعلو، يعني أن كونهم أذلة ليس لأجل كونهم أذلاء في أنفسهم بل لإرادة أن يضربوا إلى علو منصبهم وشرههم فضيلة التواضع، لا يخفى ما فيه، لأن قائل ذلك قابله بالتضمن فيقتضي أن يكون وجهها آخر لا تضمن فيه.

وكون الجار على ذلك متعلقاً بمحذوف وقع صفة أخرى لـ ﴿قَوْمٌ﴾ «مع علو طبقتهم...» تفسير لقوله سبحانه: ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ «و خافضون...» تفسير لـ ﴿أَذِلَّةٌ﴾ مما لا ينبغي أن يُلطفت إليه.

وقيل: عُدَّت الذلة بـ (على) لأن العزة في قوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ عُدَّت بها، كما يقتضيه استعمالها، وقد قارنتها فاعثرت المشاكلة. وقد صرحوا أنه يجوز فيها التقديم والتأخير.

وقيل: لأن العزة تتمدى بـ «على» والذلة ضدها، فعملت معاملتها، لأن التظير كما يعمل على التظير، يُحمل الضد على الضد كما صرح به ابن جني وغيره.

وجز ﴿أَذِلَّةٌ﴾ و ﴿أَعِزَّةٌ﴾ على أنهما صفتان لـ ﴿قَوْمٌ﴾ كالجملة السابقة، وترك العطف بينهما

﴿وَهَذَا كِتَابُ أَنْزِلْنَاهُ بِهَارِكٍ﴾ الأنعام: ٩٢.

وقرى شاذاً (أذلة)، وهو اسم، وكذا (أعزة) نصباً على الحال من التكرة إذا خربت من المعرفة بوصفها. (٥١٢: ٣)

السمين: [نحو الزمخشري وأضاف:]

قال الشيخ: قيل: أو لأنه على حذف مضاف، التقدير: على فضلهم على المؤمنين، والمعنى: أنهم يذرون ويخضعون لمن فضّلوا عليه مع شرههم وعلو مكانتهم، وذكر آية الفتح.

قلت: وهذا هو قول الزمخشري بعينه، إلا أن قوله: على حذف مضاف، يؤهم حذفه وإقامة المضاف إليه مكانه، وهنا حذف (على) الأولى وحذف المضاف إليه مقادراً، ولا أدري ما حمله على ذلك؟ (٥٤٨: ٢)

ابن كثير: هذه صفات المؤمنين الكامل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ولئيه، متعزّزاً على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩. وفي صفة رسول الله ﷺ أنه الضحك القتال، فهو ضحك لأوليائه، قتال لأعدائه. (٥٩٥: ٢)

أبو السعود: [نحو الزمخشري] إلا أنه أضاف في وجه إتيان (على)

أو لرعاية المقابلة بينه وبين (على) في قوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. (٢٨٨: ٢)

البروسوي: جمع ذليل، أي أرقاء ورحماء، منذلين ومتواضعين لهم. واستعماله بـ (على)



للدلالة على استقلالهم بالانصاف بكل منهما. وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة، وقد جاء ذلك في غير ما آية. ومن لم يجوزه جعل الجملة هنا معترضة، ولا يخفى أنه تكلف.

(١٦٣: ٦)

رشيد رضا: الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين، والمروي في تفسيرهما أنهما بمعنى قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩. [ثم نقل كلام الزمخشري]

(٤٤٠: ٦)

نحو المراغي:

(١٤٢: ٦)

عزة دروزة: ﴿أَذَلَّةٌ﴾ هنا بمعنى متففين رُحَماء.

(٧٣٢: ١١)

سيد قطب: وهي صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين. فالمؤمن ذلول للمؤمن وغير عصي عليه ولا صعب. هين لين، مُيسر مستجيب، وسريع ودود. وهذه هي الذلة للمؤمنين

وما في الذلة للمؤمنين من مذلة ولا مهانة. إنما هي الأخوة ترفع الجواجز، وتزيل التكلف، وتخلط النفس بالنفس. فلا يبقى فيها ما يستعصي، وما يحتجز دون الآخرين.

إن حساسية الفرد بذاته متخوصلة متحيزة، هي التي تجعله شمساً حصباً شحيحاً على أخيه، فأما حين يخلط نفسه بنفوس العصابة المؤمنة معه، فلن يجد فيها ما يمنعه وما يستعصي به. وماذا يبقى له في نفسه دونهم، وقد اجتمعوا في الله إخواناً يحبهم ويحبونه، ويشيع هذا الحب العلوي بينهم ويتقاسمونته؟ (٩١٩: ٢)

ابن عاشور: و«الأذلة» و«الأعزة» وصفان متقابلان، وصف بهما القوم باختلاف المنتمين بهما، فالأذلة جمع الذليل، وهو الموصوف بالذل. والذل بضم الذال وبكسرها: الهوان والطاعة، فهو ضد العزة. ﴿وَلَقَدْ كَسَرَكُمُ اللَّهُ يَدَيَّرُ وَالْثَمَّ أَذَلَّةٌ﴾ آل عمران: ١٢٣.

وفي بعض التفسير: الذل بضم الذال: ضد العز، وبكسر الذال: ضد الصلوة، ولا يترك هذه التفرقة سند في اللغة. والذليل جمع: الأذلة، والصفة الذل. ﴿وَالْحَقِصُ لَهْمَا جَتَاخِ الذَّلَّ مِنَ الرُّخَصَةِ﴾ الإسراء: ٢٤. ويطلق الذل على لين الجانب والتواضع. وهو مجاز، ومنه ما في هذه الآية.

فالمراد هنا: الذل بمعنى لين الجانب وتوطئة الكف، وهو شدة الرحمة والسعي للرفع، ولذلك علّق قوله: ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولتضمن ﴿أَذَلَّةٌ﴾ معنى مشغلين حائنين، عذّي - (على) دون اللام، أو لمساكلة (على) الثانية في قوله: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. [إلى أن قال:]

وإثبات الوصفين المتقابلين للقوم صناعة عربية بدعيّة، وهي المسماة الطّباق، ويُلقأ العرب يفرعون بها. وهي عزيزة في كلامهم، وقد جاء كثير منها في القرآن. وفيه إيحاء إلى أن صفاتهم تُسبّرها آراؤهم الخفيفة، فليوا مندفعين إلى فعل ما إلا عن بصيرة، ولو آمن تنبث أخلاقه عن سجيّة واحدة بأن يكون ليناً في كل حال. وهذا هو معنى الخلق الأقوم، وهو الذي يكون في كل حال بما يلائم ذلك الحال.

قال:

حليم إذا ما الحليم زين أهله

مع الحليم في عين العدو مهيب

وقال تعالى: ﴿أَشِدُّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

٢٩: الفتح. (١٣٦: ٥)

مُتَّقِينَ: لَأَنَّ التَّوَاضُعَ لِلْمُؤْمِنِ الْمَخْلُصِ تَقْدِيسٌ

و تَكْرِيمٌ لِلْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ، لَا لِلْأَفْرَادِ وَالْأَشْخَاصِ.

قال تعالى يخاطب نبيه العظيم: ﴿وَاطْفِئْ جَنَاحَكَ

لِمَنِ الْبَيْتُكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٢١٥. و بديهة

أنهم لم يستحقوا هذه الكرامة إلا بالإيمان والإخلاص

للله و لرسوله. (٧٨: ٣)

الطُّبَّاءُ طِبَّائِي: «الاذلة» و «الأعزة» جمع الذليل

والعزیز، و هما كنايةان عن خفضهم الجناح للمؤمنين

تطعيماً لله الذي هو وليهم و هم أولياؤه، و عن ترضيهم

من الاعتناء بما عند الكافرين من العزة الكافرة كقولهم

لا يعبا بأمرها الدين، كما أدب بذلك نبيه في قوله:

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَهُمْ زَوْجًا مِمَّا مَلَائَتْهُمْ

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاطْفِئْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر:

٨٨

و لعل تعدية ﴿أَذَلَّةٍ﴾ بـ (على) لتضمينه معنى

الحنان أو الحنو كما قيل. (٣٨٤: ٥)

عبد الكريم الخطيب: و هؤلاء القوم الذين

سياق الله بهم، و يدخلهم في دينه، قد وصفوا بأوصاف

أربعة:

أولاً: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

و حُبَّ الله لهم: دعوتهم إلى الإسلام، و شرح

صدورهم له، و تثبت أقدامهم فيه، لأنه سبحانه

و تعالى هو الذي أحبتهم، و هو الذي اختارهم

و دعاهم، و هذا فضل عظيم...

ثانياً: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

إجماع المفسرين على أن هذا الوصف، هو وصف

هؤلاء القوم بعد أن دخلوا في الإسلام، فكانت تلك

صفاتهم، و هذا سلوكهم فيه. ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

أي متخاضعين للمؤمنين، لا يلقونهم إلا باللين

و التواضع، ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أي أشداء

و أقوياء، لا يلقى منهم أهل الكفر إلا بلاءً في القتال،

و استيلاً في الحرب، أما في السلم فهم جهال راسخة

في الإيمان، لا ينال أحد منهم نيلاً في دينه، و لا يطمع

أحد من أعداء الإسلام في موالاتهم أو في تعاطفهم معه.

ثالثاً: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

هذا هو إجماع المفسرين في فهم هذا المقطع من

الله و الذين معه أشداء على الكفار رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ:

الفتح: ٢٩. و مع هذا، فلا ي أشرح لهم آخر، خير

هذا الفهم، أرى أنه يفتح هذا المقطع آفاقاً أرحب من

هذا الألف الذي حصره المفسرون فيه، و أطلعه منه.

فأقول - والله أعلم -: إن هذا الوصف هو وصف

هؤلاء القوم الذين سوف يدعوهم الله سبحانه و تعالى

إليه، و يُسَبِّحُ لَهُمُ الطَّرِيقَ إِلَى دينه...

ثالثاً: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

هذه صفة ثالثة من صفات أولئك الدّاخلين في

الإسلام، المدعوين إلى ضيافة الله فيه، بعد أن طرد من

ضيافته أولئك المنافقين، و من في قلوبهم مرض...

رابعًا: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾:

ومن صفاتهم أنهم في إيمانهم، وفي جهادهم في سبيل الله، لا ينظرون إلى غير الله ولا يلتفتون إلا إلى نصره دين الله... (١١٢٠: ٣)

مكارم الشيرازي: يدون التواضع «المخضوع والرافة أمام المؤمنين، بينما هم أشداء أقوياء أمام الأعداء الظالمين. (٤٠: ٤)

٣- قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا غَرَبًا فَقَدْ خَرَّتْهَا وَجَعَلُوا فِيهَا أُمَمًا أَهْلًا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. التمل: ٣٤ ابن عباس: بالضرب والقتل وغير ذلك. (٣١٨) الطبري: وذلك باستعبادهم الأحرار واسترقاقهم إيمانهم. (٥١٥: ٩)

الشعلي: أي أهانوا أسرارها وكبراتها لكي يستقيم لهم الأمر. (٢٠٦: ٧)

نحوه الواحدي (٣٧٧: ٣)، والبخوي (٥٠٢: ٣)، والطبرسي (٢٢٠: ٤)، وابن الجوزي (١٦٩: ٦)، والنازن (١٢٠: ٥)، والشيريني (٥٧: ٣).

الماوردي: ﴿أَعِزَّةٌ أَهْلُهَا...﴾ أي أسرارهم وعظماهم ﴿أَذَلَّةٌ﴾، وغير وجهان: أحدهما: بالسيف، قاله زهير. الثاني: بالاستعباد، قاله ابن عيسى.

ويحتمل ثالثًا: أن يكون بأخذ أموالهم وخطأ أقدارهم. (٢٠٨: ٤)

الطوسي: قيل: بأن يستعبدوهم، فقال الله تعالى تصديقًا لهذا القول: ﴿كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٩٢: ٨)

الزَّمَخْشَرِيُّ: أَذَلُّوا أَعِزَّتَهَا وَأَهَانُوا أَسْرَافَهَا. وقتلوا وأسروا، فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مفعبها. (١٤٧: ٣)

مثله النسي: (٢١٠: ٣)

البيضاوي: ينهب أموالهم «تخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسر. (١٧٥: ٢)

نحوه أبو حيان (٧٣: ٧)، وأبو السعود (٨٢: ٥)، والكاشاني (٦٤: ٤)، والمشهددي (٣٣٩: ٧)، والبروسوي (٣٤٣: ٦)، والقاسمي (٤٦٦: ١٣).

ابن كثير: أي وقصدوا من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم غاية الهوان، إما بالقتل أو بالأسر.

(٢٣٣: ٥)

شبر: بالإهانة والأسر. (٤٢٤: ٤)

الطوسي: بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال، ولم يقل: وأذلوا أعزة أهلها - مع أنه أخصر - للمبالغة في التصيير والجعل.

أهلها - مع أنه أخصر - للمبالغة في التصيير والجعل. (١٩٨: ١٩)

الطباطبائي: وإذلال أعزة أهلها هو بالقتل والأسر والنسي والإجلاء والتحكيم. [إلى أن قال:]

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً﴾ أبلغ وأكد من قولنا مثلاً: استذلوا أعزتها، لأنه مع الذلالة على تحقق الذلة يدل على تلبسهم بصفة الذلة. (٣٦٠: ١٥)

٤- إِرْجَعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيُّبُهُمْ بِجُثُودٍ لَا يَقْتُلُ نَفْسًا بِهَا وَنَخْرِجُهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ. التمل: ٣٧ الماوردي: ﴿نَخْرِجُهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً﴾ إخباراً لهم

بأن يؤخذ بنظر الاعتبار بالنسبة لرأس ملكة سببا  
الذين كانوا عند سليمان. (١٢: ٦٢)

## الأذل

يَقُولُونَ لَيْتَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُ  
مِنَهَا الْأَذَلَّ وَلَهُ الْغَزَا وَالرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ  
الْمُتَّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ. المنافقون: ٨

ابن عباس: الذليل: الضعيف منهم، يعنون  
محمدًا ﷺ (٤٧٣)

القرآن: قال عبدالله بن أبي: «لَيْتَ رَجَعْنَا...»  
وسمعنا زيد بن أرقم، فأخبر بها النبي ﷺ ونزل  
القرآن «وَلَهُ الْغَزَا وَالرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...»  
ويجوز في القراءة (لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ) كأنك  
تستطيع من العزيز منها ذليلاً.

وقرأ بعضهم: (لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ) أي  
لنخرجنا الأهل في نفسه ذليلاً. (٣: ١٦٠)

الطبري: [في حديث]: عن عمرو، قال: سمعت  
جابر بن عبد الله، قال: إن الأنصار كانوا أكثر من  
المهاجرين، ثم إن المهاجرين كثروا فخرجوا في غزوة  
هم، فكس رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار،  
قال: فكان بينهما قتال إلى أن صرخ: يا معشر الأنصار،  
وصرخ المهاجر: يا معشر المهاجرين، قال: فبلغ ذلك  
النبي ﷺ فقال: «ما لكم ولدعوة الجاهلية» فقالوا:  
كس رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال:  
فقال رسول الله ﷺ «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُتَّبِعَةٌ»، قال:  
فقال عبدالله بن أبي ابن سلول: «لَيْتَ رَجَعْنَا...» فقال

عما يصنع بهم، ليعبد منهم بالإيمان من هدي، وهذه  
سنة كل نبي. (٤: ٢١١)

الطوسي: فالذليل هو الناقص القوة في نفسه بما  
لا يمكنه أن يدفع غيره عن نفسه.

والصاغر هو الذليل الصغير القدر، المهين، يدل  
على معنى التحقير بشئين. ونقيض الذليل: العزيز،  
وجمع: أعز، وجمع الذليل: أذلة. (٨: ٩٥)

الزمخشري: والذل: أن يذهب عنهم ما كانوا  
فيه من العز والمُلْك. (٣: ١٤٨)

نحوه التيساوي (٢: ١٧٦)، والتسفي (٣: ٢١٢)،  
وأبو حيان (٧: ٧٤)، والمشهدى (٧: ٣٤١)، وشبر  
(٤: ٤٢٦).

القرطبي: «أَذَلَّةٌ» قد سلبوا ملكهم وعزهم  
(١٣: ٤٢٠)

أبو السعود: أي حال كونهم «أَذَلَّةٌ» بفتح الهمزة  
كانوا فيه من العز والتمكين. وفي جمع القلة تأكيد  
لذلّتهم. (٥: ٨٤)

نحوه التيسوي (٦: ٣٤٧)، واللوحي (١٩: ٢٠١).

مكارم الشيرازي: و«أَذَلَّةٌ» في الحقيقة حال  
أولى، «وَهُمْ صَاغِرُونَ» حال ثانية، وهما إشارة إلى  
أن أولئك لا يخرجون من أرضهم فحسب، بل  
بالإذلال والإحقار والصغار بشكل يتركون جميع  
ممتلكاتهم من قصور وأموال وجاء وجلال، لأنهم لم  
يدعوا ويسلموا للحق، وإنما قصدوا الخداع والمكر.  
وطبيعي أن هذا التهديد كان تهديداً جدياً جداً

عمر: يا رسول الله دغني فاقته، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لا يتحدث الناس أن رسول الله يقتل أصحابه» [وفيها روايات أخرى بهذا المعنى فراجع]

(١٠٥: ١٢)

القشيري: إنما وقع لهم القلط في تعيين الأعز والأذل، فتوهموا أن الأعز هم المنافقون، والأذل هم المسلمون. ولكن الأمر بالعكس، فلا جرم غلب الرسول ﷺ والمسلمون، وأذل المنافقون بقوله: ﴿وَرَفِئَةُ الْعِزَّةِ...﴾

الواحدي: عني بـ ﴿الْأَعَزُّ﴾ نفسه. و ﴿الْأَذَلُّ﴾ رسول الله ﷺ فرد الله عليه فقال: ﴿وَرَفِئَةُ الْعِزَّةِ...﴾

(٣٠٤: ٤)

نحوه الطوسي (١٥: ١٠)، وأكثر المفسرين راجع: ن ف ق: «المتأففين».

### الْأَذَلِّينَ

إِنَّ الَّذِينَ يَخَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي سِيَئِ الْأَذَلِّينَ. المجادلة: ٢٠

ابن عباس: مع الأسفلين في النار. يعني المنافقين واليهود.

عطاء: يريد الذل في الدنيا والحز في الآخرة. أي هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة.

الطبري: في أهل الذلّة، لأن الغلبة لله ورسوله.

(٢٥: ١٢)

الزجاج: المغلوبين.

(١٤١: ٥)

التعلي: الأسفلين.

الزمخشري: في جملة من هو أذل خلق الله

لا ترى أحداً أذل منهم.

نحوه القرطبي (٣٠٦: ١٧)، والتسفي (٢٣٧: ٤).

وأبو حنبل (٢٣٨: ٨).

الفخر الرازي: أي في جملة من هو أذل خلق الله،

لأن ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني.

فلما كانت عزة الله غير متناهية، كانت ذلّة من ينازعه

غير متناهية أيضاً.

نحوه الثيسابوري (٢٨: ٢١)، والغازي (٤٥: ٧).

وأبو السعود (٢٢٠: ٦)، واللويسي (٣٤: ٢٨).

والمراغي (٢٥: ٢٨).

البيضاوي: في جملة من هو أذل خلق الله.

(٤٦٣: ٢)

منهجه الطبري (٢٣٤: ٤)، والكاظمي (١٥١: ٥).

والمنهجي (١٠: ٣١٤)، وشتر (١٨١: ٦).

ابن جرير: أي في جملة الأذلين، أي معهم.

(١٠٥: ٤)

البروسوي: [نحو الفخر الرازي وأضاف:]

وذلك بالسبي والقتل في الدنيا، وعذاب النار في

الآخرة، سواء كانوا فارساً أو روماً، أو أعظم منهم،

سوقه كانوا أو ملوكاً، كفرّة كانوا أو فسقة. (٩: ٤١٠)

الشوكاني: أي أولئك المخادون لله ورسوله،

المتصفون بتلك الصفات المتقدمة، من جملة من أذله الله

من الأمم السابقة واللاحقة، لأنهم لمّا خادوا الله

ورسوله صاروا من الذلّ بهذا المكان. (٢٣٧: ٥)

القاسمي: أي في أهل السذاجة، لأن الغلبة في  
و لرسوله. (٥٧٢٨: ١٦)

ابن عاشور: واستحضارهم بصفة «إن الذين  
يُحَادِّثُونَ اللَّهَ...» إظهار في مقام الإحسان، فنقضى  
الظاهر أن يقال: إنهم في الآذنين، فأخرج الكلام على  
خلاف مقتضى الظاهر إلى الموصولية، لإفادة مدلول  
الصلة أنهم أعداء الله تعالى ورسوله ﷺ وإفادة  
الموصول تعليل المحكم الوارد بعده - وهو كونهم  
آذنين - لأنهم أعداء رسول الله ﷺ فهم أعداء الله  
القادر على كل شيء، فعدوة لا يكون عزيزاً.

ومفاد حرف الظرفية أنهم كائنون في زمرة القوم  
الموصوفين بأنهم آذنون، أي شديدو المذلة، ليتصورهم  
السامع في كل جماعة يرى أنهم آذنون، فيكون هذا  
الظلم أبلغ من أن يقال: أولئك هم الآذنون.

واسم الإشارة تنبيه على أن المشار إليهم هم  
بما بعد اسم الإشارة من المحكم، بسبب الوصف الذي  
قبل اسم الإشارة، مثل «أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ  
رَبِّهِمْ» البقرة: ٥. (٥٠: ٢٨)

ملحوظة: هذه الآية أشبه بالجواب عن سؤال مقدر،  
و يتعلق السؤال: بأن أعداء الله يعيشون في عز من  
عذبتهم وصددهم، وينكفون بأهل الله تهديلاً وتشريداً،  
فكيف أمهلهم سبحانه وأمد لهم؟

وتجيب الآية: بأن الأشرار هم آذل خلق الله من  
الأوليين والآخرين، لأن نهايتهم الخزي والتذلان  
دنياً و آخرة. أما في الدنيا فسلان الله بعذبهم بأيدي  
الطيبين الأحرار «فَيَايَلَاهُمْ يَفْضَحْنَهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ

وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُخْزِي صُدُورَ قَوْمٍ  
مُؤْمِنِينَ» التوبة: ١٤، وأما عذاب الآخرة فهو أشد  
وأعظم. (٢٧٧: ٧)

الطباطبائي: تعليل لكونهم هم الخاسرين، أي  
إنما كانوا خاسرين، لأنهم يحادون الله ورسوله  
بالمخالفة والمعاندة، والمحادون لله ورسوله في جملة  
الآذنين من خلق الله تعالى. (١٩٥: ١٩)

عبد الكريم الخطيب: لن يكون لمن يحصاد الله  
و رسوله إلا الذل والهوان، وإلا أن يدخل في زمرة  
الذين آذلهم الله، وأنزلهم منازل الهوان. (٨٤٣: ١٤)

فضل الله: «أُولَئِكَ فِي الْآذَلِينَ» لأن العزة هي  
بمعناها، فهو الذي يملكها في ذاته المقتسة، وهو الذي  
يملكها لغيره في ما يهبه من أسباغها، في ما يعطيه من  
مواقع القوة فيها، فلا عزة لغير الله إلا منه، فكيف

واليهود؟ وما ذا يملك أولئك منها ليستمدوا قوتها من  
قوتهم؟ وإذا كان الأمر في الدنيا بهذه المثابة، فكيف  
يواجه هؤلاء الموقف يوم القيامة، حيث يكون الأمر  
كله لله؟ (٨٣: ٢٢)

## ذلول

قال الله يقول: «لَهَا بَقَرَةٌ آذَلُوهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَرْضِ  
وَلَا تَسْمَى الْخَرْثُ مُسَلَّتَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا...» البقرة: ٧١  
ابن عباس: لا مذلة. (١١)

عموه سيد قطب (١: ٧٩)، والطباطبائي (١: ٢٠٢).

مُجَاهِدٌ: لَيْسَتْ بِذَلُولٍ فَتَفْعُلْ ذَلِكَ.

(الطَّبْرِي ١: ٣٩٤)

قَتَادَةُ: يَقُولُ: صَعْبَةٌ لَمْ يَذَلَّهَا عَمَلٌ.

(الطَّبْرِي ١: ٣٩٣)

لَحْوَةُ الرَّيْبِ. (الطَّبْرِي ١: ٣٩٤)

لَمْ يَذَلَّهَا الْعَمَلُ فَتَثِيرُ الْأَرْضِ. (ابن الجَوْزِيِّ ١: ٩٨)

نَحْوُهُ أَبُو الْعَالِيَةِ (الطَّبْرِي ١: ٣٩٣)، وَالْمَاوَرَدِيُّ (١)

١٤٠: ١٤٠) وَالْوَاحِدِيُّ (١: ١٥٦)، وَالْخَازَن (١: ٦١).

وَالشَّيْبَانِيُّ (١: ٧٠)، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ الْخَطِيبُ (١: ٩٧).

السُّدِّي: لَيْسَتْ بِذَلُولٍ يُزْرَعُ عَلَيْهَا.

(الطَّبْرِي ١: ٣٩٣)

ابن قُتَيْبَةَ: يُقَالُ فِي الدُّوَابِّ: دَابَّةٌ ذَلُولٌ يَنْتَهِي الذَّلُّ

بِكَسْرِ الذَّالِ. وَفِي النَّاسِ: رَجُلٌ ذَلِيلٌ بَيْنَ الذَّلِّ وَبُخْسَمِ الذَّالِ. (٥٤٤)

الطَّبْرِيُّ: وَبَعْنِي يَقُولُهُ: ﴿لَا ذَلُولَ﴾ أَيُّ لَمْ يَذَلَّهَا

الْعَمَلُ. فَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَمْ تَذَلَّهَا إِثَارَةُ الْأَرْضِ بِأَفْلاَقِهَا، وَلَا سَقَى عَلَيْهَا الْمَاءُ فَسَقَى عَلَيْهَا الزَّرْعُ.

كَمَا يُقَالُ: لِلدَّابَّةِ الَّتِي قَدْ ذَلَّهَا الرِّكُوبُ أَوْ الْعَمَلُ: دَابَّةٌ ذَلُولٌ يَنْتَهِي الذَّلُّ، بِكَسْرِ الذَّالِ. وَيُقَالُ فِي مِثْلِهِ مِنْ بَنِي

آدَمَ: رَجُلٌ ذَلِيلٌ بَيْنَ الذَّلِّ وَالْبُخْسَمِ. (١: ٣٩٣)

الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ لَيْسَتْ بِذَلُولٍ. (١: ١٥٢)

يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ لَيْسَتْ بِذَلُولٍ وَهِيَ تُثِيرُ

الْأَرْضَ. وَيَحْتَمَلُ: أَنَّهَا لَيْسَتْ ذَلُولَةً، وَلَا مُثِيرَةً الْأَرْضِ. (الطُّوسِي ١: ٢٩٩)

الْثَّعْلِيُّ: مُذَلَّلَةٌ بِالْعَمَلِ. يُقَالُ: رَجُلٌ ذَلِيلٌ بَيْنَ

الذَّلِّ، وَدَابَّةٌ ذَلُولَةٌ يَنْتَهِي الذَّلُّ. (١: ٢١٨)

نَحْوُهُ الْبُغْوِيُّ. (١: ١٢٩)

الطُّوسِيُّ: الْمَعْنَى إِنَّ الْبَقْرَةَ الَّتِي أَمَرْتَكُمْ بِذَبْحِهَا،

لَا ذَلُولَ، أَيُّ لَمْ يَذَلَّهَا الْعَمَلُ بِإِثَارَةِ الْأَرْضِ بِأَفْلاَقِهَا،

كَمَا يُقَالُ لِلدَّابَّةِ الَّتِي قَدْ ذَلَّهَا الرِّكُوبُ وَالْعَمَلُ: تَقُولُ:

دَابَّةٌ ذَلُولٌ بَيْنَ الذَّلِّ، بِكَسْرِ الذَّالِ، وَفِي مِثْلِهِ مِنْ بَنِي

آدَمَ: رَجُلٌ ذَلِيلٌ بَيْنَ الذَّلِّ وَالْمُذَلَّةِ. [ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ

الزَّجَّاجِ وَقَالَ:]

قِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ وَحْشِيَّةً فِي قَوْلِ الْحَسَنِ (١: ٢٩٩)

لَحْوَةُ الطَّبْرِيِّ: كَمَا أَنَّ تِلْكَ الْبَقْرَةَ لَمْ يَذَلَّهَا الْعَمَلُ،

وَلَمْ يُذَلَّ فِي الْمَكَاسِبِ. (١: ١١٠)

الزَّمَخْشَرِيُّ: ﴿لَا ذَلُولَ﴾: صِفَةٌ لـ ﴿بَقْرَةٍ﴾

بِمَعْنَى بَقْرَةٍ غَيْرِ ذَلُولٍ، يَعْنِي لَمْ تَذَلَّ لِلْكَرَابِ وَإِثَارَةِ

الْأَرْضِ. وَلَا أَهِيَ مِنَ التَّوَاضُّحِ الَّتِي يُسَمَّى عَلَيْهَا

لَسَقَى لِمُتَحَوِّثٍ. وَ(لَا) الْأَوَّلَى لِلنَّحْوِ، وَالثَّانِيَةُ مَزِيدَةٌ

لِتَوْكِيدِ الْأَوَّلَى، لِأَنَّ الْمَعْنَى: لَا ذَلُولَ تُثِيرُ وَتُسَقَى، عَلَى

أَنَّ الْفَعْلَيْنِ صِفَتَانِ لـ ﴿ذَلُولَ﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا ذَلُولَ

مُتِيرَةٌ وَسَاقِيَةٌ.

وَقَرَأَ أَبُو عَمِيرَةَ الرَّحْمَانُ السُّلَمِيُّ: (لَا ذَلُولَ)، بِمَعْنَى

لَا ذَلُولَ هُنَاكَ أَيُّ حَيْثُ هِيَ. وَهُوَ نَفْسِي لِمَذَلَّهَا وَلِأَنَّ

تَوْصِفَ بِهِ، فَيُقَالُ: هِيَ ذَلُولٌ، وَنَحْوُهُ قَوْلُكَ: مَرَرْتُ

بِقَوْمٍ لَا يَخِيلُ وَلَا جَبَانٍ أَيُّ فِيهِمْ، أَوْ حَيْثُ هُمْ. (١: ٢٨٨)

نَحْوُهُ مَلِكُصَالُ السُّنِّي (١: ٥٥)، وَأَبُو الشَّعْوَدِ (١: ١١٦)

وَالشَّيْبَانِيُّ (١: ١٠٩)، وَالْقَاسِمِيُّ (٢: ١٥٥).

ابن عَطِيَّة: [نَحْوُ الثَّعْلِيِّ وَقَالَ:]

و﴿ذَلُولَ﴾ نَمَتْ لـ ﴿بَقْرَةٍ﴾ أَوْ عَلَى [ضَمَارِ

«هي».

(١٦٣:١)

المعنى أيضاً.

الفخر الرازي: [نحو الزمخشري وأضاف:]

وجملة القول: أن الذلول بالعمل لا يهزم من أن تكون ناقصة، فبين تعالى أنها لا تثير الأرض ولا تفي الحرث، لأن هذين العملين يظهرهما التقص.

(١٢١:٣)

نحوه الثيباوري.

العكبري: إذا وقع «فُتُول» صفة لم يدخله الماء للتأنيث، تقول: امرأة صُبُور شكُور، وهو بناء للمبالغة.

و «ذُولُ» رفع صفة للبقرة، أو خبر ابتداء

محذوف، وتكون الجملة صفة.

(٢٦:١)

القرطبي: [نحو التلمبي وأضاف:]

أي هي بقرة صعبة غير رقيقة، لم تذلل بالعمل.

أبو حيان: «لَا ذُولُ» صفة للبقرة، على أنه من

الوصف بالمفرد. ومن قال: هو من الوصف بالجملة،

وأن التقدير: لا هي ذُولُ؛ فيبعد عن الصواب.

و «تُثِيرُ الْأَرْضَ» صفة لـ «ذُولُ» وهو هي صفة

داخلة في حيز التثنية، والمقصود نفي إثارتها الأرض،

أي لا تثير فتذلل فهو من باب:

● على لاجب لا يهتدي بمناره ●

اللفظ نفي الذلل، والمقصود نفي الإثارة، فينتضي

كونها ذلولاً. و «لَا تُسْقِي الْحَرْثَ» نفي مبادل

لقوله: «لَا ذُولُ» والجملة صفة، والصفتان منفيتان

من حيث المعنى، كما أن «لَا تُسْقِي» منفي من حيث

ومعنى الكلام: أنها لم تذلل بالعمل، لا في حرث،

ولا في سقي، ولهذا نفي عنها إثارة الأرض وسقيها.

وقال الحسن: كانت تلك البقرة وحشية، ولهذا

وصفت بأنها لا تثير الأرض بالحرث، ولا تسقي عليها

فتسقي.

وقد ذهب قوم إلى أن قوله: «تُثِيرُ الْأَرْضَ» فعل

منته لفظاً ومعنى، وأنه أثبت للبقرة أنها تثير

الأرض وتحرثها، ونفى عنها سقي الحرث. ورد هذا

القول من حيث المعنى، لأن ما كان يحصر لا ينتضي

كونه ذلولاً.

وقال بعض المفسرين: معنى «تُثِيرُ الْأَرْضَ»

يحرث الحرث بطراً أو مرجحاً، ومن عادة البقرة، إذا

بطرت، تضرب برجلها وأظلالها، فتثير تراب الأرض.

و «لَا ذُولُ» لأن ولحظها بالمرح والبطر دليل على أنها

لا ذُولُ.

(٢٥٥:١)

السمين: المشهور: «ذُولُ» بالرفع على أنها

صفة لـ «بَقَرَةٌ» وتوسطت (لَا) للثنية، كما تقدم في

«لَا تَارِضُ» أو على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي،

لا هي ذُولُ، والجملة من هذا المبتدأ والخبر في محل

رفع صفة لـ «بَقَرَةٌ».

وقرئ (لَا ذُولُ) بفتح اللام على أنها (لَا) التي

للتثنية والخبر محذوف، تقديره: لا ذُولُ ثم، أو ما

أشبهه. وليس المعنى على هذه القراءة، ولذلك قال

الأخفش: («لَا ذُولُ» نعت ولا يجوز نصبه



والذلول: التي ذُلَّت بالعمل، يقال: بقرة ذلول بينة الذل بكسر الذال، ورجل ذليل بين الذل بضمها، وقد تقدم عند قوله: ﴿الذَّلَّةُ﴾ (٢٥٩:١).  
 الألوسي: ﴿لَا ذُلُولُ﴾ صفة ﴿بقرة﴾ وهو من الوصف بالمفرد، ومن قال: هو من الوصف بالجملة، وأن التقدير: لا هي ذلول: فقد أبعد عن الصواب. و﴿لَا﴾ بمعنى «غير» وهو اسم على ما صرح به السخاوي وغيره، لكن لكونها في صورة الخرف ظهر إعرابها فيما بعدها. ■ يحتمل أن تكون حرفاً كـ﴿إِلَّا﴾ التي بمعنى «غير» في مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

و﴿لَا ذُلُولُ﴾ صفة لـ﴿بقرة﴾، وجملة ﴿كثير الأرض﴾ حال من ﴿ذُلُولُ﴾. (٥٣٧:١)  
 مَغْنِيَّة: والذلول: الرئى الذي زالت حُصوبته، والمراد بالذلول هنا: البقرة التي لم تتخذ العمل في الأرض. (١٢٥:١)  
 مثله فضل الله. (٨٤:٢)

عبد الكريم الخطيب: أي إنها بقرة لم يُذَلَّلْ لها العمل، بل هي بقرة برية مُرسلة، لم تستخدم في حرث الأرض، ولا في سقي ما يُحرث من الأرض. (٩٧:١)

### ذُلُولٌ

هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في ملكها وكلوا من رزقها وآتوا الشُّورَ. الملك: ١٥  
 ابن عباس: مَذْلُولٌ، لَبَّيْهَا بِالْجِبَالِ. (٤٧٩)

الطبري: سَهْلًا، سَهْلًا لَكُمْ. (١٦٨:١٢)

الزجاج: سَهْلٌ لَكُمْ السُّلُوكُ فِيهَا. (١٩٩:٥)

نحوه أبو الفتح. (٣٢٦:١٩)

القُشَيْرِيُّ: أي فرشاً. (٣٧٩:٢)

الشريف الرضي: وهذه استعارة، لأن الذلول من صفة الحيوان المركوب، يقال: بعير ذلول، وفرس ذلول، إذا أمكن من ظهره، وتصرف على مراده راكمه. وضد ذلك وصفهم - للمركوب المانع ظهره، والمنع على راكمه - بالمتعب والمصعب.

والمعنى: أنه سبحانه جعل الأرض للتساقط كالمركوب الذلول، ممكنة من الاستقرار عليها، والتصرف فيها، طائفة غير مائعة، ومُدْعَاة غير

والذلول: الرئى الذي زالت حُصوبته، يقال: بقرة ذلول بينة الذل بكسر، ورجل ذلول بين الذل بضمها. (١٦٨:١)

رشيد رضا: أي غير مُدْلَلَّة بالعمل في الأرض. (٣٤٩:١)

ولاي السكي. (٢٣٢:١)

نحوه مكارم الشيرازي. (٢٣٢:١)

المراغبي: والذلول: الرئى الذي زالت حُصوبته. [ثم قال نحو ابن قتيبة] (١٤١:١)

ابن عاشور: والذلول بفتح الذال «فُضُول» من ذُلَّ ذُلًّا بكسر الذال في المصدر، بمعنى: لأنَّ وسهل. وأما الذل بضم الذال، فهو ضد العز، وهما مصدران لفعل واحد، خص الاستعمال أحد المصدرين بأحد المعنيين، والمعنى: أنها لم تبلغ سنَّ أن يُحرث عليها وأن يُسقى بجرها، أي هي عجلة قاربت هذا السن، وهو الموافق لما حدَّده سنُّها في التوراة.

مداخلة.

(٢١٢)

التعلي: سهلاً مسخرة. لا تمتنع.

(٣٥٩: ٩)

الماوردي: يعني مذللة سهلة.

(٥٤: ٦)

الطوسي: يعني سهلاً. سهلها لكم. تعملون فيها

(٦٥: ١٠)

ما تشتهون.

القشيري: أي إذا أردتم أن تضربوا في الأرض

سهل عليكم ذلك.

كذلك جعل النفس ذلولاً. فلو طالبتها بالوفاء

وجدتها مساعدة موافقة. متابعة مساهة. وقد قيل في

صفتها:

هي النفس ما صودتها تنمود

و للدهر أيام كذمت وكشمت

(٤٨١: ٦)

الواحد: لم يجعلها بحيث يمتنع الشيء فيها

بالحرزونة والقبض.

لحموه ابن الجوزي (٣٢١: ٨). والهازان (١٠٥: ٧).

الغزالي: جعل الله سبحانه الأرض ذلولاً لعباده.

لا يستقروا في مناكبها. بل ليتخذوها منزلاً هيناً يكون

منها. محترزين من مصائبها ومعاظيها. ويتحققون أن

العمر يسير بهم سير السفينة براكبها. فالتاس في هذا

العالم سفر. وأول منازلهم المهة. وآخرها اللحد.

والوطن هو الجنة أو النار. والتمر مسافة السفر.

فسيوه مراحلهم. وشهوره فرائضه. وأيامه أمهاله.

أنفاسه خطواته. وطاعته بضاعته. وأوقاته رؤوس

أمواله. وشهواته وأغراضه قطائع طريقه. ورجحه الفوز

بلقاء الله عز وجل في دار السلام. مع الملك الكبير

و التميم المقيم. وحسراته التبد من الله عز وجل مع

الأنكال والأغلال والعذاب الأليم. في حركات

الجميم.

فالغافل عن نفس واحد من أنفاسه - حتى ينقضي

في غير طاعة عمره إلى الله تعالى - نفس - متمرض في

يوم القابض لفبيته وحسرة ما لها انتهى.

ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموقنون عن

ساقى المدة. ودعوا بالكلفة ملاذ النفس. واغتموا

بقايا العمر. فعمروها بالطاعات. بحسب تكرار

الأوقات. (التعاليم ٣: ٣٥٩)

البهوي: سهلاً لا يمتنع الشيء فيها بالحرزونة.

(١٢٦: ٥)

المشيدي: لينة سهلة. سهل لكم السلوك فيها.

(١٧٥: ١٠)

المشيدي: لينة سهلة. سهل لكم السلوك فيها. (٥)

(٢٠٣). والمشدي (١٠: ٥٣٨).

ابن عطية: والذلول: «فول» بمعنى «مفعول».

أي مذلول. فهي كركوب وحلوب. يقال: ذلول بين

الذلول بضم الذال. (٣٤١: ٥)

الطبرسي: [أحوال الطوسي وأضاف:]

وقيل: «ذلولاً»: موطأة للتصرف فيها والمسير

عليها. ويمكنكم زراعتها. (٣٢٧: ٥)

الفهر الرأزي: الذلول من كل شيء. المتفاد

الذي ينزل لك. ومصدره الذلول وهو الانقياد واللين.

ومنه يقال: دابة ذلول.

وفي وصف الأرض بالذلول أقوال:

أحدها، أنه تعالى ما جعلها صخرية خشنة بحيث  
يبتنع المشي عليها، كما يبتنع المشي على وجوه  
الصخور الخشنة.

وثانيها: أنه تعالى جعلها لينة بحيث يمكن حفرها،  
وبناء الأبنية منها كما مراد، ولو كانت حخرية صلبة  
لتعذر ذلك.

وثالثها: أنها لو كانت حخرية، أو كانت مثل  
الذهب أو الحديد، لكانت تسخن جداً في الصيف،  
و كانت تبرد جداً في الشتاء، ولكانت الزراعة فيها  
ممتنعة، والغراسة فيها متعذرة، ولما كانت كفائاً  
للأموات والأحياء.

ورابعها: أنه تعالى سطرها لنا بأن أمسكها في جوف  
الهواء، ولو كانت متحركة على الاستقامة، أو على  
الاستدارة لم تكن منقادة لنا. (٣٠: ٦٨)

نحوه ملخصاً الشياوري: (١٠: ٦٩)  
القرطبي: أي سهلة تستقرون عليها. والذلول:  
المنقاد الذي يذل لك؛ والمصدر: الذل، وهو اللين  
والانقياد، أي لم يجعل الأرض بحيث يبتنع المشي فيها  
بالخزونة والبقظة.

وقيل: أي ثبتها بالجبال لئلا تزول بأهلها،  
«لو كانت تتكفأ متماثلة لما كانت منقادة لنا».

(١٨: ٢١٤)

نحوه الشوكاني: (٥: ٣٢٠)

ابن جزي: «فُحول» هنا بمعنى «مفصول» أي  
مذلولة فهي كركوب وحلوب. (٤: ١٢٥)

أبو حيان: والذلول: «فُحول» للمبالغة، من

ذلك، تقول: ذاب ذلول: بينة الذلول، ورجل ذليل، بين  
الذل. [ثم ذكر قول ابن عطية وقال:]

و ليس بمعنى مفعول، لأن فعله قاصر، وإنما تعدي  
بالهمزة كقوله: «وَذُلُّوا مِنْ ثَمَّاءِ»، آل عمران: ٢٦،  
و «مَا بِالتَّضْيِيفِ» كقوله: «وَذُلُّوا لَهَا لَهُمْ»، يس: ٧٢،  
وقوله: أي مذلولته، يظهر أنه خطأ. (٨: ٣٠٠)

السمين: «وَذُلُّوا» مفعول ثان أو حال. [ثم قال  
نحو أبي حيان وأضاف بعد قوله: «أي مذلولته» يظهر  
أنه خطأ:]

يعني حيث استعمل اسم المفعول. أما من فعل  
قاصر فهي مناقشة لفظية. (٦: ٣٤٥)

الطحاوي: بمعنى مذلولته. (٣: ٣٥٩)

الطبرسي: أي: مسخرة لا تمتنع، لتوصلوا إلى  
منافعكم فيها، قابلة للانقياد لما تريدون منها من مشي

ودرج جويته وغرس أشجار، وغير ذلك. (٤: ٣٤٣)

أبو السعود: لينة يسهل عليكم السلوك فيها.  
وتقديم «لَكُمْ» على مفعولي «الجعل» مع أن حقه  
أقارب عنهما، للاهتمام بما قدم، والتشويق إلى ما  
آخر. فإن ما حقه التقديم إذاً آخر لاستيما عند كون  
المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين،  
بقي النفس مترقبة لوروده، فيتمكن لديها عند ذكره  
فضل تمكن. (٦: ٢٧٨)

الهراسري: أي لينة منقادة غاية الانقياد، لما  
تهمد صينة المبالغة، يسهل عليكم السلوك فيها  
لتوصلوا إلى ما ينفعكم. [ثم قال نحو الفخر الرازي  
وأضاف:]

وَيُكسر: ضد الصُّعوبة. ويستعمل المضوم فيما يقابل  
الغز، كما يقتضيه كلام القاموس.

وقال ابن عطية: الذَّلُول: «فُعُول» بمعنى «مفعول»  
أي مذلولة كَرَكُوبٍ «حُلُوب» انتهى. وتعقب بأن فعله  
قاصر، وإلما يُعدي بالهمزة أو التضعيف، فلا يكون  
بمعنى المفعول. واستظهر أن «مذلولة» خطأ.

وقال بعضهم: يقولون للدابة إذا كانت منقادة غير  
صعبة: ذُلُول، من الذَّلَّ بالكسر، وهو سهولة الانقياد.  
وفي الكلام استعارة، وقيل: تشبيه بليغ. [ثم قال في  
تقديم «لَكُمْ» على مفعولي «الجنل» مثل أي  
الشعور] (٢٩: ١٤)

القاسمي: أي لينة سهلة المسالك. (١٦: ٥٨٨٤)  
المرامي: أي إن رتكم هو الذي سطر لكم  
الأرض وذلَّلها لكم، فجعلها قارة ساكنة، لا تميد  
والعبون، لستكم وسقي أنعامكم وزروعكم وثماركم،  
وسلك فيها السبل، فافروا حيث شئتم من أقطارها،  
وترددوا في أرجائها لأنواع المكاسب والتجارات،  
وكلوا مما أوجده لكم فيها بقضله من واسع الأرزاق،  
والسعي في الأرزاق لا ينافي التوكل على الله.

فريد وجدي: أي مذلَّته، يقال: مطَّية ذُلُول، أي  
مروحة غير جثوج. (٢٩: ١٥)  
عِزَّة دروزة: مسطرة للانتفاع بها يسر  
وسهولة. [ثم قال:]

تعلق على آية «هو الذي جعل...»

وأيضا ثبتها بالجبال الراسيات، كيلا تتمايل  
وتثقل بأهلها. «لو كانت مضطربة متمائلة لما كانت  
منقادة لنا، فكانت على صورة الإنسان الكامل في  
سكوتها وسكونها، وكانت هي وحقاتها في مقابلة  
القلم الأعلى والملائكة المهيبة»<sup>(١)</sup>

والحاصل: أن الله تعالى جعل الأرض بحيث ينضج  
بها، وقسمها إلى سهول وجبال وبراري وبحار  
وأَنْهَارٍ وَثِيون، ونبُحٍ وَغُذَبٍ وَزَرْعٍ وَشَجَرٍ، وَثَرَابٍ  
وَحِجَرٍ وَرَمَالٍ وَمَذَرٍ، وَذَاتِ سَبَاعٍ وَحَمَاتٍ وَفَارِغَةٍ،  
وغير ذلك بحكمته وقدرته.

قال سهل قدس سره: خلق الله الأنفس ذُلُولًا،  
فمن أذلَّها بخالفاتها فقد نجَّها من الفتن والبلات  
والهمم، ومن لم يذلَّها وأثبَّها أذلَّته نفسه وأهلك نفسه  
يقال: دابة ذُلُول بئنة الذَّلَّ، أو هو بالكسر: اللين  
والانقياد، وهو ضد الصُّعوبة، فالذَّلُول من كلِّ قسوة  
المنقاد الذي يذلُّ لله، وبالفهم: الهوان، ضد العِزَّة. [إلى  
أن قال:]

والذَّلُول «فُعُول» بمعنى «الفاعل»، ولنا غري  
عن علامة التانيث، مع أن «الأرض» مؤنث مباحي.  
(١٠: ١٨٨)

شبر: منقادة لتصرفكم فيها بمرث وحفر وبناء  
«مشي» (٦: ٢٥٣)

الآلوسي: غير صعبة يسهل جدًا عليكم السلوك  
فيها، فهو «فُعُول» للمبالغة في الذَّلَّ، من ذَلَّ بالضم

(١) هكنا في الأصل... ولعله: المهيبة.

ومع أن من المحتمل أن يكون الخطاب فيها موجتها للكافرين الذين هم موضوع الخطاب في الآيات السابقة، فإنها تنطوي - على ما هو المتبادر - على تلقينات جليلة المدى:

١- فقد سخر الله الدنيا للجميع، فليس لأحد أن يمنع أحداً من السعي في منابها، والانتفاع منها.

٢- وقد حث الجميع على السعي في منابها، فليس لأحد أن يأكل سعي غيره أو يسلبه ثمرات سعيه، ويقتطع هو عن السعي.

٣- وقد سخر الدنيا ومنافعها للجميع الناس، ولكنه نبههم إلى أن هذه المنافع لا تنال إلا بالسعي والعمل.

٤- وقد قرّر أن الرزق الذي يستخرجه الناس من الأرض هو في الحقيقة رزقه، لأنه هو الذي خلق مادته وأوجد القوى والأسباب التي تساهل في خلقه.

إخراجهم، فلاحقاً لأحد أن يدعيه لنفسه، أو يحتكره من دون الناس.

سَيِّدُ قُلُوبٍ: والناس لظول ألفتهم لحياتهم على هذه الأرض وسهولة استقرارهم عليها، وسيرهم فيها، واستغلالهم لثريتها «مائها وهوائها وكنوزها وقواها وأرزاقها جميعاً، ينسون نعمة الله في تذليلها لهم وتسخيرها، والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة، ويُبصِّرهم بها في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول.

والأرض الذلول كانت تعني في أذهان المخاطبين

الثقاسي، هذه الأرض المذلّة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة، وبالفلك التي تمطر البعارة، والمذلّة للزرع والجنى والحصاد، والمذلّة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء «تربة تصلح للزرع والإنبات.

وهي مدلولات مجملية يفصلها العلم فيما اعتدى إليه حتى اليوم تفصيلاً، يذّي مساحة اتص القرآن في الإدراك.

فعمّا يقوله العلم في مدلول الأرض الذلول: إن هذا الوصف «ذلولاً» الذي يُطلق عادة على الدابة، مقصود في إطلاقه على الأرض. فالأرض هذه التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة، هي دابة متحركة، بل راحة راکضة مهطعة، وهي في الوقت ذاته ذلول لا تلبس براكبتها عن ظهرها، ولا تتعسر خطاها، ولا تحلقه وتبرزه وترهقه كاللابة غير الذلول، ثم هي مادة وأوجد القوى والأسباب التي تساهل في خلقه.

إن هذه الدابة التي تركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالى خمسة وستين ألف ميل في الساعة. ثم تتركض هي والشمس والجموعة الشمسية كلها بمعدل عشرين ألف ميل في الساعة، مبتعدة نحو برج الجبار في السماء، ومع هذا التركض كله يبقى الإنسان على ظهرها آمناً مستريحاً مطمئناً، مما في لا تتعزق أوصاله، ولا تنفث أشلاؤه، بل لا يرتج تحفه ولا يندوخ، ولا يقع مرة عن ظهر هذه الدابة الذلول وهذه الحركات الثلاث لها حكمة.

وقد عرفنا أثر التثمين منها في حياة هذا الإنسان،

بل في الحياة كلها على ظهر هذه الأرض. فمدورة الأرض حول نفسها هي التي ينشأ عنها الليل والنهار. ولو كان الليل سرمدًا لجمدت الحياة كلها من البرد. ولو كان النهار سرمدًا لاحتترقت الحياة كلها من الحر. ودورتها حول الشمس هي التي تنشأ عنها الفصول. ولو دام فصل واحد على الأرض ما قامت الحياة في شكلها. هذا كما أرادها الله.

أما الحركة الثالثة فلم يكشف سِتار الغيب عن حكمته بقدر ولا بد أن لها ارتباطًا بالتناسق الكوني الكبير.

• هذه الدابة الذلول التي تتحرك كل هذه الحركات الثلاثة في وقت واحد. ثابتة على وضع واحد في أثناء الحركة يحدده ميل محورها بمقدار ٢٣.٥° لأن هذا الميل هو الذي تنشأ عنه الفصول الأربعة مع حركة الأرض حول الشمس. والذي لو اختلف في اتجاهه لكانت الحركة لاختلفت الفصول التي ترتب عليها دورة النبات بل دورة الحياة كلها في هذه الحياة الدنيا.

والله جعل الأرض ذلولًا للبشر، بأن جعل لها جاذبية تشدهم إليها في أثناء حركاتها الكبرى. كما جعل لها ضغطًا جويًا يسمع بسهولة الحركة فوقها. ولو كان الضغط الجوي أثقل من هذا لتعذر، أو تحسر على الإنسان أن يسير ويتنقل حسب درجة ثقل الضغط. فإما أن يسحقه أو يعوقه. ولو كان أخف لاضطربت خطى الإنسان أو لاضطربت مجاريه لزيادة ضغطه الناتج على ضغط الهواء حوله. كما يقع لمن يرتفعون في طبقات الجو العليا بدون تكيف لضغط

الهواء.

والله جعل الأرض ذلولًا ببسط سطحها. وتكوين هذه التربة اللينة فوق السطح. ولو كانت صخورًا صلبة كما يفترض العلم بعد برودها وتهشيمها لتعذر السير فيها. وتعذر الإنبات. ولكن العوامل الجوية من هواء وأمطار وغيرها هي التي فتت هذه الصخور الصلبة. وأنشأ الله بها هذه التربة الخصبة الصالحة للحياة. وأنشأ ما فيها من الثبات والأرذاق التي يحملها رايكو هذه الدابة الذلول.

والله جعل الأرض ذلولًا. بأن جعل الهواء المحيط بها محتويًا للعناصر التي تحتاج الحياة إليها. بالنسبة للحركة التي لو اختلفت ما قامت الحياة. وما عاشت إن كان ميلها من الأساس. فنسبة الأكسجين للهيدروجين هي ١/٢١ تقريبًا ونسبة الأزوت أو النيتروجين هي ١/٢٩ تقريبًا. وهذان هما المكونان الرئيسيان للهواء. وثلاثة أجزاء من عشرة آلاف وعناصر أخرى. وهذه النسبة هي اللازمة بالضغط لقيام الحياة على الأرض. والله جعل الأرض ذلولًا بألاف من هذه المواصفات الضرورية لقيام الحياة. ومنها حجم الأرض وحجم الشمس والقمر. وبعد الأرض عن الشمس والقمر. ودرجة حرارة الشمس. وسمك قشرة الأرض. ودرجة سرعتها. وميل محورها. ونسبة توزيع الماء واليابس فيها. وكثافة الهواء المحيط بها. إلى آخره.

وهذه المواصفات مجتمعة هي التي جعلت الأرض ذلولًا. وهي التي جعلت فيها رزقًا. وهي التي سمحت

بوجود الحياة، وبجياة هذا الإنسان على وجه خاص.

والله القرآن يشير إلى هذه الحقائق ليبيها كل فرد وكل جيل بالقدر الذي يطيق، وبالقدر الذي يبلغ إليه علمه وملاحظته، ليشرح بيد الله الذي بيده الملك، وهي تتولاه وتتولى كل شيء حوله، وتُذلل له الأرض، وتحفظه وتحفظها، ولو تراخت لحظة واحدة عن الحفظ، لاختل هذا الكون كله، وتُحطم بمن عليه وما عليه، فإذا استيقظ ضميره هذه الحقيقة الهائلة أذن له الخالق الرحمان الرحيم بالمشي في مناكبها، والأكل من رزقه فيها. (٣٦: ٦)

ابن عاشور: والذلول من الدواب: المنقادة المطاوعة، مشتق من الذل وهو الهوان والانتقاص، «فقول» بمعنى «فاعل» يستوي فيه المذكر والمؤنث، وتقدم في قوله تعالى: «إِنَّهَا بِمَرَّةٍ لَّا ذُلُولَ» البقرة: ٧١. فاستعير الذلول للأرض في تذليل الاستماع لها، صلابه خلقتها، تشبيهاً بالدابة المسوسة المرتاضة بعد الصعوبة، على طريقة المصراحة. (٢٩: ٣٠)

مفتية: الله سبحانه رحيم بعباده، عليم بما يحتاجون إليه في هذه الحياة، ولذا خلق لهم الأرض، وقدر فيها الأقوات والأرزاق، وجعلها طوع وإرادتهم تستجيب لحوائجهم ومصالحهم، ويتمير الشيخ عبد القادر المغربي: «الأرض لنا نعمت المظية المدربة والذلول المجرية»، ولكنه تعالى أناط ذلك بالسمي والعمل، فقد شاءت حكمته أن يربط المسببات بأسبابها، والنتائج بعقوباتها، ومن خرج على هذه السنة فقد تمرد على سنة الله وإرادته (٧: ٣٧٨)

الطباطبائي: الذلول من المراكب: ما يسهل ركوبه، من غير أن يضطرب ويجمتج. وتسمية الأرض ذلولاً، وجعل ظهورها مناكب لها، يستقر عليها ويعشي فيها، باعتبار انقيادها لأنواع التصرفات الإنسانية من غير امتناع، وقد وجّه كونها ذلولاً ذامناكب بوجوه مختلفة تؤول جميعها إلى ما ذكرنا. (١٩: ٣٥٧)

عبد الكريم الخطيب: هو خطاب للناس جميعاً، وإلغات لهم إلى فضل الله عليهم وإحسانه إليهم؛ إذ خلقهم وأقامهم على خلافة الأرض، وجعل الحياة فيها ذلولاً لهم، أي مُذَلَّةً ميسرة لهم، بما أوجد فيها من أسباب الحياة، وأدوات العمل للعاملين فيها. (١٥: ١٠٦٠)

مكارم الشيرازي: «ذلول» بمعنى مطيع، وهو المثل على ما يمكن أن يُطلق على الأرض، لأن هذا المركب السريع الشير جداً، مع حركته المتعددة، يلاحظ هادئاً إلى حد يبدو وكأنه ساكن بصورة مطلقة.

يقول بعض العلماء: إن للأرض أربع عشرة حركة مختلفة، ثلاث منها هي: الأولى: حركتها حول نفسها، والثانية: حول الشمس، والثالثة: مع مجموعة المنظومة الشمسية في وسط المجرة.

هذه الحركات التي تكون سرعتها عظيمة، هي من التماسك والانسجام إلى حد لم يكن ليصدق أحد أن

للأرض حركة، لو لإقامة البراهين القطعية على حركتها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فإن قسرة الأرض ليست قوية وقاسية إلى حد لا يمكن معه العيش فوقها، ولا ضعيفة لئلا لاقرار لها ولا هدوء، وبذلك فإنها مناسبة لحياة البشر عموماً، فلو كان معظم سطح الكرة الأرضية مغموراً بالوُحِل، والمستنقعات مثلاً، لعتذرت الاستفادة منها. وكذلك لو كانت الرمال الناعمة تغطيها، فإن قدم الإنسان تغور فيها حتى الركبة، وكذا لو كانت مكوناتها من الصخور الحادة القاسية، لعتذرت بتعذر المشي عليها. ومن هنا يتضح معنى استقرار الأرض وهدوئها.

ومن جهة ثالثة: فإن بُعدها عن الشمس ليس هو القريب منها إلى حد يؤدي بحرارة الشمس إلى أن تحرق كل شيء على وجهها، ولا هو بعيد عنها بحيث لا يتجمد كل شيء على سطحها.

وكذلك بالنسبة لضغط الهواء على الكرة الأرضية، فإنه متناسب بما يؤدي إلى هدوء الإنسان وراحته، فهو ليس بالشديد بالصورة التي تستب له الاختناق، ولا بالمنخفض بالشكل الذي يتلشى فيه معه.

والأمر نفسه يقال في الجاذبية الأرضية، هي ليست شديدة إلى حد تنهش فيها عظام الإنسان، ولا بالضعيفة التي يكون فيها معلقاً لا يستطيع الاستقرار في مكان.

والخلاصة: إن الأرض ذلول ومطبعة ومسخرة.

لخدمة الإنسان في جميع المجالات، والظريف هنا بعد وصفه تعالى للأرض بأنها ذلول، أمره لعباده بأن

يسيروا في مناكيبها. (٤٤٨: ١٨) ^

فضل الله: كما هو الحيوان الذلول الذي لا يجمع ولا يضطرب، بل يستكين لراكبه، فالأرض منقاد مطوعة بفضل ما هيأ فيها من وسائل المعاش التي تشمل جميع الضرورات، والشروط التي تنفع الإنسان الإمكانات الكفيلة بتأمين الراحة، والحصول على كل حاجاته، والوصول إلى طموحاته المادية والمعنوية. (٢٢: ٢٣)

## ذُلَّا

ثم كل من كل الثمرات فاسئلنكم سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه... التحل: ٦٩

(الطبري ٧: ٦١٣)

فتادة أي مطبعة.

يعني مطبعة منقاد. (الطبري ٦: ٢٨)

السدي: أي ذليلة لذلك. (٣٢٨)

أين زيد: الذلول: الذي يقاد، يذهب به حيث

أراد صاحبه، فهم يخرجون بالتحل ينتجعون بها

ويذهبون وهي تنهشهم.

وقرأوا ولم يروا إلّا خلقنا لهم مبعثاً غيرنا

العلماء فهم لها ما يكون. وذلكها لهم يس: ٧١.

(الطبري ٧: ٦١٣)



الفرأه: نعت للسبل، يقال: سبل ذلول، وذُلُّ للجمع. ويقال: إن الذُّلَّ نعت للتحل، أي ذُلِّلت لأن يخرج الشراب من بطونها. (١٠٩: ٢)

الأخفش: واحداه: الذُّلُّ، وجماعة الذُّلُّ: الذُّلُّ. (٦٠٧: ٢)

ابن قتيبة: أي منقادة بالتسخير. وذُلُّ: جمع ذُلُّ. (٢٤٦)

الطبري: فاسلكي طرى ربك ذُلًّا، يقول: مَذْلَّةٌ للرب، والذُّلُّ: جمع ذُلُّ. [إلى أن قال:]

وعلى هذا التأويل الذي تأوله مجاهد: طرُقًا ذُلًّا، «الذُّلُّ» من نعت «السبل». والتأويل على قوله: «فاسلكي سبل ربك ذُلًّا» الذُّلُّ للرب لا يتجرع عليك سبل سلكته، ثم أسقطت الألف واللام لتجوز على الحال. [إلى أن أضاف: بعد قول ابن زيد:]

فعلى هذا القول: مطيعة، «الذُّلُّ» من نعت «السبل». و«التحل» وكلا القولين غير بعيد من الصواب في الصحة وجهان مُخرجان، غير أننا اخترنا أن يكون نعتا للسبل، لأنها أقرب. (٦١٣: ٧)

نحوه ملخصا الطبرسي: (٣٧٢: ٣) الزَّجَّاج: أي قد ذُلِّسها الله لملكه، وسهل عليها مسالكها. (٢١٠: ٣)

التعلي: قال بعضهم: «الذُّلُّ» يعني الطرق، ويقول: هي مَذْلَّةٌ للتحل.

وقال آخرون: «الذُّلُّ» نعت لـ «التحل». [ثم ذكر قول قتادة:] (٢٨: ٦)

الطُّوسِي: والذُّلُّ: جمع ذُلُّ، وهي الطريق

الموطأة للسلوك... وقال قتادة: «ذُلًّا» أي مطيعة، ويكون من صفة «التحل». وقال غيره: هو من صفات الطريق، ومعنى «ذُلًّا»: أنه قد ذُلِّس لها لك وسهل عليك سلوكها، وفي ذلك أعظم اليسر وأظهر الدلالة على توحيده تعالى، وأنه لا يقدر عليه سواه. (٤٠٤: ٦)

الواحدى: جمع ذُلُّ، وهو المنقاد للثن المسخر. ويجوز أن يكون من نعت «التحل»، يعني مطيعة للتسخير وإخراج العمل من بطنها. وهذا قول قتادة واختيار ابن قتيبة. ويجوز أن يكون من نعت «السبل»، وهو قول مجاهد. قال: لا يتوخر عليها مكان سلكته، وهي ترعى الأساكن البعيدة ذوات النبال. واختاره الزجاج. لأنه قال: قد ذُلِّسها الله للرب وسهل عليها مسالكها. (٧١: ٣)

نحوه ابن عطية (٤٠٦: ٣)، وابن الجوزي (٤: ١٦٦)، وأبو حنبل (٥١٢: ٥).

البهوي: [نحو التعلي ثم قال:] يقال: إن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان، ولها يصوب إذا وقف وقفت وإذا سارت سارت. (٨٦: ٣)

المبيدي: جمع ذُلُّ، أي منقادة مسخرة مطيعة لله عز وجل، وبهذا القول «ذُلًّا» حال لـ «التحل» وصف له، ويجوز أن يكون نعتا لـ «السبل»، أي هي مَذْلَّةٌ للتحل سهلة السلوك. (٤١١: ٥)

نحوه الصالبي: (٢٣٤: ٢) الزَّجَّاجُ شَرِي: جمع ذُلُّ، وهي حال من

والقول الأول هو الأظهر، وهو أنه حال من الطريق، أي فاسلكها مُدْلَلَةٌ لك، نص عليه مُجاهد.

(٢٠٥: ٤)

البرُّوسوي: جمع ذُلُول، أي موطأة للسلوك مسهلة، وذلك أنها إذا أُجِدب عليها ما حولها سافرت إلى المواضع البعيدة في طلب التَّجَسُّع، ثم ترجع إلى بيوتها من غير التَّباس وانحراف. (٥١: ٥)

الشُّوكاني: ﴿فَاسْئَلْهُ﴾ إلى بيوتك راجعة سيل ربك لا مصلين فيها. وانتصاب ﴿ذُلُّلاً﴾ على الحال من «السُّبُل»، وهي جمع ذُلُول، أي مُدْلَلَةٌ غير متوجِّهة.

الآلوسي: أي مُدْلَلَةٌ، ذُلُّها لله تعالى وسهِّلها له، وهو جمع «ذُلُول»، حال من «السُّبُل»، وروي هذا عن مُجاهد. وجعل ابن عبد السلام وصف «السُّبُل» بهذه الذَّلِيلَة، دليلًا على أن المراد به «السُّبُل» مسالك الفناء لا طرق الزَّهَاب أو الإِيَاب، قال: لأنَّ التحل تذهب وتؤوب في الهواء، وهو ليس طُرُقًا ذُلُّلاً، لأنَّ الذُّلُول هو الذي يُدْلَلُ بكثرة الوطء، والهواء ليس كذلك، وفيه نظر. (١٨٤: ١٤)

القاسمي: جمع ذُلُول، حال من «السُّبُل» أي مُدْلَلَةٌ ذُلُّها لله للسهولة، فهي تسلك من هذا الجوّ العظيم والبراري الشاسعة، والأودية والجهال الشاهقة. ثم تعود كل واحدة منها إلى بيتها، لا تحيد عنه مِنَّةً ولا يسرةً.

(٣٨٢٧: ١٠)

نحو: المَرَاغِي. نحو: المَحَارِي: ... فاسْئَلْهُ في الطريق الذي أَمْلَكَ الله،

«السُّبُل»، لأنَّ الله ذُلُّها لها ووطأها وسهِّلها، كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ الملك: ١٥، أو من الضمير في ﴿فَاسْئَلْهُ﴾ أي وأنت ذُلُّ منقادة لما أمرت به غير مُمتنعة.

نحو: الضَّحْر الرَّاغِي (٧٢: ٢٠)، والفُكْبَرِي (٢: ٨٠٢)، واليَتَاوِي (٥٦٢: ١)، والتَّسْقِي (٢٩٢: ٢)، واليَسَابُورِي (٩٠: ١٤)، والحَازِن (٨٣: ٤)، وابن جُرِّي (١٥٧: ٢)، والسَّيْن (٣٤٦: ٤)، والتَّيْسُوعِي (٢٤٥: ٢)، وأبو السُّعُود (٧٥: ٤)، والكَاثِلَانِي - مَلْخَصًا - (١٤٣: ٣)، والمَشْهَدِي (٣٥٦: ٥)، وشَهْر (٤٢٨: ٣).

أبو الفُتُوح: أي مطيعة منقادة. قال بعض: هو حال من «التَّحَلُّلِ»، وقال بعض آخر: حال من «السُّبُلِ»، وهو على القول الأول حال من الفاعل، «على القول الثاني حال من المفعول. والمراد بـ «السُّبُلِ» مسالك الطرق كلما شئت فاسْئَلْهُ فيها. (١٢: ٦٣)

القرطبي: جمع ذُلُول، وهو المنقادة، أي مطيعة مسخرة. فـ ﴿ذُلُّلاً﴾ حال من «التَّحَلُّلِ»، أي تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها، لأنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا، قاله ابن زيد، وقيل: المراد بقوله: ﴿ذُلُّلاً﴾ السُّبُل، واليَتَسُوب: سيد التحل، إذا وَفَّه وَفَّهَتْ وإذا سَارَسَاوَتْ.

ابن كثير: [ذكر قول قتادة وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وقال:]

فيبعلاه حالاً من السَّائِلَةِ. [ثم ذكر قول ابن زيد وقال:]

وَذُلَّ ذَلِكَ الطَّرِيقَ وَسُخِّرَهُ لِلَّهِ.

وقيل: إنَّ ﴿ذُلَّ﴾ حال عن ﴿التَّحَلُّ﴾ لا عن الطريق، أي فاسلكي منقادةً ومقهورةً لأمر ربك هذا. وإنَّ الله سبحانه جعل لنظم العالم - لكل فئة وجماعة - يَفْسُوتًا هو أمرها يقدمها ويحامي عنها ويُسَوِّبها، والجماعة تتبعه - تقتضي أمره - متى فقدته انحلت نظامها وتفرقت شذر منثر. وإلى هذا المعنى أشار عليٌّ عليه السلام وقال: «أنا يصوب المؤمنين».

فريد وجدي: أي مُدَلَّاة مُنْهَدَة: جمع ذُلُول.

(٣٥٤)

عِزَّةٌ دُرُوزَةٌ: جمع ذُلُول، بمعنى مُنْهَد، والكلمة بمعنى مُسْبَرَّةٍ أَوْ مُدَلَّاةٍ.

ابن عاشور: جمع ذُلُول، أي مُدَلَّاة مُسْبَرَّةٌ لِدَلِّهِ لَذَلِكَ السَّلُوكِ.

صَلْتَنَةٌ: أَدْخَلِي الطَّرِيقَ الَّتِي ذَلَّهَا وَعَبَّدَهَا فَتُخْبِرُكَ بِهَا.

(٥٢٩: ٤)

الطُّبَاطِبَاتِي: وقوله: ﴿فَاسْئَلْكِ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا﴾ تَفْرِيعُهُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْأَكْلِ يُؤَيِّدُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ رَجُوعُهَا إِلَى بَيْوتِهَا، لِتُدَوِّعَ فِيهَا مَا هَيَّأَتْهُ مِنَ السَّلِّ الْمَأْخُوذِ مِنَ الثَّمَرَاتِ. وإضافة «السُّبُل» إلى «الرَّبِّ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْجَمِيعَ بِإِلْهَامِ إِلَهِيٍّ.

عبد الكريم الخطيب: والأمر الموجه إلى التحل بأن يسلك سُبُلَ رَبِّهِ ذُلًّا، هو إِنْذَنُ مِنَ الْحَسَانِيِّ جَلٍّ وَعَلَا، لِلتَّحَلِّ أَنْ يَنْطَلِقَ عَلَى طَبِيعَتِهِ، وَأَنْ يَسِيرَ عَلَى مَا تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ غَرِيزَتُهُ، حَيْثُ لَا تَتَصَادَمُ هَذِهِ الْغَرِيزَةُ بِشَيْءٍ غَرِيبٍ، يَدْخُلُ عَلَيْهَا مِنْ إِرَادَةٍ أَوْ تَفَكِيرٍ.

فَالسُّبُلَ الَّتِي تَسْلُكُهَا التَّحَلُّ فِي بِنَاءِ بَيْوتِهَا، وَفِي تَنَاوُلِ طَعَامِهَا، وَفِي الشَّرَابِ الَّذِي تُخْرِجُهُ مِنْ بَطُونِهَا، كُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي عَلَى سَنَنِ مُسْتَقِيمٍ لَا يَنْحَرِفُ أَبَدًا، وَبَسِيرٍ فِي طَرِيقٍ مُدَلَّلٍ مُعَبَّدٍ. هُوَ طَرِيقُ اللَّهِ، وَهُوَ فِطْرَةُ اللَّهِ.

مكارم الشيرازي: جمع ذُلُول، بمعنى التسليم، والالتقاد، ووصف الطرق بالذُّلُّ، لأنها قد عُثِّتْ بِدَقَّةٍ تُتَكُونُ مُسَلِّمَةً وَمُنْقَادَةً لِلتَّحَلِّ فِي تَقْلِيدِهِ، وَسَنَشِيرِ [إِلَى كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ قَرِيبًا. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

السُّبُلَ الْمُدَلَّلَةَ!

لقد توصل العلماء المتخصصون بدراسة حياة التحل إلى ما يلي: تخرج في كل صباح مجموعة من التحل لمعركة أماكن وجود الأوراد وتعيينها، ثم تعود إلى الخلقة لتخبر بقية التحل عن أماكن الورد، فتنبيه: أَدْخَلِي الطَّرِيقَ الَّتِي ذَلَّهَا وَعَبَّدَهَا فَتُخْبِرُكَ بِهَا. بين الورد والخلقة.

وتستعمل التحل أحيانًا - لأجل تعيين طرق وصوله إلى الأوراد - علامات خاصة، كأن يُشَخَّصَ طبيعة الروائح المنتشرة على طول الطريق، أو ما شابه ذلك، وذلك لضمان عدم إضاعة الطريق ذهائبًا وإيائًا. ولعل عبارة ﴿فَاسْئَلْكِ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا﴾ إشارة لهذه الحركة.

فضل الله: ﴿فَاسْئَلْكِ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا﴾ فِي مَا ذَلَّ اللَّهُ لِلَّهِ مِنَ وَسَائِلٍ لِلْحَصُولِ عَلَى مَا تَرِيدِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَرَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يُلْهِمَ الْمَخْلُوقَاتِ مَا تَمَلِكُهُ، وَأَنْ يُسَهِّلَ لَهَا السَّبِيلَ إِلَى ذَلِكَ، وَبِذَلِكَ تَكُونُ النَتِيجَةُ

الطَّيِّبَةُ الْحُلُوءَةُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّحَلُّ.

(٢٥٧: ١٣)

كُلُّ

قُلْ اللَّهُمَّ مَا لِلَّهِ الْمُلْكُ أَوْ لِلرَّسُولِ الْمُلْكُ مِنْ تَشَاءُ  
وَكُلُّهُ الْمُلْكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَكُلُّ مَنْ  
تَشَاءُ بِبَيْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

آل عمران: ٢٦

ابن عباس: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بِمَعْنَى مَحْتَدًا  
﴿وَكُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بِمَعْنَى عَبْدًا لِهَ بِنِ أَبِي بِنِ سُلُوكِ  
وَأَصْحَابِهِ، وَأَهْلَ خَارِسَ وَالرُّومِ. (٤٥)

عطاء: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ،  
﴿وَكُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: خَارِسَ وَالرُّومَ.

(التعليق ٣: ٤٤)

الحسين بن الفضل: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِالْجَنَّةِ  
وَالرَّوْبَا، ﴿وَكُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِالْأَثَرِ وَالْمَجَامِدِ وَتَحْتِ كُتُبِهِ  
(التعليق ٣: ٤٤) عليه.

الجبائي: إِنَّهُ تَعَالَى إِذَا يَذَلُّ أَعْدَاءَهُ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ، وَلَا يَذَلُّ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَإِنْ أَقْرَبَهُمْ  
وَأَمْرَهُمْ وَأَحْوَجَهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، لِأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا  
يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ يُعِزُّهُمْ فِي الْآخِرَةِ، إِذَا بِالْأَوَابِ،  
وَأَمَّا بِالْعَوَضِ، فَصَارَ ذَلِكَ كَالْفَصْدِ وَالْحِجَابَةِ، فَإِنَّهُمَا  
وَإِنْ كَانَا يُؤْمَانُ فِي الْحَالِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمَّا كَانَا يَسْتَعْقِبَانِ  
نَفْعًا عَظِيمًا، لَا جَرَمَ لَا يُقَالُ فِيهِمَا: إِنَّهُمَا تَعَذِّبُ، إِذَا  
وُصِفَ الْفَقْرُ بِأَنَّهُ ذُلٌّ، فَعَلَى وَجْهِ الْجَبَازِ، كَمَا سَمِيَ اللَّهُ  
تَعَالَى لِيُنِ الْمُؤْمِنِينَ ذُلًّا، بِقَوْلِهِ: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾  
(الفخر الرازي ٨: ٨٨) الحاشية: ٥٤.

الطَّيِّبِي: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِإِعْطَائِهِ الْمُلْكَ  
وَالسُّلْطَانَ، وَبَسْطِ الْقُدْرَةِ لَهُ، ﴿وَكُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾:  
بِسُلْبِكَ مُلْكَهُ، وَتَسْلِيْطِ عَدُوِّهِ عَلَيْهِ. (٢٢٢: ٣)

نحوه ملخصًا التسمي: (١٥٢: ١)

الثعالب: يُقَالُ: عَزَّ، إِذَا غَلَبَ، وَذُلَّ يَذَلُّ ذُلًّا، إِذَا  
غَلِبَ وَتَهَرَّ. [ثم استشهد بشعر] (٣٧٩: ١)

نحوه القرطبي: (٥٥: ٤)

الطَّيِّبِي: قِيلَ: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِمَحْتَدًا  
وَأَصْحَابِهِ حِينَ دَخَلُوا مَكَّةَ وَعَشْرَةَ آلَافٍ ظَاهِرِينَ  
عَلَيْهَا، وَ﴿وَكُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: أَبَا جَهْلٍ وَأَصْحَابَهُ حِينَ  
حَزَّوْا رِثْوَتَهُمْ وَأَقْوَامَ الْقَلْبِ.

وقيل: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِالْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ،  
﴿وَكُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِالْخُذْلَانِ وَالْحَرَمَانِ.  
وقيل: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِإِتْمَالِكَ وَالتَّسْلِيْطِ،  
﴿وَكُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِسُلْبِ الْمُلْكِ وَتَسْلِيْطِ عَدُوِّهِ  
عَلَيْهِ.

الوراثي: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِقَهْرِ النَّفْسِ وَمُخَالَفَةِ  
الْهَوَى، ﴿وَكُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِاتِّبَاعِ الْهَوَى.

الكفائي: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِقَهْرِ الشَّيْطَانِ،  
﴿وَكُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِقَهْرِ الشَّيْطَانِ لَنَا.

وقيل: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِالْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا،  
﴿وَكُلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِالْخِزْيِ وَالطَّعْمِ.

وقيل: ﴿وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بِإِخْلَاصِ، ﴿وَكُلُّ مَنْ  
تَشَاءُ﴾: بِالرَّيَاءِ. (٤٤: ٣)

نحوه الخازن: (٢٨١: ١)

الماوردي: يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ:

أحدها: ﴿يُحِيزُ مَنْ قَضَاءُ﴾: بالطاعة، ﴿وَيُكْذِلُ مَنْ قَضَاءُ﴾: بالمعصية.

والثاني: ﴿يَمِيزُ مَنْ تَشَاءُ﴾: بالتصريح، وهو قليلٌ من  
تَشَاءُ: بالتهم.

وَالْقَالَتِ: ﴿يُعِزُّ مَن شَاءُ﴾ بِالْفَتْحِ. ﴿وَيُذِلُّ مَن﴾  
شَاءَ بِالْفَتْحِ. (١: ٣٨٤)

الْقَشِيرِي: ﴿وَكُفِّرْ عَنْ قَتْلَاءٍ﴾ بِمِزْ ذَاتِكَ،  
﴿وَكُلِّلْ مِنْ قَتْلَاءٍ﴾ بِفِذْلَانِكَ.

وَوَيْدُكَ، ﴿وَوَيْدُكَ﴾ وَوَيْدُكَ مِنْ عَشَاءٍ بِأَنْ يَحْبُذَكَ وَيَفْقِدَكَ.

﴿وَكَيْفَ مَنَ كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: بِمَنْ إِبْرَاهِيمَ، ﴿وَعِزُّوهُ مَنِ﴾  
 كُتِبَ عَلَيْهِ: بِوَحْيِهِ إِعْرَاضًا.

وَوَكِّرْ مِنْ كُشَاءُ: يَا تُونِسَ بَك. وَوَكِّرْ مِنْ  
عُشَاءُ: يَا تَوْحَةَ عُنْكَ.

﴿وَنُفِخُ فِي سُفُوفٍ مِّنْ نَّسَمٍ﴾ ﴿يَبْجُلُونَكَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ﴾ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِشَرِّ الْأُمَمِ حَقْدًا﴾ ﴿وَنُفِخُ فِي سُفُوفٍ مِّنْ نَّسَمٍ﴾ ﴿يَبْجُلُونَكَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ﴾ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِشَرِّ الْأُمَمِ حَقْدًا﴾

﴿وَكَيْفَ يُزَكِّيهِمْ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾: يسقط أحكام نفسه،  
﴿وَيُزَكِّيهِمْ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾: بقلية غايغة نفسه.

﴿وَيُؤَيِّدُ مَنِ نَشَاءُ﴾: بطوائف أئمة. ﴿وَعَزَّزَ مَنْ﴾  
نَشَاءُ: بطوائف نفسه.

﴿وَكَيْفَ مِنْ ثَنَاءٍ﴾: بِسَبْطِهِ بِكَ، ﴿وَعَزْلٍ مَنْ﴾  
ثَنَاءٍ: بِقِيَصِهِ عَنْكَ.

﴿وَكُلِّمِي الْمَلَائِكَةَ مِنْ تَحْتِهَا﴾: بعد فطاق خدمتك،  
﴿وَكُلِّمِ الْمَلَائِكَةَ مِنْ تَحْتِهَا﴾: بنفيه عن ساط

وَيُؤْتِيهِم مِّنْهُم مَّا يَشَاءُونَ يُزَكِّهِمْ وَلَهُم مِّنْهُم مَّا يَشَاءُونَ

﴿وَلَنُفِخَ فِي السُّنُوفِ مِمَّنْ نَّشَاءُ﴾: يَنْ تَرْطِيبُ قَلْبِهِ بِمَخْلُوقٍ،  
﴿وَلَنُفِخَ فِي مِمَّنْ نَّشَاءُ﴾: بِإِقَامَتِهِ بِالإِرَادَةِ، ﴿وَلَنُفِخَ فِي مِمَّنْ

نَشَأَ: ﴿١٠﴾ بِرَدِّهِ إِلَى مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَادَةِ. (٢٤٢: ١)  
أَبْنُ عَرَبٍ: ﴿١٠﴾ وَتَلَوْنَاهُ مِنْ نَشَأٍ: بِإِلْقَاءِ نُورٍ مِنْ

أَنُورَ عِزِّكَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَهُ جَمِيعًا، ﴿وَقُلْ لِّمَنْ شَاءَ﴾ بِسُلْطَانِ عِزِّكَ عِنْدَهُ، فَيُفِيقِي ذَلِيلًا.

الطُّرْسِي: ﴿وَقِيمُوا مِنْ عَتَاءٍ﴾ بِالْإِيمَانِ

والطاعة، ﴿وَلِذَلِكَ تَنْتَضَهُ﴾ بالكفر والمعاصي،  
وقيل: تَعَزَّ المؤمن بتكليمه والتناء عليه، وتُذَلُّ

والكافر بالجنّة والسّي.

وقيل: تمزّ محمدًا وأصحابه، ونذلّ أبا جهل

وأخبراه من المفتولين يوم بدر في القلب.

وقيل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كُفَّاهُ﴾: من أولائك بأنواع

الَّذِينَ فِي النَّفْسِ وَالْذِّمَنِ، ﴿وَنُفُلٌ مِّنْ نَّفْسٍ﴾ مِّنْ أَعْدَائِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَهْدِلُ

أولها: وإن أقرهم وابتلاهم. فإن ذلك ليس على سبيل الإذلال، بل لثكرهم بذلك في الآخرة، يُعزِّهم

وَجَعَلَهُمْ غَايَةَ الْإِعْزَازِ وَالْإِجْلَالِ. (٤٢٨:٦)  
ابن الجوزي: «وَجَعَلَهُمْ غَايَةَ الْإِعْزَازِ وَالْإِجْلَالِ» : مُحَمَّدًا وَأُمَّهُ

﴿وَالَّذِي مِّنْ تَشَاءُ﴾: فارس والروم.  
وعماذا يكون هذا العزو والذلل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: العزْبُ بالصَّوْرِ والذُّلُّ بِالْفَهْرِ.  
والثَّانِي: العِزُّ بِالْفَتْحِ والذُّلُّ بِالْفَتْحِ.

والثالث: العزَّ بالطاعة والذلُّ بالمعصية.  
(٣٦٩: ١)

الفخر الرازي: [نقل قول الجبائي وأضاف:]

إذا عرفت هذا، فنقول: إذلال الله تعالى عبده المبطل إنما يكون بوجوه: منها: بالذم واللعن، ومنها: بأن يخذلهم بالحجة والتصرة، ومنها: بأن يجعلهم خولاً لأهل دينه، ويجعل ما لهم غنية لهم، ومنها: بالعقوبة لهم في الآخرة. هذا جملة كلام المعتزلة.

ومذهبنا أنه تعالى يعزّز البعض بالإيمان والمعرفة، ويذل البعض بالكفر والضلالة، وأعظم أنواع الإعزاز والإذلال هو هذا، والذي يدل عليه وجوه:

الأول: وهو أن عز الإسلام وذل الكفر لا بد فيه من فاعل، وذلك الفاعل إما أن يكون هو المبدأ أو الله تعالى، والأول باطل، لأن أحدا لا يختار الكفر لنفسه، بل إنما يريد الإيمان والمعرفة والهداية، فلما أزد العبد الإيمان ولم يحصل له بل حصل له الجهل، علمنا أن حصوله من الله تعالى لا من العبد.

الثاني: وهو أن الجهل الذي يحصل للعبد إما أن يكون بواسطة شبهة وإما أن يقال: بفعله العبد ابتداءً، والأول باطل؛ إذ لو كان كل جهل إنما يحصل بجهل آخر يسبقه ويتقدمه لزم التسلسل وهو محال، فبقي أن يقال: تلك الجهلات تنتهي إلى جهل بفعله العبد ابتداءً من غير سبق موجب أثبتة. لكننا نجد من أنفسنا أن العاقل لا يرضى لنفسه أن يصير على الجهل ابتداءً من غير موجب، فعلمنا أن ذلك بإذلال الله عبده وبخذلاته إياه.

الثالث: ما بيننا أن الفعل لا بد فيه من الداعي والمرجع، وذلك المرجع يكون من الله تعالى، فإن كان

في طرف الخير كان إعزازاً، وإن كان في طرف الجهل والشر والضلالة كان إذلالاً؛ فثبت أن المعز والمذل هو الله تعالى. (٨: ٨)

البيضاوي: ﴿وَعِزُّ مَنْ نَشَاءُ وَذُلُّ مَنْ نَشَاءُ﴾ في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما، بالتصريح والإدبار، والتوفيق والمخذلان. (١: ١٥٤)

نحوه المشهدي (٢: ٤٩)، وشبّر (١: ٣٠٩)، والشوكاني (١: ٤١٩)، والمحائري (٢: ١٧٩).

السيبوري: كل من الإعزاز والإذلال في الدين أو في الدنيا، ولا عزّة في الدين كعزّة الإيمان ﴿وَرَفَّ الْعِزَّةُ وَلِرُسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ المنافقون: ٨، وفي ضده لا ذلة كذلة الكفر.

وعزّة الدنيا كإعطاء الأموال الكثيرة من الساطق والصابغ، وتكثير الحرث وتكثير الثناج في الدواب، وإعطاء الغلبة في قلوب الخلق، وكل ذلك بتيسير الله تعالى وتقديره. (٣: ١٦٤)

التأويل: ﴿وَعِزُّ مَنْ نَشَاءُ﴾ بعزّة الوجود الثوري، ﴿وَذُلُّ مَنْ نَشَاءُ﴾ بذلّ القهض القهري. (٣: ١٧٢)

أبو حيان: [نقل الأقوال نحو الثعلبي، وأضاف:] وقيل: [يعزّز] بالتوفيق والعرفان، ومذل بالمخذلان...

وقيل: بالفخر والغنيمة، ومذل بالقتل والجزية. وقيل: بالإخلاص، ومذل بالرياء...

وقيل: يميز بقر الشيطان، ومذل بقر الشيطان إياه، قاله الكفائي. يعني حمل هذه الأقاويل على

التمثيل، لأنه لا يختص في الآية، بل الذي يقع به العز  
والذل سكوت عنه.

■ للمعتزلة هنا كلام مخالف لكلام أهل السنة،  
قال الكوفي: توفي الملك على سبيل الاستحقاق من  
يقوم به، ولا تنزعه إلا بمن فسق، يدل عليه ﴿لَا يَسْأَلُ  
عَنْهُمْ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤، ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ  
عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ٢٤٧، جعل الاصطفاء سبباً للملك،  
فلا يجوز أن يكون ملك الظالمين بإيثاقه وقد يكون،  
وقد ألزمهم أن لا يتعلكوه، فصيح أن الملوك العادلين  
هم المخصوصون بإيثاق الله الملك، وأما الظالمون فلا،  
أما التزعف بخلافه، فكما ينزعه من العادل لمصلحة،  
فقد ينزعه من الظالم.

وقال القاضي عبد الجبار: الإعزاز المضاف إليه  
تعالى يكون في الدين بالإمداد بالأنطاف، ومدحهم  
وتعليقهم على الأعداء، ويكون في الدنيا بالمال  
وإعطاء الهبة، وأشرف أنواع العزة في الدين هو  
الإيمان، «أذل الأشياء الموجبة للذة هو الكفر، فلو  
كان حصول الإيمان والكفر من العبد، لكان إعزاز  
العبد نفسه بالإيمان وإذلاله نفسه بالكفر، أعظم من  
إعزاز الله إياه وإذلاله، ولو كان كذلك كان حفظه من  
هذا الوصف أتم من حفظه سبعائه، وهو باطل قطعاً،  
[ثم ذكر قول الجبائي كما سبق عن الفخر الرازي]

(٤١٩: ٢)

الشرييني: [نحو التعليق وأضاف:]

وقيل: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بالتهجد، ﴿وَتُذِلُّ مَنْ  
تَشَاءُ﴾ بتركه.

(٢٠٦: ١)

أبو السعود: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ أن تعزه في  
الدنيا أو في الآخرة أو فيهما بالتصريح والتوفيق،  
﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ أن تذلّه في إحداها أو فيهما، من  
غير محابطة من الغير ولا مدافعة.

(٣٥٢: ١)

منه البروسوي: (١٨: ٢)

الكاشاني: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ في الدين  
والدنيا، ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾

(٣٠١: ١)

الشريف العاملي: والزلة والأذلة وما يفيد  
مفاد ذلك كذل مثلاً أصل الزلة والذل بالضم: الهوان  
مقابل العزة، وهو في الأصل: القوة والشدة والغلبة،  
وفي أسماء الله تعالى العزيز، أي الغالب القوي الذي  
لا يهلب، وكذا من أسمائه عز وجل: الميز والمزول، أي  
الذي هو يهب المز من يشاء ويلحق الذل بمن يشاء.

لذا جاء الذل بالكسر، وقد يضم أيضاً بمعنى  
الذل والانهك، وهذا الصيغة، كما أن الأول ضد  
العزة، ومنه إطلاق «الذليل» على كل مطيع متواضع  
من الناس، و«الذلول» على المطيع من غير الناس،  
هذه صفة مدحوة، كما سيظهر، ومقابلها العزة أيضاً  
بمعنى التكبر والتجبر والحمية كما في قوله تعالى:  
﴿أَخَذَ اللَّهُ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ﴾ البقرة: ٢٠٦.

وإذا عرفت هذا فاعلم: أن الآيات والأخبار التي  
منها ما في سورة المنافقين: ٨، من قوله تعالى: ﴿وَرَبِّهِ  
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ صريحة الدلالة على أن  
العزة كما هي لله ولرسوله، وهما عزيزان غاليان  
منيعان، كذلك هي للأئمة وشيعتهم الكاملين الذين  
دخلوا في المؤمنين.

حديث له في صفة الإسلام: «إن الله جعل الإسلام عزاً لمن تولاه وأعزَّ أركانه لمن حاربه». الخبر. وسيأتي تأويل الإسلام أيضاً، فافهم. لكن هذا غير التذلل المأمور به الممدوح الذي ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٥٤. وقوله تعالى: ﴿وَالْخَفِضُ لَهُمَا جُنَاحُ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ الإسراء: ٢٤. ونحوهما. لأن المراد به التواضع الذي هو خلاف التكبر الذي هو من صفات الأعداء، كما شرحناه آنفاً ومرّ في «الجناح» و«يأتي في» «الكبر» فتأمل.

«الذُّلُّ» وما يعناه كذلك ونحوه. هو مقابل الصعب، أي المطيع لما أمر به، كما مرّ آنفاً. وقد يُكْنَى في الإنجان عن حسن الخلق، فعلى هذا ربما أمكنت التأويل مهما بنا سبب بالانقياد، لما أمر الله به من «الولاية والطاعة لله معها»، ونحو ذلك فافهم. (١٥٣) الألويسي: [مثل أبي السعود، ثم ذكر بعض الأقوال كما سبق عن أبي حنبل وأضاف:] وقيل: تُعزُّ الأحياء بالجنة والرؤية، وتُذلُّ الأعداء بالتأثر والهجاب.

وقيل: ﴿تُعِزُّ﴾ بالفتاعة والرضا، و﴿تُذِلُّ﴾ بالحرص والطمع. وينبغي حمل سائر الأقوال على التحليل، لأنه لا يختص في الآية. (١١٤: ٣) ومن باب الإشارة: ... ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بإتقاء نور من أنوار عزتك عليه، فإن العزة لله جميعاً، ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بسلب لباس عزتك عنه فيبقى ذليلاً.

(١١٩: ٣)

ومنه يظهر أن أعداءهم المخالفين لهم من أهل الذلّة والهوان، فهم الأذليون عند الله في الدنيا والآخرة، ولا تقيدهم العزة والعلية الظاهرية في قلائل أيام تغلبهم الفانية، كما هو ظاهر.

قال الكفعمي: رحمه الله في قوله: ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: أي تُعزُّ من تشاء بالإيمان والطاعة، وتُذلُّ من تشاء بالكفر والعصية، أو تُعزُّ المؤمن بتعظيمه والتثناء عليه وإدخاله الجنة، وتُذلُّ الكافر بالجزية والسبي وإدخال النار. ثم قال: وليس إحقاره تعالى وابتلاءه لأوليائه إذلالاً، بل لتكريمهم في الآخرة، انتهى.

وهو كما قال، ويدل عليه الأخبار، منها: ما سيأتي في الملوك، ثم من شواهد ما ذكرناه ما سيأتي في سورة المجادلة: ٢٠، في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ قَبِلَ الْأُذُنَ﴾ سرى ما سيأتي في سورة المنافقين، وفي تفسير القمي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [إلى قوله تعالى: ﴿وَوَرَفَقَهُمْ ذُلٌّ﴾ يونس: ٢٧، قال عليه السلام: «هؤلاء أهل البدع والشبهات والشبهات، يسوء الله وجوههم ويلبسهم الذلّة والصغار».

وسيأتي بعض الأخبار في تضاعيف الكتاب كسورة شوري وغيرها، وفي الزيارة الجامعة: «بكم أخرجنا الله من الذل»، وهو صريح فيما ذكرناه، ويؤيده ما في «الكافي» عن الرضا عليه السلام: «الإمامة عز المؤمنين»، وقال أيضاً: «والإمام عز المسلمين».

وفي «الكافي» أيضاً عن علي عليه السلام أنه قال في



رشيد رضا: العِزُّ والذُّلُّ معروفان، ومن آثار الأول: حماية الحقيقة ونفاذ الكلمة، ومن أسبابه كثرة الأعوان وملك القلوب بالجاه والعلم التافع للناس، وسعة الرزق مع التوفيق للإحسان، ومن آثار الثاني: الضعف عن الحماية، «الرضى بالضميم والمهانة، كذا قال الأستاذ الإمام».

وقد يكون الضعف سبباً «علّة للذلّ لأثره معلولاً وهو الغالب، ولا تلازم بين العِزِّ والملك، فقد يكون الملك ذليلاً إذا ضعف استقلاله بسوء السياسة وفساد التدبير، حتى صارت القول الأخرى تفشّت عليه كما هو مشاهد، وكم من ذليل في مظهر عزيز، وكم من أمير أو ملك يفرّ الأغرار ما يروته فيه من الأبهة والنفخنة، فيحسبون أنه عزيز كريم، وهو في نفسه ذليل مهين، ومثله كمثل ملوك ملاهي التمثيل «القيارات»، والتشبيه للأستاذ الإمام.

هذا ولا عِزَّ أعلى من عزّ الاجتماع والتعاون على نشر دعوة الحق ومقاومة الباطل، إذا اتبع المجتمعون سنة الله تعالى فأعدوا لكل أمر عدته. فقد كان المشركون في مكة واليهود ومنافقو العرب في المدينة يعتزّون بكثرتهم على النبي والمؤمنين ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المتفقون: ٨، فحسب أن يعتبر المسلمون في هذا الزمان بهذا، ويفقهوا معنى كون العِزَّة لله ولرسوله وللمؤمنين، ويحاسبوا أنفسهم وينصفوا منها، ليعلموا مكانتهم من الإيمان الذي حكم الله لصاحبه بالعِزَّة

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَفَرَأَى إِنْ آمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤. (٣: ٢٧١)

المرأغي: للعِزَّة آثار وللذلّ مثلها، فالعِزُّ يكون نافذ الكلمة كثير الأعوان، مالكاً للقلوب بجاهه أو علمه التافع للناس، مع بسطة في الرزق وإحسان إلى الخلق.

والذلّ يل يرضى بالضميم والمهانة، ويضعف عن حماية المحريم، ومقاومة العدو المهاجم، ولا عِزَّ أعظم من عزّ الاجتماع والتعاون على نشر دعوة الحق ومقاومة الباطل إذا سار المجتمعون على السنن التي سنّها الله لعباده، فأعدوا لكل أمر عدته. ولا عبرة بكثرة عدد الأمة وقلّته في تكوين العِزَّة واجتماع القوة، فقد كان المشركون في مكة واليهود ومنافقو العرب في المدينة يعتزّون بكثرتهم على النبي والمؤمنين ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المتفقون: ٨.

والمشاهدة أكبر دليل على صدق هذا، انظر إلى الشعوب الشرقية على كثرة عدد كل شعب منها، كيف سادها وتحكم فيها ملوك الغرب على قلّة عددهم، وما ذاك إلا لقشور الجهل وتفرق الكلمة، والتخاذل في مقاومة الناصب، بل بمائة بعضهم له إذا جاش بصدر بعضهم مقاومته، والسعي في إزالة طغيانه وتحكمه في الرقاب والبلاد (٣: ١٣١)

سيد قطب: وكذلك هو يُعزّ من يشاء ويُذلّ من

لَهُمَا جَنَاحُ الذُّلِّ ﴿الإِسْرَاءُ: ٢٤﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ المائدة: ٥٤.

والعزة من لوازم الملك على الإطلاق، وكل من سواه إذا غلبه شيء فهو تعالى خوله ذلك وملكه، وإن ملك على قوم فهو تعالى آتاه ذلك، فكانت العزة له تعالى محضاً، وما عند غيره منها فإلما هو بإيتائه وإفضاله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَّبِعُونَ عَبْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَهُ جَمِيعاً﴾ النساء: ١٣٩، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المنافقون: ٨، وهذه هي العزة الحقيقية، وأما غير هاتين هاتين هي ذل في صورة عز.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّتِي وَسُلْطَانِي﴾ من: ٧، وَلِذَا أَرَادَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَكَانُوا أُولَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ ص: ٣.

وَاللَّغْنُ بِالْمُقَابَلَةِ مَا يُقَابِلُ الْعِزَّ مِنَ الْحُكْمِ، فَكُلُّ شَيْءٍ غَيْرُهُ تَعَالَى ذَلِيلٌ فِي نَفْسِهِ إِلَّا مَنْ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى، ﴿وَعِزُّ مَنْ كُتِبَ لَهُ الْوِزْرُ﴾ (١٣١: ٣).

حِجَازِي: وَالْعِزَّةُ وَالذَّلَّةُ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى الْمَلِكِ، أَوِ الْمَالِ، فَكَمْ مِنْ مَلِكٍ ذَلِيلٍ، وَفَقِيرٍ عَزِيزٍ الْجَانِبِ مَهَابِ الطَّلَعَةِ. (٤٥: ٣).

فَضْلُ اللَّهِ: بِقُدْرَتِكَ الْغِيْبَةِ الَّتِي تُعْطِي إِنْسَانًا كُلَّ الْعُنَاصِرِ الَّتِي تَجْمَعُ لَهُ ظُرُوفُ الْعِزَّةِ فِي الذَّاتِ وَفِي الْمَوْقِعِ وَالْمَوْقِفِ، كَمَا تَجْنَعُ إِنْسَانًا آخَرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي الذُّلَّ مِنْ خِلَالِ عَدَمِ تَوْفُرِ عُنَاصِرِ الْعِزَّةِ، أَوْ مِنْ خِلَالِ الظُّرُوفِ الْمَوْضُوعِيَةِ الَّتِي تَفْرُضُ عَلَيْهِ الذُّلَّ، مِنْ خِلَالِ اخْتِيَارِهِ الذَّاتِ الَّذِي قَدْ يَحْسُنُ وَقَدْ يَسُوءُ، تَبَعًا

بِمَشَاءِ بِلَا مَقْبَ عَلَى حُكْمِهِ، وَبِلَا جَبْرِ عَلَيْهِ، وَبِلَا رَادٍّ لِقَضَائِهِ، فَهُوَ صَاحِبُ الْأَمْرِ كُلِّهِ، بِمَا أَنَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ، وَمَا يَجُوزُ أَنْ يَتَوَلَّى هَذَا الْإِخْتِصَاصَ أَحَدٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَفِي قَوَامَةِ اللَّهِ هَذِهِ الْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ، فَهُوَ يَتَوَلَّىهَا سَبْحَانَهُ بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، يُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُ الْمَلِكَ مَنْ يَشَاءُ بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، فَهُوَ الْخَيْرُ الْحَقِيقِيُّ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ، وَهِيَ الْمُنِيبَةُ الْمَطْلُوقَةُ وَالْقُدْرَةُ الْمَطْلُوقَةُ عَلَى تَحْقِيقِ هَذَا الْخَيْرِ فِي كُلِّ حَالٍ. (٣٨٤: ١).

مَقْنِيَّةٌ: ﴿وَعِزُّ مَنْ كُتِبَ لَهُ الْوِزْرُ﴾ وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ. ﴿وَكَذَلِكَ مَنْ كُتِبَ لَهُ الْوِزْرُ﴾ الْفَرَسُ وَالرَّوْمُ، وَمَشْرُوكُ الْعَرَبِ. (٣٧: ٢).

الطَّبَاطِبِي: الْعِزَّةُ كَوْنُ الشَّيْءِ يَحِثُّ بِحَسَبِ مَنَالِهِ، وَلِذَا يُقَالُ لِلشَّيْءِ النَّادِرِ الْوُجُودِ: إِنَّهُ عَزِيزُ الْوُجُودِ، أَيْ صَعْبُ الْمَنَالِ. وَيُقَالُ: عَزِيزُ الْكُتُوبِ مَنْ

يَصْعَبُ قَهْرُهُ وَالْغَلْبَةُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ، فَهُوَ صَعْبُ الْمَنَالِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ، وَصَعْبُ الْمَنَالِ مِنْ حَيْثُ مَقَامُهُ فِيهِمْ وَوَجْدَانُهُ كُلِّ مَا لَهُمْ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، ثُمَّ اسْتَصْلَحَ فِي كُلِّ صَعُوبَةٍ، كَمَا يُقَالُ: يَعْزُّ عَلِيٌّ كَذَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَزَّيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ التَّوْبَةُ: ١٢٨، أَيْ صَعْبٌ عَلَيْهِ، وَاسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ غَلْبَةٍ، كَمَا يُقَالُ: مَنْ عَزَّيْزٌ، أَيْ مَنْ غَلِبَ سَلَبٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَزَّيْتُ فِي الْبَيْطَابِ﴾ ص:

٢٣، أَيْ غَلِبَنِي، وَالْأَصْلُ فِي مَعْنَاهُ: مَا مَرَّ، وَيُقَابَلُهُ الذُّلُّ، وَهُوَ سَهُولَةُ الْمَنَالِ بِقَهْرِ مُحَقِّقٍ أَوْ مَفْرُوضٍ، فَسَالِ تَعَالَى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمُسْكِنَةَ﴾ الْبَقَرَةُ: ٦١، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْحَقِيقُ

وَالْحَقِيقُ

لإرادته ولحركة علاقته بالحياة وبالظروف  
وبالأشياء، أو من خلال الأجواء المحيطة به. وهذا ما  
يجعل عبادك يتوجهون إليك في ابتهاجاتهم الخائفة  
ودعواتهم الخاضعة، لتفيض عليهم رحمتك، فتمنحهم  
الملك الذي يحتاجونه والبر الذي يتطلعون إليه، وتمنع  
عنهم سطوة المستكبرين وإذلال الظالمين. (٣٠٢: ٥)

### ذَلَّلْنَاهَا

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا غِلَّتْ أَيْدِيَنَا أَنْعَامًا  
فَهُمْ لَهَا مَا يُكُونُونَ \* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا  
يَأْكُلُونَ.

يس: ٧١ و ٧٢

ابن عباس: سخرناها. (٣٧٣)

مثلته السعدي (٨: ١٣٦)، والبغوي (٤: ٣٣).

والمراغي (٢٣: ٣٣).

الطوسي: تذليل الأنعام: تسخيرها بالانقياد...  
ورفع الثور، لأن الوحشي من الحيوان نفور،  
والإنسي مذلل بما جعله الله فيه من الأمن والسكون،  
ورفع عنه من الاستعاض والتفرد. (٨: ٤٧٥)  
الواحدى: أي لم تخلق الأنعام وحشية ناهرة من  
بني آدم، لا يقدر على ضبطها، بل هي مسخرة لهم.

(٤: ٥١٩)

الزمخشري: وهو من جملة النعم الظاهرة،  
وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها؟

(٣: ٣٣٠)

نحوه السعدي.

ابن عطية: معناه: سخرناها ذليلة. (٤: ٤٦٣)

نحوه ابن الجوزي.

الطبرسي: أي سخرناها لهم حتى صارت  
منقادة. (٤: ٤٣٣)

القرطبي: أي سخرناها لهم حتى يقود الصبي  
الجميل العظيم، ويضربه ويحركه كيف شاء، لا يخرج  
من طاعته. (١٥: ٥٥)

البيضاوي: وسخرناها منقادة لهم. (٢: ٢٨٦)

مثلته المشهدي. (٨: ٤٣١)

أبو حيان: وهو من جملة النعم الظاهرة. فلولا  
تذليله تعالى إياها وتسخيره، لم يقدر عليها. ألا ترى  
إلى ما نذمتها لا يكاد يقدر على ردها؟ لذلك أمر

بصبيح الله راعيها، وشكره على هذه النعمة، بقوله:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾

الأخرى: ١٣. (٧: ٣١٧)

ابن كثير: أي جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم  
لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو  
شاء لأقامه وساقه وذلك دليل منقاد معه، وكذا لو  
كان الفطار مائة بعير أو أكثر لساير الجميع يسير  
الصغير. (٥: ٦٣٠)

الشريفي: أي: سخرنا قهاده، ﴿لو شئنا جعلناها  
وحشية، كما جعلنا أصغر منها وأضعف، فمن قدر  
على تذليل الأشياء الصعبة جداً لغيره، قادر على  
تطويع الأشياء لنفسه. (٣: ٣٦٤)

أبو السموء: أي صرناها منقادة لهم بحيث  
لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها، حتى الذبح  
حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ...﴾ فإن

الفاء فيه لتفريع أحكام التذليل عليه وتفصيلها.

(٣١٢: ٥)

نحوه الشوكاني (٤: ٤٧٨)، ومثله الآلوسي (٢٣: ٥٠).

الكاشاني: صيرناها منقادة لهم، فإن الإبل مع قوتها وعظمتها يسوقها الطفل. (٤: ٢٦٠)

الثروسوي: والمعنى: وصيرنا تلك الأنعام منقادة لهم بحيث لا تنحصى عليهم في شيء مما يريدون بها، من: الركوب والحمل والسوق إلى ما شاءوا، والذبح مع كمال قوتها وقدرتها، فهو نعمة من النعم الظاهرة، ولهذا ألزم الله الراكب أن يشكر هذه النعمة، ويسبح بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مَقْرِبِينَ﴾ الزخرف: ١٣. (٧: ٤٣٤)

(١٤: ١٨٠-١٨١)

عزة دروزة: سخرناها أو أخضعناها. (٢: ٢٣٦)

سيد قطب: فيه مطالب راجع: ن ع م: «ألقائنا».

أبن عاشور: والتذليل: جعل الشيء ذليلاً، والدليل: ضد العزيز، وهو الذي لا يدفع عن نفسه ما يكرهه. ومعنى تذليل الأنعام: خلق مهانتها للإنسان في جبلتها، بحيث لا تقدر على مدافعة ما يريد منها، فلإنها ذات قوات يدفع بعضها بعضاً عن نفسه بها، فإذا زجرها الإنسان أو أمرها ذلت له وطاعت مع كراهيتها ما يريد منها: بين سير أو حمل أو حلب أو أخذ نسل أو ذبح. وقد أشار إلى ذلك قوله: ﴿فَعِثُّهَا

رَكُوبُهُمْ وَيَسْتَأْذِنُ كَلْبُهَا﴾. (٢٢: ٢٧٣)

الطُّبَّاءُ طِبَّائِي: تذليل الأنعام: جعلها منقادة لهم غير عاصية، وهو تسخيرها لهم. (١٧: ١١٠)

عبد الكريم الخطيب: أي إنه لو لأن ذلها لله لهم، وجعلها في خدمتهم، لما قدروا عليها، ولما أمسكوا بها: إذ كانت أقوى قوة منهم. ولو شاء الله لجعلها في طبائع الحيوانات المفترسة، التي لا تألف الناس، ولا يألفها الناس، فلا يكون لهم منها نفع أبداً.

(١٢: ٩٥٣)

مكارم الشيرازي: جملة ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ إشارة إلى مآلة في غاية الأهمية، وهي تذليل هذه الحيوانات للإنسان، فخلق الحيوانات القوية والتي تنسي في بعض الأحيان ذلك التذليل الإلهي، وتصور وتفض وتعاود، فتصبح خطيرة إلى درجة أن عشرات الأشخاص لا يمكنهم الوقوف أمامها وفي حالاتها الاحتياطية، فإن فاعلة كاملة من الجمال بقودها تارة صبي لم يبلغ الحلم، ويدفعها في الطريق الذي يرتبه.

إنه لأمرٌ عجيب حقاً، فإن الإنسان غير قادر على خلق ذبابة، ولا حتى ترويضها وتذليلها لخدمته، أما الله القادر المثلان فإنه خلق ملايين الملايين من الحيوانات المختلفة، وذلها للإنسان لتكون في خدمته دوماً. (١٤: ٢١٥)

فضل الله: وأخضعناها وسخرناها، حتى أصبحت منقادة لهم. (١٩: ١٦٣)

ذُلِّلَتْ - تَذْلِيلًا

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا.

الذَّهْر: ١٤

ابن عباس: سُخِّرَتْ وَقُرِبَتْ ثَمَرُهَا تَسْخِيرًا.

(٤٩٥)

مُجَاهِدٌ: إِذَا قَامَ ارْتَفَعَتْ بِقَدْرِهِ، وَإِنْ قَعَدَ تَدَلَّتْ

حَتَّى يَنَالَهَا، وَإِنْ اضْطَجَعَ تَدَلَّتْ حَتَّى يَنَالَهَا، فَذَلِكَ

(الطَّبْرِيُّ ١٢: ٣٦٤)

(٣٢٣: ١٠)

نَحْوَهُ الْمُثَيَّدِيُّ.

أَرْضِي: أَرْضَ الْجَنَّةِ مِنْ وَرْقٍ، وَتَرَامِيَا الْمَسْكِ،

وَأَصُولُ شَجَرِهَا ذَهَبٌ، وَأَغْنَانِهَا لُؤْلُؤٌ وَزَيْرُجٌ

وَبَاهُوتٌ، وَالتَّمْرُ قُحْتُ ذَلِكَ، فَمَنْ أَكَلَ قَانَعًا لَمْ يَوْذِهِ،

وَمَنْ أَكَلَ قَاعًا لَمْ يَوْذِهِ، وَمَنْ أَكَلَ مَضْطَجَعًا لَمْ يَوْذِهِ،

فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَذُلِّلَتْ...﴾

(الْمُثَيَّدِيُّ ١٠: ٣٦٣)

قِتَادَةٌ: لَا يَرُدُّ أَيْدِيَهُمْ عَنْهَا يُعَدُّ وَلَا شَوْكٌ.

(الطَّبْرِيُّ ١٢: ٣٦٥)

الثَّوْرِيُّ: يَتَنَاوَلُهُ كَيْفَ شَاءَ، جَالًا وَمَشْكَنًا.

(الطَّبْرِيُّ ١٢: ٣٦٥)

الْقَرَاءُ: يَجْتَنِي أَهْلُ الْجَنَّةِ الشَّرَّ قِيَامًا وَقُصُودًا،

(٢١٧: ٣)

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ لَا كَلْفَةَ فِيهَا.

ابن قُتَيْبَةَ: أَيُّ أَدْنَيْتِ مِنْهُمْ، مِنْ قَوْلِكَ: حَانِطٌ

(٥٠٣)

ذَلِيلٌ، إِذَا كَانَ قَصِيرَ السَّكَمِ.

الطَّبْرِيُّ: يَقُولُ: وَذُلِّلَ لَهُمْ اجْتِنَاءُ ثَمَرِ شَجَرِهَا،

(٣٦٤: ١٢)

كَيْفَ شَاءُوا، قُصُودًا وَقِيَامًا وَمَشْكَنِينَ.

الزَّجَّاجُ: هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

الْحَاقَّةُ: ٢٣، وَقِيلَ: كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَقْطَعُوا شَيْئًا مِنْهَا

ذُلِّلَ لَهُمْ، وَدَانِيَةً مِنْهُمْ قُصُودًا كَانُوا أَوْ مَضْطَجِعِينَ أَوْ

(٢٥٩: ٥)

قِيَامًا.

الْقُتَيْبِيُّ: ذُلِّلَتْ عَلَيْهِمْ ثَمَرُهَا، يَنَالُهَا الْقَائِمُ

(٣٩٩: ٢)

وَالْقَاعِدُ.

الْأَزْهَرِيُّ: وَتَذْلِيلُ السُّنُوقِ فِي الدُّنْيَا: أَنَّهَا إِذَا

انْتَشَقَّتْ عَنْهَا كَوَافِيرُهَا الَّتِي تُنْطَلِجُهَا يُعْمِدُ الْبَرُّ إِلَيْهَا،

فَيَسْبِيهَا وَيُسَبِّرُهَا حَتَّى يَمْدَّ إِلَيْهَا خَارِجَةً مِنْ بَيْنِ

ظَهْرَانِي الْجَرِيدِ وَالسَّلَاةِ، فَيَسْهَلُ قُطَافُهَا عِنْدَ يَمَنِهَا. [ثُمَّ

(٤٠٦: ١٤)

اشْهَد بِشَرِّ]

الشَّعْبِيُّ: سُخِّرَتْ وَقُرِبَتْ ثَمَرُهَا، يَأْكُلُونَ مِنْ

ثَمَرِهَا قِيَامًا وَقُصُودًا أَوْ مَضْطَجِعِينَ، يَنَالُونَهَا

وَيَتَنَاوَلُونَهَا كَيْفَ شَاءُوا عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانُوا.

(١٠٢: ١٠)

(١٩٣: ٥)

سَمِعْتُهُ الْخَوْصِيُّ:

الْمَاوَرَدِيُّ: فِيهِ وَجْهَانِ: [ذَكَرَ قَوْلَ قِتَادَةَ

وَمُجَاهِدٍ ثُمَّ قَالَ:]

وَيَحْتَمِلُ ثَالِثًا: أَنْ يَكُونَ تَذْلِيلُ قُطُوفِهَا: أَنْ تَبْرُزَ

(١٦٩: ٦)

لَهُمْ مِنْ أَكْثَامِهَا، وَتَخْلُصَ مِنْ نَوَاهَا.

الْقُشَيْرِيُّ: يَتِمَكَّنُونَ مِنْ قُطَافِهَا عَلَى الْوَجْهِ

الَّذِي هُمْ فِيهِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، فَإِنْ كَانُوا قُصُودًا تَذَلَّتْ

لَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا قِيَامًا وَهِيَ عَلَى الْأَرْضِ سَارَتْ

(٣٣٢: ٦)

لَهُمْ.

الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: فَعَلَامَ سَطَفَ ﴿وَذُلِّلَتْ﴾؟

قُلْتَ: هِيَ إِذَا رَفَعْتَ (وَدَانِيَةً) جُمْلَةً فَعَلِيَّةٌ مَعْطُوفَةٌ

عَلَى جُمْلَةٍ ابْتِدَائِيَّةٍ، وَإِذَا نَصَبْتَهَا عَلَى الْحَالِ فَهِيَ حَالٌ

و تَذَلُّوا وَ تَفَكَّهُوا بِهَا. (٧٤٣: ٢)

الْقُرْطُبِيُّ: [ذكر نحو المتقدمين وأضاف:]

﴿ تَذَلُّوا ﴾ تأكيد لما وصف به من الذَّلَّ، كقوله تعالى: ﴿ وَ تَزَلُّوا تَزَلُّوا ﴾ الإسراء: ١٠٦، ﴿ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ النساء: ١٦٤.

[قال] الماوردي: ويحتمل أن يكون تَذَلُّوا تَذَلُّوا: أن تبرز لهم من أكمالها، وتخلص من نواها.

قلت: وفي هذا بُغْدٌ، فقد روى ابن المبارك، قال: أخبرنا سفیان بن حماد عن سميد بن جُبَيْر عن ابن عباس، قال: نخل الجنة: جَذْوَعُهَا زُرْعُهَا خَضِرٌ، وَ كَرْبُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرٌ، وَ سَطْفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا تَقَطُّعَاتُهُمْ وَ خَلْلُهُمْ وَ لَمْرُهَا أَشْجَالُ الْغُلَّالِ وَ الدُّلَّاءِ، أَشْدُّهَا حَرًّا مِنَ اللَّيْلِ، وَ أَحْلَى مِنَ الْحَلْلِ، وَ أَلْيَنُ مِنَ الزَّيْتِ، فَبَشَّ فِيهِ عَجْمٌ.

قال أبو جعفر النحاس: ويقال: المَذَّلُّ: الذي قد ذلله الماء، أي أرواه. ويقال: المَذَّلُّ: الذي يقينه أدنى ريع لنعته. ويقال: المَذَّلُّ: المسوي، لأن أهل الحجاز يقولون: ذَلَّلْ نَخْلَكَ أَي سَوِّهِ. ويقال: المَذَّلُّ: القريب المتناول، من قولهم: حانط ذليل أي قصير.

(١٣٧: ١٩)

الْبَيْضاوي: معطوف على ما قبله، أو حال من ﴿ ذَانِيَةً ﴾. وتذلل القُطُوف: أن تجعل سهلة تناول. لا تمتنع على قطفها كيف شاءوا. (٥٢٦: ٢) التستقي: سُحِرَتْ لِلْقَائِمِ وَ الْقَاعِدِ وَ الْمُتَكَيِّسِ. [ثم قال في تركيب الجملة نحو البضاوي] (٣١٨: ٤) التيساوي: أي لا تمتنع على قطفها كيف

من ﴿ ذَانِيَةً ﴾، أي تدنو ظلالمها عليهم في حال تذلل قُطُوفها لهم، أو معطوفة عليها، على « ذَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا، وَ مُذَلَّلَةٌ قُطُوفُهَا، وَ إِذَا نَصَبْتَ ﴿ وَ ذَانِيَةً ﴾ على الوصف، فهي صفة مثلها؛ ألا ترى أنك لو قلت: جئة ذَلَّتْ قُطُوفُهَا، كان صحيحًا. وَ تذلل القُطُوف: أن تجعل ذَلًّا لا تمتنع على قطفها كيف شاءوا. أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة، من قولهم: حانط ذليل إذا كان قصيرًا. (١٩٧: ٤)

ابن عَطِيَّة: وَ التذلل: أن تطلب الثمرة فتدلى وَ تتعكس نحو الأرض، وَ التذلل في الجملة هو بحسب إرادة ساكنها.

قال قتادة وَ مجاهد وسليمان: إن كان الإنسان قائمًا تناول الثمر دون كلفة، وإن كان قاعدًا فكذلك، وإن كان مضطجعًا فكذلك. فهذا تذليلها لا يسهل اليد عنها بُغْدٌ وَ لاشوكة وَ من اللفظة قول امرئ القيس: كَأَنَّهُ بَوَّابُ السَّكِيِّ الْمَذَّلِ الطَّوِيلِ ■

ومنه قول الأنصاري: وَ النخل قد ذَلَّتْ فهي مطوقة بشمرها. (٤١٢: ٥)

الفخر الرازي: ذكروا في ﴿ ذَلَّتْ ﴾ وجهين: [ثم ذكر قول ابن قتيبة وَ نحوًا من قول الثوري]

(٢٤٨: ٣٠)

العكبري: وَأَمَّا ﴿ وَ ذَلَّتْ ﴾ فمبجوز أن يكون حالًا أي وقد ذَلَّتْ وَ أن يكون مستأنفًا. (١٢٥٩: ٢) ابن عَرَبِي: ﴿ وَ ذَلَّتْ ﴾ لهم ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ من شمار علوم توحيد الذات، وَ توحيد الصفات، وَ الأحوال، وَ المواهب ﴿ تَذَلُّوا ﴾ تأمًا، كَلَمَّا شَاءُوا جَنُّوْهَا،

شَاءُوا.

(١٢٤: ٢٩)

ابن جُزَيٍّ: وتذليلها، هو أن تتدلى إلى الأرض،  
وَرُوي أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أي حال  
كانوا، من قيام أو جلوس أو اضطجاع، لأنها تتدلى لهم  
كما يريدون، وهذه الجملة في موضع الحال من  
(ذَانِيَّةٌ)، أي ذاتية في حال تذليل قطوفها، أو مطوفا  
عليها. (١٦٨: ٤)

أبو حَيَّان: ... فَأَمَّا على قراءة الجمهور:  
(وَذَانِيَّةٌ) بالتصبيح، كان (وَذَلَّتْ) مطوفاً على  
(ذَانِيَّةٌ) لأنها في تقدير المفرد، أي ومذَّلَّة، وعلى  
قراءة الرفع كان من عطف جملة فعلية على جملة اسمية.

ويموز أن تكون في موضع الحال، أي وقد ذَلَّتْ،  
رُفعت (ذَانِيَّةٌ) أو نُصبت. (٣٩٦: ٨)

نحوه السَّين.

الشَّيرِيقِي: أي سَهْلٌ تناولها تسهلاً لا عُسراً. [أي]

(٤٥٤: ٤)

قال نحو قتادة ومجاهد]

أبو السَّعُود: أي سُحُرت ثمارها لتناولها،  
وسَهْلٌ أخذها، من الذَّلُّ وهو خذل الصَّعوبة. [ثم قال

في تركيب الجملة نحو الزَّمَخْشَرِي] (٣٤٣: ٦)

نحوه البرُّوسِي.

الكاشاني: سَهْلٌ التناول. (٢٦٣: ٥)

الآلُوسِي: [نحو أبي السَّعُود وأضاف:]

ولكنه يخالف أن استدامة الظِّل مطلوبة هنالك،  
والتجدد في تذليل القطوف على حسب الحاجة.

(١٥٩: ٢٩)

سيّد قطب: إذا دنت الظلال ودنت القطوف فهي

الراحة والاسترواح على أمتع ما يتيسر إليه الخيال،  
فهذه هي الهيئة العامة لهذه الجنة التي جرى الله بها  
عباده الأبرار الذين رسم لهم تلك الصورة المرفعة  
اللطيفة الوضيئة في الدنيا. (٣٧٨٢: ٦)

ابن عَشَّور: أي سُحُرت لهم قطوف تلك  
الأدواح، وسُحُرت لهم بحيث لا يتواء فيها ولا صلابة  
تُعيب قاطفها، ولا يتسطن إليها، بل يجتنونها بأسهل  
تناول.

فأصغر التذليل للتيسير، كما يقال: فرّس ذلول،  
أي مطوّع لراكبه، وبقرة ذلول، أي مُسرّعة على العمل،  
وتقدم في سورة البقرة.

و (ذَلَّلْتُ) مصدر مؤكد لذلك، أي تذليلاً  
تدليلاً متبهاً. (٣٦٢: ٢٩)

الطَّبَّاطِبِي: وتذليل القطوف لهم: جعلها

يسيرة لهم يقطفونها كيف شاءوا، من غير مانع أو  
كلفة. (١٢٩: ٢٠)

عبد الكريم الخطيب: أمّا قطوفها، أي ثمارها -  
فقد ذَلَّتْ لهم، أي انقادت، وخضعت لمشيئتهم؛

فحيث أرادوها وجدوها حاضرة بين أيديهم، يأخذون  
منها ما يشاؤون، ومنه قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ  
لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْسِكُوا فِي مَتَابِعِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ  
وَالْيَوْمَ تُنْشَرُونَ) الملك: ١٥. (١٣٦٧: ١٥)

مكارم الشَّيرَازِي: ليست هنا من مشكلة  
لقطف الثمار، ولا شوكة لتدخل في اليد، ولا تحتاج  
ذلك إلى مشقة أو حركة.

ونجد من الضروري التذكير مرة أخرى، أن هناك

تَصَرَّكُمُ اللَّهُ يَبْدُو وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴿١٢٣﴾ آل عمران: ١٢٣، يعني قليلاً.

و الوجه الثاني: ﴿الذَّلُّ﴾: التواضع، فذلك قوله: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ المائدة: ٥٤، يعني متواضعين على المؤمنين، كقوله: ﴿وَالْخَفِضُ لَهُمَا جَنَاحُ الذُّبَابِ مِنَ الرَّخِمَةِ﴾ الإسراء: ٢٤، يعني التواضع.

و الوجه الثالث: ﴿الذَّلَّةُ﴾: يعني الجزية، قوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾ آل عمران: ١١٢، يعني الجزية، مثلها في البقرة: ٦١.

و الوجه الرابع: ﴿ذُلَّتْ﴾: أي سُحِرَتْ، قوله: ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً﴾ النحر: ١١، أي سُحِرَتْ، كقوله: ﴿فَلَسْتُ لَكَ سَوَّلَ رَبِّكَ ذُلًّا﴾ التعل: ٦٩، يعني مسخرة لك.

و الوجه الخامس: ﴿أَذِلَّةٌ﴾: يعني مغلولة أيديهم إلى أعناقهم، قوله: ﴿وَأَنزَلْنَاهُمْ فِيهَا أَذِلَّةً﴾ التمل: ٣٧، يعني مغلولة أيديهم إلى أعناقهم.

و الوجه السادس: «الذَّلُولُ» = الإنطواء السُّلْسُ، قوله: ﴿لَا ذُلُولَ لِمَنْ يُغْنِي عَنْهُ الْبَقْرَةُ﴾ البقرة: ٧١، أي لم يذلها الصل، ويقال: ناقة ذلول، أي سليمة مطواع. و الوجه السابع: «الذَّلَّةُ»، يعني الكآبة وسواد الوجوه، ﴿وَنَرَقَهُمْ ذَّلَّةً﴾ المعارج: ٤٤، يعني كآبة، مثلها في سورة يونس: ٢٦. (٣٤٠)

الفيروز آبادي: وقوله تعالى: ﴿وَالْخَفِضُ لَهُمَا جَنَاحُ الذَّلِّ مِنَ الرَّخِمَةِ﴾ أي إن كالمقهور لهما، وقرئ (جَنَاحُ الذَّلِّ) بالكسر، والمعنى: إن واقدا لهما. ويقال: الذَّلُّ والْقُلُّ، والذَّلَّةُ والقِلَّةُ، والذَّلُّ: ما

تفاوتا كثيراً بين الأصول المتحكِّمة في حياة الإنسان في ذلك العالم وبين هذا العالم، وما جاء حول السُّم الأخرى في هذه الآيات والآيات القرآنية الأخرى، ليس إلا كونه إشارة بليغة إلى تلك المواهب العظيمة. ﴿إِلَّا فَإِنْ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ تُصَرِّحُ أَنَّ هُنَاكَ مِنَ التَّعَمُّ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا تَخْطُرُ بِأَلْأَحَدٍ

وفي حديث لابن عباس يبينه في ذيل آيات هذه السورة، قال: «كَلَّمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ» سَمَاءٌ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ سَمَاءٌ اللَّهُ بِالْأَسْمِ الَّذِي يُعْرَفُ الرَّحْمِيلُ مِمَّا كَانَتْ الْعَرَبُ تُعْطِيهِ، فَهَذَا ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَوَعْدُهُمْ أَنَّهُمْ يَقُونُ فِي الْجَنَّةِ الْكَأْسَ الْمَرْجُوجَةَ بِزَهْبٍ الْجَنَّةِ. (١٩: ٢٣٤) فضل الله: ﴿وَذُلَّتْ﴾ بحيث إنها تقدم نفسها

إليهم ليقتطعوا من ثمارها وفاكهتها، فلا تكلفهم مشقة الصعود إليها للحصول عليها. (٢٣: ٢٧٤)

## الْوُجُوهُ وَالنَّظَائِرُ

الحيري: الذَّلُولُ: على وجهين:

أحدهما: البقرة، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِلَهٌ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولَ لِمَنْ يُغْنِي عَنْهُ الْبَقَرَةُ﴾ البقرة: ٧١.

و الثاني: الأرض المذلَّةُ العامرة، كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ الملك: ١٥. (٢٥٥) الذَّلَامَةُ: الذَّلُّ والذَّلَّةُ على سبعة أوجه: القِلَّةُ، التواضع، الجزية، التسخير، الضلُّ، الطاعة، الكآبة.

فوجه منها: ﴿أَذِلَّةٌ﴾: يعني: قليل، قوله: ﴿وَلَقَدْ



كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود ﴿أَذْلَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذَلًّا﴾ أي متفاد غير مستصيبة.

وقوله: ﴿وَذَلَّتْ قُلُوبُهُمَا﴾ أي سهلت.

وقيل: الأمور تجري على أذلالها، أي على مسالكها وطرقها. (١٧: ٣)

## الأصول اللغوية

١ - الأصل في هذه المادة: الذَّلُّ: تقيض العزَّ. يقال: ذَلَّ الرَّجُلُ يَذَلُّ ذَلًّا وَذَلَّةً وَذَلَالَةً وَمَذَلَّةً، فهو ذليل بين الذَّلِّ والمَذَلَّة، من قوم أذلاء وأذلة وذلال وذَلان، وأذله وذَلَّه واستَذَلَّه.

وأذَلَّ الرَّجُلَ، إذا صار مستحقاً لأن يَذَلَّ، وتساو أصحابه أذلاء.

وأذَلَّه واستَذَلَّه: رآه ذليلاً.

وَنَذَلَ لَهُ: خضع.

والذَّلُّ والذَّلِيلُ: ضد الصُّعُوبَةِ. يقال: ذَلَّ يَذَلُّ ذَلًّا وَذَلًّا فهو وهي ذلول، وقد ذَلَّه، يكون في الإنسان والدابة والجمع، ذَلَّلٌ وَأَفْلَهُ. وفي الحديث: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا ذَلَّلَ السَّحَابِ»، هو الذي لا رُعْدَ فيه ولا برق؛ جمع: ذُلُول.

واستَذَلَّ البعير الصَّحْبَ: نزع الفراد عنه، ليستلذَّ فَيَأْنَسَ بِهِ وَيَذَلُّ.

وطريق مُذَلَّلٌ، إذا كان موطوءاً سهلاً.

وذَلَّ الطَّرِيقَ: ما وطئ وسهل. يقال: ركبوا ذَلًّا

الطَّرِيقَ، أي ما مهد منه وَذَلَّلَ، وهو طريق ذليل من طَرَقَ ذَلَّلَ، وسبيل ذليل وسبيل ذَلَّلَ.

والذَّلِيلُ: تسوية عناقيد الكَرَمِ وتدليتها. يقال: ذَلَّلَ الكَرَمَ، أي ذَلَّيت عناقيده.

وتدليل العَذْوَى: اجتناء غرتها وإدناؤها من قاطعتها.

ويقال مجازاً: ذَلَّتِ القوافي للشاعر، إذا سهلت، ورجل ذُلُولٌ بالمعروف بين الذَّلِّ، إذا كان سلساً بالمعروف.

وحائط ذليل: قصير، وكذا رُمُعُ ذليل.

ويثبت ذليل، إذا كان قريب السمك من الأرض.

والأذلال: المسالك، واحدها: ذُلٌّ، يقال: أمور الله جارية على أذلالها، وجارية أذلالها، أي مجاريها.

وأجر الأمور على أذلالها: على أحوالها التي يطلع عليها وتسهل وتيسر.

وجاء على أذلاله: على وجهه.

ودَعَّه على أذلاله: على حاله.

وسار المحمي على أذلالهم: على رسلهم.

٢ - جعل الخليل والكساني وابن السكيت «الذُّلُولَ» صفة للدابة السهلة والرجل السهل والخسيس أيضاً، وفصل ابن دريد والجوهري، فجعلوا «الذُّلُولَ» صفة للدابة، والذَّلِيلُ صفة للرجل.

والأول هو الأصح؛ إذ إنَّ «فُحُولًا» و«فُصِيلًا» غالباً يستويان في الصفات، مثل: ضَرْوبٌ وضَرْيبٌ، وهو الكثير الضرب الشديدة. ويختلفان في الأسماء، مثل: السُّكُونُ والسُّهْنَةُ فالأول يعني ما يُسْتَكَه به،

والتأني ما يقطع من المسن أو الحبر إذا حكته.

## الاستعمال القرآني

جاء منها مجرداً الفصل المضارع (ذلل) مرة،  
والوصف مفرداً وجمعاً بالفاظ: (أزلة) - جمع ذليل -  
مرة، و (ذلولاً) مرتين، و (ذللًا) مرة، والتضليل مفرداً  
و جمعاً مرتين، والمصدر (ذلة) ٧ مرات، واسم المصدر  
(الذل) ٣ مرات.

ومزيداً من التفعيل الماضي معلوماً ومجهولاً كل  
منهما مرة، والمضارع: (ذليل)، والمصدر (تذليلًا) كل  
منهما مرة، في ٢٣ آية:

١- ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ  
وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ  
تَشَاءُ يَدُكَ الْغَيْرُ الْإِلَهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

٢- ﴿وَقُلِ الْخُسُفُ الَّذِي لَمْ يَتْلِهِمْ وَلَمْ  
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ  
الذَّلِّ وَكِبْرٌ كَثِيرٌ﴾ الإسراء: ١١١

٣- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِ  
أَنْفُسِهِمْ أَنْفُسًا لَهُمْ فِعْلُهَا كَوْنُهُمْ  
وَمِنْهَا يُكَلَّلُونَ ﴿١﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمِنْهَا يَكْتَسِبُونَ﴾

٤- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا  
بِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ﴾ الملك: ١٥  
٥- ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ  
رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ الإسراء: ٢٤

٦- ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْفَىٰ وَزَيْدَةً  
وَجُوهَهُمْ قُورٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ﴾ يونس: ٢٦

٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ  
فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أُولَٰئِكَ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ  
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة: ٥٤

٨- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَنِي قَالِقُوتَ  
اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آل عمران: ١٢٢

٩- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ  
هَٰذَا النَّارِ فَادْعُ لِقَارِئِكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا ثَلَمَتْ الْأَرْضُ مِنْ  
بَقْلِهَا وَقِثَاقِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ  
أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا بَصُرًا  
آل عمران: ١٧٥

وَبَارِئُ الْخُسْفَىٰ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِهِ  
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
يَعْتَدُونَ﴾ البقرة: ٦١

١٠- ﴿خُسْرَتٌ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَوَفَّوْا إِلَّا يَحْتِلِ  
مِنْ اللَّهِ وَخَبِلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَخُسْبٍ مِنَ اللَّهِ  
وَضُرَّتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ  
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا  
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ آل عمران: ١١٢

١١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ خُسْبٌ  
مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْخَيْرِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُفْتِرِينَ﴾ الأعراف: ١٥٢

١٢- ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ  
بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا  
أَغْشَيْتُمْ وُجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا تُولِيكُمْ  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يونس: ٢٧  
١٣- ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا كَأَنَّهُمْ  
إِلَى لُصَبٍ يُوْفِقُونَ \* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ  
ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُرْغَدُونَ﴾ المارج: ٤٣، ٤٤  
١٤- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى  
السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ \* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ  
ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَائِمُونَ﴾

القلم: ٤٢، ٤٣  
١٥- ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا  
وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ النمل: ٢٤  
١٦- ﴿إِذْ رَجِعَ إِلَيْهِمْ فَعَلَّاهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا  
وَلَخْرِجْنَهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ النمل: ٢٥  
١٧- ﴿وَلَوْ أَكَا أَهْلُكُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِمْ لَفَسَدُوا  
رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُذِيعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
تَذِلَّ وَتَكْهَنَ﴾ طه: ١٣٤

١٨- ﴿وَلَمَّا هَمَّ بِفِرْعَوْنُ عَلَيْهِ خَاشِعِينَ مِنَ  
الَّذِينَ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ  
الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُبِينٍ﴾ التورى: ٤٥  
١٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُعَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ  
فِي الْأَذَلِّينَ﴾ المجادلة: ٢٠

٢٠- ﴿يَقُولُونَ لَنْ يَجْعَلَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيْسَ بِرَجُلٍ  
الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَفِي الْخِزْيَةِ وَرُسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَلَكِنَّ السَّافِقِينَ لَا يُظْلَمُونَ﴾ المنافقون: ٨  
٢١- ﴿قَالَ إِلَهٌ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ لَهُ شَيْءٌ  
الْأَرْضَ وَلَا تَكْفِي الْخَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيشَةَ فِيهَا قَالُوا  
الْحَنَ جِثَّتْ بِالْحَقِّ فَلَذَبْخُوهَا وَمَا كَادُوا يَقْتُلُونَ﴾

البقرة: ٧١  
٢٢- ﴿لَمْ يَكُنْ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْأَلْهُ مَبْلُ  
رَبِّكَ ذَلَّلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ  
شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

النحل: ٦٩  
٢٣- ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا  
كُذَلِيلًا﴾

الذهر: ١٤  
ويلاحظ أولاً: أنها تنقسم حسب الفاعل أو  
المورد إلى ستة أقسام:

القسم الأول: الله تبارك وتعالى ٤ آيات، وكلها  
مذمومة: ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْأَلْهُ مَبْلُ  
رَبِّكَ ذَلَّلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ  
شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(١) ﴿لَمَّا هَمَّ بِفِرْعَوْنُ عَلَيْهِ خَاشِعِينَ مِنَ  
الَّذِينَ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ  
الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُبِينٍ﴾ التورى: ٤٥

١- هذه من جملة آيتين يذكر الله فيهما أفعال  
الكبيرة التي هي تفسير لوصفه ﴿عَالِيكَ الْمُلْكُ﴾،  
وهي أحد عشر فعلاً. قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ  
الْمُلْكُ تَرْمِي الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُخْرِجُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ  
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْفُتُورُ إِنَّكَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ  
فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ  
الْحَيِّ وَتُزَيِّقُ مَنْ تَشَاءُ بِفَعْلٍ جِسَابٍ﴾

٢- وهذه الأفعال ثلاثة أصناف: سبعة منها تفضل  
منه لمن يشاء من البشر، وهي: إيتاء الملك وترعه،

والعزة والذلة، وإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي - وهي أضداد - والرزق بغير حساب. واثنان تفضل منه تعالى للعالم، وهما: إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل - وهما ضدان أيضا - واثنان يمتان كل شيء، وهما: أن الخير بيده، وأنه على كل شيء قدير.

٢ - وسياق الآيتين منفصل عما قبلهما وما بعدهما، فابتدأتهما خطاب وتعليم للنبي ﷺ بالدعاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾، وقبلهما راجع إلى أهل الكتاب وبعدهما إلى المنافقين.

ويبدو أنهما متصلتان بالآية: ١٨، من السورة ﴿شَهِدَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَحْدُ الْمُنِيبُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْإِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وبما قبلها من آيات الدعاء: ٨ و ٩، ﴿رَبِّمَّا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا... رَبِّمَّا إِلَيْكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

٤ - وفي (١) جاءت العزة والذلة معاً: ﴿عِزُّ مَنْ نَشَاءُ وَذُلُّ مَنْ نَشَاءُ﴾ كما جاء كذلك في ثلاث آيات أخرى (٧): ﴿إِذْ لَوْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، و (١٥): ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً﴾، و (٢٠): ﴿يُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذِلَّةَ﴾، مع تفاوت بين الآيات الأربع مدحاً وذمماً. فالأوليان مدح، والآخران ذم، وكذلك فرق بينها بأن واحدة منها: ﴿إِذْ لَوْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قدّمت فيها الذلة على العزة، وفي الباقي على العكس، قدّمت العزة على الذلة. و فرق ثالث بينها في الصيغة: فالأولى فعل ﴿عِزُّ﴾، والثانية تفضيل

﴿الْأَعَزُّ﴾، ﴿الْأَذِلُّ﴾، وكلاهما مفرد، واثنان وصف: ﴿أَذِلَّةٌ﴾، ﴿أَعِزَّةٌ﴾، وكلاهما جمع مفردهما: عزيز وذليل.

٥ - الموصول (مَنْ) في الجملتين عام لكل من يشاء الله عزه أو ذله في الماضي والمستقبل إلى يوم القيامة، لكن المفسرين ذكروا مصاديقهما حسب موردهما: مثل محمدًا وأصحابه وعبد الله بن أبي وأصحابه، أو المهاجرين والأنصار، وفارس والروم، محمد وأصحابه حين دخلوا مكة وهم عشرة آلاف، وأباهل وأصحابه من المقتولين يوم بدر في القليب، محمدًا وأمه وفارس والروم، ونحوها. ولا بأس بها إذا لم يخص الآية بهذه الموارد، وذكرت أمثالا ومصاديق.

٦ - والعزة والذلة في الآية تعنان كل ما بعد عزه وذله، لكن المفسرين اختلفوا في تفسيرهما اختلافاً كثيراً، مرددين بين الدنيا والآخرة أو جامعاً بينهما، وبين التفسير والإشارة والتأويل، مثل: تعز من تشاء بالجنة والرويا، وتذل من تشاء بالآثار والهجاب.

إله تعالى يذل أعداءه في الدنيا والآخرة، ولا يذل أحداً من أوليائه وإن أقرهم وأمرهم... تعز من تشاء بإعطائه الملك والسلطان وبسط القدرة، وتذل من تشاء بسلبك ملكه وتسلطه عدوة عليه.

تعز بالإيمان والمعرفة، وتذل بالخذلان والحرمان. تعز بقهر النفس وغلبة القوى، وتذل بالتباع

المهري.

والإجلال.

تعزُّ بقهر الشيطان، وتذلُّ بقهر الشيطان لنا.

تعزُّ بالقناعة والرضا، وتذلُّ بالخزي والطمع.

تعزُّ بالإخلاص، وتذلُّ بالرِّياء.

تعزُّ بالإيمان والطاعة، وتذلُّ بالكفر والمعصية.

تعزُّ بالتصر، وتذلُّ بالقهر.

تعزُّ بالثقي، وتذلُّ بالفقر.

تعزُّ بعزتك، وتذلُّ بجذلاتك.

تعزُّ بأن تهديه ليشهدك ويوحِّدك، وتذلُّ بأن

يجحدك ويفقدك.

تعزُّ بين إقبالك، وتذلُّ بوحشة إعراضك.

تعزُّه بأن تونسه بك، وتذله بأن توحشه عنك.

تعزُّ بأن تشغله بك، وتذلُّ بأن تشغله عنك.

تعزُّ بطوابع أنسه، وتذلُّ بسقوط أحكام نفسه؛ لو

تذلُّ بقلية غاغة نفسه...

تعزُّ بإقامته بالإرادة، وتذلُّ برده إلى ما عليه أهل

العادة.

تعزُّه بإلقاء نور من أنوار عزتك عليه، فإن العزة لله

جميعاً، وتذلُّ بسلب لباس عزتك عنه، فيبقى ذليلاً.

تعزُّ المؤمن بتعظيمه والثناء عليه، وتذلُّ الكافر

بالجزية والسبي، ونحوها.

تعزُّ من تشاء من أوليائك بأنواع العزة في الدنيا

والدين، وتذلُّ من تشاء من أعدائك في الدنيا

والآخرة، لأن الله لا يذلُّ أوليائه وإن أفقرهم

وابتلاهم، فإن ذلك ليس على سبيل الإذلال، بل

ليكرمهم بذلك في الآخرة، ويُجلِّهم غاية الإعزاز

قال أبو حنَّان - ونعم ما قال بعد أن ذكر بعض

هذه الأقوال -: « يتبني حمل هذه الأقاويل على

التمثيل، لأنه لا يختص في الآية، بل الذي يقع به العزُّ

والتذلُّ مسكوت عنه ».

٧ - وقال الفخر الرازي - فارقاً بين رأي المعتزلة

وقد ذكره وبين رأي غيرهم -: « إذلال الله تعالى عبده

المبطل إنما يكون بوجوه: منها؛ بالذم واللعن، ومنها؛

بأن يخذلهم بالحجة والتصرة، ومنها؛ بأن يجعلهم خولاً

لأهل دينه، ويجعل ما لهم غنية لهم، ومنها؛ بالعقوبة

لهم في الآخرة، هذا جملة كلام المعتزلة.

ومذهبنا أنه تعالى يُعزُّ البعض بالإيمان والمعرفة،

وتذلُّ البعض بالكفر والضلالة، وأعظم أنواع

الإعزاز والإذلال هو هذا، والذي يدلُّ عليه وجوه ».

وذكرنا في مصر أن الإيمان والكفر من الله لا من العبد،

فلاحظ. ومذهب الإمامية فيه معروف.

٨ - وقد أطال رشيد رضا والمرآغي في آثار العزة،

منها نفاذ الكلمة، كما ذكر أولها أسبابها، ومنها كثرة

الأعوان وملك القلوب، فلاحظ.

٩ - وقد أطال الشَّريف العاملي في معنى الذلَّة

والتذلُّ بالضم والكسر، أنه بمعنى الهوان مقابل العزة

التي في الأصل بمعنى القوة، ومنه « العزيز » وصف الله

تعالى، وأن الذلَّ بالكسر - وقد يُضم - بمعنى اللين

والانقياد ضدَّ الضمومة، وأن هذه صفةٌ ممدوحة،

والأولى مذمومة، فلاحظ.

والتلوة في جميع الآيات بهذه المعنى المذموم سوى

الآية: (٥)، ﴿وَالْخَفِضُ لَهُمَا جَنَاحُ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾  
والآية: (٧)، ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى  
الْكَافِرِينَ﴾، وكذا في آيات أخرى، وسُيُصْرَحُ به في  
ذيلها.

(٢) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾

١- هذه الآية كسابقتها توصيف لله تعالى في سياق  
الدعاء والثناء، مع تفاوت بينهما، وهو أن الأوصاف  
الأحد عشر في تلك الآية كلها كانت إنباءً، وفي هذه  
جاءت ثلاثة أوصاف سلبيًا صفة لله تعالى، وهي: أنه  
لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له  
وليٌّ ومُعينٌ من الذَّلِّ. ولكن هذه السلبات واضحة بين  
اثنين متبينين له تعالى: التعميد، والكبير في ﴿الْحَمْدُ  
لِلَّهِ﴾ أولاً، و﴿وَكَبِيرَةٌ كَثِيرًا﴾ أخيراً، أي قل: الحمد  
لله، الله أكبر.

وهذا الثناء في الآية من تمام دعائه وسبيله في  
الآيات قبلها: ابتداءً من الآية: ١٠٨، ﴿يَقُولُونَ  
سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْصُولًا﴾ إلى ﴿قُلْ  
ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...﴾.

٢- قال ابن عباس في ﴿مِنَ الذَّلِّ﴾: «يعني اليهود  
والنصارى، وهم أذل الناس».

وقال ابن كعب القرظي: «ردُّ على اليهود  
والنصارى حين قالوا: اتخذ الله الولد، وعلى مشركي  
العرب، حيث قالوا: تبيك اللهم تبيك تبيك لا شريك  
لك إلا شريك هو لك، وعلى الصابئين والمجوس  
حين قالوا: لولا أولياء الله لذلَّ الله، فأنزل الله ردًّا  
لقولهم أجمعين».

وقال ابن عطية: «هذه الآية رادة على العرب في  
قولهم: لولا أولياء الله لذلَّ».

والحق أنها توصيف لله تعالى في سياق الثناء له  
بصفاته الإيجابية والسلبية، وهذا من أهم مقاصد  
التوحيد، وردّها على من لم يصفه بهذه الصفات أمرٌ  
ضمني ولازم له.

٢- في ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾ بحنان:  
أحدهما: في إعرابها، والثاني: في معناها، وهو تابع  
لإعرابها:

أما إعرابها فيرجع إلى حرف (من) فاحتملوا فيها  
ثلاثة أوجه، وقد ذكرها السمين فقال:

«أحدها: أنها صفة له ﴿وَلِيٌّ﴾، والتقدير: وليٌّ  
من أهل الذَّلِّ، والمراد بهم اليهود والنصارى، لأنهم  
أذل الناس.

سوال الثاني: أنها تميمية.

والثالث: أنها للتعليل، أي من أجل الذَّلِّ، وإلى  
هذين المعنيين نحو الزمخشري: «».

وهذا قول الزمخشري: «ناصرٌ من الذَّلِّ» مانع  
له منه لاعتزازه، أو لم يوال أحدًا من أجل عدّ له به  
لهدمها بموالاته».

وقال أبو حيان بعد أن فسّر الآية بوجوه: «فعلى  
هذا وما تقدم يكون (يسن) في معنى المفعول به، أو  
السبب، أو للتبعيض».

وأما معناها فقد اختلفوا فيه لفظًا واتحدوا معنى:  
فقال مجاهد هو مثله الخازن ونحوه غيره: «  
» لم يخالف أحدًا، ولا يبتغي نصر أحدٍ لم يذلَّ لم يحتاج

إلى ولي يتعزز به.»

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «لم يذل فيحتاج إلى ولي فينصره.»

وقال زَيْد بن علي عليه السلام: «لم يكن له حليف ولا ناصر.»

وقال الطبري: «لم يكن له حليف حالفه من الذل الذي به، لأن من كان ذا حاجة إلى نصره غيره، فذلك مهين، ولا يكون من كان ذليلاً مهيناً يحتاج إلى ناصر، إلهاً يطاع.»

وقال الماوردي: «فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لم يحالف أحداً.

الثاني: لا يهتفي نصر أحد.

الثالث: لم يكن له ولي من اليهود والنصارى...»

وقال الطوسي: «لم يكن له حليف حالفه لينظره على من يتاونه، لأن ذلك صفة ضعيف كالمعز، ولا يجوز أن يكون إلا له بهذه الصفة.»

وقال ابن عَرَبِي: «أي لم يكن له ناصر، علّة كان أو جزء علّة تقويه وتنصره من ذلّة الانفصال والعدم، وإلا لم يكن إلهاً واجباً، بل محكماً لتكون حبيباً قائماً به لانفسك.»

وقال الألوسي: «أي ناصر ومانع له سبحانه من الذل لا عزّازه تعالى بنفسه. فد (من) صلة لـ «ولي»، وضمن معنى المنع والنصر، أو لم يوال تعالى أحداً من أجل مدّة، فالولاية بمعنى المحبة على أصلها، و (من) تعليلية. وليس المعنى على الوجهين نفي الذل والنصر في الأول، والموالة والذل في الثاني، على أسلوب:

«لا يهتدي بناره»، بل المراد: أنه تعالى إذا اتخذ عبداً له وثياً فذلك محض الاصطناع في شأن العبد، لأن هناك حاجة، وكذلك نصر الله تعالى كمال للتناصر، لأن تمة حاجة، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿إِنْ تَصَرُّوا لِلَّهِ يَتَصَرَّكُمْ﴾ محمد: ٧، إلى أن قال:

ومن عجيب ما قيل: إن «من الذل» في موضع الصفة لـ «ولي» و (من) فيه للتبويض، وأن الكلام على حذف مضاف، أي لم يكن له ولي من أهل الذل، والمراد بهم اليهود والنصارى، وأصري أنه لا ينهني أن يلتصق إليه.

وقال ابن عاشور: «و (من) في قوله: «من الذل» بمعنى لام التعليل.

والذل: العجز والافتقار، وهو ضد المعز، أي ليس له ناصر من أجل الذل.

والمراد: كفي الناصر له على وجه مؤكد، فإن الحاجة إلى الناصر لا تكون إلا من العجز عن الانتصار للنفس. ويجوز تضمين «الولي» معنى المانع، فتكون (من) لتعديّة الاسم المضمر معناه.»

٤ - قال ابن عطية: «وقيد لفظ الآية نفي الولاية لله عز وجل بطريق الذل وعلى جهة الانتصار؛ إذ ولايته موجودة بتفضله ورحمته، لمن وإلى من صالحه عباده.»

٥ - لو لم أراه في علاقة هذه الصفات السلبية بالحمد والتكبير:

فقال البيضاوي: «نفي عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه، اختياراً

واضطراباً وما يعاونه ويقويه. ورأس الحمد عليه للدلالة على أنه الذي يستحق جنس الحمد، لأنه الكامل الذات، المنفرد بالإيجاد، المنعم على الإطلاق، وما عداه ناقص مملوك نعمة، أو منهم عليه، ولذلك عطف عليه قوله: ﴿وَكَبِيرَةٌ كَبِيرًا﴾.

وقال الزمخشري: «كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التعميد؟

قلت: لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة، فهو الذي يستحق جنس الحمد».

وقال السابوري: «وقد بحث في: ﴿لَمْ يَخِذْ وَلَدًا﴾ تفصيلاً، لاحظ: ولد د: ولداء. وبعد أن ذكر أن هؤلاء المتصفون بهذه الصفات السلبية لا يستحقون الحمد، قال: «أما إذا كان منزلها عين الولد، وعن الشريك، وعن أن يكون له ولي ينصره ويولي أمره، كان مستوجباً لأعظم أنواع الحمد، ومستحقاً لأجل أقسام الشكر».

وقد أشار الألوسي ذيل كلامه المتقدم إلى سؤال الزمخشري: بأن المقام مقام التقدير لا الحمد.

وأجاب: «بأنه لاق وصفه تعالى بما ذكر بكلمة التعميد، لأنه يدل على نفي الإمكان المقتضي للاحتياج، وإثبات أنه تعالى الواجب الوجود لذاته، الغني عما سواه، المحتاج إليه ما عداه، فهو الجواد المعطي لكل قائل ما يستحق، فهو تعالى المستحق للحمد دون غيره عز وجل. وهذا الذي عناء الزمخشري».

ثم ذكر وجهاً آخر عن «الكشف»، فلاحظ.

(٣) ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾

١- هذه الآية وقبلها وبعدها من جملة ما ذكر الله تعالى في سورة يس، مفرقة من آثاره ونعمه على العباد في هذه الدار - خلال آيات التوحيد، والمعاد، والنبوة، والقصص - فقد جاء في الآيات: ٣٣-٣٦ ما أنبت الأرض من الثمرات والأشجار: ابتداءً من ﴿وَإِنَّهُ لَهِمُّ الْأَرْضِ الْيَمَّةُ...﴾ إلى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا ثَلَبَتْ الْأَرْضُ...﴾.

وقد من الله على عباده في هذه الآيات الثلاث بنعمة خلق الأنعام وتذليلها للناس، وأن منها ركوبهم، ومنها أكلهم وشربهم. ولاحظ: تفسيرها في القسم السادس.

وهذه تاني الآيات من مادة الذل، جاءت مزيداً من القليل بعد الآية: (١)، وتأتي منها آية أخرى: (٢٣) بصيغة الماضي مجهولاً مع المصدر: ﴿وَذَلَّلْتُ قَطُوفَهَا ذَلِيلًا﴾.

(٤) ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا...﴾

١- سورة الملك تبدأ بآيات التوحيد إلى الآية: ٥، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ الشَّعِيرِ﴾ ثم يتحول الخطاب إلى الكفار ابتداءً من ٦: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَهُمْ فِي النَّصِيرِ﴾. وهذا السياق يدوم إلى الآية: ١٤، - وسياقها التوحيد أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَهُمْ فِي النَّصِيرِ﴾ ثم يقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا...﴾ فالسياق



شاهد على أن الكلام رجع إلى التوحيد، والخطاب للناس تنميماً للآيات الأولى، «ليست خطايا للكفار تنميماً للآيات السابقة».

لكن عزة دروزة قال فيها: «ومع أن من المحتمل أن يكون الخطاب فيها موجهاً للكافرين الذين هم موضوع الخطاب في الآيات السابقة، فإنها تطوي على ما هو المتبادر - على تلقينات جليلة المدى - وهي أربعة:-

١ - فقد سخر الله الدنيا للجميع، فليس لأحد أن يمنع أحداً من السعي في منافعها والانتفاع منها.  
٢ - سخرها للجميع ونههم إلى أنها لا تنال إلا بالسعي.

٣ - وليس لأحد أن يأكل سمي غيره أو يستلذه ويقعد هو عن السعي.

٤ - إن الرزق الذي يستخرجه الناس من الأرض هو رزق الله، لأنه خلق مادته.

٢ - هذه الآية موردها الأرض جعلها الله ذلولاً للناس، والآية قبلها كان موردها الأنعام جعلها الله ذلولاً لهم. أمّا الآية (١) فكان موردها الإنسان «فيعزّ من كُشَاء» و«تُذَلُّ من كُشَاء» والآية (٢) كان موردها الله حيث نفى عن نفسه الذل من قبل ولي له.

٣ - قالوا في صيغة «ذلول» فقول بمعنى مفعول، أي مذلول، فهي كـ «ركوب» و«حلوب» - يقال: ذلول بين الذل بضم الدال، والذلّول «فعل» للمبالغة، من ذلك تقول: دابة ذلول: بينة الذل، ورجل ذليل بين الذل... وليس معنى مفعول، لأن فعله قاصر، وإلّا

تمدّى بالهزة كقوله: «وتذلول من كُشَاء»، وإلّا بالتضمين كقوله: «وذللناها لهم» و«مذلول» يظهر أنه خطأ، وهي مناقشة لفظية.

وقال البروسوي: «والذلّول «فعل» بمعنى الفاعل»، ولذا عُرِيَ عن علامة التأنيث، مع أن «الأرض» مؤنث سماعي.

٤ - وقالوا في إعرابها: «ذلولاً» مفعول ثانٍ لـ «جعل» - والمفعول الأول «الأرض» - أو حال، وهو بعيد.

وقال أبو السعود - ومثله ابن عطية -: «و تقديم «لكن» على مفعولي الجعل - مع أن حقه التأخر بينهما - للاهتمام بما قدّم والتشويق إلى ما أحر، فإن ما حقه التقديم إذا أحر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين، بقى النفس على تقديم المؤخر».

وقالوا في معنى «ذلول»: «مذلولاً» لئلا يظن بالجمال، سهلاً سهلها لكم، سهل لكم السلوك فيها، فرثاً، سهلاً مسخرة لا تمتنع، بمعنى مذلّة سهلة، إذا أردتم أن تضربوا في الأرض سهل عليكم ذلك، لم يجعلها بحيث يمتنع المشي فيها بالهزولة والقلظ، موطأة للتصرف فيها والمسير عليها، ويمكنكم زراعتها، سهلة تستقرون عليها، مسخرة لا تمتنع لتوصلوا إلى منافعكم فيها، قابلة للاتقياد لما تريدون منها من مشي وزرع حبوب، وغرس أشجار، وغير ذلك. لئلا تنقاد غاية الاتقياد، لما تفهمه صيغة المبالغة، يسهل عليكم السلوك فيها، لتوصلوا إلى ما ينفعكم.

ثبتها بالجبال الراسيات كيلا تتمايل و تتقل بأهلها، ولو كانت مضطربة متمايلة لما كانت منقادة.

وقال الفخر الرازي: «الذلول من كل شيء: المتفاد الذي يذلّ لك، ومصدره الذلّ، وهو الانقياد واللين، ومنه يقال: دابة ذلول، وفي وصف الأرض بالذلول»، ثم ذكر أربعة وجوه:

لم يجعلها خشنة كي يمتنع عليها. جعلها لينة بحيث يمكن حفرها، والبناء عليها لو كانت حجرية لكانت الزراعة فيها محزنة. أمسكها في جواهر الهواء، ولو كانت متحركة لم تكن منقادة لنا.

وقال البروسوي: «والحاصل أن الله تعالى جعل الأرض بحيث ينتفع بها، وقسمها إلى سهول وجبال وبراري وبحار وأنهار وعبون، وبلح وخبث وزرع وشجر، وتراب وحجر ورمال ومذروذات سباع وحيات وفارغة» غير ذلك بحكمته وقدرته. وهذه العبارات متحدة معلى وإن اختلفت ألفاظها، سوى أن بعضهم خصها بالسلوك فيها، وبعضهم عتها لجميع منافعها، وهو الأول؛ إذ جاء فيها: «فأمنشوا في مساكنها وكثروا من رزقهم»، كما أن بعضهم ربط بينها وبين الجبال، وبعضهم سكت عن ربطها بها. وأعمها كلام الفخر الرازي والبروسوي:

٦- إنها ليست حقيقة بل مجازاً:

فقال الشريف الرضي: «وهذه استعارة، لأن الذلول من صفة الحيوان المركوب. يقال: بعير ذلول، وفرس ذلول، إذا أمكن من ظهره، وتصرف على مراده راكمه.

والمعنى: أنه سبحانه جعل الأرض للناس كالمركوب الذلول بمكنة من الاستقرار عليها، والتصرف فيها، طائفة غير مانعة، ومذعنة غير مدافعة». وهذه نكتة بلاغية من هذا الشريف البليغ. وكذا قال ابن عاشور: «والذلول من الثواب المنقادة المطاوعة - إلى أن قال - فاستعير الذلول للأرض في تذليل الانتفاع بها مع صلاحة خلقتها، تشبيهاً بالذابة المسوسة المرتاضة بعد الصعوبة، على طريقة المصروفة».

وقد حكى مقننة عن الشيخ عبد القادر المغربي: «الأرض لنا نعمت المطية المذربة والذلول المجرية».

وقال ابن عطية: «وفي الكلام استعارة، وقيل: تشبيه بليغ».

ويظهر العلاقة - بين الحيوان والأرض في وصف الذلول - من قول سفيان الطباطبائي أيضاً، لعائمه قال: «الذلول من المراكب ما يسهل ركوبه من غير أن يضطرب ويجمع. وتسمية الأرض ذلولاً وجعل ظهورها مناكب لها يستقر عليها ويمشي فيها، باعتبار انقيادها لأنواع التصرفات الإنسانية من غير امتناع، وقد وجّه كونها ذلولاً ذا مناكب بوجوه مختلفة تؤول جميعها إلى ما ذكرنا».

وكذلك قال فضل الله: «كما هو الحيوان الذلول الذي لا يجمع ولا يضطرب بل يستكين لراكبه، فالأرض منقادة بطوعة بفضل ما هيأه فيها من وسائل المعاش التي تشمل جميع الضرورات، والشروط التي تمنح الإنسان الإمكانيات الكفيلة بتأمين الراحة

والحصول على كل حاجاته، والوصول إلى طموحاته المادية والمعنوية.»

٧- وفي الإشارة فيها قال الغزالي: «جعل الله سبحانه الأرض ذلولاً لعباده لالاستغناء في منابجها. بل ليأخذوها منزلاً فتهزودون منها مختبرين من مصائد ما ومعاظيها، ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها، فالتاس في هذا العالم سفر، وأول منازلهم المهتد، وآخرها اللحد، والوطن هو الجنة أو النار، والعمر مسافة السفر، فسئوه مراحلها، وشهوره فرائضها، وأيامه أمياله، وأغاسه خطراته، وطاعته بضاعته، وأوقاته رؤوس أمواله، وشهواته وأغراضه قطائع طريقه، وربحه الفوز بقاء الله عز وجل في دار السلام مع الملك الكبير والقيم المقيم، وخسرانه البعد عن الله عز وجل مع الأنكال والأغلال والعقوبات الأليم في دركات الجحيم...»

وقال القشيري: «بعد أن فسّر الآية بأن سهل لكم السير في الأرض :- «كذلك جعل النفس ذلولاً، فلو طالبها بالوفاق وجدتها مُساعدة موافقة، متابعة مسابقة. وقد قيل في صفتها:

هي النفس ما عودتها تنمو

و للدهر أيام كُذِّمَ وتُحْمَدُ.»

وقد حكى البروسوي عن سهل أنه قال: «خلق الله الأنفس ذلولاً، فمن أذلها بمخالفتها فقد نجّها من الفتن والبلاء والهن، ومن لم يذلها وأثبتها، أذلته نفسه وأهلكته.»

٨- وأما سيد قطب فقد نبّه في كلامه الطويل على

نكات ترجع إلى الأرض:

منها: أن الناس بطول ألفتهم بحياتهم على الأرض وأنواع الانتفاع بها، نسوا نعمة الله في تذليلها لهم، فذكّرهم في كتابه هذه النعمة الهائلة...

ومنها: أن مفهوم الأرض للناس مع ما ينتفعون بها مجسدة، يفصلها العلم فيما اهتدى الله إليه حتى اليوم يبدّ في مساحة النص القرآني في الإدراك - ثم ذكر ما يقوله العلم في الأرض الذلول -.

ومنها: أنه قال في آخرها: «والنص القرآني يُشير إلى هذه الحقائق، ليصير كل فرد وكل جيل باقدر الذي يطيق، وبالقدر الذي يطغى إليه علمه وملاحظته، ليشعر بيد الله الذي بيده الملك...» فلاحظ. وقال مكارم الشيرازي: ««ذلول» بمعنى مطيع، وخوسهل تصير يمكن أن يُطلق على الأرض، لأن هذا المركب المتبرع السير جداً، مع حركته المتعددة، يلاحظ هادئاً إلى حدّ يبدو وكأنه ساكن بصورة مطلقة.

يقول بعض العلماء: إن للأرض أربع عشرة حركة مختلفة، ثلاث منها هي:

الأولى: حركتها حول نفسها.

والثانية: حول الشمس.

والثالثة: مع مجموعة المنظومة الشمسية في وسط المجرة...» فلاحظ.

القسم الثاني: المؤمنون وآيات، وكلها مدح، وفيها بُحُوث:

(٥) ﴿وَالْخَفِضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾:

١- هذه من تمة الآية التي قبلها بشأن إكرام الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِلْدُكُمُ الْكَبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِهًا ۖ وَقَدْ جَاءَ الْإِحْسَانُ بِالْوَالِدَيْنِ قَرِيبًا مَعَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَالِامْتِنَاعِ عَنِ الشَّرْكِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَآيَاتٍ أُخْرَى:

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ البقرة: ٨٣

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ النساء: ٣٦

﴿قُلْ قَالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفٌّ عَنِ الْفِتَنِ وَلَوْ أَنَّ لِي بِشَيْئًا مِّنَ الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ الأنعام: ١٥١

وهذا إن دل على شيء، فقد دل على امتنع الاهتمام بحق الوالدين. لاحظ: ول د: «الوالدين» وع ب د: «تعبدوا».

٢- قد مر في الأبحاث اللغوية، والأصول اللغوية أن «الذَّلَّ» قد يأتي ذمًا إذا كان بمعنى الحقارة، مثل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾ الإسراء: ١١١، ﴿وَكُرِهُهُمْ يُفْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ﴾ الشورى: ٤٥، و «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَنَكَةُ» البقرة: ٦١، وغيرها.

وقد يأتي مدحًا بمعنى اللين، مثل هذه الآية: ﴿يَتَخَسَّسُ الذَّلَّ﴾ وآيات أخرى.

٣- وقد اختلفت القراءة فيها بضم الذال وكسرها.

(٦) ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ

وُجُوهُهُمْ قُفْرٌ وَلَا ذُلٌّ﴾.

١- هذه مدح ونواب أخروي للمحسنين في الدنيا، وقبلها: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

٢- قالوا في إعرابها: ﴿ذُلٌّ﴾ عطف على ﴿قُفْرٌ﴾ وكلاهما صفة ذم متفيان، فالمحسنون لا ترهق لا تلحق - وجوههم مذلة ولا غبار في الآخرة. كالسجين في الآية بعدها: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ جَنَّةٍ يَحْفَلُونَ بِهَا وَأُفٍّ لَهُمْ ذُلٌّ﴾.

وقال الآلوسي: «دأى لا يغشاها غبرة ما فيها سواد، ولا أنر هوان ما، وكسوف بال، والمضي: لا يعرض عليهم ما يعرض لأهل النار، أو لا يعرض لهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال. والكلام على الأول حقيقة، وعلى الثاني كناية، لأن عدم غشيان ذلك لا يوجب لعدم غشيان ما يوجبهما، فذكر اللازم لينتقل منه إلى الملزوم. ورجح هذا بأنه أمدح».

وقال ابن عاشور: «والذَّلَّة: الهوان، والمراد أنسر الذَّلَّة الذي يبدو على وجه الذليل. والكلام مستعمل في صريحه وكنايته، أي لا تشبه وجوههم بالقفر وأنذر الذَّلَّة ولا يحصل لهم ما يؤثر القفر وهيئة الذَّلَّة».

٣- وقال أيضًا في الغرض منه: «وليس معنى نفي القفر والذَّلَّة عنهم في جملة أوصافهم مديحًا لهم، لأن ذلك لا يخطر بالبال وقومًا بعد أن أثبت لهم الحسنى وزيادة، بل المعنى التعريض بالذين لم يهديهم الله إلى صراط مستقيم، وهم الذين كسبوا السيئات تعجيلًا للمساءة إليهم، بطريق التعريض قبل التصريح الذي

يأتي في قوله: ﴿وَتَرْكُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ إلى قوله: ﴿مُظْلِمًا﴾  
يونس: ٢٧.

وقد عكس الآلوسيّ تمامًا، حيث قال:  
«والمقصود بيان خلوص نعيمهم من شوائب المكافاة  
إثر بيان ما من سبحانه به عليهم من التميم. وقيل: إن  
ذكر ذلك لتذكيرهم بما ينقلحهم منه، فلأنهم إذا ذكروا  
ذلك، زاد إبتهاجهم ومسرّتهم، كما أن أهل النار إذا  
ذكروا ما فاتهم من التميم إزداد غمهم وحسرتهم.  
وقيل: الغرض إدخال السرور عليهم بتذكير حال  
أعدائهم أهل النار...».

٤ - وقال فضل الله في علّة ذلك: «لأنهم لم يفعلوا  
شيئًا يهزم روحهم، أو يضعف موقفهم، أو يثير فيهم  
الشعور بالذلة والانسحاق، بل إنهم أخذوا بأسباب  
العزة والكرامة، من خلال ما فعلوه وقاموا به من  
طاعة الله وعبادته والسّير في طريقه المستقيم، ممّا  
جعلهم يواجهون الموقف أمام الله، بقلب مطمئن،  
ورأس مرتفع، وموقف ثابت، وأمل مشرق بالفوز  
والتجاة».

٥ - وأما الإشارة فقال القشيري: «والذلة التي  
لا تصيبهم، أي لا يردّوا من غير شهود إلى رؤية غيره».  
وقال القاسمي: «أي أثر هوان، وكسوف بال، من  
أثر الالتفات إلى ما دون الله تعالى».

قال الناصر: وفي تعقيب الزيادة بهذه الجملة  
مصدق لصحة تفسير الزيادة بالرؤية الكريمة، فإن فيه  
تنبيهًا على إكرام وجوههم بالنظر إلى وجه الله تعالى،  
فجدير بهم أن لا يرهق وجوههم قتر البعد، ولا ذلة

الحجاب عكس المحرومين المحبوبين، فإن وجوههم  
مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد».

(٧) ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ  
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾:

١ - هذه الآية مدح للمؤمنين - قبال من يرتد  
منهم عن دينه - بأوصاف:

أ - إن الله يأتيهم بدل المرتدين، وعبر عنهم  
بـ ﴿قَوْمٍ﴾ مشعرًا بكثرتهم وألفهم كقوم واحد.

ب - يحبهم الله ويحبونه، وهذا من قبل قوله  
تعالى في آيات: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

المائدة: ١١٩، التوبة: ١٠٠، المجادلة: ٢٢، البينة: ٨.

وقد قدم حبّه إيتاهم على حبهم إياه، كما قدم  
رضاه عنهم على رضاهم عنه، في تلك الآيات، إشعارًا  
بفضله عليهم، وتوفيقه لحبهم إياه، مع أن حبّه لهم

من أجل حبهم إياه

والفرق بين الحبّ والرضاء، هو أن الرضاء سبب  
للحبّ في جانب تعالى، فمن رضي الله عنه يحبّه، ولعلّ  
عكسه في طرف العباد، فمن يحبّونه يرضون عنه،  
فلاحظ.

ج - هؤلاء ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى  
الْكَافِرِينَ﴾ وسميحتهم، وإتيان هذين الوصفين عقيب  
تلكما الوصفين - حبّه وحبهم - مشعرًا باللازمة بينها،  
وأن حبهم الله يستلزم أن يكونوا أذلة على المؤمنين  
الذين هم أحبّاء الله أيضًا، وأعزّة على الكافرين  
الذين هم أعداء الله.

وهذان الوصفان مائتان لوصفين للمؤمنين، في

وقد أكد الله فيها نصر الله إياهم بهدر، وسينصرهم بأحد كما قال في ١٢٦ و ١٢٧: ﴿وَمَا الْكُفْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْغَزِيرِ الْحَكِيمِ﴾ لِيَنْقَطَعَ طَرَقَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتْهُمْ قَتْلًا أَوْ غَايِبًا بِمَشْرُطِ عَدَمِ تَحَلُّفِهِمْ عَنْ أَمْرِهِ، وقد خالفوه حيث تركوا مواضعهم طمعًا في المنيعة.

٢- ﴿أَوَّلُهُ﴾ جمع «ذليل» مثل «الأعزَّة» جمع «عزيز»، و«الألَّة» جمع «ليب». قال الزجّاج: «والأصل في فعل إذا كان صفة أن يُجمع على فُعْلَاء، نحو ظريف وطرُفَاء، وشريك وشُرَكَاء. ولكن فُعْلَاء أُجْتَبَ في التضعيف. لو قيل: جُفْلَاء وُقْلَاء في جليل وقليل، لاجتمع حرفان من جنس واحد، فعدل به إلى أَفْعَلَةٍ من جمع الأسماء في فعل، نحو جريب وأجربة، وعزير والعرّة».

وقال الزجّاج في «الأذلة»: جمع قلة، والذلان جمع الكثرة. وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلًا، وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب؛ وذلك أنهم خرجوا على التواضع يحضّب الثغر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد. وقلّتهم أنهم كانوا ثلاثئة وبضعة عشر، وكان عدوتهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل، ومعهم مائة فرس والشكّة والشوكة».

وقال التبريزي: «وإنما قال: ﴿أَوَّلُهُ﴾ ولم يقل: ذلات، تنبيهًا على قلّتهم مع ذلتهم، لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح».

٣- والذلة هنا ليست ذمًا بمعنى الحقارة، مثل:

قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩، مع تفاوت بين الآيتين بتقديم وتأخير؛ فإن وصف ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ بإزاء وصف ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، فكأنه أخصر عن وصف ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ الذي هو بإزاء ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وقد قدّم.

د- ﴿إِلَهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والجهاد في سبيله بجميع أفعاله لازم لحب الله والرضا عنه، فمن أحب الله يُجاهد في سبيله، أي إن الجهاد في سبيله المستقيم للتعبد والمشقة ناشئ عن حبه من دون طلب حاجة منه، أو طمع جزاء فيه.

هـ- ﴿وَلَا يَخَافُونَ أَوْفَةَ لَأَيْمِهِمْ﴾ فإن الجهاد المستقيم للتعبد يستعقب لوم اللاتعبد؛ حيث يقولون للمجاهد: لم ابتلّ نفسك بهذا التعبد من دون رجاء نفع؟

و- ثم ختمها الله بقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ تسجيلاً أن من وثق بهذه الأفعال والصفات الحسنة، فقد كان توفيقه بفضل الله الواسع المنّ العليم من يستحق المنّ.

(٨) ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

١- هذه من جملة آيات نزلت في آل عمران: ١٢٦-١٢٨، بشأن خزوة أحد ابتداءً من: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وانتهاءً بـ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾

﴿فَضَرَبْنَا عَلَيْهِمُ الْأَذَلَّةَ﴾ بل هو بمعنى «القليل» كما جاء في أكثر النصوص.

قال الصادق عليه السلام: «ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله ﷺ وإلما نزل (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ وَاتَّخَذْنَا عَلَيْهِمْ تَفْضُّلاً)».

وفي رواية: «ما أذل الله رسوله قط وإلما أنزلت ﴿وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ والمراد به أن معناها قليل، وكان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

وقال عبد الجبار: «المراد قلة العدد والعدة، والآلات والخوف من غلبة الكفار، ولم يرد الذل الذي يجري مجرى الذم والتقص؛ ومنه يقال لقليل العدد إذا كان في مقابلتهم الجيش العظيم، إلهم أذلهم» ولذلك قال بعده: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران: ١٢٤، فيمن أنه نصرهم بهم مؤاتينهم من أن يكونوا أذلة».

وقال الطوسي: «﴿وَأَنْتُمْ أَذَلَّةٌ﴾ جملة في موضع الحال. والذلة: الضعف عن المقاومة، وضدّها: العزة، وهي القوة على الغلبة، ويقال للجمل المتفاد من غير صعوبة: ذلول، لانقياده انقياد الضعيف. فأما الذليل فإلما يتفاد على مشقة؛ ومنه تذليل الطريق ونحوه، وهو توطئة الأصل. وفيه الضعف عن المقاومة». ثم ذكر نحو ما سبق عن الزجاج، ثم أشار إلى ما روي عن الصادق عليه السلام بقوله: «وروي عن بعض السلف الصالح أنه قرأ (وَأَنْتُمْ ضَعْفَاءُ)، ثم قال: «ولا يجوز وصفهم بأنهم أذلة وفيهم رسول الله ﷺ، وكان صاحب رواية

رسول الله ﷺ يوم بدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وصاحب رواية الأنصار سعد بن عباد».

وقال الزمخشري: «ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل بما يستر لهم من الفتح يوم بدر، وهم في حالة قلة وذلة».

وقال ابن عطية: «﴿أَذَلَّةٌ﴾: جمع ذليل، واسم الذل في هذا الموضع مستعار ولم يكونوا في أنفسهم إلا أعزّة، ولكن نسبتهم إلى عدوّهم وإلى جميع الكفار في أقطار الأرض، يقتضي عند التأمل ذلتهم وأنهم مغلوبون. وقد قال النبي ﷺ في ذلك اليوم: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لم نعبد». وهذه الاستعارة كاستعارة الكذب في قوله في الموطن: كذب كعب، وقوله: كذب أبو محمد؛ واستعارة المسكنة لأصحاب السفينة على بعض الأقوال؛ إذ كانت آل عمران: ١٢٤، فيمن أنه نصرهم بهم مؤاتينهم من أن يكونوا أذلة».

وقال الفخر الرازي: «وإلما كانوا أذلة لوجوه الأول: أنه تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ وَاتَّخَذْنَا عَلَيْهِمْ تَفْضُّلاً﴾، فلا بد من تفسير هذا الذل بمعنى لا ينافي مدلول هذه الآية؛ وذلك هو تفسيره بقلة العدد...».

الثاني: لعل المراد أنهم كانوا أذلة في زعم المشركين واعتقادهم لأجل قلة عددهم...

الثالث: أن الصعابة كانوا قد شاهدوا الكفار في مكة في القوة والثروة، وإلى ذلك الوقت ما اتفق لهم استيلاء على أولئك الكفار، فكانت هيبتهم باقية في قلوبهم واستعظامهم مفرّراً في نفوسهم، فكانوا لهذا

السبب بها بونهم ويخافون منهم».

وقال أبو حيان - ونحوه الخطيب -: «والمعنى وانتم أذلة في أعين غيركم...».

وقال ابن عاشور: «أي ضغفاء. والذل ضد العز. فهو الرهن والضعف. وهذا تعريض بأن انهزام يوم أحد لا يقل حدة المسلمين، لأنهم صاروا أعزق. والحرب سجال».

٣ - وفي كلام الطباطبائي: بحث حول الآية، فلاحظ.

القسم الثالث: اليهود ٣ آيات، وكلها ذم:

(٩): ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ وَالْمُسْكَنَةَ وَبَاؤَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

(١٠): ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ أَيْنَ مَا تَقُولُ الْأَكْمَرُ فِي الْمَاضِي وَالْحِسَالُ - كَمَا نَشَاهِدُ - وَفِي الْخَطِّ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةَ...﴾.

(١١): ﴿إِنَّ الَّذِينَ هَدَا الْبَعْلُ سَتَأْلَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْأَعْيُنِ وَالْذُّلُّ...﴾.

١ - هذه الآيات الثلاث من جملة آيات كثيرة في السور الثلاث: البقرة، وآل عمران، المائدة، والأعراف، المكية.

فقد بدأت الآيات بشأن بني إسرائيل في البقرة من الآية: ٤٠، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ إلى ١٢٣، ﴿وَوَاعَدْنَا نُونًا لَا نَجْزِي نَفْسًا عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾، وجموعها ٩٣ آية.

وبدأت في آل عمران خطابها إلى أهل الكتاب المشتركة بين اليهود والنصارى - وأكثرها في اليهود -

من: ٦٤، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَقَالُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ إلى ١٢٠، ﴿إِنْ تُنْسِفْكُمْ حَسَنَةً نَنْسِفْكُمْ...﴾، وجموعها ٥٦ آية. وفي خلالها آيات في غير أهل الكتاب.

وبدأت في الأعراف بشأن موسى وفرعون وبني إسرائيل، من: ١٠٣، ﴿ثُمَّ يَخْتَارُ مِنْهُمْ مَوْسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَعَوْنَ﴾ إلى ١٧٤، ﴿وَكَذَلِكَ تَقْصِلُ الْآيَاتِ وَلَقَدْهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وجموعها ٧١ آية.

وتوجد آيات أخرى أيضاً بشأن هذا القوم في غير تلك السور الثلاث. وهذا المقدار من الاهتمام بشأن اليهود وبني إسرائيل في القرآن، يحكي عن دور اليهود في المجتمع البشري بما لهم من الخداع والفساد في الماضي والحاضر. كما نشاهد - وفي الخطيب القريب والبعيد إلى يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقْبَتْنَا بَنِيكُمْ الْقَادِرَةَ وَالْهَضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ المائدة: ٦٤.

٢ - بين هذه الآيات الثلاث مشتركات وفروق. أما المشتركات فجاء فيها جميعاً ابتلاؤهم بـ ﴿ذِلَّةٌ﴾ و ﴿غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾ و ضُمَّتَ إِلَيْهَا فِي الْأَوَّلِينَ ﴿الْمُسْكَنَةُ﴾ مع تصديرها بـ ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فلا يجهولاً تشديداً في الذل والمسكنة.

وأما الفروق فأولاً: جاءت في الأوليين ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمْ﴾ دون الأخيرة، مع تفاوت بالجمع بين ﴿الدَّلِيلَ﴾ و ﴿الْمُسْكَنَةَ﴾ في الأولى، والتفريق بينهما في الثانية، وبذكر: ﴿الدَّلِيلَ أَيْنَ مَا تَقُولُوا...﴾ ثم كُرِّرَتْ ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةَ﴾ تفريقاً بينهما،



باختصاص كل منهما بفعل مجهول ﴿ضُرِبَتْ﴾ - كما قلنا: تشديداً في ضربها عليهم - زيادة في التشديد.

و ثانياً: جاءت ﴿وَيَأْتِيْ بِغَضَبٍ مِّنْ لَّهِ﴾ بعد ﴿الذِّلَّةُ وَالْمَسْكُوتَةُ﴾ في الأولى، و خلاهما في الثانية.

أما في الثالثة محذوف، وجاءت بدلها: ﴿سَيَسْأَلُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بفروق بينها وبين الأولىين:

أ - وعدهم بأنه سيناهم غضب من ربهم في المستقبل دون ﴿يَأْتِيْ بِغَضَبٍ مِّنْ لَّهِ﴾ في الماضي.

ب - ﴿الذِّلَّةُ وَالْمَسْكُوتَةُ﴾ في الأولىين مرزمان باللام، وفي الأخيرة ﴿ذِلَّةٌ﴾ نكرة، مع أن ﴿غَضَبٌ﴾

في الجميع نكرة تكبيراً فیهما، فإن «التذكير» يأتي للتحقير غالباً، وقد يأتي للتعظيم بناسبة السياق.

ج - قيدت فيها ﴿ذِلَّةٌ﴾ بـ ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ دون الأولىين.

د - جاء فيها ﴿غَضَبٌ مِّنْ رَبِّهِمْ﴾ وفي الأولىين ﴿غَضَبٌ مِّنْ لَّهِ﴾، وكلاهما عقاب من الله، لكن ﴿رَبِّهِمْ﴾ مشعر بأن عملهم كان خلاف المتوقع منهم بعد ما شملتهم ربوبيته تعالى.

و ثالثاً: الغضب والذلة في الأخيرة جزاء اتخاذهم العِجْلَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾

وفي الأولىين جزاء كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء وعصيانهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

يَعْتَكِبُونَ﴾ ولعل هذا الفارق الدال على دوام كفرهم و حدوث اتخاذهم العِجْلَ هو الباعث على دوام

ضرب الذلة عليهم في الحياة الدنيا أينما كانوا، كما قال: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفْتَوُوا﴾، و حدوث

الغضب عليهم في الحياة الدنيا كما قال: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ دون دوامه.

القسم الرابع: المشركون والمرشدون ٧ آيات: وكلها ذم وفي جميعها نحوت:

(١٢١): ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتُمْسَقُهُمْ ذِلَّةٌ...﴾

١ - هذه الآية جاءت عقاباً للمشركين المسيئين عقيب الآية (٦) التي كانت توصيفاً وجزاءاً للمؤمنين

المحسنين، من سورة يونس المكية التي تتحدث عن المشركين والمؤمنين دون المؤمنين المسيئين، فليست

الآية ٨١ من البقرة ﴿يَهْدِي مَنْ كَسَبَتْ سَيِّئَةً وَأَخَاطَتْ﴾ بـ ﴿عَظِيمَةٍ﴾ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾

عائنه فلو كان كما قال السدي - فإن تلك الآية ظاهرة في المؤمنين المسيئين دون الكافرين، فلاحظ.

٢ - اختلفت ألفاظهم في تفسير ﴿ذِلَّةٌ﴾ والمعنى واحد: صغار، هوان في أنفسهم، هوان وخزي، ذل

وهوان، تأييد العقوبة، أي تظهر عليهم آثار المذلة ولجوها.

٣ - قال أبو السعود: «وأي ذلة، كما ينسب عنه التثوين التفضيحي».

وقال الألوسي: «أي هوان عظيم، فالتثوين هنا للتضخيم على عكس التثوين فيما قبل، كما أشرنا

إليه». و مراده بما قبل تفسير الآية قبلها: ﴿وَلَا يَرْهَقُ

قالت جاراتها حين استشارتهم، فأجابوها: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْوَ شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ إِلَيْكَ﴾<sup>١</sup> فالظري ماذا تأمرين؟

٢- قالوا في تفسير ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً﴾<sup>٢</sup> بالفاظ مختلفة والمعنى واحد، مثل: بالضرب والقتل وغير ذلك - وأضاف بعضهم «السي والتحكم» - باستبعادهم الأحرار واسترقاقهم إياهم، أذلوا أعزمتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا، فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مفرها، ﴿أَعِزَّةً أَهْلَهَا﴾ أي أشرافهم وعظماهم ﴿أَذِلَّةً﴾ بالسيف أو بالاستبعاد أو بأخذ أموالهم وحط أقدارهم، أهانوا أشرافها وكبرائها، لكنهم يستقيم لهم الأمر، قيل: بأن يستعبدوهم فقال الله تعالى تصديقاً لهذا القول: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْهَمُونَ﴾، ينهب أموالهم ويحرب ديارهم، إلى غير ذلك من الإهانة والإفساد فطردوا من فيها من الولاة والجنود، فأهانوهم غاية الهوان: إما بالقتل أو بالأسر، ونحوها.

٣- قال الألوسي: «ولم يقل: (وَأَذَلُّوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا) مع أنه أخصر - للمبالغة في التصيير والجعل».

وقال الطباطبائي: «وقوله: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً﴾ أبلغ وأكد من قولنا مثلاً: «استذلُّوا أعزمتها»، لأنه مع الدلالة على تحقق الذلة يدل على تلبسهم بصفة الذلة».

(١٦) ﴿إِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيُّبُهُمْ فِي جَنُودٍ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ بَهَاؤُهَا وَتُخْرِجُهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾<sup>٣</sup>

١- هذه أيضاً من جملة آيات قصة ملكة سبأ، حاكية قول سليمان بعد ما أرسلت الملكة إليه هدية.

وَجُوهَهُمْ تَكْرُؤٌ لَّادِلَةٌ ﴿فَاتَهَا نَفْسِي لِأَدْنَى الذَّلَّةِ عَنِ الْحَسَنِ، وَهَذِهِ إِبْتِاتٌ لِأَعْظَمِ الذَّلَّةِ لِلْمُسْتَنِ، كَمَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْآيَتَيْنِ نَفِيًّا وَإِتِبَاءً، لَاحِظٌ: رَهَقُ: «يَرْهَقُهُمْ - تَرْهَقُهُمْ»، و: «سَيَّئَاتٍ - سَيِّئَاتٍ».

(١٣) ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾<sup>٤</sup>

(١٤) ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ...﴾<sup>٥</sup>

١- الآيتان تتحدثان عن توصيف الكفار بوصفهم في وجوههم وقلوبهم يوم القيامة بلفظ واحد: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، بأن أبصارهم خاشعة من شدة الخوف، وأن ذلة عظيمة تغلب عليهم من شدة الموقف، مع تفاوت بينهما، بأن الأولى نصف حالهم في وجوههم وأنفسهم حين يخرجون من الأجداث وأول وقوفهم للحساب، والثانية نصف حالهم كذلك حين يدعون إلى السجود لله بعد أن كانوا كفاراً فلا يستطيعون السجود.

٢- وكلاهما في سورتين مكيتين: المعارج والقلم، فتخصان أيضاً الكفار المشركين دون المؤمنين المسيئين، كالأية (٦) و (٧) تماماً، لاحظ: خ ش ج: «خَاشِعَةً»، و: ر ه ق: «تَرْهَقُهُمْ».

(١٥) ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً...﴾<sup>٦</sup>

١- هذه كالتى بعدها (١٥) من قصة قول بلقيس ملكة سبأ التي جاءت قصتها في سورة النمل الآيات: ٢٣ - ٤٤، يدو: من: ﴿إِلَى وَجَدْتُ أَمْرًا تُمْلِكُكُمْ...﴾ وختماً ب: ﴿وَأَمْلَأْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ فَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقبلها: ٣٦، ﴿فَلَمَّا جَاءَ - أَي الْمُدْعَى - سُلَيْمَنُ قَالَ أَكْبِدُونَنِي بِمَالِي فَمَا آتَنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْكُمْ بَلْ أَتُومَنَ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾، ثم قال سليمان مُدْعَى: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ...﴾.

٢- وفي معنى «الذليل» قال الطبرسي: «الذليل: هو الناقص القوة في نفسه، بما لا يمكنه أن يدفع غيره عن نفسه، والصاغر: هو الذليل الصغير القدر، المهين، يدل على معنى التحقير بشئتين، ونقص الذليل: العزيز وجمعه: أعز، وجمع الذليل: أذلة».

وقال الرَّمْثَرِيّ - ونحوه غيره -: «والذل: أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك».

وقال القرطبي: «﴿أَذَلَّةٌ﴾ قد سلبوا ملكهم وعزهم».

وقال مكارم الشيرازي: «هنا إشارة إلى أن أولئك لا يخرجون من أراضهم فحسب، بل يذلّون والإحغار والصغار بشكل يتركون جميع ممتلكاتهم من قصور وأموال وجاود وجلال، لأنهم لم يدعوا - ويسلموا - للحق، وإنما قصدوا الخداع والمكر...».

٣- قال أبو السعود: «وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم».

٤- كل من ﴿أَذَلَّةٌ﴾ و﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ حال عند أبي السعود ومكارم الشيرازي.

وقال الطبرسي (٤: ٢٢٠): «﴿أَذَلَّةٌ﴾ نصب على الحال، ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ جملة في موضع الحال معطوفة على ﴿أَذَلَّةٌ﴾».

ونقول: هناك احتمال آخر في إعراب الآية، وهو

أن ﴿أَذَلَّةٌ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿وَلَا تُخْرِجُهُمْ مِنْهَا﴾، لأنها مُضَمَّةٌ بمعنى «لنجعلهم»، و﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ حال منها، وأن «الواو» فيها حالية، لا عاطفة، كما يظهر من الطبرسي.

(١٧) ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَشَرِّحَ آيَاتِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى﴾.

١- هذه آية: ١٣٤، من سورة طه المكية، وقبلها آيات خطابها إلى المشركين، ابتداءً من الآية: ١٢٨، ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ - إِلَى أَنْ قَالَ فِي: ١٣٣، تَقْلًا عَنْهُمْ - وَقَالُوا لَوْ لَا بَأْسُنَا بَبَائِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ أَوْ لَمْ يَأْتِهِمْ نَذِيرٌ مِنَ الصَّغِيرِ الْأُولَى﴾ و﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ...﴾.

٢- وقولهم: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى﴾ أمر به الذِّلُّ والنُخْزَى في الدنيا بفسادهم أو في الآخرة بعذابهم.

فلاحظ: خ ز ي: «نُخْزَى»، وفيها نقلاً عن ابن عاشور: «الذل: الهوان، والنخزي: الافتضاح، أي الذل بالعذاب، والنخزي في حشرهم مع الجناة، كما قال إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْرِجُنِي يَوْمَ يَنْعَتُونَ﴾ الشعراء: ٨٧».

(١٨) ﴿وَوَرِّثَهُمْ يَوْمَ يُغْرَضُونَ عَلَيْهَا غَرَضَاتٍ مِنْ الذَّلِّ...﴾.

١- هذه الآية من سورة الشورى المكية، ومن تنمة آيات المشركين، وقبلها: ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَرْدٍ﴾ من تغدير وكري الظالمين لفسادهم والعذاب يتولون هل إلى مرقب من سبيل

وقال فضل الله: «خاشعين من الذل» الذي يعيشون فيه الاتسحاق والسقوط أمام المصير المحتوم، بدلاً من أن يكونوا خاشعين لله من خلال التزامهم بطاعته في الدنيا، وفي موقفهم أمامه يوم القيامة...».

القسم الخامس: المنافقون: آيتان، وكلاهما ذم:  
(١٩) «إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ»:

١- هذه الآية: ٢٠، من سورة المجادلة المدنية، جاءت عقب آيات المنافقين، ابتداءً من: ١٤، «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِوَعْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ سَاءُ لَهْمٌ مِنْهُمْ» ولا ملهم... إلى صدر ٢٢، «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ خَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...».

٢- «الاذل» جمع الازل، تفضيل، وكذلك صرّوه، فقالوا: «مع الأسفلين في الثار، يعني المنافقين» وقال التبريزي: «خاشعين» أي خاشعين لله، في أهل الذمة، لأن الغلبة لله ورسوله، يريد لهم الذل في الدنيا والآخرة، أي هم من جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة. في جملة من هو أذل الله من الأمم السابقة واللاحقة، لأنهم لمّا خادّوا الله ورسوله صاروا من الذل بهذا المكان. وذلك بالسبي والقتل في الدنيا وعذاب الآخرة سواء كانوا فارس أو الروم أو أعظم منهم، سوفة كانوا أو ملوكاً، كفرّة كانوا أو فسقة. لن يكون لمن خادّ الله ورسوله إلا الفزلة والهوان، وإلا أن يدخل في زمرة الذين أذلهم الله، وأنزلهم منازل الهوان، ونحوها.

٣- قال مغنيّة: «هذه الآية أشبه بالجواب عن

٢- وفي إعرابها ومعناها قال الزمخشري: «خاشعين» متضائلين متقاصرين بما يلحقهم «من الذل» وقد يعلّق «من الذل» بـ «يَنظُرُونَ» ويوقف على «خاشعين».

وقال الطبرسي: «خاشعين» منصوب على الحال من ساكنين متواضعين في حال الفرض، «يَفْرَضُونَ» في موضع النصب على الحال من «قريبهم»... ساكنين متواضعين في حال الفرض.

وقال ابن عطية - ونحوه القرطبي وأبو حنبل - «من الذل» يحتمل أن يعلّق بـ «خاشعين» ويحتمل أن يعلّق بما بعده من قوله: «يَنظُرُونَ».

والخشوع: الاستكانة، وقد يكون محسوداً، وما يخرجه إلى حالة الذم قوله: «من الذل» فيقول على هذا تعلق (من) بـ «خاشعين».

وقال التبريزي: «خاشعين» أي خاشعين لله، لا لهم عرفوا إذ ذاك ذنوبهم، وانكشفت لهم عظمة من عصوه.

وقال الراعي: «وهم خاشعون أذلاء».

وقال ابن عاشور: «والمراد بالخشوع في هذه الآية: ما يبدو عليهم من أثر المذلة والخافة، فقوله: «من الذل» متعلق بـ «خاشعين»، وتعلّق به يفسى عن تعليقه بـ «يَنظُرُونَ» ويفيد ما لا يفيد تعليقه به. و (من) للتعليل، أي خاشعين خشوعاً ناشئاً عن الذل، أي ليس خشوعهم لتعظيم الله والاعتراف له بالعبودية، لأن ذلك الاعتقاد لم يكن من شأنهم في الدنيا».

سؤال مقدر، ويتلخص السؤال: بأن أعداء الله يعيشون في عزٍّ من عُدَّتِهِم وعددهم، ويُنْكَلُون بأهل الله تنكيلاً وتشريداً، فكيف أمهلهم سبحانه وأمد لهم؟

وتجيب الآية بأن الأشرار هم أذل خلق الله من الأولين والآخرين، لأن نهايتهم الخزي والخذلان دنيًا و آخرة...، فذكر لهم عذاب الدنيا بأيدي المؤمنين، وعذاب الآخرة بيد الله سبحانه.

وقال الفخر الرازي في التلخيص: «لأن ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني، فلما كانت عزة الله غير متناهية، كانت ذلة من ينارعه غير متناهية أيضًا».

وقال الطباطبائي: «تعطيل لكونهم هم الخاسرين الوارد في الآية قبلها: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ غُرَابٌ أَذْهَبَ لَهُمُ الْكَتَابَ﴾، إنما كانوا خاسرين، لأنهم يخادون الله ورسوله».

وقال الخطيب: «لن يكون لمن يخاد الله ورسوله إلا الذل والهوان، وإلا أن يدخل في ذمرة الذين أذلهم الله، وأنزلهم منازل الهوان».

وقال فضل الله: «لأن العزة لله جميعًا، فهو الذي يملكها في ذاته المقدسة، وهو الذي يمنحها لغيره في ما يهيئته من أسبابها وفي ما يعطيه من مواقع القوة فيها، فلا عزة لغير الله إلا منه، فكيف ينطلق هؤلاء المنافقون ليأخذوا العزة من المشركين واليهود، وما ذا يملك أولئك منها ليستمدوا قوتها من قوتهم؟ وإذا كان الأمر في الدنيا بهذه المثابة؟ فكيف يواجه هؤلاء الموقف يوم القيامة حيث يكون الأمر كله لله؟».

٤- وفي التكتات البلاغية في الآية قال ابن عاشور:

أ- «واستحضارهم بصلة ﴿وَالَّذِينَ يَخَادُونُ اللَّهَ...﴾ إظهار في مقام الإضمار، فمقتضى الظاهر أن يقال: إتهم في الأذنين، فأخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر إلى الموصولية، لإفادة مدلول الصلة أنهم أعداء لله تعالى ورسوله ﷺ وإفادة الموصول تعليل الحكم الوارد بعده، وهو كونهم أذلين لأنهم أعداء رسول الله ﷺ فهم أعداء الله القادر على كل شيء، فتدو لا يكون عزيزاً».

ب- «ومفاد حرف الظرفية أنهم كائنون في ذمرة القوم الموصوفين بأنهم أذلون، أي شديدوا المذلة، ليصورهم السامع في كل جماعة يرى أنهم أذلون، فيكون هذا التظلم أبلغ من أن يقال: «أولئك هم الأذليون»».

ج- «واسم الإشارة تنبيه على أن المشار إليهم جديرون بما بعد اسم الإشارة من الحكم، بسبب الوصف الذي قبل اسم الإشارة، مثل: ﴿أُولَئِكَ عَلَى قُدْرَى مِنْ رَبِّهِمْ﴾، البقرة: ٥».

(٢٠) ﴿يَكُونُونَ لَكُمْ رَجْعًا إِلَى الدِّينِ لِتُخْرِجَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ الْأَذَلِّ...﴾

١- هذه آخر آية وردت بشأن المنافقين في السورة. وقد كانت الآيات قبلها من أول السورة إلى هذه كلها في ذمتهم، وقد سُحِّيت السورة باسمهم: «سورة المنافقين» وبعدها خطاب إلى المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ...﴾ إلى آخر

السورة.

٢- قاله عبد الله بن أبي في أثناء غزوة تبوك، وسمعا زيد بن أرقم، فأخبر به النبي. قاله الفراء وذكر الطبري وغيره القصة تفصيلاً، فلاحظ. وقد صنى به ﴿الْأَهْرُ﴾ نفسه، وبـ ﴿الْأَذَلُ﴾ رسول الله ﷺ مرة لله عليه بقوله: ﴿وَرَفَعَهُ الْبُيُوتُ﴾.

٣- قال القشيري: «إنما وقع لهم الغلط في تعيين الأهرز والأذل، فتوخسوا أن ﴿الْأَهْرُ﴾ هم المنافقون، و﴿الْأَذَلُ﴾ هم المسلمون، ولكن الأمر بالعكس. فلا جرم غلب الرسول ﷺ والمسلمون، وأذل المنافقون بقوله: ﴿وَرَفَعَهُ الْبُيُوتُ﴾». لاحظ: ن ف ق: «المنافقين».

القسم السادس: المهور: ثلاث آيات وكلها حذفت الله تعالى:

قد مرت في (٣): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ و﴿ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ و﴿لَهُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَهُمْ شَارِبٌ أَقْلًا يَشْكُرُونَ﴾.

١- هذه من جملة آيات جاءت في سورة «يس» بشأن ما أنعم الله تعالى على الإنسان من الأنعام، وقد سبقت فيها آيات في غير الأنعام من نعمانه والنعمة على الإنسان.

قالاية: ٣٣- ٣٦، منها جاءت بشأن إحياء الأرض الميتة، وما فيها من جنات وثمار: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا...﴾ والآية: ٣٧- ٤٠ جاءت بشأن الليل والنهار والشمس والقمر: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ تَسْلَخُ مِنْهُ النَّجَارُ...﴾ والآية: ٤١- ٤٤، بشأن

الملك وما يركبون: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَسَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْغُلُقُوتِ الْمَشْحُونِ...﴾. وبعدها في الآية: ٧٧- ٧٩، بشأن خلق الإنسان من نطفة: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ...﴾. وفي الآية: ٨٠، في جمل النار من الشجر الأخضر: ﴿أَلَيْسَى بِجَعَلْ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا...﴾. وفي خلاها وقبلها وبعدها آيات في التوحيد والوحي والمعاد والثبوت والمعاد.

٢- قالوا في تفسير ﴿ذَلَّلْنَاهَا﴾: سخرناها، أخضعناها، لم نخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم، لا يقدر على ضبطها بل هي سخرة لهم.

تذليل الأنعام: تسخيرها بالانقياد ورفع الثغور، لأن الوحشي من الحيوان ثغور، والإنسي مذلل بما جعله الله فيه من الأنس والتكون، ورفع عنه من الاستيعاش والثغور. هو من جملة النعم الظاهرة، لا الخفية.

سخرناها لهم حتى صاروا متفاداة. سخرناها لهم حتى يقود الصبي الجميل العظيم ويضربه ويصرقه كيف شاء، لا يخرج من طاعته. ولولا تذليله تعالى إياها وتسخيره، لم يقدّر عليها. ألا ترى إلى ما لذّ منها لا يكاد يقدّر على ردها؟ لذلك أمر بتسبيح رأكبها، بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِبِينَ﴾ الزخرف: ١٣.

جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تقتنع منهم للصغير ولو كانت القطار مائة بعير أو أكثر. سخرناها لها ولوشتنا جعلناها وحشية... جعلنا متفاداة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء منها



بحرث لا ينتهي كونه ذلولاً. وقال بعض المفسرين: معنى ﴿تَحْيِرُ الْأَرْضَ﴾ بغير الحرث بطراً أو مرحاً، ومن عادة البقرة إذا بطرت تضرب بقرنها وأظلالها، فتشيع تراب الأرض، ويتخذ عليه القبار، فيكون هذا المعنى من قمام قوله: ﴿لَا ذَلُولَ﴾، لأن وصفها بالمرح والبطر دليل على أنها لا ذلول.

وقال الخطيب: «إنها بقرة لم يذلها العمل، بل هي بقرة برية مرسله، لم تستخدم في حرث الأرض، ولا في سقي ما حرثت من الأرض».

(٢٢) ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

هذه جاءت بلسان التعليل - وبما سُميت السورة تكميلاً لها، كما سُميت سورة البقرة بالبقرة

لأن العجوز طليها - وقبلها: ﴿وَأَوْخِي رَبُّكَ إِلَى الثَّغْلِ أَنْ يَهْدِيَنَّ مِنَ الْجَنَّةِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَخْرُشُونَ﴾. فالآيتان مرتبطتان بالحيوان والنبات كليهما ذلولاً، سيقهما من آيتين مرتبطتين بهما أيضاً: ٦٦ و ٦٧: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ آيَةٌ فَاسْتَكْبِرُوا وَبِمَا يَطُوتِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ وَذَمِّ لَبَّا خَالِصًا سَائِقًا لِلشَّارِبِينَ﴾ و «مِنْ ثَمَرَاتِ الثَّغْلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَكَلَّمُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرُزْقًا خُشْتًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

فهذه الآيات الأربع ٦٦ - ٦٩ من هذه السورة نظيرة للآيتين ٨٠ و ٨١ منها، في علاقتها بالأنعام والنبات إضافة إلى الجبال واليسوت واللباس: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ

أَنْهَا صَفَةً لـ ﴿بَقَرَةً﴾ وتوسّطت (لَا) للنفس، كما تقدم في ﴿لَا قَارِضَ﴾، أو على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي لاهي ذلول، والجملة من هذا المبتدأ والخبر في محل رفع صفة لـ ﴿بَقَرَةً﴾، وقرئ (لَا ذَلُولَ) بفتح اللام، على أنها (لَا) التي للتبرئة والخبر محذوف، تقديره: لا ذلول ثم، أو ما أشبهه. وليس المعنى على هذه القرامة، ولذلك قال الأخفش: (لَا ذَلُولَ) نعت ولا يجوز نصبه.

وقالوا في معناها: لا مذلة، ليست بذلول فتضل ذلك، صعبة لم يذلها عمل كثير الأرض، فتبذل في المكاسب، لم يذلها إثارة الأرض بأظلالها، ولا سقي عليها الماء فسقي عليها الزرع، لم يذل بالعمل، لا في حرث، ولا في سقي، ولهذا نفى عنها إثارة الأرض وسقيها، ونحوها.

وقال الزجاج: «يحتمل أن يكون أدركه تفتت» بذلول وهي تحير الأرض، ويحتمل: أنها ليست ذلولة، ولا مثيرة الأرض، قيل: إنها كانت وحشية، في قول الحسن.

وقال الطبري الرأزي: «وجملة القول أن الذلول بالعمل لا بد من أن تكون ناقصة، فبئس نصالي أنها لا تحير الأرض ولا تسقي الحرث، لأن هذين العملين يظهر بهما التقص».

وقال أبو حيان: «وقد ذهب قوم إلى أن قوله: ﴿تَحْيِرُ الْأَرْضَ﴾ فعل مثبت لفظاً ومعنى، وأنه أثبت للبقرة أنها تحير الأرض وتحرقها، ونفى عنها سقي الحرث، وردها القول من حيث المعنى، لأن ما كان



جَلُودِ الْإِنْعَامِ يُورِثُكَ كَسْبُكَ يَوْمَ تَخْرُجُهَا أَثَاقًا  
 إِقَامَتُكُمْ وَمِنْ أَوْسَافِهَا وَأَوْبَارُهَا وَأَشْعَارُهَا أَثَاقًا  
 وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ • وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا خَلْقَ ظِلَالًا  
 وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاثًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ  
 تَبْكُمُ الْخَرَّ وَسَرَابِيلَ تَلْبِكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ  
 نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ •

٢- ﴿ذَلَّلًا﴾ جمع ذلول، وفي إعرابها ومعناها  
 قال الزمخشري: - ونحوه غيره: - «هي حال من  
 السُّبُل، لأن الله ذللها لها ووطأها وسهلها، كقوله:  
 ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ الملك: ١٥، أو  
 من الضمير في ﴿فَاسْلُكِي﴾ أي وانت ذلل متفاد لها  
 أمرت به غير ممتنعة».

وقال أبو الفتح: «قال بعض: هو حال من  
 ﴿التَّحَلَّى﴾. وقال بعض آخر: حال من السُّبُل» وهو  
 على القول الأول حال من الفاعل، وعلى القول  
 الثاني حال من المفعول. والمراد: قد سهل لك الطريق  
 كلما شئت فاسلك فيها».

وقال ابن زيد: «الذلول: الذي يقاد ومذهب به  
 حيث أراد صاحبه، فهم يخرجون بالتحل ينصبون بها،  
 ويذهبون وهي تتبعهم، وقرأ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا  
 لَهُمْ مِنْهَا غُبَاتٍ أَبْدِئُنَا أَعْمَاسًا فَهُمْ يَنْهَاسًا لِيَكُونَ •  
 وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ يس: ٧١، ٧٢».

وقال الطوسي: «وهي الطرق الموطأة للسُّلوك...  
 وقال قتادة: ﴿ذَلَّلًا﴾ أي مطبوعة، ويكون من صفة  
 ﴿التَّحَلَّى﴾. وقال غيره: هو من صفات الطرق، ومعنى  
 ﴿ذَلَّلًا﴾: إنه قد ذللها لك وسهل عليك سلوكها. وفي

ذلك أعظم العبر، وأظهر الدلالة على توحيده تعالى،  
 وأنه لا يقدر عليه سواه». ونحوها.

وقد ذكر ابن كثير الأقوال في إعرابها، ورجح أنها  
 حال من «الطريق» - أي «السُّبُل» - لأنه أظهر.

وقال الألوسي: «جعل ابن عبد السلام وصف  
 «السُّبُل» بـ «الذلل» دليلًا على أن المراد بـ «السُّبُل»  
 مسالك الفناء لا طرق الذهاب أو الإياب، قال: لأن  
 التحل نذهب وتؤوب في الهواء، وهو ليس طريقًا ذُلًّا،  
 لأن الذلول هو الذي يُذلل بكثرة الوطء، والهواء  
 ليس كذلك، وفيه نظر».

٣- وفي كَيْفَتِهِ عملها قال الطباطبائي: «وقوله:  
 ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذَلَّلًا﴾ تفرعه على الأمر  
 بالأكلي، يؤيد أن المراد به رجوعها إلى بيوتها، لتودع  
 إليها ما هيأته من السبل المأخوذ من الثمرات.  
 واستفاد السُّبُل إلى الرب للدلالة على أن الجميع  
 بإلهام إلهي».

وقال الخطيب: «والأمر الموجه إلى التحل بأن  
 يسلك سبل ربه ذللًا، هو إذن من الخلق جل وعلا  
 للتحل أن ينطلق على طبيعته، وأن يسير على ما  
 توجهه إليه غريزته؛ حيث لا تصادم هذه الغريزة  
 بشيء غريب، يدخل عليها من إرادة أو تفكير.  
 فالسُّبُل التي تسلكها التحل في بناء بيوتها، وفي تناول  
 طعامها، وفي الشرب الذي تخرجه من بطونها، كل  
 ذلك يجري على سنن مستقيم لا ينحرف أبدًا ويسير  
 في طريق مُذَلَّل مُعَيَّد. هو طريق الله، وهو فطرة الله».

وقال مكارم الشيرازي: «لقد توصل العلماء

المتخصصون بدراسة حياة النحل إلى ما يلي: تخرج في كل صباح مجموعة من النحل لمعرفة أماكن وجود الأوراد. ثم تعود إلى الخلية لتخبر بقية النحل عن أماكن الورود والجهات التي ينبغي التوجه إليها، ومقدار الفاصلة بين الورود والخلية.

ويستعمل النحل أحياناً - لأجل تعيين طرق وصوله إلى الأوراد - علامات خاصة، كأن يشخص طبيعة الزوايح المنتشرة على طول الطريق أو ما تشابه ذلك؛ وذلك لضمان عدم إضاعة الطريق ذهاباً وإياباً. ولعل عبارة ﴿فَاسْأَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا﴾ إشارة لهذه الحركة.

وقال فضل الله: ﴿فَاسْأَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا﴾ في ما ذلله الله للثر من وسائل للحصول على ما تريد من... فإن الله قد جرت حكمته أن يلهم المخلوقات ما تعلمه، وأن يسهل لها السبل إلى ذلك. وبذلك تكون الشهادة الطيبة المحلوة من ذلك كله، في ما يتعلق بالنحل.

٤ - وقال البخوي: «إن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان، ولها يغسوب إذا وقف وقفت وإذا سار سارت».

القسم السابع: الثبات، آية واحدة، وهي أيضاً مدح لله تعالى:

(٢٢) ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً﴾

١ - هذه من جملة ما من الله بها في سورة الفجر - على الأبرار في الجنة، والصميران في: ﴿ظِلَالُهَا﴾ و﴿قُطُوفُهَا﴾ راجعان إلى «الجنة» في آيتين قبلها.

١٢: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَخَرِيرًا﴾، أي ظلال أشجارها، فإن الجنة جنة بأشجارها.

٢ - وفي إعرابها قال الزمخشري - ونصوه أبو حيان وأبو السموء: «فإن قلت: فضلاً عطف ﴿وَذُلَّتْ﴾؟

قلت: هي إذا رفعت (وَدَانِيَةً) جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية، وإذا نصبها على الحال، فهي حال من ﴿وَدَانِيَةً﴾، أي تدنو ظلالها عليهم في حال قطوفها لهم، أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها، ومُدَلَّةٌ قُطُوفُهَا، وإذا نصبت ﴿وَدَانِيَةً﴾ على الوصف، فهي صفة مثلها، ألا ترى أنك لو قلت: جنة ذُلَّتْ قُطُوفُهَا: كان صحيحاً»

وقال الضحري: «وَأَمَّا ﴿وَذُلَّتْ﴾ فيجوز أن يكون حالاً، أي وقد ذُلَّتْ، وأن يكون مستأنفاً». وقال المكي عاشور: «و ﴿تَذَلُّلاً﴾ مصدر مؤكد لذلك، أي تذليلًا شديدًا منها».

٣ - وقالوا في معناها: سُخِّرَتْ وقُرِبت ثمرها تسخيراً، أُنْثِيت منهم من قولك: حائط ذليل؛ إذا كان قصير السنك، ذُلَّتْ عليهم ثمارها، ينالها القائم والقاعد، سُخِّرَتْ للقائم «المتكى»، سُخِّرَتْ ثمارها لمتناولها وسهل أخذها من الذل وهو ضد الصعوبة، سهل التناول، سُخِّرَتْ لهم قُطُوف تلك الأدواح، وسُهِّلَتْ لهم بحيث لا التواء فيها ولا صلابة تصب قاطفها، ولا يمتطون إليها بل يجتنونها بأسهل تناول.

فاستعير التذليل للتيسير، كما يقال: فرس ذلول.



# ذمم

٣ ألقاظ، ٥ مرات: ٢ مكّتان، ٣ مدنية  
في ٣ سور: ٢ مكّتان، ١ مدنية

ذمة ٢: ٢ - مذموم ١: ١ - ذمة ٢: ٢  
ومنه سمي أهل العهد أهل الذمة الذين تردون الجزية  
على رؤوسهم من المشركين كلهم.  
والذمة المذموم الذمم.

وفي حديث يونس عليه السلام: «أن الحوت قام<sup>(١)</sup> زريًا  
نمًا، أي مذمومًا مهزولًا يشبه الهالك». والذمم: بئر أمثال يفض العمل، يخرج على الأنف  
من الحر ونحوه الواحدة: ذميمة، ويجمع على: ذمام.  
[ثم استشهد بشعر]  
وركيحة ذمة: قليلة الماء؛ والجمع: الذمام.

(٨: ١٧٩)

الضمي: يقال: أخذني منه مزية ومذمة. ويقال:

(١) هكذا في الأصل، وذكره الحاروي (٢: ٦٨٥) وابن

الأنبار (٢: ١٦٦): «رديًا».

## النصوص اللغوية

أبو عمرو وابن العلام: سمعت أعرابيًا يقول: لم أرَ  
كالיום قط، يدخل عليهم مثل هذا الرطب لا يذمون  
- أي لا يذممون - ولا تأخذهم ذمامة حتى يهتدوا  
لجيرانهم. (الأزهري ١٤: ٤١٦)

الخليل: الذم: اللوم في الإساءة؛ ومنه: التذمم.  
فيقال من التذمم: قد قضيت مذمة صاحبي، أي  
احسنت أن لا أذم.

ويقال: أقتل كذا وكذا وخلاك ذم، أي خلاك  
لوم.

والذمام: كل حرمة تلتزمك، إذا ضيعتها المذمة؛

أَذْهَبَ عَنْكَ مَذْمَةُ الرُّضَاعِ، وَمَذْمَةُ الرُّضَاعِ، بِشْيءٍ  
لَطِيفِهِ الظَّنُّ، وَهُوَ الذِّمَامُ الَّذِي لَزِمَكَ لَهَا بِارْضَاعِهَا  
وَلَدُكَ. (الأزهري ١٤: ٤١٧)

ابن شميل: أَخَذَنِي مِنْهُ ذِمَامٌ وَمَذْمَةٌ.  
وَعَلَى الرَّفِيقِ مِنَ الرَّفِيقِ ذِمَامٌ، أَيْ جِثَّةٌ أَوْ حَقٌّ.  
وَالْمَذْمَةُ: الْمَلَامَةُ.

وَالذِّمَامَةُ: الْحَقُّ. [ثم استشهد بشعر]  
وَيُقَالُ: لَدِثَتْ رُكَابُ الْقَوْمِ إِذَا مَاتُوا، إِذَا تَأَخَّرَتْ  
عَنِ الْإِبِلِ وَلَمْ تَلْحَقْ بِهَا، فَهِيَ مَذْمَةٌ.

(الأزهري ١٤: ٤١٨)  
أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ: الذِّمَّةُ: الْمَأْذِنَةُ: مَأْذِنَةُ  
الطَّعَامِ أَوْ الْفَرَسِ. يُقَالُ: لَهُمْ ذِمَّةٌ. (١: ٢٨٤)

أَبُو عُبَيْدَةَ: الذِّمَّةُ: الذِّمَّةُ مِمَّنْ لَا عَهْدَ لَهُ.  
وَالذِّمَّةُ: الْعَهْدُ مَنْسُوبٌ إِلَى الذِّمَّةِ. وَفِي الْحَدِيثِ  
«وَيُسَمَّى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ». (الأزهري ١٤: ٤١٧)

الذِّمَّةُ: مَا يُتَذَمُّ مِنْهُ. (الأزهري ١٤: ٤١٨)  
أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ كَلًّا عَلَى النَّاسِ:  
إِنَّهُ لَذُو مَذْمَةٍ، وَإِنَّهُ لَطَوِيلُ الْمَذْمَةِ. فَأَمَّا الذِّمُّ فَالاسْمُ  
مِنْهُ: الْمَذْمَةُ.

وَيُقَالُ: أَذْهَبَ عَنْكَ مَذْمَتُهُمْ بِشْيءٍ، أَيْ أَطْلَعَهُمْ  
شَيْئًا فَلَنْ لَهُمْ ذِمَامًا، وَ«مَذْمَتُهُمْ» لُغَةٌ.  
(الأزهري ١٤: ٤١٧)

المَذْمَةُ بِالْكَسْرِ: الذِّمَامُ، وَبِالْفَتْحِ الذِّمُّ.  
(الفائق ٢: ١٥)

الأَصْمَعِيُّ: الذِّمُّ وَالذِّمَامُ: جَمِيعًا الْعَيْبُ.  
الذِّمَّةُ: الْقَلِيلَةُ مِنَ الْمَاءِ. يُقَالُ: بَرْدَمَةُ وَجَمْعُهَا: ذِمَامٌ.

[ثم استشهد بشعر] (الأزهري ١٤: ٤١٦)  
أَبُو عُبَيْدٍ: فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ  
دِمَاؤُهُمْ، وَيُسَمَّى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ  
أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، لَا يَقْتُلُ مُسْلِمٌ  
بِكَاْفَرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ».

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «يُسَمَّى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ»، فَلَنْ الذِّمَّةُ:  
الْأَمَانُ. يَقُولُ: إِذَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ الْعَدُوَّ أَمَّا جِازَ  
ذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَخْفِرُوهُ.

وَمِنْهُ قَوْلُ سُلَيْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «ذِمَّةُ  
الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ». فَالذِّمَّةُ هِيَ الْأَمَانُ، وَهَذَا سَمِّيَ  
الْعَاهِدَ ذِمًّا، لِأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ الْأَمَانَ عَلَى مَالِهِ وَذِمَّتِهِ  
الْعِزَّةِ الَّتِي تُوَخَّدُ مِنْهُ. (١: ٢٦٣)

ابن الأعرابي: الذِّمُّ وَالذِّمَّةُ: مَا يُسِيلُ مِنْ  
الْأَنْفِ. [ثم استشهد بشعر]  
ذِمَّمٌ، إِذَا غَلَّلَ عَطِيقَتَهُ.

وَذِمُّ الرَّجُلِ، إِذَا هَجِيَ، وَذِمٌّ إِذَا تَجَسَّسَ.  
وَالذِّمُّ مُشَدَّدٌ وَالذِّمَامُ خَفِيفٌ: الْعَيْبُ.  
وَالذِّمَّةُ: الْبُشْرُ الْقَلِيلَةُ مِنَ الْمَاءِ وَالْجَمِيعُ: ذِمٌّ.  
وَالذِّمَّةُ: الْعَهْدُ وَجَمْعُهَا: ذِمَمٌ وَذِمَامٌ.  
وَفِي الْحَدِيثِ: فَأَتَيْنَا عَلَى بَرْدَمَةٍ.

(الأزهري ١٤: ٤١٦)  
وَأَذَمَ بِهِمْ: تَرَكَهُمْ مَذْمُومِينَ فِي النَّاسِ.

(ابن سيده ١٠: ٥٨)  
ابن السكيت: وَذَمَّتْ الرَّجُلَ ذِمًّا، وَهُوَ مَذْمُومٌ  
وَذَمِيمٌ. (٢٦٦)

وَيُقَالُ: قَدْ أَذَمَّتْ، إِذَا فَطَلَتْ مَا تُذَمُّ عَلَيْهِ.

ويقال: قد أذمت ركاب القوم، إذا تأخرت عن  
جماعة الإيل ولم تلحق بها.

وأثبت موضع كذا وكذا فاذمته. وقد ذممت  
فلاناً، إذا شكوكه. (إصلاح المنطق: ٢٤٤)

ويقال: قد أذمت الرجل، إذا صادفته مذموماً،  
وقد ذمته إذا شكوكه. (إصلاح المنطق: ٢٤٩)

أذهب مذمتهم بشيء، أي أطعمهم شيئاً، فإن لهم  
عليك حقاً، و«مذمتهم» لغة. (إصلاح المنطق: ٣٧٣)

يقال: الفصل كذا وكذا وخلاك ذم، ولا تغفل،  
وخلاك ذلب، والمعنى: خلا منك ذم، أي لا تذر.

(الجهوري ٥: ١٩٢٥)

ابن قتيبة: في الحديث: «أن المحتاج سأل  
النبي ﷺ عما يذهب عنه مذمة الرضاع، فقال: غربة  
عبد أو أمة».

أراد به «مذمة الرضاع»: ذم الرضعة برحمتها.  
(الأزهري ١٤: ٤١٦)

المبسر: تذيئه: معناه تذمه. يقال: ذمه يذمه ذماً،  
وذامه يذمه ذيماً، وذامه يذامه ذاماً، والمعنى واحد.

(١١٢: ٢)

كراع الثعلب: والذميم: البياض الذي يكون  
على أنف الجذني. (ابن سيده ١٠: ٥٩)

الزجاج: ذم الرجل يذمه ذماً.  
وأذم الرجل، إذا أتى ما يذم عليه.

(فعلت وأفعلت: ١٧)

وأذم الرجل: ولد له ولد مذموم، أو فصل فعلاً  
مذموماً...

وأذمت الرجل: وجدته مذموماً.

(فعلت وأفعلت: ٤٧)

ابن دريد: ذممت الشيء، أذمته ذماً.

والذم: خلاف الحمد، والمذمة: مفعلة من ذلك.  
والمذمة: مفعلة من الزم، من قولهم: رعت ذمام فلان  
وذمته.

والمذمة: العهد.

واستذم إلى فلان، أي فعل ما يذمه عليه.

وبئر ذمة: قليلة الماء، وفي الحديث: «أن النبي ﷺ  
مر ببئر ذمة».

ورجل ذميم: «غيبيل» من الذم، معدول عن

القول.

والذميم: أثر يظهر في الوجوه من حر الشمس، أو  
سفع النعاج في الحرب.

والذميم أيضاً: ما انتزع من أخلاف الثوق على  
أفخاذها من اللبن، وهو أيضاً ندى يسقط من السماء  
على الشجر، فيصيبه التراب، فيصير كمثل قطع الطين.  
وأذمت راحلة الرجل، إذا أعيت فلم يكن بها

حرك. (واستشهد بالشعر ٤ مرات) (٨٠: ١)

تفطوته: الذمة: الضمان، يقال: هو في ذمتي، أي  
في ضمانتي. وبه سمي أهل الذمة، لأنهم في ضمان  
المسلمين.

يقال: له علي ذمام، وذمة، ومذمة ومذمة، وهي  
الذم. (ثم استشهد بشعر) (الأزهري ١٤: ٤١٨)

ابن الأنباري: رجل ذمي: له عهد، والذمة:  
العهد منسوب إلى الذمة. (الأزهري ١٤: ٤١٧)

وفي الحديث: «أرى عبد المطلب في منامه: أخضر زمزم، لا تترف»<sup>(١)</sup> ولا تدمه. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لأحاب، من قولك: ذمته، إذا عبت. والثاني: لا تفسى مذمومة. يقال: أذمته، إذا وجدته مذموماً.

والثالث: لا يوجد ماؤها ناقصاً، من قولك: بئر ذمة. إذا كانت قليلة الماء. (الأزهري ١٤: ٤١٨) الصاحب: الذم: اللوم في إساءة؛ ومنه: التذم. وضميت مذمته، أي أحسنت أن لا أذم. والذم: المذموم الذمهم. وأقبل ذلك وخلاك ذم. وأذم الرجل: أتى ما يذم عليه. وذم نقص.

والذمة في الرضاع: شيء يخطأ الظفر بالانضمام. وضمته مذمة ومذمة.

ورجل ذم وحتم، أي مذموم. والذمام والذمامة: كل حرمة تلتزمك مذمة إذا ضيعتها؛ وأهل الذمة من ذلك.

ورعت ذم فلان، أي ذمته.

ورعى فلان بما أذم، أي ما أعطى من الزمام.

وركية ذمة وركابها ذمام؛ قليلة الماء.

والذميم: بئر أمثال بيض التمل، يخرج على

الألف من حر أو نحوه.

والتذم: الحيام.

(١) وفي النهاية: (٢: ١٦٩) واللسان: «لا تترف»

بالبناء للمجهول.

وتوب مؤرم، إذا كان متجهجاً متهمياً.

وأذم المكان: أجذبه، وبلى مؤرم وذميم.

ورجل مؤرم: لا حراك به.

وذامنت الشيء، إذا ذه مذامة، إذا رجيت وتبعت

به.

وبقيت منه ذمامة.

وأذمت ركاب القوم إذماماً: تأخرت عن جماعة

الإبل كلاً.

والذمامة: الهزال، والذميمة: المهزولة.

وذم أنفه، أي قطر.

والذميم: البول الذي يفر.

الخطابي: في حديث أبي بكر رضي الله عنه: «أن

سعود بن خنينة مولى أوس بن حجر، قال: رأيته قد

طلع في طريق مقورة حذرة، وأن راحلته قد أذمت به

«أزحيفته». قال بعض أهل اللغة: معناه أنها صارت

إلى حال تدم عليها، كما يقال: أحمد إذا جاء بما يحمده

عليه. ويحتمل أن يكون المعنى في ذلك: انقطاع

سيرها، من قولك: بئر ذمة وقد ذمت البئر وأذمت، إذا

قل ماؤها وانقطع. [تم استشهد بشعر] (٢: ٣٩)

الجوهري: الذم: تبيض المدح. يقال: ذمته فهو

ذميم.

وبئر ذمة: قليلة الماء؛ وجمعها: ذمام.

وماء ذميم أي مكروه.

وقد ذم أنفه «نن».

والذمام: الحرمة. وأهل الذمة: أهل العقد.

وأذمه، أي أجازه.

وَأَذَمَهُ، أَي وَجَدَهُ مَذْمُومًا. يُقَالُ: أَكْبَهْتُ مَوْضِعَ كَذَا  
فَأَذَمْتُهُ، أَي وَجَدْتُهُ مَذْمُومًا.

وَأَذَمَ بِهِ: تَهَاوَنَ. وَأَذَمَ الرَّجُلُ: أَتَى بِمَا يُذَمُّ عَلَيْهِ.  
وَأَذَمَ بِهِ بَعِيرُهُ.

وَأَذَمْتُ رُكَّابَ الْقَوْمِ، أَي أَهْبَتُ وَتَاخَّرْتُ عَنْ  
جَمَاعَةِ الْإِبِلِ، وَلَمْ تَلْحَقْ بِهَا.

وَأَخَذْتَنِي مِنْ مَذْمَةٍ وَمَذْمَةٍ، أَي رِقَّةً وَعَارًا مِنْ  
تَرْكِ الْحُرْمَةِ.

وَيُقَالُ: أَذْهَبَ مَذْمَتُهُمْ بَشِيءًا، أَي أَغْلَبَهُمْ شَيْئًا  
فَلَانَ لَهُمْ ذِمَامًا.

وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا يُذْهَبُ عَنِّي مَذْمَةُ الرُّضَاعِ؟»  
فَقَالَ: غُرْمًا عِنْدَ أُمِّهِ.

يَعْنِي بِ«مَذْمَةِ الرُّضَاعِ» ذِمَامَ الْمَرْضِعةِ.  
وَكَانَ التَّخْفِيقُ يَقُولُ فِي تَفْسِيرِهِ: كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ

عِنْدَ فِعَالِ الْعَصِيِّ أَنْ يَأْمُرُوا بِالظُّلْمِ بِشَيْءٍ سَوَاءٍ أَلَا يَجُوزُ  
فَكَأَنَّهُ سَأَلَهُ: أَيُّ شَيْءٍ يُسْقِطُ عَنِّي حَقَّ آلِي أَرْضَعْتَنِي

حَتَّى أَكُونَ قَدْ أَذَيْتُهُ كَامِلًا.  
وَالْبُغْلُ: مَذْمَةٌ بِالْفَتْحِ لِأَخِيهِ، أَي عَمَّا يُذَمُّ عَلَيْهِ.

وَهُوَ خِلَافُ الْحَمْدَةِ.  
وَأَسْتَذَمَ الرَّجُلُ إِلَى النَّاسِ، أَي أَتَى بِمَا يُذَمُّ عَلَيْهِ.

وَتَذَمُّهُ، أَي اسْتَشْكَفَ. يُقَالُ: لَوْ لَمْ أَعْرَكَ الْكَذِبَ  
تَأَثُّمًا لَتَرَكْتُهُ تَذَمًّا.

وَرَجُلٌ مُذَمَّمٌ، أَي مَذْمُومٌ جَدًّا.  
وَرَجُلٌ مُذَمَّمٌ: لَا حَرَّكَ لَهُ.

وَشَيْءٌ مُذَمَّمٌ، أَي مُعَيَّبٌ. (١٩٢٥: ٥)  
ابْنُ قَارٍ مِنَ: النَّالِ وَالْمِيمِ فِي الْمُضَاعَفِ أَصْلُ

وَاحِدٌ، يَدُلُّ كُلُّهُ عَلَى خِلَافِ الْحَمْدِ. يُقَالُ: ذَمَمْتُ هَذَا  
أَذَمُّهُ فَهُوَ خَمِيسٌ وَمَذْمُومٌ. إِذَا كَانَ خَيْرٌ مِنْ حَمِيدٍ.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: الذَّمَّةُ، وَهِيَ الْبَثْرُ الْقَلِيلَةُ الْمَاءِ.  
وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ أَتَى عَلَى بَثْرٍ ذُمَّةً»، وَجَمْعُ الذَّمَّةِ:

ذِمَامٌ.  
فَأَمَّا الْعَهْدُ فَلِأَنَّهُ يُسَمَّى ذِمَامًا، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُذَمُّ

عَلَى إِضَاعَتِهِ مِنْهُ. وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ لِلْعَرَبِ مَسْتَعْمَلَةٌ:  
وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: فَلَانِ حَامِي الْقَيْمَارِ، أَي يَخْفِي الشَّيْءَ

الَّذِي يُخْفِيهِ. وَحَامِي الْحَقِيقَةِ، أَي يَخْفِي مَا يَحَقُّ عَلَيْهِ  
أَنْ يَنْجُو.

«أَهْلُ الذَّمَّةِ: أَهْلُ الْقُدْرَةِ»  
وَيُقَالُ فِي الذِّمَامِ: مَذْمَمَةٌ وَمَذْمَمَةٌ، بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ،

وَفِي الْقَدْرِ: مَذْمَمَةٌ بِالْفَتْحِ.  
وَالْعَرَبُ يَقُولُ: أَذْهَبَ مَذْمَتُهُمْ بَشِيءًا، أَي أَغْلَبَهُمْ

عَنْهُمْ فَلَانَ هُمُ عَلَيْكَ ذِمَامًا.  
وَيُقَالُ: انْقَلَبَ كَذَا وَخَلَاكَ ذَمًّا، أَي وَلَا ذَمَّ عَلَيْهِ.

وَيُقَالُ: أَذَمَ فَلَانٌ بَقْلَانِ، إِذَا تَهَاوَنَ بِهِ.  
وَأَذَمَ بِهِ بَعِيرُهُ، إِذَا أَخَّرَ وَانْقَطَعَ عَنْ سَائِرِ الْإِبِلِ.

وَشَيْءٌ مُذَمَّمٌ، أَي مُعَيَّبٌ.  
وَرَجُلٌ مُذَمَّمٌ: لَا حَرَّكَ لَهُ.

وَحَكِي ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: بَثْرٌ ذَمِيمٌ، وَهِيَ مِثْلُ الذَّمَّةِ.  
وَبَقِيَ فِي الْبَابِ مَا يَخْرُبُ مِنْ قِيَامِهِ إِنْ كَانَ

صَحِيحًا: إِنَّ الذَّمِيمَ يَبْثُرُ يَخْرُجُ عَلَى الْأَنْفِ.  
وَحَكِي لِمَنْ قَتَلَتْهُ: أَنَّ الذَّمِيمَ الْبَوْلُ الَّذِي يَمْلِكُ

وَيَكُونُ مِنَ قَضِيْبِ الْقَيْسِ. [وَاسْتَشْهَدَ بِالشَّعْرِ ٤ مَرَّاتٍ]  
(٣٤٥: ٢)



أبو هلال: الفرق بين الذمّ والهجو: أن الذمّ تقيض الحمد، وهما يدلّان على الفعل، وحمد المكلف يدلّ على استحقاقه للثواب بفعله، وذمّه يدلّ على استحقاقه للعقاب بفعله.

والهجو: تقيض المدح، وهما يدلّان على الفعل والصفة، كهجوك الإنسان بالبخل وقبح الوجه.

وفرق آخر: أن الذمّ يستعمل في الفعل والفاعل، فتقول ذمته بفعله وذمته فعله، والهجو يتناول الفاعل والموصوف دون الفعل والصفة، فتقول: هجوته بالبخل وقبح الوجه، ولا تقول: هجوت قبحه وبخله.

وأصل الهجو في العربية: الهدم، تقول: هجوت البيت إذا هدمته. وكان الأصل في الهجو أن يكون بعد المدح، كما أن الهدم يكون بعد البناء إلا أنه كثر استعماله، فجري في الوجهين. (٣٨)

الفرق بين اللوم والذمّ: أن اللوم هو تنبيه الفاعل على موقع الضرر في فعله، وتهجين طريقته فيه، وقد يكون اللوم على الفعل الحسن كاللوم على السخاء، والذم لا يكون إلا على القبيح.

واللوم أيضاً يواجه به المذموم، والذم قد يواجه به المذموم ويكون دونه. وتقول: حمدت هذا الطعام أو ذمته، وهو استعارة، ولا يستعار اللوم في ذلك. (٣٩)

الطبري: وفي الحديث: «خلال المكارم كذا وكذا والتذم للعاصب» هو أن يحفظ ذمّاه، وي طرح عن نفسه ذم الناس إن لم يحفظها فيه.

وفي قصة يونس: «إن السموت قام زرعاً ذمّاً، أي

مذمومًا شبه المالك، والذمّ والمذموم واحد.

وفي الحديث: «وإن راحلته أذمت» أي انقطع سيرها. ويقال: أذمت الير، إذا قل ماؤها، وبشر ذمة.

وقال شعير: يقال أذمت هذه الراحلة بالركب، إذا حبستهم في مكان ذوم، ومنه في حديث: «الذمة» إذا لم يكن منه طائل. (٦٨٣: ٢)

ابن سيده: الذمّ: تقيض المدح ذمّه يذمه ذمّا ومذمة، فهو مذموم وذميم، وذمّ.

وأذمه: وجده ذيباً.

وكذا قوم: ذمّ بعضهم بعضاً.

وقضى مريمته ومذمته، أي أحسن إليه لئلا يذمّ.

واستذم إليه: فعل ما يذمّ عليه.

الذموم: الصوب.

ويشتر ذمة وذميم وذميمة: قليلة الماء، لأنها تدم.

وقيل: هي الفزيرة، فهي من الأضداد، والجمع:

ذمام. وفي الحديث: «أله الله مرّ يشر ذمة».

وأذمت ركاب القوم: أعتيت وتخلّفت.

ورجل ذو مذمة ومزمة، أي كل على الناس.

والذمام والمذمة: الحق والمزمة: والجمع: أذمة.

والذمة: العهد والكفالة.

وقوم ذمة معاهدون، أي ذوو ذمة، وهو الذمّ.

وأذم له عليه: أخذ له الذمة.

والذميم: شيء كالبشر الأسود أو الأحمر، شبه

بيض الثعل، يغلو الوجه والأنوف من حرّ أو جرب.

والذميم: ما يسيل على أفخاذ الإبل والغنم

وضروعها من ألبانها.

والذميم: الذمى. وقيل: هو ندى يسقط بالليل على الشجر، فيصيه القراب، فيصير كقطع الطين. [واستشهد بالشعر ٦ مرات] (٥٧: ١٠)

الراغب: يقال: ذمته أذمه ذمًا، فهو مذموم وذميم، قال تعالى: ﴿مَذْهُومًا مُدْحُورًا﴾ الإسراء: ١٨. وقيل: ذمته أذمه، على قلب إحدى الميمين تاء. والذمام: ما يذم الرجل على إضاعته من عهد، وكذلك الزمة والمذمة.

وقيل: لي مذمة فلا تفتكها، وأذهب مذمتهم بشيء، أي أعطهم شيئًا لما لهم من الذمام.

وأذم بكذا: أضاع ذمامه. ورجل يذم: لا حراك به.

وبشر ذمة: قليلة الماء. [ثم استشهد بشعر]

(١٨١)

الزمخشري: ذم صاحبه ذمًا ومذمة، وكلمته. ورجل ذام وذمام لأصحابه، وذميم وذم كحسب ومذمم.

وإياك والمذام والملاوم.

وأذم فلان وآلام: أتى بما يذم عليه ويلام. وهو مذم: مليم.

وبلوت فلانًا فأذمته: خلاف أحمذته.

وأردت ضربه ثم تذمت من أجل حق أو حرمة، أي ذمت نفسي وانتهيت.

ويقال: تذمت منه: استنكف واستحيا.

وإني أتذمت من القوم أن أتحوّل من عندهم إلى غيرهم، ولم أر منهم إلا ما أوجب.

واستذم إلى فلان: فعل ما يذمه عليه. ولفلان ذمة وقيام ومذمة: عهد يلزم الذم مضيع.

وهو في ذمتي وذيامي. وأذهب مذمتهم بشيء، أي أعطهم ما تقضي به حق ذمامهم.

وفي الحديث: «ما يذهب عني مذمة الرضاع؟» وهي ذمام المرضعة وحقها.

وفي فلان بما أذم، أي بما أعطى من الذمة. وأذم لي على فلان.

واستذمت به وتذمت به، فأذم لي. وللجار عندك مستذم ومذمم.

وهذا مكان مذمم محترم له ذمة وحرمة.

ومن الجاز: أذمت ركاب القوم: تأخرت كلالًا.

فلانها أتى بما أذم عليه، أو قلت قوتها على السير، من الركبة الذمة والركابا الذمام، وهي القليلة الماء.

وأذم المكان: أجذب وقل خيره.

وفلان يذام عيشه: يزجه متبيلًا به.

وذامته أذامته، وهو من معنى القلة.

ورجل ذم وخمد، وأتينا منزلًا ذمًا وخمدًا؛

وصف بالمصدر. (أساس البلاغة: ١٤٥)

[في حديث] التي تذكرك من بات على إقرار ليس

عليه ما يرد قدميه، فقد برئت منه الزمة، ومن ركب البحر إذا التج - ورؤي أريج - فقد برئت منه الزمة.

أو قال: «فلا يلوم إلا نفسه».

الزمة: العهد، كأن لكل أحد من الله ذمة بالكلام،

فإذا ألقى يده إلى القهلكة، فقد خذلت ذمته لله  
وتبرأت منه. (الفتاوى: ١: ٢٤)

نحوه المديني: (٧٠٩: ١)

[في حديث] النبي ﷺ قال البراء بن عازب: «أني  
رسول الله ﷺ على بئر زمعة فزلنا فيها سكة مائة».

الذمة والذميم: القليلة الماء، لأنها مذمومة. ومنه  
حديث زمزم: «لا تترقب ولا تذر».

علي بن أبي حمزة: «يُمَيَّ رهنه وأنا به زعيم...».

«الذمة»: العهد والضمان. ويقال: هذا في ذمتي  
وذمتي، أي في ضماني. (الفتاوى: ٢: ١٥)

[في حديث]: «... وأن راحلته قد أذنت به  
وأرخصت...» يقال: أذنت راحلته، إذا تاحرت بمن

ركاب القوم فلم تلحقها. ومعناها: صارمت إلى حبل  
مذم عليها؛ ومنه: أذنت البئر، إذا قل ماؤها.

(الفتاوى: ٢: ١٥)

ابن الأثير: قد تكرر في الحديث ذكر «الذمة  
والزمام» وهما بمعنى العهد والأمان، والضمان،

والحرمة، والحق. وسُمي أهل الذمة لدخولهم في عهد  
المسلمين وأمانهم. [وذكر حديثين ثم قال:]

والحديث الآخر في دعاء المسافر: «أقِلِّنا بذمة»،  
أي أردنا إلى أهلنا آمنين.

وفيه «لا تشتروا رقيق أهل الذمة وأرضيهم».

المعنى: أنهم إذا كان لهم ممالك وأرضون وحال  
حسنة ظاهرة، كان أكثر الجزيتهم. وهذا على مذهب

من يرى أن الجزية على قدر الحال.

وقيل: في شراء أرضيهم أنه كرهه لأجل الخساراج

الذي يلزم الأرض، لئلا يكون على المسلم إذا  
اشترها، فيكون ذلاً وصغاراً.

ومن حديث حليلة السعدية: «فخر جئت على  
أثافي تلك، فلقد أذنت بالركب» أي حبستهم لضيقها.

وانقطاع سيرها.

ومن حديث المقداد حين أحرز قساح رسول الله  
ﷺ: «وإذا فيها فرس أذم»، أي كالأعداء فوقف.

وفي حديث التثؤم والطيرة: «ذروها ذميمة» أي  
اتركوها مذمومة، فصيلة بمعنى مفعولة. وإنما أمرهم

بالتحول عنها، لإبطال لما وقع في نفوسهم من أن المكروه  
إنما أصابهم بسبب سكنى الدار، فإذا تحولوا عنها

انقطعت مادة ذلك الوهم. وزال ما خامرهم من  
الخشية.

وفي حديث موسى والخضر عليه السلام: «أخذته من  
الغمام» أي حياه وإشفاق، من الذم واللوم.

ومن حديث ابن مسعود: «فأصابني منه ذمامة».

(الفتاوى: ٢: ١٦٨)

القسيومي: فمَنَعَهُ أذمته ذماً: خلاف مدحته، فهو  
ذميم ومذموم، أي غير محمود.

والذمام بالكسر: ما يُذَمُّ به الرجل على إضاعته  
من العهد.

والذمة بفتح الميم، وتفتح الذال وتكسر مثله.  
والزمام أيضاً: الحرمة.

وتحسر الذمة بالعهد والأمان والضمان أيضاً.  
وقوله: «يسمى بذمتهم أدناهم» فسر بالأمان.

ومعنى المعاهد: ذمياً نسبة إلى الذمة بمعنى العهد.

وقولهم: في ذمتي كذا، أي في حساني والجمع:  
ذمم، مثل: سيذرة وسيذر. (١: ٢١٠)  
الجرجاني: الذمة لغة: العهد، لأن نقضه يوجب  
الذم.

ومنهم من جعلها وصفاً، فتركها بأهلها وصنف  
يصير الشخص به أهلاً للإيجاب له وعليه.  
ومنهم من جعلها ذاتاً، فتركها بأهلها نفس لها عهد.  
فإن الإنسان يولد وله ذمة صالحة للوجوب له  
وعليه عند جميع الفقهاء، بخلاف سائر الحيوانات.

(٤٧)  
الفيروز آبادي: ذمة ذماً ومنمة فهو مذموم  
وذيهم وذم، ويكر: ضد مدحه.

وأذمة: وجده ذميماً.  
وأذم بهم: تهاون أو تركهم مذومين في الناس.  
وتذامروا: ذم بعضهم بعضاً.  
وقضى مفرقة بكسر الفأل وفصلها: أحسن إليه  
لئلا يذم.

واستذم إليه: فعل ما يذمه على فعله.  
والذموم: العيوب.  
ويثر ذمة وذيهم وذيمة: قليلة الماء، وهزيمة:  
ضد جمعه: ذمام.

وبه ذيمة، أي: زمانة تمنعه الخروج.  
وأذمت ركابهم: أغيت وتخلفت.  
وفلان: أتى بما يذم عليه.  
ورجل ذو منمة: كل على الناس.  
والذمام والمذمة: الحق والحُرمة، جمعه: أذمة.

والذمة بالكسر: العهد والكفالة كالذماسة.  
سويكسر سوا الذم بالكسر، ومأذبة الطعام أو السُرْس  
والقوم المعاهدون.

وأذم له عليه: أخذ له الذمة، وفلاذا: أجاره.  
وكامير: يثر يثقل الوجه من حر أو جرب،  
والثدي أو ثدى يسقط بالليل على الشجر فيصيبه  
التراب فيصير كقطع الطين، والبياض على أنف  
الجدى: وقد ذم أنفه وذن، إذا سال، والماء المكسوه،  
والبول، والمخاط الذي يذم من قضيب القيس  
وكذلك اللبن من أخلاف الشاء.

والذم بالكسر: المفرد، الخزال، الهالك.  
وتذم: قلل عطيتك.  
والنمامة كتمانة: البقية.  
ورجل مذم كعظيم: مذموم جداً.  
وتذم كعظيم: لا حراك به.  
وشيء مذم كعظيم: معيب.

وقولهم: الفعل كذا وخلاك ذم، أي وخلا منك أي  
لا تذر.  
وأخذني منه مذمة وتكر ذاله، أي رقة وعار  
من ترك الحرمة.  
وأذهب مذمتهم بشيء: أعطيهم شيئاً فإن لهم  
فيها ما.

والإخل: مذمة بالفتح.  
وتذمتهم استكف، يقال: لو لم أثر الكذب تأثمتا  
لتركته تذمتاً. (٤: ١١٧)  
الطريحي: وفي الحديث: «من صلى الفداة

والعشاء في جماعة، فهو في ذِمَّة الله تعالى»، أي في أمانه وضمانه. ومن ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من ذِمَّة الله تعالى وذِمَّة رسوله «كأن المراد أن الله تعالى أخذ عليه العهد بها، فلو خالف ذلك العهد والذِمَّة، فقد برئت منه ذِمَّة الله ورسوله، أي عهدهما وذرماهما. والذِمَّة: تقيض المدح. وذِمَّتُهُ ذِمَّةٌ: خلاف مدحته، فهو ذمِيمٌ ومَذْمُومٌ، أي غير محمود.

وماء ذمِيم، أي مكروه.

والبهل مَذْمَةٌ بفتح الميم والذال وقد تكسر، أي ما يذَمُّ عليه. و تَذَمُّم أي استكف.

والذِمَّة بالكسر: ما يذَمُّ الرجل على إضاعته من العهد. وفي الحديث: «من الكفارم التذمُّم للجار» وهو أن يحفظ ذِمَّته، وي طرح عن نفسه ذِمَّ الناس إن لم يحفظه.

**مَجْمَعُ اللُّغَةِ:** ذَمُّ يَذْمُهُ ذِمًّا وَمَذْمَةً: عابه، واسم المفعول: مَذْمُوم.

والذِمَّة: العهد، سَمِيَ بذلك لأنه يذَمُّ على إضاعته. (٤٢٨: ١)

**الْقَدْنَانِي:** الذِمَّة والذِمَام.

ويقولون: فلان لاذِمَةٌ له ولاذِمَام. والصواب: إمَّا لاذِمَةٌ له أو لاذِمَام له، لأن الذِمَّة والذِمَام شيء واحد. ومعناها:

١- العهد والأمان والكفالة. وفي الحديث: «السلمون تنكافأ ذِمَّاتهم»، ويسمى بذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ. وجاء في الآية: ١٠، من سورة التوبة: «لَا يَرْكَبُونَ فِي

مُؤْمِنِينَ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ إِلَّا: الحليف.

٢- الحق والحُرْمَةُ. وفي الحديث: «فلان من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذِمَّة الله». والذِمَّة عند الفقهاء معنًى يصير الإنسان به أهلاً لوجوب الحق له أو عليه، يقولون: في ذِمَّتِي لك كذا. وجمع الذِمَّة: ذِمَمٌ وجمع الذِمَام: أذِمَّة.

(معجم الأخطاء الشائعة: ٩٦)

**مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ إِبْرَاهِيمُ:** ذَمُّهُ ذِمًّا: عابه فهو مَذْمُومٌ، أي متصف بما يذَمُّ عليه.

والذِمَّة: الأمان والعهد، وهي كل أمر لزمك بحيث إذا ضيعته لزمك مَذْمَةٌ، أو هي ما يذَمُّ به، أي يَجْتَنِبُ فِيهِ الذَمُّ. (٢٠٣)

**مُحَمَّدُ شَيْبَةُ:** الذِمَام: العهد والأمان، يقال: أعطى القائد الذِمَامَ لعدوِّه: العهد والأمان. **الذِمَّة:** العهد والأمان.

**الذِمِّي:** المُعَاهِدُ الَّذِي أُعْطِيَ عَهْدًا يَأْمَنُ بِهِ عَلَى مَالِهِ وَعِرْضِهِ وَدِينِهِ. (٢٦٥: ١)

**المُصْطَفَوِي:** الأصل الواحد في هذه المادة: هو ما يقابل الحمد والمدح، وهو مرتبة شديدة من اللوم. يقال: ذَمُّهُ يَذْمُهُ ذِمًّا وَمَذْمَةً، فهو ذَامٌ وَذَمَامٌ، والصلة منه ذَمٌّ وَذَمِيمٌ.

وَأَذَمَهُ: فَهُوَ مُذَمَّمٌ، أي جاعل غيره ذامًّا لنفسه أو لغيره، بأن يأتي بما يذَمُّ عليه ويؤلام. وَذَمَّتُهُ فَتَذَمُّمٌ، أي فجعل يذَمُّ نفسه ولائها، وصار مَذْمُومًا.

ويقال: هو في ذِمَّتِي وَذِمَامِي، أي في رقبتي المذمومة

عن الحق وصراط الحقيقة، فهو غير منصور، لامعين له. راجع: «الذعر، الخذل، الآل».

﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ التوبة: ٨، أي لا يتوجهون إلى ما بينكم وبينهم من العلائق والارتباطات الطبيعية الثابتة، ولا إلى ما يتحصل من العهد والمعاهدات الحادثة والارتباطات المقررة العرفية، ولا يبالون في توجه الذمة إليهم من جهة خلافهم، وعدم وفائهم بهودهم. (٣: ٣٣١)

## النصوص التفسيرية

### ذمة

١ - كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضَوْنَ لَكُمْ بِأَوَائِهِمْ وَتَأْمِنُ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ. التوبة: ٨

ابن عباس: العهد. (الطبري: ٦: ٣٢٥) مثله مجاهد، وقناة، وابن زيد (الطبري: ٦: ٣٢٦)، وسعيد بن جبتر (ابن الجوزي: ٣: ٤٠٢)، وابن قتبية (١٨٣)، والشريفي (١: ٥٩١)، ونحوه السعدي (٥: ١٥)، والواحدي (٢: ٤٧٩).

الضحاك: الميثاق. (الطبري: ٦: ٣٢٦) السدي: إن يظهر واعليكم المشركون لا يرقبوا منكم عهداً ولا قرابة ولا ميثاقاً. (٢٨٩) الهريدي: الأمان. (ابن الجوزي: ٣: ٤٠٢) أبو عبيدة: مجاز الإلء العهد والعقد واليمين، ومجاز الذمة التذم ممن لا عهد له؛ والجميع: ذم.

(١: ٢٥٣)

المرتبة منه إذا شرف العهد، ولم يعمل به، فهذه الكلمة تستعمل في مورد وفي عهد، يترتب عليه الذم في خلافه.

وهذا هو الفارق بينها وبين العهد والعقد والضمان، فالذمة ضمان وتعهد يلتزم فيها قبول الذم وتحمله، في صورة المخالفة.

ومن لوازم هذا المعنى وأثاره: الحق والخلف والحُرمة وأمثالها، كما أن العيب والسر والخبو والتقص قريبة من مفهوم الذم.

فالذمة «فُعلة» لبناء الكوع، وتدل على نوع مخصوص وسنخ معين من الذم، وهو المذمة التي لجعل على العهدة وتقبل به.

والذمة «فُعلة» لبناء المرة: تدل على تسلمه من الذم، ومن مصاديق التميم.

والذمة: البئر القليلة الماء، والثر على الأذن، وهذا يسيل منه، وهذه المادة قريبة من مادة الذام لفظاً ومعنى، وهو بمعنى العيب والكراهة.

وقد يتداخل اللغتان، فيقال: شيء مذم أي معيب. ومن هذا التداخل قولهم: الذام مشدداً والذام مخففاً، بمعنى العيب.

﴿لَمْ يَجْعَلْنَا لَهُ جِهَتُمْ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْخُورًا﴾ الإسراء: ١٨، أي يذم عليه ويؤلام من جهة سوابقه وأعماله السيئة، ويبعد عن مقام الرحمة على سبيل الإهانة.

﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَظْلُومًا﴾ الإسراء: ٢٢، يذم من جهة كونه منحرفاً

الذِّمَّةُ، أي ما يخاف الذِّمَّةَ والعيب فيه. (٩٤: ٤)

ابن عَطِيَّة: و «الذِّمَّةُ» أيضًا بمعنى المتاع  
والحلف والجوار، ونحو قول الأصمعي: الذِّمَّةُ كل ما  
يجب أن يُحفظ ويُحمى. ومن رأى «الإل» أنه العهد.  
جعلها لفظتين مختلفتين لمعنى واحد أو متقارب، ومن  
رأى «الإل» لغير ذلك، فهما لفظان لمعنيين. (١٠: ٣)

الفخر الرازي: فالذِّمَّةُ: العهد، وجمعها ذِمَمٌ  
و ذِمَامٌ. كل أمر لزمك، وكان بحيث لو ضيعته لزمته  
مذمته. وقال أبو عبد الله: الذِّمَّةُ ما يُذَمُّ منه، يعني ما  
يُجَسَّب فيه الذِّمَّةُ. يقال: ذَمَمْتُ فلاناً، أي ألقى على نفسه  
الذِّمَّةَ. ونظيره: تحوَّب، وتَأَمَّ، وتَحَرَّج. (٢٣١: ١٥)

نحوه الثَّسَابُورِي. (٤٧: ١٠)

الْقُرْطُبِيُّ: أي عهداً. وهي كل حُرْمَةٍ يلزمك إذا  
ضيعتها ذلَبَ. (٧٩: ٨)

الْقُرْطُبِيُّ: عهداً أو حقاً يحاب على إغفاله.

(٤٠٦: ١١)

نحوه الكاشاني. (٣٢٣: ٢)

أبو السُّعُود: أي حلفاً، وقيل: قرابة ولا عهداً، أو  
حقاً يحاب على إغفاله، مع ما سبق لهم من تأكيد  
الآيمان والمواثيق.

يعني: أن وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من  
المتعهدين، مشروط بمراعاة الآخر لها، فإذا لم يراعها  
المشركون فكيف تراعوها؟ على منوال قول من قال:  
علامَ تقبل منهم فديته وهم

لافضة قبلوا متاً ولا ذهباً

(١٢٦: ٣)

الطَّبْرِي: يعني جلّ تساؤه بقوله: كيف يكون  
لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم، أو لمن لا عهد له  
منهم منكم، أيها المؤمنون عهد وذمة؟. [إلى أن قال:]

وقد زعم بعض من يُنسب إلى معرفة كلام العرب  
من البصريين: أن الإلَّ والعهد والميثاق واليمين  
واحد، وأن الذِّمَّةَ في هذا الموضع: التذمُّمُ بمن لا عهد  
له؛ والجمع: ذِمَمٌ. (٣٢٤: ٦)

السَّجِسْتَانِي: أي عهد، وقول: الذِّمَّةُ، ما يجب أن  
يُحمى ويُحفظ. وقال أبو عبيدة: «الذِّمَّةُ: التذمُّمُ بمن  
لا عهد له». وهو أن يلزم الإنسان نفسه ذمّاً ما، أي  
حقاً يوجب عليه، يجري مجرى المعاهدة، من غير  
معاهدة ولا تحالف. (٧٦)

التَّحْقِاسُ: الذِّمَّةُ: العهد قول معروف، ومنه: أهل  
الذِّمَّةِ، إنما هم أهل العهد.

و كَذَمْتُ أن أهل: استحييت فصرمت بمنى لا تخشى. (١٨٧: ٣)

ابن بجر: الجوار. (الماوردي: ٢: ٣٤٣)

القُشَيْرِي: وصفهم بلؤم الطبع، فقال: كيف  
يكونون يحافظين على عهودهم مع ما أضروه لكم  
من سوء الرضا؟ فلو ظفروا بكم واستولوا عليكم  
لم يراعوا لكم حرمة، ولم يحفظوا لكم قرابة أو ذمة.

(١٠: ٣)

البُخَوِي: قال السُّدِّي: هو [الإلَّ]: العهد،  
وكذلك الذِّمَّةُ، إلا أنه كرر لاختلاف اللّفظين.

(٣١٩: ٢)

المَيْتَدِي: الذِّمَّةُ: العهد والميثاق، وأصله: من

نحوه البرؤسوي: (٣: ٣٩٠)  
 الألوسي: والذمة: الحق الذي يُعاب ويُذم على  
 إغفاله، أو العهد. وسُمي به لأن نقضه يوجب الذم،  
 وهي في قولهم: في ذمتي كذا محل الالتزام.  
 ومن الفقهاء من قال: هو معنى يصير به الأدمي  
 على الخصوص أهلاً لوجوب الحقوق عليه، وقد  
 تُفسر بالأمان والضمان وهي متقاربة.  
 وزعم بعضهم: أن الإل والذمة كلاهما هنا بمعنى  
 العهد. والطف للقسير. وبأياه إعادة (لا) ظاهراً،  
 فليس هو نظير:

■ فأنفَى قولها كذباً وميثاً ■

فالحق المغايرة بينهما. والمراد من الآية قبل: يمتنان  
 أنهم أسراء الفرصة فلا عهد لهم.

وقيل: الإرشاد إلى أن وجوب مراعاة حقوق  
 العهد على كل من المتعاهدين، مشروط بمراعاة الحقوق  
 لها، فإذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها؟  
 فهو على منوال قوله: «وذكر غلام ثقيل...» (١٠: ٥٦)  
 وشيدر ضاً: الذمة والذمام: العهد الذي يلزم من  
 ضيعة الذم، كما في «الأساس» وكان خضر الذمام  
 ونقض العهد عندهم من العار. هذا أشهر الأقوال  
 المأثورة في تفسيرها هنا، وهو مروى عن ابن عباس  
 من عدة طرق عند ابن جرير وغيره. (١٠: ١٨٤)

سيد قطب: كيف يكون للمشركين عهد عند الله  
 وعند رسوله، وهم لا يعاهدونكم إلا في حال عجزهم  
 عن الثقل عليكم. ولو ظهروا عليكم وغلبوكم  
 لفعلوا بكم الأفاعيل في غير مراعاة لعهد قائم بينهم

وبينكم. وفي غير ذمة يرعونها لكم أو في غير تحرُّج  
 ولا تذم من فعل يأتونه معكم. فهم لا يرعون عهدك،  
 ولا يففون كذلك عند حد في التكيل بكم، ولا حتى  
 الحدود المتعارف عليها في البيعة، والتي يذنون لو  
 تجاوزوها. (٣: ١٦٠٥)

ابن عاشور: والذمة: ما يمت به من الأواصر من  
 صعبة وحلة وجوار، بما يجب في المرومة أن يحفظ  
 ويحصى. يقال: في ذمتي كذا، أي ألزم به وأحفظه.  
 (١٠: ٣٠)

الطباطبائي: وقال [الراغب] أيضاً: الذمام  
 بكر الذال: ما يذم الرجل على إضاعته من عهد،  
 وكذلك الذمة والذمة.

وقيل: لي مذمة فلا تنتكها، وأذهب مذمتهم  
 بشيء، أي أعطهم شيئاً لما لهم من الذمام، انتهى. وهو  
 ظاهر في أن الذمة مأخوذة من الذم بالمعنى الذي يقابل  
 المدح.

ولعل إلقاء المقابلة في الآية بين الإل والذمة  
 للدلالة على أنهم لا يحفظون في المؤمنين شيئاً من  
 الموائق التي يجب رقيها وحفظها، سواء كانت مبنية  
 على أصول واقعية تكوينية، كالقراية التي توجب  
 بوجه على القريب رعاية حال قريبه، أو على العمل  
 والاصطلاح، كالعهود والموائيق المعقودة بحلف  
 ونحوه. (٩: ١٥٧)

٢ - ﴿لَا يَرْفِقُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُعْتَدُونَ﴾  
 التوبة: ١٠  
 مثل ما قبلها.



## مَذْمُومٌ

لَوْلَا أَنْ تَذَارَكَةُ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ تَنَبَّذَ بِالْقِرَاءِ وَالْحَرَمِ  
مَذْمُومٌ. القلم: ٤٩

ابن عباس: مَلُومٌ مُذْنِبٌ. (الطبري: ١٢: ٢٠٣)

هو مُلِيمٌ. (الطبري: ١٢: ٢٠٣)  
الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى قوله:  
﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ فقال بعضهم: معناه وهو مُلِيمٌ.  
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهو مُذْنِبٌ.

(٢٠٣: ١٢)

الثعلبي: مُلِيمٌ مُجْرِمٌ. (٢٣: ١٠)

الطوسي: قال ابن عباس: وهو مُلِيمٌ أي أنى بما  
يُلام عليه، ولكن الله تعالى تداركه برحمة من عنده.  
فطرح بالقراءة وهو غير مذموم. (٩١: ١٠)

نحوه الطبرسي: (٣٤١: ٥)

البيهقي: يَذَمُّ وَيُلَامُ بِالذَّنْبِ. (٥٤٩: ٥)

مثله الواحدي: (٣٤١: ٤)

الزمخشري: يعني أن حاله كانت على خلاف  
الذم حين يُبَذَّ بالقراءة، ولولا توبته لكانت حاله على  
الذم. (١٤٨: ٤)

الفخر الرازي: هل يدل قوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾  
على كونه فاعلاً للذنب؟

الجواب: من ثلاثة أوجه:

الأول: أن كلمة (لَوْلَا) دلّت على أن هذه  
المذمومة لم تحصل.

الثاني: لعل المراد من المذمومة ترك الأفضل، فإن  
حسنات الأبرار سيئات المقربين.

الثالث: لعل هذه الواقعة كانت قبل التوبة لقوله:

﴿فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ﴾ القلم: ٥٠، والفاء للتعقيب. (٩٩: ٣٠)

(٢٥٤: ١٨)

البيضاوي: مُلِيمٌ مطرود عن الرحمة والكرامة.  
وهو حال يعتمد عليها الجواب، لأنها المنفية دون  
التبذ. (٤٩٨: ٢)

السيبوري: والمعنى: أن حاله كانت على  
خلاف الصبر حين يُبَذَّ بالقراءة، أي الفناء. كما مر في  
«الصفات». ولولا تسبيحه لكانت حاله على الذم.

وقيل: أراد لولا هذه النعمة لبقى في بطن الحوت  
إلى يوم القيامة، ثم يُبَذَّ بعراء القيامة، أي برصتها.  
مذمومًا. (٢٨: ٢٩)

الحازن: أي يَذَمُّ وَيُلَامُ بِالذَّنْبِ. وقيل في معنى  
﴿لَوْلَا﴾: لولا أن تداركته نعمة من ربه لبقى في بطن  
الحوت إلى يوم القيامة، ثم يُبَذَّ بعراء القيامة، أي

بأرضها وفنائها. [ثم آدم نحو الفخر الرازي]  
(١١٧: ٧)

الشيرازي: أي مَلُومٌ على الذنب. (٣٦٥: ٤)

أبو السعود: مُلِيمٌ مطرود من الرحمة والكرامة.  
وهو حال من مرفوع ﴿يُبَذَّ﴾ عليها يعتمد جواب  
(لَوْلَا)، لأنها هي المنفية لا التبذ بالقراءة، كما مر في  
الحال الأول. والجملة الشرطية استئناف، و(أَنَّ)

(٢٩١: ٦)

البروسوي: مُلِيمٌ مطرود من الرحمة والكرامة،

لكنه رُجم فُبِذَ غير مذموم، بل سقيمًا من جهة الجسد، ومُتْلِمٌ مِنَ الْأَمِّ الرَّجُلُ، بمعنى أتى ما يُلام عليه ودخل في اللوم.

فإن قلت: فُسِّرَ «المذموم» بالمُتْلِمِ، وقد اثبتته الله تعالى بقوله: ﴿فَالْقَتْمَةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُتْلِمٌ﴾ الصَّافَات: ١٤٢.

أجيب على ذلك التفسير: بأن الإلامنة حين الالتقام لا تستلزم الإلامنة حين التبذ، إذ التدارك لهاها، فالتفت على ما هو حكم (لَوْلَا) الامتناعية، كما أُشير إليه في تصوير المعنى آنفًا، وهو حال من مرفوع ﴿بُذِيَ﴾ عليها يعتمد جواب (لَوْلَا) لأنها هي المنفعية لا التبذ بالقرءاء، كما في الحال الأولى، لأنه بُذِيَ غير مذموم بل محمود.

(١٠: ١٢٦)

### مَذْمُومًا

١- مَنْ كَانَ يُبْذِرُ الْعَاجِلَةَ فَعَجَلْنَا لَهُ نَفْسًا مَائِثَةً  
لَنْ كَرِهَ لَكُمْ فَعَجَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا.

الإسراء: ١٨

ابن عباس: مقصيًا من ثواب كل خير. (٢٣٥)  
الطَّبْرِي: على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا. (٨: ٥٥)  
الطُّوسِي: أي في حال ذمنا إياهم. يقال: ذامته، وذمته<sup>(١)</sup> وذمته، بمعنى واحد، فهو مَذْمُومٌ وَمَذِيمٌ

(١) قال اللسان: ذمته أذيمه وذامته وذمته كله

بمعنى: عن الأخفش، فهو مَذِيمٌ على التقصص...

و مَذْمُومٌ، ويكون ذامته أي طردته، فهو مَذْمُومٌ.

(٦: ٤٦٢)

الواحدى: مياخذ من رحمة الله. (٣: ١٠١)

الحَيْدِي: أي مَلُومًا. (٥: ٥٣٢)

منه الطَّبرسي: (٣: ٤٠٧)

الفهر الرَّايزي: وقوله: ﴿مَذْمُومًا﴾ إشارة إلى

الإهانة والذم. (٢٠: ١٧٨)

نحوه أبو حنبل، (٦: ٢١)

الشَّيرَازِي: أي مَمْلُومًا به الذم. (٢: ٢٩١)

الْبَرْوَسِيُّ: مَلُومًا، لأن الذم: اللوم، وهو

خلاف المدح والحمد. يقال: ذمته وهو ذميم غير

حميد، كما في «بحر العلوم». (٥: ١٤٤)

الطُّبَّاطِبَاتِي: والقيدان يقيدان أنه مخصوص

بجهنم، محروم من المغفرة والرحمة. (١٣: ٦٥)

مكارم الشَّيرَازِي: والجدير بالانتباه هنا، أن

عاقبة هذه المجموعة من الناس، والتي هي نار جهنم،

قد تم تأكيدها في الآية، بكلمتي: ﴿مَذْمُومًا﴾

و ﴿مَذْخُورًا﴾، إذ التعبير الأول يأتي بمعنى اللوم،

بينما الثاني يعني الابتعاد عن رحمة الخالق.

وفي الحقيقة أن نار جهنم تمثل العقاب الجسدي

لهم، أما «مذموم» و «مذخور» فهما عقاب الروح،

لأن المعاد هو للروح وللجسد، والجزاء والعقاب

يكون للإثنين معًا. (٨: ٣٨٨)

٢- لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْضَىٰ سَؤْلُوكًا

مَذْمُومًا.

الإسراء: ٢٢

نحو ما قبلها.

## الأصول اللغوية

١ - الأصل في هذه المادة: الذمّة، أي البئر القليلة الماء، وهي الذميمة والذميمة أيضاً، وجمعها: ذِمَام. يقال: ذَمَرْتُ البئر وأذَمْتُ، إذا قَلَّ ماؤها وانقطع. وفي الحديث: «مَرَّ بِبئر ذَمَّة فَغَزَلَ لَهَا»، أي قليلة الماء. وبه ذَمِيمَة: علة من ذِمَانَة أو آفة تمنع الخروج. وفي حديث يونس عليه السلام: «أَنَ الْحَوْتَ قَاءَهُ رَذِيًّا ذَمًّا»، أي مذمومًا مهزولًا شبه الهالك. ورجل مُذَمِّمٌ: لا حراك به. وأذَمْتُ راحلة الرجل، إذا أَعْيَتْ فلم يكن بها حراك.

وأذَمَ به بعيره، إذا تأخر وانقطع عن سائر الإبل. من قولك: بئر ذمّة. وأذَمْتُ رُكَّابَ القوم إذا مَأَمَسَا: أَعْيَتْ وتخلّفت. وتأخرت عن سائر الإبل، ولم تلتحق بها، فهي مُتَخَلِّفَة. والذَمُّ: نقبض المدح، لأن صاحبه قليل الخير. كالبئر القليلة الماء. يقال: ذَمَّة يَذُمُّه ذَمًّا و مَذَمَّةٌ، فهو مَذْمُومٌ و ذَمٌّ.

وأذَمته، وجذته مذمومًا، يقال: أُنِيتَ موضع كذا فأذَمْتُهُ، أي وجدته مذمومًا. ورجل مُذَمِّمٌ: مذموم جدًا. وأذَمَ بهم: تركهم مذمومين في الناس. وأذَمَ الرجل: أتى بما يذَمُّ عليه. واستذَمَ إليه: فعل ما يذمُّه عليه. وئذَامُ القوم: ذَمُّ بعضهم بعضًا. وتذَمُّمٌ باستكف. يقال: لو لم أترك الكذب تأمُّسًا

لتركته تذمًّا.

والمَذَمَّة: خلاف المحمّدة. يقال: البئر مَذَمَّةٌ، أي بما يذَمُّ عليه. ورجل ذو مَذَمَّةٍ و مَذِيمةٍ: كلٌّ على الناس، يقال: إنّه لطويل المَذَمَّة. والذِمَام: الحقّ والحُرْمَة والعهد والعقد والضمان والأمان، ومثله الذِمَامَة والذِمَامَة والذِمَّة والمَذَمَّة، لأنه يَصْدُقُ التقصُّ والقلّة: ومن ذلك يسمّى أهل العهد: أهل الذِمَّة. وهم الذين يؤدّون الجزية من المشركين كلّهم. يقال: رجل ذِمِّيّ، أي له عهد، وقوم ذِمّة: معاهدون، أي ذوو ذِمّة، وهو الذَمُّ. وقد أذَمَ له عليه: أخذ له الذِمّة، وأذَمته: أجاره.

والفلان على ذِمَامٍ و ذِمّةٍ و مَذَمّةٍ و مَذِيمةٍ: حقّ.

والمذموم: شيء كالنهر الأسود أو الأحمر شبه

ببيض الثعل، يتلو الوجوه والأنف من حرّ أو جَرَبٍ، واحدته: ذميمة، ويُجمع على: ذِمَام. سمي بذلك، لأنه يذَمُّ.

٢ - والذِمّة في الشرع: وصف بصير الشخص به أهلاً للإيجاب والاستحباب<sup>(١)</sup>. يقال: في ذِمّتي لك كذا. ثم أختصّ عند العامة على مرور الأيام بعض الدّين. يقال: لي عنده ذِمّة، أي دين<sup>(٢)</sup>.

وأهل الذِمّة: المعاهدون من أهل الكتاب ومن

(١) التصريفات.

(٢) محيط المحيط.

وفيهما بُعُوثٌ  
ويلاحظ أولاً:

١ - للآيات محوران: (ذِمَّة) آيتان، و (مَذْمُوم) ٣ آيات، وسياق الأولين ذمٌ لفظياً لفظاً، وسياق الثلاث الأخيرة ذمٌ لفظاً وإثباتاً.

٢ - واللفظان: (ذِمَّة) في الأوليين و (مَذْمُومًا) في الأخيرتين. كل منهما جاء مع قرين معطوف عليه: (ذِمَّة) و (إِلَّا)، (مَذْمُومًا مَذْخُورًا) و (مَذْمُومًا مَعْذُولًا)، وبقيت الثالثة (وَهُوَ مَذْمُومٌ) بلا قرين. لأن في سياقها حَقَّة، وفي سياق تلك الأربعة شدة وتأكيد، فلاحظ.

مع أن جملة (وَهُوَ مَذْمُومٌ) في الثالثة أيضاً حال عما قبلها (لَيْدًا بِالْأَعْرَاءِ) فهي تُعَدُّ كالقرين لما قبلها. كما أن اللفظين في الأخيرتين حال عما قبلهما. فكأن (لَا يَرْقُبُونَ) و (لَا يَرْقُبُوا) وليسا حالاً.

٣ - (مَذْمُومًا) في الأخيرتين حال لفعلين قبله: (يَضْلِيهَا) و (فَتَقْعُدُ)، وموقف الأول الدار الآخرة (جَهَنَّمَ) وموقف الثاني الدار الدنيا، وموقف الثالث (لَا تَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ)، فالشرك بالله يجعل الإنسان في الدنيا مذمومًا معذولًا، وحُب الدنيا يجعل الإنسان في الآخرة مذمومًا معذولًا. فكلاهما: الشرك بالله وحُب الدنيا من سيئات الإنسان في الدنيا، إلا أن عقاب الشرك يظهر في الدنيا - فضلاً عن الآخرة - وعقاب حُب الدنيا يظهر في الآخرة.

جرى مجراهم، «الذِمِّي»: هو المعاهد الذي أعطي عهداً يأمن به على ماله وعرضه ودينه، وهي ذِمَّة. (١)  
وكان المسلمون يأخذون الجزية من الذميين ضماناً لأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، إلا أنهم لما ضمنت شوكتهم كفوا عن أخذها منهم، وانفخ بذلك ما كان بينهم من عهد و ضمان، فعترف الفقهاء المعاصرون «أهل الذِمَّة» في هذه الحال بأنهم المواطنون غير المسلمين الذين يحملون جنسية الدولة الإسلامية. (٢)

## الاستعمال القرآني

جاء منها اسم المصدر (ذِمَّة) مرتين، واسم المفعول (مَذْمُوم) ثلاث مرات، في ٥ آيات:  
١ - (كَتِيفٌ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا  
وَلَا ذِمَّةً...)

٢ - (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ)

٣ - (لَوْ لَا أَنْ تَدَارِكُهُ نِصَّةٌ مِنْ رَبِّهِ لَكَيْدٌ بِالْأَعْرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ)

٤ - (...ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَضْلِيهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا)

٥ - (لَا تَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَعْذُولًا)

(٣) القاموس الفقهي لأبي حبيب السعدي.

(٤) معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي.

ولا ينبغي نفى وباله في الدنيا أيضاً.

٤- الأيمان: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾  
و ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ كلاهما من سورة  
التوبة، ومن تنمة آيات فسخ عهد المؤمنين مع  
المشركين التي بدأت بها سورة البراءة: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾  
واستدامت إلى الآيات ٧ - ١٠، وبعدها: ﴿كَيْفَ  
يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ  
عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَاسْتَأْذِنُوا لَكُمْ  
فَاسْتَقْبِلُوا لَهُمُ الْإِنْفَاسَ يَحِبُّ الْمُشْكِينَ﴾ كيف وإن  
يظهروا عليكم لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضَوْنَ  
بِقَوْلِهِمْ وَلَأَنِّي قُلُوبُهُمْ وَآكُثْرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ اشترؤا  
بآيات الله فَمَا قَلِيلًا قَصَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ إِلَهُمْ سَاءَ مَا  
كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

و كلاهما نفى رقوب «الإل» والذمة «عن  
المشركين في عهدهم مع المؤمنين، مع تفاوت بينهما  
بأمور:

أ- الأولى: مشروطة: ﴿وَأَن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ  
لَا يَرْقُبُوا...﴾، والثانية: مطلقة: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ﴾  
ولكن الشرط مراد فيها أيضاً، وحذفت لوضوحه؛ إذ  
إتهم مادام لم يظهروا على المؤمنين لا يحل لرقوبهم،  
ولا لنفيه عنهم.

ب- الأولى: خاصة بالمخاطبين: ﴿لَا يَرْقُبُوا  
فِيكُمْ﴾، والثانية: تعم كل مؤمن: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي  
مُؤْمِنٍ﴾.

ج- وفي التخصيص بالمؤمنين إشارة إلى أن عدم  
رقوبهم للمسلمين من أجل إيمانهم، فلو علموا أن فيهم  
من لا إيمان له قلباً، وإن أظهره نفاقاً، فإلزامهم  
مستعدون لرقوبه إلا وذمة، ولكل نصرة وإعانة إيماء  
إذ لا تخصيهم من رقوبه ضرر، لأنه موافق لهم عقيدة  
ومسلكتهم.

فيبدو أن التكرار مع الاختصاص بالمؤمن،  
تسجيل على عداوة المشركين لكل مؤمن.

وهذا نظير آية التطهير، فإن الآيات قبلها وبعدها  
خاصة بنساء النبي ﷺ وفضلهن، وفي خلافاً عم الله  
الفضل لأهل البيت ﷺ، وذكر فيها أن الله يريد  
«رحمة الطهارة المطلقة» وهي الرحمة - لكل أهل  
البيت، لكنها لا تعم نساء النبي، بل خاصة بمن اجتمعت  
فيهم شروط الصحة، وهم الخمسة الطيبة حسب ما  
جامعت في آيات مستغضة، ولم تعم نساء النبي  
ولا سائر أقربائه، لفقدان تلك الشروط في غير هؤلاء  
الخمسة - وقد ألحق بهم في الأحاديث سائر الأئمة  
عليهم السلام.

فهذا النوع من التعميم «التخصيص والتكرار من  
الأسرار البلاغية للقرآن الكريم. لاحظ أهل: «أهل  
البيت»، فهناك بحثنا حول آية التطهير.

د- ذيل الأولى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾، وذيل  
الثانية: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وساق الأخيرة  
أشد وأسوء - وفي نفس الوقت - أعم من الأولى،  
فلاحظ السياق.

هـ- قالوا: الإل: العهد أو القرابة أو الخلف أو

تفاوت كذلك الأخيرتان أيضاً كلاهما من آيات سورة  
الإسراء: ١٨ و ٢٢، وقد اختلفتا بأمور:

أ- بالتلفي والإنيات في صدرهما: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ  
جَهَنَّمَ﴾ و ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ مع تواقعهما  
إنياتاً ذيلًا: ﴿يُصَلِّيٰهَا مَذْمُومًا مَذْكُورًا﴾ و ﴿فَتَقَعْدَ  
مَذْمُومًا مَقْدُورًا﴾.

ب- وصف ﴿مَذْمُومًا﴾ في أولاهما بـ ﴿مَذْكُورًا﴾،  
وفي الثانية بـ ﴿مَقْدُورًا﴾.

و «مذكور» من «الذكر» بمعنى الطرد،  
و «مقذول» من «المخذلان» بمعنى ترك النصرة،  
فالذكر أشد وأساء من المخذلان لغة، إلا أن مفهومهما  
في الآيتين واحد للملازمة بينهما غائبا. وكلاهما  
تأكيد لـ ﴿مَذْمُومًا﴾ بسياق واحد عقابا للمشركين.

ج- أن هما رويتين «راء ولام» فقبل الأولى  
﴿يُنصِرِ الْإِنسَانَ نَضْإَ﴾ وبعدها ﴿مَشْكُورًا﴾  
و ﴿مَقْظُورًا﴾، وقبل الثانية ﴿لِضْيَالٍ﴾.

فيبدو أن اختلاف اللفظين في الآيتين: ﴿مَذْمُومًا  
مَذْكُورًا﴾ و ﴿مَذْمُومًا مَقْدُورًا﴾ - مع وحدة  
معناها - من أجل رعاية الروي لهما.

فلاحظ الآيات، ولاحظ: «مع ر» «مَذْكُورًا»،  
وبخ ذل: «مَقْدُورًا».

وبلاحظ ثانيا: أن الآيات الخمس - مكثها  
ومدنتها - عقاب للمشرك والمشركون، ليس فيها  
تشريع سوى فسخ العهد مع المشركين في الأوليين  
منها.

و ثالثا: من نظائر هذه المائة في القرآن:

غيرها. لاحظ: «آل ي: «إِلَّا» - والذمة: العهد؛ ومنه  
«أهل الذمة»، لأنهم أهل العهد.

وقال البغوي نقلاً عن السدي: «الإل: العهد،  
وكذلك الذمة، إلا أنه كرر لاختلاف اللفظين».

وقال ابن عطية: «ومن رأى «الإل» أنه العهد،  
جعلها لفظتين مختلفتين لمعنى واحد أو متقارب، ومن  
رأى «الإل» لغير ذلك، فهما لفظان لمعنيين».

وقال الفخر الرازي - ونحوه غيره -: «فالذمة:

العهد وجمعها: ذم و ذمام. كل أمر لزمك، وكان  
بحيث لو ضيعته لزمك مذمة. وقال أبو عبد الله: الذمة  
ما يتذم منه، يعني ما يجنب فيه الذم. يقال: تَذَمَّ  
فلان، أي ألقى على نفسه الذم، ونظيره تحوَّب، وتأنم  
وتخرج».

وقال ابن عاشور: «والذمة: ما يمت به من  
الأوامر من صحة وخلة وجوار، مما يجب في الجزية»  
أن يحفظ ويحصى. يقال: في ذمتي كذا، أي ألزم به  
وأحفظه».

ونحوه الطباطبائي نقلاً عن الراغب، وأضاف:  
«ولعل إلقاء المقابلة في الآية بين الإل والذمة،  
للدلالة على أنهم لا يحفظون في المؤمنين شيئاً من  
المواثيق التي يجب رقوبها وحفظها، سواء كانت مبنية  
على أصول واقعية تكوينية، كالقرابة التي توجب  
بوجه على القريب رعاية حال قريبه، أو على الجمل  
والاصطلاح، كالعهود والمواثيق المعقودة بملف  
ونحوه».

٦ - وكما أن الأوليين من سورة واحدة وبينهما

الذمة:	الميثاق: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَحِلُّونَ إِلَىٰ قَوْمٍ يُبْتَغَىٰ وَبَيْتُهُمْ
الميثاق: ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾	الميثاق: ﴿مِيثَاقُ﴾
البقرة: ٢٧	الذم:
العقد: ﴿بِمَاءِ يَهَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَقْرَبَ بِالْقُرْآنِ﴾	الظمن: ﴿وَإِنْ كَفَرُوا أَلَمَّا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ
المائدة: ١	وَقَطَعُوا فِي دِينِكُمْ﴾
	التوبة: ١٢



# ذنب

١٣ لفظاً، ٣٩ مرة، ٢٩ مكية، ١٨ مدنية  
في ٢٦ سورة، ١٧ مكية، ٩ مدنية.



ذنب ٢:٢	الذنوب ٢:٢	هو ذنوب واسع، وإن كان في سَفْح أو سَد فهو الثَّلَع.
الذنب ١:١	ذنوبهم ١٠:٤-٦	ويقال بسيل ما بين الثَّلَعَتَيْن: ذنب الثَّلَع.
ذنبه ١:٢-١	ذنوبكم ٣:٤-٧	والذَّنْب: التابع للشيء على أثره.
ذنبهم ٢:٢	ذنوبنا ٢:٥-٣	والمُسْتَذْنِب الذي يتلو الذَّنْب، لا يفارق أثره.
ذنبك ٣:١-٢	ذنوب ١:١	والذَّنْبُوب: الفرس الواسع قلب الذَّنْب.
ذنبك ١:١	ذنوبنا ١:١	والذَّنْبُوب: ولد ذنو من ماء، ويكون التصيب من
ذنوب ٢:٢		كل شيء كذلك.

والذَّنْبُوب آخر كل شيء.

الذَّنْبُوب أيضاً: من مذائب المسائل، وهو شبهه أن

يكون جماع الذَّنْب، وقد يجمعون على: الذَّنَائِب.

والذَّنَائِب: موضع مُلِيت الذَّنْب.

والذَّنْبُوب: الواحدة: ذَّنْبُوبَة، هي التيسرة

## التَّصَوُّص اللُّغَوِيَّة

المُخْلِيل: الأذنان جمع الذَّنْب.

والذَّنْب: الإثم والمعصية، والجمع: الذَّنْبُوب.

والْمِذْنَب: مسيل الماء بخصيص الأرض، وليس



الْمَذْنِبَةُ<sup>(١)</sup> الَّتِي قَدْ ارْتُطِبَ طَرَفُهَا مِنْ قَبْلِ ذَنْبِهَا.

وَذَنْبُ الْجِرَادِ: سَمِينٌ وَسِمَنَةٌ فِي أَذْنَابِهِ.

وَالْمَذْنِبُ: التَّعَاظِلُ لِلضِّيَابِ وَالْفَرَاشِ وَالْجِرَادِ وَنَحْوِهَا.

وَالْمَذْنِبُ: إِخْرَاجُهَا أَذْنَابُهَا مِنْ جَبَرِهَا، وَضَرْبُهَا عَلَى أَغْوَاهِ جَبَرَتِهَا. [وَأَشْهَدُ بِالشَّعْرِ ٣ مَرَاتٍ] (٨: ١٩٠)

الْأُمُويُّ: الْمَذَانِبُ: الْمَغَارِفُ؛ وَاحِدُهَا مِذْنَبَةٌ.

(الْأَزْهَرِيُّ ١٤: ٤٤١)

أَبْنُ شَعِيلٍ: الْمِذْنَبُ كَهَيْئَةِ الْجَدُولِ يَسِيلُ عَنِ الرُّوْضَةِ مَاؤُهَا إِلَى غَيْرِهَا، فَيَفْرُقُ مَاؤُهُ فِيهَا، وَالَّتِي يَسِيلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ يَمِذْنَبُ أَيْضًا.

وَأَذْنَابُ الْقَلَاعِ مَا خَيْرُهَا. (الْأَزْهَرِيُّ ١٤: ٤٤١)

(١٣: ٣٣)

الْمِذْنَبُ: أَسْفَلُ الشَّعْبَةِ، وَمَنْقَطِعُ الْوَادِي. (١: ٢٧٨)

قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: الذُّكُوبُ: الْمَاءُ فِي الذُّكُوبِ. (١: ٢٨١)

وَيَقَالُ: إِنَّهُ لَبَعِيدُ الذَّنَابَةِ، أَيْ الرَّجِيمِ. (١: ٢٨٢)

الْمَذَانِبُ مِنَ الْإِبِلِ، الَّتِي تَكُونُ فِي آخِرِ الْإِبِلِ.

وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: الْمَذْنِبُ، مِنَ الْإِبِلِ: الَّتِي تُذْنِبُ

لِلطَّلَقِ إِذَا أَخَذَهَا. (١: ٢٨٣)

تَذْنِبُ الطَّرِيقِ، إِذَا أَخَذَهُ.

وَالْمَذْنِبُ مِنَ الْإِبِلِ: الَّتِي تُرَدُّ مِنَ الطَّلَقِ وَتُجَدُّ مِنْهُ

(١) ذكرها صاحب النهاية بكسر التون اسم فاعل:

مَذْنِبَةٌ.

وَجَدُّاً شَدِيداً، وَهُوَ أَنْ تَمُذَّ ذَنْبُهَا. (٢: ٢٢٤)

الذُّكُوبُ: لَحْمُ الْمَتْنِ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٤: ٤٣٩)

الْقُرَاءُ: الذُّكُوبُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ: الذُّكُوبُ الْعَظِيمَةُ.

وَلَكِنْ الْعَرَبُ تَذْهَبُ بِهِ إِلَى التَّصِيبِ وَالْحِظَّةِ، وَبِذَلِكَ

جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ: ﴿فَإِنْ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُكُوبًا مِثْلَ ذُكُوبِ

أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَفْجِلُونَ﴾ الذَّنَابَاتِ: ٥٩، أَيْ أَشْرَكُوا

حِطًّا مِنَ الْمَذَانِبِ، كَمَا نَزَلَ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، [ثُمَّ

أَشْهَدُ بِشَعْرِ]

وَالذُّكُوبُ بِمَعْنَى الذُّكُوبِ، يَذْكُرُ وَيُؤَكِّدُ.

يَقَالُ: ذَنْبُ الْفَرَسِ وَذَنْبُ الطَّائِرِ، وَذَنْبَةُ

الْوَادِي، وَبِذَنْبِ النَّهْرِ، وَبِذَنْبِ الْقَيْدَرِ.

وَجَمِيعُ ذُنَابَةِ الْوَادِي: الذَّنَابِبُ، كَأَنَّ الذَّنَابَةَ جَمْعُ

ذَنْبِ الْوَادِي، وَذُنَابُ وَذُنَابَةٍ، مِثْلُ جَمَلٍ وَجَمَالٍ

وَجَمَالَةٍ ثُمَّ جَمَالَاتُ جَمْعِ الْجَمْعِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿كَأَنَّهُ جِمَاثٌ صُفْرٌ﴾ الْمُرْسَلَاتُ: ٣٣.

وَذَنْبُ كُلِّ شَيْءٍ: آخِرُهُ وَجَمْعُهُ: ذُنَابٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ

الشَّاعِرِ:

وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذُنَابِ عَشِشٍ

أَجَبَ الظُّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ

جَاءَنَا بِذُّكُوبٍ، وَهِيَ لَفَةٌ بَنِي أَسَدٍ، وَالتَّحْمِيصُ

يَقُولُ: الذُّكُوبُ، وَالْوَاحِدَةُ ذُّكُوبَةٌ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٤: ٤٣٩)

الذَّنَابِيُّ: شَبَّهَ الْمُخَاطَبَ، يَقَعُ مِنْ أَنْوْفِ الْإِبِلِ.

(الْجَوْهَرِيُّ ١: ١٢٨)

الذُّكُوبُ بِضَمِّ الْقَاءِ، لَفَتْ فِي الذُّكُوبِ بِفَتْحِهَا.

(الصَّنَائِيُّ ١: ١٣١)

أَبُو عُبَيْدَةَ: الذَّنَابِيُّ: الذَّنْبُ. [ثُمَّ أَشْهَدُ بِشَعْرِ]

والذئبان: ثبوت معروف: الواحدة ذئبانة.

(الأزهري ١٤: ٤٤٠)

الأصمعي: إذا بدت ثكثت من الإردطاب في البئر من قبل ذئبها، قيل: قد ذئبت فهي مذنبية والرطاب القذوب.

أبو عبيد: فرس مذانب، وقد ذئبت، إذا وقع ولدها في القحط، ودنا خروج السقي وارتفع عجب ذئبها، وعلق به فلم يحدروه.

والعرب تقول: ركب فلان ذئب الريح، إذا سبق فلم يذرك، وإذا رضى بحظ ناقص قيل: ركب ذئب البعير، وأثبع ذئب أمر مذير يتحسر على ما فاتته.

(الأزهري ١٤: ٤٤١)

الذئابة بالضم: ذئب الوادي، وغيره.

(ابن سيده ١٠: ٨١)

ابن الأعرابي: يوم ذئوب طويل الذئب، لا ينقضي طول شره.

الذئب: الذئب الطويل والمذئب الضئ.

والمذئبة والمذئب: المارقة.

وأذئاب السواتل: أسافل الأودية.

وفي الحديث: «لا تمنع فلاناً ذئب ثلعة» إذا وُصف بالذل والضعف والخسة.

(الأزهري ١٤: ٤٤٦)

ذئابة الطريق: وجهه.

المذئب: الذئب الطويل. ويقال: ركب فلان ذئب الريح، إذا سبق فلم يذرك. وإذا رضى بحظ ناقص قيل: قدر ركب ذئب البعير.

(الصغاني ١: ١٣٠)

والذئاب: خيط يشد به ذئب البعير إلى حقه،

لتلاخطير بطنه، فيملأ راحته. (ابن منظور ١: ٣٩٠)

ابن السكيت: والذئوب: لحم أسفل المتن. والذئوب: أيضاً: الذئوف فيها ماء.

(إصلاح المنطق: ٣٣٤)

والذئوب: الذئوف فيها ماء قريب من الجلاء. تؤثت وتذكر.

(إصلاح المنطق: ٣٦١)

نحوه أبو حاتم.

الجاحظ: والذئب: أن الضئ إذا أرادت الحية الدخول عليه في جحره أخرج الضئ ذئبه إلى فم جحره، ثم يضرب به كالخراش يمينا وشمالاً، فإذا أصاب الحية قطعها، والحية عند ذلك تهرب منه.

(١٢٢: ٦)

الذئوري: المذئب كهينة الجدول يسيل عن

الروضة ماءها إلى غيرها.

(ابن سيده ١٠: ٨١)

الذئبان: عشب له جزرة لا تؤكل، وقضبان متبرعة من أسفلها إلى أعلاها، وله ورق مثل ورق الطرخون، وهو تاجع في السائمة، وله نورة غبراء تجرئها الثعل، وتسمو قدر نصف القامة تشبع الثستان منه بصيراً، وأحدثها: ذئبانة.

(ابن سيده ١٠: ٨٣)

الذئباء: حبة تكون في البئر، ينقى منها حش

نسط.

(الصغاني ١: ١٣٠)

البدنجي: المذئب: يجري الماء إلى الروضة.

(١٦١)

والذئوب: الذئوف.

(١٨٩)

والذئوب: التصيب أيضاً، قال الله جل وعز:

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُكُورًا مِثْلَ ذُكُورِ أَصْحَابِهِمْ﴾

والذَّئِبَان: ضرب من الثَّيَب.	الذَّارِيَات: ٥٩.
وَذَنْبُ الْبَشَرِ وَادْتِيبَ إِذَا ارْتُطِبَ تَمَا يَلِي أَقْصَاعَهُ.	والذَّنُوب: المتن.
وهو الذَّنُوب.	والذَّنُوب: الفرس الطَّويل الذَّنْب. [واستشهد
والمَذَانِب: المغَارِف؛ والواحدة: مَذْنِبٌ وَمِذْنَبَةٌ.	بالشعر ٣ مرات] (١٩٠)
[واستشهد بالشعر ٥ مرات] (٢٥٢: ١)	تُغْلَبُ: يقال للرجل إذا مشى خلف الرجل: هو
الأُزْهَرِي: وَتَنْبُ الرَّجُلُ: أَتْبَاعُهُ. وَادْتَابَ	يُخْلِفُهُ وَيَذْنِبُهُ وَيَذْنِبُهُ. (المخطوطي ٢: ٦٣)
القوم: أَتْبَاعُ الرُّؤَسَاءِ.	أَبُو مَا لَكَ: يقال: مَرَّ يَذْنِبُهُ وَيَذْنِبُهُ... إِذَا مَرَّ خَلْفَهُ
يقال: جاء فلان يَذْنِبُهُ أَي بِأَتْبَاعِهِ.	ولا يبارقه. (ابن قُتَيْبَة ٣: ٤٥٢)
وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم	ابن دُرَيْدٍ: الذَّنْبُ: معروف؛ أَذْنَبَ يَذْنِبُ إِذْنَابًا.
الله وجهه، أنه ذكر فتنة، فقال: «إذا كان، حُضِرَتْ	وَذَنْبُ الذَّائِبَةِ: معروف.
بصوب الذين يذنبه، فتجتمع الناس إليه» أراد أنه	وقال قوم: الذَّنَائِمِي وَالذَّنْبُ سَوَاءٌ. وقال
يُضْرَبُ فِي الْأَرْضِ مُسْرِعًا بِأَتْبَاعِهِ الَّذِينَ يَمُرُّونَ رَأْسَهُ	آخَرُونَ: بِلِ الذَّنَائِمِي: تَنَبَّهَ الذَّنْبُ، وَالْأَوَّلُ أَعْلَى.
وَلَمْ يُصْرَجْ عَلَى الْفِتْنَةِ.	يقال: ذَنْبُ الطَّائِرِ وَذُنَابُهُ، وَذَنْبُ الْفَرَسِ
والذَّنُوبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهِهِ، مِنْ ذَلِكَ	وَذُنَابُهُ.
تَحُولُ اللَّهُ جِلَّ وَعِزٍّ: «فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُكُوتًا مِثْلَ	وَالذَّنْبُ فِي الْفَرَسِ أَكْثَرُ. وَالذَّنَائِمِي فِي الطَّائِرِ
ذُكُوبِ أَصْحَابِهِمْ» الذَّارِيَات: ٥٩.	أَكْثَرُ.
وقال غيره: [أبي عمرو]: الذَّنُوبُ: الْفَرَسُ	وَادْتَابَ النَّاسُ: رَذَاهُم.
الطَّوِيلُ الذَّنْبُ، وَالذَّنُوبُ: مَوْضِعُ بَعِيْنِهِ.	وَذَنْبَةُ الْوَادِي وَالتَّهْرُ: آخِرُهُ، وَكَذَلِكَ ذُنَابُهُ.
إِنَّمَا يُقَالُ لِلضُّبِّ: مَذْنِبٌ إِذَا ضَرَبَ بِذَنْبِهِ مِنْ	وَالْمِذْنِبُ: وَالْجَمْعُ: مَذَانِبُ: مَجَارِي الْمَاءِ مِنْ
بَرِيدِهِ مِنْ مُحَرَّشٍ أَوْ حَيَّةٍ، وَقَدْ ذَنْبًا تَذْنِيبًا، إِذَا فَعَلَ	الْخَلَطَ إِلَى الرِّيَاضِ.
ذَلِكَ. وَضَبَّ أَذْنَبَ: طَوِيلُ الذَّنْبِ.	وَالذَّنَائِمَةُ: مَوْضِعُ يَدِ «تَجِدُ».
الذَّنْبِيُّ: ضَرْبٌ مِنَ الْبُرُودِ. [واستشهد بالشعر	وَالذَّنَابُ: خِيَطٌ يُشَدُّ بِذَنْبِ الْبَعِيرِ إِلَى حَقْبِهِ لِكَلِّ
مرتين] (٤٣٨: ١٤)	يَخْطِرُ فِيمَا لَرَاكِبِهِ.
الصَّاحِبُ: الذَّنْبُ: الْإِثْمُ وَالْعَصِيَّةُ: وَالْجَمْعُ:	وَالذَّنُوبُ: الذَّلُوبُ.
الذَّنُوبُ.	وَذَنْبُ الْفَرَادِ: إِذَا غَرَزَ لِيَبِيضَ.
وَالذَّنْبُ: الْقَتْلُ.	وَذَنْبُ الضُّبِّ: إِذَا خَرَجَ مِنْ جُحْرِهِ بِذَنْبِهِ مُرْتَكِبًا.

والذئب: جمعه أذئاب.	والصليب الواحد ذئوب.
وصب أذنب: طويل الذئب.	والذئبان: نبات: الواحدة: ذئبانة.
وأذنبته: قبضت على ذنبه.	وفرس مذائب: إذا قدرته رعيته، ودنا خروج السبي.
وبني وبينه ذئب الصب: أي عداوة.	وذائب القرس: وقع الولد في القحط.
وأذئاب الناس: متوالتهم وأنهاهم.	وناقة ذائب: لا تدر.
والذائب: القائل الشيء على إثره.	والذئابة: مؤخر العين: وجمعها: ذئاب، وكذلك الذئابة.
ومر يذئبه: أي مر خلفه.	والذئب والذئابة: حنيط يشد به ذئب البحر إلى حقه، لتلاخط.
وغلان مذئوب، أي متبوع.	وذئبا الطائر: ذئباه.
وجيش مذائب: مضطرب.	والذئب: الذكر.
والمستذئب: الذي يتلو الذئب.	واشذئب لي الأمر، أي انتشب.
والذئوب من القرس: الواهر الذئب.	والمذائب: المغارف: واحدها: مذئب.
والذئابي، موضع ثبت الذئب.	والذئوب: البصرة المذئبة التي قد أرطت من قبل المطر.
وذئب الثعلب والضب ونحوهما، إذا أرادته	والذئوب: أي جمعد الماء.
التعاضل والسفاد.	والذئبية: برود منسوبة.
والذئوب: البصرة المذئبة التي قد أرطت من قبل المطر.	والثقة التي طرقت بولدها: مذائب، لأنها رفعت ذئبها للنتاج.
وذئبها.	والثقة التي طرقت بولدها: مذائب، لأنها رفعت ذئبها للنتاج.
وركب فلان ذئب أمر مذئب: إذا تلهق عليه.	والخطابي: الذئوب: الواهر خلب الذئب. (٤٦٩: ٢)
والمذئب: مسيل ماء بمحض من الأرض، وليس بهد واسع.	فأما الذئوب، فيقال: إله الذئب، ويقال: بل هو ملء ذئب ماء، ولذلك سمي التصيب ذئوبا. قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذَكُونًا وَمِنْهُمْ ذَكُورٌ أَحْصَاهُمْ﴾ الذاريات: ٥٩. (٥٢٠: ٢)
والذئاب: من مذائب المسائل، وجمعه: الذئائب.	الجوهري: الذئب: واحد الأذئاب.
وذئب القلعة: مسيل ما بين القلعتين.	والذئابي: ذئب الطائر، وهي أكثر من الذئب.
والذئابة: ذئب الوادي والطريق.	
والذئوب: ملء ذئب من ماء، وكذلك الذئاب، وجمعه: أذئبة. والتصيب من كل شيء.	
ويوم ذئوب: لا ينفضي شره لطوله.	
والذئوبان في الصليب: هما الملتان يكتنفان ناحيتي	

وذئب الفرس والبعير وذئباهما، وذئب أكثر من  
ذئابي فيهما.

وفي جناح الطائر أربع ذئابي بعد الخوافي.  
والذئابي: الاتباع.

والذئاب بكسر الذال، عقيب كل شيء.

وذئابة الوادي أيضا: الموضع الذي ينتهي إليه  
سبيله، وكذلك ذئبه، وذئابته أكثر من ذئبه.

والمذئب: المعرفة.

والمذئب أيضا: سبيل ماء في الحضيض والقلعة في

السند؛ وكذلك الذئابة والذئابة بالضم.

والذائب: التابع.

والمستذئب: الذي يكون عند أذئاب الإبل.

والذئائب: موضع.

والذئوب: البئر الذي قد بدا فيه الإرطاب من

قبل ذئبه. وقد ذئبت البصرة فهي مذئبة ومذعجة.

المعتم: أي ذئب عمامته، وذلك إذا فصل منها شيئا  
فأرخاه كالذئب.

والذئوب: الفرس الطويل الذئب.

والذئوب: التصيب.

والذئوب: لحم أسفل المتن.

والذئوب: الدلو المملأ ماء. [ثم نقل كلام ابن

السكيت وأضاف:]

ولا يقال لها وهي فارغة: ذئوب.

والجمع في أدنى القند: أذئبة، والكثير: ذئائب.

مثل قُلُوص وقلائص.

والذئب: الجرم؛ وقد أذئب الرجل.

والذئبان، بالفتح: ثبث. [واستشهد بالشعر

٣مرات] (١٢٨: ١)

ابن فارس: الذال والنون والهاء أصول ثلاثة:

أحدها الجرّم، والآخر مؤخر الشيء، والثالث كالخط  
والتصيب.

فالأول: الذئب والجرّم. يقال أذئب يذئب:

والاسم: الذئب، وهو مؤذّب.

والأصل الآخر: الذئب، وهو مؤخر الدواب،

ولذلك سمي الاتباع الذئابي.

والمذائب: مذائب التلّاع، وهي مسابيل الماء فيها.

والمذئب من الرطب: ما أرطب بعضه.

ويقال للفرس الطويل الذئب: ذئوب.

والذئاب: عقيب كل شيء.

والذائب: التابع. وكذلك المستذئب: الذي يكون

عند أذئاب الإبل.

فأما الذئائب لمكان، والله أعلم. [واستشهد

بالشعر مرتين] (٣٦١: ٢)

الذئوب لا تكون ذئوبا إلا وهي متأى، ولا تسمى

خالية ذئوبا. (الصاحبي: ٩٨)

أبو هلال: الفرق بين الذئب والقبيح: أن الذئب

عند المتكلمين ينبئ عن كون المقصور مستحقا عليه

العقاب، وقد يكون قبيحا لا عقاب عليه، كالقبيح يقع

من الطفل. قالوا: ولا يسمى ذلك ذئبا، وإنما يسمى

الذئب ذئبا لما يتبعه من الذم.

وأصل الكلمة على قولهم: الإتياع، ومنه قيل:

ذئب الدابة، لأنه كالتابع لها. والذئوب: الدلو التي

لها ذنبٌ.

ويجوز أن يقال: إن الذنب يفيد أنه الرذل من الفعل الذنيء. وسمي الذنب ذنباً، لأنه أرذل ما في صاحبه؛ وعلى هذا استعماله في الطفل حقيقة.

الفرق بين الذنب والمعصية: أن قولك: معصية يبين عن كونها متعمداً عنها، والذنب يبين عن استحقاق العقاب عند المتكلمين، وهو على القول الآخر: فعل رديء.

والشاهد على أن المعصية تنبئ عن كونها متعمداً عنها، قولهم: أمرته فعضاني، والتهيي يبين عن الكراهة. ولهذا قال أصحابنا: المعصية: ما يقع من فاعله على وجه قد لهي عنه أو كره منه. (٢٨٩)

الفرق بين الإثم والذنب: أن الإثم في أصل اللغة: التقصير، إثم يأثم، إذا قصر. [ثم استشهد بشعر]

الفرق بين الذنب والجرم: أن الذنب ما يتبعه العيب أو ما يتتبع عليه العيب من قبيح فعله؛ وذلك أن أصل الكلمة: الإتياع، على ما ذكرنا. فأما قولهم للصبي: قد أذنب، فإنه مجاز.

ويجوز أن يقال: الإثم هو القبيح الذي عليه تبعة، والذنب هو القبيح من الفعل، لا يفيد معنى التبعة، ولهذا قيل للصبي: قد أذنب، ولم يقل: قد أثم. والأصل في الذنب: الرذل من الفعل، كالذنب الذي هو أرذل ما في صاحبه. والجرم: ما ينقطع به عن الواجب؛ وذلك أن أصله في اللغة: القطع؛ ومنه قيل للصبر: الجبرام وهو قطع الثمر.

الفرق بين الحوب والذنب: أن الحوب يفيد أنه

مزجور عنه؛ وذلك أن أصله في العربية: الزجر؛ ومنه يقال في زجر الإبل: حوب حوب. وقد سمي الجممل به، لأنه يزجر، وحاب الرجل يحوب، وقيل للنفس: حوباً، لأنها تزجر وتدعي.

الفرق بين الوزر والذنب: أن الوزر يفيد أنه يتحمل صاحبه. وأصله: أثقل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ وَضَعَنَا عَلَيْكَ وِزْرَكَ﴾ الذي أُلْقِيَ ظَهْرَكَ بالانصراف: ٣، ٢. وقال تعالى: ﴿وَخُذْ نَضْعَ الْعَرْشِ أُورَثُهَا بِعَصَدِكَ﴾، أي ألقاها، يعني السلاح. وقال بعضهم: الوزر من الوزر وهو المنجأ، يفيد أن صاحبه ملتجئ إلى غير ملجأ والأول أجود. (١٩٣)

الفرق بين الذنوب والذنوب: أن الذنوب تكون فارغة ومتلاي، والذنوب لا تكون إلا متلاي ولهذا سمي الذنوب ذنوباً. قال الشاعر:

إلا يذا ساجلنا شريب • لنا ذنوب وله ذنوب  
لأن أبي كان له القلب

فلولا أنها مخلوطة ما كان لقوله: «لنا ذنوب وله ذنوب» معنى، وكذا قول علقمة:

• فحق لساس من نذلك ذنوب •

«ساجلنا» شاركنا في الاستقاء بالسجالات،

والذنوب، تذكر وتؤنث، وهكذا. (٢٥٨)

الحروري: والذنوب: الذنوب ملين ماء.

والذنوب: ترايع المتن، وهي لحمه.

وفي الحديث: «لا يمنع ذنب ثلثة»، وصفه بالذل

والضعف، وقلة المنعة.

وأذئاب المسائل: أسافل الأودية.

وفي حديث ابن المسيب: «كان لا يرى بالذئب أن يفتضح بأساً».

و«الذئب»: البسر الذي بدأ فيه الإرتطاب من قتل ذئبه. يقال: ذكبت البصرة فهي مذئبة. (٦٨٥: ٢) **الضالّي**: ولا يقال لها [الذئب] ذئوب، إلا إذا كانت ملأى.

الذئابة: ما بين الثلعتين من المسایل. (٩٢) ابن سيده: الذئب: الإثم والجمع: ذئوب، وذئوبات جمع الجمع. وقد أذئب.

وقوله تعالى في مناجاة موسى له: ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذئبكم الشراء: ١٤﴾. عني بالذئب: قتل الرجل الذي وكّره موسى فقتل عليه، وكان ذلك الرجل من آل فرعون.

والذئب: معروف؛ والجمع: أذئاب. وذئب الفرس: نجم على شكل ذئب الفرس. وذئب الثعلب: ثبته على شكل ذئب الثعلب. والذئابي: الذئب. وقيل: الذئابي: ملبت الذئب. وذئابي الطائر ذئبه. والذئبي والذئبي: الذئب من الهجري.

وأذئاب الناس وذئباتهم: أتباعهم وخلفهم على المثل.

وأذئاب الأمور: ما غيرها على المثل أيضاً. وأذئاب الخيل: غشبة تجمّد عصارتهما على التشبيه وذئبه يذئبه ويذئبه واستذئبه: ثلاثه. فلم يفارق أثره.

والذئوب: الفرس الواهية الذئب.

ويوم ذئوب: طويل الشر لا ينقضي، كأنه طويل الذئب.

ورجل وقاح الذئب: صبور على الركوب. وقولهم: «عقيل طويلة الذئب» لم يفتره ابن الأعرابي، وحندي أن معناه: أنها كثيرة ركوب الخيل. وحديث طويل الذئب: لا يكاد ينقضي، على المثل أيضاً.

والذئاب: خيط يشتد به ذئب البعير إلى حقه، لئلا يخطر بذئبه فيملا راحيه.

وذئاب كل شيء: عقبه ومؤخره. وذئب البصرة وغيرها: مؤخرها. وذئب البصرة: وكثت من قتل ذئبها. وهو الذئوب: واحدة: ذئوبة.

والذئب الوادي والهر وذئابه: آخره، الكسر عن

والذئاب: مسيل ما بين كل ثلعتين، على التشبيه بذلك. وهي الذئاب.

والذئب: المسيل في الحضيض، ليس بخندق واسع. والمذئبة: المفرقة، لأن لها ذئبا، أو شبه الذئب. وذئب الجراد والفراس والضب، إذا أراد انقضاظل والبيض فقرزت أذناها.

وذئب الضب: أخرج ذئبه من أدنى الجحر ورأسه في داخله، وذلك في الحر.

وكان ذلك على ذئب الدهر، أي في آخره. وذئابة العين وذئابها وذئبها: مؤخرها. وذئابة الثعلب: أنفها.

ووتى الخمسين ذنبا: جاوزها.

والذُّكُوب: لُحْمُ المَتْنِ. وقيل: هو منقطع المَتْنِ وأسفله، وقيل: الألية أو المأكم.

والذُّكُوبان: المَشْتَانِ من هنا وهنا.

والذُّكُوب: الحِطُّ والتَّصِيبُ، وفي التَّنْزِيلِ ﴿فَلْيَنْذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذِكْرًا مِثْلَ ذِكْرِ أَصْحَابِهِمْ﴾ الذَّارِيَاتِ: ٥٩، والجمع: أَذْنِبَ وَذَنَابٌ وَذَنَابٌ.

والذُّكُوب: الذُّكُوبُ فِيهَا مَاءٌ. وقيل: الذُّكُوبُ الذُّكُوبُ الَّتِي يَكُونُ الْمَاءُ دُونَ مِلْثَتِهَا، وقيل: هي الذُّكُوبُ الْمَلَأَى، وقيل: هي الذُّكُوبُ مَا كَانَتْ، كُلُّ ذَلِكَ مَذْكُورٌ عَنِ اللَّيْثِيَانِي، قَالَ: وَقَدْ ثَوَّلْتُ الذُّكُوبَ.

وَذَنَابَةُ الطَّرِيقِ: وَجْهُهُ، حَكَاهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، قَالَ وَقَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ لِرَجُلٍ: [لَكَ لَمْ تَرَسِدْ ذَنَابَةَ الطَّرِيقِ، يَعْنِي وَجْهَهُ.

وَالذَّيْبَانِ: ثَبَتَتْ ذَاتُ أَفْنَانٍ طَوَالَ غَبِيرَةِ الْبُورْقِ تَبَيَّتْ فِي السَّهْلِ عَلَى الْأَرْضِ لَا تَرْتَفِعُ، يُحْمَدُ فِي الْمَرْعَى، وَلَا تَبَيَّتْ [لَا فِي عَامٍ خَصِيبَ.

وقيل: هي عُشْبَةٌ لَهَا سُنْبُلٌ فِي أَطْرَافِهَا، كَأَنَّهُ سُنْبُلُ الذَّرَّةِ، وَلَهَا قُصْبٌ وَوَرَقٌ، وَصُفَّتُهَا بِكُلِّ مَكَانٍ مَا خَلَا حُرَّ الرَّمْلِ، وَهُوَ يَنْبِتُ عَلَى سَاقٍ وَسَاقَيْنِ، وَاحِدَتُهُ: ذَكْبَاتَةٌ. وَالذُّكُوبِيَاءُ، مَضْمُومَةُ الذَّالِ مَفْتُوحَةُ التَّوْنِ مَحْدُودَةٌ: حَبَّةٌ تَكُونُ فِي الْبَرِّ يُنْقَى مِنْهَا حَتَّى تَسْقُطَ.

وَالذُّنَابُ: مَوْضِعٌ بِـ «نَجْدٍ».

وَالْمَذْنَابُ: مَوْضِعٌ. [وَأَسْتَشْهَدُ بِالشَّعْرِ مَرَّاتٍ]

(٧٩: ١٠)

وَأَذْنِبَ: صَارَ ذَا ذَنْبٍ. وَتَذْنِبَ عَلَى فُلَانٍ: ادَّعَى

عَلَيْهِ ذَنْبًا.

(الإفصاح ١: ٢٥٣)

ذَنْبُ التَّعَلُّ: مَا نَتَأَ مِنْ مُؤَخَّرِهَا. (الإفصاح ١: ٣٩٤)

الذُّنَابِي: نَفْعٌ فِي الذُّنْبِ، وَهِيَ فِي الطَّائِرِ أَفْصَحُ مِنَ

الذُّنْبِ. (الإفصاح ٢: ٧١٠)

الطُّوسِي: وَالدُّنْبُ وَالْجُرْمُ وَاحِدٌ. تَقُولُ: أَذْنِبَ يُذْنِبُ [ذَنَابًا، فَهُوَ مُذْنِبٌ.

وَالذُّنْبُ: الْقَتْلُ لِلشَّيْءِ، ذَنْبُهُ يَذْنِبُهُ ذَنْبًا، إِذَا تَلَا.

وَالذُّكُوبُ: الدَّلُو، لِأَنَّهَا تَالِيَةٌ لِلْحَبْلِ فِي الْجَذْبِ.

وَالذُّكُوبُ: التَّصِيبُ، لِأَنَّهُ كَالدَّلُو فِي الْإِنْعَامِ. [ثُمَّ

أَسْتَشْهَدُ بِشَعْرٍ]

وَالذُّكُوبُ: الْفَرَسُ الْوَافِرُ شَعْرَ الذُّنْبِ.

وَأَصْلُ النَّبَابِ: الْقَتْلُ، فَالذُّنْبُ: الْجُرْمُ لَمَّا يَتْلُوهُ مِنَ

لِاسْتِغْنَائِهِ الذَّمَّ، كَمَا قِيلَ: الْعِقَابُ، لِأَنَّهُ يُسْتَحَقُّ عَقِيبَ الذُّنْبِ. (٤٠٥: ٢)

مِثْلُهُ الطُّوسِي. (٤١٢: ١)

وَالذُّنْبُ وَالْجُرْمُ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَإِنَّمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ جِهَةِ الْأَصْلِ، لِأَنَّ أَصْلَ الذُّنْبِ الْإِنْتِاعُ، فَالذُّنْبُ مَا يَتَجَعَّلُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مِنْ قَبِيحِ عَمَلِهِ كَالْتَّبَعَةِ، وَالْجُرْمُ أَصْلُهُ: الْقَطْعُ، فَالْجُرْمُ الْقَبِيحُ الَّذِي يَنْقَطِعُ بِهِ عَنِ الْوَاجِبِ.

(٤١٥: ٢)

مِثْلُهُ الطُّوسِي. (٤١٨: ١)

الرَّاعِيبُ: ذَنْبُ الذَّاتَةِ وَغَيْرِهَا: مَعْرُوفٌ، وَيُجْعَلُ

بِهِ عَنِ الْمَتَأَخَّرِ وَالرَّذَلِ. يُقَالُ: هُمْ أَذْنَابُ الْقَوْمِ، وَعِنْدَهُ

أَسْعِيرٌ: مَذْنَابُ الْقِلَاعِ، لِمَسَائِلِ مِيَاهِهَا.

وَالْمِذْنَبُ: مَا أُرْطِبَ مِنْ قَبْلِ ذَنْبِهِ.

وَالذُّكُوبُ: الْفَرَسُ الطَّوِيلُ الذُّنْبِ، وَالدَّلُو الَّتِي لَهَا



وسالت المذائب: جمع مذنب، وهو المسول في  
الخصيصة إذا لم يكن واسعاً، والثلثة في سَفَح أو سَنَد.  
ومن الجواز: هو من الأذائب والذنائب والذنائب.  
ونظر إليه بذنب عينه وذناها وذنايتها وذنايتها  
بالكسر والضم، أي بمؤخرها.

وبلغ الماء ذنب الوادي والثر وذنايته وذنايته.  
والثبت ذناية القوم وذناية الإبل.  
وركب ذنب الرمح: سبق فلم يُدرك.  
وركب ذنب البعير: رضي بحفظه بخوس.  
وأرسى على الخمسين وولته ذنبا.  
وأقام بأرضنا وعرز ذنبه: لا يبرح وأصله في

ذنب، واستعير للتصيب، كما استعير له السجل، قال  
تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُكُوبًا بِمِثْلِ ذُكُوبِ  
أَصْحَابِهِمْ﴾ الذاريات: ٥٩.

والذنب في الأصل: الأخذ بذنب الشيء، يقال:  
ذنبته: أصبت ذنبه، ويُستعمل في كل فعل يُستوفى  
عقبه اعتباراً بذنب الشيء، ولهذا يستعمل الذنب بثقة،  
اعتباراً لما يحصل من عاقبته.

وجمع الذنب: ذكوب، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ  
بِذُكُوبِهِمْ﴾ آل عمران: ١١، وقال: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا  
بِذُنُوبِهِ﴾ العنكبوت: ٤٠، وقال: ﴿وَمَنْ يَقِرَّ الذُّكُوبَ  
إِلَّا اللَّهُ﴾ آل عمران: ١٣٥، إلى غير ذلك من الآي.

(١٨١) الجراد.

نحوه الفيروزبادي: (بصائر ذوي التمييز: ٣: ١١) والجمع ذنب الأمر، إذا تعلق على أمر قد مضى.  
والزمن مشري: فرس طويل الذنب والذنايب  
وأخذت بذنايب الطائر.

وفرس ذكوب: وهو طيب الذنب.

وذنب الإبل واستذنبها: أتبعها.

وذنب الجراد تذبذباً: غرز لبييض.

وذنب الضب: أخرج ذنبه عند الحرش.

وذنب الحارث: قبض على ذنبه.

وأذنب العبد.

واستغفر الله تعالى من الذكوب.

وذنب على فلان: مثل تجنى ونجرم.

واصيب لي من ذكوبك وذنايك، وهو ملء الدلو  
من الماء.

وغرف له بالمذنب وهي المخرقة.

وذنب القوم والطريق والأمر.

والسحاب يذنب بعضه بعضاً، وهو متذائب.

ومر يذنبه ويذثره.

وفلان مذكوب: متبوع.

وتذنب الوادي: جنته من نحو ذنبه.

وتذنب المعتم: أفضل من عمامته ذنباً: أرخاه.

وذنب الثمن: أرطب من قبل ذنبه. وبسر

مذنب وهو التذنب.

وذنب كلامه: تعلقت بأذنايه وأطرافه.

وهم ذكوب من كذا، أي نصيب.

وضربه على ذكوب متته، وهو لحمه الذي يقال

له: يراجع المتن. [واستشهد بالشعر ٧ مرات]

(أساس البلاغة: ١٤٥)

في حديث ابن عباس «... وأن فرعون كان على فرس ذكوب حصان...».

«الذكوب»: الواهر الذئب. (الفائق ٣: ١٣١)

[في حديث] حذيفة: «... لا يمنعوا ذئب ثلعة».

«ذئب الثلعة»: أسفلها، أي يذلها الله حتى لا تقدر

على أن تمنع ذئب ثلعة. (الفائق ٣: ٣٧١)

المديني: في الحديث: «من مات على ذئبى طريق

فهو من أهله». أوردوه في الأمثال في الهوى.

وسألت الإمام إسماعيل رحمه الله، عنه فقال: يعني

على قصد الطريق، كقوله تعالى: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ

بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ...» النساء: ١٠٠. قال

صاحب «المجمل»: الذئبى: الإتياع. وقيل: الذئبى:

مُتَبِّت الذئب، ويقال لذئب الطائر ذئبى.

الذئابة: ذئب الوادي والطريق، وموخر العين.

والذئاب بالكسر: عيب كل شيء. (١: ٧١١)

ابن الأثير: فيه: «أنه كان يكره المذئب من

البشر، مخافة أن يكونا شيتين، فيكون خليطاً». المذئب

بكسر التون: الذي يدا فيه الارطاب من قيل ذئبه، أي

طرفه. ويقال له أيضاً: الذكوب.

ومنه حديث أنس: «أنه كان لا يقطع الذكوب من

البشر إذا أراد أن يفتضحته».

ومنه حديث ابن المسيب: «كان لا يرى بالذكوب

أن يفتضح بأساً».

وأصل الذئبى: مُتَبِّت ذئب الطائر.

وفي حديث حذيفة: «حتى يركبها الله بالملائكة،

فلا يمنع ذئب ثلعة». وصفه بالذل والشحف وقلته

المنعة.

وأذئاب المسائل: أسافل الأودية.

ومنه الحديث: «يقعد أعرابها على أذئاب أوديتها

فلا يصل إلى الحج أحد». ويقال لها أيضاً: المذائب.

ومنه حديث ظبيان: «وذئوا خيشانه» أي جعلوا

له مذائب ومجاري، والخيشان: ما حشش من الأرض.

وفي حديث رسول الأعرابي في المسجد: «فأمر

بذكوب من ماء فأريق عليه». الذكوب: الدلو

الطبيعة. وقيل: لا تسمى ذكوباً إلا إذا كان فيها ماء. و

قد تكرّر في الحديث. (٢: ١٧٠)

الصفاني: ذئاب بكسر. وذئبه: الموضع الذي

يسمى إليه سبله، ومثله: ذئبه، وذئابته.

وخرّب فلان بذئبه، إذا قام ونبت.

استذئب الأمر: استغنى.

والذئابة: موضع باليمن.

والذئابة: موضع بالبطائح.

والذئاب: ثلاث هضبات بـ «نجد»، وبها قبر

كليب وأتل.

والذئبة: مائة بين امرأة وإصاخ.

والذئبان: ماء بالمص.

وذئبا الحليف: من مياه بني حنظل. (١: ١٣٠)

القيومي: الذئب: الإثم؛ والجمع: ذكوب.

وأذئب: صار ذا ذئب، بمعنى تحمّله.

والذكوب، وزان رسول: الدلو الطبيعة. قالوا:

ولا تسمى ذكوباً حتى تكون مملوءة ماءً، وذكُورٌ ومؤنثٌ، فيقال: هو الذكُوب وهي الذكُوب.

وقال الزجاج: مذكُورٌ لا غير، وجمعه: ذُباب، مثل كتاب.

والذكُوب أيضاً: الحظّ والتصيب، هو مذكُورٌ.

وذئب الفرس والطائر وغيره: جمعه: أذئاب، مثل: سيب وأسباب.

والذئابي وزان الحزامي: لغة في الذئب. ويقال: هو في الطائر ألصق من الذئب.

وذئابة الوادي: الموضع الذي ينتهي إليه سبله أكثر من الذئب.

وذئب السوط: طرفه.

وذئب الرطب تذنيباً: يداخه الإرطاب. (٢٩٠: ١) الجرجاني: الذئب: ما يحجبك عن الله تعالى. (٤٧)

الفيروز آبادي: الذئب: الإثم، جمعه: ذُكُوبٌ وجمع الجمع: ذُكُوبات. وقد أذئب.

وبالتحريك: واحد الأذئاب.

وذئب الفرس: نجم يشبهه.

وذئب القمل: ثبت يشبهه.

وذئب الخليل: نبات.

والذئابي، والذئبي يضمهما، والذئبي بالكسر: الذئب.

وأذئاب الناس، وذئباتهم، بحركة: أتباعهم وسفلةُهم.

وذئبه يذئبه ويذئبه: تلامذ، فلم يفارق إثره، كاستذئبه.

والذكُوب: الفرس الوافر الذئب، ومن الأيمان: الطويل الشتر، والذئو، أو فيها ماء، أو المسلى، أو دون الملء، والحظّ، والتصيب: جمعه: أذئبة وذئاب وذئاب، والقبر، ولحم المتن، أو الآلية، أو المآكم، والذئوبان: المتنان.

وككتاب: حيط يُشدّه ذئب البعير إلى عقبه، لتلاخيط بذئبه فيلطح راكبه، ومن كل شيء: عقبه ومؤخره، ومسيل ما بين كل ثلثتين، جمعه: ذئائب.

وذئبة الوادي والذئب بحركة، وذئابته، بالضمّ ويكسر: أو آخره.

والذئابة بالضمّ: التابع كالذئب، ومن الثمل: كظها.

والذئب من الطريق: وجهه، والقراءة، والرجيم، وذئابة العيص: موضع.

والذئب البصرة تذنيباً: وكنت من ذئبها، وهو تذكُوب، ويضمّ: واحدته ذئبة.

والذئب، كعنبر: المفرقة، ومسيل الماء إلى الأرض، ومسيل في الحضيض، والجدول يسيل عن الروضة بجائها إلى غيرها، كالذئابة، بالضمّ والكسر، والذئب الطويل.

والذئبان، بحركة: عشب، أو ثبت كالذئبة: واحدته ذئبة، وماء بالعيص.

والذئبان، كالقبراء: حبة تكون في الثرثثي منه، والذئابة، بالكسر، والذئائب والمذائب والذئابة، بالضمّ: مواضع.

والذئبي، كزئيري: من البرود.

وفرس مذائب. وقد ذائبت: وقع ولدها في القحط، ودنا خروج السقي.

و ضرب فلان بذئبه: أقام وثبت.

وركب ذئب الريح: سبق فلم يترك.

وركب ذئب البحر: رضي بحظ ناقص.

واستذئب الأمر: استتب.

والذئبة: محرقة: ماء بين إمرة وأضاح.

وذئب الخليف: ماء لبني عقيل.

وذئب الطريق: أخذه، والمُعتم: ذئب عمامته.

والمذائب من الإبل: الذي يكون في آخر الإبل.

و كمعدت: التي تجرد من الطلق شدة فمده ذئبها.

(٧١: ١)

الطَّرِيحِي: «ذئوب» في الأصل: الدلو البطون.

لا يقال لها ذئوب إلا وفيها ماء. وكانوا يستقون قهها.

لكل واحد ذئوب. فجعل الذئوب التصيب.

والذئب: الإثم والجمع: ذئوب بضم الذال.

والذئب بالتحريك: للفرس والطائر والجمع:

الأذئاب، كالأسباب.

و «كُنْ ذَنْبًا وَلَا تَكُنْ رَأْسًا» كُنْ بِالرَّأْسِ مِنَ

الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ، وَبِالذَّئْبِ عَنِ التَّأَخُّرِ مِنْ ذَلِكَ.

والمعنى: أن المتقدم محل الخطر والحلاك، كالرأس

الذي يمتشى عليه القلع، بخلاف المتأخر، فإنه

كالذئب.

وذئب الناس وذئبتهم محرقة: أتباع الناس

وسفلتهم. كأنهم في مقابل الرؤوس وهم

المتقدمون. (٦١: ٢)

رشيد رضا: والذئب في اللغة: كل عمل له ثبته

لا تسر العامل ولا توافق غرضه، فهو مأخوذ من ذئب

الحيوان. (٢٩: ٦)

الذئب في اللغة: كل عمل يستتبع ضررًا أو فوت

منفعة أو مصلحة، مأخوذ من ذئب الدابة. وليس

مرادفًا للمعصية بل أعم منها. (٤٦٥: ١٠)

مَجْمَعُ اللُّغَةِ: الذئب: الإثم، والمحرم من الفعل:

والجمع: ذئوب.

الذئوب بفتح الذال: الذل والمعلومة، والتصيب.

(٤٢٨: ١)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (٢٠٣: ١)

محمود شيت: أذئب في التدريب: اقتصر ذئبًا.

فهو بذئب.

الذئب: الذي اقتصر ذئبًا يخل بالخطب العسكري.

سنة ١٢٠٠

يقال: تقديم المذنبين: محاكمتهم أمام أمر الضبط.

تدريب المذنبين: تدريب إضافي عقابًا للمذنبين.

سجل المذنبين: سجل أسماءهم الذي يسجل فيه

عقوباتهم. (٢٦٧: ١)

المصنفوري: والتحقيق: أن الأصل الواحد في

هذه المادة: هو التبعة مع قيود التأخر والاتصال

والدناءة. وبملاحظة هذه القيود لطلاق على الإثم الذي

يلحق الإثم ويتبعه، من دون أن ينفصل عنه، وهو

دنيء وكرهه في نفسه.

ويقال ذئبه بذئبه فهو ذائب، أي تابع متأخر.

وأذئب بذئب وهو مذئب، أي صار ذا ذئب، وجعل

نفسه ذا ذنب.

واستدنبه: طلب التبعية وأظهرها.

والذئوب «فعل» ما يتصف بالتبعية والتأخر، كالذئب الثقيل يجتر بالرشاء، تقول العرب: أتبع الذئب رشاءها، والمخطأ الذي هو دنيء ويتبع صاحبه ويلحقه.

فالذنب في الأصل: مصدر بمعنى التبعية، ثم جعل اسمًا لكل تابع دنيء متأخر غير منفصل من الإنسان، وهو الإثم.

فلذا أريد تفهيم مفهوم إثبات الإثم، فلا بد من التقديس بالهزمة، فيقال: أذنبه، أي أسى بالذنب وأظهره، وأما الذائب فهو التابع المطلق.

وأما الذنب: فهو اسم لتابع متصل دنيء مرتبة أو عنوانًا، أو كالم متصل التابع، فيطلق على أذئاب الطيور والمحيوانات، ونية الشخص: الخصمين له. من جهة الفرق بين الذنب والإثم والخطأ والحسب والجرم والوزر والمعصية: فإن النظر في الذنب إلى جهة اللذوق والدناءة والتبعية، وفي الوزر إلى جهة الثقل وكونه تعيلاً محتملاً، وفي الخطأ إلى جهة الخطئية، وفي المعصية إلى جهة عصيان الأمر وخلاف التكليف، وفي الحسب إلى جهة الزجر والانزجار، وفي الإثم إلى جهة القصور والبطل كما مر في ما كتبها، وفي الجرم إلى جهة الانقطاع عن الحق، راجع: الجرم، الخطأ، الإثم، الحسب.

﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾  
التكوير: ٨، ٩، أي بأي إثم يلحقها ويتبعها وهو دنيء

قُتِلَتْ، مع أنها كانت قاصرة عاجزة عن الذنب.

﴿غُفِرَ الذَّنْبُ﴾ المؤمن: ٣، ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ يوسف: ٢٩، ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾ آل عمران: ١٣٥، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ آل عمران: ١٦، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ آل عمران: ٣١.

فملاحظة حقيقة الذنب والنظر إلى خصوصياته: تستعمل مادة الغفران والاستغفار متعلقة به، ولا تناسب في موارد الإثم والوزر والحسب والعصيان، فإن العهد يلزمه الإصلاح ورفع تلك الموضوعات، وردّها عن مسيرد ومن انتطح عن الحق، أو عصي أمره، أو حمل وزراً، أو أظهر البطلان والتسامح في عمله، فلا بد له أولاً أن يتوجه إلى التعمير والتقصير، ثم يصلح ويَتوب إليه.

فقد تستعمل متعلقة بالخطأ ﴿لَا تَقْرَأُوا﴾  
﴿طَائِفَاتٍ﴾ ٧٣، ﴿أَنْ يَقْرَأَ فِي خَطِيئَتِهِ﴾ الشعراء: ٨٢، وإصلاح الخطأ هو التوجه إليه والتدانة. وعلى هذا ترى استعمال الغفران في موارده واقفاً بصورة الخطأ والدعاء والثوبة: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا﴾ الشعراء: ٥١.

وهذا ظهر لطلب التعبير بالمادة في مواردّها، فلا تنفل، راجع: مادة: «الخطأ».

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾  
الذاريات: ٥٩، مراد مطلق ما يكون لاحقاً لهم ومن ورائهم في إثر ظلمهم وعدوانهم.

فالذئوب: كل أمر دنيء وأثر فجعيل، وعذاب وألم وخيز شديد، يلحق صاحبه ويتبعه.

اللاهوتية، والحقايق القدسية.

وبحسب كل من هذه الفتوح ينكشف تما ماضي ذنوب، فإن الذنوب والآثام تختلف باختلاف المراتب والمقامات الظاهرية والباطنية، وحسبئات الأبرار سيئات المقربين، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

فلذا حصل الوُسع في الظاهر أو الباطن، يتوجه إلى تكاليف وظائف آخر جديدة، ويرى في جريان ما سبق قصوراً كئافاً، بل ويرى نفسه دائماً مقصراً ومُذنِباً ومُجرماً وآثماً، ولا يدرك من أعماله إلا الزلل والغلطة، والتقصير والإحتم.

وعلى هذا المبنى يُبنى ما يترامى من الأنبياء المطهرين والأوصياء المطهرين والأولياء المرضيين، من الكمال والمناجات والتضرع الدائم.

يقول خاتم الوصيين عليه السلام: «إلهي قلبي محبوب و طاعني قليل و محسني كثير فكيف المحيلة يا هلام المنيوب» ١٢

فهذه الآية الكريمة ناظرة إلى هذا المقام، لتقوية نفسه الشريف وتسدده وتحكميم أمره، وإزالة التزلزل والاضطراب عن قلبه، حتى يستقيم فيما أمر، وتطمئن نفسه اللاهوتية في السفر إلى الخلق، وفي تبليغ ما أنزل إليه من ربه.

فخذ هذه الحقيقة الربانية، ولا تكن من الكافرين به، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وعرقنا نفسك، ونور قلوبنا بأنوار معرفتك. (٣: ٣٣٤)

وتفسير الذنوب بالحظ والتصيب مطلقاً، ليس على ما ينبغي. نعم إن مفهوم الذنوب يُعقَّبون ويُعبر عنه بالتصيب أو الحظ، باعتبار اللّحوق والاختصاص به. وهذا كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمُكُمْ ذُنُوبُكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ لُوطَ﴾ هود: ٨٩

ولا يخفى أن الذنب يراد منه مجموع العمل وأثره المترتب عليه، أو العمل بلحاظ أثره الذي يتبع العامل ويلحقه.

فالذنب عرفاً هو العمل المخالف للكرام، وهذا العمل إذا لوحظ من حيث هو هو: فهو مصداق للذنب والعصيان والإحتم والجُرم والوُذر معاً، وإذا اعتبر من جهة الأثر وسائر الجهات فبشرقي كل منها.

ثم إن الذنب باعتبار الأثر والنتيجة يتسرع على أنواع، قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه في دعاء كميل: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك البصيرة التي تهتك الغفر في الذنوب التي تُنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تُغيّر النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تُحسب الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تُنزل البلاء، اللهم اغفر لي كل ذنب أذنبته وكل خطيئة أخطأتها».

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَظْهَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَعْدُمُ مِنْ ذُنُوبِكَ وَمَا كُنَّا نَبْهِيكَ ۚ﴾ أي فتحة ظاهرة بالتوسعة، ومزبد القدرة، وبسط الحكومة، وتببيت السلطة، وحصول النفوذ، وإجراء الأوامر والتواهي الإلهية، وكثرة الثابطين المؤمنين، ووفاء المخالفين ومسالماتهم، وفتحاً روحانياً بالكاشفات الغيبية والفتوحات القلبية المعنوية، والأنوار الیقينية

## النصوص التفسيرية

ذنب

وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ الشَّعْرَاءُ: ١٤

ابن عباس: قصاص يقتلي القبطي. (٣٠٧)

مجاهد: قتل النفس التي قتل منهم.

(الطبري: ٩: ٤٣٥)

نحوه قتادة (الطبري: ٩: ٤٣٥). والزجاج (٤):

٨٥. وأبو الفتح (١٤: ٣٠٨). والقرطبي (١٣: ٩٢).

وابن جزي (٣: ٨٣). والقاسمي (١٣: ٨-٤٦).

ومغنية (٥: ٤٩٠). وحصل لغة (١٧: ٩٤).

زيد بن علي: عندي لهم دين. يريد من أجل

القتل الذي قتله، كان خبازا فرعون، واسمه:

قانون. (٢٩٩)

ابن كتيبة: عندي ذنب. (٣٩٦)

مثله الميدي. (٥٨: ٥٨)

الطبري: ولقوم فرعون علي دعوى ذنب.

اذنبت إليهم، وذلك قتله النفس التي قتلها منهم.

(٩: ٤٣٥)

نحوه الواحدي (٣: ٣٥٦). والبقوي (٣: ٤٦٣).

والطبرسي (٤: ١٨٦). وابن الجوزي (٦: ١١٨).

والخازن (٥: ٩٤). وطنطاوي (١٣: ١٥).

التعلي: القتل الذي قتله منهم. واسمه ماتون.

وكان خباز فرعون. (٧: ١٥٩)

القشيري: أخبر أنه قتل نفسا، وأنه في حكم

فرعون عليه دم. (٥: ٨)

الزمخشري: أراد بالذنب: قتله القبطي. وقيل:

كان خباز فرعون، واسمه فاتون. يعني: ولهم علي تبعة

ذنب. وهي قود ذلك القتل. فأخاف أن يقتلوني به.

فحذف المضاف، أو سمي تبعة الذنب ذنبا كما سمي

جزاء السيئة سيئة. (٣: ١٠٧)

نحوه التفسير (٣: ١٧٩). واليسابوري (١٩):

٤٨. وأبو حيان (٧: ٨). وشبر (٤: ٣٧٦).

الفخر الرازي: فأراد بالذنب: قتله القبطي.

لقائل أن يقول قول موسى عليه السلام: ﴿وَلَهُمْ عَلَى

ذَنْبٍ﴾ هل يدل على صدور الذنب منه؟

جوابه: لا. والمراد: لهم علي ذنب في زعمهم.

(٢٤: ١٢٣)

نحوه الشوكاني (٤: ١٢١). ومكارم الشيرازي

(١١: ٣٠٨).

ابن عري: يقتلي جبار الشهرة. (٢: ١٧٤)

المصاوي: أي تبعه ذنب. فحذف المضاف. أو

سُمي باسمه والمراد: قتل القبطي. وإلما سماء ذنباً على

زعمهم. (٢: ١٥٤)

نحوه التبريني (٣: ٥). وأبو السعود (٥: ٣٥).

والكاشاني (١: ٣١). والمشهدى (٧: ٢٣٧).

والهرسوي (٦: ٢٦٦).

ابن كثير: أي بسبب قتل القبطي الذي كان سبب

خروجه من بلاد مصر. (٥: ١٧٧)

الآلوسي: أي تبعه ذنب. فحذف المضاف وأقيم

المضاف إليه مقامه. أو سمي باسمه مجازاً بعلاقة السببية.

و المراد به: قتل القبطي خباز فرعون بالوكزة التي

وكزها، وقصته مبسوطه في غير موضع. وتسميته ذنباً

٢- بأي ذنب قُتِلَتْ  
الْبُرُوسُوي: من الذنوب الموجبة للقتل عقلاً  
ونقلاً. (٣٤٦: ١٠)  
المُصْطَفَوِي: أي بأي إثم يلحقها ويتبها وهو  
دنيء قُتِلَتْ، مع أنها كانت قاصرة عاجزة عن الذنب.  
(٣٣٥: ٣)  
لاحظ: من أَل: «سَيَلَتْ» و: ق ت ل: «قَيَلَتْ».

## الذنب

غَافِرُ الذَّنْبِ. المؤمن: ٣  
الطَّبْرِي: وقال: «غَافِرُ الذَّنْبِ» ولم يقل:  
الذَّنْبِ، لأنه أراد به الفعل. (٣٨: ١١)  
الرَّجَاج: الذَّنْب: اسم الجنس. (البن عطية ٤: ٥٤٦)  
الطَّبْرَسِي: الذَّنْب: اسم جنس، فالمعنى: غافر  
الذنوب لِمَنَ جَسَّ، وفيما يُستقبل. (٥١٣: ٤)  
الْبُرُوسُوي: والذَّنْب: الإثم، يُستعمل في كل  
فعل يضر في عُقْبَاء، اعتباراً بالذنب الشيء، أي آخره.  
ولم يقل: «غافر الذَّنْب» بالجمع إرادة للجنس،  
كما في: الحمد لله. (١٥٠: ٨)

لاحظ: غ ف ر «غافر».

## ذئبه

١- فَكُلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ... العنكبوت: ٤٠  
ابن عباس: في الشراك. (٣٣٥)  
القُصَي: ولم يقل: بفعلنا به، لأن الله عز وجل  
أعدل من أن يحذّب العبد على فعله الذي يُجبره عليه.  
(١٥٠: ٢)

بحسب ذنبهم بما ينبغي عنه قوله تعالى: (لَهُمْ). (١٩: ٦٦)  
الْمُرَاغِي: أي ولهم على تبعة جرم يقتل القبطي  
خَبَازَ فرعون، بالوكزة التي وكز بها. (١٩: ٥٠)  
ابن عاشور: والذَّنْب: الجرم ومخالفة الواجب  
في قوانينهم. وأطلق الذَّنْب على المواخذة، فإن الذي  
لهم عليه هو حق المطالبة بدم القاتل الذي وكزه  
موسى فقتل عليه، وتوعد القبط إن ظفروا به  
ليقتلوه، فخرج من مصر خائفاً، وكان ذلك سبب  
توجهه إلى بلاد مدين. وسمّاه ذنباً بحسب ما في شرح  
القيوط، فإنه لم يكن يومئذ شرع إلهي في أحكام قتل  
النفس.

ويصح أن يكون سمّاه ذنباً، لأن قتل أحد في غير  
فصاص ولا دفاع عن نفس المدافع يُعتبر جرماً في  
قوانين جماعات البشر، من عهد قتل أحد بني آدم  
أخاه، وقد قال: في سورة القصص: ١٥، ١٦ «وَقَالَ  
هَذَا مِنْ قَتْلِ الشَّيْطَانِ إِلَهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ» قَالَ رَبِّ  
إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي. وأما ما كان، فهو جعله  
ذنباً لهم عليه. (١٩: ١٢٢)

الطُّبَا حَلَبَاتِي: وفي الآية إشارة إلى قصّة قتله  
لنحوه، وكونه ذنباً لهم عليه، إنما هو بالبناء على  
اعتقادهم، أو الاعتبار بمعناه اللغوي المذكور آنفاً. وأما  
كونه ذنباً بمعنى محصية الله تعالى، فلا دليل عليه  
وسواء فيك فيه كلام عند تفسير سورة القصص إن  
شاء الله تعالى. (١٥: ٢٥٩)

محمود صافي: وجملة: «لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ...»  
لا محل لها استئناف في حيز القول. (١٩: ٥٨)



- الواحدى: أي عاقبتنا بتكذيبه الرسل. (٤٢٠: ٣)  
 مثله الطبرسي: (٢٨٣: ٤)  
 ابن الجوزي: أي عاقبتنا بتكذيبه. (٢٧٢: ٦)  
 نحوه المراغي: (١٤١: ٢٠)  
 السمعين: بذنبه، أي بسبب، أو مصاحباً لذنبه.  
 (٣٦٦: ٥)  
 أبو السعود: أي عاقبناه بجنايته لا بعضه دون  
 بعض، كما يشعر به تقديم المفعول. (١٥٢: ٥)  
 مثله الثروتوي: (٤٦٩: ٦)  
 ابن عاشور: أفادت الفاء التفرع على الكلام  
 السابق، لما اشتمل عليه من أن الشيطان زمن لهم  
 أعمالهم ومن استكبار الآخرين، أي فكان من عاقبة  
 ذلك أن أخذهم الله بذنوبهم العظيمة الناشئة عن تركهم  
 الشيطان لهم أعمالهم، وعن استكبارهم في الأرضين  
 وليس المفرع هو أخذ الله إتيانهم بذنوبهم لأن ذلك قد  
 أشعر به ما قبل التفرع، ولكنه ذكر ليخصي بذكره إلى  
 تفصيل أنواع أخذهم؛ وهو قوله: ﴿فَعَبَّوْهُمْ مِنْ أَرْسَلْنَا  
 عَلَيْهِمْ خَاصِيًّا﴾ إلى آخره. فالفاء في قوله: ﴿فَعَبَّوْهُمْ مِنْ  
 أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ...﴾ لتفريع ذلك التفصيل على الإجمال  
 الذي تقدمه، فتحصل خصوصية الإجمال ثم التفصيل،  
 وللدلالة على عظيم تصرف الله. (١٧١: ٢٠)  
 محمود صافي: ﴿بِذْنِبِهِ﴾ متعلق بـ ﴿أَعْدْنَا﴾.  
 والباء سببية. (٣٣٨: ٢٠)  
 ٢- قَبُولُهُمْ لَا يُسْتَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ.  
 الرحمن: ٣٩  
 ابن عباس: عن عمله. (٤٥٢)  
 لا يسألهم عن أعمالهم، ولا يسأل بعضهم عن  
 بعض، وهو مثل قوله: ﴿وَلَا يُسْتَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ  
 الْمُجْرِمُونَ﴾ القصص: ٧٨، ومثل قوله لعبد الله: ﴿وَلَا يُسْتَلُ  
 عَنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ البقرة: ١١٩.  
 (الطبري: ١١: ٥٩٩)  
 أبو العالية: لا يسأل غير المذنب عن ذنب المجرم.  
 (التعليق: ٩: ١٨٨)  
 مثله قتادة (أبو حيان: ٨: ١٩٥)  
 مجاهد: لا يسأل الملائكة عن المجرم، يركبون  
 بسماواتهم. (الطبري: ١١: ٥٩٩)  
 قتادة: حفظ الله عز وجل عليهم أعمالهم.  
 (الطبري: ١١: ٥٩٩)  
 زيد بن علي: لا يسأل أحد عن ذنب أحد. (٤٠: ٢)  
 الطبرسي: أي لا يسأل المجرم عن جرمه.  
 (٢٠: ٦: ٥)  
 اللوساوي: والضمير في ﴿ذَنْبِهِ﴾ عائد إلى  
 «الإنس»، لأن الفاعل رتبته المتقدم. وكأنه قيل:  
 لا يسأل بعض الإنس عن ذنبه ولا بعض الجن.  
 (٦٨: ٢٧)  
 أبو السعود: «ضمير ﴿ذَنْبِهِ﴾ للإنس لتقدمه  
 رتبة، وإفراده لما أن المراد فرد من الإنس، كأنه قيل:  
 لا يسأل عن ذنبه إنسي ولا جنّي. (١٧٩: ٦)  
 الآلوسي: وضمير ﴿ذَنْبِهِ﴾ للإنس، وهو متقدم  
 رتبة، لأنه نائب عن الفاعل، وإفراده باعتبار اللفظ.  
 (١١٤: ٢٧)  
 لاحظ: س = ل = ن = يُسْتَلُ.

## ذَنبُهُمْ

- ١- فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ. الملك: ١١  
ابن عباس: فَأَعْتَرَفُوا بِشْرِكِهِمْ. (٤٧٩)  
مقاتيل: يعني يتكذبونهم الرسل. (٣٩١: ٤)  
مثله الواحدي (٣٢٨: ٤). وابن جرير (١٣٥: ٣)  
وأبو حيان (٣٠٠: ٨). والمرآغي (١٢: ٢٩).  
القرآن: ولم يقل: «بذنوبهم» لأن في الذنب فعلاً.  
وكل واحد أضفته إلى قوم بعد أن يكون فعلاً أدى عن  
جمع أفعالهم. ألا ترى أنك تقول: قد أذنب القوم  
إذناً، ففى معنى إذنباب: ذنوب، وكذلك تقول:  
خرجت أعطيت الناس وعطاء الناس، فالمعنى واحد:  
ولله أعلم. (١٧١: ٣)  
الطبري: يقول: فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ، ووحد الذنب.  
وقد أضيف إلى الجمع، لأن فيه معنى فعل، فأدى  
الواحد عن الجمع، كما يقال: خرج عطاء الناس.  
وأعطية الناس. (١٦٨: ١٢)  
المبيدي: أقرؤا بكفرهم. (١٧٣: ١٠)  
الزمخشري: بكفرهم في تكذيبهم الرسل.  
(١٣٧: ٤)  
مثله التسفي (٢٧٥: ٤). ونحوه الشوكاني  
(٣١٩: ٥).  
الطبرسي: والذنب مصدر لايشى ولايجمع  
ومق جمع، فلاختلاف جنسه. (٣٢٤: ٥)  
الفخر الرازي: فيه قولان:  
أحدهما: أن الذنب هاهنا في معنى الجمع، لأن فيه  
معنى الفعل، كما يقال: خرج عطاء الناس، أي

## عَطَانَهُمْ، هَذَا قَوْلُ الْقُرَّاءِ.

- والثاني: يجوز أن يراد بالواحد المضاف الشائع.  
كقوله: «وَلَا تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ فِي الثَّعْل: ١٨. (٦٥: ٣٠)  
القرطبي: أي يتكذبونهم الرسل. والذنب هاهنا  
بمعنى الجمع، لأن فيه معنى الفعل. يقال: خرج عطاء  
الناس، أي أعطيتهم. (٢١٣: ١٨)  
نحوه الخازن. (١٠٥: ٧)  
البيضاوي: والذنب لم يجمع، لأنه في الأصل  
مصدر، أو المراد به الكفر. (٤٩٠: ٢)  
نحوه المستهدي. (٥٣٥: ١٠)  
السمين: وخذ لأنه مصدر في الأصل، ولم يقصد  
التنوع بخلاف «بذنوبهم» في مواضع. (٣٤٢: ٦)  
الشربيني: [مثل البيضاوي وأضاف]:  
والمراد به: تكذيب الرسل. (٣٤٢: ٤)  
أبو العسكندر: الذي هو كفرهم، وتكذيبهم بآيات  
الله ورسوله. (٢٧٧: ٦)  
نحوه الثرؤسي (٨٥: ١٠)، والالوسي (٢٩):  
(١٢).  
القاسمي: فَأَعْتَرَفُوا بِجَعْدِهِمُ الْحَقِّ، وتكذيبهم  
الرسل. (٥٨٨٣: ١٦)  
مفنيّة: واعترفوا بأنهم هم الضالون عن الهدى  
المكذبون بالحق. (٣٧٦: ٧)  
الطباطبائي: إنما قالوا: «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ لَوْ تَقَبَّلُ  
مَّا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ» ندامة على ما فرطوا في  
جنب الله، وهوتوا على أنفسهم من الخير، فاعترفوا بأن  
ما أتوا به كان تبعته دخول النار، وكان عليهم أن

لا يأتوا به. وهذا هو الذنب فقد اعترفوا بذنبيهم.

وإنما أفرد الذنب بناءً على إرادة معنى المصدر منه، وهو في الأصل مصدر. (٣٥٣: ١٩)

٢ - فَتَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا.

(الشمس: ١٤)

راجع: «تقدم».

ذَلِيلٌ

١ - فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِنْكَارِ. المؤمن: ٥٥  
أين عباس: لتعصير شكر ما أنعم الله عليك وعلى أصحابك. (٣٩٧)

الماوردي: أي من ذنب إن كان منك. (٢٦١: ٥)  
القشيري: وفي هذا دليل على أنه كانت فيه ذنوب، ولم يكن جميع استغفاره لأتته، لأنه قال في موضع آخر: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ محمد: ١٩، وهنا لم يذكر ذلك.

ويمكن حمل الذنب على ما كان قبل التوبة، إذ يجوز أن يكون العبد قد تاب من الزلة، ثم يجب عليه الاستغفار منها كلما ذكرها. فإن تجديد التوبة يجب كما يجب أصل التوبة. (٣١١: ٥)

الواحدى: يعني الصفات، على قول من جوزها على الأنبياء. وعند من لا يجوزها يقول: هذا تعبد من الله لنبيه بهذا الدعاء لكي يزيد درجةً ويصير سُنَّةً لمن بعده. (٦٨: ٤)

نحوه البقوي:

(١١٥: ٤)

أين عطية: يحتمل أن يكون ذلك قبل إعلام الله إياه، أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لأن آية هذه السورة مكية، وآية سورة الفتح مدنية متأخرة. ويحتمل أن يكون الخطاب في هذه الآية له، والمراد أنته، أي إنه إذا أمر هو بهذا فغيره أخرى بامتثاله.

(٥٦٤: ٤)

الطبرسي: من جوز الصفات على الأنبياء، قال: معناه: اطلب المغفرة من الله على صغيرة وقعت منك، ولطيم نعمته على الأنبياء كلهم التوبة من الصفات، ومن لا يجوز ذلك عليهم، - وهو الصحيح - قال: هذا تعبد من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالدعاء والاستغفار، لكن يزيد في الدرجات، ويصير سُنَّةً لمن بعده.

(٥٢٨: ٤)

أبو الفتح: أي لذنب أنتك في حقلك. والمصدر مضاف للمفعول. (٤٠: ١٧)

السمين: [نقل كلام أبي الفتح وأضاف:]

والظاهر أن الله يقول: ما أرادوا، إن لم يجر لنا نحن أن نصيف إليه ﷺ ذنباً. (٤٨: ٦)

الشريفي: إما أن يكون المصدر مضافاً للمفعول، أي لذنب أنتك في حقلك، وإما أن يكون ذلك تعبدًا من الله تعالى ليزيده به درجةً ويصير سُنَّةً يستق به من بعده. (٤٨٩: ٣)

أبو السعود: تداركاً لما قرط منك من ترك الأولى في بعض الأحيان، فإنه تعالى كافيك في نصرة دينك، وإظهاره على الدين كله. (٤٢٣: ٥)

مثله الثرؤوسوي (٨: ١٩٥) ونحوه الكاشاني (٣٤٥: ٤).

شجر: وإن لم تكن مذنبًا انقطاعًا إلى الله، وليتأسى بك أو لترك الأولى. (٣٥٣: ٥)

الآلوسي: أقبل على أمر الدين وتلاف ما ربما يقرط مما يعتد بالنسبة إليك ذنبًا وإن لم يكنه. ولعل ذلك هو الاهتمام بأمر العدا بالاستغفار، فإن الله تعالى كافيك في التصر، وإظهار الأمر. (٣٤: ٧٧)

طنطاوي: في أول السورة أن تنزل الكتاب من الله، وأنه غافر الذنب وقابل التوب، وإذا استغفر الملائكة فلما يستغفرون للمؤمنين لا يغفهم، لأنهم لمسوا في أجسام مادية كأجسامنا حتى يستغفروا لذنوبهم، بل استغفارهم لأجل أهل الأرض. ورسول الله ﷺ أمر أن يستغفر لذنبيه هو أولاً. ولا جرم أن الله قابل التوب، كما هو مذكور أول السورة. ومعنى خلصت نفس الإنسان من الذنب سبب ربه ومحمد. [إلى أن قال:]

اعلم أن الذنب على قسمين: ذنب هو مصدر، وذنب هو فعل. ويبانه أن هذه الطبيعة البشرية المترجمة بالمواد الأرضية والمائية والهوائية، متعددة للذنوب، ولا ذنوب إلا ما كان من الانحراف عن الاعتدال، في حال من أحوال النفس. والذنب لا يصدر إلا عن هيئة في النفس، تكون نتيجةها المخالفات والشُرور. فهذه الهيئة التي في النفس والصفة القائمة بها، والميل الذي انصرفت به هو المصدر.

وأما الفعل فهو ما يكون من أفعال الذنوب، مثال ذلك: صبي عاش بين قوم أصوص، فاكسب نفسه تلك الصفة وأشرب حبها. فهذه الصفة هي المصدر الذي عنه تصدر أفعال الأوصوية، فإذا لم تكن الصفة في النفس، فلن يكون الفعل، فكل سرقة بالفعل تُكتب ذنبًا على المبد. لكن لولا ذلك المصدر، وهي الصفة القائمة بالنفس بسبب المعاينة، واستحسان هذا الفعل من الأهل والأقارب ما صدر ذلك الفعل. هذا معنى المصدر ومعنى الفعل.

والاستغفار من الذنب يتبادر إلى الذهن أنه راجع إلى الفعل لا إلى المصدر، ولا جرم أن هو المصدر القائم بالنفس والهيئة الشريرة فيها أقوم قبلاً وأهدى سبيلاً. وإذا استغفر الإنسان وطلب من ربه غفران ذنب من ذنوبه الشهوية والغضبية، كشرب الخمر أو الظلم مثلاً، مع هذه الصفة في النفس، كما فعل شيتاً عظيماً، وتوأنه طلب من الله أن يُزيل ذلك الميل من قلبه، لكان خيراً له.

واستغفار النبي ﷺ لذنبيه راجع للمصدر لا للفعل، إذ لا فعل، وذلك من باب تسمية السبب باسم المسبب. وهنا في علم المعاني مجاز مرسل علاقته المسببية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرِئِي أَنْصِرُكُمْ مُهْرًا﴾ يوسف: ٣٦، أي عنبًا، فكما يقال: عصرت خمرًا، أي عنبًا. هكذا يقال: استغفرت من ذنبي، أي طلبت من الله أن يُديم لي عدم الصفة التي هي مصدر للذنوب، كما نقول في الصلاة: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٤، أي أودم هدايتنا.

إذن قد حلت مشكلة ﴿وَاسْتَغْفِرِ لِلذَّنْبِ﴾ وحلت مشكلة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿الفتح: ١، ٢﴾ ومعنى هذا يُؤدِّم لك ذلك الغفران، وقوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ معناه: أن لا يكون هناك مصدر للذنوب أصلاً. فهذه الجملة ترجع إلى عدم تلك الصفة التي يصدر عنها الذنب.

و يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ورغب على هذا الفتح المغفرة، أي زوال ذلك المصدر، أي الميل والصفة التي بسببها تكون آحاد الذنوب، أي رتب على الفتح دوام تلك الطهارة التي عبر عنها في بعض الروايات بأن صدره شق، وأخرج منه حظ الشيطان. فهذا هو المصدر الذي تنشأ منه الذنوب.

(١٩: ٧٠)

مُفْتَنِيَّةٌ: والأمر بالاستغفار من الذنب لا يقتضي وجوده، فقد سأل النبي ربه أن يحكم بالحق، مع العلم أنه لا يحكم إلا به: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ الأنبياء: ١١٢.

وتسأل: إذن، ما الفائدة من الأمر بالاستغفار من الذنب؟ الجواب: لأشياء سوى العبادة تماماً، كالأمر بالتَهْلِيل والتَكْبِير والتَسْبِيح. [إلى أن قال:]

هنا، إلى أن أمر النبي بالاستغفار من الذنب مع عدم صدوره منه، يدل على أمر المذنبين بالقوة بطريق أولى، وتسمى هذه الدلالة بفحوى الخطاب ولحنه أيضاً، لأن السامع يدرك أن الحكم الثابت للمنطوق ثابت للمسكوت عنه بمجرد سماع اللفظ. (٦: ٤٥٩)

الطَّاطِبَاتِي: أمر له بالاستغفار لما يُعَدُّ بالتسببة إليه ذنباً، وإن لم يكن ذنباً بمعنى المخالفة للأمر المولوي لمكان عصمته ﷺ. (١٧: ٣٤١)

مكارم الشيرازي: واضح أن رسول الله ﷺ معصوم، لم يرتكب ذنباً ولا معصية، لكننا قد أشرنا في غير هذا المكان إلى أن أمثال هذه التعابير في القرآن الكريم، والتي تشمل في خطاياها الرسول الأكرم و سائر الأنبياء، إنما تشمل ما نستطيع تسميته بـ «الذنوب التسببية» لأن من الأعمال ما هو عبادة و حنة بالتسبب للناس العاديين، بينما هي ذنوب للرسل والأنبياء، لأن: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

فالغفلة مثلاً لا تليق بمقامهم، ولو لحظت واحدة. وكذلك الحال بالنسبة لسرك الأولى: إذ إن منزلتهم الرفيعة لا معرفتهم العالية، تستوجب أن يحذروا هذه الأمور ويستغفروا منها، متى ما صدرت عنهم.

وما ذهب إليه البعض من أن المقصود بالذنوب هي ذنوب المجتمع، أو ذنوب الآخرين التي ارتكبوها بشأن رسول الله ﷺ أو أن الاستغفار تعهدي، فهو بعيد. (١٥: ٢٦٥)

فضل الله: ذكر المفسرون في قوله تعالى في سورة الفتح: ٢: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ أن الذنب فيها هو الذي كان أهل مكة يعتبرونه ذنباً في حقهم، في ما أوقعهم فيه من مشاكل ومتاعب، بسبب دعوته التي أدخلتهم معه في حروب كثيرة، ولكن ما معنى أمر الله له بالاستغفار؟

وقد يراد منه المعنى العبادي الذي تحترقه كلمة «الاستغفار» في عمقها الدال على الإحساس بالعبودية لله، والاعتراف بالخضوع له، والانسحاق بين يديه، تمامًا كما هو موقف العبد من سيده عند ما يقف موقف الاعتراف الخاضع المذنب، كما هو المعنى العبادي في كلمة الحمد والتسبيح والتهليل والتكبير الذي يوحى بالإحساس، من دون تحديد المضمون، والله العالم. (٥٨: ٢٠)

٢... وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ... محمد: ١٩  
راجع: غ ف ر: «استغفر».

٣... يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ  
الفتح: ٢  
الإمام الرضا عليه السلام: (سئل عن هذه الآية فقال:)  
لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنبًا من  
رسول الله ﷺ لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة  
وستين صنمًا، فلمّا جاءهم بالدعوة إلى كلمة  
الإخلاص، كُبر ذلك عليهم وعظم. وقالوا: ﴿أَجْزَلَ  
الْإِلَهِاتِ إِلَهِهَا أَحَدًا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا الْخَلِيقُ﴾، فلمّا  
فتح الله تعالى على نبيه ﷺ مكة قال تعالى يا محمد:  
﴿إِنَّا نَقَعْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ  
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ عند مشركي أهل مكة بدعائهم إلى  
توحيد الله فيما تقدّم وما تأخّر، لأن مشركي مكة  
أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم  
لم يقدر على إنكار التوحيد عليه؛ إذ دعا الناس إليه.

فصار ذنبه عندهم مغفورًا بظهوره عليهم.  
(الكاشاني ٥: ٢٨)  
أبو سعيد الخراساني: أي جميع ما قرط منك من ترك  
الأولى، وتسميته ذنبًا بالنظر إلى منصبه الجليل، لأن  
حسنات الأبرار سيئات المقربين. (البروسوي ٩: ٨)  
الطبري: إنما هو خير من الله جلّ ثناؤه لنبيه  
عليه الصلاة والسلام، عن جزائه له على شكره له،  
على النعمة التي أنعم بها عليه، من إظهاره له ما فتح،  
لأن جزاء الله تعالى عباده على أعمالهم دون غيرها.

وبعد، ففي صحة الخبر عنه ﷺ أنه كان يقوم حتى  
تورم قدماه، فقيل له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر  
لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: «أفلا أكون  
عبدًا شكورًا؟» الدلالة الواضحة على أن الذي قلنا  
من ذلك هو الصحيح من القول، وأن الله تبارك  
وتعالى، إنما وعد نبيه محمدًا ﷺ غفران ذنوبه المتقدمة،  
فتح ما فتح عليه، وبعدد على شكره له على نعمه التي  
أنعمها عليه، وكذلك كان يقول ﷺ: إني لأستغفر الله  
وأتوب إليه في كل يوم مئة مرة.

ولو كان القول في ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه،  
أنه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، على غير  
الوجه الذي ذكرنا، لم يكن لأمره إتياء بالاستغفار بعد  
هذه الآية، ولا لاستغفار نبي الله ﷺ ربه جلّ جلاله من  
ذنوبه بعدها، معني يحلّ؛ إذ الاستغفار معناه طلب  
العبد من ربه عزّ وجلّ غفران ذنوبه، فإذا لم يكن ذنوب  
تغفر لم يكن لمسألته إتياء غفرانها معني، لأنه من المحال  
أن يقال: اللهم اغفر لي ذنبا لم أعمله.

وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى: ليغفر لك ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة، وما تأخر إلى الوقت الذي قال: ﴿إِذَا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿١١١: ٢٣٦﴾

المأوردي: فيه وجهان:

أحدهما: ليغفر لك الله استكمالاً لنعمه عندك.

الثاني: يصيرك على أذى قومك.

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما تقدم قبل الفتح وما تأخر بعد الفتح.

الثاني: ما تقدم قبل التوبة وما تأخر بعد التوبة.

الثالث: ما وقع وما لم يقع، على طريق الوعد بأنه

مغفور إذا كان.

ويحتمل رابعاً: ما تقدم قبل نزول هذه الآية وما

تأخر بعدها. (٥: ٢٣٦)

الطوسي: قيل: جُمِلَ غفرانه جزاءً عن توبته على

جهاده في فتح مكة. وقيل في معناه أقوال:

أحدها: ما تقدم من معاصيك قبل التوبة وما تأخر

عنها.

الثاني: ما تقدم قبل الفتح وما تأخر عنه.

الثالث: ما قد وقع منك وما لم يقع، على طريق

الوعد بأنه يغفره له إذا كان.

الرابع: ما تقدم من ذنب آدم، وما تأخر عنه.

وهذه الوجوه كلها لا يجوز عندنا، لأن الأسماء

عليهم السلام لا يجوز عليهم فعل شيء من الصيغ،

لا قبل النبوة ولا بعدها، لا صغيرها ولا كبيرها،

فلا يمكن حمل الآية على شيء مما قالوه، ولا صرفها

إلى آدم، لأن الكلام فيه كاللزام في نبينا محمد ﷺ.

ومن حمل الآية على الصغائر التي تقع مُحِبَّةً

فقوله فاسد، لأنها قد بينا أن شيئاً من القبائح لا يجوز

عليهم بحال. على أن الصغائر تقع مُكْفِّرَةٌ مُحِبَّةً

لا يثبت عقابها، فكيف يمتن الله تعالى على النبي ﷺ

أنه يغفرها له وهو تعالى لو آخذه بها لكان ظالماً.

وإنما يصح التمدح بما له المؤاخذه أو العفو عنه، فإذا

غفر استحق بذلك الشكر.

والآية وجهان من التأويل:

أحدهما: ليغفر لك ما تقدم من ذنب أمته، ما

تأخر بشفاعتك ولمكانك. وأضاف الذنب إلى النبي

وإرادته أمته، كما قال: ﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْشُ﴾ يوسف:

٨٢. يريد أهل القرية، فعذف المضاف وأقام المضاف

المختص به، وذلك جائز لقيام الدلالة عليه، كما قال:

﴿وَجَاءَ إِلَيْكَ﴾ الفجر: ٢٢، والمراد: وجاء أمر ربك.

الثاني: أراد يغفر ما أذنبه قومك إليك، من صحتهم

لك عن الدخول إلى مكة في سنة الحديبية، فأزال الله

ذلك، وستر عليك تلك الوضحة بما فتح عليك من مكة

ودخلتها في ما بعد، ولذلك جعله جزاءً على جهاده في

الدخول إلى مكة.

والذنب: مصدر، تارةً يضاف إلى الفاعل وتارةً

إلى المفعول، فيكون هاهنا مضافاً إلى المفعول. والذنب

وإن كان غير متعد إلى مفعول، جاز أن يحمل على

المصدر الذي هو في معناه. [ثم استشهد بشعر] (٩: ٣١٣)

التشبيري: كلا القسمين المتقدم والمتأخر كان

قبل النبوة.

وَيَقَالُ ﴿مَا تَقْدُمُ﴾: من ذنب آدم بحر منك. ﴿وَمَا تَأَخَّرُ﴾: من ذنوب أمتك.

وإذا حُمِلَ على ترك الأولى فقد غفر له جميع ما فعل من قبيل ذلك، قبل التوبة وبعدها.

وَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ قَالُوا: هُنِيئًا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾. وَيَقَالُ: حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتِ الْمُقْرَبِينَ. (٤١٨: ٥)

الطَّبْرَسِي: (نحو الطُّوسِي) وَأَضَافَ:

وَلَا مَحَابِنَا فِيهِ وَجِهَانِ مِنَ الْقَاوِيلِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ الْمُرَادَ لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَنْبٍ أَمْسَكَ وَمَا تَأَخَّرَ بِشَفَاعَتِكَ، وَأَرَادَ بِذِكْرِ التَّحَدُّثِ وَالتَّأَخُّرِ: مَا تَقْدُمُ زَمَانَهُ وَمَا تَأَخَّرَ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِفَرِيهِ: صَفَحْتُ عَنِ السَّالِفِ وَالْآتِي مِنَ ذُنُوبِكَ وَحَسَنَتِ «إِضَافَةُ ذَنْبٍ أَمْسَكَ» إِلَى «لَا تَنْسَ» وَالسَّبَبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمْسَكَ.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْجَوَابَ مَا رَوَاهُ الْمُفَضَّلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ آيَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَانَ لَهُ ذَنْبٌ، وَلَكِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ خَمِنَ لَهُ أَنْ يَغْفَرَ ذُنُوبَ شِيعَةِ عَلِيِّ عليه السلام مَا تَقْدُمُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَمَا تَأَخَّرَ.

وَالثَّانِي: مَا ذَكَرَهُ الْمُرْتَضَى قُدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ: أَنَّ الذَّنْبَ مَصْدَرٌ وَالْمَصْدَرُ يَجُوزُ إِضَافَتُهُ إِلَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ مَعًا، فَيَكُونُ هُنَا مِثْلَ مَا فِي الْمَقْعُولِ، وَالْمُرَادُ: مَا تَقْدُمُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ إِلَيْكَ فِي مَنْعِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مَكَّةَ، وَصَدَّكَ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، «يَكُونُ مَعْنَى الْمَغْفِرَةِ

عَلَى هَذَا الْقَاوِيلِ: الْإِزَالَةُ وَالسَّخْبُ، لِأَحْكَامِ أَعْدَائِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِ، أَيْ يُزِيلُ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَنْكَ، وَيَسْتَرْ عَلَيْكَ تِلْكَ الْوَصْمَةَ بِمَا يَفْتَحُ لَكَ مِنْ مَكَّةَ، فَتَدْخُلُهَا فِيمَا بَعْدَ، وَلِذَلِكَ جَعَلَهُ جَزَاءً عَلَى جِهَادِهِ، وَغَرَضًا فِي الْفَتْحِ، وَوَجْهًا لَهُ. قَالَ: «لَوْ أَنَّهُ أَرَادَ مَغْفِرَةَ ذُنُوبِهِ لَمْ يَكُنْ الْقَوْلُ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ» مَعْنَى مَعْقُولٍ، لِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ لِلذَّنْبِ لَا تَمْلُقُ لَهَا بِالْفَتْحِ، فَلَا يَكُونُ غَرَضًا فِيهِ. (١١٠: ٥)

الْفَخْرُ الرَّازِي: لَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ ﷺ ذَنْبٌ، فَمَاذَا يَنْظُرُ لَهُ؟

قُلْنَا: الْجَوَابُ عَنْهُ قَدْ تَقَدَّمَ مَرَارًا مِنْ وَجْهِهِ: أَحَدُهُمَا: الْمُرَادُ ذَنْبُ الْمُؤْمِنِينَ. ثَانِيًا: الْمُرَادُ تَرْكُ الْأَفْضَلِ. ثَالِثًا: الصَّغَائِرُ، فَإِنَّهَا جَائِزَةٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالنَّبَوَةِ الْعَصْمَةِ، وَهِيَ هِيَ بِصَوْنِهِمْ عَنِ الْخُجْبِ.

رَابِعًا: الْمُرَادُ الْعَصْمَةُ، وَقَدْ بَيَّنَّا وَجْهَهُ فِي سُورَةِ الْقِتَالِ. (٧٨: ٢٨)

الْيَافِئِيُّ: جَمِيعُ مَا فُرِطَ مِنْكَ تَمَّا يَصَحُّ أَنْ لَعَائِبَ عَلَيْهِ. (٣٩٩: ٢)

الْأَيْسَابُورِي: أَمَّا الذَّنْبُ فَخَبِيلٌ: أَرَادَ بِهِ ذَنْبَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَمْسَكَ، أَوْ أَرَادَ بِهِ تَرْكُ الْأَفْضَلِ وَالصَّغَائِرِ سَهْوًا أَوْ عَمْدًا. وَمَعْنَى ﴿مَا تَأَخَّرَ﴾ أَيُّ عَنِ الْفَتْحِ، أَوْ مَا تَقْدُمُ عَنِ التَّوْبَةِ وَتَأَخَّرَ عَنْهَا.

وَقِيلَ: ﴿مَا تَقْدُمُ﴾ ذَنْبُ أَبِيهِ آدَمَ وَحَوَّاءَ ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذَنْبُ أَمْسَكَ، وَقِيلَ: أَرَادَ جَمِيعَ الذَّنُوبِ فَحَدَّ أَوَّلَهَا وَآخِرَهَا، أَوْ هُوَ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ، كَمَا تَقُولُ: أَعْطَى



مَنْ رَأَى وَمَنْ لَمْ يَرَهُ.

■ قيل: ما تقدم من أمر مارية وما تأخر من أمر زينب. وهو قول سخيّف، لعدم انتظام الكلام ظاهراً. والأولى أن يقال: ما تقدم التوبة بالعفو وما تأخر عنها بالصحة. (٤١: ٢٦)

الحازن: قيل: المراد منه: ما كان من سهو وغلطة. ■ تأول: لأن النبي ﷺ لم يكن له ذنب كذنوب غيره. فالمراد بذكر الذنب هنا: ما عسى أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك. لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين. فسواء ذنباً. فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مفسور له، فأعلمه الله عز وجل بذلك. وإته مفسور له لئتم نعمته عليه. (١٥٨: ٦)

أبو السعد: أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى. وتسميته ذنباً بالنظر إلى منعه الجليل.

(١٩: ٦)

الكاشاني: قال بعض أهل المعرفة: قد ثبت عصمته ﷺ فليس له ذنب. فلم يبق لإضافة الذنب إليه إلا أن يكون هو المخاطب. والمراد: أمته. كما قيل: إِيَّاكَ اذْعُوا واسمعي يا جارة. قال: ﴿مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَلِكَ﴾ من آدم إلى زمانه ﴿وَمَا تَأْخُرُ﴾ من زمانه إلى يوم القيامة، فإن الكل أمته.

لأنه ما من أمة إلا وهي تحت شرع محمد ﷺ من اسم الباطن من حيث كان نبياً و آدم بين الماء والطين. وهو سيد النبيين والمرسلين فإنه سيد الناس، فبشر الله تعالى محمد ﷺ بقوله: ﴿يُخَوِّفُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا تَأْخُرُ﴾ لعموم رسالته إلى الناس كافة، وما

يلزم الناس رؤية شخصه، فكما وجّه في زمان ظهوره رسوله عليّاً عليه السلام إلى اليمن، لتبليغ الدعوة. كذلك وجّه الرسل والأنبياء إلى أممهم، من حين كان نبياً و آدم بين الماء والطين، لمدعا الكل إلى الله.

فالكل أمته من آدم إلى يوم القيامة، فبشره الله بالمغفرة لما تقدم من ذنوب الناس وما تأخر منها، و كان هو المخاطب والمقصود الناس. فيغفر الكل ويسعدهم، وهو اللاتي بعموم رحمته التي وسعت كل شيء، و بعموم مرتبة محمد ﷺ حيث بُعث إلى الناس كافة بالحق. ولم يقل: أرسلناك إلى هذه الأمة خاصة، وإنما أخبر أنه مرسل إلى الناس كافة. والناس من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، فهم المقصودون بخطاب مغفرة الله، لما تقدم من ذنبه ولما تأخر. (٣٧: ٥)

قوله: أي كلما فرط منك من ترك الأولى، أو ذنب (٣٨: ٦)

الألوسي: والمراد بالذنب: ما فرط من خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامه عليه الصلاة والسلام، فهو من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين. وقد يقال: المراد ما هو ذنب في نظره العالي ﷻ وإن لم يكن ذنباً، ولا خلاف الأولى عنده تعالى كما يرمز إلى ذلك الإضافة. (٩١: ٢٦)

طنطاوي: أي جميع ما فرط منك مما يصح أن يسمى ذنباً من طهتك، وإن كان عند غيرك لا يسمى ذنباً. لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، أو ما تقدم قبل التوبة وما تأخر عنها. (١١: ٢٢)

نحو المرافي. (٨٣: ٢٦)

مَفْتِيَّةٌ؛ ونَسأل: متى أذنب النبي حتى يصفح الله عن ذنبه؟ وما هو ذنبه المتقدم والمتأخر؟ وأين عصمة الأنبياء الرادعة عن الذنب؟ وكيف يكون الفتح سبباً للمغفرة؟ وما هي العلاقة بينهما؟

الجواب: ليس المراد بالذنب هنا ذنب الرسول حقيقة وواقعاً، كيف وهو معصوم عن الخطيئة والخطأ؟ وإنما المراد: أن المشركين كانوا يعتقدون بأن النبي مُذنب في دعوته إلى التوحيد ونَهْد الشرك، وفي محاربه الأوضاع السائدة والتقاليد الموروثة. أما المغفرة فالمراد بها أن هؤلاء المشركين اكتشفوا سوءاً ومع الآثام والأحداث أن محمداً ﷺ بريء من كل ذنب، وأنه رسول الله حقاً وصدقاً، وأنهم كانوا هم المذنبين في اتهامه والظن برسائله.

و توضيح ذلك أن الرسول الأعظم ﷺ دعا إلى التوحيد وندد بالأصنام وأهلها، وحارب الظلم والاستغلال، وما إلى ذلك من مفاسد الجاهلية وتقائدها. وأي شيء أعظم ذنباً وجُرمًا عند الجاهليين وغيره من الظن بمقدساته الدينية، وعادات آبائه وأجداده التي هي جزء من طبيعته وكيانه. ولكن بعد أن أظهر الله دينه ونصر نبهته بالبدلائل والبيّنات، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ومنهم المشركون الذين كانوا ينظرون إلى النبي ﷺ نظرتهم إلى من تجرم عليهم وعلى آلهتهم وآبائهم، بعد هذا كله تبين لهم أن محمداً هو الحق، وأنهم هم المخطئون.

والخلاصة: أن المراد بذنب الرسول: ذنبه في زعم أعدائه المشركين، لا ذنبه في الواقع، والمراد بالمغفرة:

مغفرتهم له هذا الذنب المزعوم، أي توبتهم مما كانوا يظنون بنبي الرحمة. أما نسبة الذنب إلى الرسول في ظاهر الكلام، ونسبة المغفرة إلى الله، أما هذه فأمرها سهل، لأن الجواز يتسع لها ولاكثر منها... (٨٣: ٧) الطَّبَّاطِبَايُ: ليس المراد بالذنب في الآية هو الذنب المعروف، وهو مخالفة التكليف المولوي، ولا المراد بالمغفرة معناها المعروف، وهو ترك العقاب على المخالفة المذكورة، فالذنب في الآية على ما يستفاد من موارد استعماله، هو العمل الذي له نتيجة سيئة كعصا كان، والمغفرة هي الستر على الشيء، وأما المعنيان المذكوران المتبادران من لفظي الذنب والمغفرة إلى أذهانتنا اليوم، أعني مخالفة الأمر المولوي المستقيم للعقاب وترك العقاب عليها، فإنما لزمهما بحسب عرف المشرعين.

و حُجَّتُ النبي ﷺ بالدعوة ونهضته على الكفر والوثنية فيما تقدم على الهجرة وإدامته ذلك، وما وقع له من الحروب والمغازي مع الكفار والمشركين فيما تأخر عن الهجرة، كان عملاً منه ﷺ ذا نتيجة سيئة عند الكفار والمشركين، وما كانوا ليفهموا له ذلك ما كانت لهم شوكة ومقدرة، وما كانوا لينسوا زهوق ملتهم وانهدام سنتهم وطريقتهم، ولا ثارات من قتل من صناديدهم دون أن يشفوا غليل صدورهم، بالانتقام منه وإحياء اسمه، وإعفاء رسمه، غير أن الله سبحانه رزقه ﷺ هذا الفتح وهو فتح مكة أو فتح الحديبية المنتهي إلى فتح مكة، فذهب يشوكتهم وأخذ نارهم، فستر بذلك عليه ما كان لهم عليه ﷺ من

الذنب وأمنه منهم.

فالمراد بالذنب - والله أعلم - القبحة السيئة التي لدعوته ﷺ عند الكفار والمشركين، وهو ذنب لهم عليه، كما في قول موسى لرئيسه: ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَلْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ الشعراء: ١٤، وما تقدم من ذنبه هو ما كان منه ﷺ بمكة قبل الهجرة، وما تأخر من ذنبه هو ما كان منه بعد الهجرة، ومغفرته تعالى لذنبه هي ستره عليه بإبطال تهمة، بإذهاب شوكتهم وهدم بُنيانهم، ويؤيد ذلك ما يتلوه من قوله: ﴿وَيُحْيِي بَنَاتَكُمُ عَلَيْكُمُ﴾ إل أن قال: ﴿وَيَهْدِيكُمْ إِلَى نَجَاتٍ﴾ الفتح: ٢، ٣.

والمفسرين في الآية مذاهب مختلفة أخرى:

فمن ذلك: أن المراد بذنبه ﷺ ما صدر عنه من المعصية، والمراد بما تقدم منه وما تأخر: ما صدر عنه قبل التوبة وبهذه: ما صدر قبل الفتح وما بعده: صدر بعده.

وفيه أنه مبني على جواز صدور المعصية عن الأنبياء ﷺ، وهو خلاف ما يقطع به الكتاب والسنة والعقل من عصمتهم ﷺ، وقد تقدم البحث عنه في الجزء الثاني من الكتاب وغيره.

على أن إشكال عدم الارتباط بين الفتح والمغفرة على حاله.

ومن ذلك: أن المراد بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر: مغفرة ما وقع من معصيته وما لم يقع، بمعنى الوعد بمغفرة ما سيقع منه إذا وقع، لتلايد الإشكال بأن مغفرة ما لم يتحقق من المعصية لا معنى له.

وفيه - مضافاً إلى ورود ما ورد على سابقه عليه - أن مغفرة ما سيقع من المعصية قبل وقوعه تلازم ارتفاع التكاليف عنه ﷺ عامة، ويدفعه نص كلامه تعالى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ الزمر: ٢، وقوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الزمر: ١٢، إلى غير ذلك من الآيات التي تأييد سياقها التخصيص.

على أن من الذنوب والمعاصي مثل الشرك بالله، واقتراء الكذب على الله، والاستهزاء بآيات الله، والإفساد في الأرض، وهتك المحارم، وإطلاق مغفرة الذنوب يشملها، ولا معنى لأن يبعث الله عبداً من عباده، فأمره أن يتم دينه على سابق ويصلح به الأرض، فإذا فتح له ونصره وأظهره على ما يريد، فهو كمن يخالف ما أمره، وهدم ما بناه، وإفساد ما أصابته بغيره، كل مخالفة ومعصية منه، والطعن عن كل ما نقوله واقتراء على الله، وفعله تبليغ كقوله، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِيلِ \* لَآخُلْنَا مِنْهُ بِالْهَيْمَنِ \* ثُمَّ لَنَطَّعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ الحاقة: ٤٤ - ٤٦. ومن ذلك: قول بعضهم: إن المراد بمغفرة ما تقدم من ذنبه: مغفرة ما تقدم من ذنب أبويه آدم وحواء ﷺ ببركته ﷺ، والمراد بمغفرة ما تأخر منه: مغفرة ذنوب أمته بدعائه.

وفيه ورود ما ورد على ما تقدم عليه:

ومن ذلك: أن الكلام في معنى التقدير وإن كان في سياق التحقيق، والمعنى: ليفسر لك الله قديم ذنبك وحديثه لو كان لك ذنب.

يُرِىل الله تعالى ذلك عنك و يسر عليك تلك الوصحة بما يفتح لك من مكة، فتدخلها فيما بعد.

وهذا الوجه قريب المأخذ مما قدمنا من الوجه، ولا بأس به لو لم يكن فيه بعض المخالفة لظاهر الآية.

(٢٥٤: ١٨)

**المصطفوي:** أي فتحاً ظاهرياً بالتوسعة و مزيد

القدرة، وبسط الحكومة و تثبيت السلطة و حصول اللغوذ، و إجراء الأوامر و التواهي الإلهية، و كثرة القاهين المؤمنين، و وفاق المخالفين و مسالمتهم، و فتحاً روحانياً بالمكاشفات القبيية و الفتوحات القلبية المعنوية، و الأنوار اليقينية اللاهوتية و الحقائق النفسية.

و بحسب كل من هذه الفتوح ينكشف تما ماضي ذنوب، فإن الذنوب و الآثام تختلف باختلاف المراتب و الحقائق الظاهرية و الباطنية، و حسنات الأبرار و سيئات المقربين، و لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فإذا حصل الوسع في الظاهر أو الباطن، يتوجه إلى تكاليف و وظائف أخر جديدة، و يرى في جريان ما سبق بصورة كما و كيفاً، بل و يرى نفسه دائماً مقصراً و مذنباً و مجرمًا و آثماً، و لا يدرك من أعماله إلا الزلل و النفلة و التقصير و الإثم.

و على هذا المبنى يمتنى ما يتراءى من الأنبياء المقربين و الأوصياء المطهرين و الأولياء المرضيين من البكاء و المناجات و التضرع الدائم، يقول خاتم الوصيين عليه السلام: «إلهي قلبي محبوب و نفسي معيوب و عقلي مغلوب و هوائي غالب و طبعي قليل

و فيه: أنه أخذ بخلاف الظاهر من غير دليل، و من ذلك: أن القول خارج مخرج التعظيم و حسن الخطاب، و المعنى: غفر الله لك، كما في قوله تعالى: ﴿غَفَرَ اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِلَّتْ لَهُم﴾ التوبة: ٤٣. و فيه أن العادة جرت في هذا النوع من الخطاب أن يورد بلفظ الدعاء، كما قيل.

و من ذلك: أن المراد بالذنب في حقه عليه السلام ترك الأولى، و هو مخالفة الأوامر الإرشادية دون الثمره عن امتثال التكاليف المولوية، و الأنبياء على ما هم عليه من درجات القرب يؤخذون على ترك ما هو أولى، كما يؤخذ غيرهم على المعاصي المعروفة، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

و من ذلك: ما ارتضاء جمع من أصحابنا من أن المراد بمغفرة ما تقدم من ذنبه و ما تأخر: مغفرة ما تقدم من ذنوب أمته و ما تأخر منها بشفاعته عليه السلام، و لا يصح في إضافة «ذنوب أمته» إليه للاتصال و السبب بينه و بين أمته.

و هذا الوجه و الوجه السابق عليه سليمان عن عامة الإشكالات، لكن إشكال عدم الارتباط بين الفتح و المغفرة على حاله.

و من ذلك: ما عن علم الهدى رحمه الله: إن الذنب مصدر، و المصدر يجوز إضافته إلى الفاعل و المفعول معاً، فيكون هنا مضافاً إلى المفعول، و المراد: ما تقدم من ذنبهم إليك في منعهم إياك من مكة، و صدعهم لك عن المسجد الحرام، و يكون معنى المغفرة على هذا: الإزالة و التسخ لأحكام أعدائه من المشركين، أي

ومعصيتي كثير، فكيف حيلتي بما علام الغيوب».

فهذه الآية الكريمة ناظرة إلى هذا المقام، لتقوية نفسه الشريف وتسيديده وتحكيم أمره، وإزالة التزلزل والاضطراب عن قلبه، حتى يستقيم فيما أمر وتطمئن نفسه اللاهوتية في السفر إلى الخلق وفي تبليغ ما أنزل إليه من ربه. (٣: ٣٣٦)

مكارم الشيرازي: [بحث في صلح الحديدية]

والنتيجة أن هذه الذنوب لم تكن ذنوباً حقيقية أو واقعية، بل كانت ذنوباً تصورية، وفي أفكار الناس وظنهم فحسب، وكما قرأ في الآية من سورة الشعراء في قصة موسى قوله مخاطباً ربه: «وَأَنَّهُمْ عَلَىٰ ذَلْبٍ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ» في حين أن ذنبه لم يكن سوى نصرة المظلوم من بني إسرائيل، وسحق ظلم الفراعنة لا غير.

وبدهي أن هذا الفعل لا يند ذنباً، بل دفاع عن المظلومين، ولكنه كان يند ذنباً في نظر الفراعنة وأتباعهم.

وبتعبير آخر إن «الذنب» في اللغة يعني الأثار السيئة «الثبغات التي تنتج عن العمل غير المطلوب، فكان ظهور الإسلام في البداية تدميراً للحياة المشركين، غير أن انتصاراته المتلاحقة والمتتابعة كانت سبباً لتسيان تلك التبعات.

فمثلاً، لو كان لدينا بيت قديم يوتسك على الخراب، ولكننا نلتجئ إليه، ولنا به علاقة وطيدة، فقام أحد الناس بتخريبه، فلأننا نغضب منه ونخطئه على فعله، ولكنه بعد بنائه من جديد محكمًا سامقًا،

فإن أحكامنا السابقة تقضي أدراج الرياح وهكذا بالنسبة لمشركي مكة سواء قبل هجرة النبي أم بعدها؛ إذ كانت أفكارهم وأذهانهم متبللة عن الإسلام وشخص النبي بالذات، غير أن انتصارات الإسلام أزالت هذه التصورات والأفكار.

أجل: لو أخذنا مسألة العلاقة بين مغفرة هذه الذنوب وفتح الحديدية بنظر الاعتبار، لاتفح الموضوع بجلاء، واستغنى العلاقة من «اللام» في ﴿يُظْهِرُ لَكَ اللَّهُ فِي كَوْنِهَا مِفْتَاحَ «الرَّمز» لفتح معنى الآية الخلق، غير أن من لم يلتفت إلى هذه «اللطفة» جعل عصمة النبي ﷺ موضع استفهام، وقال: «وَالصَّادِقُ» إن لديه ذنوباً غفرها الله بفتح «الحديدية» أو حمل الآية على خلاف ظاهر معناها، فيمن طراد: الذنوب عامة.

وقال بعضهم: بل هي ذنوب الناس التي ارتكبوها في حق النبي، كأذاهم والإساءة إليه، وقد غفرها الله بفتح «الحديدية» وفي هذه الصورة يكون الذنب قد أضيف إلى مفعوله معني، لا إلى فاعله، أو حملوا الذنب على ترك الأولى.

وبعضهم فسّر ذلك بالفرض، فقال: ليغفر لك الذنب الذي لو كنت عملته فرضاً أو ستمعله، فقد غفر الله كل ذلك لك.

لكن من المعلوم أن كل هذه التفاسير لا تتجاوز التكلف والتمحل ودون أي دليل؛ إذ لو أخذنا في عصمة الأنبياء لأنكرنا فلسفة وجودهم، لأن النبي ينبغي أن يكون قدوة في كل شيء، فكيف يمكن المذنب

أن يفي بهذا المنهج و يؤدي حقه لا رد على ذلك،  
فالذنب بنفسه يحتاج إلى قائد يرشده و يدلّه ليهتدي  
به.

وهناك تفاسير أخرى تخالف ظاهر الآية،  
والإشكال المهم فيها أنها تقطع العلاقة ما بين مغفرة  
الذنب و الفتح « صلح الحديبية » فأحسن التفاسير  
هو ما ذكرناه آنفاً.

فضل الله: في هذه الفقرة سؤالان:

الأول: ما هي علاقة « الفتح » بغفران الذنب.  
ليكون الأول تعليلاً للثاني بلحاظ ظهور « السلام » في  
التعليل؟

الثاني: ما معنى غفران ذنب النبي، و هو المعصوم في  
أقواله وأفعاله، ثم ما هو المعنى لغفران الذنب قبل  
حدوثه؟

وقد أجيب عن ذلك بأجوبة متعددة: **الأولى** ما تقدم منها و ما تأخر.  
منها: أن الذنب ليس ذنب النبي مع الله، ولكنه  
ذنبه مع أهل مكّة، في ما يعتقدونه من أن انطلاقه في  
الدعوة التي أدّت إلى الصراع العسكري و غير  
العسكري، يمثل الذنب الكبير، باعتبارها الحركة التي  
قتلت الكثير من رجالهم، و دمرت الكثير من هيباتهم،  
وبذلك كان الفتح، الذي بدأ بصلح الحديبية معنوياً،  
و انتهى بفتح مكّة فعلياً، و وقف بعده النبي ليخضعوا عن  
المشرّكين بعد السيطرة عليهم أساساً لغفرانهم لما  
سلفه، ولما يأتي من ذنوبه بحقهم، لأنّ عظمة عفو النبي  
عنهم في ظروفه الموضوعية، تُلغى كلّ مواقع الذنب في  
ماضيه و مستقبله، وبذلك تكون كلمة « الفتح »

منسجمة مع التعليل بالمغفرة.

أما نسبة المغفرة إلى الله، فلائذ كان السبب في ذلك  
كله، على نحو المجاز.

و منها: أن المراد ذنب أمته باعتبار أنه يُمثّل قيادته  
الأمّة التي تتعمّل مضمونها مسؤوليّة أعمال أتباعها.

و منها: أن المراد ذنب أبويه آدم و حواء ببركته.

و منها: أن المسألة قائمة على الفرضيّة الطبيعيّة،

باعتبار أنه بشر يمكن أن يُخطئ في المستقبل، كما كان

ذلك ممكناً في الماضي. وهذا فإنّ التعبير بعلاج المسألة

على أساس أنه لو كان الأمر كذلك لتضرّع الله له، لأنّ

مثل هذا الفتح المبين الذي قام به، يُمثّل العمل الأفضل

الذي تسقط أمامه كلّ الذنوب، بحيث يكون هو

الحسنات التي لا تضرّ معها سيئة.

وهناك وجوه أخرى يركز بعضها على غفران

ذنب النبي عليه السلام ما تقدم منها و ما تأخر.

و يروي القائلون بهذا روايات عن الإمام الصادق

عليه السلام، و لكننا لا نعتقد صحّة هذه الروايات، لأنّها

لا تتسجم مع الأسس الفكرية الإسلامية، فإنّه لا معنى

للقول بما جاء في بعض هذه الروايات: « ما كان له

ذنب، و لا همّ بذنب، و لكنّ الله حمّله ذنوب شيعته ثمّ

غفرها له ».

أو أن الله ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة علي عليه السلام ما

تقدم من ذنوبهم و ما تأخر.

لأنّه لا معنى لتحميله تلك الذنوب، كما لا معنى

لاعتبار « الفتح » أساساً لذلك، في الوقت الذي لم يكن

فيه للشيعة أيّ وجود واقعيّ في المجتمع الإسلاميّ،

وكيف يمكن للقرآن أن يتحدث عن نتيجة الفتح  
لا تتصل به؟

ولكن عند التدقيق في معالجة المسألة ودراسة  
التعبير الذي جاء في الآية، نلاحظ أن كل هذه  
التفسير كانت تحاول الهروب من المعنى الظاهر فيها،  
يعني أن النبي ذنباً متقدماً ومتأخراً، وأن الله جعل  
«الفتح» سبباً في مغفرته، لأن هذا المعنى لا يتناسب مع  
عصمة النبي، أو كماله، أو شخصيته الثبوتية التي تمثل  
التموج القنوة، فقد تكون بشرية محكومة لنقاط  
الضعف في طبيعتها، ولكن رسالته التي انطلقت من  
الوحي، لا بد من أن تمنح إنسانيته نقاط القوة، ولا بد  
من أن تكون قد درست مؤهلاته التي عاشها مبداً  
أربعين سنة قبل الرسالة، لينبئ على أساسها شخصيته  
بالمستوى الذي لم يستطع الناس الذين عاشوا معه من  
أهله وأصحابه، أن يسجلوا عليه أية نقطة سوداء في حياته،  
يروونه عن ماضيه الشخصي. ولهذا فإن مسألة الذنب  
تتأق مع هذا الماضي الطاهر المشرق الذي زاده  
حاضر الرسالة حركية وقوة وإشراقاً وصفاء...

وعلى ضوء ذلك، فلا بد من تجاوز هذا المعنى إلى  
ما يحتزنه من إحصاءات تتناسب مع صفاء الشفق  
الروحي للشخصية الثبوتية، ولعل الأقرب إلى الجوان  
نستوحي من المغفرة معنى الرضوان والمحبة والرحمة،  
باعتبار أنها تمثل نتائج المغفرة، ليكون المعنى، هو أن  
الله يمنحك رضوانه ومحبته، في ما يوحى به من معنى  
إيجابي، يستلزم انتفاء المعنى السلبي، باعتبار أن  
«الفتح» في ما يمثله، هو الانطلاقة التي تفتح

للإسلام باب الحياة الواسع الذي يدل الناس على  
الطريق إلى الله. وقد جاهد النبي ﷺ أقصى الجهاد  
حتى وصل إلى هذه النتيجة بتوفيق الله ورعايته، ومن  
هنا كان ذلك سبباً في محبة الله له التي تشمل أول الجهاد  
قبل الفتح، وآخره بعد الفتح. (٩٧: ٢١)  
لاحظ: أخ: «تأخر». و: غ: «تأخر».

ذنبك

... واستغفري لذنبك الذي كنت من الخطاطين.

يوسف: ٢٩

ابن عباس: استغفري واعتذري إلى زوجك من

(١٩٦)

استغفري زوجك ثلاثاً عاقبتك.

(ابن الجوزي ٤: ٢١٣)

ابن زيد: سلمه أن لا يعاقبك على ذنبك الذي

أذنت، وأن يصفح عنه فيستره عليك.

(الطبري ٧: ١٩٥)

نعوه الطبرسي:

الطوسي: أي اطلب المغفرة من الله من خطيئتك.

والذنب: الخطيئة، والخطيئة: العدول عما تدعو إليه

(١٢٨: ٦)

الحكمة إلى ما تزجر عنه.

الخان: يعني توبى إلى الله بما رميت يوسف به من

(٢٢٧: ٣)

الخطيئة، وهو يري منها.

ابن كثير: أي الذي وقع منك من إرادة السوء

(٢٢: ٤)

هذا الشاب، ثم قذفه بما هو يري منه.

(٣٥٣٤: ٩)

مثله القاسمي.

لاحظ: غ ط أ: «الخطايتين».

ذُئُوب

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ  
بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا. الإسراء: ١٧

الزَّمَخْشَرِيُّ: عَلَى أَنَّ الذُّنُوبَ هِيَ أَسْبَابُ  
الْهَلَاكَةِ لَاغِيرٍ، وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِهَا وَمُعَاقِبٌ عَلَيْهَا. (٤٤٣: ٢)  
أَبُو حَيَّانَ: [نَحْوُ الزَّمَخْشَرِيِّ وَأَضَافَ:]

وَيَتَعَلَّقُ «بِذُنُوبٍ» بـ «خَبِيرًا» أَوْ بـ «بَصِيرًا»  
وَقَالَ الْحَوْثِيُّ: يَتَعَلَّقُ بـ «كَفَىٰ» إِنْ تَمَّ. وَهَذَا وَهَمٌّ.

(٢٠: ٦)

السَّمِينُ: [نَحْوُ أَبِي حَيَّانَ وَقَالَ:]

وَالْمَا جَعَلَهُ وَهَمًا، لِأَنَّهُ لَا يَتَعَدَّى بِالْيَاءِ وَلَا يَلِيقُ  
بِهِ الْمَعْنَى. (٤: ٢٨٠)

أَبْنُ عَاشُورَ: وَجُمْلَةُ: «وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ  
عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» إِقْبَالٌ عَلَى خُطَابِ الشَّيْءِ

بِالْخُصُوصِ، لِأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ مِنَ الْوَعِيدِ وَالْتِهَادِ إِذَا  
مَالَ إِلَى حَمْلِ النَّاسِ عَلَى تَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا جَاءَ

بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ، بَعْدَ أَنْ لَجُّوا فِي الْكُفْرِ وَتَفَنَّنُوا فِي  
التَّكْذِيبِ. فَلَا جُرْمَ ذَلِكَ بِعَظَمِيقِ الشَّيْءِ بِأَنَّ اللَّهَ

مُطَّلِعٌ عَلَى ذُنُوبِ النَّاسِ. وَهُوَ تَعْرِضٌ بِأَنَّهُ بِمَجَازِهِمْ  
بِذُنُوبِهِمْ بِمَا يَنْسَبُ لِفُطَاعَتِهَا، وَلِذَلِكَ جَاءَ بِفَعْلِ

«كَفَىٰ» وَبِوصْفِي «خَبِيرًا بَصِيرًا» الْمَكْنَى بِذِكْرِهِمَا،  
مِنْ هَدْمِ إِفْلَاتِ شَيْءٍ مِنْ ذُنُوبِهِمُ الْمَرْتَبَةِ وَالْمَطْرُومَةِ مِنْ

ضَمَائِرِهِمْ، أَعْنَى أَعْمَالِهِمْ وَنَوَائِيهِمْ. (٤٦: ١٤)  
مَغْنِيَّةٌ: بِإِسَاءَةٍ مِنْ أَسَاءٍ فِيمَا قَبْلَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ.

(٣٢: ٥)

عبد الكريم الخطيب: إشارة إلى أن علم الله  
محيط بكل ما عمل الناس، لا يعزب عنه مثقال ذرة مما  
عملوا.

وخص الذنوب بالعلم، لأنها هي الخطر الذي  
يتهدد الناس، حتى يحذروه، فيكتب لهم الأمن  
والعافية. فإنه إذا توقى الإنسان الذنوب، استقام على  
طريق الحق والخير، لأنها هي الوارد الذي يرد عليه  
ويفسد فطرته. (٤٦٧: ٨)

مكارم الشيرازي: أي إن ظلم وذنوب فرد أو  
مجموعة، لا يمكنها أن تكون خافية على العين البصيرة  
التي لا تاتم لرب العالمين. (٣٨٦: ٨)

الذُّنُوبُ

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا  
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

الرَّحِيمُ. الزمر: ٥٣  
راجع: غ ف ر: «يَغْفِرُ».

ذُنُوبُهُمْ

١ - كَذَابُ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا فَأَخَذْنَاهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ

آل عمران: ١١  
الْبُرُوسِيُّ: وَالدُّنْبُ فِي الْأَصْلِ: الثَّلَاوُ الْقَاصِعُ،

وَحُمِلَتِ الْجُرْمَةُ ذَنْبًا، لِأَنَّهَا تَتَلَوُّ، أَيْ يَتَّبِعُ عِقَابُهَا  
فَاعْلَاهَا. (٧: ٢)

الْأَلُوسِيُّ: أَيْ بِسَبَبِهَا، أَوْ مَتَلَبِّسِينَ بِهَا غَيْرَ



تائبين، والمراد من الذنوب على الأول: التكذيب  
بالآيات المتعددة، «جاء بالسببية تأكيداً لما تنفذه  
القام. وعلى الثاني سائر الذنوب، وفي ذلك إشارة إلى  
أنهم ذنوباً آخر. وأصل الذنب: التلو والتابع. ثم  
أطلق على الجريمة، لأنها يتلو — أي يتبع — عقابها  
فاعلمها. (٩٤: ٣)

٢ حَرَّانَ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَطِيعُ أَهْوَاءَهُمْ  
وَاحْذَرْتَهُمْ أَنْ يَقُولُوا عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ  
تَوَلَّوْا فَاغْلَمَ الْكُمُورُ يَدُ اللَّهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ  
وَإِنْ كَثُرَ مِنْ أَهْلِ الثَّامِسِ لَقَائِمُونَ المائدة: ٤٩

الحسن: إن المراد به إجماع بني التفسير بتفصيل  
العهد، وقتل بني قريظة. (الطوسي ٣: ٥٤٨)  
الجبائي: إنه وإن ذكر لفظ المنصوص، فإن المراد  
به: الصوم، كما قد يذكر الصوم ويراد به: المنصوص. (الطوسي ٣: ٥٤٨)

الطوسي: قيل: في معناه أربعة أقوال:

أحدها: [قول الجبائي]

الثاني: أنه على تغليب العقاب، أي يكفي أن  
يؤخذوا ببعض ذنوبهم في إهلاكهم والتدمير عليهم.

الثالث: أن يعجل بعض العقاب بما كان من التمرد  
في الإجماع، لأن ذلك من حكم الله في العباد.

الرابع: [قول الحسن] (٥٤٨: ٣)

الزمخشري: يعني بذهب التولي عن حكم الله  
وإرادة خلافه، فوضع ﴿بِئْسَ ذُنُوبُهُمْ﴾ موضع ذلك،  
وآراد أن لهم ذنوباً جمّة كثيرة العدد، وأن هذا الذنب

جمع عظمه بعضها واحد منها، وهذا الإجماع لتعظيم  
التولي، واستمرارهم في ارتكابه. (٦١٩: ١)  
نحوه التضاوي (٢٧٨: ١)، والتسفي (٢٨٧: ١)،  
والكاشاني (٤١: ٢)، والآلوسي (١٥٥: ٦).  
الفخر الرازي: وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بتلبيهم بجزء بعض ذنوبهم  
في الدنيا، وهو أن تسلطك عليهم، وتذبيهم في الدنيا  
بالقتل والجلاء. وإنما خص الله تعالى بعض الذنوب،  
لأن القوم جوزوا في الدنيا ببعض ذنوبهم، وكان  
بجازاتهم البعض كافياً في إهلاكهم والتدمير عليهم،  
والله أعلم.

المسألة الثانية: دلّت الآية على أن الكل بإرادة الله  
تعالى، لأنه لا يريد أن يصيبهم ببعض ذنوبهم إلا وقد  
أراد ذنوبهم، وذلك يدل على أنه تعالى يريد للخير  
والخير. (١٤: ١٢)

نحوه التيساوري (١١٠: ٦)، والبروسوي (٢: ٤٠١).

الحازن: إنما خص بعض الذنوب، لأن الله  
جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والتسي  
والجلاء، وأخر بجازاتهم على باقي ذنوبهم إلى  
الآخرة. (٥١: ٢)

أبو حيان: ومعنى ﴿أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾،  
أن يعذبهم ببعض آثامهم.

وأينهم «بعض» هنا، ويعني به — والله أعلم —  
التولي عن حكم الله وإرادة خلافه، فوضع ﴿بِئْسَ  
ذُنُوبُهُمْ﴾ موضع ذلك، وآراد أنهم ذوو ذنوب جمّة

كثيرة، لا العدد. وهذا الذنب مع عظمه وهذا الإيهام فيه، تعظيم التوئي، و فرط إسرانهم في ارتكابه.

(٥٠٤: ٣)

الشريبي: أي التي أنوها ومنها التوئي، ويجازيهم على جميعها في الآخرة. (٣٧٩: ١)

رشيد رضا: أي فإن تولوا عن حكمك بعد تحاكمهم إليك، فاعلم أن حكمة ذلك هي أن الله تعالى يريد أن يعذبهم ببعض ذنوبهم في هذه الحياة الدنيا قبل الآخرة، فاضطربهم في دينهم، واستغاثهم لأحكام التوراة، وتحاكمهم إليك رجاء أن تتبع أهواءهم، وإعراضهم عن حكمك بالحق، ومحاولتهم لمخادعتك ولتنتك عن بعض ما أنزل الله إليك، كل هذه مقدمات من فساد الأخلاق وروابط الاجتماع، لا بد أن تنتج وقوع عذاب بهم. (٤٢١: ٦)

مكارم الشيرازي: وسبب ذكره «بمعنى كثرة الذنوب» لا كلها، قد يكون، لأن عقاب كل الذنوب لا يتم في الحياة الدنيا بل يذوق وبال بعضها، والباقي منها يؤكل أمرها إلى العالم الثاني، أي بعد الموت.

ولم يصرح هذه الآية بنوع الذنوب التي طوقت وأحاطت بهؤلاء، ويحتمل أن تكون إشارة إلى المصير الذي أحاط بيهود المدينة، بسبب الخيانات المتوالية التي مارسوها، مما اضطرتهم إلى ترك يهودتهم ومضادة المدينة المنورة، أو أن يكون فشك هؤلاء وحرمانهم من التوفيق نوعاً من العقاب لهم على ذنوبهم السابقة، لأن الحرمان من التوفيق يعتبر بمحض ذاته نوعاً من العقاب، أي إن الذنوب المتتالية والعناد والإصرار على

الذنب، جزاؤها الحرمان من الأحكام العادلة، والتورط بالفضلال والخيرة، في متاهات الحياة.

(٣١: ٤)

٣..... فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ يَتَرِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ. قرناً آخرين.

المبيدي: بمعنى فعلناهم بتكذيبهم رسلهم. ويقال: أهلكناهم بذنوبهم، لأنهم لم يحلوا الذنوب المورطة والعوب المسخطة، حتى أخذوا، فلم يجدوا خلاصاً ولا مناصاً، ولا معاذاً ولا ملأذاً. (٣٠٢: ٣)

الشمسبوري: فإذن الإهلاك بسبب المعاصي والذنوب، لا يكون إلا بالعذاب والإيلاء. (٧١: ٧)

الشريبي: أي بسبب ذنوبهم بتكذيبهم الأنبياء، لهم بمن ذلك عنهم شيئاً. (٤١١: ١)

بمعنى كثرة الذنوب: أي أهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب، فما أغنى عنهم تلك العدد والأسباب، فاحل هؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب. وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار. (٣٥٦: ٢)

نحو البروسوي: (١٠: ٣)

الآلوسي: أي أهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب، كتكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام. (٩٥: ٧)

رشيد رضا: الذنوب التي يهلك الله بها القرون ويُعذب بها الأمم قسماً،

أحدها: معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به.

وثانيهما: كفر النعم بالهطول والأشر، وغمط الحق واحتقار الناس، وظلم الضعفاء، ومحاربة الأقوياء، والإسراف في الفسق والفجور، والغرور بالغنى والثروة، فهذا كله من الكفر بنعم الله واستعمالها في غير ما يرضيه، من نفع الناس والعدل العام، والأهم المناطقة بتلك الذنوب مجتمعة ومتفرقة كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيبَتُهَا فَإِذْ كَانَ مِنَّا لُكُتُهُمْ لَمْ يَنصُرُوا مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكَانَ لُكُنُ الْوَارِثِينَ﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (قصص: ٥٨، ٥٩). ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ١٠٢). ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِي سَارِقَتُهَا رِغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْهَوْلِ﴾ (نمل: ٢٤). ﴿كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النمل: ١١٢). ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا كُفَّهَا تَذْمِيرًا﴾ (الأنعام: ١٦). ﴿سَيِّدُ قَطِيبٍ﴾: إن هذا النص في القرآن ﴿فَأَهْلَكْنَا هُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ وما ياتله، وهو يتكرر كثيرًا في القرآن الكريم، إنما يقرّر حقيقة، ويقرّر سببه، ويقرّر طرفًا من التفسير الإسلامي لأحداث التاريخ.

إنه يقرّر حقيقة أن الذنوب تهلك أصحابها، وأن الله هو الذي يهلك المنذرين بذنوبهم، وأن هذه سببه ماضية ولو لم يرها فرد في عمره القصير، أو جميل في أجله المحدود، ولكنها سببه تصير إليها الأمم حين

تفسو فيها الذنوب، وحين تقوم حياتها على الذنوب كذلك هي جانب من التفسير الإسلامي للتاريخ؛ فإن هلاك الأجيال، واستخلاف الأجيال من عوامله، فعل الذنوب في جسم الأمم، وتأثيرها في إنشاء حالة تنهي إلى الدمار؛ إمّا بقارعة من الله عاجلة، كما كان يحدث في التاريخ القديم، وإمّا بالانحلال البطيء الفطري الطبيعي، الذي يسري في كيان الأمم مع الزمن، وهي توغل في متاهة الذنوب.

وأما في التاريخ القريب نبيًا الشواهد الكافية على فعل الانحلال الأخلاقي، والدعاة الفاسية، واتخاذ المرأة فتنه وزينة، والشرف والرخصة، والظلم بالتميم. أما الشواهد الكافية من فعل هذا كله في انهيار الإغريق والرومان، وقد أصبحوا أحداث، وفي الانهيار الذي تتجلى أوائله، وسقوط نهايته في الأفق في أسم معاصرة. كفرنسا والمجترات. كذلك على الرغم من القوة الظاهرة والقراء المريض.

الطبيباني: وفي قوله: ﴿فَأَهْلَكْنَا هُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ دلالة على أن للسبب والذنوب دخلًا في البلاء والهن العامة، وفي هذا المعنى وكذا في معنى دخل الحسنات والطاعات في إفاضات النعم ونزول البركات آيات كثيرة.

١- كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ. الأنفال: ٥٢

مروان بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن حزام. وقيل: كانوا عشرة. فسبعة منهم أو ثقلوا أنفسهم؛ بلنهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك، فأوثقوا أنفسهم على سوازي المسجد، فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلى ركعتين، وكانت عادته ﷺ كلما قدم من سفر فرآهم موقنين، فسأل عنهم، فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحملوا أنفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحملهم، فقال: وأنا أقسم أن لأحملهم حتى أومر بهم، فنزلت، فأطلقهم وعذرهم، فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا، فقال: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً»، فنزلت: ﴿لَا تَمْسِكْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾. (٢١١: ٢)

القيصر الرازي: في الأية مسائل:

المسألة الأولى: قوله: ﴿وَالْأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾، في قولان:

الأول: أنهم قوم من المنافقين، تابوا عن التفاق. والثاني: أنهم قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك، لا للكفر والتفاق، لكن للكسل، ثم ندموا على ما فعلوا، ثم تابوا.

واحتج القائلون بالقول الأول بأن قوله: ﴿وَالْأَخْرُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾، والعطف بهم التشرية، إلا أنه تعالى وفهم حتى تابوا، فلما ذكر الفريق الأول بالمرود على التفاق والمبالغة فيه، وصف هذه الفرقة بالتوبة والإقلاع عن التفاق.

المسألة الثانية: [نحو الزمخشري]. (١٧٤: ١٦)

الطبري: يقول: فعاقبهم الله بتكذيبهم حجيجه ورسله ومعصيتهم ربه، كما عاقب أشكالهم والأسم الذين قبلهم. (٢٦٩: ٦)

الآلوسي: وذكر الذنوب لتأكيد ما أفادته الفاء من السببية مع الإشارة إلى أن لهم مع كفرهم ذنوباً أخرى، لها دخل في استتباع العقاب. وجوز أن يراد ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: معاصيهم المتفرعة على كفرهم، فيكون الياء للملازمة، أي فأخذهم مطلقين بذنوبهم غير تائبين عنها. (١٩: ١٠)

سيد قطب: ولقد آتاهم الله من نعمته، ورزقهم من فضله، ومكن لهم في الأرض، وجعلهم خلائف فيها. وهذا كله إنما يعطيه الله للناس ابتلاء منه وامتحاناً، لينظروا يشكرون أم يكفرون؟ ولكنهم كفروا ولم يشكروا، وطغوا وبغوا بما أعطوا، وغيرهم الثمة والقوة فصاروا جبابرة وطواغيت كفرة فخورين وجاءتهم آيات الله فكفروا بها. وعندئذ حقت عليهم سنة الله في أخذ الكافرين بعد أن تبلغهم آياته في كتبوا بها. وعندئذ غير الله الثمة، وأخذهم بالعذاب، ودمر عليهم تدميراً. (١٥٣٥: ٣)

٥- وَالْأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرًا سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ طُغُورٌ رَحِيمٌ. التوبة: ١٠٢

الزمخشري: أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاصير الكاذبة كفرهم، ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بنس ما فعلوا متذممين نادمين. وكانوا ثلاثة: أبو لبابة

لحموه البرؤوسوي.

(٤٩٤:٣)

الآلوسي: التي هي تخلفهم عن الغزو وإيثار الذعة عليه والرضا بسوء جوار المناققين، ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة المؤكدة بالآيمان الفاجرة. (١١: ١١)  
أبن عاشور: بذنوبهم بالتقصير. فقرله إيمان، لأنه يدل على أنهم أذنبوا واعترفوا بذنوبهم، ولم يكونوا منافقين، لأن التعبير بالذنوب بصيغة الجمع يقتضي أنها أعمال سيئة في حالة الإيمان، وكذلك التعبير عن ارتكاب الذنوب بخلط العمل الصالح بالسئين. (١٠: ١٩٤)

## ذُنُوبِكُمْ

أبن عاشور: والذنوب: جمع ذنب، وهو المعصية، والمراد بها: الإشرار وتكذيب الرسل، وذلك يستتبع ذنوباً جمّة. (٢٤: ١٧٧)  
فضل الله: في ما كانوا يعيشون فيه من طغيان وتصف، وكفر وشرك وجعود وعصيان. (٢٠: ٢٨)

١ - قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. آل عمران: ٣١  
الطباطبائي: والذنوب هي المانعة من نيل ما عنده من كرامة القرب والزلفى، وجميع الأمور التي هي من توابها كالجنة وما فيها، وإزالة رينها عن قلب الإحسان ومفرتها وسترها عليه، هي المفتاح الوحيد لا تقاسح بسبب السعادة والدخول في دار الكرامة. لذلك يحق قوله: ﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾ بقوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، فإن الحب - كما تقدم - يجذب المحب إلى المحبوب. و كما كان حب العبد لربه يستدعي منه التقرب بالإخلاص له وقصر العبودية فيه، كذلك حبه تعالى لعبده يستدعي قربه من العبد، وكشفه حجب الثمد وسبحات الفهبة، ولا حجاب إلا الذنب، فيستدعي ذلك مغفرة الذنوب. وأما ما بعده من الكرامة والإفاضة، فالجود كاف فيه، كما تقدم آنفاً.

(٣: ١٦٠)

٢ - يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُونَ كُفَرْتُمْ قَطْمُونَ.

نوح: ٤

٦ - ... قَالَ إِنَّمَا أُوجِثَةٌ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَغْفِرْ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ

الطبرسي: ٢٨

راجع: سأل: «يُسْئَلُ».

٧ - فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ

من والقر: المؤمن: ٢١

الطبرسي: وأخذهم بما أجمعوا من معاصيه، واكتسبوا من الآثام، ولكنه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا. (١١: ٥١)

الطوسي: ومعناه فأهلكهم الله جزاء على

(٩: ٦٨)

معاصيهم.

لحموه الطبرسي: (٤: ٥١٩)

البرؤوسوي: عاقبهم وأهلكهم بسبب كفرهم

(٨: ١٧٢)

وتكذيبهم.

مقابل: و (من) هاهنا صلة، يقول: يخسر لكم ذنوبكم. (٤٤٩: ٤)

القرءاء: (من) قد تكون لجميع ما وقعت عليه، وبعضه، فأما البعض لقوله: اشترت من عبيدك، وأما الجميع لقوله: رويت من مائك، فإذا كانت في موضع جمع، فكان من: عن كما تقول: اشتكت من ماء شربته، وعن ماء شربته، كآته في الكلام: يخسر لكم عن أذنابكم، ومن أذنابكم. (١٨٧: ٣)

الزجاج: دخلت (من) تخصّ الذنوب من سائر الأشياء، ولم تدخل لتبعض الذنوب، ومثله: فاجتنبوا الرجس من الأوثان (الحج: ٣٠، معناه: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، ليس الرجس هاهنا بعض الأوثان).

الطوسي: ودخلت (من) زائدة، وقيل: (من) معناها «عن»، والتقدير: يصفح لكم عن ذنوبكم، وتكون عامة.

وقيل: إنها دخلت للتبعض، ومعناها: يخسر لكم ذنوبكم الساقطة، وهي بعض الذنوب التي تضاف إليهم، فلما كانت تنوحي التي يستأفونها لا يجوز الوعد بغفرانها مطلقاً لما في ذلك من الإغراء بالقبح، قيدت هذا التقيد. (١٣٢: ١٠)

نحوه الطبرسي: الواحدي: قال أهل المعاني: يعني ما سلف من ذنوبكم إلى وقت الإيمان، وهو بعض ذنوبهم. (٣٥٦: ٤) نحوه البقوي (١٥٦: ٥)، والحازن (١٢٧: ٧).

البيهقي: قيل: (من) هاهنا للتبيين، كقوله:

فاجتنبوا الرجس من الأوثان (الحج: ٣٠، وقيل: للتبعض، أي يخسر لكم ما سبق من ذنوبكم، وقيل: (من) هاهنا صلة، والمعنى: يخسر لكم ذنوبكم.

(٢٣٧: ١٠) ابن عطية: وقوله تعالى: (من ذنوبكم) قال قوم: (من) زائدة، وهذا نحو كوفي، وأما الخليل وسقويه فلا يجوز عندهم زيادتها في الواجب. وقال قوم: هي إيهان الجنس، وهذا ضعيف، لأنه ليس هنا جنس يبين.

وقال آخرون: هي بمعنى «عن»، وهذا غير معروف في أحكام (من).

وقال آخرون: هي لا ابتداء الفاية، وهذا قول ضعيف، كأنه يقول: يتدعى الغفران من هذه الذنوب العظام التي لهم.

وقال آخرون: هي للتبعض، وهذا عندي أبين الأحوال، وذلك أنه لو قال: «تغفر لكم ذنوبكم» لعمّ هذا اللفظ ما تقدم من الذنوب وما تأخر عن إيمانهم، والإسلام إنما يجب ما قبله، فهي بعض من ذنوبهم، فالمعنى: يخسر لكم ذنوبكم.

وقال بعض المفسرين: أراد يخسر لكم من ذنوبكم المهم الموق الكبير، لأنه أهم عليهم، وبه ربما كان اليأس عن الله قد وقع لهم. وهذا قول مضمته أن (من) للتبعض، والله تعالى الموفق. (٣٧٢: ٥)

الفخر الرازي: ما فائدة (من) في قوله: (تغفر لكم من ذنوبكم)؟

والجواب: من وجوه:

أحدها: أنها صلة زائدة، والتقدير: يغفر لكم ذنوبكم.

والثاني: أن غفران الذنب هو أن لا يؤخذ به، فلو قال: يغفر لكم ذنوبكم، لكان معناه أن لا يؤخذكم بجمع ذنوبكم، وعدم المؤاخذه بالجمع لا يوجب عدم المؤاخذه بكل واحد من آحاد المجموع، فله أن يقول: لأطالك بجمع ذنوبك، ولكي أطالك بهذا الذنب الواحد فقط. أمّا لقال: ﴿يَغْفِرُكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ كان تقديره: يغفر كل ما كان من ذنوبكم، وهذا يقتضي عدم المؤاخذه على مجموع الذنوب، وعدم المؤاخذه أيضاً على كل فرد من أفراد المجموع.

الثالث: أن قوله: ﴿يَغْفِرُكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ فيه أنه يقتضي التبعيض، لكنه حتى، لأن من آمن بالله يصير ما تقدم من ذنوبه على إيمانه مضموراً، أمّا ما تأخر عنه فإنه لا يصير بذلك السبب مضموراً، فثبت أنه لا بدّ هاهنا من حرف التبعيض. (١٣٥: ٣٠)

ابن عسري: ذنوب آثار أفعالكم وصفاتكم وذواتكم. (٧٠٤: ٢)

أبو حيان: (من) للتبعيض، لأن الإيمان إنما يجنب ما قبله من الذنوب، لا ما بعده. وقيل: لا ابتداء الفاية. وقيل: زائدة، وهو مذهب.

قال ابن عطية: كوفي، وأقول: أخفسي لا كوفي، لأنهم يشترطون أن تكون بعد (من) نكرة، ولا يبالون بما قبلها من واجب أو غيره، والأخفش يجيز مع الواجب وغيره. وقيل: التكررة والمعرفة. وقيل: لبيان الجنس، وردّ بأنه ليس قبلها ما يبيّن. (٣٣٨: ٨)

ابن كثير: أي إذا فعلتم ما أمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم، غفر الله لكم ذنوبكم. و(من) هاهنا قيل: إنها زائدة، ولكن القول يزيدتها في الإثبات قليل، ومنه قول بعض العرب: قد كان من مطر. وقيل: إنها بمعنى «عن» تقديره: يصلح لكم عن ذنوبكم، واختاره ابن جرير.

وقيل: إنها للتبعيض، أي يغفر لكم الذنوب العظيمة التي وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام.

(١٢٢: ٧)

البروسوي: أي بعض ذنوبكم، وهو ما سلف في الجاهلية، فإن الإسلام يجنب ما قبله لا ما تأخر عن الإسلام، فإنه يؤخذ به، ولا يكون مضموراً بسبب الإيمان، ولذلك لم يقل: يغفر لكم ذنوبكم بطي (من) التبعيض، فإنه يعم مغفرة جميع الذنوب، ما تقدم منها وما تأخر عنه فإنه لا يصير بذلك السبب مضموراً، فثبت

وقيل: المراد ببعض الذنوب بعض ما سبق على الإيمان، وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد. (١٧٣: ١٠) الألويسي: واختلف في (من) قليل: ابتدائية، وإن لم تصلح هنا لمقارنة (إلى) وابتداء الفعل من جانب تعالى، على معنى أنه سبحانه يبتدئهم بعد إيمانهم بمغفرة ذنوبهم، إحساناً منه عز وجل وفضلاً.

و يجوز أن يكون من جانبهم على معنى أول ما يحصل لهم بسبب إيمانهم بمغفرة ذنوبهم، وليس بذلك. وقيل: بآنية، ورجوعها إلى معنى الابتدائية، استبعده الرضوي، ويُقدر قبلها بهم يُفسر بدخولها، أي يغفر لكم أفعالكم التي هي الذنوب.

وقيل: زائدة، على رأي الأخفش الجوز زيادتها مطلقاً، وجزم بذلك هنا.

وقيل: تبعية، أي يفسر لكم بعض ذنوبكم واختاره بعض.

واختلف في البعض المخفور، فذهب قوم إلى أنه حقوق الله تعالى فقط الساقية على الإيمان.

وآخرون إلى أنه ما اقترطوه قبل الإيمان مطلقاً، الظاهر ما ورد من أن الإيمان يجنب ما قبله.

واستشكل ذلك العزيم عبد السلام في «الفرائد المنتشرة» وأجاب عنه، فقال: كيف يصح هذا على رأي سيبويه الذي لا يرى كالأخفش زيادتها في الموجب، بل يقول: إنها للتبعض، مع أن الإسلام يجنب ما قبله، بحيث لا يبقى منه شيء.

والجواب: أن إضافة «الذنوب» إليهم إنما تصدق حقيقة فيما وقع، إذا ما لم يقع لا يكون ذنباً لهم وإضافة ما لم يقع على طريق التجوز، كما في ﴿وَاحْذَرُوا آيَاتَكُمْ﴾ المائدة: ٨٩، إذا المراد بها الأيمان المستقبل. وإذا كانت الإضافة تارة تكون حقيقة وتارة تكون مجازاً، فسيبويه يجمع بين الحقيقة والمجاز فيها، وهو جائز - يعني عند أصحابه التشايع - ويكون المراد من بعض ذنوبكم: البعض الذي وقع، انتهى. ولا يحتاج إلى حديث الجمع، من خص الذنوب المغفورة بحقوق الله عز وجل.

وها هنا بحث، وهو أن الحمل على التبعض باباً، ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ و﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الزمر: ٥٣، وقد نص البعلي في «شرح الجمل»

على أن ذلك هو الذي دعا الأخفش للجزم بالزيادة هنا، وجعله ابن الحاجب حجة له. ورده بعض الأجلة بأن الموجبة الجزئية من لوازم الموجبة الكلية، ولا تناقض بين اللازم والملزوم، ومنه الغفلة عن كون مدلول «من» التبعية هي البعوضة المجردة عن الكلية المنافية لها، لا الشاملة لما في ضمنها المجتمع معها، وإلا لما تحقق الفرق بينها وبين «من» البيانية من جهة الحكم، ولما تيسر تشية الخلاف بين الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، فيما إذا قال:

«طَلَّقِي نَفْسَكَ مِنْ ثَلَاثٍ مَا شِئْتَ» بناءً على أن «من» للتبعض عنده، والبيان عندها. قال في «الهداية» وإن قال لها: «طَلَّقِي نَفْسَكَ مِنْ ثَلَاثٍ مَا شِئْتَ» فلها أن تطلق نفسها واحدة وثلثين، ولا يخلو ثلاثاً عند أبي حنيفة، وقالوا: تطلق ثلاثاً إن شاءت، لا كلمة لكما «محكمة في التميم وكلمة «من» قد تستعمل للتميز، فتعمل على تمييز الجنس. ولأبي حنيفة أن كلمة «من» حقيقة في التبعض و«ما» للتميم، فيعمل بها، انتهى.

ولا خفاء في أن بناء الجواب المذكور على كون «من» للتبعض إنما يصح إذا كان مدلولها حيث البعوضة المجردة المنافية للكلية.

ومن هنا تعجب من صاحب «التوضيح» في تقرير الخلاف المذكور؛ حيث استدلل على أولوية التبعض بيقينه، ولم يدر أن البعض المراد قطعاً على تقدير البيان، البعض العام الشامل لما في ضمن الكل لا البعض المجرد المراد ها هنا.



فها لتعليل على الوجه المذكور، لا يتم اقتراب بل لا انطباق بين التعليل والمعلل، على ما قيل.

وصوب العلامة التفتازاني؛ حيث قال: فيما علقه على القلوب، مستدلاً على أن البعضية التي تدل عليها من التبعية، هي البعضية المبرزة النافذة للكلية، لا البعضية التي هي أعم من أن تكون في ضمن الكل أو بدونه، لا اتفاق الثعاة على ذلك، حيث احتاجوا إلى التوفيق بين قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فقالوا: لا يبعد أن يغفر سبحانه الذنوب لقوم وبعضها لآخرين، أو خطاب البعض لقوم نوح ﷺ وخطاب الكل لهذه الأمة، ولم يذهب أحد إلى أن التبعية لا ينافي الكلية.

ولم يصوب الشريف في رده عليه قائلًا: غوه بجملة، إذ الرضي صرح بعدم المتافاة بينهما؛ حيث قلل: ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ كان أيضًا خطابًا لأمة واحدة، فغفران بعض الذنوب لا يناقض غفران كلها، بل عدم غفران بعضها يناقض غفران كلها. لأن قول الرضي غير مرتضى، لما عرفت من أن مدلول التبعية البعضية المبرزة.

واعترض قول الثعاة أو خطاب البعض لقوم نوح ﷺ وخطاب الكل لهذه الأمة، بأن الإخبار عن مغفرة البعض ورد في مواضع:

منها: قوله تعالى في سورة إبراهيم: ١٠: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ومنها في سورة الأحقاف: ٣١: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾

ومنها: ما هنا، وهو الذي ورد في قوم نوح ﷺ، وأما ما ذكر في الأحقاف فقد ورد في الجن، وما ورد في إبراهيم، فقد ورد في قوم نوح وعاد وثمود، على ما أفصح به السياق، فكيف يصح ما ذكره.

وقيل: جيء بـ «مِنْ» في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن، تفرقة بين الخطابين، ووجهه بأن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان، وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي، نحو ذلك، فيتناول الخروج عن المظالم.

واعترض بأن التفرقة المذكورة إنما تتم لو تضمن الخطاب للكفرة على العموم، وقد جاء كذلك، كما في سورة الأنفال: ٢٨: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَدْعُواكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ وقد أسلفنا ما يتعلق بهذا الخطاب، فذكر وتأمل. (٦٨: ٢٩)

ابن عاشور: وحرف (مِنْ) زائد للتوكيد، وهذا من زيادة «مِنْ» في الإيجاب، على رأي كثير من أئمة التحريم، مثل الأخفش وأبي علي الفارسي وابن جني من البصريين، وهو قول الكيساني: «جميع لحاة الكوفة، فيبعد أن الإيمان يجنب ما قبله في شريعة نوح، مثل شريعة الإسلام».

و يجوز أن تكون (مِنْ) للتبعض، عند من أثبت ذلك، وهو اختصار التفتازاني، أي يغفر لكم بعض ذنوبكم، أي ذنوب الإشراك وما معه؛ فيكون الإيمان في شرع نوح لا يقتضي مغفرة جميع الذنوب السابقة، وليس يلزم تماثل الشرائع في جميع الأحكام الفرعية،

الذنب، لكن رُغبت المغفرة فيه على استمرار الإيمان والعمل الصالح، وإدامتهما ما دامت الحياة، فللمغفرة فيه متعلقة بما لم يتحقق بعد من المعاصي والذنوب المستقبلة، ولا وعد بمغفرتها كلما تحققت.

وقد مال بعضهم اعتماداً على عموم المغفرة في آية الصف، إلى القول بأن المغفور بسبب الإيمان في هذه الأمة جميع الذنوب، وفي سائر الأمم بعضها، كما هو ظاهر قول نوح لأمتيه: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ وقول الرسل، كما في سورة إبراهيم: ١٠: ﴿يَدْعُوَكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ وقول الجبريل كما في سورة الأحقاف: ٣٦: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّا بَعَثْنَا فِيكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾

وفيه: أن آية الصف مودها غير مورد المغفرة بسبب الإيمان فقط، كما أشرنا إليه، على أن آية الأنفال التكليف الدينية بإلغاء الجازاة على مخالفتها كما في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّا بَعَثْنَا فِيكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾

وذهب بعضهم إلى كون (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ زائدة، ولم تثبت زيادة (مِنْ) في الإثبات، فهو ضعيف، ومثله في الضعف قول من ذهب إلى أن (مِنْ) بيانية، وقول من ذهب إلى أنها لا ابتداء الغاية.

(٢٧: ٢٠)

### ذُنُوبَنَا

١- الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَعْتَصِفُ ذُنُوبَنَا وَإِنَّا لَفِي غَضَابٍ ثَارٍ. الطَّيْرِي: الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّا صَدَقْنَا بِكَ وَبَنِيكَ، وما جاء به من عندك. ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ يقول:

ومغفرة الذنوب من تضاريع الدين، \* ليست من أصوله.

وقال ابن عطية: \* معنى التبعيض: مغفرة الذنوب السابقة دون ما يُذنبون من بعد \*، وهذا يتم ويحسن إذا قدرنا أن شريعة نوح تشتمل على أوامر ومنهيات عملية، فيكون ذكر (مِنْ) التبعيض اقتصاداً في الكلام بالقدر المحقق. (١٧٥: ٢٩)

الطَّاهُطَانِي: وكلمة (مِنْ) للتبعيض، على ما هو المتبادر من السياق. والمعنى: أن تعبدوه وتكفوه وتطهروني، يغفر لكم بعض ذنوبكم. وهي الذنوب التي قبل الإيمان: الشرك فما دونه. وأما الذنوب التي

لم تُعرف بعدُ مما سُميكتل، فللمعنى لمغفرتها لم تحقّقها، ولا معنى أيضاً للوعد بمغفرتها إن تحققت المستقبل، أو كلما تحققت لاستلزام ذلك إتمام التكليف الدينية بإلغاء الجازاة على مخالفتها كما في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّا بَعَثْنَا فِيكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾

ويؤيد ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّا بَعَثْنَا فِيكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ الأحقاف: ٣٦، وقوله: ﴿يَدْعُوَكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ إبراهيم: ١٠، وقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَشَاءُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الأنفال: ٣٨.

وأما قوله تعالى يخاطب المؤمنين من هذه الأمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجْزِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تَذَرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِالْحَاجِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَفْسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ﴾ الصف: ١٠-١٢، فهو وإن كان ظاهراً في مغفرة جميع

فاستر علينا بملوك عنها، وتركك عقوبتنا عليها.

(٢٠٧:٣)

الآلوسي: والمراد من الذنوب: الكبائر والصغائر.

(١٠٢:٣)

٢- رَبُّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَصُرِّحْ لَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

آل عمران: ١٤٧

الطبري: معناه هاهنا: اغفر لنا ذنوبنا الصغار منها، وما أسرفنا فيه منها، فتخطينا إلى العظام. وكان معنى الكلام: اغفر لنا ذنوبنا، الصغائر منها والكبائر.

(٤٦٤:٣)

الفخر الرازي: قال القاضي: إِنَّمَا قَدَّسُوا قُلُوبَهُمْ

﴿رَبُّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ لِأَنَّهُ تَعَالَى

لَا ضَمِيرَ الثَّغِيرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، لِذَا لَمْ تَحْصُلِ التَّصَرُّفُ

و ظَهَرَ أَمَارَاتُ اسْتِغْلَاءِ الْعَدُوِّ، دَلَّ ذَلِكَ ظَاهِرًا عَلَى

صُدُورِ ذَنْبٍ وَ تَقْصِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلِهَذَا الْمَعْنَى يَجِبُ

عَلَيْهِمْ تَقْدِيمُ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ عَلَى طَلَبِ الثَّغِيرَةِ.

فَبِمَنْ تَعَالَى أَتَاهُمْ يَدْعُوا بِالتَّوْبَةِ عَنْ كُلِّ الْمَعَاصِي، وَهُوَ

المراد بقوله: ﴿رَبُّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾، فَدْخَلَ فِيهِ كُلُّ

الذنوب، سواء كانت من الصغائر أو من الكبائر.

(٢٨:٩)

أبو حيان: و ﴿ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ مَقَارِبَانِ مِنْ

حَيْثُ الْمَعْنَى، فَجَاءَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّأَكُّدِ وَقِيلَ:

الذنوب ما دون الكبائر، والإسراف الكبائر.

وقال أبو عبيدة: الذنوب هي الخطايا، وإسرافنا.

أي تفرطنا، وقال المصطك الذنوب هام، والإسراف

(٧٥:٣)

الكاشاني: أضافوا الذنوب والإسراف إلى

أنفسهم هضمًا لها، وإضافة لما أصابهم إلى سوء

(٣٦٠:١)

أعمالهم، واستغفروا عنها.

(١٠٧:٢)

البروسوي: أي صغائرنا.

(٨٤:٤)

مثله الآلوسي:

رشيد رضا: هو الدعاء بأن يغفر الله لهم بجهادهم،

ما كانوا السَّوَابِغَ مِنَ الذَّنُوبِ وَالتَّقْصِيرِ فِي إِقَامَةِ

السُّنَنِ، أَوِ الْوُقُوفِ عِنْدَ مَا حَدَّثَتْهُ الشَّرَائِعُ، وَإِسْرَافَنَا

فِي أَمْرِنَا بِالْغُلُوفِ فِيهِ، وَتَجَاوُزِ الْحُدُودِ الَّتِي حَدَّثَتْهَا

السُّنَنِ.

(١٧٢:٤)

٣- رَبُّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا

أَبْنِ عِيَّاس: الذنوب هي الكبائر، والسيئات هي

الصغائر.

(أبو حيان ٣: ١٤٢)

نحوه الرَّمْثُورِيُّ (١: ٤٨٩)، وَالْخَازَن (١: ٣٩٢)

وَالشَّرِيفِي (١: ٢٧٥)، وَأَبُو السُّعُود (٢: ٨٦)،

وَالْبُرُوسُوي (٢: ١٤٨).

البيضاوي: كبائرنا، فإنها ذات تبعة.

(١٩٩:١)

السيبوري: وأما الذنوب والسيئات فمبطل:

هما واحد، والتكرار للتأكيد والإلحاح، إن الله يحب

الملتزمين في الدعاء.

وقيل: الأول الكبائر، والثاني الصغائر.

وقيل: الأول أريد به ما تقدم منهم، والثاني المستأنف.

وقيل: الأول ما أتى به الإنسان مع العلم بكونه معصية وذنبا، والثاني ما أتى به مع الجهل بكونه ذنبا.

(١٥٣: ٤)

نحوه: الألوحي.

[أبو حيان: (نقل قول ابن عباس وأدام]

ويؤيده: «إِنْ كُتِبُوا كِتَابًا مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ كُفْرٌ عَنْكُمْ نَبَأُكُمْ» النساء: ٣١، وقيل: الذنوب: ترك

الطاعات، والسيئات: فعل المعاصي. (١٤٢: ٣)

الشوكانبي: المراد بالذنوب هنا: الكبائر.

وبالسيئات: الصفات. والظاهر: عدم اختصاص أحد

اللفظين بأحد الأمرين. والآخر بالآخر، بل يكون

المصنف في الذنوب والسيئات واحدا، والتكرير

للمبالغة والتأكيد، كما أن معنى الغفر والكفر: المنحرف

(٥٢٢: ١)

محمد عبده: أن الذنوب: هي التصير في عبادة

الله تعالى وكل معاملة بين العبد وربّه، والسيئات: هي

التصير في حقوق العباد، ومعاملة الناس بعضهم

بعضا. فالذنوب معناه القطيعة، وأما السيئة فهي ما

يسوء. (رشيد رضا: ٤: ٣-٢)

ابن عاشور: أرادوا بالذنوب: ما كان قاصرا

على ذواتهم، ولذلك طلبوا مغفرته، وأرادوا من

السيئات: ما كان فيه حق الناس، فلذلك سألوا

تكفيرها عنهم. وقيل: هو مجرد تأكيد، وهو حسن.

وقيل: أرادوا من الذنوب: الكبائر، ومن

السيئات: الصفات، لأن اجتساب الكبائر يكفر

الصفات، بناء على أن الذنب أدل على الإثم من

السيئة. (٣: ٣١٠)

١- قالوا يا أيها الله استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين.

يوسف: ٩٧

راجع: غ ف ر: «استغفر».

٥- فاستغفروا بذنوبنا فهدنا إلى صراطك المستقيم.

المؤمن: ١١

راجع: غ ف ر: «اعترفنا».

ذُنُوبًا - ذُكُوبًا

فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُكُوبًا مِثْلَ ذُكُوبِ أَصْحَابِهِمْ

لَا يَسْتَعْجِلُونَ. (الذاريات: ٥٩)

ابن عباس: عذابا يصفه على أمر بعضه مِثْلَ

ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ مِثْلَ عَذَابِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ.

(٤٤٣)

ذُلُول. (الطبري: ١١: ٤٧٧)

سعيد بن جبير: سَجَلًا من العذاب.

(الطبري: ١١: ٤٧٧)

نحوه: سَجَاد و قَتَادَة.

التخمي: طرفا من العذاب.

(الطبري: ١١: ٤٧٨)

سُجَّاد: يعني سبلا.

(المأوردي: ٥: ٣٧٥)

الحصن: دلوا مثل دلوا أصحابهم.

(الطبري: ١١: ٤٧٧)

عطاء: عذاباً مثل عذاب أصحابهم.

(المائدة: ٥ : ٣٧٥)

نحوه قتادة. (الطبري: ١١ : ٤٧٨)

قتادة: سَجَلًا من عذاب الله. (الطبري: ١١ : ٤٧٨)

ابن زيد: يقول: ذنوباً من العذاب، يقول: لهم سَجَل من عذاب الله، وقد فعل هذا بأصحابهم من قبلهم، فلهم عذاب مثل عذاب أصحابهم فلا يستعجلون. (الطبري: ١١ : ٤٧٨)

الفرامة: والذنوب في كلام العرب: الدلو العظيمة، ولكن العرب تذهب بها إلى التصيب والحظ. وبذلك أتى التفسير: فإن للذين ظلموا حظاً من العذاب، كما نزل بالذين من قبلهم. [ثم استشهد بشر]

والذنوب: يُذكر، ويؤثت. (٣ : ٩٦)

نحوه الزجاج (٥ : ٥٩)، والطبرسي (٥ : ١٦٦).

أبو عبيدة: أي نصيباً، وإنما أصلها من الذنوب والذنوب والسجل واحد، وهو ميلء الدلو وأقل قابلاً. [واستشهد بالشعر مرتين] (٢ : ٢٢٨)

ابن قتيبة: والذنوب: الحظ والتصيب، وأصله: الدلو العظيمة، وكانوا يستقون، فيكون لكل واحد ذنوب، فجعل الذنوب مكان الحظ والتصيب، على الاستمارة. (٤٢٣)

الطبري: يقول تعالى ذكره: فإن للذين أشركوا بالله من قریش وغيرهم ذنوباً، وهي الدلو العظيمة، وهو السجل أيضاً إذا ملئت أو قاربت العمل، وإنما أريد بالذنوب في هذا الموضع: الحظ والتصيب. [واستشهد بالشعر مرتين]

ومعنى الكلام: فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيباً وحظاً نازلاً بهم، مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم، على منهاجهم من العذاب، فلا يستعجلون به. (الطبري: ١١ : ٤٧٧)

نحوه الواحدي (٤ : ١٨٢)، والبهوي (٤ : ٢٨٩)،

والنقدي (٩ : ٣٢٤)، والهازمي (٦ : ٢-٦).

أحدها: [قول عطاء]

الثاني: [قول مجاهد]

الثالث: [قول ابن عباس]

الرابع: يعني بالذنوب: التصيب. (٥ : ٣٧٥)

الطوسي: أي نصيباً، وأصله: الدلو الممتلئ ماءً.

[ثم استشهد بشر]

والجمل: قيل: الذنوب: ذنوب، لأنها في طرف الجمل، كذا في [الذنوب] وقيل: مضاء: لهم بلاء وويل. والذنوب الدلو العظيمة يؤثت ويذكر. وقوله: [مثلاً] ذنوب أصحابهم أي مثل نصيب أصحابهم من الكفار الذين تقدموهم. (٩ : ٣٩٩)

الطبري: لهم نصيب من العذاب مثل نصيب من سلف من أصحابهم من الكفار، فلم يستعجل العذاب والعذاب لن يؤثتهم؟ (٦ : ٣٨)

الزمخشري: الذنوب: الدلو العظيمة، وهذا تمثيل، أصله في السقاء يتقسمون الماء، فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب. [ثم استشهد بشر]

والمعنى: فإن الذين ظلموا رسول الله ﷺ بالكذب من أهل مكة، لهم نصيب من عذاب الله مثل



التي يأخ [ذونها من الماء. ] ثم استشهد بشعر

(٤٨: ٢٧)

عبد الكريم الخطيب: والذئوب: الذئول، أو السبجل، يلا ماء، والمراد به هنا ذئوب مملوء عذاباً هؤلاء الظالمين، مثل ما يخلأ لأصحابهم الذين سبقوهم من أهل الضلال، وذلك على عادة العرب في الاستقاء من الآبار، حيث يتساجلون، فيخلأ هذا دلو، والآخر دلو.

فضل الله: وهي الذئول المملوء ماء في ما قيل. ﴿مِثْلُ ذُئُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ وهو كناية عن الوعاء المعنوي الذي يشتمل على المعاصي التي تقودهم إلى نار جهنم، فلا فرق بين الجمل القديم والجمل الجديد من الكافرين والمشركين، بما يجعلهم متساوين في النتائج السلبية الحاصلة من ذلك.

(٢١: ٢٣٧)

## الْوُجُوهُ وَالنَّظَائِرُ

الحيري: الذئوب على أربعة أوجه:

أحدها: التكذيب كقوله في آل عمران: الآية:

١١، والمؤمن: الآية: ٢١، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ بِذُكُوبِهِمْ﴾

وقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ بِذُكُوبِهِمْ وَالنَّافَاةِ الْأَنْعَامِ: ٩﴾

والثاني: الذئوب سوى الشرك، كقوله: ﴿وَمَنْ

يَقْرِ الذُّكُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ آل عمران: ١٣٥، وقوله: ﴿إِنْ

اللَّهُ يَقْرِ الذُّكُوبَ جَمِيعًا﴾ الزمر: ٥٢.

والثالث: الشرك وغير الشرك، كقوله في نوح

الآية: ٤: ﴿يَقْرِ لَكُمْ مِنْ ذُكُوبِكُمْ وَيُخْرِجُكُمْ﴾

والرابع: العذاب، كقوله وهو ينصب النال:

﴿ذُكُوبًا مِثْلَ ذُئُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾. الذَّارِيَات: ٥٩.

(٢٥٥)

## الأصول اللغوية

١ - الأصل في هذه المادة: الذئب: ذئب الحيوان، والجمع: أذئاب.

وذئب الثعلب: ثبت على شكل ذئب الثعلب.

وذئب الفرس: نجم على شكل ذئب الفرس.

وأذئاب الخيل: عُشْبَةٌ تُعَمِّدُ عَصَارَتَهَا عَلَى الثَّيْبِ.

والذئبان: ذئب الطائر خاصة. ومَنِيَتِ الذَّئْبُ، وهو الذئبي والذئبي أيضاً.

والذئب: الذئب الطويل.

والذئب: الضئ. يقال: ذئب الضئ، أي أخرج

الضئ من أعنف الجحر ورأسه في داخله، وذلك في الحرة،

وقد ذئب ذئباً، إذا ضرب بذئبه.

وضئب أذئب: طويل الذئب.

وذئب الجراد: الفرائس والضباب، إذا أرادت

التقاطه واليهض، فقرزت أذئبها.

والذئوب: الفرس الوافر الذئب، والطويل

الذئب، وفي الحديث: «كان فرعون على فرس ذئوب».

وفرس مذئب، وقد ذئبت، إذا وقع ولدها في

القحط، ودنا خروج السقي، وأرتفع عشب الذئب

وعلق به، فلم يحدروه.

والمستذئب: الذي يكون عند أذئاب الإبل،

لا يفارق أثرها.

وَذَنْبُهُ يَذْنِبُهُ وَيَذْنِبُهُ وَاسْتَذْنِبُهُ: تَلَا ذَنْبَهُ فَلَا يَفَارِقُ أَثَرَهُ.	بِاتِّبَاعِهِ.
وَالذَّنْبَابُ: خِيَطٌ يُشَدُّ بِهِ ذَنْبُ الْبَحِيرِ إِلَى حَقْبِهِ، لِتَلَا يَخْطُرَ يَذْنِبُهُ، فَيَعْلَأُ رَاكِبَهُ.	وَالذَّنْبَابُ: الْقَائِلُ لِلشَّيْءِ عَلَى أَثَرِهِ. يُقَالُ: هُوَ يَذْنِبُهُ أَيَّ يَتَّبِعُهُ.
وَالذَّنْبُ: الْخَرُّ كُلُّ شَيْءٍ وَعَقِبُهُ، عَلَى التَّشْبِيهِ، وَهُوَ الذَّنْبَابُ أَيْضًا.	وَالذَّنْبُ الْمَعْتَمُ: ذَنْبٌ عَمَامَتُهُ؛ وَذَلِكَ إِذَا أَفْضَلَ مِنْهَا شَيْئًا فَأَرْخَاهُ كَالذَّنْبِ.
وَمِنْهُ: ذَنْبُ الْبُشْرَةِ وَغَيْرُهَا مِنَ الثَّمَرِ: مُؤَخَّرُهَا.	وَالذَّنْبِيُّ: ضَرْبٌ مِنَ الْبُرُودِ، كَأَنَّهُ لَهُ ذَنْبًا.
يُقَالُ: ذَنْبَتِ الْبُشْرَةُ فَهِيَ مُذْنَبَةٌ، أَيْ وَكُنْتُ مِنْ قِبَلِ ذَنْبِهَا.	وَذَنْبَةُ الْعَيْنِ وَذَنْبَاهَا وَذَنْبُهَا: مُؤَخَّرُهَا.
وَالذَّنْبُوبُ: الْبُشْرُ الَّذِي قَدْ بَدَأَ فِيهِ الْإِرْطَابُ مِنْ قِبَلِ ذَنْبِهِ؛ وَاحِدَتُهُ: ذَنْبُوبَةٌ.	وَذَنْبَةُ الطَّرِيقِ: وَجْهُهُ، وَهُوَ الذَّنْبَانِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ مَاتَ عَلَى ذَنْبَانٍ طَرِيقٌ لَهُ مِنْ أَهْلِهِ».
وَذَنْبُ الْوَادِي وَالنَّهْرِ وَذَنْبُهُ وَذَنْبَانُهُ:	يَعْنِي عَلَى قَصْدِ طَرِيقٍ.
آخِرُهُ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ سَبِيلُهُ، وَجَمْعُ	وَذَنْبَةُ الثَّلَجِ: أَنْفُهَا.
الذَّنْبِ: أَذْنَابُ. وَجَمْعُ الذَّنْبَابِ وَالذَّنْبَابِ ذَنْبَابُ.	وَالذَّنْبُوبُ: الْأَلْبَةُ وَالْمَأْكَمُ.
وَمِذْنَبُ النَّهْرِ: بَحْرَاهُ، وَجَمْعُ: مِذْنَابُ.	وَالذَّنْبُوبُ: الْبُشْرُ الَّذِي قَدْ بَدَأَ فِيهِ الْإِرْطَابُ مِنْ قِبَلِ ذَنْبِهِ؛ وَاحِدَتُهُ: ذَنْبُوبَةٌ.
وَالْمِذْنَبُ: مَسِيلٌ مَا بَيْنَ الثَّلَجَيْنِ، وَهُوَ الذَّنْبَابُ أَيْضًا.	وَالذَّنْبُوبُ: الْبُشْرُ الَّذِي قَدْ بَدَأَ فِيهِ الْإِرْطَابُ مِنْ قِبَلِ ذَنْبِهِ؛ وَاحِدَتُهُ: ذَنْبُوبَةٌ.
وَالْمِذْنَبَةُ وَالْمِذْنَبُ: الْمُرْقَعَةُ، لِأَنَّ لَهَا ذَنْبًا أَوْ تَبَهُ الذَّنْبِ، وَجَمْعُ: مِذْنَابُ.	وَالذَّنْبُوبُ: الْبُشْرُ الَّذِي قَدْ بَدَأَ فِيهِ الْإِرْطَابُ مِنْ قِبَلِ ذَنْبِهِ؛ وَاحِدَتُهُ: ذَنْبُوبَةٌ.
وَذَنْبُ الرَّجُلِ: اتِّبَاعُهُ، عَلَى الْمَثَلِ. يُقَالُ: جَاءَ فُلَانٌ يَذْنِبُهُ، أَيْ بِاتِّبَاعِهِ؛ وَجَمْعُ: أَذْنَابُ. وَهُمْ الذَّنْبَانِ أَيْضًا.	وَالذَّنْبُوبُ: الْبُشْرُ الَّذِي قَدْ بَدَأَ فِيهِ الْإِرْطَابُ مِنْ قِبَلِ ذَنْبِهِ؛ وَاحِدَتُهُ: ذَنْبُوبَةٌ.
وَأَذْنَابُ النَّاسِ وَذَنْبَانُهُمْ: أَتْبَاعُهُمْ وَمُؤَلَّفَتُهُمْ دُونَ الرُّؤَسَاءِ، كَأَنَّهُمْ مُقَابِلُ الرُّؤُوسِ، وَهُمْ الْمُقَدَّمُونَ. وَفِي حَدِيثِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ضَرْبٌ يَضْرَبُ الَّذِينَ يَذْنِبُهُ»، أَرَادَ أَنَّهُ يَضْرَبُ، أَيْ يَسِيرُ فِي الْأَرْضِ ذَاهِبًا	وَالذَّنْبُوبُ: الْبُشْرُ الَّذِي قَدْ بَدَأَ فِيهِ الْإِرْطَابُ مِنْ قِبَلِ ذَنْبِهِ؛ وَاحِدَتُهُ: ذَنْبُوبَةٌ.



شره.

وركب فلان ذئب الريح، إذا سبق فلم يترك.

وركب ذئب البعير، إذا رضي بحظ ناقص.

والذئب: الإثم والجرم، المعصية، لأنه يتبع عقابه

فاعله ويضربه في عقباه، ولذا قيل نونه، والجمع: ذئوب، وقد أذئب الرجل.

٢ - وقال السيد علي خان المدني: «الذئب:

الذكر، يقال للشهيق: استرخى ذئبه، فتر ذكره، وانحلت غري ذئبه: عروى ذئبه»<sup>(١)</sup>

وقوله أشبه بكلام المولدين، وهو مردود في اللغة.

قال السيوطي: «أجمعا على أنه لا يحتاج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية»<sup>(٢)</sup>

ولو كان معروفا في اللغة، لوضع له أهل اللغة

فعلًا، كما فعل الفيروز آبادي في «ذكر»<sup>(٣)</sup>

«ذكر» أبا الفتح: ضربه على ذكره، وقوله: «على قياس ما جاء في هذا الباب»،

يريد نحو قوم: أنفه، ضرب أنفه، وظهره: ضرب ظهره، وهكذا دواليك. وهذا سائق في اللغة قال المازني: «ما

قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»<sup>(٤)</sup>

وجاء في اللغة خمس نظائر للذكر، وليس منها

الذئب، وهي: الأثيم، والزئب، والأداف، والجسردان،

والفرثول، ولا يستعمل فيها أفعال سوى الأول. يقال

(١) الطراز الأول «ذكر».

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو (٧٠).

(٣) المصدر السابق (١٠٨).

منه: أَرَّ الرجل خلقه يؤذرها، وأَرَّها يثيرها أَرًّا، إذا جامها.

## الاستعمال القرآني

جاء منها اسم المصدر مفردًا (ذئب) ١١ مرة،

وجمعًا (ذئوب) ٢٧ مرة، واسمًا (ذئوب) مرة، في ٣٧ آية.

وهي قسمان: ذئب مع الفزان وبدونه:

١ - ذئب مع الفزان:

١ - «غافر الذئب وقابل الثوب شديد العقاب

ذی الطول لا إله إلا هو إله النصير» المؤمن: ٣

٢ - «ليغير لك الله ما تقدم من ذكرك وما تاحر

نسيم نفثته غليله ويهين لك صراطا مستقيما»

الفتح: ٢

٣ - «قل يا أيها الذين آمنوا فاجتنبوا ظنونا أنفسكم

ذكروا الله فاستغفروا الذئوبهم ومن يغير الذئوب إلا

الله وكنم يصيروا على ما فعلوا وهم يعلمون»

آل عمران: ١٣٥

٤ - «قل يا أيها الذين آمنوا غفروا على أنفسكم

لا تظنوا من رحمة الله إن الله يغفر الذئوب جميعا إله

هو الغفور الرحيم» الزمر: ٥٣

٥ - «قل إن كنتم تحبون الله فأطيعوا ما يأمركم الله

ويطيعوا رسلكم والله غفور رحيم»

آل عمران: ٣١

٦ - «قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات

والأرض يدعوكم ليغير لكم من دئوبكم ويؤخركم

١٥ - ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ  
إِلَّا تُكَلِّمَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ يوسف: ٢٩

١٦ - ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ  
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْغُصِيِّ وَالْإِنْكَارِ﴾ المؤمن: ٥٥

١٧ - ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ  
لِلذَّنْبِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ  
وَمُنْكَرَكُمْ﴾ محمد: ١٩

١٨ - ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْنَا ذُنُوبَنَا كُلًّا  
وَعَنْكَ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْنَا ذُنُوبَنَا كُلًّا﴾ يوسف: ٩٧

خاطبين ﴿

٢ - ذنب بلا عقران:

١٩ - ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ لَمَّا خَالَفُوا لَنْ يَتَّقُوا﴾

الشعراء: ١٤

٢٠ - ﴿وَإِذَا اللَّوْذُ تَسَلَّتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾

الذكور: ٩، ٨

٢١ - ﴿فَكُلَّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ  
عَذَابًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذْنَا الصَّحْفَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلْنَا بِهِ  
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَضْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ  
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الضكوت: ٤٠

٢٢ - ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْغِلُ عَنْ ذَنْبِهِ السَّوْءَ وَلَا جُنَانٌ﴾

الرحمن: ٣٩

٢٣ - ﴿فَاعْرِضْ عَاكِفِيهِمْ قَسَحًا لَا صَحَابَ  
السَّعِيرِ﴾ الملك: ١١

٢٤ - ﴿فَكَذَّبُوا فَعَزَّوْهُمَا فَتَعَدَّمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ  
بِذُنْبِهِمْ فَضَوَّاهَا﴾ الشمس: ١٤

٢٥ - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَكُنْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ عَابِدٌ خَيْرٌ مِنَ الْإِسْرَاءِ﴾

الأنعام: ١٧

إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَعِزُّوا نَفْسَكُمْ  
تَعَصُّوْنَا هُمْ كَانُوا يَحْذَرُونَ فَأَعِزُّوا نَفْسَكُمْ تَعَصُّوْنَا هُمْ كَانُوا يَحْذَرُونَ

إبراهيم: ١٠

٧ - ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ  
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْعَلَ مِنْ خَلْقِكُمْ لَكُمْ مِنْ خَلْقِكُمْ

الأحقاف: ٣١

٨ - ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُزَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ  
مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾

نوح: ٤

٩ - ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُعْزِزْكُمْ بِجَلَّتْ قُدْرَتُهُ  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَتَّكِنَ طَيْفَةً فِي جَهَنَّمَ عَذَابُ ذَلِكَ

الفرز العظيم ﴿

الصفت: ١٢

١٠ - ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَسْمَاءَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

الأحرار: ١٢

١١ - ﴿وَالْحَرُونَ أَهْلُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا  
صَالِحًا وَآخَرًا سَبَّحْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ أَنْ يَحْشُرَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ

غفورٌ رحيم ﴿

١٢ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ  
الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا قَوْمُكُمْ لَعَنُوا فِي سَبِيلِهَا اللَّهُ وَالْآلَاءُ

الأنعام: ١٦

١٣ - ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا  
ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى

الأنعام: ١٤٧

١٤ - ﴿وَرَبَّنَا إِنَّا أَمَّا آتَاكُم بِإِشَارَةٍ فَلَا جُنَانَ فِي  
أَفْئِدَتِنَا وَلَكِنْ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَعِزِّدْنَا وَكَبِّرْ عَالِيَنَا

سَبَّحْنَا وَكَبَّرْنَا عَالِيَنَا وَكَبَّرْ عَالِيَنَا وَكَبَّرْ عَالِيَنَا

آل عمران: ١٩٣

٢٦ - ﴿وَكُتِلَ عَلَى النَّحْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبَّحَ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبَ عِبَادٍ ذُنُوبِهِمْ﴾ الفرقان: ٥٨  
 ٢٧ - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَلْفُظُونَ مِنْ بَشَاءٍ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

المائدة: ١٨

٢٨ - ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْلِبْ آلَ الْكُفْرِ وَزَجِّرْ فِي الْأَرْضِ الْأَشْقَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْآيَاتِ وَالْحَقِّ﴾ فاطر: ٢٨  
 فاطر: ٢٨ - ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْلِبْ آلَ الْكُفْرِ وَزَجِّرْ فِي الْأَرْضِ الْأَشْقَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْآيَاتِ وَالْحَقِّ﴾

المؤمن: ١١

٢٩ - ﴿كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ آل عمران: ١١  
 ٣٠ - ﴿وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ حُدُودِ اللَّهِ وَمَنْ يُفْتِنِكَ مِنْ بَعْضِ مَا كَتَبْنَا فِي الْكِتَابِ فَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

٣١ - ﴿وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ حُدُودِ اللَّهِ وَمَنْ يُفْتِنِكَ مِنْ بَعْضِ مَا كَتَبْنَا فِي الْكِتَابِ فَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة: ٤٩  
 ٣٢ - ﴿وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ حُدُودِ اللَّهِ وَمَنْ يُفْتِنِكَ مِنْ بَعْضِ مَا كَتَبْنَا فِي الْكِتَابِ فَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنعام: ٦  
 ٣٣ - ﴿وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ حُدُودِ اللَّهِ وَمَنْ يُفْتِنِكَ مِنْ بَعْضِ مَا كَتَبْنَا فِي الْكِتَابِ فَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأعراف: ١٠٠

الأنعام: ٦

٣٤ - ﴿وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ حُدُودِ اللَّهِ وَمَنْ يُفْتِنِكَ مِنْ بَعْضِ مَا كَتَبْنَا فِي الْكِتَابِ فَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأعراف: ١٠٠  
 ٣٥ - ﴿وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ حُدُودِ اللَّهِ وَمَنْ يُفْتِنِكَ مِنْ بَعْضِ مَا كَتَبْنَا فِي الْكِتَابِ فَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأعراف: ١٠٠

الأعراف: ١٠٠

كُتِرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَاحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال: ٥٢

٣٤ - ﴿كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَاهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْزَلْنَاهُمْ فِي فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ الأنفال: ٥٤

٣٥ - ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَهَنَّمَ وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القصص: ٧٨

٣٦ - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدُّ مِيلًا قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَاحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ المؤمن: ٢١  
 ٣٧ - ﴿فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَلْيَسْتَفِزُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٢١

٣٨ - ﴿فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَلْيَسْتَفِزُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٢١  
 ٣٩ - ﴿فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَلْيَسْتَفِزُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٢١  
 ٤٠ - ﴿فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَلْيَسْتَفِزُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٢١

٤١ - ﴿فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَلْيَسْتَفِزُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٢١  
 ٤٢ - ﴿فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَلْيَسْتَفِزُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٢١  
 ٤٣ - ﴿فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَلْيَسْتَفِزُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٢١

٤٤ - ﴿فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَلْيَسْتَفِزُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٢١  
 ٤٥ - ﴿فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَلْيَسْتَفِزُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٢١  
 ٤٦ - ﴿فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الظُّلْمِ فَلْيَسْتَفِزُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٢١

المؤمن: ٢١

والفرق بينهما أن قبول التوبة ملازم للاعتراف بالذنب، فإن من يتوب عن ذنبه يحترف به ويرجع عنه. وأما مجرد غفران الذنب لا يلزم الاعتراف به، لأن غفران الذنب فعل الله، والاعتراف به فعل العبد، إلا أن يأتي الغفران عقيب الاستغفار، فإن الاستغفار للذنب ملازم للاعتراف به، كما أنه ملازم للتوبة لو لم يكن عيتها. وهذا مثل الآية (٣): ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فهي جميع آيات الاستغفار اعتراف بالذنب وتوبة عنه.

٢- وقد جاء الاعتراف بالذنب صريحاً في (١١) ﴿وَالَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ و (١٨): ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْنَا ذُنُوبَنَا كُلًّا غَاطِبِينَ﴾ و (٢٣): ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِاصْتِحَابِ الشَّعِيرِ﴾ و (٢٨): ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَنْتَ أَنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْتَ أَنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾

لكن بينها فرق، فإن الاعتراف بالذنب في (٣) و (١٨) جاء مع الاستغفار عنه في الحياة الدنيا حكاية عن المؤمنين، فمضمونها وعد، أما في (٢٣) و (٢٨) فهو في الآخرة حكاية عن الكافرين من دون الاستغفار، فمضمونها وعيد.

٣- قد جاء الاستغفار بلفظه في أربع منها (١٥) - (١٨): ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ و ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ و ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وفي ثلاث: (١٢ - ١٤) بلفظ الطلب والأمر: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ و ﴿رَبَّنَا غْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ و ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ فهي داخلة في الاستغفار.

و جاء في واحدة بلفظ الخطاء (١٨) ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا غَاطِبِينَ﴾ وقد جاء هذا اللفظ مرة أخرى حكاية عن فرعون لامرأته (١٥): ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِي ذَنْبِيَ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لكنه ليس اعترافاً منها، بل أمر لها بالاعتراف.

٤- وجاء الاستغفار - كما سبق - مع الغفران في آية (٣) ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

٥- وكما جاء الغفران والاستغفار معاً في الآية جاء مع أمر أو أمر مطلوبية أخرى لازمة لهما غالباً: فجاء الغفران مع إقام التوبة والهداية إلى صراط مستقيم في (٢): ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وجاء مع التوبة عن القنوط من رحمة الله في (٤): ﴿وَقُلْ لِمَنْ حَسِبَ أَنَّ تِلْكَ الْحَسَنَاتِ كَالْظُلُمِ الْأَعْمَى﴾ و قيل: إن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله.

و جاء مع حب الله للمؤمنين المحبين لله تعالى في (٥) ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

و جاء مع تأخير المؤمنين إلى أجل مسمى في آيتين (٦) ﴿يَدْعُوكُمْ لِتَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ و (٨) ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وما جاء فيما قبلها في الآية ٢ و ٣ من السورة من الإنذار والعبادة والتقوى والطاعة أسبابهما أيضاً: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِيَّيْكُمْ تَذِيرٌ

مُبين ﴿لَنْ اَعْتَبُوا اللَّهَ وَالْقُوَّةَ وَاطِيعُونَ﴾

على ما فعلوا.

وجاء مع إصلاح الأعمال في (١٠) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، وإصلاح الأعمال مقارن وملازم للغفران.

أما الإيمان، والتقوى، والقول السديد، وطاعة الله ورسوله للذكورة قبلهما وبعدهما فهي أسباب لهما وإن توجد ملازمة بين الجميع في أغلب الأحوال.

وجاء مع إجراء العذاب في (٧) ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وإجابة داعي الله والإيمان به فيها أيضًا سببان لهما.

وجاء مع إدخال الجنة ومساكن طيبة في (١١) ﴿تُؤْتُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْجَبْتُمْ لِكُلِّ حَقٍّ بِأَمْرِكُمْ وَالْفُسُكُ ذِكْرُكُمْ لَكُمْ أَنْ تَقْلَمُونَ • يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ﴾، والإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله قبلهما من أسباب الغفران، وإدخال الجنة أيضًا.

وجاء مع الرحمة في (١١) ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وجاء مع ذكر الله في (٣) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَقْلَمُونَ﴾، وذكر الله فيها ملازم للاستغفار والغفران وسبب لهما أيضًا، وكذلك عدم إصرارهم

وجاء مع طلب الوقاية من عذاب النار في (١٢) ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْتَمْنَا فَارْغُفْ رَحْمَةً لَنَا ذُكُوبَنَا وَتَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، والإيمان سبب للغفران، والوقاية من عذاب النار نتيجة له.

وجاء مع غفران إسرارهم في أمرهم في (١٢) ﴿قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾.

وجاء مع تكفير سيئاتهم، والتقوى مع الإبرار في (١٤) ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَثَرِ﴾.

٦ - قد عبر الله - في كثير من هذه الآيات وغيرها - بما يأتي في «غ ف ر» - عن غفله على المباد بها لفضول ذنوبهم و سيئاتهم بلفظ «الغفران» - وقد يتر عنه بالفاظ أخرى:

أ - إظهار قوة عليهم (١١) ﴿وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفِّرَ عَنْهُمْ﴾، وظيها كثير في القرآن، وهو بمعنى قبول القوة، كما قال في (١) ﴿قَابِلِ التَّوْبِ﴾.

ب - إصلاح الأعمال (١٠) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

ج - تكفير السيئات (١٤) ﴿وَوَكَّفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾، وظيها كثير في القرآن.

د - التجاء من العذاب (٧) ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، ومثله: ﴿وَكَيْفَ تَأْتِيهِمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ هود: ٥٨، و ﴿عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الصفة: ١٠.

هـ - إدخال الجنة (٩) ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

السبعة مثل (١٤): ﴿فَاعْبِرْ لَكَ ذُنُوبًا وَكَثِيرٌ غَلَا سَيِّئَاتِكُمْ﴾ لاحظ: «السبعة».

٨ - قد نُسب الذنب إلى بعض الأنبياء في آيات، وهو منافي لعصمتهم. فجاء في (١٩) حكاية من موسى عليه السلام: ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَلْبٍ فَأَعْلَفَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا﴾ وفي (٢) و (١٦) و (١٧) خطاباً إلى النبي صلى الله عليه وآله: ﴿يَقْبِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ و ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَلْبِكَ﴾ و ﴿فَاغْلَمْ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَلْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾. لاحظ: «غفر» تفسير هذه الآيات، ولاحظ: الخصوص هنا.

٩ - قد جاء في ثلاث منها ﴿يَقْبِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ بإضافة (من) وهي: (٦) ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلَبَّى اللَّهُ شُكُّكَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يذبح لكم يقبر لكم من ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

(٧) ﴿يَا قَوْمِ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّكُمْ مِمَّنِ ابْتِغَى الْفِتْنَةَ﴾ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرُكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِهَةٍ. (٨) ﴿يَقْبِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى...﴾.

والأولى حكاية عن الرسل، والثانية حكاية عن نفر من الجن، والثالثة حكاية عن نوح عليه السلام وقد أفرطوا في البحث عن (من) هذه، وذكروها وجوهاً: ١ - (من) بمعنى «عن» كما يقال: اشتريت من ماء شربته. وعن ماء شربته، وكأنه جاء في الكلام: ﴿يَقْبِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، ومن أذناكم، وأشكل عليه بأن

من لحيها الألفار، وتظيرها كثير في القرآن.

٧ - وكذلك يُعبر عن عذابهم بلفظ العذاب كثيراً، مثل (٢٧): ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ وقد يعبر عنه بالفاظ أخرى:

أ - الإصابة (٣٠): ﴿وَاللَّامِيزُ بَدَأَ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَغْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ و (٣٢): ﴿أَنْ لَوْ تَشَاءُ أَصِيبَاكُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

ب - الأخذ (٢١): ﴿فَكَفَّلَا أَخْذًا بِذُنُوبِهِمْ﴾ و (٢٩) و (٣٣) و (٣٦): ﴿فَاغْلَظْهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

ج - الإهلاك (٣١) و (٣٤): ﴿فَاغْلَظْكُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

د - العقاب (١): ﴿شَدِيدَ الْعِقَابِ﴾ وتظيرها كثير. هـ - لا يسأل عن ذنبه (٢٢): ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾. و - السؤل عن ذنبه (٢٠): ﴿وَإِذَا الْمَوْءِذَةُ نَسَتْ﴾. هـ - بأي ذنب قُتِلتُ.

ذ - ح - الذمذم والتسوية (٢٤): ﴿قَدْ مَدَدَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَدَيْهِمْ فَصَوَّبَ﴾.

ط - ي - السحق، وكونه من أصحاب السحير (٢٣): ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّحِيرِ﴾.

ك - ل - الله كافٍ بذنوبهم وهو خير بصير بهم (٢٥): ﴿وَكُنِيَ يَنْتَظِرُكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ طَائِفًا﴾ و (٢٦): ﴿وَكُنِيَ يَوْمَئِذٍ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾.

فالعذاب جاء بقريب من عشرة ألفاظ، بل أكثر - مع أن القرآن جاء بخمسة ألفاظ - تحذيراً عن العصيان، كما أنه قد جاء بدل «الذنب» - أو معه -

«غَفَرَ» لا يتعدى به عن «.

٢ - إنها ( من ) الهائية مثل ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ الحج: ٣٠، وأشكل بأنه ليس هنا جنس مؤنن.

٣ - إنها زائدة، وهي صلة، والمعنى يغفر لكم ذنوبكم وهي نحو كوفي. وأما الخليل وسيّويه فلا يجوز عندهم زيادتها في الواجب.

٤ - إنها للشبه، والمعنى يغفر لكم ذنوبكم السابقة، وهي بعض الذنوب التي تضاف إليهم، فلما كانت ذنوبهم التي يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها مطلقاً، لما في ذلك من الإغراء بالتفريط، فثبت هذا العهد أو أراد يغفر لكم من ذنوبكم المهم الموق الكبير، لأنه أهم عليهم، وبه ربما كان اليأس عن الله قد وقع لهم

٥ - إنها لا ابتداء الغاية، كآله يقول: يستدئ القرآن من هذه الذنوب العظام التي هم ﴿ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ وهذا الوجه جاء في نص الفخر الرازي بنحو آخر، قال: «إن غفران الذنب هو أن لا يؤخذ به في الصغار، فلو قال: «يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» لكان معناه أن لا يؤخذكم بمجموع ذنوبكم، وعدم المؤاخظة بالمجموع لا يوجب عدم المؤاخظة بكل واحد من أحاد المجموع، فله أن يقول: لا أطالبك بمجموع ذنوبك، ولكني أطالبك بهذا الذنب الواحد فقط. أمّا لما قال: ﴿ يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ كان تقديره: يغفر كل ما كان من ذنوبكم، وهذا يقتضي عدم المؤاخظة على مجموع الذنوب، وعدم المؤاخظة أيضاً على كل فرد من أفراد المجموع».

و قد تأثر قائله بفكره الفلسفي، وإلا فلا يفهم أحد من أوساط الناس من يغفر الذنوب غفران المجموع من حيث المجموع. وهذا يوجب وهن الآيات التي جاء فيها ﴿ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ ﴾.

وهذه مقتضات من نصوصهم ذيل الآية (٦)، ومثلها (٨) و (١٠).

والحق أن الله قد بضاعف رحمته وعطاؤه للناس، فيقول (٤): ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾، كما قال لرسوله (٢): ﴿ يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾، وقد يتوسط عطاؤه كما قال في هذه الآيات الثلاث: ﴿ يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾، وقد يفضل عدله على عطائه فيقول: « يغفر لكم ذنوبكم »، ليشمل ذنوبه كلها تحذيراً عن إهمال الناس، فخلله مع عباده مواقف عدة.

وهذا كلها فيما جاء «الذنب» مع «الغفران» في الآيات. أمّا ما جاء مع الاستغفار:

فقد جاء معه التصريح بالخطأ كسبب له في (١٥): ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ إِلَهُكَ كُنْتَ مِنَ الْغَاطِثِينَ ﴾. وجاء مع الصبر، والاعتماد على وعد الله، والتسبيح بحمد الله في (١٦): ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْكَارِ ﴾ فالصبر والاعتماد على وعد الله فيها كالسبب للاستغفار، والتسبيح بحمده كالمقارن له، أو الجميع كاللازم والمقارن للاستغفار.

وجاء مع الاعتقاد بتوحيد الله كسبب له في (١٧): ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَتَحْوِيكُمْ ۖ وَهَذِهِ  
الآيَةُ تَمَازُجُ عَنْ غَيْرِهَا مِنْ آيَاتِ الْاسْتِغْفَارِ لِلذَّنْبِ، بِأَنَّ  
الَّتِي طَرَفُهَا أَمْرُهَا بِالْإِسْتِغْفَارِ لِنَفْسِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ.

وَجَاءَ مَعَ الْإِحْصَاءِ بِالْخَطَا فِي (١٨)؛ ﴿قَالُوا  
يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۖ﴾

المحور الثاني: الذنب بلاغفران ١٩ آية (١٩) -  
(٣٧) وفيها بحث:

(١٩)؛ ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۖ﴾

١ - هذه من جملة آيات المقابلة بين الله وموسى،  
ابتداءً من (١٠)؛ ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ اذْهَبِ الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ۖ﴾ إلى (١٧)؛ ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَقَاتِلِي إِسْرَائِيلَ ۖ﴾

٢ - قالوا جميعاً: ذنبه قتله قبطاً، كان خبازاً لم يحزن  
على قول بعضهم.

وقال ابن عباس: «فصاح يفتلي القبطي»

وقال الزمخشري: «وَنُحْوٍ غَيْرُهُ» - «بمعنى ولهم  
عليّ تبعه ذنب، وهي يهود ذلك القتل، فأخاف أن  
يقتلوني به، فحذف المضاف، أو سمي تبعه الذنب ذنباً  
كما سمي جزاء السيئة سيئة».

وقال ابن عاشور: «وأطلق الذنب على المؤاخذه،  
فلأن الذي لهم عليه هو حق المطالبة بدم القاتل الذي  
وكّزه موسى ققضى عليه، وتوعد القبط إن ظفروا به  
ليقتلوه فخرج من مصر خائفاً، وكان ذلك سبب  
توجهه إلى بلاد مدّين. وسماه ذنباً بحسب ما في شرع  
القبط، فإنه لم يكن يومئذ شرع إلهي في أحكام قتل  
النفس».

ويصح أن يكون سماء ذنباً، لأن قتل أحد في غير  
قصاص ولا دفاع عن نفس المدافع يعتبر جرمًا في  
قوانين جماعات البشر، من عهد قتل أحد بني آدم أخاه  
وقد قال في سورة القصص: ١٥، ١٦؛ ﴿قَالَ هَذَا مِنْ  
عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۖ﴾ قَالَ رَبُّ  
إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ۖ وَأَلْبَسَ مَا كَانَ لَهَا أَنْ يَكُونَ لَهَا  
ذَنْبًا لَهَا عَلَيْهِ ۖ

والتعبير «بأنني ظلمت نفسي» فيها كلام في سورة القصص،  
فلاحظ.

٣ - وقال الفخر الرازي: «هل يدل على صدور  
الذنب منه؟ جوابه: لا، والمراد: لم عليّ ذنب في  
ذمهم».

ونقول: هذا الاجتهاد في مقابل النص، والحق ما  
قال ابن عاشور آنفاً.

وقال ابن عباس: «فصاح يفتلي القبطي»  
هل لها استئناف في حيز القول =

والظاهر أنها عطف على ما قبلها: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي  
أَخَافُ أَنْ يُكَلِّمُنِي رَبِّي﴾ فهي أيضاً مقولة قول مثلها.

(٢٠)؛ ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ﴾  
لاحظ: وأد: الموءودة، و: سأل: «سُئِلَتْ»،  
و: قتلت: «قُتِلَتْ».

(٢١)؛ ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ  
خَاصِيًا... ۖ﴾

وقبلها: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنُ وَقَامَانَ وَلَقَدْ  
جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا  
كَانُوا سَابِقِينَ ۖ﴾ فالمراد بالذنب هو استكبارهم



الباعث على رفض دعوة موسى عليه السلام.

وقال ابن عباس: «في الشرك»، وقال غيره: «بتكذيبه أو بجنائته».

٥ - وفي إعرابها ومفرداتها قال التميمي: «أي بسبب أو مصاحباً لذنبه».

وقال أبو السعود: «أي عاقبته بجنائته لا بعضه دون بعض، كما يشعر به تقديم المفعول - أي (كلًا) -».

وقال ابن عاشور: «أفادت الفاء التفریع على الكلام السابق، لما اشتمل عليه من أن الشيطان زين لهم أعمالهم ومن استكبار الآخرين، أي فكان من عاقبة ذلك أن أخذهم الله بذنوبهم العظيمة الناشئة عن تزوين الشيطان لهم أعمالهم، ومن استكبارهم في الأرض، وليس المفرغ هو أخذ الله إتيانهم بذنوبهم، لأن ذلك قد أشعر به ما قبل التفریع، ولكنه ذكر لبعضهم بذكره إلى تفصيل أنواع أخذهم، وهو قوله: ﴿فَنَسِيتُمْ﴾

﴿فَنَسِيتُمْ﴾ من أرسلنا عليهم خاسباً... إلى آخره، لما جاء في قوله: ﴿فَنَسِيتُمْ﴾ من أرسلنا عليهم... لتفريع ذلك التفصيل على الإجمال الذي تقدمه، فتحصل خصوصية الإجمال ثم التفصيل، وللدلالة على عظم تصرف الله».

وقال محمود صافي: «﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَخَذْنَا﴾ والباء سببية».

(٢٢) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ ١ - ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إشارة إلى يوم القيامة المشار إليه قبلها، و﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ﴾ أي لا يسألهم الله أو خزنة جهنم عن ذنبه.

وقال محمود صافي: «﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَخَذْنَا﴾ والباء سببية».

(٢٢) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ ١ - ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إشارة إلى يوم القيامة المشار إليه قبلها، و﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ﴾ أي لا يسألهم الله أو خزنة جهنم عن ذنبه.

وقال محمود صافي: «﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَخَذْنَا﴾ والباء سببية».

(٢٢) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ ١ - ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إشارة إلى يوم القيامة المشار إليه قبلها، و﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ﴾ أي لا يسألهم الله أو خزنة جهنم عن ذنبه.

(٢٢) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ ١ - ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إشارة إلى يوم القيامة المشار إليه قبلها، و﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ﴾ أي لا يسألهم الله أو خزنة جهنم عن ذنبه.

(٢٢) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ ١ - ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إشارة إلى يوم القيامة المشار إليه قبلها، و﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ﴾ أي لا يسألهم الله أو خزنة جهنم عن ذنبه.

٢ - قال ابن عباس: «لا يسألهم عن أعمالهم، ولا يسألهم بعضهم عن بعض، وهو مثل قوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القصص: ٧٨، ومثل قوله لعمد الله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة: ١١٩».

وقال أبو العالية: «لا يسأل غير المذنب عن ذنب المجرم».

وقال مجاهد: «لا يسأل الملائكة عن المجرم يركون بسماهم».

وقال قتادة: «حفظ الله عز وجل عليهم أعمالهم» وقال زيد بن علي عليه السلام: «لا يسأل أحد عن ذنب أحد».

٢ - قال أبو السعيد: «لا يسأل الملائكة عن المجرم يركون بسماهم».

وقال قتادة: «حفظ الله عز وجل عليهم أعمالهم» وقال زيد بن علي عليه السلام: «لا يسأل أحد عن ذنب أحد».

٢ - قال أبو السعيد: «لا يسأل الملائكة عن المجرم يركون بسماهم».

وقال قتادة: «حفظ الله عز وجل عليهم أعمالهم» وقال زيد بن علي عليه السلام: «لا يسأل أحد عن ذنب أحد».

٢ - قال أبو السعيد: «لا يسأل الملائكة عن المجرم يركون بسماهم».

وقال قتادة: «حفظ الله عز وجل عليهم أعمالهم» وقال زيد بن علي عليه السلام: «لا يسأل أحد عن ذنب أحد».

٢ - قال أبو السعيد: «لا يسأل الملائكة عن المجرم يركون بسماهم».

وقال قتادة: «حفظ الله عز وجل عليهم أعمالهم» وقال زيد بن علي عليه السلام: «لا يسأل أحد عن ذنب أحد».

٢ - قال أبو السعيد: «لا يسأل الملائكة عن المجرم يركون بسماهم».

وقال قتادة: «حفظ الله عز وجل عليهم أعمالهم» وقال زيد بن علي عليه السلام: «لا يسأل أحد عن ذنب أحد».

كَبِيرٌ ۖ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ  
السَّعِيرِ ۖ

٢ - قالوا في ﴿يَذَلِّيهِمْ﴾: بشرهم، بكفرهم،  
بتكذيبهم الرسل، وهو المناسب لما قبلها.

٣ - قال القراء - ونحوه الطبري وغيره - : « ولم  
يقُل: » يذنبوهم « لأن في الذنب فعلاً، وكل واحد  
أضفته إلى قوم بعد أن يكون فعلاً أدى عن جمع  
أفاعيلهم. ألا ترى أنك تقول: قد أذنب القوم إذناً،  
عني معنى إذئاب: ذنوب، وكذلك تقول: خرجت  
أعطيتك الناس وعطاء الناس، فالمعنى واحد. والله  
أعلم.

وقال الطبرسي: « والذنب مصدر لا يمتنع  
ولا يجمع، ومتى جُمع فلاختلاف جنسه ».

وذكر الضحار الرازي الوجه الأول نحو ما سبق، ثم  
قال: « والثاني: يجوز أن يراد بالواحد المضاعف، كما في قوله  
كقولهم: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ [التعل: ١٨].

وذكره التيساوي وأضاف: « أو المراد به الكفر ».  
وكذلك السمين ذكر الوجه الأول، ثم قال: « ولم  
يقصد التنويع بخلاف ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ في مواضع ».

(٢٤١): ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَبْرُوا بِهَا فَذَمُّوا عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ  
يَذَلِّيهِمْ فَعَسَىٰ﴾

١ - هذه من تنمة قصة عبود، وابتدأها ١١:  
﴿كَذَّبْتُمْ ثُمَّ يَدْعُوا بِحَنُونِكُمْ﴾ إِذَا تَبَيَّنَتْ أَسَنِيَّتُهَا ﴿فَقَالَ لَهُمْ  
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَبْرُوا بِهَا...  
فانقضاء فيها تفرع على ما قبلها. لاحظ: دم دم:  
« ذمذم ».

(٢٥٠): ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكَ لَسَوْفَ  
يَكُنِّي بِرَبِّكَ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾

(٢٦١): ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ  
بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾

١ - قد عبر الله في هاتين عن علمه بذنوب عباده  
بمباقي واحد: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ أو ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾  
﴿يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ أو ﴿خَبِيرًا﴾.  
وقد قال الخطيب في (٢٥٠): « إشارة إلى أن علم  
الله محيط بكل ما عمل الناس، لا يعزب عنه مثقال ذرة  
تتأملوا.

وخص الذنوب بالعلم، لأنها هي الخطر الذي  
يصدد الناس حتى يصدروا، فيكتب لهم الأمن  
والعافية... »

٢ - وقال ابن عاشور فيها: « إقبال على خطاب  
الذين كفروا بالقرآن، لأن كل ما سبق من الوعيد  
والتهديد إنما مآله إلى حمل الناس على تصديق  
محمد ﷺ فلما جاء به من القرآن، بعد أن لجأوا في الكفر  
وتفتنوا في التكذيب، فلا جرم ختم ذلك بتطمين النبي  
بأن الله مطلع على ذنوب القوم، وهو تعريض بأنه  
يجازيهم بذنوبهم بما يناسب فظاعتها، ولذلك جاء  
بقل ﴿كَفَىٰ﴾ وبوصفي ﴿خَبِيرًا يَصِيرًا﴾ المكثي  
بذكرها عن عدم إفلات شيء من ذنوبهم المرتبة  
والمعلومة من ضمانهم، أعني أصالحهم ونواياهم ».

٣ - وقال أبو حيان فيها: « يتعلق ﴿يَذُنُوبَ﴾  
بـ ﴿خَبِيرًا﴾ أو بـ ﴿يَصِيرًا﴾، وقال الحوفي: يتعلق  
بـ ﴿كَفَىٰ﴾، انتهى وهذا وهم ».

وقال السمين: «إلما جعله وهماً، لأنه -  
﴿كفى﴾- لا يتعدى بالياء، ولا يليق به المعنى.

٤ - وقال الطبري في (٢٦): «يقول: وحسبك  
بالحي الذي لا يموت خابراً بذنوب خلقه...»  
وقال الطبرسي فيها: أي علمها فيحاسبهم،  
ويجازيهم بها. فحقيق بهم أن يخافوه، ويراقبوه.»

وقال الفخر الرازي (٢٤: ١٠٣): وهذه  
﴿كفى﴾ كلمة يراد به المبالغة، يقال: كفى بالعلم  
جمالاً، وكفى بالأدب مآلاً، وهو بمعنى «حسبك» أي  
لا تحتاج معه إلى غيره، لأنه خير بأحوالهم قادر على  
مكافئتهم، وذلك وعيد شديد، كأنه قال: إن أقدمتم  
على مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما  
تستحقون من العقوبة.»

(٢٧): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ  
وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ...﴾  
١ - قال الطبري - ونحوه الطبرسي -: «فلأي  
شيء يعذبكم ربكم بذنوبكم. إن كان الأمر كما  
زعمتم أنكم أبناءه وأحبأؤه، فلإن الحبيب لا يعذب  
حبيبه، وأنتم مقررون أنه معذبكم؟.»

٢ - وقد أشكل الفخر الرازي؛ بأنه إما يعذبهم في  
الدنيا أو في الآخرة، فإن كان في الدنيا فهذا لا يندرج في  
إدعائهم كونهم أحبباء لله، لأن محمداً ﷺ كان يدعي  
أنه هو وأمنته أحبباء لله، ثم إنهم ما خلوا عن محن الدنيا  
أنظروا إلى وقعة أحد، وإلى قتل الحسين والحسين  
ﷺ، وإن كان موضع الإلزام هو أنه تعالى سيعذبهم  
في الآخرة فالقوم ينكرون ذلك، ومجرد إخبار

محمداً ﷺ ليس بكافي!!

وأجاب بوجوه، منها: أن العذاب في الدنيا  
والمعارضة يوم أحد غير لازمة، لأن محمداً عليه  
الصلاة والسلام ادعى أنه من أحبباء الله ولم يدع أنه  
من أبناء الله.

ومنها: أن العذاب في الآخرة، واليهود والنصارى  
كانوا معترفين به، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿لَنْ  
نَسِيَّكَ النَّارُ إِلَّا أَنْتَا مُتَذَكِّرٌ﴾ البقرة: ٨٠.

ومنها: أن المراد به فلم يحكمكم فإلما العذب في  
الحقيقة اليهود الذين كانوا قبل اليهود المخاطبين بهذا  
الخطاب في زمان الرسول عليه الصلاة والسلام، إلا أن  
هم لما كانوا من جنس أولئك المتقدمين حنت هذه  
الإضافة. قال: «هذا الجواب أولى» فلاحظ.

(٢٨): ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتِثْنِ وَأَحْيِثْنِ آتِثْنِ  
فَنُحْيِيكَ لِمَا كُنَّا نَعْبُدُكَ مِنْ دُونِكَ﴾

وقيلها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُتَذَكَّرُونَ لَمَقَاتِ اللَّهِ أَكْثَرُ  
مِنْ مَقَاتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتُكْفَرُونَ﴾  
وبعدا: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُدَّ كَفَرْتُمْ وَإِنْ  
يُخْشَرْ لَكُمْ تُؤْمِنُوا فَالْعَفْوَ الْغَلِيظُ الْكَبِيرُ﴾،  
فالاعتراف بالذنوب يكون من قبل الكفار والمشركون  
في الآخرة، لاحظ: ع ر ف: «اعترفنا»، وقد سبق  
البحث فيها في: ع ي ي: «أخيتنا».

(٢٩): ﴿كَذَّابُ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْطَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ  
الْعِقَابِ﴾

١ - وقبلها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ

أَمْزَأَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَوَدَّعُونَ  
التَّارِ. وبعدها: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيٌ يَبْغُونَ  
وَيُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

فهذه الآيات الثلاث جاءت في سورة آل عمران  
المدينة بشأن الكفار في المدينة أو فيها وفي غيرها. وقد  
جاء في صدرها أيضًا في الكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾.  
وقد تحلل بينها آيات توصفها علم الله بما في  
السَّما والأرض وأنه يُصَوِّرُ النَّاسَ فِي الْأَرْحَامِ  
وَتَذَكَّرَ أُولَئِكَ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْمُنَاسِبَةِ مِنَ الْآيَاتِ، وَتَعْلِيمًا  
دَعَائِينَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُغْنِ قُلُوبُنَا...﴾ و﴿رَبَّنَا إِلَهُ الْجَمَاعِ  
النَّاسِ...﴾. وهذا دأب القرآن في توسيع الكلام  
بمناسبة ما.

٢ - قال الألوسي: «والذنب في  
الأصل القتل والتابع، وسُميت الجريمة ذنبًا، لأنَّها تنوب  
أي يتبع عقابها فاعلها».

٣ - وقال الألوسي في «الباء»: «أي بسببها أو  
متلبسين بها غير تائبين. والمراد من الذنوب على  
الأول التكذيب بالآيات المتطرفة، وجيء بالسببية  
تأكيدًا لما تنفيه (الفاء) وعلى الثاني سائر الذنوب،  
وفي ذلك إشارة إلى أن لهم ذنوبًا آخر».

(٣٠): ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاغْلَمَ الْكُمُوتُ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ  
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

١ - صدر الآية: ﴿وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيِّنَتِهِمْ بِمَا آتَى اللَّهُ  
وَلَا تُلَاحِظْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا  
أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا...﴾، وهذه من تنمة الآية:

١٧: ﴿وَلَيَحْكُمَنَّاهُ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا آتَى اللَّهُ فِيهِمْ وَمَنْ لَمْ  
يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. فالمراد بها  
الحكم بين التصارى بما أنزل الله في الإنجيل، والضمائر  
ترجع إليهم.

وبعدها: ﴿فَأَحْكُمُ الْبَاطِلِينَ يَتْلُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ  
مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.  
لاحظ: ح ك م: «يَحْكُمُ».

٢ - إنما قال: ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ بدل ﴿ذُنُوبِهِمْ﴾  
فقد ذكر واقعها وجوها:

أ - قال الجبائي: «إله وإن ذكر لفظ المخصوص،  
فإن المراد به الصوم، كما قد يُذكر الصوم ويُراد به  
المخصوص»، وهذا كما ترى.

ب - إنه على تخطيط العتاب، أي يكفي أن  
يؤخذوا ببعض ذنوبهم في إهلاكهم والتدمير عليهم.  
ج - أن يُعجل بعض العتاب بما كان من القصر  
في الإجماع لأن ذلك من حكم الله في العباد».

د - قول الحسن: «إن المراد إجماع بني النضير  
بنقض العهد وقتل بني قريظة».

هـ - قول الزمخشري وآخرين: «يعني بذنب  
التولي عن حكم الله وإرادة خلافه، فوضع ﴿بِبَعْضِ  
ذُنُوبِهِمْ﴾ موضع ذلك، وأراد أن لهم ذنوبًا جمّة كثيرة  
العدد، وأن هذا الذنب - مع عظمه - بعضها واحد  
منها، وهذا الإيهام لتعظيم التولي واستسرافهم في  
إرتكابه».

و - أن يتلهم ببعض ذنوبهم ويعتصم بها في الدنيا  
- ويجازهم على جميعها في الآخرة، أو يجازهم في

الآخرة على بعضها الآخر - وهو أن يسألك عليهم بالقتل والجلاء، وهذا قول الفخر الرازي، قال: «لأن القوم جئوزوا في الدنيا ببعض ذنوبهم، وكان مجازاتهم ببعض كافياً في إهلاكهم والتدمير عليهم»، ونحوها الآخرون.

٣ - قال الفخر الرازي: «دلت الآية على أن الكل بإرادة الله تعالى، لأنه لا يريد أن يصيبهم ببعض ذنوبهم إلا وقد أراد ذنوبهم، وذلك يدل على أنه تعالى يريد للخير والشر».

وهذا يرجع إلى مسألة القدر، والبحث عنها مستوفى يأتي في مكانه إنشاء الله تعالى، على أن دلالتها على ما قال غير واضحة، فلاحظ.

(٣١): ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَبْرِى مُكْشَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ

عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَآهَلَكْنَا هُمْ يَذْكُرُهُمْ وَنُفْسَاتُهمْ يَحْكُمُهُمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾

١ - هذه مثل ما قبلها، وما بعدها حكاية عن حال

مشركي مكة من التكذيب بالحق والإعراض عنه،

فهذه بما جرى على من قبلهم من إهلاك بذنوبهم،

كانوا قد مكثهم الله بما لم يكن لهؤلاء المشركين.

و أرسل عليهم من السماء مِدْرَارًا، وجعل لهم الأنهار

ومع ذلك أهلكهم وأنشأ من بعدهم قَرْنًا آخَرِينَ، فآله

قادر أن يعاملهم بما عاملهم من الزوال والإهلاك».

٢ - قال الميثقي: «يعني فعذبناهم بتكذيبهم

رسلم، ويقال: أهلكناهم بذنوبهم، لأنهم لم يحذروا

الذنوب المورطة والعيوب المسخطة، حتى أخذوا فلم

يحذروا خلاصًا ولا مناصًا ولا معاذًا ولا ملأًا».

وقال الثياهوري: ونحوه الشريفي: «فلن

الإهلاك بسبب المعاصي والآثام لا يكون إلا بالعذاب

والإيلاء».

٣ - وقال أبو السعود: ونحوه الألوسي: «أي

أهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من

الذنوب، فما أغنى عنهم تلك العدد والأسباب،

فحبل يؤوله مثل ما حل بهم من العذاب، وهذا كما

ترى آخر ما به الاستنهاد والاعتبار».

٤ - وقال الطباطبائي في قوله: ﴿فَآهَلَكْنَا هُمْ

بَذْكُورِهِمْ﴾ دلالة على أن للنبات والذئب دخلًا في

البلايا والمحن العامة، وفي هذا المعنى وكذا في معنى

دخل الجنات والطاعات في إفاضات التعم ونزول

الجنات آيات كثيرة».

٥ - قوله ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يرثون الأرض من بعد

أهلها أن تولدوا، أو إنشاء استنهام بذنوبهم وتطعم على

قلوبهم فهم لا يستحقون».

١ - هذا الاستنهام للتقرير، وطلب لاعتراف من

أنكر إهلاك من قبلهم من القرون، عطف على ما قبله

من ثلاثة استنهادات في ثلاث آيات:

٩٧ - ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا

وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

٩٨ - ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى

وَهُمْ يُلَاحِظُونَ﴾.

٩٩ - ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الظالمون﴾.

و تكرار الاستغفار دليل على شدة إنكارهم  
إهلاك من قبلهم من القرون بسبب إنكارهم الحق، أو  
تسجيل لما كادوا أن ينكروه، فذكرهم بإهلاكهم بيانا  
في اليوم، أو ضحى، أي في اللحظة، وكل وقت من  
الأوقات من أجل إهلاكهم، فلا وقت للعذاب  
والإهلاك.

وما بعدها خلاصة لجميعها، ١٠١: ﴿بَلِّغُوا الْقُرْآنَ  
قَصَصُ هَٰؤُلَاءِ مِنْ آيَاتِنَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ  
فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْغَىٰ اللَّهُ  
عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

٢- وقد هذهم بأمرين: إصابتهم بسنوبهم،  
الطبع على قلوبهم فلا يسمعون الحق، أي لا يقنعون  
على قبول ما سمعوه، وهذا شاهد على أن إغفال  
الناس والطبع على قلوبهم من قبل الله تعالى جبار  
وواقع، وأنه من قبيل العقاب على الذنوب في الدنيا كما هو شأنهم  
أي إن الله يعاقب الناس بطبع قلوبهم عن عرفان الحق،  
وليس هذا جبراً لهم على العصيان، بل عقاب لهم على  
الطغيان. وقد كرر الطبع على القلوب بعدها أيضاً  
نسبة إلى كل القرون السابقة: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا  
بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْغَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ  
الْكَافِرِينَ﴾. وللغفر الرازي هنا كلام في الطبع  
والختم وما بينهما، فلاحظ.

٣- قال الطبرسي: ﴿طَبَعَ﴾: ليس بمحمول  
على ﴿أَصْبَتْهُمْ﴾، لأنه لو حمل عليه، لكان  
«و طبعنا»، ولكنه على الاستئناف، أي ونحن نطبع  
وقوله ما ذكره لو صح - ولم يصح - ومنع من عطف

أحدهما على الآخر لفظاً لما منع من العطف معنى، وأن  
الطبع والإصابة كلاهما عقوبة من الله للمذنبين.

قال الغفر الرازي: «﴿وَلَطَّبَ﴾: هل هو منقطع  
عنا قبله أو مطوف على ما قبله؟». ذكر قولين:  
الأول: أنه منقطع عن الذي قبله، لأن قوله:  
﴿أَصْبَتْهُمْ﴾ ماضٍ، وقوله: ﴿وَلَطَّبَ﴾ مستقبل.  
وهذا العطف ليس بمستحسن، بل هو منقطع عما قبله،  
والتقدير: ونحن نطبع على قلوبهم.  
الثاني: أنه مطوف على ما قبله.

ثم حكى عن الزمخشري أنه مطوف على ما دل  
عليه معنى ﴿أَوَلَمْ يَهْتَفُوا﴾ كآله قبل: يظفون عن الهداية،  
﴿وَلَطَّبَ﴾ على قلوبهم، أو مطوف على قوله: ﴿يَهْتَفُونَ﴾  
وقد أطل فيه فلاحظ. والعطف على ﴿أَصْبَتْهُمْ﴾

وقال الغفر الرازي أيضاً: «﴿طَبَعَ﴾ على  
قلوبهم» أي إن لم نهلكهم بالعقاب نطبع على قلوبهم  
﴿فَقَوْمٌ لَا يَمَعُونَ﴾ أي لا يقبلون ولا يتعظون،  
ولا ينجحون.

«إِنَّمَا لَنَا: إن المراد إنا الإهلاك، وإنا الطبع على  
القلب، لأن الإهلاك لا يجتمع مع الطبع على القلب،  
فإنه إذا أهلكه يستحيل أن يطبع على قلبه».

(٣٣): ﴿كَذَّابٌ أَلْ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

(٣٤): ﴿كَذَّابٌ أَلْ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَظْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنفَرْنَا  
آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاثِبٍ ظَالِمٍ ﴿٥٠﴾

١ - هاتان من تنمة آيات غزوة بدر وكانت بين  
المؤمنين والمشركون، وإن الله شبه المشركين فيهما  
مرتين بآل فرعون، حيث نصر الله موسى وبني  
إسرائيل عليهم، مع ما كان لهم من القدرة والسلطة  
والسلاح والغلبة على بني إسرائيل، فكذلك نصر الله  
المؤمنين على المشركين في هذه الغزوة مع التفاوت  
البين بين الفريقين عبدة وعبدٌ كما هو المعروف.  
وقبلهما جاءت بشأن المشركين، ٥٠: ﴿وَلَوْ كُنَّا نَعْلَمُ  
يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

فالضمائر لهما راجعة إلى المشركين دون المنافقين  
وإنما ذكر ﴿الْمُتَافِقُونَ﴾ في آية قبلهما كالمترجمة  
خلال حديث الذين كفروا، حيث قال: ﴿إِذْ يَقُولُ  
الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرِيبٌ هُنَالِكَ  
بِئْسَ مَا لَهُمْ...﴾. فلاحظ.

٢ - قال الطبري في الأول: «يقول: لعاقبهم الله  
بتكذيبهم حججه ورسله، ومصيبهم ربه، كما  
عاقب أشكاهم والأمم الذين قبلهم».

٣ - وقال الطبرسي (٢: ٥٥٢): «وإنما كرر  
قوله: ﴿كَذَّابِ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ لأنه أراد بالأول: بيان  
حالهم في استحقاق عذاب الآخرة، وفي الثاني: تشبيه  
حالهم بحالهم في الاستئصال. وقيل: إن الأول: في  
أخذهم بالعذاب، والثاني: في كيفية العذاب. وقيل: إن  
آل فرعون كانوا على أحوال مختلفة في المعصية، فبين  
مشاركة هؤلاء إياهم في تلك الأحوال».

و قد ذكر الفخر الرازي أيضاً وجوهاً للتكرار.  
فلاحظ.

٤ - وقال الفخر الرازي فيها: (١٥: ١٨٠): «إنه  
تعالى لما بين ما أنزله بأهل بدر من الكفار عاجلاً  
وآجلاً كما شرحتنا، أتبعه بأن بين أن هذه طريقته  
وسنته في الكل. فقال: ﴿كَذَّابِ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ والمعنى  
عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم،  
فجوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي أولئك  
بالإهراق».

■ - وقال الألوسي فيها: «وذكر الذنوب لتأكيد  
ما أفادته القاء من السببية، مع الإشارة إلى أن لهم مع  
كفرهم ذنوباً آخر لها دخل في استتباع العقاب، وجوز  
أن يراد بتوبيخهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم،  
فيكون الباء للملازمة، أي فآخذهم متلبسين بذنوبهم  
في تلك الحالة».

(٣٥): ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ  
يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَمَّا هَلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ  
قُوَّةً وَأَكْثَرَ جُنُودًا لَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾.  
١ - هذه من تنمة قول قارون، وأبداه ٧٦: ﴿إِنْ  
قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى...﴾ وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾  
إلى آخر الآية، رد عليه من الله تعالى بأمرين:  
أولهما: أن الله قد أهللك قبله من القرون من كان  
أشد منه قوَّةً وأكثر جمعًا.

وثانيهما: بأنه لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم.  
٢ - وقد سبق في (٢٢): ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ  
ذُنُوبِهِمُ الْمُسُوفُونَ وَلَا جُنُودُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ فِي بَيْتِهِمْ

لا يسألون عن ذنوبهم، فلاحظ.

وقال الطبري: - ونحوه الطبرسي - في هذه الآية عن قتادة: «إنه قال: يدخلون النار بغير حساب. وقيل: معنى ذلك: أن الملائكة لا تسأل عنهم، لأنهم يعرفونهم بسيماهم.

و عن محمد بن كعب: عن ذنوب الذين مضوا فم أهلکوا؟ فالهاء والميم في قوله: ﴿عَنْ ذُنُوبِهِمْ﴾ على هذا التأويل - (من) الذي في قوله: ﴿لَقَدْ أَهْلَكْنَا بَيْنَ قَبْلِهِ مِنْ أَكْثَرُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ قُوَّةً﴾. وعلى التأويل الأول - الذي قاله مجاهد و قتادة - للمجرمين...»

وقال الفخر الرازي (١٦: ٢٥): «فالمراد أن الله تعالى إذا عاقب المجرمين فلا حاجة به إلى أن يسألهم عن كيفية ذنوبهم و كميتها، لأنه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة به إلى السؤال». ثم بحث في الجمع بينها وبين قوله: ﴿قَوْلٌ لَكَ لَسْتَ تَكْفُرُ بِهِمْ﴾. المحرر: ٩٢».

(٣٦): ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدُّ مِرْقًا قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾.

١ - هذه الآية وآية بعدها من تنمة الآيات قبلها إنذاراً للمشرکین.

٢ - قال الطبري، ونحوه غيره - : «وأخذهم بما أجرموا من معاصيه، واكتسبوا من الآثام، ولكنه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا».

٣ - وقال ابن عاصور: «والذنوب: جمع ذنب» هو

المعصية، والمراد بها الإشرار و تكذيب الرسل، وذلك يستوعب ذنوباً جمّة».

وقال فضل الله: «في ما كانوا يعيشون فيه من طغيان و تصف و كفر و شرك و جُحود و عصيان». (٣٧): ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا و بِشَلْ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

١ - هذه من تمام إنذار الله المذنبين في سورة «الذاريات»، و خاتمتها: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

٢ - قال ابن عباس: «عذاباً بعضه على أثر بعض، مثل عذاب الذين كانوا من قبلهم» و حكى الطبري عن الآخرين عن معنى ﴿ذُنُوبًا﴾: سجلاً من العذاب، طرفاً من العذاب، سبيلاً، ودنوياً.

٣ - وقال الفراء - ونحوه غيره - : «والذنوب في كلام العرب المذلو العظيمة. ولكن العرب تذهب بها إلى التصيب و الخطأ. وبذلك أتى التفسير: فإن للذين ظلموا حظاً من العذاب، كما نزل بالذين من قبلهم. [ثم استشهد بشر] والذنوب: يذکر و يؤت». و قال الزمخشري: «الذنوب: الذل و العظيمة، و هذا تمثيل، أصله في السقاة يتسمنون الماء فيكون لهذا ذنوب و لهذا ذنوب...».

و قال الفخر الرازي: «ما مناسبة الذنوب؟ نقول: العذاب مصبوب عليهم. كأنه قال تعالى: نصب من فوق رؤوسهم ذنوباً كذنوب صلب فوق رؤوس أولئك.

و وجه آخر، و هو أن العرب يستقون من الآبار و وجه آخر، و هو أن العرب يستقون من الآبار

و وجه آخر، و هو أن العرب يستقون من الآبار



على التوبة ذنوباً فذنوباً، وذلك وقت عيشهم الطيب، فكأنه تعالى قال: فإن الذين ظلموا من الدنيا وطيباتها ذنوباً، أي ملاء، ولا يكون لهم في الآخرة من نصيب، كما كان عليه حال أصحابهم استسقوا ذنوباً وتركوها، وعلى هذا فالذنوب ليس بعذاب ولا هلاك، وإنما هو رغد المش وهو الحق بالعربية، ونحوه غيره، فمن تأخر عنه، فلاحظ الخصوص.

ويلاحظ ثانياً: أن الآيات كلها إنذار تهشير، وليس فيها تشريع، و ١٨ آية منها مدنية، والباقي مكّي. وجاء في نصفها الغفران أو الاستغفار فهي وعد، والباقي وعيد، فالوعد والوعيد فيها متساويان. وثالثاً: من نظائر هذه المادة في القرآن: الذنب: الإثم، ذكرت نظائره في «خ ط هـ». الذنوب: الخط، ذكرت نظائره في «خ ل ق».



المعجم في فقه لغة القرآن

# ذهب

٢٥ لفظاً، ٥٦ مرة: ٣٤ مكية، ٢٢ مدنية  
في ٣٠ سورة: ٢٠ مكية، ١٠ مدنية

النصوص اللغوية	أذهبوا ٢:٢	ذهب ٢:٥-٨
الخليل: الذهب: الثير. وأهل الحجاز يقولون:	ذهب ١:١	ذهبوا ١:١
ذهب الذهب، وبلغهم نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْمُرُونَ الذَّهَبَ	ذهب ١:١	ذهب ١:١
وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَ اللَّهَ بِسَبِيلِ اللَّهِ فِي الثَّوْبَةِ ٣٤، وَلَا	أذهب ١:١	ذهبنا ١:١
ذَلِكَ لِنُغْلِبَ الْمَذْكُورَ الْمُؤْتَى، وَالْقِطْعَةَ مِنْهَا: ذهب.	أذهبتم ١:١	يذهب ٢:٢
وغيرهم يقول: هو الذهب.	يذهب ٢:٣	يذهبنا ١:١
والمذهب: الشيء المطلق بماه الذهب.	يذهبن ١:١	يذهبوا ٢:٢
والمذهب: اسم شيطان من ولد إبليس - عليه لعنة	يذهبنكم ١:٣-٤	تذهب ١:١-٢
الله - يبدو للقرآن فيفتنهم في الوضوء أو غيره.	يذهبن ١:١	تذهبون ١:١
والذهاب والذهوب: لفتان، مصدر: ذهب.	ذهب ٢:٣-٥	تذهبوا ١:١-٢
والمذهب: يكون مصدرًا كالذهاب، ويكون اسمًا	الذهب ٢:٢	لذهبن ٢:٢
للموضع. ويكون وقتًا من الزمان.	ذهبنا ١:١	أذهب ١:٦-٧
والمذهب: المتوضأ، بلفظ أهل الحجاز.		أذهبنا ٣:٣
والذهب: المطر الجود: والجمع: الذهب.		

والذَّهَبُ: الواحدة، من الزَّهَاب.

والذَّهَبُ: مكيال لأهل اليمن، ويجمع على: ذُهَاب.

وأذهاب، ثم على: الأذهاب جمع الجمع.

[واستشهد بالشعر مرتين] (٤: ٤٠)

الكِسَائِيُّ: وفي الحديث: «أَنْ تَبْيَ قَلَّ كَانَ إِذَا

أَرَادَ الْفَائِظُ أَبَدَ فِي الْمَذْهَبِ». يقال لموضع الفائظ:

الحَلَاءُ، والمَذْهَبُ، والمِرْقُوقُ، والمِرْحَاضُ.

(الأزهري ٦: ٢٦٤)

أَبُو عُبَيْدَةَ: كُنِيَ مَذْهَبٌ، وَهُوَ الَّذِي تَقْلُو

حُمْرُهُ صَفْرَةً: وَالْأُنْثَى: مَذْهَبٌ. (الأزهري ٦: ٢٦٤)

أَبُو عُبَيْدَةَ: [في حديث]: «نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ

أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِوَلٍ أَوْ خَائِظٍ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الشَّامَ

وَجَدْنَا مَرَاهِقَهُمْ قَدْ اسْتَقْبَلُوا الْقِبْلَةَ، فَكُنَّا نَتَحَرَّى

وَنَسْتَعْرِضُ اللَّهَ».

وَيُرْوَى أَيْضًا: «وَجَدْنَا مَرَاهِقَهُمْ قَدْ اسْتَقْبَلُوا

الْقِبْلَةَ»، فَهِيَ تِلْكَ أَيْضًا وَاحِدُهَا: مِرْحَاضٌ. وَهِيَ

الْمَذَاهِبُ أَيْضًا، وَاحِدُهَا: مَذْهَبٌ.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الَّذِي يَرْوِيهِ عَنْهُ الْمُفِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنَّهُ

كَانَ مَعَهُ فِي سَفَرٍ، قَالَ: «غَزَلَ فَأَبَدَ الْمَذْهَبَ»، وَكُلُّ

هَذَا كُنَايَةٌ عَنْ مَوْضِعِ الْفَائِظِ. (١: ٤٤١)

فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَمْرٍ: «أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ

بِالْمُجَارَةِ فَتُطْرَحُ فِي مَذْهَبِهِ فَيَسْتَطِيبُ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُغْسِلُ

«جَهَهُ» يَدَيْهِ، وَيَنْضَحُ لِرَجْلَيْهِ حَتَّى يَخْضُلَ تَوْبَهُ».

قَوْلُهُ: «فِي مَذْهَبِهِ» الْمَذْهَبُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ:

مَوْضِعُ الْفَائِظِ. (٢: ٣٢١)

فِي حَدِيثِ عِكْرِمَةَ: «أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ أَذْهَابٍ مِنْ بَرٍّ

وَأَذْهَابٍ مِنْ شَعْبٍ، فَقَالَ: يُقْتَضَمُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ

تُرْكَى».

قَوْلُهُ: «الْأَذْهَابُ» وَاحِدُهَا: ذَهَبٌ، وَهُوَ مَكْيَالٌ

لِأَهْلِ الْيَمَنِ، ذَهَبٌ مَعْرُوفٌ عَنْهُمْ؛ وَجَمْعُهُ: أَذْهَابٌ،

ثُمَّ يُجْمَعُ الْأَذْهَابُ: أَذْهَابٌ، وَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ. (٢: ٤١٩)

عَنْ أَصْحَابِهِ قَالُوا: الذَّهَابُ: الْأَمْطَارُ الضَّعِيفَةُ.

[ثم استشهد بشعر] (الأزهري ٦: ٢٦٢)

ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: يُقَالُ لِلْمُوتَسْوِسِ بِهِ الْمَذْهَبِ.

(الأزهري ٦: ٢٦٥)

ابْنُ السَّكَيْتِ: وَقَدْ ذَهَبَ الرَّجُلُ يَذْهَبُ ذَهَابًا،

وَقَدْ ذَهَبَ الرَّجُلُ يَذْهَبُ ذَهَبًا، إِذَا رَأَى ذَهَبًا فِي

الْمَغْرَبِ، فَيَرْقُ مِنْ عِظْمِهِ فِي عَيْنِهِ. [اصلاح المنطق: ١٩٩]

وَيُقَالُ: الْمَذَاهِبُ: الْبُرُودُ الْمُسَوِّسَةُ، يُقَالُ: بُرِدٌ

مَذْهَبٌ، وَهُوَ أَرْضُ الْأَنْعَامِ. (الأزهري ٦: ٢٦٤)

لِلْمُتَرَكِّبِ: ذَهَبٌ أَيْ قَرٌّ. (٣: ١٠١٤)

الْمُسَرَّدُ: قَوْلُهُ: الذَّهَابُ، فَهِيَ الْأَمْطَارُ اللَّيْسَةُ

الدَّائِمَةُ. (٢: ٤٣)

تَقْلَبُ: ذَهَبَتْ بِهِ وَأَذْهَبَتْ بِالْأَلْفِ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ،

إِذَا مَرَّرْتَ بِهِ مَعَكَ. (٢٧)

ابْنُ دُرَيْدٍ: وَذَهَبَ يَذْهَبُ ذَهَابًا وَذَهَابًا.

وَضَاقَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ، أَيْ طُرُقُهُ.

وَمَذْهَبُ الرَّجُلِ: مَتَشَاءُ لِقَاءِ الْحَاجَةِ.

وَالذَّهَابُ: مَطَرٌ خَفِيفٌ قَلِيلٌ.

وَفُلَانٌ حَسَنُ الْمَذْهَبِ وَقَبِيحُ الْمَذْهَبِ أَيْ الطَّرِيقَةِ.

وَالذَّهَبُ: مَعْرُوفٌ.

وَالْمَذْهَبُ: كُلُّ شَيْءٍ عَلَى بَيِّنَةِ الذَّهَبِ.

فأما هذا الداء الذي يُسَمَّى المَذْهَبُ فما أحبه  
عربياً صحيحاً.

وَالْمَذْهَبُ: مكيال باليمن؛ والجمع: أذهاب.  
وَالْمَذْهُوبُ: اسم امرأة.  
وَالْمَذْهَابُ: موضع.

وَذَهَبَانُ: أبو بطن من العرب.

وَيُقَالُ: ذَهَبَ الرَّجُلُ، إِذَا رَأَى الذَّهَبَ الْكَثِيرَ  
فَأَفْرَعَهُ. كَمَا يَقُولُونَ: بَيْلٌ وَبَيْرٌ وَبَعِيرٌ وَذَيْبٌ، إِذَا فَرَعَ  
مِنَ الذَّيْبِ. (٢٥٣: ١)

الْأَزْهَرِيُّ: الْمَذْهَبُ مُذَكَّرٌ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَمِنْ أَتَمَّهُ  
ذَهَبٌ بِهِ مَذْهَبُ الْجَمِيعِ.

وَقِيلَ: ذَهَبَ لِلْمَطَرَةِ، وَاحِدَةُ الْقَرَاهِبِ.

وَأَهْلُ بَغْدَادٍ يَقُولُونَ لِلْمُؤْتَمَسِكِينَ مِنَ الثَّمَنِ بِهِ  
الْمَذْهَبِ، وَغَوَائِمُهُمْ يَقُولُونَ بِهِ الْمَذْهَبِ، يَفْتَحُ الْمَاءُ.  
وَالصَّوَابُ الْمَذْهَبِ.

وَيُقَالُ: ذَهَبْتُ الشَّيْءَ فَهُوَ مَذْهَبٌ، إِذَا طَلَبْتَهُ  
بِالذَّهَبِ. (٢٦٣: ٦)

الصَّاحِبُ: الْمَذْهَبُ: الْيَبْرُ، وَالْقِطْعَةُ: ذَهَبَةٌ.

وَيُؤَكِّثُ الْمَذْهَبُ وَيُذَكِّرُهُ وَجَمْعُهُ: أَذْهَابٌ.

وَالْمَذْهَبُ: الشَّيْءُ الْمُطْلَقُ بِالذَّهَبِ.

وَذَهَبَ الرَّجُلُ ذَهَبًا، تَحَمَّرَ فِي الذَّهَبِ وَالْمُفَنِّينَ.

وَالْمَذَاهِبُ: جُلُودُ الْمَذْهَبِ؛ وَاحِدُهَا: مَذْهَبٌ، وَهِيَ

الْبُرُودُ الْمُوشَّاةُ أَيْضًا.

وَالْمَذْهَبُ: شَيْءٌ يُكْتَبُ فِيهِ.

وَالذَّهَابُ وَالْمَذْهُوبُ: لَفْظَانِ.

وَالْمَذْهَبُ: مُصَدَّرُ الذَّهَابِ، وَاسْمٌ لِلْمَوْضِعِ،

وَوَقْتُ مِنَ الزَّمَانِ، وَالْمُتَوَسِّتُ بِلَفْظِ أَهْلِ الْحِجَازِ.

وَالذَّهَبَةُ: الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الذَّهَابِ.

وَيَقُولُونَ: ذَهَبَ لِذَهَبِهِ، أَيِ لِمَذْهَبِهِ الَّذِي يَمْذُحُّ  
إِلَيْهِ.

وَجَرَى الْفَرَسُ مَذْهَبًا، أَيِ سَرِيعًا.

وَالذَّهَبَةُ: الْمَطَرَةُ الْجَوْدُ؛ وَالْجَمِيعُ: الذَّهَابُ.

وَالذَّهَبُ: مَكْيَالٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ؛ يُجْمَعُ عَلَى  
الْأَذْهَابِ، ثُمَّ عَلَى الْأَذَاهِبِ. (٤٦٩: ٣)

الْجَوْهَرِيُّ: الذَّهَبُ: مَعْرُوفٌ، وَرَبْعًا أَكْثَرُ، وَالْقِطْعَةُ  
مِنْهُ: ذَهَبَةٌ، وَيُجْمَعُ عَلَى: الْأَذْهَابِ وَالْمَذْهُوبِ.

وَالذَّهَبُ أَيْضًا: مَكْيَالٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ مَعْرُوفٌ،  
وَالْجَمْعُ: أَذْهَابٌ، وَجَمْعُ الْجَمْعِ: أَذَاهِبٌ.

وَذَهَبَ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ، إِذَا رَأَى ذَهَبًا فِي الْمَضْرِبِ،  
فَفَرَّقَ بَصَرَهُ مِنْ عَظَمِهِ فِي عَيْنَيْهِ.

وَالْمَذْهَبُ كُنُوزٌ تُنَمُّوهُ بِالذَّهَبِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُنَمٍّ  
بِالذَّهَبِ فَهُوَ مَذْهَبٌ، وَالْفَاعِلُ مَذْهِبٌ.

وَالْإِذْهَابُ وَالْتِذْهِيْبُ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّحْوِيلُ  
بِالذَّهَبِ.

وَيُقَالُ: كُنْتُ مَذْهَبٌ، لِلَّذِي تُغْلُو حُمُرَتُهُ حُمْرَةً،  
فَإِذَا اسْتَدْبَت حُمُرَتَهُ وَلَمْ تُغْلُ حُمْرَةً، فَهُوَ الْمَذْمُومُ.

وَالذَّهَابُ: الْمَرُورُ. يَقَالُ: ذَهَبَ فُلَانٌ ذَهَابًا  
وَذَهْوِيًّا، وَادَّهَبَهُ غَيْرُهُ، وَذَهَبَ فُلَانٌ مَذْهَبًا حَسَنًا.

وَقَوْلُهُمْ: بِهِ مَذْهَبٌ يَعْنُونَ بِهِ الْوَسُوسَةُ فِي الْمَاءِ، وَكَثْرَةُ  
اسْتِعْمَالِهِ فِي الْوَضُوءِ. وَالذَّهَبَةُ بِالْكَسْرِ: الْمَطَرَةُ؛

وَالْجَمْعُ: الذَّهَابُ.

[وَأَسْتَشْهَدُ بِالشَّعْرِ مَرَّتَيْنِ] (١٢٩: ١)

ابن فارس: الذَّالُّ والهَاءُ والبَاءُ أَحْمَلُ، يَسْدَلُ عَلَى حُسْنٍ وَنَضَارَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْمَذْهَبُ: مَعْرُوفٌ، وَقَدْ يُؤْتَى فِي قَالٍ: ذَهَبَةٌ؛ وَيُجْمَعُ عَلَى: الْأَذْهَابِ. وَالْمَذَاهِبُ: سُيُورٌ كُتِبَتْ بِالْمَذْهَبِ، أَوْ خِلَلٌ مِنْ سُيُوفٍ.

و كل شيء ممتوء بذهب، فهو مذَّهب.

و يقال: رجل ذَّهبٌ، إذا رأى متعبر الذَّهب فذهبت.

و كميث مذَّهبٌ، إذا غلَّته حُمْرة إلى اصفرار.

فَأَمَّا الذَّهْبَةُ فَتَطْرُقُ جُودًا وَهِيَ قِيَاسُ الْهَابِ، لِأَنَّهَا تُنْضَرُ الْأَرْضُ وَالتَّيَاتُ؛ وَالْجَمْعُ: ذِهَابٌ.

فهذا معظم الهاب. وبقي أصل آخر، وهو ذهاب الشيء، مُضَيِّعٌ. يقال ذهب يذهب ذهابًا وَذُهوًا، وَقد ذهب مذهبًا حسنًا.

[و استشهد بالشعر مرتين]

أبو هلال: الفرق بين المذهب والمقالة: أَنَّ الْمَقَالَةَ

قَوْلٌ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ وَيُنَاطِرُ فِيهِ، يَقَالُ: هَذِهِ مَقَالَةٌ فَلَانِ، إِذَا كَانَ سَبِيلُهُ فِيهَا هَذَا السَّبِيلَ.

و الْمَذْهَبُ مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّرِيقِ سِوَاهُ كَانَ يُطْلَقُ الْقَوْلُ فِيهِ أَوْ لَا يُطْلَقُ. وَالتَّشَاهُدُ أَنَّكَ تَقُولُ: هَذَا مَذْهَبِي فِي السَّمَاعِ وَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، لشيء تختاره من ذلك وتميل إليه، تتناظر فيه أَوَّلًا.

و فرق آخر، وهو أَنَّ الْمَذْهَبَ: يَقِيدُ أَنْ يَكُونَ الذَّاهِبَ إِلَيْهِ مُعْتَقِدًا لَهُ أَوْ بِحُكْمِ الْمُعْتَقِدِ، وَالْمَقَالَةَ لَا يَقِيدُ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَهُ وَيُنَاطِرَ فِيهِ، وَيَعْتَقِدُ خِلَافَهُ. فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَذْهَبٌ، لَيْسَ بِمَقَالَةٍ، وَ مَقَالَةٌ لَيْسَ بِمَذْهَبٍ. (١٨٤)

الفرق بين المضي والذهاب: أَنَّ الْمَضِيَّ خِلَافُ الْإِسْتِقْبَالِ، وَلَنَا يَقَالُ: مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلٌ، لَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذْهَابُ. ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتَعْمِلَ أَحَدُهُمَا فِي مَوْضِعِ الْآخَرِ. (٢٥٢)

الشَّعَالِيُّ: فَإِذَا كَانَتْ [الْمَطَرُ] ضَعِيفَةً بِسِيرَةٍ، فَهِيَ: الذَّهَابُ. (٢٧٨)

ابن سيده: الذَّهَابُ: السَّيْرُ ذَهَبَ يَذْهَبُ ذُهَابًا وَذُهوًا، فَهُوَ ذَاهِبٌ وَذُهُوبٌ.

و ذَهَبَ بِهِ، وَ أَذْهَبَهُ: أزاله؛ وَيَقَالُ: أَذْهَبَ بِهِ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: هُوَ قَلِيلٌ، فَأَمَّا قِرَاءَةُ بَعْضِهِمْ: (يَكَادُ سَنَا يَرْتَجُو يَذْهَبُ بِالْإِصْطَارِ) فَتَادِرُ، وَقَالُوا: ذَهَبَتْ الشَّامُ، فَتَدَوَّ بِغَيْرِ حَرْفٍ وَإِنْ كَانَ الشَّامُ ظَرْفًا مَفْصُوعًا، شَبَّهَهُ بِالْمَكَانِ الْمَبْهُمِ: إِذْ كَانَ يَقَعُ عَلَيْهِ الْمَكَانُ وَالْمَذْهَبُ. (٢٨٢: ٢٨٣)

سُحَيْكِيُّ الْإِصْبَاطِيِّ: أَنَّ اللَّيْلَ طَوِيلٌ وَلَا يَذْهَبُ بِنَفْسٍ أَحَدٍ مِنْهَا، أَيْ لَا ذَهَبَ.

و الْمَذْهَبُ: الْمُتَوَضُّعُ، لِأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَيْهِ.

و الْمَذْهَبُ: الْمُعْتَقَدُ الَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ.

و ذَهَبَ فَلَانٌ لَذَهَبَهُ، أَيْ لِمَذْهَبِهِ الَّذِي يَذْهَبُ فِيهِ. وَحَكِي الْإِصْبَاطِيِّ عَنْ الْكِسَائِيِّ: مَا يُدْرَى لَهُ أَيْنَ مَذْهَبٌ، وَلَا يُدْرَى لَهُ مَا مَذْهَبٌ، أَيْ لَا يُدْرَى أَيْنَ أَصْلُهُ.

و الْمَذْهَبُ: الْبَيْتُ؛ وَاحِدَتُهُ: ذَهْبَةٌ. وَ عَلَى هَذَا يُذَكَّرُ وَيُؤْنَسُ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْجَمْعِ الَّذِي لَا يَفَارِقُهُ وَاحِدُهُ إِلَّا بِالْهَاءِ.

و أَذْهَبَ الشَّيْءُ: طَلَا بِالْمَذْهَبِ.

و كل ما موء فقد أذهب.

وشيء ذهب: مذهب. أراه على تروقه حذف الزيادة.

و ذهب الرجل ذهباً فهو ذهب: هجم في المعين على ذهب كثير، فزال عقله وبرق بصره فلم يظرف: مشتق من الذهب.

وحكى ابن الأعرابي «ذهب» وهذا عندنا مطرد إذا كان ثانياً حرفاً من حروف الحلق، وكان الفعل مكسوراً الثاني؛ وذلك في لغة بني تميم، وسمعه ابن الأعرابي فظنه غير مطرد في لفهم، فلذلك حكاها.

والذهبة: المطرة الضعيفة، وقيل: الجمود والجسم: ذهب.

والذهب: مكبال معروف لأهل اليمن والجسم: ذهب و أذهب، وأذهب: جمع الجمع.

والذهاب، والذهاب: موضع، وقيل: هو جبل، يعنيه.

و ذهبان: أبويطن.

و ذهب: اسم امرأة.

و المذهب: اسم شيطان يُصَوَّر للقراء عند الوضوء، قال ابن دُرَيْد: لأحسبه عربياً. (٢٩٥: ٤)

الرأغب: الذهب: معروف، وربما قيل: ذهبة، ورجل ذهب: رأى معين الذهب فدهش.

وشيء مذهب: جعل عليه الذهب.

و كُثِّتْ مذهب: عُلَّتْ حُمْرَتُهُ حُمْرَةً، كَانَ عَلَيْهَا ذهباً.

والذهاب: الماضي. يقال: ذهب بالشئ وأذهب.

و يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الْأَعْيَانِ وَالْمَعَانِي. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّي فِي الصَّافَاتِ: ٩٩﴾

لَعَنَ ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴿هُود: ٧٤﴾ قَلَّا ذَهَبَ

نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ خَسِرَاتٍ ﴿فَاطِر: ٨﴾ كِتَابَةٌ عَنِ الْمَوْتِ،

وَقَالَ: ﴿إِنْ تَشَاءُ يُذَهِّبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إِبْرَاهِيمَ

: ١٩. وَقَالَ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنْهَا

الْحَزْنَ ﴿فَاطِر: ٣٤﴾ وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الْأَحْزَاب: ٣٣، وَقَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْضِلُوهُنَّ لِتَذْكُرُوا بِبَعْضِ مَا آيْتُمُوهُنَّ﴾

النِّسَاء: ١٩، أَيْ لَتَغُوزُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْمَهْرِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ

مِمَّا أُعْطِيَتْموهُنَّ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا غَوْلًا تَفْتَنُوا

وَلِيَّكُمْ رِيحَكُمْ﴾ الْأَنْفَال: ٤٦، وَقَالَ: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ

بِرَّوْجِهِمُ﴾ الْبَقَرَة: ١٧، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾

الْبَقَرَة: ٢٠، ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّْي﴾ هُود: ١٠.

(١٨١)

الزَّمْخَشَرِيُّ: ذَهَبَ مِنْ دَارِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ ذَهَابًا

و مذهباً.

و ذهب مذهباً بعيداً.

و أذهبته: جعله ذاهباً.

و ذهب به: مرَّ به مع نفسه.

و كثر عنده الذهب: و كثر عند أهل الحجاز.

و يقولون: أعطني ذهبي.

و هندي ذهبة: قطعة من الذهب.

و لفلان ذهبان وأذهاب كثيرة.

و رجل ذهب: يرى الذهب فيسدهش، و يبرق

بصره من عظمه في عينه.

ولوح مذهب ومذهب.

واطلب إلى المذهب، وهي السُّبُور المَعْتَوَّة بالمذهب.

و كُتِبَ مذهب: ثَلُو حُمْرته صُفْرَة.

و وقعت الزَّهَاب في أرضنا: جمع ذهبية. وهي أمطار غزار.

ومن الجاز والكناية: ذهب فلان مذهباً حسناً.

و ذهب علي كذا: نسبه.

و ذهب الرجل في القوم والماء في اللبن: ضل.

و فلان يذهب إلى قول أبي حنيفة، أي يأخذه.

و ذهبت به الخيلاء.

و خرج إلى المذهب وهو المتوحشاً عند أهل

الحجاز.

و تقول: مثل مذهبيكم وقدره، مثل مذهبيكم وقدره. مثل مذهبيكم وقدره. مثل مذهبيكم وقدره.

و ذهب في الأرض: كناية عن الإبداء.

و أبد فلان المذهب وأبد الأثر: تنحى للإبداء.

(أساس البلاغة: ١٤٦)

المدني: في الحديث: «فبعث علي بذهبية» هي

تصغير ذهبية، أدخل الماء فيها على ثبة القطعة منها.

و قد يؤكث الذهب، فعلى هذا تكون تصغير «ذهب».

كما يقال في تصغير قدر وطست: قديرة وطستة.

(١: ٧١٤)

ابن الأثير: في حديث جرير وذكر الصدقة:

«حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهب»

هكذا جاء في سنن الترمذي وبعض طرق مسلم.

و الرواية بالدال المهملة والتون، وقد تقدمت.

فإن صحَّت الرواية فهي من الشيء المذهب، وهو

الممَّوء بالمذهب. أو من قولهم: فرس مذهب، إذا غلَّت

حُمْرته صُفْرَة؛ والأنثى: مذهبية. وإنما خص الأنثى

بالذكر، لأنها أصفى لوناً وأرق بَشَرَة.

و في حديث علي: «لو أراد الله أن يفتح لهم كنوز

النَّهْبان لفضل» هو جمع ذهب، كبرقي وبرقان. وقد

يُجمع بالضم، نحو: حَمَلٌ وَحُمْلَان.

و في حديث علي في الاستسقاء: «لا قرع رهاها،

ولا شقان ذهاها». الذهاب: الأمطار اللينة؛ واحدها:

ذِهب بالكسر. و في الكلام مضاف محنوف، تقديره:

ولا ذات شقان ذهاها. (٢: ١٧٣)

القليوبي: الذهب: معروف، ويؤكث. فيقال: هي

الذهب الحرام. ويقال: إن التائيت لغة الحجاز، وبها

نزل القرآن، وقد يؤكث بالماء فيقال: ذهبية.

و قال الأزهري: «الذهب مذكر ولا يجوز تأنيته،

إلا أن يجعل جمعاً لذهبية». والجمع: أذهاب، مثل:

سبب وأسباب، وذهبان مثل: رُغفان.

و أذهبت بالالف مؤنثه بالمذهب.

و ذهب الأثر يذهب ذهاها، ويُسدَى بالحرف

وبالهمزة. فيقال: ذهبت به وأذهبت.

و ذهب في الأرض ذهاها وذُهوراً ومذهباً: مضى.

و ذهب مذهب فلان: قصد قصده وطر يقته.

و ذهب في الدين مذهباً: رأى فيه رأياً. وقال

المرقطي: أخذت فيه بدعة. (١: ٢١٠)

القيروزي أبادي: ذهب، كمنع، ذهاها وذُهوراً

ومذهبها، فهو ذاهب وذُهب: سار، أو مرّ، وبه: أزاله، كآذهبته، وبه.

والمذهب: المتوضّأ، والمعتد الذي يُذهب إليه، والظليقة، والأصل.

وبضمّ الميم: الكعبة، وفرّس أبرهة بن عُتيرة، وعُقي بن أعصر، وشيطان الضوء. وكسر هاء الصواب، وهم الجوهرى.

والمذهب: التبر، ويؤنث: واحدته بهاء، جمعه: أذهاب وذُهب، وذُهبان بالضمّ، من «التهاية».

وأذهبته: علاه، به، كذهبته، فهو مُذهب وذبيب ومُذهب.

والذهبون من المحدثين: جماعة.

وذهب، كترج، وذبيب، بكرتين، لغة: همهم في المُعْدِن على ذهب كثير فزال عقله، وقرق بصره. والذهبة، بالكسر: المطرة الضعيفة، أو المنيعة، جمعه: ذهاب.

والمذهب، محركة: مَنَحَ التَّيَضُّ، ويكبال لأهل اليمن: جمعه: ذهاب وأذهاب، وجمع جمعه: أذهيب. وكسحاب: يوم من أيام العرب، واسم قبيلة.

(٧٢: ١)

الطَّرِيحِيّ: وفي الحديث: «صلاة الليل تذهب بما عمل به في النهار»، أي تمحوه.

وفي حديث نزع البشر: «حتى يُذهب الريح» يُقرأ بالمجهول، أي يُذهب النزع بالرائحة.

وفيه: «فليذهب الحسن يميناً وشمالاً» كأنه كلام يقال في مقام التعجيز عن القيام بالفتيا. ويقال: هو

كلام يستعمل في سعة التوجّه، يعني إن شاء ينضي جهة اليمين أو جهة الشمال، ليس إلا ما قلناه.

والمذهب: هو الموضع الذي يتخوط فيه، «مَقْعَل» من الذهاب. ومنه كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد الحاجة وقف على باب المذهب فقال ليخ، أي باب الكنيف.

ومنه كان إذا أراد الغائط «أبعد المذهب».

(٧٢: ٢)

مَجْمَعُ اللُّغَةِ: ذهب يذهب ذهاباً وذُهباً: سار ومضى وزال.

وذهب به: سار به واستصعبه وأزاله. (٤٢٩: ١)

الذُّهْنَانِيّ: الذهب الأحمر والذهب الحمراء

ويعطون من يقول: الذهب الحمراء، ويقولون: إن الصواب هو الذهب الأحمر، لأنهم يظنون أن الذهب لا يجوز فيه إلا التذكير، اعتماداً على قول الأزهرى: «لا يجوز تأنيث الذهب إلا أن يجعل جمعاً لذخية». ويعتمدون أيضاً على ما جاء في «مفردات» الراغب الأصفهاني، و«الأساس»، ودوزي، و«الوسيط».

ولكن: أجاز تذكير كلمة الذهب «تأنيثها كل من: معجم ألفاظ القرآن الكريم، والصّاح ربما أثبت، ومعجم مقاييس اللغة قد يؤنث، «القرطبيّ» تأنيث أشهر، والمختار ربما أثبت، واللسان الذي روى حديثاً لعليّ كرم الله وجهه: «فبعث من اليمن بذخية»، وقال ابن الأثير: إنها تصغير ذهب، ودخلتها الهاء: التثنية المربوطة، لأن الذهب يؤنث، والمؤنث التلاتسي إذا



صُغِرَ، ألحق في تصغيره الماء، وقيل: هو تصغير: ذهبته، على نية القطعة منها، فصغرناها على لفظها.

وتمن أجاز تذكير كلمة الذهب وتانيتهما أيضاً: المصباح، والقاموس ويؤت، والتاج، والمد، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن.

وجاء في «التاج»: ويقولون: إن الآية: ٣٤، من سورة التوبة: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُلْقِيْنَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، يعود الضمير فيها على الذهب فقط، وخصها بذلك لمرئتها. وقيل: إن الضمير راجع إلى الفضة لكثرتها.

وقيل: إلى الكنوز، كما جاء في «تفسير الجلالين»: «وجائز أن يكون محمولاً على الأموال، كما هو مصرح في التفاسير وحواشيه.

ولكن الآية: ٩١، من سورة آل عمران: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَكُنَّ لَهُمْ جَزَاءٌ مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ يُقْبَلُ﴾، تدل على أن الذهب هنا جاء مذكراً.

ويجوز أن يؤت الذهب بناءً التانيث، فيقال: ذهبته. ويجمع الذهب على: أذهاب، وذهبان، وذُوب، وذهبان، وفي حديث عليّ كرم الله تعالى وجهه: «لو أراد الله أن يفتح لهم كنوز الذهبان لفعل» فهو جمع ذهب، كبرقي وبرقان.

مذهب ومذهب وذهب  
ويعطون من يستمي المظلي بالذهب، والمؤء به مذهباً، ويقولون: إن الصواب هو: مذهب، من الفعل: ذهبه يذهب، فهو مذهب، كما جاء في «مفردات»

الرأغب الأصفهاني.

ولكن: يجوز أن تقول أيضاً: هو مذهب، لأن هنالك فضلاً آخر، معناه: طلاء بالذهب، أو مؤه به، هو: أذهبته يذهب، فهو مذهب، كما يقول المصباح، والأساس، والمختار، واللسان، والقاموس والتاج، والمد، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

واكفى معجم مقاييس اللغة بذكر مذهب، وزاد على مذهب ومذهب كلمة «ذهب» على توهم حذف الزيادة: كل من اللسان، والقاموس، والتاج، والمد، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

ولكن المصباح يذكر الفعل: أذهبته. وهذا يعني أنه يؤخذ اسم المفعول مذهباً وحده. (٢٤٠)

محمد بن إسماعيل إبراهيم: ذهب ذهاباً: سار، مضى، مات.

وذهب بالشيء: أزاله وأضاعه.

وأذهب حسنة: أضاعها.

والذهب: المذهب النفس المعروف، (١: ٢٠٤) المصطفوي: والتحقيق: أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو الماضي والحركة المخصوصة. والفرق بين هذه المادة ومواد الماضي والمرور والتفوذ والمضي والهي: أن الماضي يلاحظ فيه الزمان السابق، أي تحقق أمر ومضيه قبل الحال.

والمرور: يلاحظ فيه الاجتياز بشيء، وعنه.

والتفوذ: هو الورد الدقيق على شيء، ويكون

لما كانت السّمات واقعة بعد الضّرء وهي كلمة مفردة، فأريد من السّمات مفهوم جامع واحد، وهو مطلق ما كان شيئاً وضرأ.

وعلى هذا جيء بفعله مفرداً مذكراً، وهذا قانون كليّ في مقام تذكير الفعل وتأنّيته، أي يلاحظ مفهوم الكلمة، وباعتبار ما يقصد ويلاحظ، يذكّر ويؤنس الفعل ﴿فَأَنزَلْنَا الَّذِينَ ذُهِبَ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَفْقَرُوا﴾ المحتحنة: ١١، فيراد في هذه الآية: أفراد الأزواج استغراقاً، ويدلّ عليها أن الإتياء لكل واحد واحد من الذين ذهب أزواجهم، لا المجموع من حيث هو.

ثم إن الذهاب في كل موضوع بحسبه وبما يناسبه من الحركة المخصوصة، إظهار الرأي، انتخاب المسلك والطريقة والسلوك على تلك الطريقة، إزالة الثور والبصرة والتوفيق، وبمح السّنة والروع والخوف والهمسة، وأمثالها.

فيلاحظ: في كل مورد منها مطلق مفهوم الحركة المخصوصة من نقطة مادية أو معنوية.

وأما مفهوم الذهب: فهو مأخوذ من اللغة العبرية، كما رأيت أن كلمة «ذهب» فيها بهذا المعنى لا غير، ولا يبعد التناسب بين المفهومين، فإنّ الذهب مع كونه مورد توجه للناس يكفرونه ويحفظونه ويضبطونه، وهو متحول ومتداول ومتحرك فيما بين أيديهم من يد إلى يد، أو أن بقاء كل شيء، وجوده كالذهب، فإذا مضى فلا يمكن إعادته وتحصيله بأيّ قيمة.

(٣: ٣٣٨)

فيما يحل وغيره، وفي الأمر المادي والمعنوي، كنفوذ الكلام والماء وغيرهما.

والمشي: يعتبر فيه الحركة في الحيوان بالقدمين، والجهي: يعتبر فيه الإقبال عن نقطة معينة، كما أن الذهاب هو الحركة عن نقطة على سبيل الإخبار، فالملحوظ في الذهاب هو جهة الإخبار عن نقطة، وفي الجهي، الحركة والإقبال إلى جهة.

ويدلّ على مقابلة هذين اللفظين في معنيهما، قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إبراهيم ١٩: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَ لَهُ التَّيْمَرُ﴾ هود: ٧٤.

والفرق بين الجهي والإتيان: راجع: مسادة «آتي» و«جي».

ثم إن الذهاب إما في الماديات المحسوسة أو في المعنويات المقولة، ومنهوم الذهاب في كل مورد منهما بحسبه، كما قلنا في «آتي».

ففي المحسوس كما في ﴿وَذَهَبَ إِلَى رَبِّهِمْ﴾ طه: ٢٤، ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ القيمة: ٣٣، ﴿وَذَقُوا بِقَبْضِ هَذَا﴾ يوسف: ٩٣، ﴿فَلَمَّا ذَقُوا بِهِمْ﴾ يوسف: ١٥.

وفي المقول كما في: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ البقرة: ١٧، ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ المؤمنون: ٩١، ﴿يُذْهِبُ عَنْكُمْ الرِّجْسَ﴾ الأحزاب: ٣٣، ﴿إِنَّ الْعَسَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيَّاتِ﴾ هود: ١١٤، ﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْعَرْزَ﴾ فاطر: ٣٤، ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرْأٍ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيَّاتِ عَنِّي﴾ هود: ١٠.

## النصوص التفسيرية

### ذهب

١- مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. البقرة: ١٧

مُجَاهِدٌ: إضاءة النار: إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم: إقبالهم إلى المشركين والظلمات. (البقرة: ١-٩٠)

الزجاج: معناه - والله أعلم - إطلاع الله المؤمنين على كفرهم، فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر الله عز وجل من كفرهم. ويموز أن يكون ذهب الله بنورهم في الآخرة، أي عذبهم فلا نور لهم، لأن الله جل

وعز قد جعل للمؤمنين نوراً في الآخرة وسلب الكافرين ذلك النور. والدليل على ذلك قوله: ﴿الظُّرُوءَ نَقِشَ مِنْ نُورِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا أَوْ آتَاهُمْ سَبْعَ نَارَاتٍ﴾ (البقرة: ١٧) فالتقريب أن النور الذي أظهره الله بنورهم

الطبعي: أي أذهب الله نورهم. (البقرة: ١٦٠)

المأوردي: وفي ذهب نورهم وجهان:

أحدهما: - وهو قول الأصم - ذهب الله بنورهم في الآخرة، حتى صار ذلك سبباً لهم يعرفون بها.

والثاني: أنه عني النور الذي أظهره الله للتي من قلوبهم بالإسلام. (البقرة: ٨٠)

الطوسي: ذهب به وأذهب: أي أهلكه. لإذهابه إلى مكان يعرف، ومنه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ والمذهب: الطريقة في الأمر. والمذهب: المطرعة الجود. (البقرة: ٨٧)

البخوي: قال ابن عباس وقادة ومقاتيل والضحك والسدي: نزلت في المنافقين، يقول: مثلهم في غافهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مظلة، فاستدفاً ورأى ما حوله، فالتقى بما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طفت ناره فبقي في ظلمة خائفاً متحيراً، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان، أمنوا على أموالهم وأولادهم، وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماثوا عادوا إلى الظلمة والخوف.

وقيل: ذهب نورهم في قبورهم، وقيل: في القيامة حيث يقولون للذين آمنوا: ﴿انظُرُوا نَارَ تَلْعَبُ مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ (البقرة: ١٣).

وقيل: ذهب نورهم بإظهار عقيدتهم، على لسان النبي ﷺ، فحرب النار مثلاً، ثم لم يقل: أطفأ الله نارهم، لكن عذبهم بالنار، لأن النار نور وحرارة، فذهب نورهم وبقي الحرارة عليهم. (البقرة: ٩٠)

الزمخشري: فإن قلت: فما معنى إسناد الفعل

إلى الله تعالى في قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟

قلت: إذا طيفت النار بسبب محايي، ريح أو مطر، فقد أطفأها الله تعالى، وذهب بنور المستوقد. [إلى أن قال:]

والفرق بين أذهب وأذهب به: أن معنى أذهب به: أزاله وجعله خائباً، يقال: ذهب به، إذا استصحبه ومضى به معه. وذهب السلطان بماله: أخذه ﴿قُلْنَا ذَهَبُوا بِكُمْ يَوْسُفَ: ١٥﴾، ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ الْبَشَرِ خَلْقٌ﴾ المؤمنون: ٩٦. ومنه ذهب به الخيلاء.

وَعُدِّي بِالْبَاءِ دُونَ الْهَمْزَةِ، لَمَّا فِي الْمَثَلِ الشَّائِرُ أَنَّ  
« ذَهَبَ بِالشَّيْءِ » يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَصْحَبَهُ وَأَمْسَكَهُ عَنْ  
الرَّجُوعِ إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى. وَلَا كَذَلِكَ أَذْهَبَهُ، فَالْبَاءُ  
وَالْهَمْزَةُ وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي مَعْنَى التَّمَدُّدِ، فَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَنْظُرَ  
صَاحِبُ الْمَعْنَى إِلَى مَعْنَى الْهَمْزَةِ وَالْبَاءِ الْأَصْلَيْنِ، أَعْنَى  
الْإِزَالَةَ وَالْمَصَاحِبَةَ وَالْإِلْصَاقَ. فَفِي الْآيَةِ لُطْفٌ  
لَا يُنْكَرُ. كَيْفَ وَالْفَاعِلُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَسْوِيُّ الْعَزِيزُ  
الَّذِي لَا رَادَّ لِمَا أَخَذَهُ. وَلَا مَرْسِلَ لِمَا أَمْسَكَهُ.

وَذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَنَّ « ذَهَبْتُ بِزَيْدٍ » يَقْتَضِي ذَهَابَ  
الْمُتَكَلِّمِ مَعَ زَيْدٍ دُونَ « أَذْهَبْتُهُ ». وَلَعَلَّهُ يَقُولُ: إِنْ مَا فِي  
الْآيَةِ بِجَازٍ عَنْ شِدَّةِ الْأَخْذِ بِحَيْثُ لَا يَرُدُّ. أَوْ بِجُوزِ أَنْ  
يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى وَصَفَ نَفْسَهُ بِالذَّهَابِ عَلَى مَعْنَى يَلْقَى  
بِهِ. كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ بِالسَّجْيَةِ فِي ظَاهِرِ قَوْلِهِ  
تَعَالَى: « وَجَاءَ رَأُفًا » الْفَجَرُ: ٢٢. وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ  
يُقَالُ: ذَهَبَ إِلَيْهِ أَنْ الْبَاءَ بِمَعْنَى الْهَمْزَةِ، فَكَلَاهَا لِهَرْدِ الْقَطْعِ  
عِنْدَهُ بِلَا فَرْقٍ، فَلِذَا لَا يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا. (١٦٥: ١)

الْقَاسِمِيُّ: أَيُّ أَطْفَالِ اللَّهِ نَارِهِمُ الْقِيَّ هِيَ مِدَارُ  
نُورِهِمْ. فَيَقْوَى فِي ظِلْمَةٍ وَخَوْفٍ. (٥٤: ٢)

وَشَهِدَ رَحْمَةً: الْمَعْنَى الْمُتَهَادِرُ فَلَمَّا أَضَاءَتْ النَّارُ مَا  
حَوْلَهُ مِنَ الْأَمَكَةِ وَالْأَشْيَاءِ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الْإِنْتِزَاعِ بِهَا  
وَالِاسْتِضَاءَةِ بِنُورِهَا « ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ » بِإِطْفَاءِ  
نَارِهِمْ بِنُحُو مَطَرٍ شَدِيدٍ نَزَلَ عَلَيْهَا، أَوْ حَاصِفٍ مِنَ  
الرَّيْحِ جَرَّفَهَا وَبَدَّدَهَا. وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَثَلِ، وَأَمَّا  
بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَضْرُوبِ فَيُفْهَمُ الْمَثَلُ مِنَ الصَّرْبِ، فَالْتُّورُ  
نُورُ الْإِسْلَامِ الَّذِي أَضَاءَ قُلُوبَ مَنْ حَوَّلَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
الْمُخْلِصِينَ « لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ »

وَالْمَعْنَى: أَخَذَ اللَّهُ نُورَهُمْ وَأَمْسَكَهُ، « وَمَا يُمَسِّكُ  
فَلَا مَرْسِلَ لَهُ » فَخَاطَرُ: ٢، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِنْهَابِ.

وَقَرَأَ الْيَمَانِيُّ: (أَذْهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ). (٢٠٠: ١)  
نَحْوَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ (٧٦: ٢)، وَالشَّافِعِيُّ (٢٤: ١)،  
وَالْتَّبَّاسُ بَاهُورِي (١٨٢: ١)، وَالشَّيْرَازِيُّ (٢٧: ١)،  
وَأَبُو الْعُشَّودِ (٧٠: ١)، وَالتَّوَسُّوِيُّ (٦٧: ١).

الطُّبَّرَسِيُّ: أَيُّ أَذْهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ. وَالْفِعْلُ الَّذِي  
لَا يَتَعَدَّى يَتَعَدَّى إِلَى الْمَفْعُولِ بِحَرْفِ الْجَرِّ وَهَمْزَةِ التَّنْكِيلِ.  
وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: « بِنُورِهِمْ » يَتَعَلَّقُ بِـ « ذَهَبَ ».

(٥٤: ١)

الشُّكْبَرِيُّ: الْبَاءُ هُنَا مُعَدَّةٌ لِلْفِعْلِ، كَمُعَدَّةِ الْهَمْزَةِ  
لَهُ، وَالتَّقْدِيرُ: أَذْهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ. وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.  
وَقَدْ نَاقَى الْبَاءُ فِي مِثْلِ هَذَا لِلْعَمَلِ، كَقَوْلِهِ: « ذَهَبْتُ  
بِزَيْدٍ، أَيُّ ذَهَبْتُ وَمَعِيَ زَيْدٌ. (٢٣: ١)

الْقُرْطُبِيُّ: ذَهَبَ وَأَذْهَبَ: لِقَتَانِ مِنَ الذَّهَابِ  
وَهُوَ ذَوَالِ الشَّيْءِ. (٢١٣: ١)

الْبَيْضَاوِيُّ: وَإِسْنَادُ الذَّهَابِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِنَّمَا  
لِأَنَّ الْكُلَّ بِفَضْلِهِ، أَوْ لِأَنَّ الْإِطْفَاءَ حَصَلَ بِسَبَبِ خَفْيَةٍ، أَوْ  
أَمْرِ سَمَاوِيِّ كَرِيحٍ أَوْ مَطَرٍ أَوْ لَمْبَالِفَةٍ، وَلِذَلِكَ عُدِّي  
الْفِعْلُ بِالْبَاءِ دُونَ الْهَمْزَةِ، لَمَّا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الْاسْتِصْحَابِ  
وَالِاسْتِمْسَاكِ. يَقَالُ: ذَهَبَ السُّلْطَانُ بِمَا لَهُ إِذَا أَخَذَهُ،  
وَمَا أَخَذَهُ اللَّهُ وَأَمْسَكَهُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ. (٢٧: ١)

الْأَلُوسِيُّ: وَإِسْنَادُ الْقَمَلِ إِلَيْهِ تَعَالَى حَقِيقَةٌ، فَهُوَ  
سُبْحَانَهُ الْفَعَالُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي بِيَدِهِ التَّصَرُّفُ فِي الْأُمُورِ  
كُلِّهَا، بِوَاسِطَةِ وَبَغِيرِ وَاسِطَةٍ، وَلَا يَمْتَرِضُ عَلَى الْحَكِيمِ  
بَشِيءٌ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

لور من زبور الزمر: ٢٢، وذهابه في الدنيا: ما عرض لهم من الشك أو انجزم بالكفر حتى لم يعودوا يُدركون مناقبه وفضائله.

وأما ذهابه بعدها فأوله الموت، فإن المنافق يرى بالموت أو قبيل خروج روحه منزله بعدها، وبعده ظلمة القبر، أي حياة البرزخ، وبعدها موقف الحساب والجزاء ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا الظُّرُوفُ تُكَلِّسُنَا مِنْ لَوْرِكُمْ قَبْلَ أَنْ جَعَلُوا رَأْيَكُمْ فَأَلْبِسُوا ثَوْرًا فَضْرَبَ بَنَاتُهُمْ بِسُورَةٍ تَابَ بِأُحْثُ فِيهِ الرُّخْصَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْقَذَابُ﴾ يُنَادُوا لَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ فَأَنُوتُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمُ أَنْفُسَكُمْ وَتَكْرَهُنَّ وَأَنْتُمْ وَغَرَّكُمْ لَكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿الحديد: ١٣، ١٤، إلخ. الآية التالية (١٥).

وفي هاتين الآيتين أحقق بيان المراد من ذهبهم، والله بنورهم، وكونه ليس إجباراً لهم على الكفر، ولا عبارة عن سلبهم التمكن من الإيمان، وإنما هو تصوير عن سعة الله تعالى في عاقبة فتنهم لأنفسهم إلخ.

وقال شيخنا في تطبيق المثل على اليهود وأمثالهم من هذه الأمة، ما معناه: استوقدوا بطريقتهم السليمة نار الهداية الإلهية بتصديقهم، فلما أخضعت لهم بروقها، ووضح لهم طريقها، فاجأتهم التقاليد الموروثة، وباغتهم العادات المألوفة، وشغلهم ما يتوهمونه فيها من المنافع والفوائد، وما يتوهمونه في الإغراض عنها من المصارع والمفاسد، عن الاستعانة بذلك الضوء على سلوك ذلك الصراط المستقيم، والتفرقة بين نهاره

المشرق وظلمات ليلها البهيم، بل استبدلوا هذا الذي يجور بذلك الضياء والثور. وهذا هو معنى ذهاب نورهم.

وإنما قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: ذهب نورهم، أو أذهب الله نورهم، للإشعار بأن الله تعالى كان معهم بمورته وتوفيقه، عندما استوقدوا النار فأضأت، وذلك ألهم كانوا قائمين على سبيل فطرته التي فطر الناس عليها، معتقدين صحة شريعته التي دعا الناس إليها، وبأنه تخلى عنهم عندما تكبوا عن تلك السبيل، وعافوا ذلك المورد التسلسيل.

(١٧٠: ١)

ابن عاشور: ومعنى ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ إطفاء نارهم، فحصر بالنور، لأنه المقصود من الاستيقاد، واستند إذهابه إلى الله تعالى، لأنه حصل بلا سبب من

الروح لم يظنوا أو إطفاء مطلق. والعرب والناس يستندون الأمر الذي لم يتضح سببه لاسم الله تعالى، كما تقدم عند قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ فِي طُهْرَانِهِمْ﴾ البقرة: ١٥.

وذهب المعنى بالياء أبلغ من أذهب المعنى بالهمزة، وهاته المبالغة في التعدية بالياء نشأت من أصل الوضع، لأن أصل «ذهب به» أن يدل على أكلها ذهباً متلازمين، فهو أشد في تحقيق ذهاب المصاحب، كقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ يوسف: ١٥. وأذهب جعله ذاهباً بأمره أو إرسائه، فلهذا كان الذي يريد إذهاب شخص إذهاباً لا شاك فيه يتولى حراسة ذلك بنفسه، حتى يوقن بحصول امتثال أمره، صار «ذهب به» مقيداً بمعنى أذهب.

أوجهه في نفسه من رسلنا، حين رأى أيديهم لا تصل  
إلى طعامه، وأمن أن يكون قصد في نفسه وأهله بسوء،  
﴿وَجَاءَهُ الْبَشْرَى﴾ بإسحاق، ظلَّ ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ  
لُوطٍ﴾ (٧٦:٧)

الزَّمَعَشْرَى: ﴿الرَّوْعُ﴾ ما أوجس من الخيفة،  
حين نكر أضيافه. والمعنى: أنه لما أطمأن قلبه بعد  
الخوف وطمأن سرور إيهيب البشري بدل التهم، فرغ  
للمجادلة (٢٨٢:٢)

القهر الرُّزِّي: والمعنى أنه لما زال الخوف  
وحصل السرور بسبب مجيء البشري بمحصل الولد،  
أخذ يجادلنا في قوم لوط. (٢٩:١٨)

التيضاوي: أي ما أوجس من الخيفة واطمأن  
قلبه بمرفانهم. (٤٧٥:١)

أبو حيان: المعنى: اطمأن قلبه بعلمه أنهم ملائكة.  
(٢٤٥:٥)

البروسوي: أي زال الخوف والفرح الذي  
أصابه لما يأكلوا من العجول، واطمأن قلبه  
بمرفانهم بحقيقتهم الملكية وعرفان سبب مجيئهم.

(١٦٤:٤)

الآلوسي: والمعنى: لما زال عنه ما كان أوجهه  
منهم من الخيفة، واطمأنت نفسه بالوقوف على جليلة  
أمرهم: ﴿وَجَاءَهُ الْبَشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾، أي  
يجادل رسلنا في حالهم وشأنهم. (١٠٢:١٢)

رشيد رضا: أي فلما سرى عن إبراهيم  
وانكشف ما رآه من الخيفة والرعب، إذ علم أن  
هؤلاء الرسل من ملائكة العذاب، وجاءته البشري

ثم تنويسي ذلك بكثرة الاستعمال، فقالوا: ذهب به  
ونحوه ولم يصاحبه في ذهابه، كقوله: ﴿يَأْتِي  
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ البقرة: ٢٥٨، وقوله:  
﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْرِ﴾ يوسف: ١٠٠، ثم جعلت  
الهمزة لجره التعدية في الاستعمال، فيقولون: ذهب  
القمار بمال فلان، ولا يريدون أنه ذهب معه. ولكثرتهم  
تحفظوا ألا يستعملوا ذلك إلا في مقام تأكيد الإذهاب،  
فبقيت المبالغة فيه. (٣٠٥:١)

ولاحظ: ن ور: «نورهم» و: «وقد» استؤكذ.  
وجاء بهذا المعنى قوله تعالى:

٢ - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَبْيِهِمْ وَأَهْتَارَهُمْ إِنْ أَفَاءَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ البقرة: ٢٠

٣ - وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُمْ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْأٍ مِمَّا كَفَرُوا لَيَقُولُنَّ  
ذَهَبَ الشَّيْءُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ هود: ٥٤  
الطبري: يقول تعالى ذكره: ليقولنَّ عند ذلك:  
ذهب الضيق والبؤس عني، وزالت الشدائد والمكاره.  
(١٠:٧)

البغوي: زالت الشدائد عني. (٤٤١:٢)  
رشيد رضا: أي ذهب ما كان يسوءني من  
المصائب والضراء فلن تعود، لما هي إلا سحابة صيف  
تقشمت فعلي أن أنساها بالشَّمْع بالذَّات. (٢٨:١٢)

٤ - فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ  
الْبَشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ هود: ٧٤  
الطبري: فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي

وَالْبَاطِلُ قَاتِلًا الزُّهْدَ فَهُدْبٌ جَفَاءٌ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ  
فَنُكْتُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ.

الرعد: ١٧

ابن عباس: يقول: يذهب كما جاء لا ينتفع به،  
كذلك الباطل لا ينتفع به. (٢٠٧)

الطبري: ومثل آخر للحق والباطل، مثل فضة  
أو ذهب يؤخذ عليها الناس في الثار طلب حلية  
يتخذونها أو متاع، وذلك من الثعاس والرصاص  
والحديد، يؤخذ عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به ﴿زُيِّنَ  
مِثْلُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾ من  
هذه الأشياء ﴿زُيِّنَ مِثْلُهُ﴾، يعني: مثل زيد السيل  
لا ينتفع به ويذهب باطلاً، كما لا ينتفع بزيد السيل  
ويذهب باطلاً، ورفع الزهد بقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ  
عَلَيْهِ فِي الثَّارِ﴾.

ومعنى الكلام: ومما يوقدون عليه في الثار زهد  
مثل زيد السيل في بطول زهده، وبقاء خالص الذهب  
والفضة، يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ  
وَالْبَاطِلَ﴾ يقول: كما مثل الله الإيمان والكفر في بطول  
الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله بالباقي التامع من  
ماء السيل وخالص الذهب والفضة، كذلك يمثل الله  
الحق والباطل، ﴿فَلَمَّا زُيِّنَ يَهُدُبٌ جَفَاءٌ﴾ يقول:  
فأما الزهد الذي علا السيل، والذهب والفضة  
والثعاس والرصاص عند الوقود عليها، فيذهب  
بدفع الرياح وقذف الماء به، وتعلقه بالأشجار و  
جوانب الوادي. ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء  
والذهب والفضة والرصاص والثعاس، فالما يمكت

بالولد والصال السيل، أخذ يجادل رسلنا فيما  
أرسلناهم به من عقاب قوم لوط. (١٢: ١٣١)

سيد قطب: وهو فرح بطر بجر دان يجاوز الشدة  
إلى الرخاء، لا يحتمل في الشدة وبصبر ويؤمل في  
رحمة الله ويرجو فرجه، ولا يقتصد في فرجه وفخره،  
بالثمة، أو يحسب لزوالها حساباً. (٤: ١٨٦٠)

٥- وَذَا الثُّورِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَعْدِرَ  
عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ  
إِلَهِي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. الأنبياء: ٨٧

راجع: نون: «ذا الثور».

٦- مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا  
لَذُهِبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خُلِقَ. المؤمنون: ٩١

لاحظ: «أله» المعجم: «٢: ٧١٨».

٧- فَإِذَا ذُهِبَ الْحَرْفُ سَلَفَكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَا إِشْرَافًا  
عَلَى الْغَيْرِ أَوْ لَكَ لَمْ يُؤْمَرْ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَغْصَانَهُمْ وَكَانَ  
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا. الأحزاب: ١٩

راجع: س ل ق: «سَلَفُواكُمْ».

٨- ثُمَّ ذُهِبَ إِلَى أَهْلِهِ يَنْتَقِلُ. القيمة: ٢٣

(١٠: ٣٠٧)

البقوي: رجع إليهم. (٥: ١٨٧)

الطبرسي: أي يرجع إليهم. (٥: ٤٠١)

### يَذْهَبُ

١- أَلْزُلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا  
فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي الثَّارِ  
اِتِّخَاءَ حَلِيقَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ

في الأرض فتشربه، والذهب والفضة تمكث للناس.

(٣٦٩: ٧)

الطُّوسِي: لا ينتفع به كما ينتفع بما يخلص بعد الزهد من الماء والذهب والفضة والصخر. (٢٣٨: ٦)  
ولاحظ: ج ف هـ: «جفاء».

بصواب، لأنه لم يكن ليعبر إلا بما روي. وقد أخذ القراءة عن سادات القابضين الآخذين عن جليلة الصحابة أبي وغيره. ولم ينفرد بها أبو جعفر بل قرأه نية كذلك، وخرج ذلك على زيادة الباء، أي يذهب الأبهار. وعلى أن الباء بمعنى «من» والمفعول محذوف تقديره: يذهب الثور من الأبهار. كما قال:

● شرب التزيف يبرد ماء الحشرج ■

يريد من يرد. (٤٦٥: ٦)

٢- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدٍ فَهَيَّيْبٌ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَآ يَرْكَبُ يَذْهَبُ بِالْأَبْهَارِ. التور: ٤٣

الطُّبْرِي: وقرأت قرأه الأبهار «يذهب» سوى أبي جعفر يذهب «يفتح الباء من «يذهب»». سوى أبي جعفر القارئ فإنه قرأه بضم الباء «يذهب بالأبهار».

والقراءة التي لا اختار غيرها هي فتحها: الإجماع المحجة من القراء عليها، وأن العرب إذا دخلت الباء في مفعول ذهبت، لم يقولوا إلا: ذهبت به، دون أذهبت به. وإذا أدخلوا الألف في أذهبت، لم يكادوا أن يدخلوا الباء في مفعوله، فيقولون أذهبت، وذهبت به. (٣٣٩: ٩)

الطُّبْرِي: أي يقرب ضوء برق السحاب من أن يذهب بالبصر ويحفظه لشدة لماعته، كما قال: «يَكَادُ الْبَرْقُ يَحْطِفُ أَبْصَارَهُمْ» البقرة: ٢٠. (١٤٨: ٤)

أبو حيان: قرأ الجمهور «يذهب» بفتح الباء

يَذْهَبُوا

١- إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْأَلُوهُ...

التور: ٦٢

راجع: ج مع: «جامع» المعجم: «٩: ٨٤٠».

٢- يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا. الأحزاب: ٢٠  
الطُّبْرِي: يقول: لم ينصرفوا، وإن كانوا قد انصرفوا جثا وعلما منهم. (٢٧٦: ١٠)

الزجاج: أي يحسبون الأحزاب بعد انهمزامهم وذهابهم. لم يذهبوا لجهتهم وخوفهم منهم. (٢٢١: ٤)  
الطُّبْرِي: ولم ينصرفوا عن قتالهم، وقد انصرفوا منهم جماعة وفرقا. (٢٢: ٨)

لحموه البقوي (٦٢٣: ٣)، وابن الجوزي (٦)، (٣٦٧)، والخازن (٢٠٣: ٥).

المبيدي: أي يظن المنافقون أن الأحزاب الذين تحنوا على رسول الله ﷺ من قریش وغطفان وقرظلة،

هذه القراءة، قالوا: لأن الباء تعاقب الهززة وليس



جُئْنَهُمْ وَخُوفَهُمْ؛ بِحَيْثُ هَزَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَحْزَابَ،  
فَرَحَلُوا وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَحِلُوا.

وقيل: المراد هؤلاء لجُئْنَهُمْ بِمَحْسَبِیِّیْنَ الْأَحْزَابِ  
لَمْ يَنْهَزُوا وَقَدْ انْهَزُوا، فَانْصَرَفُوا عَنِ الْخَنْدَقِ رَاجِعِينَ  
إِلَى الْمَدِينَةِ لِذَلِكَ. (١٦٦: ٢١)

الْقَاسِمِيُّ: أَي لَمْ يَنْهَزُوا بِنَا أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ  
وَالْجُنُودِ، وَأَنَّ لَهُمْ عَوْدَةً إِلَيْهِمْ لِحُورِهِمْ وَاضْطِرَابِهِمْ.  
(٤٨٣٦: ١٢)

الْمِرَاغِي: أَي هُم مِّنْ شِدَّةِ الْهَلَعِ وَالْخَوْفِ، وَعَظِيمِ  
الذَّهْشَةِ وَالْخَيْرَةِ، لَا يَزَالُونَ يَظُنُّونَ أَنَّ الْأَحْزَابَ مَن  
غَطَفَانِ وَقَرِيشٍ لَمْ يَرَحِلُوا، وَقَدْ هَزَمَهُمُ اللَّهُ وَرَحِلُوا،  
وَنَفَرُوا فِي كُلِّ وَادٍ.

وَأَجْمَالُ الْقَوْلِ: إِنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَفْأَلُوا الْجَنَبَهُمْ،  
وَضَعُفَ إِيمَانِهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ غَائِبُونَ، فَظَنُّوا أَنَّ الْأَحْزَابَ لَمْ  
يَرَحِلُوا، وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا رَاحِلِينَ مَنهَزِينَ لَا يَلْتَوُونَ عَلَى  
شَيْءٍ. (١٤٥: ٢١)

سَيِّدُ قُطَيْبٍ: فَأَمَّا يَوْمُ الْأَحْزَابِ فَيَمُضِي النَّصُّ فِي  
تَصَوُّرِهِمْ صُورَةً مُضْحِكَةً زَرِيَّةً: ﴿يَخْفَتُونَ الْأَحْزَابَ  
لَمْ يَذْهَبُوا﴾ فَهُمْ مَا يَزَالُونَ يَرْتَمَتُونَ، وَيَتَخَذَلُونَ،  
وَيُخَذَلُونَ، وَيَأْيُونَ أَنَّ يُصَدِّقُوا أَنَّ الْأَحْزَابَ قَدْ ذَهَبَتْ،  
وَأَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْخَوْفُ، وَجَاءَ الْأَمَانُ. (٢٨٤١: ٥)

أَبْنُ عَاشُورٍ: يُؤْذَنُ بِانْهِزَامِ الْأَحْزَابِ وَرَجُوعِهِمْ  
عَلَى أَعْقَابِهِمْ، أَي وَقَعَ ذَلِكَ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ الْمُنَافِقُونَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْلِقُونَ  
الْمُؤْمِنِينَ اعْتِرَازًا بِمَا لِلْأَحْزَابِ، لِأَنَّ الْأَحْزَابَ حُلَفَاءَ  
لِقُرَيْشٍ، وَكَانَ الْمُنَافِقُونَ أَخِيَاءَ لِلْيَهُودِ، فَكَانَ سَلَقُهُمْ

لَمْ يَنْهَزُوا وَلَمْ يَنْصَرَفُوا عَنْ قِتَالِهِمْ جُبْنًا وَفَرَقًا، وَقَدْ  
انْصَرَفُوا. وَقِيلَ: يَظُنُّ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا  
لَا عِتْقَادَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ  
نَصْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا عَنْهُمْ إِلَى  
مَوَاضِعِهِمْ، وَإِنَّمَا تَأَخَّرُوا عَنْهُمْ لَضَرْبٍ مِنَ الْمَكِيدَةِ.

(٢٧: ٨)

الزُّمَّةُ شَسْرِيٌّ: أَنَّ الْأَحْزَابَ لَمْ يَنْهَزُوا، وَقَدْ  
انْهَزُوا فَانْصَرَفُوا عَنِ الْخَنْدَقِ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاجِعِينَ، لَمَّا  
نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ، وَدَخَلَهُمْ مِنَ الْجُبْنِ  
الْمُفْرَطِ. (٢٥٥: ٣)

نَحْوُهُ الْبَيْضَاوِيُّ (٢٤٢: ٢)، وَالْكَاشَانِيُّ (١٧٠: ٤).

أَبْنُ عَطِيَّةٍ: وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ مِنَ الْجَمْعِ «الْفَرْعُ بِحَيْثُ  
رَحَلَ الْأَحْزَابَ وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهَؤُلَاءِ يَظُنُّونَ  
أَنَّهُمْ مِنَ الْخَنْدَقِ وَأَنَّهُمْ «لَمْ يَذْهَبُوا» بَلْ يَرِيدُونَ الْكُرَّةَ  
إِلَى غَلَبِ الْمَدِينَةِ. (٣٧٦: ٤)

الطَّبْرَسِيُّ: أَي يَظُنُّونَ أَنَّ الْجَمَاعَاتِ مِنْ قَرِيشٍ  
وَعُظَمَاءِ وَأَسَدٍ وَالْيَهُودِ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى رَسُولِ  
لِلَّهِ ﷺ، لَمْ يَنْصَرَفُوا وَقَدْ انْصَرَفُوا، وَإِنَّمَا ظَنُّوا ذَلِكَ  
لَجُبْنِهِمْ وَفُرْطِ حُبِّهِمْ قَهْرَ الْمُسْلِمِينَ. (٣٤٨: ٤)

الْقُرْطُبِيُّ: أَي لَجُبْنِهِمْ يَظُنُّونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَنْصَرَفُوا  
وَكَانُوا انْصَرَفُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَبَاعَدُوا فِي السَّيْرِ.

(١٥٤: ١٤)

الْبَيْهَقِيُّ: أَي لَجُبْنِهِمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الْأَحْزَابَ لَمْ  
يَنْهَزُوا وَلَمْ يَنْصَرَفُوا، مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ انْصَرَفُوا. (٢٩٩: ٣)

نَحْوُهُ الثَّوْرِيُّ سَوِيٌّ (١٥٦: ٧)

الْأَلُوسِيُّ: أَي هُم مِنَ الْجَمْعِ وَالذَّهْشَةِ لَزِيدِ

ظلالهم، و ينطوون على أنفسهم من الخوف لدى سماع  
صهيل الخيل ورغاء السبع، فلما منهم أن جيوش  
الأحزاب قد عادت. (١٧٩: ١٢٣)

فضل الله: فهم لا يزالون تحت تأثير الصدمة  
الكبرى من الخوف الذي هز أعماقهم، وأذهل  
عقولهم، وأسقط مواقعهم، ولذلك كان الهاجس الذي  
يُسيطر على أذهانهم أن جنود المشركين لا يزالون  
يحاصرون المدينة، على أساس أنهم يبقون حتى  
يُحققوا الانتصار على المسلمين، لأنهم لا يصدقون أن  
من الممكن أن يهزم المشركون أمام المسلمين.

(٢٨٠: ١٨)

### تَذْهِبُ

وَأَلْهِبُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا  
وَأَلْهِبُوا رِيحَكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

الأنفال: ٤٦

أبو عبيدة: مجازة: وتقطع دولتكم. (٢٤٧: ١)  
الطبري: وهذا مثل. يقال للرجل إذا كان مُقبلًا  
عليه ما يُهَيِّئُهُ وَيُسَرِّبُهُ: الريح مُقبلة عليه، يعني بذلك  
ما يهيئه. [ثم استشهد بـ]

وإما يراد به في هذا الموضع: وتذهب قوتكم  
وبأسكم فتضعفوا، ويدخلكم الوهن والخلل.

(٢٦١: ٦)

الطوسي: معناه: كالمثل، أي إن لكم ريحا  
تتصرون بها، يقال: ذهب ريح فلان، أي كان يجري في  
أمره على السعادة بريح تحمله إليها، ف لما ذهبت  
وقف أمره، فهذه بلاغة حسنة. (١٥٤: ٥)

المسلمين في وقت ذهاب الأحزاب وهم لا يعلمون  
ذلك، ولو علموه لحفظوا من شدتهم على المسلمين.

(٢٢٢: ٢١)

مُتَغَنِّية: ذهبت الأحزاب إلى غير رجعة، ومع  
هذا يأبى المنافقون أن يُصدقوا، لا شيء إلا لأنهم  
يتمنون أن تقضي الأحزاب على النبي والصحابة.  
وقد صوّرت لهم أمنيته هذه أن الأحزاب ما زالت  
تُحاصر المدينة، وأنها ستقضي على المسلمين غداً  
أو بعد غدٍ. (٢٠٣: ٦)

عبد الكريم الخطيب: أي أن هذا الخوف الذي  
استولى على هؤلاء المنافقين من موقف القتال - وحال  
الحرب التي كانت متوقعة بين المسلمين وبين  
الأحزاب - قد لصق بهم، وصار كاشاً يعيش معهم  
ووسواساً يملأ عليهم وجودهم، ويملك تفكيرهم، حتى  
أنهم وقد ذهب الأحزاب، وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا  
خيرًا، لم يصدقوا أنهم ذهبوا، إذ ما زال شبحهم مُطيلًا  
عليهم. هكذا يفعل الخوف بالجبناء، الذين يحرصون  
على الحياة، ويبيعون من أجلها الشرف والمروءة  
والرجولة. (١٧٦: ١١)

مكارم الشيرازي: ولجسد الآية القالبة  
بتصوير أبلغ، جبن وخوف هذه الفئدة، فنقول:  
﴿يَحْشُرُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ من شدة خوفهم  
ورعبهم، فقد خيّم عليهم كابوس مُخيف، فكان جنود  
الكر يملكون دائمًا أمام أعينهم، وقد سَلُّوا السُّوف  
و ما نوا عليهم بالرمح إن هؤلاء المحاربين الجبناء،  
و المنافقين خائري القلوب والقوى، يخافون حتى من

الطُّبرسي: معناه تذهب صولتكم وقوتكم.  
وقال مجاهد: نصرتكم. وقال الأخفش: دولتكم.  
والرياح هاهنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على  
المراد. [ثم ذكر نحو الطوسي وأضاف:]

وقول: إن المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من  
ينصره على من يخذله. (٥٤٨: ٢)

البيضاوي: ﴿فَتَقَشَّلُوا﴾ جواب التهي. وقيل  
عطف عليه، ولذلك قرئ ﴿وَكَذَٰهَبَ رِيحُكُمْ﴾ بالجزم  
والرياح مستعارة للدولة من حيث إنها في غشي أمرها  
ونفاذه، مُشَبَّهة بها في هبوبها ونفوذها. وقيل المراد بها  
الحقيقة، فإن الأصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله، وفي  
الحديث: «نُصِرْتُ بِالْغَيْبِ وَأُهْلِكْتُ عَادًا بِالدُّبُورِ».

الآلوسي: ﴿فَتَقَشَّلُوا﴾ أي ففجبتوا عن عدوكم  
وتضعفوا عن قتالهم. والفعل منصوب بـ «لأنَّه جُفِيَ عَنْهُ»  
في جواب التهي، ويحتمل أن يكون مجزوما عطفاً عليه.  
وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰهَبَ رِيحُكُمْ﴾ بالتصبي مطوف  
على ﴿فَتَقَشَّلُوا﴾ على الاحتمال الأول. وقرأ عيسى  
ابن عمر (وَيَذْهَبُ) بياء الغيبة والجزم وهو عطف  
عليه أيضاً على الاحتمال الثاني. والرياح - كما قال  
الأخفش - مستعارة للدولة لشبهها بها في نفوذ أمرها  
وتشميه. ومن كلامهم: هبَّت رياح فلان، إذا دالت له  
الدولة وجرى أمره على ما يريد. وركدت رياحه، إذا  
وَلَّت عنه وأدبر أمره، وقال:

إذا هبَّت رياحك فاغتنمها

فإن لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها

فما تدري السكون متى يكون  
وعن قتادة وابن زيد: أن المراد بها ريح النصر،  
وقالوا: لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تعالى  
تضرب وجوه العدو. وعن الثعلباني بن مقرن قال:  
«شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يقاتل أول  
النهار انتظر حتى تحيل الشمس وتهب الرياح».

وعلى هذا تكون الرياح على حقيقتها، وجوز أن  
تكون كناية عن النصر، وبذلك فسرها مجاهد.

(١٤: ١٠)

رشيد رضا: معناه تذهب قوتكم، وترتخي  
أعصاب شدتكم، فيظهر عدوكم عليكم.

والرياح في اللغة: الهواء المتحرك، وهي مؤنثة وقد  
تذكر بمعنى الهواء. وتستعار للقوة والظبة، إذ لا يوجد  
في الأجسام أقوى منها، فإنها تمسح البحار، وتقطع  
أكبر الأشجار، وتهدم الدور والقلاع.

وقال الأخفش وغيره: تستعار للدولة، لشبهها  
بها في نفوذ أمرها. ويقولون: هبَّت رياح فلان، إذا  
دالت له الدولة، وجرى أمره على ما يريد. كما  
يقولون: ركدت رياحه أو رياحه، إذا ضعف أمره،  
وَلَّت دولته. (٢٥: ١٠)

مكارم الشيرازي: وأما ذهاب السريخ، فهو  
إشارة لطيفة إلى زوال القوة والعظمة، وعدم سير  
الأمر كما يرام، وعدم تحقق المقصود، لأن حركة  
الرياح فيما يرام توصل السفن إلى مقاصدها، ولما  
كانت الرياح في ذلك العصر أهم قوة لتحريك السفن

فقد كانت ذات أهمية قصوى يؤمنذ. وحركة الريح في الرأيات والييارق تدل على ارتفاع الرأية التي هي رمز القدرة والحكومة. والتعبير أنف الذكر، كناية لطيفة عن هذا المعنى.  
راجع: روح: «الريح».

### تَذْهَبُ

أَفَصْنُ زَيْنَ لَهُ سُوءٌ فَلَا تَذْهَبُ قَرَأَ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَنْصِلْ مِنْ نِشَاءٍ وَيَهْدِي مَنْ نِشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. فاطر: ٨  
ابن عباس: فلا تهلك نفسك بالحزن. (٣٦٥)  
لا تنتم ولا تهلك نفسك حسرات على تركهم الإيمان. (الواحد: ٣: ٥٠١)

القرءاء: والقرءاء مجتمعون على ﴿تَذْهَبُ نَفْسُكَ﴾. وقد ذكر بعضهم عن أبي جعفر المدني ﴿فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ كل صواب. (٣٦٧: ٢)  
الطبري: يقول: فلا تهلك نفسك حزنا على ضلالتهم وكفرهم بالله. وتكذيبهم لك.

واختلفت القرءاء في قراءة قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ فقرأه قرءاء الأمصار سوى أبي جعفر المدني ﴿فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ﴾ بفتح القاء من ﴿تَذْهَبُ﴾، و﴿نَفْسُكَ﴾ برفعها. وقرأ ذلك أبو جعفر: (فَلَا تَذْهَبُ) بضم القاء من ﴿تَذْهَبُ﴾، و﴿نَفْسُكَ﴾ بنصبها، بمعنى لا تذهب أنت يا محمد نفسك. والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرءاء الأمصار، لإجماع المجتهد من القرءاء عليه. (٣٩٦: ١٠)

الطوسي: قرأ أبو جعفر (فَلَا تَذْهَبُ) بضم القاء وكسر الهاء وفتح السين، ومعنى الآية: لا تنتم بكفرهم وهلاكهم إذ لم يؤمنوا بنظيره ﴿فَلَقَدْ لَعَنَّكَ﴾ بفتح نَفْسُكَ ﴿الكهف: ٦﴾. (٩٩: ٨)

الطوسي: قرأ أبو جعفر (فَلَا تَذْهَبُ) بضم القاء وكسر الهاء (نَفْسُكَ) بنصب السين، الباقون بفتح القاء والهاء، ورفع السين. [لأن قال:]

ومن فتح القاء جعل الفعل للنفس. (٤١٤: ٨)  
القسيري: يعني إنا عرفنا حق التقدير، وعلمت أنهم سقطوا من عين الله، ودعوتهم جهرا، وبذات لهم نصحا، فاستجابهم ليست لك، فلا تجعل على نفسك من ذلك مشقة ولا غناء. (١٩٤: ٥)

الطوسي: ومعنى الآية لا تنتم بكفرهم وهلاكهم ﴿تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾. (٦٨٩: ٣)  
نحوه الخازن. (٢٤٤: ٥)

الزجاجي: ﴿حَسْرَاتٍ﴾ مفعول له، يعني فلا تهلك نفسك للحسرات، و﴿عَلَيْهِمْ﴾ صلة ﴿تَذْهَبُ﴾ كما تقول: هلك عليه حبا، ومات عليه حزنا، أو هو بهان للمتحسر عليه.

ولا يجوز أن يتعلق بـ ﴿حَسْرَاتٍ﴾ لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته. ويجوز أن يكون حالا، كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر. [ثم استشهد بشعر]

نحوه الثمساوي (٧٠: ٢٢)، وأبو حنبل (٣٠١: ٣).  
نحوه (٣٠١).

الطَّيْرُ سِيٍّ: أي لا تهلك نفسك يا محمد عليهم  
حسرة ولا يفتك حالهم إذ كفروا واستحقوا العقاب،  
وهو مثل قوله: ﴿لَعَلَّكَ بِأَجْعَ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا  
مُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٣. (٤: ٤٠١)

الفخر الرازي: سأل رسول الله ﷺ حيث حزن  
من إصرارهم بعد إتيانه بكل آية ظاهرة وحجة باهرة،  
فقال: ﴿قَلَّا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ كما قال  
تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بِأَجْعَ نَفْسِكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾ الكهف: ٦.  
(٦: ٢٦)

القرطبي: والمعنى أن الله جل وعزّ نهى نبيه عن  
شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم، كما قال عز وجل:  
﴿فَلَعَلَّكَ بِأَجْعَ نَفْسِكَ﴾ الكهف: ٦. (١٤: ٢٢٦)

البيضاوي: ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم  
للحسرات على غيبتهم وإصرارهم على الكذب  
والفاءات الثلاث للسببية، غير أن الأولين دخلت

على السبب والثالثة دخلت على السبب، وجمع  
الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على  
أحوالهم أو كثرة مساوي أفعالهم المقضية للتأسف.  
و ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليس صلة لها، لأن صلة المصدر لا تنضم  
بل صلة ﴿نَذْهَبُ﴾ أو بيان للمتحسر عليه. (٢: ٢٦٨)

ابن كثير: أي لا تأسف على ذلك، فإن الله حكيم  
في قدره، إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له  
في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام. (٥: ٥٧٠)

البروسوي: الفاء للسببية، فإن ما سبق سبب  
للتنهي عن التحسر. والذهاب المضي، وذهاب النفس  
كناية عن الموت. والحسرة شدة الحزن على ما فات

والقدم عليه، كما أنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على  
ما ارتكبه.

وقوله: ﴿حَسَرَاتٍ﴾ مفعول له والجمع للدلالة  
على تضاعف اغتمامه ﷺ على أحوالهم، أو على  
كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر  
و ﴿عَلَيْهِمْ﴾ صلة ﴿نَذْهَبُ﴾ كما يقال: هلك عليه حياً  
ومات عليه حزناً. ولا يجوز أن يتعلق بـ ﴿حَسَرَاتٍ﴾  
لأن المصدر لا يتقدم عليه صلتاً.

والمعنى إذا عرفت أن الكل بمشيئة الله فلا تهلك  
نفسك للحسرات على غيبتهم وإصرارهم، والغصوم  
على تكذيبهم وإنكارهم. (٧: ٣٢٦)

الآلوسي: والفاء في قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ...﴾  
تعليل لما يفهمه النظم الجليل، من أنه لا جدوى  
للتحسر، وفي «الكشاف»: «أفنه تعالى لما ذكر  
الفرقة الذين كفروا والذين آمنوا قال سبحانه  
لنبيه ﷺ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ يعني  
أفمن زُيِّنَ له سوء عمله من هذين الفريقين كمن  
لم يُزَيَّنْ له، فكان رسول الله ﷺ قال: لا، فقال تعالى:  
﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ  
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾».

و يُهْمُّهم من كلام الطيبي: أن فاء ﴿قَلَّا نَذْهَبُ﴾  
جزائية، وفاء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ للتعليل، وأن الجملة مقترنة  
من تأخير، فقد قال: إنه ﷺ كان حريصاً على إيمان  
القوم وأن يسلك الضالين في زمرة المهتدي، فقبل له  
عليه الصلاة والسلام على سبيل الإنكار لذلك:  
أفمن زُيِّنَ له سوء عمله من هذين الفريقين كمن

لم يُزَيَّنْ له. فلا بد أن يقرَّ **كَلَامُ** بالتفني ويقول: لا، فعويتُ  
يقال له: فإذا كان كذلك فلا تذهب نفسك عليهم  
حسرات، فإنَّ الله يضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء  
فقدَّم وأحرَّ، انتهى

وغيه نظر، وفي الآيات على ما يقتضيه ظاهر كلام  
الزمخشري **تَهَوَّ** ونثر، وبذلك صرَّح الطَّبَّيُّ، ثم قال:  
الأحسن أن تجعل الآيات من الجمع والتقسيم  
والتفريق. (٢٢: ١٧٠)

سيد قطب: إنَّ هذا الشأن، شأن الهدى والضلال  
ليس من أمر بشر. ولو كان هو رسول الله **ﷺ** إنما هو  
من أمر الله، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن  
وهو مقلب القلوب والأبصار، والله سبحانه يُعْزِزُ  
رسوله ويُسَلِّيه بتقرير هذه الحقيقة له، حتى يستقر  
قلبه الكبير الرحيم المُتَّفِقُ على قومه بما يراه من  
ضلالهم، ويصيرهم المحتوم بعد هذا الضلال **كَلَامُ**  
يدع ما يجهش في قلبه البشري من حرص على هدايتهم،  
ومن رؤية الحق الذي جاء به معروفًا بينهم، وهو  
حرص بشري معروف، يرفق الله سبحانه برسوله من  
وقعه في حسه، فيبين له أنَّ هذا ليس من أمره، إنما هو  
من أمر الله.

وهي حالة يعانيتها الدعاة كلما أخلصوا في  
دعوتهم، وأدركوا قيمتها وجمالها وما فيها من الخير.  
ورأوا الناس في الوقت ذاته يصدُّون عنها ويُعرضون  
ولا يرون ما فيها من الخير والجمال، ولا يستمتعون  
بما فيها من الحق والكمال، وأولى أن يُدرك الدعاة  
هذه الحقيقة التي وُاسَى بها الله سبحانه رسوله، فيُطْفِئُوا

دعوتهم باذنين فيها أقصى الجهد، ثم لا يأسوا بعد ذلك  
على من لم يقدر له الله الصلاح والفلاح. (٥: ٢٩٢٧)  
الطَّبَّاطِبَاثِي: والمراد بذهاب النفس عليهم:  
هلاكها فيهم، لأجل الحسرات الناشئة من عدم إيمانهم.  
والجملة مخرَّعة على المشرق السابق، أي إذا كانت  
الطَّافِقَاتُ مختلفتين بالإضلال والهداية من جانب الله،  
فلا تملك نفسك حسرات عليهم؛ إذ كذبوك ۖ كفروا  
به، فإنَّ الله هو الذي يضلُّهم جزاء لكفرهم، ورؤيتهم  
السَّيِّئَةِ حسنة وهو عليهم بما يصنعون، فلا يغلط عليه  
الأمر ولا يضل بهم إلا الحق، ولا يجازيهم إلا بالحق.

(١٧: ١٩)

مكارم الشيرازي: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

حسرات﴾ وهذا التعبير يشابه ما ورد في الآية ٣ من  
سورة النجم: ﴿لَقَدْ كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ مُسْتَمِعِينَ لِمَا يَكُونُوا

التعبير بـ (حسرات) الذي هو مفعول لأجله لما  
قبله في الجملة، إشارة إلى أنه ليس عندك عليهم  
حسرة واحدة، بل حسرات [إلى أن قال:]  
و لكن لماذا لا ينبغي أن تتحسّر عليهم؟! ذلك  
لأجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

واضح من نبرة الآية شدة تحرُّق الرسول **ﷺ**  
على الضالين والمنحرفين، وكذلك هي حال القائد  
الإلهي المخلص يتألم لعدم تقبُّل الناس الحق  
وتسليمهم للباطل، وضررهم بكل أسباب السعادة  
عرض الجدار، إلى حدِّ كأنَّ روحه تريد أن تصارق  
بدنه. (١٤: ٢٨)

**فضل الله:** ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾  
في ما تميشه من الرحمة الروحانية والعاطفة القلبية، إزاء هؤلاء الذين ينطلقون في خطأ الضلال باختيارهم، لأنهم لم يفتحوا على الهدى التازل من الله، ولأنهم سيواجهون غضبه وسخطه وعقابه يوم القيامة، فلا تئيش الغم والهم وحسرة الروح عليهم، لأن القوم هم الذين اختاروا لأنفسهم هذا المصير عند ما تمردوا على الله، وهم قادرون على الانسجام مع وحيه والطاعة لرسله، والالتزام برسالاته، فلا يستحقون رأفتك واهتمامك.

لاحظ: ح س ر: «حسرات»، المعجم: ١٢: ٣٦.

أخرى، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ المحجر: ٢١، فأين يذهبون؟

(التعليق: ١٠: ١٤٣)

**الطبري:** يقول تعالى ذكره: فأين تذهبون عن هذا القرآن، وتعدلون عنه؟

الزجاج: معناه: بأي طريق تسلكون أين من هذه الطريقة التي بينت لكم.

الرماني: بأي طريق أهدى لكم وأرشد من كتاب الله.

**الطبري:** أين تعدلون عن هذا القرآن، وفيه الشفاء واليان، [إلى أن قال:]

وقال الواسطي: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ من ضعف إلى ضعف، ارجعوا إلى مسحة التوبة ليستقر بكم القرار.

(١٤٣: ١٠)

**تَذْهَبُونَ**

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ.

**الطبري:** ١٢: ٤٧٥

**الفرأء:** العرب تقول: إلى أين تذهب؟ وأين تذهب؟ ويقولون: ذهبت الشام، وذهبت السوق، وانطلقت الشام، وانطلقت السوق، وخرجت الشام، وذهبت. وقال الكسائي: سمعت الرب تقول: انطلق به المغيرة، فتنصب على معنى إلقاء الصفة. [ثم استشهد بشعر]

واستجازوا في هؤلاء الأحرف [الشام] إلى «  
لكثرة استصالحهم [أياها].

الجبلي: معنى هذه الآية مقرون بأية

قتادة: فأين تعدلون عن كتابي وطاعتي من كثرة كبريائكم؟

أحدهما: [قول قتادة]

والثاني: [قول الرماني]

ويحتمل ثالثاً: فأين تذهبون عن عذابه وعقابه؟

الطوسي: معناه: أين تذهبون عن الحق الذي قد ظهر أمره وبدأت أعلامه، إلى الضلال الذي فيه البوار والهلاك، وهو استبطاء لهم في القعود عن النبي ﷺ،

والعمل بما يوجه القرآن، فالذهاب هو المصير عن شيء إلى شيء بالقعود في الأمر. [ثم استشهد بشعر]

(٢٨٧: ١٠)

الْثَرَوِيُّ سَوِيٌّ: ﴿قَاتِنٌ لِّذَهْبُونٍ﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن. والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، من ظهور أنه وحي مبين، وليس بما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها: هذا الطريق الواضح فأين تذهب؟ شُبّهت حالهم بحال من يترك الجادة، وهو معظم الطريق، ويتمسك إلى غير المسلك، فإنه يقال له: أين تذهب؟ استضلالاً له وإنكاراً على تمسكه، فقل لمن يقول في حق القرآن ما لا ينهي من وضوح كونه وحيّاً حقّاً: أي طريق تسلكون آمن من هذه الطريقة التي ظهرت حقيقتها ووضحت استقامتها، و(أئمن) ظرف مكان مؤنم منصوب به ﴿لِّذَهْبُونٍ﴾ [إلى أن قال:]

في «التساويلات التجميعية» فأين تذهبون من طريق الحق إلى طريق الباطل، وتركسون الاقتداء

نحوه الألويسي: (٣٠: ٦٦)

القاسمي: أي أي مسلك تسلكون، وقد قامت عليكم الحجة؟ لا جرم أنكم تنحون الضلال بعد هذه المزايع في الوحي ومبلغه. فمن سلك طرقها فقد بعد عن الصواب، بما لا يضبط ولم يتقرب إليه بوجه. كمن سلك طريقاً بعدد عن سُنَّتِ مقصده، فيقال: أين تذهب؟ (١٧: ٦٠٨١)

سيد قطب: أين تذهبون في حكمكم وفولكم؟ أو أين تذهبون منصرفين عن الحق، وهو يواجهكم أينما ذهبت؟ (٦: ٣٨٤٣)

ابن عاشور: والفاء لفرض التوبيخ والتعجيز

التقشيري: إلى متى تتطوِّحون في أودية الظنون والحسبان؟ وإلى أين تذهبون عن شهود مواضع الحقيقة؟ ولا رجعتكم إلى مولاكم فيما سرّكم أو أساءكم. (٦: ٣٦٣)

الزّمخشري: استضلال لهم، كما يقال لتارك الجادة اعتسافاً أو ذهاباً في بُتّيات الطريق: أين تذهب؟ مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل. (٤: ٢٢٦)

نحوه التلي: (٤: ٣٣٧)، والصابوري: (٣٠: ٣٨) ابن عطية: توقيف وتقرير، على معنى أين المنّخب لأحد عن هذه الحقائق؟ (٥: ٤٤٥)

الطبرسي: بكّهم الله سبحانه، فقال: ﴿قَاتِنٌ لِّذَهْبُونٍ﴾ أي بأي طريق تسلكون أئمن من هذه الطريقة التي قد بيّنت لكم، عن الزّجاج وقيل: معناه فأين تدلون عن هذا الذي يتوكلون عليه الشقاء والهدى. (٥: ٤٤٦)

الفخر الرازي: [نحو الزّمخشري وأدام:] والمعنى: أي طريق تسلكون أئمن من هذه الطريقة التي قد بيّنت لكم. واحتج أهل الاعتزال بهذه الآية ووجهه ظاهر. (٣١: ٧٤)

العكبري: أي إلى أين؟ فعُدّ حرف الجرّ، كما قالوا: ذهبت الشام. ويجوز أن يحمل على المعنى، كأنه قال: أين تؤمنون. (٢: ١٢٧٣)

البيضاوي: استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول ﷺ والقرآن، كقولك لتارك الجادة: أين تذهب؟ (٢: ٥٤٣)



على المُجْجِ المُتَقَدِّمَةِ المُشَبَّهَةِ، أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَجُوزُ أَنْ  
يَكُونَ كَلَامَ كَاهِنٍ، وَأَنَّهُ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ بِوَسْطَةِ الْمَلَكِ.

وهذا من اقتران الجملة المحترضة بالفاء، كما تقدم  
في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ في سورة عبس: ١٢.  
و (أَيَّنَ) اسم استفهام عن المكان، وهو استفهام  
إنكاري عن مكان ذهابهم، أي طريق ضلالهم، تشبيهاً  
لحاجهم في سلوك طرق الباطل بحال من ضل الطريق  
المجاهدة، فيسأله السائل مُكْرَراً عليه سلوكه، أي اغدبل  
عن هذا الطريق فإنه مضلة.

ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملاً في التمجيز  
من طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الأمن في  
القرآن.

والمعنى: أنه قد سُدَّتْ عليكم طرقى يهتانكم (ذ  
الضمح بالحجة الدامغة بطلان ادعائكم أن القرآن كلام  
مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدعون بعد ذلك؟) قد أرسلت  
واعلم أن جملة ﴿فَأَيَّنَ تَذْهَبُونَ﴾ قد أرسلت  
مثلاً، ولعله من مُتَكَررات القرآن، وكنت رأيت في  
كلام بعضهم: أين يذهب بك؟ لمن كان في خطر  
وعماية. (١٤٦: ٣٠)

الطُّبَّاطِبَاءِيُّ: أوضح سبحانه في الآيات السبع  
المتقدمة ما هو الحق في أمر القرآن، دافعاً عنه لارتياهم  
فيه، بما يرمون به الجاني به من الجشون وغيره على  
إيجاز متون الآيات، فبين أولاً، أنه كلام الله، واتكأ  
هذه الحقيقة على آيات التمهيد.

و ثانياً: أن نزوله برسالة ملك سماوي جليل القدر  
عظيم المنزلة، وهو أمين الوحي جبريل - لا حاجز

بينه وبين الله، ولا بينه وبين النبي ﷺ، لا صارف من  
نفسه أو غيره يحرفه عن أخذ، ولا حافظة ولا تبليغ.

و ثالثاً: أن الذي أنزل عليه وهو يتلوهُ لكم، وهو  
صاحبكم الذي لا يخفى عليكم حاله، ليس بجشون،  
كما يهتونه به، وقد رأى الملك الحامل للوحي وأخذ  
عنه وليس بكاتم لما يوحي إليه ولا بمُفَرِّق.

و رابعاً: أنه ليس بتسويل من الشيس وجنوده،  
ولا بإلقاء من بعض أشرار الجن.

ونتيجة هذا البيان أن القرآن كتاب هدى يهتدي  
به من أراد الاستقامة على الحق، وهو قوله: ﴿لَنْ هُوَ  
إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

قوله: ﴿فَأَيَّنَ تَذْهَبُونَ﴾ توطئة وتهيد لذكر  
التي هي البيان السابق، وهو استضلال لهم فيما يرونه في  
القرآن الكريم، أنه من طوائف الجنون، أو من  
مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدعون بعد ذلك؟

فلا استفهام في الآية توضيحي، والمعنى: إذا كان  
الامر على هذا فأين تذهبون وتكون الحق وراءكم؟  
(٢١٩: ٢٠)

عبد الكريم الخطيب: أي إلى أي مذهب من  
مذاهب الضلال تذهبون بعد هذا البيان المبين، وبعد  
تلك الحقيقة الواضحة؟

أهناك مذهب لكم إلى غير الله، وإلى غير ما  
تدعواكم إليه آيات الله؟ إن أي طريق آخر غير هذا  
الطريق هو الضلال والهلاك. (١٤٧٦: ١٥)

مكارم الشيرازي: أكدت الآيات السابقة  
بيان جلي، حقيقة كون القرآن كلام الله، فمحتواه

راجع: ع ض ل: لا تفضّلوهن».

٢- قَالَ إِلَهِي لِيَحْزُنْنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ  
تَأْكُلَهُ اللَّيْلُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ. يوسف: ١٣

الطوسي: أي ليحزُنني إذهابكم به، والذهاب  
والمروء والانطلاق نظائر. (١٠٧: ٦)

البهوي: أي ذهابكم به. (٤٧٩: ٢)

نحوه الشريف: (٩٣: ٢)، والحازن (٢١٨: ٣).

القرطبي: في موضع رفع، أي ذهابكم به.

(١٤٠: ٩)

البروسوي: فإن قيل: لام الابتداء تخلص

الضارع للعال عند جمهور النحاة، والذهاب هاهنا

مستعمل، فيلزم تقدم الفعل على فاعله، مع أنه أثره.

قلنا: إن التقدير: قصد أن تذهبوا به، والتصد حال

تصوّر ذهابكم وتوقّعه، والتصوّر موجود في الحال.

كما في العلة المقتضية. (٢٢١: ٤)

### لَذْهَبْنِ

١- وَتَيْنِ بَيْنَنَا لَذْهَبْنِ بِالْبَدْيِ لَوْحَتَا إِلَهِكَ ثُمَّ

لَأَعْبُدُكَ بِوَعْدِنَا وَكَيْلَا. الإسراء: ٨٦

الزجاج: أي لوشتنا لحوثنا من القلوب ومن

الكتب، حتى لا يوجد له أثر. (٢٥٨: ٣)

نحوه الميمني: (٦١٤: ٥)

الطوسي: معناه: أي أقدر أن آخذ ما أعطيتك،

كما منعتك من غيرك، لكنني دترتك بالرحمة لك،

فأعطيتك ما تحتاج إليه، ومنعتك ما لا تحتاج إليه،

يعطى عن كونه كلاماً رجعاً وليس شيطاناً، وقد

نزل به رسول كريم مقتدر وأمين، وقام بتبليغه النبي

المصدق الأمين ﷺ الذي لم يغفل في البلاغ في شيء.

وما تهاون عن تعليم الناس فيما أرسل به.

فيما توتخ الآيات أعلاه أو تلك الأذن عادوا

القرآن، وانصرفوا عن خط سير الرسالة الربانية

الهادية، فنقول لهم بصيغة الاستنهام التوبيخي: ﴿فَتَيْنِ

لَذْهَبْنِ﴾ لم تتركتم طريق الهداية؟ أو من الغفل أن

تصدوا عن النور وتجهوا صوب الظلام؟ ألا ترحمون

أنفسكم؟ وكيف تعملون على هدم أركان سمادكم

وسلامتكم؟ (٤١٦: ١٩)

فضل الله: ﴿فَتَيْنِ لَذْهَبْنِ﴾ في مذهبكم الذي

تخطبون فيها من دون أساس للهدى والهدى

فلا تركون في حديثكم إلى فكركم، ولا تطلقون من

قاعدة وعمي، بل تفتنون موقف الذي يمس بغيره

المازى الذي وضعتكم فيه الرسالة، التي أحاطت بكم

من بين أيديكم ومن خلفكم، وعن أيمانكم وشمائلكم،

من خلال وضوح الحق الذي أطلقته في حياتكم،

قاعدة للحق، وخطاً للشرعية، و منهجاً للحياة، فهل

تعرفون نهاية الطريق الذي تسرون فيه؟ إله الطريق

الذي لن يفضي بكم إلا إلى الضياع. (٩٩: ٢٤)

### لَذْهَبُوا

١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ

كُرْهًا وَلَا تَفْضَلُوهُنَّ لِذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا كَتَبْنَا لَهُنَّ.

النساء: ١٩

وإلى النص عليه.

وإن توهم قوم أنه مما يحتاج إليه، فصدبر أنت بتدبير ربك « أرض بما اختاره لك، ولو فعلنا ذلك لم نجد لك علينا وكيلاً يستوفي ذلك منا.

وقال قوم: معنى ﴿وَلَيْنُفِثْنَا لَنَذْهَبَنَّ﴾ أي لنمحو هنا القرآن من صدوركم وصدراً ممتك. (٥١٦: ٦) نحوه الطبرسي (٤٣٨: ٣)

الزَّمَخْشَرِيُّ: ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ جواب قسم محذوف مع نهايته عن جزاء الشرط، واللام الداخلة على (إن) موطئة للقسم، والمعنى: إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثراً وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب.

نحوه الخازن. الفخر الرازي: وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنه ما أتاهم من العلم إلا قليلاً، بين في هذه الآية أنه لو شاء أن يأخذ عنهم ذلك القليل أيضاً لقدر عليه؛ وذلك بأن يحو حفظه من القلوب وكتابه من الكتب. وهذا وإن كان أمراً مخالفاً للعادة إلا أنه تعالى قادر عليه.

المسألة الثانية: احتج الكعبي بهذه الآية، على أن القرآن مخلوق، فقال: والذي يقدر على إزالته والذهاب به يستحيل أن يكون قديماً، بل يجب أن يكون محدثاً.

وهذا الاستدلال بعيد، لأن المراد بهذا الإذهاب إزالة العلم به عن القلوب، وإزالة النقوش الدالة

عليه من المصحف، وذلك لا يجب كون ذلك المعلوم المدلول محدثاً. (٥٣: ٢١)

القرطبي: أي كما قدرنا على إزالته تقدر على إذهابه حتى ينسا الخلق، ويتصل هذا بقوله: ﴿وَمَا لَوْ بَيْتُكُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥، أي ولو شئت أن أذهب بذلك القليل لقدرت عليه. (٣٢٥: ١٠) التيساوي: السلام الأولى موطئة للقسم، و﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ جوابه النائب مناب جزاء الشرط. والمعنى: إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور. (٥١٦: ١)

نحوه السني (٣٢٦: ٢)

التيساوي: قال أهل النظم: لما بين أنه ما أتاهم من العلم إلا القليل، أراد أن يبين أنه لو شاء أن يأخذ عنهم ذلك القليل تقدر عليه، فقال: ﴿وَلَيْنُفِثْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾

قلت: في نسبة علم القرآن إلى القلة خروج من الأدب، فالأولى في وجه النظم أن يقال: إنه لما كشف لهم الغطاء عن مسألة الروح، وبيّن أن ذلك من العلوم الإلهية التي لانهاية لها لا من العلوم الإنسانية القليلة، وكان فيه بيان كمال علمه تعالى ونقصان علم الإنسان، أراد أن يبين غاية قدرته ونهاية ضعف الإنسان أيضاً، فبين أنه قادر على ذهاب القرآن ونحوه عن الصدور والمصاحف، وسيكون ذلك في آخر الزمان - كما جاء في الروايات - ثم لا يبعد السني أن الذي هو أكمل أنواع الإنسان من يتوكل عليه باسترداده، فضلاً عن غيره. (٧٨: ١٥)

أَبُو حَيَّان: وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنْ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ شَفَاءً وَرَحْمَةً، وَقُدْرَتَهُ عَلَى ذَلِكَ، ذَكَرَ قُدْرَتَهُ عَلَى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَنَهَبَ بِمَا أَوْحَى، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ. وَالْمَعْنَى: أَنَّا كَمَا نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى إِنْزَالِهِ، نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى إِذْهَابِهِ.

وَقَالَ أَبُو سَهْلٍ: هَذَا تَهْدِيدٌ لِغَيْرِ الرَّسُولِ ﷺ بِإِذْهَابِ مَا أَوْتُوا لِيَصْطَحُّ عَنْ سُؤَالِ مَا لَمْ يُؤْتُوا، كَقَوْلِهِمُ الرُّوحُ وَعِلْمُ السَّاعَةِ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَقَالَ «صَاحِبُ التَّحْرِيرِ»: وَيَحْتَمِلُ عِنْدِي فِي تَأْوِيلِ آيَةِ وَجْهِهِ غَيْرَ مَا ذُكِرَ. وَهُوَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا أُهْلِيَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الرُّوحِ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَبَلَغَ مِنْهُ الْغَايَةُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَهْدِيئًا لَهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: أَيْمَنَ عَلَيْكَ تَأَخَّرَ الْوَحْيُ، فَلَمَّا أُوْحِيَ بِهَا ذَهَبْنَا بِمَا «أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» جَمِيعَهُ. فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ وَطَابَ قَلْبُهُ وَلَزِمَ الْأَدَبَ. انْتَهَى.

وَالْبَاءُ فِي «لَتَذْهَبَنَّ بِالَّذِي» لِلتَّعْدِيدِ كَالْهَمْزَةِ، وَتَقْدَمُ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ «لَتَذْهَبَنَّ بِسَمْعِهِمْ» فِي أَوَائِلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. (٧٦: ٦)

أَبُو السُّعُودِ: وَثَنَ شَيْئًا لَتَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْعٌ لِلْعُلُومِ الَّتِي أُوتِيَتْهَا، وَتَثْبِتَانِ عَلَيْهِ حِينَ كَادُوا يَفْتَنُونَكَ عَنْهُ، وَلَوْلَا لَكِدْتَ تُرْكِنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا. وَإِنَّمَا عُبِّرَ عَنْهُ بِالْمَوْصُولِ تَفْخِيمًا لِعَاقِبَتِهِ وَوَصْفًا لَهُ بِمَا فِي حَيْزِ الصَّلَاةِ ابْتِدَاءً وَإِعْلَامًا بِحَالِهِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَبِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ كَلَامِ الْمَخْلُوقِ.

وَاللَّامُ مُوَطَّئَةٌ لِلْقِسْمِ، وَ«لَتَذْهَبَنَّ» جَوَابُهَا الثَّانِي

مَنَابِ جِزَاءِ الشَّرْطِ، وَبِذَلِكَ حَسَنَ حَذْفِ مَفْعُولِ الْمَشِيئَةِ.

وَالْمُرَادُ مِنَ الذَّهَابِ بِهِ: الْحُجُومُ مِنَ الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِذْهَابِ. (٤: ١٥٥)

الْأَبْرُوسِيُّ: السَّلَامُ الْأَوَّلُ مُوَطَّئَةٌ لِلْقِسْمِ الْمُخْتَوَفِ، وَالثَّانِيَةُ لَامُ الْجَوَابِ، وَهَذَا الْجَوَابُ سَادُّ مَسْأَلَةِ جَوَابِي الْقِسْمِ وَالشَّرْطِ. وَالْمَعْنَى: وَاللَّهُ إِنْ شِئْنَا ذَهَبْنَا بِالْقُرْآنِ وَمَحُونَاهُ مِنَ الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ فَلَمْ نَتْرَكْ مِنْهُ أَثَرًا، أَوْ بَقِيَتْ كَمَا كُنْتَ لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ. وَهَذَا الْكَلَامُ وَارِدٌ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ، وَالْحَالُ يَصِحُّ فَرْضُهُ لِفَرْضِ، فَكَيْفَ مَا لَيْسَ بِحَالٍ. (٥: ٢٠٠)

الْأَلُوسِيُّ: [لِجَوَابِ السُّعُودِ وَأَضَافَ:] وَرَادَ عَلَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ - عَلَى مَا قِيلَ - سُورَتُهُ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي نَقُوشِ الْكِتَابَةِ أَوْ فِي الصُّوَرِ وَطَابَ قَلْبُهُ وَلَزِمَ الْأَدَبَ. انْتَهَى. (١٥: ١٦٤)

سَيِّدُ الْقُطُبِ: وَاللَّهُ يَمْتَنُّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِهَذَا الْفَضْلِ: فَضْلُ إِنْزَالِ الْوَحْيِ، وَاسْتِقَاءُ مَا أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ الْمَلَكُ عَلَى النَّاسِ أَكْبَرُ، فَهَمَّ بِهَذَا الْقُرْآنَ فِي رَحْمَةٍ وَهَدَايَةٍ وَنِعْمَةٍ، أَجْيَالًا بَعْدَ أَجْيَالٍ. (٤: ٢٢٤٦)

ابْنُ عَاشُورٍ: وَجَلَّةُ «لَتَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» جَوَابُ الْقِسْمِ، وَهُوَ دَلِيلُ جَوَابِ الشَّرْطِ وَمَعْنَى عَنْهُ. وَ«لَتَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» بِمَعْنَى لَتَذْهَبَنَّ، أَيُّ عَنْكَ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ «تَذْهَبَنَّ» كَمَا تَقْدَمُ فِي قَوْلِهِ: «الَّذِي أَسْرَى بِقَيْنٍ» الْإِسْرَاءُ: ١.

(١٤: ١٥٨)

الطَّيَّاطِبِيُّ: الْكَلَامُ مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهُ، فَإِنَّ آيَةَ

السابقة وإن كانت متميزة لأمر مطلق الروح وهو ذو مراتب مختلفة، إلا أن الذي ينطبق عليه منه - بحسب سياق الآيات السابقة المسوقة في أمر القرآن - هو الروح السماوي النازل على النبي ﷺ الملقى إليه القرآن.

فالمنق - والله أعلم - الروح النازل عليك الملقى بالقرآن إليك من أمرنا غير خارج من قدرتنا، وأقسم لئن شئنا لنذهبن بهذا الروح الذي هو كلمتنا الملقاة إليك، ثم لا نجد أحداً يكون وكيلاً به لك علينا، يدافع عنك ويطالبنا به، ويجبرنا على رد ما أذهبنا به.

(١٢: ٢٠٠)

مكارم الشيرازي: إنا نحن الذين أعطناك هذه العلوم حتى تكون قائماً وهادياً للناس، ونحن الذين إذا شئنا استرجعناها منك، وليس لأحد أن يعترض على ذلك.

فضل الله: ﴿وَلَيْنُشِئَنَّ لَكَ بِأَلَدِي لَوْحَةً إِيَّاكَ﴾ من القرآن، الذي منحك ومنح الناس معك مقداراً من العلم، بالأسباب التي يذهب بها العلم من الذاكرة أو من الكتب، ﴿وَلَمْ لَا نَجِدْ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ يرده إليك وإلى الآخرين، لأن ما يأخذه الله فلا راد له إلا هو، إذ إنه هو الذي يملك ما لا يملكه أحد، ﴿يُعْطِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَخْتَارُ﴾ ويمنحه من يشاء في أي موقع.

(١٤: ٢٢٥)

٢- قَامَا لَدَعْنُ بِكَ قَالَا مِلْهُم مُتَتَبِعُونَ

الزخرف: ٤١

قتادة: ذهب الله بنبيه ﷺ ولم ير في أمته إلا الذي يقر به عينه، وأبقى الله النعمة بعده، وليس من نبي إلا وقد رأى في أمته العقوبة، أو قال: ما لا يشتهي. ذكر لنا أن النبي ﷺ أرى الذي لقيت أمته بعده، فما زال منقبضاً ما تهبط ضاحكاً حتى لقي الله تبارك وتعالى. (الطبري ١١: ١٩٠)

الطبري: اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الوعد.

فقال بعضهم: عني به أهل الإسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام.

وقال آخرون: بل عني به أهل الشرك من قریش.

وقالوا: قد أرى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم.

عن السدي في قوله: ﴿قَامَا لَدَعْنُ بِكَ قَالَا مِلْهُم مُتَتَبِعُونَ﴾ كما انتقمنا من الأمم الماضية ﴿أَوَلَمْ نَكُ أَهْلًا لِلْعِلْمِ﴾ ﴿وَعَدْنَا لَهُمُ﴾ الزخرف: ٤٢، فقد أراء الله ذلك وأظهره عليه.

وهذا القول الثاني، أول التأويلين في ذلك بالصواب، ذلك أن ذلك في سياق خبر الله عن المشركين، فلأن يكون ذلك تهديداً لهم أولى من أن يكون وعيداً لمن لم يجر له ذكر، فمعنى الكلام: إذ كان ذلك كذلك: فإن نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين، فتخرجك من بينهم. (١١: ١٩٠)

الطوسي: معناه إن نذهب بك، ف لما دخلت (ما) على حرف الشرط أشبه القسم في التأكيد والإيذان بطلب التصديق، فدخلت التوون في الكلام لذلك، لأن التوون يلزم في جواب القسم ولا يلزم في



الذهاب بالتي ﷺ من بين أولئك القوم: وفاته أم هجرته من مكة إلى المدينة، فإنه إشارة إلى أنك حتى وإن لم تكن شاهداً وناظراً لأمرهم، فإننا سنعاقبهم أشد عقاب إن استمروا في طريق ضلالهم وغتهم، لأن الانتقام في الأصل يعني الجزاء والعقوبة، وإن كان المستفاد من آيات قرآنية عديدة أخرى نزلت في هذا المعنى إن المراد من الذهاب بالتي ﷺ وفاته، كما جاء في الآية ٤٦: من سورة يونس: ﴿وَإِذَا لَيْتُكَ بِخَضِرٍ أَوَّلِيٍّ أَوْ تَوَلَّيْتُكَ فَأَلَيْتَا مَرَجَّتُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِدَ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾.

• جاء هذا المعنى أيضاً في سورة الرعد: ٤٠ وسورة المؤمن: ٧٧، وعلى هذا فإن تفسير الآية بالهجرة لا يبدو مناسباً.

### أَذْهَبَ

١- قَالَوَايَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَلْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ.

المائدة: ٢٤

الطبري: لا يخفى عليك يا موسى إن ذهبت إليهم فقتلناهم، ولكن تتركك تذهب أنت وحدك وربك فقتلناهم. و كان بعضهم يقول في ذلك: ليس معنى الكلام: اذهب أنت و ليذهب معك ربك فقتلنا، ولكن معناه: اذهب أنت يا موسى، وليعترك ربك وذلك أن الله عز ذكره لا يجوز عليه الذهاب. وهذا إما كان

يحتاج إلى طلب المخرج له لو كان الخبر عن قوم مؤمنين، فأتوا قوم أهل خلاف على الله عز ذكره ورسوله، فلا وجه لطلب المخرج لكلامهم، فيما قالوا في الله عز وجل واغتروا عليه، إلا بما يشبه كفرهم وضلالهم. (٤: ٥٢١)

الطوسي: وإنا لم يقرن قوله: ﴿فَاذْهَبْ أَلْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ بالتكثير، إذ الذهاب لا يجوز عليه تعالى لأمرين:

أحدهما: لأن الكلام كله يدل على الإنكار عليهم والتصيب من جهلهم في تلقينهم أمر نهيهم بالرد له والمخالفة عليه.

الثاني: لأنهم قالوا ذلك على الجاهل بمعنى: وربك سيئ لك، على ما ذكره الطبري، والأول أقوى، لأنه أظهر من أولئك الجهال. وإنا يتأول على ما قاله

و فيها مباحث راجع: ن ق م: م متحسسون التهمة كقولهم: كانوا آمن لا يجوز عليهم مثل ذلك. وقال الحسن: هذا القول منهم يدل على أنهم كانوا مشبهة، وأنهم كفروا بذلك بالله.

وقال أبو علي: إن كانوا قالوه على وجه الذهاب من مكان إلى مكان فهو كفر، لأن ذلك جهل بالله تعالى. وإن قالوه على وجه الخلاف فهو فسق. (٣: ٤٨٧) نحوه الطبري: (٢: ١٨٠)

الحبيدي: أي فاذْهَبْ أنت لقاتل وربك في الدفع منك والتصر لك عليهم. (٣: ٧٨)

الزمخشري: يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب، ولكن كما تقول: كلمته فذهب يجيبني، تريد معنى الإرادة والقصد للجواب، كما أنهم قالوا:

الأول: لعل أقوم كانوا مجسمته، وكانوا يجوزون  
الذهاب والجيء على الله تعالى.

الثاني: يحتمل أن لا يكون المراد حقيقة الذهاب بل  
هو كما يقال: كلمته لذهب يجيبني، يعني يريد أن  
يجيبني، فكأنهم قالوا: كن أنت وربك مردين لقتالهم.

والثالث: التقدير: ﴿أذهب أنت وربك﴾ معين  
لك برؤسك، فأضر خبر الابتداء.

لأن قيل: إذا أضمرنا الخبر فكيف يجعل قوله:  
﴿فَقَابَلَا﴾ خبراً أيضاً؟

قلنا: لا يمتنع خبر بعد خبر.

والرابع: المراد بقوله: ﴿وَرَبُّكَ﴾ أخوه هارون،  
أو صوته، ربما لأنه كان أكبر من موسى.

قال المفسرون: قولهم: ﴿فَأَذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾، إن  
المراد على وجه الذهاب من مكان إلى مكان فهو كفر.

والمراد على وجه التمرد عن الطاعة فهو فسق،  
ولقد فسقوا بهذا الكلام بدليل قوله تعالى في هذه

القصّة: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة: ٢٦.

والمقصود من هذه القصّة شرح خلاف هؤلاء اليهود  
وشدة بغضهم وغلوتهم في المنازعة مع أنبياء الله تعالى  
منذ كانوا.

القرطبي: جهلوا صفة الربّ تبارك وتعالى،  
فقالوا: ﴿فَأَذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ وصفوه بالذهاب

والانتقال، والله متعال عن ذلك. وهذا يدل على أنهم  
كانوا مشتهة، وهو معنى قول الحسن، لأنه قال: هو

كفر منهم بالله، وهو الأظهر في معنى هذا الكلام.  
وقيل: أي إن نصرة ربك أحق من نصرتنا، وقتاله

أريدنا قتالهم. والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانةً بالله  
ورسوله وقلّة مبالاة بهما واستهزاء، وفصدوا  
إذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي  
عبدوا بها العجل وسألوا بهارؤية الله عز وجل  
بجهرته. والدليل عليه مقابلة ذهابهما بعودهم.

ويحكي أن موسى وهارون ~~الذين~~ خسرًا  
لوجودهما قد أمسهما شدة ما ورد عليهما، فهتوا

برجمهما. ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين، وقدمهم  
عليهم في قوله تعالى: ﴿تَجِدُنَ أَتَدُ الثَّاسَ عَدَاوَةً

بِالَّذِينَ آمَنُوا يَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ لما عصوه  
وتعدوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة

الكفر، ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هارون.

ابن عطية: وهذه عبارة تقتضي كفرًا. وذهب  
بعض الناس إلى أن المعنى: اذهب أنت وربك ~~فكفرتا~~ فكفرتا

بأن الكلام معصية لا كفر. وقولهم: ﴿فَقَابَلَا﴾ يقطع  
بهذا التأويل.

وذكر النقاش عن بعض المفسرين أن المراد بالربّ  
هنا: هارون، لأنه كان أسن من موسى، وكان

معلمًا في بني إسرائيل، محببًا لسعة خلقه ورحب  
صدره، فكأنهم قالوا: اذهب أنت وكبيرك.

وهذا تأويل بعيد، وهارون إنما كان وزيرًا  
لموسى وتأويله في معنى الرسالة، ولكنه تأويل

يخلص بني إسرائيل من الكفر. (٢: ١٧٥)

الفخر السرازي: وفي قوله: ﴿فَأَذْهَبَ أَنتَ  
وَرَبُّكَ وَجُوه﴾



صورة الإنسان يُسبِّد منه أنه يجوز حقيقة الذهاب  
والجبيء على الله تعالى إلا أن يكون من الجهلة.

(٢٧٦: ٢)

الأنوسي: ﴿فَإَذْهَبْ﴾ أي إذا كان الأمر كذلك  
﴿فَإَذْهَبْ أَلْتِ وَرَبُّكَ قَقَائِلًا﴾ أي قاتلهم  
وأخرجهم حتى ندخل الأرض. وقالوا ذلك استهانة  
واستهزاء به سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام  
وعدم مبالاة بهما. وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينه عن  
غاية جهلهم وقسوة قلوبهم، والمقابلة بقوله تعالى:  
﴿إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ هو قيل: أرادوا إرادتهما وقصدتهما،  
كما تقول: كلمته فذهب بجيبي، كأنهم قالوا: فأريدنا  
قتالهم واقتصاصهم.

وقال البلخي: المراد ﴿فَإَذْهَبْ أَلْتِ وَرَبُّكَ﴾  
يعنيك، قالوا للحال وها أنت بهتدا حذفت خبره  
ولم يذكروا أخاه هارون عليه السلام ولا الرجلين اللذين  
قالا، كأنهم لم يميزوا بذهابهم، أو لم يعبؤا بقتالهم.

(١٨٠: ٦)

رشيد رضا: قالوا لموسى ما معناه: إن كنت  
أخرجتنا من أرض مصر بأمر ربك، لنسكن هذه  
الأرض التي وعد بها آبائنا، وقد علمت أن هذا يتوقف  
على القتال وألنا لا نقاتل، فاذهب أنت وربك الذي  
أمرك بذلك، فقاتل الجبارين، واستأصلاشاً لهم، أو  
أهزمهم وأخرجهم منها...

وقد حاول بعض المفسرين حمل هذا القول  
السُّمَّج الخارج من حدود الآداب على معنى مجازي

معك إن كنت رسوله أولى من قتالنا، فطلى هذا يكون  
ذلك منهم كفر، لأنهم شكوا في رسالته. (١٢٨: ٦)

البيضاوي: قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله  
وعدم مبالاة بهما. وقول: تقديره اذهب أنت وربك  
يعنيك. (٢٧٠: ١١)

التسقي: من العلماء من حمل على الظاهر،  
وقال: إنه كفر منهم وليس كذلك، إذ لو قالوا ذلك  
اعتقاداً وكفروا به لحاربهم موسى، ولم تكن مقاتلة  
الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء. ولكن الوجه فيه  
أن يقال: فاذهب أنت وربك يعنيك على قتالك،  
أو وربك، أي وسيدك وهو أخوك الأكبر هارون،  
أو لم يرد به حقيقة الذهاب، ولكن كما تقول: كلمته

فذهب بجيبي، تريد معنى الإرادة، كأنهم قالوا:  
أريدنا قتالهم.

نحوه الثياوري:

الخازن: [نقل الأحوال الماضية ثم قال:]

والأصح أنهم إنما قالوا ذلك جهلاً منهم بالله  
تعالى وصفاته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ  
قَدْرِهِ﴾ (٢٧: ٢)

أبو حيان: ظاهر الذهاب الانتقال، وهذا يدل  
على أنهم كانوا مشبهة، ولذلك قال الحسن: هو كفر  
منهم بالله تعالى. [ثم نقل كلام الزمخشري وغيره]

(٤٥٦: ٣)

البروسوي: أي قاتلهم، إنما قالوا ذلك  
استهانة واستهزاء به تعالى ورسوله وعدم مبالاة  
بهما، لأنهم قصدوا ذهابهما حقيقة، لأن من هو في



وأطلقنا بعدنا. فجار موسى وأخاه هارون أمام  
القوم، ما ذا يفعلان؟» (٥٩٦:٣)

**فضل الله:** ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَرُّدُّكَ لَهَا أَبَدًا مَا  
دَلَّمُوا فِيهَا﴾ تلك هي الكلمة الأخيرة التي لا تقبل  
تفاوضًا، وامتد الصوت ليطن الانفصال عن موسى ﷺ  
فهم غير ملزمين بطاعته في القتال، لأنهم يحبون الحياة  
أكثر مما يحبون المقدسات ﴿فَاذْهَبْ أَلْتَّ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا  
إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ أما إذا كان موسى ﷺ يبعدكم  
عن الله، ويستعين به عليهم، ويملا قلوبهم بالشعور  
بقوته، فليذهب هو وربّه فليقاتلا إذا كانا يريان القتال  
لازمًا، ويريان المعركة متصرة، فذلك هي مسؤوليتهما

لخدمة الرسالة التي أرسلها الله وحملها موسى ﷺ، أما  
هم جتوده وأتباعه، فلا مسؤولية لهم في ذلك ككلمة  
فإنهم قاعدون منتظرون للنتائج الإيجابية أو السلبية.

٢- اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى طه : ٢٤

**الطبري:** في الكلام محذوف استغنى بهم السامع  
بما ذكر منه، وهو قوله: ﴿اِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾  
فادعُه إلى توحيد الله وطاعته، وإرسال بني إسرائيل  
معك. (٤٠٩:٨)

**الطوسي:** أي امض إليه وادعُه إلى الله، وحوّكه  
من عقابه، فإنه طغى. (١٦٩:٧)

**القشيري:** بعد ما أسعده كلامه من غير واسطة،  
وشرّف مقامه وأجزل إكرامه، أمره بالذهاب ليدعو  
فرعون إلى الله، مع علمه بأنه لا يؤمن ولا يجيب ولا

يسمع ولا يعرف، فشقّ على موسى ذهابه إلى فرعون،  
وسماع جعده منه، بعد ما سمع من الله كلامه سبحانه.  
ولكنه أثر أمر محنته على مراد نفسه. (١٢٥:٤)  
**القرطبي:** لما آتاه بالعصا واليد، وأراه ما يدلّ  
على أنه رسول الله أمره بالذهاب إلى فرعون، وأن  
يدعوه. (١٩٢:١١)

نحوه أبو حيان. (٢٣٧:٦)

**البيضاوي:** اذهب إلى فرعون بهاتين الآيتين،  
وادعُه إلى العبادة. (٤٨:٢)

نحوه البروسوي (٢٧٧:٥)، والكاشاني (٣:٤٠٤)،  
وشهر (١٤٨:٤)

**ابن كثير:** أي اذهب إلى فرعون ملك مصر الذي  
خرجت فارًا منه وهاريا، فادعُه إلى عبادة الله وحده لا  
شريك له، وسره، فليحسن إلى بني إسرائيل ولا  
يشتبه بكأنه قد طغى وبغى، وأثر الحياة الدنيا، ونسي  
الربّ الأعلى. (٥٠٢:٤)

**أبو السعود:** تخلص إلى ما هو المقصود من تهديد  
المقدمات السابقة، فصل عما قبله من الأوامر إنيذا  
بأصافه، أي اذهب إليه بما رأيته من الآيات الكبرى،  
وادعُه إلى عبادتي، وحذّره بتمقي، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ  
طَغَى﴾ تحليل للأمر، أو لوجوب المأمورية، أي جاوز  
الحذر في التكبر والتعوّ والتجبر حتى تجاسر على  
الظلمة التي هي دهوى الرئوسية. (٢٧٦:٤)

نحوه القاسمي (٤١٧٦:١١) والمراغي (١٠٥:١٦)  
الآلوسي: وذلك أنه ﷺ علم من الأمر  
بالذهاب إليه والتحليل بالعلّة المذكورة، أنه كلف أمرًا

ولمّا علم موسى ذلك لم يبادر بالمراجعة في الخوف من ظلم فرعون، بل تلقى الأمر، وسأل الله الإعانة عليه، بما يؤول إلى رباطة جأشه وخلق الأسباب التي تعينه على تلبّسه، وإعطائه فصاحة القول للإسراع بالإقناع بالحجّة. (١٦: ١١٢)

مفاتيح: أمر الله موسى أن يردع فرعون عن ظلمه وطفائه، وهو صاحب الخول والطول الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [إلى أن قال:]

أهذا الضعيف الذي لا يملك شيئاً من عظام الدنيا يذهب إلى فرعون صاحب الخول والطول ليهده عن غيه وجبروته؟ ولكن هذا ما حصل، فلقد ذهب إلى فرعون وتلّته بعصاه فلققت ما يافكون. ﴿وَيَذَرُكُمْ يَوْمَ الْبُيُوتِ يُبْدِئُ الْبُيُوتَ فَتَشْهَدُ لَهُ بِهَدْيِهِ وَتَزَاهَتِ عَنْ كُلِّ الْإِسْطِطَةِ فِي حَضْرَةِ رَبِّهِ. بِحَسْرِ الرَّضَى وَالتَّكْرِيمِ وَالْحَقَاوَةِ، فَلَيْسَ لَهُ كُلُّ مَا يَطْمَعُهُ عَلَى مَوَاجِهَةِ رُفَّتِهِ﴾ هذا هو أمر الرسالة وكانت الآيات السابقة: ﴿وَمَا يُلْقِ بِمِثْلِكَ﴾ [إلى مقدّمة له. (٥: ٢١٢)]

صكّارم الشيرازي: أجل فمن أجل إصلاح بيئة فاسدة، وإيجاد ثورة شاملة، يجب البدء برؤوس الفساد وأئمة الكفر، من أولئك الذين لهم تأثير في جميع أركان المجتمع، ولهم الحضور في كل مكان، بأنفسهم أو أفكارهم أو أنصارهم. أولئك الذين تركّزت كل الوسائل والمنطلقات الإعلامية والاقتصادية والسياسية في قبضتهم، فإذا ما أصلح هؤلاء، أو قلّمت جذورهم عند عدم التمكن من إصلاحهم، فيمكن أن يؤمن خلاص ونجاة المجتمع.

عظيماً وخطباً جسيماً، يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابض وصدر قسيح. فاستوهم ربه تعالى أن يشرح صدره ويجعله حلماً حيوياً يستقبل ما عسى أن يُرَدَّ عليه في طريق التبليغ والذهوة إلى مرالح الحق من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بحمل الصبر وحسن الثبات، وأن يسهّل عليه مع ذلك أمره الذي هو أجل الأمور وأعظمها وأصعب الخطوب وأهولها بتوفيق الأسباب ورفع الموانع. (١٦: ١٨١)

سيد قطب: إلى هنا لم يكن موسى يعلم أنه مُنتدب لهذه المهمة الضخمة، وإله لم عرف من هو فرعون، فقد رُمي في قصره، وشهد طفائه وجبروته. وشاهد ما يصبّه على قومه من عذاب ونكال، وهو اللسطة في حضرة ربه. بحسْرِ الرضى والتكريم والمقاوة، فليس له كل ما يطمعه على مواجهة رُفَّتِهِ المهمة العسيرة، ويكفل له الاستقامة على طريق الرسالة. (٤: ٢٣٣٣)

أمين عاشور: والذهب المأمور به ذهب خاص، فهمه موسى من مقدّمات الإخبار باختباره، وإظهار المعجزات له، أو صرّح له به وطوى ذكره هنا على طريقة الإيجاز، على أن التعليل الواقع بعده ينسب به.

فجملته ﴿إِلَهُ طَفَى﴾ تعليل للأمر بالذهاب إليه، وإثما صلحت للتعليل، لأن المراد ذهب خاص، وهو إبلاغ ما أمر الله بإبلاغه إليه من تغييره، عما هو عليه من عبادة غير الله.

وإلا فلن أي إصلاح يحدث فإنه سطحي، وموقت وزائل.

«الملفت للنظر أن دليل وجوب الابتداء بفرعون ذكر في جملة قصيرة «إِنَّهُ طَغَى» حيث جمع في كلمة «طغيان» كل شيء. الطغيان وتجاوز الحدود في كل أبعاد الحياة، ولذلك يقال هؤلاء الأفراد طاغوت.

(٤٨٢:٩)

٣- إذهب أنت وأخوتك يا ياقان ولا تثنيا في ذكرى.

طه: ٤٢

المخشي: أي انضيا بالتوراة.

البروسوي: والذهاب: المضي، يقال: ذهب

بالشيء وأذهبته ويستعمل ذلك في الأعيان والمساكن

قال تعالى: «إِلَى ذَاهِبٍ إِلَى رَبِّي» الصافات: ٥٥

وقال: «فَإِذَا ذَهَبَ عَنْ إِرْثِهِمْ الرَّوْعُ» هود: ٦٤

مرآة العقاب: ٢٢٨

٤- قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ

لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ.

طه: ٩٧

راجع: م س س: «مِساس».

٥- إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَقِمْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ كَوِّلْ عَنْهُمْ

فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ.

التفسير: في الآية إشارة إلى أنه لا ينبغي

للإنسان أن يذكر بين يدي الملوك كل كلمة، فإنه يجر

العناء بذلك إلى نفسه، وقد كان لسليمان من الخدم

والحشم ومن يأمر بأمره الكثير، «لكنه لم يستعمل

واحدًا في هذا التكليف إلا الهدد، لأنه هو الذي قال

ما قال، فلزمه الخروج من عهده ما قال.

ويقال: لما صدق فيما أخبر الملكة هوّض عليه،

فأهل للسفارة والرسالة على ضعف صورته.

فمضى الهدد، وألقى الكتاب إليها كما أمر،

واتمى إلى جانب ينتظر ماذا يفعلون، وبماذا يجاب.

(٣٤: ٥)

أبوحيان: في قوله: «إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَقِمْ

إِلَيْهِمْ» دليل على إرسال الكتب إلى المشركين من

الإمام، يُطهِمُ الدعوة ويدعوهم إلى الإسلام، وقد

كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقصر وغيرهما

(٧٠: ٧)

الشرقيين: «إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا» فكانه كان مهيناً

لعدوه، فدفعه إليه وأمره بالإسراع، فطار كائد البرق،

ولذلك كان الفناء في قوله: «فَأَقِمْ إِلَيْهِمْ» أي الذين

ذكرت أنهم يهدون الشمس؛ وذلك للاهتمام بأمر

الدين.

أبو السعود: امتتناف مبین لكيفية النظر الذي

وعده عليه الصلاة والسلام، وقد قاله عليه الصلاة

والسلام بعد ما كتب كتابه في ذلك المجلس أو بعده.

وتخصيصه عليه الصلاة والسلام إتياء بالرسالة دون

سائر ما تحت ملكه من أمناء الجسن الأقوياء على

التصرف والتصرف، لما عاين نفسه من عجزه العلم

والحكمة وصحة الدراسة، ولتلا يبقى له عذر أصلاً.

(٨١: ٥)

البروسوي: وفي «التأويلات التجميعية»: يشير

يُشَارُ ذَكَرَ قَاضِيَيْنِ وَأَمِيرَيْنِ. وَالرَّسَالَةُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَإِنَّهَا تَبْلِيغٌ عَنِ اللَّهِ، لِهِيَ بِغَزَلَةِ الشَّهَادَةِ. فَإِنْ كَانَ الْقَضَاءُ، وَقَلْنَا: لَا يَجُوزُ لَنَبِيٍّ أَنْ يَشْرَعَ إِلَّا بِوَحْيٍ، جَازٍ أَنْ يَحْكُمَ مَعًا، وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَجْتَهِدَ النَّبِيُّ لَمْ يَحْكَمْ إِلَّا أَحَدُهُمَا، وَهَذَا يَتِمُّ بَيَانُهُ فِي قِصَّةِ دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. (٣: ١٢٦٠)

الطَّبْرَمِي: كَرَّرَ الْأَمْرَ بِالذَّهَابِ لِلتَّأْكِيدِ وَقِيلَ: إِنَّ فِي الْأَوَّلِ حُصْنَ مُوسَى بِالْأَمْرِ، وَفِي الثَّانِي أَمْرُهُمَا لِصِرَاطَيْنِ وَشَرِيكَيْنِ فِي الْأَمْرِ. (٤: ١١)

الْقَطْرُ الرَّازِي: وَفِيهِ سَوَالَانِ:

الأول: مَا الْفَائِدَةُ فِي ذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ هَبْنَا آدَمَ

وَالْحَوَّةَ بَابَاتَيْنِ﴾؟

بَالَ الْقِفَالِ: فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ قَوْلَهُ: ﴿إِذْ هَبْنَا آدَمَ وَالْحَوَّةَ بَابَاتَيْنِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَمْرًا بِالذَّهَابِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ، فَقِيلَ مَرَّةً أُخْرَى: إِذْ هَبْنَا، لِيُعْرَفَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ أَنْ يَشْتَغِلَ بِذَلِكَ جَمِيعًا، لَا أَنْ يَنْفَرِدَ بِهِ هَارُونَ دُونَ مُوسَى.

وَالثَّانِي: أَنْ قَوْلَهُ: ﴿إِذْ هَبْنَا آدَمَ وَالْحَوَّةَ بَابَاتَيْنِ﴾ أَمْرٌ بِالذَّهَابِ إِلَى كُلِّ النَّاسِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ، فَمِنْ إِنْ قَوْلَهُ: ﴿إِذْ هَبْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ أَمْرٌ بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَحْدَهُ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: قَوْلُهُ: ﴿إِذْ هَبْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ خِطَابٌ مَعَ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهَذَا مُشْكِلٌ لِأَنَّ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ حَاضِرًا هُنَاكَ، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَحْنُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يُطْفَأَ﴾ طه: ٤٥، أَجَابَ الْقِفَالُ عَنْهُ مِنْ وَجْهٍ:

إِلَى أَنَّهُ لَمَّا صَدَّقَ لِمَا أَخْبَرَ وَيَذَلُّ التَّصَحُّحُ لِمَلِكِهِ وَرَأَى جَانِبَ الْحَقِّ، عَوَّضَ عَلَيْهِ حَتَّى أَهْلَ لِرِسَالَةِ رَسُولِ الْحَقِّ، عَلَى ضَعْفِ صُورَتِهِ وَمَعْنَاهُ. (٦: ٣٤١) الْأَلُوسِي: [نَحْوَ أَبِي السَّمْعَوِيِّ فِي وَجْهِ التَّخْصِيصِ وَاضَافَ:] وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ إِرسَالِ الْكُتُبِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْإِمَامِ، لِإِبْلَاجِ الدَّعْوَةِ وَالذِّعَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ. وَقَدْ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى كَسْرَى وَقَيْصَرَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ. (٢٠: ١٩٣)

ابْنُ عَاشُورَ: ﴿إِذْ هَبْنَا بِكِتَابِنَا هَذَا﴾ يَنْتَضِي كَلَامًا مَحْذُوفًا، وَهُوَ أَنَّ سَلِيمَانَ فَكَّرَ فِي الْإِتِّصَالِ بَيْنَ مَمْلَكَتِهِ وَبَيْنَ مَمْلَكَةِ سَبَأَ، فَأَحْضَرَ كِتَابًا وَحُمِّلَهُ الْهَدْفُ.

(١٩: ٢٥٣)

الطَّبْاطِبَائِي: حِكَايَةُ قَوْلِ سَلِيمَانَ خِطَابَتَهُ لِلْهَدْفِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَكَتَبَ سَلِيمَانُ كِتَابًا، ثُمَّ قَالَ لِلْهَدْفِ:

إِذْ هَبْ بِكِتَابِي هَذَا إِلَيْهِمْ، أَيْ إِلَى مَمْلَكَةِ سَبَأَ وَمَنْ لَهَا، فَالْقِيَةُ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، أَيْ تَنَحَّى عَنْهُمْ، وَقَعَّ فِي مَكَانٍ تَرَاهُمْ، فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ، أَيْ مَاذَا يَرُدُّ بَعْضُهُمْ مِنَ الْجَوَابِ عَلَى بَعْضٍ إِذَا تَكَلَّمُوا فِيهِ. (١٥: ٣٥٧)

إِذْ هَبْنَا

١- إِذْ هَبْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِلَهُ طَفَى. طه: ٤٣

أَلُو أَحَدِي: تَكَرَّرَ الْأَمْرُ بِالذَّهَابِ لِلتَّأْكِيدِ.

(٣: ٢٠٧)

نَحْوُهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ.

ابْنُ الْعَرَبِيِّ: يَجُوزُ أَنْ يُرْسَلَ اللَّهُ رَسُولَيْنِ، وَقَدْ

جمع بمقبلة فاستقبله. (٥٠: ٢)

نحوه شبر. (١٥١: ٤)

التسفي: كُرِّرَ لَأَنَّ الْأَوَّلَ مَطْلُوقٌ وَالثَّانِي مَقِيدٌ.

(٥٤: ٣)

أبوحيان: أي بالرسالة. «أبعد من ذهب إلى

ألهما أمرا بالذهاب أولا إلى القاس وثانيا إلى

فرعون، فكرر الأمر بالذهاب لاختلاف المتعلق، وثبه

على سبب الذهاب إليه بالرسالة من عنده بقوله:

«إِنَّهُ طَعْنِي» أي تجاوز الحد في الفساد ودعواه

الروية والإلهية من دون الله. (٢٤٥: ٦)

الشرييني: [نقل كلام الفاعل المتقدم عند الفخر

الرازي وأضاف:]

واستبعد هذا بل الذهابان متوجهان لشيء واحد،

فحذف من كل من الذهابين ما انتهت في الآخر.

وقيل: إنه حذف المذهب إليه من الأول وانتهت

في الثاني، وحذف المذهب به وهو «بأيتاني» من

الثاني وانتهت في الأول. (٤٦٤: ٢)

أبو السعود: «إذهابا إلى فرعون» جمعها في

صيغة أمر المحاضر مع غيبة هارون إذ ذاك للتخلص،

وكذا الحال في صيغة اتهم.

روي أنه أوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى

موسى عليهما السلام. وقيل: سمع بإقباله فتلقاه.

(٢٨٢: ٤)

البر وسوي: هذا الخطاب إما بطريق التلقين أو

بعد ملاقة أحدهما الآخر، وتكرير الأمر بالذهاب

لترتيب ما بعده عليه. (٣٨٨: ٥)

أحدها: أن الكلام كان مع موسى <sup>عليه</sup> وحده، إلا

أنه كان متبوع هارون، فجعل الخطاب معه خطابا مع

هارون، وكلام هارون على سبيل التقدير، فالخطاب

في تلك الحالة وإن كان مع موسى <sup>عليه</sup> وحده إلا أنه

تعالى أضافه إليهما، كما في قوله: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا»

البقرة: ٧٢، وقوله: «ثَلَاثِينَ رَجُلًا إِلَى النَّدْبَةِ يُهَيَّجُونَ»

الأنعام: ١٥، المناقون: ٨، وحكي أن القائل هو

عبد الله بن أبي وحده.

وثانيها: يحتمل أن الله تعالى لما قال: «قَدْ أُوْتِيتَ

مُؤْتَلَكًا يَا مُوسَى» سكت حتى نفى أخاه، ثم إن الله

تعالى خاطبهما بقوله: «إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ»

وثالثها: أنه حكي أنه في مصحف ابن مسعود

وحفصة: «قَالَ رَبُّنَا إِنَّا لَنُفَاكٌ» أي قال موسى: «إِنَّا

وأخي غفاب فرعون.

نحوه التيساري.

القرطبي: قوله تعالى: (إِذْهَبَا) قال في أول الآية:

«إِذْهَبَا أَلَيْتَ وَأَلْهَوْلَ بِأَيْتَانِي» وقال هنا: «إِذْهَبَا»

فقيل: أمر الله تعالى موسى وهارون في هذه الآية

بالنفوذ إلى دعوة فرعون، وخاطب أولا موسى وحده

تشريفا له، ثم كرر للتأكيد.

وقيل: يعني بهذا أنه لا يكفي ذهاب أحدهما.

وقيل: الأول أمر بالذهاب إلى كل القاس، والثاني

بالذهاب إلى فرعون. (١٩٩: ١١)

البيضاوي: أمر به أولا موسى عليه الصلاة

والسلام وحده، وها هنا إياه وأخاه، فلا تكرير.

قيل: أوحى إلى هارون أن يتلقى موسى. وقيل:

الآلوسي: وروي أنه أوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليه السلام.

وقيل: ألهم ذلك.

وقيل: سمع بإقباله فتلقاه.

ويمحتمل أنه ذهب إلى الطور واجتماعا هناك فخطبهما معا.

ويمحتمل أن هذا الأمر بعد إقبال موسى عليه السلام من الطور إلى مصر واجتماعه بهارون عليه السلام مقبلا إليه من مصر.

و فرّق بعضهم بين هذا وقوله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَلَيْكَ وَالْخُوفُ﴾ بأنه لم يسن هناك من يذهب إليه وبين هذا.

وبعض آخر: بأنه أمرا هنا بالذهاب إلى فرعون و كان الأمر هناك بالذهاب إلى عموم أهل الدنيا وبعض آخر: بأنه لم يخاطب هارون هناك وخوطب هنا. وبعض آخر: بأن الأمر هناك بالذهاب تكملة على الانفراد نصا أو احتمالا والأمر هنا بالذهاب على الاجتماع نصا.

ولا يخفى ما في بعض هذه الفروق من النظر والفرق ظاهر بين هذا الأمر والأمر في قوله تعالى أو لا خطابا لموسى عليه السلام ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾.

(١٦: ١٩٤)

سيد قطب: اذنها إلى فرعون فقد طغى وتجبر وعنا، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لَيْسَ﴾ ما تقول اللسن لا يُشير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطفقاء ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر، ويخشى عاقبة الطغيان.

اذنها إلى غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى. فالذّاعة الذي يئس من اعتناء أحد بدعوته لا يلبثها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه المبحود والإنكار.

وإن الله ليعلم ما يكون من فرعون، ولكن الأخذ بالأسباب في الدّعوات وغيرها لا بد منه، والله يحاسب الناس على ما يقع منهم بعد أن يقع في عالمهم، وهو عالم بأنه سيكون، فعلمه تعالى بمستقبل الحوادث كعلمه بالحاضر منها والماضي، في درجة سواء.

(٤: ٢٣٣٦)

ابن عاشور: يجوز أن يكون انتقال إلى خطاب موسى و هارون. فيقتضي أن هارون كان حاضرا هنا الخطاب، وهو ظاهر قوله بعده: ﴿قَالَا رَبُّنَا إِلَهُنَا﴾ تكملة و كان حضور هارون عند موسى هنا. وبعض آخر: بأن الأمر هناك بالذهاب تكملة حيث منازل بني إسرائيل من أرض قرب «طيبة».

قال في التوراة في الإصحاح الرابع من سفر الخروج: «وقال -أي الله- ها هو هارون خارجا لاستقبالك فتكلمه أيضا».

وفيه أيضا: «وقال الرب لهارون: اذهب إلى البرية لاستقبال موسى، فذهب والتقى في جبل الله» أي جبل حوريب، فيكون قد طوي ما حدث بين تكليم الله تعالى موسى في الوادي عند القار، وما بين وصول موسى مع أهله إلى جبل حوريب في طريقه إلى أرض مصر، «يكون قوله: ﴿قَالَا رَبُّنَا إِلَهُنَا﴾ إلخ، جوابا عن قول الله تعالى لهما: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾»



المهمة، إلا أنه لا مانع مطلقاً من أن يخاطبها معاً.  
و توجهت إليهما بأمرية تبليغ الرسالة، في الوقت  
الذي لم يحضر غير أحدهما. (٨: ١٠)  
وراجع: طغ ي: «طغى»

٢. فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا  
فَذَمُّرُ تَا هَمْ تَدْمِيرُ ١. الفرقان: ٣٦  
الفرأء: وإنما أمر موسى وحده بالذهاب في  
المنى، وهذا بمنزلة قوله: ﴿تَسْبَحُحُوهَا﴾ الكهف:  
٦٦، وبمنزلة قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْثُ وَالْزَّيْتَانُ﴾  
الرحمن: ٢٢، وإنما يخرج من أحدهما، وقد فسر  
شأنه. (٢٦٨: ٢)

٣. قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِلَيْنَا نَكْفِيكُمْ مُسْتَمِرٌّ.  
الشعراء: ١٥  
الطو ي ي: ﴿فَاذْهَبَا﴾ أمر لموسى و هارون على  
ما اقترحه موسى، فأجيب إليه ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ أي  
بأدلتنا ومبجزاتنا التي خصكما الله بها. (٨: ١٠)  
الزَمْخَشَرِي: جمع الله له الاستجابتين معاً في  
قوله: ﴿كَلَّا فَاذْهَبَا﴾ لأنه استدفعه بلامهم، فوعده  
الدفع برده عن الخوف، والنفس منه الموازنة بأخيه،  
فأجابه بقوله: ﴿فَاذْهَبَا﴾ أي اذهب أنت والذي  
طلبته، وهو هارون.

فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿فَاذْهَبَا﴾؟  
قلت: على الفعل الذي يدل عليه كَلَّا، كأنه قيل:  
اركنع يا موسى عما تظن، فاذهب أنت و هارون.  
(١٠٧: ٣)

إلخ. ويكون فصل جملة ﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ﴾ إلخ  
لوقوعها في أسلوب المحاوره.  
و يجوز أن تكون جملة ﴿إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ بدلاً  
من جملة ﴿إِذْهَبَا إِلَيْنَا وَأَخْلُوكَ﴾ طه: ٤٢، فيكون  
قوله: ﴿إِذْهَبَا﴾ أمراً لموسى بأن يذهب وأن يأمر أخاه  
بالذهاب معه و هارون غائب. وهذا أنسب لسياق  
الجملة، وتكون جملة: ﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ﴾ مستأنفة  
استئنافاً ابتدائياً، وقد طوي ما بين خطاب الله موسى  
وما بين حكاية ﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ﴾ إلخ.  
و التقدير: فذهب موسى ولقي أخاه هارون،  
وأبلغه أمر الله بما أمره، فقالا: ربنا إِنَّا نَخَافُ إلخ.

(١٢٣: ١٦)  
مغنيّة: ﴿إِذْهَبَا﴾ تأكيد لـ ﴿إِذْهَبَا إِلَيْنَا وَأَخْلُوكَ﴾  
(٢٨٩: ٥)

الطَّبَاطِبَائِي: جمعها في الأمر نائياً، فخطب  
موسى و هارون معاً، وكذلك في انتهى الذي قبله في  
قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَا﴾، وقد مهد لذلك بإخلاق هارون  
بموسى في قوله: ﴿إِذْهَبَا إِلَيْنَا وَأَخْلُوكَ﴾ وليس بعيد  
أن يكون نقلاً لمشافهة أخرى وتخطب وقع بينه تعالى  
و بين رسوليّه مجتمعتين أو متفرقتين بعد ذاك الموقف،  
و يؤيده سياق قوله بعد: ﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ  
يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ إلخ. (١٥٤: ١٤)

مكارم الشيرازي: صحيح أن هارون لم يكن  
في ذلك الحين حاضراً في تلك الصحراء، ولكن الله  
أطلعه على هذه الحوادث، كما ذكر المفسرون. وقد  
خرج من مصر لاستقبال أخيه موسى لأداء هذه

نحوه ابن عطية (٤: ٢٢٧)، والقصر الرزازي (٢٤)؛

(١٢٤).

الطيرسي: أنت «أخوك»، وحذف ذكر هارون وإجابة موسى إلى ما اقترحه من إرساله معه إلى فرعون، لدلالة قوله: ﴿فَاذْهَبْ﴾ عليه. (٤: ١٨٦)

القرطبي: أي أنت وأخوك، فقد جعلته رسولاً معك. (١٣: ٩٣)

أبو حيان: أمرهما بخطاب موسى فقط، لأن هارون ليس بمكلم بإجماع، ولكنه قال لموسى: ﴿إِذْهَبْ أَلْتِ وَأَخُولُكَ﴾. (٧: ٨)

البروسوي: أي أنت والذي طلبت وهو هارون، فالخطاب إليهما على تطلب الحاضر. (٦: ١٦٦)

الآلوسي: ضم إليه أخاه بقوله: ﴿إِذْهَبْ﴾ لكأنه قال له عز وجل: ارتدع عن خوف القتل فإليك بأعيننا، فاذهب أنت وأخوك هارون الذي طلبكما. (١٩: ٦٦)

وجاء التشر على عكس اللف لاختصاص ما قدم بموسى عليه السلام، وظاهر السياق يقتضي عدم حضور هارون، فصي الخطاب المذكور تطلب، والفعل مطوف على الفعل الذي يدل عليه ﴿كَلَّا﴾ كما أشرنا إليه.

(١٩: ٦٦)

سيد قطب: ﴿فَاذْهَبْ بِأَيَاتِنَا﴾ وقد شهد موسى منها العصا واليد البيضاء، والسياق يختصرهما هنا، لأن التركيز في هذه السورة موجه إلى موقف المواجهة وموقف السحرة وموقف الفرق والتجاة. اذهب «إلى» مَعَكُمْ مُسْتَشْعِرُونَ «فأية تسوة؟ وأي سلطان؟ وأي حماية ورعاية وأمان؟ والله معهما ومع كل إنسان في

كل لحظة، وفي كل مكان.

ولكن الصُحبة المقصودة هنا هي صحبة التصبر والتأييد. فهو يرسمها في صورة الاستماع الذي هو أشد درجات الحضور والانتباه. وهذا كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة، وذلك على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير، ﴿إِذْهَبْ﴾ فأيتا فرعون فأخبراه بهمتكما في غير حذر ولا تلجلج ﴿قَوْلًا إِثَارَ رَسُولٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وهما اتان، ولكلّهما يذهبان في مهمة واحدة برسالة واحدة، فهما رسول، رسول رب العالمين في وجه فرعون الذي يدعي الألوهية، ويقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِلَهِاتِ﴾ فهي المواجهة القوية للصراع بحقيقة التوحيد منذ اللحظة الأولى، بلا تدرج فيها ولا حذر. فهي حقيقة واحدة لا تقبل التدرج (٥: ٢٥٩٠)

ابن عاشور: والأمر لموسى أن يذهب هو وهارون، يقتضي أن موسى مأمور بإبلاغ هارون ذلك، فكان موسى رسولاً إلى هارون بالنبوة.

وذلك جاء في السورة أن موسى أبلغ أخاه هارون ذلك عند ما تلقاه في حوريب، إذ أوحى الله إلى هارون أن يتلقاه. (١٩: ١٢٣)

الطباطبائي: (كَلَّا) للردع، وهو متعلق بما ذكره من خوف القتل، ففيه تأمين له، وتطبيب لنفسه ألهم لا يصلون إليه. وأما سؤاله الإرسال إلى هارون فلم يذكر ما أجيب به عنه، غير أن قوله: ﴿فَاذْهَبْ بِأَيَاتِنَا﴾ دليل على إجابة مسؤوله.

وقوله: ﴿فَأَذَقْنَا يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ متفرع على الردع فتبدي  
أن اذهبوا إليه بآياتنا ولا تخافوا. (٢٥٩: ١٥)

### أَذْهَبُوا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ لَفِي رُوحِ الْقُدُّوسِ يُخَوِّفُ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالْآثَارِ وَمَا تُبَدِّلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي يَوْمٍ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ  
يوسف: ٨٧

الطبري: يا بني اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه، وخلفتكم أخويكم به. (٢٨١: ٧)

الثعلبي: سيروا واطلبوا الخبر، من يوسف وأخيه. (٢٥٠: ٥)

٢ - اذهبوا بقبضتي هذا فاتقوا علي وجهي يا بني  
يوسف: ٦٣  
راجع: ق م ص: «قبض»

### ذَهَابٌ

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا فِي الْأَرْضِ  
وَأَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَائِهِمْ. المؤمنون: ١٨

ابن عباس: على غور الماء في الأرض. (٢٨٥)

الطبري: إنا على الماء الذي أسكننا في الأرض،

لقادرون أن نذهب به فنهلكوا أنها التماس عطشاً،

وتحرب أرضكم، فلا تثبت زرعاً ولا غرساً، وتهلك

مواشيكم. يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في

الأرض جاريًا. (٢٠٦: ٩)

نحوه البهوي.

الطوسي: ﴿وَأَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَائِهِمْ﴾ لا  
يميزنا عن ذلك شيء، ولو فعلناه ذلك جميع الحيوان،  
فنتبهم بذلك على عظم نعمة الله على خلقه، بإنزال  
الماء من السماء. (٣٥٧: ٧)

الزمخشري: وقوله: ﴿عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾ من

أوقع التكرات وأحزها للمفصل. والمعنى على وجه

من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه، وفيه إيذان

باعتدار المذهب، وأنه لا يتعابا عليه شيء إذا أراده،

وهو أبلغ في الإبعاد من قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ

مَلَأُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ الملك: ٣٠.

فعلى المقادير أن يستظلوا التمس في الماء ويتبذروها

بالتشكر الدائم، ويخافوا انفارها إذا لم تشكروا. (٢٨: ٣)

الطبرسي: أي ونحن على إذهابه قادرون، ولو

فعلناه ذلك جميع الحيوانات، تبه سبحانه بذلك على

خلقهم بجمعه على خلقه بإنزال الماء من السماء.

(١٠٢: ٤)

القنطري: أي كما قدرنا على إنزاله،

فكذلك قدرنا على رفعه وإزالته. (٨٩: ٢٣)

القنطري: هذا تهديد وعيد، أي في قدرتنا

إذهابه وتغييره، ويهلك التماس بالعطش وتهلك

مواشيهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ

مَلَأُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾.

(١١٢: ١٢)

البيضاوي: على إزالته بالإفساد أو التصعيد أو

التصقي: بحيث يتصذر استنباطه. [إلى أن قال:]

وفي تنكير ﴿ذَهَابٍ﴾ إيماء إلى كسرة طريقه

و مباينة في الإبعاد به، و لذلك جعل أبلغ من قوله:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ

مَعِينٍ﴾. (١٠٤: ٢)

اليسابوري: أي كما قدرنا على إنزاله، فنحن

قادرين على أن نذهب به بوجه من الوجوه. ولهذا

التذكير حسن موقع لا يحصى، إذ فيه إيذان على أن

الذهاب به قادر على أي وجه أراد، وفيه تحذير من

كفران نعمة الماء و تخويف من نفاذه إذا لم يشكر.

(١٢: ١٨)

أبو حيان: و ﴿ذَهَابٍ﴾ مصدر ذهب، و الباء في

(به) للتعدية، مرادفة للهمزة، كقوله: ﴿لَذَهَبَ

بِسَمْعِهِمْ﴾ أي لأذهب سمعهم. و في ذلك وعيد

و تهديد، أي في قدرتنا إذهابه فتهلكون بالعطش أنتم

و مواشيكم. وهذا أبلغ في الإبعاد من قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ

إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾.

(٤٠: ٦)

الآلوسي: أي على إزالته بإخراجه عن المأثرة،

أو بتفويده بحيث يتعذر استخراجه، أو ينحصر ذلك

﴿لَقَادِرُونَ﴾ كما كنا قادرين على إنزاله، فالجملة في

موضع الحال، و في تنكير ﴿ذَهَابٍ﴾ إيماء إلى كثرة

طرقه لعموم التكرة و إن كانت في الإتيان، و بواسطة

ذلك تفهم المباينة في الإتيان. و هذه الآية أكثر مباينة

من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا

فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾. و ذكر صاحب «التحريب»

ثمانية عشر وجهًا للألفية:

الأول: أن ذلك على الفروض والتقدير وهذا

الجزم على معنى أنه أدل على تحقيق ما أوعده و إن

لم يقع.

الثاني: التوكيد بـ (إن).

الثالث: اللام في الخبر.

الرابع: أن هذه في مطلق الماء المنزل من السماء

و تلك في ماء مضاف إليهم.

الخامس: أن الفاعل قد يكون باقيا بخلاف الذهاب.

السادس: ما في تنكير ﴿ذَهَابٍ﴾ من المباينة.

السابع: إسناده هاهنا إلى مذهب، بخلافه ثمة

حيث قيل: ﴿غَوْرًا﴾.

الثامن: ما في ضمير المعظم نفسه من الروعة.

التاسع: ما في ﴿لَقَادِرُونَ﴾ من الدلالة على

القدرة عليه، و الفعل الواقع من القادر أبلغ.

العاشر: ما في جمعه.

الحادي عشر: ما في لفظ (يد) من الدلالة، على

أن ما تمسكه فلا مرسل له.

الثاني عشر: إخلاؤه من التعقيب بأطماع،

وهناك ذكر الإتيان المطلق.

الثالث عشر: تقديم ما فيه الإبعاد، و هو الذهاب

على ما هو كائن على له، أو متعلقة على المذهبين

البصري والكوفي.

الرابع عشر: ما بين الجملتين الاسمية و الفعلية من

التفاوت نهائيا و غيره.

الخامس عشر: ما في لفظ ﴿أَصْبَحَ﴾ من الدلالة

على الانتقال و الصيرورة.

السادس عشر: أن الإذهاب هاهنا موضح به،

وهناك مفهوم من سياق الاستفهام.

التابع عشرة: أن هناك نفي ماء خاص، أعني «المعين» بخلافه هاهنا.

الثامن عشرة: اعتبار مجموع هذه الأمور التي يكفي كل منها مؤكداً. ثم قال: هذا ما يحضرنا الآن والله تعالى أعلم. انتهى. وفي النفس من عذ الأخير وجهاً شياً.

وقد يزداد على ذلك، فيقال:

التاسع عشرة: إخباره تعالى نفسه به من دون أمر للغير هاهنا بخلافه هناك، فإنه سبحانه أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول ذلك.

العشرون: عدم تخصيص مخاطب هاهنا، وتخصيص الكفار بالمخاطب هناك.

الحادي والعشرون: التشبيه المستفاد من جعل الجملة حالاً كما أشرنا إليه، فإنه يفيد تحقيق الصيغة ولا تشبيه لغة.

الثاني والعشرون: إسناد القدرة إليه تعالى مرتين. وقد زاد بعض أجلة أهل العصر المعاصرين سلافاً للتحقيق من كرم أذهانهم الكريمة أكرم عصر، أعني به: ثالث الرافعي والثواري أخى السلا محمد أفتدي الزهاوي، فقال:

الثالث والعشرون: تضمين الإيحاء هنا إيصادهم بالإيحاء عن رحمة الله تعالى، لأن «ذهب به» يستلزم مصاحبة الفاعل المفعول، وذهب الله تعالى عنهم مع الماء، بمعنى ذهب رحمة سبحانه عنهم ولعنهم وطردهم عنها، ولا كذا لك ما هناك.

الرابع والعشرون: أنه ليس الوقت للذهاب معيها هنا، بخلافه في «إن أصبح»، فإنه يقتضي أنه أن الصيرة في الصبح على أحد استعمالي أصبح ناقصاً.

الخامس والعشرون: أن جهة الذهاب به ليست مهيئة بأنها القل.

السادس والعشرون: أن الإيحاء هنا بما لم يتلوا به قط، بخلافه بما هناك.

التابع والعشرون: أن الموعد به هنا إن وقع فهم هالكون ألبتة.

الثامن والعشرون: أنه لم يبق هنا لهم متبعت ولو ضعيفاً في تأويل امتناع الموعد به، وهناك حيث أسند الإصطاح غوراً إلى الماء، ومعلوم أن الماء لا يصبح غوراً بنفسه، كما هو تحقيق مذهب الحكماء أيضاً، فجعل أن يحوّل الشرطية مع صدقها بمنفعة المقدم ليأمنوا وقوعه.

التاسع والعشرون: أن الموعد به هنا يحتمل في بادئ النظر وقوعه حالاً بخلافه هناك، فلن المستقبل متعين لوقوعه لمكان (إن) وظاهر أن التهديد بمحتمل الوقوع في الحال أهول ومتعين الوقوع في الاستقبال أهون.

الثلاثون: أن ما هنا لا يحتمل غير الإيحاء، بخلاف ما هناك فإنه يحتمل، ولو علم بعد أن يكون المراد به الامتنان، بأنه «إن أصبح ما زككم غوراً» فلا يأتكم بما معين سوى الله تعالى، ويؤيده ما سن بعده من قول الله ربنا ورب العالمين، انتهى. فتأمل ولا تغفل والله

تعالى الهادي لأسرار كتابه. (١٩: ١٨)

سيد قطب: ﴿وَالْأَعْلَى ذَهَابٌ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> فيخور في طبقات الأرض البعيدة بكسر أو شق في الطبقات الصخرية التي استقر عليها فحفظته، أو بغير هذا من الأسباب، فالذي أمكنه بقدرته قادر على تبيده وإضاعته، إنما هو فضل الله على الناس ونعمته. (٤: ٢٤٦١)

ابن عاشور: وجملة ﴿وَالْأَعْلَى ذَهَابٌ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ معترضة بين الجملة وما تفرع عليها. وفي هذا تذكير بأن قدرة الله تعالى صالحة للإيجاد والإعدام، وتكثير ﴿ذَهَابٍ﴾ للتخفيف والتعظيم.

ومعنى التعظيم هنا تعدد أحوال الذهاب به: من تخوره إلى أعماق الأرض بانشقاق الأرض بزلزال ونحوه، ومن تخفيفه بشدة الحرارة، ومن إصلاك إنزاله زمناً طويلاً. وفي معناه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ بَرَأَئِكُمْ فِي الْمَلِكِ: ٣٠﴾. ثم أدام البحث نحو ما تقدم عن الألوسي وقال:

وأنا أقول: غني هؤلاء التحارير<sup>(٢)</sup> ببيان التفاوت بين الآيتين ولم يتعرض أحدهم للكشف عن وجه توفير الخصائص في هذه الآية، دون الآية الأخرى مما يوازنها. ليس ذلك لخلو الآية عن نكت الإعجاز، ولا عجز الناظرين عن استخراج أمثلها. ولكن ما يبين من الخصائص البلاغية في القرآن ليس يريد من يبينه أن ما لاح له ووثق إليه هو قصارى ما أودعه الله

في نظم القرآن من الخصائص والمعاني، ولكنه مبلغ ما صادف لوعته الناظر المتدبر. والعلماء متفاوتون في الكشف عنه على قدر القرائح والفهم. (١٨: ٢٥)

الطباطبائي: وإنا لقادرون على أن نذهب بهذا الماء الذي أسكنناه في الأرض نوعاً من الذهاب، لا تمتدون إلى علمه. (١٥: ٢٣)

فضل الله: ﴿وَالْأَعْلَى ذَهَابٌ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ بكل الوسائل الخفية أو الظاهرة التي تمنع الناس من الانتفاع به، كأن تحفظه، أو تبخره، أو غير ذلك من الأمور التي يعلمها الله سبحانه. (١٦: ١٤٢)

### ذَاهِبٌ

وقال إلهي ذاهب إلى ربّي سيّدي. الصافات: ٩٩

الإمام علي عليه السلام: [في جواب من استبسه عليه من الآيات قال:] وقد أعلمتك أن ربّ شيء من كتاب الله لا يهلكك غير تنزيله ولا يشبه كلام البشر. وسأبشرك بطرف منه، فيكفي إن شاء الله من ذلك قول إبراهيم: ﴿إِلَهِي ذَاهِبْ إِلَى رَبِّي سيّدي﴾ فذهابه إلى ربّه: توجهه إليه عبادة واجتهاداً وقربة إلى الله جلّ وعزّ، ألا ترى أن تأويله على غير تنزيله.

(الكاشاني ٤: ٢٧٤)

ابن عباس: مقبل إلى طاعة ربّي. (٣٧٧)

معناه مهاجر إلى ربّي، أي أهبس ديار الكفار وذهب إلى حيث أمرني الله تعالى بالذهاب إليه، وهي الأرض المقدسة. (الطبرسي ٤: ٤٥١)

قتادة: ذاهب بعمله وقلبه ونيّته.

(الطبرسي ١٠: ٥٠٥)

(١) مفردة: تحرير، أي الحاذق الفطن المجرّب.

الإمام الصادق عليه السلام: يعني بيت المقدس.

(الكاشاني ٤: ٢٧٤)

الطَّبْرِي: إني مهاجر من بلدة قومي إلى الله، أي إلى الأرض المقدسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله.

وقال آخرون في ذلك: إنما قال إبراهيم: ﴿وَقَالَ

إِلَهِی ذَاهِبْ إِلَى رَبِّی﴾ حين أرادوا أن يلقوه في النار.

وإنما اخترت القول الذي قلت في ذلك، لأن الله

تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر.

فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من إحراقه قال:

﴿إِلَهِی مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّی﴾ العنكبوت: ٢٦. فخصر أهل

التأويل ذلك أن معناه: إني مهاجر إلى أرض الشام.

فكذلك قوله: ﴿وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ذَاهِبْ إِلَى رَبِّی﴾ لا

كقوله: ﴿إِلَهِی مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّی﴾ العنكبوت: ٢٦.

(١٠: ٥٠٥)

الشعالي: أي إلى مرضاة ربي، وهو المكان الذي

أمر بالذهاب إليه. نظيره قوله: ﴿إِلَهِی مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّی﴾.

(٨: ١٤٩)

الطُّوسِي: معناه إلى مرضاة الله ربي بالمصير إلى

المكان الذي أمرني ربي بالذهاب إليه. وقيل: إلى

الأرض المقدسة. وقيل: إلى أرض الشام. (٨: ٥١٥)

اليقوي: أي مهاجر إلى ربي، والمعنى: أهجر دار

الكفر وأذهب إلى مرضاة ربي. قاله بعد الخروج من

النار. كما قال: ﴿إِلَهِی مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّی﴾. ﴿سَيِّدِينَ﴾

إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام. (٤: ٣٥)

(٦: ٢٦)

نحوه الخازن.

الزَّمَخْشَرِيُّ: أراد بذهابه إلى ربه: مهاجرته إلى

حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام. كما قال:

﴿إِلَهِی مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّی﴾.

(٣: ٣٤٧)

ابن عَطِيَّة: قالت فرقة: إن قول إبراهيم: ﴿إِلَهِی

ذَاهِبْ﴾ كان بعد خروجه من النار، وإنه أشار بذهابه:

إلى هجرته من أرض بابل حيث كانت مملكة لمرود،

فخرج إلى الشام، ويُروى إلى بلاد مصر.

وقالت فرقة: قوله: ﴿إِلَهِی ذَاهِبْ﴾ ليس مراده به

المهجرة، كما في آية أخرى. وإنما مراده لقاء الله بعد

الاحتراق. ولأنه ظن أن النار سيموت فيها، فقال هذه

المقالة قبل أن يُطرح في النار. فكأنه قال: إني سأمر

بهذا العمل إلى ربي. وهو سيهديني إلى الجنة. نحا إلى

هذا المعنى قتادة.

للعارفين بهذا الذهاب تمسك واحتجاج في

الصفاء. وهو محمل حسن في ﴿إِلَهِی ذَاهِبْ﴾ وحده.

ترتيب، والذعاء في الولد كذلك، ولا يصح مع

ذهاب الفناء. (٤: ٤٨٠)

القحط الرأزي: وفيه مسائل:

المسألة الأولى: دلّت هذه الآية على أن الموضع

الذي تكثر فيه الأهداء تجب مهاجرته، وذلك لأن

إبراهيم صلوات الله عليه و سلامه، مع أن الله سبحانه

خصه بأعظم أنواع الثمرة. لما أحسن منهم بالعداوة

الشديدة هاجر من تلك الديار، فلأن يجب ذلك على

الغير كان أولى.

المسألة الثانية: في قوله: ﴿إِلَهِی ذَاهِبْ إِلَى رَبِّی﴾

قولان: الأول: المراد منه مفارقة تلك الديار، والمعنى

إلّهي ذاهب إلى مواضع دين ربّي.

والقول الثاني: قال الكلبي: ذاهب بعبادتي إلى ربّي. فعلى القول الأول: المراد بالذهاب إلى الربّ، هو الهجرة من الديار وبه اقتضى موسى: حيث قال: ﴿كَلَّا إِنَّ رَبِّي مَسِيهِدٌ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ: ٦٢﴾.

وعلى القول الثاني: المراد: رعاية أحوال القلوب، وهو أن لا ياتي بشيء من الأعمال إلا لله تعالى. كما قال: ﴿وَجَهَنَّتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الأنعام: ٧٩. قيل: إن القول الأول أولى، لأن المقصود من هذه الآية بيان مهاجرته إلى أرض الشام، وأيضاً بعد حمله على الهداية في الدين، لأنه كان على الدين في ذلك الوقت، إلا أن يحصل ذلك على الثبات عليه، أو يحصل ذلك على الاهتمام إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في أمر الذين.

[إلى أن قال:]

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿إِلّهي ذَاهِبْ إِلَى رَبِّي﴾ يدل على فساد نفسك المشبهة بقوله تعالى: ﴿إِلّهي يَصْنَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ﴾ فاطر: ١٠. لأن كلمة (إلى) موجودة في قوله: ﴿إِلّهي ذَاهِبْ إِلَى رَبِّي﴾ مع أنه لم يلزم أن يكون الإله موجوداً في ذلك المكان، فكذلك هاهنا.

القرطبي: أي مهاجر من بلد قومي و مولدي إلى حيث ألتكّن من عبادة ربّي، فإلهه ﴿مَسِيهِدٌ﴾ فيما نويت إلى الصواب.

أبو حيان: [نحو الزمخشري وابن عطية]

(٣٦٩: ٧)

البر وسوي: أي مهاجر من أرض حرّان، أو من بابل أو قرية بين البصرة والكوفة يقال لها: هرمز بجر، إلى حيث أمرني ربّي وهو الشام، أو إلى حيث ألتجسّد فيه لعبادته تعالى أي موضع كان، فإن الذهاب إلى ذات الربّ محال؛ إذ ليس في جهة.

وفي «بحر العلوم»: ولعله أمره الله تعالى بأن يهجر دار الكفر ويذهب إلى موضع يقدر على زيارة الصخرة التي هي قبلته، وعلى عبارة المسجد الحرام، أو هي القرية التي دفن فيها كما أمر ربّنا بالهجرة من مكة إلى المدينة. وفي بعض التواريخ: دفن إبراهيم بأرض فلسطين - وهي بكسر التاء وفتح اللام - وتكون السنين المهمة - البلاد التي بين الشام وأرض مصر منها الرملة وغزة وعسقلان وغيرها. (١٧٢: ٧) [الكلبي: [نحو البر وسوي وأدام:]

البقاء معهم، أي إلّهي مفارقكم ومهاجر منكم إلى ربّي ﴿مَسِيهِدٌ﴾ إلى ما فيه صلاح ديني أو إلى مقصدي.

(١٢٦: ٢٣)

سهد قطب: إلّها الهجرة، وهي هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية. هجرة يترك وراءه فيها كلّ شيء من ماضي حياته، يترك أباه و قومه وأهله و بيته و وطنه، و كلّ ما يربطه بهذه الأرض، و هؤلاء الناس. و يدع وراءه كذلك كلّ عائق و كلّ شأغل، و يهاجر إلى ربّه متخفياً من كلّ شيء، طارحاً وراءه كلّ شيء، مسلماً نفسه لربّه. لا يستبقى منها شيئاً. موقن أن ربّه سيهديه، و سيرعى خطاه، و ينقلها في الطريق المستقيم.



إليها الهجرة الكاملة من حال إلى حال، ومن وضع إلى وضع، ومن أواصر عشق إلى أصره واحدة، لا يزعجها في النفس شيء، إنه التعبير عن التجرد والخلوص والاستسلام والطمانينة واليقين.

وكان إبراهيم حتى هذه اللحظة وحيداً لا عقب له، وهو يترك وراءه أواصر الأهل والقرى، والصحبة والمعرفة، وكل ما لوف له في ماضي حياته، وكل ما يشته إلى الأرض التي نشأ فيها، والتي انغمس ما بينه وبين أهلها الذين أقنوه في الجمجم، فأتبعه إلى ربته الذي أعلن أنه ذاهب إليه. (٢٩٩٤: ٥)

الطبيب طيئاني: يذكر عزمه على المهاجرة من بين قومه، واستيهاه من الله ولهذا صالحاً وإجابته إلى ذلك، وقصة ذبحه ونزول الفداء.

ف قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ إلخ كالإختصار لما وعدهم به مخاطباً لأزر: ﴿وَأَعْتَزَلَكُمْ وَمَكَانَ تَدْعُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَشْيَ إِلَّا أَتُونِ بِدُعَاءِ رَبِّي شُعْتًا﴾ مريم: ٤٨.

ومنه يعلم أن مراده بالذهاب إلى ربته: الذهاب إلى مكان يتجرّد فيه لعبادته تعالى ودعائه، وهو الأرض المقدسة.

وقول بعضهم: إن المراد: أذهب إلى حيث أمرني ربي، لا شاهد عليه.

وكذا قول بعضهم: إن المراد أنني ذاهب إلى لقاء ربي؛ حيث يلتقونني في النار، فأموت وألقى ربي سيديني إلى الجنة، وفيه كما قيل: أن ذيل الآية لا يناسبه، وهو قوله: ﴿رَبِّ عِبَادِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

كذا قوله بعد: ﴿فَبَشِّرْهُ بِقَلَامٍ عَلِيمٍ﴾ المصافات: (١٧: ١٥١)

عبد الكريم الخطيب: أي إني مثبته إلى ربي، معنزل إيتاكم، متخذ داراً غير داركم، وموطننا غير موطنكم، ولا أدري إلى أين سأذهب، ولكني موقن أن الله سيهديني إلى خير دار، وأطيب مقام، هذا هو ظني بربي الذي أعبدته، وأسلم أمري له. (١٠٣: ١٠٢) مكارم الشيرازي: من البديهيّات: أن الله لا يحويه مكان، والهجرة التي تتم في سبيله من المجتمع الملوّث الفاسد إلى المجتمع الطاهر الصافي، فإنها هجرة إلى الله.

فالهجرة إلى أرض الأنبياء والأولياء ومهبط الوحي الإلهي، هي هجرة إلى الله، متلماً لمعرف السفر إلى مكة المكرمة بآته سفر إلى الله خاصة، وأن هجرة المؤمنين كانت من أجل تنفيذ واجب رسالي إلهي، وأن الله كان هاديه ومرشده خلال السفر.

الآيات هنا عكست أول طلب لإبراهيم عليه السلام من الباري عز وجل: إذ طلب الولد الصالح، الولد الذي يتمكن من مواصلة خطه الرسالي، وينتقم ما تبقى من مسيرته، وذلك حينما قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ (١٤: ٣٢٥)

فضل الله: فقد عزم على الهجرة من بلده أور الكلدانية في بابل إلى بلاد الشام، ليضرب في عبادة ربه، وليبدأ تجربة جديدة من تجارب الدعوة في موقع جديد، قد يكشف فيه ساحة مميزة، يملك فيها سرية الحركة، لما يريه قوله وفعله، وهناك تزوج واستقر به

المقام، فطلب من الله أن يرزقه ولدا صالحا، حيث كان يتوجه بحاجاته إلى ربه من خلال روحية الإيمان التي تجعل الإنسان المؤمن يفتح على الله في كل حاجاته. من موقع أنه لا يملك أي شيء إلا به ومنه. (٢٠٥: ١٩٩)

### أَذْهَبَ

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ  
فاطر: ٢٤

البروسوي: «الذي أذهب» أزال «عنا»  
بدخولنا الجنة. (٣٥٢: ٧)

ابن عاشور: وإذهب الحزن مجاز في الإغواء منه، فيصدق بإزالته بعد حصوله، ويصدق بعدم حصوله. (٦٨: ٢٢)

راجع: ح ز ن: «الحزن» المعجم: (٧٢٦: ١١)

### أَذْهَبْتُمْ

وَيَوْمَ يُغْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَتَأْتِيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ.

الأحقاف: ٢٠  
القرام: وقوله: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ» قرأها الأعمش وعاصم ونافع المدني بغير استفهام، وقرأها الحسن وأبو جعفر المدني بالاستفهام (أَذْهَبْتُمْ) والعرب تستفهم بالتوبيخ ولا تستفهم، فيقولون: ذَهَبْتَ ففعلت وفعلت، ويقولون: أَذْهَبْتَ ففعلت وفعلت، وكل صواب. (٥٤: ٣)

الحبيدي: قرأ ابن كثير (أَذْهَبْتُمْ) بالاستفهام محدودا، وابن عامر بالاستفهام من غير مد، والباقون بالاستفهام على الخبر. والمعنى: نلتهم لذاتكم وأحببتم شهواتكم في الدنيا، غير متفكرين في حرامها وحلالها، واستمتعتم بملذاتها.

وقيل: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ»، من الرزق والحللات التي<sup>(١)</sup> أنفقتوها في شهواتكم ولذاتكم، ولم تنفقوها في مرضات الله عز وجل.

وقيل: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ» في الآخرة بما صيكم في الحياة الدنيا. (١٥٩: ٩)

الزمخشري: أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبوه في دنياكم، وقد ذهبتم به وأخذتموه، فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها. (٥٢٣: ٣)  
خوه القصر الرازي (٢٨: ٢٥)، والتسفي (٤: ١٤٤)، الخليلي (٦: ١٢٥)، وأبو السؤد (٦: ٧٥).

ابن عطية: وقرأ جمهور القراء: «أَذْهَبْتُمْ» على الخبر، حسنت الفاء [أي في «فَاتِيَوْمَ»] بعد ذلك. وقرأ ابن كثير والحسن والأعرج وأبو جعفر وشايد وابن وثاب: «أَذْهَبْتُمْ» حمزة مطولة على التوبيخ، والتقرير الذي هو في لفظ الاستفهام. وقرأ ابن عامر (أَذْهَبْتُمْ) حمزتين تقريراً.

والتقرير والتوبيخ إخبار بالمعنى، ولذلك حسنت الفاء [بمعنى في (اليوم)] ولا فهي لا تحسن في جوابي على هذه مع الاستفهام المحض. (١٠٠: ٥)

(١) في الأصل: الذي!

الطُّرْسِي: أي فيقال لهم: أترتم طيبتكم  
ولذا تكم في الدنيا على طيبات الجنة. (٨٨: ٥)

ابن عَرَبِي: أنكر عليهم إذهاب جميع المحظوظ في  
لذات الدنيا، لأن لكل أحد بحسب استعداد الأول  
كمالاً ونقصاً يقابله، وبحسب كل واحدة من الثناتين  
طيبتات وحظوظ تناسب كلاً كما آتته.

فمن أقبل بوجهه على طيبات الدنيا وحظوظها  
والاستمتاع بها، وأعرض بقلبه عن الطيبات الأخرى  
ولذاتها، حُرِمَ الثَّانِيَةِ أصلاً لانغماسه في الأمور  
الظلمانية واحتجابه عن المطالب الثورانية، كما قال  
تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن  
خَلَاقٍ﴾ البقرة: ٢٠٠، وذلك معنى قوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ  
طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ لأن حظوظ الأخرى  
التي تقتضيها هويته ذهبت في هذه، فكان ما رُفِضَ  
التَّهَارُفُص من اللَّيْل.

وأما من أقبل بوجهه إلى الأخرى، ونزّه عن هذه  
بالزهد والتقوى ورغب في المعارف الحقيقية  
والمفاتيح الإلهية واللذات العلوية والأنوار القدسية  
التي هي الطيبات بالحقيقة، فقد أوتي منها حظه  
ولم ينقص من حظوظه العاجلة على قياس الأول، بل  
وَقَرَّ منها نصيبه، كما قال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدْ خُرُوجَ  
الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرَمِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدْ خُرُوجَ الدُّنْيَا  
كُوَيْدَ مِثْلَهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ الشورى: ٢٠  
وذلك لأن الاستغراق في عالم القدس والتوجه  
إلى جناب الحق، يورث النفس قوة وقدرة تؤثر بها في  
عالم المحس، فكيف إذا اتصلت بمنبع القوى والقدرة؟

أما ترى أن عالم الملكوت مؤثر في عالم الملك  
مصرّف فيه، قاهر له بإذن الله تعالى؟ وتسخير  
والانهماك في عالم المحس يمد قوة الفطرة ويخلق نور  
القلب، فلا تنهي له قدرة ولا قوة وتأثير في شيء.  
وكيف وقد تأثرت عما من شأنه التأثير المحض،  
وتسخرت لما من شأنه التسخير الصّرف والانفعال  
المطلق؟ ولهذا قيل: الدنيا كالفلفل تبع من أعرض  
عنها، وتغوت من أقبل إليها. (٤٨٩: ٢)

الْقُرْطُبي: أي تقتضم بالطيبات في الدنيا واليتميم  
الشهوات واللذات، يعني المعاصي. (٢٠٠: ١٦)

الهُرُوسِي: أي يقال لهم ذلك على التوبيخ،  
وهو القاصب للطرف، أي ﴿الْيَوْمَ﴾ والمعنى أصبتم  
وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذاتها.

(٤٧٩: ٨)

عبد قطب: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ...﴾ فقد كانوا  
يملكون الطيبات إذن، ولكنهم استنفدوها في الحياة  
الدنيا، فلم يدخروا للآخرة منها شيئاً، واستمتعوا بها  
غير حاسبين فيها للآخرة حساباً. استمتعوا بها  
استمتاع الأنعام للحصول على اللذة بالمتاع، غير  
ناظرين فيها للآخرة، ولا شاكرين لله نعمته، ولا  
متورعين فيها عن فاحش أو حرام. ومن ثم كانت لهم  
دنيا ولم تكن لهم آخرة، واشتروا تلك اللذة الخاطفة  
على الأرض بذلك الأمد الهائل الذي لا يعلم حدوده  
(إلا الله). (٣٢٦٤: ٦)

ابن عاشور: وإذهاب الطيبات مسهمار  
لمفارقتها، كما أن إذهاب المرء إجماد له عن مكان له

وَيُظْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا  
راجع: أهل: «أهل البيت».

يُذْهِبُ  
مَنْ كَانَ يَقْنُ لَنْ لَنْ يُصْرَةُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
فَلْيَمْدُ ذَسْتَب إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبُ  
كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ.  
الحج: ١٥  
راجع: غيظ: «يغيط».

يُذْهِبُكُمْ  
١- إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ أَتْيَاهَا النَّاسُ وَيَأْتُوا بِآخِرِينَ  
ذَكَرَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا.  
النساء: ١٣٣  
يُذْهِبُكُمْ: هذا تهديد للكفار، يقول: إن يشأ  
أهلككم كما أهلك من قبلكم إذ كفرُوا به، وكذبوا  
(ابن الجوزي: ٢: ٢٢١)  
الظُّهري: أي يذهبكم بإهلاككم وإفنائكم.

(٣١٨: ٤)  
نحوه البغوي (٧١١: ١)، والخازن (٥٠٦: ١)،  
والألوسي (١٦٤: ٥).  
الطُّوسي: معناه: إن يشأ الله أتى الناس أن  
يهلككم، ويغنيكم ويأت بقوم آخرين غيركم،  
يتصرون بنية محمد ﷺ ويؤازرونه، كان الله تعالى على  
ذلك قديرًا.  
(٣٥٢: ٣)  
نحوه الطُّوسي (١٢٢: ٢)  
الزَّمَخْشَرِيُّ: يُغْنِيكُمْ ويغنيكم، كما أوجدكم  
وانشأكم.  
(٥٧٠: ١)

والذهاب: المباحة، والمعنى: استوفيت ما لكم  
من الطَّيِّبَات بما حصل لكم من نعيم الدنيا ومتعتها، فلم  
تبق لكم طَّيِّبَات بعدها، لأنكم لم تعملوا النِّوَال طَّيِّبَات  
الآخرة، وهو إغذار لهم، «تقرير لكونهم لا يظلمون»  
(٣٦: ٢٦)

الطَّيِّبَاتُ بَاطِنِيَّةٌ: وَالطَّيِّبَاتُ: الْأُمُورُ الَّتِي تَلَامُ  
النَّفْسُ وَتَوَافِقُ الطَّبْعَ وَيَسْتَلْذُّ بِهَا الْإِنْسَانُ، وَإِذَا هَابَ  
الطَّيِّبَاتُ: إِنْغَادَهَا بِالْإِسْتِهْوَاءِ، وَالْمُرَادُ بِالْإِسْتِمْتَاعِ  
بِهَا: اسْتِمَاعُهَا وَالْإِسْتِمَاعُ بِهَا لِنَفْسِهَا لِلْآخِرَةِ، وَالْهَيْوَةُ

والمعنى: يقال لهم حين عرضهم على النار: أنفذتم  
الطَّيِّبَاتِ الَّتِي تَلْتَذُّونَ بِهَا فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ  
بِتِلْكَ الطَّيِّبَاتِ، فَلَمْ يَبْقَ لَكُمْ شَيْءٌ تَلْتَذُّونَ بِهِ  
(١٨: ٦)  
الآخرة.

يُذْهِبُ  
١- ... وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُظْهِرَكُمْ بِهِ  
وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ  
وَيُخَيِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ  
الأنفال: ١١  
راجع: رَجَزٌ: «رَجَز».

٢- وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيُثَوِّبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ  
يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.  
القوة: ١٥  
راجع: غيظ: «غوط».

٣- إِنْ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ:

نحوه الثباورى (٥: ١٦٣)، والشريفي (١)؛  
 (٢٣٨)، وأبو حيان (٣: ٣٦٧)، والفاسي (٥: ١٦٠٢).  
 الفخر الرازي: والمراد منه: أنه تعالى قادر على  
 الإفناء والإيجاد، فإن عصيته هو قادر على  
 إعدامكم وإفنائكم بالكلية. (١١: ٧١)

ابن كثير: أي هو قادر على إذهابكم وتبديلكم  
 بغيركم إذا عصيته، وكما قال: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا  
 يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ محمد؛  
 ٣٨. وقال بعض السلف: ما أهون العباد على الله إذا  
 أضعوا أمره؟. وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَ  
 بْدِلْ جَنَاحَ بَعُورٍ﴾ وما ذللك على الله بعزيز (إبراهيم؛  
 ١٩، ٢٠، أي وما هو عليه بممتنع. (٢: ١١٤))

أبو السعود: أي يفتنكم ويستأصلكم بالهوى  
 ﴿وَيَأْتِيَا خَيْرِينَ﴾ أي يوجد دفعة مكانكم قومًا  
 آخرين من البشر، أو خلقًا آخرين مكملين للإنسان  
 ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء، أي إن  
 يشأ إفناءكم وإيجاد آخرين يذهبكم، إلخ يعني أن  
 إبقاءكم على ما أنتم عليه من العصيان، إنما هو لكمال  
 غناء عن طاعتكم، ولعدم تعلق مشيئته المبنية على  
 الحكم البالية بإفنائكم، لا لجزء سبحانه تعالى عن  
 ذلك علوًا كبيرًا. (٢: ٢٠٦)

نحوه البروسوي  
 رشيد رضا: إذا علمتم أنها الناس أن الله ما في  
 السماوات وما في الأرض يتصرف فيه كيف شاء،  
 فاعلموا أنه إن يشأ أن يذهبكم بعذاب ينزله بكم،  
 أو أمة قوية يسلطها عليكم، فتسلب استقلالكم حتى

تجعلكم عبيدًا أو كالعبيد لها، لا تستطيعون أن تقوموا  
 بمصالحكم ومنافعكم التي بها وحدتكم، فإنه يذهبكم  
 ويأتي بآخرين، يحملون محلهم في الوجود أو الحكم  
 والتصرف، وقال في سورة أخرى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ  
 وَيَأْتِي بخلقٍ جديدٍ﴾ وما ذللك على الله بعزيز (إبراهيم؛  
 ١٩، ٢٠. وفي سورة أخرى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا  
 يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ محمد؛  
 ٣٨. قيل: إن الآية من قبيل هاتين الآيتين في تهديد  
 المشركين الذين كانوا يؤذون النبي ﷺ ويقاومون  
 دعوته، والظاهر أنها تنبيه للناس وتوجيه لأفكارهم  
 إلى التأمل في سنته تعالى بحياة الأمم وموتها، وكون  
 هذه السن إذا تعلقت بها المشيئة لا مرد لها. (٥: ٤٥٣)

سيد قطب: وهو قادر على أن يذهب بهم  
 ويستبدل قوماً غيرهم، إنما هو يوصيهم بالتقوى  
 إصلاحهم، وإصلاح حالهم. (٢: ٧٧٢)

الطباطبائي: السياق وهو الدعوة إلى ملازمة  
 التقوى الذي أوصى الله به هذه الأمة ومن قبلهم من  
 أهل الكتاب، يدل على أن إظهار الاستغناء وعدم  
 الحاجة المدلول عليه بقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ﴾، إنما هو في أمر  
 التقوى.

والمعنى أن الله وصاكم جميعًا بملزمة التقوى  
 فاتقوه، وإن كفرتم فإنه غني عنكم، وهو المالك لكل  
 شيء، المتصرف فيه كيفما شاء ولما شاء، إن يشأ أن  
 يُعبد ويتقوا ولم تقوموا بذلك حق القيام، فهو قادر أن  
 يؤخركم ويقدم آخرين يقومون لما يحبّه ويرتضيه،  
 وكان الله على ذلك قديرًا.

يُذهب الخلق، بأن يمتهم ويهلكهم » يستخلف من بعدهم ما يشاء، بأن يُنشئ بعد هلاكهم كما أنشأهم في الأول من ذرية من تقدمهم، وكذلك ينشئ قوماً آخرين من نسلهم وذريتهم.

والجواب محذوف والكاف في (كَمَا) في موضع نصب، وتقديره: ويستخلف من بعدكم ما يشاء مثل ما استخلفكم. وفي ذلك دلالة على أنه يصح القدرة على ما علم أنه لا يكون، لأنه بين أنه لو شاء لذهب بهم وأتى بقوم آخرين، ولم يفعل ذلك، فدل ذلك على أنه يقدر على ما يعلم أنه لا يفعله. (٣٠٣: ٤)

نحوه الطبرسي: (٣٦٩: ٢)  
الواحدى: وعيد لأهل مكة بالإهلاك. (٣٢٤: ٢)  
نحوه البهوي (١٦٦: ٢) وابن الجوزي (١٢٧: ٣)،  
والخازن (١٥٣: ٢)، والثيراني (٤٥٠: ١).

الفخر الرازي: فالأقرب أن المراد به الإهلاك،  
وَيَحْتَمِلُ الْإِمَانَةُ أَيُّضًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَسْلِفُهُمْ مَبْلَغُ  
التكليف. (٢٠١: ١٣)

نحوه الثيسابوري: (٣٤: ٨)  
القرطبي: بالإماتة والاستتصال بالمذاب.

(٨٨: ٧)  
أبو حيان: فالمعنى: إن بشأ إفناء هذا العالم  
واستخلاف ما يشاء من الخلق غيرهم فعل.  
والإذهاب هنا: الإهلاك، إهلاك الاستتصال  
لإماتة ناساً بعد ناس، لأن ذلك واقع فلا يعلق الواقع  
على «إِنْ يَشَاءُ». (٢٢٥: ٤)  
ابن كثير: أي إذا خالفتهم أمره. (١٠٤: ٣)

وعلى هذا، فالآية ناظرة إلى تبديل الناس إن كانوا غير متقين بآخرين من الناس يتقون الله. وقد روي أن الآية لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ يده على ظهر سلمان، وقال: «إنهم قوم هذا». وهو يزيد هذا المعنى، وعليك بالتدبر فيه.

وأما ما احتمله بعض المفسرين أن المعنى: إن يشأ يهلككم ويوجد قوماً آخرين مكانكم أو خلقاً آخرين مكان الإنس، فمعنى بعيد عن السياق. نعم، لا بأس به في مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَرَأِ أَنْ اللَّهَ فَخَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (إبراهيم: ١٩، ٢٠، ٥: ١٠٣)

فضل الله: قد يكون المراد من الإذهاب: الموت والفناء، كما ذكر البعض. وقد يكون المراد منه تبديلهم بآخرين من الناس ممن يتقون. وقد روي عن النبي ﷺ أنها لما نزلت، ضرب يده على ظهر سلمان وقال: «إنهم قوم هذا» يعني عجم الفرس. (٤٩٧: ٧)

٢ - وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَفْتَأْتُمْ مِنْ دُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ. الأنعام: ١٣٣

ابن عباس: يهلككم يا أهل مكة. (١٢٠)  
الطبري: يقول: يهلك خلقه هؤلاء الذين خلفهم من ولد آدم. (٣٤٧: ٥)  
القعلي: ثم يمتكم ويهلككم. (١٩٢: ٤)  
الطوسي: ثم أخبره عن قدرته وأنه لو شاء أن

رشيد رضا: أي إن يشأ إذهابكم أيها الكافرون برسوله المعاندون له واستخلاف غيركم بعدكم، يذهبكم بعباد يهلككم به، كما أهلك أمثالكم من معاندي رُسُلِهِ، كعاد وثمود وقوم لوط، ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الأفراد أو الأقوام، فلا غنى عنكم وقادر على إهلاككم، وإنشاء قوم آخرين من ذرِّيَّتكم أو ذرِّيَّة غيركم أحق برحمته منكم، كما قدر على إنشاءكم من ذرِّيَّة قوم آخرين. (١١٦: ٨) سيّد قطب: فلا ينس الناس أنهم ياتون برحمة الله وأن يقاءهم معلق بسميّة الله، وأن ما في أيديهم من سلطان إنما هو لهم الله إياه، فليس هو سلطاناً أصيلاً ولا وجوداً مختاراً، فما لأحد في نشأته وجوده من يد، وما لأحد فيما أعطيه من السلطان من قبضة، وذهابهم واستخلاف غيرهم هيّن على الله، كما أن إنشاءهم من ذرِّيَّة جيل غير، واستخلافوا هم من إنشاءه بقدر من الله.

إنها طرقات قويّة وإيقاعات عنيفة على قلوب الظالمين من شياطين الإنس والجن الذين يكررون ويتطاولون، ويحرمون ويحلّلون، ويجادلون في شرع الله بما يشرعون، وهم هكذا في قبضة الله يقيهم كيف شاء، ويذهب بهم أكي شاء، ويستخلف من بعدهم ما يشاء. كما أنها إيقاعات من التثبيت والطمانينة، والثقة في قلوب الحصة المسلمة، التي تلقى العنت من كيد الشياطين ومكرهم ومن أذى المجرمين وعدائهم، فهؤلاء هم في قبضة الله ضعافاً حقاً وهم يتجسّرون في الأرض ويمكرون. (١٢١: ٣)

ابن عاشور: استئناف لتهديد المشركين الذين كانوا يكذبون الإنذار بعباد الإهلاك، فيقولون: ﴿مَنْ هَذَا الْقَتْلُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ السجدة: ٢٨، وذلك ما يؤذن به قوله عقبه: ﴿إِنْ مَا تَوْعَدُونَ لَأَبْرَأَ مِنَّا الشُّمُّ بِمُفْجِرِينَ﴾ الأنعام: ١٢٤.

فالخطاب يجوز أن يكون للنبي ﷺ والمقصود منه التعريض بمن يغفل عن ذلك من المشركين، ويجوز أن يكون إقبالاً على خطاب المشركين، فيكون تهديداً صريحاً.

والمعنى: إن يشأ الله يُعجل بإفنائكم، ويستخلف من بعدكم من يشاء ممن يؤمن به، كما قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ شَكٌّ مِنْ قَوْمٍ فَهَبْ لَهُمْ قُوَّةً يَنْصِلُوا أَمِثَالَكُمُ﴾ محمد: ٣٨، أي لما إيهاله إليكم إلا لأنه القويّ ذو السلطة.

والمعنى: إن يشأ الله يُعجل بإفنائكم، ويستخلف من بعدكم من يشاء ممن يؤمن به، كما قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ شَكٌّ مِنْ قَوْمٍ فَهَبْ لَهُمْ قُوَّةً يَنْصِلُوا أَمِثَالَكُمُ﴾ محمد: ٣٨، أي لما إيهاله إليكم إلا لأنه القويّ ذو السلطة.

والمعنى: إن يشأ الله يُعجل بإفنائكم، ويستخلف من بعدكم من يشاء ممن يؤمن به، كما قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ شَكٌّ مِنْ قَوْمٍ فَهَبْ لَهُمْ قُوَّةً يَنْصِلُوا أَمِثَالَكُمُ﴾ محمد: ٣٨، أي لما إيهاله إليكم إلا لأنه القويّ ذو السلطة.

فضل الله: فإذا شاءت إرادته أن يذهبكم ويزيلكم عن الوجود ويأتي بآخرين من بعدكم، فسيذهبكم من دون أن ينقص من ملكه شيء، ﴿كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ فإذهبهم وجاء بكم من بعدهم، فكيف تتمردون عليه؟ وكيف تواجهون وعيده؟ (٣٣٢: ٩)

وجاء بهذا المعنى قوله تعالى:

١- رَيْنَ لِلثَّاسِ حُبِّ الْعُثُوثِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْهَيْثِ  
وَالْقَطَايِرِ السَّقَطَرِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

آل عمران: ١٤

التعليق: قيل: سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب

ولا يبقى. (٣: ٢٥)

٢- يَاءُ يَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِنِ كَثِيرٍ مِّنَ الْأَخْيَارِ  
وَالرُّطَبَانِ لَيَاكُلُونَ أَمْوَالَ الثَّاسِ بِالْيَاطِيلِ وَيَصُدُّونَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا  
يُخْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَبِئْتُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ التوبة: ٣٤

لاحظ: ن ف ق: «يُخْفِقُونَهَا»

٣- قُلُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ آمُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ...

الزخرف: ٥٣

لاحظ: س و ر: «آمُورَةٌ»

٤- يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِخَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ...

الزخرف: ٧١

راجع: ص ح ف: «صِخَافٍ»

## الأصول اللغوية

١- هذه المادة أصلان: الأول: الذهاب: السير

والمروء، يقال: ذهبَ يذهبُ ذهاباً وذُهباً، فهو ذاهب  
وذُهوب. وذهب به وأذهبه غيره: أزاله.

والمذهب: مصدر كالذهاب، والمتوخّط بلغة أهل  
الحجاز، لأنه يذهب إليه. وفي الحديث: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ  
كَانَ إِذَا أَرَادَ الْغَائِطَ أَيْمَدَ فِي الْمَذْهَبِ»، وهو كتابة عن  
موضع الغائط. والمذهب الذي يذهب إليه. يقال: ذهبَ  
فلان مذهباً حسناً، أي طريقة حسنة، وذهب فلان

٢- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ  
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ إبراهيم: ١٩

وقوله تعالى:

١- إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ فاطر: ١٦

يُذْهِبُ

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَمَلٍ إِنْ  
الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ الشَّيْءَ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلَّذِينَ

هود: ١١٤

راجع: ح س ن: «الحسنات» المعجم: (١٢: ٢٠٤)

ذهب

١-... يُخْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ

فِيهَا خَضِرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَكِبِينَ فِيهَا قُلُوبُ  
الْأَرْيَافِ لَهُمُ الْبُوابُ وَحُشِتْ مُرَقَّتًا. الكهف: ٣١

٢- إِنْ اللَّهُ يُدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ  
مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ الحج: ٢٣

٣- جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُخْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ

مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ فاطر: ٣٣

راجع: ح ل ي: «يُخْلَوْنَ» المعجم: (١٣: ٧١٥).

الذهب



لذهبه: المذهب الذي يذهب إليه.

وقال ابن عباد: «المذهب: اسم للموضع، ووقت من الزمان».

ومنه: ما يندرى له أين مذهب، ولا يندرى له مذهب: لا يندرى أين أصله.

والمذهب: الموثوس من الناس. يقال: به مذهب، أي الوثوسة في الماء، وكثرة استعماله في الوضوء.

وقال الخليل: «المذهب: اسم شيطان من ولد إبليس، يبدو للقرءاء فيقتنهم في الوضوء أو غيره».

والثاني: التبين والقطعة منه: ذهبة، والجمع: أذهاب وذُبوب وذُهبان وذُهبان، وفي حديث الإمام

عليه السلام: «لو أراد الله سبحانه لأنهاته حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان»: جمع ذهب.

والإذهاب والقذهب: التصويه بالذهب. يقال: أذهب الشيء، أي طلاه بالذهب، وهو حريف.

ومذهب، والفاعل مذهب ومذهب. والمذاهب: سؤور لقوة بالذهب، واحدها: مذهب.

والمذاهب أيضاً: البرود الموشاة. يقال: برود مذهب.

وكنيت مذهب: تعلق حمرته صفرة، والأكنى: مذهبة.

وذهب الرجل يذهب ذهباً فهو ذهب، هبم في المقتن على ذهب كثير، فراه فزال عقله، وبرق بهصره

من كثرة عظمه في عينه فلم يطرف، مشتق من الذهب. والذهب: ميخايل معروف لأهل اليمن، والجمع: ذهاب وأذهاب وأذهيب، وذهاب: جمع الجمع.

والترهبة: المطر الجود، أي الغزير والجمع: ذهاب.

قال ابن فارس: «لأنها تنظر الأرض والنبات».

٢ - والذهب بين الفلزات كالشمس بين الكواكب... ولا ترجع نفاسته إلى قدرته، وذلك أنه

يوجد بمقادير عظيمة، والحصول عليه ميسور دائماً من المناجم، وإنما ترجع إلى أن كل من يحصل على

قدر منه يكفزه، ومن ثم كان المكنوز منه أكثر من المتداول بين الناس.<sup>(١)</sup>

وقال ابن معصوم: «الذهب: رئيس المعادن المطرقة، وكلها تطلب رتبته في تكوينها، فتقصر بها

الآفات والعوارض، وهو لا يطلب غير رتبته».<sup>(٢)</sup> وقال القزويني: «هو أشرف نعم الله تعالى على

عباده، إذ به قوام أمور الدنيا ونظام أحوال الخلق، لا يحظر لهم إليه في حاجاتهم».<sup>(٣)</sup>

والذهب الشيء، أي طلاه بالذهب، وهو حريف. ومذهب، والفاعل مذهب ومذهب. والمذاهب: سؤور لقوة بالذهب، واحدها: مذهب.

والمذاهب أيضاً: البرود الموشاة. يقال: برود مذهب.

وكنيت مذهب: تعلق حمرته صفرة، والأكنى: مذهبة.

وذهب الرجل يذهب ذهباً فهو ذهب، هبم في المقتن على ذهب كثير، فراه فزال عقله، وبرق بهصره

من كثرة عظمه في عينه فلم يطرف، مشتق من الذهب. والذهب: ميخايل معروف لأهل اليمن، والجمع: ذهاب وأذهاب وأذهيب، وذهاب: جمع الجمع.

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٩: ٤٣٠).

(٢) الطراز الأول (٢: ٤٦).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (٨: ٣٨١).

## الاستعمال القرآني

جاء منها الماضي مجرداً ٢٠ مرة، والمضارع ٥ مرات، والأمر ٧ مرات، والمصدر (ذَهَابٌ)، واسم الفاعل كل منهما مرة، ومزيداً من الإفعال ماضياً مرتين، ومضارعاً ٩ مرات. واسماً ٨ مرات في ٥٦ آية:

١- ذَهَابَ

أ- الذَّهَابُ بـ:

١- ﴿مَتَلَهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا لِّسَنًا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة: ١٧

٢- ﴿يَكَادُ الْبَرِيُّ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَتْ لَهُمْ مَنُورٌ لَهُمْ وَإِذَا طَلَعُ غُطُوبُهَا أَتَتْهُمْ أَسْجُودٌ خَضِيحٌ يُسَبِّحُونَ وَابْصَارُهُمْ تَنَزَّلُ عَنْهَا وَأَعْتَدَ لَهُمْ جَذَابًا غَيْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ النحل: ١٧

٣- ﴿وَلَوْ أَنَّ شِيعَتَكَ لَذَهَبْنَ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ الإسراء: ٨٦

٤- ﴿فَأَمَّا لَدُوهِنَّ فَبَلَائٌ عَلَيْهِمْ مِّنْهُنَّ يُسْتَفْتُونَ﴾ الزخرف: ٤١

٥- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَخَابًا ثُمَّ يُزَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ جَلَالِهِ وَتَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصْبِبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْرَفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ الثور: ٤٣

(١) الكافي (٢: ١١٤).

٦- ﴿وَالَّذِينَ مِنَ السَّمَاءِ مَا يَقْدِرُ فَأَسْكَلَتْهُمُ

الْأَرْضُ وَالْإِلَاحُ ذَهَابَ بِقَادِرُونَ﴾ المؤمنون: ١٨

٧- ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَتَعَلَّابُهُمْ عَلَى يَاقُوتٍ

مُبْهَمٍ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ المؤمنون: ٩١

٨- ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ مَاءٍ يُدْعَى بِطَرِيقِكُمْ

الْمُطْلَى﴾ طه: ٦٣

٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْعَلُ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا

النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَكْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا

الْمَكْرُوهِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَاسِقَةٍ مَّيِّتَةٍ وَغَاسِرُوهُنَّ

الْمَعْرُوفُ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمُتْنِي أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا

يُجْعَلُ اللَّهُ بِهِ حُرْمًا كَثِيرًا﴾ النساء: ١٩

١٠- ﴿قَالَ إِلَهِي لِيُخْرِجَنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ

يَكُونَ عَذَابِي فِي الْبَاطِنِ﴾ يوسف: ١٣

١١- ﴿فَلَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوا فِي

غِيَابَةِ الْجُحِيمِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ لَنُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ يوسف: ١٥

١٢- ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ

عَلَيْهِمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ التمل: ٢٨

١٣- ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي

يَأْتِ بِصِيرٍ وَأَنْتَوِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يوسف: ٩٣

١٤- ﴿اذْهَبْ أَلَسْتَ وَآخُوهُ بَايَاتِي وَلَا تَهَيَّأْ

فِي كَرِيٍّ﴾ طه: ٤٢

١٥- ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبْ بِأَيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ

مُسْتَوْفُونَ﴾ الشعراء: ١٥

ب - الذهاب عن:

١٦ - ﴿وَلَيْنِ أَذِقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسَّةٍ لِيَقُولَ

ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَلَى إِلَهِ يُرْحَمُهُ﴾ هود: ١٠

١٧ - ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ

الْبَشَرَىٰ بِمَا ءوَلَّتْ فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٤

ج - الذهاب إلى:

١٨ - ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِتَكْوِينٍ﴾ القيمة: ٣٣

١٩ و ٢٠ - ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾

التازعات: ١٧، طه: ٢٤

٢١ - ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ طه: ٤٣

٢٢ - ﴿ثُمَّ أَذْهَبْنَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

فَدَمَّرْنَا لَهُمُ كَذِبَهُمْ﴾ الفرقان: ٣٦

٢٣ - ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَتَهْدِيَنِي﴾

الصافات: ٩٩

د - الذهاب بلا معنى:

٢٤ - ﴿وَأِنْ قَالَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ

فَمَا تَقِمْ فَمَا نُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ يَشْكُرُ مَا اتَّقُوا

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِمُؤْمِنُونَ﴾ الممتحنة: ١١

٢٥ - ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا أَإِذَا ذَهَبْنَا لَشَيْءٍ وَنَرُكُنَا

يُوسُفَ عِلْدًا مُتَاعِنِينَ فَكَلَّمَهُ الْقَوْمُ وَفَالَتْ بِمُؤْمِنٍ لِسَاوٍ

لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ يوسف: ١٧

٢٦ - ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَازَعُوا

فَتَفْتَسِلُوا وَكَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال: ٤٦

٢٧ - ﴿أَقْسَنَ ذَيْنَ لَهُ سُوءٌ عَلَيْهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنْ اللَّهَ

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ

عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ طاهر: ٨٢

٢٨ و ٢٩ - ﴿أَشِيعَةُ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ

رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ

مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنَّسِيبَةِ جِذَاذٍ

أَشِيعَةُ عَلَى الْغَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِرُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ

لَمْ يَدْخُبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَأَنْتُمْ يَأْتُونَ فِي

الْأَحْزَابِ يَنْظُرُونَ عَنْ النَّبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا إِلَيْكُمْ مَّا

قَالُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ الأحزاب: ١٩ و ٢٠

٣٠ - ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ فآين

تذخرون﴾ التكمير: ٢٥ و ٢٦

٣١ - ﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَإِذَا قَالُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ

يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيَخْضَ شَأْنَهُمْ فَإِذَا لَمْ يَنْ

شَيْئًا مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

التور: ٦٢

٣٢ - ﴿وَإِذَا الثُّورُ إِذَا ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ

تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِلَهِي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٧

٣٣ - ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا

فَأَحْتَمَلَ السُّبُلُ زِدَادًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِنُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ

ابْتِهَاءَ جَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدًا مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ

وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ

فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾

الرعد: ١٧



د - لم يعلق بحرف ١٤ آية: (٢٤ - ٣٧) والذهب  
في خمس منها: (٢٦ - ٢٩، و ٣٣)، للإزالة، وفي الباقي  
للمشي إلى جهة.  
و أمّا المزيد: فقسم واحد، ١١ آية: (٣٨ - ٤٨)،  
والفعل في جميعها للإزالة.  
و أمّا الاسم فقسمان: في الدنيا والآخرة ٨ آيات:  
(٤٩ - ٥٦).

و في جميعها بحوث، هذا هو الإجمال، وإليك  
التفصيل والبيان:  
القسم الأول: المتعدي بالياء ١٥ آية: (١ - ١٥):  
(١): ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بَسْمِ

هذه من جملة آيات «سورة البقرة» وصفاً  
للمنافقين ابتداءً من الآية: ٨ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ  
لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَالَغَهُ الْإِيمَانُ الْأَخِرَ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾. وانتهاءً إلى  
٢٠: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ - إِلَى - إِنَّ اللَّهَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

ويبدو أنها أول الآيات في القرآن تعرضاً  
للمنافقين، فالمعروف أن القرآن بدأ بمذمتهم في السور  
المدنية، إذ وجدوا بها بعد الهجرة وقد كانت  
السلطة فيها للمسلمين دون مكة - فاتخذوا  
التفاق ذريعة للحفاظ على أنفسهم أمام المؤمنين؛  
لاحظ: ن ف ق: «المنافقين».

وسورة البقرة - كما هو المعروف أيضاً - أول  
سورة نزلت بالمدينة، وقد صفت الناس في صدرها  
إلى ثلاثة أصناف: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين.

الثوبة: ٣٤

٥١ - ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَسْمَاءُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جِلْدَ  
مَعَةٍ الْمَثَلِ الْكَلِمَةُ مُتَشَبِهَةٌ﴾ الزخرف: ٥٣  
٥٢ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ  
يُقْبَلَ مِنْ أَخْلِهِمْ مِلَّةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ  
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

آل عمران: ٩١

٥٣ - ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ يُخَلِّدُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَتَّبِعُونَ فِيهَا  
الْحُضْرَاءُ مِنْ سُلَاسٍ وَإِستَبْرَقٍ مُتَشَبِهِينَ لَهَا عَلَى  
الْأَرَاكِ لِيَوْمِ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ أُجُورُهُمْ﴾ الكهف: ٣١

٥٤ و ٥٥ - ﴿يُخَلِّدُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ  
وَلَوْثٍ وَأَوْسَاطُهُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ الحج: ٢٣، طاهر: ٣٣  
٥٦ - ﴿يَطَّافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ  
وَلِيهَا مَا شَتَبَهُمُ الْإِنْسُ وَفُلْدُ الْأَعْيُنِ وَالْيَقِيمُ فِيهَا  
خَالِدُونَ﴾

الزخرف: ٧١

ويلاحظ أولاً أن فيها ثلاثة محاور: الفعل المجرد،  
والفعل المزيد، والاسم:  
أمّا المجرد فأقسام:

أ - عُدِّي الفعل فيه بحرف «هـ»: ١٥ آية  
(١ - ١٥)، والياء في تسع منها للإزالة، وفي ست  
للمصاحبة.

ب - تعلق الفعل بحرف «عن» آيتين: (١٦  
و ١٧)، و (عن) فيها للإزالة.

ج - تعلق بحرف «إلى» ٦ آيات: (١٨ - ٢٣)،  
و «إلى» فيها للمشي إلى جهة.

وقد تحدث القرآن بعدها في السور المدنية بأوصاف المنافقين كثيرًا، وخصت سورة باسم «المنافقين».

وفي ذيل الآيات في البقرة جاستثبلاً للمنافقين - مثلاًن كلا منهما في آيتين: ١٧ و ١٨: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...﴾ إلى ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ و ١٩ و ٢٠: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ...﴾ إلى ﴿إِنْ أَفْهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وفي المثل الأول مثلهم بالذي استوقد نارًا، ف لما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم، أي إن المنافقين تنوروا بنور الإيمان، ثم نافقوا، فذهب نورهم وتركوا في ظلمات الشرك والكفر.

وكذلك فسروها - كما حكاه البغوي عن ابن عباس وقناة ومقاتل والضحاك والسدي - قالوا: نزلت في المنافقين، يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل كبريتك الذي إذا اشتعل من نار في ليلة مظلمة في مفاضة، فاستدقا ورأى ما حوله، فانقضى نحا يخاف، فبينما هو كذلك إذ طفت ناره، فبقي في ظلمة خائفا متعمرًا، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان آمنوا على أسوأهم وأولادهم، و ناكحوا المؤمنين ووارثوهم، وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف.

٢ - ومع أن قوله: ﴿وَتَرْكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ظاهر في أن المنافقين بنفاقهم صاروا في ظلمات الكفر في الدنيا، إلا أن المفسرين اختلفوا: هل هي ظلمات الكفر في الدنيا، أو في قبورهم، أو ظلمات العذاب في الآخرة، كما كان ذيل كلامهم: «فإذا ماتوا

عادوا إلى الظلمة والخوف»؟

فمن الزجاج: «معناه - والله أعلم - إطلاع الله المؤمنين على كفرهم، فقد ذهب عنهم نور الإسلام بما أظهر الله عز وجل من كفرهم، ويجوز أن يكون ذهب الله بنورهم في الآخرة، أي عذبهم فلانور لهم، لأن الله جل وعز قد جعل للمؤمنين نورًا في الآخرة وسلب الكافرين ذلك النور، والدليل على ذلك قوله: ﴿انظُرُوا أَنْفُسَكُمْ لِكُورِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ثُمَّ لِنَفِيسُوا أَلْوَارًا﴾ الحديد: ١٣».

والحق أن آية البقرة مثل: فالتور فيها مثل لنور الإيمان، و الظلمة فيها مثل لظلمة الكفر والشرك في قلوبهم. ولو أريد بهما نور الآخرة و ظلمتها، خرج المثل عن كونه مثلاً.

أما آية «الرعد» فليست مثلاً، وإنما هي بيان لنور المؤمنين نورًا - وهو انعكاس نور إيمانهم في الدنيا - ليس للكافرين، فيطلبونه من المؤمنين، فيرجعونهم إلى ورائهم - وهي الدنيا - كي يؤمنوا ويتنوروا بنور الإيمان، كي يتحقق لهم نور الآخرة.

وقال الماوردي: «وفي ذهاب نورهم وجهان: أحدهما: - وهو قول الأصم - ذهب الله بنورهم في الآخرة، حتى صار ذلك سمة لهم يُعرفون بها. والثاني: أنه حتى التور الذي أظهره للنبي ﷺ من قلوبهم بالإسلام».

وقال البغوي ذيل كلامه السابق: «وقيل: ذهاب نورهم في قبورهم، وقيل: في القيامة حيث يقولون

لَّذِينَ آمَنُوا: ﴿الظُّرُوكَ تَفْشِينَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وقبل:  
ذَهَابَ نُورُهُمْ بِإِظْهَارِ عَقِيدَتِهِمْ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ ﷺ  
فَضْرَبَ النَّارَ مَثَلًا...».

٢- وفي تعدّي «ذهب» بالياء قال الطوسي:  
«ذهب به وأذهبه، أي أهلكه لإذهابه إلى مكان  
يُعرف، ومنه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾».

وقال الطبرسي: «أي أذهب الله نورهم، والفعل  
الذي لا يتعدى يتعدى إلى المفعول بحرف الجر وهمزة  
التمثيل، والياء في قوله: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ يتعلق به ﴿ذَهَبَ﴾».  
وقال القرطبي: - ونحوه غيره -: «وذهب  
وأذهب لفتان من الذهاب، وهو زوال الشيء».

فهؤلاء لم يُعرفوا بين «ذهب به» و «أذهب»  
«لكن الآخرين فرقوا بينهما:

فقال الزمخشري: - ونحوه كثير ممن بعده -:  
«والفرق بين «أذهبه» و «ذهب به» أن «أذهبه»  
أذهبه: أزاله وجعله ذاهبًا، ويقال: ذهب به، إذا  
استصحبه ومضى به معه. وذهب السلطان بحاله:  
أخذه: ﴿فَلَمَّا ذُهِبُوا بِهِ﴾ يوسف: ١٥، ﴿إِذَا لَذَهَبَ  
كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ المؤمنون: ١٩٦، ومنه: ذهبت به  
الحيلاء، والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه، ﴿وَمَا  
يُنْسِكُ فَلَا مَرْمِلَ لَهُ﴾ فاطر: ٢، فهو أبلغ من  
الإذهاب».

وقال العكبري: «الياء هنا معدية للفعل، كتعدية  
الهمزة له، والتقدير: أذهب الله نورهم. ومثله في القرآن  
كثير - وهنا في ١٥ آية - وقد تأتي الياء في مثل هذا  
للحال، كقولك: ذهبت بزيدي، أي ذهبت ومعي زيد».

وقال الألوسي: «وعُدّي بالياء دون الهمزة لما في  
المثل الشائر أن «ذهب بالشيء» يفهم منه أنه  
استصحبه وأمسكه عن الرجوع إلى الحالة الأولى،  
ولا كذلك «أذهبه» فالياء والهمزة - وإن اشتركا في  
معنى التعدية - فلا يبعد أن ينظر صاحب المعاني إلى  
معنى الهمزة والياء الأصليين، أعني الإزالة والمصاحبة  
والإلصاق.

ففي الآية لطف لا ينكر، كيف والفاعل هو الله  
تعالى القوي العزيز الذي لا راد لما أخذ، ولا مرسل لما  
أمسكه؟

وذكر أبو العباس أن: «ذهبت بزيدي» يقتضي  
ذهاب المتكلم مع زيد دون «أذهبه»، ولعله يقول: إن  
ما في الآية مجاز عن شدة الأخذ بحيث لا يرد، أو يجوز  
أن يكون الله تعالى وصف نفسه بالذهاب على معنى  
﴿يُخَيِّضُهُمْ فِي سُبُوحِ رُوحِهِ بِأَلْهَامٍ﴾ في ظاهر  
قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ الفجر: ٢٢، والذي ذهب  
إليه سيبويه أن الياء بمعنى الهمزة، فكلاهما مجرد  
التعدية عنده بلا فرق فلذا لا يجمع بينهما».

وقال ابن عاشور: «و «ذهب» المعدى بالياء أبلغ  
من «أذهب» المعدى بالهمزة، وهاته المبالغة في التعدية  
بالياء نشأت من أصل الوضع، لأن أصل «ذهب به»  
أن يدل على أنهما ذهبا متلازمين، فهو أشد في تحقيق  
ذهاب المصاحب، كقوله: ﴿فَلَمَّا ذُهِبُوا بِهِ﴾ يوسف  
: ١٥، وأذهبه: جعله ذاهبًا بأمره أو إرساله، ف لَمَّا  
كان الذي يريد إذهاب شخص إذهابًا لا شك فيه،  
يتولى حراسة ذلك بنفسه حتى يوقن بمصوّل امتثال

إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ قُلْتُ: إِذَا أَطْفَأَتِ النَّارُ بِسَبَبِ سَمَاوِيٍّ رِيحٍ أَوْ مَطَرٍ، فَقَدْ أَطْفَأَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَذَهَبَ بِنُورِ الْمُسْتَوْقَدِ.

وَقَالَ التَّنَاضُوتِيُّ: «وِإِسْنَادُ الذَّهَابِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا أَنَّ الْكُلَّ يَفْعَلُهُ، أَوْ لِأَنَّ الْإِطْفَاءَ حَصَلَ بِسَبَبِ خَفِيِّ، أَوْ أَمْرٍ سَمَاوِيٍّ كَرِيحٍ أَوْ مَطَرٍ، أَوْ لِلْمَبَالِغَةِ. وَلِذَلِكَ عُذِّي الْفِعْلُ بِالْبَاءِ دُونَ الْهَمْزَةِ، لِمَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الْإِسْتِصْحَابِ وَالِاسْتِمْسَاكِ، يُقَالُ: ذَهَبَ السُّلْطَانُ بِمَالِهِ إِذَا أَخَذَهُ، وَمَا أَخَذَهُ اللَّهُ وَأَمْسَكَ فَلَا تُرْسِلُ لَهُ».

وَنَحْوُهُ قَالَ ابْنُ عَابُورٍ، ثُمَّ قَالَ: «وَالْعَرَبُ وَالنَّاسُ يَسْتَنْدُونَ الْأَمْرَ الَّذِي لَمْ يَتَضَحَّ سَبَبُهُ لِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَيُسْأَلُهُمْ فِي طَلْعِهِمْ﴾» الْبَقَرَةُ: ١٥٠... هـ.

وَقَالَ الْأَلُوسِيُّ: «وِإِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَهُ تَعَالَى بِمَا أَنَّ الْفِعْلَ يَفْعَلُهُ الْفَاعِلُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي يَبْدُو التَّصَرُّفَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، بِوَاسِطَةِ وَبَغِيرِ وَاسِطَةٍ، وَلَا يَحْتَرِضُ عَلَى الْحَكِيمِ بَشِيءٌ».

فَيَبْدُو أَنَّهُمْ أَرَادُوا تَوْجِيهَ الْآيَةِ دَفْعًا لِشَبَهَةِ الْجَبْرِ، أَمَّا الْآخَرُونَ فَيُلْزِمُونَ بِهِ.

(٢): ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَنْبَارِهِمْ﴾، وَالْكَلَامُ فِيهَا نَظِيرُ مَا قَبْلُهَا.

(٣): ﴿وَلَوْ لَيْنَ شَيْئًا لَفْتَحْنَا بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.

١ - هَذِهِ مِنْ آيَاتِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ سَبَقَتْهَا آيَاتٌ أُخْرَى فِي مَرَاكِزٍ:

أَوَّلَاهَا الْآيَتَانِ ٩ وَ ١٠: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَهْدِي بِرَبِّهِ هِيَ آتُومٌ وَيَتَّبِعُ السُّوءُفِينِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

أَمْرَهُ، صَارَ «ذَهَبَ بِهِ» مُفِيدًا مَعْنَى «أَذْهَبَهُ»، ثُمَّ تَنَوَّسِيَ ذَلِكَ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ، فَقَالُوا: «ذَهَبَ بِهِ» وَنَحْوُهُ، وَ لَوْ لَمْ يَصَاحِبِهِ فِي ذَهَابِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمُشْرِقِ﴾ الْبَقَرَةُ: ٢٥٨، وَقَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْهُدَى﴾ يُوسُفُ: ١٠٠، ثُمَّ جُعِلَتِ الْهَمْزَةُ لِهَرْدِ التَّعْدِيَةِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ، فَيَقُولُونَ: «ذَهَبَ الْقَصَارُ بِمَالِ فُلَانٍ» وَلَا يَرِيدُونَ أَنَّهُ ذَهَبَ مَعَهُ، وَلَكِنَّهُمْ تَحْفَظُوا الْإِسْتِعْمَالَ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَقَامٍ تَأْكِيدِ الْإِذْهَابِ فَهَبَّتِ الْمَبَالِغَةُ فِيهِ.

وَالْحَقُّ أَنَّ التَّسْعَ الْأُولَى مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، ابْتِدَاءً مِنْ: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ إِلَى (٩) ﴿لَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا كَتَبْنَاهُمْ﴾ سِيَاقُهَا الْإِزَالَةُ، فَهِيَ ظَاهِرٌ «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» - وَمِثْلُهَا مَا بَعْدُهَا مِنَ الْآيَاتِ - إِرْزَالَةُ نُورِهِمْ، لَا أَنَّ اللَّهَ يَسْتَصْحَبُ بِنُورِهِمْ مَعَهُ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُوَجَّهَ بِأَنْ نُورِهِمْ كَانَ مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهِيَ لَيْسَتْ تَأْخُذُوا، أَخَذَ اللَّهُ نُورَهُ، فَرَجَعَ التُّورَ إِلَى أَصْلِهِ، لَكِنَّهُ بَعْدُ: أَمَّا الْآيَاتُ السَّبْعُ الْبَاقِيَةُ، ابْتِدَاءً مِنْ (١١): ﴿إِلَى لِيُخْزِنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ حِكَايَةُ لِأَخِيهِ يُوسُفَ، يُوسُفَ مَعَهُمْ وَانْتِهَاءً بِـ (١٣): ﴿لَذَهَبُوا بِبَعْضِ هَذَا﴾ - وَهِيَ حِكَايَةُ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةَ أَيْضًا - وَكَذَلِكَ «١٤» وَ «١٥» «لَذَهَبَ السَّيِّئُ وَهُوَ لَا يَأْتِي» وَ «فَذَهَبَا بِأَيَاتِنَا» كُلُّهَا ظَاهِرٌ فِي مَعْنَى الْإِسْتِصْحَابِ دُونَ الْإِزَالَةِ، فَلَا حَظَّ.

|| - وَفِي إِسْنَادِ ذَهَابِ نُورِهِمْ إِلَى اللَّهِ - وَفِيهِ شَبَهَةُ الْجَبْرِ الَّذِي يُلْزِمُ بِهِ الْأَشْعَرِيَّ وَأَتْبَاعُهُ - قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ - وَهُوَ مُعْتَرِئٌ - : «فَإِنْ قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى



الصَّالِحَاتِ أَنْ تَهْمُ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ أَخَذْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝

و ثانیہا الآیة ٤١: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ  
يُذَكِّرُوا وَمَا يَنْبَغُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝﴾

و ثالثہا الآیة ٤٥ وما بعدها إلى ٤٨: ﴿وَإِذَا  
قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا مِثْقَلَهُ وَتَمِيزُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسُورًا ۝ إِلَىٰ ﴿النَّظْرُ كَيْفَ حَسِبُوا لَلَّذِي  
الْأَمْثَالُ فَضَّلُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝﴾

ورابعہا الآیة ٧٣: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ  
الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِيُنْفِرُوا عَلَيْكَ غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَلْحَظِلُ  
خَلِيلًا ۝ إِلَىٰ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْكَ نَصِيرًا ۝﴾

وخامسہا الآیة ٨٢: ﴿وَوَلَّزَلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مُنَادٍ  
شِفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الْظَّالِمِينَ إِلَّا  
خُسَارًا ۝﴾

وسادسہا هذه الآیة ٨٦ وما بعدها إلى ٩٠: ﴿فَبِمَا  
شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ حَقِيلًا  
وَكَيْلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَإِنْ فَضَّلْنَا كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝  
﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ  
هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لَا يَأْتُوا بِهِ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ بِخَشْفِهِمْ لِأَنْخُسُ  
ظَهِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ  
مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝﴾

وفي خلال هذه الآيات لاسيما بعد الآيات  
الآخيرة تأكيد إياه الناس عن الإيمان بهذا القرآن،  
بمعاذير عديدة غير عنها بـ «الأمثال».

ولذا نبه الله بعد تلك الآيات ذيل السورة في  
الآيات ١٠٥ - ١٠٩، على أن القرآن حق آمنوا به أو

لم يؤمنوا: ﴿وَبِالْحَقِّ الْوَاقِعُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ  
إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝﴾ ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ  
الَّذِينَ أُولُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ  
ثَلَاثًا فَانْ مُجْدًا ۝﴾

فسورة «الإسراء» - مع شروعيها الواقعة «الإسراء»  
، وبها سُميت - قسم كبير من آياتها مصروف إلى  
القرآن، وأنه حق ولكن كثير من المشركين في مكة  
لا يؤمنون بها.

والذي يجلب النظر أن الله تعالى عبر عن القرآن  
في هذه الآيات خمس مرات بقوله: ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾  
اهتمامًا بشأنه، كما وصفه بأوصاف هي أكبر أوصافه،  
وتمتد أكثرها وجوها لإعجازه: وهي حسب ترتيب

الآيات:  
١ - أنه يهدي للتي هي أقوم، وأنه بشاره

وسادسها هذه الآیة ٨٦ وما بعدها إلى ٩٠: ﴿فَبِمَا  
شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ حَقِيلًا  
وَكَيْلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَإِنْ فَضَّلْنَا كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝  
﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ  
هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لَا يَأْتُوا بِهِ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ بِخَشْفِهِمْ لِأَنْخُسُ  
ظَهِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ  
مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝﴾

٢ - أنه ذكرى للمؤمنين، ومزيد نفور للمشركين.  
٣ - أنه تعالى - حين يقرأ النبي القرآن عليهم  
- جعل بينه وبين الذين لا يؤمنون به حجابًا مستورًا،  
وفي خلوجهم أكثر، وفي آذانهم وكثرًا، وأنهم - حين  
يذكر النبي الله وحده في القرآن - حولوا على أديبارهم  
نفورًا.

٤ - أنهم طمعوا أن يفتنوا النبي ليفتري على الله  
غير القرآن، أو أبي الله ذلك.

٥ - أن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، ومزيد  
خسار للظالمين الذين لا يؤمنون به.

٦ - أن الله لو شاء لذهب بالقرآن عن النبي ﷺ

غلاييد معينا على إبقائه.

٧- أنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بعثله لا يأتون بعثله.

٨- أن الله قد صرف فيه من كل مثل.

٩- أنه حق أنزله الله تعالى بالحق، وبالحق نزل.

١٠- أن الذين أتوا العلم من قبله - يعني أهل الكتاب - يؤمنون به بكاء وسجداً، وكان ذلك في الآيات قبل الهجرة، لكن أكثرهم لم يؤمنوا به بعد الهجرة كما جاء في آيات مدنية.

تلك عشرة كاملة من مزايا القرآن في هذه السورة، وتضاف إليها مزية أخرى، وهي الحكمة التي نص عليها في الآية ٣٩: ﴿ذَلِكَ يَمَّا أَتَى الْيَهُودَ مِنْ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾. و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى جملة من الأحكام والتوصيات في الآيات قبلها ٢٣ - ٣٧.

ابتداء بـ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾ ونحو ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي مَتَلَابِهِ﴾.

وهذا البحث الطويل هنا في فضل القرآن، وإن كان خارجاً عن موضوع بحثنا، إلا أننا اغتطنا الفرصة الموهوبة لنا بشأن القرآن الكريم في هذه السورة وآياتها العديدة، وموضعها في رء: «القرآن».

٢- وفي إعرابها ومفرداتها، قال الزمخشري - ونحوه الخازن والبيضاوي وابن عاشور وغيرهم -:

«﴿لَذَقْنَنَ﴾ جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط، واللام الداخلة على (إن) موطئة للقسم، والمعنى: إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم تترك له أنسراً، وبقيت كما كنت

لا تدري ما الكتاب».

وقال الطبرسي: «ومعناه: أئني أقدر أن آخذ ما أعطيتك كما منعت غيرك، ولكني دبرتك بالرحمة لك فأعطيتك ما تحتاج إليه، ومنعتك ما لا تحتاج إلى النص عليه، وإن توهم قوم أنه مما تحتاج إليه، فتدبر أنت بتدبير ربك، وأرض بما اختاره لك».

وقال أبو السعود: «وإنما عبر عنه بالموصول - أي من القرآن - ﴿الَّذِي﴾ - تفخيماً لشأنه وصفاً له بما في حيز الصلة - أي لفعل ﴿لَذَقْنَنَ﴾ - ابتداءً وإعلالاً بحاله من أول الأمر، وبأنه ليس من قبيل كلام المخلوق. واللام موطئة للقسم، و﴿لَذَقْنَنَ﴾ جوابه. المصاحف مناب جزاء الشرط؛ وبذلك حسن حذف المفعول المستتر. والمراد من الذهاب به: المحو من المصاحف والصدور، وهو أبلغ من الإذهاب».

ونحوه الثيسابوري وغيره - رطبها بما قبلها: ﴿وَيَسْتَوِيكَ عَنِ الرُّوحِ قُلُ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقال: «لما بين في الآية الأولى أنه ما أتاهم من العلم إلا قليلاً، بمن في هذه الآية أنه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل أيضاً لقدر عليه. وذلك بأن يحو حفظه من القلوب» كتابته من الكتب. وهذا وإن كان أمراً مخالفاً للعادة إلا أنه تعالى قادر عليه».

وأضاف الثيسابوري: «قلت: في نسبة علم القرآن إلى القلة خروج من الأدب، فالأولى في وجهه النظم أن يقال: إنه لما كشف لهم الغطاء عن مسألة

بالذي أوحينا إليك من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين، ومنيع للعلوم التي أوتيتها لها، وثبتناك عليه حين كادوا يفتنونك عنه، ولولاه لكدت تركزن إليهم شيئاً قليلاً».

٤ - وهناك وجهان آخران في معنى الآية حكاها أبو حنّان، حيث قال: «وقال أبو سهل: هذا تهديد لغير الرسول ﷺ بإذهاب ما أوتوا، ليصدّهم عن سؤال ما لم يؤتوا، كعلم الروح و علم الساعف هذا أحد الوجهين، والوجه الثاني قوله - وقال صاحب التحرير: ويحتمل عندي في تأويل الآية وجه غير ما ذكر، وهو أنه ﷺ لما أبطأ عليه الوحي لمّا سئل عن الروح شقّ ذلك عليه، وبلغ منه الغاية، فأنزل الله تعالى تهديداً له هذه الآية. ويكون التقدير: أبعزّ عليك تأخر الوحي، فلما لوشنا ذهبنّا بما «أوحينا إليك» جميعه،

ونقول: كلاهما بعيد، وما ذكرناه هو الظاهر، فلاحظ.

(٤): ﴿فَإِنَّمَا لَدُفْقِنَ بِكَ قَالًا مِنْهُمْ مُتَّبِعُونَ﴾.

١ - هذه الآية جاءت بعد آيات نصّت على ضلالهم المبين، وأنهم صمّ عمي عن سماع القرآن وآياته، وعن الإيمان بالنبى ﷺ ودينه، وقد أعلن الله فيها بانتقامه منهم إمّا في حياته أو بعد مماته، وأنّ وظيفته ﷺ الاستمسك بما أوحى إليه، فإنّه شرف له و لقومه، فقال في الآيات في الزخرف: ٤٠ - ٤٤: ﴿أَفَلَمْ تَسْمَعْ النُّصْرَةَ أَوْ تَهْدَى الْعُصَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. ﴿فَإِنَّمَا لَدُفْقِنَ بِكَ قَالًا مِنْهُمْ مُتَّبِعُونَ﴾. أَوْ

الروح، ويبيّن أنّ ذلك من العلوم الإلهية التي لانهاية لها، لأن العلوم الإنسانية القليلة، وكان فيه بيان كمال علمه تعالى ونقصان علم الإنسان، أراد أن يبيّن غاية قدرته ونهاية ضعف الإنسان أيضاً، فبيّن أنّه قادر على ذهاب القرآن ونحوه عن الصدور والمصاحف، وسيكون ذلك في آخر الزمان - كما جاء في الروايات - ثم لا يجد النبي الذي هو اكمل أنواع الإنسان من يتوكّل عليه باسترداده فضلاً عن غيره».

وقال الطباطبائي: «الكلام متصل بما قبله، فإنّ الآية السابقة وإن كانت متعوضة لأمر مطلق الروح - وهو ذو مراتب مختلفة - إلا أنّ الذي ينطبق عليه من

بحسب سياق الآيات السابقة المسوقة في أمر القرآن هو الروح السامويّ النازل على النبي ﷺ الملقى بالقرآن. فالمنع - والله أعلم - الروح النازل على القرآن بالقرآن إليك من أمرنا غير خارج عن مقتضى قوله

وأقسم لئن شئنا لنذهبنّ هذا الروح الذي هو كلمتنا الملقاة إليك، ثم لا تجد أحداً يكون وكيلاً به لك علينا، يدافع عنك ويحاط لنا به، ويجبرنا على ردّ ما أذهبنا به».

ونقول: الظاهر أنّها مرتبطة بما جاء بعدها بشأن القرآن تهديداً لها، وهي: ﴿قُلْ لَيْتِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾، وهذا هو ظاهر كلام بعضهم؛ حيث جعلوها تتمّة لما سبقها من الآيات ٧٣ - ٧٦: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِكُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْضِرَنَّ عَلَيْكَ غَيْرَهُ...﴾، ومقدّمة لما بعدها ٨٢: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ...﴾.

فقال أبو السعود في معناها: «ولئن شئنا لنذهبنّ





إلى كثرة طرقه لعموم التكرار، وإن كانت في الإثبات وبواسطة ذلك تثبته المبالغة في الإثبات، وهذه الآية أكثر مبالغة من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْنَعَ مَا تُلْكُمُ غُورًا قَمِينَ يَأْتِيكُمْ يَمَاءٌ مَعِينٌ﴾ الملك: ٣٠. وذكر صاحب «التقريب» ثمانية عشر وجهًا للأبلغية. فلاحظ نصه، فقد أنهاها بعد ذلك إلى ثلاثين وجهًا.

وقال ابن عاشور: «وجملة ﴿وَأَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِمُقَادِرُونَ﴾ معترضة بين الجملة وما تفرع عليها، وفي هذا تذكير بأن قدرة الله تعالى صالحة للإيجاد والإعدام وتذكير ﴿ذَهَابٍ﴾ للتخسيس والتعظيم ومعنى التعظيم هنا تعدد أحوال الذهاب به: من تنويره إلى أعماق الأرض بانشقاق الأرض بزلزال ونحوه، ومن تخفيفه بشدة الحرارة، ومن إمساك إزاله زمانًا طويلًا. ثم تصدى للفرق بين الآيتين بتحويل تقدم عن

الآلوسي، وقال: «وأنا أقول: عني هؤلاء الكفار ببيان التباين بين الآيتين، ولم يصرح أحدهم للكشف عن وجه توفير الخصائص في هذه الآية دون الآية الأخرى مما يوازنها، وليس ذلك لخلو الآية عن نكت الإعجاز ولا هيئز الكاظمين عن استخراج أمثالها، ولكن ما يبين من الخصائص البلاغية في القرآن ليس يُريد من يبيته أن ما لاح له ووفق إليه هو قصارى ما أودعه الله في نظم القرآن من الخصائص والمعاني...».

(٧): ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ...﴾:

١- هذه الآية مسبوقة في السورة بآيات في خلق الله سؤالاً عن المشركون احتجاجاً عليهم - لاعتزالهم

بأنها خلق الله :-

أولها: ٨٤: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. وآخرها: ٨٨ - ٩٠: ﴿قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. ﴿سَيَقُولُونَ لَهُ قُلْ فَأَنصُرْهُ لِنَصْرِهِ﴾ بل آياتهم بالحق وَإِلَهُمُ الْكَافِرُونَ.

ثم أنكر عليهم قوهم بالولادة وبإلاه معه: ﴿مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ...﴾ وقد مررت بتوضيحها في: أ ل هـ: «إله».

٢- قالوا في إعراب ﴿إِذَا لَذَهَبَ...﴾ جواب المحذوف، وتقديره: لو كان معه إله آخر إذا لذهب كل إله بما خلق، والمحذوف مأخوذ من ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ...﴾. وبناء عليه فهي حجة لنفي إله معه دون نفي ولده فحسب.

وقال الطبرسي: «و﴿إِذَا﴾ هنا حشو بين (لو) وجوابه، فهي لغو عامل - إلى أن قال: - (بين) هنا وفي قوله: ﴿مِنْ وَلَدٍ﴾ مؤكدة، فهو أكد من أن يقول: ما آتاه الله ولداً وما كان معه إله، نفى عن نفسه الولد والشريك على أكد الوجوه».

وقد أطالوا الكلام في ﴿إِذَا﴾ هذه، فلاحظ نص الفخر الرازي، والتهساوي، وأبي حيان، وغيرهم. وزاد الآلوسي: «و(ما) في ﴿بِمَا خَلَقَ﴾ موصولة حذف عائدها كما أشرنا إليه، وجوز مصدرية، ويحتاج إلى نوع تكلف لا يخفى».

٣- وفي معناها قال الطوسي: «أي لا تصرفه، والحالة من خلق غيره، لأنه لا يرضى أن يُضاف خلقه

وأنعامه إلى غيره.»

وقال الطبرسي: «أي لم يزل كل إله خلقه عن خلق غيره، ومنعه من الاستيلاء على ما خلقه، أو نصب دليلًا يميز به بين خلقه وخلق غيره، فإنه كان لا يرضى أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره.» ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ بَيْعِهِمْ﴾ أي ولطلب بعضهم قهر بعض ومغالته. وهذا معنى قول المفسرين: ولقاتل بعضهم بعضًا، كما يفعل الملوك في الدنيا، وقيل، معناه: ولنع بعضهم بعضًا عن سراده، وهو مثل قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ...﴾ الأنبياء: ٢٢.

وقال الألوسي: «أي لاستبد بالذي خلقه واستقل به نصرًا، وامتاز ملكه عن ملك الآخر.» ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ بَيْعِهِمْ﴾ ولوضع التحاميم والتغالب بينهم، كما هو الجاري فيما بين الملوك. والقال باطل لما يلزم من ذلك نفى ألوهية الجميع، ولو ألوهية ما عدا واحد منهم، وهو خلاف المفروض. أو لما أنه يلزم أن لا يكون بيده تعال وحده ملكوت كل شيء، وهو باطل في نفسه لما برهن عليه في الكلام وعند الخصم.»

٤ - ومعنى هذه الآية ونظيرها: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء: ٢٢، أمر صري يعرفه الناس، كما هو الجاري بين الملوك والرؤساء، ولهذا ينصبون لكل أمر من الأمور رئيسًا واحدًا لأكثر، حذرًا من الخلاف والتنازع بينهم، كما قال الألوسي: «ولا يخفى أن اللزوم في الشرطية المفهومة من الآية عادي لا عقلي، ولذا قيل: إن الآية إشارة

إلى دليل إقناعي للتوحيد، لا قطعي.»

وقال ذيل كلامه الطويل حكاية بعض التفاسير العقلية للآية عن الآخرين: «وما أشرنا إليه من انهزام قضية شرطية من الآية ظاهر جدًا على ما ذهب إليه القراء» - وحكى قوله - فلاحظ.

وهذا المعنى الثري في ظاهر - لو لم يكن أظهر - من نظيرها: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فقد عبر فيها بالفساد لو تعددت الآلهة، كما لو تعدد الملوك، فقد جاء في قصة ملكة سبا حكاية عنها: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَّبُوكَ يَقْتُلُونَ﴾ التمثيل: ٣٤.

لكن المفسرين ذكروا لها توجيهات عقلية:

قال الألوسي: «لأنه إذا كان جسمًا وكل جسم محتاج، جاز منه أن يستعلي ل حاجته، بل لابد من أن يستعلي على غيره.»

وقال الطبرسي: «وفي هذا دلالة عجيبة في التوحيد، وهو أن كل واحد من الآلهة من حيث يكون إلهًا، يكون قادرًا لذاته، فيؤدي إلى أن يكون قادرًا على كل ما يقدر عليه غيره من الآلهة، فيكون غائبًا ومطلوبًا من حيث إله قادر لذاته.

وأيضًا فإن من ضرورة كل قادرين صحة التمانع بينهما. فلو صح وجود إلهين، صح التمانع بينهما من حيث إلهما قادران، وامتنع التمانع بينهما من حيث إلهما قادران للذات، وهذا محال.

وفي هذا دلالة على إعجاز القرآن، لأنه لا يوجد في كلام العرب كلمة وجيزة تضمنت ما تضمنته هذه،

و علو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم، ولا تنظم أحواله. والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال لما يلزم منه المحال....

٦- نفى الله عن نفسه أمرين: اتخاذ الولد، ووجود إله معه - وكلاهما كان عقيدة المشركين في الله تعالى - ثم ذكر محذورين: ذهاب كل إله بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، وكلاهما إبطال للأمر الثاني، أي وجود آله معه - كما هو الظاهر من الآية ومن كلام المفسرين - لكن الترتوي حكى عن «التأويلات التجمية» قوله: «يشير إلى أن اتخاذ الولد لا يصح كاتخاذ الشريك، والأمران جميعاً داخلان في حد الاستحالة، لأن الولد والشريك يوجب المساواة في القدر، والتمدية تنفد عن جواز أن يكون له مثل أو جنس، ولو تصورنا جوازه ﴿وَإِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ مِمَّا فَلَاحَ﴾ فكل أمر نبط باتين لقد انتفى عن النظام، وصحة الترتيب».

و المستفاد من هذا الكلام أن المحذورين كلاهما راجعان إلى كل من الأمرين، اتخاذ الولد، ووجود آله أخرى، فلاحظ.

(٨): ﴿وَإِذْ هَبْنَا بَطْرَقَتِكُمْ الْمُثَلَّى﴾:

١- هذه من آيات قصة موسى وهارون عليه السلام مع فرعون وقومه في سورة طه، ابتداءً من الآية ٤٣: ﴿وَإِذْ هَبْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِثْمَهُ طَغَى﴾ إلى ٧٩: ﴿وَإِذْ هَبْنَا فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾.

وفي خلاها جاءت حكاية عن قوم فرعون: ﴿فَقَتَّازُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ قالوا إن

فألها قد تفضت دليين باهرين على وحدانية الله، وكمال قدرته».

وقال صاحب «الكشف» - كما حكى عنه الألوسي -: «لا قد لاح لنا من لطف الله تعالى وتأنيده أن الآية برهان نير على توحيدة سبحانه، وتقريره أن مرجع الممكنات، الواجب الوجود - تعالى شأنه - جل عن كل كثرة».

أما كثرة المقومات أو الأجزاء الكمّية، فهبنة الانتفاء لإينائها بالإمكان.

وأما التمدد مع الاتحاد في الماهية، فكذلك للاقتصار إلى المميز، ولا يكون مقتضى الماهية، لاتحادها فيه فيلزم الإمكان....

وقال الألوسي - بعد نقل كلامه الطويل -: «هو كلام يلوح عليه محال التحقيق، وربما يورد عليه بعض مناقشات تندفع بالقائل الصادق».

وجاء نحوها عن غيرهم، وانتهى ما في كلام الطباطبائي، فلاحظ.

٥- وقد نبّه المدني على وجود صفة «القسيم» في الآية، وهو من أنواع البديع - وهو أن يفرض المتكلم حصول أمر قد نفا، أو لهم استحالة، أو شرط فيه شرطاً مستحيلاً، ثم يسلم وقوع ذلك بما يدل على عدم لاندته - وحكى تعريفاً آخر للتسليم عن الآخرين - ثم قال: «فالأول أعني المحال المنفي، كقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ فإن معنى الكلام ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه إلهاً لزم من ذلك التسليم، ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق،



هَذَا أَنْ تَسَاجِرَ أَنْ يُرِيدَ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ  
بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿١﴾

٢- المراد بـ «وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى» أي يزولا  
طريقتكم، قال الطبرسي: «والمعنى: يريدان أن يصرفا  
وجوه الناس إليهما، عن أمير المؤمنين عليه السلام  
وقيل: إن طريقتهما المثلى: بنو إسرائيل كانوا أكثر  
القوم عدداً وأموالاً، أي يريدان أن يذهبا بهم  
لأنفسهم، عن قتادة وأكثر المفسرين. وقيل: يذهبا  
بطريقتكم التي أنتم عليها في السيرة والدين، عن  
الجبائي وأبي مسلم وابن زيد».

٣- وقال الفخر الرازي: «إله سبحانه وتعالى  
ليما ذكر ما أسروا من التجوى حكى عنهم ما  
أظهروه، وبمجموعه يدل على التنفير عن موسى عليه السلام  
متابعة دينه:

فأجدها: قروهم: ﴿هَذَا أَنْ تَسَاجِرَ أَنْ﴾ وهذا الحسن  
منهم في معجزات موسى عليه السلام، ثم مبالغة في التنفير عنه،  
لما أن كل طبع سليم يقتضي التفرقة عن السحر وكرهه  
رؤية الساحر، ومن حيث إن الإنسان يعلم أن السحر  
لا بقاء له، فإذا اعتقدوا فيه السحر قالوا: كيف تنبئه  
فإله لا بقاء له ولا دينه ولا مذهبه؟

ونائبها: قوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ  
أَرْضِكُمْ﴾. وهذا في نهاية التنفير، لأن المفارقة عن  
المنشأ والمولد شديدة على القلوب، وهذا هو الذي  
حكاه الله تعالى عن فرعون في قوله: ﴿قَالَ أَجِئْتُكَ  
بِسِحْرٍ جَدِّدٍ مِنْ أَرْضِي سِحْرِي قَدِيمًا مُوسَى﴾ طه: ٥٧،  
وكان السحرة تلفسوا هذه الشبهة من فرعون ثم

أعادوها.

ونائبها: قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ وهذا أيضاً  
له تأثير شديد في القلب، فإن العدو إذا جاء واستولى  
على جميع المناصب والأشياء التي يرغب فيها، فذلك  
يكون في نهاية المشقة على النفس.

فهم ذكروا هذه الوجوه للمبالغة في التنفير عن  
موسى والترغيب في دفعه وإبطال أمره، ثم بحث في  
معنى «الطريقة والمثلى»، فلاحظ.

٤- وقال في المسألة الأولى: «القراءة المشهورة  
﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سَاجِرٌ﴾، ومنهم من ترك هذه القراءة  
وذكروا وجوهاً آخر». ثم أطال الكلام في أكثر من  
خمس مائة موضع في تلك الوجوه قبولاً ورفضاً - وهذا عجيب  
فلاحظ.

(٩): ﴿وَلَا تَغْضُلُوهُمْ لِيَذْهَبُوا بِسَبْطِ مَا  
فَأجدها: قروهم: ﴿هَذَا أَنْ تَسَاجِرَ أَنْ﴾ وهذا الحسن  
منهم في معجزات موسى عليه السلام، ثم مبالغة في التنفير عنه،

١- هذه من جملة الآيات في أحكام النساء في  
السورة التي سُميت باسمهن، وقامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرَفُوا النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَغْضُلُوهُمْ  
لِيَذْهَبُوا بِسَبْطِ مَا آتَيْتُمُوهُمْ إِلَّا أَنْ يَتَّيْنُوا بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ  
وَعَاشِرُوهُمْ بِالْعِفْرِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَفَسِّسْ أَنْ  
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

٢- وجاء فيها أحكام لمن من أرتهم كرهاً، ومن  
عضلهم ليذهبوا بسبب ما آتوهن من المهر وخيره،  
والأمر بمعاشرتهن بالمعروف وإن كرهوهن.

٣- والمراد بـ «لِيَذْهَبُوا بِسَبْطِ مَا آتَيْتُمُوهُمْ»  
إزالة مهرهن عنهن، دون استصحابه وأخذ معهن،

كما في الآيات الماضية.

(١٠) و (١١) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا بِرُحْمَ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١٠﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتُحْ وَيَنْقُبْ وَإِلَّا لَهُ لَعْنَةُ الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنِّي لَهُ خَشَرٌ لَّئِنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى زُكُوفِ الدُّنْيَا لَعَنَ اللَّهُ الْكُفْرَ وَالْكَافِرِينَ ﴿١٢﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الدُّنْيَا وَالْآثِمُ غُلَّتْ أَعْيُنُنَا إِذَا نَبَّاهُ بِهَا وَكَفَى بِنُوحٍ إِذًا لَّعْنَةً لَّوْ أَنَّهُ لَمَّا دُعِيَ بَدُوعًا وَأَجْتُنَا بِذُنُوبِنَا إِذْ جَعَلْنَا فِي شَرِّ الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَجِّيَنَّهُمْ بَأْسَ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾

هذه مقابلة بين إخوة يوسف و أبهم بشأن يوسف. وقد مضى الكلام فيها في: ذهب: «الذئب» ومعلوم أن معنى الذئب به في الآيتين أخذه معهم لإزالته عن الوجود. فالباء فيها للاستصحاب (١٢): ﴿إِذْ هَبْ بَكَّتَابِي هَذَا فَاَلْقِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾

١- هذه من جملة آيات قصة ملكة سبأ ابتداء من ٢٠ حكاية عن سليمان: ﴿وَلَقَدْ أَطَّيَّرْتَنِي فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كُنَّ مِنَ الْهَافِينَ﴾ إلى قوله في: ٢٨: ﴿إِذْ هَبْ بَكَّتَابِي هَذَا فَاَلْقِ إِلَيْهِمْ...﴾ واستدانة إلى قولها في الآية ٤٤: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

٢- الباء في ﴿إِذْ هَبْ بَكَّتَابِي﴾ للمصاحبة. أي أخذ كتابي معك: ﴿فَاَلْقِ إِلَيْهِمْ﴾

٣- قال الألوسي: «وخصصه ﴿إِنَّمَا﴾» ﴿الهُدُودُ﴾ - بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء الجن الأحرار على التصرف والتعرف، لما عاين

فيه من مخايل العلم والحكمة، ولئلا يبقى له عذر أصلاً.

٤- وقال أيضاً: «وفي الآية دليل على جواز إرسال الكتب إلى المشركين من الإمام، لإبلاغ الدعوة والدعاء إلى الإسلام. وقد كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وغيرهما من ملوك العرب».

٥- وقال الطباطبائي: «حكاية قول سليمان خطاباً للهُدُودِ، كأنه قيل: فكتب سليمان كتاباً ثم قال للهُدُودِ:

اذهب بكتابي هذا إليهم، أي إلى ملكة سبأ وملكها فألقه إليهم، ثم تول عنهم، أي تنح عنهم، وقع في مكان تراهم، فانظر ما ذا يرجعون، أي ما ذا يرد بعضهم من الجواب على بعض إذا تكلموا فيه».

٦- وقال القشيري: «في الآية إشارة إلى أنه يعني للإنسان أن يذكر بين يدي الملوك كل كلمة، فإنه يجر العناء بذلك إلى نفسه...»

(١٣): ﴿إِذْ هَبُوا بَقِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾

١- هذه من جملة آيات قصة يوسف مع إخوته بعد أن عرّكهم نفسه بقوله في جوابهم: ٩٠: ﴿قَالُوا يَا أَيْدِيكَ لَا تَبْسُطُ فِي هَذِهِ بَعْدَ مَا جَاءَكَ بِهَذَا الْغُلَامُ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىكَ...﴾ وبعد أن غفر لهم ما فعلوا به بقوله: ٩٢: ﴿قَالَ لَا تَقْرَبُوا عِلْقَ الْيَوْمِ الْيَوْمِ يَبْقَرُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ...﴾

٢- والباء في هذه أيضاً للمصاحبة، أي أخذوا معكم قميصي هذا: ﴿فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي﴾

٣- قال الطبرسي: «قيل: إنه لما عرّكهم

أمر الله موسى وأخاه هارون في هذه الآية بأن يذهبا إلى فرعون مصاحبة آيات الله معهما.

٢ - قال الزمخشري: «جمع الله له الاستجابتين معاً في قوله: ﴿كَأَلَّا فَاذْهَبَا﴾، لأنه استدفعه بلاءهم فوعده اللطف برده عن الخوف - بلفظ (كلاً) - والتمس منه الموازنة بأخيه، فأجابه بقوله: ﴿فَاذْهَبَا﴾ أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هارون.»

٣ - ثم قال: «فإن قلت: غلام عطف قوله: ﴿فَاذْهَبَا﴾؟

قلت: على الفعل الذي يدل عليه ﴿كلاً﴾ كأنه قيل: ارتدع يا موسى عما تظن، فاذهب أنت وهارون.»

٤ - هو قال الطبرسي: «﴿اذْهَبَا﴾ أنت وأخوك. وحذف ذكر هارون وإجابة موسى إلى ما اقترحه من إرساله سعد إلى فرعون، لدلالة قوله: ﴿فَاذْهَبَا﴾ عليه.»

ونقول: موسى لم يطلب من الله في هذه الآيات إرسال هارون معه، بل طلب إرسال هارون وحده مكانه، كما دل عليه الآيات ١٠ - ١٦: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* قَوْمُ فِرْعَوْنَ لَا يَسْمَعُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون \* وَيَضْحَكُوا صَدْرِي وَلَا يُلْقُوا إِلَيَّ قَارِئًا إِلَىٰ هَرُونَ \* وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكِ قَاطِعٌ أَنْ يَقْتُلُون \* قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِلَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ \* فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

نعم يستفاد من آيات سورة طه: ٢٩ - ٣٦، أن

نفسه، سأله عن آية، فقال: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: ذهبت عيناه. فقال: اذهبا بقميصي هذا، واطرحوه على وجهه، يمد ميصراً كما كان من قبل. قال ابن عباس: ﴿آيَاتٍ بَصِيرًا﴾: يرتد بصيراً، ويذهب البياض الذي على عينيه.»

(١٤): ﴿اذْهَبَا أَلْتِ وَأَخَوُكَ بِآيَاتِي وَلَآتِيَا فِي ذِكْرِي﴾.

١ - هذه الآية من قصة موسى وهارون <sup>عليه السلام</sup> في سورة طه لدعوتهما فرعون، وبمدها: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ لَكَ لِقَاءُ نَظْمُهُ يُشْكَرُ أَنْ يَخْشَىٰ﴾. لاحظ: الآية ٤٣.

٢ - الباء في ﴿اذْهَبَا أَلْتِ وَأَخَوُكَ بِآيَاتِي﴾ للمصاحبة أيضاً، أي اذهبا مع آياتي وخذوها معكم إلى فرعون، وليست للإزالة.

٣ - قال الطبرسي: «﴿بِآيَاتِي﴾ أي بمصاحبة <sup>عليه السلام</sup> و دلالاتي. وقيل: بالآيات التسع عن ابن عباس.» وقال الميثقي: «أي امضيا بالثوراة.»

(١٥): ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنْ مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ﴾.

١ - هذه من جملة آيات موسى وفرعون في الشعراء، ابتداء من الآية ١٠: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ...﴾ وانتهاءً بـ ٦٨: ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهْوُ الْقُرْآنِ الرَّجِيمُ﴾.

لما اعتذر موسى عن قبول إرساله بقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكِ قَاطِعٌ أَنْ يَقْتُلُون﴾، أو بما ذير أخرى، وأكد إرسال أخيه هارون بقوله: ﴿قَارِئًا إِلَىٰ هَرُونَ﴾.

١- هذه من جملة آيات سورة هود في بيان موضع الإنسان أمام رحمة الله ونعماته ونزعتها منه. أو بعد ضراء سبعة ٩ - ١١: ﴿وَلَيْنِ أَذْقَا الْإِنْسَانَ مِثْلَ خَسَّةٍ تَمُوتُ عَنْهَا فَمِنْهُ إِلَهُ قَحُورٌ﴾. وَلَيْنِ أَذْقَا نَفْسَهُ يَخْذُ ضَرَاءَ مَسْئَةٍ لَيَقُولُنَّ دَهِبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِلَهُ قَهْرٌ قَهْرٌ. إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَقِيرٌ وَجَزَاءٌ كَبِيرٌ.

٢- قال الطبرسي بعد شرح اللغات: «ثم بين سبحانه حال الإنسان فيما قابل به نعمة من الكفر، فقال: ﴿وَلَيْنِ أَذْقَا الْإِنْسَانَ مِثْلَ خَسَّةٍ﴾ أي أحللتنا به نعمة من الصحة والكفاية، والسعة من المال والولد، غير ذلك من نعم الدنيا ﴿تَمُوتُ عَنْهَا فَمِنْهُ إِلَهُ قَحُورٌ﴾ أي سلبنا تلك النعمة عنه إذا رأينا المصلحة فيه ﴿إِلَهُ قَحُورٌ﴾ قحور أي قنوط، وهو الذي سته وعادته اليأس، قحور وهو الذي عادته كفران النعمة.

ومعنى الآية مصروف إلى الكفار الذين هذه صفهم، تجهلهم بالصانع الحكيم الذي لا يعطي ولا يمنع، إلا لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح. ﴿وَلَيْنِ أَذْقَا﴾ أي أحللتنا به وأعطيناه ﴿نَفْسَهُ يَخْذُ ضَرَاءَ مَسْئَةٍ﴾ أي بعد بلاء أصابه ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ عند نزول النعماء به ﴿دَهِبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾ أي ذهبت الخصال التي تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه عنه، وهو ما هنا بمعنى الشدائد والآلام والأمراض عني، فلا تمود إلي ولا يؤدي شكر الله عليها ﴿إِلَهُ قَهْرٌ قَهْرٌ﴾ ولا يشكر عند النعمة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾

موسى طلب إشرافه هارون في أمره ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ هرون أخى ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْدَى﴾ وأشرته في أمرى - إلى قوله: - قال قد أوتيت سؤلئك يا موسى.

و كذلك جاء في سورة القصص: الآيات ٣٢ - ٣٥: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ نَفْسِي فَاحْفَافٌ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿قَالَ سَنَدُقْ قَعْدَكَ بِأَخِيكَ وَتَجْعَلْ لَكُنَّا سُلْطَانًا فَلَا يَهْبِيلُونَ إِنَّكُنَّا بِأَيَّامِنَا أَكْثَرُ وَأَمِنْ الثَّبَقَيْنَا الثَّالِثُونَ﴾.

ولم نجد من طرح هذا التعارض ورفع بين آيات سورة الشعراء، وآيات سورة طه والقصص، سوى المطلب الإسكافي في كتاب «درة التفسير» وغيره. التاويل: ٢٩٤ «فلاحظ».

والذي يرفع أمثال هذه التعارضات إن القرآن يقص القصص بالمعنى دون اللفظ، ولا ينفكها عن سياقها وهذا ما نص عليه الطباطبائي في (١٤: ٥٤) ذيل الآية: ﴿إِذْ هَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِلَهُ طَغَى﴾ قال: «وليس بهمد أن يكون نقلاً لمشاهدة أخرى وتغاطب وقع بينه تعالى وبين رسوله مجتمعين أو متفرقين بعد ذلك الموقف، ويؤيده سياق قوله بعد: ﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا لَنَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا...﴾».

القسم الثاني: الذهاب عن:

آيات - سواي «الذهاب» عن «ثلاث مرات أخرى أيضاً - وفيها يحوط:

(١٦): ﴿وَلَيْنِ أَذْقَا نَفْسَهُ يَخْذُ ضَرَاءَ مَسْئَةٍ لَيَقُولُنَّ دَهِبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِلَهُ قَهْرٌ قَهْرٌ﴾.

مضاه: إلا الذين قابلوا الشدة بالصبر، والتمعة بالشكر، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي واظبوا على الأعمال الصالحة، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو الجنة.

أما الفخر الرازي فقد ربط هذه الآيات بما قبلها الدال على عذاب الكفار، ثم ذكر فيها مسائل: «أولاهما: هل المراد بـ ﴿الْإِنْسَانِ﴾ مطلق الإنسان وأنها بصدد بيان طبيعة الإنسان أمام رحمة الله، أو خصوص الكافر.

وثانيتهما: في تفسير لغاتهما. وثالثتها: في أن أحوال الدنيا غير باقية، وهي أبداً في التغير والزوال، أما يتحول من التعمعة إلى المحنة، وإما بالعكس من المحنة إلى التعمعة - ثم شرح الفقيهين وقال في خلاصهما: - فحاصل الكلام أنه تعالى يستأنس الكافر عند البلاء لا يكون من الصابرين، وعند الفسوة بالتعمع لا يكون من الشاكرين، ثم فسر ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا...﴾.

٣- هذا ما يرتبط بالآيات الثلاث، أما ما يرتبط بقوله في الثانية: ﴿لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ الشَّيْءُ عَنِّي﴾ فقال الطبري: ونحوه غيره: «لَيَقُولُنَّ هُنَّ ذَلِكُ ذَهَبَ الضَّيْقُ وَالْفُسْرَةُ عَنِّي، وَزَالَتِ الشَّدَائِدُ وَالْمَكَارِهِ».

(١٧): ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ الْبَشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.

١- هذه من قصص إبراهيم و لوط في سورة هود، ابتداءً من الآية ٦٩: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ

بالبشرى...﴾، واختتاماً بالآية ٨٣: ﴿مُسَوِّمَةً هُنَّ رِجَالٌ وَمِمَّا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

وقبلها ذكر عن يحيى الرسل إلى إبراهيم، وأنه أتاهم بمجنل معين، وأن أيديهم لا تصل إليه فعرضه خوف منهم ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ لَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَمْنُنْ إِنَّكَ تَرْسِلُنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ وأريد تلك الخوف.

٢- قال الطبرسي: «أي الخوف والفرع الذي دخله من الرسل ﴿وَجَاءَهُ الْبَشْرَى﴾ بالولد ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي يجادل رسلنا، ويسألهم في قوم لوط. «تلك المجادلة أنه قال لهم: إن كان فيها محسوس من المؤمنين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: ﴿لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِثْلَ حَاقِقِهِمْ﴾ قالوا: لا، فما زال ينقص ويقولون: لا، حتى قال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ قالوا: لا، فاحتج عليهم بـ «لوط»، وقال: إن فيها لوطاً؟ قالوا: نعم، أعلم بمن فيها لننجيئه وأهله، عن قتادة، وقيل: إنه جادلهم، وقال: بأي شيء استحقوا عذاب الاستئصال؟ وهل ذلك واقع لا محالة، أم هو تخويف ليرجعوا إلى الطاعة؟ إلى أن قال: «ولمّا سألهم مستقص، سمي ذلك السؤال جدالاً...».

لاحظ: ج دل: «يُجَادِلُنَا»، و: روح: «الرَّوْعُ»، و: ب ش ر: «البشرى».

القسم الثالث: الذهاب إلى:

ست آيات (١٨-٢٣) وفيها بحث:

(١٨): ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمُتُنْ﴾.



٢- قال الطبرسي (٤: ١١): «كرر الأمر بالذهاب للتأكيد، وقيل: إن في الأول خص موسى بالأمر، وفي الثاني أمرهما ليصيرانيين وشرعيين في الأمر، ثم بين من يذهبان إليه».

٣- وقد سبق البحث في هذه الآيات الثلاث، ونكته هنا بأن الله ذكر العلة في الأولى والأخيرة ﴿إِنَّهُ طَفَى﴾ كما ذكر فيهما من يذهبا إليه، وهو فرعون، دون الوسطى، فسكت فيها عن الأمرين. وخص الأخيرة بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسًا لَّعَلَّهُ يَكْذُرُ أَوْ يَغْشَى﴾. كما خص الثانية... لما أمرهما به في الآيات الثلاث.

وقال الشيرازي: «ذكر الله تعالى المذهب إليه هنا وهو فرعون، وحذف في قوله: ﴿إِذْ هَبْ أَلْتَّ وَأَخْلَا﴾ بآياتي اختصاراً في الكلام، وحذف القائل: فيه وجهان:

أحدهما: أن قوله: ﴿إِذْ هَبْ أَلْتَّ وَأَخْلَا﴾ بآياتي يجعل أن يكون كل واحد منهما ما موراً بالذهاب على الأفراد، قليل: مرة أخرى ﴿إِذْ هَبْ﴾ ليعرف أن المراد منه أن يشغلا بذلك جميعاً، لا أن يتفرده أحدهما دون الآخر.

والثاني: أن قوله: ﴿إِذْ هَبْ أَلْتَّ وَأَخْلَا﴾ بآياتي أمر بالذهاب إلى كل الناس من بني إسرائيل وقوم فرعون، ثم إن قوله تعالى: ﴿إِذْ هَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ أمر بالذهاب إلى فرعون وحده، واستبعد هذا، بل الذهابان متوجهان لشيء واحد، وقد حذف من كل من الذهابين ما أثبت في الآخر. وقيل: إنه حذف

الآيات التي تعدى الذهاب فيها بالباء، ولأجله قدسناها على هاتين الآيتين (١٩) و (٢٠) وإلا فكان ينبغي الجمع بين الثلاث. وبآتي تنمة الكلام في (٢١).

٢- وقد أطل الفخر الرازي (٢١: ٣١ - ٤٩) البحث في هذه الآيات - ولا سيما فيما بعد هذه الآية ﴿إِذْ هَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ - بما لا مزيد عليه، فيما طلبه موسى من الله من المطالب الثمانية، ابتداءً من ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ إلى ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾. فلاحظ.

٣- وقال خلافاً (ص: ٣١): «إنه سبحانه وتعالى لما أظهر له هذه الآية - أي الحية والهد البيضاء المذكورين قبلها - عقبهما بأن أمره بالذهاب إلى فرعون، وبين العلة في ذلك، وهي أنه طفى وإلما خص فرعون بالذكر مع أن موسى عليه السلام كان محبوباً إلى الكل، لأنه أذى الإلهية وتكبر، وكان مشغوفاً فكسر ذكره أولى».

٤- وقال الألوسي: «وذلك أنه عليه السلام من الأمر بالذهاب إليه، والتعليل بالعلة المذكورة أنه كلف أمراً عظيماً وخطباً جسيماً يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح...». وهذا سر ما طلبه من الله في الآيات بعدها من المطالب الثمانية.

(٢١): ﴿إِذْ هَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَفَى﴾

١- وقبلها في (١٤): ﴿إِذْ هَبْ أَلْتَّ وَأَخْلَا﴾ بآياتي ولأكتفاء في ذكرى، وهي من جملة الآيات الثلاث من قصة موسى وفرعون في سورة طه، وقد بحثنا حولها.

قبله في قوله: ﴿وَلَا كُنْيَا﴾ وقد مهد لذلك بالحاق  
هارون بموسى في قوله: ﴿إِذْ هَبْنَا نُبُّوتَ وَآخُوتَهُ﴾ وليس  
يحيى أن يكون نقلاً لمشاهدة أخرى، إلى آخر ما سبق  
عنه. وقد ذكر مكارم نحو ما سبق عن غيره.

وتقول: للمفسرين خلاف في هذه الخطابات كما  
سبق عن بعضهم. ولنا رأي آخر يوافق ظاهر هذه  
الآيات. وهو أن صدرها: ﴿وَقِيلَ أَتَسِيكَ حَدِيثُ  
مُوسَى﴾ إذ رَأَى كَرَامًا إلى الآية ٤٦ و ٤٧: ﴿فَلَقِيتُ  
مُسَيِّبِينَ فِي الْأُفُقِ مَدِينٍ ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ بِمُوسَى •  
وَاصْطَفَيْتُكَ لِتُخْصِيَ بِنَا كَلِمًا كَانَتْ حِكَايَةً مَا وَفَع  
لِمُوسَى فِي طَرِيقِهِ إِلَى «مِصْرَ» حِينَ رَجُوعِهِ عَنِ  
«مَدْيَنَ». وَكَانَ مَوْضِعُهَا الطُّورُ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ فِي  
الآيَةِ ٢٩ مِنْ الْقِصَصِ: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ  
وَسَارَ بِالْأُنْثَى الْكَاسِ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ كَارًا﴾.

والخطابان بعدهما كان موضعهما «مِصْرَ» بعد  
دخول موسى، والصلالة بأخيه هارون، وأولها  
خطاب إلى موسى أصالة وإلى هارون نياحة، وانتهى  
إلى الخطاب إليهما مواجهة. ولا يحتاج إلى ما تكلفوه  
من الوحي إلى هارون قبل وصول موسى إليه.

(٢٢): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ  
أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا • فَفَلَّكَ إِذْ هَبْنَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا فَذَمَّرْنَا لَهُمْ قَدَمِيرًا﴾.

هذه إجمال ما وقع لموسى وهارون، وحكاة الله  
تفصيلاً فيما تقدم من الآيات.

(٢٣): ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَتَهْدِيْنِي﴾

١- هذه من جملة قصص إبراهيم عليه السلام في

المذهب إليه من الأول وأثبتته في الثاني. وحذف  
المذهب به وهو «بِآيَاتِي» من الثاني وأثبتته في  
الأول.

٢- وقال البروسوي: «هذا الخطاب إما بطريق  
التغليب أو بعد ملاقاته أحدهما الآخر، وتكرير الأمر  
بالذهاب لترتيب ما بعده عليه».

وقال الألوسي: «وروي أنه أوحى إلى هارون  
وهو يصر أن يتلقى موسى عليه السلام، وقيل: ألهم ذلك،  
وقيل: سمع بإقباله فتلقاه. ويحتمل أنه ذهب إلى الطور  
واجتماعه هناك فخطبها معاً. ويحتمل أن هذا الأمر بعد  
إقبال موسى عليه السلام من الطور إلى مصر واجتماعه  
بهارون عليه السلام قبلاً إليه من مصر». ثم ذكر نحو ما مر  
عن الشيريني، فلاحظ.

وقال ابن عاشور: «يجوز أن يكون انتقال إلى  
خطاب موسى وهارون، فيقتضي أن هارون كان  
حاضراً لهذا الخطاب، وهو ظاهر قوله بعده: ﴿فَلَمَّا  
رَبُّنَا إِلَيْنَا لُحُفًا﴾ طه: ٤٥، وكان حضور هارون عند  
موسى بوحى من الله أوحاه إلى هارون في أرض  
«جاسان» حيث منازل بني إسرائيل من أرض قرب  
«طيبة».

قال في التوراة في الإصحاح الرابع من سفر  
الخروج: «وقال: أي الله... ها هو هارون خارجاً  
لاستقبالك فتكلمه أيضاً». وقد أطال الكلام فيه.  
فلاحظ.

وقال الطباطبائي: «جمعهما في الأمر ثانيًا  
فخطب موسى وهارون معاً، وكذلك في التهي الذي



الصفات، ابتداءً من الآية ٨٣: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ شَيْعَةٌ لَا يَزِيهِمْ﴾ واختتاماً بـ ١١٣: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ وهي آخر آية جاء فيها «الذهاب إلى» أي الحركة تجاه شخص أو شيء.

٢ - قال فيها عليٌّ عليه السلام في حديث: «ما جاء في القرآن تأويله على غير تنزيله: فذهابه إلى ربه توجهه إليه عبادة واجتهاداً وقرية إلى الله جل وعز».

وقال ابن عباس: «مقبل إلى طاعة ربي. ومعناه مهاجر إلى ربي، أي هاجر ديار الكفار وأذهب إلى حيث أمرني الله تعالى بالذهاب إليه. وهي الأرض المقدسة».

ونقول هذا: لو أريد بالذهاب معناه اللغوي، أي الانتقال من بلدة في العراق إلى بيت المقدس، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام واختاره الطبرسي وغيره، وهو المناسب لما بعده: ﴿فَنَشِيرُكِ إِفْلَامَ جَلِيمٍ﴾ فإن البشارة كانت في بيت المقدس لو أريد بالفلام إسحاق، أو في مكة لو أريد به إسماعيل، فلاحظ اللغويين.

القسم الرابع: الذهاب بلا حرف جر:

١٤ آية (٢٤-٣٧). وفيها بُعُثَ:

(٢٤): ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَابْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

١ - هذه الآية وما قبلها جاء في نكاح المهاجرات، ومهورهن، وكذا في مهور لأزواج اللاتي

ذهبن إلى الكفار. وهي فريدة من بين آيات هذه المادة - ذهب - في كونها تشريعاً، والباقي إتماماً، أو عقيدة، أو موعظة، فلاحظ.

٢ - قال الطبرسي (٥: ٢٧٥): ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي أحد من أزواجكم ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ فلعنهم مرتدات. ﴿فَعَقَابْتُمْ﴾ معناه فغزوتهم وأصبتهم من الكفار عقتى - وهي التنيمة - فظفرتهم وكانت العاقبة لكم. وقيل: معناه فخلفتهم من بعدهم، وصار الأمر إليكم، عن مؤرج.

وقيل: إن «عَقَبَ» مثل «صَتَرَ» صاغراً - بعقتى، عن القراء.

وقيل: عاقبتهم بمصير أزواج الكفار إليكم، إما من جهة سي، أو بجهنهم مؤمنات، عن علي بن عيسى. ﴿فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ أي نساؤهم من المؤمنين عليهم السلام ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ من المهور عليهن من رأس النسيئة، وكذا لك من ذهبت زوجته إلى من بينكم وبينه عهد، فنكحت في إعطاء المهر، فالذي ذهبت زوجته يُعطى المهر من النسيئة، ولا ينقص شيئاً من حقه، بل يُعطى كَمَلًا، عن ابن عباس، والجبائي.

وقيل: معناه إن فاتكم أحد من أزواجكم إلى الكفار الذين بينكم وبينهم عهد، فغنمتم فأعطوا زوجها صداقها الذي كان ساق إليها من النسيئة. ثم نسخ هذا الحكم في «براءة» فنهب إلى كل ذي عهد عهد، عن قتادة. وقال علي بن عيسى: معناه فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من المهور، كما عليهم أن يردوا عليكم مثل ما أنفقتم لمن ذهب من

أزواجكم».

وذكر الفخر الرازي (٢٩: ٣٠٧) نحوه الأقوال، وقال: «إنها نزلت في أم حكيم بنت أبي سفيان ارتدت وترك زوجها عباس بن عقيم القرشي، ولم ترد امرأة من غير<sup>(١)</sup> قریش غيرها، ثم عادت إلى الإسلام».

وللمفسرين أقوال في تفسيرها، فلاحظ.

(٢٥): ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نُسَبِّحُ وَكُنَّا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ...﴾

هذا قول إخوة يوسف كذباً؛ إنهم تركوا يوسف عند متاعهم فأكله الذئب. لاحظ: ذهب: «الذئب».

(٢٦): ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَلَا تَسَارِعُوا أَنْتُمْ تَخَشِلُوا ذَهَبَ رِبْحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

١- هذه ذيل آيات حدثت في سورة الأنفال عن غزوة بدر، ابتداءً من الآية ٤٦: ﴿وَأَغْلَقُوا أَلْمَاعَ عَنكُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾، وقبلها ٤٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وبعدها ٤٧: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَنْظَرُونَ﴾ والآية ٤٨: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَنْظَرُونَ﴾.

٢- وقد نهي الله فيها شعباً عريضاً عن التنازع في الأمور - ولا سيما في خلال الحرب مع الكفار - كما تنازعوا خلال غزوة أحد فقتلوا، وقد عقّب الله فيها التنازع بالفشل، أي إن التنازع سوف يتركب عليه الفشل أمام الأعداء، والفشل هو الجبن والقرأخي عن

الأمر. لاحظ: ف ش ل: «تَحْتَلُّوا».

٣- قال الطبري في «تذهب رِبْحُكُمْ»: «وهذا مثل، يقال للرجل إذا كان متقبلاً عليه ما يحبه ويُسرّ به: الرّيح مُقبِلَةٌ عليه، يعني بذلك ما يحبه. وإنما مراد به في هذا الموضع: وذهب ثروتكم وبأسكم فتضعفوا، ويدخلكم الوهن والمخلل».

وقال الطوسي: «معناه كالمثل، أي إن لكم ربحاً تنصرون بها. يقال: ذهب ربح فلان، أي كان يجري في أمره على السعادة بربح تحصله إليها، ف لسنا ذهبنا وقف أمره، فهذه بلاغة حسنة».

وقال الطبرسي: «والريح هاهنا كناية عن لفاذ الأمر وجرماته على المراد». ثم ذكر نحو الطوسي إضافة «وَقِيلَ: إِنَّ الْمَعْنَى رِيحُ النَّصْرِ الَّتِي يَمْنَحُهَا اللَّهُ مَعَ مَنْ يَنْصُرُهُ عَلَى مَنْ يَخْذِلُهُ».

غزوة بدر، ابتداءً من الآية ٤٦: ﴿وَأَغْلَقُوا أَلْمَاعَ عَنكُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾، وقبلها ٤٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وبعدها ٤٧: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَنْظَرُونَ﴾ والآية ٤٨: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَنْظَرُونَ﴾.

٢- وقد نهي الله فيها شعباً عريضاً عن التنازع في الأمور - ولا سيما في خلال الحرب مع الكفار - كما تنازعوا خلال غزوة أحد فقتلوا، وقد عقّب الله فيها التنازع بالفشل، أي إن التنازع سوف يتركب عليه الفشل أمام الأعداء، والفشل هو الجبن والقرأخي عن

١- هذه الآية جاءت في سورة فاطر خلال آيات التبشير والإنذار، وقبلها: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ

(١) كذا والمظاهر: امرأة من قریش.

تَدِيدُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» وبسببها: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ...﴾  
 ٢- قال الطبري: «أَمِنَ حَسَنٌ لَهُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُ السَّيِّئَةُ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَالْكَفَرِ بِهِ، وَعِبَادَةُ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْأَوْتَانِ، فَرَأَاهُ حَسَنًا فَحَسِبَ سَيِّئًا ذَلِكَ حَسَنًا، وَظَنَّ أَنَّ قَبِيحَهُ جَمِيلٌ، لِتَزْيِينِ الشَّيْطَانِ ذَلِكَ لَهُ: ذَهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، وَحُذِفَ مِنَ الْكَلَامِ: ذَهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ منه...»  
 وقال في تفسير هذه الجملة: «فَلَا تَهْلِكْ نَفْسُكَ حَزَنًا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ وَكَفَرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِبِهِمْ لَكَ». ثم ذكر أقوال المفسرين بنحو ذلك.

و نحوه قال الطبرسي وأضاف: «وغير قوله: ﴿أَمِنَ زَيْنٌ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ﴾ محذوف، أي أهو كمن علم الحسن «القيح»، وعمل بما علم، ولم يزين له سوء عمله؟ وقيل: تقديره كمن هداه الله. وقيل: كمن زين له صالح عمله». وقال أيضا: «﴿حَسَرَاتٍ﴾ مصدر فعل محذوف، تقديره: فلا تذهب نفسك تنحسر عليهم حسرات».

٣- وقد ربط الفخر الرازي بين هذه وبين ما قبلها وما بعدها، فقال: «يعني ليس من عمل سيئاً كالذي عمل صالحاً، كما قال بعد هذه آيات: ﴿وَمَا يَمْشُوا إِلَّا أَنَاسُ وَأُنْجَبُورٌ﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ»، وله تعلّق بما قبلها «فلا حظ».

وقال في آخر كلامه: «ثم سأل رسول الله ﷺ حيث حزن من إصرارهم بعد إتيانه بكل آية ظاهرة

وحجة باهرة، فقال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾، كما قال تعالى: ﴿فَلَقُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ نفسك على أئامهم إن لم يؤمنوا» الكهف: ٦.

ثم بين أن حزنه إن كان لما بهم من الضلال فله عالم بهم وبما يصنعون...».

(٢٨ و ٢٩): ﴿أَشْبَحَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوا كَمَ بِالسَّيِّئَةِ جِدَادٍ أَشْبَحَ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ لَيْسَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبِطُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ يخسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يدووا لو أنهم نافون في الأحزاب يسطون عن التائبين ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً».

١- هاتان آخر آيات وردت ذمًا للمنافقين في سورة الأحزاب النازلة في غزوة الأحزاب - وبها شئت - ابتداءً من الآية ١٢: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

وقد حكى الله فيها جملة من أقوالهم وأفعالهم خلال تلك الغزوة، ومنها فرارهم منها، فأعلن في أولهما اختلاف حال المنافقين حالة الخوف وعدمه، فقال: إذا جاء الخوف ينظرون إلى النبي ﷺ مثل الذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف يلقون المؤمنين بالسنة جداداً أشبه على الخير. وهذا نفاق منهم، ودليل على عدم إيمانهم رأساً.

هذه حالتهم ما دامت الأحزاب لم يذهبوا، وحكى

في الثانية حالهم إذا ذهبوا بأنهم يحسبون الأحزاب لم يذهبوا، من شدة خوفهم منهم. ثم حكى حالهم - إن يأت الأحزاب مرة أخرى بأنهم من شدة خوفهم منهم يحبون أنهم كانوا خارج المدينة بين الأعراب فلم يروهم، وإنما يسألون عن أبناء المؤمنين هناك الأحزاب. وقال أخيراً: إنهم لو كانوا بين المؤمنين لم يقاتلوا إلا قليلاً.

لقد أهان الله فيهما حالات المناظرين النفسية المتضادة أثناء الحرب وبعدها، ليعرفهم المؤمنون ويقفوا على نفسياتهم، ومن خلالها يعرفوا «أمارات» التفاف والإيمان الصادق.

٢- قال الطبري (١٠: ٢٧٥): «فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ» يقول: فإذا انقطعت الحرب واطمأنوا «سَلَقُوا كُم بِاللَّسِنَةِ جِدَارِي» عَصَا بِاللَّسِنَةِ ذَرِيَّةً».

ثم ذكر اختلافهم في وصف سلقهم عند الفتيمة، ومسالمتهم أنفسهم، أو سلقهم إياهم بالأذى، أي استقبلوهم بدل الأذى.

وقال في «يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ» «يَتَمَتَّعُوا مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُنِّ أَنَّهُمْ غَيَّبٌ فِي الْبَادِيَةِ مَعَ الْأَعْرَابِ خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ».

وقال في «يَسْتَلُونُ عَنْ أَلْبَابِكُمْ»: «يستخبرون عن أخباركم بالبادية، هل هلك محمد وأصحابه؟ يتمنون أن يسموا أخباركم يهلككم، ألا يشهدوا معكم مشاهدكم...».

٣- وقال الطبري (٤: ٣٤٨): «كَأَلْبَسِي يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» وهو الذي قرب من حال

الموت، وغشيته أسبابه، فذهل وذهب عقله، وبشخص بصره، فلا يطرف... «فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ» والفرع، وجاء الأمن والفتية «سَلَقُوا كُم بِاللَّسِنَةِ جِدَارِي» أي آذوكم بالكلام، وخاصموكم باللسنة سلطة ذرية، عن القرأ.

وقيل: معناه سبطوا ألسنتهم عليكم وقت قسمة الفتية، يقولون: أعطونا أعطونا فلستم بأحق بها منا، عن قتادة.

قال: فأما عند اليأس فأجبن قوم واخضع للحق، وأما عند الفتية فأتشع قوم، وهو قوله: «أَتَشِيعُ عَلَى الْغَيْرِ» أي يخلاء بالفتية، يشاؤون المؤمنين عند القسمة. وقيل: معناه يخلاء بأن يتكلموا بكلام فيه خير، عن الجبائي.

وقال في «يَخْشَوْنَ الْأَحْزَابَ ثُمَّ يَدْخُلُوهَا» أي يخشون أن يفتلحات من فرس وخطفان وأسد، واليهود الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ انصرفوا وقد انصرفوا، وإنما ظنوا ذلك لجبنهم، وفرط حبيهم فخر المسلمين. «وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ» أي وإن يراجع الأحزاب إليهم ثانية للقتال...، وذكر نحو الطبري.

٤- وقال الفخر الرازي في «فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ»: «إشارة إلى غاية جبنهم ونهاية روعهم.

واعلم أن البخل شبه الجبن، فلما ذكر البخل بين شبه وهو الجبن». ثم بحث في الفرق بينهما وبين البخل والشجاع، فلاحظ.

ثم قال: «سَلَقُوا كُم» أي غلبوكم باللسنة وآذوكم بكلامهم يقولون: نحن الذين قاتلنا، وهنا

انصرتهم وكسرتهم العدو وقهرتهم، ويطلبونكم بالقسم الأوفر من الغنيمة، وكانوا من قبل راضين من الغنيمة بالإياب».

وقوله: ﴿أَشِيعَةُ عَلَى الْخَيْرِ﴾: قيل: الخير: المال، ويمكن أن يقال: معناه أنهم قليلو الخير في الحاسنين، كثيرو الشر في الوقتين، في الأول ييخلون، وفي الآخر كذلك.

وقال في ﴿يُخْشَوْنَ الْأَحْزَابَ﴾: «أي من غايته الجبن عند ذهابهم كانوا يخافونهم، وعند مجيئهم كانوا يوثقون لو كانوا في الهوادي، ولا يكونون بين المقاتلين مع أنهم عند حضورهم كأهلهم غائبون؛ حيث لا يقاتلون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾».

(٣٠): ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ فأتين لذهنون.

(٣١): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ...﴾

لاحظ: ج م ع: جامع، و: أذن: يستأذِنُوهُ.

(٣٢): ﴿وَذَٰلَ التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ يَنْقُدَ عَلَيْهِ...﴾

١- هذه الآية عطف على الآيات قبلها جاءت في الأنبياء - وهم سُميت السورة - ابتداءً من الآية ٤٨: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْقُرْآنَ﴾ واختتامًا بـ ٩١: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا...﴾ فقد ذكر فيها جملة من الأنبياء عليهم السلام.

٢- قال الطبرسي (٤: ٦٠): «﴿وَذَٰلَ التَّوْنِ﴾ أي واذكر ذا التون: والتون: الحوت، وصاحبها يونس بن متى ﴿إِذْ ذَهَبَ﴾ أي حين ذهب ﴿مُغَاضِبًا﴾ لقومه، عن ابن عباس والضحاك، أي مُرَاغِمًا لهم من حيث إله دعاهم إلى الإيمان مدة طويلة، فلم يؤمنوا حتى أوعدهم الله بالعذاب، فخرج من بينهم مغاضبًا لهم، قبل أن يؤذن له، ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ يَنْقُدَ عَلَيْهِ﴾ أي لن ينضيق عليه، من عطاء وجماعة من المفسرين، وقيل: ظن أن لن نقضي عليه ما قضيناه، والقدر بمعنى القضاء، عن مجاهد وثقة والكوفي والجبائي. قال الجبائي: ضيق الله عليه الطريق حتى أُلْجَأَ إلى ركوب البحر - إلى أن قال - وقال ابن زيد: إله استغاثهم معناه التوسيع، وتقديره: ظن أن لن نقدر عليه. وأنكره علي بن عيسى، وقال: لا يجوز حذف الاستغاث من غير دليل عليه...».

٣- وأما الفخر الرازي فقد ذكر فيها مسائل، أولها: لا خلاف في أن ذا التون هو يونس عليه السلام لأن التون هو السمكة...

الثانية: ذكر اختلافهم في أن وقوعه عليه في بطن السمكة كان قبل اشتغاله بأداء رسالة الله تعالى أو بعده، وذكر الأقوال تفصيلًا.

الثالثة: احتج القائلون بجواز الذنب على الأنبياء بهذه الآية - وذكر فيه وجوهاً طول فيها. الرابعة: ذكر اختلافهم في المراد بـ ﴿الظُّلُمَاتِ﴾، فلاحظ.

(٣٣): ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾



ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم... ﴿ وجوابهم الأول له، ٢٢: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُكِلِفُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا ذَا جَلُودٌ ﴾.

٢ - قال الطبري (٤: ٥٢١): ﴿ فَأَذْهَبَ آلَ تِ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا... ﴾ لانجيء معك يا موسى إن ذهبت إليهم لقتالهم، ولكن تتركك تذهب أنت وحدك وربك فقاتلهم. وكان بعضهم يقول في ذلك: ليس معنى الكلام: اذهب أنت، وليذهب معك ربك فقاتلا، ولكن معناه: اذهب أنت يا موسى، ولتبعك ربك وذلك أن الله عز ذكره لا يجوز عليه الذهاب.

وهذا إما كان يحتاج إلى طلب المخرج له، لو كان الخبر عن قوم مؤمنين، فأما قوم أهل خلاف على الله عز ذكره ورسوله، فلا وجه لطلب المخرج لكلامهم فيما قالوا في الله عز وجل وانفروا عليه، إلا بما يخصهم كفرهم وضلالهم. ثم ذكر حديث المقداد بن الأسود قاله للنبي ﷺ، وأحاديث ابن عباس وغيره في الآية فلاحظ.

وقال الطبري (٢: ١٨٠): ﴿ وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ جَبَنُوا وَخَافُوا مِنْ قِتَالِهِمْ، لِعَظَمَةِ أَجْسَادِهِمْ وَشِدَّةِ بَطْنِهِمْ، وَلَمْ يَتَّقُوا بِوَعْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالتَّصَرُّعِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ. ﴾ فَأَذْهَبَ ﴿ يَا مُوسَى ﴾ أَيْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴿ الْجَبَّارِينَ ﴾ إِذْ هُمْ كَاسَايِدُونَ ﴿ إِلَى أَنْ تَنْظُرَ بِهِمْ وَتَرْجِعَ إِلَيْنَا، فَعِيشُوا نَدْخُلُ، وَإِنَّمَا لَمْ يَنْكُرْ مُوسَى ﷺ قَوْلَهُمْ: ﴿ أَذْهَبَ آلُ تِ وَرَبُّكَ ﴾ لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْكَلَامَ كُلَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ،

والتعجب من جهلهم في تلقيهم أمر ربهم، بالرد له، والمخالفة عليه.

والآخر: أنهم إما قالوا ذلك مجازاً بمعنى: وربك معين لك على ما قاله أبو القاسم البلخي، والأول أليق بجهل أولئك القوم. قال المحسن: هذا القول منهم يدل على أنهم كانوا مشبهين، ولذلك عبدوا العجول، ولو عرفوا الله تعالى حق معرفته لما عبدوا العجول. وقال الجبائي: إن كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب من مكان إلى مكان، فإنه كفر، وإن قالوا على وجه الخلاف، فإنه فسق.

وقد ذكر الفخر الرازي فيها ثلاثة وجوه:

١ - القوم كانوا مجسمين.  
٢ - المجاز كما يقال: كلمته فذهب بجسمي، يعني مراد أن جسمي.  
٣ - قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ فَتُفْثِنُ بِهِ السَّحَابَ ﴾.  
(٣٥): ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْقُورًا ﴾.

١ - هذه من جملة المقاولات بين الله وإبليس في السجود على آدم ﷺ ابتداء من الآية: ٦٦، من سورة الإسراء: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَنَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ فرد عليه الله بقوله: ﴿ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ... ﴾.

٢ - قال الطبري (٨: ١٠٧): ﴿ أَذْهَبَ فَقَدْ أَخْرَجَكَ، فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ، يَعْنِي مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ ﷺ فَأَطَاعَكَ، فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكَ وَجَزَاؤُهُمْ، يَقُولُ: تَوَابِكَ عَلَى دَعَائِكَ إِتَابَهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِي، وَتَوَابِهِمْ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ إِيَّائَكَ

و خلا لهم أمري».

الله إلا القوم الكافرون».

٣- وقال الطبرسي: «قال الله سبحانه له، على وجه الاستهانة والاستصغار: ﴿إِذْهَبْ﴾ يا إبليس ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي من ذرية آدم ثلثا واقتضى أثرك، وقبل منك...».

١- هذه حكاية قول يعقوب لإخوة يوسف بعد رجوعهم من عند أخيه يوسف من مصر في الليلة الثانية التي أخذ فيها يوسف أخاه بن يامين عنده، ففات بذلك عن يعقوب ابنان: يوسف وأخوه بن يامين، فأمرهم أبوهم بأن يذهبوا إلى مصر مرة أخرى. وأن يتحسبوا من يوسف وأخيه ولا يبا سوا من روح الله. وهذا شاهد على أن يعقوب كان باقيا على الاعتقاد بحياة يوسف وبكذب ما قاله إخوته فيه: ﴿فَأَكَلَهُ الذُّبُّ﴾ يوسف: ١٧، وقد أبدى كذبهم بعد سماع قولهم بقوله ثم: ١٨، ﴿يَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَقْنُ عَلَى مَا صَبَّغُونَ﴾.

٤- وقال الفخر الرازي (٢١: ٤): «واعلم أنه تعالى لما حكى عن إبليس ذلك حكى عن نفسه أنه تعالى قال له: اذهب، وهذا ليس من الذهاب الذي هو نقض الجي، وإنما معناه اقض لشأنك الذي اخترته، والمقصود التخلية وتقويض الأمر إليه. وتظيره قول موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ...﴾ طه: ٩٧، الآية ذهلا.

(٣٦): ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾.

و كما بعد رجوعهم عن سفرتهم الثانية، أعلن صبرهما حياة يوسف ورجائه رجوع الإخوة الثلاثة إليه في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ وكثي عنها مرة ثالثة بقوله في: ٨٦، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

١- هذه من جملة المقالات بين موسى والشيخ في آيات من سورة طه ابتداء من الآية ٨٥: ﴿قَالَ فَإِلَّا هَـذِهِ قَوْصٌ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ واختتامها بهذه الآية وما بعدها ٩٨: ﴿إِنَّا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

٢- قال الطبرسي: «﴿يَأْتِيَنِي﴾ اذهبوا إلى الموضع الذي جثم منه وخلفتم أخويكم به». ثم ذكر الأقوال. وقال الصقلي: «سيراوا واطلبوا الخبر، من يوسف وأخيه».

٢- الظاهر أن قوله: ﴿فَاذْهَبْ﴾ تحضير وتبديد للسامري، وليس أمرا له بالذهاب عن مكانه. وقد تحدث المفسرون عن السامري وعن قوله: ﴿لَا مِسَاسَ﴾. لاحظ: س م ر: «السامري»، و: م س س: «لَا مِسَاسَ».

٣- قال الطبرسي (٣: ٢٥٨): «وقيل: إنهم لما أخبروه بسيرة الملك، قال: لعله يوسف، عن السدي. فلذلك قال: ﴿يَأْتِيَنِي﴾ اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه» بن يامين، أي استخبروا من شأنهما.

(٣٧): ﴿يَأْتِيَنِي﴾ اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه وَلَا تَكْفُرُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رُوحٍ



واطلبوا خبرهما، وانظروا أن مَلِك مصر ما احسنه،  
وعلى أي دين هو، فإنه ألقى في روعي أن الذي  
حبس بن يامين هو يوسف، وإنما طلبه منكم، وجعل  
الصناع في رحله، احتيالا في حبس أخيه عند نفسه.

٤ - وحكى القسطنطين الرأزي (١٨: ١٩٨): أن  
يعقوب كان يتوقع وصول يوسف - وذكر وجوها لهذا  
التوقع - فلماذا قال لبيه: ﴿تَحْسِسُوا مِن يَوْسُفَ﴾  
والتحسس طلب الشيء بالخاصة وهو فيه بالسمع  
والبصر.

«وقيل: هاهنا ﴿مِن يَوْسُفَ﴾ لأنه أقام (من)  
مقام «عَن». قال: ويجوز أن يقال: (مِن) للتميز،  
والمعنى تحسسوا خبراً من أخبار يوسف، واستعلموا  
بعض أخبار يوسف، فذكرت كلمة (مِن) لما فيها من  
الدلالة على التمييز.

٥ - هذه الآيات (٢٤ - ٣٧) جاء فيها «الذَّهَابُ»

بلا تعلق بحرف، ومعناها في أكثرها التحرك والالقاء  
إلى جهة، ضد الجي، وفي بعضها مثل (٢٦): ﴿فَتَحْسَنُوا  
وَكَذَّهَبَ رِيحُكُمْ﴾ معناه الانعدام والزوال، أي تزول  
وتنعدم ريحكم.

و كذلك في (٢٧): ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ  
حَسْرَاتٍ﴾ أي لا تزول ولا تهلك نفسك عليهم  
حسرات.

وفي (٢٨): ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْغُوثُ﴾ أي زال.

وفي (٣٣): ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أي يزول  
وينعدم جُفَاءً.

وفي (٣٦): ﴿فَإِذَا ذَهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ

لَا مِسْرَ﴾ أي أبعد وذل عثا وانقلم عن ساحتها.

المحور الثاني: الإذهاب بمعنى الإزالة ١١ آية:  
(٣٨ - ٤٨). وقد جاءت ثلاث منها (٣٨ و ٤٠ و ٤٢)  
متعلقة بـ «عَن».

(٣٨): ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ  
إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

١ - هذه من آيات نزلت بشأن الذين يتلون كتاب  
الله: القرآن في سورة فاطر ابتداء من ٢٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ...﴾ فذكر الله تعالى في  
٣٢: ﴿جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا﴾ جزاءهم وهي جنات  
عدن، وفي هذه شكرهم عليه مستمرا، إلى ما بعدها  
٣٥: ﴿الَّذِي أَخْلَأَ لَكَ النِّعَاتِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا  
فِيهَا الضَّيْظُ وَلَا يَمَسُّ فِيهَا الثَّوْبُ﴾.

٢ - ومعنى ﴿أَذْهَبَ﴾: أزال عثا الحزن بدخول

الجنة

قال ابن عاشور: «وإذهاب الحزن مجاز في الإلهاء  
منه، فيصدق بإزالته بعد حصوله ويصدق بعدم  
حصوله».

٣ - وقد اختلفوا في هذا الحزن الذي أذهبه الله  
عنهم، هل هي الخوف من النار، أو من الموت، أو اللب  
الذي كانوا فيه في الدنيا؟ والأولى ذهاب كل حزن،  
لأن التعريف فيه للجنس، ودخولهم الجنة أذهب كل  
أحزانهم. لاحظ: حزن: «الحزن».

(٣٩): ﴿وَيَوْمَ يُغْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ  
أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَقْتُمْ بِهَا  
فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تَحْسِنُونَ ﴿١﴾

١- هذه من جملة آيات الإنذار والتبشير في السورة قبل ذكر قصة هود وعاد، فيقال للذين كفروا يوم القيامة: ﴿أَذْهَبَتْ طَبِيبَاتُكُمْ فِي حَوَاتِكُمْ الدُّنْيَا...﴾ أي استفيتم طيباتكم ولم يبق لكم طيبات بعدها في الآخرة.

٢- قُرئ ﴿أَذْهَبَتْكُمْ﴾ بالاستفهام وبغيره.

قال القرطبي: «والعرب تستفهم بما تقويح ولا تستفهم، فيقولون: ذهبت ففعلت وفعلت، ويقولون: أذهبت ففعلت وفعلت؟ وكل صواب».

٣- قال الميمني: «هو المعنى: نلتم لذاتكم وأحببتم شهواتكم في الدنيا، غير متفكرين في حرامها وحلالها واستمتعتم بآلائها...».

وقال الزمخشري: «ونحوه الآخرون: «أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أحسنوه في دنياكم، وقد ذهبت به وأخذتموه، فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها».

٤- وقال ابن عاشور: «وإذهاب الطيبات مستعار لفارقتها كما أن إذهاب المرء إبعاده له عن مكان له...».

٥- وقال الطباطبائي: «والطيبات: الأمور التي تلائم النفس وتوافق الطبع ويستلذ بها الإنسان».

لاحظ: ط ي ب: «الطيبات».

(٤٠) ﴿إِذْ يُغَشِّبُكُمُ الْغَاسُ أَمَةً مُّسَةً وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفُوبَكُمْ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيَهَيِّئَ بِهِ الْآقْدَامَ﴾

١- هذه من جملة ما وعده الله المؤمنين، ونصرهم

به في غزوة بدر ابتداء من الآية: ٧ من سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يُبْعِدُكُمُ اللَّهُ إِخْدَى الْعَافِقَيْنِ...﴾، وبعدها إلى الآية: ١٢: ﴿لِإِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنَا لَهُمُ الْآيَاتُ وَأَنَّهُمُ الْكَافِرُونَ...﴾.

٢- وذكر الله فيها ما أصاب المؤمنين من الثعالب نعمة وتأييد لهم، واستراحة بما واجهوه من دون توقع وانتظار، من مئات مسلحين مشركين جساؤهم من مكة، وقدر الله القتال بينهم، ونصر المؤمنين رغم قلةهم على أعدائهم الكثيرين. لاحظ: رج ز: «رجز الشيطان».

(٤١) ﴿فَقَابَلُوهمْ يَوْمَ يُقَالُ لَهُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ كُنْتُمْ غافلين ﴿١﴾﴾

١- هاتان الآيتان من قصة الآيات التي حدثت الله المؤمنين على قتال المشركين من غريش بعد نقض عهدهم، ابتداء من صدر سورة التوبة إلى الآية ١٩: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾، وخلال آيات بعدها إلى الآية ٢٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس...﴾.

٢- قال الطبري: «ويذهب ويذهب قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة على هؤلاء القوم الذين كنوا أيمانهم من المشركين، وغنمها وكرها بما فيها من الوجد عليهم بمعونتهم بكر أعليهم - إلى أن قال: وأما قوله: ﴿وَيُثَوِّبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾، فإنه خبر مبتدأ

ولذلك رُفِعَ، جُزِمَ الأحرف الثلاثة - بل الأحرف الخمسة قبلها أو آخر هذه الأفعال: ﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾، ﴿يُخْزِيهِمْ﴾، ﴿يَنْصُرُكُمْ﴾، ﴿يَشْفِيهِمْ﴾، ﴿يُذْهِبُ﴾ والكسرة في ﴿يُخْزِيهِمْ﴾ و ﴿يَشْفِيهِمْ﴾ يدل الجزم عن توالي جزمين - كأنه قال قاتلوهم فلا لكم إن قاتلوهم يعتد بهم الله بأيديكم، ويخزيهم، وينصركم عليهم. ثم ابتداء فقال: ﴿وَيُثَوِّبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾، لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله، وهو موجب لهم العذاب من الله، والخزي، وشفاء صدور المؤمنين، وذهاب غيظ قلوبهم، فجزم ذلك شرطاً وجزاءً على القتال، ولم يكن موجباً للقتال التوبة فابتدئ الخبر به ورفع. ونقل الطبرسي (٣: ١١) عن ابن جني: «إذا نصب - ﴿يُثَوِّبُ﴾ - ما التوبة داخلته في جواب الشرط، وإذا رفع فهو استئناف، وتقديره في الت نصب: إن قاتلوهم تكن هذه الأشياء كلها التي أحدها التوبة من الله على من يشاء، والوجه قراءة الجماعة على الاستئناف، لأنه تم الكلام على قوله: ﴿وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ ثم استأنف فقال: ﴿وَيُثَوِّبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ لأن التوبة منه سبحانه على من يشاء، ليست مسببة عن قتالهم».

٣- وقال: «المعنى: ثم أكد سبحانه ما تقدم بأن أمر المسلمين بقتالهم، وبشرهم بالتصبر والظفر عليهم، فقال: ﴿فَاتِلُواهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ قتلاً وأسراً ﴿وَيُظْهِرُهُمْ﴾ أي ويذلهم ﴿يَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، أي ويضعكم أيها المؤمنون عليهم، ﴿وَيَشْفِي صُدُورَكُمْ﴾ مؤمنين، يعني: صدور بني خزاعة الذين بيت عليهم

بنو بكر، عن مجاهد، والسدي، لأنهم كانوا حلفاء النبي ﷺ. ﴿وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ معناه: ويكون ذلك التصبر شفاء لقلوب المؤمنين التي امتلأت غيظاً، لكثرة ما نالهم من الأذى من جهتهم، ثم استأنف سبحانه فقال: ﴿وَيُثَوِّبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾.

٤- وقال: «والوجه في اتصال قوله: ﴿وَيُثَوِّبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بما قبله شيان:

أحدهما: الإشارة بأن فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر إلى الإيمان.

والآخر: بيان أنه ليس في قتالهم اقتطاع لأحد منهم عن التوبة».

٥- وقال الفخر الرازي: «اعلم أنه تعالى لما قال في الآية الأولى ١٣: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا﴾ ذكر عقوبة شعبة أشياء، كل واحد منها يوجب إقدامهم على القتال».

ثم إنه تعالى في هذه الآية أعاد الأمر بالقتال وذكر في ذلك القتال خمسة أنواع من الفوائد، كل واحد منها يحظم موقعه إذا انفرد، فكيف بها إذا اجتمعت؟ فأولها قوله: ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾.

وذكر فيه مباحث، ثم ذكر الأربعة الباقية، وله في كل منها مباحث، وأطال فيها فلاحظ.

(٤٢): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

لاحظ: أهل: «أهل البيت».

(٤٣): ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى الثَّهَارِ وَزُفَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْخُسُوفَ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرُى

الأول: أنه رجع إلى محمد ﷺ، أي من كان يظن أن الله لن ينصر محمدًا، واختاره كثير من المفسرين ومنهم الطبري، فجعله أولى بالصواب، وقال:

وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قومًا يعبدونه على حرف، وأنهم يطمثون بالذين إن أصابوا خيرًا في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخًا لهم على ارتدادهم عن الدين، أو على شكهم فيه تفاقم، استبطاء منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق، وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقب الخبر عن تفاقمهم، فمعنى الكلام إذن، إذا كان كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدًا ﷺ وأتبعه في الدنيا، فبوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سقى عطاياه وكرامته، استبطاء منه، فعل الله ﷻ ما يشاء بهم، فليمدد بجبل إلى سماء فوقه، فكذلك استعجاله نصر الله محمدًا ودينه لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يعجل قبل حينه.

ونحوه الطبرسي والفخر الرازي وأضاف الفخر: «والرسول ﷺ وإن لم يجر له ذكر في الآية فليهما ما يدل عليه، وهو ذكر الإيمان في قوله: ١٤: ﴿إِنْ اللَّهُ يُدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، والإيمان لا يتم إلا بالله ورسوله فيجب البحث هاهنا عن أمرين:

أحدهما: أنه من الذي كان يظن أن الله تعالى لا ينصر محمدًا ﷺ؟

والثاني: أنه ما معنى قوله: ﴿فَلْيُمْدِدْ سُبُّرَ إِيَّيْ السَّمَاءِ﴾؟، وقد بحث فيهما تفصيلًا، فلا حظ.

لِلَّذَاكِرِينَ • وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ •  
هذه عطف على الآية ١١٢: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا...﴾ فقد أمر الله النبي ﷺ بالاستقامة كما أمر، وكذا أمر به من تاب مع النبي من المؤمنين، ومنهم من الظَّالِمَانِ فِيهَا وفيما بعدها: ﴿وَلَا تَرْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾ من الركون إلى الظالمين، ثم أمره بالصلاة والصبر، وذكر فيهما فائدة الحسنات.

لاحظ: ح من ن: «الحسنات» المعجم: ١٢: ٢٠٤.

(٤٤): ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبِّهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ خَلَّ يَدَيْهِمْ كَيْدُهُ مَا يَعْبُدُ﴾.

١- هذه من تنمة الآيات قبلها، في سورة الحج ابتداء من ٨: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ إلى أن قال في ٩: ثَانِي عَطْفُهُ يُدْخِلُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا حِزْبِي وَلِيَدِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْخَرِيقِ • وفي ١١: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى خَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ فَنَقَّصَ الْقَلْبَ عَلَى وَجْهِهِ خِيسَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ فَرَاغُ النَّفْسِ مِنَ النَّبِيِّ﴾.

فقد ذكر الدنيا والآخرة في هاتين الآيتين ثم قال - بعد آيات متعلقة بها - في هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾.

٢- اختلفوا في هاء الضمير ﴿لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ على قولين:

القول الثاني: أنه يرجع إلى (من) واختاره بعضهم، ثم اختلفوا في معنى ﴿فَلْيَسُدُّ سِتْرَ إِيَّايَ السَّمَاءُ﴾ كما جاء في التفسير. وهذا هو الأول عندنا، لأن في رجوعه إلى النبي عليه تكلف كما تكلف الفخر الرازي، ولأنه المناسب لما سبقه من ذكر الدنيا والآخرة مرتين: فقد قال في أولهما فيمن يجادل في الله بغير علم: ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَكَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْخَبِيرِ﴾.

وقال في الثانية فيمن عهد الله على حرف: ﴿فَلْيَنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ مُطْمَئِنِّ بَعْدَ إِذَا أَصَابَهُ نِقْطَةُ الْقَلْبِ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وهذا هو الذي يظن أن لن ينصره الله في الدنيا بما لن يصيبه خيراً، ولا في الآخرة بأن لا يدخله الجنة، فلهذه الآية ربط بما قبلها كما قلنا.

قال الفخر الرازي في وجه هذا القول لا يبعد: المذکور ومن حق الكتابة أن ترجع إلى مذکور إذا أمكن ذلك، ومن قال بذلك حمل التصرة على الرزق.

وقال أبو عبيدة: «وقف علينا سائل من بني بكر، فقال: من ينصرني نصره الله، أي من يعطيني إعطاء الله، فكأنه قال: من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة، فلهذا الظن يعدل عن التمسك بدين محمد ﷺ كما وصفه تعالى في قوله: ﴿وَإِنْ أَصَابَهُ نِقْطَةُ الْقَلْبِ عَلَى وَجْهِهِ﴾ المسج: ١١، فيبلغ غاية الجزع وهو الاختناق، فإن ذلك لا يظلب التسمية ويحمله مرزوقاً، (٤٥): ﴿وَإِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ

بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾.

١ - وقبلها: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ وبعدها: ﴿مَنْ كَانَ يَرْيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

٢ - وأكثروهم فسرُوا ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ بهلاككم ويُنْصِبْكُمْ. قال الطوسي: «نحوه الطبرسي: «معناه: إن ينزل الله أيها الناس أن يهلككم، ويُنْصِبْكُمْ ويسأت بضم آخرين غيركم ينصرون نبيّه محمد ﷺ ويؤازرونه، كان الله تعالى على ذلك قديرًا».

وقال الزمخشري: «يُنْصِبْكُمْ ويُهدمكم كما أوجدكم وأنشأكم».

وقال الفخر الرازي: «والمراد منه أنه تعالى قادر على الإقناء والإيجاد، فإن عصيته هو قادر على إهدمكم وإحداثكم بالكلفة».

وقال ابن كثير: «أي هو قادر على إذهابكم وتبديلكم بغيركم إذا عصيته، و كما قال: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ محمد: ٢٨. وقال بعض السلف: ما أهون العباد على الله إذا أصابوا أمره. وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وما ذلك على الله بعزيز. إبراهيم: ١٩، ٢٠، أي وما هو عليه بمتنع».

وقال أبو السعود: «أي يُنْصِبْكُمْ ويستأصلكم بالمرء، ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ أي يوجد دفعة مكانكم قوماً آخرين من البشر، أو خلقاً آخرين مكان الإنس. ومفعول المشيئة محذوف، لكونه مضمون الجزاء، أي



كذلك الذين خوطبوا بقوله: ﴿كُنَّا أَتَشَاكُمْ﴾ لم يرد بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين، ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنهم أنشئوا مكان خلقٍ خُلف قوم آخرين قد هلكوا قبلهم.

وقال في (٤٧): «إن يشأ يهلككم أيها الناس ربكم، لأنه أنشاكم من غير حاجة به إليكم» ويأت بخلق جديد: «ويأت بخلق سواكم يهلكونه، ويأترون لأمره، وينتهون عما نهاهم عنه».

وقال في (٤٨): «إن الذي تفرّد بخلق ذلك وإنشائه من غير مُعين ولا شريك، إن هو شاء أن يذهبكم ليفنيكم، أذهبكم وأفناكم، ويأت بخلق آخر سواكم مكانكم فيجدد خلقهم»<sup>(١)</sup>.

٢- وقال الطبرسي في (٤٦): «وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِهِمْ»

بغيركم ما يشاء، ويشئ بعد هلاككم خلقاً غيركم، يكون خلقاً لكم، ﴿كُنَّا أَتَشَاكُمْ﴾ في الأول ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمَ الْغَرِبِينَ﴾ تقدّمواكم.

وهذا خطاب لمن سبق ذكره من الجن والإنس، ويحتمل أن يكون معناه: ويستخلف جنساً آخر، أي كما قدر على إخراج الجن من الجن، والإنس من الإنس، فهو قادر على أن يخرج قوماً آخر لا من الجن ولا من الإنس...

وقال في (٤٧): «... ويأت بخلق جديد سواكم

(١) هذا هو الظاهر وفي الأصل: «فيجدب» بالباء

كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً».

وقال في (٤٨): «... ويخلق قوماً آخرين مكانكم، لأن من قدر على بناء الشيء كان على عدمه أقدر إذا لم يخرج عن كونه قادراً».

٤- وقال الفخر الرازي في (٤٦): «والمعنى أنه تعالى لسا وصف نفسه بأنه ذو الرحمة فقد كان يجوز أن يظن ظان أنه وإن كان ذا الرحمة إلا أن لرحمته معدلاً مخصوصاً وموضعاً معيناً، فبين تعالى أنه قادر على وضع الرحمة في هذا المخلوق، وقادر على أن يخلق قوماً آخرين ويضع رحمته فيهم.

وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين أكمل وأتم، والمقصود التنبيه على أن تخصيص الرحمة هؤلاء ليس لأجل أنه لا يمكنه إظهار رحمته إلا بخلق هؤلاء».

الاستغناء عنه: «(إن يشأ يذهبكم) فالأقرب أن المراد به الإهلاك، ويحتمل الإماتة أيضاً.

ويحتمل أن لا يبلغهم مبلغ التكليف، وأما قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني من بعد إذهابكم، لأن الاستخلاف لا يكون إلا على طريق البديل من فائت. وأما قوله: «ما يشاء» فالمراد منه خلق ثالث ورابع، واختلفوا...، وذكر الأقوال تفصيلاً، فلاحظ.

وقال في (٤٧): «(إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد)» بياناً لقضاء، وفيه بلاغة كاملة وبيانها أنه تعالى قال: «(إن يشأ يذهبكم)» أي ليس إذهابكم موقوفاً إلا على مشيئته، بخلاف الشيء المحتاج إليه، فإن المحتاج لا يقول فيه إن يشأ فلان هدم داره وأصدم

عقاره، وإنما يقول: لولا حاجة السكك إلى الدار لبعثها، أو لولا الافتقار إلى العقار لتركها.

ثم إنه تعالى زاد بيان الاستغناء بقوله: ﴿وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يعني إن كان يتوهم متوهم أن هذا الملك له كمال وعظمة، فلو أذهب لزال ملكه وعظمته، فهو قادر بأن يخلق خلقاً جديداً أحسن من هذا وأجمل وأتم وأكمل...».

وقال في (٤٨): ﴿إِنْ يَشَاءُ﴾، والمعنى أن من كان قادراً على خلق السماوات والأرض بالحق، فبأن يقدر على إغناء قوم وإماتتهم، وعلى إيجاد آخرين وإحيائهم كان أولى، لأن القادر على الأصعب الأعظم بأن يكون قادراً على الأسهل الأضعف أولى، قال ابن عباس: هذا الخطاب مع كفار مكة، يريد أميئتهم يا معشر الكفار، وأخلق قوماً غيركم وأطوع منكم.

المحور الثالث: الاسم: «ذهب» آيات: ٤٩-٥٦ سبقت في جدول الآيات:

١- وهي قسمان: أربع منها (٤٩ - ٥٢) وصف للذهب في الدنيا وكلها دم، وأربع (٥٣ - ٥٦) وصف له في الآخرة، وكلها مدح.

٢- واثنان (٤٩ و ٥٠) من القسم الأول جاء فيهما الذهب والفضة معاً معربين باللام، وجاء في الباقي الذهب منفرداً أو متكرراً.

٣- وقال الطبري في (٥٠): «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ» قال النبي: نَبَأٌ لِلذَّهَبِ نَبَأٌ لِلْفِضَّةِ! يقولها ثلاثاً...» وقد روي أحاديث أخرى كثيرة في تفسيرها، فلاحظ.

وقال في (٥٣): ﴿يَخْلُقْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ «إِنَّ التَّحْلِيَّ إِنَّمَا بِاللَّائِي وَالْجَوَاهِرِ وَإِنَّمَا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالتَّحْلِيَّ بِالْجَوَاهِرِ وَاللَّائِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّحْلِيَّ لَا يَجُزُّ عَنِ الْوَصُولِ إِلَى الْأَشْيَاءِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، حَيْثُ يَجُزُّ عَنِ الْوَصُولِ إِلَى الْأَشْيَاءِ الْقَلِيلَةِ الْوُجُودِ لِلْحَاجَةِ، وَالتَّحْلِيَّ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَحْتَاجٍ حَاجَةً أَصْلِيَّةً وَإِلَّا لَصُرَفَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ إِلَى دَفْعِ الْحَاجَةِ».

وقال في (٥٦): ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَالْكَوَابِرِ﴾ «صِفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ» إشارة إلى المنطوم، و«الْكَوَابِرِ» إشارة إلى المشروب، ثم إنه تعالى ترك التفصيل وذكر بياناً كلياً، فقال: ﴿وَفِيهَا مَا تُشْبِهُ الْأَنْفُسَ وَتِلْكَ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا ظَالِمُونَ».

وقال أيضاً (١١: ٢١٠): «الصَّحَافُ: جمع للكثير من الصفحة، والصفحة: القصعة... والأكواب: جمع كوب، والكوب: الإبريق المستدير الرأس الذي لأذن له ولا خرطوم...».

٤- قال التعليل: «قيل: سمي الذهب ذهباً، لأنه يذهب ولا يبقى».

٥- وقال الطبرسي (٥: ٥٠) في (٥٣): ﴿فَلَسَوْا أَتَقَىٰ عَلَيْهِمْ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ...﴾ «الأسورة: جمع سيوار مثل سقاء وأسقية، وخوان وأخونة».

وقال في (ص: ٥٦) في تفسير الآية: «أي هلا طرح عليه أسورة من ذهب إن كان صادقاً في نبوته، وكان إذا سؤروا رجلاً سؤروه بسوار من ذهب، وطرقوه بطوق من ذهب».



٦- وقال الفخر الرازي (٧: ٢١١): «الذهب والفضة إنما كانا محبوبين، لأنهما يجعلان من جميع الأشياء، مما لكهما كالمالك لجميع الأشياء، وصفة المالكية هي القدرة، والقدرة صفة كمال، والكمال محبوب لذاته، ف لما كان الذهب والفضة أكمل الوسائل إلى تحصيل هذا الكمال الذي هو محبوب لذاته، وما لا يوجد المحبوب إلا به فهو محبوب، لا جرم كانا محبوبين».

٧- واطلب معرفة هذه الآيات في المواد اللغوية التي فيها مثل (زَيْنَ) و(الشَّهَوَاتِ) و(الْفِتْنَارِ) في (٤٩)، و(الإنفاق) في (٥٠)، و(أَسْوَرَةٍ) في (٥١)، و(مِلَّةٍ) في (٥٢)، و(أَسَاوِرَ) في (٥٣ - ٥٥)، و(صِيحَافٍ) و(أَكْوَابٍ) في (٥٦).

ويلاحظ ثانياً: أن ١٨ آية منها مدنية، وأكثرها في المنافقين وأهل البيت، والقتال، وواحدة (٥٣) في التشريع، وواحدة (٥٢) الحجج مختلف فيها، والباقى وهي ٣٤ آية مكِّي، وهي إما قصص أو مواعظ أو

عقيدة، فلاحظ.

وثالثاً: من نظائر هذه المادة في القرآن:  
الذَّهَبُ:

المشي: ﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَتَّبِعِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ لقمان: ١٨  
السَّيْرِ: ﴿فَإِن تَقَضَّىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا...﴾ القصص: ٢٩  
المروء: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ...﴾ البقرة: ٢٥٩  
المضي: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتِيهِ لَا أَنبِئُكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعْمُورِ﴾ القصص: ٢٩  
منجمع البهريين أو أمضى حُبّاً: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ لقمان: ١٨  
الخطو: ﴿يَنَاءُ يَهَا النَّاسُ تَلْوَا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ القصص: ٢٩  
خَلَا طَيْبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِلَهُ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِلَهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ البقرة: ١٦٨

مُهِمَّةٌ

الذهب:

المنعكف: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ تَبَتُّ مِنْ زُطْرَتِهِ أَوْ تَكُونُ فِي السَّعَاءِ...﴾ الإسراء: ٩٣

# ذهل

## تَذَهَّلُ

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مدنية

### التخصص اللغوية

ابن دريد: ذهل عن الشيء، يَذْهَلُ ذَهْلًا

وَذَهْلًا

الخليل: الذَّهْلُول: الفرس الدقيق الجواد.

و ذهل يَذْهَلُ، إذا سلا عنه ونسه، فهو ذاهل.

والذَّهْلُ: تركك الشيء - تناساه على عتيد، أو

سويك أن يكون منه اشتقاق: ذَهْل. وقال قوم، بل

يشغلك عنه شاغل.

اشتقاق « ذَهْل » من قوهم: مرَّ ذَهْل من الليل.

ذَهَلْتُ عنه، وذَهَلْتُ لفتان: تركته، وأذْهَلَنِي كذا

عنه كذا أو كذا.

و ذَهْل من الليل، أي قطعة عظيمة، نحو الثالث أو

والذَّهْلان: حَيَّان من ربيعة: بنو ذَهْل بن شعيان.

التصف. ولم يبق به غير أبي مالك، وما أدري ما

وبنو ذَهْل بن ثعلبة. (٣٩: ٤)

صحته؟

وقد سميت العرب: ذَهْلًا وَذَهْلًا وَذَهْلَانًا وَذَاهِلًا،

أبو عمرو الشَّيباني: ذَهْل، وَذَهْل: لغة بالبدال

والذَّال.

(الأزهري: ٦: ٢٦١)

وهو أبو قبيلة من العرب.

الليحياني: مضى ذَهْل من الليل، أي ساعة.

والذَّهْلان: حَيَّان من ربيعة.

(الأزهري: ٦: ٢٦١)

والذَّاهل عن الشيء: السَّالي عنه، النَّاسي له.

يقال: جاء بعد ذَهْل من الليل و ذَهْل، أي بعد

(٣١٨: ٢)

الأزهري: وقد ذَهَل يَذْهَل، وذَهِيل يَذْهَل

(المجوهري: ٤: ١٧٠٢)

هذه.

ذُهِلًا. وأذْهَلَنِي كَذَا وكُنَا عَنْهُ يُذْهِلُنِي. [ثم استشهد  
بشعر] (٢٦١: ٦)

الصَّاحِب: [نحو الخليل وأضاف:]

والذَّهْل: شجرة البشام.

والذَّهْلُول: الخفيف من الرجال؛ وجمعه: ذَهَائِلُ،  
وكذلك الفرس الخفيف.

ورجل ذاهل: لا يَتَّبِعُ بِالزَّيْنَةِ وَالْأَدَهَانَ.

(٤٦٨: ٣)

الجَوْهَرِيُّ: ذَهَلْتُ عَنْ الشَّيْءِ أَذْهَلْتُ ذَهَلًا: نَسِيتُهُ  
وَعَفَلْتُ عَنْهُ. وَأَذْهَلَنِي عَنْ كَذَا. وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى:  
ذَهَلْتُ بِالْكَسْرِ ذُهِلًا.

ابن فارس: الذَّالُّ والمَاءُ واللام أصل واحد  
يبدل على شغل عن شيء بذعر أو غيره.

ذَهَلْتُ عَنْ الشَّيْءِ أَذْهَلْتُ إِذَا نَسِيتُهُ أَوْ شَغَلْتُ  
وَأَذْهَلَنِي عَنْ كَذَا.

هذا هو الأصل؛ وحُكِيَ مِنَ اللَّحْمَانِي: جَاءَ  
بَعْدَ ذَهَلٍ مِنَ اللَّيْلِ وَذَهَلٍ، كَمَا تَقُولُ: مَرَّ خُذُّهُ مِنَ  
اللَّيْلِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِإِظْلَامِهِ، وَأَنَّهُ يُذْهِلُ فِيهِ  
عَنِ الْأَشْيَاءِ.

وَيَتَأَشَّدُّ عَنِ الْبَابِ قَوْلُهُمُ لِلْفَرَسِ الْجَوَادِ: ذُهِلُول.

(٣٦٣: ٢)

السَّعْلِيُّ: يُقَالُ: ذَهَلْتُ عَنْ كَذَا، أَيْ تَرَكْتُهُ  
وَأَشْتَغَلْتُ بِغَيْرِهِ أَذْهَلْتُ ذُهِلًا.

وَأَذْهَلَنِي الشَّيْءُ إِذْهَالًا. [ثم استشهد بشعر]

(٦: ٧)

ابن سيده: ذَهَلَ الشَّيْءُ، وَذَهَلَ عَنْهُ، وَذَهَلَهُ

وَذَهَلَ عَنْهُ، يَذْهَلُ فِيهِمَا، ذَهَلًا وَذُهِلًا: تَرَكَهُ عَلَى  
عَمْدٍ أَوْ نَسِيَةٍ لَشُغْلٍ.

وقيل: الذَّهْلُ: السُّلُوكُ وَطَيْبُ النَّفْسِ عَنِ الْإِلْفِ.

وقد أَذْهَلَهُ الْأَمْرُ، وَأَذْهَلَهُ عَنْهُ.

ومرَّ ذَهَلٌ مِنَ اللَّيْلِ، وَذَهَلٌ، أَيْ قِطْعَةٌ، وَقِيلَ:  
سَاعَةٌ مِنْهُ، مِثْلُ ذَهَلٍ، وَالذَّالُّ أَعْلَى<sup>(١)</sup>.

وَالذَّهْلُولُ مِنَ الْخَيْلِ: الْجَوَادُ الدَّقِيقُ.

وَذَهَلٌ: قَبِيلَةٌ.

وَالذَّهْلَانُ: حَتَّانٌ مِنْ رِبْعَةٍ: بَنُو ذَهَلٍ بْنِ شَيْبَانَ،  
وَبَنُو ذَهَلٍ بْنِ ثَعْلَبَةٍ.

وقد سَمَّوْا: ذَهَلًا، وَذَهْلَانًا، وَذَهَيْلًا. (٢٩٣: ٤)

الطُّوسِيُّ: وَالذَّهْوَلُ: الذَّهَابُ عَنِ الشَّيْءِ ذَهْنًا  
وَحِرَةً. تَقُولُ: ذَهَلْتُ عَنْهُ ذُهِلًا، وَذَهَلْتُ بِالْكَسْرِ

أَيْضًا، وَهُوَ قَبِيلٌ.

وَالذَّهْلُ: السُّلُوكُ. [ثم استشهد بشعر] (٢٨٩: ٧)

نحو: الطُّوسِيُّ:

الرَّاعِي: الذَّهْوَلُ: شُغْلٌ يورث حَزَنًا وَنَسِيَانًا.

يُقَالُ: ذَهَلَ عَنْ كَذَا، وَأَذْهَلَهُ كَذَا. (١٨٢)

الزَّمَخْشَرِيُّ: ذَهَلَ عَنِ الْأَمْرِ ذُهِلًا، وَهُوَ  
ذَاهِلٌ عَنْهُ، إِذَا تَنَاسَاهُ عَمْدًا أَوْ شُغْلًا عَنْهُ.

وَأَذْهَلَنِي عَنْ كَذَا.

وَمَا أَذْهَلَكَ عَنْ حَاجَتِي؟

وَلِي مَشَاغِلٌ وَمَذَاهِلٌ.

وَرَجُلٌ وَفَرَسٌ ذُهِلُول.

(١) هكذا في الأصل، والظاهر: ذَهَلٌ، بالذَّال.

[ثم استشهد بشعر] (أساس البلاغة: ١٤٦)

القيومي: ذَهَلْتُ عن الشيء أذهل بفتحين،  
ذَهُولًا: غَفَلْتُ.

وقد يعتدى بنفسه فيقال: ذَهَلْتُهُ. والأكثر أن  
يعتدى بالالف، فيقال أذهلني فلان عن الشيء.

وقال الزمخشري: ذَهَلَ عن الأمر: تناساه غفلاً  
وشغل عنه وفي لغة: ذَهِيلٌ يَذْهَلُ من باب «ثعب».

(٢١١: ١١)

الفيروز آبادي: ذَهَلَهُ، وعنه، كَمِئ، فَهَلًا  
وَذَهُولًا: تركه على عهد، أو نسيه لشغل، أو هو السُّلُو  
وطوب النفس عن الإلف.

وَذَهَلَ من الليل، ويضم: ساعة.

والذُّهْلُول، بالضم: الفرس الجواد.

والذُّهْلُ بالضم: شجرة البشام، وبلا لام.

وسموا: ذَهْلَان، كقتمان. (٣٩: ١٣)

الطريحي: الذُّهُول، وهو الذهاب عن الأمر

بدهشة.

يقال: ذَهَلَ يَذْهَلُ بفتحين، ذَهْلًا: وفي لغة من باب

ثعب. ومصدره: الذُّهُول. (٣٧٧: ٥١)

مَجْمَعُ اللُّغَةِ: ذَهَلَ الشيء عنه، وذَهَلَهُ وذَهَلَ  
عنه، يَذْهَلُ ذَهُولًا وَذَهْلًا: نسيه لشغل أو شغله عنه  
شاعل. (٤٣١: ١١)

العَدْنَانِي: ذَهَلَ عنه، ذَهَلَهُ

ويقولون: انذَهَلَ عن لقائنا. والصواب: ذَهَلَ

لقائنا، أو ذَهَلَ عنه أو ذَهَلَهُ، أو ذَهَلَ عنه يَذْهَلُ ذَهْلًا

وَذَهُولًا: تركه على عهد أو نسيه لشغل، كما هو نص

«المحكم» لابن سيده.

قال تعالى: في الآية: ٢، من سورة الحج: في وصف  
زلزلة الساعة: ﴿يَوْمَ تَرْوُلُهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا  
أَرْضَعَتْ﴾ أي تسلو عن ولدها.

(معجم الأخطاء الشائعة: ٩٦)

محمد إسماعيل إبراهيم: ذَهَلَ ذَهُولًا: غاب عن  
رُشدِه وذَهَلَ عن الشيء: نسيه وأغفله من شدة  
النُّشْطَةِ أو الكَرَبِ. (٢٠٤: ١١)

المصطفوي: والتحقق: أن الأصل الواحد في  
هذه المادة: هو الخلاء عن أمر، والشغل عنه بذخشة  
وغزع. وليس معناها الغفلة أو التسيان أو الترك أو  
النسلا المطلق أو الشغل عن أمر المطلق، أو الترك تناسيًا  
أو غلى عهد أو شغل يورث حزنا.

وهذا يظهر الفرق بينها وبين مواد: الغفلة،  
التسيان، والترك. السهو: فإن الغفلة في مقابل الذكر،  
والتسيان في قبال الحفظ، والترك في مقابل الفعل.

والغفلة والسهو يشتركان فيما لم يكن، وفيما  
كان عن ذكر وعن غيره، ويفترقان في أن السهو يكون  
صفا لا يكون في فعل نفسه، والغفلة تكون عما يكون  
وفي فعل الغير.

و يدل على الأصل الذي ذكرناه، أن هذه المادة  
وردت في اللغة العبرية بمعنى الخوف والارتعاش:

قاموس عبري: زاحل، خاف، ارتعد، ارتعش،  
ارتجف. و يدل عليه أيضا: أن الآية الكريمة ﴿يَوْمَ  
تَرْوُلُهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ الحج: ٢،  
لاتناسب مفاهيم مطلق الغفلة والتسيان والترك:

فإنها لا تدل على دهشة واضطراب وخوف، لأن كلاً منها قد يتحقق في حالة عادية من دون حصول خوف ودهشة، فلا تشعر على شدة ذلك اليوم.  
و يقرب من مفهومها: مفهوم مادة «الذعر» بمعنى الفزع، و«الذآر» أي التجنب. (٣٤١: ٣)

## النصوص التفسيرية

### كُذِّلَ

يَوْمَ تَرَوْهَا كُذِّلَ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَكَضَعَتْ كُلُّ دَاتٍ حَمْلًا وَخَلَّهَا وَفَرَى الثَّاسِ سَكَّارَى وَخَافَهُمْ سَكَّارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ. الحج: ٢٣  
ابن عباس: تشتغل.  
الضحاك: تسَلُو.  
نحوه الأخفش.

الحسن: ذهلت عن أولادها بغير نظام.

(الطبري ٩: ١٠٨)

الكلبي: تلهوا عنه. [ثم استشهد بشعر]

(الماوردي ٤: ٦)

ابن زيد: ترك ولدها للكرْب الذي نزل بها.

(الطبري ٩: ١٠٨)

اليزيدي: تنسأ. [ثم استشهد بشعر]

(الماوردي ٤: ٦)

الفرّاء: قوله: ﴿كُذِّلَ كُلُّ مَرْضِعَةٍ...﴾ رخصت

الفرّاء: ﴿كُلُّ مَرْضِعَةٍ﴾ لأنهم جعلوا الفصل لها. ولو قيل: ﴿كُذِّلَ كُلُّ مَرْضِعَةٍ﴾ وأنت تريد «الساعة»

أنها كُذِّلَ أهلها، كان وجهها. ولم أسمع أحداً أقرأه.

(٢١٤: ٢)

قطرب: تشتغل عنه. [ثم استشهد بشعر]

(الماوردي ٤: ٦)

أبو عبيدة: أي تسَلُو وتسي. [ثم استشهد بشعر]

(٤٤: ٢)

ابن قتيبة: أي تسَلُو عن ولدها وتركه. (٢٩٠)

الطبري: يعني بقوله: ﴿كُذِّلَ﴾ تسي وترك

من شدة كَرَبها.

يقال: ذهلت عن كذا أذهل عنه ذهولاً وذهلت

أيضاً، وهي قليلة. والنصيح: الفتح في الهاء. فأتا في

المستعمل فإلهاء مفتوحة في اللتين، لم يسمع غير ذلك.

[ثم استشهد بشعر]

فأما إذا أريد أن الهول أنساء وسلاء، قلت: أذهله

كذا الأفراسي كن كذا يذهله إذهالاً. (١٠٧: ٩)

نحوه الواحدي: (٢٥٧: ٣)

الزجاج: يجوز كُذِّلَ كُلُّ مَرْضِعَةٍ أو معنى

(كُذِّلَ) تحيّر، وترك كل مرضعة قد ذهلت عما

أرضعت. (٤٠٩: ٣)

نحوه البغوي: (٣٢٢: ٣)

الطوسي: أي يشغلها عن ولدها اشتغالها

بنفسها، وما يلحقها من الخوف... وهذا تحويل ليوم

القيامة، وتعظيم لما يكون فيه من الشدة على وجه

لو كان هناك مرضعة لشغلت عن الذي ترضعه، ولو

كان هناك حامل لاستقطت من هول ذلك اليوم، وإن

لم يكن هناك حامل ولا مرضعة. (٢٨٩: ٧)

الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت ألقى ألقى  
الرضيع نديها، نزعته من فيه وذهلت عنه. (٨٤: ٢)  
أبو السعود: أي تفل وتذل مع دهشة عما هي  
بصدده إرضاعه من طفلها الذي ألقته نديها.

والتعبير عنه بـ (ما) دون «من» لتأكيد الذهول،  
وكونه بحيث لا يحظر بهاها أنه ماذا، لا أنها تعرف  
شيئته، لكن لا تدري من هو بخصوصه.  
وقيل: (ما) مصدرية، أي تذل من إرضاعها.  
والأول أدل على شدة الهول، وكمال الاتزعاج.

(٣٦٥: ٤)

نحوه البرؤسوي:  
الأتوسي: ﴿يَوْمٌ﴾ منصوب بـ ﴿تَذْهَلُ﴾ قدّم  
عليه للاهتمام. وقيل: بـ ﴿عَظِيمٌ﴾ وقيل: بإضمار  
﴿أَكْزَرَ﴾ وقيل: هو البذل من ﴿السَّاعَةِ﴾ وفتح  
﴿عَظِيمٌ﴾ كفتح ﴿عَظِيمٌ﴾ في قوله تعالى ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ﴾ على  
قراءة (يوم) بالفتح. وقيل: بـذل من ﴿زَلْزَلَةٍ﴾ أو  
منسوب به إن اغتفر الفصل بين المصدر ومعموله  
الظرفي بالخبر.

وجملة ﴿تَذْهَلُ﴾ على هذه الأوجه في موضع  
الحال من ضمير المفعول، والعائد محذوف، أي تذهل  
فيها. والذهول شغل يورث حزناً ونسياناً...

وقرئ (تَذْهَلُ) من الإذهال مبنياً للمفعول. وقرأ  
ابن أبي عملة واليماني (تَذْهَلُ منه) مبنياً للفاعل،  
و (كُلُّ) بالتصبي، أي يوم تذهل الزلزلة، وقيل:  
الساعة كل مرضعة. (١١٢: ١٧)

سيد قطب: إذا هو مشهد حافل بكل مرضعة

نحوه الطبرسي:  
البيهقي: يعني تفل، والذهول: الغفلة. وقيل:  
الذهول السلو، وذهلت من كذا إذا سلوت عنه.  
(٣٣٠: ٦)

نحوه السفي:  
الزيمخشري: قرئ (تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ) على  
البناء للمفعول و (تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ) أي تذهلها  
الزلزلة. والذهول: الذهاب عن الأمر مع دهشة.  
(٤: ٣)

ابن عطية: الذهول: الغفلة عن الشيء بطريان  
ما يشغل عنه من هم أو وجع أو غيره. (١٠٦: ٤)  
الفخر الرازي: أي تذهلها الزلزلة. والذهول:  
الذهاب عن الأمر مع دهشة... وقال القفال: يحتمل أن  
يقال: من ماتت حاملاً أو مرضعة كبرت حاملاً أو  
مرضعة تضع حملها من الفزع.

ويحتمل أن يكون المراد من ذهول المرضعة  
وضع الحمل على جهة المثل، كما قد تأول قوله:  
﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ المزمل: ١٧. (٤: ٢٣)  
القرطبي: قوله: ﴿تَذْهَلُ﴾ أي تشتغل، قاله  
قطرب. [ثم استشهد بشعر]

وقيل: تنسى، وقيل: تلهو، وقيل: تسلو، والمصنوع  
متقارب. (٤: ١٢)

البيضاوي: تصوير هولها، والضمير للزلزلة  
و ﴿يَوْمٌ﴾ منصوب بـ ﴿تَذْهَلُ﴾ و قرئ (تَذْهَلُ)  
و (تَذْهَلُ) مجهولاً ومعلومًا، أي تذهلها الزلزلة.  
والذهول: الذهاب عن الأمر بدهشة، والمقصود:

ذاهلة عما أرضعت تنظر ولا ترى، وتحرك ولا تمشي. وبكل حامل تستقط حملها للهلول المروع ينتابها. وبالناس سكارى وما هم بسكارى، يتبدى السكر في نظراتهم الذاهلة، وفي خطواتهم المترنحة. مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج، تكاد العين تبصره لحظة التلاوة، بينما الخيال يتملاء. والهول الشاخص يذهله، فلا يكاد يبلغ أقصاه. وهو هول حي لا يقاس بالحجم والفضامة، ولكن يقاس بوقعه في النفوس الأدمية: في المرضعات الذاهلات عما أرضعن وما تذهل المرضعة عن طفلها وفي قسه تديها إلا للهلول الذي لا يدع بقية من وعي والحوامل الملقيات حملهن. وبالناس سكارى وما هم بسكارى: ﴿وَلَكِنْ هَذَابِ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢٤: ٨).

ابن عاشور: والذُّهول: نسيان ما من شأنه أن لا ينسى لوجود مقتضى تذكره؛ إما لأنه حاضر أو لأنه علمه جديد. وإنما ينسى لشاغل عظيم عنه، فذكر لفظ الذُّهول هنا دون النسيان، لأنه أدل على شدة التشاغل؛ قاله شيخنا الجدّ الوزير. قال: وشفقة الأم على الابن أشد من شفقة الأب، فشفتها على الرضيع أشد من شفتها على غيره.

وكل ذلك يدلّ بدلالة الأولى على ذُّهول غيرها من النساء والرجال، وقد حصل من هذه الكناية دلالة على جميع لوازم شدة الهول، وليس يلزم في الكناية أن يصرّح بجميع اللوازم، لأن دلالة الكناية عقلية، وليست لفظية. (١٧: ١٣٨)

ملفنية: هذا كناية عن هول الساعة وشديتها؛

حيث لا مريض ولا حامل يومذاك، أي لو كان ثمة مريض لذهلت أو حامل لو وضعت. والكل يمورون ويضطربون من الفزع والهلل تمامًا، كما يضطرب السكران. (٥: ٣٠٨)

الطُّبَّاءُ يَأْتِي الذُّهُولُ: الذهاب عن الشيء مع دُخْشَة. (١٤: ٣٣٩)

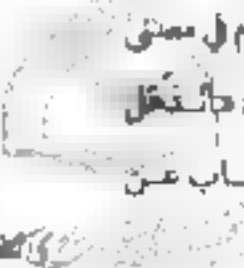
فضل الله: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ عندما تكون في جوّ نصاب فيه مشاعر الأمومة داخلها، وتعيش فيه الاندماج الروحي مع دقائق الحليب الطاهر من تديها، في القم الصغير الذي يشلّ ابتهال الطفولة الجائعة إلى الأمومة الحانية، طلبًا للحب والطف والحنان والغذاء والشراب؛ إذ أن الأم هي سرّ الحياة منذ انطلاقها في رحلة النموّ حتّى تكاملها في مرحلة الوجود.

ولكن على الرغم مما تشعر به الأم في موقف الرضاع من تفاعل بين روحها ونداء رضيعها بحيث تحسّ بأن روحها تتحرك في إحضانها، فلا تغفل عن ابتسامته عندما يتسم، وعن دمعته عندما يبكي، وما يصنعه ذلك الإحساس من تحوّل في قطرات الحليب من حيث تدري أو لا تدري - إلى قطرات حُبٍّ وحنان، إلا أنها يوم القيامة أمام الرُّعب والخوف تذهل عنه وعن كل ما حولها، وتستغرق في التفكير بصيرها، فهي تعجز في لحظات الحيرة والذُّهول عن التفكير إلا بنفسها، لأن حدة المعاناة لا تترك لها أيّ مجال للانتفات إلى أي شخص آخر. (١٦: ١١)

## الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الذُّهول، وهو الغفلة عن الشيء. يقال: ذهل فلان الشيء وذهل عنه يذهل، وذوله وذهل عنه يذهل ذهلاً وذهولاً، أي تركه على عمد، أو غفل عنه، أو نسيه لشغل، وقد أذهله الأمر وأذهله عنه.

٢- وأما قولهم: مرَّ ذهل من الليل وذهل: قطعة أو ساعة أو هذه منه، فهو من «ذهل»، لأن الذهل: الشيء اليسير. يقال: مضى ذهل من الليل، أي ساعة أو صدر. كما أنكر ابن دريد لغة الذال، فقال: «لم يجرى به غير أبي مالك، وما أدري ما صحته»؟

٣- ويشتغل الذُّهول في هذه الأيام في معنى الحيرة والتدبُّر. قال صاحب محيط المحيط: «الذهل بمعنى ذهل، ويشتغل ذهل بمعنى تدبُّر وغاب عن رُشد». 

و يحسب علماء فقه اللغة أن تغير المعاني على مرّ السنين في لغات البشر أمر طبيعي، وهو يساعد - حسب قولهم - على بقاء اللغة واستمرارها، وقد اصطالحوا على هذه الظاهرة وسقوها «التطور اللغوي»<sup>(١)</sup>.

ولكن هذه الظاهرة غير مطردة في اللغة العربية، وإن مال بعض الأدباء العرب المتأخرين إلى هذا الرأي، فاستقصوا طائفة من الألفاظ، وحاولوا أن

(١) راجع كتاب فقه اللغة وخصائص العربية: (٢٠٧)

الدكتور محمد المبارك.

يصفونها وفق هذه النظرية، دون أن يلتفتوا إلى ظواهر اللغة العربية وخصائصها، كمعاني ألفاظها الحقيقية والمجازية، أو الاصطلاحية والتفسيرية، أو الاشتقاق الأكبر بينها، أو التصحيف الطارئ عليها.

و كان الاشتقاق الأكبر سبباً إلى طروء معنى التحير على هذه المادة على الأصح. فقد روى ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: «الذاهل: المتحير»، غير أن الأزهري يرى الاشتقاق الكبير هو السبب إلى ذلك؛ إذ تعقب قول ابن الأعرابي، فقال: «قلت: أصله الدالّ له، فقلبه»<sup>(٢)</sup>.

## الاستعمال القرآني

آية واحدة:

﴿يَوْمَ تَرَوْنها كَذَهلُ كُلِّ مُرْضِعةٍ عُما أَرْضَعتْ﴾  
﴿يَضَعُ عَنقُ ذاتِ حَمَلٍ حَمْلَها وَتَرى النَّاسَ سُكَّاراً وَمُناهِمٍ سُكَّاراً وَلَكنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج: ٢  
ويلاحظ أولاً: أن هذه الآية جاءت عقيب الآية الأولى من سورة الحج: ﴿يَما يَها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾، ومضمون الآيتين التشديد في عذاب الساعة، والمراد به: ﴿ذاتِ حَمَلٍ﴾: المرأة الحاملة.

١- قالوا في معنى «كذهل» - على اختلاف قرائتها: مجرداً معلوماً ومجهولاً، «مزيداً من باب الإفعال - تشتغل عنه، تسلو عن ولدها وتركه، تسلو

(٢) تهذيب اللغة (٦: ٢٠١).



أو تنسى وتترك من شدة كربها، تُحْمَرُ وتترك ولدها، تغفل، والذهول: الغفلة، وقيل: الذهول: السُّلُوءُ. والذهول: الذهاب عن الأمر مع دُخْشَة، والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا ذهبت ألبي القمت الرضيع تديها، نزعت من فيه وذهلت عنه. والذهول: نسيان ما من شأنه أن لا ينسى لوجود مقتضى تذكُّره، إمَّا لأنه حاضر، أو لأن علمه جديد، وإمَّا ينسى لشاغل عظيم عنه، فذكر لفظ الذهول هنا دون التسيان، لأنه أدل على شدة التشاغل.

٢- قال ابن عاشور: «وقد حصل من هذه الكناية دلالة على جميع لوازم شدة الهول، وليس يلزم في الكناية أن يصرح بجميع اللوازم، لأن دلالة الكناية عقلية وليست لفظية».

وقال مغنّية: «هذا كناية عن هول الساعة وشذتها؛ حيث لا مريض ولا حامل يومئذ، أي لو كان ثمة مريض لذهلت أو حامل لو وضعت، والكل يمورون ويضطربون من الفزع».

٣- وقال أبو السعود: «والتعبير عنه بـ (ما) دون «من» - يعني في ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ - لتأكيد الذهول، وكونه بحيث لا ينظر بها لها آله ماذا، لأنها تعرف شئتيته، لكن لا تدري من هو بخصوصه. وقيل: (ما) مصدرية، أي تذهل عن إرضاعها، والأول أدل على شدة الهول وكمال

الانزعاج».

١- وقال الألوسي: «﴿يَوْمَ﴾ متصوب بـ ﴿تَذْهَلُ﴾، فمقدم عليه للاهتمام، وقيل: بـ ﴿عَظِيمٍ﴾، وقيل: بإضمار «أذكُر». وقيل: هو البذل من ﴿السَّاعَةِ﴾، وفتح لبنائه، كما قيل في قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ...﴾ المائدة: ١١٩، على قراءة (يَوْمَ) بالفتح.

وقيل: بدل من ﴿زُكِّلَتْ﴾ أو متصوب به إن اختُفر الفصل بين المصدر ومحوه الظرف بالحبر، وجملة: ﴿تَذْهَلُ﴾ على هذه الأوجه في موضع الحال من ضمير المفعول، والعائد محذوف، أي تذهل فيها، والذهول: شغل يورث حزناً ونسياناً.

٥- هو لفضل الله في معنى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ كلام أدبي، فلاحظ.

و ثانياً آية واحدة في سورة مختلف فيها بين المكتبة والمدنية.

و ثالثاً: من نظائر هذه المادة في القرآن:

التيان: ﴿سَتَقَرُّنَّكَ فَلَا تَكُنَّ﴾ الأعلى: ٦١

السهو: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

الماعون: ١

الغفلة: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا...﴾ ق: ٢٢

التهو: ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ التكاثر: ١

# ذو

٩ ألفاظ، ١١١ مرة: ٦٦ مكية، ٤٥ مدنية  
في ٤٨ سورة: ٣٥ مكية، ١٣ مدنية

ذو ٣٥: ١٨-١٧	ذو ١: ١-١٧	من يتبع الفاء الموحدة والأول أحسن.
ذو ١٦: ١١-٥	ذو ٣٠: ١٩-١٦	والأشئ: ذات؛ ويُجمع: ذوات مال. فلوذا وقفت
ذو ٢٤: ١٧-٧	ذو ١: ١-١٧	ذواتا ١: ١-١٧
ذو ٢: ٢-٢	ذو ١: ١-١	هو القياس - ومنهم من يدع القاء على حالها
ذو ١: ١-١	ذو ١: ١-١	ظاهرة في الوقف، لكثرة ما جرت على اللسان.

وهن ذوات مال، وهما ذواتا مال. وقد يجوز في  
الشعر: ذاتا مال، وإقامها في التثنية أحسن.

والذوون: هم الأذوون الأولون.  
وقرئته ذا صباح، مثل: ذات صباح. وذات يوم  
أحسن، لأن ذا وذات مراد بهما في هذا المعنى: وقت،  
مضاف إلى اليوم والصباح.  
وتقول: قلت ذات يده، و«ذا» هنا اسم لما  
ملكته يده، كأنها تقع على الأموال، وكذلك قسولهم:  
عرقه من ذات نفسه، كأنه يعني به سريره المضرة.

## النصوص اللغوية

الخليل: «ذو» اسم نافع، تفسيره: صاحب.  
كقولك: ذو مال، أي صاحبه. والتثنية ذوان؛ والجمع:  
ذوون.  
وليس في كلام العرب شيء يكون إعرابه على  
حرفين غير سبع كلمات، وهن: ذو، وفو، وأخو،  
وعمو، وامرا، وأبثم.  
فأما: «فو» فمنهم من ينصب الفاء في كل، ومنهم

وتقول في بعض الجواب: لا بهذا تسلم، كائنه قال:  
لا والله يسلمك. ما كان كذا وكذا، فتقول: لا  
وسلامتك ما كان كذا وكذا. كما يقال: لمن قال: ماذا  
صنعت؟ خيرٌ وخيرٌ، أي الذي صنعت هو خير.  
والنصب على وجه الفعل؛ ومنه قوله عز وجل:  
﴿قُلِ الثَّاقِفَاتُ الْبُيُوتِ: ٢١٩﴾ أي الذي تُنفقون هو العفو  
من أموالكم، فإياه فأنفقوا، في قراءة من يرفع،  
والنصب على وجه الفعل.

وتقول في اليمين: لا أفعل. وإذا أقسم عليه قال:  
لاها الله.  
ذا:

لم يهزوا، ولا يمدون بها، إفت.

والإنش في الأصل: ذات، ولكنها كثرت على  
السننهم فصار أكثرهم يقول: ذات، وهي ناقصة،  
وإتمامها ذوات مثل نوات، فحذفوا منها الواو.

فإذا ثَنُوا أَمْوَهُا، فَعَالُوا: ذَوَاتَانِ، كَقَوْلِكَ: نَوَاتَانِ،  
وَإِذَا ثَنُّوْا رَجَعُوا إِلَى ذَاتِ. فَعَالُوا: ذَوَاتٌ، وَلَوْ جَمَعُوا  
عَلَى الْقِسَامِ لَعَالُوا: ذَوِيَاتٌ كَثَوِيَّاتٌ، وَتُصَرِّهَا: ذُوِيَّةٌ.  
وَقَدْ سَمِعْنَا فِي الشَّعْرِ مِنْ بَنِي عَلَى حَذْفِ الْوَاوِ،  
كَقَوْلِهِ: «ذَاتَا» فَلَزِمَ الْقِيَاسَ، وَبَنَؤُهُ عَلَى ذَاتٍ وَذَاتَا،  
وَأَمَّا ذُوِي وَذِي وَذَا فِي هَذِهِ وَهَذِي وَهَذَا فَاسْمَاءٌ  
مَكْنِيَّاتٌ، وَلَيْسَ فِي الْبِنَاءِ فِيهَا غَيْرُ الذَّالِّ وَالْأَلِفِ الَّتِي  
بَعْدَهَا زَائِدَةٌ.

وبيان ذلك أن تصغيرها «ذيتا» كائنه بوزن «فعا» كما ينبغي في القياس، أو يكون بوزن «فُعَيْلى» لوزنهم، لأنَّ ياء التصغير لا تعتمد إلا على ضمة، ولم يردوا

الحرف الذي في موضع القين، فالتزمت ياء التصغير بالحرف الأول من الكلمة، فاعتمدت على الفتحة، وإذا صغروا: ذووذي، ردّوها إلى بنائهما. [واستشهد بالشعر ٣ مرات]

(٢٠٧: ٨)

مِثْلِيَّةٍ؛ لَوْ كَانَ هَذَا [ذَلِكَ] حَقًّا فِي الْإِعْرَابِ  
لَقُلْتُ: ذَلِكَ نَفْسُكَ زَيْدٌ، وَهَذَا خَطَأٌ.

ولا يجوز إلا ذلك نفسه زيد، وكذلك ذاك،  
يشهد أن الكاف لا موضع لها، ولو كان لها موضع لكان  
جراً بالإضافة، والتون لا تدخل مع الإضافة. واللام  
زيدت مع «ذلك» للتوكيد. نقول: ذلك الحق، وهذا  
الحق، ويقبح: هنا لك الحق، لأن اللام قد أكدت مع

الإنتهارة، وكُسرت لالتقاء الساكنين، أعني الألف من  
«ثا»، واللام التي بعدها كان ينبغي أن تكون اللام  
ساكنة، ولكنها كُسرَت لما قلنا. (الأزهرى ١٥ : ٣٤)  
سبحان الله الذي جعلها بمنزلة «الذي» كفعلهم: ماذا  
رأيت؟ فنقول: متاع حسن.

وتجري مع « ما » بمنزلة اسم واحد، كقولهم: ماذا رأيت؟ فنقول: خيراً، بالثصب، كأنه قال: ما رأيت؟ ولو كان « ذا » هاهنا بمنزلة « الذي »، لكان الجواب: خيراً، بالرفع.

(الجهوري ٦: ٢٥٥٢)

الفرءاء: سمعت أعرابياً يقول: بالفضل ذو فضلكم  
الله والكرامة ذات أكرمكم الله بها، فيجعلون مكان  
«الذي» «ذو» ومكان «ألقى» «ذات» ويرضون  
القاء على كل حال.

وَيَخْلُقُونَ فِي الْآثِنِ وَالْجَمْعِ، وَرَبَا قَالُوا: هَذَا  
ذُو يَصْرَفٍ، وَفِي الْكُتَيْبَةِ: هَاتَانِ ذَوَا يَصْرَفٍ وَهَذَانِ

ذوات تعرف.

تقول العرب: والله ما أحسنت بذئ تسلم، معناه:  
والله الذي يسلمك من المرهوب، ولا يقول أحد:  
بأن الذي تسلم.

وأما قول الشاعر:

■ فإن بيت تميم ذو سمعت به ■

فإن «ذو» عا هنا بمعنى «الذي» ولا تكون في  
الرفع والتصب والجزم إلا على لفظ واحد. وليست  
بالصفة التي تُعرب، نحو قولك: مررت برجل ذي مال،  
وهو ذو مال، ورأيت رجلاً ذا مال.

وقول: رأيت ذو جاءك، وذو جاءك، وذو  
جاءوك، وذو جاءك، وذو جئتكم، بلفظ واحد  
للمذكر والمؤنث.

ويمثل للعرب: أتى عليه ذو أتى على الناس، أي  
الذي أتى.

السنة، وفي هذي السنة، ولا يقال: في ذا السنة، وهو خطأ.

ابن الأعرابي: تقول: أتيتك ذات الصبوح، وذات  
المغروق، إذا أتيتك غداة وعشيّة. وأتيتك ذات صباح وذات  
مساء.

وأتيتهم ذات الزمّين، وذات القوم، أي منذ ثلاثة  
أزمان وأعوام.

وذات الشيء: حقيقته وخاصته.

(الأزهري ١٥: ٤٢)

ويقال: ذهبي، والياء لبيان الهاء، شبيهاً بهاء  
الإضمار في يبي وهذي وهما ذهبي وهما ذهبي، هاء في  
الوصل والوقف ساكنة إذا لم تلقها ساكن، فإن لفتها

ومنهم من يشئ ويجمع ويؤث، فيقول: هذان ذوا  
قالا ذلك، وهؤلاء ذوو قالوا ذلك، وهذه ذات قالت.  
[واستشهد بالشعر مرتين] (الأزهري ١٥: ٤٤)

أبو زيد: ويقال: أتى على القوم ذو أتى، أي أتى  
عليهم الموت، وذو أتى، في معنى: الذي أتى.

ويقال: إنه لذويزلاء، إذا كان ذارأي، وكان  
ماضيًا على الأمر.

جاء القوم من ذي أنفسهم، ومن ذات أنفسهم.  
وجاءت المرأة من ذي نفسها، ومن ذات نفسها، إذا  
جاء اطائمين.

يقال: ما كلمت فلاناً ذات شفة، ولا ذات فم، أي  
ثم أكلته كلمة. (الأزهري ١٥: ٤٧)

الأصمعي: العرب تقول: لا أكلّمك في ذي

السنة، وفي هذي السنة، ولا يقال: في ذا السنة، وهو خطأ.  
إِنما يقال: في هذه السنة، وفي هذي السنة، وفي  
ذو السنة. وكذلك لا يقال: أدخل ذا الدار، ولا ألبس  
ذا الجبّة، إِنما الصواب: أدخل ذي الدار، وألبس ذي  
الجبّة.

ولا يكون «ذا» إلا للمذكر. يقال: هذه الدار، وذو  
المرأة.

ويقال: دخلت تلك الدار، وتلك الدار، ولا يقال:  
ذلك الدار. وليس في كلام العرب «ذلك» البتّة.  
والعامّة تُخطئ فيه، فتقول: كيف ذيك المرأة؟  
والصواب: كيف تيك المرأة؟ [ثم استشهد بشعر]

(الأزهري ١٥: ٣٢)

لم يكن يُدِين كسرهما و«هذر» كُلُّها في معنى «ذي» .  
[تم استشهد بشعر] (ابن سيده ١٠: ٩٠)

ابن السكيت: العرب تقول: لا بذي تُسَلِّم ما  
كان كذا وكذا، وللاتين: لا بذي تُسَلِّمان، وللجماعة:  
لا بذي تُسَلِّمون، وللؤث: لا بذي تُسَلِّمين،  
وللجماعة: لا بذي تُسَلِّمن. وللتأويل: لا والله  
يُسَلِّمك ما كان كذا وكذا، لا وسلامتك ما كان كذا  
وكذا. (الأزهري ١٥: ٤٤)

أبو الهيثم: «ذا» اسم كلِّ مَشارٍ إليه، مُعَيَّنٍ بمراء  
المتكلم والمخاطب، والاسم منها الذَّالُّ وحدها،  
مفتوحة.

وقالوا: الذَّالُّ وحدها هو الاسم المشار إليه، وهو  
اسم مبهم لا يعرف ما هو حتى يُقَرَّبَ بعده، كقولك: ذاك  
الرجل، ذا الفرس. فهذا تفسير «ذا» ونصبه وزلفته  
وخفضه سواء.

وجعلوا فتحة الذَّالِّ فرقاً بين التذكير والقائمت،  
كما قالوا: ذا أخوك. وقالوا للأُنثى: ذي أختك،  
فكسروا الذَّالَّ في الأُنثى. وزادوا مع فتحة الذَّالِّ في  
المذكر ألفاً، ومع كسرتها للأُنثى ياءً، كما قالوا: أنت  
وأنت. (الأزهري ١٥: ٣٢)

إذا بُعِدَ المشار إليه من المخاطب، وكان المخاطب  
بعيداً ممن يُشير إليه، زادوا كافاً، فقالوا: ذاك أخوك.  
وهذه الكاف ليست في موضع خفض ولا نصب، إنما  
أشبهت كاف قولك: أخاك وعصاك، فتوهم السامعون  
أن قول القائل: ذاك أخوك، كأنها في موضع خفض  
لأشياءها كاف أخاك. وليس ذلك كذلك، إنما تلك

كاف ضُمَّتْ إلى «ذا» بُعِدَ «ذا» من المخاطب، فلما  
دخل فيها هذا اللبس زادوا فيها لاماً، فقالوا: ذاك  
أخوك، وفي الجماعة: أولئك إخوانك. فلما إذا  
دخلت ذهبت بمعنى الإضافة.

ويقال: هذا أخوك، وهذا أخ لك، وهذا لك أخ،  
فإذا أدخلت اللام فلا إضافة.

وقد أعلمتُك أن الرفع والنصب والخفض في  
قوله: «ذا» سواء. تقول: مررت بهذا. ورأيت ذا، وقام  
ذا، فلا يكون فيها علامة رفع الإعراب ولا خفضه  
ولا نصبه، لأنه غير متعكن. فلما ثبوا زادوا في التنبيه  
نوياً فأبقوا الألف، فقالوا: ذان أخوك، وذانك أخوك،

قال الله تعالى: ﴿فَذَانِكَا يُرْتَفَعَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ انقص  
ومن العرب من يشتد هذه الثوب فيقول: ذانك  
أخوك. فلو كان الذين يزيدون اللام في «ذاك» فيقولون:  
ذلك، فجعلوا هذه التشديد بدل اللام.

(الأزهري ١٥: ٣٣)  
«ها»، «ألا» حرفان يفتتح بهما الكلام، لا معنى  
لهما إلا افتتاح الكلام بهما، تقول: هذا أخوك، فـ«ها»  
تنبيه، و«ذا» اسم المشار إليه، و«أخوك» هو الخبر.  
وقال بعضهم: «ها» تنبيه تفتح العرب الكلام به،  
بلا معنى سوى الافتتاح: ها إن ذا أخوك، وألا إن ذا  
أخوك، وإذا ثبوا الاسم المبهم قالوا: تان أخاك،  
وهاتان أخاك، فرجعوا إلى «تا» فلما جمعوا قالوا:  
أولاء إخوانك، وأولاء أخواتك، ولم يفرقوا بين الأُنثى  
والذكر بعلامة.

تُضاف إلى الفعل «ذو» في قولك: افعل كذا  
بذي ثلثم، وافعل به بذي ثلثان، معناه: بالذي  
يُثلّمك. (الأزهري ١٥: ٤٤)  
الأزهري: قالوا في تصغير هذا: ذئبا، مثل تصغير  
«ذا»، لأن «ها» تبيه، و«ذا» إشارة وصلة ومثال  
لاسم من تشير إليه.

قالوا: وتصغير ذلك: ذئبا، وإن شئت: ذئبالك.  
فمن قال: «ذئبا» زعم أن اللام ليست بأصلية، لأن  
معنى ذلك: ذاك، والكاف كاف المخاطب. من قال:  
ذئبالك، صغر على اللفظ. (١٥: ٣٧)  
وقال غيره [أبو زيد]: جاء فلان من أئمة نفسه،  
بهذا المعنى.

والعرب تقول: لا هالقه ذا، بنير ألف في القسم.  
والعامة تقول: لا الله إذا، وإنما المعنى: لا والله هذا ما  
أقسم به من أني فعل اسم الله بين «ها» و«ذا».  
وتقول العرب: وضعت المرأة ذات بطنها، إذا  
ولدت. والذئب مغبوط بذي بطنه، أي بجمعه، والقسى  
الرجل ذا بطنه، إذا أحدث.

ويقال: أئمتنا ذائمتن، أي أئمتنا اللتين.  
وسمعت غير واحد من العرب يقول: كئنا بموضع  
كنا وكنا مع ذي عمرو، وكان ذو عمرو بالصَّحَّان، أي  
كنا مع عمرو، ومعنا عمرو. و«ذو» كالأصل عندهم،  
وكذلك «ذوي»، وهو كثير في كلام قيس، ومن  
جاورهم.

و«ذا» يوصل به الكلام.  
ويقال: لا ذا جرم، ولا من ذا جرم، أي لا أعلم ذلك

و«أولاء» ممدودة مقصورة، اسم لجماعة: ذا،  
وذه، ثم زاءوا «ها» مع أولاء، فقالوا: هؤلاء إخوتك.  
(الأزهري ١٥: ٣٥)  
يقال في تأنيث «هذا»: هذه منطقة، فيصلون بها  
بالهاء.

وقال بعضهم: هذي منطقة، وفي منطقة، وتا  
منطقة.  
وقال بعضهم: هذات منطقة، وهي شاذة،  
مرغوب عنها. [واستشهد بالشعر مرتين]

(الأزهري ١٥: ٣٦)  
الجرّد: «ذا» يكون بمعنى هذا، ومنه قوله تعالى:  
«مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» البقرة: ٢٥٥.  
ويعني «الذي».

ويقال: هذا ذو صلاح، ورأيت هذا ذا صلاح،  
ومررت بهذا ذي صلاح، ومعناه كله: صاحب صلاح.  
مثله تُغَلَّب. (الأزهري ١٥: ٣٢)  
ذي، معناه: ذه، يقال: ذا عبد الله، وذي أمة لله، وذه  
أمة لله، ونه أمة الله، وتا أمة لله.

ويقال: هذي هند، وهاته هند، وهاتا هند، على  
زيادة «ها» التثنية.

وإذا صغرت «ذه» قلت: ذئبا، تصغير «ته» أو  
«تا». ولا تصغر «ذه» على لفظها، لأنك إذا صغرت  
«ذا» قلت: «ذئبا»، ولو صغرت «ذه» قلت: «ذئبا»،  
فالتبس المذكّر، فصغروا ما يخالف فيه المؤنث المذكّر.  
والمبهمات يخالف تصغيرها تصغير سائر الأسماء.  
(الأزهري ١٥: ٣٣)

هاهنا، كقولهم: لاها الله ذا، أي لأفعل ذلك.

وتقول: لا والذي لا إله إلا هو، فإنها تملأ الفم

وتقطع الدم لأفعلن ذلك.

وتقول: لا وعهد الله وعقده لأفصل ذلك.

[واستشهد بالشعر ٣ مرّات] (٤٦: ١٥)

الصاحب: [نحو الخليل وأضاف:]

ولقيته ذا صباح وذات صباح.

وحرّفه من ذات نفسه: يعني سريره المضمر.

وتقول: لقيته أول ذات يدين، أي أول إنسان.

«أثنا ذا يمين، أي اليمن، و«ذا» زائدة، ولا ذا جرّم

مثله، تقديره: لا جرّم.

ويقولون: لا بهذي نسلم، كأنه قال له: الفعل كذا

فقلت: لا بسلامتك، تفسيره: لا نقته وتدعولي، أي

سألت.

وذا: ناقصة، تمامها: ذوات، وتصغيرها: ذوات.

ويقال من الأول ثلاثين: لا بهذي نسلمان

وللجمع: لا بهذي نسلمون أي لا بالذي يسلمك.

فأما «ذا وذه» في: هذا وهذه، فاسمان مكتبان،

وليس فيهما من نفس البناء غير الدال، وتصغيرها:

ذبا.

ويقولون: هذا ذو قال ذاك لا يثنى ولا يجمع.

بمعنى: الذي.

وسميت ذاهية، أي كلامه، وذات فيه.

ووضع المرأة ذات بطنها أي حملها.

ورمى بهذي بطنه، أي بغيرته. وقيل: قتيته.

وجاء القوم من ذي أنفسهم ومن ذات أنفسهم.

أي من ههنا ورأيها إذا جاؤوا طائعين.

وقلت ذات يده، أي يملكه.

وجعل الله ما بيننا في ذاته، أي في سبيله ومرضاته.

وكان من الأمر ذيا وذياء بالمد، وذية وذية

وذية، وذيت وذيت، ويكسران بمعنى: كثت وكثت.

(١١٦: ١٠)

ابن جني: أسماء الإشارة نحو: هذا وهذه لا يصح

ثنية شيء منها، من قبل أن الثنية لا تلحق إلا التكرار،

لما لا يجوز تكثيره، فهو بأن لا تصح ثنيته أجدر.

فأسماء الإشارة لا يجوز أن تكسر، ولا يجوز أن يثنى

شيء منها.

الآراء بعد الثنية على حد ما كانت عليه قبل

الثنية: وذلك نحو قولك: هذان الزيدان قائمتان،

فذهب قائمتان بمعنى الفعل الذي دلت عليه الإشارة

والثنية: فها كنت تقول في الواحد: هذان يد قائمتا

فجدد الحال واحدة قبل الثنية وبهذه.

(ابن سيده ١٠: ٩٠)

فأما قولهم: هذان وهاتان وفذاتك، فأما ثقلت في

هذه الموضح، لأنهم عوضوا بتثنيها من حرف

محذوف، أما في «هذان» فهي عوض من ألف «ذا»

وهي في ذاك عوض من لام «ذلك».

(ابن سيده ١٠: ٩١)

الجوهري: «ذا» اسم يشار به إلى المذكر، و«ذي»

بكسر الدال للمؤنث، تقول: ذي أمّة الله.

فإن وقفت عليه قلت: ذه جاء موقوفة. وهي بدل

من الهاء، وليست لثلاثين. وإنما هي صلة، كما

أبدلوا في هُتَيْة فقالوا: هُتَيْة.

فإن أدخلت عليه «ها» للتثنية قلت: هذا زيد، وهذه أمة الله، وهذه أيضًا بتحريك الهاء. وقد اكتفوا به عنه.

فإن صُغِرَت «ذا» قلت: ذُنْيًا بالفتح والتشديد، لأنك تقلب ألف «ذا» ياءً لمكان الياء قبلها، فتدغمها في الثانية، وتزيد في آخره ألفًا لتقرئ بين المبتهم والمُعرَّب. وذُنْيان في التثنية. وتُصغِرُ هذا: هُتَيْيًا.

ولا يُصغِرُ «ذي» للمؤنث. وإنما يُصغِرُ «تا». وقد اكتفوا به عنه.

وإن تُثِمَّت «ذا» قلت: ذان، لأنه لا يصح اجتماعهما، لسكونهما فتسقط إحدى الألفين، فمن أسقط ألف «ذا» قرأ (إن هذين لساحران) فأعرَّب. ومن أسقط ألف التثنية قرأ (إن هذان لساحران) طه: ٦٣. لأن ألف «ذا» لا يقع فيها إعراب. وقد قيل: إلهما على لغة بلخارت بن كعب.

والجمع: أولاء من غير لفظه. فإن خاطبت جنسًا بالكاف، فقلت: ذاك وذاك، فاللام زائدة والكاف للخطاب. وفيها دليل على أن ما يُعرَّب إلى ياء بعد، ولا موضع لها من الإعراب.

وتُدخِلُ «ها» على ذاك، فتقول: هُتَيْيًا زيد، ولا تُدخِلُها على «ذلك» ولا على «أولئك»، كما لم تدخلها على «تلك». ولا تُدخِلُ الكاف على «ذي» للمؤنث، وإنما تُدخِلُها على «تا». تقول: تيك وتلك. ولا تقل: ذيك، فإنه خطأ.

وتقول في التثنية: رأيت ذَيْنِكَ الرجلين، وجاءني

ذائك الرجلان. وربما قالوا: ذائك بالتشديد، وإنما شدّدوا تأكيدًا وتكثيرًا للاسم، لأنه بقي على حرف واحد، كما أدخلوا اللام على ذلك. وإنما يفعلون مثل هذا في الأسماء المبهمة لنقصاتها.

وتقول للمؤنث: تانك، وتلك أيضًا بالتشديد، والجمع: أولئك. وحكم الكاف قد ذكرناه في «تا». وتُصغِرُ ذا: ذُنْيًا، وتُصغِرُ ذلك: ذُنْيًا.

وإنما «ذو» الذي بمعنى صاحب، فلا يكون إلا مضافًا. فإن وصفت به نكرة أضفته إلى نكرة، وإن وصفت به معرفة أضفته إلى الألف واللام. ولا يجوز أن تُضِيفَهُ إلى مضمَر ولا إلى زيد وما أشبهه. تقول: مررت برجل ذي مال، وبامرأة ذات مال، وبرجلين ذوي مال يفتح الولا. كما قال تعالى: ﴿وَاشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾. وبرجال ذوي مال بالكسر، وينسوبة ذوات مال من الذوات الجسام، فتحسر القاء في الجمع في موضع التصب، كما نكسر تاء المسلمات. تقول: رأيت ذوات مال، لأن أصلها هاء، لأنك لو وقفت عليها في الواحد قللت: ذاة بالهاء. ونكتها لما وصلت بما بعدها صارت تاء.

وأصل «ذو»: ذَوِي مثل عصا، يدل على ذلك قولهم: هاتان ذواتا مال، قال تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْتَانٍ﴾ في التثنية. ونرى أن الألف منقلبة من واو<sup>(١)</sup>، ثم حُذِفَتْ من ذَوِي عين الفعل لكرههم اجتماع الواوين، لأنه كان يلزم في التثنية: ذَوِيان مثل عُصَوَان، فبقي «ذا»

(١) قال ابن بري: صوابه منقلبة من ياء.



منوثة، ثم ذهب التنوين للإضافة في قولك: ذو مال. والإضافة لازمة له، كما تقول: فُوزٌ زيدٌ وفازٌ زيدٌ، فإذا أفرّدت قلت: هذا فمٌ.

فلو سميت رجلاً «ذو» لقلت: هذا ذوي فدا قبل، فترد ما ذهب، لأنه لا يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين، لأن التنوين يذهب، فيبقى على حرف واحد.

ولو نسبته إليه قلت: ذوي، مثال عصوي. وكذلك إذا نسبت إلى ذات، لأن القاء تُعذف في النسبة، فكأنك أضفت إلى ذي لرددت الواو. ولو جمعت ذو مال قلت: هؤلاء ذوون، لأن الإضافة قد زالت.

وأما «ذو» التي في لغة طين بمعنى «الذي» فتحذفها أن توصف بها المصارف. تقول: أنا ذو عرقب وذو سميت، وهذه المرأة ذو قالت كذا، يستوي هذا التثنية والجمع والتأنيث.

وأما قولهم: ذات مرة وذو صباح، فهو من ظروف الزمان التي لا تتمكن. تقول: لقيته ذات يوم وذات ليلة، وذات غداة وذات العشاء، وذات مرة وذات الزمان وذات العوئم، وذو صباح وذو مساء وذو صبح وذو غروب، فهذه الأربعة بغير هاء، وإنما سُمع في هذه الأوقات، ولم يقولوا: ذات شهر ولا ذات سنة.

وقولهم: كان ذيت وذيت، مثل كيت وكيت، أصله: ذيو على «فعل» ساكنة العين، فحذفت الواو فبقي على حرفين، فشدد كما شدد «كي» إذا جعلته اسماً، ثم عوض من التشديد القاء.

فإن حذفت القاء وجئت باهاء فلا بد من أن ترد التشديد. تقول: كان ذيت وذيت، وإن نسبته إليه قلت: ذوي، كما تقول: بتوي، في النسبة إلى البنت، [واستشهد بالشعر ٤ مرات] (٦: ٢٥٥٠)

ابن سيده: «ذا» إشارة إلى المذكر، يقال: ذا وذلك. وقد أراد اللام، فيقال: ذلك

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ البقرة: ٢. قال الزجاج: معناه هذا الكتاب، وقد تدخل على «ذا» «ها» التي للتثنية، فيقال: هذا. قال أبو علي: وأصله: ذي، فأبدلوا ياء ألفاً وإن كانت ساكنة، ولم يقولوا: ذي لتثنية «كي» و«أي» فأبدلوا ياء ألفاً ليلحق بها «مى» و«إذا» ويخرج من شبه الحرف بعض الخروج.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ لَكَ﴾ طه: ٦٦ قال الفراء: أراد ياء التصب، ثم حذفت لسكونها وسكون الألف قبلها، وليس ذلك بالقوي، وذلك أن الياء هي الطارئة على الألف، فيجب أن تُحذف الألف لمكانها.

وقد استعملت «ذا» مكان «الذي» كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغُسُو﴾ البقرة: ٢١٩، أي ما الذي ينفقون، فيمن رفع الجواب، فرفع (الغُسُو) يدل على أن (ما) مرفوعة بالابتداء و(ذا) خبرها و(يُنْفِقُونَ) صلة (ذا) وأنه ليس (ما) و(ذا) جميعاً كالشيء الواحد. هذا الوجه عند سيبويه وإن كان قد أجاز الوجه الآخر مع الرفع.

وذي للمؤنث، وفيه لغات: ذي وذو، الهاء بدل

التثنية وثنائهم بها، أعني أن تخرج على صورة واحدة لثلاث مختلف، وأتسم بها أشد عناية منهم بالجمع، فلذلك لما صيغت للتثنية أسماء مختصرة غير مثناة على الحقيقة، كانت على ألفاظ المثناة تثنية حقيقية، وذلك لأن وتان.

وقالوا: كان من الأمر ذئبة وذئبة بتشديد الياء وبالهاء، وذئب وذئب بتخفيف الياء وإبدال التاء من الياء الثانية؛ ولذلك كتبت في التخفيف بالتاء، لأنها كانت حينئذ ملحقة بـ «ذغدة» وإبدال التاء من الياء قليل، إنما جاء في قولهم: كُتِبَ وكُتِبَتْ، وفي قولهم: ثَنان، قال: والقول فهما كالقول في كُتِبَ وكُتِبَتْ، وقد تقدم.

«ذو» كلمة صيغت لتوصل بها إلى الوصف بالاجتناس، ومعناها: صاحب، أصلها: ذَوِي، ولذلك إذا سمي بها المخلوق سمي به قال: هذا ذَوِي قد جاء، والتثنية: ذَوَان، والجمع: ذَوُون.

والذَوُون: الأملاك الملقَّبون بذو كذا، كقولك ذو بَرْن، وذو رُغَيْن، وذو فائِش.

والأُنثى: ذات، والتثنية: ذَوَاتَا، والجمع: ذَوَات. وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الأنفال: ١، قال الزجاج: معناه أصلحوا حقيقة وصلكم، أي اتقوا الله، وكونوا مجتمعين على أمر الله ورسوله. وقولهم: اللهم أصلح ذات البين أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون.

والإضافة إليها: ذَوِي، ولا يجوز في ذات: ذاتي، لأن ياء التسبب معاقبة لهاء التانيث.

من الياء. الدليل على ذلك قولهم في تحقير «ذا»: ذَبَا. و«ذي» إنما هي تانيث «ذا» ومن لفظه، وكما لا تجد الهاء في المذكر أصلاً فكذلك هي أيضاً في المؤنث بدل غير أصل.

وليست «الهاء» في «هذه» وإن استئيد منها للتانيث - بمنزلة «هاء» طلحة وحمزة، لأن «الهاء» في طلحة وحمزة زائدة، إنما هي بدل من الياء التي هي عين الفعل في «هذي» وأيضاً فإن الهاء في حمزة تجدها في الوصل تاءً، والهاء في «هذه» ثابتة في الوصل ثباتها في الوقف، [ونقل قول ابن جني ثم قال:]

فإنما صح ذلك فينبغي أن نعلم أن هذان وهاتان، إنما هي أسماء موضوعة للتثنية مختصرة لها، وليست تثنية للواحد على حد زيد وزيدان، إلا أنها صيغت على صورة ما هو مشي على الحقيقة، فقول: هذان وهاتان، لثلاث مختلف التثنية؛ وذلك أنهم يحافظون عليها ما لا يحافظون على الجمع.

الآن ترى أنك تجد في الأسماء المتمكنة ألفاظ المجموع من غير ألفاظ الآحاد، وذلك نحو: رجل ونفر وامرأة ونسوة وبغير وإبل وواحد وجماعة، لا تجد في التثنية شيئاً من هذا، إنما هي من لفظ الواحد، نحو: زيد وزيدان ورجل ورجلان لا يختلف ذلك.

وكذلك أيضاً كثير من المبتدئات على أنها أحق بذلك من المتمكنة، وذلك نحو: ذا وألاء وذات وأولى وآلات وذو وألوان، ولا تجد ذلك في تنيتها، نحو: ذا وذان وذو وذوان، فهذا يدل على محافظتهم على

قال ابن جني: وروى أحمد بن إبراهيم أستاذ  
تقلب عن العرب: هذا ذو زيد، ومعناه: هذا زيد، أي  
هذا صاحب هذا الاسم الذي هو زيد.

ولقيته أول ذي يدين وذات يدين، أي أول  
شيء.

وكذلك أفعله أول ذي يدين وذات يدين.

وقالوا: أما أول ذات يدين فإني أحمد الله.

وقولهم: رأيت ذامال، ضارعت فيه الإضافة  
الثانيت، فجاء الاسم المتعكن على حرفين، ثانيهما  
حرف لين، لما أبن عليه التثوين بالإضافة، كما  
قالوا: ليت شعري، وإما الأصل: شعري، قالوا:  
شعرت به شعرة، فعذف القاء لأجل الإضافة، ليما  
أمن عليه التثوين.

وتكون «ذو» بمعنى «الذي» متصلاً بمتصل بها  
إلى وصف المعارف بالجمل، فتكون ناقصة لا يظهر فيها  
إعراب، كما لا يظهر في «الذي» ولا يثنى ولا يجمع،  
فتقول: أتاني ذو قال ذلك، وذو قال ذلك، وذو قالوا  
ذلك.

وقالوا: لأفضل ذلك بذي تسلم وبذي تسلمان  
وبذي تسلمون وبذي تسلمين وبذي تسلمن، وهو  
كالمثل أضيفت فيه «ذو» إلى الجملة، كما أضيفت  
إليها أسماء الزمان، والمعنى: لا وسلا متلك ولا والذي  
تسلمه.

ويقال: جاء من ذي نفسه ومن ذات نفسه، أي  
طبعاً. [واستشهد بالشعر: امرأت] (١٠: ٨٩)  
الراغب: «ذو» على وجهين:

أحدهما: يتوصل به إلى الوصف بأسماء الأجناس  
والأنواع، ويضاف إلى الظاهر دون المضمرة، ويثنى  
ويجمع، ويقال في المؤنث: ذات، وفي التثنية: ذواتا،  
وفي الجمع: ذوات، ولا يستعمل شيء منها إلا مضافاً،  
قال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ﴾ البقرة: ٢٥١، وقال:  
﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ النجم: ٦، ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾  
البقرة: ٨٣، ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ هود: ٣،  
﴿ذُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ البقرة: ١٧٧، ﴿إِلَهُ عَلَيْهِمْ  
بَدَأَ الصُّدُورَ﴾ الأنفال: ٤٣، ﴿وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ  
وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ الكهف: ١٨، ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ  
الشُّوْكَهْ يُكُونَ لَكُمْ﴾ الأنفال: ٧، وقال: ﴿ذَوَاتَا  
أَلْفَانَ﴾ الرحمن: ٤٨.

وقد استعار أصحاب المعاني «الذات» فجمعوها  
عبارة عن عين الشيء، جوهرًا كان أو عرضًا،  
واستعملوها مفردة ومضافة إلى المضمرة بالالف  
واللام، وأجروها مجرى النفس والخاصة، فقالوا:  
ذاته، ونفسه وخاصته، وليس ذلك من كلام العرب.  
والثاني: في لفظ «ذو» لغة نظهي، يستعملونه  
استعمال «الذي» ويجعل في الرفع والتصب والجرة  
والجمع، والثانيت على لفظ واحد، نحو:  
● وبني ذو حفرت وذو طويت ■

أي التي حفرت والتي طويت.

وأما «ذا» في «هذا» فإشارة إلى شيء محسوس،  
أو معقول. ويقال في المؤنث: ذه وذوي وتا، فيقال: هذه  
وهذي، وهاتا، ولا تثنى متين إلا هاتا، فيقال: هاتان.  
قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كُرِّهْتَ عَلَىٰ﴾

الزَّمْعَشْرِي: عُودُ ذَاوٍ، وَهَيْدَانُ ذَاوِيَّةَ، وَقَدْ  
ذَوِيَ الْقُودُ وَالْبَقْلُ: يَيْسُ.

و طَعْنَهُ فَخَرَجَ ذُو بَطْنِهِ وَذَاتُ بَطْنِهِ وَهَنَاتُ بَطْنِهِ،  
أَيِ أَمْعَاؤُهُ.

و ذُو بَطْنٍ غَلَاةٌ جَارِيَةٌ، أَيِ جَنِينُهَا.

و وَضَعَتْ ذَا بَطْنُهَا.

و أَحَالُ الضَّبِّ وَالْكَلْبِ عَلَى ذِي بَطْنِهِ، إِذَا رَجَعَ  
عَلَى قَبْلِهِ فَأَكَلَهُ.

و الذَّوُونُ: وَهُمْ مَلُوكُ الْيَمَنِ الَّذِينَ أَسْمَاؤُهُمْ: ذُو  
رُعَيْنَ، وَذُو كَلَّاحٍ، وَذُو بَرْزَنَ.

و سَمِعْتُ ذَا قَبْلِهِ، أَيِ كَلَامِهِ، وَذَاتُ قَبْلِهِ، أَيِ كَلِمَتِهِ.

و يَجَاوِزُوا مِنْ ذِي أَنْفُسِهِمْ وَذَاتُ أَنْفُسِهِمْ: طَائِعِينَ.

و جَاءَتْ مِنْ ذِي نَفْسِهَا وَذَاتُ نَفْسِهَا: طَائِعَةٌ.

و لَقَبَتْهُ ذَا صِيَاغٍ وَذَاتُ يَوْمٍ وَذَاتُ لَيْلَةٍ.

و أَجْلَا ذَاتُ الصُّوْتِ وَذَاتُ الزَّمِينِ. وَ أَصْلَحَ اللَّهُ  
ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَهُوَ قَلِيلُ ذَاتِ الْهَدَى.

و لَقَبَتْهُ أَوَّلُ ذَاتُ يَمْدِينِ. وَ جَلَسَ ذَاتُ الْيَمِينِ

وَ ذَاتُ الشَّمَالِ. وَ أَتَيْنَا ذَاتَيْنِ، وَهُوَ الْيَمَنِ.

وَ لَا يَذِي تَسْلَمَ مَا كَانَ كَذَا. وَ أَذْهَبَ يَذِي تَسْلَمَ،

وَ أَذْهَبَا يَذِي تَسْلَمَانَ، وَ أَذْهَبُوا يَذِي تَسْلَمُونَ  
وَ كَذَلِكَ الْمُؤَثَّثُ.

وَ مِنْ الْجَبَازِ: قَوْلُكَ لِلشَّيْخِ: ذَوِي عُودِهِ وَخَوِي  
عُودِهِ.

و يُقَالُ: كَانَ ذَلِكَ كَذَا وَكَلَا، أَيِ قَلِيلًا مِثْلَ هَذِهِ

الْكَلِمَةِ. [وَ اسْتَشْهَدَ بِالشَّعْرِ ٣ مَرَّاتٍ]

(أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ١٤٧)

الْإِسْرَاءُ: ٦٢، ﴿هَذَا مَا عُودُونَ﴾ ص: ٥٣، ﴿هَذَا

الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَفْجِلُونَ﴾ الذَّارِيَاتُ: ١٤، ﴿إِنَّ هَذَا

لَسَاحِرٌ أِنٌّ﴾ طه: ٦٣، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ﴿هَذِهِ السَّارَاتُ الَّتِي

كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ الطُّور: ١٤، ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي

يُكَذِّبُ بِهَا الْمُفْرِمُونَ﴾ الرَّحْمَنُ: ٤٣.

و يُقَالُ بِإِزَاءِ هَذَا فِي الْمُسْتَعْبَدِ بِالشَّخْصِ أَوْ

بِالْمَنْزِلَةِ: «ذَاكَ» وَ «ذَلِكَ» قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمَ﴾ ذَلِكَ

الْكِتَابُ﴾ الْبَقَرَةُ: ٢، ١، ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾

الْكَهْفُ: ١٧، ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾

الْأَنْعَامُ: ١٣٦، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

و قَوْلُهُمْ: «مَاذَا» يُتَعَمَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ «مَا» مَعَ «ذَا» بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ  
وَاحِدٍ.

و الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ «ذَا» بِمَنْزِلَةِ «الَّذِي». فَالْأَوَّلُ

لِخَوْفِ قَوْلِهِمْ: عَمَّاذَا تَسْأَلُ؟ فَلَمْ تُعْذَفْ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ

لَمْ يَكُنْ مَا يَنْفُسُهُ لِلْإِسْطِهَامِ، بَلْ كَانَ مَعَ «ذَا» اسْمًا

وَاحِدًا، وَعَلَى هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

❖ دَعِيَ مَاذَا عَلِمْتَ مَا كَتَبَهُ ❖

أَيِ دَعِيَ شَيْئًا عَلِمْتَهُ.

و قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ الْبَقَرَةُ:

٢١٩، فَإِنْ مِنْ قَرَأَ ﴿قُلِ الْفَقْرُ﴾ بِالتَّصْبِ، فَإِنَّهُ جَعَلَ

الْأَسْمِينَ بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ وَاحِدٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَيِ شَيْءٍ يَنْفِقُونَ؟

و مِنْ قَرَأَ ﴿قُلِ الْفَقْرُ﴾ بِالرَّفْعِ، فَإِنْ (ذَا) بِمَنْزِلَةِ «الَّذِي»،

وَ (مَا) لِلْإِسْطِهَامِ، أَيِ مَا الَّذِي يَنْفِقُونَ؟ وَعَلَى هَذَا

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

التَّحَلُّ: ٢٤. (١٨٢)

في الحديث في صفة المهدي: «قُرشيَّ يمانٍ ليس من ذي ولاذو» أي ليس من نسب الأذواء، وهم ملوك جُمُهر المُسَوَّن بذي فائش، وذو رُعَيْن، وذو يزن. وهذه الكلمة عينها «واو» ويشهد بذلك الأذواء والذوون. وقياس لامها أن تكون ياء، لأنَّ باب طَوَى أكثر من باب قَوَى. ووزنها «فعل» لقولهم: ذواتا.

(الفائش ٢: ١٩)

ابن الحاجب: أسماء الإشارة: ما وُضِع لمشار إليه، وهي «ذا» للمذكر، ولتاء: ذان وذَيْن، ولل مؤنث: تا وذِي وتِي وذُو وذِيَّة وتِيَّة وذِيَّة وذِيَّة، وتان وتَيْن، ولجميعهما: أولاء، مَدَّأَوْ قَصَرًا. وبلغتها حرف التنبيه، ويتصل بها حرف الخطاب.

ويقال: «ذا» للقريب، و«ذلك» للبعد، و«ذاك» للمتوسط.

الفهومي: «ذا»: لامة ياء محذوفة، وأصلها: ذاء، وهو الأقيس، لأنَّ باب طَوَى أكثر من باب حَبِي، ووزنه في الأصل: ذَوَى وزان سَبَب.

وَيَكُون بمعنى صاحب، فيُغَرَّب بالواو والألف والياء.

ولا يُسْتَعْمَل إلا مضافًا إلى اسم جنس، فيقال: ذُو علم، وذُو مال، وذُو علم وذُو علم، وذات مال وذوات مال.

فإن دَلَّت على الوصفية، نحو: ذات جمال وذات حُسْن كُنَّيت بالياء، لأنها اسم، والاسم لا تلحقه الهاء الفارقة بين المذكر والمؤنث، وجاز بالهاء، لأنَّ فيها

معنى الصفة فأشبه المشتقات، نحو قائمة.

وقد تَجَمَّل اسمًا مستقلًا فَيُعَبَّر بها عن الأجسام، فيقال: ذات الشيء، بمعنى حقيقته وماهيته. وأما قولهم: في ذات الله، فهو مثل: قولهم في جنب الله، ولوجه الله.

وأنكر بعضهم أن يكون ذلك في الكلام القديم، ولأجل ذلك قال ابن برهان من التحفة: قول المتكلمين: ذات الله جهل، لأنَّ أسماء لا تلحقها تاء التأنيث، فلا يقال: علامة وإن كان أعلم العالمين.

قال: وقولهم: الصفات الذاتية خطأ أيضًا، فإنَّ النسبة إلى ذات: ذَوَى، لأنَّ النسبة تَرُدُّ الاسم إلى أصله.

وما قاله ابن برهان فيما إذا كانت بمعنى الصاحبة والوصف مُكَلِّم، والكلام فيما إذا قُطِعَتْ عن هذا المعنى وانكسخت في غيره بمعنى الاسم، نحو: «عَلِيمٌ بذات الصدور» آل عمران: ١٦٩، والمعنى: علیم بنفس الصدور، أي ببواطنها وخفياها. وقد صار استعمالها بمعنى نفس الشيء عُرفًا مشهورًا، حتَّى قال الناس: ذات مُمَيَّزَة وذات مُخَدَّعة.

ونسبوا إليها على لفظها من غير تضيير، فقالوا: غَيْبٌ ذاتيٌّ، بمعنى جبليٍّ وخليقيٍّ. وحكى الطبرزي عن بعض الأئمة: كلُّ شيء ذاتٌ وكلُّ ذات شيء، وحكى عن صاحب «التكملة» جعل الله ما بيننا في ذاته.

وحكى ابن فارس في «متخیر الألفاظ»، قوله: فنعم ابن عم القوم في ذات ماله

إذا كان بعض القوم في ماله كلبًا

أي فنعم فعله في نفس مائه من الجود والكرم إذا  
بجمل غيره.

وقال أبو زيد: لقيته أول ذات يدتين، أي أول كل  
شيء.

وأما أول ذات يدتين فلأي أحمد الله، أي أول كل  
شيء.

وقال: الحجة في قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ﴾ آل عمران: ١١٩، ذات الشيء: نفسه،  
و﴿الصدور﴾ يكتسبها عن القلوب. وقال: أيضا في  
سورة السجدة: ونفس الشيء وذاته وعينه، هؤلاء  
وصف له.

وقال المهدي في التفسير: النفس في اللغة على  
معان: نفس الحيوان وذات الشيء الذي يفتقر عنه  
فجعل نفس الشيء وذات الشيء مترادفين.

وإذا نقل هذا فالكلمة عربية، ولا التفت إلى من  
أذكر كونها من العربية، فإنها في القرآن وهو أفصح  
الكلام العربي: [واستشهد بالشر مرمين] (١: ٢١١)  
الفيروز آبادي: «ذات»: إشارة إلى المذكور، تقول:  
ذا وذاك، وتزاد لامًا، فيقال: ذلك، أو همزة، فيقال:  
ذالك. ويصغر فيقال: ذياك وذيالك. وقد تدخل «ها»  
التنبيه على «ذا» و«ذي» و«ذو» للمؤنث.

«ذو» معناها: صاحب، كلمة صيغت ليتوصل بها  
إلى الوصف بالأجناس، جمعه: ذوون.

وهي ذات وهما ذاتان، جمعه: ذوات.  
و﴿ذَاتُ بَيْنِكُمْ﴾ الأنفال: ١، أي حقيقة وصلكم،  
أو ذات البين: الحال التي بها يجتمع المسلمون.

وهذا ذو زيد أي هذا صاحب هذا الاسم.  
وجاء من ذي نفسه ومن ذات نفسه، أي طبقا.  
ويكون «ذو» بمعنى «الذي» تصاغ ليتوصل بها  
إلى وصف المعارف بالجمل، فتكون ناقصة لا يظهر فيها  
إعراب، كما في «الذي».

ولا تشي ولا تجمّع، تقول: أتاني ذو قال ذلك.  
ولا أفضل ذلك بذني تشم وبذني تشلمان،  
والمعنى لا وسلامتك، أو لا والذي يسلمك. (٤: ٤١١)  
«ذا» إشارة إلى المذكور، تقول: ذا وذاك، وتزاد  
لامًا فيقال: ذاك، أو همزة فيقال: ذالك، وتصغر فيقال:  
ذياك وذيالك.

وقد تدخل «ها» التنبيه على «ذا» فيقال: هذا.  
وتقول في المؤنث: ذات. وفي التنبيه: ذواتها، وفي  
الجمع: ذوات.

و﴿ذَاتُ بَيْنِكُمْ﴾ أي حقيقة وصلكم، وقيل: ذات  
البين: الحال التي يجتمع بها المسلمون.  
و«ذو»، على وجهين:

أحدهما: ما يتوصل به الوصف بأسماء الأجناس  
والأنواع، ويضاف إلى الظاهرة دون المضمرة، ويكتسب  
ويجمع.

والثاني: لفة طية يستعملونها استعمال «الذي».  
ويجمل المرفع والتصب والجرو والجمع والتأنيث  
على لفظ واحد، نحو قوله:

■ وبني ذو حقرت وذو طويت ■

أي التي حقرت.

وأما «ذا» في «هذا» فإشارة إلى شيء محسوس



وَمَا وَرَدَ فِي الْمَعْجَمِ:

التَّحْوِ الْوَالِي:

قَالَ الْمَهْدَوِيُّ فِي التَّفْسِيرِ: النَّفْسُ فِي اللَّفْظِ عَلَى مَعْنَى نَفْسِ الْحَيَوَانِ، وَذَاتُ الشَّيْءِ الَّذِي يُخْبَرُ عَنْهُ، لِجَعْلِ نَفْسِ الشَّيْءِ «ذَاتُ الشَّيْءِ» مُتْرَادِفِينَ.

وَقَالَ ابْنُ بَرِّي وَاللَّسَانُ: ذَاتُ الشَّيْءِ: حَقِيقَتُهُ وَخَاصَّتُهُ.

وَقَالَ اللَّسَانُ وَالْقَاجُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»: عَرَفَهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ، كَأَنَّهُ يَمْنِي سِرْمَتَهُ الْمَضْمُونَةَ.

وَجَاءَ فِي الْمَصْبَاحِ: ذَاتُ الشَّيْءِ، بِمَعْنَى حَقِيقَتِهِ وَمَاهِيَّتِهِ، «وَعَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّنُوفِ» آلُ عَصْرَانَ:

١١٩ أَيِ بِيَوَاطِنِهَا وَخَفَاتِهَا. وَقَدْ صَارَ اسْتِعْمَالُ «ذَاتِ» بِمَعْنَى نَفْسِ الشَّيْءِ عَرَفًا مَشْهُورًا، وَنَسَبُوا إِلَيْهَا عَلَى لَفْظِهَا مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ، فَصَالُوا: عَيْبٌ بَنِي:

بِمَعْنَى جَبَلِيٍّ وَخِلْفِيٍّ. وَحَكَى الطَّرِيزِيُّ عَنْ مَنْ عَمِلَ الْأَكْسَةَ: كُلُّ شَيْءٍ ذَاتٌ وَكُلُّ ذَاتٍ شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَ الْمَصْبَاحُ: ذَاتُ الشَّيْءِ: نَفْسُهُ.

وَقَالَ الْقَامُوسُ: جَاءَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ: جَاءَ طَائِعًا. وَنَقَلَ الْقَاجُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» عَنِ اللَّيْثِ: قُلْتُ ذَاتَ يَدِهِ: مَا مَلَكَتْ يَدَاهُ، كَأَنَّهُا تَصْعَقُ عَلَى الْأَمْوَالِ.

وَقَالَ مَدَّ الْقَامُوسُ: الذَّاتُ كَالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ وَكَلِمَةُ ذَاتِهِ قَرِيبَةٌ فِي مَعْنَاهَا مِنْ شَخْصِهِ.

وَقَالَ الْمُتَنُ: تَأْتِي «ذَاتُ» لِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ، «مَا هِيَ» وَنَفْسُهُ: كَذَاتِ الشَّيْءِ.

وَقَالَ التَّحْوِ الْوَالِي: أَلْفَاظُ التَّوَكِيدِ الْمَعْنَوِيِّ سَبْعَةٌ: نَفْسٌ وَعَيْنٌ وَكَلَا كَلْتَا، وَكُلٌّ وَجَمِيعٌ، وَعَامَّةٌ وَحِينَ

تَكُونُ نَفْسٌ وَعَيْنٌ لِلتَّوَكِيدِ الْمَعْنَوِيِّ، وَجِبَّ أَنْ يَسْبِقَهُمَا الْمُؤَكَّدُ، وَأَنْ تَكُونَ مِثْلُهُ فِي التَّضْبِطِ الْإِعْرَابِيِّ، وَأَنْ تُضَافَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا إِلَى ضَمِيرٍ مَذْكُورٍ حَتْمًا، يَطَائِقُ هَذَا الْمُؤَكَّدُ فِي التَّذْكِيرِ وَالْإِفْرَادِ «فِرْعَوْنُهُمَا».

(٢٤١)

ذَا صَبَاحٍ وَذَا مَسَاءٍ، أَوْ ذَاتُ صَبَاحٍ وَذَاتُ مَسَاءٍ وَيُخَطِّتُونَ مَنْ يَقُولُ: لَقِيْتُهُ ذَاتَ صَبَاحٍ أَوْ ذَاتَ مَسَاءٍ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْعُتُوبَ هُوَ: لَقِيْتُهُ ذَا صَبَاحٍ أَوْ ذَا مَسَاءٍ، اعْتِمَادًا عَلَى:

١- قَوْلِ الصَّبَاحِ: يَقُولُ: لَقِيْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ، وَذَاتَ لَيْلَةٍ، وَذَاتَ غَدَاةٍ، وَذَاتَ عِشَاءٍ، وَذَاتَ سَرَّةٍ، وَذَاتَ الزَّمَنِ: وَمُذْ ثَلَاثَةُ أَزْمَانٍ، وَذَاتَ الْقَوْتِ: مُذْ ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ، وَذَا صَبَاحٍ وَذَا مَسَاءٍ، وَذَا صَبُوحٍ: كُلُّ مَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ صَبَاحًا، وَذَا غُبُوقٍ: كُلُّ مَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ مَسَاءً، وَكَذَلِكَ الْأَرْبَعَةُ بِغَيْرِ تَأْنٍ. وَلَمْ يَقُولُوا: ذَاتَ شَهْرٍ، وَلَا ذَاتَ سَنَةٍ.

٢- ثُمَّ قَوْلُ الْأَسَاسِ: لَقِيْتُهُ ذَا صَبَاحٍ، وَذَاتَ يَوْمٍ، وَذَاتَ لَيْلَةٍ وَأَنَا ذَاتُ الْقَوْتِ وَذَاتُ الزَّمَنِ.

٣- ثُمَّ قَوْلُ مَخْتَارِ الصَّبَاحِ، الَّذِي اخْتَصَرَ لَهُ قَوْلُ الصَّبَاحِ.

٤- ثُمَّ قَوْلُ الْمُعْجَمِ الْوَسِيطِ: أَتَيْتُهُ ذَا صَبَاحٍ وَذَا مَسَاءٍ.

وَفِي الْحَقِيقَةِ أَجَازَ لَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، وَالْقَاجُ، وَمَدَّ الْقَامُوسُ، وَمَتْنُ اللَّفْظِ أَنْ يَقُولَ: ذَا صَبَاحٍ وَذَاتُ صَبَاحٍ.

أَمَّا الَّذِينَ لَا يَجْهَزُونَ لَنَا أَنْ يَقُولَ: ذَاتَ شَهْرٍ



و ذات ستة، فأرى أننا إذا اتبعنا رأي ابن جني، في الصفحة: ٤٣٩، من المجلد الأول، من كتابه التفسير «الخصائص» في باب اللغة المأخوذة قياساً، ووجدنا أننا يمكننا استعمال: ذات شهر وذات ستة قياساً على: ذات يوم، وذات ليلة، وذات السويع، وذات الزميتين، وكلها تدل على الزمان. فما رأي مجامعنا اللغوية؟

رأيت الأمير وذويه

ويُخطئ الحريري في كتابه «درة القواميس» من يقول: رأيت الأمير وذويه، ويقول: إن العرب لم تنطق بـ «ذي» الذي بمعنى صاحب، إلا مضافاً إلى اسم جنس، كقولك: ذو مال وذو نوال. فأما إضافته إلى الأعلام أو إلى أسماء الصفات المشتقة من الأفعال فلم يُسمع في كلامهم بحال، ولهذا لُعن من قال: صلي الله على نبيه محمد وذويه.

ولكن:

١ - قال كعب بن زهير:

صبحنا الخزرجية مرهفات

أباد ذوي أرومتها ذووها

٢ - وقال الأحمص بالله بن محمد:

ولكن رجونا منك مثل الذي به

صرفنا قدماً من ذوبك الأوائل

٣ - وقال آخر:

■ إنما يصطنع المصروف في الناس ذؤوه ■

٤ - وجاء في القاج: جاء من ذي نفسه، ومن ذات نفسه، أي طائفاً.

(٥) وجاء في الأثر: لا يعرف الفضل لأهل الفضل

إلا ذؤوه.

٦ - وجاء في شرح التسهيل: ذهب القراء إلى أن إضافة «ذو» إلى العلم قياسية، وكلامهم يقتضيه لغوهم في الأعلام المحكية: إذا ثبت أو جمعت، قلت: ذؤا وذؤو شباب قرناها.

٧ - أجاز ابن بري: أن يضاف «ذو» إلى ما يضاف إليه صاحب، لأنه بمعنى. وقال: إنما منعه النحاة إذا كان وصلة للوصف، فإن لم يكن كذلك لم يُسمع، لمحو: رأيت الأمير وذويه، ورأيت فازيد.

٨ - وجاء في «القاج» ثم في «التحوي الوافي» أمثلة على دخول «ذو» على الأعلام والمضمرات كثيرة في كلام العرب، منها: ذؤا الخُلصة، والخُلصة اسم صنم، وذو كنانة من بني. ومنها: ذور عشرين وذو جندن وذو برن، وذو الجاز. وكل هذه أعلام سبقتها «ذو» أي ذؤو. ~~فإن كان كذلك لم يُسمع، لمحو: رأيت الأمير وذويه، ورأيت فازيد.~~

(معجم الأخطاء الشائعة: ٩٦)

محمد إسماعيل إبراهيم: «ذو» اسم بمعنى صاحب، يتوصل به إلى الوصف بالأجناس، ولا يكون إلا مضافاً إلى ما بعده، ومثناه: ذؤا، وجمعه: ذؤو، ومؤنثه: ذات، ومثناها: ذواتا، وجمعها: ذوات.

(٢٠٤: ١)

المصطفوي: والتحقيق: أن هذه الكلمة «ذو» قريبة لفظاً ومعنى من كلمة «ذا» من أسماء الإشارة، ولا يبعد أن تكون الموصولات أيضاً مشتقة من أسماء الإشارة، كما أشرنا إليه في «الذي».

و توضيح ذلك: أن أسماء الإشارة وضعت لمشار

و مشير، و متصرفه، فهذه الكلمة في المعنى كالصفة.  
فهو بالنسبة إلينا مشهود و مُعَيَّن و مشار إليه  
و معلوم، و لا عنوان له غير هذه الخصوصية، فتكون  
نسبته إلى شيء آخر بعنوان الشهود و المعينة  
و الإحاطة و الغلبة. و هذا معنى كونه دالاً على مفهوم  
المصاحب.

ثم إن الإعراب فيه و في غيره من الأسماء على  
مقتضى الأصل.

أما البناء فيحتاج إلى تنبيه مُدلي من الحروف.  
ثم إن حقيقة مفهوم كلمة «ذو»: هي الملازمة  
التديدة بينهما، على سبيل القاهرة و الحاكمة،  
و هذا المعنى أخص من المصاحبة و المصاحب.

و على هذا تكون مفاهيم الوقت في ذات الصباح،  
و الساعة في ذات النساء، و الحالة في إصلاح ذات  
الدين و في جهة في ذات اليمين، و الحقائق في ذات  
الصدور، من مصاديق ذلك الأصل الواحد.  
و إلى هذا الأصل يرجع مفهوم الحقيقة و الذات  
المقهورة المحكومة باعتبار، و القاهرة الحاكمة باعتبار  
آخر.

و لعل القناس بين مفهوم «الذيل» المستفاد من  
الذوي و بين هذا الأصل، هو تحقق المقهورة  
و المحكومة بالذيل، يقال: أدواء الحر، أي أذيله.

والله ذو الفضل. [ثم ذكر آيات أخرى، و قال:]  
ففي هذه الموارد: لا يصح التفسير بطلاق المصاحب  
الدال على المفارقة، فالمفارقة فيها اعتبارية و من جهة  
مفاهيمها. و هذه الكلمة قريبة من مفهوم «داراي»

إليه، و هو مُعَيَّن حاضر عند المتكلم و المخاطب،  
و يُعَدُّ من المبنيات. و يقال: إن للتثنية صيغتها في  
أحوالها المختلفة وضعاً مستقلاً، على هيئة الرقع و  
التصب و الجر منها، ليست حروف الألف و الواو و  
الياء علام إعراب.

و الحق أن صيغ التثني فيها رجعت إلى الأصل في  
الأسماء، و هو الإعراب؛ و ذلك لغلبة الاسمية فيه،  
و القول بوضع مستقل خلاف الظاهر. و كذلك في صيغ  
التثنية من الموصولات.

و قد يكون الإضافة سبباً للإعراب، أو يكون  
الانقطاع عن الإضافة سبباً للبناء، كما في الظروف: فه  
الأمر من قبل.

و من هذا الباب كلمة «ذا» للإشارة: إذا أُضيفت  
فتكون مُعرِّبة. و تكون بمعنى صاحب، و يقال: إنها من  
الأسماء الستة.

و أما كونها في الأصل اسم إشارة: فلأنها متوافقة  
لفظاً، و ينطبق مفهوم أحدهما على الآخر، فقولنا: زيد  
ذو مال: يُشار إلى زيد و هو مُعَيَّن مشهود عند المتكلم  
و المخاطب، و لا حاجة إلى تعريفه، ثم يضاف و يُنسب  
إلى شيء آخر. و المعنى: أن المشار إليه المشهود على  
هذه الخصوصية.

و لما كان المفهوم المستفاد من «ذو»: مطلق  
المُعَيَّن المشهود، فإذا أُضيف إلى شيء بدل على  
سلطته و مالكيته و غلبته، أي وجود نسبة بينهما بهذا  
التحو. و قريب من هذا المعنى في الإضافات اللفظية،  
فيقال: مالك مال و شاهده و صاحبه و ناظره و معينه

الفارسية.

وأما صيغ التانيث: تاء، تي، ذي، فذه، فذه، فعلى القاعدة، فإنَّ القاءَ والياءَ والكسرةَ والماءَ المبدئيةَ من القاءِ من علامات التانيث، كما في: ضربت وضربت واضربي وضاربة وضاربه بالوقف، وأمثالها.

وأما البناء في مفرداتها، فعلى ظاهر ما يتراءى منها في الاستعمال؛ حيث إنها لا تتغير في مختلف الحالات، ولا حاجة لنا إلى تقدير إعراب فيها، مضافاً إلى وجود المقتضى للبناء فيها. وهو مفهوم الإشارة الذي هو كالمعاني الحرفية.

وأما المثني منها: فالإعراب فيها هو الظاهر، لا غنى عن التفسير عليها، ولا حاجة لنا إلى تأويل صحيح بالقول بوضع مصدر في حالات الرفع تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٢٤. وأما استعمال المفرد في مقام التنبيه أو الجمع، فلا حاجة لنا إلى تأويل صحيح إذا كان النظر إلى كل واحد، لا إلى المثني والجمع، أو كان الخطاب أولاً إلى شخص معين مفرد، ثم يتوجه وملتفت إلى غيره.

(٣: ٣٥٤)

### النصوص التفسيرية

ذو

١- حَامِدُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الشُّرَكَاءَ الَّذِينَ هُمْ مِنْكُمْ مِنْهُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ البقرة: ١٠٥

٢- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ

وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ، وَإِنَّهُ لَدُوْعٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ، إِنَّهُ لَنُوحِظُ عَظِيمٍ. [وذكر آيات أخرى، وقال:]

فالتعبير في هذه الموارد بهذه الكلمة لتساريح هذه الأمور والموضوعات، فيها ملازمة شديدة ومقهورية. (٣: ٣٤٤)

كليات: و«ذا» في: مَنْ ذَا قَاتِلُنَا: اسم إشارة لا غير، ويحتمل في ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ البقرة: ٢٤٥، أن يكون ذاتية، وأن يكون اسم إشارة، كما في قوله: ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي﴾ الزخرف: ٥٢. فإن جاء التنبه لاندخل الألف على اسم الإشارة.

وقد يستعمل «ذلك» في موضع «ذلكم»، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٢٤. كما قد يشار بها للواحد إلى الاثنين ﴿عَوْنُ نَيْنَ ذَلِكَ﴾ البقرة: ٢٤٣. وإلى الجمع نحو: كل ذلك كان سببه، بتأويل المثني والجمع بالمذكور.

وقد يطلق «ذلك» للفصل بين الكلامين ﴿وَلْيَطْرُقُوا بِالْبَاطِلِ الْعَبْقَى﴾ ذلك... الحج: ٢٩، ٣٠. أي الأمر ذلك، أو افعلوا ذلك. وما لا يحسن بالبصر فالإشارة إليه بلفظ: ذلك وهذا، سواء. وذلك في ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣، إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده.

قد مر قولنا في «ذو» أن الظاهر رجوع الموصول الذي وأتي، وذا، بمعنى الصاحب، إلى أسماء الإشارة: ذا وتا.

وَالْمَلِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
ذَوِي الْقُرْبَىٰ ۖ

البقرة: ١٧٧

راجع: ق: رب: «القرن».

### ذات

١- هَاتِلُهُمْ أَوْلَاءُ تُعْبِدُونَهُمْ وَلَا تَحِبُّوهُمْ وَلَا تَحِبُّوهُمْ وَلَا تَحِبُّوهُمْ  
بِالْكِتَابِ كَلِّهِ وَإِذَا قُرُّكُمْ قَالُوا أَمْثَلًا وَإِذَا خَلُّوا غَضُّوا  
عَلَيْكُمْ الْأَكْبَلُ مِنَ الْفَيْضِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِمَا يَنْظُرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

آل عمران: ١١٩

الطَّبْرِي: يعني بذلك: إن الله ذو علم بما نذري في  
صدر هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين، قالوا: آمنا.

(٤١٣: ٣)

٢- هَاتِلُهُمْ عَنِ الْأَلْفَالِ قُلْ الْأَلْفَالِ لِلَّهِ  
وَالرُّسُولِ فَأَتُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ  
الأنفال: ١

الأخفش: قوله تعالى: «وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ»  
الأنفال: ١، إنما اتوا (ذات) لأن بعض الأشياء قد  
يوضع له اسم مؤنث وبعضها اسم مذكر، كما قالوا:  
دأرو حاططاً كنوا الدار وذكروا الحائط.

(المؤخر: ٦: ٢٥٥٢)

### فلذاتك

أَسْأَلُكَ بِذَلِكَ فِي جَنَّتِكَ تَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ خَيْرِ شَيْءٍ  
وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَّتَكَ مِنْ الرُّغْبِ لَذَاتِكَ بِرُغْبِكَ تَأْزِي مِنْ  
رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا هَوَمًا فَاسِقِينَ.

القصص: ٣٢

أَلَوْ خَلَدَ الْمُتُونَ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُؤْمِنُوا أَمْثَلًا  
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
لَا يَشْكُرُونَ.

البقرة: ٢٤٣

٣- فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَكُلَّ دَلُودَ جَالُوتَ وَأَتَيْتُهُ  
اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا تَقَبَّحُ اللَّهُ  
النَّاسَ بِغَضَبِهِمْ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو  
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ.

البقرة: ٢٥١

راجع: ف: ض: ل: «فضل».

### ذَا

وَأَذْكُرْ اسْمُجِيلَ وَالتَّسْمِجَ وَذَا الْكَيْلِ وَكُلِّ مِنَ  
الْأَهْلِيَّارِ.

ص: ٤٨

راجع: ك: ف: ل: «الكيل».

### ذَوَا

١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلُوبُوا الصِّدْقَ الَّذِي جَاءَكُمْ  
وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِمَّا قَتَلَ مِنْكُمْ لَكُنْ لَهُ  
بِحُكْمِكُمْ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ خَدَّيْهَا بِالْأَلْفِ الْكَتْمَةِ... الْمَائِدَةِ: ٩٥  
٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ  
أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ.

المائدة: ١٠٦

### ذَوِي

١- فَلِذَا بَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَقْرُوفٍ أَوْ  
فَارِقُوهُنَّ بِمَقْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ.

الطلاق: ٢

راجع: ع: د: ل: «عدل».

٢- لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَتُجْوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

مُجَاهِد: هي إشارة إلى العصا والهد.

نحوه السدي (ابن عطية ٤: ٢٨٧)

نحوه التعلبي (٧: ٢٤٩)، والطبرسي (٤: ٢٥٣)، و  
البيضاوي (٢: ١٩٣).

الكسائي: هي من لغة من قال: هذا أقال ذلك،  
فزادوا على الألف ألفاً، كما زادوا على التون نوً،  
ليفصل بينها بين الأسماء المتمكنة.

(الأزهري ١٥: ٣٤)

القرءاء: شددوا هذه التون ليرق بينها وبين التون  
التي تسقط للإضافة، لأن «هذان» و«هاتان»  
لا تضاف.

واجتمع القرءاء على تخفيف التون من «ذَانِكَ»  
و كثير من العرب يقول: هَذَاكَ قَائِمَانِ، وَهَذَانِ  
قَائِمَانِ، وَالَّذَانِ قَالَا ذَلِكَ. (الأزهري ١٥: ٣٤)

الأعفش: ثقل بعضهم وهم الذين قالوا بذلك،  
أدخلوا الثقل للتأكيد، كما أدخلوا اللام في ذلك.

(٢: ٦٥٣)

الطبري: واختلفت القرءاء في قراءة قوله:  
«فَذَانِكَ»، فقرأته عامة قرءاء الأمصار سوى ابن كثير  
و أبي عمرو «فَذَانِكَ» بتخفيف التون، لأنها تون  
الاثنتين، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو «فَذَانِكَ» بتشديد  
التون.

واختلف أهل العربية في وجه تشديدها، فقال  
بعض نحوئي البصرة: ثقل التون من ثقلها للتوكيد، كما  
أدخلوا اللام في «ذلك» وقال بعض نحوئي الكوفة:  
شددت قرأينها وبين التون التي تسقط للإضافة.

لأن «هاتان» و«هذان» لا تضاف. وقال آخر منهم:  
هو من لغة من قال: هذا أقال ذلك، فزاد على الألف  
ألفاً، كذا زاد على التون نوً، ليفصل بينهما وبين  
الأسماء المتمكنة. وقال في «ذَانِكَ» إنها كانت  
«ذلك» فبمن قال: هذان يا هذا، فكرهوا تشبیه  
الإضافة، فأعقبوها باللام، لأن الإضافة تعقب باللام.  
و كان أبو عمرو يقول: التشديد في التون في «ذَانِكَ»  
من لغة قريش. (١٠: ٧١)

نحوه الطوسي (٨: ١٤٧) والواحدي (٣: ٣٩٨).  
الزجاج: يقرأ بتخفيف التون وتشديدها (ذَانِكَ)  
فَكَانَ (فَذَانِكَ) تشبیه «ذلك» و «ذَانِكَ» تشبیه «ذاك».

فجعل بدل اللام في ذلك تشديد التون في ذلك.

اللام من ذلك ذاء والكاف زبد للمخاطبة،  
فلا حظ لها في الإعراب. (الأزهري ١٥: ٣٤)

الزجاجي: قرئ مخففاً ومشدداً، فالمخفف  
مثني «ذاك» والمشدّد مثني «ذلك». (٣: ١٧٥)  
نحوه السفي (٣: ٢٣٥)، وأبو السمود (٥: ١٢٣).  
ابن عطية: قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فَذَانِكَ) بشدّة  
التون، وقرأ الباقر «فَذَانِكَ» بتخفيف التون، وقرأ  
شبل عن ابن كثير (فَذَانِكَ) بياء بعد التون المخففة،  
أبدل إحدى التونين بياء كراهة التضعيف. وقرأ ابن  
سمود (فَذَانِكَ) بالياء أيضاً مع شدّة التون، وهي لغة  
هذيل. وحكى المهدوي أن لفثهم تخفيف التون.

(٤: ٢٨٧)

القرطبي: قرأ ابن كثير بتشديد التون وخفها

وقيل: للفرق بين الاسم المتصنّ وبينها وكذلك الطة في تشديد التون في «اللقان» و«هذان».

قال أبو عمرو: إنّما اختصّ أبو عمرو هذا الحرف بالتشديد دون كل تننية من جنسه، لقلّة حروفه، فقرأ بالتثنية، ومن قرأ: (فَئَانِيكَ) ياء مع تخفيف التون، فالأصل عنده (فَئَانِيكَ) بتشديد، فأبدل من التون الثانية ياء كراهية التضعيف، كما قالوا: لا أملاء في لا أملاء، فأبدلوا اللام الثانية ألفاً، ومن قرأ ياء بعد التون الشديدة، فوجهه أنه أشبع كسرة التون، فتولدت عنها الياء. (٢٨٥: ١٣)

نحوه الآلوسي (٧٦: ٢٠)، وابن عاشور (٥٢: ٢٠).  
أبو حنّان: إشارة إلى الصا واليد، وهما مؤنثان، ولكن ذكرنا تذكير الخبر، كما أنه قد يؤنث المذكر، فالتننية الخبر، كقراءة من قرأ: (تُمْ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا بِالْبَيِّنَاتِ) «لَمْ يَكُنْ يَهْمُ الْأَنْصَامِ: ٢٣». ثم آدام نحو القرطبي (١١٨: ٧)

## الأصول اللغوية

١- ذو: صاحب، وهو اسم ناقص لازم الإضافة. يقال: فلان ذو مال، أي صاحب مال، وهما ذو مال، وهم ذوو مال، والتسبة إليه ذَوَوِيّ، مثل: غَصَوِيّ. وأصله: ذَوِيّ، مثل: غَصّاً، وألفه منقلبة من واو، كما قال الجوهري، أو من ياء، كما قال ابن بري. ثم حذفت عينه لاجتماع المثليين، لأنه يجب أن يقال في التننية: ذَوَوَانِ على قول الجوهري، أو ذَوَوَانِ على قول ابن بري، والمحذوف عنده الياء. وبقي بعد الحذف

الباقون، وروى أبو عمارة عن أبي الفضل عن أبي بكر عن ابن كثير (فَئَانِيكَ) بالتشديد والياء.

وعن أبي عمرو أيضاً قال: لغة هذيل (فَئَانِيكَ) بالتخفيف والياء، ولغة قريش (فَئَانِيكَ) كما قرأ أبو عمرو وابن كثير.

وفي تعليله خمسة أقوال: قيل: شدد التون عوضاً من الألف الساكنة في «ذلك» الذي هو تننية «ذا» المرفوع، وهو رفع بالابتداء، وألف «ذا» محذوفة لدخول ألف التننية عليها، ولم يلتفت إلى الضاء الساكنين، لأن أصله: فَنَانِيكَ، فحذف الألف الأولى عوضاً من التون الشديدة.

وقيل: التشديد للتأكيد، كما أدخلوا اللام في «ذلك» مكّي، وقيل: إنّ من شدد إنما بناء على لغة من قال في الواحد: ذلك، فلمّا بقي أثبت اللام بعد تون التننية، ثم أدغم اللام في التون على حكم إدغام الثاني في الأول. والأصل أن يدغم الأول أهدأ في الثاني، إلا أن يمنع من ذلك علة فهدغم الثاني في الأول. والطة التي منعت في هذا أن يدغم الأول في الثاني، أنه لو فعل ذلك لصار في موضع التون التي تدلّ على التننية لام مشددة، فبغير لفظ التننية، فأدغم الثاني في الأول لذلك، فصار نوّناً مشددة.

وقد قيل: إنه لسّا تنافي ذلك أثبت اللام قبل التون، ثم أدغم الأول في الثاني على أصول الإدغام، لصار نوّناً مشددة.

وقيل: شددت فرقاً بينها وبين الظاهر التي تسقط الإضافة نونه، لأن «فان» لا يضاف.

«ذُو»، ثم حذف التثنية للإضافة، فصار: ذُو.

و ذُو: الذي، في لغة طين، وتوصف به المصارف في الأفراد والتثنية والجمع. يقال: رأيت ذُو جِسامك، وذُو جِسامك، وذُو جِاورك، ذُو جاء تلك، وذُو جِشك، وفي المثل: «أتى عليه ذُو أتى على الناس»، أي الذي أتى.

و ذُو: صلة عند قيس وغيرهم من العرب. يقال: كُنا بوضع كذا وكذا مع ذي عمرو، وكان ذُو عمرو بالصَّمان، أي كُنا مع عمرو، وكان معنا عمرو.

والذُّوون: التباينة، وهم ملوك اليمن من حضاعة المسعود، بذي بَرَن، وذو جَدَن، وذو لُواس، وذو فائش، وذو أصبح، وذو الكلاع.

ويضاف «ذُو» إلى الفعل أيضاً. يقال: الفعل كذا بذي كذا، أي بالذي يُسَلِّمك، والله ما أحسن بذي كذا، أي الذي يُسَلِّمك من المرحوب.

و يقال للمفرد: لا بذي تُسَلِّم ما كان كذا بذي كذا، وللانين: لا بذي تُسَلِّمان، وللجماعة: لا بذي تُسَلِّمون، وللؤنث: لا بذي تُسَلِّمين، وللجماعة الإناث: لا بذي تُسَلِّمن، أي لا والله يُسَلِّمك ما كان كذا وكذا، لا وسلامتك ما كان كذا وكذا.

والذُّوب منبوط بذي بطنه، أي بجحره، وألقى الرجل ذابطنه، إذا أحدث.

و ذات: مؤنث ذُو. يقال: هي ذاتُ مال، وهما ذواتا مال، وهن ذواتُ مال.

و لقبته أول ذي يدين وذات يدين: أول كل شيء، وكذا ألقاه أول ذي يدين وذات يدين وجاء من ذي نفسه ومن ذات نفسه، أي جاء طبعاً، وجاء

القوم من ذي أنفسهم ومن ذات أنفسهم: طائعين.

وجاءت المرأة من ذي نفسها ومن ذات نفسها: طائعة.

و عرفه من ذات نفسه: كأثمه يصفي سريره المضرة.

و وضعت المرأة ذات بطنها، إذا ولدت. وما كَلَمْتُ فلاناً ذات شفة ولا ذات فم: لم أكلمه كلمة.

و قَلَّتْ ذاتُ يده: اسم لما ملكك يدها كالأهاتق على الأموال.

وفي الدعاء: اللَّهُمَّ اصْلِحْ ذاتَ الدين، أي اصْلِحْ الحال التي بها يجتمع المسلمون.

و يقال أيضاً: أتيتك ذات العشاء، أي الساعة التي فيها العشاء. وأتيت ذات الصبح وذات القُبوق، إذا

و أتيتهم ذات الزمَيْن وذات العَوْم، أي منذ ثلاثة أزمان وأعوام.

و لقبته ذات يوم وذات ليلة وذات غداة وذات العشاء وذات مرة: في مرة من هذه الأوقات.

٢ - واستعمل المؤنثون «الذات» منسوبة في علوم شتى، فقالوا: الذَّاتِي، وهذا غير جائز في اللغة، لأنَّ أقاء تُحذف في النسب.

و الذَّاتِي في الفلسفة: ما يستعمل لهما الذات قبل فهمه. والاستقلال الذَّاتِي في السياسة: قيام جماعة بتنظيم شؤونها بنفسها وفق ظروف خاصة والتحويل

الذَّاتِي في الاقتصاد: تقديم المال إلى من يحتاج إليه من



يُجِلُّ الذُّلَّةَ أَوِ الْأَشْخَاصَ. وَالْإِكْثَاءُ الَّذِي فِيهِ إِيْثَاءٌ؛ اسْتِغْنَاءُ الذُّلَّةِ بِإِتْنَائِهَا عَنِ الْإِسْتِزَادِ. وَالْقَدُّ الذَّلِيلُ فِي الْأَدَبِ؛ إِظْهَارُ الشَّخْصِ عِيُوبَ آرَائِهِ أَوْ حَسَنَاتِهَا بِنَفْسِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

## الاستعمال القرآني

جاء مفرداً مذكراً ٧٤ مرة، ومؤنثاً ٢٩ مرة، ومثنى مرتين، في ١٠٥ آية، وصفاً لموصوفات:

١- وصف الله في ١١ حصة:

أذكر الفضل:

١- ﴿... وَاللَّهُ يَخْصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ البقرة: ١٠٥، آل عمران: ٧٤

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كُنتُمُ اللَّهُ تَجْتَلُونَ فَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٠٥، آل عمران: ٧٤

٣- ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الجمعة: ٤، الحديد: ٢١

٤- ﴿لَيْلًا نَّظْلَمُ أَمْلًا أَكْثَابَ الْإِنْقَادِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الحديد: ٢٩

٥- ﴿فَالْقَلْبُ أَوْ يُفْعَلُ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٌ لَمْ يَمَسَّهُمْ شَيْءٌ وَاتَّخَذُوا زُخْرًا لِلَّهِ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ آل عمران: ١٧٤

٦- ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٢٤٣، يونس: ٦٠، المؤمن: ٦١

٧- ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٢٤٣، يونس: ٦٠، المؤمن: ٦١

١١- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ القمل: ٧٣

١٢- ﴿... وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ٢٥١

١٣- ﴿... مِنْكُمْ مَنْ تَبْذُلُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٥٢

١٤- ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ يَحْدُكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَتَشَاءُ مِنْ دُونِكُمْ﴾ الأنعام: ١٣٣

١٥- ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَأَبْغَضْتُمْ وَلَكِنْ يَخِفُّ عَلَيْكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ الكهف: ٥٨

١٦- ﴿فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَلَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرِيدُ بِأَنَّهُ مِنَ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأنعام: ١٤٧

١٧- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْهَيْبَةِ قَبْلَ الْحُسْنَى وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْصِدٍ لِلنَّاسِ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الرعد: ٦

١٨- ﴿مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَقْصِدٍ وَنُوعِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ فصلت: ٤٣

١٩- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذاريات: ٥٨

٢٠- ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٢٤٣، يونس: ٦٠، المؤمن: ٦١

٢١- ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٢٤٣، يونس: ٦٠، المؤمن: ٦١

٢٢- ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٢٤٣، يونس: ٦٠، المؤمن: ٦١

٢٣- ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٢٤٣، يونس: ٦٠، المؤمن: ٦١





١٥- ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنْ إِلَهُكُمْ عَلِيمٌ﴾

بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿الملك: ١٣﴾

٢- وصف القرآن:

١٦- ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ص: ١

١٧- ﴿قُرْآنًا غَرِيْبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

الزمر: ٢٨

٣- وصف جبرائيل:

١٨- ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾

التيج: ٦٠

٤- وصف الأنبياء والصالحين:

١٩- ﴿رَبَّنَا إِلَىٰ أَسْكَنْتَ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي

جَنَدٍ لِّبَنِكَ الْحَمِيمِ رَبَّنَا يَجْهَرُوا عَلَى الْغُلُوِّ...﴾

إبراهيم: ٣٧

٥٠- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْآنِ قُلْ سَأَلُوا

الكهف: ٨٣

٥١- ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ

مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ قُلْ لَّيْسَ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن

تَجْعَلَ لِيَنفَعُوا وَيَتَنفَعُوا سَدَّ﴾ الكهف: ٩٤

٥٢- ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّا إِنَّا نَقْذِبُ وَإِنَّا

نَجْزِيهِمْ حُسْبًا﴾ الكهف: ٨٦

٥٣- ﴿وَيَسْمِعُ لَوْلَا يُرْسِ وَيَذْهَبُ كُلُّ مَن

الصَّابِرِينَ﴾ الأنبياء: ٨٥

٥٤- ﴿وَأَذْكُرُوا لِمَنْجِيلٍ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلِّ

مِنَ الْأَمْثَارِ﴾ ص: ٤٨

٥٥- ﴿إِصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ عِندَكَ ذَاوُدَ

ذَا الْأَلْبَاءِ أَوْ إِيَّاكَ﴾ ص: ١٧

٣٦- ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيقَاتِ الْأَيْدِي

وَاتَّقُوا اللَّهَ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿المائدة: ٧﴾

٣٧- ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَثَابِلِكُمْ قَلِيلًا وَتَوَارَىٰ بِكُمُ

كَثِيرُ الْفِيلِ وَأَن تَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِلَهُ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿الأنفال: ٤٣﴾

٣٨- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ حُدُودَهُمْ لَيْسَتْ خُفْرًا مِثْلَهُ

الْآخِرِينَ يَسْتَفْشُونَ لِمَا بَنَوْا يُعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

إِلَهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿هود: ٥٠﴾

٣٩- ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزِلُكَ كُفْرُ الْيَتَامَىٰ جَعَلَهُمُ

فَتَنَتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

لقمان: ٢٣

٤٠- ﴿إِنَّ اللَّهَ غَالِمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ غافر: ٣٨

٤١- ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْغَبُ

لِعِبَادَتِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وِزْرَ الْأُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الزمر: ٧

٤٢- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ

يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقُّ

بِكُلِّ شَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الشورى: ٢٤

٤٣- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي

اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الحديد: ٦

٤٤- ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا

تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

التحسين: ٤

٥٦ - ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ

رَآوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَحَمِيمٍ﴾ المؤمنون : ٥٠

٥٧ - ﴿وَذَا النُّورِ إِذْ ذُكِرَ مُقَابِلًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ

تَقْبِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ لَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِلَهِي كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء : ٨٧

٥٨ و ٥٩ - ﴿وَنُفِثَ فِي السَّحَابِ إِذَا طَلَعَتْ نَوَازِعُ عَنْ

كُهُوبِهِمْ ذَاتَ النَّهْمِ إِذَا غَرَبَتِ نَفَرَتْهُمْ ذَاتَ النَّهْمِ

وَهُمْ فِي سُجُودٍ مُتَعَدٍّ مِنْ أَمَاتٍ اللَّهُ مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَوْقَ

الْمُتَعَدِّ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ يُجْعَلَ لَهُ وَلِيًّا مُرِيدًا﴾

وَعَصَبُهُمْ آيَاتُهُمْ وَهُمْ رُكُودٌ وَتَفَلُّهُمُ ذَاتَ النَّهْمِ

وَذَاتَ النَّهْمِ أَيْقَاطُهَا وَكَلَّمَهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَاهُ يَأْوِيهِمْ

لَئِنْ أَطَقْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَكُنَّ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَكُنْتَ مِنْهُمْ

رَغْبًا﴾ الكهف : ١٧

٦٠ - ﴿وَمَا يَتَّبِعُهَا إِلَّا الَّذِينَ يَنْصَرُونَ وَهُمْ يَحْكُمُونَ

ذُو حَظَرٍ عَظِيمٍ﴾

٥ - وصف أعداء الأنبياء

٦١ - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ يرم ذوات

العتاد﴾ الفجر : ٦

٦٢ - ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافٍ هُونٍ ذُو

الْأَوْتَادِ﴾ ص : ١٢

٦٣ - ﴿وَلَيْرَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ الفجر : ١٠

٦٤ - ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ الْخَمِيرَ الدُّلُهَا يَا لَيْتَ لَنَا بِطَلٍ مَأْوًى يَصَارُونَ

إِلَهُ لَدُو حَظَرٍ عَظِيمٍ﴾ القصص : ٧٩

٦٥ - ﴿وَحَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ

إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْتَلَوْنَ﴾ المؤمنون : ٧٧

٦٦ - ﴿عُشِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ رَيْبِهِمْ﴾ لَنْ كَانَ ذَا عَذَابٍ

وَبَتَيْنِ﴾ القلم : ١٣، ١٤

٦٧ - ﴿وَوَطَّعُوا ذَا غَصَّةٍ وَعَذَابُهَا أَلِيمٌ﴾

المزمل : ١٣

٦٨ - ﴿وَإِذْ يَعِزُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطُّلُوعِثِينَ أَلْهَىٰ لَكُمْ

وَتَوَدُّونَ أَنْ تُغَيِّرَ ذَاتَ الشُّوْكِةِ تَكُونُ لَكُمْ وَنُفِثَ اللَّهُ أَنْ

يُحْيِيَ الْحَيَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَنْقُطَ ذَايَرُ الْكَافِرِينَ﴾ الأنفال : ٧

٦ - وصف البشر وفيه خصال

أحذي القرني

٦٩ - ﴿وَأَمَّا ذَا الْقُرْنَىٰ حَقَّةٌ وَالْيَسْكِينِ وَالْهِنِ

السَّيْلِ وَلَا تَلْبِيزُ لَتُدْبِرُ﴾ الإسراء : ٢٦

٧٠ - ﴿فَأَمَّا ذَا الْقُرْنَىٰ حَقَّةٌ وَالْيَسْكِينِ وَالْهِنِ

السَّيْلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُبْذَوْنَ وَجْهَ اللَّهِ وَلَوْ لَشَكَ هُمْ

الْمُتَفَلِّحُونَ﴾ الروم : ٢٨

٧١ - ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا

اللَّهَ وَبِأَنفُسِكُمْ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْنَىٰ وَالْيَسَاسِ

وَالْيَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَالْوَاكُوفَةَ ثُمَّ كَوَّلْنَاهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَالْهِنِ

مُعْرِضُونَ﴾ البقرة : ٨٣

٧٢ - ﴿وَبِأَنفُسِكُمْ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْنَىٰ

وَالْيَسَاسِ وَالْيَسَاكِينِ وَالْجَبَرِ ذِي الْقُرْنَىٰ وَالْجَبَرِ

الْعَجَبِ وَالصَّاحِبِ بِالْعَجَبِ وَبَنِي السَّيْلِ وَمَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخَلَّالًا فَخُورًا﴾

النساء : ٣٦

٧٣ - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ رَبَّ



ذئبي حجر:

٩٠- ٩٢- ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْئَةٍ﴾ يتيمًا

ذامترية • أو مستكينة ذامترية • البلد: ١٤- ١٦

٨٣- ﴿قُلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ الفجر: ٥

و- ذئبي ظفر:

٨٤- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلُّ ذِي ظُفْرٍ

وَمِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَرَّمًا عَلَيْهِمْ شَحْوُهُمَا إِيَّاهَا ضَلَّتْ

ظُهُورُهُمَا...﴾ الأنعام: ١٤٦

ز- ذو سعة:

٨٥- ﴿يُتْلَقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ

رِزْقُهُ قُلْتُفُّهُ فَمَا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكِلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا

سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ الطلاق: ٧

ح- ذو عسرة:

٨٦- ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرٍ فَلَظَّةٍ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَإِنْ

تَصَدَّقُوا غَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٨٠

ط- ذو دعاء:

٨٧- ﴿وَإِذَا أَلْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَخْمَرْنَا وَهُوَ

بِجَاهِهِ وَإِذَا مَسَّ الشُّرُكُوتُ دُعَاءَ غَرَضٍ﴾ فصلت: ٥١

ي- ذات البين:

٨٨- ﴿يَسْتَظُنُّكَ غَنَى الْآفَالِ قُلِ الْآفَالُ يَوْمَ

الرَّسُولِ فَالْتَقُوا اللَّهَ وَاصْبِرُوا ذَاتَ بَيْنٍكُمْ وَأَطِيعُوا

اللَّهَ وَرَسُولَهُ لِنُكَلِّمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال: ١٠

ل- ذات حمل:

٨٩- ﴿يَوْمَ تَرْضَوْهَا ذَلِكَ كُلُّ مَرْضُوعَةٍ عَمَّا

أَرْضَعَتْ وَلَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ

شُكَّارَى وَمَا هُمْ بِشُكَّارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

الحج: ٢

ل- ذئبي مسقية، وذامترية، وذامترية:

٧- وصف السماء والأرض:

٩٣- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾ إلكم نفس قول

مختلف • يؤثرك عنه من أفك • الذاريات: ٧- ٩

٩٤ و ٩٥- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ والشمس

المرغوب • وشاهيد ومشهور • قيل أصحاب

الأقدوس • آثار ذات الوعود • البروج: ١- ٥

٩٦ و ٩٧- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ والأرض

ذات الصدع • الطارق: ١١، ١٢

٨- وصف الشمس والقمر: (٥٨) و (٥٩).

٩- وصف الأشجار والحدائق والجنات والحبات:

٩٨- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ

أَنْ تُلْبِسُوا شَجَرَهَا إِلَّا مَا جَعَلَ اللَّهُ نَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْبُرُونَ﴾

الثل: ٦٠

٩٩- ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾

الرحمن: ١١

١٠٠- ﴿ذَوَاتَا أَفْئَانٍ﴾ غيبي الآية ربكمنا كذا •

الرحمن: ٤٨، ٤٩

١٠١- ﴿فَاعْرِضْهُمَا فَاذْهَبْنَا عَنْهُنَّ سِيلَ الْعَرَمِ

وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلٍ قَطَطٍ وَأَنْزَلَ

وَسَيِّدٌ مِّنْ سَيِّدٍ قَلِيلٍ﴾ سبأ: ١٦

١٠٢- ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾

الرحمن: ١٢

١٠- وصف التار:

١٠٣- ﴿سَيَعْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ اللهب: ٣

١١- وصف السقينة:

١٠٤- ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَاحِ وَدُسْرٍ﴾

القمر: ١٣

ويلاحظ أولاً: أنها جاءت خلال فضائله

تعالى و لكتابه ولأنبيائه مدحاً، وردائل لأعدائه قدحاً، وصفاً لأحد عشر موصوفاً:

أولها: وصفه تعالى لي عشر فضائله ويلحق بها

الوصف الحادي عشر، وهو «العلم بذات الصدور»

أ- ذو الفضل عisman: ذو الفضل العظيم ٧ مرات:

(١-٧)، و ذو الفضل من دون العظيم ٦ مرات: (٨-١٣)

(١٣)، و ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ مرفوعاً ٦ مرات، و ﴿ذُو

فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ متكرر مرة (٧) كلها في سور مدنية. وهذا

شاهد على أن الله تعالى قد تجلّى فضله في الدنيا

بنصرة دينه على أعدائه من المشركين، وأهل الكتاب

في الغزوات الكثيرة حتى يأس أعدائه، واستقر الدين

الحنيف دائماً.

و ثلاث منها (٤-٦) مسبوقة بكلمة ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾

أو ﴿الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ﴾ فجاء فيها: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ

يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ و ﴿وَأَنَّ

الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

وبذلك قد تضاعف فضله فيها كما لا يخفى. ويكون

ذكر «الفضل» فيها أولاً كمقدمة لوصفه بـ ﴿الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ﴾

أما ذو الفضل -بلا عظيم- فجاء ثلاث مرات (٩-١٠)

(١٢) في السور المكية، وثلاث مرات في السور المدنية،

وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ﴿ذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أربع

مرات: (٨-١١)، واحدة (٨) في سورة مدنية، وثلاث

في السور المكية: (٩-١١).

القسم الثاني: ﴿ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ مرة

(١٢).

القسم الثالث: ﴿ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ مرة

أيضاً (١٣).

ب- ذو الرحمة ثلاث مرات (١٤-١٦) وهو

فسمان:

القسم الأول: ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ في (١٤ و ١٥)

بسياق واحد: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾،

و ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ لقد سبقها في الأولى

بـ ﴿الْغَفُورِ﴾ وفي الثانية وصف ﴿الْغَفُورِ﴾.

القسم الثاني: ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ في (١٦)

فهي بدل السبق بوصفي الغناء والغفران في تلك

الآيتين، وصفت بـ ﴿وَاسِعَةٍ﴾

ج- ﴿ذُو مَقْصِرَةٍ﴾ مرتين (١٧ و ١٨) بسياق واحد

في صدرها: ﴿إِنَّ رَبُّكَ لَذُو مَقْصِرَةٍ﴾، والاختلاف في

ذيلها فجاء في الأولى: ﴿لَذُو مَقْصِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى

ظُلُومِهِمْ﴾، وفي الثانية: ﴿لَذُو مَقْصِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾،

فقد جمع فيها التبشير والتحذير صريحاً، وفي الأولى

بلا صراحة، لأن قوله: ﴿عَلَى ظُلُومِهِمْ﴾ فيه إنذار أيضاً.

د- ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ مرتين أيضاً (١٩ و ٢٠)، مع

تفاوت بينهما بالتعريف والتذكير وفي الموصوف بها،

ففي الأولى هي وصف الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾، وفي الثانية هي وصف رسول الله تعالى - وهو جبرائيل -: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾.

هـ - ﴿ذُو عِلْمٍ﴾ مرّتين (٢١ و ٢٢) أيضاً، وكلاهما في سورة يوسف وليس فيهما وصفاً، بل أولاهما: وصف ليعقوب عليه السلام: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبَاؤُهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَنْغُوبُ فَظَنُّبَا أَنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.

و الثانية: وصف ليوسف عليه السلام في زمرة الأنبياء قبلها: ﴿كَذَلِكَ يَدْعُو يُوْسُفَ مَا كَانَ يَأْخُذُ آتِهَا فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنَ الْمَنَاقِبِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

و: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ مرّتين أيضاً، الأولى في سورة البقرة: ﴿وَلِيَّامُ مَوْصِيٍّ إِذَا طَرَفْتِ الْأَرْضَ فَأَوَّارٍ﴾، والثانية: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، ومع أن ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ جاء بعد ﴿رَبِّكَ﴾ المضاف إليه المكسور فهما، فقد قرئت الأولى مرهوعة: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وصفاته تعالى أول - ﴿وَجْهٌ﴾ وفي الثانية مجروراً وصفاً - ﴿رَبِّكَ﴾.

لاحظ: ج ل ل - الجلال، و: ك ر م - الإكرام، ز - ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أربع مرّات: مرّتان مرهوعاً (٢٥ و ٢٦): ﴿رَفِيعَ السُّرُجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾، و ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾، ففي الأولى ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ مسبوقة

بـ ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾، وفي الثانية موصوفة بـ ﴿الْمَجِيدُ﴾ وصفاً للعرش، أو لله تعالى.

و مرّتان مجروراً (٢٠ و ٢٧): ﴿إِذَا لَا يَهْتَفُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾، و ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾.

ح - ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾ مرّة (٢٨) وقد جاء تبشيراً في آية تكرر فيها التبشير والإنذار: ﴿غَافِرِ الذُّلْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمُنْصِرِينَ﴾، فقد تكرر الإنذار فيها أيضاً كالتبشير مرّتين، مرّة صريحاً: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾، ومرّة كناية: ﴿إِلَهُ الْمُنْصِرِينَ﴾.

ط - ﴿ذِي الْفَخْرِ﴾ مرّة أيضاً (٢٩): ﴿مِنْ اللَّهِ الْفَخْرِ﴾.

ي - ﴿ذُو النِّقَامِ﴾ أربع مرّات (٣٠ - ٣٣): مرّتان صريحاً، ومرّتان مديّة.

و: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ مرّتين أيضاً، الأولى في سورة البقرة: ﴿وَلِيَّامُ مَوْصِيٍّ إِذَا طَرَفْتِ الْأَرْضَ فَأَوَّارٍ﴾، والثانية: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، ومع أن ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ جاء بعد ﴿رَبِّكَ﴾ المضاف إليه المكسور فهما، فقد قرئت الأولى مرهوعة: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وصفاته تعالى أول - ﴿وَجْهٌ﴾ وفي الثانية مجروراً وصفاً - ﴿رَبِّكَ﴾.

لاحظ: ج ل ل - الجلال، و: ك ر م - الإكرام، ز - ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أربع مرّات: مرّتان مرهوعاً (٢٥ و ٢٦): ﴿رَفِيعَ السُّرُجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾، و ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾، ففي الأولى ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ مسبوقة

بـ ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾، وفي الثانية موصوفة بـ ﴿الْمَجِيدُ﴾ وصفاً للعرش، أو لله تعالى. و مرّتان مجروراً (٢٠ و ٢٧): ﴿إِذَا لَا يَهْتَفُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾، و ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾.

ح - ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾ مرّة (٢٨) وقد جاء تبشيراً في آية تكرر فيها التبشير والإنذار: ﴿غَافِرِ الذُّلْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمُنْصِرِينَ﴾، فقد تكرر الإنذار فيها أيضاً كالتبشير مرّتين، مرّة صريحاً: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾، ومرّة كناية: ﴿إِلَهُ الْمُنْصِرِينَ﴾.

ط - ﴿ذِي الْفَخْرِ﴾ مرّة أيضاً (٢٩): ﴿مِنْ اللَّهِ الْفَخْرِ﴾.

ي - ﴿ذُو النِّقَامِ﴾ أربع مرّات (٣٠ - ٣٣): مرّتان صريحاً، ومرّتان مديّة.

والذات فيها ليست وصفًا لله تعالى كالأيات قبلها. إلا أنها راجعة إلى الله مآلاً، فلهذا الحقناها بأوصاف الله تعالى، بل وصف الله هو «عليهم».

٢- وقد أكد الله فيها - مع كثرتها - علم الله بما في قلوب الناس من إيمان وكفر ونفاق وسائر الصفات النفسية: خيرها وشرها الذخيلة في سماعة صاحبها أو خسارته.

و تصفية القلوب من أهم مقاصد الأديان، لو لم نقل: إنها المطلوب الرئيسي فيها، فإن القلوب أوعية التقوى الذي هو ملاك السعادة والهداية القرآنية: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٣، وكذا في الآية (٣٦) من هذه الآيات: ﴿وَالْقَوْلُ وَاللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

٣- وقد صدر الله جملة من آياتها يعلمه بالأمور، أو يتمم معنى ما في القلوب، مثل الآية (٣٨) ﴿وَلِيَسْمَعْ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾، و (٣٨): ﴿يَقْلَمُ مَا يَسِرُّونَ وَمَا يُغْلِظُونَ﴾، و (٤٠): ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَنِيبٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، و (٤١): ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، و (٤٤): ﴿يَقْلَمُ مَا تَسِرُّونَ وَمَا تُغْلِظُونَ﴾، و (٤٥): ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾.

القائي: وصف القرآن، آيتان (٤٦): ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾، و (٤٧): ﴿قُرْآنًا غَرِيبًا غَيْرَ ذِي عِجَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

١- وقد وصف الله القرآن في أولها بما به «ذِي الذِّكْرِ» أي إله مذكّر كما جاء في آيات أخرى: ﴿إِنْ

كُنَّا إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ يس: ٦٩، و ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ القمر: ١٧، و ٢٢، و ٣٢، و ٤٠، و ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا﴾ الإسراء: ٤٦، و ﴿وَلَقَدْ خَرَّسْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الزمر: ٢٧، و ٢- و وصف القرآن في ثانيتهما بأنه غير ذي عوج، كما وصفه في آيات أخرى بما يؤدي هذا المعنى، مثل: ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا غَرِيبًا لِّقَوْمٍ يَتْلُمُونَ﴾ فصلت: ٣، و ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ في كتاب مكشون﴾ الواقعة: ٧٧، ٧٨.

عوج، كما وصفه في آيات أخرى بما يؤدي هذا المعنى، مثل: ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا غَرِيبًا لِّقَوْمٍ يَتْلُمُونَ﴾ فصلت: ٣، و ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ في كتاب مكشون﴾ الواقعة: ٧٧، ٧٨.

لاحظ: ع وج: «عوج»، و ذكر: «ليذكروا». الثالث: وصف جبرائيل عليه السلام، آية واحدة (٤٨): ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ذو ميرة فاستوى بها النجم: ١٠٥.

أو يتمم معنى ما في القلوب، مثل الآية (٣٨) ﴿وَلِيَسْمَعْ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾، و (٣٨): ﴿يَقْلَمُ مَا يَسِرُّونَ وَمَا يُغْلِظُونَ﴾، و (٤٠): ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَنِيبٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، و (٤١): ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، و (٤٤): ﴿يَقْلَمُ مَا تَسِرُّونَ وَمَا تُغْلِظُونَ﴾، و (٤٥): ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾.

١- قال الطبرسي (٥: ١٧١)، في اللغة: «والقوة: القدرة، وأصله: الشدة. وأصل الميرة: شدة الفتل، ثم تجري «الميرة» على القدرة، فالميرة والقوة والشدة نظائر».

٢- وقال في المعنى: ﴿إِنْ كُنَّا إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ أي ما القرآن، وما ينطق به من الأحكام، إلا وحى من الله يوحى إليه، أي يأتيه به جبرائيل، وهو قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ يعني جبرائيل عليه السلام، أي القوي في نفسه وخلقه، عن ابن عباس، والربيع، وقصادة،



و ﴿الْقَوَى﴾ جمع القوة، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوة وشدة في خلقه، عن الكلبي، قال: ومن قوته أنه اقتلع قُرى قوم لوط من الماء الأسود، فرمى بها إلى السماء، ثم قلبها، ومن شدته صبحته لقوم ثمود حتى هلكوا.

وقيل: معناه: ذو صحة وخلق حسن، عن ابن عباس وقتادة.

وقيل: شديد القوى في ذات الله. ذو مِرَّةٍ، أي صحة في الجسم، سليم من الآفات والعيوب.

وقيل: ذو مِرَّةٍ، أي ذو مرور في الهواء، ذاهباً وجائياً، ونازلاً وصاعداً، عن الجبائي.

﴿فَأَسْوَى﴾ جبرائيل على صورته التي خلق عليها بعد الصدارة إلى محمد ﷺ، وهو كتابة عن جبرائيل ﷺ أيضاً.

لاحظ: ق وي: «الْقَوَى». و: م ر ر: «مِرَّة». و: س وي: «فَأَسْوَى».

الرابع: وصف الأنبياء والصالحين:

أ - إبراهيم ﷺ آية واحدة (٤٩): ﴿وَرَبُّكَ إِلَىٰ أَسْكَنْتَ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيَتَّبِعُوا الصَّلَاةَ...﴾.

١ - هذه من تنصه آيات وصف البلد الحرام والبيت الحرام، ابتداءً من ٣٥: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

٢ - وهي في الحقيقة وصف للوادي ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾، لكنها ترجع إلى إبراهيم ﷺ.

٣ - قال الطبرسي (٣: ٣١٨) في ﴿أَسْكَنْتَ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: «أي أسكنت بعض أولادي، ولا خلاف أنه

يريد إسماعيل ﷺ مع أمه هاجر، وهو أكبر ولده، وروي عن الباقر ﷺ أنه قال: نحن بقية تلك العترة...

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ يريد وادي مكّة، وهو الأبطح. وإنما قال: ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ لأنه لم يكن بها يومئذ ماء، ولا زرع، ولا خضر، ولم يذكر مفعول ﴿أَسْكَنْتَ﴾... هو تهديره: أسكنت من ذريتي أناساً، أو ولدًا عن البلخي.

ب - ذي القرنين آيات (٥٠ - ٥٢) لاحظ: ق ر ن: «ذو القرنين».

ج - ذا الكفل آيتان (٥٣) و (٥٤). لاحظ: ك ف ل: «ذا الكفل».

د - داود ﷺ آية واحدة (٥٥): ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا عَبْدَنَا دَاوُدَ إِذْ أَنْهَىٰ آلَهُ أُوتًا﴾. لاحظ: د و د: «داود».

هـ - عيسى وأمه مريم ﷺ آية واحدة أيضاً (٥٦): ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

١ - وقبلها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَقَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ عطفًا على آيات قبلها بشأن إرسال الرسل. ٢ - و ﴿ذَاتِ﴾ فيها في الحقيقة وصف للربوة ولكنها جاءت بشأن عيسى وأمه ﷺ.

٣ - قال الطبرسي (٤: ١٠٨) في ﴿أَوَيْنَاهُمَا...﴾: «أي جعلنا مأواهما مكانًا مرتفعًا مستويًا واسعًا. يقال: أوى إليه يأوي أوتًا، وأواه غيره يؤويه إيواءً، أي جعله مأوى له.

والربوة التي أوتيا إليها هي الرملة من فلسطين، عن أبي هريرة. وقيل: دمشق، عن سعيد بن المسيّب.



جبل مُشْرِفٍ عَلَى «بِمَشْقَى»، وفي خارج «عَمَّان» في «الأردن»، وفي تُركيا في غربيه وجنوب تركيا قريب من حدود «سوريا» باسم «طرطوس».

ولم يُسمَّن إلى الآن موضعه بالضبط، لاحظ: كهدف: «الكهف».

ح - ذو حَظٍّ عَظِيمٍ: آية واحدة أيضاً (٦٠): ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وََمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. لاحظ: ح ظ ظه: «ذو حظ».

الخامس: وصف أعداء الأنبياء:

أ - عاد آية واحدة (٦١): ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِقَارِئِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾. لاحظ: ع م د: «العماد».

ب - فرعون آيتان (٦٢) و (٦٣): ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ كُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْدَادِ﴾ و ﴿وَتَشْتَبِهُونَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ و ﴿فِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْدَادِ﴾.

الذين ظفروا إلى البلاد: فأكثروا فيها الفساد: ﴿فَتَحْمِلُ كُسْفِيَّتُهُمْ عَلَى قَوْمِهِمْ﴾.

١ - وقد وصف فرعون فيهما بـ «ذِي الْأَوْدَادِ» وقد جاء (ذو) في الأولى مضموماً، لأنه وصف لما ذكر قبله فاعلاً. ﴿كَذَّبَتْ﴾ وفي الثانية مكسوراً، لأنه وصف للمذكورات قبله، وكلها مكسور عطف على ﴿قَادَ﴾ في الآية ٦ التي سبقت في (٦١): ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِقَارِئِ﴾.

٢ - وقد ذكروا في وجه توصيفه بـ «ذِي الْأَوْدَادِ» وجوهاً جمعها الطبرسي في كلامه (٤: ٤٦٨) حيث قال: «في معناه أقوال:

أحدها: أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها، عن ابن عباس، وقناة، وعطاء.

والثاني: أنه كان يعتب الناس بالأوتاد وذلك أنه إذا غضب على أحد وكذب يديه ورجليه ورأسه على الأرض، عن السدي، والربيع بن أنس، ومقاتل، والكلبي.

والثالث: أن معناه: ذو الهيمان، والهنيان: أوتاد، عن الضحاك.

والرابع: أن المعنى: ذو الجنود، والجمع الكثرة، بمعنى أنهم يشتدون ملكه، ويقتلون أمره، كما يقتوي التوكيد الشيء، عن الجبائي، والفتحي.

والعرب تقول: هو في عز ثابت الأوتاد. والأصل فيه: أن يوتهم [ثابت بالأوتاد]. (واشهد بتمر)

والخامس: أنه سمي ذو الأوتاد لكثرة جيوحه المتناثرة في الأرض، وكثرة أوتاد خيامهم، فعبّر بكثرة الأوتاد عن كثرة الأجناد.

في زبته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياتلوا لساً قبل ما يؤمن قارون إله ذو حظٍ عظيم. لاحظ: «قارون».

«أصحاب الأهدود» وبأبي في «٩٥»: وصف القار.

هذا المشركون في مكة أربع آيات: أولها (٦٥): ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذْ هُمْ فِيهِ مُبْتَلسُونَ﴾.

١ - هذه من تسعة آيات الوعيد للمشركين: ابتداءً من الآية ٦٣: ﴿يَلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَشْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾، إلى قوله في

٧٦: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا لَعْنَهُمْ يَا لَعْنَابُ فَمَا اسْتَكَالُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْقُصُ عُنُونٌ • حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا...﴾

٢ - قال الطبرسي (٤: ١١٣) في ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: «أي هذا دأبهم حتى إذا فتحنا عليهم نوعًا آخر من العذاب، وذلك حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال: اللَّهُمَّ سَتِّينَ كَسَنِي يَوْسُفَ فَجَاعُوا حَتَّى أَكَلُوا الْعُلُورَ: وهو السور بالدم، عن مجاهد. وقيل: هو القتل يوم بدر، عن ابن عباس. وقيل: فتحنا عليهم بابًا من عذاب جهنم في الآخرة، عن الجبائي. وقيل: ذلك حين فتح مكة. وقال أبو جعفر عليه السلام: هو في الرجعة...»

٣ - ونقول: سورة «المؤمنون» مكتة، وهذه الآية وما قبلها تتحدث عما وقع بين النبي ﷺ والمشركون في مكة قبل الهجرة، فالوجه الأول - وهو ما دعاه عليهم النبي ﷺ فابتلوا بالجوع - هو المناسبات التي كانت تحدث في مكة قبل الهجرة دون سائر الوجوه المراجعة إلى ما بعد الهجرة أو في الآخرة، أما الحديث المروي عن أبي جعفر عليه السلام لو صح فيمكن اعتباره تأويلًا للآيات فلا حظ.

لانيها (٦٦): ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾

١ - هذه من جملة آيات تتحدث عن المشركين في بدو نزول الوحي، لأنها من سورة «القلم» التي تارة بعد سورة «اقرأ» كما هو المشهور. وتتمام الآيات: ﴿إِنْ رَأَيْكَ ظَوَّاعِلًا يَمُنُّ هُنَّ عَنْ سَيْطَرٍ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُؤْمِنِينَ • فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِبِينَ • وَذَوَا أَلْوَدِّهِنَ فَيَكْذِبُونَ • وَلَا تَطْعِ كُلَّ غُلَّافٍ مَبِينٍ • عَمَّا زَمَنَاءُ بَنِيهِمْ • مَتَاعٍ لِلْغَيْرِ مُعْتَدٍ أَنَّهُمْ • عَثَلٌ يَشُدُّ ذَلِكَ رَبُّهُمْ • أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ

وَبَنِينَ • إِذَا كُنَّا عَلَىٰ غُلُوبِنَا فَكَانَا أَسَاطِيرَ الْأُولِينَ﴾  
القلم: ٧-١٥.

٢ - قوله: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾: بيان لسر تكذيب المكذبين، وهو أنهم كانوا ذا مال وبنيين، فافتخروا بذلك واستكبروا، فكذبوا النبي ﷺ الذي لم يكن عنده حين ذلك، مال ولا بنون.

فالتسا (٦٧): ﴿إِنْ لَدَيْنَا لَكُلٌّ وَجَعِيْبًا • وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَغُلَّافًا أَلْبَابًا﴾

١ - هذه تهديد للمكذبين بعذاب يوم القيامة، وقبلها: ﴿وَوَدَّرَ الْمُكْذِبِينَ أَوْسَى الثُّغَةِ وَمَهْلُهُمْ قَبِيلًا﴾. وبمعناها: ﴿يَوْمَ تُرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ كَانَتْ الْجِبَالُ كَتِيبًا مُهْبِلًا﴾

٢ - قال الطبرسي (٥: ٣٨٠): «والثغية: تردد اللقمة في الحلق، ولا يسهها أكلها. يقال: غص بريقه الحلق، فلا يدخل ولا يخرج، عن ابن عباس. وقيل: طعامًا يأخذ بالحقول لحشوته، وشدة تكثره. وقيل: يعني الزقوم والضريع.»

و يلحق بها الآية (٨٢) ﴿إِلَّا طَلُّوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثُلُثٍ شَقَرٍ﴾

١ - هذه من جملة آيات هي خطاب إلى المكذبين يوم القيامة، وهي: ﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا يَوْمَ الْقَصْرِ • وَتِلْ يَوْمَ تَبْلُغُ لِلْمُكْذِبِينَ • ... • إِلَّا طَلُّوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ • إِلَّا طَلُّوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثُلُثٍ شَقَرٍ • لَا ظِلُّ لَ وَلَا يَفِي مِنَ النَّهَبِ • إِلَهًا قَرْنِي يَشْرِبُ كَالْقَصْرِ • كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٍ • وَتِلْ يَوْمَ تَبْلُغُ لِلْمُكْذِبِينَ﴾

قال الطبرسي<sup>(٥: ٤١٨)</sup>: «ثم ذكر الموضع الذي أمرهم بالانطلاق إليه، فقال: ﴿الْأَقْصَا إِلَى هَيْلٍ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي تارها ثلاث شعب، سماها ظلًا لسواد نار جهنم.

وقيل: هو دخان جهنم له ثلاث شعب تحيط بالكافرين: شعبة تكون فوقه، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله.

وسمي الدخان ظلًا، كما قال: ﴿أَخْطَأَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ الكهف: ٢٢، أي من الدخان الآخر بالإطفاة، عن شجاعد وقادة، وقيل: يخرج من النار لسان فيحيط بالكافرين كالسرادق، فيشتب ثلاث شعب...».

رابعها (٦٨): وصف غير قريش أهل سفيان من الشام: ﴿وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَيْهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ﴾.

هذه من تنمة آيات غزوة بدر: ابتداء من الآية ٥: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِقَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَنُكَارَهُنَّ﴾ إلى الآية ١٧: ﴿فَلَمَّ تَفْتَلِسْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...﴾.

١- قد ذكر الطبرسي - كثيره من المفسرين والمؤرخين - قصة «غزوة بدر» مفصلة في (٢: ٥٢١)، و تتمتها في (ص ٥٢٧)، فلاحظ.

٢- وقال في تفسير الآية: ﴿وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ...﴾: «يعني: واذكروا واشكروا الله إذ يبعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم إما الخير، وإما التغير ﴿وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ

ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ﴾ أي تودون أن يكون لكم العير وصاحبها أبوسفیان بن حرب، لتلا تلحقكم مشقة دون التغير، وهو جيش قريش. قال المحسن: كان المسلمون يريدون العير، ورسول الله ﷺ يريد ذات الشوكة، كني بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة، عن قطرب، وقيل: ذات الشوكة: ذات السلاح...».

السادس: وصف الناس، وهو أصناف: أ- ذوو القرى ١١ آية: ٨ منها (٦٩ - ٧٦) دعوة إلى إعطاء حق ذي القرى أو الجار ذي القرى، وثلاث (٧٧ - ٧٩) خصوصية لذي القرى، وهي: ﴿فَتَسْتَانِدُ بِاللَّهِ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُشْتَرُوا بِفَتَمَاءٍ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾، ﴿وَإِذَا لَكُمْ لَأْمَدُوا لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾، ﴿وَلَنْ تَدْعُ حِقْلَهَا إِلَى جَنْبِهَا لَا يَحْمِلُ مِثْلَ شَيْءٍ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

لاحظ في رب: «القرى» =

ب- ذوو عدل ثلاث آيات (٣٣) و (٧٩) و (٨٠) وهي قسمان:

الأول: شهادة عدلين في أمرين: أحدهما: الوصية (٧٩): ﴿وَإِذَا خَضَعَ أَمَتُكُمْ أَلْمُوتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

ثانيهما: الطلاق (٨٠): ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقْبِلُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لاحظ، ط ل ق: «الطلاق».

الثاني: الحكم في جزاء الصيد عندا حال الإحرام (٣٣): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ

القسم به، والمعنى: أن من كان ذا لبه علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل على توحيد الله، توضح عن عجائب صوته، ويدائح حكمته.

ونذري طفر آية واحدة أيضًا (٨٤): ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَانُوا حُرْمَتَا كُلِّ ذِي طَمَرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعِزَمِ حُرْمَتَا عَلَيْهِمْ شَحْرُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا...﴾

١- هذه بيان ما حرّمه الله على اليهود من اللحم بعد أن بين قبلها ما حرّمه منها في الإسلام: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِي إِلَيَّ مُحْرَمًا عَلَى طَائِعٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْزُرٍ...﴾

٢- حوحي تنسريح مكّي، وجاءت بعدها في التنسريح المدني محرّمات أخرى. لاحظ: ح ر م:



و (٨٦): ﴿لِيُثَبِّتَ ذُو سَعَةِ مِنْ سَعَةٍ...﴾ و ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرٍ فَنُظِرَةٌ إِلَىٰ مَعَرَةٍ...﴾

الأولى: بيان نفقة المطلقات في عدتهن، وقد ذكر الله أحكام الطلاق في سورة بهذا الاسم، أولها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ...﴾ إلى هذه الآية. وقبلها: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ مَسَكْتُمُ مِنَ الْبُيُوتِ وَلَا تُخْسِرُوهُنَّ لِيُضْلَبْنَ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلًا فَلْيَقْرَأُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...﴾ إلى أن قال: ﴿لِيُثَبِّتَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَةٍ...﴾ و ﴿وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُثَبِّتْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا...﴾

وَمَنْ لَقَلَّهُ مِنْكُمْ مَكْرَهُهُ فَجَزَاءُ مِثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَفَّةِ...﴾ لاحظ: ص ي د: «الصيد».

ج- ذني فضل آية واحدة (٨١): ﴿وَأَنْ اسْتَقْرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ يُصْغِرْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ لاحظ: ف ح ل: «فضله».

د- طيل ذي ثلاث شقوب: آية واحدة (٨٢): خطاياها للمكذّبين يوم القيامة: ﴿الطَّلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ الطَّلِقُوا إِلَى طِيلٍ ذِي ثَلَاثِ شَقَبٍ • لَا ظَلِيلَ وَلَا يُبْنِي مِنَ اللَّهَبِ •

ولدي الربح لها خلال وصف أعداء الله، فلاحظ.

هـ- ذني حجر آية واحدة (٨٣): ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ حَقٌّ لِّدِي حَبْرٍ...﴾

١- هذه جاءت بعد القسم بالفجر وغيره أول السورة (١ - ٤): ﴿وَالْفَجْرِ • وَلَيَالٍ عَشْرٍ • وَالشُّعْرِ • وَالْوَلْرِ • وَالْأَيْلِ إِذَا نَسَرَ •

٢- وقد ذكر الطبري (١٢: ٥٦٥) نقلاً عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما معاني لـ ﴿ذِي حَبْرٍ﴾ ذي الثهي والعقل، ذي حجب، ذي رأي، ذي حلم، ذي لب، ونقل عن ابن زيد أن العقل واللّب واحد إلا أنه يلتحق في كلام العرب.

٣- وقال الطبرسي (٥: ٤٨٥) في معنى الآية: «أي هل فيما ذكر من الأقسام منفع لذي عقل ونسب، يعقل القسم والمقسم به. وهذا تأكيد وتظيم لما وقع

قال الطبرسي: « (يُثَبِّقُ ذُو مَنَّةٍ مِنْ سَعْيِهِ...) »  
 أمر سبحانه أهل التوسعة أن يستمعوا على نسايتهم  
 المَرْضَعَات أولادهم على قدر سمعهم ﴿وَمَنْ قُدِرَ  
 عَلَيْهِمْ أَيُّ ضَيْقٍ عَلَيْهِ﴾ رَزَقَهُ فَلْيُثَبِّقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ بِهِ  
 والمعنى: ومن كان رزقه بقدر القوت، فليثبتي على  
 قدر ذلك، وعلى حسب مكانه وطاقته... »

والثانية: من تمة آيات الرِّبَا: ابتداءً من الآية  
 ٢٧٥ من سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يَمَّاكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْطُبُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ  
 الْمَسِّ﴾ إلى الآية ٢٧٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا  
 اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لأن لم  
 تَقْعَلُوا فاذكروا بحرسي من الله ورسوله وإن كنتم لفي شك  
 رُبَّمَا سَأَلْتُمُوهُ لَكُمْ لَا تَقْظَمُونَ وَلَا تَقْظَمُونَ ﴿وَإِنْ كَانَ ظَنُّ  
 عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ يَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
 عَاظِمِينَ﴾

١ - قال الطبرسي: « لما أمر سبحانه بأخذ رأس  
 المال من الموسر، بين بعده حال المعسر فقال: ﴿وَإِنْ  
 كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ معناه: وإن وقع في غرمائكم ذو  
 عُسْرَةٍ. ويجوز أن يكون تقديره: وإن كان غريمًا لكم  
 ذو عُسْرَةٍ ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أي فالتذيي تعاملونه بنظرة ﴿إِلَى  
 مَيْسَرَةٍ﴾ أي إلى وقت اليسار، أي فالتواجب نظرة  
 صيغته الخبر، والمراد به الأمر، أي فانظروه إلى وقت  
 يساره... »

٢ - واحتمل في ﴿كَانَ﴾ أن يكون تامة، ومعناه:  
 وإن وقع ذو عُسْرَةٍ، أو ناقصة حذف خبرها، تقديره:  
 إن كان ذو عُسْرَةٍ غريمًا لكم.

٣ - وحكي أنها قرئت في الشواذ: (وَلِنْ كَانَ ذَا  
 عُسْرَةٍ) خبر الـ ﴿كَانَ﴾ واسمه ضمير راجع إلى أخذ  
 الربا.

ط - ذو دعاء، آية واحدة (٨٧): ﴿وَإِذَا اتَّعْتَا عَلَى  
 الْإِنْسَانِ اعْرِضْ وَثَابِعَاهُ وَإِذَا سَأَلَكَ الشَّرْعُ فَاذْكُرْهُ دُعَاءُ  
 غَرِيضٍ﴾

١ - هذه من تمة آيات وردت - خلال آيات في  
 وصف القرآن - توصيفاً لطبيعة الإنسان أمام الخير  
 والشر: ابتداءً من الآية ٤٩: ﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ  
 دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَوْسُقْ فُتُوطٌ﴾ ولين  
 أذْقَاهُ رَحْمَةً مِمَّا مِنْ تَفَضُّلِهِ مَسَّهُ لِيَكُونَ هَذَا فِي  
 وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتَ إِلَى رَبِّي إِنْ بَلَغْتُ  
 حَاشَاءُ فَنُفِثْتُ فَنُفِثْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا عَمَلُوا  
 وَلَكِنْ يَسْتَكْبِرُونَ مِنْ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿وَإِذَا اتَّعْتَا...﴾

٢ - قال الطبرسي (٥: ١٩٠): « ﴿وَإِذَا مَسَّهُ  
 الشَّرُّ﴾ أي الضر أو الفقر أو المرض ﴿فَاذْكُرْهُ دُعَاءُ  
 غَرِيضٍ﴾ أي فهو ذو دعاء كثير عند ذلك، عن  
 اللدني.

٣ - وقال: « وإما قال: ﴿فَاذْكُرْهُ دُعَاءُ غَرِيضٍ﴾  
 ولم يقل: طويل، لأنه أبلغ، فإن العرض يدل على  
 الطول، والطول لا يدل على العرض، إذ قد يصح  
 طويل ولا عرض له، ولا يصح حريض ولا طول له،  
 فإن العرض الانبساط في خلاف جهة الطول، والطول  
 الامتداد في أي جهة كان... »

ي - ذات السبين، آية واحدة أيضاً (٨٨):  
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَلْفَاكِ قُلِ الْأَلْفَاكِ هِيَ وَالرُّسُولُ

الزجاج، وهذا نهي من الله تعالى عن الاختلاف فيما  
اختلفوا فيه من أمر الغنمة يوم بدر، عن ابن عباس،  
ومجاهد، والسدي.

١- ذات حمل، آية واحدة أيضاً (٨٩): ﴿يَوْمَ  
تُرْوَمُهَا تَدْخُلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ مِمَّا ارْتَضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ  
ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ  
بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

١- وقبلها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ الْقَوَارِئُكُمْ إِن زُلْزَلَتْ  
السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ فالمراد بـ ﴿يَوْمَ تُرْوَمُهَا﴾ يوم  
القيامة.

٢- قال الطبرسي (٤: ٦٩): «والحمل يفتح الحاء:  
ما كان في بطن أو على رأس شجرة، والحمل بكسر  
الهمزة: ما كان على ظهر، أو على رأس».

١- وقال في معنى: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ  
حَمْلَهَا﴾ أي تضع الحمل ما في بطنها. وفي هذا  
دلالة على أن الزلزلة تكون في الدنيا، فإن الرضاع،  
وضع الحمل، إنما يتصور في الدنيا. قال الحسن:  
تذهل المُرْضِعَةُ عن ولدها تغير فطام، وتضع الحامل ما  
في بطنها تغير فقام. ومن قال: إن المراد به يوم القيامة  
قال: إنه تمويل لأمر القيامة، وتَعْظِيمُ لما يكون فيه من  
الشدة، أي لو كان ثم مَرْضِعَةٌ لذهلت، أو حامل  
لوضعت، وإن لم يكن هناك حامل، ولا مَرْضِعَةٌ.

ل- ذي مضغة، وذا مربة، ذامرية، ثلاث آيات  
(٩٠ - ٩٢): ﴿لَوْ أَطْقَامُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَةٍ \* يَتِيمًا ذَا  
مَقْرَبَةٍ \* أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَفْرَقَةٍ﴾ وقبلها الآية ٨٣ من  
الأنفال: ﴿فَلَا تَتَّبِعِ الْفَقْبَةَ \* وَمَا أَشْرَكَ مَا الْقَبْطَةَ \*

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

١- هذه الآية الأولى من سورة الأنفال، جاء فيه  
حكم الأنفال، والمراد بها غنائم غزوة بدر، وهو أحد  
الأحوال عند الطبرسي - وتشمل حكم الغنائم في سائر  
الغزوات والحروب بين المسلمين والكفار غير أهل  
الكتاب.

والمطلق الأنفال - كاصطلاح في فقه الإمامية -  
على غير الغنائم من الأموال العامة في الحكومة  
الإسلامية.

٢- قال الطبرسي (١: ٥١٨): «الأنفال: جمع نفل،  
والنفل: الزيادة على الشيء. يقال: نفلتلك كذا إذا  
زدته. [ثم استشهد بشعر وقال:]

وقيل: النفل: العطية، ونفلتلك: أعطيتك. والناقلة:  
عطية القطوع من حيث لا يجيب، ومنه توأمل الحديث: ﴿كَيْفَ تَكُونُ  
وَالثَّوْفَل: الرجل الكثير العطية».

٣- وقال في ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي  
وأصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة، وقوله:  
﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ كناية عن المنازعة والخصومة،  
والذات: هي الخلقة والبنية. يقال: فلان في ذاته صالح،  
أي في خلقة وبنية، يعني: أصلحوا نفس كل شيء  
بينكم، أو أصلحوا حال كل نفس بينكم. وقيل معناه:  
«أصلحوا حقيقة وصلاحكم، كقوله: ﴿لَقَدْ قَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾  
الأنعام: ٩٤، أي وصلاحكم، والمراد: كونوا مجتمعين على  
ما أمر الله ورسوله، وكذلك معنى: اللهم أصلح ذات  
الدين، أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون، عن



قُلْ رَّبِّي ۖ ﴿أَوْ إِطْعَامٌ...﴾. وهي عطف على آيات تالية للأقسام، وجوابها تصويراً للإنسان حيث قال في جوابها: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِيرٍ ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَبِصَالًا وَغَفَّتَيْنِ ۝ وَخَدَيْنَاهُ الثَّجْدَيْنِ ۝ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ...﴾.

١- قال الطبرسي (٥: ٤٩٢) في اللغة: «الاقتمام: الدخول على الشدة بالضييق، يقال: اقتحم، وتحمم، وأقممته، وقحمه غيره».

والعقبة: الطريقة التي ترتقى على صعوبة، ويحتاج فيها إلى معاقبة الشدة بالضييق والمخاطرة. وقيل: العقبة: التنبه الحثيكة في رأس الجبل، يضافها الناس فشبهت الكفة في وجوه البرسيم، وعاقب الرجل صاحبه، إذا صار في موضعه بدلاً منه.

والفلك: فرق يزيد المنع، ويمكن معه (منع) منع، ويمكن متعكناً، كلفك القيد والغل، لأنه يزول به المنع، ويمكن به تصرف لم يكن قبل، فلك الرقبة فرق بينها وبين حال الرق، بإيجاب الحرية، وإبطال العبودية.

و«المسقية»: الجماعة. سقّب يسقّب سقّاً فهو صاحب إذا جاع. [ثم استشهد بشعر]

و«المقرية»: القرابة. ولا يقال فلان قرابي، وإنما يقال: ذو قرابي، لأنه مصدر. [ثم استشهد بشعر]

و«المقرية»: الحاجة الشديدة، من قولهم: تهرب الرجل إذا افتقر.

٢- وقال في «المعنى»: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: «فيه أقوال:

أحدها: أن المعنى فلم يقتحم هذا الإنسان العقبة، ولا جاوزها. وأكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظة (لا) كما قال سبحانه: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا وُصِّلَ﴾ القيمة: ٣٢، أي لم يصدق، ولم يصل. [ثم استشهد بشعر]

والآخر: أن يكون على وجه الدعاء عليه بأن لا يقتحم العقبة، كما يقال: «لا غفر الله له، ولا نجيا، ولا سلم». والمعنى: لا نجيا من العقبة، ولا جاوزها.

والثالث: أن المعنى فهلا اقتحم العقبة، أو أهلا اقتحم العقبة، عن ابن زيد والجبائي وأبي مسلم، قالوا: ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالْحُسْنِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ﴾ البلد: ١٧، ولم كان أراد التضييق لم يحصل الكلام... ثم نقل عن الخليل أنه ضيق هذا الوجه... فلاحظ.

وأما المراد بالعقبة فيه وجوه: أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى...

وثانيها: أنها عقبة حقيقية. قال المحسن وقادة: هي عقبة شديدة في النار.

وثالثها: ما روي عن مجاهد والضحاك والكوفي: أنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف، مسيرة ثلاثة آلاف، سهلاً وصعوداً وهبوطاً... ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْئَةٍ﴾ أي ذي جماعة...

﴿يَتَّبِعُهُ الذَّامِرَةُ﴾ أي ذا قرين من قرابة النسب والرحم...

السابع: وصف السماء والأرض ٥ آيات (٩٣ - ٩٧) وكلها قسم في ثلاث سور قصار: الذاريات،

البروج، الطارق؛ وهذه آياتها مع جواب الأقسام فيها:

(٩٣): ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾ إِنْكُمْ لَنْفِي قَوْلِي

مُخْتَلِفٌ • يُؤَقِّلُ عَنْهُ مَنْ أَوَّلَا •

(٩٤ و ٩٥): ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ وَالْجُودِ

الْمَوْعُودِ • وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ • قُتِلَ أَصْحَابُ

الْأَخْدُودِ • أَثَارَ ذَاتِ الْوُقُودِ •

(٩٦ و ٩٧): ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجَمِ﴾ وَالْأَرْضِ

ذَاتِ الصُّدُوعِ •

١- أقسم الله تعالى في ثلاث منها بالسَّماء، ولكن

بأوصاف مختلفة للسَّماء، فوصف السَّماء في (٩٣)

بـ ﴿ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾، وفي (٩٤) بـ ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾

وفي (٩٦) بـ ﴿ذَاتِ الرَّجَمِ﴾، كما وصفت الأرض في

(٩٧) بـ ﴿ذَاتِ الصُّدُوعِ﴾، وجواب القسم فيها مختلف

أيضاً كما يأتي.

٢- قال الطُّبْرسي (٥: ١٥٢) في ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ

الْحُبُوبِ﴾: «الحُبُوبُ: الطَّرَائِقُ الَّتِي تَجْرِي عَلَى الشَّيْءِ،

كَالطَّرَائِقِ الَّتِي تُرَى فِي السَّمَاءِ، وَفِي الصَّاقِ مِنَ الْمَاءِ،

إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ، وَهُوَ تَكْسِرُ جَارِ فِيهِ. وَيُقَالُ

لِلشَّعْرِ الْجُمُودِ: حُبْلُهُ، وَالوَاحِدُ: حَبْلُهُ وَحَبْلُكَ.

وَالْحُبْلُ: حَسَنُ أَثَرِ الصَّنِيعَةِ فِي الشَّيْءِ وَاسْتَوَانُهُ، يُقَالُ:

حَبْلُكَ يَحْبِيكَ وَيَحْبِيكَ. [ثم استشهد بشعر].

وقال في معنى الآية: «أي ذات الطَّرَائِقِ المحسنة،

لَكِنَّا لَا نَرَى تِلْكَ الْحُبْلَ لِبُعْدِهَا عَنَّا، عَنِ الْحَسَنِ

وَالضَّحَّاكِ. وَقِيلَ: ذَاتُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ الْمُسْتَوِيِّ، عَنِ

ابْنِ عَبَّاسٍ وَخُصَّادَةٍ وَعِكْرَمَةَ وَالرَّيِّعِ. وَقِيلَ: ذَاتُ

الْحَسَنِ وَالزَّيْنَةِ، عَنِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ثُمَّ ذَكَرَ رَوَاةَ مَفْصَلَةٍ

عن الإمام أبي الحسن الرضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْنَاهَا، فَلَا حَظَّ.

٣- وقال في جواب القسم ﴿إِنْكُمْ لَنْفِي قَوْلِي

مُخْتَلِفٌ﴾: «أي إِنْكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ فِي قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ فِي

قَوْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَبَعْضُكُمْ يَقُولُ: شَاعِرٌ، وَبَعْضُكُمْ

يَقُولُ: مَجْنُونٌ، وَفِي الْقُرْآنِ يَقُولُونَ: إِنَّهُ سَحَرٌ وَكُهَانَةٌ

وَرَجَزٌ، وَمَا سَطَرَهُ الْأَوَّلُونَ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مِنْكُمْ مَكْذُوبٌ

بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنْكُمْ مُصَدِّقٌ بِهِ، وَمِنْكُمْ شَاكٌّ فِيهِ.

وَفَائِدَتُهُ أَنَّ دَلِيلَ الْحَقِّ ظَاهِرٌ، فَاطْلُبُوا الْحَقَّ بِدَلِيلِهِ،

وَلَا هَلِكُمْ.»

٤- وقال في: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾:

«فَالْبُرُوجُ: الْمَنَازِلُ الْعَالِيَةُ، وَالْمُرَادُ هُنَا: مَنَازِلُ الشَّمْسِ

وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ رُجْأً، يَسِيرُ الْقَمَرُ

فِي كُلِّ رُجْءٍ مِنْهَا يَوْمَيْنِ وَثَلَاثَ، وَتَسِيرُ الشَّمْسُ فِي كُلِّ

رُجْءٍ شَهْرًا.»

٥- قال الطُّبْرسي (٥: ١٥٢) في ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ

الْحُبُوبِ﴾: «الْحُبُوبُ: الْحَبْلُ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ

الْحُبُوبِ﴾، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾، جَوَابُ الْقِسْمِ

كَمَا كَانَ جَوَابُ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحْيَهَا﴾، ﴿قَدْ أَفْلَحَ

مَنْ زَكَّاهَا﴾، وَقِيلَ: إِنَّ جَوَابَ الْقِسْمِ مَحْذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ:

إِنَّ الْأَمْرَ حَقٌّ فِي الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ. وَقِيلَ: جَوَابُ

الْقِسْمِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ الْآيَةَ. وَقِيلَ: جَوَابُ

الْقِسْمِ قَوْلُهُ: ﴿إِنْ تَطُشْ رَبَّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

وَقَوْلُهُ: وَالْوَجْهَ الْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ وَإِلَّا لَكَانَ

قَوْلُهُ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾، مُعْتَرِضَةٌ غَيْرُ مُرْتَبِطَةٍ

بِمَا قَبْلُهَا وَمَا بَعْدَهَا. قَدْ حَكَى الطُّبْرسي قِصَّةَ أَصْحَابِ

الْأَخْدُودِ عَنْ كِتَابِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ تَفْصِيلاً، فَلَا حَظَّ.

٦- وقال: (٥: ١٧٠) فِي: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ

أَنْ تُلْشُوا شَجَرَهَا، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَلْهُمُ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ ﴿٩٩﴾  
 ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ  
 وَالْأَنْجِلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٠٠﴾  
 ﴿ذُرَّاكَ أَفْسَانُ﴾ قَبَايِ الْأَنْجِلِ نَكَا  
 لَكَذِبَانِ ﴿١٠١﴾

﴿١٠١﴾: ﴿فَاغْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ  
 وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ  
 لِّغَيْظٍ لِّمَنْ يَبْذَرُ فَلِيلٍ ﴿١٠٢﴾

﴿١٠٢﴾: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۚ  
 ١- الأول عطف على ذيل آية قبلها: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ

أَمَّا يَشْتَرِكُونَ﴾ وهما استنهام تقرير، أي أقروا أن الله  
 خير مما يشركون، وأقروا أن الله خلق السماوات  
 والأرض وأنزل لكم من السماء ماء.

٢- قال الطبرسي (٤: ٢٢٨): «الحديقة: البستان  
 الذي يملكه حاكم، وكل ما أحاط به البناء فهو حديقة.  
 وقيل: الحديقة: البستان الذي فيه الثخل.»

٣- وقال في إعرابها ومعناها: «﴿أَمْ﴾ استنهام  
 في محل الرقع على الابتداء، وخبره ﴿خَلَقَ﴾...  
 وتقديره: أمّا تشركون خير، أم من خلق السماوات  
 والأرض، أي أنشأها واختراعها.»

٤- وقوله في الثانية ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا﴾ عطف  
 على ﴿السَّمَاءُ﴾ في الآية قبلها: ﴿وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا  
 وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾. وقوله فيها: ﴿الْأَنْجِلُ﴾ عطف على  
 ﴿فَاكِهَةٌ﴾ في: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾.

٥- وقال الطبرسي (٥: ١٩٨): «لَمَّا ذَكَرَ السَّمَاءَ  
 ذَكَرَ الْأَرْضَ فِي مَقَابِلَتِهَا، أَيْ وَبَسَطَ الْأَرْضَ وَوُطِّأَهَا

الرُّجْعُ ۝ والرجع: أصله الرجوع، وهو الماء الكثير  
 تُرَدُّه الرِّيحُ تَمْرَعًا عَلَيْهِ. [ثم استشهد بشعر]  
 قال الزجاج: الرجع: المطر، لأنه يجيء ويرجع  
 ويتكرر.»

٧- وقال (ص: ٤٧٢) في معنى الآية: «أي ذات  
 المطر، عن أكثر المفسرين. وقيل: يعني بـ ﴿الرُّجْعُ﴾:  
 شمسها وقمرها ونجومها، تغيب ثم تطلع، عن ابن زيد.  
 وقيل: رَجَعُ السَّمَاءِ إعطاؤها الخير الذي يكون من  
 جهتها حالاً بعد حال، على مرور الأزمان، فترجع  
 بالغيث، وأرزاق العباد، وغير ذلك.»

٨- وقال (ص: ٤٧١) في: ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ  
 الصَّدْعِ﴾: «والصدع: الشق، فصدع الأرض  
 انشقاقها بالنبات وحشوب الزروع والأشجار.»

٩- وقال في معنى الآية: «تصدع بالنبات، أي  
 تنشق فيه مخرج منها النبات والأشجار.»

١٠- وقال في: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ فُصِّلْ﴾: «هذا جواب  
 القسم، يعني أن القرآن يفصل بين الحق والباطل  
 بالبيان عن كل واحد منهما. وروي ذلك عن الصادق  
 عليه السلام. وقيل: معناه أن الوعد بالبعث والإحياء بعد  
 الموت، قول فصل، أي مقطوع به، لا خلاف ولا ريب  
 فيه.»

الثامن: وصف الشمس والقمر آيات: (٥٨) و  
 (٥٩) وقد تقدم البحث في أصحاب الكهف.  
 التاسع: وصف الأشجار والحدائق والجنات،  
 والحيات، خمس آيات:

(٩٨): ﴿فَالْتَبَّاسُ هَذَانِ ذَاتَ بُهْدٍ مَا كَانَ لَكُمْ

للناس. وقيل: الأنام: كل شيء فيه روح، عن ابن عباس. وقيل: الأنام: الجن والإنس، عن الحسن. وقيل: جميع الخلق من كل ذي روح، عن مجاهد. وغير عن الأرض بـ «الوضع» لما عُبِّرَ عن السماء بـ «الرفع» وفي ذلك بيان التهمة على الخلق، وبيان وحدانية الله تعالى، كما في رفع السماء. ﴿فَبِهَا فَاكِهَةٌ﴾ أي في الأرض ما يفضكه به من ألوان الثمار المسخوذة من الأشجار. ﴿وَاللَّهُ لَذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ قال في «اللمعة»: والأكام: جمع كم، وهو وعاء نمر الثفل، تكتم في وعائه إذا اشتمل عليه.

وقال في «المعنى»: أي الأوعية والخلف، ونمر الثفل يكون في خلف ما لم ينشق. وقيل: الأكام: ليف الثفل الذي تكتم فيه، عن الحسن. وقيل: معناه ذات الطلع، لأنه الذي يتغطى بالأكام، عن ابن زيد.

٦- قوله في الثالثة: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ وقيل: الأفنان: النبتين في الآية ٤٦ قبلها: ﴿وَلَيْسَ خَافِ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾.

٧- قال الطبرسي (٥: ٢٠٧) في ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ في «اللمعة»: «الأفنان: جمع فنن، وهو الثمن القصير الورق؛ ومنه قولهم: «هذا فن آخر» أي نوع آخر، ويجوز أن يكون جمع فن».

٨- وقال في معناها: «أي ذواتا ألوان من التعميم، عن ابن عباس. وقيل: ذواتا ألوان من الفواكه، عن الضحاك. وقيل: ذواتا أغصان، عن الأخفش والجلباني ومجاهد أي ذواتا أشجار، لأن الأغصان لا تكون إلا من الشجر. فدل بكثرة أغصانها على كثرة

أشجارها، وبكثرة أشجارها على تمام حالها، وكثرة ثمارها، لأن البستان إنما يكمل بكثرة الأشجار، والأشجار لا تحسن إلا بكثرة الأغصان».

٩- و «الجنتين» في الرابعة: ﴿وَيَذْكُرْنَاهُمْ بِجَنَّاتِهِمْ﴾ إشارة إلى الجنان في الآية ١٥ قبلها: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِرِّ فِي مَنَظَرِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتٌ﴾.

لاحظ: أ ت ل: «أثْل»، و: خ م ط: «خطر». وقال الطبرسي (٥: ٦٩٧ و ٦٩٨) في الخامسة: «وَالْخُبُّ» يريد جميع الحبوب مما يحرث في الأرض من الحنطة والتمير وغيرها.

﴿ذَوُ الْقَصَصِ﴾ أي ذو الورق، فإذا يس ودريس. وقيل: عن مجاهد والجبلي. وقيل: العصف: القتب، لأن الربيع تعصفه، أي تطيره، عن ابن عباس وقادة الضحاك. وقيل: هو بقل الزرع، وهو أول ما ينبت.

﴿وَالرَّيْحَانِ﴾ يعني الرزقي في قول الأكثريين. وقال الحسن، وابن زيد: هو ريحانكم الذي يشم. وقال الضحاك: الريحان: الحب المأكول. والعصف: الورق الذي لا يؤكل، فهو رزق الدواب. والريحان: رزق الناس، فذكر سبحانه قوت الناس والأنعام.

العاشر: وصف النار، آيتان: (٩٥): ﴿النَّارُ ذَاتُ الْوُكُودِ﴾ و (٣١-١): ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾. وقد مضى بحث الأولى في «وصف السماء والأرض» الآية رقم (٩٥)، فلاحظ.

١- أمّا الكلام في (١٠٣) فضمير الفاعل في ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾ يرجع إلى ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ في أول

بعضها إلى بعض، وألواحها خشبائها التي منها  
جُمعت. و﴿ثُورٌ﴾ أي مسامير شُدَّت بها السفينة، عن  
ابن عباس وقناة وابن زيد. وقيل: هو صدر السفينة  
يُدسر بها الماء، عن الحسن وجماعة. وقيل: هي أضلاع  
السفينة، عن مجاهد. وقيل: الدُسر طرفاها وأصلها.  
والألواح جانبها، عن الضحاك.

ويلاحظ ثانياً: أن من هذه الآيات الكثيرة ٧٥  
آية مكيّة، و ٣٠ مدنيّة، و واحدة مختلف فيها.

فالمكّيات منها أكثر من خِصف المدنيّات، إذاً أكثرها  
ترتبط بأوصاف الله وأفعاله، وهذه الأوصاف  
والأفعال هي الغالبة في المكّيات لربطها بالتوحيد  
الذي هو الأصل في المكّيات.

و ثالثاً: وردت نظائر لهذه المادة، وقد ذكرناها في  
«خ دن»، و «خ ل ل».

السورة: ﴿ثَبَّتْ بِدَايِ لَهْرٍ وَتَمْبًا﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ  
وَمَا كَسَبَ ﴿سَيَصْلَى نَارًا...﴾، وكذا الضمائر في  
الآية: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ...﴾.

٢- قال الطبرسي (٥: ٥٥٩): «أي سيدخل ناراً  
ذات قوة واشتعال، تلتهب عليه، وهي نار جهنم،  
وفي هذا دلالة على صدق النبي ﷺ، وصحة  
نبوته، لأنه أخبر أن أبا لهب يموت على كفره،  
وكان كما قال».

الحادي عشر: وصف السفينة، آية واحدة:  
(١٠٤): ﴿وَخَمَلْنَا عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاحِ وَفُورٍ﴾.

١- هذه من جملة آيات في وصف نوح ﷺ ابتداءً  
من الآية ٩ من سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ فُؤُومٌ  
نُوحٌ﴾، وضمير المفعول في ﴿وَخَمَلْنَا﴾ راجع إليه.

٢- قال الطبرسي (٥: ١٨٩) في معنى الآية: «أي

حملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح مَرْتَبَعَةٍ جمع مَرْتَبَعٌ».

# ذود

ذُودَان

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مكية

## التُصْرُص اللُّغَوِيَّة

وهوهم: «الذود إلى الذود إبل» يدل على أنها في

موضع اثنين، لأن التين إلى التين جمع.

في الأقواد: جمع ذود، وهي أكثر من الذود ثلاث

مرات.

قد جعل النبي ﷺ في قوله: «ليس في أقل من

خمس ذود من الإبل صدقة».

الثاقفة الواحدة ذودا،<sup>(١)</sup> والذود لا يكون أقل من

ثنتين.

وكان حد خمس ذود عشراً من الثوق، ولكن هذا

مثل: ثلاثة فقة، يعنون به ثلاثة، وكان حد ثلاثة فقة أن

يكون جمعا، لأن الفقة جمع. (الأزهرى ١٤: ١٥٠)

أبو زيد: الذود من الإبل: بعد الثلاثة إلى العشرة.

(الأزهرى ١٤: ١٥٠)

الخليل: الذود من الإبل: من الثلاث إلى العشر.

وذكره أدوته عن كذا أي دفعته. (٥٥: ٨)

الليث: الذود لا يكون إلا إناء، وهو القطيع من

الإبل ما بين الثلاث إلى العشر. (الأزهرى ١٤: ١٤٩)

نحو الخطائي. (٨٨: ١)

ابن شميل: الذود: ثلاثة أبيرة إلى خمس عشرة.

والناس يقولون: إلى العشرة.

ويقال: دذت فلانا عن كذا وكذا أدوته، إذا

طرده، فأنا ذائد وهو مذود.

ويزود الثور: قرنه. [ثم استشهد بشعر]

(الأزهرى ١٤: ١٥٠)

أبو عبيدة: الذود: ما بين التين إلى التسع، من

الإناث دون الذكور. [ثم استشهد بشعر]

(١) هكذا في الأصل: ذودا... ولعله: ذودا.

ابن الأعرابي: المَنَاد والمَرَاد: المَرْتَجِع.

ويقال: ذُذْتُ الإبل أذودها ذَوْدًا، إذا طردتها.

والمُذَيِّد: المعين لك على ما تنوذه، وهذا كقولك: أطلبتُ الرجل إذا أعتته على طليته، وأحلبته: أعتته على حَلَبِ ناقته. [واستشهد بالشعر مرتين]

(الأزهري: ١٤: ١٥١)

المُؤَرَّد: الذَّوْد: الشرذمة من الإبل خاصة. (١١: ٤٧)

ابن دُرَيْد: ذَاذَه يَذْوُدُه ذَوْدًا، إذا منعه، فهو ذَائِد.

والمذَّود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر.

ومثل من أمثالهم «الذَّوْد إلى الذَّوْد إبل».

(٢: ٢٤٤)

الأزهري: [نقل قول الليث ثم قال:]

قلت ونحو ذلك حقيقته عن العرب،<sup>(١)</sup> وقال الليث

«ليس مما دون خمس ذُود من الإبل حبيدة»

فاكتفى في قوله: «خمس ذُود». [ثم نقل قول أبي حنيفة:

وأضاف:]

قلت: هو مثل قولهم: رأيت ثلاثة نفر وتسعة

رُفْط، وما أشبهه. (١٤: ١٤٩)

الصَّاحِب: المذَّود: اللسان، وكل ما يذاد به، أي

يُمْتَع.

وذُذْتُ عنهم أذود ذَوْدًا وذِيادًا. وهم الذُّرَاد.

وأذذْتُ الرجل: أعتته على ذِياد إبله.

وأذذني، أي ذُذمني.

والمذَّود من الإبل: من الثلاثة إلى العشرة.

والجميع: الأذواد.

وفي المثل: «الذَّوْد من الذَّوْد إبل».

والمذَّود: اسم جبل.

الجوهري: الذَّوْد من الإبل: ما بين الثلاث إلى

العشر. وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها، والكثير:

أذواد.

وفي المثل: «الذَّوْد إلى الذَّوْد إبل». قولهم: «إلى»

بمعنى «مع» أي إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيرًا.

والذِياد: الطرد. تقول: ذُذمت عن كذا، وذُذْتُ

الإبل: سُقَّتْها وطردتها. والتذويد مثله.

وأذذْتُ الرجل: أعتته على ذِياد إبله.

ورجل ذَائِد وذَوَاد، أي حامي الحقيقة دفاع.

والمذَّود: اللسان.

والذَائِد: اسم فرس نجيب جدًا من نسل الخروء.

قال الأصبهاني: وهو الذَائِد بن بطين ابن بطان بن

الخروء. [واستشهد بالشعر مرتين] (٢: ٤٧١)

ابن قيار بن: الذَّال والسَّوَاد والذَّال أصلان:

أحدهما: تشبيهُ الشيء عن الشيء، والآخر: جماعة

الإبل، ومحمّل أن يكون الباهان راجعين إلى أصل

واحد.

فالأوّل: قولهم: ذُذْتُ فلانًا عن الشيء أذُوذُه ذَوْدًا

وذُذْتُ إبلِي أذودها ذَوْدًا وذِيادًا.

ويقال: أذذْتُ فلانًا: أعتته على ذِياد إبله.

والأصل الآخر: الذَّوْد من التَّعَم. (٢: ٣٦٥)

ابن سيده: الذَّوْد: السُّوق والطَّرْد والدَّخْل، ذَاذَه

عن الشيء ذَوْدًا، وذِيادًا.

(١) يعني لا يكون الذَّوْد إلا إناثًا.

ورجل ذائد من قوم ذود، وذواد، وذادة.

وأذاته: أعانه على الذيادة.

والذود: اللسان، لأنه يذاد به عن العرض.

والذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر.

وقيل: من ثلاث إلى خمس عشرة، وقيل: إلى عشرين.

وقال ابن الأعرابي: هي ما بين الثلاث إلى العشر.

وفوق ذلك.

وقيل: ما بين الثلاث إلى الثلاثين، وقيل: ما بين

الثنتين والتسع.

ولا يكون إلا من باب الإناء، وهو مؤنث.

وتصغيره بغير هاء، على غير قياس، وتوقسوا به

المصدر والجمع: أذواد.

وقالوا: ثلاث أذواد، وثلاث ذود. فأضافوا إليه

جميع ألفاظ أدنى العدد، جعلوه بدلاً من أذواد.

ونظيره: ثلاثة رجلة، جعله بدلاً من أرجال.

هذا كله قول سيبويه، وله نظائر عند أئمتها في

«الكتاب المخصص».

وقالوا: ثلاث ذود، يعنون ثلاث أمتق.

قال اللغويون: الذود: جمع لا واحد له. وقال

بعضهم: الذود واحد وجمع.

وفي المثل: «الذود إلى الذود إبل» أي القليل

يضم إلى القليل فمصير كثير.

وذياد وذواد: اسمان.

والمذاد: موضع بالمدينة. [واستشهد بالشعر ٣

(٤١٥: ٩)

مرات]

الراغب: ذذغه عن كنا أذوده. قال تعالى:

﴿وَوَجَدَ مِنْ ذُوتِهِمْ امْرَأَتَيْنِ كَذُودَانِ﴾ القصص: ٢٣.

أي تطردان ذوداً.

والذود من الإبل: العشرة. (١٨٣)

الزمخشري: ذاد الإبل عن الماء ذوداً وذياداً

وأذاه غيره: أعانه على ذيادها.

ويقال: أذنتي، كما يقال: أخطني، في الاستعانة

على الحياطة.

وله ذود من الإبل وأذواد، وهو القطيع من

الثلاثة إلى العشرة

ومن المجاز: فلان يذود عن حبه.

وذاد عني الهم.

والثور يذود عن نفسه بيزوده، وهو قرنه.

والفارس ييزوده وهو يطرده.

والمتكلم ييزوده، وهو لسانه.

ورجال مذاود ومذاويد. [واستشهد بالشعر

مرات] (أساس البلاغة: ١٤٧)

[في حديث أبي ذر: «... فزنى لنا وذود...».

«الذود»: مادون العشر من الإبل.

(الفائق ٣: ١١١)

[في حديث علي عليه السلام: «... ففأذه أذه ذادة».

«الذادة»: الذائدون عن الحرم. (الفائق ٣: ٤٠٨)

ابن الأثير: فيه: «ليس فيما دون خمس ذود

صدقة».

الذود من الإبل: ما بين الثنتين إلى التسع. وقيل:

ما بين الثلاث إلى العشر. واللفظة مؤنثة، ولا واحد لها

من لفظها كاللعم.



- وقال أبو عبيد: الذود من الإناث دون الذكور.  
والحديث عام فيها، لأن من ملك خمسة من الإبل  
وجبت عليه فيها الزكاة، ذكورا كانت أو إناثا. وقد  
تكرر ذكر «الذود» في الحديث.
- وفي حديث الخوض: «إني ليهيئ خوضي أذود  
الناس عنه لأهل اليمن». أي أطردهم وأدفعهم.  
ومنه الحديث: «فلئذ اتن رجال عن خوضي».  
أي ليطردن، ومروى: فلائذ اتن، أي لا تفعلوا فعلا  
يوجب طردكم عنه: الأول أشبه. وقد تكرر في  
الحديث. (١٧١: ٢)
- الفيومي: الذود: من الإبل. قال ابن الأنباري:  
سمعت أبا العباس يقول: ما بين الثلاث إلى العشر ذود،  
وكذا قال الفارابي.
- والذود مؤنثة، لأنهم قالوا: «ليس في أقل من  
خمس ذود صدقة».
- والجمع: أذواد، مثل: ثوب وأثواب. وقال في  
البارج: الذود لا يكون إلا إناثا.
- وذاد الراعي إبله عن الماء يذودها ذودا وذبادا.  
منها. (٢١١: ١)
- الفيروز آبادي: الذود: السوقي والطرد والتفع.  
كالذياد، وهو ذائد من ذود، وذواد وذادة، وثلاثة  
أبيرة إلى العشرة، أو خمس عشرة، أو عشرين، أو  
ثلاثين، أو ما بين الثنتين والتسع.
- مؤث، ولا يكون إلا من الإناث، وهو واحد  
وجمع، أو جمع لا واحد له، أو واحد جمعه: أذواد.
- وقولهم: «الذود إلى الذود إبل» يدل على أنها في
- موضع اثنتين، لأن الثنتين إلى الثنتين جمع.  
وكنبر: اللسان، ومثقف الدابة، ومن القور:  
قرته، وجبل.
- والذائد: فرس من نسل الحرور، وسيف خبيب  
ابن إساف، والرجل الحامي الحقيقة، كالذواد، ولقب  
امري القيس بن بكر. [تم استشهد بشعر]
- والمناد: المرمج، وأذودته: أعنته على ذباد أهله.  
(٣٠٣: ١)
- الطريحي: ورجل ذائد، أي حامي الحقيقة ذفاع،  
ومنه: «الذادة: الحماة».
- والذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر.  
ذكيل: ما بين الخمس إلى التسع.
- ومنه: «ليس في أقل من خمس ذود صدقة».
- واللفظة مؤنثة، ولا واحد لها من لفظها كالتثنية،  
والجمع: أذود، مثل سيب وأسباب.
- والذود كوثير: مثقف الدابة.
- والذود: اللسان. (٤٦: ٣)
- مجمع اللغة: ذاد يذود، ذودا: ساقه وطرده  
ودفعه.
- وذاد عن كذا: دفعه عنه. (٤٣٣: ١)
- نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (٢٠٥: ١)
- العدناني: الذود والذود.
- ويستون مثقف الدابة: ذودا، والصواب: هو  
يذود.
- ويستون الوعاء الذي يجفل فيه الزاد: مسزودا،  
والصواب: هو يمزود. (معجم الأخطاء الشائعة: ٩٦)

محمود شيت: ١- أ. ذاته ذودًا وذبادًا: دفعه.

طرده.

يقال: ذاد عن حرمة وعن وطئه وذاد عنه المهم.

وذاد الثواب عن الموارد. والذابة: ساقها، فهو

ذائد؛ جمعه: ذود، وذواد، وذادة.

ب- أذاته: أعانه على الذباد.

ج- الذود: القطيع من الإبل، بين الثلاث إلى

الغش. مؤنث؛ جمعه: أذواد.

د- المذاد: المرمع.

هـ- المذود: آلة الذود واللسان. ويقال: رجل

مذود؛ دقاع عن الثمار. الجمع: مذاد، ومذاويد.

٢- أ. ذاذ ذودًا عن بلاده: دافع عنها دفاعًا

مستميًا. يقال: ذاذ عن أرض الوطن.

ب. المذاد: المرمع.

ج- المذود: آلة تود الأوساخ عن السلاح. وهي

من معدن، تستعمل لتنظيف السلاح بما علق به من

أوساخ، بوضع قطعة من القماش في ثلثة فيها.

(١: ٢٦٨)

المصطفوي: والتحقيق بأن الأصل الواحد في

هذه المادة: هو الدفع مع إبعاد، وبهذا يظهر الفرق بينها

وبين مواد: الدفع، والمنع، والنز، والطرء، والتلعية،

والإبعاد، وغيرها.

فإن المنع هو إبعاد ما يمنع عن حدوث فعل،

والدفع ما يمنع في جهة الاستدامة والبقاء، والنز هو

الدفع مع شدة وفي مقام الخلاف، والطرء هو الإبعاد مع

شدة، والتلعية يلاحظ فيه الإبعاد إلى جانب معين،

والرذ هو المنع إلى جهة العقب، وتحتيته إليه راجع:

الدفع، النز.

فالذود هو الدفع والإبعاد عن شيء لو محمل.

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ

يَسْتُلُونَهُ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ كَذُودَانِ قَالَ مَا

خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سُبْحَىٰ حَتَّىٰ يَصِيرَ الرِّغَاءُ فِي الْقَصَصِ:

٢٣. أي تدفان ما بينهما وتبعدانها عن مورد الماء

والسبي، حذرًا من الاختلاط والتماس.

فظهر لطف التعبير بالمادة، دون المنع والدفع

والرذ. وأمثالها. (٣: ٣٤٨)

## النصوص التفسيرية

كذودان

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ

يَسْتُلُونَهُ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ كَذُودَانِ قَالَ مَا

خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سُبْحَىٰ حَتَّىٰ يَصِيرَ الرِّغَاءُ فِي الْقَصَصِ

كبير.

ابن عباس: تحسان غنمهما من الماء من ضعفهما

حتى يفرغ القوم. (٣٢٥)

نحوه سعيد بن جبش، وقتادة، والسدي، وأبو مالك،

(الطبري ١٠: ٥٤)، وقطرب (المأوردى ٤: ٢٤٥)،

والطوسي (٨: ١٤١)، والواحدى (٣: ٣٩٤).

كذودان غنمهما من الماء خوفًا من السقاء

الأقرباء. (ابن عطية ٤: ٢٨٣)

الحسن: تكفان أغنامهما عن أن تختلط بأغنام

الناس، وترك ذكر الغنم اختصارًا. (التعلي ٧: ٢٤٣)

نحوه ابن قتيبة. (ابن الجوزي ٦: ٢١٢)

قَتَادَةُ: تَكْفَانُ النَّاسِ عَنْ أَغْنَامِهِمَا.

(البخري ٣: ٥٢٩)

ابن إسحاق: يعني دون القوم تذودان غنهما من الماء، وهو ماء مَدِينٍ. (الطبري ١٠: ٥٤)

يحيى ابن سلام: تمنعان غنهما لئلا تختلط بغير الناس. (القرطبي ١٣: ٢٦٨)

الفرّاء: تحبان غنهما، ولا يجوز أن تقول: دُذْتُ الرَّجُلُ: حَبَسْتُهُ. وإنما كان الزيادة حباً للضم، لأن الضم والإبل إذا أراد شيء منها أن يَشِيدَ ويذهب فردته، فذلك ذودٌ، وهو الحبس، وفي قراءة عبدالله

(وَذَوْلُهُمْ أَفْرَأَتَانِ حَابِسَتَانِ لِمَسَالِمَا عَنْ حَبِئِهِمَا، فَقَالَتَا: لَا تَقْوَى عَلَى السَّقِيِّ مَعَ النَّاسِ حَتَّى يُحْدِثُوا، فَأَتَى أَهْلَ الْمَاءِ فَاسْتَوْهَبَهُمْ ذُلُومًا فَقَالُوا: اسْتَقِيَ إِنْ

قَوِيَتْ، وَكَانَتْ الذَّلُومُ يَحْمِلُهَا الْأَرْضُونَ وَيَحْمِلُونَهَا، فَاسْتَقِيَ هُوَ وَحْدَهُ، فَسَقِيَ غَنِمَهُمَا. (٢: ٣٠٥)

أَبُو عُبَيْدَةَ: بِجَارِهِ تَمْنَعَانِ وَتَرْدَانِ وَطَرْدَانِ.

(٢: ١٠١)

الطبري: يعني بقوله: ﴿تَذُودَانِ﴾ تحبان غنهما، يقال منه: ذاد فلان غنمه وماشيته، إذا أراد شيء من ذلك يَشِيدُ ويذهب، فردةً ومنعه، يذودها ذودًا.

وقال بعض أهل العربية من الكوفيين: لا يجوز أن يقال: دُذْتُ الرَّجُلُ بمعنى: حَبَسْتُهُ. إنما يقال ذلك للغنم والإبل.

وقد روي عن النبي ﷺ «إِنِّي لِبَعْقَرٍ حَوْضِي

أَذُودُ النَّاسِ عَنْهُ بَعْصَايَ» فقد جعل الذود ﷻ في الناس. [ثم استشهد بشعر]

واختلف أهل التأويل في الذي كانت عنه تذود هاتان المرأتان، فقال بعضهم: كانتا تذودان غنهما عن الماء حتى يصدر عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما لضعفهما.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تذودان الناس عن غنهما.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: تحبان غنهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم.

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لدلالة قوله: ﴿فَمَا حَبِئْتُمَا قَالَتَا لَا تَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ على أن ذلك كذا، وكذلك ذلك، وأنها إنما شكتا أنهما

لا تسقيان حتى يصدر الرعاء، إذ سألهما موسى عن ذودهما، ولو كانتا تذودان عن غنهما الناس، كان لاشك أنهما كانتا يُخبران عن سبب ذودهما عنها الناس، لا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يصدر الرعاء. (١٠: ٥٣)

الزجاج: أي تذودان غنهما عن أن يقرب موضع الماء، لأنها يطردان عن الماء من هو على السقي أقوى منهما. (٤: ١٣٩)

كأنهما تكرهان المزاجمة على الماء.

(أبو حيان ٧: ١١٣)

الطبري: تحبان وتمنعان أغنامهما عن أن يَشِيدَ وتذهب. [ثم نقل قول الحسن وقَتَادَةَ وأضاف:]

وقال أبو مالك وابن إسحاق: تحبسان غنمهما عن الماء حتى يصدر عنه مواشي الناس ويخلوا لهما البئر، ثم يسقيان غنمهما لضعفهما. وهذا القول أولى بالصواب لما بعده، وهو قوله: ﴿قَالَ﴾ يعني موسى، ﴿مَا عَطَيْنَاكُمْ﴾ ما شأكما لتسقيان مواشيكما مع الناس؟ (٢٤٣: ٧)

نحوه البقوي (٥٢٩: ٣)، والشوكاني (٢٠٨: ٤).  
الماوردي: تطردان. [ثم استشهد بشعر] (٢٤٥: ٤)

المبيدي: أي تدفعان أغنامهما حتى لا يختلط بغيرها. أشار إلى تنحهما عن الجماعة للوزع والصيانة، وكرهية الاختلاط بالرجال. وقيل: لضعفهما. (٢٩٣: ٧)

الزمخشري: والذود: الطرد والدفع. وإنما كانتا كذودان، لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي.

وقيل: كانتا تكرهان المزاومة على الماء. وقيل: لتلاختلط أغنامهما بأغنامهم. وقيل: كذودان عن وجههما نظر الناظر لتسترهما. (١٧٠: ٣)  
نحوه التستبي (٢٣١: ٣)، والبروسوي (٣٩٥: ٦).  
والقاسمي (٤٧٠: ١٣).

ابن عطية: معناه: تمنعان وتحبسان؛ ومنه قوله فليناذن رجال عن حوضي الحديث. وشاهد الشعر في ذلك كثير. وفي بعض المصاحف: (أمرأتين حابستين كذودان). (٢٨٣: ٤)

الطهرسي: [اكتفى بنقل الأقوال].  
الفخر الرازي: والذود: الذلج والطرْد، فقوله: ﴿كذودان﴾ أي تحبسان.

ثم فيه أقوال:  
الأول: تحبسان أغنامهما. واختلفوا في علّة ذلك الحبس على وجوه: أحدها: قال الزجاج: لأن على الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي.

وثانيها: كانتا تكرهان المزاومة على الماء. وثالثها: لتلاختلط أغنامهما بأغنامهم. ورابعها: لتلاختلط بالرجال. القول الثاني: كانتا كذودان عن وجوهما نظر الناظر ليراهما.

والقول الثالث: كذودان الناس عن غنمهما. (٢٣٩: ٢٤)

القرطبي: معناه: تمنعان وتحبسان؛ ومنه قوله فليناذن رجال عن حوضي وفي بعض المصاحف: (أمرأتين حابستين كذودان). يقال: ذاد يذود، إذا حبس، وذدت الشيء: حبسته.

ابن سلام: تمنعان لغنمهما لتلاختلط بغنم الناس، فحذف المفعول: إمّا إيهامًا على المخاطب، وإمّا استفناءً بطلعه.

قال ابن عباس: كذودان غنمهما عن الماء، خوفًا من السقاة الأقوياء.

فتادة: كذودان الناس عن غنمهما. قال النقاس: والأول أولى، لأن بعده ﴿قَالَ﴾

لَا يَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ لَهُمْ. وَلَوْ كَانَتْا تَذُودَانِ عَنْ  
غَنِمَهُمَا النَّاسُ لَمْ تُخْبِرَا عَنْ سَبَبِ تَأْخِيرِ سَقِيهِمَا حَتَّى  
يُصْدِرَ الرِّعَاءَ. (٢٦٨: ١٣)

الْبَيْضَاوِي: تَمْنَعَانِ أَغْنَامَهُمَا مِنَ الْمَاءِ، كَمَا  
لَا تَحْتَظُّ بِأَغْنَامِهِمْ. (١٩٠: ٢)

نَحْوُهُ أَبُو السُّعُود (١١٨: ٥)، وَالْكَاشَانِي (٨٥: ٤)،  
وَشَيْخُ (١٦: ٥)، وَفَضْلُ اللَّهِ (٢٨٤: ١٨).

ابْنُ جُرَيزٍ: أَيُّ تَمْنَعَانِ النَّاسُ عَنْ غَنِمَهُمَا. وَقِيلَ:  
تَذُودَانِ غَنِمَهُمَا عَنِ الْمَاءِ حَتَّى يَسْقِي النَّاسُ. وَهَذَا  
أَظْهَرَ لِقَوْلِهِمَا: ﴿فَأَلَّا لَا يَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ لَهُمْ﴾  
أَيُّ كَانَتْ عَادَتُهُمَا أَلَّا يَسْقِيَا غَنِمَهُمَا إِلَّا بَعْدَ النَّاسِ،  
لِقَوَّةِ النَّاسِ وَاضْطِرِّهِمَا، أَوْ لِكِرَاهَتِهِمَا التَّزَاحُمَ مَعَ  
النَّاسِ. (١٩٤: ٣)

أَبُو حَتِيَّانَ: [اكتفى بنقل الأقوال] (١٦٢: ٧)  
الْأَلُوسِي: كَانَتْا تَمْنَعَانِ غَنِمَهُمَا عَنِ الْمَاءِ مَخَافًا مِنْ  
السُّقَاةِ الْأَقْوِيَاءِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ.

وَقِيلَ: تَمْنَعَانِ غَنِمَهُمَا عَنِ التَّصَدُّمِ إِلَى الْبَشَرِ  
لِتَلَا تَحْتَظُّ بِغَيْرِهَا، وَحُكِيَ ذَلِكَ عَنِ الرَّجَاجِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: تَمْنَعَانِ النَّاسُ عَنْ غَنِمَهُمَا.  
وَقَالَ الْفَرَّاءُ: يَحْسَبَانِ غَنِمَهُمَا مِنْ أَنْ تَنْفَرَقِي.  
وَفِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ «الْمَذُودَ» كَانَ  
غَنِمًا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ عَنْ تَوْقِيفِ.

وَقِيلَ: تَذُودَانِ عَنْ وَجْهِهِمَا نَظَرَ السَّاطِرِينَ  
لِتَسْتَرْهِيَا. وَهَذَا كَمَا تَرَى. (٥٩: ٢٠)

سَيِّدُ قُطَيْبٍ: لَقَدْ انْتَهَى بِهِ السَّرُّ الشَّاقُّ الطُّوِيلُ  
إِلَى مَاءِ الْمَدِينِ. وَصَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِمُجْهَدٍ مَكْدُودٍ. وَإِذَا هُوَ

يَطْلُعُ عَلَى مَشْهَدٍ لَا تَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ النَّفْسُ ذَاتُ الْمَرْوَةِ،  
السَّلْبَةُ الْفَطْرَةُ، كَنَفْسِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَدَ الرِّعَاءَ  
الرِّجَالُ يوردون أنعامهم لتشرب من الماء ووجد  
هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء.

(٢٦٨٥: ٥)

ابْنُ عَاشُورٍ: تَطْرُدَانِ. وَحَقِيقَةُ الْمَذُودِ: طَرْدُ  
الْأَنْعَامِ عَنِ الْمَاءِ، وَلِذَلِكَ سَمَّوْا الْقَطِيعَ مِنَ الْإِبِلِ: الْمَذُودَ،  
فَلَا يُقَالُ: ذُوَّتِ النَّاسُ، إِلَّا بِجَازٍ أَوْ سَلَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي  
الْحَدِيثِ: «فَلْيُذَاذِنِ أَقْوَامٌ عَنْ حَوْضِي» الْحَدِيثُ.

وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ: تَمْنَعَانِ إِبِلًا عَنِ الْمَاءِ.

وَفِي التَّوْرَةِ: أَنَّ شُعْيَا كَانَ صَاحِبَ غَنَمٍ وَأَنَّ  
مُوسَى رَمَى غَنَمَهُ، فَهُوَ كَوْنُ إِطْلَاقِ ﴿تَذُودَانِ﴾ هُنَا  
بِجَازٍ أَوْ سَلَا، أَوْ تَكُونُ حَقِيقَةُ الْمَذُودِ: طَرْدُ الْأَنْعَامِ كُلِّهَا  
عَنِ حَوْضِ الْمَاءِ. وَكَلَامُ أُمَّةِ اللَّفَّةِ غَيْرُ صَرِيحٍ فِي تَبْيِينِ

هَذِهِ حَقِيقَتُهُ.

وَفِي سِفْرِ الْخُرُوجِ: أَنَّهَا كَانَتْ لَهَا غَنَمٌ، وَالْمَذُودُ  
لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمَاشِيَةِ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ حَضُورِ الْمَاءِ  
بِالْأَنْعَامِ: سَقِيهَا، فَلَمَّا رَأَى مُوسَى الْمَرَاتِينَ تَمْنَعَانِ  
أَنْعَامَهُمَا مِنَ الشَّرْبِ سَأَلَهُمَا: مَا خَطْبُكُمَا؟ وَهُوَ سُؤَالُ  
عَنْ قَضَتُهُمَا وَشَأْنُهُمَا؛ إِذْ حَضَرَ الْمَاءَ وَلَمْ يَقْتَضِعَا عَلَيْهِ  
لِقِي غَنِمَهُمَا. (٣٨: ٢٠)

الطَّبَّاطِبَائِي: الْمَذُودُ الْحَبْسُ وَالْمَنْعُ، وَالْمُرَادُ  
بِقَوْلِهِ: ﴿تَذُودَانِ﴾ أَنَّهُمَا يَحْبِسَانِ أَغْنَامَهُمَا مِنْ أَنْ تَسْرُدَ  
الْمَاءَ أَوْ تَحْتَظُّ بِأَغْنَامِ الْقَوْمِ كَمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ:  
﴿يَسْتَرْهِيَانِ﴾ سَقِيَهُمَا أَغْنَامَهُمَا وَمَوَاشِيَهُمَا... وَالْمَعْنَى:  
وَلَمَّا وَرَدَ مُوسَى مَاءَ الْمَدِينِ وَجَدَ عَلَى الْمَاءِ جَمَاعَةً مِنْ

مكملتين كلامهما ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فلا هو يستطيع أن يسقي الأغنام. « ليس عندنا أخ يمينه على الأمر فلا حيلة لنا إلا أن نؤذي نحن هذا الذود... »

(٢٠٩: ١٢)

(٢٨٤: ١٧)

نحوه فضل الله

## الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الذود، أي السوق والطرد. يقال: ذذت الإبل أخودها ذودًا و ذهادًا. وذودتها. إذا طردتها وسحقها. وفي حديث الإمام علي عليه السلام وصف فيه جيش أهل الشام: « كالإبل الجهم المطرودة ترمى عن حياضها. وتذاد عن مواردها »<sup>(١)</sup>

أي تمنع

وَأَذَذْتُ الرَّجُلَ: أَعَنَّهُ عَلَى ذِيَادِ إِبِلِهِ.

وَالْمُذَذُّ: الْمُعِينُ لَكَ عَلَى مَا تُذَوِّدُ.

وَالذُّودُ: الْقَطْعُ مِنَ الْإِبِلِ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الثَّعْثِ أَوْ الْعَشْرِ. وَقِيلَ: أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. وَلَا يَكُونُ إِلَّا إِنَاثًا؛ وَالْجَمْعُ: أَذْوَادٌ، لِأَنَّهُ يُذَادُ، أَيْ يُسَاقُ وَيُطْرَدُ. وَفِي الْمَثَلِ: «الذُّودُ إِلَى الذُّودِ إِبِلٌ»، أَيْ الذُّودُ إِلَى الذُّودِ، بِرَادِ الْقَلِيلِ يُضَمُّ إِلَى الْقَلِيلِ فَهَـيْـضٌ كَثِيرٌ.

وَأَسْتَعْمَلُ «الذُّودَ» فِي سَوْقِ النَّاسِ أَيْضًا عَلَى السَّعَةِ. يُقَالُ: ذَادَهُ عَنِ الشَّيْءِ ذَوْدًا وَ ذِيَادًا، أَيْ سَاقَهُ وَ طَرَدَهُ وَ دَفَعَهُ، وَالْفَاعِلُ ذَائِدٌ، وَالْمَفْعُولُ مَذُودٌ. وَ رَجُلٌ ذَائِدٌ وَ ذَوَادٌ: حَامِي الْحَقِيقَةِ دَقَاقٍ، مِنْ قَوْمِ

الناس يسقون أغنامهم و وجد بالهرب منهم مما يليه امرأتين تحبسان أغنامهما و تمنعانها أن ترد المورد قال موسى مستفسراً عنهما حيث وجدهما تذودان الغنم و ليس على غنمهما رجل: ما شأنكما؟ قالتا لا نسقي غنمنا أي عادتنا ذلك حتى يصدر الرعاةون و يخرجوا أغنامهم و أبونا شيخ كبير لا يقدر أن يتصدى بنفسه أمر السقي و لذا تصدينا الأمر.

مكارم الشيرازي: ﴿وَلَنَا وَرْدَةٌ مَاءَ مَدْيَنَ...﴾ فحركه هذا المشهد. حفة من الثبان الضلاظ يملأون الماء و يسقون الأغنام. و لا يسمعون الجبال لأحد حتى يفرغوا من أمرهم. بينما هناك امرأتان تحبسان في زاوية بعيدة عنهم، و عليهما آثار العفة و الترف، جاء إليهما موسى لئلا يسألنهما عن سبب جلوسهما هناك و قال ما خطبكما؟ و لم لا تتقدمان و تسقيان الأغنام؟ لم يرق لموسى لئلا يرى هذا الظلم، و عدم الخلافة و عدم رعاية المظلومين، و هو يريد أن يدخل مدينة مدين، فلم يتحمل ذلك كله، فهو المدافع عن المهرومين و من أجلهم ضرب قصر فرعون و تعنته عرض الحائط و خرج من وطنه، فهو لا يستطيع أن يترك طريقته و سيرته و أن يسكت أمام الجائرين الذين لا ينصفون المظلوما..

فقالت البنتان: إنيهما تنتظران تفرق الناس و أن يسقي هؤلاء الرعاة أغنامهم: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾.

و من أجل أن لا يسأل موسى: أليس لكما أب؟ ولماذا رضي بإرسال بناته للسقي مكانه، أضافنا

(١) - نهج البلاغة - الخطبة: (١٠٧).

ذُوْدٌ وَذُوَادٌ وَذَادَةٌ.  
والمذوْدَةُ: اللسان، لأنه يذاد به عن العرض.  
وَمِذْوَدُ الثَّوْرِ: قرنه.  
وَمَعْلَفُ الذَّائِبَةِ: مِذْوَدُهُ.

٢- وجعل ابن فارس الذُوْدَ - أي القطيع من الإبل - أصلاً برأسه، ومعناه الآخر - أي السَّوْقُ - أصلاً آخر له، إلا أنه أجاز أن يكون الأصلان أصلاً واحداً، وهو الأصوب، فكان الذُوْدُ بمعنى مَذْوُود، و«فعل» بمعنى «مفعول» كثير في اللغة، ومنه: فُتِّحَ بمعنى مفتوح، وغلِقَ بمعنى مغلوق، وسلب بمعنى مملوب، ونشر بمعنى منشور، وجلب بمعنى مجلوب.

## الاستعمال القرآني

كلمة واحدة (ذُوْدَانِ) مرة في آية:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ آسْرًا ثَلَاثِينَ لَدُوْدًا قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فَقَالُوا لَاسْتَبَقِيَ خَسِيسٌ يَبْذُرُ الرِّعَاءَ وَأَهُوَ نَاسِيخٌ كَبِيرٌ﴾  
القصص: ٢٣

ويلاحظ أولاً:

١- أنهم اختلفوا في معنى الآية اختلافاً كبيراً، جمعها الطبرسي<sup>(٥: ٢٤٧)</sup> في كلامه، فقال: «أي

تجبان وتجمان غنهما من الورد إلى الماء، عن السُّدْيِ. وقيل: ذُوْدَانِ النَّاسِ عن مواشيها، عن قتادة. وقيل: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس، عن الحسن».

٢- وقال الفخر الرازي: «فيه أقوال: الأولى: تجبان أغنامهما، واختلفوا في علّة ذلك المحبس على وجوه: أحدها: قال الزجاج: لأن على الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي. وثانيها: كانتا تكرهان المزاخرة على الماء. وثالثها: لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم. ورابعها: لئلا تختلط بالرجال.

القول الثاني: كانتا ذُوْدَانِ عن وجوههما نظر الناظر ليراهما.

والقول الثالث: ذُوْدَانِ النَّاسِ عن غنهما». وثانياً: هذه من الكلمات والمواد التي انفردت مرة في القرآن، في سورة مَكَّة: «القصص»، ولعلها كانت لغة مَكَّة.

و ثالثاً: هذه المائة نظائر في القرآن، وقد ذكرناها في مادة «د ح ر»، ملاحظ.

# ذَوَقْ

٢٧ لفظاً: ٦٣ مرة، ٤٧ مكية، ١٦ مدنية:

في ٣٢ سورة: ٢٣ مكية، ٩ مدنية

## النصوص اللغوية

المفكر: ذاقَ يَذوقُ ذَوْقاً ومذاقةً ومذاقاً وذوّاقاً.  
وَذَوَّقَهُ ومذاقه طيب، أي طعمه.

وَذَقْتُ لَلْأَنَا وَذَقْتُ مَا عِنْدِي.

وما نزل بك مكروه فقد ذقته. وقال الله عز وجل:

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ﴾ الدخان: ٤٩.

وفي الحديث: «إن الله لا يحب الذواقين

والذواقاتوه، أي كلما تزوجا كرها ومداً أعيتهما إلى

غيرهما. (٢٠١: ٥)

ابن الأعرابي: الذوق يكون بالضم وبضم القم.

(الأزهرى: ٩: ٢٦٣)

ابن دريد: الذوق: مصدر ذقت الشيء أخوقه

ذوّقاً، فهو مَذُوقٌ وأنا ذائق.

ويقال: ما ذقت ذوّاقاً، أي ما عطلمت شيئاً.

ذَاقَهَا ١: ١

أَذَاقَهُمْ ٢: ٢

أَذَقْنَا ٤: ٤

أَذَقْنَاهُ ٢: ٢

لَا أَذُقُكَ ١: ١

يَذِيقُ ١: ١

لِيَذِيقَهُمْ ١: ١

لِيَذِيقَكُمْ ١: ١

كُنْزُهُ ١: ٢، ٣

كَذِيقُهُ ١: ١

كَذِيقَهُمْ ٢: ٢

فَلْيَذِيقَنَّ ١: ١

لِيَذِيقَهُمْ ٢: ٢

ذَاقَا ١: ١

فَذَاقَتْ ١: ١

ذَاقُوا ٢: ١، ٣

لِيَذُوقِ ١: ١

يَذُوقُونَ ٢: ٢

يَذُوقُوا ١: ١، ٢

فَلْيَذُوقُوهُ ١: ١

تَذُوقُوا ١: ١

ذُقْ ١: ١

ذُوقُوا ٦: ٢٢، ١٦

فَذُوقُوهُ ١: ١

ذَاقَهُ ١: ٢، ٣

لَذَاقُوا ١: ١

ذَانِقُونَ ١: ١



التكاح سريع الطلاق، بمنزلة الذائق للطعام غير  
الآكل منه، [ثم استشهد بشعر] (٤٥٥: ١)  
الجوهري: ذُقت الشيء أدوقه ذوقاً وذواقاً  
ومذاقاً ومذاقةً.

وما ذُقت ذواقاً، أي شيئاً.  
وذُقت ما عند فلان، أي خبرته.  
وذُقت القوس، إذا جذبت وترها لتتظر ما شدتها.  
وأذاقه الله وبال أمره.  
وكنوخته، أي ذُقت شيئاً بعد شيء.  
وأمر مُستدق، أي مجرب معلوم.  
والذواق: الملول. [واستشهد بالشعر مرتين]

(١٤٧٩: ٤)

أبى فارس: الذال والواو والقاف أصل واحد،  
وهو اختبار الشيء من جهة تطعم، ثم يشتق منه مجازاً  
للمأكل المأكل أدوقه ذوقاً.

وذُقت ما عند فلان: اختبرته.  
ويقال: ذاق القوس، إذا نظر ما مقدار إعطائها  
وكيف قوتها. [ثم استشهد بشعر] (٣٦٤: ٢)  
أبو هلال: الفرق بين الذوق وإدراك الطعام: أن  
الذوق ملازمة يحس بها الطعام.

وإدراك الطعام يبين به من ذلك الوجه، وغير  
تضمن ملازمة الحبل. وكذلك يقال: ذُقت فلم أجد له  
طعمًا. (٢٥٤)

الهروي: في صفته  $\text{كَلَامُهُ}$  لم يكن يذم ذواقاً، أي  
شيئاً مما يذاق، ويقع على المأكول والمشروب، «فعال»  
بمعنى «مفعول».

وكثر ذلك حتى قالوا: فلان حسن الذوق للشعر.  
[إذا كان مطبوخاً عليه]. (٣١٧: ٢)

الأزهري: يقال: ذُقت فلاناً، أي خبرته ويبرته.  
واستذقت فلاناً، إذا خبرته فلم تحمد مخبرته.  
ويقال: ذُقت هذا القوس، أي التزع فيها لتخبر ليها  
وشدتها.

وذاق الرجل غسيلة المرأة، إذا أوج فيها أدامه  
حتى خبر طيب جماعها، وذاقته هي غسيلته كذلك،  
لأنها خافطها فوجدت حلاوة لذة الحلاط.  
وقال غيره [ابن الأعرابي]: أذاق فلان بعدك سرواً  
أي صار سرواً، وأذاق بعدك كرمًا، وأذاق الفرس  
بعدك غدوًا، أي صار غداءً بعدك.

ورجل ذواق بطلاق، إذا كان كثير التكاثر  
كثير الطلاق.

ويقال: ما ذُقت ذواقاً، وهو ما يذاق من الطعام.

[واستشهد بالشعر ٥ مرات] (٢٦٢: ٩)

الصاحب: [نحو الخليل وأصاف:]

وكل ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه.

وفي الحديث: «إن الله عز وجل لا يحب الذواقين  
والذواقات».

«استذاق الأمر لفلان، أي انقاد وطاوع. وكذلك  
اللبن إذا استمذق عن المخض بعدما حرّك وهو خائر.  
والرجل المستدق: المجرب. (٤٩٥: ٥)

الخطابي: في حديث النبي  $\text{ﷺ}$  أنه قال: «إن الله  
لا يحب الذواقين ولا الذواقات».

هذا في التكاح. كره  $\text{ﷺ}$  أن يكون الرجل كثير

وفي صفة أصحابه: «إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ لَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ» أصله: الطَّعْم. كما قلت به. ولكنه ضربه مثلاً لما ينالون عنده من الخير.

وقال أبو بكر: أراد لا يفرقون إلا عن علم يتعلمونه. يقوم لهم مقام الطعام والشراب، لأنه كان يحفظ أرواحهم، كما كان يحفظ الطعام أجسامهم. وهم يقولون: أذقته الحصف، إذا أوصلته إليه. (٢: ٦٨٧) ابن سيده: ذاق الشيء ذَوْقًا، وذَوَّقًا، وذَوَّقَالًا، ومَذَاقًا.

والمذاق: طعم الشيء.

ويوم ما ذقته طعامًا، أي ما ذقت فيه.

وذاق العذاب والمكره ونحو ذلك، وهو مثل وفي التنزيل: ﴿ذُقْ آلَ الْكَافِرِينَ الْكَرِيمِ﴾ الدخان: ٤٩.

وأذقته إِيَّاهُ.

وتذاوق القوم الشيء: كـ «ذاقوه». [ثم استشهد بشعر]

الرائعِب: الذَّوقُ: وجود الطَّعْمِ بِالْفَمِ، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، فإن ما يكثر منه يقال له: الأكل.

واختير في القرآن لفظ «الذَّوق» في العذاب، لأن ذلك وإن كان في التصارف للقليل فهو مستصلح للكثير، فخصه بالذكر ليعلم الأمرين. وكثر استعماله في العذاب، نحو: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ النساء: ٥٦. [ثم ذكر آيات أخرى في ذوق العذاب وأضاف:]

وقد جاء في الرحمة نحو: ﴿وَلَيِّنْ أَدْقَانَا الْإِنْسَانَ مِنَّا

رَحْمَةً﴾ هود: ٩، ﴿وَلَيِّنْ أَدْقَانَهُ تَغْنَاهُ تَعْدَ ضُرِّهِ» ممتعة هود: ١٠.

ويعبر به عن الاختيار، فيقال: أذقته كذا فذاق، ويقال: فلان ذاق كذا، وأنا أكلته، أي خبرته فوق ما خبر.

وقوله: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَّاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ التحل: ١١٢. فاستعمال الذوق مع اللباس من أجل أنه أريد به التجربة والاختبار، أي فجعلها بحيث تمارس الجوع والخوف. وقيل: إن ذلك على تقدير كلامين، كأنه قيل: أذاقها طعم الجوع والخوف، وألبسها لباسهما.

وقوله: ﴿وَالَا إِذَا لَذَقْنَا الْإِنْسَانُ مِنَّا رَحْمَةً﴾ الشورى: ٤٨، فإنه استعمل في الرحمة الإفاضة، وفي مقابلتها الإصابة، فقال: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ الشورى: ٢٨، تنبيهًا على أن الإنسان بأدنى ما يعطى من النعمة يأثر ويضطرب. إشارة إلى قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ أن رآه استغنى عن العلق: ٧، ٦.

الزَّهْرَةُ شَرِي: ذُقتُ الطعام وذوقته شيئًا بعد شيء. وهو مر المذاق.

وما ذقت اليوم ذَوَاقًا، ولا تفرقوا إلا عن ذواق. ومن الجار: ذُقتُ فلانًا، وذُقتُ ما عنده. وتقول: ذُقتُ الناس وأكلتهم ووزلتهم وكَلَّتهم، فما استطيت طعموهم، ولا استرجحت حلومهم. وهو حسن الذوق للشعر، إذا كان مطبوعًا عليه. وما ذُقتُ غماضًا. وما ذُقتُ اليوم في عيني نوما.

- وذاق القوس: تعرّفها ينظر ما مقدار إعطائها.  
 وذُق قوسي لخرق لينها من شدتها.  
 وقد ذاقها يدي.  
 وذاوق القجار السلعة.  
 وذالت كفي فلاتة، إذا مستها.  
 وفي الحديث: «إن الله يخفض الذواقين  
 والذواقات». كلما تزوج أو تزوجت مدّ عنه  
 أو مدّت عنها إلى أخرى أو آخر.  
 وفلان مُستذاق: مجرب.  
 واستذاق الأمر لفلان: اتقاه له وطاوع.  
 ولا يستذيق لي الشئ إلا في فلان.  
 وذغلي أذوق طعم فلان.  
 وئذوقت طعم فراقه. (أساس البلاغة: ١٤٧)  
 قول علي عليه السلام في ذكر دخول الناس على رسول  
 الله ﷺ: «يدخلون روادًا ولا يفرقون إلا عن ذواق  
 ويرجعون أدلة» أي طلبًا للعنايف في دينهم  
 وديانهم.  
 «الذواق»: اسم ما يُذاق. يقال: ما ذقت ذواقًا.  
 وهو مثل لما يتناولون عنده من الخير. (الفائق ٢: ٩٠)  
 [في حديث صفوة النبي]: «... لم يكن يذم ذواقًا...»  
 «الذواق»: اسم ما يُذاق. أي لا يصف الطعام  
 بطيب ولا بشاعة. (الفائق ٢: ٢٣٦)  
 ابن الأثير: فيه: «لم يكن يذم ذواقًا».  
 «الذواق»: المأكول والمشروب، «فعل» بمعنى  
 «مفعول» من الذوق. يقع على المصدر والاسم. يقال:  
 ذقت الشيء أدوقه ذواقًا وذوقًا، وما ذقت ذواقًا،  
 أي شئًا.  
 ومنه الحديث: «كانوا إذا خرجوا من عنده  
 لا يفرقون إلا عن ذواق». ضرب الذواق مثلًا لما  
 يتناولون عنده من الخير، أي لا يفرقون إلا عن علم  
 وأدب يعلمونه، يقوم لأنفسهم «أرواحهم مقام الطعام  
 الشراب لأجسامهم». (١٧٢: ٢)  
 القيومي: الذوق: إدراك طعم الشيء بواسطة  
 الرطوبة المنبثة بالصَّب المفروض على عضل اللسان.  
 يقال: ذقت الطعام أدوقه ذوقًا وذوقًا وذواقًا ومذاقًا  
 إذا عرفته بتلك الوسطة. ويتصدى إلى ثان بالهمزة،  
 يقال: أذقته الطعام.  
 وذقت الشيء: جربته؛ ومنه يقال: ذاق فلان  
 المأس. إذا عرفته بمروره به.  
 وذاق الرجل عسيلة المرأة وذاعت عسيلته، إذا  
 حصل لها حلاوة الحيلاط ولذة المباشرة بالإيلاج.  
 (٢١١: ١)  
 الفيروز آبادي: ذاقه ذوقًا ومذاقًا ومذاقةً:  
 اختبر طعمه. وأذقته أنا.  
 وذاق القوس: جذب وثرها اختبارًا.  
 وما ذاق ذواقًا شيئًا.  
 وأذاق زيد بعدك كرمًا؛ صار كرمًا.  
 وئذوقه: ذاقه مرة بعد مرة.  
 وئذاؤكوا الرماح: تناولوها. (٢٤٢: ٣)  
 الطريحي: ذقت الشيء أدوقه ذوقًا، تطعنت فيه.  
 ومنه حديث الصائغ: «يذوق الرق»، أي يستطعم  
 فيه. وذقت ما عند فلان، أي خبرته.

والذوق: قوة إدراكها اختصاص بإدراك لطائف الكلام. ووجوه محاسنه الخفية. ومن صفاته **عنه**: «يدخلون عليه رِوَاة الرِوَاد لا يفترون إلا عن ذوق» أي إلا عن علوم يذوقون عن حلاوتها ما يذاق من الطعام المشهي. (١٦٥: ٥)

**مَجْمَعُ اللُّغَةِ**: ١- ذاق الشيء يذوق ذوقاً، وذواقاً، ومذاقاً: أدرك طعمه في فيه.

وقد صار يستعمل في الإحساس العام الذي تشترك فيه جميع قوى الحس، فهو ذائق وهي ذاتقة وهم ذائقون.

٢- أذاقه الشيء: جعله يذوقه، أو يحسه إحساساً عاماً.

ولم يرد في القرآن المعنى الأول الأصلي. وكل لها ورد فهو من الثاني، وهو الإحساس العام. هذا وقد استعمل في العذاب بكثرة وفي الرحمة بقلة. (٤٣٣: ١)

**مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ إِبْرَاهِيمَ**: ذاق الطعام: اختبره وأدرك طعمه، فهو ذائق؛ وجمعه: ذائقون.

وذاق العذاب: قاساه. وأذاقه الشيء: جعله يذوق.

وأذاقه الله الخوف: أنزله به. **المُصْطَفَوِي**: والتحقيق: أن الأصل الواحد في

هذه المادة: هو إحساس نموذج من خصوصيات شيء لما يحسها، ويكون إحساساً عملياً، سواء كان بحاسة الذائقة أو اللمسة أو الحاسة الباطنة، وسواء كانت تلك الخصوصيات مطلوبة محمودة أو مكروهة غير

مطلوبة، نعمة أو نقمة.

فظهر أن الذوق لغة أعم من إحساس الذائقة المصلحة بوسيلة اللسان، فالذوق باللمّ واللسان كما في: ﴿قُلْ شَاءَآ الشَّجَرَةَ﴾ الأعراف: ٢٢، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ التبا: ٢٤، بناء على ما هو الظاهر من الشجرة والشراب.

والذوق باللمسة، كما في: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ التبا: ٢٤، ﴿بَدَأْنَا هَلْهُم جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ النساء: ٥٦، ﴿وَذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ القمر: ٤٨، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَرْقِ﴾ آل عمران: ١٨١، ﴿لَذِيقَةُ مِنْ عَذَابِ الشَّعِيرِ﴾ آل عمران: ١٨١، فإن الحرارة والبرودة واللين والخشونة لذرك باللمس.

وذاق النفس، كما في: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ آل عمران: ١٨٥، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ الشحان: ٥٦، فإن مدرك الموت هو النفس الإنسانية.

والذوق المطلق، كما في: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ الروم: ٣٦، ﴿وَلَبِئْسَ أَذْقَاءُ كُفَّاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَكَّةٍ﴾ فصلت: ٥٠، ﴿فَذَائِقَتُ وَبَالِ أَمْرِهَا﴾ الطلاق: ٩، ﴿وَنَحْنُ ذَائِقُوا بَأْسًا﴾ الأنعام: ١٤٨، ﴿وَذُوقُوا مَا كُتِبَ لَكُمْ سَبُونَ﴾ فإن الرحمة يتحقق في الخارج بأي مصداق منه، من مسموع أو ملموس أو مبصر أو متحوم أو مذوق، أو من أمور روحانية. وكذلك الوبال والبأس بأي نوع وبأي صنف يُصَوَّر.

ونظيرهما ما يتعكس ممّا يكسب، فإن العمل

والكسب من الإنسان يحتم ما يجترح بالبصر أو  
باللسان أو باليد أو بالقلم أو بالشم أو بالسمع أو  
بالشمية السنيئة.

وأما التعبير في موارد الرحمة والعذاب بالنزوق  
والإذابة، فإن الزائد على النزوق منهما لا يمكن  
للإنسان أن يتحمّله، فإن رحمة الله وسمت أركان كل  
شيء، وعذابه أليم عظيم: ﴿يَذُلُّنَا هُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا  
يَسْذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ النساء: ٥٦. ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ  
الْغَزِيُّ﴾ الدخان: ٤٤. ﴿فَسْذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ  
تَكْفُرُونَ﴾ الأنعام: ٣٠.

وقد يكون التعبير به إشارة إلى نفي أمر بالكثرة،  
على طريق الأولوية: ﴿لَا يَسْذُوقُونَ فِيهَا النَّصْرَةَ﴾  
الدخان: ٥٦. ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ التبا  
٢٤، أي لا يذوقونها ذوقاً، فيكون الإدراك الكامل  
للموت والشرب للشراب، منتفيين بطريق أولى.

وقد يكون التعبير به للإشارة إلى أول مرتبة من  
الأمر، من تخلف، كما في: ﴿فَلَمَّا ذَاقُوا الشَّجَرَةَ﴾  
الأعراف: ٢٢، ومن ابتداء جزاء، كما في: ﴿عَلَى ذَاقُوا  
بَأْسَنَا﴾ الأنعام: ١٤٨، أي فلما ابتدأوا بكل الشجرة  
وتحقق منهما النزوق بدت سوءاتهما، وكذب الذين  
من قبلهم، إلى أن انتهى تكذيبهم بابتداء ظهور البأس  
وذوقه.

وقد يكون التعبير به للدلالة على تحقق أمر  
وشروعه وحدوثه، فيكون النظر إلى جهة الحدوث  
وتبدل الحالة السابقة، من دون حاجة إلى ذكر جهة  
البقاء، كما في: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

آل عمران: ١٠٦، ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ  
الْعُلُقُوتِ﴾ يونس: ٥٢، ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ كَذِبًا عَذَابُنَا  
كَبِيرٌ﴾ الفرقان: ١٩.

وهذا بخلاف ما إذا كان النظر إلى مطلق العذاب  
شدته وحدوثه وبقائه وجهات أخرى، فيقال: ﴿ثُمَّ  
يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ التوبة: ١٠١، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ  
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُبِيمٌ﴾ التوبة: ٦٨، ﴿وَوَسَّلَ لِلْكَافِرِينَ  
مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ إبراهيم: ٢، ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ  
مُخَضَّرُونَ﴾ الروم: ١٦.

فظهر أن مفهوم «النزوق» أعم من أن يكون  
بحواس جسمانية أو روحانية، فإن لروح الإنسان  
أيضاً قوى وحواسها تدرك الروحانيات، تبصرها  
وتشمها وتلمسها وتذوقها وتشمها ﴿صَمَّ بَيْنَهُمْ غُشًى  
فَهُمْ لَا يَبْقِوْنَ﴾ البقرة: ١٧١.

وهذا أيضاً لطف التعبير بالمادة في موارد.

(٣٤٩: ٣)

## النصوص التفسيرية

### فَذَاقَتْ

فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا.

الطلاق: ٩

راجع: وب ل: «وبال».

### يَذُوقَ

...أَوْ عَذَلْ ذَلِكَ صِيَامًا يَذُوقُ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ  
عَنَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتِهِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ غَزِيرٌ ذُو النِّقَامِ.  
المائدة: ٩٥

ابن عطية: قوله تعالى: ﴿يَلْتَوِقُ وَيَتَلَأَمُ﴾  
التَّوَقُّ هُنا مستعار. كما قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ  
الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الذَّخَان: ٤٩، وكما قال: ﴿فَأَذَاقَهَا  
اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ﴾ النحل: ١١٢.

وحقيقة التَّوَقُّ إنما هي في حاسة اللسان، وهي  
في هذا كله مستعارة فيما يوشع بالتفسي. (٢: ٢٤٠)  
نحوه القُرْطُبي: (٦: ٣١٧)

الهُرُوسِيُّ: ﴿يَلْتَوِقُ﴾ متعلق بالاستقرار في  
الجواز والجرور أي فعله جزء ليتوق قاتل الصيد  
(٢: ٤٤١)

الآلُوسِيُّ: ﴿يَلْتَوِقُ﴾ متعلق بالاستقرار الذي  
تعلق به المقدر. وقيل: بـ ﴿جَزَاءً﴾ وقيل: بـ ﴿صَاحِبِ  
أَوْبٍ﴾ ﴿طَعَامٍ﴾. وقيل: بفعل مقدر وهو جُورِيٌّ رَأَى  
شرعنا ذلك، ونحوه. (٧: ٢٩)

رشيد رضا: والتَّوَقُّ مستعمل في الإزالة والاعمال  
غير خاص بإدراك اللسان، وقد استعمله القرآن في  
إدراك ألم العذاب والوبال، ولم يستعمله في الطعم إلا  
في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ الأعراف: ٢٢،  
وفي قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾  
الأخفاء: ٢٤، ٢٥، و كل استعماله  
فيما يكره ويؤثم، ولا شك في أن الجزء والعقوبة من  
أثقل الأشياء وأشقها على الناس، سواء كانت مألوفة  
أو بدنية. (٧: ١١٢)

ابن عاشور: قوله: ﴿يَلْتَوِقُ﴾ متعلق بقوله  
﴿فَجَزَاءً﴾، واللام للتعليل، أي جعل ذلك جزء عن  
قتله الصيد، ليتوق وبال أمره.

والتَّوَقُّ مستعار للإحساس بالكثير، شبه ذلك  
الإحساس بذوق الطعم الكريه، كأنهم راعوا فيه  
سرعة اتصال ألمه بالإدراك، ولذلك لم يجعله مجازاً  
مرسلاً بعلاقة الإطلاق، إذ لا داعي لاعتبار تلك  
العلاقة، فإن الكثير أظهر من مطلق الإدراك.

وهذا الإطلاق معنوي به في كلامهم، لذلك اشتهر  
إطلاق التَّوَقُّ على إدراك الآلام والذنات. ففي  
القرآن ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الذَّخَان: ٤٩،  
﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ الذَّخَان: ٥٦، وشهرة هذه  
الاستعارة قاربت الحقيقة، فحسن أن تُبنى عليها  
استعارة أخرى في قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَأْسَ  
الْجُوعِ وَالْطَّرْفِ﴾ النحل: ١١٢. (٥: ٢١٧)

سيد قطب: ففي الكفارة معنى العقوبة، لأن  
الذنب هنا مُخل بجرمه يُشدد فيها الإسلام تشديداً  
غير عادي، لذلك يحق عليها بالعفو عما سلف، والتهديد  
بانتقام الله ممن لا يكف. (٢: ٩٨١)

الطَّهَّاطِي: اللام للغاية، وهي ومدخولها  
متعلق بقوله: ﴿فَجَزَاءً﴾، فالكلام يدل على أن ذلك  
نوع مجازة. (٦: ١٤٠)

مكارم الشيرازي: إن الهدف من هذه  
الكفارات هو ﴿يَلْتَوِقُ وَيَتَلَأَمُ﴾ لتثير في نفوس

فضل الله: ﴿يَلْتَوِقُ وَيَتَلَأَمُ﴾ لتثير في نفوس  
المؤمنين الشعور العميق بالهول العظيم، من انتقام الله  
من المتمردين، وذلك من أجل أن يذوق عاقبة أمره،  
فيرتدع عن التمادي على حدود الله، وذلك هو  
التشريع الجديد الذي يحاسب الناس على أساسه في

ما يستقبلونه من القصد في حرمات الحرام، أو الإحرام.

أما الأفعال المماثلة التي مارسها الناس فيها قبل هذا التشريع، فليس في على الناس فيها شيء، إذ لم يسبق فيها تحريم من الله ليؤاخذهم به. وليس للتشريع في الإسلام منقول رجعي، لأن الله لا يعاقب الناس في الدنيا والآخرة إلا في ما أقام عليه الحجة بالامر والنهاي.

### يَذْوُقُونَ

١- لَا يَذْوُقُونَ فِيهَا نَمْرُوتَ إِلَّا النَّمْلَةَ الْأَوَّلَى وَكَفَيْهُمْ غَلَبَ الْجَنِيمِ. الدخان: ٥٦  
راجع: م وت: الموت.

٢- لَا يَذْوُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا. الطهري: يقول: لا يطعمون فيها بردًا ولا شربة حتى لا يشربوا. السعير عنهم، إلا النسيان. (٤٠٥: ١٢)

الزَّمَخْشَرِيُّ: يعني لا يذوقون فيها بردًا وروحًا يُقَسِّسُ عنهم حرَّ النار، ولا شربًا يُسَكِّنُ من عطشهم. ولكن يذوقون فيها حميمًا وغيثًا. (٢٠٩: ٤)

لَهُوَ أَبُو السُّعُودِ. (٣٦٠: ٦)  
الطَّبْرَسِيُّ: ﴿لَا يَذْوُقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ جملة يجوز أن يكون حالًا من ﴿لَا يَبْنُونَ﴾، والتقدير: يلبثون غير ذائقين، ويجوز أن يكون صلة لقوله: ﴿أَحْقَابًا﴾، والتقدير: أحقابًا غير ملوثة فيها. (٤٢٣: ٥)

السَّعِينُ: قوله: ﴿لَا يَذْوُقُونَ﴾ فيه أوجه: أحدها: أنه مستأنف أخير عنهم بذلك.

الثاني: أنه حال من الضمير في ﴿لَا يَبْنُونَ﴾ أي لا يبنون غير ذائقين، فهي حال متداخلة.

الثالث: أنه صفة له «أحقاب» قال مكِّي: واحتمل الضمير لأنه فعل، فلم يجب إظهاره، وإن كان قد جرى صفة على غير من هو له، وإنما جاز أن يكون نعتًا له «أحقاب» لأجل الضمير العائد على الأحقاب في (فيها) ولو كان في موضع ﴿يَذْوُقُونَ﴾ لسم فاعل لكان لابد من إظهار الضمير إذا جملته وصفًا له «أحقاب».

الرابع: أنه ضمير لقوله: ﴿أَحْقَابًا﴾ إذا جملته منصوبًا على الحال بالثاويل الذي تقدم ذكره عن الزَّمَخْشَرِيِّ فإنه قال: وقوله: ﴿لَا يَذْوُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ تفسير له.

الخامس: أنه حال آخر من ﴿لَا يَبْنُونَ﴾ والنفق على هذين القولين، أعني كونه روحًا يُقَسِّسُ عنهم الحر، وكونه التوم بجماز. وأما على قول من جعله اسمًا للشراب البارد المستلذذ فالنفق حقيقة، إلا أنه يصير فيه تكرار بقوله بعد ذلك ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ [ثم استشهد بشر] (٤٦٤: ٦)

الْبُرُوسِيُّ: جملة مبتدأة، ومعنى ﴿لَا يَذْوُقُونَ﴾ لا يمحسون، وإلا فاصل النفق وجود الطعم، وقال الكاشغري: يعني إلا أن يكون ذلك باعتماد الشراب والنفق في التعارف وإن كان للقليل، فهو صالح للكثير، لوجود الذوق في الكثير أيضًا. (٣٠٢: ١٠)  
الْأَلُوسِيُّ: وقوله تعالى: ﴿لَا يَذْوُقُونَ﴾ صفة

كاشفة، أو جملة مفسرة لا محل لها من الإعراب وهو على ما ذكر أولاً جملة مبتدأة خبر عنهم (١٥: ٣٠) ابن عاشور: هذه الجملة يجوز أن تكون حالاً ثانية من ﴿الطَّائِفِينَ﴾ الآية: ٢٢، أو حالاً أولى من الضمير في ﴿لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ الآية: ٢٣، وأن تكون خبراً ثالثاً لـ ﴿كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ الآية: ٢١.

وضمير ﴿فِيهَا﴾ على هذه الوجوه عائد إلى ﴿جَهَنَّمَ﴾ الآية: ٢١.

و يجوز أن تكون صفة لـ ﴿أَحْقَابًا﴾ الآية: ٢٣، أي لا يذوقون في تلك الأحقاب بردها ولا شرابها إلا حميماً وغساقاً، فضمير ﴿فِيهَا﴾ على هذا الوجه عائد إلى الأحقاب.

وحقيقة الذوق: إدراك طعم الطعام والشراب، ويطلق على الإحساس بغير الطعم إطلاقاً مجازياً. وشاع في كلامهم، يقال: ذاق اللم، وعلى وجدان النفس، كقوله تعالى: ﴿يَتَذَوَّقُونَ أَلْأَلَمَ الْأَلَمَةِ﴾. وقد استعمل هنا في معنييه، حيث نصب ﴿يَرَدُّهَا﴾ و ﴿شَرَابًا﴾. (٣٣: ٣٠)

الطَّيِّبَاتِي: قيل، إن قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا...﴾ صفة ﴿أَحْقَابًا﴾، والمعنى: لا يتذوقون فيها أحقاباً، هي على هذه الصفة، وهي أنهم لا يذوقون فيها بردها ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً، ثم يكونون على غير هذه الصفة إلى غير النهاية. (١٦٨: ٢٠)

يَذُوقُوا

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّا

نُصِجَتْ يَذُوقُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ يَذُوقُوا غَيْرَهَا يَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا. النساء: ٥٦

الطَّبْرِي: يقول: فعلنا ذلك بهم، ليجدوا ألم العذاب وكرهه وشدة، بما كانوا في الدنيا يكتسبون آيات الله ويحسدونها. (١٤٦: ٤)

الطُّوسِي: فإن قيل: كيف قال: ﴿يَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ مع أنه دائم لازم؟ قيل: لأن إحساسهم في كل حال كإحساس الدائم في تجدد الوجدان من غير نقصان، لأن من استمر على الأكل لا يجد الطعم، كما يجد الطعم من يذوقه. (٢٣٢: ٣)

الزَّمَخْشَرِي: ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع، كقولك للعزيز: أعزك الله، أي أدامك على عزك وزادك فيه.

الطَّبْرِي: معناه: ليجدوا ألم العذاب. وإثما قال ذلك، تبين أنهم كالمبتلى عليهم العذاب في كل حالة، فيحسبون في كل حالة ألماً، لكن لا كمن يستمر به الشيء، فإنه يصير أخف عليه. (٦٢: ٢)

الفخر الرازي: قال تعالى: ﴿يَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ وفيه سؤالان:

السؤال الأول: قوله: ﴿يَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع، كقولك للمعزوز: أعزك الله، أي أدامك على العز وزادك فيه.

وأيضاً المراد: ليدوقوا بهذه الحالة الجديدة العذاب، وإلا فهم دائمون مستعمرون عليه.

السؤال الثاني: أنه إما يقال: فلان ذاق العذاب،



إذا أدرك شيئاً قليلاً منه، والله تعالى قد وصف أتعابهم كانوا في أشد العذاب، فكيف يحسن أن يذكر بعد ذلك أنهم ذاقوا العذاب؟

والجواب: المقصود من ذكر الذوق الإخبار بأن إحساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كإحساس الذائق المذوق، من حيث إنه لا يدخل فيه نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق. (١٣٥: ١٠) نحوه البروسوي (٢: ٢٢٤)، والآلوسي (٥: ٥٩). أبو السعود: ليدوم ذوقه ولا ينقطع، كقولك للعزير: أعزك الله.

وقيل: يخلق مكانه جلدًا آخر، والعذاب للنفس العاصية لا لألة إدراكها. [إلى أن قال:]

والتمهيز عن إدراك العذاب بالنوى ليس لبيان قلته، بل لبيان أن إحساسهم بالعذاب في كل مرة كإحساس الذائق بالمذوق، من حيث إنه لا يدخل فيه نقصان بدوام الملابس، أو للإشعار بمرارة العذاب مع إيلامه، أو لتنبهه على شدة تأثيره، من حيث إن القوة الذائقة أشد الحواس تأثرًا أو على مرايته للباطن.

(١٥٢: ٢) رشيد رضا: وذكر بعضهم في الآية إشكالًا آخر، وهو أن أصل الذوق تناول شيء قليل بالقلم، ليعرف طعمه فلا يتجوز به عن العذاب القوي الشديد أو أشد العذاب، وأجاب الرازي بقوله: المقصود من ذكر الذوق: الإخبار بأن إحساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كإحساس الذائق المذوق، من حيث إنه لا يدخل فيه نقصان ولا زوال، بسبب ذلك الاحتراق اهـ

ولست أدري ما هو المانع من كون هذا العذاب يسمى أشد العذاب، وإن كان هو في نفسه قليلًا، كما يدل عليه ظاهر لفظ ﴿يَذُوقُوا﴾، وقد استعمل القرآن لفظ «الذوق» في العذاب كثيرًا، فاختياره مقصود، وإنما يعرف الأشد بالقياس على غيره، فبهما كان عذاب الآخرة فهو أشد من عذاب الدنيا. وأكثر الذين يظنون أنهم ناجون من العذاب في الآخرة يودون أن يكون عذاب المذنبين شديدًا بالقلم منتهى ما يمكن من الشدة، كأنهم حرموا من ذوق طعم الرحمة، على أنه ليس بيدهم موتق من الله بنجاتهم وأمنهم من العذاب. (١٦٦: ٥)

القاسمي: أي ليدوم لهم، وذلك أبلغ في العذاب للشخص، لأن إحساسه لعمل النار في الجلد الذي لم يحترق أبلغ من إحساسه لعملها في الحرق. (١٣٢٨: ٥)

ابن عاشور: قوله: ﴿يَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ تعليل لقوله: ﴿يَذُوقُوا﴾، لأن الجلد هو الذي يوصل إحساس العذاب إلى النفس، بحسب عادة خلق الله تعالى، فلم يبدل الجلد بعد احتراقه لما وصل عذاب النار إلى النفس، وتبدل الجلد مع بقاء نفس صاحبه لا ينافي العدل، لأن الجلد وسيلة إبلاغ العذاب، وليس هو المقصود بالتعذيب، ولأنه ناشئ عن الجلد الأول، كما أن إعانة الأجسام في الحشر بعد اضمحلالها لا يوجب أن تكون أناسًا غير الذين استحقوا الثواب والعقاب، لأنها لما أودعت النفوس التي اكتسبت الخير والشر فقد صارت هي هي، ولا سيما إذا كانت

و يجوز أن يكون ﴿هَذَا﴾ في موضع رفع بالابتداء  
و ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ في موضع الخبر، ودخلت الفاء للتثنية  
الذي في ﴿هَذَا﴾، فيوقف على ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾.

(٢٢١: ١٥)

الْبَيْضَاوي: أي ليدوقوا هذا فليذوقوه، أو  
العذاب هنا فليذوقوه، و يجوز أن يكون مبتدأ خبره  
﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

(٣١٣: ٢)

الْهَرُوسِيُّ: أي ليدوقوا هذا العذاب فليذوقوه.  
و النَّوْقُ: وجود الألم بالتم. وأصله في القليل، لكنه  
يصلح للكثير الذي يقال له: الأكل، و كثر استعماله في  
العذاب تهكمًا.

(٥١: ٨)

الْأَلُومِيُّ: ﴿هَذَا﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي  
العذاب هذا، و قوله تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ جملة مرتبة  
على الجملة قبلها، فهي بمنزلة جزاء شرط محذوف...

﴿هَذَا﴾ مبتدأ خبره ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ و جملة: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾

معرضة، كقولك: زيد فافهم رجل صالح.  
أو ﴿هَذَا﴾ مبتدأ خبره ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾، على  
مذهب الأخفش في إجازته: زيد فافهمه مستدلاً  
بقوله:

• وقائلة خولان فانكح فئاتهم ■

أو ﴿هَذَا﴾ في محل نصب بفعل مضمر يفسره  
﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ أي ليدوقوا هذا فليذوقوه.

و لعلك تختار القول بأن ﴿هَذَا﴾ مبتدأ و ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾  
خبره، و ما في البين اعتراض، و قد قدمه في «الكشاف»  
والفاء تفسيرية تقييدية، و يُشعر بأن لهم إناقسة، بعد  
إناقة وفي ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ على هذين الوجهين

إحاديثها عن إثبات من أعجاب الأذنان، حسبما ورد  
به الأثر، لأن الناس عن الشيء هو منه كالتغلة من  
التواة. (١٥٩: ٤)

### فَلْيَذُوقُوهُ

هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ. ص: ٥٧  
الطَّبْرِيُّ: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ معناه التأخير، لأن معنى  
الكلام ما ذكرت، و هو هذا حميم و غساق فليذوقوه.  
و قد يقفه إلى أن يكون ﴿هَذَا﴾ مكتفياً بقوله:  
﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾، ثم يبتدأ فيقال: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾  
بمعنى: منه حميم و منه غساق.

و إذا وُجّه إلى هذا المعنى جاز في ﴿هَذَا﴾ النصب  
و الرفع، النصب: على أن يضرر قبلها لها ناصب،  
و الرفع بالهاء في قوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾، كما يقال: الليل  
غباروه و الليل غباروه. [و استشهد بالشعر مرتين]

الفخر الرازي: قال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ  
حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ وفيه مسائل:  
المسألة الأولى: فيه وجهان:

الأول: أنه على التقديم و التأخير، و التقدير: هذا  
حميم و غساق فليذوقوه.

الثاني: أن يكون التقدير: جهنم يصلونها فبنس  
المهاد هذا فليذوقوه، ثم يبتدئ فيقول: حميم و غساق.

(٢٢١: ٢٦)

الْقُرْطُبِيُّ: ﴿هَذَا﴾ في موضع رفع بالابتداء،  
و خبره ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ على التقديم و التأخير، أي هذا  
حميم و غساق فليذوقوه، و لا يوقف على ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾

الاحتمالان المذكوران أولاً. (٢١٤: ٢٣)

الطُّبَّاطِبَاتِي: قوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ نال على إكراههم وحملهم على ذوقه، وتقديم المخبر عنه وجعله اسم إشارة يؤكد ذلك. والمعنى: هذا حميم وحقائق عليهم أن يذوقوه ليس إلا. (٢١٩: ١٧)

ذُوقُوا

١- قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَلَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْعَذِيقِ. آل عمران: ١٨١  
الطُّبَّيرِي: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ بما أسلفت أيديكم، واكسبتها إتمام حياتكم في الدنيا، وبأن الله عدل لا يجهل، لمعاقب عبداً له بغير استحقاق منه العقوبة. ولكنه يجازي كل نفس بما كسبت، ومَنْ لَمْ يَجِدْ كَلِمَةً بِمِثْلِهَا فِي الْقُرْآنِ (٥٣٨: ٣)  
كلَّ حَامِلٍ جَزَاءً مَّا عَمِلَ.

الزَّجَّاج: قوله: ﴿ذُوقُوا﴾ هذه كلمة تدلُّ على التعذيب. يُؤْتَس من العفو، يقال: ذُقْ ما أنت فيه، أي لست بتخلّص منه. (٤٩٤: ١)

الطُّوسِي: وقوله: ﴿ذُوقُوا﴾ يفيد أنكم لا تتخلّصون من ذلك، كما يقول القاتل: ذُقْ هذا الجلاء يعني إلك لست بتناج منه. (٦٦: ٣)

ابن عطية: والذُّوق مع العذاب مستعار عبارة عن المباشرة؛ إذ الذُّوق من أبلغ أنواعها، وحاسته بميزة جداً. (٥٤٨: ١)

الطُّبُّوسِي: يفيد قوله: ﴿ذُوقُوا﴾ أنكم لا تتخلّصون من ذلك. ويقال: ذُقْ هذا الجلاء، أي إلك لست بتناج منه. (٥٤٨: ١)

الطُّرُطِي: أي يقال لهم في جهنم، أو عند الموت، أو عند الحساب هذا. (٢٩٥: ٤)

الْبَيْضَاوِي: أي وتنتقم منهم بأن تقول لهم: ذُوقُوا العذاب المَحْرِق، وفيه مبالغات في الوعيد، والذُّوق: إدراك الطعم، وعلى الاتساع يُستعمل لإدراك سائر الحسوسات والحالات، وذكره هنا لأن العذاب مرثب على قوهم التناهي عن البخل والتهالك على المال، وغالب حاجة الإنسان إليه لتحصيل المطامع، ومعظم بخله به للخوف من فقده، ولذلك كثر ذكر الأكل مع المال. (١٩٦: ١)

أبو حيان: واستعير لمباشرة العذاب الذُّوق، لأن الذُّوق من أبلغ أنواع المباشرة، وحاستها متميزة جداً. (١٣٠: ٣)

الْبُيُوسِي: أي وتنتقم منهم بعد الكتابة بأن ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، كما أذقتم المرسلين النقص. (١٣٥: ٢)

الألُوسِي: والذُّوق: كما قال الراغب: وجود الطعم في القم، وأصله: فيما يُلْ تَنَاولُهُ دون ما يكثر. فإنه يقال له: أكل، ثم اتسع فيه فاستعمل لإدراك سائر الحسوسات والحالات، وذكره هنا كما قال ناصر الدين: لأن العذاب مرثب على قوهم التناهي عن البخل والتهالك على المال، وغالب حاجة الإنسان إليه لتحصيل المطامع، ومعظم بخله للخوف من فقده، ولذلك كثر ذكر الأكل مع المال.

ولك أن تقول: إن اليهود لما قالوا ما قالوا وقتلوا من قتلوا، قد أذاقوا المسلمين وأتباع الأنبياء

خُصَّصًا، وَشَبَّهُوا فِي أَشَدِّهِمْ نَارَ الْغَيْرِ وَالْأَسْفَهِ، وَأَسْرَقُوا قُلُوبَهُمْ بِهَلَبِ الْإِبْذَاءِ وَالْكَرْبِ، فَهُوَ ضَوْءُ هَذَا الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَقِيلَ لَهُمْ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخَرْبِ﴾ كَمَا أَذَقْتُمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا مَا يَكْرَهُونَ، وَالْقَاتِلُ لَهُ ذَلِكَ كَمَا قَالَ الصَّحَّاحُ: خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، فَالْإِسْنَادُ حَبِثٌ بِمَجَازِيٍّ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَبَالِغَاتٌ فِي الْوَعِيدِ، حَيْثُ ذُكِرَ فِيهَا الْعَذَابُ وَالْخَرْبُ، وَالذُّوقُ الْمُنْتَبِهُ عَنْ الْيَاسِ، فَقَدْ قَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿ذُقْ﴾ كَلِمَةٌ تَقَالُ لِمَنْ أَيْسَ مِنَ الْعُضْوِ، أَيْ ذُقْ مَا أَنْتَ فِيهِ، فَلَمَّا بَخَّضَ مِنْهُ، وَالْمُؤَذَّنُ بِأَنْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَوَانِ يَتَبَهَّ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ وَأَدْمَى، وَالْقَوْلُ لِلتَّعَسُّفِ الْمُنْتَبِهُ عَنْ كَمَالِ الْخُفْظِ وَالنَّظَبِ، وَلِهَذَا قِيلَ: مَا لَا يَخْفَى أَيْضًا مِنَ الْمَبَالِغَاتِ (٢: ١٢٤).

ابن عاشور: قوله: ﴿وَتَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْخَرْبِ﴾ عَطَفَ أَثَرُ الْكَسْبِ عَلَى الْكَسْبِ، أَيْ سَيَجَازُونَ عَنْ ذَلِكَ بِدُونِ صَفْحٍ، ﴿وَتَقُولُ ذُوقُوا﴾ وَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ بِأَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ.

وَالذُّوقُ حَقِيقَتُهُ إِدْرَاكُ الطُّعْمِ، وَاسْتُحْمِلَ هُنَا بِمَجَازٍ أَمْرٌ سَلَّ فِي الْإِحْسَاسِ بِالْعَذَابِ، فَمَلَّاقَتُهُ الْإِطْلَاقُ، وَنَكَبَتْهُ أَنْ الذُّوقُ فِي الشَّرَفِ يَسْتَبِيعُ تَكَرُّرَ ذَلِكَ الْإِحْسَاسِ، لِأَنَّ الذُّوقَ يَتَّبِعُهُ الْأَكْلُ، وَبِهَذَا الْاِهْتِبَارِ يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ ﴿ذُوقُوا﴾ اسْتِعَارَةً.

وقد شاع في كلام العرب إطلاق الذوق على الإحساس بالخير أو بالشر، وورد في القرآن كثيرًا. (٣: ٢٦٨)

٢- وَلَوْ كُنَّا نَرَى إِذْ وَفَّقُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالِ الْيَسَّ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. الأنعام: ٣٠

الطبري: قال الله تعالى ذكره لهم: فذوقوا العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذبون. (٥: ١٧٧)

ابن عطية: قوله: ﴿فَذُوقُوا﴾ استعارة بليغة، والمعنى بأشروه مباشرة الذائق إذ هي من أشد المباشرات. (٢: ٢٨٣)

الطبرسي: إنما قال: ﴿ذُوقُوا﴾ لأنهم في كل حال يجدونه ذلك وجدان الذائق المذوق في شدة الإحساس من غير أن يصيروا إلى حال من يشم الطعام في تصان الإدراك. (٢: ٢٩١)

الفهر الرأزي: «خص لفظ الذوق، لأنهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق في قوة الإحساس. (٤: ١٢٤)

ابن عاشور: قوله: ﴿وَتَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْخَرْبِ﴾ عَطَفَ أَثَرُ الْكَسْبِ عَلَى الْكَسْبِ، أَيْ سَيَجَازُونَ عَنْ ذَلِكَ بِدُونِ صَفْحٍ، ﴿وَتَقُولُ ذُوقُوا﴾ وَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ بِأَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ.

وَالذُّوقُ حَقِيقَتُهُ إِدْرَاكُ الطُّعْمِ، وَاسْتُحْمِلَ هُنَا بِمَجَازٍ أَمْرٌ سَلَّ فِي الْإِحْسَاسِ بِالْعَذَابِ، فَمَلَّاقَتُهُ الْإِطْلَاقُ، وَنَكَبَتْهُ أَنْ الذُّوقُ فِي الشَّرَفِ يَسْتَبِيعُ تَكَرُّرَ ذَلِكَ الْإِحْسَاسِ، لِأَنَّ الذُّوقَ يَتَّبِعُهُ الْأَكْلُ، وَبِهَذَا الْاِهْتِبَارِ يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ ﴿ذُوقُوا﴾ اسْتِعَارَةً.

وقد شاع في كلام العرب إطلاق الذوق على الإحساس بالخير أو بالشر، وورد في القرآن كثيرًا. (٣: ٢٦٨)

شعارًا لكم لا تتركوه. (٧: ١٠٥)

ابن عاشور: ﴿قَالَ فَذَرُوا الْعَذَابَ﴾ على طريقة فصل المحاورات. والفاء للتفريع عن كلامهم أو فاء نصيحة، أي إذ كان هذا الحق فذوقوا العذاب على كفركم، أي بالبحث.

والهاء سببية، و (ما) مصدرية، أي بسبب كفركم، أي بهذا.

و «ذوق العذاب» استعارة لإحساسه، لأن الذوق أقوى الحواس المباشرة للجسم، فشبه به إحساس الجسد.

معنيته: هذا جزاء كل من أضر العاجلة على الآجلة، وكتم الحق لهوى في نفسه.

و تسأل: أن قوله تعالى للكافرين: ﴿الَّذِينَ هَذَا بِأَلْحَقَ بِهِمْ﴾، وقوله: ﴿ذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ لا يتفق مع الآية ١٧٤ من سورة البقرة: ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.

الجواب: المراد أن الله لا يكلمهم بما يضرهم بل بما يسوئهم، كما في هذه الآية، وكما في الآية ١٠٨ من المؤمنين: ﴿قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾. (١٧٩: ٣)

٣- كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْعَذِيقِ. الحج: ٢٢

الثعلبي: الذوق: حاسة يحصل منها إدراك الطعام، وهو هاهنا توسع، والمراد به إدراكهم الآلام. (١٥: ٧)

نحوه القرطبي: فالذوق طلب إدراك الطعام، فهو أشد لإحساسه عند تقده وطلب إدراك طعمه، فاهل النار يجدون أنها وجدان الطالب لإدراك

الشيء. (٣٠٢: ٧)

نحوه الطبرسي: (٧٨: ٤)

البيهقي: أي تقول لهم: الملائكة ذوقوا عذاب الحريق...

وقال الزجاج: هؤلاء أحد الخاصمين، وقال في الآخر وهم المؤمنون. (٣٣١: ٣)

القرطبي: والذوق حاسة يحصل منها إدراك الطعام، وهو هنا توسع، والمراد به: إدراكهم الآلام.

(٢٨: ١٢)

اليسابوري: وإنما أضر القول هاهنا قبل قوله: ﴿وَذُوقُوا﴾ بخلاف «السجدة». وقيل لهم:

﴿ذُوقُوا﴾ لأنه وقع الاختصار هاهنا على ﴿عَذَابَ الْعَذِيقِ﴾ وهناك أطلب، فقيل: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ كُذُوبُنَ﴾ السجدة: ٢٠. واهتمام

تعالى أعلم. (٨٦: ١٧)

ابن كثير: قوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْعَذِيقِ﴾ كقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ كُذُوبُنَ﴾ السجدة: ٢٠، ومعنى الكلام: أنهم يُهانون

بالعذاب قولاً وفعلًا. (٦٢٦: ٤)

شبر: قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا﴾ وقيل لهم: ذوقوا.

فصل الله: قيل لهم: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْعَذِيقِ﴾ لأن عذاب الآخرة جزاء خالده لا يسمع بأية فرصة

للتقلت منه، ولا يصل إلى أية نهاية. (٤٢: ١٦)

مدته و دوامه، ويكون المذرك له لا عُذر له يشغله،  
وإنما هو على أتم ما يكون من الإدراك فيحصل الألم  
العظيم.

وقد ذكرنا أن على قول الأكثرين: يقال لهم، أو  
نقول مضر، وقد ذكرنا أنه لا حاجة إلى الإضمار إذا  
كان الخطاب مع غير من قيل في حقهم: **﴿لِإِنَّ الْمُجْرِمِينَ  
فِي ضَلَالٍ﴾** فإنه يصير كأنه قال: ذوقوا أيها المكذبون  
بمحمد **﴿لَسَ سَرِيعٌ يَوْمَ تُحْشَبُ الْمُرْمُونَ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي  
النَّارِ﴾** (٢٩: ٧٦)

التسفي: كقولك: وجد من الحمى، وذلق طعم  
الضرب، لأن النار إذا أصابتهم بحرما، فكأنها تمسهم  
بذلك. (٤: ٢٠٦)

أين كثير: وكما كانوا ضللاً يسحبون فيها على  
أرجلهم، لا يدرون أين يذهبون. ويقال لهم ضرباً  
بهم. (٦: ٤٧٩)

أين عاشور: مفعول قول محذوف، والجملة  
مستأنفة. والنوق مستعار للإحساس، وصيغة الأمر  
مستعملة في الإهانة والهجازات. (٢٧: ٢٠٤)

القاسمي: والاستعارة في المس تحقيقية، أو في سقر  
مكنية، وفي المس تخيلية. أو المس مجاز مرسل بملاقاة  
السبية للألم. واستعارة الذوق مشهورة، واستعمال  
الذوق في المصائب بمنزلة الحقيقة. (١٥: ٥٦٠)

عبد الكريم الخطيب: إذ يسحبون على  
وجوههم في النار، ويدعون إلى جهنم دعاء، يشعرون  
من الزبانية الموكلين بسوقهم إلى النار، بتلك الكلمات  
القاتلة: **﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾** أي أنعموا بهذا التعذيب

٤- يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا  
مَسَّ سَقَرَ. القمر: ٤٨

الطبري: فإن قال قائل: كيف يذلق مس سقر  
أوله طعم فيذاق؟ فإن ذلك مختلف فيه؛ فقال بعضهم:  
قيل: ذلك كذلك، على مجاز الكلام، كما يقال: كيف  
وجدت طعم الضرب؟ وهو مجاز.

وقال آخر: ذلك كما يقال: وجدت مس الحمى،  
يراد به أول ما تألفي منها، وكذلك وجدت طعم عذوك.  
(١١: ٥٦٨)

التعليق: إنما هو كقولك: ذق المر السباط.

(٩: ١٧٠)

أين عطية: وقوله تعالى: **﴿ذُوقُوا مَسَّ﴾**  
استعارات، والمعنى يقال لهم: على جهة التوبيخ.  
(٥: ٢٢٩)

الطبرسي: يعني أصابتها إناهم بعذابهم **﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾**  
وهو كقولهم وجدت مس الحمى. (٥: ١٩٤)

الفخر الرازي: وقوله تعالى: **﴿ذُوقُوا﴾** استعارة؛  
وفيه حكمة، وهو أن الذوق من جملة الإدراكات، فإن  
الذوق إذا لاقى اللسان يدرك أيضاً حرارته وبرودته  
وخشونته وملاسته، كما يدرك سائر أعضائه الحسية  
ويدرك أيضاً طعمه، ولا يدركه غير اللسان، فإدراك  
اللسان أتم، فإذا تأذى من نار، تأذى بحرارته ومرارته  
إن كان الحار أو غيره لا يتأذى إلا بحرارته، فإذا  
الذوق إدراك لشيء أتم من غيره في الملموسات، فقال:  
**﴿ذُوقُوا﴾** إشارة إلى أن إدراكهم بالذوق أتم  
الإدراكات، فيجتمع في العذاب شدته وإيلامه بطول

واظنوا به.

(١٤: ٦٤٧)

فَضَّلَ اللَّهُ: ﴿فَوَقَرَأَمَسٌ مَقَرٌّ﴾. في ما يُصَيِّمُ  
من أحوال جهنم وعذابها، وحرها وخبثها. (٢١: ٢٩٥)

## ذَائِقَةُ

١- كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَالْمَا تُوقُونَ أَجْزَاءَكُمْ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنْ الْآرِ وَالْأُجْلِ الْجَنَّةُ قَدْ فَلَا  
وَمَا الْخَيْرُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ. آل عمران: ١٨٥  
الطَّبْرِي: أَنَّ مَصِيرَ هَؤُلَاءِ الْفَاشِقِينَ عَلَى لَهْ مِنْ  
الْيَهُودِ الْمَكْذِبِينَ بِرَسُولِهِ، الَّذِينَ وَصَفَ صَفَتِهِمْ، وَأَخْبَرَ  
عَنْ جِرَاءَتِهِمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَمَصِيرَ غَيْرِهِمْ مِنْ جَمِيعِ  
خَلْقِهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ، وَرَجَعَ جَمِيعَهُمْ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ قَدْ حَسَمَ  
الْمَوْتَ عَلَى جَمِيعِهِمْ.

(٣: ٥٤١)

الشَّارِفُ الرَّضِي: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي صَدْرِهِ  
الْآيَةُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. مَسْتَعَارٌ لِلْمَعْنَى لِأَنَّ  
حَقِيقَةَ الذُّوقِ مَا أَدْرَكَ بِحَاسَّةٍ، وَإِنَّمَا حَسَنَ وَصَفَ  
النَّفْسَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَحْسُ بِهِ مِنْ كَرْبِ الْمَوْتِ وَعَذَابِهِ،  
فَكَأَنَّمَا تَحَسَّ بِذَوْقِهِ. (١٢٦)

الطُّوسِي: قَوْلُهُ: ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ بِهَازٍ، لِأَنَّ  
الْمَوْتَ لَا يُذَاقُ فِي الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَشْهُورٌ فِي كَلَامِهِمْ  
يَقُولُونَ: ذَاقَ الْمَوْتَ، وَشَرِبَ بِكَاسِ الْمَوْتِ، لِأَنَّهُ يَتَزَلَّ  
مَا يُذَاقُ بِذَوْقِ شِدَائِدِهِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الذُّوقِ وَإِدْرَاكِ الطَّعْمِ: أَنَّ الذُّوقَ  
التَّحْرِيْبَ جِسْمَ الْمَطْوُوقِ إِلَى حَاسَّةِ الذُّوقِ، وَالْإِدْرَاكَ  
الطَّعْمُ هُوَ وَجْدَانُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِحْسَاسٌ، وَلِذَلِكَ  
يُوصَفُ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُدْرِكٌ لِلطَّعْمِ وَلَا يوصَفُ بِأَنَّهُ ذَائِقٌ

لَهُ. وَيَقُولُونَ: ذُتُّهُ فَلَمْ أَجِدْ لَهُ طَعْمًا، أَيْ لَا يَحْسُ قَمِي  
فَلَمْ أَحْسُ لَهُ طَعْمًا. (٣: ٧١)

الْقَشِيرِي: أَيْ كَأْسِ الْمَوْتِ تَوْضَعُ عَلَى كَفِّ كُلِّ  
حَيٍّ، فَمَنْ تَحَلَّاهَا طَبِيعَةُ نَفْسِهِ أَوْرَثَتْهُ سُكْرَ الْوَجْدِ،  
وَمِنْ تَجَرُّعِهَا عَلَى وَجْهِ الْقَتْلِ، وَقَعَ فِي وَلَهْدَةِ الرَّدِّ،  
وَوَسِيمَ بِكِي الْمَصْنَدِ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: فَمَنْ أُجِيرَ مِنَ التَّارِ  
وَصَلَ إِلَى الرَّاحَةِ الْكُبْرَى، وَمَنْ صُلِّيَ بِالسَّعِيرِ وَقَعَ فِي  
الْهَنَةِ الْكُبْرَى. (١: ٣١٤)

الْهَرَوِي: وَفِي الْحَدِيثِ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عِمَالِيَّ آدَمَ  
اسْتَكْتَتِ الْأَرْضُ إِلَى رِجْلِهَا لَمَّا أَخَذَ مِنْهَا، فَوَعَدَهَا أَنْ يَرَدَّ  
فِيهَا مَا أَخَذَ مِنْهَا، فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَبَدَأَ فِي الثَّرْبَةِ الَّتِي  
خَلَقَ مِنْهَا». (١: ٥٤٨)

الْمُيَسَّدِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾  
الْمَعْنَى كُلُّ نَفْسٍ مَتَفُوسَةٌ بِمَا لَمْ يَخْصُصْ الْمَوْتَ، فَإِنَّ مَنْ فِي  
الْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ لَا يَمُوتُونَ، كَمَا قَالَ: ﴿فَصَبِّحْ مَنْ لَيْسَ  
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وَهُمْ مَنْ  
فِي الْجَنَّةِ وَالْآرِ مِنَ الْخَزَنَةِ. وَجَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: ﴿كُلُّ مَنْ  
غَلَبَهَا قَانَ﴾ قَالُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ لَا يَمُوتُ، لِأَنَّ أَهْلَ  
السَّمَاءِ لَا أَهْلَ الْأَرْضِ. فَأَنْزَلَ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذِهِ الْآيَةَ  
﴿كُلُّ شَيْءٍ قَابِلٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فَأَيُّقُنُوا أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ.

وَفِي ذَلِكَ مَأْرُوءٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَشَى مَا  
شَتَّ فَاتَكَ مَيِّتٌ، وَأَحَبُّ مَنْ أَحَبَّ فَاتَكَ مَفَارِقُهُ،  
وَأَعْمَلُ مَا شَتَّ فَاتَكَ مَجْزِي بِهِ». وَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا  
كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَائِرٌ سَبِيلٌ، وَخَذْ نَفْسَكَ مِنْ أَصْحَابِ  
الْقُبُورِ». (٢: ٣٧٠)

الزَّمَخْشَرِي: قَرَأَ الْيَزِيدِي (ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)

على الأصل، وقرأ الأعمش (ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) بطرح التنوين مع النصب. (٤٨٥:١)

الطَّهْرَسِي: أي: ينزل بها الموت لا بحالته، فكأنها ذائقة. وقيل: معناه كل نفس ذائقة مقدمات الموت، وشدائده وسكرته، كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وعلى هذا جاء قوله: «لَقِينَا أَمْوَاتَكُمْ شهادة أن لا إله إلا الله». وهذا الظاهر يدل على أن كل نفس تذوق الموت، وإن كانت مقتولة، وإن أقتل لا ينفك عن الموت الذي هو فعل الله.

(٥٥:١)

الفخر الرازي: ﴿ذَائِقَةُ﴾ فاعلة من الذوق واسم الفاعل إذا ضيف إلى اسم وأرسل به الماضي لم يجر فيه إلا الجرم، كقولك: زيد ضارب عمرو أمس، فإن أردت به الحال والاستقبال جاز الجرم والنصب تقول: هو ضارب زيد غداً، وضارب زيد أمس، تعالى: ﴿كُلُّ هُنَّ لَكَ شَقِيقَاتٌ ضَرْبُكَ الزَّمَر: ٣٨﴾ فري بالوجهين لأنه للاستقبال.

وروي عن الحسن أنه قرأ: (ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) بالتنوين ونصب (الموت) وهذا هو الأصل، وقرأ الأعمش: (ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) بطرح التنوين مع النصب، كقوله:

● ولا ذاكراً لله إلا قليلاً ●

(١٢٥:٩)

القرطبي: قراءة العامة ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ بالإضافة، وقرأ الأعمش ويحيى وابن أبي إسحاق (ذائقة الموت) بالتنوين ونصب (الموت)، قالوا: لأنهما

لم ينفق بعد، وذلك أن اسم الفاعل على ضربين: أحدهما: أن يكون بمعنى الماضي، والثاني: بمعنى الاستقبال، فإن أردت الأول لم يكن فيه إلا الإضافة إلى ما بعده، كقولك: هذا ضارب زيد أمس، وقاتل بكر أمس، لأنه يجري مجرى الاسم الجامد، وهو العلم، نحو: غلام زيد، وصاحب بكر.

وإن أردت الثاني جاز الجر والنصب والتنوين فيما هذا سبيله هو الأصل، لأنه يجري مجرى الفعل المضارع، فإن كان الفعل خيراً متعدداً لم يمتد؛ لصوقاً بزيد، وإن كان متعدداً بآدبته ونصبت به، فنقول: زيد ضارب عمرو، بمعنى ضرب عمرو، ويجوز حذف التنوين والإضافة تخفيفاً.

ومثل هذا أيضاً في التثنية قوله تعالى: ﴿كُلُّ هُنَّ لَكَ شَقِيقَاتٌ ضَرْبُكَ الزَّمَر: ٣٨﴾ وما كان مثله.

وقرى (ذائقة الموت) بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله:

● ولا ذاكراً لله إلا قليلاً ● (١٩٦:١)  
البيضاوري: أكد التثنية بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ لأن تذكر الموت واستحضاره مما ينزل القوم والأشجان الذبونية، وكذا العلم بأن وراء هذه الدار داراً يتميز فيها الممسن عن المسمى، ويرى كل منهما جزاء عمله.

والمراد بـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: كل ذات، فالنفس لا يمكن إجرؤها على عمومها، لاستثناء الله



تعالى منها: ﴿عَلَّمْ مَا فِي نَفْسٍ وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾  
المائدة: ١١٦، وكذا كل الجمادات، لأن لها ذوات،  
ولقوله: ﴿فَصَبَقَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ  
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ الرَّزْمُ: ٦٨، ولأنه لا موت لأهل الجنة  
ولا لأهل النار، فالمراد المكلفون الحاضرون في دار  
التكليف، والملائكة عند من يُبْعَثُ الموت عليهم.

روي عن ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿كُلُّ  
مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرَّسْمُ: ٢٦، قالت الملائكة: مات أهل  
الأرض، فلما نزل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ قالت  
الملائكة: متنا، وفي الآية دليل على أن المقبول ميت  
وعلى أن النفس باقية بعد البدن، لأن الذائق لا بد أن  
يكون باقياً حال حصول الذوق. (١٤١: ٤)

الْبُرُوسِي: أي يخرج وتفك من البدن هذا  
شيء من الموت، فكأن بالذوق عن القلة، وهو واحد  
وعيد للمصدق والمكذب، من حيث إنه كناية عن  
أن هذه الدار بعدها دار أخرى، يتميز فيها الحسن من  
السيء، ويتوفر على كل أحد ما يليق به من الجزاء.  
وفي الحديث: «لما خلق الله آدم اشتكت الأرض إلى  
ربها لما أخذ منها، فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها، فما  
من أحد إلا ويذوق في القربة التي خلق منها».

(١٣٨: ٢)  
الْأَلُوسِي: قد استدل بالآية على أن المقبول  
ميت وعلى أن النفس باقية بعد البدن، لأن الذائق لا بد  
أن يكون باقياً حال حصول الذوق، فتدبر.

وقرأ الزبيدي: (ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) بالثوين ونصب  
(الموت) على الأصل، وقرأ الأعمش (ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)

بطرح الثوين مع التصب، كما في قوله:

فألقته غير مستعجب ۞ ولا ذكراً لله إلا قليلاً  
وعلى القراءات الثلاث ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ مبتدأ،  
وجاز ذلك وإن كان نكرة لما فيه من العموم،  
و﴿ذَائِقَةُ﴾ المحب، وأثبت على معنى ﴿كُلُّ﴾ لأن ﴿كُلُّ  
نَفْسٍ﴾ نفوس، ولو ذكر في غير القرآن على لفظ  
ه كلّه جاز. (١٤٦: ٤)

المراغي: أي كل نفس تذوق طعم مفارقة البدن  
وتحس به، وفي هذا إيحاء إلى أن النفس لا تموت بموت  
البدن، لأن الذي يذوق هو الموجود، والميت لا يذوق،  
فالذوق شعور لا يحس به إلا الحي. (١٥٢: ٤)

سيد قطب: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: كل نفس  
تذوق هذه الجرعة، وتفارق هذه الحياة، لا فارق بين  
نفس ونفس في تذوق هذه الجرعة من هذه الكأس  
المتفرقة على الجميع، إنما الفارق في شيء آخر.

(٥٣٨: ١)  
ابن عاشور: والذوق هنا أطلق على وجدان  
الموت، تقدم بيان استعماله عند قوله آنفاً: ﴿وَلَقَوْلُ  
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ آل عمران: ١٨٦، وشاع  
إطلاقه على حصول الموت، قال تعالى: ﴿لَا يَسْلُوفُونَ  
فِيهَا الْمَوْتَ﴾ الدخان: ٥٦، ويقال: ذاق طعم الموت.

(٣٠١: ٣)  
الطباطبائي: قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ  
الْمَوْتِ﴾، الآية، تتضمن الوعد للمصدق والوعيد  
للمكذب، وقد بدأ فيها بالحكم العام المقضي في حق  
كل ذي نفس. (٨٣: ٤)

مكارم الشيرازي: هذه الآية تشير أولاً إلى قانون عام يشمل جميع الأحياء في هذا الكون وتقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. والتاس، وإن كان أكثرهم يحب أن ينسى مسألة الفناء ويتجاهل الموت، ولكن هذا الأمر حقيقة واقعة إن حاولنا تناسلها والتغافل عنها، فهي لا تنسانا، ولا تغافل عنا.

إن هذه الحياة نهاية لا محالة، ولا بد أن يأتي ذلك اليوم الذي يزور فيه الموت كل أحد ولا يكون أمامه حينئذ إلا أن يفارق هذه الحياة.

إن المراد من «النفس» في هذه الآية، هو مجموعة الجسم والروح، وإن كانت النفس في القرآن تطلق أحياناً على خصوص «الروح» أيضاً.

والتعبير بالتذوق إشارة إلى الإحساس الكامل لأن المرء قد يرى الطعام بعينه أو يلمسه بيده، ولكن كل هذه لا يكون، والأحرى لا يتحقق الإحساس الكامل بالشئ، نعم إلا أن يتذوق الطعام بحاسة الذوق فحينئذ يتحقق الإحساس الكامل، وكان الموت في نظام الخليفة نوع من الفناء للإنسان والأحياء.

٢- كَلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَتَلَوُكُمْ بِالْأَشْرَارِ وَالْخَيْرِ فَهِنَّةً وَإِلْتِئَازُ جَعُونَ. الأنبياء: ٣٥

الفرأء: لو نوكت في «ذَائِقَةُ» ونصبت «الْمَوْتِ» كان صواباً. وأكثر ما تختار العرب التنوين والتصب في المستقبل. فإذا كان معناه ماضياً لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة، فأما المستقبل فقولك: أنا صائم يوم

الخميس، إذا كان خميساً مستقبلاً، فإن أخبرت عن صوم يوم خميس ماضٍ قلت: أنا صائم يوم الخميس، فهذا وجه العمل، ويختارون أيضاً التنوين إذا كان مع الجهد؛ من ذلك قولهم: ما هو بتارك حقّه، وهو غير تارك حقّه، لا يكادون يتركون التنوين. وتركه كثير، جائز. (٢٠٢: ٢)

الطبري: يقول تعالى ذكره: كل نفس منقوسة من خلقه، معالجة غصص الموت، ومجرعة كأسها. (٢٥: ٩)

الطوسي: والمعنى: لا بد لكل نفس حية بحياة أن يدخل عليها الموت، ويخرج عن كونها حية. وأما قوله: «ذَائِقَةُ» لأن العرب تصف كل أمر شاق على النفس بالتذوق كما قال: «ذُقْ إِلَيْكَ أَلْتِ الْقَرْيُ» الكريم: الذخان: ٤٩. (٢٤٦: ٧)

ابن عطية: الذوق هاهنا مستعار. (٨١: ٤)

الفخر الرازي: الذوق هاهنا لا يمكن إجراؤه على ظاهره، لأن الموت ليس من جنس الطعام حتى يُذاق بل الذوق إدراك خاص، فلهو جملته مجازاً عن أصل الإدراك.

وأما الموت فالمراد منه هاهنا مقدماته من الآلام العظيمة، لأن الموت قبل دخوله في الوجود يمنع إدراكه، وحال وجوده يصير الشخص ميتاً ولا يدرك شيئاً.

والإضافة في «ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» في تقدير الانفصال،

ناظر فلائلا وذُق ما عنده، أي تَعَرَّف واختبر، وارْتَكَب  
الفرس وذَقه، [ثم استشهد بشعر]

(تأويل مشكل القرآن: ١٦٤)

الشريف الرضي: هذه استعارة، لأن حقيقة  
الذوق إنما تكون في الطعام والشارب، لا في الكسي  
واللباس. وإنما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن  
الغضب التازل بهم، والبلاء الشامل لهم. وقد عُرِف في  
لسانهم أن يقولوا لمن عوقب على جريمة، أو أخذ  
بجريرة: ذُقْ غَبْ قَطْلِكَ، واجنِ ثَمَرَةَ جَهْلِكَ وإن كانت  
عقوبته ليست مما يُحَسِّن بالطعام، ويُذَرِّك بالذوق.  
فكأنه سبحانه لما شملهم بالجوع والخوف على وجه  
اللعوبة حسن أن يقول تعالى: فاذاقهم ذلُّه، أي  
أوجعهم مرارته كما يجد الذائق مرارة الشيء المرير،  
ووخامة الطعام الكريه. (١٩٦)

يحيى وجدان الذائق في تفقده له، ولأنه يتجدد عليه  
إدراكه، كما يتجدد على الذائق. (٤٢٣: ٦)

الزنجشيري: فإن قلت: الإذاقة واللباس  
استعارتان فما وجه صحتهما، الإذاقة المستعارة  
موقفة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها  
عليه؟

قلت: أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة،  
لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها،  
فيقولون: ذاق فلان البؤس والضرر، وأذاقه العذاب،  
شئ ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم  
الشر واليأس.

لأنه لما يستقبل، كقوله: ﴿غَيْرُ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ المائدة: ١، و﴿هَذَانِ بَالِغُ الْكَفَّةِ﴾ المائدة: ٩٥. (١٦٩: ٢٢)  
نحوه: البر وسوي (٤٧٦: ٥)، والآلوسي (١٧: ٤٧).

القرطبي: أي فحسبكم بالشك والرخاء والحلال  
والحرام، فننظر كيف شكركم وحسبكم؟ (٢٨٧: ١١)  
البيضاوي: ذاقه مرارة مفارقتها جسدا، وهو  
برهان على ما أنكروه. (٧٢: ٢)

الخازن: الذوق ها هنا: عبارة عن مقتضات الموت  
وآلامه العظيمة قبل حلوله. (٢٣٨: ٤)

سيد قطب: هذا هو الثاموس الذي يحكم الحياة.  
وهذه هي السنة التي ليس لها استثناء. فما أجبر  
الأحياء أن يحسبوا حساب هذا المذاق (٤: ٢٢٧)  
ابن عاشور: واستعير الذوق لطلق الإحساس  
الباطني، لأن الذوق إحساس باللسان بخارصما وذوق  
إلى الباطن.

وذوق الموت: ذوق آلام مقتضاته، وأما بعد  
حصوله فلا إحساس للجسد. (٤٧: ١٧)

### فَاذَاقَهَا

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا  
رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا  
اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

التحل: ١١٢

ابن قتيبة: أصل الذوق بالفتح، ثم قد يستعار  
فيوضع موضع الابتلاء والاختبار، تقول في الكلام:

وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس: ما غشي الإنسان واللبس به من بعض الحوادث. وأما إيقاع الإذاعة على لباس الجوع والخوف، فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ولباس، فكأنه قيل: فأذاهم ما غشيهما من الجوع والخوف.

ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما، فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن غفدهما:

أحدهما: أن ينظروا فيه إلى المستعار له كما نظر إليه هاهنا، ونحو قول كثير:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً

غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف، لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء، لما يلقى عليه. ووصفه بالنظر الذي هو وصف المعروف، والاقوال لصفة الرداء نظراً إلى المستعار له.

والثاني: أن ينظروا فيه إلى المستعار، كقوله:

ينازعني ردائي عبد عمرو

رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني

ودونك فاعتبر منه بشطر

أراد يردائه سيفه، ثم قال: «فاعتبر منه بشطر»

فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتبار، ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل: فكساهم لباس الجوع والخوف، ولقال

كثير: ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكاً. (٤٣٦: ٢)

نحوه التسقي. (٣٠٢: ٢)

أين عطية: قوله: «فأذاها الله لباس الجوع»

استعارات، أي لساها بهم ذلك صار كاللباس.

ونحو قوله تعالى: «هَن لِّبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ» البقرة: ١٨٧، وقوله: «لَذَاقَهَا» نظير قوله تعالى: «فَلْيُذِقْ لَكُمُ الْعَذَابَ الْكَبِيرَ» الدخان: ٤٩. [واستشهد بالشعر ٢ مرات] (٤٢٧: ٣)

الطهرسي: أي: فأخذهم الله بالجوع والخوف بصنيعهم، وسوء فعلهم. وسمي أثر الجوع والخوف لباساً، لأن أثر الجوع والهمزال يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس. وقيل: لأنهم تحملهم الجوع والخوف، كما يشمل اللباس البدن.

وقيل: إن هذه القرية هي مكة، عن ابن عباس،

وكانت مكة، وقادة، عذبتهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا القذى والجلهز، وهو الورق، يخلط بالدم، والقراد، ثم يؤكل، وهم مع ذلك خائفون وجلون من الله، واستجاب لهم، فمروا عليهم فوافاهم، وذلك حين دعا

الذي عليهم، فقال: اللهم أشد وطأتك على

عصر، واجعل عليهم سنين كسني يوسف.

وقيل: إنها قرية كانت قبل نبينا ﷺ بعث الله

إليهم نبياً، فكفروا بذلك النبي وقتلوه، فعذبهم الله

بعذاب الاستئصال. (٣٩٠: ٣)

الرازي: فإن قيل: كيف قال تعالى: «فأذاها الله»

لباس الجوع والخوف، والإذاعة لا تناسب اللباس

وإنما تناسب الكسوة؟

قلنا: الإذاعة تناسب المستعار له، وهو الجوع؛ من

حيث إن الجوع يقتضي الأكل فيقتضي الذوق، وإن

كانت لا تناسب المستعار وهو اللباس، والكسوة

وإنذارهم به، فلما حصل عقب ذلك مدة غير طويلة  
وكان جزاء على كفرهم، جعل كالشيء المعقب به  
كفرهم.

والإذاعة: حقيقتها إحساس اللسان بأحوال  
الطعام، وهي متعارفة هنا وفي مواضع من القرآن إلى  
إحساس الألم والأذى إحساساً مكثاً. كصمتك ذوق  
الطعام من فم ذائقه لا يجد له مدقفاً. (١٣: ٢٤٦)

الطباطباتي: والإذاعة: استعارة للإحساس  
السير. فإذا ذوق الجوع والخوف مستمر بأن الذي  
يوصلهما قادر على تضييق ذلك وتكثيره، بما لا يقدر  
مقدر. كيف لا؟ وهو الله الذي له القدرة كلها.

(١٢: ٣٦٢)

فضل الله: ولكتها لم تشكر الله على ذلك كله، بما  
يفرضه هذا الجو الآمن الطيب النقي، من انضباط في  
العلاقات والأعمال والأقوال، واعتماد على الاعتدال  
والإساءة إلى حياة وحرمة أي إنسان، وعدم إثارة  
القلق والاهتزاز الروحي والمادي والمعنوي في الواقع  
الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، بوضع الخطط  
الشريرة التي تقود إلى أكل أموال الناس بالباطل.  
والانجاء بالحال إلى غير ما يريد الله، بإفساد الحياة من  
خلاله، فهي خطوات كهذه كفر عملي بالله ونعمه،  
وهو ما حصل لهذه القرية التي كفرت بأنعم الله،  
فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، فأجاعها بعد شبع،  
وأخافها بعد أمن. ولكن لا كعقوبة على العمل، بل  
كنتيجة طبيعية لخصائص ذلك العمل في طبيعته، تماماً،  
كما هي النتيجة المتصلة بتقدمتها، والسبب بمسببه،

تناسب المستعار له وهو الجوع، وكلاهما من دقائق  
علم البيان، يسمى الأول تجريد الاستعارة، والثاني:  
ترشيح الاستعارة، فجاء القرآن العزيز في هذه الآية  
بتجريد الاستعارة. (مسائل الرازي: ١٨١)

القرطبي: أي أذاق أهلها ... وأصل الذوق بالضم،  
ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء. (١٠: ١٩٤)  
نحوه البروسوي.

البيضاوي: استعار الذوق لإدراك أثر الضرر.

(١: ٥٧٢)

أين كثير: أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان  
يُجنى إليهم ثمرات كل شيء، وباتنها رزقها رغداً من  
كل مكان، وذلك أنهم استصوا على رسول الله ﷺ  
«أبوا إلا خلافه، فدعا عليهم بسبح كسبح يوسف  
فأصابهم سنة أذهبت كل شيء لهم، فما كلوا العلهز»  
وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا انحروه.

القاسمي: شبه أثر الجوع والخوف وضررها  
المحيط بهم، باللباس القاسي للأبس. فاستعير له اسمه،  
وأوقع عليه الإذاعة المستعارة، لطلق الإحساس  
الحسنة عن شدة الإصابة، بما فيها من اجتماع إدراك  
الآلمة والذائقة، على نهج التجريد. فلانها لتسبوع  
استعمالها في ذلك، «كثرة جريانها على الألسنة،  
جرت مجرى الحقيقة». (١٠: ٣٨٦٨)

أين عاشور: وأما قرن «فأذاقها الله لباس  
الجوع» بقاء التعذيب، فهو تعذيب عُرِف في مثل ذلك  
المعقب، لأنه حصل بعد مُضي زمن عليهم، وهم  
مصرّون على كفرهم، والرسول يكرر الدعوة

وذلك قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْتَمُونَ﴾ فهم يجمعون لأن أعمالهم السيئة تؤدي إلى الفقر الذي ينتج الجوع، وهم يخافون لأن المشاكل والمعارك التي يتبرونها تطرد الأمن. (٣١٢: ١٣)

### أَذَقْنَا

١- وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنَّا يَغْتَبِغُونَهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَبَدَّلَ لُحُومُهُمْ سَبْعًا مَرَّةً يَأْتِيَنَا بِهِمْ نَبَأٌ لَّيْسَ بِمُتَغَيِّرٍ ۖ

ابن عباس: أعطينا الكفار.

الطوسي: أخبر الله تعالى بأنه إذا أذاق الناس يعني الكافرين ﴿رَحْمَةً﴾ بأن أنعم عليهم وأوسع أرزاقهم، وأخصب أسعاريهم ﴿مِن بَيْنِ يَغْتَبِغُونَهَا﴾ يعني بعد شدة كانوا فيها من جندب وخبث نياتهم ﴿مُتَغَيِّرٍ﴾ في آياتنا. فجواب (إذا) الأولى في (إذا) الثانية وإنتها

جعلوا (إذا) جواباً إذا كانت بمعنى الجملة على ما فيها من المفاجأة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْتُلُونَ﴾ الروم: ٣٦، وحقيقة الذوق: تناول ما له طعم بالغم ليوجد طعمه، وإنما قال: ﴿أَذَقْنَاهُمْ﴾ على طريق البلاغة لشدة إدراك الحاسة. (٤١١: ٥)

نحوه الطبرسي.

ابن عاشور: والإذافة مستعملة في مطلق الإدراك استعارة أو مجازاً، كما تقدم في قوله: ﴿يَلْبُثُوا فِي آيَاتِنَا﴾ في سورة المائدة: ٩٥ (١١: ٥٢)

٢- وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْتُلُونَ ۖ

ابن عباس: أصابهم. الطبرسي: إذا أصاب الناس منّا خصبٌ ورخاء وعافية في الأبدان والأموال، فرحوا بذلك. (١٨٦: ١٠)

الطوسي: يقول الله تعالى مخبراً عن خلقه: بأنه إذا أذاقهم رحمة من عنده، بأن ينعم عليهم بهروب اللّحم، ويصح أجسامهم ويدرأ أرزاقهم ويكثر مواشيهم، وغير ذلك من النعم، إلهم يفرحون بذلك ويسرون به. فد (إذا) شرط، وجوابه: ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ وإنما جاء الجزء بـ (إذا) ولم يحن بـ (حين)، لأن (إذا) لحيثه بالقائه من جهة البناء، ألزم للفعل من جهة أنه لا يخالف إلى مفرد، فصار بمنزلة القاء في ترتيب الفعل، وليس كذلك (حين). وشبه إدراك الرحمة بإدراك اللّحم، لتسماء ذوقاً. (٢٥٢: ٨)

الواحدي: إذا أعطاهم من عند المطر. (٤٣٤: ٣) الطبرسي: بأن يعافهم من المرض، أو ينجيهم من الفقر، أو ينجيهم من الشدة. (٣٠٤: ٤)

الفخر الرازي: لتأين حال المشرك الظاهر شره بين حال المشرك الذي دونه، وهو من تكون عبادته الله للدين، فإذا آتاه رضى وإذا منعه سقط وقنط، ولا ينبغي أن يكون العهد كذلك، بل ينبغي أن يعبد الله في الشدة والرخاء، فمن الناس من يعبد الله في الشدة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ﴾ الروم: ٣٣، ومن الناس من يعبد إذا آتاه نعمة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾.

والأول: كالذي يخدم مكرهاً مخافة العذاب،  
والثاني كالذي يخدم أجيراً لتوقع الأجر، كلاهما  
لا يكون من المثبتين في ديوان المرتبين في الجرائد الذين  
يأخذون رزقهم، سواء كان هناك شغل أو لم يكن،  
فكذلك اللسان لا يكونان من المؤمنين الذين لهم  
رزق عند ربهم. (١٢٣: ٢٥)

الْبَيْضَاوِي: خلاصاً من تلك الشكّة. (٢٢١: ٢)  
نحوه أبو السعود (١٧٧: ٥) والقاسمي (٤٧٧٩: ١٣٢)  
فضل الله: فاحشوا ببرد العاقبة في حياتهم،  
وطمأنينة الأمن في ساحتهم، رجعوا إلى أصنامهم  
البريّة، واستسلموا لعلاقاتهم الضمنية، ليلجأوا  
إليها، ويمتدوا لها، ويسترقوا في أوضاعها الكافرة  
والمحرقة، وليتعدوا عن الله من جديد. (١٣٥: ١٨)

٢- فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَا عَنْهُمْ حَقِيقَةً إِلَّا  
غَلَقْنَا لِآلِ الْبَلَاغِ وَإِلَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَجَرَحَ  
بِهَا وَإِنْ نَحْنُ نَكُيِّدُ سَيِّئَةً يَبْأُفْتَتُ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ  
كُذُورٌ الشورى: ٤٨

الطَّبْرِي: فلما إذا أغويتا ابن آدم فأعطيتاه من  
عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جلّ ثناؤه  
فخرج بها. (١٦١: ١١)

الطُّوسِي: أوصلنا إليه نعمة. (١٧٣: ٩)  
مثله الطبرسي (٥٥: ٤)

أَذَقْنَاهُ

وَلَيْنِ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ تَقْدِيرِ ضَرَاءَ مَعْشَرُهُ  
لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي... فصلت: ٥٠

الطَّبْرِي: ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما  
أصابه من سقم في نفسه وخرّ وشكّة في معيشتة.

(١٢٤: ١١)

الوَاحِدِي: «لئن آتيناه خيراً أو عاقبة وغيى»  
(٤: ٤٠)

نحوه البضوي (١٣٦: ٤)، والمبيدي (٥٤١: ٨)،  
والخازن (٩٦: ٦)

القشيري: لئن كشفنا عنه البلاء، وأوجبنا له  
الرجاء، لادّعاء استحقاقاً أو اتفاقاً، وما اعتقد أن ذلك  
مناضل وإيجاب.

ويقول: لو كان لي حشرٌ ونشرٌ، لكان لي من الله  
الطيف والخير، وغداً يعلم الأمر، وأنه بخلاف ما توهم،  
وذلك عند ما نذيقه ما يستوجب من عذاب. (٣٣٨: ٥)

الْأَلُوسِي: أي لئن فرّجنا عنه بصعّة بعد مرضى  
أوصية بعد غنى، أو غير ذلك. (٤: ٢٥)

القاسمي: أي بتفريجها عنه. (٥٢١٦: ١٤)

المراغي: أي ولئن كشفنا ما أصابه من سقم في  
نفسه، أو شدّة وجهد في معيشتة، فوهبنا له العاقبة بعد  
السقم، واليقى بعد الفقر، ليقولن هذا حقّي قد وصل  
إلي. (٧: ٢٥)

الطُّبَايَاسِي: الأصل بالنظر إلى مضمون الآية  
السابقة أن يقال: وإن ذاق خيراً فقال: هذا لي، لكن  
بدل ذاق من «أَذَقْنَاهُ» وخيراً من قوله: «رَحْمَةً مِنَّا»  
ليدل على أن الخير الذي ذاقه هو رحمة من الله أذاقه  
ليأها، وليس بمصيبة برأسه، ولا هو يملكه، ولو كان  
يملكه لم يتفكّ عنه ولم يحسمه الضراء، ولذا قد قوله:

﴿وَلَيْنَ أَذِقْنَاهُ...﴾ بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْئَةٍ﴾.

(٤٠٢: ١٧)

### يُذِيقُ

... وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ تُصْرِفُ  
الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقَهُونَ.

الأنعام: ٦٥

مُجَاهِدٌ: أَي بِالْحَرْبِ وَالْقِتْلِ فِي الْفِتْنَةِ.

(القرطبي ٩: ٧)

الحسن: التهديد بإتزال العذاب، والحسف

يتناول الكفار.

الإمام الصادق عليه السلام: سوء الجوار.

(الطبرسي ٤: ١٧٦)

الطبري: قوله: ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

فلانة يعني يقتل بعضهم بيد بعض.

والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلاحه فيقتله

به: قد أذاق فلان فلانا الموت، وأذاقه بأسه، وأصل

ذلك من: ذوق الطعام وهو يطعمه، ثم استعمل ذلك في

كل ما وصل إلى الرجل من لذة وحلاوة، أو مرارة

ومكروه وألم.

الزجاج: قوله: ﴿يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا﴾ يخلط أمركم

خلط اضطراب لا خلط اتفاق، فيجعلكم فرقا ولا

تكونون فرقة واحدة، فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضهم

بعضا وهو معنى قوله: ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾.

(الفخر الرازي ١٣: ٢٢)

الطعلي: يعني السيوف المختلفة يقتل بعضهم

بعضا، كما فعل بني إسرائيل، فلما نزلت هذه الآية

قال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل ما بقاء أمتي على

ذلك؟ فقال له جبرائيل: إنما أنا عبيد مثلك فسل ربك؟

فقام رسول الله ﷺ وتوضأ وصلى وسأل ربه، فأعطي

آيتين ومنع واحدة، قال رسول الله ﷺ: سأله أن يعيد

على أمتي عذابا من فوقهم ومن تحت أرجلهم

فأعطاني ذلك، وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم

لمنعني، وأخبرني جبرئيل عليه السلام أن فناء أمتي بالسيف.

(٤: ١٥٦)

لهو البغوي.

المأوردية: تكفير أهل الأهواء بعضهم بعضا،

وقول الجمهور: ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بمعنى

بالحروب والقتل حتى يقتل بعضهم بعضا، لأنه

لم يجعل الظفر لبعضهم قبض.

الطوسي: ومعنى ﴿شَيْعًا﴾ أي يجعلكم فرقا ولا

تكونون شيعة واحدة، فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضهم

بعضا، وهو معنى قوله: ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾.

وإنما يلبسهم الله شيعة بأن يكلهم إلى أنفسهم ولا

يلطف لهم اللطف الذي يؤمنون عنده، ويخلبهم من

الطغاة بذنوبهم السائلة، فيلبس عند ذلك عليهم

أمرهم، فيختلفوا حتى يذوق بعضهم بأس بعض.

(٤: ١٧٥)

الواحدية: أي بالخلاف والقتال.

القسيري: لا طعم أردأ للإنسان من طعم

الإنسان: إن شئت من الولاية والمحبة، وإن شئت في

العداوة والبغضة، فمن شئ بالبغضة مع أشكاله تنقص

عليه عيشه في الدنيا، ومن شئ بحبة أمثاله تكثر عليه





بعضها عن بعض، ولا يقاصل بعضها بعضاً، فهي أبداً في جدال وصراع، وفي خصومة ونزاع، وفي بلاء يصيبه هذا الفريق، على ذلك.

ولقد عرفت البشرية في فترات كثيرة من تاريخها ذلك اللون من العذاب، كلما انخرقت عن منهج الله، وتركت لأهواء البشر، ونزواتهم وشهواتهم وجهالتهم وضعفهم وقصورهم تصرف الحياة وفق تلك الأهواء والتسزوات والشهوات والجهالة والضعف والقصور. وكلما غلبت الناس وهم يضعون أنظمة للحياة، وأوضاعاً وشرائع وقوانين وقيماً وموازن من عند أنفسهم، يصبونها الناس بعضهم بعضاً، ويريد بعضهم أن يخضع لأنظمتهم وأوضاعهم وشرائعهم وقوانينهم البعض الآخر، والبعض الآخر يمايى ويعارض، وأولئك يبطشون بمن يمايى ويعارض، وتتصارع رغباتهم وشهواتهم وأطماعهم ونفوسهم فلوذوق بعضهم بأس بعض، ويحقد بعضهم على بعض، وينكر بعضهم بعضاً، لأنهم لا يفتنون جميعاً إلى ميزان واحد، يضعه لهم المعبود الذي يعنونه كل العبيد، حيث لا يجد أحدهم في نفسه استكباراً عن الخضوع له، ولا يحسن في نفسه صفاراً حين يخضع له.

إن الفتنة الكبرى في الأرض، هي أن يقوم من بين العباد من يدعى حق الألوهية عليهم، ثم يزاول هذا الحق لملأ إليها الفتنة التي تجعل الناس شيئاً ملتبسة، لأنهم من ناحية المظهر يبدوون أمة واحدة أو مجتمعة واحداً، ولكن من ناحية الحقيقة يكون بعضهم عبيداً لبعض، ويكون بعضهم في يده السطة التي يبطش بها،

لأنها غير مقيدة بشريعة من الله، ويكون بعضهم في نفسه الحقد والثرؤص. «يلذوق الذين يترصون والذين يبطشون بعضهم بأس بعض». وهم شيع، ولكنها ليست متميزة ولا منفصلة ولا مفاصلة.

والأرض كلها تعيش اليوم في هذا العذاب البطيء المديد. وهذا يقودنا إلى موقف القضية المسلمة في الأرض، وضرورة مسارعتها بالتميز من الجاهلية المحيطة بها، والجاهلية كل وضع وكل حكم وكل مجتمع لا تحكمه شريعة الله وحدها، ولا يقردها الله سبحانه بالألوهية والحاكمة وضرورة مفاصلتها للجاهلية من حولها، باعتبار نفسها أمة متميزة من غيرها الذين يؤثرون البقاء في الجاهلية، والتكيد بالوحدة والشرائع وأحكامها وموازناتها وقيمتها.

إنه لا نجاة للقضية المسلمة في كل أرض من أن تتصارع رغباتهم وشهواتهم وأطماعهم ونفوسهم فلوذوق بعضهم بأس بعض، ويحقد بعضهم على بعض، وينكر بعضهم بعضاً، لأنهم لا يفتنون جميعاً إلى ميزان واحد، يضعه لهم المعبود الذي يعنونه كل العبيد، حيث لا يجد أحدهم في نفسه استكباراً عن الخضوع له، ولا يحسن في نفسه صفاراً حين يخضع له.

إن الفتنة الكبرى في الأرض، هي أن يقوم من بين العباد من يدعى حق الألوهية عليهم، ثم يزاول هذا الحق لملأ إليها الفتنة التي تجعل الناس شيئاً ملتبسة، لأنهم من ناحية المظهر يبدوون أمة واحدة أو مجتمعة واحداً، ولكن من ناحية الحقيقة يكون بعضهم عبيداً لبعض، ويكون بعضهم في يده السطة التي يبطش بها،

(١١٢٤: ٢)

ابن عاشور: الإذاعة، استمارة للألم. وهذا تهديد للمشركين - كما قلنا - بطريق المجاز أو الكناية. وقد

وقع منه الأخير، فإنَّ المشركين ذاقوا بأس المسلمين يوم بدر، وفي غزوات كثيرة. (١٤٧: ٦)

الطَّبَاطِبَانِي ظَاهَرَهُ أَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ التَّحَرُّمَاتُ الَّتِي نَشَأَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى حَدُوثِ مَذَاهِبٍ مُتَنَوِّعَةٍ، أَلْبَسَتْ لِبَاسَ الْعَصِيَّةِ وَالْحَمِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَبَعَتْ حُرُوبًا وَمَقَاتِلَ يَسْتَبِيحُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْ غَيْرِهِ كُلَّ حَرَمَةٍ، وَيَطْرُدُهُ بِزَعَمَتِهِ مِنْ حَرَمَةِ الْدِّينِ وَيَبْغِضُهُ الْإِسْلَامَ.

وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُهْدِقَكُمْ﴾ إلخ، عَذَابٌ وَاحِدٌ لَا عَذَابَانِ، وَإِنْ أُمِكنَ بِوَجْهِ عَدِّ كُلِّ مَنْ إِنْقَاءَ التَّغْرِقِ فِي الْكَلِمَةِ وَإِذَا قُضِيَ الْبَعْضُ بِأَسْ بِبَعْضٍ عَذَابًا مُسْتَقْلًا بِرَأْسِهِ، فَلِلْفَرَقَةِ بَيْنَ الْأَمَةِ أَمْرٍ سِوَاهُ آخَرٍ، وَهُوَ طَرَفُ الضَّعْفِ وَنَفَادُ الْقُوَّةِ وَتَبْغِضُ الْقُدْرَةِ، لَكِنْ الْمَأْخُوذُ فِي الْآيَةِ الْمَعْدُودُ عَذَابًا، أَعْنَى قَوْلُهُ: ﴿وَيُهْدِقُكُمْ بِبَعْضِكُمْ﴾ إلخ، حَيْثُ نَزَّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَجْرَدِ إِنْقَاءِ الْإِخْتِلَافِ بِمَنْزِلَةِ الْمُقَيَّدِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَطْلُوقِ. وَلَا يَحْسُنُ مُقَابَلَةُ الْمَطْلُوقِ بِالْمُقَيَّدِ إِلَّا بِعَنْيَابَةٍ زَائِدَةٍ فِي الْكَلَامِ، عَلَى أَنَّ الْعَطْفَ بِأَوَّلِ الْجَمْعِ يُؤَيِّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ.

فَبِالْجُمْلَةِ مَعْنَى الْآيَةِ: قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنَّا طَبَاطِبَانِي هُمْ مُنْذَرُونَ هُمْ عَاقِبَةُ اسْتِنكَافِهِمْ عَنْ الْجَمْعِ، تَحْتَ لُؤَاءِ التَّوْحِيدِ وَاسْتِمَاعِ دَعْوَةِ الْحَقِّ، إِنَّ لِسَانَكُمْ هَذَا عَاقِبَةُ سَيِّئَةٍ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَأْخُذَكُمْ بِهَا، وَهُوَ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا لَا مَفْرَاقَ لَكُمْ مِنْهُ، وَلَا مَلَاذَ تَلْسُونُونَ بِهِ، وَهُوَ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ، أَوْ أَنْ يَضْرِبَ بِبَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ، فَتَكُونُوا شِيْعًا وَفِرْقًا مُخْتَلِفِينَ مُتَنَازِعِينَ وَتَحَارِيضِينَ، فَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ

بِأَسْ بَعْضٍ. (١٣٧: ٧)

فَضَّلَ اللَّهُ: فِي مَا يُعْتَلَّهِ ذَلِكَ مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيَّةٍ، نَفْسِي وَعَمَلِي، مَنْحَرَكُ يَأْخُذُ عَلَى الْإِنْسَانِ كُلَّ حَيَاتِهِ لِيَجْعَلَهَا فِي قَبْضَةِ التَّمْزِيقِ، مِنْ خِلَالِ مَا يُشِيرُهُ تَفْرِقِي الْجَمْعِ إِلَى شَمْعٍ وَأَحْزَابٍ مِنْ تَوَازُعِ الْعَصِيَّةِ الْبَغِيضَةِ، وَالْحَقْدِ الْعَمِيقِ، تَحْمَا يُؤَدِّي إِلَى التَّقَاتِلِ وَالتَّضَادِفِ، وَيُدْفَعُ إِلَى التَّزْيِيدِ مِنَ الْآلَامِ وَالْخَسَائِرِ وَمُظَاهَرِ الْخُرَابِ وَالدَّمَارِ، خَاصَّةً إِذَا مَا جَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْأَيْدِي الْقَرِيبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَصَالِحُ بِرُوحِ الصَّدَاقَةِ، لِإِذَا بِهَا تَقَاتِلَ بِرُوحِ الصَّدَاةِ.

وَتِلْكَ هِيَ قِصَّةُ الْوَاقِعِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي يُعْتَلَّ لَوْثًا مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ الَّذِي يَنْزِلُهُ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، بِشَكْلِ مُبَاشَرٍ أَوْ غَيْرِ مُبَاشَرٍ.

فَالْبَعْضُ مِنْهُ يَنْزِلُ عَلَى أَسَاسِ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْقَتْلِ، وَمَوْلَى الْبَحْثِ، وَفِي الْبَعْضِ الْآخَرِ، يَحْدُثُ كَتَبَةٌ طَبِيعِيَّةٌ لِبَعْضِ الْخَاطِ السَّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ الْمُنْخَرِفِ فِي مَا يَنْتَبِجُهُ هَذَا الْعَمَلُ السَّيِّئُ أَوْ ذَلِكَ، تَلْتَقِي إِثَارَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمَامَ النَّاسِ، وَلَا سِوَا الْمَكْذِبِينَ مِنْهُمْ بِالْمُخْلَفِ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ قَلْبَ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَفْقَهُ وَيَتَأَمَّلَ وَيُوَاجِهُ الْمَعْرِفَةَ الْإِيمَانِيَّةَ بِجَدِّيةٍ وَمَسْئُولِيَّةٍ. (١٥٠: ٩)

### يُذِيقُهُمْ

ظَهَرَ الْقَسَادُ فِي النَّهْرِ وَالْهَجْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ يُذِيقُهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

الرُّومُ: ٤١

ابن عباس: لكي يصيبهم. (٣٤٢)

الطَّيْرِي: ليصيبهم بقوة بعض أعمالهم التي عملوا، ومعصيتهم التي عصوا. [إلى أن قال:]

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿لِيَذِيقَهُمْ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ﴿لِيَذِيقَهُمْ﴾ بالياء، بمعنى: لِيَذِيقَهُمْ الله بعض الذي عملوا. وذكر أن أبا عبد الرحمن السلمي قرأ ذلك بالتون، على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك. (١٩٢: ١٠)

الطُّوسِي: معناه: ليصيبهم الله بقوة بعض أعمالهم التي عملوها من المعاصي. (٢٥٧: ٨)

نحوه الطُّبْرِي: (٣٠٧: ٤)

الزُّمَخْشَرِي: فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؟

قلت: أمّا على التفسير الأول [الجذب والتمسك] فظاهر، وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومغفلتهم لِيَذِيقَهُمْ وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يموتوا بجميعها في الآخرة، لعلهم يرجعون عما هم عليه. وأمّا على الثاني [الشّر والفساد] فاللام مجاز، على معنى أن ظهور الشرور بسببهم بما استوجبوا به أن يُذِيقَهُمْ الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع، لمكانهم إنما أفسدوا وتسببوا لفساد المعاصي في الأرض، لأجل ذلك.

و قرئ: (لنذيقهم) بالتون. (٢٢٤: ٣)

ابن عطية: قرأ عامة القراء والقاس ﴿لِيَذِيقَهُمْ﴾ بالياء، وقرأ قبل عن ابن كثير والأعرج وأبو عبد الرحمن السلمي (لنذيقهم) بالتون، ومعناها يرين، وقرأ أيضًا أبو عبد الرحمن (لنذيقهم) بالتاء من فوق. (٣٤٠: ٤)

الفخر الرازي: وجه تعلق هذه الآية بما قبلها هو أن الشّرك سبب الفساد، كما قال تعالى: ﴿تَوَكَّنْ فِيهِمَا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ تَفْسَدَتَا﴾ الأنبياء: ٢٢، وإذا كان الشّرك سببه جعل الله إظهارهم الشّرك موردًا لظهور الفساد، ولو فعل بهم ما يقتضيه قولهم: ﴿لَقَسَدَتَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ المؤمنون: ٧١، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَخَطَّوْنَ مِنْهُ وَتَلَاسِقُ الْأَرْضُ وَتَجِيرُ الْأَجَالُ فَذَلِكَ مَرِيم: ٩٠، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ (١٢٧: ٢٥)

البيضاوي: واللام للعلّة أو للعاقبة، وعن ابن كثير ومحبوب بالتون. (٢٢٣: ٢)

السففي: أي لِيَذِيقَهُمْ وبال بعض أعمالهم في الدنيا، قيل: أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة. (٢٧٤: ٣)

أبو حيان: أي إن الله تعالى أفسد أسباب دنياهم ومغفلتهم لِيَذِيقَهُمْ وبال بعض أعمالهم في الدنيا، قبل أن يعاقبهم بها جميعًا في الآخرة، لعلهم يرجعون عما هم فيه. [ثم ذكر القراءات] (١٧٦: ٧)

نحوه الآلوسي: (٤٨: ٢١)

الثرؤسوي: اللام للعلّة، والدّوق وجود الطّعم بالطّعم، وكثر استعماله في العذاب، يعني أفسد الله أسباب دنياهم بسوء صنيعهم، لِيَذِيقَهُمْ بعض جزاء ما عملوا من الذنوب والإعراض عن الحق، ويُعَذِّبُهُم بالأساء والضّرّاء والمصائب. (٤٦: ٧)

ابن عاشور: والإذاعة: استعارة مكنية، شبه ما يُصِيبُهُم من الآلام فيُحسُّون بها بإصابة الطّعام حاسة الطّعم. ولما كان ما عملوه لا يُصِيبُهُم بعينه، تعيّن أن

بعض الذي عملوا أطلق على جزاء العمل، ولذلك قال بعضهم ببعض للجزاء، فالمراد: بعض الجزاء على جميع العمل لا لالجزاء على بعض العمل، أي إن ما يُذيقهم من المذاب هو بعض ما يستحقونه.

وفي هذا تهديد إن لم يقلعوا عن مساوئ أعمالهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمْ ذَاتَهُمْ فَاطِرٌ ٤٥﴾، ثم وراء ذلك عذاب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَأُولَىٰ ١٢٧﴾. (٢١: ٢٦)

الطباطبائي: قوله: ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، اللام للناية، أي ظهر ما ظهر لأجل أن يُذيقهم الله وبأل بعض أعمالهم السيئة بل ليعذيقهم نفس ما عملوا، وقد ظهر في صورة الوبال، وإنما ساءل بعض ما عملوا، لأن الله سبحانه برحمته يعضو عن بعض كما قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى: ٣٠.

والآية ناظرة إلى الوبال الدنيوي، وإذاعة بعضه لأكله من غير نظر إلى وبال الأعمال الأخروي، فما قيل: إن المراد إذاعة الوبال الدنيوي وتأخير الوبال الأخروي إلى يوم القيامة لأدليل عليه، ولعله جعل تقدير الكلام: ليعذيقهم بعض جزاء ما عملوا، مع أن التقدير: ليعذيقهم جزاء بعض ما عملوا، لأن الذي يحوجنا إلى تقدير المضاف لو أحوجنا، هو أن الرجوع إليهم ثانيًا في صورة الفساد هو جزاء أعمالهم لأنفس أعمالهم، فالذي أذيقوا هو جزاء بعض ما عملوا لا بعض جزاء ما عملوا. (١٦: ١٩٦)

عبد الكريم الخطيب: وفي قوله تعالى: ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ تقرير لتلك الحقيقة، وهي أن ما يعمل الناس، هو محسوب عليهم، يميزون به، من خير أو شر.

وليس كذلك ما تعمله الكائنات الأخرى التي تمش مع الناس على هذه الأرض. إن ما تعمله لا إرادة لها فيه، شأنها في هذا شأن البذرة تُدفن في الثرى، فيخرج منها ما في طبيعتها من زهر وثمر.

ومن هنا كانت مسؤولية الإنسان عن كل عمل يعمل، لينوق ثمر ما يعمل، حلوا كان أو مُرًا. ﴿وَأَنْ تَنْسِلَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا نَاسِيًا﴾ التجم: ٣٩.

والآية هنا، إنما تنبه إلى الأعمال السيئة، التي من شأنها الإفساد في الأرض، والتي كان من شأن الإنسان العاقل أن يتجنبها، ويعمل ما هو خير، وما

عبد الكريم الخطيب: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى: ٣٠.

وفي قوله: ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى فضلًا منه وكرمًا وإحسانًا لم يميز الناس بكل ما عملوا من شر، بل ببعض ما كسبوا منه، حتى يكون لهم من ذلك زاجر يزجرهم، وأدب سماوي يأخذون منه العبرة والعظة، ويرجعوا إلى الله من قريب، ويستقيموا على طريق الخير والإحسان.

ولو أخذ الله الناس بما كسبوا، لأهلكهم جميعًا، بل وأهلك معهم كل ذبّة تدب على ظهر الأرض. وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمْ ذَاتَهُمْ فَاطِرٌ ٤٥﴾، وإنه ليكفي أن يدين بعض الناس بغير دين الله، «أن يتخذوا من

المنحرفة على ضوء النتائج السلبية، ليتراجعوا عنها،  
و ليستقبلوا حياة جديدة بعيدة كل البعد عما كانوا  
فيه. فالإنسان لا يفكر عادة بالتراجع عن خطواته  
المنسجمة مع أهوائه إذا لم يصطدم بالآلام القاسية،  
التي تهز كل جوانب الواقع من حوله وفي داخله.

وفي ضوء ذلك، فإننا نفهم من هذا القانون الإلهي،  
أن الله يُرَبِّي عباده بالبلاء الناتج من أعمالهم المنحرفة،  
كما يُرَبِّيهم بالوحي النازل على رسله. (١٤٦: ١٨)

### لِيَذِيقَكُمْ

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ

نَحْوَهُ رَحْمَةً وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكَ بِأَمْرِهِ وَلِيُخْلِقَ مِنْ فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. الزمزم: ٤٦

الزوم: ٤٦

الزوم: ٤٦

وهي الغيث الذي يحيي به البلاد، ولتجري السنين في

البحار بها بأمره إياها. (١٩٤: ١٠)

الطوسي: قوله: ﴿وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾

معطوف على المعنى، وتهديره: أن يرسل الرياح

للبشارة والإفاقة من الرحمة. (٢٦٠: ٨)

نحوه الطبرسي (٤: ٣٠٩)، والبروسوي (٧: ٤٩)،

وشبرا (٥: ٩٤).

الزعمشيري: فإن قلت: بم يتعلق ﴿وَلِيَذِيقَكُمْ﴾؟

قلت: فيه وجهان: أن يكون معطوفاً على

﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ على المعنى، كأنه قيل: ليُشْرِكُمْ

وليذيقكم. وأن يتعلق بمعطوف تهديره: وليذيقكم

دونه أولياءه، وأن يدهوا له ولذئاً، أو شريكاً، فذلك  
ذنب عظيم ﴿كَتَاذَ السَّمَوَاتِ يَخْفَضْنَ مِنْهُ وَتَلْسُقُ  
الْأَرْضُ وَتَعِيرُ الْجِبَالُ هَذَا﴾ مريم: ٩٠. (١١: ٥٣٠)

مكارم الشيرازي: الآية تبين المعنى الواسع

حول ارتباط الفساد بالذنب، الذي لا يختص بأرض

«مكة» والحجاز، ولا بصحر النبي ﷺ بل هو من قبل

القضية الحقيقية التي تبين العلاقة بين الموضوع

والمحمول، وبعبارة أخرى: حينما ظهر الفساد فهو

انعكاس لأعمال الناس. وفيه ضمنا هدف تربوي،

ليذوق الناس «طعم العلقم» نتيجة أعمالهم. لعلمهم

بمنتهون وينوبون إلى رشدهم.

ويقول بعضهم: إن هذه الآية ناظرة إلى القحط

و«الجذب» الذي أصاب المشركين بسبب دعاءهم

النبي ﷺ على مشركي مكة، فانقطعت المرسلات

ويستصحاري، وصار من الصعب عليهم التحصيل

من البحر الأحمر أيضاً.

وعلى فرض أن يكون هذا الكلام صحيحاً

تاريخياً، إلا أنه بيان لأحد المصاديق، ولا يحدد معنى

الآية في مسألة ارتباط الفساد بالذنب، فهي ليست

محددة بذلك الزمان والمكان، ولا بالجذب وانقطاع

«الغيث».

فضل الله: يعيشوا الواقع الصعب في نطاق

المعاناة الجسدية، في ما يتصل بالآلام الجسد، والمعاناة

الروحية في ما يتصل بالنتائج المعنوية والمادية في

المؤثرات الفكرية والشعورية في حياته، ليكون ذلك

أساساً لإعادة النظر بكل الأوضاع والممارسات

يحيثان، وفيهما معنى التخليل، تقول: أين زيداً سياً  
وأكرم زيداً العالم، تريد لإساءته ولعلعه. وقيل: ما  
يتعلق به اللام محذوف، أي ولكنا أرسلناها. وقيل:  
الولو في ﴿وَلْيَذِيقْكُمْ﴾ زائد. (١٧٨: ٧)

الآلوسي: يعني المنافع القابعة لها، كندرية  
المحبوب وتخفيف العفونة وسقي الأشجار، إلى غير  
ذلك من اللطف والنعيم.

وقيل: المنصب التابع لغزول المطر المسبب عنها،  
أو الروح الذي هو مع هبوبها. ولا وجه للتخصيص.

والواو للعطف، والعطف على علة محذوفة دل  
عليها ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ أي لبشركم وليذيقكم. أو على  
﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ باعتبار المعنى، فإن الحال قد يقصد بها  
التخليل، نحو: أين زيداً مبيتاً، أي لإساءته، فكأنه  
قيل لبشركم وليذيقكم، وكونه من عطف التثوهم

فوقه  
أو على ﴿يُرْسِلُ﴾ بإضمار فعل مطلق، والتقدير:  
ويرسلها ليديقكم، وكون التقدير: ويرسي الرياح  
ليذيقكم بهد.

قيل: أو على جملة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ بتقدير:  
وليذيقكم أرسلها أو فعل ما فعل. ولم يعتبر بعضهم،  
لأن المقصود اندراج الإذاعة في الآيات.

وقيل: الواو زائدة. (٥١: ٢١)

الطباطبائي: قوله: ﴿وَلْيَذِيقْكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾  
عطف على موضع ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ لما فيه من معنى  
التخليل، والتقدير: يرسل الرياح لبشركم وليذيقكم  
من رحمته.

وليكون كذا وكذا أرسلناها. اختصر الطريق إلى  
الغرض، بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والتصر ذكر  
الفرقين، وقد أدخل الكلام أولاً عن ذكرها.

(٢٢٥: ٣)

الفهر الرازي: قال تعالى: ﴿وَلْيَذِيقْكُمْ مِنْ  
رَحْمَتِهِ﴾ عطف على ما ذكرنا، أي لبشركم بصلاح  
الهواء وصحة الأبدان، ﴿وَلْيَذِيقْكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾  
بالمطر، وقد ذكرنا أن الإذاعة تقال في القليل، ولما  
كان أمر الدنيا قليلاً وراحاتها نزر قال: ﴿وَلْيَذِيقْكُمْ﴾  
وأما في الآخرة فغير ذلهم ويوسع عليهم ويديم لهم.

(١٣١: ٢٥)

البيضاوي: يعني المنافع القابعة لها. وقيل:  
المنصب التابع لغزول المطر المسبب عنها، أو الروح  
الذي هو مع هبوبها. والعطف على علة محذوفة دل

عليها ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ أو عليها باعتبار المعنى، أو على  
﴿يُرْسِلُ﴾ بإضمار فعل مطلق دل عليه. (٢٢٣: ٢)

نحوه النسفي (٢٧٥: ٣) وأبو السعود (١٧٩: ٥).

الئيسابوري: وقوله: ﴿وَلْيَذِيقْكُمْ﴾ إما  
معطوف على ما قبله معنى، كأنه قيل: لبشركم  
وليذيقكم بعض رحمته، لأن راحات الدنيا زائلة لا  
محالة، وإما معطوف على محذوف، أي وليكون كذا  
وكذا أرسلناها. (٤٣: ٢١)

نحوه ابن جزي. (١٢٤: ٣)

أبو حيان: ﴿وَلْيَذِيقْكُمْ﴾ عطف على معنى  
﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾، فالعامل أن ﴿يُرْسِلُ﴾، ويكون عطفاً  
على التثوهم، كأنه قيل: لبشركم، والحال والصفة قد

ويقال مجازاً: ذُقتُ فلاناً وذُقتُ ما عنده، أي  
خبرته.

وأمر مُستذاق: مجربٌ معلوم.

وذاق الرجل عُسيلةَ المرأة، إذا أوجع فيها أذاقه  
حتى خرب طيب جماعها، وذاقت هي عُسيلته كذلك  
لما خالطها، فوجدت حلاوة لذة الخيلاط.

ورجل ذَوّاقٌ مطلق، إذا كان كثير التكاثر كثير  
الطلاق، وفي الحديث: «إن الله لا يحب الذَوّاقين  
والذَوّاقات»، يعني السريعي التكاثر، السريعي  
الطلاق.

وذاق العذاب والمكره ونحو ذلك، وأذقته إياه،  
على المثل.

وذُقتُ القوس، إذا جذبت وترها لتتظر ما شدتها،  
وروي الأزهري عن بعض لم يُسميه: أذاق فلان  
بعضه سوزة فلان صار سرياً، وأذاق بعدك كرمًا، وأذاق  
الفرس بعدك غدوًا، أي صار هذا بعدك. ورواه ابن  
منظور عنه في «اللسان»، عن أبي حمزة، وهو غير  
معروف، كما لا يعرف قوله أيضًا.

وروي الحرّوي في صفة النبي ﷺ: «لم يكن يذم  
ذواقًا»، وقال: أي شيئًا مما يذاق، ويقع على المأكول،  
والمشروب، «فعال» بمعنى «مفعول».

ولكن الذواق: ما يُذاق من الطعام، وليس  
ما يؤكل أو يُشرب كما قال، وإلا لكان الأكل  
والشرب بمعنى المشروب، ولم يقل به أحد، كما لم يقل  
أحد غيره: «فعال» بمعنى «مفعول» لأن المأثور عن  
العرب في هذا الباب مجيء بضعة ألفاظ على «فعال»

والمراد بإذاقة الرحمة: إصابة أنواع النعم المترتبة  
على جريان الرياح. كتلقيح الأشجار ودفع العفونات  
وتصفية الأجواء، وغير ذلك مما يشمله إطلاق  
الجملة. (١٦٦: ١٩٩)

مكارم الشيرازي: أجل، إن الرياح هي وسيلة  
لتكاثر النعم العديدة في مجال الزراعة والتدجين،  
وهي وسيلة للحمل الكفل أيضًا، وأخيرًا فهي سبب  
للازدهار التجاري.

وقد أشير إلى الموضوع الأول بجملة: «وَلْيَذِيقْكُمُ  
مِّن رَّحْمَتِي» وإلى الثاني بجملة: «وَلْيَجْزِيَ الْفُلُكُ  
بِأَمْرِهِ» وللثالث بجملة: «وَلْيَتَّقُوا مِنَ فَضْلِهِ»  
والطريف هنا أن جميع هذه البركات منتزها الحركة  
الحركة في ذرات الهواء في الفضاء الجوي، لكن لا  
يعرف قدر أمة نعمة حتى تُلب عن الإنسان، فمعرفة  
حينذاك، فعالم تتوقف هذه الرياح والسمائم، فمعرفة  
يعرف الإنسان ما ذا يحمل به من بلاء. (١٢: ٥٠٩)

## الأصول اللغوية

١ - الأصل في هذه المادة: الذواق، وهو العُطقم.  
يقال: ما ذُقتُ ذواقًا، أي ما تَطَقَّمتُ شيئًا.  
والذواق: طعم الشيء ومذاقه. يقال: ذواقه  
ومذاقه طيب.

والذواق: اسم ومصدر: ذاق الشيء يذوقه ذواقًا  
و ذواقًا ومذاقًا.

و تَذَوَّقْتُ الشيء: ذُقتُه شيئًا بعد شيء.

و تَذَوَّقَ القوم الشيء: ذاقوه، أي تَطَقَّموه.



سبكر القاء بمعنى «مفعول»، وهي: إله بمعنى مألوه وإمام بمعنى مأموم، وكتاب بمعنى مكتوب، وشواء بمعنى مشوي.

## الاستعمال القرآني

جاء منها مجرداً، الماضي ١١ مرة، والمضارع ٨ مرات، والأمر حضوراً ٢٢ مرة وغائباً مرتين، ومؤثراً ٣ مرات، وجاء من هذا الماضي ٩ مرات، والمضارع ١٠ مرات، في الآية:

أسخوق الطعام والشراب:

١- ﴿قَدْ لَيْسَ لَكُمْ بِهِمْ قَوْلٌ وَلَا لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَذَرْهُمْ أَفَّا تَكُنَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾  
لَهُمَا سَوَاءٌ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمَا مِنْ نَزْلِ السَّمَاءِ أَمْ لَا يَكُنْ لَكُمَا سَاقِيَا فَتُخْفَتُمَا بِسُحُورٍ أَوْ يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ غَافِقًا مِنْ السَّحَابِ فَيُغْشَاكُمْ فَيَكْشِفُكُمْ مِنْهُ أَوْ يُصْرِقْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِقِينَ  
لَكُنَا إِنَّا الشَّيْطَانُ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ الأعراف

٢- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾  
ب- إذالة الرخصة والنعمة:

٣- ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أُذْقَهُمْ مِنْهُ رَخَصَهُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾  
الرؤم: ٣٣

٤ و ٥- ﴿وَلَيْنَ أَذُقْنَا الْأَلْسَانَ مِثْلَ رَخَصَةٍ ثُمَّ نَرْغِثْهَا مِثْلَ لَبَنٍ لَيُؤْمِنَنَّ كُفُورٌ﴾  
نَزَّاهُمْ عَنْهَا مِثْلَ لَبَنٍ لَيُؤْمِنَنَّ كُفُورٌ ﴿٥٠﴾ وَلَيْنَ أَذُقْنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضُرٍّ مِثْلَ مَسْكَةٍ يَقُولُ نَزَّاهُمْ عَنْهَا مِثْلَ لَبَنٍ لَيُؤْمِنَنَّ كُفُورٌ ﴿٥١﴾ هود: ٩، ١٠

٦- ﴿وَإِذَا أَذُقْنَا النَّاسَ رَخَصَةً مِنْ بَعْدِ ضُرٍّ مِثْلَ مَسْكَةٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَكْتُبُونَ﴾  
يونس: ٢١

٧- ﴿وَلَيْنَ أَذُقْنَا رَخَصَةً مِثْلَ مَسْكَةٍ مِثْلَ مَسْكَةٍ يَقُولُ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجَعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْخُسْفَى فَلْيَكْتُمُنَّ الْبُيُوتَ كَقَوْمِ هَاجِرٍ عَمِلُوا وَتَذَرُهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾  
فصلت: ٥٠  
٨- ﴿وَإِذَا أَذُقْنَا النَّاسَ رَخَصَةً فَرَحُوا بِهَا وَإِنْ نَحْنُ نَكْتُبُ لَهُمْ سِتْرًا مِمَّا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ إِذَا هُمْ يَنْتَقِبُونَ﴾

الرؤم: ٣٦

٩- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَى نَفْسِي وَإِنِّي إِلَهُكُمُ الْأَوَّلُ وَإِذَا أَذُقْنَا الْأَلْسَانَ مِثْلَ رَخَصَةٍ فَرَحُوا بِهَا وَإِنْ نَحْنُ نَكْتُبُ لَهُمْ سِتْرًا مِمَّا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الْأَلْسَانَ كُفُورٌ﴾  
الشورى: ٤٨

١٠- ﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ فَتُفْثَرُ السَّحَابُ فَتَنْزِلُ مِنْهُ مَاءٌ يَكْفِيكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيُخْرِجَ مِنْهُ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْأَعْيَانِ لَبَنًا﴾  
الرؤم: ٤٦

١١- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعْنَا لَهُمْ فِيهَا مِنْهُمُ خَطَرًا وَأَنَّهُمْ فِيهَا قَادِرُونَ﴾  
الذخا: ٥٦

١٢- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّا ثَوَقُونَ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾  
آل عمران: ١٨٥

١٣- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّا ثَوَقُونَ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾  
الأنبياء: ٣٥

١٤- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾  
العنكبوت: ٥٧

د- إذالة العذاب في الدنيا:

١٥- ﴿وَقَدْ ذَرَأْنَا أُدْمُوءَ عَنْ ظَهْرِهِ فَأَتَيْنَا فِي أَفْئِدَتِهِمْ  
فَلَوْ قَوَّاعْدَابِي وَلَذَرِ﴾ القمر: ٣٧

١٦- ﴿فَلَوْ قَوَّاعْدَابِي وَلَذَرِ﴾ القمر: ٣٩

١٧- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ لَأَمِيَّةً مَطْمِئِنَّةً

بِأَنْبِيَائِهَا رَزَقْنَاهَا رِغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

فَلَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْهَقُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْتَكْبِرُونَ﴾

التحل: ١١٢

١٨- ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا

مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَنْبِئَكُمْ بِمَا

وَيْدِيكُمْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ الْفَرْقُ كَيْفَ لَصَرَفِ الْأَمْثِلِ

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ٦٥

١٩- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ﴾ الروم: ٤١

هـ- إذاعة العذاب في الدنيا والآخرة:

٢٠- ﴿فَلَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْعَذَابُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: ٢٦

٢١- ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَوْ فِي

الدُّنْيَا حِزْبٍ وَلَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْعَرِيقِ﴾

الحج: ٩

٢٢- ﴿فَلَوْ سَلَطْنَا عَلَىٰ هُمْ رِجَاصَ صَرَصٍ فِي أَيَّامِ

نَحْسَاتٍ لِنَبِّئَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْثَرُ وَلَهُمْ لَا يَتَصَدَّقُونَ﴾ فصلت: ١٦

٢٣- ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ ذَوْنُ

الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ السجدة: ٢١

٢٤- ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَكُنَّا لَقَدْ كُنَّا تَرَكْنَا إِلَيْهِمْ

نَحْنًا قَبْلًا﴾ إِذَا لَذَاقَ حَيْثُ الْحَيَاةِ وَحَيْثُ

الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا﴾ الإسراء: ٧٤، ٧٥

و- الذوق وإذاعة العذاب في الآخرة:

٢٥- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا

الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ مَا نَبِّئُكُمْ فَذُوقُوا

الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ آل عمران: ١٠٦

٢٦- ﴿وَلَوْ كُنَّا إِذْ دُفِنُوا عَلَيَّ رَبِّهِمْ قَالَ الْإِنْسَ

هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا تَبٰلٰى وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا

كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الأنعام: ٣٠

٢٧- ﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لَا تَعْمَلْهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ

عَلَيْهَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾

الأعراف: ٢٩

٢٨- ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً

تُصَلِّيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

الأنفال: ٣٥

٢٩- ﴿يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ

هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا تَبٰلٰى وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا

كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الأحقاف: ٣٤

٣٠- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَبِيرٌ

وَلَحْنُ أَهْنَاءُ سَنَكُتُ مَا قَالُوا وَقَسَلَهُمُ الْآلِيبَاءُ بِأَنفُسِ

حَقِّ وَتَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْعَرِيقِ﴾ آل عمران: ١٨١

٣١- ﴿وَلَوْ كُنَّا إِذْ يَتَكَلَّمُونَ إِلَيْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا

الْمُنْجِيكَ يُضْرِبُونَ وَجُوهُهُمْ وَأَنْبَارُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ

الْعَرِيقِ﴾ الأنفال: ٥٠

٣٢- ﴿كَلِمًا أَرْكُدُوا أَنْ يَحْضُرُوا مِثْلَهَا مِنْ غَمٍّ

أَعْبَدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْعَرِيقِ﴾ الحج: ٢٢

٣٣- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَتَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ السجدة: ٢٠  
 ٣٤- ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْلُكُكُمْ بُخْسٌ مُنْجَا وَلَا ضَرٌّ أَوْ تَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ سبأ: ٤٢

٣٥- ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ الانفال: ١٤

٣٦- ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ قُلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ يونس: ٥٢  
 ٣٧- ﴿ذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

السجدة: ١٤  
 ٣٨- ﴿يَوْمَ يَفْشِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ فِيقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

التكوير: ٥٥  
 ٣٩- ﴿هُمْ يُصْطَرَّحُونَ فِيهَا بِرَبِّكَ أَرْجَا نَفْسٍ صَالِحَةٍ غَيْرِ الَّذِي كُنَّا نَقُولُ أَوْ لَمْ يُغَيِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ الْبُذِيرُ فَذُوقُوا إِنَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾

فاطر: ٣٧  
 ٤٠- ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَاجِهِمْ سَوَاءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ الزمر: ٢٤  
 ٤١- ﴿يَوْمَ لَمْ عَلَى النَّارِ يُنْشَرُونَ﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُسْتَفْجِلُونَ﴾ الذاريات: ١٢، ١٤

٤٢- ﴿يَوْمَ يُخْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ القوبة: ٣٥

٤٣- ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ القمر: ٤٨

٤٤- ﴿ذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ النبا: ٣٠

٤٥- ﴿خُذُوا فَاغْتَبِلُوا إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ النَّحِيمِ﴾ ذق: ١٢

الغزير: ١٢  
 ٤٦- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا وَلَكِنْ نَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾

٤٧- ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ هذا فَلْيَذُوقُوا حَسِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ ص: ٥٧

٤٨- ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدُلْغَتِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا يَتَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

النساء: ٥٦  
 ٤٩- ﴿فَلْيَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾

وَلْيُجْزَيْهُمْ سَوَاءُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فصلت: ٢٧  
 ٥٠- ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ لَذِقْنَهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

يونس: ٧٠  
 ٥١- ﴿وَلْيُسْأَلُنَّ الرِّيحُ عَذَابَهُمَا شَهْرًا وَرَوَّاحُهُمَا شَهْرًا وَاسْتَأْذِنَ عَيْنُ الْقَطْرِ وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَقْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا لَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾

سبأ: ١٢  
 ٥٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُلْطَمُ لَذِقْهُ مِنْ

عَذَابِ النَّارِ الشَّدِيدِ﴾

٥٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُلْطَمُ لَذِقْهُ مِنْ

عَذَابِ النَّارِ الشَّدِيدِ﴾

بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَلَوْ قُرْآنَ السَّوَاءِ بِمَا صَدَقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ  
وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾

وقد مرت في (٨) و (٩): ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا  
فَعَلْتُمْ أَتُوبُ بِهِمْ إِذَا هُمْ يَتَخَطَّوْنَ﴾ و ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ  
كَفُورٌ﴾

ط - ذوق البأس:

٦١- ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا  
أَشْرَكْنَا وَلَا أَتَيْنَا وَلَا لَأَخْرُجُنَّ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِنْ عِلْمٍ  
فَتُخْرِجُونَهُ إِن تُبْشِرُونَ إِلَّا الْفُلْنَ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا  
تُخْرِجُونَهُ﴾

الأنعام: ١٤٨

١ - ملاحظ أولاً: أنها جاءت خلال سبعة فصول:  
أ - ذوق الطعام والشراب آيات: أولهما ما حُسِبَا  
ومضارعاً حكاية عما وقعت في الدنيا، والأخرى:

(١) ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سُرَاتُهَا﴾  
١ - هذه من جملة قصة آدم وزوجه، لما نهيها عن  
أكل الشجرة، ابتداءً من الآية ١٩: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ  
أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا  
هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ إلى ٢٣: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَاهُ الْفِسَادَ﴾  
٢ - والذوق فيها جاء بمعناه اللغوي لأن المراد  
بـ ﴿الشَّجَرَةَ﴾ فيها ثمرتها، وهي من جملة المأكولات  
والأطعمة، لاحظ: ب دي: «بَدَتْ».

(٢) ﴿لَا يَلْبِقُونَ فِيهَا بُرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (الْأَخْيَافُ  
وَعَسَاكَا﴾

١ - هذه توصف لأهل النار قبلها: ﴿إِنْ يَنْتَهِمِ

عَذَابُ آلِهِمْ﴾ المحج: ٢٥

(٧): ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ خِزْيِهِ - إِلَى -  
وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ فصلت: ٥٠  
٥٣- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا كُفْرًا ثَقِيلًا قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ  
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ فَتَقَالُوا مِنْكُمْ كَذِبًا كَبِيرًا﴾

الفرقان: ١٩

٥٤- ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ  
قَوْمًا طَاغِينَ﴾ فعق علينا قول ربنا إنا لنذيقونكم

الصافات: ٣٠، ٣١

٥٥- ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾

الصافات: ٣٨

ز - ذوق الوبال:

٥٦- ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا  
الْحُسْرَى﴾

٥٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ الَّذِي كُنْتُمْ  
حَرِّمْتُمْ وَمَنْ قَتَلَ صَيِّدًا فَقَدْ هَرَبَ بِمَا قَتَلَ مِنْ  
الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ دُوعِدْتُمْ بِهِ لَكُمْ صَدَقَتُهَا يَوْمَئِذٍ  
أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ  
وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَلْتَمِمْ اللَّهَ مِلَّةً  
وَاللَّهُ غَزِيرٌ ذُو الْعِقَامِ﴾

المائدة: ٩٥

٥٨- ﴿كَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ  
أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

٥٩- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَلَا تَوَّابٌ  
وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

التغابن: ٥

ح - ذوق السوء أو السيئة:

٦٠- ﴿وَلَا تُحِيلُوا آيَاتِكُمْ دَعْوًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمُ

كأنثى مِرْصَادًا • يَطْأُغَيْنَ مَائًا • لَا يَبِينُ فِيهَا أَحْقَابًا •  
 ٢- وفي محلها من الإعراب أوجه ذكرها السمين وغيره، فقال ابن عاشور: «هذه الجملة يجوز أن تكون حالًا ثانية من ﴿الطَّاعِينَ﴾ الثبأ: ٢٢، أو حالًا أولى من الضمير في ﴿لَا يَبِينُ﴾ الثبأ: ٢٣، وأن تكون خبرًا ثالثًا لـ ﴿كَأَنَّ مِرْصَادًا﴾ الثبأ: ٢١، وضمير ﴿فِيهَا﴾ على هذه الوجوه عائد إلى ﴿جَهَنَّمَ﴾ الثبأ: ٢١، ويجوز أن تكون صفة لـ ﴿أَحْقَابًا﴾ الثبأ: ٢٢، أي لا يذوقون في تلك الأحقاب بردًا ولا شرابًا إلا حميمًا وغساقًا، فضمير ﴿فِيهَا﴾ على هذا الوجه عائد إلى الأحقاب».

٣- وقال أيضًا: «وحقيقة الذوق: إدراك طعم الطعام والشراب. ويُطلق على الإحساس بطعم الطعم إطلاقًا مجازيًا، وشاع في كلامهم. يقال: ذاق الألم، وعلى وجدان النفس، كقوله تعالى: ﴿وَيَذُوقُوا﴾ وبآل آفروه المائدة: ٩٥، وقد استعمل هنا في معنیه: حيث نصب ﴿يَرْدًا﴾ و ﴿شَرَابًا﴾».

٤- ونقول: إنه اعتبر تعلقه بـ ﴿يَرْدًا﴾ مجازًا، مع أن «البرد» وصف الطعام والشراب فأريد به أحدهما، أي مأكولًا أو مشروبًا باردًا، فلاحظ.

وقد جاء «الذوق» في باقي الآيات بمعنى المجازي، لكن المصطفوي اعتبرها في النصوص اللغوية حقيقة في الجمع، من أجل أنه يدعي وضع الألفاظ لأهم معانيها. وهذا دأبه في جميع المواد القرآنية. وبالعكس نحن اخترنا وضعها أولًا لمعاني جزئية، ثم توسعت للكليات مجازًا أو حقيقة. فلاحظ أقواله في

النصوص اللغوية، وأقولنا في الأصول اللغوية.

ب- إذافة الرحمة والنعمة ٨ آيات (٣- ١٠) وذيولها مختلف:

١- فجاء في (٣): ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِحُوا بِمِثْلِهِمْ بِرَحْمَةٍ يَنْشُرُونَ﴾ حيث حُصِّنَ فيها الإشراك برحمتهم بخير من رحمة الله رحمة إناهم؛ وذلك بعد أن من الناس ضرر، ودعوا ربه منيحين إليه.

٢- وجاء في (٤): ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْهُ رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ﴾ حيث عمَّ الحكم للإنسان - كأنه يُعَدُّ من طبيعة الإنسان - بأنه إذا أذقه الله منه رحمة، ثم نزعها منه لمائه يكون يؤوسًا وكفورًا. وقد جاء فيها الضلان: ﴿أَذَقْنَا﴾ و ﴿نَزَعْنَا﴾ بصيغة المتكلم جمعًا، و «لام» التأكيد تعظيمًا له تعالى، وتجليلاً لكل من إذاقته الرحمة، ونزعها منه، ولم يسبق فيها من الناس ضرر، بل لحقه في الآية (٥) كما يأتي.

٣- وجاء في (٥): ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا - أي الإنسان - نِعْمًا يَنْقُذُ مِنْهَا نَفْسَهُ لِيَقُولَ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾.

فجاء ﴿أَذَقْنَا﴾ فيها أيضًا مثل ما قبلها بصيغة المتكلم جمعًا، وجاء مع لام التأكيد ونونه في جواب الشرط: ﴿لِيَقُولَ﴾، كما جاء فيها ﴿نِعْمًا﴾ بدل «الرحمة» في غيرها، وجاء فيها بدل ﴿لِيَقُولَ﴾ في آخرها: ﴿لِيَقُولَ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾.

٤- ومثلها الآية (٦) في الإتيان بصيغة المتكلم، و ذكر ﴿مِنْ تَعْرِضَاءَ مُسْتَقَرِّمٍ﴾، لكن بتبديل ﴿الْأَنْسَ﴾ بدل ﴿الْإِنْسَانِ﴾، وتبديل ﴿إِذَا لَمْ تُكْرَبْ فِي آيَاتِنَا﴾ بدل ﴿إِنَّهُ لَيُؤَسُّ كُفُورٌ﴾، وإضافة ﴿قُلْ أَفَلَا أَسْتَعْمِلُكُمْ﴾، و ﴿إِذَا لَمْ تُكْرَبْ﴾ فيها جواب ﴿وَأِذَا أَذَقْنَا﴾.

٥- ومثلها الآية (٧) إلا أن جواب الشرط فيها ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ بدل ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾ في (٥)، وإضافة ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ إلى ﴿لَيَذِيقَنَّ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، فقد تكرر فيها من هذه المادة كلمتان: ﴿أَذَقْنَا﴾ و ﴿لَيَذِيقَنَّ﴾.

و قبلها: ﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْغَيْثِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَبْئُوسٌ قَلُوبٌ﴾، وهذه المناسبة قال الطباطبائي في الآية (٧): «الأصل بالنظر إلى مقصود الآية السابقة أن يقال: وإن ذاق خيراً، قال: هذا لي، لكن بدل ذاق من ﴿أَذَقْنَا﴾ و ﴿غَيْرًا﴾ من قوله: ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ ليدل على أن الخير الذي ذاقه هو رحمة من الله أذاقه إياها، وليس بمصيبة برأسه، ولا هو يملكه، ولو كان يملكه لم ينطق عنه ولم يسمه الضراء، ولذا قيد قوله: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ...﴾ بقوله: ﴿مِنْ تَعْرِضَاءَ مُسْتَقَرِّمٍ﴾.

٦- وجاء في (٨) و (٩): ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ أو ﴿الْإِنْسَانُ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ فذكر فرحهم في جواب الشرط بدل ما ذكر في الآيات قبلهما، مع الإلحاق بها ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتَا

أَيْدِيهِمْ﴾ في (٨)، جواباً للشرط ﴿وَإِذَا لَمْ يُنْقِطُوا﴾، وفي (٩): ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾.

قال الطبري في تفسير (٨): «إذا أصاب الناس منّا خصب و رخاء و عافية في الأبدان والأموال، فرحوا بذلك».

وفي تفسير (٩): «فإننا إذا أغنيينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة؛ وذلك هو الرحمة التي ذكرها جل ثناؤه فرح بها». والاختلاف فيهما لفظي وليس بمعنى.

٧- وجاء في (١٠) تعريفاً لـ ﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾: ﴿وَلَيَذِيقَنَّ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلَيَعْرِىَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ﴾، فمعنى الإضافة ببعض الرحمة في ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ لو كانت (من) للشمس، لا للإنسان أو للوصلي، وهذا الأخير هو الظاهر من الطوسي؛ حيث قال: «أن يرسل الرياح للبشارة والإضافة من الرحمة».

وأكثرهم اعتبروا ﴿وَلَيَذِيقَنَّ﴾ عطفاً على معنى ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾، أي ليبتشركم وليذيقكم، وقد ذكروا وجوهاً أخرى لموضع ﴿وَلَيَذِيقَنَّ﴾، فلاحظ.

وقال القمى الرازي: «وقد ذكرنا أن الإضافة تقال في القليل، ولما كان أمر الدنيا قليلاً و راحتها نزر قال: ﴿وَلَيَذِيقَنَّ﴾، وأما في الآخرة فيرزقهم ويوسع عليهم ويديم لهم».

وقال البضاوي - ونحوه غيره - في تفسير: ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: «يعني المنافع التابعة لها، وقيل: الخصب

الثابع لنزول المطر المنسب عنها أو الروح الذي هو مع هوبيا».

ج - ذوق الموت ٤ آيات:

١ - وقد جاء في أولها: (١١) ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا - يعني في الآخرة - الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ يعني: موتهم في الدنيا. وجاء في الثلاث الباقية بدلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ مع اختلاف في ذيلها.

٢ - قال الشريف الرضي في (١٢) - ونحوه غيره - : «هي مستعار أيضا، لأن حقيقة الذوق ما أدرك بهاسة، وإنما حسن وصف النفس بذلك لما يحس به من كرب الموت وعذابه، فكأنها تحسه بذوقه».

وقال الطوسي: «والفرق بين الذوق والإدراك الطعم: أن الذوق تقرب جسم المذوق إلى حاشية الذوق، والإدراك للطعم هو وجدانه وإن لم يكن هناك إحساس، ولذلك يوصف تعالى بأنه يدرك للطعم ولا يوصف بأنه ذائق له، ويقولون: ذقته فلم أجد له طعما، أي لا حس قمي فلم أحس له طعما».

وقال الطبرسي: «أي: ينزل بها الموت لا محالة، فكأنها ذائقة. وقيل: معناه كل نفس ذائقة مقدمات الموت، وشبائده وسكرته، كقوله تعالى: ﴿خَتَمْنَا إِذَا جَاءَ أَخَذَهُمُ الْمَوْتَ﴾ الأنعام: ٦١، وعلى هذا جاء قوله: «لَقَدْ آمَوَاتِكُمْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وهذا الظاهر يدل على أن كل نفس تذوق الموت، وإن كانت مقتولة، وأن القتل لا ينفك عن الموت الذي هو فعل الله». ولاحظ: سائر النصوص في هذه الآية (١٢) وغيرها.

د - ذوق العذاب وإذائه في الدنيا. ٥ آيات (١٥ - ١٩):

١ - جاء في اثنتين منها (١٥) و (١٦) أمرًا من الجردة: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَلَذِرْجِي﴾ وفي واحدة (١٧) ما غشيا من المزيد: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾. وفي اثنتين: (١٨) و (١٩) مضارعًا من المزيد: ﴿وَيَذِيقُ بَعْضَكُمْ لِبَاسَ بَعْضٍ﴾ هو ﴿يَذِيقُهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا﴾.

٢ - وجاء في (١٧): ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ وهم متفقون على أنها مستعار كأكثر الآيات، إلا أن فيها خصوصية: إذ وقع فيها ﴿أَذَاقَ﴾ على ﴿لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ دون «العذاب» و «الويل» ونحوها بما جاء في سائر الآيات.

قال الزمخشري: «فإن قلت: الإذاعة واللباس مستعاران، فما وجد صحتهما، والإذاعة المستعارة موقعة على اللباس المستعار، فما وجه صحة إبقاعهما عليه؟

قلت: أما الإذاعة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة، لشروعها في البلاء والتدائد وما عسى الناس منها، فيقولون: ذاق فلان البؤس والضّرّ وأذاقه العذاب، شبه ما يدرك من أمر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع.

وأما اللباس، فقد شبه به لاشتغاله على اللابس ما غشى الإنسان والنفس به من بعض الحوادث...».

وقال الرازي: «فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ والإذاعة

لاتناسب اللباس وإنما تناسبه الكسوة؟

قلنا: الإفاقة تناسب المستعار له وهو الجوع، من حيث إن الجوع يقتضي الأكل فيقتضي الشوق، وإن كانت لاتناسب المستعار وهو اللباس، والكسوة تناسب المستعار له وهو الجوع، وكلاهما من دقائق علم البيان، يسمى الأول: تجريد الاستعارة، والثاني: ترشيح الاستعارة، فجاء القرآن العزيز في هذه الآية بتجريد الاستعارة.

٣- وقال ابن عاشور: «وَأَمَّا قُرْنٌ فَلَاذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ» بقاء التعقيب فهو تعقيب عرقي في مثل ذلك المعقب، لأنه حصل بعد مضي زمن عليهم وهم مصرّون على كفرهم، والرسول يكرّر الدعوة وإنذارهم به، فلما حصل عقب ذلك مدة غير طويلة وكان جزاء على كفرهم. جعل كالنسي والمعقب به كفرهم.

وفي (١٨) قالوا في معنى: «يُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ» بالحرب والقتل والفتنة، بإزالة العذاب والخسف بسوء الجوار - وهذا مروى عن الإمام الصادق عليه السلام - بتكفير بعضهم بعضاً، بالخلاف والقتال ونحوها.

١- قال الطبري: «والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلاح فيقتله به: قد أذاق فلان فلاناً الموت، وأذاقه بأسه...».

٢- وقال القرطبي: «الآية عامة في المسلمين والكفار، وقيل: هي في الكفار خاصة، وقال الحسن: هي في أهل الصلاة.

قلت: وهو الصحيح، فإنه المشاهد في الوجود، فقد لبسنا المدوّ في ديارنا واستولى على أنفسنا وأموالنا، مع الفتنة المستولية علينا بقتل بعضنا بعضاً، واستباحة بعضنا أموال بعض...».

٣- وقال الألويسي في إعراب: «ويُذِيقُ» عطف على «يَبْقَى» كما نقل عن «السمين». ويُنهم من كلام البعض أنه عطف على «يُلْبِسُكُمْ»، وهو من قبل عطف التفسير أو من عطف المسبب على السبب.

وفي (١٩): «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَتَبَتْ آيَاتِي لِلنَّاسِ يُذِيقَهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا فَعَلَهُمْ نَذِيرٌ».

١- «يُذِيقُهُمْ»: قال التبرّي في العلاقة بينها وبين ما قبلها: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...» واللام للعلّة أو للعاقبة، أي ظهر الفساد فيهما بعد الناس لإذاقتهم عقوبة بعض أعمالهم، أو عاقبة هذا الفساد إذاقة عقوبتهم.

وقال الطبري: «ونحوه غيره»: «لِيصِيبَهُمْ بِعُقُوبَةِ بَعْضِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوا، وَمَعْصِيَتِهِمُ الَّتِي عَصَوْا...».

٢- قال ابن عاشور: «والإفاقة: استعارة مكنية، شبه ما يصيبهم من الآلام، فيحسّون بها بإصابة الطعام حاسة المطعم.

٣- وقال أيضاً: «ونحوه الطّاهريّ»: «ولمّا كان ما عملوه لا يصيبهم بعينه تعيّن أن بعض الذي عملوا أطلق على جزاء العمل، ولذلك فالبعضية تهيض للجزاء، فالمراد بعض الجزاء على جميع العمل



لا الجزاء على بعض العمل، أي أن ما يذيقهم من العذاب هو بعض ما يستحقونه.

٤- وقال أيضاً: «وفي هذا تهديد إن لم يقللوا عن مساوئ أعمالهم كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا أَفْرَقْنَا عَلَى ظَهْرِهِمْ مِنْ ذَنْبِهِمْ فَظُفِّرْ بَطَنُكُمْ﴾. ثم وراء ذلك عذاب الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَأَبْشَرُ﴾ طه: ١٢٧ هـ.

٥- وقال الطباطبائي ذيل كلامه: «وإنما كان بعض ما عملوا، لأن الله سبحانه برحمته يعفو عن بعض، كما قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ التورى: ٣٠.

٥- وقال أيضاً: «والآية ناظرة إلى الوصال الذنوبي، وإذاعة بعضه، لأكله من غير نظر إلى «بئال الأعمال الأخروي»...».

هـ- إذاعة العذاب في الدنيا والآخرة ٥ آيات (٢٠-٢٦) هـ (٢٤) :

١- جاء في اثنتين منها (٢٠ و ٢٦) «الجزى» في الدنيا، و «العذاب» في الآخرة مع تفاوت: وهو ذكر الإذاعة مع الجزى في (٢٠) ماضياً، ومع العذاب في (٢٢) مضارعاً: ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْغُرْزَ فِي الْخَيْرِ الدُّنْيَا﴾. ﴿وَلْيَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْغُرْزِ فِي الْخَيْرِ الدُّنْيَا﴾.

٢- وجاء في ثلاث منها: (٢٠ و ٢٢ و ٢٣) في خصوص عذاب الآخرة، التوصيف بـ «الأكبر» أو «الجزى»: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾، و «دون العذاب الأكبر» و «ولعذاب الآخرة الجزى».

٣- وقد اختلفت ذيوطاً أيضاً: ففي (٢٠): ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، وفي (٢٢): ﴿وَلَهُمْ لَا يُلْصِقُونَ﴾، وفي (٢٣): ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وفي (٢٤): ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا تُقْبِرًا﴾، كما اختلفت صيغة الإضافة فيها فجاءت ماضياً في اثنتين: (٢٠ و ٢٤)، ومضارعاً في ثلاث: (٢١-٢٣).

و- إذاعة العذاب في الآخرة ٣٢ آية:

١- جاء «الذوق» في ٢٠ منها: (٢٥-٤٤) بصيغة الأمر جمعا، وجاءت واحدة (٤٥) مفردا، وأربع (٤٦-٤٩) بلفظ المضارع مجزأ، واثنان (٥١ و ٥٥) بصيغة اسم الفاعل جمعا، وخمس (٤٩-٥٣) بصيغة المضارع مجزأ.

٢- الأمر فيها جميعا خطاب للذين كفروا من أهل النار، وقد تعلق الأمر بالعذاب مثل: ذوقوا عذاب أو عذاب العذبة أو غمرها، ومعلوم أن الأمر فيها سُخْرِيَةٌ تحقير أو انتقام، وليس تكليفاً وحكما، واحدة منها (٤٧) بصيغة الغائب ﴿فَلْيَذُوقُوا عَذَابَ غَسَّاقٍ﴾، والباقي بصيغة المخاض.

وهذا العدد الكبير من الأمر بذوق العذاب، سواء في المكينات أو المدنيات، كاشف عن أن عذاب الكفار في جهنم أمر قاطع لا مفر منه.

٣- «العذاب» جاء في جملة منها بلا وصف سوى ذكر سببه، مثل: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أو ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، أو ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وجاء في بعضها موصوفاً بصفة مثل (٧): ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، و (٥٢): ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، و (٥٥):

« الذوق » شدة وصرخة و لطفاً في إحساس طعم العذاب.

ز - ذوق الويال ٤ آيات (٥٦ - ٥٨):

١ - في اثنين منها الويال هو عذاب الدنيا:

(٥٦): ﴿ قَدْ أَقْبَتْ وَنَالَ أَمْرُهَا ﴾، لأن قبلها: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَثَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَخَاسَتْهَا فَجِئَتْهَا شَدِيدٌ أَوْ عَذِبَتْهَا عَذَابًا كَثْرًا ﴾. فذاتت و نال أمرها و كان عاقبة أمرها خسراً، فالظاهر أن ﴿ وَنَالَ أَمْرُهَا ﴾: عذابها في الدنيا، و ﴿ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خَسْرًا ﴾: عذابها في الآخرة.

و (٥٧): ﴿ أَوْ عَذِلْ ذَلِكَ حَسْبًا مَا لِيَذُوقَ وَنَالَ ﴾ (أمره) فلها من تنمة آية كفارة الصيد في حال الإحرام، وهي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعِدًا فَأَجْزَاءً مِثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّفْسِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ حَسْبًا مَا لِيَذُوقَ وَنَالَ أَمْرُ عَقَابِ اللَّهِ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو النِّعَامِ ﴾.

وفي اثنين منها - بسياق واحد - الويال مُرددين عذاب الدنيا و عذاب الآخرة (٥٨): ﴿ كَمْ تَشَلُّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَنَالَ أَمْرُهُمْ وَتَهُمُ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾، و (٥٩): ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَنَالَ أَمْرُهُمْ وَتَهُمُ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾، فإن ﴿ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾ فيها عذاب الآخرة و كذا: ﴿ وَنَالَ أَمْرُهُمْ ﴾ ليكون إشارة إلى عذابهم إجمالاً يفسره ﴿ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾، و لك أن تحملها على عذاب الدنيا - و ﴿ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾ عذاب

﴿ الْعَذَابُ أَلِيمٌ ﴾، و (٥٢): ﴿ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾، و (٤٩): ﴿ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾، و (٥٠): ﴿ الْعَذَابُ الشَّدِيدُ ﴾.

و جاء في بعضها « العذاب » مضافاً إلى صفته مثل (٣٠ - ٣٢): ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾، و (٥١): ﴿ عَذَابُ السَّعِيرِ ﴾، و (٣٦) و (٣٧): ﴿ عَذَابُ الْخُلْدِ ﴾. وقد جاء في بعضها متعلق ﴿ ذُوقُوا ﴾ بدل العذاب و سببه نفس العمل، تشديداً في العلاقة بين العمل و جزائه، كأن الجزء هو نفس العمل، مثل (٤٢): ﴿ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَلْعَنُونَ فَاذْذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾، و (٣٨): ﴿ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

و جاء في بعضها بدل المذاب: النار أو الجحيم، مثل (٤٢): ﴿ يَوْمَ يُخْفَى عَلَيْهَا إِلَى تَارِيحَتُمْ ﴾، و (٤٥): ﴿ فَاعْلَوْهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾.

٤ - قد جاء من مادة « ذ ب » حوالي ٣٥ آية في القرآن، أكثرها بصيغة الفعل ماضياً و مضارعاً و اسم الفاعل، إلا أن نسبة كبيرة منها جاء فيها « العذاب » متعلقاً لفعل من سائر المواد كالإصابة، والقرار، والوقوع، والبعث، واللّهث، والضيان، والحضور، والدعوة، والخلود، والإتيان، والمجيء، والجزاء، والأخذ، والضبط، والخلول، والزيادة، والرقية، والسحب، والخوف، والهلاك، والمجل، والخذل، والفتح، والصرف، والبشارة، والإنذار، وغيرها.

و هذه الكثرة من الأفعال التي تملقت بالعذاب قد دلت على مدى اهتمام القرآن بالإنذار قبل التبشير. و لكن شيئاً من تلك الكثرة لا يبلغ مفهومه مفهوم

الآخرة - فلأن الأسم السابقة ابتلوا عقابها لكفرهم بعذاب الدنيا والآخرة.

ح - ذوق السوء آية واحدة، وسبئة اثنتان:

(٦٠): ﴿وَلَذُوقُوا السَّوْءَ بِمَا صَدَقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ والظاهر أن ﴿السَّوْءَ﴾ هو عذاب الدنيا، و﴿لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: عذاب الآخرة. مع احتمال أن يكونا جميعاً عذاب الآخرة، وتكون الآية مثل الآيتين: (٥٨) و (٥٩) إجمالاً وتفصيلاً لعذاب الآخرة.

ط - ذوق البأس، آيتان:

(٦١): ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَاسًا﴾ و«البأس» فيها ظاهر في عذاب الدنيا فتكون إشارة إلى ما ابتلي به الأمم السابقة من الآفات الذبونية كالحرق والفرق والحسف وغيرها، ويؤيد ذلك

أن «البأس» في القرآن غالباً - بل دائماً - هو عذاب الدنيا وليس لهذه المادة نظائر في القرآن.

عذاب الدنيا، ﴿لَكَ أَن تَصْلَاهَا عَلَىٰ عَذَابِ الْآخِرَةِ، لاحظ: ب أس: «البأس».

و (١٨) وقد سبقت في عذاب الدنيا: ﴿وَيَذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ وأريد بها عذاب الدنيا، كما هو صريح صدرها: ﴿قُلْ هُوَ الْقَائِدُ قُلَىٰ أَنْ يُنْفِثَ عَلَيْكُمُ عَذَابَاتٍ مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِّن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيَذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾.

وملاحظ ثانياً أن ٤٦ آية منها مكثية، و ١٠ مدنية، و ٣ مختلف فيها، فيبدو أن الإنذار بإذاعة العذاب في الدنيا أو في الآخرة - وهي الأكثر - كان في مكة أكثر من المدينة قريباً من أربعة أضعاف، كما أن التأكيد على التوحيد والمعاد في المكثات أعز وأولى، وبالعكس حظ التشريع وتنظيم الحكم في المدنيات أكثر وأغلب.

# ذيع

أذاعوا

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مدنية

## التخصص اللغوي

وأذفت السر إذاعة، إذا أفضته وأظهرته.

(الأزهري ٣: ١٤٩)

أبو عبيد: في حديث: «خير أهل ذلك الزمان كل نومة، أولئك مصايح الهدى، ليسوا بالمصايح ولا المذايح البذر».

وأما المذايح: فإن واحدهم: مذيع، وهو الذي إذا سمع من أحد بفاحشة أو رأيها منه، أفشاها عليه، وأذاعها.

أبن قريظ: ذاع الحديث يذيع ذيعاً، وذيعاً ثانياً، إذا فشا، ومنه هوهم: رجل يذيع، إذا كان لا يحكم سرّاً. وكذلك يذيع، إذا كان مبشراً.

وذاع السر يذيع ذيعاً وذيعاً ثانياً.

ورجل يذيع: لا يحكم سرّاً.

(٣٦٤: ٢)

(٢٤٧: ٣)

المخليل: الذيع: إشاعة الأمر؛ أذعته فذاع.

ورجل يذيع بشيء: لا يستطيع كتمان شيء.

وقوم مذايح.

وأذفت به - الباء دخل - معناه: أذعته. (٢: ٢٣٠)

أبو زيد: أذفت الأمر، وأذفت به.

ويقال: أذاع الناس بما في الخوض إذاعة، إذا شربوا ما فيه.

وأذعت به الإبل إذاعة، إذا شربته.

وتركت متاعي في مكان كذا وكذا، فأذاع الناس به، إذا ذهبوا به.

وكل ما ذهب به، فقد أذيع به.

ورجل يذّباع: يذيع الأسرار ولا يكتمها.  
وكذلك ميثاع، من قولهم: ذائع شائع.

وقال قوم: شائع إتياع، لا يُفرد. (٤٢٠: ٣)  
وأذاعت: فرقت، من قولك: أذعت الشيء، إذا  
لرقت. (٥١٠: ٣)

الصاحب: أذعته فذاع ذيقًا. ويقال: أذعت به  
أيضًا: أكثرته. (١٣٦: ٢)

[وقال في «ذوع»:]

وحكى الخازن جي: ذقتا ماله ذوقًا: اجتثناها.  
قال: وأرى قولهم: أذاع الناس بما في الخوض، إذا  
شربوه، وأذاع بمتاعه: ذهب به. وهما من الذوع.

(١٣٤: ٢)

نحوه الصناني.

الجوهري: ذاع الخبر يذيع ذيقًا وذوقًا  
وذعوعة وذعائًا، أي انتشر.  
وأذاعه غيره، أي أفشاه.

والمذّباع: الذي لا يكتم السرّ. وفي الحديث:  
«ليسوا بالمذّباع البذر».

وأذاع القوم ما في الخوض، أي شربوه كلّهُ.

(١٢١١: ٣)

نحوه الرازي إلا أنه أضاف: ... وبابه: «باع»،  
(٢٤٦)، ونحوه ملخصًا منجّع اللّغة (٤٣٥: ١)، ومحمد  
إسماعيل إبراهيم (٢٠٦: ١).

أبن قارس: الذّال والياء والمين أصل، يدلّ على  
إظهار الشيء وظهوره وانتشاره. يقال: ذاع الخبر  
وغيره يذيع ذبوعًا.

ورجل يذّباع: لا يكتم سرًّا، والمجمع: المذّباع.

وفي حديث عليّ عليه السلام: «ليسوا بالمساييح ولا  
المذّباع البذر». وهاتنا كلمة من هذا في المعنى من  
طريقة الانتشار، يقولون: أذاع الناس ما في الخوض،  
إذا شربوه كلّهُ. (٣٦٥: ٢)

ابن سيده: ذاع الشيء يذيع ذيقًا وذيقًا: فشا.  
وأذاعه وأذاع به، وفي التنزيل: «أذاعوا به»  
السام: ٨٣.

ورجل يذّباع: لا يستطيع كتم خبر.

وأناع بالشيء: ذهب.

وأذاعت الإبل بما في الخوض: شرّبه، وكذلك  
الناس وهو من ذلك. (٢٣٠: ٢)

الطّوسيّ: يقال: أذاعه إذاعةً، وأذاعوا به.

وأصل الإذاعة: التفريق.

وأذاعه بكسر الذّال: فشا.

ورجل يذّباع: لا يستطيع كتمان خبر.

وأذاع الناس بما في الخوض، إذا شربوه.

وكذلك أذاعوا بالمتاع، إذا ذهبوا به.

وإذاعة السرّ: إظهاره.

والإذاعة، والإشاعة، والإفشاء، والإعلان،  
والإظهار، نظائر. وضدّه الكتمان، والإسرار،  
والإخفاء. [واستشهد بالشعر مرتين] (٢٧٢: ٢)  
مثله الطّوسيّ. (٨١: ٢)

البطلانيّ: الإضاعة، بالضمّ: تضييع الشيء ...

وأذاع الرجل السرّ إذاعةً، بالذّال: أفشاه.

ويقال من الأوّل: ضاع الشيء، إذا تلف، ومن

الثاني: ذاع السِّرُّ، إذا انتشر في الناس. (٢١١)

الزَّمَحْشَرِي: ذاع سرّه ذُيُوعًا.

وَأَذاع الخبر والسِّرُّ، وأَذاع به، وهو مُذيع ومُذيع.

تقول: فلان للأسرار مُذيع، وللأسباب مُضِياع.

وفي الحديث: «ليسوا بالمُذاييع البذر».

ومن الجواز: تركت متاعى بمكان كذا، فأَذاع به

الناس: ذهبوا به.

وَأَذاعوا بما في الخوض من الماء: شربوه كله.

وَأَذاع الجوز: انتشر.

وَأَذاع في جلده الحرب. (أساس البلاغة: ١٤٧)

[في الحديث]: «... ولا المُذاييع البذر».

و«المُذاييع»، واحده «مُذاع» أي لا يُمذعون.

الأسرار.

نحوه السديني. (١٧٥: ١)

ابن الأثير: [نحو ما في الفائق، ثم أحسنه في شرحه]

«المُذاييع»: [

وقيل: أراد الذين يُسمعون الفواحش، وهو بناء

مبالغة. (١٧٤: ٢)

القيومي: ذاع الحديث ذُيُوعًا وذُيُوعًا: انتشر

وظهر. وأذعته: أظهرته. (٢١٣: ١)

الفيروز أبادي: ذاع الخبر يذيع، ذُيُوعًا وذُيُوعًا

وذُيُوعَةً وذُيُوعًا، ممركة: انتشر.

والمُذيع، بالكسر: من لا يكتم السِّرَّ.

وَأَذاع سرّه، وبه: أفشاه وأظهره، أو نادى به في

الناس، والإبل، أو القوم بما في الخوض: شربوا ما فيه،

وبالذَّيْء: ذاع سرّه، وأذاع به. (٢٥: ٣)

الزبيدي: [نحو الفيروز أبادي] وأضاف بعد قوله:

«وأذاع يائته»: [والصواب أنها يائته.

والتنوع الذي استدركه الخارزنجي منظور فيه،

لأنه ليس بثقة عندهم.

ومما يستدرك عليه: ذاع الجوز: انتشر. وذاع

الجرب في الجلد، إذا عم وانتشر، وهو مجاز. (٣٣٧: ٥)

الطريحي: قوله تعالى: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ النساء:

٨٣، أي أفشوه، من قوهم: ذاع الحديث ذُيُوعًا، إذا انتشر

وظهر. وأذاعه غيره: أفشاه وأظهره.

ومنه الحديث: «من أذاع علينا حديثنا سلبه الله

الإيمان» أي من أفشاه وأظهره للمدونة.

ومثله: «إن رأى سرًّا أذاعه» أي أفشاه

ولم يكتمه.

والمُذيع: الذي لا يكتم السِّرَّ؛ وجمعه: مُذاييع.

عنه الحديث في وصف أولياء الله: «ليسوا

بالمُذاييع البذر».

والإذاعة ضدّها: الصَّيَّة. (٣٢٨: ٤)

القُدْناني: أذاع السِّرَّ، وأذاع بالسِّرَّ.

ويُخطئون من يقول: أذاع بالسِّرَّ، ويقولون: إنَّ

الصَّواب هو: أذاع السِّرَّ الصَّحاح، والمختار هو المصباح.

ولكن: لم يرد في القرآن الكريم إلا «أذاع به» إذ

قال تعالى: ﴿... أَذَاعُوا بِهِ﴾ النساء: ٨٣.

وأجاز استعمال الجملتين: «أذاع السِّرَّ» و«أذاع

بالسِّرَّ» بمعنى: نشره وأفشاه، أو نادى به في الناس: كلٌّ

من معجم ألفاظ القرآن الكريم، والأساس، واللسان،

والقاموس، والتاج، والمد، ومحيط المحيط، وأقرب

الموارد، والمحت، والمثني، والوسيط.

وفعله: ذاع يذيع ذئعا، وذئعا لا وذئعرة  
وذئوعا.

ومن معاني أذاع وذاع:

۱۔ انواع بہ: ذهب بہ۔ شرکت متاعی بیکان کذا،  
فاذا عہ الناس: ذهبوا بہ، بجاز۔

٢- إذا عابه: استغفده. إذا عابها في الخوض من ماء، وإذا عابه: شربه كله، مجاز.

٣- ذاع الجؤور: انتشر، ذاع في جلدہ الجرب: انتشر بهماز

٤- ذاع المال يذوَّعه ذَوْعًا: اجتاحه، واستأمله.

محمود شہید: ذاع الخیر وغیرہ، ذیما، وفیو غلہ  
و ذیما کا: غنا و انتشار۔

اذا عه، وبه: افشاء ونشره.

الإذاعة: نشر الأخبار وغيرها بواسطة الجهاز  
للأسلحة.

المذبذب: الذي لا يحكم السيرة، ولا يستطيع كتمه.  
والآلة الإذاعة: جمعه: متذاهب.

المُذْبِح: مَنْ يَعُولِي الشَّرَّ فِي دُورِ الْإِذَاعَةِ  
لِلْأَسْلَافِ.

ذاع الخبر: فتسا وانتشر.

أذاعه: أفضاه ونشره، ثم يكثفه.

الإذاعة: نشر الأخبار بأجهزة لاسلكية.

المنذباع: آلة الإذاعة، وجهاز الإفاة: جمعه:

مَدَامِي

المُذيع: الذي يُذيع في دار الإذاعة. والذي يُذيع  
الرسائل في الأجهزة اللاسلكية. (٢٦٩:١)

المُصْطَفَوِي: الأصل الواحد في هذه المادة: هو الظهور والانتشار معاً، وهذا هو الفرق بينها وبين مواد: الإقضاء، الجهر، الإعلان، البذوق، الشيوخ، الانتشار.

فإن البدو هو الظهور البين قهراً ولا قصد،  
والظهور أعم منه.

والجهر هو الإظهار العام و رفع الصوت، خلاف  
الهمس والنفث.

والإفتاء هو كثرة الإظهار، ويُعْمَلُ في موارد  
تعمل الكثرة.

والإعلان هو عدم الكتمان وفي مقابله، وإثمه  
إظهار المعنى للثقة.

والاكتشاف هو الفتح والتقسيم. خلاف الجمع  
العلمي.

والإشاعة هو الانتشار والتفريق.

فيلاحظ في الظهور والبُذُو والمجهرو والإفشاء:  
 مفهوم الظهور من حيث هو، مع خصوصية زائدة في  
 كل منها، ويلاحظ في الشيوع والتسريجة الانتشار،  
 أما الإزاعة فالتنظر فيه إلى المهتمين معاً.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾  
ي يظهرونه، وينشرونه بين الناس. فالكلمة تدل  
على المنقول من معاً.

فظهر لطف التصير بها في هذه الآية الكريمة.

وأما مفهوم الذهب به: فاعتبار إظهار الماء أو

المتاع من الحوض أو المكان، ثم إشاعته.

تفسير الكلمة بالإظهار المجرد أو بالإشاعة مجرداً.

ليس على الحقيقة. (٣: ٣٥٢)

## النصوص التفسيرية

### أذاعوا

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ  
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعُيِّنَهُ  
الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ...

الباء: ٨٣

ابن عباس: أفتوه.

يقول: أفتوه وسقوا به.

أعلثوه وأفتوه. (الطبري ٤: ١٨٣)

إن المنافقين كانوا إذا أمروا بالقتال لم يطعموا الله

فيما أمرهم به، وإن نهاهم عن محاربه لم ينتهوا عنها.

وإن أفضى الرسول إليهم سرّاً أذاعوا به إلى العدو  
ليلا يقتلهم. (التعليق ٣: ٣٥١)

الضحاك: أفتوه وسقوا به، وهم المنافقون.

(الحساس ٢: ١٤١)

الحسن: إنهم خفلة المسلمين.

مثله الزجاج. (الماوردي ١: ٥١١)

قتادة: يقول: سار عوا به وأفتوه.

(الطبري ٤: ١٨٣)

زيد بن علي: معناه: أفتوه. (١٧٣)

مثله اليزيدي (١٢٢)، والفرّاء (١: ٢٧٩).

والسجستاني (٤٥).

السدي: ﴿أذاعوا﴾ بالحدث حتى يتكلم هو به.

(٢٠٩)

﴿أذاعوا﴾ بالحدث حتى يبلغ عدوّهم

أمرهم. (الطبري ٤: ١٨٣)

الإمام الصادق عليه السلام: إن الله غير قوماً بالإذاعة.

فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ...﴾ فليأكم والإذاعة.

(العياشي ١: ٤٢١)

ابن جرير: هذا في الأخبار، إذا غزت سرية من

المسلمين غنم الناس بينهم، فقاتلوا، أصاب المسلمون

من عدوّهم كذا وكذا، وأصاب العدو من المسلمين

كذا وكذا، فأفتوه بينهم، من غير أن يكون الشيء

هو الذي أخبرهم. (الطبري ٤: ١٨٣)

ابن زيد: نشره، والذين أذاعوا به قوم، إمّا

منافقون، وإمّا آخرون خفوا. (الطبري ٤: ١٨٣)

ابن قتيبة: أذاعوه. (١٢٢)

الطبري: يقول: أفتوه، وبثوه في الناس قبل

رسول الله صلى الله عليه وآله وقبل ما أتى سرايا رسول الله صلى الله عليه وآله

والهاء في قوله: ﴿أذاعوا به﴾ من ذكر الأمر،

وتأويله: أذاعوا بالأمر من الأمن أو الخوف الذي

جاءهم.

يقال منه: أذاع فلان بهذا الخبر، وأذاعه. [ثم

استشهد بضم]

وعن الحسن بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ

يقول: أفتوه وسقوا به، وهم أهل التناق. (٤: ١٨٣)

نحوه الخازن. (١: ٤٧٠)

الزجاج: أي أظهروه «نادوا به في الناس». [ثم



[استشهد بشعر]

وكان إذا علم النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم آمن منهم، أو أعلم تجتمع قوم يخاف من جمع مثلهم، أذاع المنافقون ذلك ليحذر من يحذر من الكفار، ليقتوى قلب من ينبغي أن يقوى قلبه لما أذاعوا، وكان ضجة المسلمين يشيعون ذلك معهم، من غير علم بالضرر في ذلك.

القصي: أي أخبروا به.

النجاس: قال الضحاك: أفتشوه وسقوا به، وهم

المنافقون.

وقال غيره: هم ضجة المسلمين، كانوا إذا سمعوا المنافقين يفتشون أخبار النبي ﷺ نوهموا أنه ليس عليهم في ذلك شيء فافتشوه، فمات بهم الله على ذلك فقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ...﴾

العللي: أي انما عرو وافتشوه.

مثله البخوي.

الطوسي: أخبر الله تعالى عن المنافقين، الذين تقدم وصفهم، بأنهم إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف وهو ما كان يرجف به من الأخبار في المدينة: [ما من قبل عدو يقصدهم أو يظهر المؤمنين على عدوهم، أو هلاك بعض أعدائهم وهو الأمن.

والأول: الخوف إذا عوا به، وتحدثوا به من غير أن يعلموا صحته، فكره تعالى ذلك، لأن من فعل هذا لا يخلو كلامه من الكذب، ولما يدخل على المؤمنين به من الخوف.

ومعنى ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾: أعلنوه، وأفتشوه، في قول

ابن عباس، والحسن، وقنادة، وابن جريج، وأصله:

إشاعة الخبر في الجماعة.

نحوه الطبرسي.

القصيري: لما كانوا غافلين عن الحق، لم يكن

لهم من ينقل إليه أسرارهم، فأنظروا السر بعضهم

لبعض، فأما المؤمنون فعالم أسرارهم مولاهم، وما

يمنع لهم خاطبوه فيه، فلم يحتاجوا إلى إذاعة السر

لمخلوق، فسمع بنحوهم الله، وهالهم خطاياهم الله.

الواحدى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ بمعنى المنافقين

وأصحاب الأراجيف... ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾: أفتشوه

وأظهروا.

الميثدي: أفتشوه ذاع: فشا، وأذاع: أفتش.

الموقم الحنري: هم ناس من ضجة المسلمين

الذين لم تكن فيهم خيرة بالأحوال ولا استبطان

للأمر. كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ

من أمن وسلامة أو خوف وخطر ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾

وكانت إذاعتهم مفسدة...

وقيل: كانوا يفتشون من رسول الله ﷺ وأولي الأمر

على أمن وتوق بالظهور على بعض الأعداء، أو على

خوف واستشعار فيذيعونه، فمنتشر فيبلغ الأعداء،

فتعود إذاعتهم مفسدة...

وقيل: كانوا يسمعون من أقوال المنافقين شيئاً من

الخبر عن السرايا مظنوناً غير معلوم الصلحة، فيذيعونه

فيعود ذلك وبالأعلى المؤمنين.

وهذا هو الدال على قلة تهمهم. وإما أن يكون ذلك في سائر الأمور الواقعة...

الفخر الرازي: أعلم أنه تعالى حكى عن المنافقين في هذه الآية نوعاً آخر من الأعمال الفاسدة، وهو أنه إذا جاءهم الخبر بأمر من الأمور سواء كان ذلك الأمر من باب الأمن أو من باب الخوف أذاعوه وأفشوه، وكان ذلك سبب الضرر من وجوه:

الأول: أن مثل هذه الإرجاعات لا تنفك عن الكذب الكثير.

والثاني: أنه إن كان ذلك الخبر في جانب الأمن فإنما فيه زبادات كثيرة، فإذا لم توجد تلك الزبادات أو صغر ذلك شبهة للضعفاء في صدق الرسول ﷺ، لأن المنافقين كانوا يروون تلك الإرجاعات عن الرسول، وإن كان ذلك في جانب الخوف تشوش الأمر بسببه على الضعفاء المسلمين، وقصوا عنده في الحيرة والاضطراب، فكانت تلك الإرجاعات سبباً للفتن من هذا الوجه.

الوجه الثالث: وهو أن الإرجاف سبب لتوفير الدواعي على البحث الشديد والاستقصاء التام، وذلك سبب لظهور الأسرار، وذلك مما لا يوافق مصلحة المدينة.

الرابع: أن السداوة الشديدة كانت قائمة بين المسلمين وبين الكفار، وكان كل واحد من الفريقين في إعداد آلات الحرب وفي انتهاز الفرصة فيه، فكل ما كان أمثلاً لأحد الفريقين كان خوفاً للفرق الثاني، فإن وقع خبر الأمن للمسلمين وحصول العسكر آلات

﴿وَأَوْزَعُوا إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ﴾ وقالوا: نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع، ﴿لَقِيلَ الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستبطنونه من الرسول وأولي الأمر، أي يتلقونه منهم، ويستخرجون علمه من جبهتهم.

يقال: أذاع السرّ أذاع به. [ثم استشهد بشعر] ويجوز أن يكون المعنى: فعلوا به الإذاعة، وهو أبلغ من أذاعوه.

أين عطية: قال جمهور المفسرين: الآية في المنافقين حسبما تقدم من ذكرهم. والآية نازلة في سرايا رسول الله ﷺ ويؤونه.

والمعنى: أن المنافقين كانوا يشرهون إلى سماع ما يسوء النبي في سراياه، فإذا طرأت لهم شبهة أمن للمسلمين أو نصح عليهم، حرقوها وصغروا شأنها، وأذاعوا بذلك التحقير والتصغير، وإذا طرأت لهم شبهة خوف المسلمين أو مصيبة، عظموها وأذاعوا ذلك التظيم.

و ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ معناه: أفشوه، وهو فعل متعدٍ بحرف جرٍّ وبنفسه أحياناً. تقول: أذعت كذا، وأذعت به. [ثم استشهد بشعر]

وقالت فرقة: الآية نازلة في المنافقين، «في من خُفّ جلده عن الإيمان من المؤمنين، ولّت تهمته، فإما أن يكون ذلك في أمر السرايا، فإنهم كانوا يسمعون أقوال المنافقين، فيقولونها مع من قالها، ويذيعونها مع من أذاعها، وهم غير متبئين في صحتها.

الحرب لهم، أرجف المنافقون بذلك، فوصل الخبر في أسرع مدة إلى الكفار، فأخذوا في التحصن من المسلمين، وفي الاحتراز عن استيلائهم عليهم. وإن وقع خبر الخوف للمسلمين بالغوا في ذلك، وزادوا فيه، وألقوا الرعب في قلوب الضعفة والمساكين، فظهر من هذا أن ذلك الإرجاف كان منشأ للفتن والآفات من كل الوجوه. ولما كان الأمر كذلك، ذم الله تلك الإذاعة وذلك التشهير، ومنعهم منه. (١٩٨: ١٠)

نحوه القاسمي: (١٤١١: ٥)

العكبري: الألف في «أذاعوا به» بدل من جاء. يقال: ذاع الأمر بفتح، والباء زائدة، أي أذاعوه.

وقيل: حُمل على معنى: تحدثوا به. (٢٧٦: ١)

القرطبي: أي أفشوه وأظهروه وتحدثوا به قبل أن يظفروا على حقيقته؟ (٢٩١: ٥)

البيضاوي: أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ أو أخبرهم الرسول ﷺ بما أوحى إليه من وعد بالظفر، أو تخويف من الكفرة. «أذاعوا به» لعدم حزمهم، فكانت إذاعتهم مفسدة. والباء مزيدة، أو لتضمن الإذاعة معنى التحدث.

(٢٣٣: ١)

نحوه الشيرازي: (٣١٩: ١)، والكاشاني: (٤٣٩: ١)، وشير (٧٤: ٢)، والنشوكاني: (٦٢٦: ١).

السنقي: أفشوه، وكانت إذاعتهم مفسدة. يقال: أذاع السيرة وأذاع به، والضمير يعود إلى الأمر، أو إلى الأمن، أو الخوف؛ لأن (أو) تقتضي أحدهما.

(٢٣٩: ١)

اليسابوري: أفشوه. يقال: أذاع السيرة، وأذاع به، لفتان. ويجوز أن يكون معنى أذاع به: فعل به الإذاعة، وهو أبلغ. [ثم أدام نحو القنار الرزقي ملخصاً] (٩٥: ٥)

ابن جرير: قيل: هم المنافقون، وقيل: قوم من ضفاء المسلمين، كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش أو غير ذلك، أذاعوا به، أي تكلموا به وشهروه قبل أن يعلموا صحته، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين مع ما في ذلك من العجلة وقلة التثبت، فانكر الله ذلك عليهم. (١٤٩: ١)

أبو حيان: الإذاعة: إظهار الشيء وإفشاؤه. يقال: ذاع تزييع، وأذاع، وتعدى بنفسه وبالباء. فيكون إذا ذاك أذاع في معنى الفعل الجرد. [ثم استشهد بشعره إلى أن ذكر عدة روايات كما سبق عن ابن عباس وغيره] (٣٠٥-٣٠٣-٣: ٣)

ابن كثير: «وإذا جاءهم...» إنكار على من يتبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها وينشئها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة. [ثم ذكر عدة روايات] (٣٤٦: ٢)

أبو السعد: يقال: أذاع السيرة وأذاع به، أي أشاعه وأفشاه. وقيل: معنى «أذاعوا به» فعلوا به الإذاعة، وهو أبلغ من أذاعوه.

وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف، بناءً على عدم فهم المراد، ببيان أن ذلك لعدم وقفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه؛ وذلك أن ناساً من ضعفة

المسلمين الذين لا خبرة لهم بالأحوال، كانوا إذا أخبرهم الرسول بما أوحى إليه من وتعدى الظفر أو تخريف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لعناء ولا ضبط لقواء، على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من الماهل. وعلى تقدير أنهم قد يكون ذلك مشروطاً بأمور تفوت بالإذاعة، فلا يظهر أثره المتوقع، فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف، فنص عليهم ذلك. (١٧٠: ٢)

**المشهدى:** [نحو التضاوي إلا أنه أضاف:]

وقيل: كانوا يسمعون أراجيف المناققين، فيذيعونها، فمورد وبالأعلى المسلمين. (٥٤٨: ٢)

**الهر وسوي:** [نحو التضاوي، إلى أن قال:]

وفي الآية إشارة إلى أرباب السلوك إذا فتح لهم باب من الأس أو الهية أو المحذور أو الغيبة من أخبار صفات الجمال والجلال، أشاعوه إلى الأغيار. ولو كان رجوعهم في حل هذه المشكلات إلى سائر الرسول ﷺ وإلى سائر أولي الأمر منهم، وهم المشايخ الباقون الواصلون. ومن كان له تبحر كامل، فهو ولي أمره لعلمه الذين يستنبطونه منهم، وهم أرباب الكشوف بحقائق الأشياء، فهم الفواصلون في بحار أوصاف البشرية المستخرجون من أصداف العلوم دُرر حقائق المعرفة. (٢٤٦: ٢)

**الآلوسي:** أي أفشوه، والبهاء من بدة. وفي «الكشاف» يقال: أذاع السر وأذاع به. ويجوز أن يكون المعنى: فعلوا به الإذاعة، وهو أبلغ من أذاعوه، لدلالته على أنه يفعل نفس الحقيقة، كما في نحو: فلان

يُعطى ويمنع، ولما فيه من الإيهام والتفسير. وقيل: الباء لتضمن الإذاعة معنى التحدث، وجعلها بمعنى «مع» والضمير للمجيء، كما لا ينبغي تخرج كلام الله تعالى الجليل عليه ﷺ. والكلام مسوق لبيان جناية أخرى من جنائيات المناققين، أو لبيان جناية الضعفاء إثر بيان جناية المناققين. [ثم ذكر أحوال بعض المفسرين، وبعد قول أبي السعود قال:] ولا يخلو عن حسن، غير أن روايات السلف على خلافه، وأما ما كان، فقد نص الله تعالى ذلك عليهم.

(٩٣: ٥)

ومن باب الإشارة... ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ...﴾ [أخبار] من في مبادئ السلوك، أي إذا ورد عليهم شيء من آثار الجمال أو الجلال أفشوه وأشاعوه. ﴿وَأُولُو رُذُوءٍ﴾ أي عرضوه إلى الرسول إلى ما علم من أحواله وما كان عليه، وإلى ﴿أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ وهم المرشدون الكاملون الذين قالوا مقام الوراثة المحمدية، ﴿فَلْيَعْلَمُوا﴾ أي لعلم ماله، وأنه مما يذاع، وأنه لا يذاع ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ ويتلقونه منهم أي من جهتهم واسطة فيوضاتهم، والمراد بالموصول الرادون أنفسهم.

وحاصل ذلك أنه لا ينبغي للمريد إذا عرض له في أثناء سيره وسلوكه شيء من آثار الجمال أو الجلال أن يفشي لأحد قبل أن يرضه على شيخه، فيوقفه على حقيقة الحال، فإن في إفشائه قبل ذلك ضرراً كبيراً. (١٠٤: ٥)

رشيد رضا: [ذكر بعض الأقوال ثم قال:]

في هذه الآية:

١- تنديد بالمنافقين الذين هم موضوع الكلام في السياق السابق، لأنهم كانوا يتحاطفون به حينما يصل إليهم خبر من أخبار الحرب والسياسة، وسواء أكان ساراً أو مسيئاً، ومطمئناً أو مثيراً للخوف أن يذيعوه بين الناس.

٢- ويان لما كان يوجب عليهم الإخلاص والطاعة والإيمان، وهو إبلاغه لرسول الله ولأولي الأمر منهم، والخوف عند هذا الحد؛ حيث ينظر النبي وأولوا الأمر في الأمر، ويستمينوا بأهل الجبهة في معرفة الحقيقة، ويتم التصرف في الأمر وفقاً لما تقتضيه المصلحة.

٣- وتذكير للمسلمين بفضل الله تعالى ورحمته وعنايته وهدايته، وأنهم لو لا ذلك لكان أكثرهم منافقين في هذا الضلال متبعين للشيطان. (١٢١: ٩) سيّد قطب: هؤلاء الذين تحدث عنهم هذه المجموعات الأربع من الآيات، قد يكونون هم أنفسهم الذين تحدث عنهم مجموعة سابقة في هذا الدرس: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَتَّبِعُنَّ﴾ الآيات، ويكون الحديث كله عن تلك الطائفة من المنافقين، التي تصدر منها هذه الأعمال، وهذه الأقوال كلها.

وقد كدنا نرجح هذا الرأي، لأن ملامح التفاسير واضحة، فيما تصفه هذه المجموعات كلها. صدرت هذه الأعمال وهذه الأقوال عن طوائف المنافقين في الصف المسلم، أمر أقرب إلى طبيعتهم، وإلى سوابقهم كذلك. وطبيعة السياق القرآني شديدة الالتصام بين

ويجوز أن يكون الكلام في جمهور المسلمين، من غير تعيين لعموم العبارة. ومن خبر أحوال الناس يعلم أن الإذاعة بمثل أحوال الأمن والخوف، لا تكون من دأب المنافقين خاصة، بل هي بما يلفظ به أكثر الناس، وإنما تختلف التيات، فالمنافق قد يذيع ما يذيعه لأجل الضرر، وضعف الإيمان قد يذيع ما يرى فيه التشبه، استشفاء مما في صدره من الحكمة، وأما غيرهما من عامة الناس فكثيراً ما يؤمنون بهذه الأمور لمحض الرغبة في ابتلاء أخبارها، وكشف أسرارها، أو لما حساه يناهم منها.

فموضوع العامة في السياسة وأخبار الحرب والسلم، والأمن والخوف، أمر معتاد، وهو ضار جداً إذا شغلوا به عن عملهم، ويكون ضرره أشد إذا وقفوا على أسرار ذلك وأذاعوا به، وهم لا يستطيعون كتمان ما يعلمون، ولا يعرفون كنه ضرر ما يقولون، وأضره علم جواسيس العدو بأسرار أمتهم، وما يكون وراء ذلك. ومثل أمر الخوف والأمن سائر الأمور السياسية والشؤون العامة، التي تختص بالمخافة دون العامة.

(٢٩٨: ٥)

طائفي: أفشوه، فإذا سمع بعض ضحفة المسلمين خبراً عن سرية من السرايا عن طريق الوحي أو عن طريق المنافقين، أذاعوه بين الناس. وفي ذلك مفسدة في السياسة.

المراغي: أذاع الشيء، وأذاع به: نشره، وأشاعه بين الناس... [إلى أن أدام غور شيد رضا] (١٠٤: ٥) عزة دروزة: «أذاعوا به»: أفشوه بين الناس.

الآيات جميعاً، ولكن المجموعة الأولى من هذه المجموعات التي تحدثت عن الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ...﴾ الآيات هي التي جعلنا نتردد في اعتبار الآيات كلها حديثاً عن المنافقين، وإن بدت فيها صفات المنافقين، وبدت فيها لحنمة السياق واستطراده، وجعلنا نغفل إلى اعتبار هذه المجموعة، واردة في طائفة من المهاجرين ضحاف الإيمان غير منافقين، والضعف قريب الملاصق من الثفاق، وأن كل مجموعة أخرى من هذه المجموعات الأربع، ربما كانت نصف طائفة بعينها من طوائف المنافقين، المندسين في الصف المسلم، وربما كانت كلها وصفاً للمنافقين عامة، وهي تعدد ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال والسبب في وقوفنا هذا الموقف أمام آيات المجموعة الأولى، وقلنا أنها تصف طائفة من المهاجرين الضحاف الإيمان، أو الذين لم ينضج بعد تصورهم الإيماني، ولم تضح معالم الاعتقاد في قلوبهم وعقولهم.

السبب هو أن المهاجرين هم الذين كان بعضهم تأخذه الحماسة والاندفاع، لدفع أذى المشركين، وهم في مكة في وقت لم يكن مأذوكاً لهم في القتال، قيل لهم: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.

وحثي لو أخذنا في الاعتبار ما عرضه أصحاب بيعة العقبة الثانية الاثنان والسبعون على النبي ﷺ من ميلهم على أهل منى، أي قتلهم لو أمرهم الرسول ﷺ ورده عليهم: «إنا لم نؤمر بقتال»، فإن هذا لا يجعلنا

ندمج هذه المجموعة من السابقين من الأنصار أصحاب بيعة العقبة في المنافقين، الذين تحدثت عنهم بقية الآيات. ولا في الضحاف الذين تصفهم المجموعة الأولى، فإنه لم يعرف عن هؤلاء الصفوة تفاسق ولا ضعف، رضي الله عنهم جميعاً.

فأقرب الاحتمالات هو أن تكون هذه المجموعة واردة في بعض من المهاجرين، الذين ضعفت نفوسهم وقد أمنوا في المدينة، وذهب عنهم الأذى عن تكاليف القتال. والآ تكون بقية الأوصاف واردة فيهم، بل في المنافقين، لأنه يصيب علينا مهما عرفنا من ظواهر الضعف البشري أن نسمي أي مهاجر من هؤلاء السابقين بسبب رذائلهم إلى الرسول ﷺ دون الحسنة، أو قول الطاعة وتبني غيرها، وإن كنا لا نستبعد أن توجد فيهم صفة الإذاعة بالأمر من الأمن والحوار، لأن هذه قد تدل على عدم التربية على النظام، ولا تدل على الثفاق.

والحق أننا نجد أنفسنا أمام هذه الآيات كلها في موقف لا نملك الجزم فيه بشيء، والروايات الواردة عنها ليس فيها جزم كذلك بشيء، حتى في آيات المجموعة الأولى التي ورد أنها في طائفة من المهاجرين كما ورد أنها في طائفة من المنافقين، ومن ثم تأخذ بالأحوط في تبرئة المهاجرين من سمات التبطل والانحلال، بما يصيب المؤمنين من الخير والنشر، التي وردت في الآيات السابقة، ومن سمة إسناد السيرة للرسول ﷺ دون الحسنة، وردة هذه وحدها إلى الله، ومن سمة تبني غير الطاعة، وإن كانت تجهزته سباق

الآيات على هذا التحوّل ليست سهلة على من يتابع السماع القرآني، ويُدرك بطول الصّحبة طريقة التعبير القرآنيّة ﷻ والله المعين. (٢: ٧١١)

ابن عاشور: ومعنى ﴿أَذْأَعُوا﴾ أفتنوا، ويتمدّى إلى الخبر بنفسه، وبالباء، يقال: أذاعه، وأذاع به، فالباء لتوكيد اللّصوق، كما في ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ المائدة: ٦.

والمعنى: إذا سمعوا خبراً عن سرايا المسلمين من الأمن، أي الظفر الذي يوجب أمن المسلمين، أو الخوف وهو ما يوجب خوف المسلمين، أي استعداد العدو عليهم، بادروا بإذاعته. أو إذا سمعوا خبراً عن الرسول ﷺ وعن أصحابه، في تدبير أحوال المسلمين من أحوال الأمن أو الخوف، تحدّثوا بتلك الأخبار في المحالين، وأرجفوها بين الناس لقصد التشييط عن الاستعداد، إذا جاءت أخبار أمن حتى يؤخذ المؤمنون وهم غيارون، وقصد التجبين إذا جاءت أخبار الخوف، واختلاف المقادير للتهيئة للتخلّف عن الضرر إذا استنفروا إليه. فحذر الله المؤمنين من مكاند هؤلاء، ونهه هؤلاء على دخيلتهم، وقطع معذرهم في كيدهم بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ...﴾ (٤: ٢٠١)

مُغْنِيَّة: كان في صحابة الرسول ﷺ - كما يكون في أيّ حزب ومعسكر - المخلص والمناق، والشجاع والجهان، والقوي والضعيف في إيمانه، والعاقل المهرب الذي يرتفع إلى مستوى الأحداث، والجاهل الذي لا يتدبّر الأمور ولا يقدّر العواقب، وقد تحدّث القرآن عن كل هؤلاء تصرّيحاً تارة، وتلويحاً أخرى.

والفق المفسّرون على أن هذه الآية نزلت فيمن كانوا يسمعون أخبار الأمن والخوف التي كانت تتعلق بقوة المسلمين العسكرية، فيذيعونها بين الناس. ثمّ اختلف المفسّرون في تعيين هؤلاء المذيعين: هل هم المنافقون، أو البسطاء الذّرج من ضغفاء المؤمنين؟ فقال كل فريق بما ترجّح عنده.

أما نحن فلم يترجّح لدينا إرادة المنافقين، دون الضغفاء، ولا البسطاء، دون المنافقين، لأن كل ما أفاده ظاهر الآية أن جماعة من الذين كانوا حول النبي ﷺ إذا وصل إليهم خبر من أخبار السّلام والأمان، أو الحرب والعدوان تكلموا به، وأفتنوا بين الناس. ولا ينبغي أن يضرّ على الأمن الداخلي والخارجي من إفشاء الأسرار العسكرية، بخاصّة مع عدم تثبّت المذيعين من صدق الخبر، فإن الكثير من أبناء الحروب يفتنونها ويروّجها العدو بقصد الاستفادة منها، وإشاعة الفتن والفتائل في صفوف المسلمين. (٢: ٣٩١)

الطّباطبائي: الإذاعة هي النشر والإشاعة. وفي الآية نوع ذمّ وتعيير لهم في شأن هذه الإذاعة، وفي قوله: في ذيل الآية: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ...﴾ دلالة على أن المؤمنين كانوا على خطر الضلال من جهة هذه الإذاعة، وليس إلا خطر مخالفة الرسول فإن الكلام في هذه الآيات موضوع في ذلك، ويؤيد ذلك ما في الآية التالية من أمر الرسول بالقتال ولو بقي وحده بلا ناصر.

ويظهر به أن الأمر الذي جاءهم من الأمن أو الخوف، كان بعض الأراجيف التي كانت تأتي بها

أيدي الكفار ورسلهم المبعوثون، لإيجاد التفات والخلاف بين المؤمنين، فكان الضمياء من المؤمنين يُذيعونه من غير تدبر وتبصر، فيوجب ذلك وهذا في عزيمية المؤمنين، غير أن الله سبحانه وقاهم من اتباع هؤلاء الشياطين الجائنين بتلك الأخبار لإغراء المؤمنين.

فنتطبق الآية على قصة بدر الصغرى، وقد تقدم الكلام فيها في سورة آل عمران. والآيات هاهنا تشابه الآيات هناك مضمونها، كما يظهر للمتدبر فيها، قال تعالى: في سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَالْقَوَّاءُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَأْذَنَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ يَفْزَعُ أُولِيَائِهِمْ فَلَا يَخَافُوهُمْ وَمَنْ يَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٧٣-١٧٥.

الآيات كما ترى تذكر أن رسول الله ﷺ كان يدعو الناس بعد ما أصابهم القرح، وهو محنة أحد إلى الخروج إلى الكفار، وأن أناساً كانوا يجزّلون الناس ويخذلونهم عن النبي ﷺ، ويخونونهم جميع المشركين، ثم تذكر أن ذلك كله مخوفات من الشيطان، يتكلم بها من أقواء أوليائه، وتعزم على المؤمنين أن لا يخافوهم ويخافوا الله إن كانوا مؤمنين.

والمتدبر فيها وفي الآيات المبحوث عنها، أعني قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ...﴾ لا يرتاب في أن الله سبحانه في هذه الآية يذكر قصة بدر الصغرى، ويعنيها في جملة ما

يحدث من الحلال التي يلوم هؤلاء الضملاء عليها، كقوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ وقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّمَا كُنْتُمْ عَلَيْنَا لِقَاءَ...﴾ النساء: ٧٧، وقوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَّةٌ بَئِشًا يَكُونُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ...﴾ النساء: ٧٨، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَائِفَةٌ...﴾ النساء: ٨١، ثم يجري على هذا المجرى قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ...﴾ (٥: ٢١).

محمود صافي: ﴿أَذَاعُوا﴾ فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعل، «الباء» حرف جر، «الهاء» ضمير في محل جر، متعلق بـ ﴿أَذَاعُوا﴾، [إلى أن قال:] وجملة ﴿أَذَاعُوا بِهٍ﴾ لا محل لها جواب شرط غير جازم...

﴿أَذَاعُوا﴾ فيه إعلال بالقلب، أصله: أذعنوا، جعلت الحركة إلى الذال قبل الباء، فقلت أذاعا لتحرك الباء في الأصل. (٥: ١١٢)

حسين مخلوف: تزلت في ضمياء المؤمنين، فقد كانوا يسمعون من المنافقين أخباراً عن السرايا، مظنونة غير معلوم صحتها، وقد تكون مُخْتَلَقَةً، فيذيعونها قبل التثبت منها، وتشيع بين الناس، فلا تخلو من وبال يعود على المسلمين، فنصى الله ذلك عليهم. (١٦٠: ١)

عبد الكريم الخطيب: هو جانب من جوانب الصورة التي عرض الله فيها هؤلاء المنافقين، وإلهم لأصحاب قرينة والفر، كلما وقعت لأذانهم كلمة طاروا بها، وألقوا بها إلى كل أذن، دون أن يتبينوا ما يسمعون، أو يعرفوا وجهه. إن اللغو وتقليب وجوه الكلام هو تهارتهم الرائجة، وبضاعتهم الرائجة،



لا يتكلمون له جهداً، ولا يخشون من ورائه سوء، فما هو إلا أحاديث تُروى، وأخبار تتناقل، لا يدري أحد مصدرها، ولا يعرف من هو صاحبها. وعلى هذا الغذاء الخبيث يعيش المنافقون، ومن هذا الجسور المفتر يتنصرون.

فهم يُترَبِّون بكل ما يسمعون من خير أو شر، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ...﴾ أي نطقوا به، وصحبوه معهم إلى كل مكان، فليس يُرضيهم أن يذهبوا هذه الأحاديث في الناس، وإنما هم وراء هذه الأحاديث المذاعة يدفعونها بين أيديهم، ويشهدون آثارها في الناس، وهذه ما يُشير إليه النظم في قوله تعالى: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ وهو غير ما يراد بالفعل «أذاعوه» الذي يُضيف إليهم إذاعة الأحاديث وتقلها، بعد أن يذهبوا بها للفتنة الأولى.

أما قوله تعالى: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ فإنه يجعلهم يترَبِّون كقولهم يترَبِّون ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ مع هذه الأحاديث حيثما دارت. (١٤٦: ٣)

مكارم الشيرازي: نشر الإشاعات

تشير هذه الآية إلى حركة منحرفة أخرى من حركات المنافقين أو ضعاف الإيمان، تتمثل في سعيهم إلى تلقف أي نبأ عن انتصار المسلمين أو هزيمتهم، وبثه بين الناس في كل مكان، دون التحقيق والتدقيق في أصل هذا النبأ أو التأكد من مصدره. وكان الكثير من هذه الأنباء لا يعتد بإشاعتها، عمد أعداء المسلمين إلى بثها لتحقيق أهدافهم الدنيئة وليسهبوا إلى معنويات المسلمين ويضربوا بهم، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ...﴾

بينما كان من واجب هؤلاء أن يوصلوا هذه

الأخبار إلى قادتهم، كي يستطيعوا من معلومات هؤلاء القادة وفكرهم، ولكي يتجنبوا دفع المسلمين إلى حالة من الضرر حيال انتصارات خيالية وهمية، أو إلى إضعاف معنوياتهم بإشاعة أنباء عن هزيمة لاحقة لها. [إلى أن قال:]

أضرار اختلاق الإشاعة ونشرها

لقد أبتلت المجتمعات البشرية وعانت الكثير من المصائب والتكبات الرهيبة، بسبب بروز ظاهرة اختلاق الإشاعة ونشرها بين الأفراد، حيث كانت تؤثر تأثيراً سلبياً كبيراً على معنويات أفراد المجتمع، وتضعف فيهم الروح الاجتماعية، وروح التفاهم والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد.

تبداً الإشاعة بأن يخلق منافق كذبة، ثم ينشرها بين أفراد مُرضين أو بسطاء، ليقوموا بدورهم فهو لونها ونُفُزُها، مما يؤدي إلى استنزاف مقدار كبير من طاقات الناس وأفكارهم وأوقاتهم، وإلى إثارة القلق والاضطراب بينهم. وكثيراً ما تؤدي الإشاعة إلى زعزعة الثقة بين أفراد المجتمع، وتؤدي إلى خلق حالة من لامبالاة، والقرود في أداء المسؤوليات.

ومع أن بعض المجتمعات التي تصافي من الكبت والإرهاب تعدد إلى الإشاعة، كأسلوب من الكفاح السلمي انتقاماً من الحكومات الطاغية الجائرة، فالإشاعة بحد ذاتها تعتبر خطراً كبيراً على المجتمعات السليمة، فإذا اتجهت الإشاعة إلى الأفراد الكفوتين

من المفكرين والخبراء والعاملين في المرافق العامة للمجتمع، فإنها ستؤدي إلى حالة من البرود في نشاطات هؤلاء، وقد تصادر مكائهم الاجتماعية، وتحرم المجتمع من خدماتهم.

من هنا كاتف الإسلام بشدة اختلال الإشاعات والافتراء والكذب والتهمة، مثل ما حارب نشر الإشاعات، كما في هذه الآية. (٣: ٣٠٩)

**فضل الله:** ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ...﴾ تنابع السورة التخطيط لإلزام المجتمع بالقواعد الأساسية للسلامة العامة، من خلال الحديث عن بعض التماذج القليلة التي انخرغت عن ذلك، وكيف أراد القرآن لها أن تصح موافقتها العملية في هذا الإكفاء. فقد كان بعض الناس في مجتمع الرسول في المدينة مؤلمين بنشر كل ما يسمعون وإذاعته، من دون التدقيق في صدقه وكذبه، أو في نفعه وضرره، فيؤدي ذلك إلى إحداث حالة ارتباك في حياة المجتمع. فقد يكون الخبر متعلقاً بالأم من بعض الجوانب، من خلال ما كان يعيشه المسلمون من التحديثات العسكرية أمام الأعداء، في الوقت الذي تحتاج فيه الساحة إلى الحذر واليقظة والحوار الانفعالي والشعور بالخطر. وقد يكون متعلقاً بالحرف من بعض الأوضاع، في الوقت الذي يؤدي ذلك إلى سقوط الساحة تحت وطأة الرعب، وانهيار الروح المعنوية تحت تأثير التهاويل التي تثيرها الإشاعة. وربما تكون قضايا الأمن والخوف متصلة ببعض القضايا التي تفس جانب السلامة للإسلام والمسلمين، عندما تتعلق بالأسرار العسكرية في الداخل

والخارج، مما يكون للحديث عنها تأثير سلبي على سلامة المجتمع، في حالتي السلم والحرب. وقد وجه القرآن المسلمين إلى التحفظ في ذلك من موقع المسؤولية، لأن الكثيرين منهم لا يحيطون بجوانب الأمور كلها، فقد يلتفتون إلى جانب منها فيحدث لهم نوع من الإثارة، وينفلون عن الجوانب الأخرى التي يمكن أن تعطل مفعول الإثارة في النفس، لأنها تشمل عنصراً من عناصر التهدة والشعور بالسلام.

وقد تكون المسألة ذات أبعاد بعيدة عن الأجواء الذاتية التي يعيشها الناس، فلا يعرفون قيمتها السلبية والإيجابية على طبيعة الأحداث العامة في حياة الناس، وهذا توجه القرآن إلى المسلمين بإرجاع ذلك إلى الرسول الذي يعرف من شؤون الساحة ما لا يعلمه الآخرون، في ما يضر وما ينفع؛ وذلك من خلال الوحي الذي لا يحتاج إلى نزول الوحي، ومن خلال الإحاطة الواقعية في نطاق الرؤية والتجربة.

(٧: ٣٧٢)

## الأصول اللغوية

١ - الأصل في هذه المادة: الذيع، وهو غشوا الأمر وانتشاره. يقال: ضاع الشيء والخبر يذيع ذيعاً وذيعاً وذيوغاً وذيوغته، أي فشا وانتشر، وأذغناه فذاع. وأذغت الأمر والسراذغة وأذغت به: أفشيت وأظهرته. والذيع: الذي لا يكتم السر، وقوم مذايغ، قال

الإمام علي عليه السلام في وصف الأولياء: «ليسوا بالأنذاريين» جمع مذبذاج، من: أذاع الشيء، إذا أفسده، وقيل: أراد الذين يشيعون الفواحش.

٢ - وأذاع الناس والإبل بما في الحوض إذاعة، إذا شربوا ما فيه، وأذاحت به الإبل إذاعة، إذا شربته، وترك متاعاً في مكان كذا وكذا أذاع الناس به، إذا ذهبوا به.

وروى الصحاح عن الحارث بن عدي أن هذين القولين من «الذوع»، كما ذكرهما الصاغاني في «ذوع» أيضاً. ورأى الفيروز آبادي أنهما واو يان يائتان، فخطأه الزبيدي، ورأى أنهما يائتان فقط، وأن قول الحارث بن عدي فيه نظر، لأنهم لم يوثقوه.

والصواب ما ذهب إليه الزبيدي، تبعاً لجمهور اللغويين، ومنهم أبو زيد والجوهري وابن فارس وغيرهم، إذ إن مادة «ذوع» لم تُعرف عند العرب أهل العربية، وكذلك عند من لم يذكر هذين الحرفين أيضاً، كالخليل وابن دريد.

## الاستعمال القرآني

آية واحدة، جاء فيها الفعل ماضياً من الإفعال: (أَذَاعُوا) مرة:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ٨٣ ويلاحظ أولاً: أنها من جملة ما يرتبط بنظام

الحكم - كوظيفة للمكلفين في الالتزام برذال الأمور إلى أولى الأمر، وعلى رأسهم النبي ﷺ، ابتداءً من الآية ٥٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ إلى أواخر السورة، بعد أن كان صدر السورة في أحكام النساء - وبها سُميت - وأحكام أخرى غيرها، وفيها آيات خطاباً لأهل الكتاب أيضاً، وفيها بحث:

١ - قالوا في ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾: أفسدوه، أعلنوه، سحوا به، سارحوا به، أشاعوه، بثوه، أظهروه، ونادوا به، أخبروا به، تحدثوا به، وأصله: إشاعة الخبر في الجماعة.

الإذاعة: إظهار الشيء، وإفشائه. يقال: ذاع يذيع وأذاع، وهي النشر والإشاعة، ذاع: فشا، وأذاع: اختلفوا في الاختلاف فيها لفظي، والمعنى واحد.

٢ - واختلفوا في الباء من ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾، فقيل: إنها زائدة، أي أذاعوه، وقيل: حمل على معنى «تحدثوا به»، والضمير في (به) يعود إلى «الأمير»، أو إلى «الأمن»، أو «الخوف»، لأن (أو) تقتضي أحدهما.

وقال بعضهم: أذاع السر وأذاع به لفتان، يتعدى بنفسه وبألباء، فيكون إذا ذاك «أذاع» في معنى الفعل الجرمي. يقال: أذاع فلان بهذا الخبر وأذاعه، ويجوز أن يكون معنى أذاع به: قل به الإذاعة، وهو أبلغ.

٣ - واختلفوا أيضاً في الذين أذاعوا به، هل هم المناقون أو ضغفة المؤمنين أو عامة الناس؟

فقال الزجاج: «وكان إذا علم النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم، أين منهم، أو أعلم تجمع قوم، يخاف من جمع



ما يعلمون...».

وفي كلام مغنيّة، والطّباطبائي، ومكارم الشيرازي، وفضل الله، وغيرهم قريب بما ذكر بتفصيل أكثر، فلاحظ.

ونقول: قبل هذه الآية ابتداءً من ٥٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ...﴾ - كما سبق - جاءت آيات في وصف المنافقين، وضعفاء الإيمان معاً:

ففي ٦١: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَضَاعُوا إِلَى مَا أَلْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ وكذا ما بعدها مثل ٨١: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِدْلِكُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْغُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

وجاء في (٧١) و (٧٢) وصف ضعفاء الإيمان: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَطَّيَّنُ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا هَذَا الَّذِي أَصَابَنَا اللَّهُ عَلَىٰ إِذْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ شَهِيدًا﴾ ولين أصحابكم فضل من الله ليقرن كأن لم تكن بينكم وبينه قودة بما ينبغي كُتِبَ مِنْهُمْ فَأَقْرَرُوا قُرْزًا عَظِيمًا﴾ وكذا ما بعدها. وكذلك جاءت بعد هذه الآية آيات وصفاً للفریقین معاً، والضمائر في «آية الإخاعة» راجعة إلى ما قبلها المشترك بين الفريقين. لكن سياق الآية إلى فريق الضعفاء أقرب، حيث قال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٤ - وأما الفخر الرازي فإنه بعد ما خص الآية

بالمناققين ذكر وجوهاً من الضرر في ذلك:

«الأول: أن مثل هذه الإرجافات لا تنفع عن الكذب الكثير.

والثاني: أنه إن كان ذلك الخبر في جانب الأمن زادوا فيه زيادات كثيرة لا توجد، فأورث ذلك شبهة للضعفاء.

الثالث: الإرجاف سبب لتوفير الدواعي على البحث الشديد والاستقصاء التام، وذلك سبب لظهور الأسرار، وذلك مما لا يوافق مصلحة المدينة.

الرابع: أن العداوة الشديدة بين المسلمين وبين الكفار كانت تجعل كلاً من الفريقين فرصة لإعداد للحرب مما يملئهم من الأمن أو الخوف الذي أرجفه المنافقون، فكان الإرجاف منشأ للفتن والأفات».

٥ - والمخاطبون في هذه الآية - كما سبق - هم جميعة الإيمان أو المناققين أو الأعم دون الرسول وأولي الأمر، لكن يستفاد الخطاب إليهم من ذيلها: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ مِنْهُمْ﴾. بل يستفاد ذلك من سياق ما تقدم وما تأخر منها من الآيات أيضاً كما لا يخفى.

فإن أمور الدين وإدارتها - ومن أهمها الحرب مع الأعداء - كلها بيد الرسول أولاً لو كان حاضراً في ساحة القتال، ثم بيد أولي الأمر في الحرب، إذ القادة في كل حرب - حسب قيادة الهمين والضمال، والمقدم أو المؤخر، وقيادة الرُّكَّاب أو المشاة وغيرهم - متعددون. ولكل واحد منهم وظائف خاصة به، لكنهم مشتركون في تنظيم أمر الحرب، وتسييرها في النصر

على العدو، والاحتراس عن انتصار العدو عليهم.

فإذا كان هؤلاء القادة مشتركين في كل حوادث الحرب، فيجب التشاور بينهم في «لجنة المشورة» وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ يُسْتَشِيرُونَ رَسُولَهُمْ فَلَمَّا اتَّخَذُوا مَشَاوِرَهمْ وَشَاوَرُواهمْ وَأَخْرَجُوا حِجَابَهُمْ فَسَأَلُوكَ الرَّسُولَ بِالْغِيبَاتِ بِمَا نَظَرُوا لَهُمْ فِي الْغُيُوبِ فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْشَوْا﴾. وملاحظة جميع حوادث الحرب، وما وقفوا عليه من أمارات الفتح والتصر، أو الفسوق والهزيمة، وكذا ملاحظة أوضاع العدو، وعددهم، وما عندهم من السلاح، ونسبها إلى ما عند المقاتلين إلى ما سواها من طاقات الطرفين وضعفهما، ومنها ملاحظة مساحة الحرب، ومواقف كل من الطرفين وأوضاعهما الجيوشية، ومن أهمها الماء والطعام، وكذا المراكب والسلاح.

فهذه الآية تهدينا إجمالاً إلى ما يعبر عنه اليوم في الحروب تفصيلاً بـ «غرفة العمليات» ويجهل أن تكون هذه الغرفة وجميع أعمالها مخفية عن غير أعضائها. والله الحمد أولاً وآخرًا.

٦- وبعضهم تصدى - كالإشارة - لتأويل الآية إلى الأسرار القلبية، فقال القشيري: «هو السابق في هذا الباب -» لئلا كانوا غافلين عن الحق لم يكن لهم من ينقل إليه أسرارهم، فأظهروا السر بعضهم لبعض. فأما المؤمنون فعالم أسرارهم مولاهم، وما يمنع

لهم خاطبوه فيه، فلم يحتاجوا إلى إذاعة السر لمخلوق، فتابع لجواهرهم الله، وعالم خطابهم الله.

وقال البروسوي: «ونحوه الألويسي» - وفي الآية إشارة إلى أرباب السلوك إذا فتح لهم باب من الأنس أو الهبة أو الحضور أو النية من آثار صفات الجمال والجلال أشاعوه إلى الأغيار، ولو كان رجوعهم في حل هذه المشكلات إلى سن الرسول ﷺ وإلى سير أولي الأمر منهم، وهم المشايخ الباقون الواصلون. ومن كان له شيخ كامل فهو ولي أمره ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ يُسْتَشِيرُونَ رَسُولَهُمْ﴾ وهم أرباب الكشوف بحقائق الأشياء، فهم الفواصلون في بحار توصاف البشرية المستخرجون من أهداف العلوم دُرر حقائق المعرفة.

وملاحظة ثانياً: أن من أجل انحصار هذه المادة في آية واحدة مخفية ربما يظن أنها لغة مدنية. وثالثاً: من نظائر هذه المادة في القرآن:

الجهار: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ دَعْوَتُهُمْ جَهَارًا﴾. نوح: ٨  
العلانية: ﴿الَّذِينَ يُلْقُونَ آمُوالَهُمْ بِالْأَيْدِي وَالشَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. البقرة: ٢٧٤  
الشيوخ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ وَاسْمُ لَا تَخْلُصُونَ﴾. التور: ١٩



مرکز تحقیقات کلام و فقه اسلامی

## فهرس الأعلام المنقول عنهم بلا واسطة وأسماء كتبهم

(٥٩٧)	ابن الجوزي: عبد الرحمن زاد المسير، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.	(١٢٧٠)	الألوسي: محمود <sup>(١)</sup> روح المعاني، ط: دار إحياء التراث، بيروت.
(٣٧٠)	ابن خالويه: حسين إعراب ثلاثين سورة، ط: حيدرآباد دكن.	(٦٦٥)	ابن أبي الحديد: عبد الحميد شرح نهج البلاغة، ط: إحياء الكتب، بيروت.
(٨٠٨)	ابن خلثون: عبد الرحمن المقلمة، ط: دار العلم، بيروت.	(٢٨٤)	ابن أبي اليمان: يمان التقفية، ط: بغداد.
(٣٢١)	ابن ذرّيد: محمد الجمهرة، ط: حيدرآباد دكن.	(٦٠٦)	ابن الأثير: مبارك النهاية، ط: إسماعيليان، قم.
(٢٤٤)	ابن السكيت: يعقوب ١- تهذيب الألفاظ، ط: الأستانة الرضوية، مشهد. ٢- إصلاح المنطق، ط: دار المعارف بمصر. ٣- الإبدال، ط: القاهرة.	(٦٣٠)	ابن الأثير: عليّ الكامل، ط: دار صادر، بيروت.
(٤٥٨)	ابن سيده: عليّ المحكم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.	(٣٢٨)	ابن الأنباري: محمد غريب اللغة، ط: دار الفردوس، بيروت.
(٥٤٢)	ابن الشجري: هبة الله الأمالي، ط: دار المعرفة، بيروت.	(١٣٥٩)	ابن باديس: عبد الحميد تفسير القرآن، ط: دار الفكر، بيروت.
(٥٨٨)	ابن شهر آشوب: محمد	(٧٤١)	ابن جزي: محمد التسهيل، دار الكتاب العربي، بيروت.

(١) هذه الأرقام تاريخ الوفيات بالمهجريّة.





١- التفسير البياني، ط: دار المعارف، مصر.	روض الجنان، ط: الاستاذة الرضوية، مشهد.
٢- الإعجاز البياني، ط: دار المعارف، مصر.	أبو الفداء: إسماعيل (٧٣٢)
١٠٣١) بهاء الدين العاملي: محمد	المختصر، ط: دار المعرفة، بيروت.
العروة الوثقى، ط: مهر، قم.	أبو هلال: حسن (٣٩٥)
بيان الحق: محمود (نحو ٥٥٥)	الفروق اللغوية، ط: بصيرتي، قم.
وضح البرهان، ط: دار القلم، بيروت.	أحمد بدوي (معاصر)
التيضاوي: عبدالله (٦٨٥)	من بلاغة القرآن، ط: دار النهضة، مصر.
أنوار التنزيل، ط: مصر.	الأطش: سعيد (٢١٥)
الستري: محمد تقي (١٤١٥)	معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.
نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ط: أمير كبير، طهران.	الأزهري: محمد (٣٧٠)
التفتازاني: مسعود (٧٩٣)	تهذيب اللغة، ط: الدار المصرية.
المطلول، ط: مكتبة الداوري، قم.	الإسكافي: محمد (٤٢٠)
الشمالي: عبد الملك (٤٢٩)	درة التنزيل، ط: دار الآفاق، بيروت.
لغة اللغة، ط: مصر.	الأصمعي: عبد الملك (٢١٦)
فغلب: أحمد (٢٩١)	الأضداد، ط: دار الكتب، بيروت.
النصيح، ط: التوحيد، مصر.	أيزوتسو: توشيهيكو (١٣٧١)
الثعلبي: أحمد (٤٢٧)	خدا و إنسان در قرآن، ط: انتشار، طهران.
الكشف والبيان، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.	البحراني: هاشم (١١٠٧)
الجاحظ: عمرو (٢٥٥)	البرهان، ط: مؤسسة البعث، بيروت.
الحيوان، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.	البر وسوي: إسماعيل (١١٢٧)
الجرجاني: علي (٨١٦)	روح البيان، ط: جعفري، طهران.
التحريفات، ط: ناصر خسرو، طهران.	الهستاني: بطرس (١٣٠٠)
الجزائري: نور الدين (١١٥٨)	دائرة المعارف، ط: دار المعرفة، بيروت.
فروق اللغات، ط: فرهنگ إسلامي، طهران.	البقوي: حسين (٥١٦)
	معالم التنزيل، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
	بنت الشاطي: عائشة (١٣٧٨)

البهصاص: أحمد	(٣٧٠)	كتاب التأويل، ط: التجارية، مصر.
أحكام القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.		الخطابي: حمّد
جمال الدين عيّاد	(معاصر)	غريب الحديث، ط: دار الفكر، دمشق.
بحوث في تفسير القرآن، ط: المعرفة، القاهرة.		الحليل: بن أحمد
الجواليقي: مؤهوب	(٥٤٠)	الصين، ط: دار الهجرة، قم.
المعرب، ط: دار الكتب، مصر.		خليل ياسين
الجوهري: إسماعيل	(٣٩٣)	الأضواء، ط: الأديب الجديدة، بيروت.
صباح اللغة، ط: دار العلم، بيروت.		الدأمني: حسين
الحائري: سيد علي	(١٣٤٠)	الوجوه والنظائر، ط: جامعة تبريز.
مقتنيات الدرر، ط: الحيدرية، طهران.		الدميري: محمد
الحجازي: محمد محمود	(معاصر)	حياة الحيوان، ط: منشورات الرضي، قم.
التفسير الواضح، ط: دار الكتاب، مصر.		الرازي: محمد
الحري: إبراهيم	(٢٨٥)	مختار الصحاح، ط: دار الكتاب، بيروت.
غريب الحديث، ط: دار المدني، جدة.		الراغب: حسين
الحري: قاسم	(٥٦٦)	المفردات، ط: دار المعرفة، بيروت.
درة القوام، ط: المنشي، بغداد.		الراوندي: سعيد
حسنيين مخلوف	(معاصر)	فقه القرآن، ط: المنهاج، قم.
صفوة البيان، ط: دار الكتاب، مصر.		رشيد رضا: محمد
حفي: محمد شرف	(معاصر)	المنار، ط: دار المعرفة، بيروت.
عجاز القرآن البياني، ط: الأهرام، مصر.		الزبيدي: محمد
الحموي: ياقوت	(٦٢٦)	تاج العروس، ط: الخيرية، مصر.
معجم البلدان، ط: دار صادر، بيروت.		الزجاج: إبراهيم
الحيري: إسماعيل	(٤٣٦)	١- معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.
وجوه القرآن، ط: مؤسسة الطبع للأستانة		٢- فعلت وأفعلت، ط: التوحيد، مصر.
الرضويّة المقدّسة، مشهد.		٣- إعراب القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.
الحازن: عليّ	(٧٤١)	الزركشي: محمد

- ابراهيمان، ط: دار احياء الكتب، القاهرة. (١٣٩٦)  
 الزركلي: خير الدين (١٣٩٦)  
 الاعلام، ط: بيروت.  
 الزمخشري: محمود (٥٣٨)  
 ١- الكشف، ط: دار المعرفة، بيروت.  
 ٢- الفائق، ط: دار المعرفة، بيروت.  
 ٣- اساس البلاغة، ط: دار صادر، بيروت.  
 السجستاني: محمد (٣٣٠)  
 غريب القرآن، ط: المكتبة المتحدة، مصر.  
 السكاكي: يوسف (٦٢٦)  
 مفتاح العلوم، ط: دار الكتب، بيروت.  
 سليمان حبيب (معاصر)  
 فرهنگ عبري، فارسي، ط: إسرائيل.  
 السمين: أحمد (٧٥٦)  
 الدر المنصور، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.  
 السهيلي: عبد الرحمن (٥٨١)  
 روض الأنف، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.  
 سيبويه: عمرو (١٨٠)  
 الكتاب، ط: عالم الكتب، بيروت.  
 السيوطي: عبد الرحمن (٩١١)  
 ١- الإتقان، ط: رضى، طهران.  
 ٢- الدر المنثور، ط: بيروت.  
 ٣- تفسير الجلالين، ط: مصطفى البالي، مصر (مع أنوار التنزيل).  
 سيد قطب (١٣٨٧)  
 في ظلال القرآن، ط: دار الشروق، بيروت.  
 شهر: عبدالله (١٣٤٢)  
 الجوهر الثمين، ط: الألقين، الكويت.  
 الشريف: محمد (٩٧٧)  
 الشراج المنير، ط: دار المعرفة، بيروت.  
 الشريف الرضي: محمد (٤٠٦)  
 ١- تلخيص البيان، ط: بصيرتي، قم.  
 ٢- حقائق التأويل، ط: اليعة، طهران.  
 الشريف العاملي: محمد (١١٢٨)  
 مرآة الأنوار، ط: آفتاب، طهران.  
 الشريف المرتضى: علي (٤٣٦)  
 الأمالي، ط: دار الكتب، بيروت.  
 شريعتي: محمد تقى (١٤٠٧)  
 همسر نرين، ط: فرهنگ إسلامي، طهران.  
 شوقي ضيف (معاصر)  
 تفسير سورة الرحمن، ط: دار المعارف بمصر.  
 الشوكاني: محمد (١٢٥٠)  
 فتح القدير، دار المعرفة، بيروت.  
 الصابوني: محمد علي (معاصر)  
 روائع البيان، ط: النفالي، دمشق.  
 الصاحب: إسماعيل (٣٨٥)  
 المحيط في اللغة، ط: عالم الكتب، بيروت.  
 الصفاني: حسن (٦٥٠)  
 ١- الكلمة، ط: دار الكتب، القاهرة.  
 ٢- الأخذ، ط: دار الكتب، بيروت.  
 صدر المتألهين: محمد (١٠٥٩)  
 تفسير القرآن، ط: بيدار، قم.

- الصندوق: محمد (٣٨١) عبد الفتاح طيارة (معاصر)  
التوحيد، ط: النشر الإسلامي، قم.  
مع الأنبياء، ط: دار العلم، بيروت.
- طه الذرة: محمد علي (١٤٠٠) عبد الكريم الخطيب (معاصر)  
تفسير القرآن الكريم وإعراجه وبياناه، ط: دار  
الحكمة، دمشق.
- الطالقاني: محمود (١٤٠٠) عبد اللطيف الهمداني (٦٢٩)  
ذيل الفصح، ط: التوحيد، القاهرة.
- يرتوي لزقرآن، ط: شركت سهامی انتشار، (معاصر)  
عبد المنعم الجعالي: محمد
- الطباطبائي: محمد حسين (١٤٠٢) التفسير الفريد، ط: بإذن مجمع البحوث الإسلامية  
الميزان، ط: إسماعيليان، قم.
- الطبرسي: فضل (٥٤٨) القذافي: محمد (١٣٦٠)  
مجمع البيان، ط: الإسلامية، طهران.
- الطهري: محمد (٣٢٠) ١- معجم الأغلاط، ط: مكتبة لبنان، بيروت.  
٢- معجم الأخطاء الشائعة، ط: مكتبة لبنان، بيروت.
- ١- جامع البيان، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.  
٢- اخبار الأسم والمألوك، ط: الاستقامة، القاهرة.
- الطوسي: محمد (١٣٨٥) نور الثقلين، ط: إسماعيليان، قم.  
١- مجمع البحرين، ط: المرتضوية، طهران.  
٢- غريب القرآن، ط: التلخيص.
- طنطاوي: جوهري (١٣٥٨) العكبري: عبدالله (٦١٦)  
الجواهر، ط: مصطفى الباني، مصر.
- الطوسي: محمد (٤٦٠) علي أصغر حكمت (معاصر)  
التيبان، ط: الثعمان، التلخيص.
- عبد الجبار: أحمد (٤١٥) العياشي: محمد (٣٢٠ نحو)  
١- تنزيه القرآن، ط: دار النهضة، بيروت.  
٢- متشابهات القرآن، ط: دار التراث، القاهرة.
- عبد الرزاق نوفل (معاصر) الحجة، ط: دار المأمون، بيروت.  
الإعجاز العددي، ط: دار الشعب، القاهرة.
- القاضل المقداد: عبدالله (٨٢٦) القارسي: حسن (٣٧٧)

- كنز العرفان، ط: المرتضوية، طهران.
- القنبر الرازي: محمد (٦٠٦)
- القيسي: علي (٣٢٨)
- القيسي: علي، ط: دار الكتاب، قم.
- القيسي: مكّي (٤٣٧)
- مشكل إعراب القرآن، ط: مجمع اللغة، دمشق.
- الكاشاني: محسن (١٠٩١)
- الصافي، ط: الأعلمي، بيروت.
- الكرماني: محمود (٥٠٥)
- أسرار التكرار، ط: المحمدية، القاهرة.
- الكليبي: محمد (٣٢٩)
- الكافي، ط: دار الكتب الإسلامية، طهران.
- لوسس كوستاز (معاصر)
- قاموس سباني - عربي، ط: الكاتوليكية، بيروت.
- لويس معلوف (١٣٦٦)
- المصنف المنقذ، ط: دار مطابع الشعب، بيروت.
- فضل الله: محمد حسين (١٤٣١)
- من وحي القرآن، ط: دار الملائكة، بيروت.
- الفيروز آبادي: محمد (٨١٧)
- ١- قاموس المحيط، ط: دار الجمل، بيروت.
- ٢- بصائر ذوي التمييز، ط: دار التحرير، القاهرة.
- الفيومي: أحمد (٧٧٠)
- مصابيح التنير، ط: المكتبة الطمعية، بيروت.
- القاسمي: جمال الدين (١٣٣٢)
- محاسن التأويل، ط: دار أحياء الكتب، القاهرة.
- القالي: إسماعيل (٣٥٦)
- الأمالي، ط: دار الكتب، بيروت.
- القرطبي: محمد (٦٧١)
- المجامع لأحكام القرآن، ط: دار أحياء التراث، بيروت.
- القشيري: عبد الكريم (٤٦٥)
- لطائف الإشارات، ط: دار الكتاب، القاهرة.

- عמוד صافي (١٤٠٥) المجلد في إعراب القرآن و صرفه و بيانہ: ط: دار الرشيد.
- المندلي: علي (١١٢٠) أنوار الربيع، ط: التعمان، نجف.
- المديني: محمد (٥٨١) المجموع المغيث، ط: دار المديني، جدة.
- المراغي: محمد مصطفى (١٣٦٤) ١- تفسير سورة الحجرات، ط: الأزهر، مصر.  
٢- تفسير سورة الحديد، ط: الأزهر، مصر.
- المراغي: أحمد مصطفى (١٣٧١) تفسير القرآن، ط: دار احياء القرات، بيروت.
- مشكور: محمد جواد (معاصر) فرھنگ تطبیعی، ط: کاویان، طهران.
- المشهدی: محمد (١١٢٥) كنز الدقائق، مؤسسة النشر الاسلامي، قم.
- المصطفي: حسن (معاصر) الثمقین، ط: دار الترجمة، طهران.
- معرفة: محمد هادي (١٤٢٧) التفسير والمفسرون، ط: الجامعة الرضوية، مشهد.
- مغنية: محمد جواد (١٤٠٠) مغنیة: محمد جواد
- التفسير الكاشف، ط: دار العلم للعلايين، بيروت.
- مقاتل: ابن سليمان (١٥٠) ١- تفسير مقاتل، ط: دار احياء القرات العربی، بيروت.  
٢- الأعياء والتظائر، ط: المكتبة العربية، مصر.
- المقدس: مطهر (٣٥٥) البدء و التاريخ، ط: مكتبة المثنى، بغداد.
- مكارم الشيرازي: ناصر (معاصر) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ط: بيروت.
- المهيدي: أحمد (٥٢٠) كشف الأسرار، ط: أمير كبير، طهران.
- الميلاني: محمد هادي (١٣٨٤) تفسير سورتي الجمعة و الثمانين، ط: مشهد.
- الثقاسي: أحمد (٣٢٨) معاني القرآن، ط: مكتبة المكرمة.
- الشمسي: أحمد (٧١٠) مدارك التفسير، ط: دار الكتاب، بيروت.
- الشهاوندي: محمد (١٣٧٠) مركز تحقیقات کتبیه و نشریه حضرت آیت الله العظمی، ط: سنگی، علمی [طهران].
- الطوسا بوري: حسن (٧٢٨) خرابات القرآن، ط: مصطفى البابي، مصر.
- هارون الأعور: ابن موسى (٢٤٩) الوجوه والتظائر، ط: دار المحرقة، بغداد.
- هانسي: الإمبريكي (معاصر) قاموس كتاب مقدس ط: مطبعة الإمبريكي، بيروت.
- الهروي: أحمد (٤٠١) الترميز، ط: دار احياء القرات.
- الحمداني: عبد الرحمن (٣٢٩) الألفاظ الكتابية، ط: دار الكتب، بيروت.
- هويسما: مارين يودور (١٣٦٢) دائرة المعارف الإسلامية، ط: جهان، طهران.

الواحدى: علمى.	(٤٦٨)	اليقوى: أحمد	(٢٩٢)
الوسيط، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.		التاريخ، ط: دار صادر، بيروت.	
اليزيدى: يحيى	(٢٠٢)	يوسف طياط	(٥)
غرب القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.		الملحق بلسان العرب، ط: أدب الحوزة، قم.	







سازمان اسناد و کتابخانه ملی  
جمهوری اسلامی ایران

## فهرس الأعلام المنقول عنهم بالواسطة

(٩٧٤)	أبن حجر: أحمد بن محمد	(٢٠٠)	أبنان بن عثمان.
(٤٥٦)	أبن حزم: علي	(٤)	إبراهيم التيمي.
(٢)	أبن حنبل: ...	(١٢٩)	أبن أبي إسحاق: عبدالله.
(٦٠٩)	أبن خروف: علي	(١٥٣)	أبن أبي عبيدة: إبراهيم.
(٢٠٢)	أبن ذكوان: عبدالرحمان	(١٥٣)	أبن أبي نجيع: يسار.
(٧٩٥)	أبن رجب: عبدالرحمان	(١٥٣)	أبن إسحاق: محمد.
(٧٣)	أبن الزبير: عبدالله.	(٢٣١)	أبن الأعرابي: محمد.
(١٨٢)	أبن زيد: عبدالرحمان	(١٧٩)	أبن أنس: مالك.
(٤)	أبن سميع: محمد.	(٥٨٢)	أبن برقي: عبدالله.
(١١٠)	أبن سيرين: محمد.	(٤)	أبن بزرج: عبدالرحمان.
(٤٢٨)	أبن سينا: علي	(٧٠٤)	أبن بنت العراقي
(٥٤٢)	أبن الشخير: مطرف.	(٧٢٨)	أبن تيمية: أحمد.
(٤)	أبن شريح: ...	(١٥٠)	أبن جريح: عبد الملك.
(٢٠٣)	أبن شمائل: نصر.	(٣٩٢)	أبن جني: عثمان.
(٢)	أبن الشيخ: ...	(٦٤٦)	أبن الحاجب: عثمان.
(٤)	أبن عادل.	(٢٤٥)	أبن حبيب: محمد.
(١١٨)	أبن عامر: عبدالله.	(٨٥٢)	أبن حجر: أحمد بن علي.

(١١٧)	ابن هُرْمُز: عبد الرحمن.	(٦٨)	ابن عباس: عبدالله.
(٣١٦)	ابن الهيثم: دلود.	(٢٤٤)	ابن عبد الملك: محمد.
(٧٤٩)	ابن الوردي: صمر.	(٥)	ابن عساكر
(١٩٧)	ابن وُهب: عبدالله.	(٦٩٦)	ابن عصفور: عليّ
(٥٤٢)	ابن يسعون: يوسف.	(١٣١)	ابن عطاء: واصل.
(٦٤٣)	ابن يعيش: عليّ.	(٧٦٩)	ابن عقيل: عبدالله.
(٨٠)	أبو بحريّة: عبدالله.	(٧٣)	ابن عمر: عبدالله.
(٣٦٦)	أبو بكر الإخشيد: أحمد.	(١٩٣)	ابن عباس: محمد.
(٢٠١)	أبو بكر الأصم: ...	(١٩٨)	ابن عبيدة: سفيان.
(٥)	أبو الجزال الأعراي.	(٤٠٦)	ابن فورك: محمد.
(١٣٢)	أبو جعفر القاري: بنيد.	(١٢٠)	ابن كثير: عبدالله.
(٥)	أبو الحسن الصائغ.	(١١٧)	ابن كعب القرظي: محمد.
(١٥٠)	أبو حمزة الثعالبي: ثابت.	(٢٠٤)	ابن الكلبي: هشام.
(١٥٠)	أبو حنيفة: الثمان.	(٣٢٠)	ابن كمال باشا: أحمد.
(٢٠٣)	أبو حنيفة: شريح.	(٦٨٣)	ابن كمونة: سعد.
(٢٧٥)	أبو داود: سليمان.	(٢٩٩)	ابن كيسان: محمد.
(٣٢)	أبو الدرداء: عوثير.	(٢٧٣)	ابن ماجه: محمد.
(٥)	أبو ذؤيب: ...	(٦٧٢)	ابن مالك: محمد.
(٣٢)	أبو ذر: جندب.	(٣٢٤)	ابن مجاهد: أحمد.
(٥)	أبو روق: عطية.	(١٢٣)	ابن محيصين: محمد.
(٥)	أبو زياد: عبدالله.	(٣٢)	ابن مسعود: عبدالله.
(٧٤)	أبو سعيد الخدري: سعد.	(٩٤)	ابن المسيّب: سعيد.
(٢٨٥)	أبو سعيد الخدادي: أحمد.	(٨٠١)	ابن ملك: عبد اللطيف.
(٢٨٥)	أبو سعيد الخزاز: أحمد.	(٧٣٣)	ابن المنير: عبد الواحد.
(٢١٥)	أبو سليمان الدمشقي: عبد الرحمن.	(٦٩٨)	ابن النحاس: محمد.
(٥)	أبو السّعال: قتيب.	(٥)	ابن هاني: ...

أبو شريح الخزازي:	(٢)	أبو يعلى: أحمد.	(٣٠٧)
أبو صالح.	(٢)	أبو يوسف: يعقوب.	(١٨٢)
أبو الطيّب اللّغوي:	(٢)	أبيّ بن كعب.	(٢١)
أبو العالية: رقيع.	(٩٠)	أحمد بن حنبل.	(٢٤)
أبو عبد الرحمن: عبدالله.	(٧٤)	الأحر: عليّ.	(١٩٤)
أبو عبدالله: محمد.	(٢)	الأخفش الأكبر: عبد الحميد.	(١٧٧)
أبو عثمان الخيري: سعيد.	(٢٨٩)	إسحاق بن بشير.	(٢٠٦)
أبو العلاء المعري: أحمد.	(٤٤٩)	الأسديّ.	(٢)
أبو عليّ الأهوازي: حسن.	(٤٤٦)	إسماعيل بن القاضي.	(٢)
أبو عليّ مستكويه: أحمد.	(٤٢١)	الأصم: محمد.	(٣٤٦)
أبو عمران الجوني: عبد الملك.	(٢)	الأعشى: ميمون.	(١٤٨)
أبو عمرو ابن العلاء: زبّان.	(١٥٤)	الأعشى: سليمان.	(١٤٨)
أبو عمرو الجرمي: صالح.	(١٢٥)	اللياس: ....	(٢)
أبو الفضل الرازي:	(١٢)	أنس بن مالك.	(٩٣)
أبو قلابة: ....		الأعشى: سعيد.	(٢٠٠)
أبو مالك: عمرو.	(٢)	الأوزاعي: عبد الرحمن.	(١٥٧)
أبو المتوكل: عليّ.	(٢)	الأهوازي: حسن.	(٤٤٦)
أبو ميخّل: لاحق.	(٢)	الباقليّ: محمد.	(٤٠٣)
أبو مَحَلَم: محمد.	(٢٤٥)	البخاري: محمد.	(٢٥٦)
أبو مسلم الأصفهاني: محمد.	(٣٢٢)	براء بن عازب.	(٧١)
أبو منذر السّلام: ....	(٢)	البرجي: عليّ.	(٢) د
أبو موسى الأشعري: عبدالله.	(٤٤)	البرجي: ضابن.	(٢)
أبو نصر الباهلي: أحمد.	(٢٣١)	البقليّ.	(٢)
أبو هريرة: عبد الرحمن.	(٥٩)	البلخي: عبدالله.	(٣١٩)
أبو الهيثم: ....	(٢٧٦)	البلوطي: منذر.	(٣٥٥)
أبو يزيد المدني: ....	(٢)	بوست: جورج ادوارد.	(١٣٢٧)

(٦٩٣)	الحوثي: محمد.	(٢٧٩)	القرمذي: محمد.
(٨٦٢)	الحياي: أحمد.	(١٢٧)	ثابت البناني.
(٤)	الدققي.	(٤٢٧)	الطعلي: أحمد.
(٨٢٧)	الدمايني: محمد.	(١٦١)	الثوري: سفيان.
(٩١٨)	الدواني.	(٩٣)	جابر بن زيد.
(٢٨٢)	الديشوري: أحمد.	(٣٠٣)	الجبائي: محمد.
(١٣٩)	الربيع بن أنس.	(٢٣١)	الجندري: كامل.
(٤)	ربيعة بن سعيد.	(١٣١٥)	جمال الدين الأفغاني.
(٦٨٦)	الرضي الأستراهادي.	(٢٩٧)	الجند البهادي: ابن محمد.
(٣٨٤)	الرماني: علي.	(١٢٨)	جهرم بن صفوان.
(٢٣٨)	رؤيس: محمد.	(٢٢٢)	الحارث بن ظالم.
(٤)	الزكائي.	(٤)	الحذادي: ....
(٢٥٦)	الزبيدي: بن بكار.	(٥٦٠)	الحمراني: محمد.
(٣٣٧)	الزجاجي: عبد الرحمن.	(١١٠)	الحسن بن يسار.
(٤٢٧)	الزهراني: خلف.	(٤)	حسن بن حي.
(١٢٨)	الزهراني: محمد.	(٢٠٤)	حسن بن زياد.
(١٣٦)	زيد بن أسلم.	(٥٤٨)	حسين بن فضل.
(٤٥)	زيد بن ثابت.	(٢٤٦)	حفص: بن عمر.
(١٢٢)	زيد بن علي.	(١٦٧)	حماد بن منلة.
(١٢٨)	السدي: إسماعيل.	(١٥٦)	حمزة القاري.
(٥٥)	سعد بن أبي وقاص.	(٤)	حميد: ابن قيس.
(٤)	سعد الملقى.	(٤٣٠)	الحوثي: علي.
(٩٥)	سعيد بن جبور.	(٤)	خصيف: ....
(١٦٧)	سعيد بن عبدالعزيز.	(٥٠٢)	الخطيب التبريزي: يحيى.
(٧٤)	السلمي القاري: عبدالله.	(٤٦٦)	الحفاجي: عبدالله.
(٤١٢)	السلمي: محمد.	(٢٩٩)	خلف القاري.

سليمان بن جازال المديني	(١٧٠)	الطَّبَّجَلِي: أحمد.	(١٢١٣)
سليمان بن موسى.	(١١٩)	طلحة بن مُصَرِّف.	(١١٢)
سليمان التيمي.	(٥)	الطَّيْبِي: حسين.	(٧٤٣)
سهل التستري.	(٢٨٣)	عائشة: بنت أبي بكر.	(٥٨)
السَّيرافي: حسن.	(٣٦٨)	عاصم الجَعْدَرِي.	(١٢٨)
الشاذلي.	(٩)	عاصم القاري.	(١٢٧)
الشاطبي	(٥)	عامر بن عبدالله.	(٥٥)
الشافعي: محمد.	(٢٠٤)	عباس بن الفضل.	(١٨٦)
الشَّيْبِي: ذَلَف.	(٣٣٤)	عبدالرحمان بن أبي بَكْرَة.	(٩٦)
الشَّعْبِي: عامر.	(١٠٣)	عبدالعزيز: ....	(٦١٢)
شعيب الجبلي.	(٥)	عبدالله بن أبي ليلى.	(٥)
الشَّيْق بن إبراهيم.	(١٩٤)	عبدالله بن الحارث.	(٨٦)
الشَّيْبَانِي: عمر.	(٦٤٥)	عبدالله الهبطي.	(٥)
شمرة بن حمدويه.	(٢٥٥)	عبدالوقاب التجار.	(١٣٦٠)
الشَّيْبَانِي: أحمد.	(٨٧٢)	عُثْمَان بن عُثْمَان.	(٥)
الشَّهاب: أحمد.	(١٠٦٩)	العُثْمَانِي: عُبَاد.	(١٨١)
شهاب الدين القرائي.	٦٨٤)	العُدْوِي: ....	(٥)
شهر بن حوشب.	(١٠٠)	عصام الدين: عثمان.	(١١٩٣)
شيبان بن عبدالرحمان.	(٥)	عصمة بن عروة.	(٥)
شَيْبَة الضَّيِّي.	(٩)	الْعَطَاء: بن أسلم.	(١١٤)
شَيْذَلَة: عُزَيْرِي.	(٤٩٤)	عطاء بن سائب.	(١٣٦)
صالح المري.	(٥)	عطاء الخراساني: ابن عبدالله.	(١٣٥)
الصَّيْقَلِي: محمد.	(٥٦٥)	عِكْرَمَة بن عبدالله.	(١٠٥)
الصَّيْقَلِي: يونس.	(١٨٢)	العلاء بن سَيَّابَة.	(٥)
الضَّحَّاك: بن مزاحم.	(١٠٥)	علي بن أبي طلحة.	(١٤٣)
طاووس: بن كيسان.	(١٠٦)	عمارة بن عائد.	(٥)

(١٨٥)	الليث بن المظفر.	(١٥٣)	عمر بن ذرّ.
(٣٣٣)	الماتريدي: محمد.	(١٤٤)	عمرو بن عبيد.
(٢٤٩)	المازني: بكر.	(٢)	عمرو بن ميمون.
(١٧٩)	مالك بن أنس.	(١٤٩)	عيسى بن عمر.
(١٣١)	مالك بن دينار.	(١١١)	القروي: عطية.
(٢)	المالكى.	(٨٥٥)	العيفي: محمود.
(٢)	الملوي.	(٥٠٥)	الغزالي: محمد.
(١٠٤)	مجاهد: جبر.	(٥٨٢)	الغزنوي: ...
(٢٤٣)	المحاسبي: حارث.	(٣٣٩)	الفارابي: محمد.
(٢)	محبوب: ...	(٢)	الفاسي.
(٢)	محمد أبي موسى.	(٢٠٠)	الفضل الركاشي.
(٢٤٥)	محمد بن حبيب.	(١١٨)	قتادة بن دعامة.
(١٨٩)	محمد بن الحسن.	(٧٣٩)	القرظيني: محمد.
(٢)	محمد بن شريح الأصفهاني.	(٢-٩)	قطرب: محمد.
(١٣٢٣)	محمد بن عبد الله: ابن حسن خير الله.	(٣٢٨)	القفال: محمد.
(٢)	محمد الشيشي.	(٥٢١)	القلاسي: محمد.
(٦٥)	مروان بن الحكم.	(٣٠٩)	كراع الثعل: علي.
(٢)	المسهر بن عبد الملك.	(١٨٩)	الكسائي: علي.
(٩٧٩)	مصالح الدين اللاري: محمد.	(٣٢)	كعب الأحبار: ابن مانع.
(١٨)	معاذ بن جبل.	(٣١٩)	الكعي: عبدالله.
(١٨٧)	معتز بن سليمان.	(٩٠٥)	الكفعمي: إبراهيم.
(٤١٨)	المهري: حسين.	(١٤٦)	الكلبي: محمد.
(١٨٢)	المفضل الضبي: ابن محمد.	(٢)	كلثومي.
(١١٢)	مكحول: بن شهراب.	(٢)	الكنيا الطبري.
(٣٢٩)	المندري: محمد.	(٢٠٤)	اللوثوي: حسن.
(٤٤٠)	المهدي: أحمد.	(٢٢٠)	اللحياني: علي.

(٢٠٧)	وَهْب بن جرير.	(١٩٥)	مُورِّج السَّدُوسِي: ابن عمر.
(١١٤)	وَهْب بن مَنبَه.	(٦٠٤)	موسى بن عمران.
(٥)	يحيى بن جعدة.	(١١٧)	ميمون بن مهران.
(٥)	يحيى بن سعيد.	(٩٦)	الثَّخَمِي: إبراهيم.
(٢٠٠)	يحيى بن سَلام.	(٥)	نصر بن عليّ.
(١٠٣)	يحيى بن وثاب.	(١٣٤٠)	نقوم بك: بن بشار.
(١٢٩)	يحيى بن يَعْمَر.	(٣٢٣)	نُفْطَوَيْه: إبراهيم.
(١٢٨)	يزيد بن أبي حبيب.	(٣٥١)	الْثَّقَاش: محمد.
(١٣٠)	يزيد بن رومان.	(٦٧٦)	الثَّوَوِي: يحيى.
(١٣٢)	يزيد بن قَعْقَاع.	(٧٢٨)	هارون بن حاتم.
(٢٠٢)	يعقوب بن اسحاق.	(١٧٥)	الْهَذَلِي: قاسم.
(٥)	الْهَمَاني: عُثْر.	(٥)	هَمام بن حارث.
		(١٩٧)	وَرْن: عثمان.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی